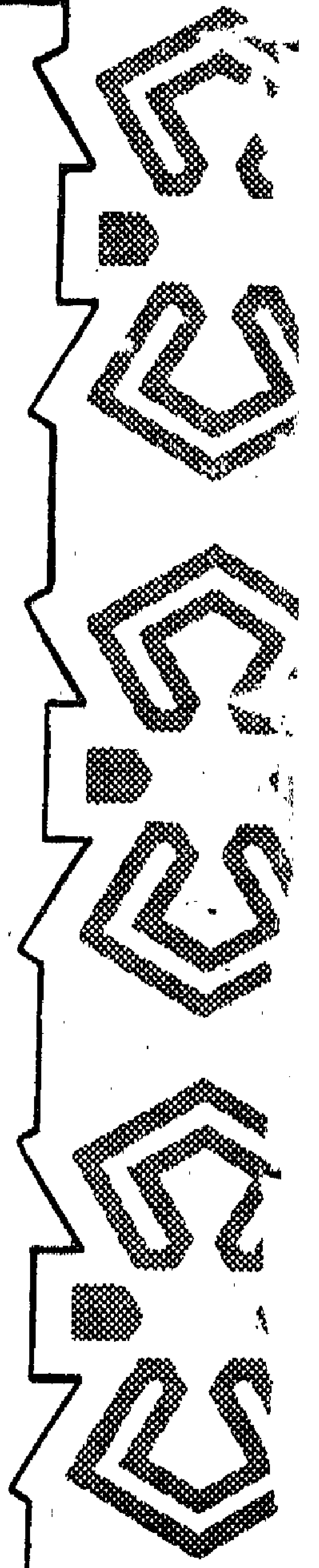
# المختار
من ريدرز دايجست


## فى كل مقالة لذة دائمة



يوليو ١٩٤٦



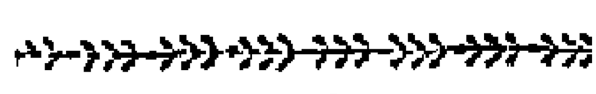
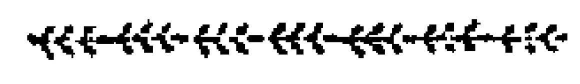
# بعض ما تقرأ في عددنا القادم

**لا تتغيَّر حال قوم حتى يغيِّروها بأنفسهم :** هذا وصف تجربة اجتماعية فى قرية مصرية تمّت على أيدٍ مصرية . يراد بها أن يقهر سكانها الأعداء الثلاثة — المرض والجهل والفاقة ، وقد تعاون فيها السكان تعاوناً صادقاً ، فأصابت من النجاح حتى صارت مثالاً يحتذى فى مصر وسائر البلاد الزراعية فى أرجاء الأرض .

**كيف دخلت « الديمقراطية » أذربيجان :** أخذ الروس يجلون عن هذه الولاية الإيرانية الصغيرة ، ولكن ما خبر الآراء والمبادىء السياسية التى خلفوها فيها ؟ وكيف قام فيها نظام سياسى اجتماعى جديد حلَّ محلَّ نظام الإقطاع القديم ؟ وما هو شعور أهل أذربيجان حيال هذا « التحرير » ؟

**السياسة العالمية الوحيدة التى تجدى :** ينبغى أن يكون الغرض الأول هو منع نشوب حرب عالمية ثالثة . وأعظم ما ينطوى على خطر الحرب هو العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة . سفير الولايات المتحدة الأسبق فى لندن يبسط أصول هذه العلاقة وما ينبغى أن تقوم عليه من قواعد مطابقة لمقتضى الحال .

**كيف تستمتع وتنتفع بأربع وعشرين ساعة كل يوم :** أديب من أكبر أدباء هذا القرن — هو أرنولد بنيت — يبذل لك النصح والإرشاد حتى تستطيع أن تجعل كل ساعة من يومك ، ساعة نابضة بالمتعة والنفع وفيض الحياة الزاخرة . مختصر كتاب جليل الخطر .


 READER'S DIGEST 

*(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)*

AL-MUKHTAR MIN READER'S DIGEST — VOL. 6, NO. 35, JULY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٤ — شارع القاصد بالقاهرة . تليفون : ٤٢٣٦٤

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

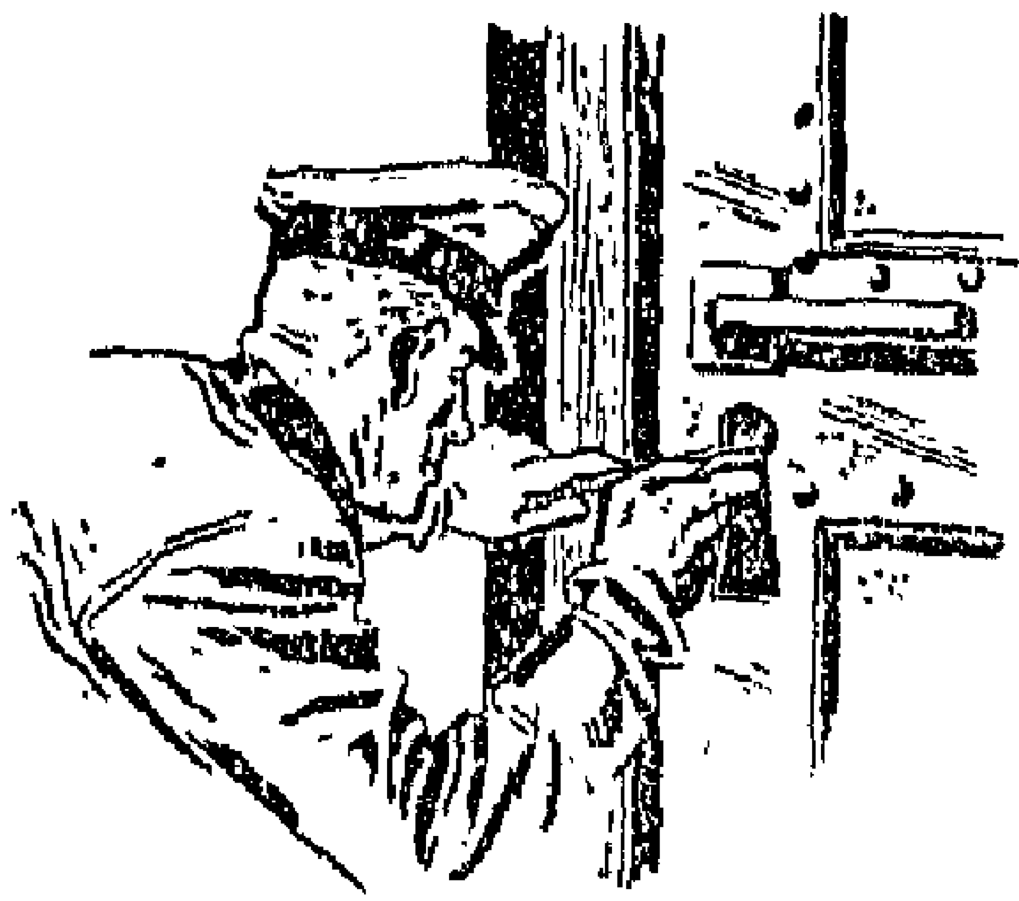
الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون


---

الشخصيات التي لا تنسى:

# توبة لص، شريف النفس

كارين ميخائيليس



عندنا في الدنمارك قبل الحرب كثير من صغار اللصوص، أما عتاة المجرمين فقليل. فمن أجل ذلك ريع الناس لما اشتهر أمر «هانز بيترسن» ووصف بأنه «أخطر لص عات». وهو وإن كان قد قضى نصف سنوات عمره الأربعين في السجن إلا أنه لم يكن من العتوّ المخيف بحيث يُظنّ، لأن أنفته كانت تجعله يربأ بنفسه عن تلويثها في أيّ جريمة دنيئة، وعن أن يوقع أذى بإنسان.

وكان بيترسن متخصصاً في الآثار القديمة، فهو يسطو على البيت من البيوت، وفي اليوم التالي يرسل إلى الصحف وإلى مكتب الشرطة بياناً مفصلا يذكر فيه على وجه الدقة ما أخذه ومبلغ قيمته. وإذا اقتحم بيتاً كان صاحبه فاسد الذوق، فإنه يصف ما فعله في ترتيب الأثاث وتنسيقه، أو يكشف لهم عن زَيْف آثار مُدْرجة في عداد النفائس.

وكانت أروع مغامراته قضاءه آخر الأسبوع في بيت رئيس الشرطة، وكان قد خرج بأسرته في الريف. وقد نوّه بيترسن في تقريره المعتاد بأناقة البيت، ولكنه ذكر أن لوالب السُّرر قد تراخت وضعفت، وأن الأطباق الصينية قد تشققت.

والدنماركيون قوم يغتفرون كل ذنب إذا وجدوا فيه ما يضحكهم، فلا غرو إذا وجدوا في مغامرات هذا اللص أكبر متاع. فلم يكن أحد من الناس يود لو قبض الشرطة على هانز بيترسن أو «هـ.ب» كما يسمونه اختصاراً. وكنا جميعاً نحس أن الشرطة لم يكونوا يطاردونه إلا احتفاظاً بما يجب لهم من هيبة، وأنهم كانوا يستملحون النكتة استملاح سائر الناس لها. وكان الرجل لطيف الأدب مع أولي الأمر، وكانوا يقابلون هذا التلطف

* كارين ميخائيلس صاحبة هذه القصة المقتبسة من تجاريبها الخاصة، سيدة دنمركية تعيش الآن في الولايات المتحدة. وهي من أعلام الأدب في بلادها، وقد راج بعض مصنفاتها الأربعين في القارة الأوربية، وبلغ أحدها — وهو «السن الخطرة» مبلغ أكثر الكتب رواجاً في أمريكا. ولقد كتبت في هذه الأيام ترجمة لحياتها بالاشتراك مع لينور سورسبي وستنشر في الخريف القادم.

منـــه بمثله . ولكن قُبض عليــه آخر الأمر .

وتولى هو الدفاع عن نفســه ، وذكر للمحكمة أنه لما كان محبوساً فى أوائل أيامه وعده أحد النـاس أن يعاونه إذا استقام وأحسن السيرة ، فلما خرج كان كل ما نال من معونة سراويل عتيقة. ولم يكن ثمة أدنى شك فى صدق سريرة نفسه، ومن أن المرارة التى أعقبتها خيبة أمله هى التى أثارت ثأرته على المجتمع .

واعترف أيضاً أنه كان يأخذ ما يسطو عليه إلى لندن ، وأن له هناك متجر آثار ، استخدم فيه رجلاً مؤتمناً يديره ، وكان يخفى عنــه مصدر البضاعة. وقد أغلق المتجر بطبيعة الحال بعد اعتقاله وحبسه .

ولقد ألفيتُنى موطدة العزم على أن أبذل له المعونة الأدبية التى لا خفاء فى شدة حاجته إليها ، فكتبت إليه أنى سأكون عونه على بناء حياة جديدة له حين يُطلق سراحه .

وكان الظاهر كل الظهور فى رسائله أنه يحلم باليوم الذى يحيى فيه حيـاة مستقرة ، فقصدت الملك ، والتمست منـه العفو عن الرجـل . فسألنى جلالتـه : هل أدرك ما فى الأمر من مخاطرة. فقلت: « ياصاحب الجلالة. لا يساورنى البتة خوف، سوف أجعله ضيفى حتى تظهر لنا سيرته ومسلكه » .

لم يَعِد جلالته بشىء ، غير أنه ما حلّ عيد ميلاد جلالته حتى عُفى عن صـديقى اللص بيترسن .

وكتب إلى بيترسن يقول إنه لا يستطيع أن يوافينى فى بيتى بجزيرة تورو قبل أسبوع ، فلديه من الشئون ما لا بد له من قضائها فى بلدة سفندبورج المجاورة . فلما أن قدم آخر الأمر ، ورأته أمى ينزل من السيارة حسن البزة ، نحيف القوام ، مع تقوّس الظهر بعض الشىء ، لم تصدّق عينيها ، وصاحت متعجبة : « أهـذا الرجل لصّ ؟ لكأنه أستاذ من العلماء ! »

وبعد الغداء ، صحبت ضيفى إلى أحـد الأكواخ القائمة فى حديقتى الفيحاء . وهو مأوى صغير ، ولكنه لطيف ، لا تَغيبه الشمس . ونظر الرجـل فيما حوله وابتسم وقال: « عجباً ، إنه لسكن تستريح إليه نفس ساكنه »، وجعل يفكّ حقائب كثيرة أنيقة من جلد مراكش وجلد التمساح ويخرج ما فيها، وهو يقول إن حقائبه الكبيرة ستصل بعد قليل . وقد وصلت محزومة بالحديد ، مملوءة بالسجاجيد الشرقية الفاخرة وطرائف الآنية والكتب .

وذات يوم تذكرت أن زيت الغاز فى مصابيح مثواه قد أوشكت أن ينفد زيتها فحملت إليه مقداراً منه ، فلما قرعت الباب

أجابنى ، ولكنه تركنى أنتظر . وسمعت جلبة رفع الأثاث وهدّة سقوطه ، وصوت جرّه على أرض الغرفة . وأخيراً فتح لى الباب ، فإذا الغرفة قد تغيرت معالمها بما نسّقه فيها من الطرائف الفنية على نحو يشهد له بالذوق السليم .

وقال لى بصوت هادىء : « لقد أقمت متراساً وراء الباب » :

فقلت : « ولكن لِمَ ؟ »

قال : « حقاً ، يالك من غريرة ! إنك لا تعرفين هؤلاء الناس — نزلاء السجن . فما ذهبت إلى سفندبورج إلا لكى أؤمن على أشيائى هذه من السرقة . فإذا جاءت أوراق التأمين لم يكن بى حاجة إلى تكلف هذه الحيطة . أما الآن فيستطيع أىُّ لصّ أن يتسلل إلى هنا ويسرق نفاس كتبى ! »

وكان بيترسن لطيف المدخل على الناس فلم يلبث أن دعاه الداعون فى كل ناحية من أنحاء الجزيرة — حتى لقد دعاه القسيس إلى داره . وهو فى المجلس يخلب السامعين بما يقصه عليهم من مخاطراته القديمة فى السطو ، ويبين لهم كيف كان يفتح الأقفال بدبوس من دبابيس الشعر ، وكيف كان ينسلّ من فتحة لا تتسع لغير رأسه .

وأما فى سائر أيام الأسبوع فكان من عادته أن يلزم كوخه ويعكف على كتابة مذكراته . ومما يؤسف له أنه كان يميل إلى تفخيم الكلام مع قلة بضاعته من اللفظ مما جعل كتابته تبعث السأم فى النفس . ولقد عرضتُ عليه ذات يوم أن أساعده ، فقال فى خيلاء : « سيدتى العزيزة ، لا شك عندى فى حسن مقصدك . ولكن لك أنت أسلوبك الذى لا حق لى فى تنقيحه ، وأنا لى أسلوبى ! » وكان يتحرى الإتقان والتأنق والدقة فى منهجه ، ولكنه كان بطيئاً غاية البطء . وهو يذهب إلى أن هذا البطء إنما جاءه من أنه كان مقصوراً فى السجن على العمل الآلى دون غيره .

ولم تنقض بضعة أشهر حتى حقق أمنية عزيزة طال ما تمناها ، فافتتح مخزناً جميل المنظر لبيع الأسفار القديمة والكتب النادرة فى كوبنهاجن . ولم يكن ما كسبه فى السجن يفى بمقدار رأس المال اللازم ، ولكن المهتمين بأمره من المحامين ورجال الأمن والقضاة وغيرهم ساهموا فى جمع المال له .

وكان الرجل رقيق الحاشية ، جم الأدب مع زبائنه ، ولكنه لم يكن يملك نفسه من الرغبة فى تعليمهم وإرشادهم . فإذا سأله أحدهم عن قصّة خفيفة طفق صاحبنا يحاضره محاضرةً طويلة يُندِّد بإضاعة المرء وقته فى قراءة مثل هذه التفاهات . أما القصص البوليسية فكان يأبى أن تكون

عنده ، وكان يقول : « إنى أربأ بنفسى عن أن أبيع كتباً تجعل الناس طغاما أو وحوشاً »

وذات يوم لاقى شابة جميلة تعمل فى بعض الشركات المشهورة فى كوبنهاجن فوقعت فى نفسه وأحبها ، وظهر أن ماضيه المريب لم يكن ليعوقه عن أن ينال الحظوة عند الفتاة. وقد كان يوم زواجهما يوما مشهوداً ، وأقيم العرس فى دار أحد الأعلام من وكلاء القضايا لدى المحكمة العليا ، ودعا إليه كثيراً من زملائه . وكان زواجاً موفقاً .

وكان بيترسن يرسل إلىّ فى موعد العفو عنه من كل عام هدية صغيرة ومعها كلمة منه . وقد يأتى أحياناً هو وزوجته فى الصيف إلى جزيرتى الصغيرة فيقضيان شهراً فى الكوخ الصغير . ولقد آنست فيه أنه لم يصبح صاحب متجر مُجِدّ فحسب، ولكنه أصبح أيضاً زوجاً مدبراً متبصراً . ورجلا مسالماً متواضعاً . لقد تغير حال اللص القديم كل التغير .

ثم جاء الألمان واحتلوا الدنمارك .

وعرف الألمان كل شىء عن بيترسن، وكان عندهم فى قائمة الذين قد يرجى منهم النفع، وسرعان ما أصبح يُرى فى كل مكان مع الضباط الألمان ، وقد يؤاكلهم أحياناً وينادمهم. ولبس حلة عسكرية ألمانية جميلة الهندام والتفصيل، وعاد إلى كبريائه وخيلائه كسابق عهده . فامتلأت صدور أصدقائه الأقدمين مقتاً له واشمئزازاً منه ، وكانوا قد انضموا إلى حركة المقاومة الخفية، واتصلوا اتصالهم الوثيق بإنجلترا يتلقون منها الإرشادات والعتاد للقيام بأعمال التخريب .

وكان الألمان قد استولوا فى جزيرة « رفشـــالو » على مصنع مهم لأجزاء الطائرات ، فاعتزم رجال المقاومة نسف المصنع ، وعكف مئات من الناس على تدبير الخطة. والتحق كثير منهم بالمصنع ، ودبر بعضهم ما سيكون من حوادث السيارات ومن المشاجرات فى الشوارع والتبليغات الكاذبة عن شبوب الحرائق ، ليشغلوا البوليس الألمانى فى كوبنهاجن فى الليلة المحددة لنسف المصنع .

كان موعد التنفيذ فى منتصف الليل فى ليلة من ليالى المحاق ، وتمّ اختيار جماعة يتولون أمر حراس المصنع من الألمان . ونجح المؤتمرون فى تهريب الديناميت إلى داخل المصنع وهيئوه للاستعمال . وأزفت الساعة .

غير أن الخطة مع مقاربتها للكمال كانت مشرفة فيما يبدو على الإخفاق ، فقد بذل المخربون ما وسعهم من جهد ، ولكنهم لم يعرفوا كيف يفتحون الأقفال

المضروبة على الأبواب الفولاذية الضخمة .

وقبل الليلة المحددة بيومين ، تلقى أحد رؤساء المؤتمرين رقعة . وكان الرجل قد تلقى من قبل رقاعاً غيرها مكتوبة بالخط نفسه توقفهم على خطط الألمان دون أن يعرف أحد مرسلها ، ولكن هذه الرقعة كانت ممهورة باسم المرسل . وهذا نصها : « سأكون عند مدخل المصنع فى منتصف الليل بعد يومين ، وسأكون مرتدياً حلة عسكرية ألمانية ، وسأفتح الأقفال » ، والتوقيع « هـ . ب » .

أيجمل بهم أن يثقوا به ؟ فلما بلغ منهم اليأس عزموا أن يبتدروا هذه الفرصة .

وجاء فى الموعد المحدد مرتدياً حلته النازية ، وأخمدت أصوات الحرس الألمان القريبين من المدخل ، واتسع الوقت بضع دقائق للفئة المتجمعة فى الظلام قادمة لنسف المصنع . وقال هـ . ب . وهو هادىء : « جئت براً بوعدى ، ولا أريد منكم سوى شىء واحد . إذا حدث لى حادث فاحرصوا على محو الوصمة التى وصم بها اسمى . أما زوجتى . . . »

وكف عن الكلام ، وانحنى على القفل يفتحه ، ولم تمض ثلاث دقائق حتى فتح الباب .

وكان يستطيع الآن أن ينجو بنفسه سالماً ، ولكنه أبى وقال : « أريد أن أشعل فتيلاً واحداً بنفسى » . وكان كل شىء مهيأ . فأعطيت الإشارة وانتشر الرجال إلى أماكنهم فى أنحاء المصنع . وكانت لحظة انتظار ثقيلة . ثم عاد رجال تفجير الديناميت واحداً بعد واحد يعدون سراعاً خارج البناء ، ووقفوا على مسافة مأمونة وشهدوا الإنفجار . وكان عظيماً زلزل الأرض وأضاء السماء فى نطاق أميال عدة . ولم يبق من المصنع شىء إلا حطام آلات ملتوية وأنقاض .

ولكن هانز بيترسن ، على ما أبداه من سرعة فى فتح القفل ، كان شديد البطء فى إشعال فتيل الديناميت الذى أراد إشعاله ، فكان الرجل الوحيد الذى لم يخرج من المكان . إنها لخاتمة عظيمة ، وإنه ليهجس فى نفسى أنها الخاتمة التى لو خُيّر لاختارها . ومن يدرى ؟ فلعله هو الذى اختارها .



القراء فئتان : فئة تقرأ لتتذكر ، وفئة تقرأ لتنسى .

[ وليم ليون فلبس ]

# علموا أولادكم الحياة

« وكس » رجلا نستعين به على قضاء كل حاجة ، فرأيته يوماً يشطر فسائل نبات الراوند ويعيد غرسها ، فالتفت إلىّ وقال : « إن الراوند يموت إذا لم تشطر فسائله فى الحين بعد الحين » ثم قال : « وكيف حال أخيك الصغير ؟ »

فطفر الدمع إلى عينى ، فقد كنت شديدة الغيرة من أخى الوليد الذى كان يستأثر بعناية أبوىّ وحنانهما . وكأن وكس كأنه لم يلاحظ ما بى ، قال : « أظن أن أباك وأمك يشملانه باهتمامهما فى هذه اللحظة . وقد يبدو أن لهما ما يشغلهما عن أن يحوطاك بحبهما كما كانا يفعلان ، ولكن الحب شىء غريب — كنبات الراوند ، إذا شطر شطرين ازداد نمواً » .

ومضى فى حديثه : « نعم . كنت أحبُّ أمى حبًّا جمًّا ، ثم لقيت فتاة فأحببتها وتزوجتها . ثم رزقنا طفلا ثم آخر ، ولكن إفاضة حبنا على كلّ طفل جديد لم تنتقص ذرّة واحدة من حبنا لأخيه . الحب — كنبات الراوند — إذا شطر ازداد نمواً » .

وحدقت فى سيقان الراوند المشطورة المثبتة فى الأرض ، وإذا الغيرة قد ذهبت عنى . وعلى أن حبّ أمى موزّع علىّ وعلى أخى الوليد ، فإنه ينمو ويزداد كهذه السوق الحمر من الراوند .

وطالما تردّدت كلمات وكس فى نفسى كلما أكلت الغيرة والأثرة قلبى ، فتردّنى إلى التقدير السليم والنظرة الصادقة الهادئة .

[ مسز هـ . أ . ونر ]

كنت وأنا طفل أقبل على عملى ممتلئاً حماسة ، ثم لا ألبث حتى تفتر حماستى . وفى صباح يوم من أيام الصيف جرّب والدى أمامى تجربة ، فأمسك عدسة كبيرة تجمع أشعة الشمس وسلطها على صحيفة ، فكان إذا نقل العدسة فوق الصحيفة لا تعقب أثراً ، فإذا أمسك بها فوق نقطة بعينها ولم يحركها ، اجتمعت أشعة الشمس فى تلك النقطة وأحدثت فيها ثقبا .

ففتننى ما رأيت ، ولكننى لم أدرك مغزاه ، ففسر لى أبى أن مبدأ التجربة يصدق على كل شىء نعمله . وأن النجاح فى الحياة يقتضينا أن نحصر جهدنا فى العمل الذى بين أيدينا حتى ننجزه . وقد يغرينا الإخفاق بأن ننفض يدنا منه ، فلا نكاد نفكر فى ذلك حتى يعرض لنا الحل الموفق ، كما يظهر الثقب فى ورقة الصحيفة على حين فجأة .

وكثيراً ما لقيت منذ ذلك اليوم ما يثبّط همتى ، فتذكرت هذه الحادثة — فثابرت ووُفقت .

[ جون لويس فيلسيلو ]

كان شقيقاى يتنازعان دائماً على أيهما يلعب بعربة الصغار . ولم يكن فى وسع أبوىَّ أن يشتريا لهما عربة ثانية . فأعلن أبى ذات مساء أن كلا منهما له أن يلعب بها خلال أسبوع ، على أن يتولى فى الوقت نفسه ملء الصندوق الذى نحفظ فيه حطب الوقود . وأما الذى لا تكون العربة من نصيبه فله أن يصرف وقته كما يشاء . فظننا أولاً أن هذا تدبير محكم ، ولكنهما ما لبثا حتى أدركا أن الانفراد فى اللعب وفى العمل ليس فيه من التسلية ما يرومان . فتدرجا فى المشاركة فى اللعب بالعربة ، مقابل المعاونة فى ملء الصندوق بالحطب ، وانتفى الخصام من حياتهما ، وما زالا حتى اليوم يداً واحدة فى كل عمل يعملانه . [لوسيل سيبيسن]

كان أحد أصدقائى واحداً من ثمانية أولاد ، وكان لا بد لأبيهم من أن يحرص كل الحرص على كل مليم . فكان إذا طلب أحد أولاده بعض المال لشراء شىء يريده ، يخرج المبلغ المطلوب ، دون أن يعطيه إياه ويقول : « سأضع هذا المال فى الصندوق على الموقد وليس لك أن تمسه مدة أسبوع . فإذا وجدت بعد أسبوع أنه لا بد لك من مضرب للتنس خذه واشتره به ، وإذا وجدت أن حاجتك إلى المضرب ليست فى المنزلة التى ظننت خذه وأودعه فى المصرف باسمك » .

وقد دأب على هذا حتى شبوا ، وصار لكل منهم فى المصرف حساب ، جمعه من ثمن أشياء ظن أن حاجته إليها ماسة ، فما لبث بعد الأسبوع المضروب أن استغنى عنها . وأما الأشياء التى ابتاعوها فكانت مما له قيمة فى تقديرهم . [أليسون كوين]

كنت وشقيقتى البالغة من العمر أربع سنوات ، نتمشى ذات مساء مع أبى ، وإذا بها تطلب منه ان يحملها ، فقد بلغ منها الجهد . فلما قال لها إنه مجهود أيضاً ، جعلت تعول . فلم ينبس ببنت شفة ، وأخرج سكينة وقطع عوداً من شجرة وقال : « خذيه إنه جواد كريم تستطيعين أن تركبيه إلى البيت » ففعلت وسبقتنا إلى البيت ، ناعمة بما فعلت .

فضحك والدى وقال : « وكذلك الحياة قد يبلغ منك تعب العقل أو البدن أحياناً ، حتى ليلوح لك أنك عاجزة عن المضىّ ، فتجدين عوداً — قد يكون صديقاً أو أغنية أو قصيدة أو زهرة أو بسمة طفل — فتتخذينه « جواداً » تبلغين عليه غايتك » .

وأخذت اليوم أقول لأولادى الثلاثة أن هناك جواداً يستطيع أن يجوز بهم كل عقبة تعترضهم ، وما عليهم إلا أن يفتحوا عيونهم ويبحثوا عنه » . [مسز ت . إدورد براون]

# الترف مهلكة للحضارة

بروس هتشيسن
مختصرة من مجلة "ماكلينز"

لو بعث حياً أحد أبناء روما فى القرن الخامس، وقدّر له أن يزور مدينة وشنطن اليوم، لقطع بأن الرواية القديمة لمّا تتمّ فصولها.

ولو أخذت بظواهر الأمور، لهالك ما ترى من مشابه بين عاصمة الولايات المتحدة اليوم وعاصمة الإمبراطورية الرومانية قبيل انهيارها — دواوين الحكومة الضخمة التى حصرت فيها أعمال الدولة حتى كادت ترزح تحت كثرة موظفيها، والمشكلات الجديدة المستعصية التى تكاد تنشأ من كل حل يعرض للمشكلات القديمة، ونشوة الترف، وضخامة الديون التى كدستها الحكومة فى الحالين، لكى تهيىء للناس ملاهى ومطاعم.

* الكاتب هو مساعد رئيس تحرير صحيفة « وينيبج فرى برس ». ومجلة « ماكلينز » هى أكبر مجلات كندا.

وإذا قدّر للأمة الأمريكية أن تتفكك وتنحل، فمن المستحيل أن تُرأب صدوع هذا العالم الممزّق الأوصال، فى عهدنا على الأقل. ولكن وشنطن ليست الأمة الأمريكية، والأمة الأمريكية ليست فى سبيل التفكك والانهيار.

بل تراها، على نقيض ذلك، قد بدأت تحس بقوتها وتستعمل تلك القوة لأول مرة فى تاريخها. وعلى استعمال هذه القوة يتوقف مصير حضارة الإنسان فى المستقبل القريب.



وإذا نفذنا ببصرنا إلى ماوراء غشاء الفوضى، تبينا فى وشنطن حركة سياسية من أحفل الحركات السياسية بالرجاء فى تاريخ العالم، ولكنها لا تزال فى مستهلها. ومن الممكن أن يتبدد شملها قبل أن تبلغ غاية قوتها.

إن الحضارة التى تعدّ الرجل رجلا لاعبداً، نشأت أولا فى اليونان، ثم انتقلت إلى روما،

ثم قضى عليها فى عهد الإمبراطورية الرومانية ثم توارت فى ظلام القرون الوسطى ، ثم استكشفتها بريطانيا ، ومنها انتقلت إلى مستعمرات بريطانيا فى القارة الأمريكية . ولقد مُزِّقت ديار الحضارة فى أوربا كل ممزَّق ، وصار المصباح الذى أشعل أولاً فى أثينا إلى أيدى الأمة الأمريكية . وهذه الحقيقة هى أهم الحقائق السياسية فى عصرنا هذا .

أن تحويل هذه الحقيقة إلى قوة دافعة نافعة ، هو أعظم مهمة واجهتها الأمة الأمريكية على الإطلاق ، وثالث ما امتحنت به فى تاريخها . وقد أبلت أحسن البلاء فى الامتحان الأول بزعامة جورج وشنطن يوم ظفرت باستقلالها . وأبلت بلاء حسناً فى الامتحان الثانى بزعامة لنكلن يوم صانت الوحدة الأمريكية فى حرب أهلية دامية . وأما الامتحان الثالث فما هو بأقلّ من أن تقبض على زمام الزعامة الأدبية فى عالم حر غير مستعبد .

والمهمة الجديدة وإن كانت تبدو اليوم فذّة معقدة ، إلا أنها ليست فى الحقيقة إلا بقية تالية للمحنتين الأوليين. وموجز القول أن هذه المهمة هى أن تنشر فى العالم قاطبة تلك المبادىء التى آمن بها بناة أمريكا ، وهى حق الإنسان على اختلاف أجناسه فى الحياة والحرية وطلب السعادة .

إن الفوضى المتفشية فى العاصمة الأمريكية اليوم ، حيث ترى الحرب قد احتدمت بين الفريقين من حزب الحكومة ، وحيث تجد الحلول المرتجلة للمشكلات ، وحيرة رجال كان ينبغى أن يعرفوا تمام المعرفة إلى أين تتجه سياسة الدولة ، ولماذا — كل ذلك لا يعد دليلا على الانحلال كما يبدو لأول وهلة ، بل هو دليل على حياة زاخرة وقوة جديدة . فنحن نرى الآن بأعيننا أقوى أمة ظهرت فى الأرض ، قد أخذت تتململ مما تعانيه من رغبة الإنشاء والتعمير ، لا من حشرجة الموت والفناء . ونحن نرى بأعيننا هذه الأمة الأمريكية تخضع نظامها السياسى ونظامها الاقتصادى ، ودخائل نفوس أبنائها ، حتى تلائم كلها طبيعة هذا العالم الجديد الذى كان لها اليد الطولى فى المعاونة على إيجاده .

وقد أنشأ الولايات المتحدة رجال حاولوا أن يعتزلوا العالم . فمنذ كان وشنطن إلى أن جاء عهد روزفلت ، كانت سياسة الأمة الأمريكية أن تعنى بشأنها فى داخل حدودها وكان لها الغلبة على كل محاولة ترمى إلى تعديلها . ولكن كان من عجائب القدر أن الشعب الأمريكى نفسه هو الذى قضى قضاء

مبرماً على هذه السياسة بين عشية وضحاها ، يوم صنع القنبلة الذرية .

والسياسة التى تناقض سياسة العزلة تقضى على العالم بأحد أمرين : إما أن يكون يداً واحدة تحت ظلال الحرية، وإما أن يتفانى ويصير هباء منثوراً . فأخطر مسألة فى عصرنا هذا هى: هل تنجح السياسة الجديدة أو لا تنجح ؟ وهى لايمكن أن تنجح بغير زعامة الولايات المتحدة، فهى الأمة الوحيدة التى اجتمعت لها المزايا التى تؤهلها لهذه المهمة — القوة الحربية، والقدرة الصناعية، وأهمها جميعاً الآراء السياسية .

نعم، لقد اجتمعت لها كل المزايا، ولكن هل تستخدمها ؟ وفى أى الأغراض تستخدمها ؟

لقد وُجِّهت هذه الأسئلة فى أدق الأوقات وأحرجها ، فقد أخذ الناس يرددونها الآن فى فترة مشابهة للفترة التى أعقبت الحرب الأهلية الأمريكية ، وللفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى، وذلك حين يأتى السلام فتفتر النفوس ويشتد الشوق إلى طمأنينة فى العيش لايفسدها مفسد . وهم يرددونها الآن بعد أن فقدوا الزعيم الذى ارتضوه قبل أن ينجز عمله وانتقلت بموته السلطة إلى أيدى رجال غير محنكين ، كما حدث بعد مصرع لنكلن وشلل ولسن . ولكن إذا خارت اليوم نفوس الأمة الأمريكية، كما خارت بعد لنكلن وولسن ، فلن تنجو من عواقب ذلك أمة من أمم الأرض .

إن الأمة الأمريكية تستطيع أن تكون لها القيادة فى العالم الحر زمناً ما على أسلوبها وطريقتها . وأمامها الآن أحد طريقين : إما أن تقتفى أثر الإمبراطوريات القديمة التى أصابت الغنى والثراء ، ولم يكن لها من همٍّ فى الحياة سوى أن تسيطر على العالم وتلتهم موارد خيراته . وإما أن يكون همها فى الحياة أن تنفع العالم وتنقذه من الشرور ، فتنفع نفسها وتنقذها من الوبال .

ولايستهينَنَّ أحد بقوة أولئك الأمريكيين الذين يودون أن يسيروا على المنهج الأول ، فالعزلة لاتزال حية ولها أنصار أقوياء ، وقد لبست ثوباً جديداً ، سداه ولحمته حماية النفس، ببسط نفوذ القوة الحربية الأمريكية وراء حدود أمريكا .

إن الاستعمار — وهذا الضرب من حماية النفس لايخرج عن أن يكون استعماراً — قد استنكرته الأمة الأمريكية ولاتزال تستنكره ، ونبذته بعد أن جربته تجارب لم يطل عهدها. ثم إن الولايات المتحدة هى أول دولة عظيمة فى التاريخ لاتحتاج إلى أن تسيطر على أية دولة أخرى ، وذلك لأن وفرة مواردها تغنيها عن موارد الدول

الأخرى . ولم تشهد عصور التاريخ فرصة تتيح لأغنى دول العالم وأقواها من الوجهة المادية ، أن تصير أعظمها وأقواها من الوجهة الأدبية أيضاً .

فإذا فرضنا أن الولايات المتحدة قد عزمت على أن تتوسل بمنزلتها وزعامتها لكى تسدى الخير إلى العالم ، لا لكى تنشىء إمبراطورية أمريكية ، وجب علينا بعد ذلك أن نفحص أخلاق أمريكا . وهذه مسألة أخطر شأناً من كل مسألة ، لأن أعظم مشكلة تواجهها الإنسانية ، إنما هى مشكلة أخلاقية ، لا سياسية ولا اقتصادية .

فما هى أخلاق الشعب الأمريكى ؟ وما أثر الحضارة الأمريكية فى حياة عامة الناس ؟

لقد كانت الجمهورية الأمريكية يوم أنشئت ، تمثل حرية الفرد تحت سلطان الله ، أكثر من أن تمثل مطامع النفوس وحب المال . فمبادىء الديمقراطية الأمريكية يوم نشأت ، لم تكن منفصلة عن عقيدة دينية راسخة ، ولا عن معانى الفضيلة فى حياة الناس .

وأخطر ما أصاب الحياة الأمريكية فى هذه الأجيال الأخيرة ، ولعله أعمقها أثراً ، هو تصدع هذه المبادىء الأصيلة . ولم يزل أمر الحياة والحرية شيئاً مقدساً فى أمريكا اليوم ، كما كان يوم نُصّ عليه فى وثيقة الاستقلال . وأما طلب السعادة فقد أصابه من الفساد والتحوّل ما يجعله منكر الصورة فى عيون بناة الجمهورية الأول .

والشعب الأمريكى هو أول شعب أتيح له الرّخاء الشامل ووفرة كل ما يحتاج إليه من أشياء ، ولم تتح مثل هذه الفرصة فى العصور السابقة إلا لعدد قليل من بلاد صغيرة ولفئة قليلة من الطبقات المميّزة . أما الشعب الأمريكى فقد كان فى حوزته نصف قارة ملأى بضروب الموارد التى لا غنى عنها ، وجاء ذلك فى العصر الذى يسّر فيه الاختراع تحويل هذه الموارد إلى بضائع . وبهذا الاتحاد الفذّ بين القوتين ، استطاع الأمريكيون أن يبلغوا مستوى رفيعاً فى المعيشة ، وسمّوه طلب السعادة .

بيد أن هذا المستوى الرفيع من العيش لم يفض إلى مستوى رفيع من السعادة ، فكم من شعوب تراها أقل غنى من أمريكا ولكنها أقرب منها إلى السعادة . وإذا نظرنا إلى كل ما تنطوى عليه الحياة الأمريكية : من أدب ، وجريمة ، وطلاق ، ومن جهود يائسة للفرار من الحقائق الماثلة بين عينيها وتوسّلها بهذه الصناعات الضخمة الضّحلة التى ترمى إلى الترفيه والتسلية ، وما فيها من قلق وسآمة تدفع الناس إلى العجلة فى حياتهم ، رأينا عندئذ أنهم لم ينجحوا فى طلب السعادة .

وعلة ذلك بلاريب هى أن الفكرة الأصيلة التى قام عليها كيان هذا الشعب ، والعقيدة الدينية والإيمان المتغلغل فى القلوب قد جعلت كلها تضمحل وتضعف . فقد صرف الشعب الأمريكى وجهه عن السعادة الباطنة التى تستشعرها القلوب ، وبهرته مفاتن السعادة الظاهرة ، وبريقُ الاستمتاع الزائل بالترَفِ المبتدع ، وكلاها مُفْضٍ إلى فتنته وضلاله .

القوةُ الدافعة التى أنشأت شعباً من بين عدد قليل من الفلاحين المجاهدين والحطابين فى الغابات النائية ، لم تكن هى إيمانهم بالأشياء بل إيمانهم بالرجال . أما اليوم فقد صار همُّ الشعب الأمريكى فى حياته وسياساته أن يبتدع أشياء كثيرة ، ظناً منه أن ذلك يفضى إلى تنشئة رجال أفضل وأقوى . وأصبح المذهب الذى اعتنقه كل حزب سياسى ، وكل رجل سياسى ناجح ، وكل رجال الأعمال والعمال ، هو أن كل مشاكل الإنسانية خليقة أن تنحل ، إذا استطعنا أن ننتج قدراً كافياً من البضائع ونحسن توزيعه ، أما الدخل القومى الذى لم يسمع بمثله أسلافهم ، فقد غالوا فى تمجيده حتى عَدُّوه دليلا على أخلاق الأمة ، وأسمى مقياس للنجاح . وكل امرىء خلق أن يعلم ، إذا هو درس دخائل حياته ، أن هذا باطل ، وتقدير غير دقيق فى جملته .

وقد أصبح البحث عن الحق عند ملايين من الناس هو البحث عن طراز جديد من أحواض الحمام ، كما كان يفعل الإمبراطور كاليجيولا قبل انهيار الإمبراطورية الرومانية على يد البرابرة . وكما كان مجلس الشيوخ الرومانى يرفع ناساً إلى مرتبة الألوهية ، ترى هوليوود اليوم هى التى تتولى مثل ذلك العمل .

أهذه هى الفلسفة ، أم هذه هى طريقة الحياة التى تنوى أمريكا أن « تصدّرها » لسائر العالم ؟ أم ترى المثل العليا الأمريكية لا تعد إلا نافلة النوافل ، فتشحن كأنها فضلة من الفضلات مع شحن الآلات والأدوات ؟

لقد تغلغلت المصنوعات التى تصدرها أمريكا فى كثير من بقاع هذا العالم الظامىء إليها ، وصار مستوى المعيشة الرفيع فى أمريكا غاية تتطلبها الإنسانية للخلاص من متاعبها ، وترى أنه هو الحل لكل لغز ، وأنه هو سِرُّ الحياة التى لا يفْنَى نعيمها .

بيد أن مستوى المعيشة ليس إلا المرحلة الأولى فى الطريق المفضى إلى مُستوى صحيح للحياة . أما الرخاء فلا نفع فيه إلا على قدر ما يهيىء من جوّ يكفل سعادة العقل والنفس . بيد أن السعادة فى الحضارات

الغابرة، كانت تذوى وتذبل قبيل أن تستتب للناس أسباب الرخاء.

وعلى ذلك، فلن تتبين مشكلة الحضارة الأمريكية فى المناقشات الدائرة على الألسنة فى مسائل السياسة الداخلية والخارجية، بل تتبينها فى حياة عامة الناس من أهل أمريكا. وهذه المشكلة هى: أيدخل فى وسع أول شعب اجتمعت له ثروة لا تكاد تحد، أن يسيطر عليها وينتفع بها فى بلوغ السعادة وتثقيف العقل، أم تراه يصير إلى ماصارت إليه شعوب خالية كانت أقل منه فتفسده الثروة وتدمر كيانه؟

وهذه المشكلة ليست اليوم قاصرة على أمريكا وحدها، بل هى مشكلة عامة، وذلك لأن أساليب أمريكا فى الفكر والعمل قد أخذت تنتشر فى جميع أرجاء الدنيا، ولأن العالم الحر المرموق لا يمكن أن تتوطد أركانه بغير معونة أمريكا

وإذا قدر لنا فى هذا العصر أن ننشىء، لأول مرة فى التاريخ، حضارة عالمية مقبولة صالحة للبقاء، وإذا كتب على الحضارة كما نعرفها أن تبقى وتستمر، فينبغى إذن أن تقوم على أساس من المثل العليا للديمقراطية، لا على وفرة الرخاء وحسب. وليس فى الوسع أن ينشىء الناس حضارة تبقى على الزمن، يكون أساسها أن يتوفر لكل أسرة سيارتان، فإن مثل هذه الحضارة لا تكون أفضل فى جوهرها من مشهد براق فى أفلام هوليوود، تراه ماثلا لعينيك على الشاشة، ولكن لا حقيقة له.

ولا تحسبن أن المشاكل كلها هى: هل يستطيع الشعب الأمريكى أن يجد حلا لمشاكل العالم الاقتصادية والسياسية؟ بل هى: هل يستطيع أن يجد حلا لمشكلة حياته الخاصة، فيصون فضائله العريقة من داء الترف الذى سل الحياة من جميع الأمم الخالية التى انغمست فى مفاتنه، ثم دمرها تدميراً.

ولن نجد حل هذه المشكلة فى عاصمة أمريكا، بل نجده فى الآلاف المؤلفة من بيوت الأمريكيين، وبين نكرات لا يعرفهم أحد، من رجال ونساء تقوم بهم هذه التجربة الجديدة العجيبة فى الاجتماع البشرى، وهؤلاء، وإن جهلوا، هم اليوم مناط رجاء العالم كله.

«وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» [قرآن كريم]

إن صرف دول العالم عن الانسياق في تيار الثورة ، أمر له شأن خطير .

# أتنصرف دول أوربة عن الشيوعية ؟

ستانلى هاى

أعتقد أن مستقبل الشيوعية من حيث هى قوة عالمية ، مرتبط بنجاح حكومة العمال فى بريطانيا أو إخفاقها . فقد يتقلص ظلّ الشيوعية الدولية وقوتها إذا نجحت حكومة العمال ، وقد يتسع مجال سلطانها إذا أخفق زعماء حكومة العمال وفشلت سياستهم .

وأبنى رأيى هذا على سببين : أما الأول فلأن الشيوعيين أنفسهم يرون هذا الرأى . فمنذ ما بدأت تتجلى سياسة العمال فى قالب إصلاح ديمقراطى معتدل ، أبانت الشيوعية الدولية فى صحافتها وخطبها عن اعتقادها بأن العمال البريطانيين هم القوة السياسية التى ينبغى للشيوعيين أن يقهروها .

وأما السبب الثانى فهو أن الذى أراه قد بدأ يتم . فالشهور التسعة التى انقضت منذ قامت حكومة العمال فى بريطانيا ، قد أضعفت الشيوعية الدولية ، وعزّزت الأحزاب السياسية المعتدلة فى أوربة .

وقد كتب وليم هارد على إثر نجاح العمال فى الانتخاب فقال : « إن بريطانيا الشبيهة بالاشتراكية والبعيدة عن الشيوعية ، تستطيع بتأثير القدوة وبفضل نفوذها ، أن تساعد إلى حدّ كبير على تلطيف ما يدفع إليه اليأس من انقلاب جماهير الناس وتحوّلهم إلى الشيوعية فى غربى أوربة جملة » *

وقد تحقق هذا القول تحققاً عجيباً .

كانت بلاد أوربة المحررة ، قبل ظفر حزب العمال ، تبدو ثمرة يانعة للقاطف « الأحمر » .

وقد نشرت مجلة لايف مجموعة من الصور للمظاهرات الشيوعية الضخمة التى قامت فى أوربة من البلجيك إلى اليونان ، فقالت فى وصفها : « أمواج الشيوعية تكتسح أوربة » .

ونشرت مجلة ستردای إيفنج بوست مقالا افتتاحياً فى ذلك العهد جعلت عنوانه : « أوربة الشرقية تنحرف إلى اليسار » . ونشرت مجلة تايم عرضاً صحفيًّا فقالت : إنك لا ترى فى أوربة كلها بشائر نجاح

---

* « حكومة العمال البريطانية » ، المختار : ديسمبر سنة ١٩٤٥ ص ٢٣

للعناصر المعتدلة غير الشيوعية ، إلا فى دولة واحدة هى تشيكوسلوڤاكيا .

وقد نبّه ليلاند ستو إلى « أن الحرب قد جعلت جماهير أوربة أدنى إلى الثورة » . وأبرق درو ميدلتون إلى صحيفة نيويورك تايمز قبيل الانتخاب العام فى بريطانيا فقال : « إن الاتحاد السوڤيتى مسيطر على أفكار الناس وأحاديثهم فى كل مدينة أوربية على غربى نهر الإلب . فالاتحاد السوڤيتى والشيوعية هما فى نظر الملايين من عمال أوربة الغربية مناط الرجاء والأمل فى إنشاء عالم أفضل من عالمنا هذا » .

وقد ظفر العمال البريطانيون فى الانتخابات التى تمت يوم ٥ يوليو ١٩٤٥ ثم تولوا الحكم ، فأسفر ذلك عن عواقب خطيرة الشأن . فكتب الدكتور سفير نوربرج الفيلسوف السياسى الثاقب الرأى ، وأحد رجال هيئة الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير ، فقال : « لم تكد النتائج تعرف ، حتى هبت الأمم الأوربية المحررة إلى الأخذ ببرنامج العمال البريطانيين ، ورحبت به بديلا وملاذاً من الشيوعية » . وكتبت فيرا ميكيليس دين ، مديرة البحث فى جمعية السياسة الخارجية ، فصلا مسهباً بعد انقضاء ستة أشهر على ظفر العمال البريطانيين ختمته بقولها : « أخذت دول أوربة تجنح جنوحاً قوياً إلى الاستقرار بزعامة الأحزاب السياسية المعتدلة » . وهذه الأحزاب هى كحزب العمال البريطانيين تسعى إلى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الديمقراطى المنظم . قالت مسز دين : « إن هذه الأحزاب تدرك أن خير وسيلة للحيلولة دون استفحال مطالب الشيوعيين المتطرفة ، هى القيام بأعمال الإصلاح التى طال تأجيل كثير منها » .

ومنذ تولى العمال البريطانيون زمام الحكم فى بلادهم ، أجريت انتخابات حرة فى ستّ من الدول الأوربية المحرّرة ، فلم يفز الشيوعيون فى واحدة منها . وقد كان ما أحرزوه من نجاح ، دوّن ما كان يتوقعه ويخشاه المطلعون من مراقبى الأحداث السياسية .

ففى أوائل الصيف الماضى ، كان فوز الشيوعيين فى النرويج يُعدّ أمراً محققاً ، فرضى حزب العمال النرويجى أن يعقد ائتلافاً مع الشيوعيين من أجل الانتخاب لكى يحتفظ بوحدته . فلما ذاع خبر ظفر العمال البريطانيين ، انفصمت عرى هذا الائتلاف . وتمت الانتخابات فى النرويج يوم ٨ أكتوبر ، فنال الشيوعيون ١٢ فى المئة من الأصوات ، وأحد عشر مقعداً وحسب من مئة وخمسين مقعداً . أما حزب العمال فنال ٤٥ فى المئة من الأصوات ،

وستة وسبعين مقعداً . فكتبت جريدة نيويورك تايمز تعليقا على ذلك فقالت : « هذا خذلان كبير للشيوعيين » . وصاحت صحيفة نيو تايمز الشيوعية : « وقعوا فى قبضة أحزاب اليمين بفضل العمال البريطانيين » .

وقد اشترك الشيوعيون فى حكومة الدنمرك المؤقتة بعد تحريرها ، لأن الحرب رفعت من منزلتهم على ما يلوح ، إلا أن الدنمرك انحرفت إلى اليمين فى انتخابات أكتوبر ، ولم يكن فى حكومة الدنمرك الجديدة شيوعى واحد .

وتمت الانتخابات فى البلجيك يوم ١٧ فبراير ، وعدد المقاعد فى مجلس النواب ٢٠٢ فظفرت أحزاب الوسط واليسار المعتدل بمئة وثمانية وسبعين مقعداً ، وظفر لشيوعيون بأربعة وعشرين .

وفى شهر أغسطس الماضى كتب درو ميدلتون رسالة قال فيها: إن انتخاباً يتم فى منطقة الاحتلال الأمريكى فى ألمانيا يسفر عن ظفر الشيوعيين الألمانيين بثلاثين فى المئة إلى خمسة وأربعين فى المئة من الأصوات. وقد تم الانتخاب فى يناير ١٩٤٦ فبلغ عدد الأصوات ثلاثة ملايين ، وكان نصيب الشيوعيين مئة وعشرة آلاف — أى أقل من ٤ فى المئة . وكان فى رأس الأحزاب الفائزة حزب الديمقراطيين الاشتراكيين المعتدل ، وهو أدنى الأحزاب شبهاً بحزب العمال البريطانى . وفى أوائل شهر مارس أبى ممثلو هذا الحزب فى برلين ، بأغلبية خمسة أصوات ضد صوت واحد ، أن يقبلوا اقتراحاً أيده الشيوعيون تأييداً قوياً ، مؤداه أن يأتلف الحزبان .

أما فى فرنسا ، قبل نشوب الحرب ، فقد كان الحزب الشيوعى — وأعضاؤه المقيدون يناهزون المليون — أقوى حزب شيوعى خارج الاتحاد السوفيتى . ومن المتفق عليه أن قوته ازدادت ازدياداً عظيماً خلال الحرب ، ولكن فوز حزب العمال فى بريطانيا أيقظ أحزاب الأحرار غير الشيوعيين فى فرنسا. فلما أجريت الانتخابات العامة فى فرنسا يوم ٢١ أكتوبر الماضى ظفر الشيوعيون بمئة وواحد وخمسين مقعداً فى الجمعية التأسيسية ، ولكن نصيب الحزب الشيوعى من مجموع الأصوات بلغ ١٣ فى المئة وحسب ، وإذا أضفنا إليه الجماعات المنتمية إليه بلغ هذا النصيب ٢٧ فى المئة .

أما الذى لم يكن متوقعاً ، فهو نجاح حزب الحركة الشعبية الجمهورية ، وهو حزب جديد يستوحى مبادىء الدين ويدعو إلى أعمال سياسية واقتصادية تكاد تكون مطابقة لما يدعو إليه الاشتراكيون

الفرنسيون والعمال البريطانيون .[1] وحزب الحركة الشعبية الجمهورية يجارى الاشتراكيين الفرنسيين ، برغم معارضة الشيوعيين أشد المعارضة ، فى الدعوة إلى توفيق الصلة ببريطانيا . وهذا الحزب لم يشترك قبل فى انتخابات عامة ، ومع ذلك ظفر بمئة وأربعين مقعداً ، وهو عدد يقرب من عدد المقاعد التى ظفر بها الشيوعيون . فإذا ضمت إلى مقاعد الاشتراكيين والأحزاب المنتمية إليهم ، البالغ عددها ١٤٣ مقعداً ، صار عدد مقاعد أحزاب التقدم الحر المنتظم المشايعة لبريطانيا ٣٨٣ مقعداً .

ففرنسا — كما بينت صحيفة كرستيان سينس مونيتور ) قد اتجهت إلى اليسار ولكنها لم تتجه إلى الشيوعية [2].

إن انصراف أوربة عن الشيوعية إلى الديمقراطية الأصيلة ، هذا الانصراف الذى استحثه ظفر العمال فى بريطانيا ، قد جاوز أوربة الغربية إلى أوربة الجنوبية والشرقية التى كانت تعد معقلا للشيوعيين . فقالت : مجلة تايم : «هذا أعظم خبر سياسى فى أوربة. إنه خبر قيام معارضة جديدة — معارضة للشيوعية — وهى تقوم فى بلاد كانت المعارضة فيها تعد معجزة ، فى هنغاريا والنمسا ورومانيا وبلغاريا وبولندة ويوغسلافيا » .

وقبل أن تتجلى عواقب ظفر العمال البريطانيين ، ورد فى رسالة إلى صحيفة كرستيان سينس مونيتور مايلى : « إن هنغاريا قد انحرفت الآن انحرافاً كبيراً إلى اليسار . . . ويبدو أن الشيوعيين الذين يتبوأون منزلة عظيمة الشأن ، هم اليوم الزعماء وأولو الأمر » .

ولكن لم يكد شهر أغسطس يشرف على نهايته حتى كانت تصريحات زعماء العمال البريطانيين «قد أحدثت أثراً عظيماً هنا» على ما جاء فى رسالة إلى نيويورك تايمز من بوداست . وتمت انتخابات هنغاريا فى ٤ نوفمبر فنال الشيوعيون ١٥ فى المئة من مجموع الأصوات . وأما حزب « صغار الملاك » الذى يوصف بالتقدم والاعتدال ، فنال نحو ٦٠ فى المئة من الأصوات . فكتبت مسز دين تقول : إن هنغاريا قد انحازت إلى « الأخذ بالنظم السياسية المعتدلة»

أما فى النمسا التى يحتلها الروس فقد أجريت الانتخابات يوم ٢٦ نوفمبر ، وقبيل التصويت قال راديو موسكو فى إذاعة : « إن العالم يتوقع من النمسا أن تقطع صلتها بالماضى

(١) «الثورة الفرنسية الجديدة » . المختار : يونيو ١٩٤٦ ص ٨٩

(٢) تؤيد هذا نتيجة الاستفتاء فى الدستور الذى أجرى يوم ٥ مايو .

قطعاً صريحاً حاسماً » . وبرغم هذا الإنذار الواضح بوجوب الاقتراع للشيوعيين ، لم يظفر الشيوعيون بأكثر من ٥ فى المئة من مجموع الأصوات الذى بلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ صوت . وأما الديمقراطيوان الاشتراكيون، وهم أقرب الأحزاب شبهاً بحزب العمال البريطانى ، فأحرز أكثر من ٤٠ فى المئة ، فقالت صحيفة « الديلى وركر » الشيوعية الأمريكية بلهجة النائح : « هذا انتخاب فرضته الولايات المتحدة وبريطانيا على النمسا فى وقت لم يكن الشعب النمسوى مهيئاً له » .

أما إيطاليا ، فقد كتب هربرت ل. ماثيوز فى نيويورك تايمز يقول : « يلوح أن الشيوعية أخذت تفقد مكانتها» . وقد اشتد ساعد الأحزاب غير الشيوعية فى رومانيا فى العهد الأخير ، حتى اضطرت حكومة رومانيا الخاضعة لسيطرة الشيوعيين أن تفسح مكاناً فيها لممثلى هـذه الأحزاب . ويؤخذ من تحقيق صحفى نشر فى صحيفة كرستيان سينس مونيتور منذ عهد قريب: « أن مكانة أحزاب الوسط واليمين تزداد ازدياداً مطرداً» فى تشيكوسلوفاكيا . وحتى فى بولنـدة ، حيث لا مراء فى تفوق الشيوعيين ، ترى أن «حزب الفلاح » غير الشيوعى « يزداد نفوذه ازدياداً مطرداً » .

وليس ثمة ريب فى أن هناك عوامل أخرى سوى ظفر حزب العمال البريطانى ، أفضت إلى هـذا الانحراف عن الشيوعية الدولية . منها فى بعض البلاد وجود الجيش الأحمر المحتل ، ومنها عقائد الهيئات الدينية الأوربية المناهضة للشيوعيـة ، ومساعيها فى سبيل أغراضها .

بيد أن الاتجاه فى أوربة ليس اتجاهاً إلى مناهضـة الشيوعية وحسب ، بل هو على ماجاء فى نيويورك تايمز: «انبعاث الديمقراطية فى عالم قد أخذه اليأس منها » ، ولذلك « كان فوز حزب العمال البريطانى تأييداً جديداً للديمقراطية ، بدلا من أن يضربها الضربة القاضية كما قدر بعضهم ». فحكومة العمال صارت — على ما قال وليم هارد — « مركزاً » تلتف حوله الجماعات المبعثرة الواهنـة التى وقفت نفسها على التقـدم الاقتصادى والاجتماعى ، وعلى الحرية أيضاً، وهى جماعات ترمى إلى القيـام بأعمـال الإصلاح ، متوسلة بالوسائل الديمقراطية فى نطاق نظام ديمقراطى صحيح .

وليس فى هذا شىء يباغت الشيوعيين الدوليين . فقد أكثر ماركس ولنين من إنذار خلفائهما بأن أعظم مايهدد الشيوعية ليس هو الرأسمالية الطليقة ، فالرأسمالية فى رأيهما ، تنطوى على عناصر انحلالها . وأما العـدو الأول للشيوعيـة ، فهو

الاشتراكيون والديمقراطيون الاشتراكيون والأحرار — أى كل من أبى أن يأخذ بمنهج الشيوعيين فى الثورة العنيفة والدكتاتورية، فمضى يحاول أن يكسب الجماهير بما يعرضه عليهم من منهج ديمقراطى للإصلاح الاقتصادى

وفى كل مكان عجزت فيه الشيوعية الدولية عن منع قيام هذه الحركات ، احتالت على الانضمام إليها والاستمتاع بنفوذها . ثم تحاول ، إذا ما سنحت الفرصة المواتية ، أن تقوض دعائمها . وإليك ، على سبيل المثال ، الخطة الشيوعية الرسمية كما وضعها لنين لتقويض أركان حكومة العمال الأولى التى قامت فى بريطانيا سنة ١٩٢٤ :

« ينبغى لنا أولا أن نساعد هندرسن وسنودن حتى يتغلبا على لويد جرج وتشرشل. وثانياً ، أن نقسر الكثرة من طبقة العمال على الإيمان بأن هندرسن وسنودن وأضرابهما لا قيمة لهم على الإطلاق ، وأنهم من الطبقة الوسطى، وفيهم غدر وخيانة ، وإفلاسهم محقق . وثالثاً ، أن نستعين بخيبة أمل الكثرة من العمال لتقريب اللحظة الخليقة بنجاحنا فى إسقاط الحكومة »

وقد أدرك الشيوعيون العواقب التى يحتمل أن يسفر عنها ظفر العمال فى انتخابات السنة الماضية ، فطلبوا مرتين أن يسمح لهم بالانتظام فى الحزب، لكى يتبوأوا المنزلة التى تمكنهم من الانتفاع بهذا الظفر إن تحقق . فرفض طلبهم فى الحالين. فلما تمت الانتخابات طلبوا مرة ثالثة أن ينتظموا فى الجماعة المظفرة ، فرُدُّوا خائبين . وقد جاء فى رسالة حزب العمال التى رفضت هذا الطلب:

« إن الحوادث التى وقعت خلال رُبع قرن مضى ، لم تدع مجالاً للشك ، فى رأى اللجنة التنفيذية القومية، أن برنامج الحزب الشيوعى وأهدافه البعيدة ، تختلف اختلافاً أصلياً عن برنامج حزب العمال وأهدافه » .

فصاحت الصحف الشيوعية المغيظة : « غطرسة » . « كلام مبتذل » . « استهانة عجيبة بحقائق السياسة » .

وقالت صحيفة ديلى وركر الشيوعية الأمريكية : « لقد أمرت الأحزاب الاشتراكية الأوربية بأن اقطعى صلتك بالشيوعيين تضمنى تأييد البريطانيين . وهذا هو لباب سياسة بيفن » .

إن هذه الأساليب وهذه الهجمات ، والذعر الذى تنبعث منه ، لتدلُّ دلالة واضحة على مدى انصراف المعتدلين عن الشيوعية . وحقيقة الأمر أن بلوغها هذا المدى البعيد جعل هذه الحركة التى تتزعمها بريطانيا موضوعاً من رؤوس الموضوعات فى الحملة السياسية

الروسية التى سبقت الانتخابات الأخيرة . فقد وقف زعماء الحزب ، وفى طليعتهم ميخائيل كالنين رئيس الاتحاد السوفيتى ، شطراً كبيراً من وقتهم وخطبهم ، على استنكار « القوى الرجعية » أى الأحزاب الاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية التى جدّدت نشاطها . قال كالنين فى إنذاره : « إن التقاليد المأثورة عن فاندرفلت (الاشتراكى البلجيكى) ورامزى مكدونلد وأشباههما لم تزل حية ، وقد جدّدت نشاطها بعزم جديد ».

فلما تقابل إرنست بيفن وأندريه فيشنسكى فى اجتماع مجلس الأمن ، لم يكونا ممثلى دولتين عالميتين وحسب ، بل أهمّ من ذلك شأناً ، أنهما كانا يمثلان طريقتين فى الحياة مختلفتين اختلافاً أصيلا . وقد قالت آن أوهير ماكورميك فى صحيفة نيويورك تايمز : لقد دار الجدال الحق « بين الاشتراكى والشيوعى . وكل مطلع على التيارات التى تجتاح العالم بعد الحرب ، يعلم أن أحدّ تناقض سياسى وفكرى هو الذى نراه يقوم بين هاتين الفلسفتين » .

وليس ثمة شك فى أن الفلسفتين كلتيهما تنبعان من ماركس ، ولكن هربرت ماثيوز يقول : « إن الفرق العظيم بينهما ، هو أن الاشتراكية اتجهت اتجاهاً مطرداً إلى مذهب الأحرار ، وأما الشيوعية فولّت وجهها شطر مذهب الدولة الجامعة » .

« والحقيقة فى أوربة هى أن النزاع الحق ليس بين المحافظين والشيوعيين ، بل بين اليسار الديمقراطى الذى يشمل الاشتراكيين والأحرار ، وبين الشيوعيين » ، كما يقول ولتر ليبمان .

بيد أن سلامة جميع الأمم الديمقراطية ورخاءها تقتضيان منها أن تواجه هذه الحقيقة . وعلى أن الاتجاه إلى الاعتدال يستوقف النظر ، فإن الشيوعية الدولية لم تحزم أمرها على التقهقر العام ، وقوى الإصلاح الديمقراطى لم تستيقن بعد من أن الغلبة ستكون لها .

وعلى أن الشيوعيين لم يظفروا فى أى انتخاب ، فإن قوتهم قد زادت إذا قيست بما كانت عليه قبل الحرب . وإن مادرّبوا عليه من نظام دقيق ، ومالهم من تجربة ومال وافر ، كلّ ذلك يؤهلهم للتقدم والقبض على زمام الأمور ــ إذا ترددت الأحزاب الديمقراطية المعتدلة أو أخفقت ، لنقص فى شجاعتها أو عجز فى إدراكها ، أو ضعف فى مؤيديها .

وهذه الحقيقة ــ لا ما فى نفوسنا من تحيز أو آراء متحجرة ــ هى التى ينبغى أن توجه التفكير الديمقراطى فى الشهور والسنوات الحرجة المقبلة .

« إن النفوذ السياسى الذى تتمتع به هذه الجماعة من الأمهات النازيات يهدد مستقبل ألمانيا والعالم »

# زوجات بعض الوقت

## سيجريد شولتز

مختصرة من مجلة « ماكولز »

كانت متمددة على عشب غضّ مخضلّ، وكان طفلها الأشقر يدرُج لاعباً على مقربة منها، فبدت رفّافة الحسن فى ثوبها الزاهى الكاشف عن مفاتنها، والذى اتخذته لساعات التشمُّس. وكانت وراءها بحيرة « تيجرن » تتألق صفحة مائها فى الضوء، وتنعكس عليها صورة جبال الألب الشاهقة فى جنوب ألمانيا.

مررنا بها على عجل فى سيارة جيب، فقال الجاويش الشاب: « إنها لفتاة رائعة، وكثيراً ما أنعم بصحبتها حين أفرغ من العمل، أما طفلها ففى مثل عمر طفلى »

فلم أنبس ببنت شفة، وحدجنى ببصره ومضى يقول: « إنها ليست من العابثات وهذه لاتعرف أحىٌّ زوجها أم ميت، وقد مضت ثمانية شهور لم تتلقّ منه كلمة »

وقد خيِّل إلى أن هذه الفتاة التى لوّحتها الشمس بسمرة محبَّبة، لاتبدو امرأة محزونة مفجوعة، لاهى ولا أولئك الحسان اللواتى نمن تحت أشعة الشمس على رمال الشاطىء فى أقرب مكان إلى مواقع الجيوش المحتلة. فسألت صاحبى: « أليست سعيدة الحظ، إذ أتاح الله لها أن تعيش فى هذا الفردوس مع طفلها دون أن تضطرّ إلى العمل؟ أهى من ذوات الثراء؟ »

فتردد الجاويش هنيهة ثم قال: « يبدو أن مالها وفير، فملابسها أنيقة ومقتنياتها نفيسة. وقد جاءت إلى أحد مستشفيات الولادة فى هذه المنطقة يوم دمرت القنابل بلدتها، ولم تزل مقيمة هنا منذ ولدت طفلها ».

فلما عدت إلى ميونخ ذكرت ما حدث للدكتورة مرجريت شوارتز التى نجت من عذاب ١٩ شهراً فى المعتقلات، وهى تعرف خبيئة أمر النازيين، وقد سألتنى: « ألا تعلمين أنك مقيمة فى قلب منطقة « ليبنزبورن » حيث تكثر منازل الشابات المتعصبات وأبنائهن؟ ألم يخبرك أحد بذلك؟ »

وقد علمت بعدئذ أن كثيرين ممن يعرفون أمر « ليبنزبورن » لم يشاؤا أن يتحدثوا عنها، ولاعجب فى ذلك، فأهل الفضل من الناس فى جميع أرجاء الأرض يتجنبون الإشارة إلى مباءات الغوانى فى مدنهم،

ومنطقة « ليبنزبورن » تبدو فى نظر العابر مباءة للغوانى تديرها حكومة النـازى ، ولـكنها فى الحقيقة كانت منذ أول عهدها أبعد غرضاً من هذا .

وقد أنشأ النازيون هيئة « ليبنزبورن » — ومعناه « نبع الحياة » — لكى يديموا سيطرتهم على الممتازين من الألمان قوة وجراءة . فقد كانت هذه الهيئة تتـولى المزاوجة لتكثير السلالة المتفوقة ، وتُعدّ المنـازل الفخمة للمسرة والمتعـة ، وتنشىء أفضل مستشفيات الولادة ومحاضن الأطفال، وتدير مراكز متعددة للتدريب السياسى .

وكان همها الأول أن توفر الفتيات اللواتى يصلحن أن يكن زوجاتٍ بعضَ الوقت ، لعالقة الشباب من رجال « الحرس المختـار » ، المتصفين بجميع الخصـائص الوراثية التى قرر خبراء هتلر فى علم السلالات أنها نافعة فى « تحسين السلالة » . وإذن فينبغى أن تخلد هذه الخصائص بأن يتزوج هؤلاء الشبان فتيات يتصفن بخصائص الجنس المطلوبة ، بعد أن يثقفن أتم تثقيف بمبادىء العقيدة النازية .

وقد استولى رجال الحرس المختار على المنازل الأنيقة فى هذه الرقعة ، وحولوها بيوتاً للمزاوجة . ويوم كان عامة الناس فى ألمانيا يقترّون على أنفسهم ويرضون بالقليل، كان نزّال منطقة « ليبنزبورن » ينعمون بخيرات أوربة . وكانت سـيارات الحرس تنقل إليهم ما يُصادر من أطايب الطعـام والخمر والفراء والجواهر وغيرها من أسباب الترف ، فإذا بقى من هـذا شىء لا يريده هؤلاء النزّال ، بيع فى السوق السوداء وأضيف ريعه إلى ثروة الذين تضمهم هيئة « ليبنزبورن » .

كان حشد النساء لهذه الهيئة أمراً سهلاً ، فقد ظل النازيون عدة سنوات يرسخون فى نفوس الفتيات أن المرأة التى لا تنجب ولداً ، عارٌ وسُبّة . فلما كثر عدد القتلى من الرجال فى الحرب ، استبد بالنساء الألمانيات خوفهن أن يصرنَ عوانس .

ودأبت هيئة « ليبنزبورن » على إعداد رسائل مشـوّقة وإرسالها إلى المدرسات وبنات الأسر الكريمة ، وإلى المجندات فى القـوات المسلحة . وكانت هذه الرسائل تصف منازل قائمة فى أجمل بقاع ألمانيا ، تقضى إحداهن فيها إجازتها ، وتبيّن ما دبر هناك من مزايا للأم وطفلها فى المستقبل . وقد أُعدّت لهنّ أسـباب العناية الطبية الممتازة ، فتتمتع بها الفتاة ثلاثة أشهر قبيل الوضع وزمن الرضـاع ، فى منزل ممتاز للولادة تختاره لنفسها .

وكانت الفتاة التى ترضى أن تكون

زوجة بعضَ الوقت ، تعطى مالاً لشراء جهازها أو لتنفق منه ما تريد فى التجمل والتصنيع . أما مبلغ المال الذى تناله فعلى قدر مافى بدنها من صفات مستحبّة ، وما فى عقلها من آراء مرضيّة .

ثم تعطى مجموعة من صور رجال الحرس المختار الذين دنا موعد إجازتهم ، فتختار منها صورة صاحبها . وإذا خشيت أن تستنكر أسرتها مافتعل ، فهيئة « ليبنزبورن » تتبنى الوليد وتعهد به إلى « زوجين كبيرين من جماعة الحرس المختار ، فيتوليان تربيته التربية النازية القويمة » . وإذا أرادت أن تظل على صلة بطفلها فما عليها إلا أن توفى نفقة قدرها ٤٥ ماركا كل شهر ، حتى تستطيع ان تجد له منزلا موافقاً تعيش فيه .

وقد هُرعت إلى « ليبنزبورن » كل متعصبة أو مغامرة من النساء اللواتى أغراهن مافى المعيشة هناك من ترف وبذخ ، وقد تركت هذه المعيشة فى نفوسهن أثراً واضحاً لاريب فيه . إن إنجابهن أطفالا يعدّهم خبراء النازيين نماذج للسلالة الممتازة ، قد جعل أمومتهن آصرة قوية بينهنّ وبين المذهب النازى . فهنّ يرَين أنفسهن قوّامات على مذهب النازى فى طهر السلالة . وتراهنّ اليوم مازلن محتفظات بولائهنّ للنازية فى هذه الفوضى المخيمة على ألمانيا ، وما يلوح خلالها من أن النظام النازى قد انهار إلى الرّغام . فهن أمهات أبناء هتلر .

ومعظم من رأيت من نساء «ليبنزبورن» فاتنسات أنيقات ، وكثيرات منهن يطلبن عملا فى هيئة الحكومة التى تدير ألمانيا الآن ، ولهنّ من فتنتهنّ وجمال أطفالهن — وهن يزعمن أنهن يطلبن العمل من أجلهم — ما يمهّد لهنّ سبيلهن . وقد صارحتنى إحداهن فقالت : « إذا كان مع إحدانا طفلٌ وسيم ، كان أيسر عليها أن تدخل منطقة الاحتلال الأمريكية أو البريطانية » .

وأهل الفضل من الألمان يهولهم مالهؤلاء النسوة المترجمات من نفوذ فى مكاتب الحلفاء فى ألمانيا . وهن اللواتى يقرّرن فى معظم الأحيان مَنْ مِنَ الألمان يؤذن له بأن يعرض قضيته على أصحاب السلطان .

ماعدد نساء «لينزبورن» ؟ «ربع مليون على الأقل » ، وهذا هو رأى السيدة هيلدجارد التى كانت هى نفسها إحدى أمهات « ليبنزبورن » ، وقد كانت قيّمة على سجلات الهيئة قبل أن تدمر . ومعظم النساء يقمن فى المناطق التى يحتلها الأمريكيون والبريطانيون . وكثيرات منهن يتظاهرن بأنها « مهاجرات من مدن خربتها القنابل » . وهن مجهّزات بمال وافر وأوراق مزيفة ،

فيعينهن ذلك على أن يبدأن حياتهن بدءاً جديداً .

وقد برقت أسارير وجه السيدة هيلدجارد ساعة بدأت تتحدث عن رسالة أمهات « ليبنزبورن » وأثرهن فى مستقبل الأمة .

قالت : « من المصادفات أن الأسلحة السرّية التى وعدنا بها هتلر لم تتم فى أوانها ، والقنبلة الذرية تبين عن مقدار ما تفعله الأسلحة السرّية » . وقد سمعت هذا الكلام نفسه من أرملة راينهارد هيدرتش مؤسس « ليبنزبورن » . وسمعته من غيرها ، أفيشك أحد أن هذا الكلام سيطبع طبعاً فى نفوس أبنائهن ؟

حادثت سكرتيرة أحد منازل الولادة فى « ليبنزبورن » فقالت لى مفاخرة : « حين جاءنا وفد هيئة الأمم المتحدة للاغاثة والتأجير ، قال إن أطفالنا أصحُّ الأطفال فى أوربا كلها . ولا عجب فى هذا ، فقد كنا فى منزلة ممتازة حتى انقضت الحرب » .

وقد كانت هيئة « ليبنزبورن » عظيمة الثراء ، وكان أعضاؤها يؤدون ما عليهم فى كل شهر . وقد أُوصى جميع الأطباء الألمان بأن يكتتب كلٌّ منهم بخمسة ماركات كلَّ شهر « من أجل خير السلالة » . وأما رجال الصناعة الذين كانوا يستهدفون لغضب الحكام ، فكانوا يسترضونهم بأن يهبوا هذه الهيئة مبالغ كبيرة . ولما استولى الأمريكيون على مصرف ميونخ كان حساب « ليبنزبورن » يبلغ عشرين مليون مارك . وكان ثلثهُ نقداً ، وكان الباقى مثمراً فى أسهم بلجيكية وهولندية وتشيكية مصادَرة .

وعدت إلى الجاويش الذى أرانى أول أمّ من أمهات « ليبنزبورن » ، فوجدته قد عرف حقيقة أمرها ، وأن نشاطها لا يفتر فى بث دعايتها . فقال : « تُرى كم نستغرق من الزمن حتى نتعلم كيف نميز بين أهل ألمانيا الأخيار وبين هذه الشراك الجميلة الفاتنة التى لا تكاد تخطىء حبائلها » .



طال انتظارى فى عيادة الطبيب ، وقد غُصَّت بالمنتظرين ، جلس بعضهم وظل الآخرون وقوفاً . وكان الحديث بينهم يدور على غير موضوع واحد ، وجلسنا ننتظر — وننتظر — وننتظر . وأخيراً قام شيخ من مقعده متثاقلا وقال : « أرى أن من الخير لى أن أعود إلى البيت وأموت ميتة طبيعية » .

[ مسز پول ديفس ]

لقد آثر هذا المحامى أن يقول : « سأبذل ما أستطيع من جهد » على أن يقول : « ينبغى للناس أن يبذلوا جهداً فى علاج هـذا الأمر » .

# الاتحاد العالمى قد حان حينه

أ. ك. آرمسترنج

مختصرة من مجلة "كرستيان هيرالد"

حدث ذات يوم أثنـاء انعقاد المجلس التشريعى لولاية ميسـورى فى دورة عام ١٩٤٥ ، أن دخل على الأعضاء المكبين على عملهم رجـل غريب ، وقدم إليهم نفسـه قائلا إنه يسمى « روبرت لى همبر » المحامى ، وزعم أنه قد وضع صيغة قرار لإقامة اتحاد عالمى ، وطلب من الأعضاء أن يقرروا التزام مجلسهم بهذا القرار .

فخامر الشك قلوب هؤلاء المشرعين ، فمن عساه يكون هـذا الرجل ؟ وماذا يبتغى بكلماته الرنانة ؟



روبرت لى همبر ، الذى استطاع بقوة رجل فرد أن يظفر بالتأييد لفكرة الاتحاد العالمى من المجالس التشريعية فى ١٤ ولاية أمريكية.

ولما سأله أحد الحاضرين أن يبين عن معنى قوله « الاتحاد العالمى » ، تبدل حال هذا الزائر الكهل الطلق المحيا ، فلمعت عيناه بنور اليقين ، وقال إن القرار يرمى إلى مطالبة المجلس بأن يولى وجهه شطر إقامة حكومة عالمية تقوم على سلطان القانون .

فأشير إليه بأن يوجه كلامه إلى رئيس المجلس طومسون ، وهو من دعاة العزلة السياسية فى أمريكا ، وقال له أحد الحاضرين: « إن استطعت أن تقنعه حتى ينحاز إليك ، لم يعجزك أحد من سائر الناس » .

ولم تمض أيام قلائل حتى أعلن الرئيس طومسون أنه سـيؤيد فى المجلس ذلك القرار لإقامة اتحاد عالمى ، وقال للأعضاء وقد عرتهم الدهشة : « قد أقنعنى همبر بأن السـلم والأمن لا قيام لهما إلا على سلطان القانون . إن هـذا القول يصدق فى ولايتنا ، ويصدق على أمتنا ، فلماذا لا يصدق على الأمم جميعاً ؟ » .

وقبل أن ينصرم العام كان مجلس ولاية ميسورى قد أقر هذا القرار ، وكان همبر قد هرع يزور عواصم بقية الولايات .

وفى الولايات الأمريكية ٤٨ مجلساً تشريعياً

زار همبر منها أربعين منذ سنة ١٩٤٠ ، وقد زار بعضها مراراً ، وكان من أثر ذلك الجهاد الذى يضطلع به فرد واحد ، أن أن أقرت القرار ١٤ولاية ، ولا يزال أمره معروضاً على ١٩ ولاية أخرى .

وفيما يلى خلاصـة القرار الذى وضعه :

« من الحقائق أن هناك مجتمعاً دولياً يشمل العالم كله ، ولا حكومة له، وهو بين اثنتين: إما أن تستبد به أنظمة الحكم الجامع المطلق، وإما أن تجعله الديمقراطية اتحاداً عالمياً يقوم على مبدأ الحرية للأمم والأفراد . والناس جميعاً رعية هـذا المجتمع العالمى ، الذى يجب أن تقوم حكومته على القانون ، لا على المعاهدات » .

ويقصد همبر بهذا الاتحاد إقامة نظام تحتفظ كل دولة فى نطاقه بسيادتها الداخلية ، بحيث لا تكل من مظاهر سلطانها إلى الحكومة العالميـة إلا ما يقتضيه نشر لواء القانون والسلام بين الأمم جميعاً . فهـذا الاتحاد فى نظره هدف عظيم الخطر أكبر من عمل هيئة الأمم المتحدة ، وصرف همـبر همه إلى الدعوة إلى هذا القرار ، وسافر من أجله ٣٠٠,٠٠٠ ميل ، وخطب فى مئات من الأندية والجامعات والاجتماعات العـامة فى خلال السنوات الخمس الماضية .

فإذا وقع بصرك على هـذا المجاهد لم تر إلا رجلا من عامة الناس ، لا تميزه أناقتـه أو أحاديثه أو ملامحه ، ولعلك تحسبه أحد التجار فى مدينة صغيرة ، ولا يخطر بالبـال أن يشيع لمثله ذكر خارج عشيرته .

ولـكنه رغم هذا قد سحر آلافاً من الناس ، وسر ذلك هين : فإن أغلبنا حين يرى الباطل قد فشا فى العـالم يقتصر على الحسرة والأسى ، ولـكن همـبر — على خـلافنا — استخلص من طوفان هـذا الباطل علة واحدة ، وعقـد عزمه على أن يتولى بنفسـه علاجها . وهو برهان قائم على ما تفعله « قوة رجل فرد » ، إنه رجل من عُرْض الناس ، ولـكنه رجل قد عقد قلبه على الإيمان بما يستطيع الفرد أن يفعله إذا اجتهد وسعى .

كان همبر جنـدياً فى إحدى فصائل المدفعية فى فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى، فهالته الحرب وتدميرها . وهذا الهول قد هز بلاجدال قلوب آلاف غيره من المحاربين . ولـكن هذا الجندى وحده هو الذى عقد عزمه إذا ما أريد منع الحرب فى المستقبل ، أن يتكفل هو بالمشاركة فى منع الحروب . هـذا هو منطقه ، ويا له من منطق برىء مستقيم .

واستولى عليه هـذا الخاطر ولم يفارقه حين دخل جامعـة هارفرد ، ثم جامعـة

أكسفورد . ولما استقر به المقام فى إنجلترا وفرنسا ، أقبل على مطالعة التاريخ وتحليل كافة الاقتراحات التى اختمرت فى أذهان البشر لتحقيق التعاون الدولى .

وقد ظل فى باريس عدة سنين يعمل محامياً لإحدى شركات البترول ، ورحل عدة رحلات فى أوربا ، ودرس فيها المشاكل الاجتماعية والسياسية ، وأخذ يتتبع عن كثب أعمال عصبة الأمم وراقب انهيارها . ولما اكتسحت جنود هتلر أرض فرنسا عاد همبر إلى أمريكا . وكان قد توفر له من الموارد ما يستطيع معه أن يبدأ جهاده . وهو يرى الآن أن الرأى العام قد بلغ من النضج مبلغاً يجعله يستجيب لدعوته .

وقد أراد فى أول الأمر أن يضع فكرته موضع التجربة ، فدعا إلى منزله ٣٩ من جيرانه ، تمثلت فيهم عناصر المجتمع الإنسانى المعهود ، فمن بينهم القاضى والعامل والصحفى والبقال وعامل البريد والطبيب والواعظ والحانوتى ، فاجتمعوا فى حديقته تحت شجرة باسقة وأخذوا يتساءلون ، وهم يأكلون الشطائر ، عن غرض مضيفهم من دعوتهم ، فأنبأهم أنه دعاهم للبحث فى أمر قد يكون له خطر عظيم فى تاريخ الإنسانية ، ألا وهو التزامهم بقرار لإقامة اتحاد عالمى . وقرأه عليهم ، وفسر لهم معناه ، وطلب منهم أن يبدوا رأيهم فيه .

فكان القاضى هاملتون أول من تكلم وقال : « أما أنا فأرى أن هذه لحظة تتوج حياتى . ولم يخطر ببالى قط أننا ندعى هنا لنصدر حكما فى مسألة أراها أهم مسألة تواجه الإنسانية» . ثم تلاه آخرون ، وكلهم مؤيد لهمبر ، ثم جمعت الآراء فإذا بهم جميعاً يتعاهدون على مناصرة الاتحاد العالمى .

لم يكن إلا اجتماعاً بين جيران فى حديقة ، ولكنه شجع همبر على أن ينهض بجهاده فيجعله حركة تعم الشعب ، إذ كان يعلم أن المجلس لن يعير فكرته أقل التفات إلا إذا اعتنقها الرأى العام فى دوائر الانتخاب .

فبعث الرسائل إلى أصدقائه وزملائه فى العمل ، وجاب ولاية كارولينا الشمالية يخطب مرتين فى اليوم ، فى المحاكم والكنائس والمدارس ، بل فى ردهات الفنادق — وحيثما وجد فئة قليلة من الناس تستمع إليه . وكل مطلبه من نصيره أنه يتولى الدعاية للفكرة ، وقد وجدت حماسة همبر أنصاراً لها فى كل عشيرة .

وكان همبر يناشد سامعيه أن يكتبوا لنوابهم يطالبونهم بتأييد هذا القرار ، كما كان يبحث عن المدارس والجامعات التى درس فيها نائب الجهة ، فإذ عرفها ألح على مدرسيها وكبار خريجيها أن يؤيدوا دعوته . وأخيراً حمل همبر قراره إلى عاصمة الولاية ،

فأثار فيها جدالاعنيفاً ، ووجه إليه اعتراض طالما سمعه همبر من قبل : « إن هذه مسألة تحتاج إلى مزيد من الدراسة » . وتولى أحد الشيوخ تفنيد هـذا الاعتراض بردٍّ رآه همبر غاية فى البراعة : « إن المدنية لا تستطيع أن تتريث فى سيرها حتى تنضج أذهان زملائى ! » وأخيراً أقر المجلس القرار بأغلبية لا بأس بها .

فانهالت عليه التهانىء من أنصار الاتحاد العالمى ، وألحوا عليه فى أن يرأس الهيئات الأمريكية التى تنادى بتأسيس حكومة عالمية، ولكن هذا المجاهد فضل أن يمكث حيث هو ، ينشر فكرته بين الشعب وينال تأييد المجالس التشريعيـة فى الولايات . وكذلك قضى سنة ١٩٤١ فى زيارة بعض الولايات ، ونجح فى نيل كثير من الأنصار .

وقد قال أوين روبرتس — العضـو فى المحكمة العليا للولايات المتحدة — إنه لم يقرأ منذ سنين كلاماً يعادل فى خطره ما ورد فى قرار همبر من قوله : « إن عصر المعاهـدات قد مضى ، وحل محـله عصر القانون » وقال نيوكولاس مرى بتـلر مدير جامعة كولومبيا وهو يخاطب همبر : « لو كنت فى مقتبل العمر لما طرقت باب التعليم ، بل لوقفت حياتى على تحقيق الاتحاد العالمى» . وهتف له وندل ويلكى بقوله : « إنى أنصرك بلا قيد ولا شرط » .

وفى سـنة ١٩٤٢ ، ألح أحد مشاهير رجال الكنيسة على همبر أن يقـدم القرار إلى المجلس التشريعى لولاية نيو جرسى ، فلقى معارضة شديدة أثارها فى وجهه رجال السياسة فى الولاية كلها ، وهاجمتـه إحدى الصحف مهاجمة مرة ، ووصفته بأنه أداة فى فى يد الإنجلـيز . وخطب همبر فى إحدى المدارس فتجاهل هذه الحملة ، ولكنه زار رئيس التحرير فى اليوم التالى فقال له هذا الأخير :

« والآن يا مستر همبر ، لقد هاجمناك بشدة ، فلماذا لم تهاجمنا ؟ »

فسأله همبر وهو يلقى إليه نظرة وديعة : « هل قرأت القرار ؟ » فاعترف له رئيس التحرير بأنه لم يفعل . وظل همبر يحـدثه ساعتين ، والرجل ينصت إليه ويسـأله . ودهش النـاس حين رأوا تلك الصـحيفة تصدر فى اليوم التالى مؤيدة للاتحاد العالمى .

وقد ظل خمسة أشهر وهو يجاهد فى تحريك الرأى العام فى ولاية نيوجرسي، حتى اضطر مجلسها التشريعى إلى إقرار القرار .

بيد أنه لم يظفر فى سـنتين إلا بنصرة ولايتين اثنتين فحسب ، فانطلق يجـوب الولايات ينشر دعوته للاتحاد العـالمى بين الناس كبيرهم وصـغيرهم ، ويدعو إليها

الحكام وكتبة المتاجر على السواء ، فلم تنقض سنة ١٩٤٤ حتى صدقت ولايات شتى على القرار ، وفاز في سنة ١٩٤٥ بتصديق ولايتين أخريين .

ولما فرغ من ولاية ميسوري سنة ١٩٤٥ انتقل إلى ولاية أوكلاهوما ، ونال مناصرة حاكمها روبرت كير ، ولم تمض أيام قلائل حتى أصدر مجلسها التشريعي بالإجماع قراراً بتأييد الاتحاد العالمي . ثم حذت حذوها خمس ولايات أخرى .

وجهاد همبر — وكل ما ينفق في سبيله من حرّ ماله — يجري على أسلوب بسيط ولكنه صادق الأثر . فهو يهبط عاصمة الولاية وحقيبته ملأى برسائل التأييد ليستعين بها في استمالة المستمعين ، ويكون قد زوّد نفسه بكل مايستطيع الظفر به من مكنون المعلومات عن أعضاء المجلس التشريعي في الولاية ، كتاريخ حياتهم ومنبتهم ، وما يحبون وما لا يحبون ، فلعله يظفر بمناصرة عضو واحد ، فيعينه على تأليف قلوب سائر الأعضاء . وهمبر قلما تخبو حماسته . وكثيراً ما كان يعده أعضاء المجالس التشريعية بأن يخصصوا من وقتهم ١٥ دقيقة يستمعون فيها إليه ، فيقضون معه الساعات ينصتون ويتناقشون وهم لا يشعرون .

فإذا ما ظفر بعضو يرضى بتقديم اقتراح للمجلس للتصديق على القرار ، طفق يجوب الولاية ليهيىء له تأييد الشعب ، ثم يكر راجعاً ليحضر إقرار المجلس للاقتراح .

وأهم ما يعنى به همبر هو نيل نصرة حكام الولايات ، وقد كان هؤلاء بين مؤيد متحمس ومعارض مُعاد . وقد قال له حاكم ولاية أوهيو : « لقد رأيت من صواب فكرتك ما جعلني أعجب كيف أحجم العالم حتى اليوم عن اعتناقها » ، ولكن حاكماً آخر قال له وهو غاضب : « لن يصدّق المجلس على أي مشروع بغير موافقتي » ، فأجابه همبر وابتسامته لم تفارق شفتيه : « لك هذا يا سيدي الحاكم ، ولكن أرجو أن تأذن لي غير كاره أن أبين لأهل الولاية بعض رأيي » . وهمبر يقيد هذه التجارب ليرجع إليها ، فإن الحكام ، كما يقول : « حاكم يجيء وحاكم يذهب » .

وما أعجب قدرته على تحمل المشاق ! فهو يقطع آلاف الأميال في القطارات والسيارات المزدحمة ، ولا يسكن إلا ريثما يخلع قميصاً ويلبس غيره ، ثم يمضي يخطب في إحدى لجان المجالس التشريعية وهو ثابت الجنان واضح الحجة . فإذا ما جاء دور عرض القرار على المجلس ، توجه بنفسه يحادث كل نائب من نوابه المئة وشيوخه الأربعين .

وقد كان عليه مرّةً أن يخطب فى إحدى الولايات ٤٥ ليلة متتالية .

وإذا خطب همبر فى المجتمعات العامة ، لم يحاول الاستعانة بالفصاحة وذلاقة اللسان. ولكن كلماته تستهوى القلوب أبداً بفرط إخلاصها وصدقها . وقد وقع همبر فى الربيع الماضى فى مأزق عسير حين وقف يخطب ، فى المجلس التشريعى بولاية مينسوتا ، ولم يكد يبدأ كلامه حتى أخرج أكثر الأعضاء صحفهم من جيوبهم وأخذوا يقرأونها ، فما كان من همبر إلا أن ثبت لهذا التحدى واندفع فى خطبته غير مبال ، فلم تمض بضع دقائق حتى ألقى الأعضاء صحفهم ومالوا إليه ينصتون، فلما فرغ صفق له الأعضاء طويلا . وتم التصديق على القرار بأغلبية ٣٥ صوتاً ضد ٨ أصوات .

ولم يضع همبر خطة لتنفيذ قراره، فهو يعتقد أن تعليم الشعب أن يقبل فكرة الاتحاد العالمى ، يجب أن تأتى فى المحل الأول من خطر الشأن . أما النصوص القانونية وتفاصيل تنفيذ الفكرة ، فيمكن الاتفاق عليها حين تجتمع كافة الأمم معاً للنهوض بهيئة الأمم المتحدة حتى تصبح هيئة قائمة على سلطان القانون لا على موافقة كل دولة وحسب . ولا يزال همبر إلى اليوم متشبثاً بخطته التى ترمى إلى تحريك عواطف الشعب لا إلى إنشاء هيئة عليا تشرف على بث الفكرة فى أرجاء البلاد . ومع ذلك فقد كان من أثر توجهه إلى الشعب أن قامت لجان تعمل على الدعوة إلى الفكرة فى ٢٨ ولاية .

وكأن القدر هيأ له أعظم فرصة حين اجتمع مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرنسسكو فى الربيع الماضى، وكأن المؤتمر يدعوه ليسمع رأى مندوبى الأمم الأخرى عن الاتحاد العالمى . وقد ظل همبر ثمانية أسابيع وهو منهمك فى التحدث إلى مندوبى ٤٠ دولة من خمس وأربعين دولة حضرت المؤتمر . وهو يؤكد أنه وجد أغلبهم يودّون لو تقيم الدول هيئة أقوى من هيئة الأمم المتحدة . وقد قيد همبر فى مذكراته كثيراً من الأقوال التى سمعها من المندوبين ، فقد قال له مندوب كندى : « إن الاتحاد هو الحل الأخير ، فإذا وافقت عليه الولايات المتحدة ، فإننا سنحذو حذوها » .

وقد وجهت إلى همبر أسئلة كثيرة عن رأيه فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة فكان جوابه: « إن الميثاق عاجز عن السير إلى أقصى غاية نرجوها، ولكنه خطوة إلى الأمام فى الاتجاه الصحيح . فيجب أن نؤيد هيئة الأمم المتحدة، وندأب على تحقيق الخطوة التالية ، ألا وهى إنشاء اتحاد عالمى . إن فكرة الاتحاد العالمى لن تخفق ، إنها فكرة قد حان حينها » .

قد لا يشيع استعمال طائرة «الهليكوبتر» استعمالا خاصاً بين الأفراد ، ولكنه قد ثبت أن لها منافع جمة .



# طائرة "الهليكوبتر" تبلغ أشدها

هارلند مانشستر
مختصرة من مجلة "لبرتى"

آنه لنا أن ننصرف من العمل فى ذلك اليوم ، فعرض على فلويد كارلسون كبير الطيارين المجربين فى شركة بل للطيران أن أذهب معه . فركبنا فى طائرته من طراز « هليكوبتر » وارتفعنا على مهل فى الهواء ، ومضينا طائرين فوق ضواحى مدينة بفالو . وكانت السيارات على ٤٠٠ قدم تحتنا تلتزم الحذر فى سيرها على شوارع غطاها الجمد ، وكانت سرعتنا ٧٠ ميلا فى الساعة ، ولم يلبث كارلسون أن هبط بطائرته هبوطاً رفيقاً فى الفناء المعشب خلف بيته .

وكان كارلسون لا يزال يطير كل يوم من المصنع إلى فناء بيته ، لكى يقيم الدليل على أن هذا الضرب من الطيران أمر ميسور ، وهذا لا يعنى أنه لا تكاد تنقضى سنوات حتى يتاح لكل من يشاء أن يذهب إلى عمله فى مثل هذه الطائرة . وليس ثمة اليوم دليل على أن طائرة الهليكوبتر ستصير يوماً ما مطية خاصة قليلة الثمن . فقد قدر ثمنها من طراز « سيدان » بعشرة آلاف ريال إلى خمسين ألفاً ، ويقول لورنس بل : « إنه إذا صنع منها عدد وافر فقد يهبط ثمن ذات المقعدين منها إلى أربعة آلاف ريال أو خمسة آلاف » .

وعلى كل حال فقد امتحنت طائرة الهليكوبتر فى أثناء الحرب امتحاناً شديداً فهى اليوم معدّة للقيام بالمهام التجارية . وقد ركبتُ فى ضروب شتى من هذه الطائرات ، وحدثت عشرات من الطيارين والمهندسين والمديرين ، وأنا أرى أنه لا تنقضى خمس سنوات حتى نرى ألوفاً من هذه الآلات الغريبة قد أصبحت مطايا تسبح بالناس فى جو السماء .

إن فريقاً من صناع هذه الطائرة أخذ يتلقى عنها السؤال بعد السؤال ، من أصحاب المناجم والمزارع الواسعة ، ومن شركات

النقل، ومن غيرهم من الناس الذين يعتقدون أنهم يستطيعون أن يصيبوا مالا وربحاً باستعمال هذه الطائرات. وسر السؤال هو طلب الربح لا مجرد الاستطلاع. وفى الوسع ترتيب المراوح الدوارة على أشكال شتى، ولكنها جميعاً تشترك فى مزية واحدة، هى أن الهليكوبتر هى الطائرة الوحيدة التى ترتفع عن سطح الأرض أو تنزل عليه فى رقعة ضيقة. وفى الوسع أيضاً توجيهها توجيهاً محكماً، ولك ان ترسم على سطح الأرض علامة بالطباشير فينزل صاحب الهليكوبتر عليها تماماً، لا يتقدم ولا يتأخر.

وقد علم فى ربيع ١٩٤٥ أن تسعة من طيارى كندا قد اضطروا إلى الهبوط فى غابات لبرادور البعيدة النائية، فذهبت طائرتان من الطائرات المألوفة لإنقاذهم، بعد أن ركبت عليهما قضبان الانزلاق على الجمد. واستطاعت إحداهما أن تنقذ رجلين وأما الأخرى فتحطمت، فانضم طائرها وملاحها إلى الطيارين الستة، فصار عدد الذين ينبغى إنقاذهم تسعة طيارين. وكان الثلج قد أخذ يذوب فحال دون نزول الطائرات، فطلبوا الغوث من مطار فلويد بنيت فى نيويورك، ففككت طائرة هليكوبتر — من طراز سيكورسكى — ووضعت فى طائرة نقل ضخمة، فطارت بها إلى بلدة فى لبرادور، فركبت أجزاؤها المفككة هناك، فلم تلبث أن أنقذت الطيارين التسعة جميعاً.

ولم تكد تنقضى أيام على ذلك حتى تحطمت طائرة فى برما، وكان بين ركابها جندى سقط جريحاً على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ٤٧٠٠ قدم. فوضعت طائرة هيلكوبتر من طائرات الجيش الأمريكى فى طائرة نقل، فطارت بها من أمريكا إلى جبهة برما، وحومت الهليكوبتر فوق القمة، حيث لا تستطيع أية طائرة أخرى أن تحط، ثم حطت فأنقذت الجندى.

وليس ثمة ما يمكن أن يحل محل الهليكوبتر فى أعمال الإنقاذ فى البحر، لأنها تستطيع أن تقف فى الهواء فوق سفينة تتقاذفها أمواج البحر، فترفع الناس عن سطح السفينة. وقد اشتركتُ فى تجربة من هذا القبيل فى مطار فلويد بنيت، وقد حلق

---

كانت طائرة الأوتوجيرو تشبه الهليكوبتر فى الانتفاع بما يشبه « طاحونة هواء » لتحفظ الطائرة محلقة فى الجو. ولكن كان لها محرك فى رأسها، كمحرك الطائرة المألوفة. فحين تكون الطائرة سابحة، تتحرك « الطاحونة » بفعل الهواء المنساب. وقد كان فى وسعها أن ترتفع عن الأرض كأنها تقفز فى الهواء، ولكن الأوتوجيرو لا تجارى الهليكوبتر فى جميع مزاياها، وقد أهمل صنعها الآن.

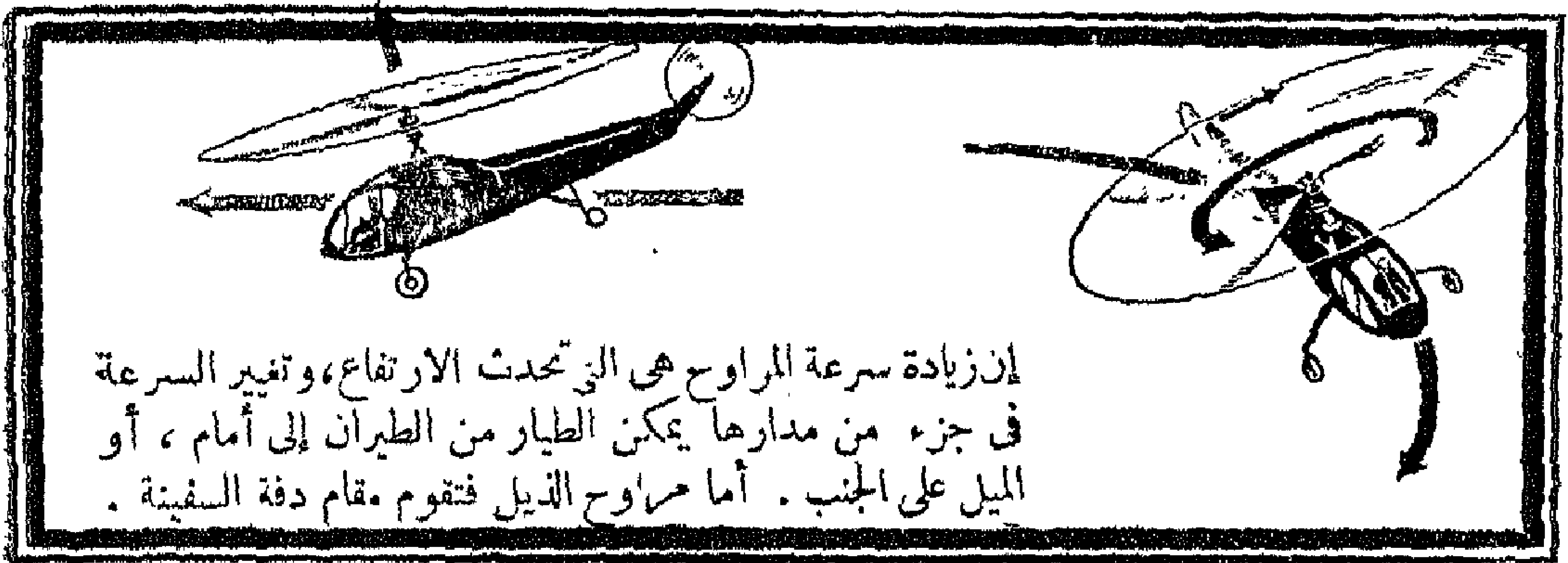
الطيار فوق بهيلكوبتر من طراز سيكورسكى وحوم وأنا أنتظر من ينقذنى . ثم دلى لى الطيار حبلا من أسلاك الصلب طوله ٧٠ قدماً وفى طرفه خطاف ، فوضعت الخطاف فى حلقة مثبتة فى ثوب خاص كنت لابسه ، ثم جُعِل جهاز خاص فى الطائرة يسحب الحبل فرفعت من الأرض حتى صرت فى محاذاة باب الطائرة . وقبل ذلك ببضعة أيام استعمل هذا الجهاز الرافع المركب اليوم فى ستين طائرة ، فى عاصفة هوجاء ، فأنقذ بحارين احتمل الموج زورقهما وألقى به على عقبة من الصخر على ساحل أمريكا الشرقى . فإذا كان بين الذين ينبغى إنقاذهم من يعجز عن القعود ، أنزلت له من الطائرة حمالة كحمالة الإسعاف ، فيوضع فيها ، ثم يرفع رفعاً رفيقاً حتى تنزل الحمالة فى منزلها المعد لها تحت هيكل الطائرة ، وتبقى هناك بمن فيها حتى تصل إلى وجهتها .

وقد استعملت القوات المسلحة الأمريكية والبريطانية نحو ٤٠٠ هليكوبتر من طراز سيكورسكى فى أثناء الحرب للقيام بمهام تعجز عنها الطائرات المألوفة .

خذ مثلا ذلك الانفجار الذى تم فى مدمرة أمريكية على ساحل أمريكا الشرقى . فقد نقلت طائرة الهليكوبتر مصل الدم اللازم للجرحى فى ١٤ دقيقة من مدينة نيويورك إلى الشاطىء الذى أنزل الجرحى فيه . وقد كانت جميع الطائرات المعروفة عاجزة عن الطيران فى ذلك اليوم ، والمسافة تستغرق أكثر من ساعة بالسيارة أو الزورق البخارى .

وقد شبت النار يوماً فى جسر من الخشب للسكة الحديدية فوق خليج جاميكا فى نيويورك ، فتعذر على المطافىء أن تصل إلى النار المشتعلة ، فحوم رجال خفر السواحل بطائرة هليكوبتر فوق البقعة الملتهبة ، ودلوا أجهزة الإطفاء إلى مكافحى النيران .

ويبدو أن الهليكوبتر هى خير وسيلة لذر مسحوق د . د . ت . وغيره من مبيدات الحشرات . وقد أجريت تجارب اشتركت فيها وزارة الزراعة الأمريكية ، وحين استعملوا الهليكوبتر فى تعفير حقول البطاطس لقتل الحشرات المؤذية ، وجدوا أن تيار الهواء النازل الذى تولده المراوح الدوارة ، يدفع المحلول تحت الورق وحول سيقان النبات فيقتل الحشرات جميعاً . أما الطائرات الأخرى التى تستعمل لرش المحلول على المحاصيل ، فينبغى أن تبلغ من الارتفاع ما يمكنها من الطيران فوق مستوى رؤوس الأشجار وغيرها من العقبات التى فى الحقول ،


إن زيادة سرعة المراوح هي التي تحدث الارتفاع، وتغيير السرعة في جزء من مدارها يمكن الطيار من الطيران إلى أمام، أو الميل على الجنب. أما مراوح الذيل فتقوم مقام دفة السفينة.

وسرعتها تحول دون التحكم في الحقول الصغيرة. بيد أن الهليكوبتر تستطيع أن تطير على ارتفاع ٢٥ قدماً، وأن تبطىء سرعتها حتى تصير خمسة أميال في الساعة، وأن تدور إذا بلغت نهاية خط الزروع كما يدور البغل أو البقرة.

وينتظر أن تخرج من خطوط التجميع بعد بضعة شهور، طائرات هليكوبتر أقوى مما صنع حتى اليوم، وأقدر على حمل الأحمال وأسرع وأبعد مدى. وهذه الصناعة الصغيرة التي لم تكد تتجاوز السنة الرابعة من عمرها، تنمو اليوم نمواً سريعاً. كان هتلر قد قهر فرنسا يوم طار سيكورسكي بطائرته الأولى من طراز هليكوبتر مسافة ٢٥٠ ذراعاً، ولكن قبل انتهاء الحرب في أوربا، كانت طائرة هليكوبتر الحربية التي صنعها وميزها بعلامة « ر — ٦ »، تستطيع أن تطير ٣٢٥ ميلا في مرحلة واحدة. وقد حلقت منذ عهد قريب طائرة « ر — ٥ » إلى ارتفاع ٢١ ألف قدم، وطارت بسرعة ١١٤٫٦ ميل في الساعة، فسبقت جميع الطائرات من ذوات الأجنحة الدوارة. ويرى سيكورسكي أن الرحلات الطويلة والسرعة العظيمة، هي مزية من مزايا الطائرات المألوفة وستظل كذلك. والحقيقة أنك لا تجد بين الخبراء من يتوقع أن تباري الهليكوبتر سائر الطائرات في السرعة والمسافة، فإن ذلك ليس من شأنها.

وقد رأيت في مصنع في فلادلفيا طائرة عجيبة ذات طاحونة دوارة تحمل طيارها وعشرة من الركاب. فهي أكبر هليكوبتر ارتفعت في الهواء، وقد وضع تصميمها وصنعت تحت إشراف وزارة البحرية. وقد صنعها فرانك ن. بياسيكي، وهو شاب في السادسة والعشرين من عمره ومدير مصنعه الخاص المتوفر على بناء الهليكوبتر.

وقد طارت هذه الطائرة مُسِفّة حتى كادت تلامس أغصان الشجر ، وهي تبدو كأنها قِرْش من السمك سابح في الهواء معلق بأجنحة أفقية ودوارة في مقدمه ومؤخره . وبياسيكي يتأهب اليوم لصنع طائرة جبارة تتسع لأربعة وعشرين راكباً ويحركها محركان .

وتصنع الآن ضروب شتى من الهليكوبتر لتباع للناس ، ومنها طائرة « بل » الجميلة التي تتسع لخمسة ركاب ، وهي تشبه سيارة فخمة مقفلة ، وتستطيع أن تطير مسافة ٤٠٠ ميل . ومنها طائرة « هوبيكوبتر » التي وضع تصميمها رجل يدعى هوراس بنتيكوست . فقد اتخذ هذا الرجل المحرك الذي قوته ٢٠ حصاناً ، والمراوح الدوارة ، وربطها إلى ظهره وطار بها ، فلما هبط صدمت قدماه الأرض فأصابهما أذى ، فربط كرسياً ينزل عليه قاعداً . ولا يزال أمامه صعاب ينبغي أن يتغلب عليها ، ولكن طائرته هذه خليقة أن تصبح مسلاة رائعة .

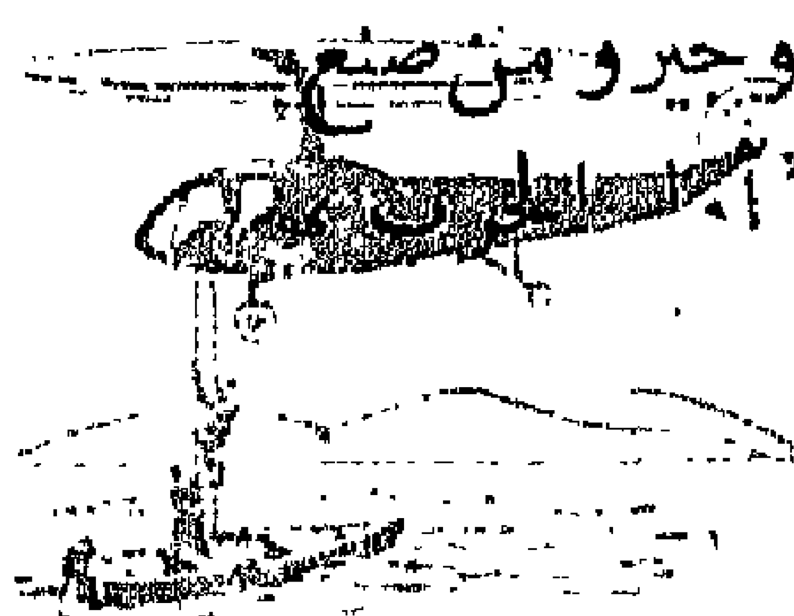
وقد كشفت شركة كيليت الستار عن طائرة صغيرة خفيفة الحركة ، تحركها محركات دوارة ذات ثلاث مراوح يتداخل بعضها في بعض ، كما تتداخل أجزاء الأداة الذي يخفق بها البيض ، وتتوقع هذه الشركة أن تبدأ في صنع عدد وافر منها في سنة ١٩٤٧ .

وقد صنعت شركة بنديكس هليكوبتر طائرة لها محركات ذات مروحتين مركبتين على محور واحد وتدوران في اتجاهين متقابلين . وهي تصنع طائرة ذات أربعة مقاعد ، تستطيع أن تقطع من ٣٠٠ ميل إلى ٤٠٠ ميل ، بسرعة مئة ميل في الساعة .

وقد صنع أنطوان جازدا ، المخترع النمسوي المولد ، طائرة هليكوبتر ، يدفعها نفّاث في مؤخرها . وثمة محرك بنزين يضغط الهواء ويدفعه من الثقب النفّاث ، ويحرك في الوقت نفسه الطاحونة الدوّارة التي ترفع الطائرة ، فإذا ما استوت الطائرة في الهواء دفعها النفّاث إلى أمام .

كان الألمان ، يوم انتهت الحرب ، يصنعون طائرة هليكوبتر زنتها ١٦ طناً ، وتستطيع أن ترفع ما زنته خمسة أطنان . وكان الغرض منها أن ترفع الدبابات وتنقلها فوق الأنهار ، وأن تدلي عوارض الجسور حتى تنزل في المكان المعد لها من الجسر . وليس يعجز الخيال عن أن يتصور منافع كثيرة لآلة رافعة غير مثبتة في مكان ما ، لينتفع بها في أعمال المناجم والاحتطاب والبناء وما أشبهها .

وقد عني لورنس بل ببحث سقوف مباني البريد . فقد ظلت طائرة أوتوجيرو من صنع شركة كيليت ، سنة كاملة في ...



تنقل البريد كل يوم من سقف مبنى البريد فى فلادلفيا إلى المطار الواقع على ستة أميال. وهو على ثقة من أن مكاتب البريد الكبيرة ستقبل على الانتفاع بطائرات هليكوبتر، وهو يعتقد أن سقوف جميع المبانى الجديدة سوف تكون مهيأة لنزول هذه الطائرات عليها. وهــذا يسهل نقل الناس من أى جهة كانت إلى المطارات البعيدة عن قلب المدينة. فمن المساوىء التى تلازم خطوط الطيران الآن، بطء الانتقال من قلب المدينة إلى المطار فى شوارع غاصة بالسيارات ومركبات النقل. فطائرات هليكوبتر تيسر حل هذه المشكلة، وتسهل الطيران على سكان المدن التى ليس لها مطارات.

والطيران بطائرة هليكوبتر ليس أمراً يشق عليك أن تتعلمه، فحين تجلس فيها يكون شأنك كشأن فرخ طائر لا يزال يحاول أن يطير وحده على بضع أقدام فوق سطح الأرض، فإذا لقيت ما يشق عليك فهمه أو علاجه، سهل عليك أن تتوقف لترى ما ينبغى أن تفعل. والهليكوبتر تستطيع أن ترتفع عن الأرض وأن تنزل عليها فى ريح تبلغ سرعتها ٤٠ ميلا فى الساعة وقد استطاعت أن تشق طريقها، فى أعمال الإنقاذ فى البحر، فى عواصف عاتية تستطيع أن ترد طائرة صغيرة إلى الوراء. بيد أن يسر توجيه الهليكوبتر فى كل جهة، يقتضيك أن تظل يقظاً، فلذلك تحس بعد ساعتين من الطيران فيها بتعب يفوق تعبك فى طائرة مألوفة. فالأشياء التى ينبغى لك أن تلاحظها وأنت فى مقعد الطيار كثيرة، ومنها عدد دورات مراوحك فى الدقيقة. فإذا قلّ عددها عن رقم معين، فقدت المراوح تلك القوة الطاردة التى تجعلها أفقية الوضع فتنطوى — وتنطوى معها صفحة حياتك.

ومع ذلك لم يقتل فى طائرات الهليكوبتر سوى ثلاثة منــــذ اتخذها الجيش وانتفع باستعمالها. فقد اصطدم أحد طياريها فى برما بسلك كهربائى فصعق. وانكسرت إحدى مراوحها فى فلوريدا فقتل الطيار والميكانيكى.

وليس بين الآلات التى صنعها الإنسان آلة قذفت بمثل سرعة الهليكوبتر من حظيرة التجربة إلى مصنع الإنتاج. ولا يزال المجال واسعاً، بيد أن الرجل الذى يصنع من الهليكوبتر ما صنعه هنرى فورد من السيارة لا يزال سراً من أسرار الغيب.



إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة [ على بن أبى طالب ]

# شباب القلب

كانت جدتى فى الثالثة والتسعين ، فذهبت يوماً إلى دار البريد واتخذت مكانها فى صف طويل من الناس أمام شباك الطرود ، فرآها أحد الشبان الموظفين وصاح : « أفسحوا ياقوم للسيدة العجوز » . فالتفت كلٌّ منهم ليرى السيدة العجوز . والتفتت هى أيضاً . [ جون ستيرنيانو ]

عقد جماعة من قدماء المحاربين مؤتمراً فى مدينة منفيس ، فلما انفضّ عقده ركب فريق منهم القطار ليعودوا إلى بيوتهم . وبعد نحو ساعة من قيام القطار تقدم شيخ عجوز من مقعد جلست فيه سيدة وحدها ، وتردّد قليلا ثم سألها : أتمانع فى أن يجلس بجانبها . فأفسحت له مكاناً وسألته : « أما تزال واقفاً منذ غادر القطار مدينة منفيس ؟ » . فقال : « لا ، كنت جالساً قرب سيدة أخرى ولكنها لم تكن بارعة الجمال» . [ إليانور كلاراج ]

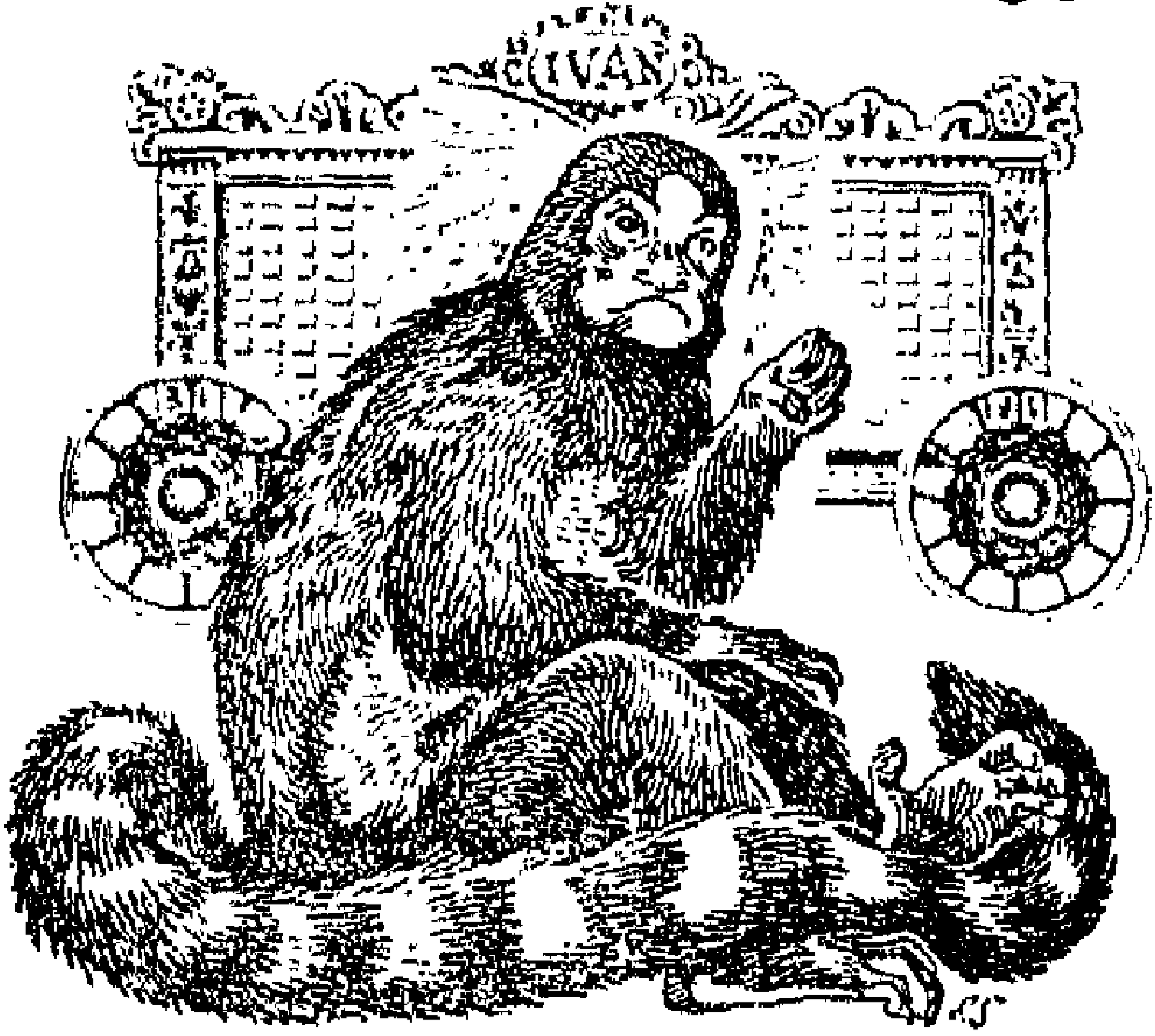
كان عمى وهو فى الثمانين ، كأنه ابن عشرين لايحسّ بوطأة السنين عليه . وفى يوم بارد مطير رأيته عائداً إلى البيت مبلل الثوب ، والوحل يعلو ساقيه إلى الركبتين. فسألته : « ماذا جرى ؟ » فقال : « أحببت أن أعبر الجدول لأرى البقرة . وقد كنت أقفز من ضفة إلى ضفة ، أما الآن فكلما قفزت أجدنى فى وسط الجدول غارقاً إلى الركبتين ، وكأننى لم أفطن إلى أن الجدول آخذ فى الاتساع » . [ بولين بلاكويل ]

رأيت فى سان موريتز بسويسرا قسيساً أشرف على الثمانين ، يبدأ التزحلق على الثلج كلّ صباح ويمضى فيه حتى المساء . فسألتُ زوجته العجوز : «ألاتظنّين أن هذه الرياضة كفيلة بإرهاقه؟» فقالت: « لعلها كذلك ، ولكنه يتوق أن يصبح من أبطال التزحلق قبل أن يموت » . [ أندريه موروا ]

# حياة إيڤان المخيف وحبه

لزلى ت . هوايت

مختصرة من
"نيتشر مجازين"




أول ما لقيته فى كرب يخترق إحدى غابات البرازيل ، وكان قد وقع بينه وبين أحد الأهلين نزاع وعراك ، فأعجبتنى حدته . رأيته مبرقاً مرعداً قد انتفخت أوداجه كبراً وعجباً ، وتضرمت نار الغضب فى عينيه الصفراوين الضيقتين ، بيد أنه كان خليقاً أن تحيق به الهزيمة ، إذ لم يكن وزنه يزيد على ثلاث أوقيات . فتوسطت بينهما ، وجعلتنى بضعة قروش دفعتها ولىَّ أمر « إيفان المخيف » .

لم يكن شكوراً لما فعلت ، بل كان يعاملنى كأنى مكرت به وسلبته فريسته ، وأخذ يكشف لى عن طرف من رأيه فىَّ . ثم جعلت حدته تخف ، وبدأ يأوى إلى جيبى لينام فيه . ففلقت له جوزة من جوز الهند بنصفين ، وهيأتها لتكون له مأوى ، وحملته معى فى السفينة التى عدت عليها إلى وطنى أمريكا .

وإيفان نسناس من نسانيس الليل . وهى نوع من النسانيس الصغار اللطيفة الأجسام ، على جبينه فرو أبيض لماع يضىء فى الليل ، فتتهافت عليه الفراش والحشرات فيصيدها بسرعة خارقة . وكان طوله ثلاث بوصات ونصف بوصة ، وقريب الشبه بالإنسان فى وجهه الدقيق ويديه اللطيفتين ، وجسده كجسد السنجاب أسمر أصفر ، وله ذيل طويل ناعم الفرو . وهو ودود مرهف الإحساس إذا تُرك حبله على غاربه ، فإذا اعترضت سبيله ثارت ثائرته ، ولكن غضبه لا يلبث أن ينطفىء .

كان لابد لى من التجربة فى أمر تربيته ، فحين بلغت أول ميناء اشتريت له قارورة لبن لها حلمة من المطاط ، فأخذها إيفان فى يديه كأنه قديم عهد بأمثالها ، وصنعت له إحدى راكبات السفينة قميصاً صغيراً فصار فيه كأنه قزم محارب عليه درع . وكانت عاداته فى حياته تنم عن نظافة لا تكاد تصدق .

وقد أذهلني ما رأيته من ذكائه ، فقد تركته مرة في قفصه تحت وقدة شمس حامية ، فلما عدت وجدته قد نصب مُلاءته وجعلها ظلةً يستظل بها ، فلما نزعتها عاد من فوره فنصبها ثانية .

فلما عدت إلى بلادي اتخذت له قفصاً أحمر أصفر مزخرفاً طوله ثلاث أقدام وارتفاعه قدمان ، جانباه من الزجاج ، ومقدمه مركب على مفصلات ليكون باباً ، وظهره من أسلاك مشبكة . وجعلت غرفة نومه فيه علبة سيجار صغيرة ، ركبت عليها مصباحاً كهربائياً صغيراً قوته ٢٥ وات ليظل القفص في درجة حرارة معتدلة . أما شق جوزة الهند فقد علقته في السقف ، وجعلت في القفص أرجوحة ، وأجراساً متدلية ، وعقلة ليترجح عليها .

وإيفان مولع بأسباب الحضارة . فمن أحب ما يهواه أن يسافر في السيارة ، فنعلق له جوزة الهند عند مرآتها حيث يستطيع أن يرى من هذا المكان الممتاز كل مناظر الريف ، فتراه يثرثر كالطفل فرحاً حين يسترعى انتباهه شيء غير مألوف .

وقد صار مولعاً بأطعمة فطورنا ، فتراه يطلب ساعة يقوم من نومه عصير البرتقال ، وإن كانت وجبة طعامه المشتهاة تتألف من ثلاث دودات . وقد بلغ وزنه اليوم أكثر من خمس أوقيات . وما رأيت حيواناً أكثر منه مبالغة في النظافة والتأنق ، فهو يأخذ حبة العنب الكبيرة في فمه الصغير ، ثم يثني رأسه إلى الخلف ويعتصر ما فيها من ماء ، حتى لا تصير يده من مسها لزجة قذرة .

وقد كنا نظن أن إيفان سيظل ما عاش عزباً ، غير أن صديقاً لي من «ريو جانيرو» أرسل إليّ أنثى من فصيلته ، ومن يومئذ امتلأت دنيا إيفان المخيف بالصبابة والهوى . وكان اسمها « تونيتا » ، وهي أنثى غزلة لعوب ، ولا يزيد جرمها عن نصف جرم إيفان ، فجعلنا نجرعها الفيتامينات السائلة ، وندربها قسراً على أن تتسلق عصاً أو عكازاً . وكنت أظن أنه مما لا يحسن بي أن أضعها مع إيفان حتى تكبر قليلا ، غير أني رفعتها يوماً قبل الجانب الزجاجي من قفصه حتى يراها ، فأعرض عنها أولا ظناً منه أنها خدعة أخرى من خدع المرآة ، ولكنها ما كادت تتكلم حتى هوى من على عقلته . فاشتد خوفي عليها لما رأيت من شدة اضطرابه ، فأرجأنا ميعاد جلوة العرس قليلا وكنا قد استطعنا أن نزيد وزنها حتى بلغ ثلاث أوقيات .

وفي غضون ذلك كان إيفان قد ... الشوق والقلق ، فتراه يقطع قفصه ...



وزهوباً وقد انتفخت أوداجه كأنه غورلىّ صغيرة ، أما تونيتا فقد فتنتها عظمته ، فما نكاد نطلقها من محبسها حتى تخرج ساعية إلى قفصه : بيد أن إيفان كلما رآها ترمقه بعينها ، أشاح عنها بوجهه كأنما يُريها أنه لا يبالى بها ، فإذا وجدها غافلة لا تنظر إليه ، أتبع نظره كل حركة من حركاتها .

وأخيراً حددنا موعد الجَلوة ، فبنيت لهما كوخاً صغيراً من العاج الملون أزرق الأطراف، وقدرته بحيث يدخل فى القفص، وأعدّت لهما زوجتى هدية العرس مُلاءتين ورديتين .

واشتدت مخاوفى على تونيتا لما أعرفه من طبيعة إيفان المتقلبة ، فلما جئت لأدخلها عليه فى وجاره ، لبست قفازاً من الجلد حتى أقيها شر إيفان إذا جن جنونه ، فأنيابه شىء يخشى بأسه .

ونظر إيفان نظرة إلى السيدة ، ثم طارت نفسه شعاعاً ، فما كدت أغلق باب القفص حتى مرق منه إيفان وجعل يعدو فى أرجاء البيت ، وظلت العروس وحدها وقد علت وجهها آيات الحيرة والغم .

فلما أعدنا إيفان إلى قفصه كان شارد اللب ، وجعل يدور فيه كالمغشى عليه . أما تونيتا ، وهى بلا ريب أنثى محنكة ، فقد خطت إليه الخطوة الأولى . فضيقت عليه بجرأة حتى أخذته فى ركن ، وأمسكت أذنيه برفق وقبلته قبلة شديدة .

صُعِق إيفان ، فأخذت تونيتا تلاطفه وتحاول أن تتحبب إليه ، بيد أن العروس المحجم المعرض تسلق إلى ركن من أرجوحته وظل ينظر ذاهلا فى الفضاء . وفى تلك الليلة وضعتُ لهما فى القفص كوخهما الجديد فسحر تونيتا ما رأته من فخامته ، واندسّت فيه لساعتها . وبعد أن نظرت فيه نظرة أطلت برأسها وجعلت تنادى إيفان ، ولكن هذا الأبله الصغير كان فى ذعر من أن يدخل عليها فيه . فلما ولج أخيراً لينظر ، احتضنته تونيتا وجعلت تقبله ، فكاد يغشى عليه ، وعدا إلى ركن الكوخ . وظلت هى فى الكوخ تناغيه وتبدى له الدلال والخفَر .

فلما ضقنا أنا وزوجتى ذرعاً بإيفان ، خرجنا نريد السينما . فلما عدنا رفعت غطاء الكوخ الأعلى لأنظر فوجدته قد نام فى حضنها ، وعلى محيّا تونيتا سيمياء الرضى والغبطة .

لقد صار الزواج الآن حقيقة ثابتة ، فبدأت تونيتا ترى إيفان لمن تكون الكلمة العليا . وأصبح من المستحيل أن تعدّها ضرباً من الحيوان ، فقد كانت بشراً عين البشر . فلو أنت جمعت نساء من مختلف طبقات الناس ، ووضعتهن فى مِرجلٍ حتى

امتلأ ، وأوقدت عليه حتى غلى ، وخلص من أبدانهن الشحم والماء والهواء ، فقد خلصت لك منهن تونيتا ، فهى خلاصة الأنوثة وصفوتها . لم نعد نستطيع أن نحادث إيفان حتى تجىء هى فتزيحه عنا جانباً وتبدأ تتكلم معنا ، وما رأيناها تكف عن الكلام لحظة ، وتراها تنزع الطعام من بين ثناياه ، وتدخله فراشه وتوقظه بأمرها هى . ولم يكن لإيفان بما يلقى منها يدان ، فلم يكن سوى مخلوق ذكر قد حبس فى قفص مع هذه الأنثى المتضرمة الطباع الشديدة المراس .

كانت تونيتا إذا فرغت من عشائها كل ليلة انقلبت من فورها إلى الكوخ وأسدلت الستائر على الباب ، وتظل ساعة فى خلوة . وما نعرف ولن نعرف ما تفعله وحدها فى داخل الكوخ ، بيد أنها تذكرنى بالمرأة حين تخلو بنفسها لتزيل زينة وجهها . ثم لا تلبث أن تزيح الستار وتدعو إيفان ، فتراه يثب إلى داخل ، وينسدل الستار على الباب طول الليل .

بدأت أخرجه وحده من القفص تاركا تونيتا حبيسة تتطلع ، وذلك ابتغاء أن يستعيد ما أضاع من حريته واستقلاله ، ولكنه يظل يتلفت جافلاً إلى القفص ، كأنما يخشى أن يلقى البلاء المستعر حين يعود إلى البيت ، فلا يلبث أن ينقلب مسرعاً إلى حليلته .

وأخيراً حملت تونيتا وكادت تصير أمًّا ، وأدرك ذلك إيفان أيضاً ، فقد بدأ ينتابه الجزع إذا غابت عن عينه لحظة . وصار من دأبهما أن يجلسا معاً على ظهر الكوخ يتشمسان ويظل الساعات ، وهو يفلى لها فروها الناعم . ثم بدأ يهتم كل الاهتمام بأسنانها خاصة ، فتراه بين الحين والحين يثنى رأسها إلى خلف حتى يغمرها شعاع الضوء ، ثم يفتح فمها ، ويدقق النظر فى داخله .

وكلما طالت أيام الحمل ، زادت تونيتا ضراوة وشراسة ، فهى تطلب الطعام بصوت حاد عنيف . وقد عضت يدى عدة مرات وأنا أضع لها صحن الطعام برفق فى داخل القفص ، ولكنها لا تلبث أن تبدى أسفها ، فتعلو أحد قضبان قفصها وتبتسم لى ابتسامة رقيقة كالمعتذرة ، أو تثرثر معبرة عن عذرها فيما فعلت . وفى أثناء تلك الفترة كان إيفان يقدمها على نفسه ويجود لها بكل طعامه ، حتى دودة المشتهى .

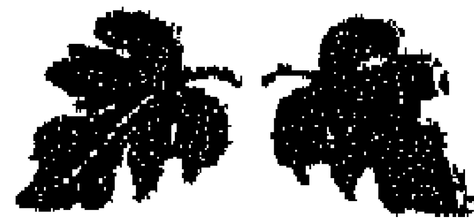
وفى أواخر أيام حملها كانا يقضيان الساعات ذوات العدد متلاصقين رأساً إلى رأس يتناغيان ويتباثان ، فإذا خلوا وغفلت عنهما العيون ، جعلا يتناجيان نجوى الشوق .

وقدْ لانت شراستها وصارت حلوة رقيقة الطباع . ولسنا نعلم ما كان يخالج قلوب هذه المخلوقات الصغيرة من آمالٍ وأحلام . ولـكن يبدو لى أن أجدر الأوهام بالبشر وأشبهها بهم أن يظنوا أنّ من المحال أن يكون لأمثالها أحلام أو آمال .

ومن سوء الحظ أنْ كنت أنا وزوجتى مسافرين حين وقعت الواقعة . فقد جاءت خالتى ذات صباح لتقدم لها فطورها ، فرأت تونيتا خارج الـكوخ نائمة على الأرض قد أثقلها المرض ، فلما حاولت أن تحملها انقضّ عليها إيفان. وأخيراً لفّت خالتى على ذراعها ثوباً صفيقاً واستطاعت أن تخرجها ، فجُن إيفان وقذف بنفسه على الأسلاك ، وأرقدت خالتى تونيتا على مُلاءة قريباً من القفص بحيث يستطيع أن يراها . فلما صبّت فى حلقها قطرات من الخمر والماء انتعشت تونيتا شيئاً ما ، ولـكنها ما لبثت أن تهافتت شيئاً بعد شيء ، ثم فاضت روحها قبل أن يصل الطبيب. وكذلك هـوَى ألطف نجم متلألأً فى سمائى .

وظلّ إيفان فترة ضائعاً فى وحشة الجزع ، فكان يرسل أحياناً صراخاً حادًّا كأنما يحاول أن ينفذه وراء أسوار الأبد . وتراه لا يزال يرمى ببصره إلى البـاب آملا أن يراها داخلة تتهادى تهاديها الحلو اللطيف . ويظل الليالى ذوات العدد ساهراً مسهَّـداً ، وعلى وجهـه الحزين آيات الحيرة ، فقد كان يرهب أن يأوى فينام . وكان مما تتفطر له القلوب أن تراه وهو يزحف إلى كوخهما وحيداً مُضَاعاً . وكنت أخرجه ليرتع ويلعب ، ولـكنه أصبح لا يبالى باللعب فما هو إلا أن يتدسَّس تحت ثيابى ، فأسمع نبضات قلبه الدقيق تخفق على صدرى .

والآن وقد أقرّ إيفان وعرف أن تونيتا قد فارقته إلى الأبد ، صرف حبه كله إلى زوجتى . وقد علمته كيف يرسل إليها القبلات ، ولـكنه كان يأبى أن يفعل ذلك وأنا حاضر . فإذا رآها تقبلنى زَوَى عنا وجهه وتجهم من فعل الغيرة ، فقد صار يعدُّنى منافساً له . هذه سيرة إيفان المخيف وما كان أكرم صداقته ورفقته !



الزواجُ الموفّق صَرْح مشيّد يتطلبُ الحرصَ على تقوية بنيـانه فى كل يوم . [ أندريه موروا ]

توجيه لايخطىء ، يمكنك من أن تظفر بنعمة عظيمة فى بيتك .

# احك لنا حكاية يابابا

كارل ل . بيملر
مختصرة من مجلة " هوليدى "

أربعة بنين ، ومافتئت منذ صاروا قادرين على فهم بعض الألفاظ « عندى » ألفق لهم ما استطعت ، حكايات شتى لكى أسليهم . ولست أدرى مَنْ منا أكثر استمتاعاً بهذه المسلاة : أهم الصغار أنفسهم أم أمهم التى تجدفيها تأييداً لبعض مايخامرها من شك فى صدق زوجها ، أم أنا ؟

وكلُّ أب يستطيع أن يفعل ما أفعل .. فكلُّ ما يحتاج إليه إنما هو جماعة من الأطفال . وإن كلمة « احك لنا حكاية يابابا » عادة تلازم الأطفال ، وليس من الضرورة أن تكون القصة من روائع الأدب ، أو منزوَّقة البيان ، ولا يجب أن تكون — ولله الحمد — متماسكة المعانى .

ففى بيتنا مثلا تجد غواصات ألمانية صادها سمك ، وعصفوراً مضعضع الحواس يطير شمالا فى جوف الشتاء وهو يظن أنه الربيع . وعندنا ديدان ترتدى ثياباً حمراً ، ودببة قطبية تكره الجوَّ البارد ، وغرباناً تترك الدرّاجات فى الشوارع فتسرقها السناجيب . وفى ذات ليلة ألحّ الصغار على معرفة أسرار الولادة ، فاخترعت لهم شخصاً يدعى « شيخ الحارة » ليتكفل بالتفسير .

وتحليق الآباء فى فضاء الحكايات الملفقة ، ضربان : أما الضرب الأول فحكايات يقصد بها موعظة الصغار ، وأما الآخر فحكايات عجيبة للتسلية . وكثيراً ماتجمع الحكاية بين الضربين .

ومهما يكن من أمر ، فأساس القصة التى تسلى الصغار هو أن تضم « المتنافر » من الحقائق والصور . وأبنائى بين الرابعة والتاسعة ، وهم يصيحون فرحاً حين أحدثهم عن أخطبوط صغير يتزحلق على الثلج . وهو أخطبوط كان لأبيه ثمانى أذرع وثمانى فرش أسنان ، يضرب صغيره بها حين لا يضع الصغير قبقاب التزحلق فى مكانه بعد الفراغ . وتأخذهم سورة الضحك حين يسمعون عن هر له أربع أرجل يسرى ، كان يصدم دائماً مائدة القهوة فيزعج أمه . وقد بدلنا هذا الهر ( فى قصة أخرى ) بهر آخر له أربع أرجل يمنى ، فانتهى الأمر على مايرام . وثمة وسيلة أخرى لاتخطىء فى تلفيق حكاية

يطرب لهــا الأطفال ، هى أن تتخذ لأحد أبطال القصة اسماً مضحكا أو عجيباً .

وعامل ثالث فى توفيقك ، هو أن تدعو الصغار إلى الاشتراك فى تلفيق الحكاية. وهذا ينقذك من مواقف حرجة تعجز خيالك . فلنفرض مثلا أن الحكاية تدور على فرخ عُقاب لايستطيع أن يتعلم الطيران ، لأنه يريد أن يصـير قائد طائرة ، فيظنّ أن الأجنحة لم تخلق وفقاً لما تقتضيه أصول علم الطيران . ماذا تصنع ؟ ليس عليك إلا أن تقول : « ما رأيكم يا أصحابى ؟ ترى ماذا حدث لهذا الطائر ؟ »

فيجيبونك ، فتتركك إجابتهم مبهـور الأنفاس . يقولون لك إن هذا الطائر أنقذ من الموت طياراً كان يكره الطائرات لأنه يريد أن يكون له جناحا طير .

ولمشاركة الصغار أثر غريب أحياناً فى تأليف حكاياتك . فافرض أنك سألت أحدهم: « ترى ياروبرت ماذا تريد أن تسمع الليلة؟ »

فيقول روبرت : « خبرّنى عن الدودة » ، ويقول كارل : « خبرنى عن الجواد » ، ويقول جاك : « ما قولك فى معركة عظيمة بين طائرات ؟ »

فأجوبتهم هذه تهيء لك ما تريد . فلكى تدخل السرور على قلوبهم جميعاً تبدأ بجواد تسميه مثلا « هول » ، كان له صديق من الدود يدعى «ماك» ، وقد كانا من الوطنيين. فلما نشبت الحرب تطوعا فى الجيش ، ولم يكن فى الجيش — طبعاً — ملابس عسكرية على قدّهما ، فدعيا إلى الاشـتراك فى قسم الجاسوسية .

وأرسل « ماك » إلى اليابان مستخفياً فى طائرة تحمل شحنـة من البرقوق إلى الجند . وذهب « هول » إلى ألاسكا فعبر مضيق بيرنج سابحاً ( وتفسر لهم معنى مضيق ، وتبـين لهم موقع ألاسكا على الخريطة ) . وأخيراً التقى الصديقان فى فناء قصر الميكادو ، وكان «ماك» متنكراً فى شكل دودة حرير ، وكان « هول » قد ادعى أنه ابن عم الجواد الأبيض الذى يركبه الميكادو .

وذات ليلة سارا يتسللان فى أرض القصر ، فكشف اليابانيون سرّهما . فقفز « ماك » إلى متن « هول » ، فمضى هذا ينهب الأرض نهباً إلى المطار ، فسرقا طائرة ، ( وتبـين لهم الفرق بين بعض ضروب الطائرات ) .

ثم انظر . ها أنت تدنو من ذروة القصة حين تدور المعركة بين طائرتهما والطائرات اليابانية التى تطاردها. وربما اضطررت أن تذهب إلى زوجتك وتغمزها بيدك لكى تمنعها من مكاتمة ضحكها . ولكن لاريب فى أننا جميعـاً نـعِمنا بالحكاية .

ولمشاركة الصغار فى تأليف الحكاية منافع أخرى . فإن الدقائق القليلة التى يقضونها فى اختيار الموضوع وابتكار عناصره ، هى دقائق من الهدوء ، تسكن فيها إلى نفسك ولا تقطعها رنات ضحكهم أو أسئلتهم المتواترة ، وقد تكفيك أحياناً لتتناول صحيفة بعد العشاء تلقى عليها نظرة .

ولكن أهمّ من كلّ ذلك شأناً هو تربية أخلاق الصغار . فجميع الأطفال يعيشون فى عالم خاص بهم ، وجميعهم مفطورون على الكذب . وجانب من مهمة الأب أن يعين ابنه على المطابقة بين الحقيقة كما هى والحقيقة كما يتصورها الصغير ، حتى يصير قادراً على أن يتبين الفرق بين الحقيقة المشوهة وبين الحقيقة المجردة . وحكاية الحكايات وسيلة نافعة لبلوغ هذه الغاية ، لأن كل حكاية تبنى على « الخيال » و « الفرض » .

ومتى ألف الصغير هذا وأدركه ، اصبح إلزامه بعمل يراد به تقويمه ، أمراً ميسراً .

فقد يقول كارل مغيظاً حين تزجره أمه : « لقد علقت سترتى كما ينبغى » ، فتقول له : «أواثق أنت ، أم هو هو فرض وخيال ؟ » فالسترة على الأرض ، وهى بعيدة عن كل مكان يمكن أن تعلق عليه ، فلا يحتمل أنها وقعت . وكذلك يتضح الأمر للصغير .

وليس ثمة ريب فى أن حكاية الحكايات لها فضائل أخرى . فقد زارنا ذات ليلة رجل تخصص فى الخدمة الاجتماعية وعلم النفس . وبعد أن أوى الصغار إلى مضاجعهم شرع يحدثنى عن تماسك الأسرة ، وإطلاق العواطف الحبيسة فى صدر الطفل . وكنت فى تلك الليلة . قد حكيت للصغار قبل مجيئه حكاية الدودة التى تزحف فى العُشب اليابس وتتمطى فى الوحل ، فراراً من العصفور الذى يريد أن يصيدها ، وقد جعلناها تأكل المطاط حتى يزداد جسمها قدرة على المط ، ومقاومة لشد العصفور .

فحكيتها له أيضاً ، وقد عجز علم الرجل عن أن يحبسه عن الإغراب فى الضحك حين فكر فى الدودة ، حتى دلق كأس شرابه ، فثبت لى أن لاشىء فى الدنيا يستطيع أن يكف النفس عن التمتع بالفكاهة البسيطة .

وقصّ الحكايات على الأطفال مسلاة فى متناول كلّ إنسان ، ولست فى حاجة إلاّ إلى لسان . فالأطفال يعيشون فى عالم يحيرهم ، وهم يجدون راحة من الحيرة حين يسمعون صوتا يحادثهم . فامض يا بابا . واحك حكايات لصغارك ، تجد فى بيتك متعة لم تكن لتدور فى خلدك ومسلاة تجدد كل يوم .

·○○○··○○○·

# سكينة النفس

مختصر كتاب بقلم
الدكتور ى . لوث . شيمان

وضعت مرة ، وأنا شاب ، جدولاً «بطيبات» الحياة المعترف بها، فكتبت هذا البيان بالرغائب الدنيوية : الصحة ، والحب ، والموهبة ، والقوة ، والثراء ، والشهرة ، ثم تقدمت بها فى زهو إلى شيخ حكيم .

فقال صديقى الشيخ : « جدول بديع . وهو موضوع على ترتيب لايعدّ غير معقول ، ولكن يبدو لى أنك أغفلت العنصر المهم الذى يعود جدولك بغيره عبئاً لايطاق » .

وضرب بالقلم على الجدول كله ، وكتب كلمتين : سكينة النفس .

وقال : هذه هى الهبة التى يدّخرها الله لأصفيائه . وإنه ليعطى الكثيرين الذكاء والصحة ، والمال مبتذل ، وليست الشهرة بنادرة ، أما سكينة القلب فإنه يمنحها بقدَر » .

وقال على سبيل الإيضاح : « ليس هذا رأى خاص لى ، فما أنا إلا ناقل من المزامير ومن ماركس أوريليوس ، ومن لاوتسى . وهؤلاء الحكماء يقولون : « خلّ يارب نعم الحياة الدنيا تحت أقدام الحمقى ، وأعطنى عقلا غير مضطرب » .

وقد وجدت يومئذ أن من الصعب أن أتقبل هذا ، ولكن الآن ، بعد ربع قرن من التجربة الخاصة ، والملاحظة الدقيقة ، أصبحت أدرك أن سكينة النفس هى الغاية المثلى للحياة الرشيدة . وأنا أعرف الآن أن جملة المزايا الأخرى ليس من الضرورى أن تفيد المرء السكينة . وقد رأيت هذه السكينة الباطنة تزهر بغير عون

من المال بل بغير مدد من الصحة . وفى طاقة السكينة أن تحول الكوخ إلى قصر رحيب ، أما الحاجة إليها فإنها تحيل القصر الملكى قفصاً وسجناً .

وتأمل دعوات الإنسانية من كل ملة فى كل عصر — فإنها كلها تلخص فى أمرين : رزق اليوم والسكينة الباطنة . على أن هذه الدعوات من أجل سكينة النفس لا ينبغى أن تخلط بالهرب إلى برج عاجى من عباب الحياة ، وإنما غايتها التوازن الباطن الذى يمكننا من التغلب على صدمات الحياة .

ولا سبيل إلى الفوز بسكينة النفس بجهد يسير أو عابر ، وقد يعين على إيتائها أن يكون المرء على صلة بالأعمال النبيلة — من أدبية وموسيقية وفنية — غير أن هذه وحدها لا ترضى جميع مطالب الروح كل الرضى . ومن المحقق أننا لن نجد السكينة بعنف الجرى وراء المال الذى يتفلت كالزئبق من بين أصابعنا المتشبثة ، بل لن نجد السكينة على نحو وطيد فى الحب الإنسانى وجلال تبادله ، وإن كانت هذه العاطفة أقوى ما يوهم الإنسان أنه فاز بالسعادة التامة .

إذن أين نلتمسها ؟ إن مفتاح هذه المسألة يوجد فى بيتين للشاعر ماتيو أرنولد : « إننا خليقون أن نظفر بالسكينة الباطنة ، ولكننا لا ندير عيوننا فى أنفسنا » ! هنا ، بجملة واحدة ، يتبدى ركو بنارأسنا وعنادنا .

وإنه لمن السخرية الجلية أن بعض الأديان يؤكد واجبات الإنسان لغيره ، ولا يكاد يقول شيئاً عن واجبه لنفسه . ومن أعظم ما كشف عنه علم النفس الحديث ، أن موقفنا حيال أنفسنا أشد تعقيداً من موقفنا حيال الغير . ومن الممكن أن تفسر الوصية الدينية العظيمة القائلة « أحبب جارك كما تحب نفسك » على أن معناها « أحبب نفسك حباً صادقاً وحينئذ تحب جارك » .

تلقى رجل من مشاهير العاملين فى الخدمة الاجتماعية رسالة من سيدة تريد أن تنضم إليه فى كفاحه لمساعدة الفقراء ، وقد تكلمت بإسهاب عن نقائصها ، وختمت رسالتها بقولها إنها ترجو أن تعوّض حماستها لكفاحة ما بها من نقائص . فكتب إليها هذا الرد الوجيز : « سيدتى العزيزة . إن نقائصك البديعة حقاً هى فى غاية العظمة . وما من شىء يستطيع أن يمنعك أن تصيبى بها ضحايا وداعتك . وأنا أنصح لك بأن تزيدى من حبك لنفسك قبل أن تبعثرى حبك على الغير » .

وقد يذهب البعض إلى أن هذا مبدأ خطر ، فيقولون : « إن الناس مسرفون فعلا فى حبهم لأنفسهم ، والغاية الحقيقية للحيا

هى إنكار الذات فى خدمة الغير » . وهذا تقدير للطبيعة الإنسانية لايخلو من أخطاء، فهل صحيح أننا نحسن إلى أنفسنا عفواً ؟ إن الدلائل تشير إلى العكس ، فكثيراً ما نعامل أنفسنا معاملة أصرم وأحفل بروح الانتقام من معاملتنا للغير . ومن الأدلة المتطرفة على هـذا ، الانتحار ، وغيره من صور تحقير الذات مثـل إدمان السكر ، أو المخدرات ، أو الفجور . وشوارع العالم غاصة برجال ونساء يشوهون أنفسهم تشويهاً روحياً بانتقاد النفس ، ويسيرون فى الحياة مسيرة من ينتحر بعض الانتحار — فيقضون على مواهبهم ، ونشاطهم وملكاتهم الإنشائية الخالقة .

ومثل هذه الأعمال جريمة لا ضد أنفسنا فحسب ، بل ضد الجماعة أيضاً . فإن الذى ليس عنده رعاية صحيحة لكفاياته ومواهبه، لا يمكن أن ينطوى على احترام للغير . ولست أعنى بحب النفس تدليلها أو الإغراق فى تمجيد الذات ، ولكنى أصر على وجوب احترام الذات كشرط لازم لحياة أخلاقية حميدة نافعة .

وثم مالا يحصى من الوسائل التى نظهر بها ازدراءنا لأنفسنا أكثر مما نظهر احترامها ، فهناك مثلا إحساساتنا بالنقص .

وما أكثر ما نعزو إلى جيراننا التفوق ، ونبالغ فى كفاياتهم ، ونهوى إلى درك العربدة فى النيل من أنفسنا وانتقادها ووجه الخطأ هنا هو أننا لا نرى فى الغير إلا ظاهر الثقة والاتزان . ولو أننا تعمقنا ، وأدركنا أن الرجال والنساء جميعاً بهم ندوب من معارك كثيرة خسروها ، لكان حكمنا على إخفاقنا أقل قسوة .

ولمن يسير فى الحياة وقد سيطر عليه اعتقاده أن به نقصاً ، أقول: « إنك فى الحقيقة قوى جداً وحكيم وناجح ، ولقد أحسنت إذ استطعت أن تصوغ وجـوداً إنسانياً محتملا من المواد الأولية التى كانت تحت تصرفك . وهناك من يحبونك ويوقرونك كما أنت ، فانزع هذه النظارات السود واتخذ مكانك كندٍّ لغيرك من البالغين الراشدين ، واعلم أن قوتك كافية لمواجهة مشاكل عالمك هذا » .

وثم طريق آخر لاحترام الذات ، وذلك أن نتقبل عيوبنا كما نتقبل مزايانا . وأكثر من ترى من الناس ، عنده صورتان لنفسين فى غرفتين منفصلتين . فى إحدى الغرفتين تعلق صورة الفضائل بألوان قوية وضاءة ، وفى الغرفة الأخرى صورة يتمثل فيها الإنحاء باللوم على الذات، وهى مرسومة كالأخرى رسماً غير مطابق للواقع بألوان قاتمة سقيمة .

وبدلا من التفريق بين هاتين الصورتين، ينبغي أن ننظر إليهما معاً ، وأن نمزجهما شيئاً فشيئاً حتى تخرج منهما صورة واحدة. ويجب أن نسعى لنعرف أنفسنا ونتقبلها كما هي — مجموعة من وجوه القوة والضعف. وإنه ليكون حسبنا إذا نحن تعلمنا أن نحترم أنفسنا بكل نقائصنا ومزايانا ، وأن نعلم أن الحب الصحيح للنفس لا يغالى بفضائلها ولا يغض من قيمتها .

والمهم أننا ننعم طول حياتنا بعزية النمو ، ففي وسعنا أن نستفيد نزاعات جديدة ، وأن نشتغل بضروب جديدة من العمل ، وأن نوجه همنا إلى قضايا جديدة ، وأن نكتسب أصدقاء جديدين . فإذا سلمنا بأن لنا اقتداراً في بعض النواحي ، وأننا محدودون في نواح أخرى ، وأن العبقرية نادرة ، وأن التوسط هو حظ الأكثرين منا ، فلنذكر أيضاً أننا نستطيع ، ويجب ، أن نغير أنفسنا ، فإننا إلى يوم نموت ، نستطيع أن نواصل النمو ، وأن نفجر ينابيع كامنة في كياننا .

وكل من ينشد سكينة النفس ينبغي أن يتعلم أن ينبذ كثيراً من الأشياء ليكون استيلاؤه على غيرها أتم . وقد كانت رغباتنا إذ نحن أطفال صغار هي التي لها السلطان ، ولم يكن علينا إلا أن نبكي ، فيبادر عالم الكبار إلى إجابة كل رغبة لنا . ولم نكن نعرف في تلك المرحلة من مراحل النمو ، إلا قليلا عن إرجاء ما فيه مرضاة ، أو ضرورة النزول عنه ، ولكنا ونحن نكبر ، نتعلم أن كل مرحلة من مراحل النمو تستدعى أن نقدر أشياء متفاوتة ، وأن نضحي ببعضها في سبيل البعض الآخر .

وقد بين الفيلسوف سانتايانا أن الصعوبة الكبرى في الحياة ليست في الاختيار بين الخير والشر ، بل في الاختيار بين الخير والخير . على أننا في صدر الحياة لا ندرك أن رغبةً ما يمكن أن تكون ملتئمة مع رغبة أخرى . وقد يتردد الفتى بين عشر خطط للمستقبل ، ولكن الرجل الناضج يكون عليه أن ينبذ عدة خطط ليمضي في واحدة . وهذه الحقيقة ذاتها تصدق في عالم العواطف ، فإن من اللائم لسن المراهق أن ينقل فؤاده وحبه من واحدة إلى أخرى ، ولكنها تكون مأساة إذا قام الكبير بدور المراهق . والرجل الذي يحاول أن يرتدي ثوب الشباب الخالي من الهموم ، والمرأة التي تكسو عواطفها ثياب عروس من عرائس اللعب — هذان مسكينان يستحقان الرثاء ، لأنهما لم يتعلما أن النمو الإنساني معناه إغلاق أبواب عدة قبل أن يتسنى فتح باب كبير واحد — باب الحب الناضج ، والعمل الناضج .

والحقيقة الأساسـية الأولى فى حياتنـا الفردية هى أنه لا غنى لإنسان عن الحب . وأعنى « بالحب » العلاقة بشخص يعـتز به أو جماعة يضن بها ، والشعور بأن الإنسان ينتمى إلى كلٍّ أكبر منه ، وأن له قيمة عند غيره من الناس .

وحاجة بعضنا إلى بعض هى أشمل الحقائق الإنسانيـة ، فإن شخصياتنا تصاغ بفضل احتكاكنا واتصالنا بالغير . وقد يتلقى الغلام عدوى الشجاعة من أبيه ، أو شقوة الخوف من أمه. ونحن نتمثل — بالمعنى الروحى — أبطالنا وبطلاتنا ونجعل أسلوب حياتهم جزءاً من كياننا الوجدانى. وهكذا يترك كل قديس، وكل خاطىء ، أثره فيمن لن يراهم ، لأن أقوالهم وأعمالهم تنطبع على الطين الطرى، طين الطبيعـة الإنسانية فى كل مكان . فهناك أذن واجب على كل واحد منا — أن نصبح أحراراً، محبين ، مخلصين متعاونين، وأن تكون الثقة هى طابع شخصياتنا . فإذا فهمنا هذا الارتباط بالغير فإن معاشرتنا لأسرتنا وأصـدقائنا وزملائنا فى العمل ، ولأنفسنا أيضاً ، تصبح خيراً وأفضل .

والرحمة ، هى بعد الخبز ، أعظم مايتلهف عليه الإنسان الفانى . وهى فى أوقات المحنة والكوارث تجد إعراباً طبيعياً عنها يطيب تأمله فى أعمال الناس ، ولكنا نخطئها فى أكثر الأحيان فى حياتنا كل يوم. وكثيرون منـا ينزعون إلى التحكم والتجبر ، ويسـوء خلقهم مع الغـير من الموظفين والباعة والخدم . قال ثورو: « لست أسمى إنساناً ما، خـيّراً إذا كان ينسى أن حلاقه ، وطباخه ، وسائس خيله مجبولون من نفس الطين البشرى مثـله » . ونحن نعصف بسكينة نفوسنا حين نعجز عن أن نكون رحماء بالناس جميعاً . والمحور المرصع الذى يجب أن تدور عليه حياتنا هو إدراكنا أن كل إنسان نلقاه هو نفس إنسانية كريمة فى جوهرها .

والسر الحقيقى للزواج هو تبادل المحبـة البسيطة ، وهى فى خير مظاهرها ، تشجيع متبادل . ومتى تقبلنا ورضى عنا واحتاج إلينا الذين يعرفون عنا كل شىء ، وأحبونا ، فقد فزنا ببداية السكينة التى تتجاوز مدى الإدراك .

وحب الجار مؤداه أن تنطوى نفوسنا على تسامح حيال اختلاف الغير وشذوذه ، وأن نقاوم مايغرينا بالاستعلاء أو الاستعمار الخاص . ويجب أن نتخلى فى جملة ما نتخلى عنـه ، عن الإسراف فى التملك فيما يتعلق بأصدقائنا وأبنائنا — نعم ، حتى معاشقنا . والعالم غاص بالنزاعين إلى الاستعمار الخاص، كالأب الذى يكره ابنه ذا المزاج الفنى على العمل معه فى تجارته ، والأم التى تقيد بنتها

وتجعلها تبعاً لها ، وتلف عليها سلاسل من الشفقة والعطف ، وتأبى بذلك أن تدع بنتها تحيا حياتها الخاصة .

ونحن إذ نصر على أن تكون آراء غيرنا مطابقة لآرائنا فيما هو لائق ، أو خير ، أو مقبول ، ندل بهذا على أننا لسنا واثقين من أن صورة باطننا قوية . فإن الواثق بنفسه يكون مستعداً أن يدع غيره يكونون كما يشاءون . أما الذى تنقص شخصيته صفة الثبات ، فإنه يحب أن يفيد الاطمئنان والثقة بأن يصب غيره فى مثل قالبه . ونحن نكشف عن حب صادق حين نكف عن أن نطالب من نحبه بأن يصبح نسخة منقحة منا .

وكل إنسان طبيعى يعانى مخاوف وهموماً لا تحصى ، ولكن من الممكن التغلب على هذه التى هى أعداء للسكينة .

وإنه لصحيح ، على أحد المعانى ، أن الإنسان أوتى نعمة القدرة على معرفة الخوف ، فإن الخوف كثيراً ما يكون الباعث على النمو ، والحافز إلى الاختراع . ثم إن الخوف الذى يشعر به الإنسان عند الخطر الحقيقى مرغوب فيه . ولكن أليس معظم مخاوفنا لا أساس لها ؟ وتدبر هذه الجماعة الكبيرة من المخاوف التى يمكن أن توضع تحت عنوان « القلق الشخصى » ، فنحن أحياناً نخشى على صحتنا ، ونقلق على قلوبنا ، ورئاتنا ، وضغط دمنا ، وأرقنا ، فنتحسس نبضنا لنهتدى إلى دليل على المرض فى كل عرض برىء أو لا معنى له ، أو يعترينا القلق على شخصيتنا ونشعر بالتزعزع وعدم الثبات ، ونحزن على ما خبنا فيه ، ونتوهم أن الغير يحتقروننا أو لا يرضون عنا .

ويجب أن ندرك أن مخاوفنا قد تتنكر ، فيبتدئ مثلا عدم الثقة بالنفس فى صورة خوف من الأماكن المرتفعة ، أو الغرف المغلقة . وأحياناً تتخفى مخاوفنا فى ثياب من الألم الجثمانى . وقد أظهر علم الطب النفسانى الجديد أن سلسلة طويلة من الأمراض ، من البرد العادى إلى النقرس ، يمكن فى كثير من الأحوال ردها إلى متاعب عقلية لا بدنية . وإنه لأسهل جداً أن يكون المرء مريضاً من أن يكون شجاعاً . وليس سوء الصحة الذى يستمتع به كثيرون من الزمنى إلا ستاراً لمخاوف عميقة القرار .

وكثير من مثل هذه الإحساسات بالتزعزع متخلف من الطفولة حين كنا غير أكفاء للحياة ، وكنا نعرف أن هناك بوناً بعيداً بين ضعفنا وقوة عالم الكبار . وهذا البون يزول مع النمو ، ولكن طفولتنا تتقاضى مرة بعد مرة ثمن إخفاقها أو أغلاطها التى شببنا عنها من زمان طويل .

أترى يخامرنا الخوف من الموت ، أو الخوف من العقاب فى الآخرة ؟ فإن هذا الخوف ليس إلا امتداداً لتجربة قديمة سابقة حين عاقبنا أحد الوالدين، وأغلق علينا الغرفة وتركنا وحدنا فيها . أم نحن نشفق دائماً من سخط الغير ، ويخيفنا أن لا يتقبلنا المجتمع ؟ فلننظر إلى هـذه المخاوف بعين الرجل الناضج الرشيد ، وأخلق بنا إذن أن نرى أن جيراننا مثلنا غير معصومين ، وأنه لا يحق لنا أن نتوقع أن ندلَّل فى عالم الكبار كما كنا ندلل فى الطفولة .

ومن بواعث الأمل أن هـذه الحالات لا تلبث حتى تزول. وهذا درس صعب، فإنا نكون متعبين ، فتصبح وخزة الإبرة مثل طعنة الخنجر . ولكنه من الطبيعى والعادى أن تعترى الإنسان حالات هبوط وانكسار . وعلينا أن نتذكر دائماً أننا سنخرج منها إلى النـور مرة أخرى . ونحن الآدميين مخلوقات شديدة المُنّة قادرة على الثبوت لصدمات كثيرة ، وإراقة دموع غزار ، ومعاناة مآس عديدة دون أن تتحطم . فلنتعلم أن لا نعد الانكسار الذى يعرونا يوماً أو شهراً حالة دائمة فى حياتنا .

ومن الطبيعى أن نعانى الخوف على مستقبلنا الاقتصادى والاجتماعى . وما أكثر من تفزعهم البطالة ، أو تقوّض أعمالهم . وهذه المخاوف حقيقية جداً ، غير أنه يتصل بها اتصالا وثيقـاً ، رواسب عصبية . والأمريكيون على الخصوص مشغولون بسباق بعيد المدى يشعر فيه العدّاؤون بقلق شديد على الذين يلهثون خلفهم ، ويحسدون فيه المتقدمين . وهذا السباق القاسى فى سبيل النجاح الاقتصادى هو علة كثير من حالات الإعياء وموت الفجأة .

والرغبة فى النجاح خلة حميدة فى الطبيعة الإنسانية . ففى أى شىء إذن نخطىء ؟ إننا نخطىء فى توجيه نشاط مسرف لا إلى العمل الحقيقى بل إلى الصراع العصبى ، فقد يكون للرجل بيت ومال وأسرة جميلة ، ويجد أن طعم كل هذه الأشياء مسيخ ، لأن عدّائين آخرين تقدموه فى السباق من أجل الماديات. وليست المسألة أنه لا يملك الكفاية لحاجاته ومطالبه ، وإنما هى أن غيره يملك ما هو أكثر ، « فالأكثر » هو الذى يخامره ويحمله على التقليل من شأن ما أدركه هو .

وقد آن أن يقال : « لست أنوى أن أهتم بما لغيرى من قوة أو ثروة ، مادمت أستطيع أن أحصل على ما فيه الكفاية لكرامة أسرتى وأمنها ، وسأعين غاياتى لنفسى ولا أستعيرها من غيرى ، وإنى لأرفض أن أقضى على سكينة نفسى بالسعى وراء المال

وحده ، وسأزن نفسي أيضاً بميزان الخير والثقافة » .

ونحن نعلم أن العواطف المكظومة تثأر لنفسها آخر الأمر ، في صورة مرض عقلي أو بدني . وهذه الحقيقة تضيء لنا مسألة الفوز بسكينة النفس في الثكل والحزن .

وقد استطاع الدكتور إريك ليندمان بما قام به من البحث الإكلينيكي في مستشفى ماساشوستس العام ، حيث فحص مئات ممن كسر نفوسهم الحزن ، أن يكشف عن هذه الحقيقة الأساسية ، وهي أن كظم عواطف الحزن قد يفضي إلى رد فعل مَرَضي فيما بعد . وكان بين مرضى الدكتور ليندمان بعض من تفاقمت عليهم أو اشتد بهم الانكسار بعد سنوات من فقد عزيز عليهم . وقد كان البرء مدهشاً من أدواء عقلية وجسمية ، حين أمكن أن يعرب المرضى عن الألم أو الحزن الذي كان ينبغي أن يجد له متنفَّساً من قبل .

وما أسخف الرأي الذي شاع في المجتمع الحديث ، بأن على الرجال والنساء أن يكظموا عواطفهم ولا يدعوها تتبدّى ، فإن اجتناب الإعراب عن العاطفة — لا إظهارها — هو الذي يشوّه الروح .

فالقاعدة الأولى التي ينبغي اتباعها عند فقد عزيز أو حبيب هي أن ترخي العنان لما تحس به فعلا من الحزن . ولا تخجل من عاطفتك ، فإن إطلاقها الآن هو الذي سيكون وسيلة شفائك فيما بعد .

إن ما كشفت عنه البحوث النفسانية — من أنه من الجوهري الإعراب عن الحزن لا كَظْمه ، والتحدث بما أصيب به الإنسان مع الأخوان والرفقاء ، والانتقال خطوة خطوة من الفتور إلى النشاط مرة أخرى — يذكرنا بأن المعلمين القدماء كانوا أهل حكمة وبصر بالطبيعة الإنسانية ، وهو ما نسيه عصرنا المتكلف . وإن التاريخ ليسجل كيف كان إبراهيم ويعقوب وداود يعربون عن حزنهم علانية وفي غير استحياء . وكان القُدامى يبكون جهرة ، ويرتدون الخشن من الثياب ، ويمزقون ملابسهم ويصومون . وإنه لمن سوء الحظ أن يكون الإعراب عن العاطفة الصادقة قد أصبح في زماننا محظوراً ، فلنفهم أن الإعراب الصريح بغير كابح عن الألم ، من عوامل الشفاء . وأن كل لف وتهرب من إظهار الحزن الطبيعي ، يلقي بنا فيما بعد في هاوية من الأسى .

فإذا تسلحنا بمثل هذه المعرفة ، وأوتينا الشجاعة والعزم ، فإن في وسعنا أن نحيا كما كان الذين فقدناهم يودون أن نحيا ،

لا فارغين ، ولا منقبضين ، أو منطوين على نفوسنا التي نرثى لهـــا ، بل خداماً شجعاناً لحياة أعظم .

وإنه لنادر أن نؤتى الشجاعة اللازمة لمواجهة فكرة فنائنا، غير أن الإنسان لايعد حراً في الحيـــاة إلا إذا كان أيضاً متحرراً من الخوف من الموت .

وأما فيما يتعلق بموتنـا فإنه ينبغي أن نتذكر ما علمنا إياه العلم عن الموت وموافاته. فإنا نفزع أنفسنا بلا موجب بفظائع نتوقعها ولا يقع منها شيء . وقد قال الطبيب الشهير السير وليم أوسلر: «تدلني تجربتي الإكلينيكية الواسعة على أن معظم الآدميين يموتون بغير ألم أو خوف . ويغشى الساعات الأخيرة من الذهول مثل مايغشى الساعات الأولى (عند الميلاد) . »

وقال مونتين كلمة في غاية الإبداع في هذا المعنى : « لما كنت في صحة تامة ، كنت أشـد خوفا من المرض مني حين أصابني فعلا ؟ إن الموت لاينبغي أن يخشى ، فإنه صديق » .

كلا، ليس الموت عدو الحياة بل صديقها، فإن العلم بأن أيامنا محدودة هو الذي يجعلها ثمينة . وقد كان أفلاطون على حق حين قال إن الحياة التي لا نهاية لها على هذه الأرض ليست مرغوباً فيها ، لأن الوجود الذي لا آخر له لاتكون له قمم ولا أعماق، ويخلو من التحدي ومن السعي والإدراك . وإنه لحق أن لذة السعي ونشوة الأماني لتنعدمان إذا كان الخلود على الأرض مقسوماً لنا .

على أننا لانجرؤ أن نغفل تلهف القلب الإنساني على نوع من الوجود فيما وراء هذه الحياة الضيقة الفسحة ، وثم إحساس عام بأن الله تأبى رحمته أن يوصد الباب كل الإيصاد على مواهبنا التي تنمو ببطء — وإنه لابد أن تكون هناك عوالم نستخدم فيها قوانا التي نلناها هنا . وليس ينبغي أن يستخف المرء بآراء الفلاسفة الذين يصرون على أنه ليس ثم ما يجعل من المستحيل أن توجد الحياة في أبعاد لاتتناولها الأحلام ، وأنه كما أن الأشعة التي تحت الأحمر لا ترى بالعين، كذلك قد يكون هناك كون مبدع نام يخفي قارات لا تخطر على البال فيما وراء مايتناوله الحس .

ثم إنه ينبغي أن نتذكر دائماً أن هناك صوراً أخرى للخلود غير استمرار الوجود الشخصي. ولعل الإنسان يكشف عن أبدع مظاهر عبقريته وأخلاها من الأثرة حين يشيح عن فكرة الخلود الفردي، ويستمد الإلهام من خلود الجنس البشري . ومن الغريب أننا كلما حصرنا تفكيرنا في خلود

الإنسانية ، صارت حياتنا الفردية أغنى . وإذا وصلنا أسبابنا بأسباب الأبطال، والحكماء والشهداء ، والشعراء ، والمفكرين من كل جنس، فإننا نجنى أحكم الآراء ، وأنبل المثل العليا ، ونفوز بموسيقى القرون التى لا تفنى. وما أفقر الإنسان الذى لا يعيش إلا فى زمانه، وما أغنى الذى يأخذ بنصيب من كنوز الماضى وآمال المستقبل .

ويقول لنا العلم والدين معاً أن الحوائل دون السكينة ليست خارجية ، وإنما هى فى نفوسنا . فإذا تعلمنا فن حب الذات على وجهه الصحيح ، وإذا تحررنا بمعونة الدين من أشباح الخوف ، ورضنا أنفسنا على مواجهة الأسى والتحليق فوقه ، وتخلصنا من الفجاجة ، واحتملنا فى شجاعة تبعات الرشد ، ونصبنا الميزان لأنفسنا وتقبلناها على حقيقتها، فكيف إذن يعيينا أن نخلق لأنفسنا حياة طيبة، ونحن قد ظفرنا بسكينة النفس ؟



## العقاب الموافق للجريمة

أراد عمدة بلدة وبورن فى ولاية ماساشوستس أن يحمل حملة شعواء على السكارى فقرّر أن يعاقب كلّ سكير يضبط ثملا مترنحاً فى الطريق العام ، بأن يوضع فى قفص دهنت قضبانهُ بطلاء فضى لامع ، وزين بمصابيح شتى الألوان، ثم يحمل على عربة يجرّها جواد فى شوارع البلدة . [ أسوشيتدبرس ]

قرّر مدير أحد السجون فى إنجلترا أن يمتنع عن معاقبة المسجونين المتمردين بوضعهم فى الزنزانة ، وأن يحملهم على لبس سراويلات وردية اللون كسراويلات النساء ثم يفرض عليهم التبختر أمام زملائهم . [ نيويورك بوست ]

علم ناظر مدرسة ثانوية فى توبيكا بولاية كانساس أن طالبين دخلا الفصل فى جيب كلّ منهما كوب من الجيلاته ، فلم يعنفهما ، بل اكتفى بأن أمرهما بأن يحفظ كل منهما الجيلاته فى جيبه . [ نيوز ويك ]

تجرى شرطة زغرب فى يوغسلافيا على طريقة بارعة فى معاقبة سائقى السيارات الذين لا يراعون قواعد المرور، فيأمرهم أن يقفوا سياراتهم على جانب الطريق وأن يفرغوا عجلاتها ، فأفضى ذلك إلى نقص كبير فى حوادث المرور .

طيار ذائع الصيت يميط اللثام عن بعض الحوادث التى وقعت فى بلاد السويد المحايدة

# الحربُ الخفيّة فى السويد

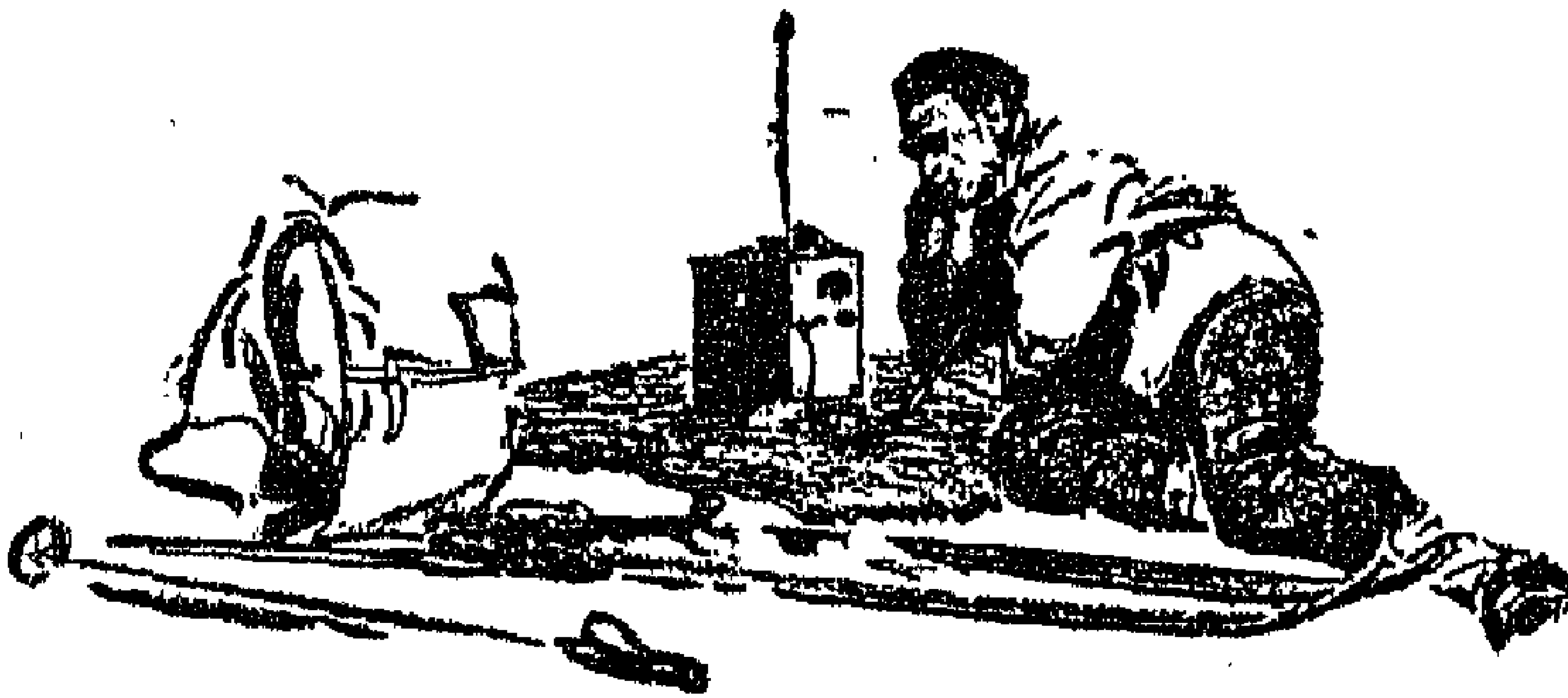
مختصرة من مجلة «كوليرز»

كولونيل برنت بالشن

إن الجهود التى بذلتها السويد فى الحرب لم تبيّن للناس بياناً شافياً . وقد كانت السويد من الوجهة الرسمية دولة محايدة ، بيد أن المعونة الخفية التى قدمها أهل السويد للحلفاء، مكنتهم من أن يجعلوا السويد قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الألمان فى النرويج .

وكان الحلفاء فى الغالب يقومون بحركتين فوق النرويج والسويد فى وقت واحد . إحداهما أن ينقلوا من النرويج شباناً لتدريبهم على الطيران ، وينقلوا أيضاً طيارى الحلفاء المعتقلين . والأخرى إمداد حركة المقاومة الخفية فى النرويج بالمؤن والعتاد . وكان السويديون ينقلون لنا على خطوطهم الحديدية المدافع والمواد المتفجرة والمخربين والجنود النرويجيين المدربين . وكانت القوات السويدية، وهى فى مناوراتها على مقربة من الحدود النرويجية ، تحمل البنادق وغيرها من المواد التى كانت تلقيها طائراتنا للنرويجيين ليستعينوا بها فى قتال الألمان . وقد نقلت إلينا ذات مرة سيارة من سيارات الشرطة السويدية بعض مواد مفجّرة ،كان من الخطر نقلها بالقطار .

والعجب أن الألمان لم يكشفوا البتة ذلك الطريق الوحيد المأمون الذى كان الحلفاء يسلكونه فى أرض النرويج ، لينقلوا الرجال والعتاد من أوسلو وإليها فى مركبات الوقود على خط «استوكهلم ـــ أوسلو» الحديدى . وقد سافر فى هذا الطريق كثير من عظماء الرجال منهم وزير الدفاع الآن فى حكومة النرويج، وكان وقتئذ قائد حركة المقاومة الخفية.



كان يكمن وراء خطوط الألمان فى النرويج من رجال المقاومة الخفية جنود كهذا الجندى يبلغون الحلفاء والسويديين أخبار النازيين بالراديو

والسفر فى صهاريج الوقود ليس متعباً كما يبدو لك ، فالمسافر ليس لزاماً عليه أن يختفى فى جوفها إلا عند المرور بإحدى المحطات أو عند اجتياز الحدود . وأروع شيء أن تسافر فى صهاريج الماء الملحقة بالقاطرات ، فيرتدى المسافر لباس الغطاسين حتى لا يموت برداً أو غرقاً ، ويترك غطاء الرأس غير مغلق حتى يستطيع أن يتنفّس ، وكانت هذه أسلم طريقة ، ولم تساور الألمان قط ريبة من قبلها . ومتى بلغ القطار إحدى تحاويل السكة الحديدية فى أوسلو ، خرج المسافر من مكمنه ساعياً إلى مهمته .

ولما طارت فرقتى لأول مرة إلى السويد حلقنا فى الجو بطائرات غير مُعَلَّمة ولا مسلحة ، واستغشينا ثياباً تستر ملابسنا العسكرية كل الستر ، لكيلا تعرف جنسيتنا بيد أنه لم يكد يمضى عام إلا وكنت ترى فى المطارات السويدية الحربية أزياء عسكرية أمريكية وبريطانية ونرويجية . وكان لنا هناك مطاران نعمل فيهما جهرة ، وأعددنا العدة لاستخدام خمسة مطارات أخرى .

وبدأنا فى تنفيذ خططنا فى أوائل سنة ١٩٤٤ ، وكان هناك نحو ألفين من النرويجيين يدربون فى السويد ، يتولى تدريب بعضهم ضباط سويديون ، وكانت الحكومة النرويجية تريد أن تنقلهم إلى القاعدة الجوية النرويجية على مقربة من تورنتو فى كندا ، كى ينالوا حظاً أوفر من التدريب . وقد اختارنى الجنرال سباتز ، لهذه المهمة . فأنا أمريكى من أصل نرويجى ، ولدت فى النرويج وعملت فى الأسطول والجيش النرويجى ، وقد حلقت فى جو النرويج والسويد ، وكنت قبل الحرب مديراً لشركة خطوط النرويج الجوية .

وكان أول ما يجب علينا هو أن نتفق مع وزير الطيران السويدى ، الذى كان يعرف خططنا ويحبّ أن يساعدنا ، على أن نضع علامات لطائراتنا ، وعلى رموز نستخدمها فى المستقبل ، وعلى ذبذبة كهربائية لتمييز طائراتنا . ودبّرنا أمرنا حتى نستطيع أن نخبر القيادة العليا السويدية بمرورنا فوق الحدود ، فلا تطلق المدافع المضادة نيرانها علينا ، ولكى ينبئنا السويديون أيضاً عن حركات الطائرات الألمانية التى تراقب الحدود . وكان راديو المقاومة السرية فى النرويج يبلغ استوكهلم فى الحال عن كل سفينة تبحر من أى ميناء نرويجى . من أجل ذلك لم تكن تمر سفينة بالشاطىء إلا وعندنا علم بإبحارها قبل أن نبدأ طيراننا ، وكنا نعلم موقع كل مدفع على شاطىء النرويج ، وأين ترابط كل فرقة من الفرق الألمانية ، ونعلم أيضاً كم عدد الطائرات وما أنواعها فى كل مطار .

وأظن أنه لم يكن لأية حركة من حركات المقاومة الخفية فى أوربة ما كان لحركة النرويج من دقة التنظيم ، وقد كنا نلقى برجال ، مكلفين بمهمات خاصة محدودة ، وكانوا ينفذونها فى الغالب على خير وجه .

وقد أنشأنا إحدى محطاتنا المهمة فى مستشفى أوسلو للولادة ، فألقينا عاملا ومعه جهاز الراديو فى ضواحى أوسلو ، فألحقه أصدقاؤنا الأطباء بوظيفة كهربائى بالمستشفى . وفى أثناء تظاهره بالعمل فى أعلى المستشفى ركّب أعمدة لالتقاط الأمواج بحيث لا يمكن اكتشافها ، ووضع جهازه فى علّية المبنى ، وسرعان ما اتصل بلندن مباشرة .

وقد ضبط الألمان بعض الرسائل الرمزية ، واستطاعوا أن يحددوا بواسطة بعض الأجهزة مصدرها فوق المستشفى فحاصروه .

وكان العامل يدير جهازه حين فاجأه رجلان من الجستابو ، فحاول أن يبلغ درجاً يؤدى به إلى السطح ، ولكنه وجد السبيل إليه مغلقاً فارتدّ وأطلق الرصاص على الرجلين ، وهبط مسرعاً إلى مدخل فى مؤخرة الدار ، حيث لقى رجلين آخرين من الجستابو فأطلق عليهما الرصاص أيضاً ، ثم تسوّر جداراً وعدا فى الطريق ، ثم دخل بيتاً وخرج إلى طريق آخر ومسدسه فى جيبه ، وكان يبدو رابط الجأش غير مكترث.

وبعد أسبوعين كان فى طريقه إلى استوكهلم .

وفضلا عن أعمال الجاسوسية التى كانت جانباً عظيما من الأعباء الملقاة على عاتق ، كانت هناك فكرة جوهرية تكمن وراء «غزونا» للسويد . فقد كان متوقعاً على الدوام أن ينشىء الألمان قاعدة حربية للغزو فى النرويج ، فكان علينا أن نخرجهم منها . ولم يكن يتسنى لنا ذلك فى النرويج نفسها ، لأن البقعة الوحيدة التى كانت تصلح هناك للهبوط هى ستافنجر ، تكتنفها سلسلة جبال يتعذر اجتيازها . لذلك رأت قيادة الجبهة الثانية أنه لا يتيسر نقل الجنود جواً إلا عن طريق السويد ، بعد أن نطمئن إلى أنها لن تكتفى بأن تأذن لنا بذلك وحسب ، بل بأن تقدم معونتها أيضاً .

وقد كلِّفت أن أعد قاعدة جوية لتكون مقدمة لهذا العمل ، ثم أبحث عن مطارات أخرى تصلح لمثل هذه المحاولة . وقد عثرنا على مُشقتين على مقربة من مطار استوكهلم الذى سمح لنا باستخدامه ، ثم أقمنا هناك محطة راديو للاستقبال ، أما محطة الإرسال فكانت فى مكان آخر . وكان لنا فى برج مطار استوكهلم رجال للأرصاد الجوية ، وضباط للمراقبة أيضاً .

ولم تكن السويد تؤدى لنا ذلك دون

مقابل ، فقد كان السويديون يريدون من زمن بعيد أن ينشئوا خطاً جوياً يمتد بين بلادهم والولايات المتحدة ، على أن تكون فى الطريق محطة لهبوط الطائرات فى أيسلاند حيث كنا قد أنشأنا قاعدة جوية . فأتيحت لهم بذلك فرصة لتحسين مركزهم فى مواصلات العالم الجوية بعد الحرب . وأكثر من ذلك أنهم كانوا يخشون محاولة الألمان أن يقتحموا بلادهم ، فأتاح لهم وجود طيارى الحلفاء فى بلادهم، أن يكونوا على صلة بالعالم الذى يحبونه ويفهمونه، هذا العالم الذى كانوا سيصبحون لولا ذلك فى عُزْلةٍ عنه .

فلعلهم أذنوا لنا مرة من أجل ذلك أن ننشىء مكتباً لتنظيم نقل المعتقلين وطلاب الطيران فى فندق استوكهلم . وكان للإنجليز هناك مكتب أيضاً . وأما الألمان فكانوا ينقلون الركاب على خطوط السويد الجوية التى كانت تصل إلى برلين .

وفى أواخر سنة ١٩٤٤ تقرر نقل قوات من البوليس الحربى ، ونقل وحدتين من وحدات المستشفيات بطريق الجو مارة بشمال السويد إلى كركينس فى شمال النرويج ليشتركوا فى مقاومة الألمان أثناء انسحابهم من فنلندة . وقد كان نقلهم عملا حربياً كبيراً ، فنزلت على استوكهلم طائرات عليها العلامات الحربية الأمريكية ، وقد رسمت على هيا كلها وذيولها شارات الغزو ، وكان الجنود يرتدون ملابسهم العسكرية فهبطوا بطائراتهم فى الليل . وكان من المقرر نقلهم على جناح السرعة ، بيد أن الجو كان رديئاً فتعذر عليهم مغادرة المطار ، فقصدت اليوزباشى أولسون من رجال الشرطة وشرحت له ما نعانيــه ، وقلت له : « لم لا تمنحهم شهادة تدل على أنهم من المعتقلين وفى وسعك أن تأخذ بصماتهم وصورهم »

فقال أولسون : « لا بأس ، وموعدنا الساعة الثامنة صباحاً » .

ثم اتصلت بوزير الخارجية وقلت له : « إنهم جميعاً يرتدون ملابسهم العسكرية ، وهم يريدون أن ينزلوا المدينة ، ولا أدرى ماذا أفعل » فقال لى : « دعهم ينزلون »

وفى إبريل كنا جميعاً نرتدى ملابسنا العسكرية ، ولو كنا هاجمنا النرويج وقتئذ لاشترك معنا السويديون . وقد أنقذ حرس الحدود السويديون كثيراً من النرويجيين الهاربين الذين كان الألمان يتعقبونهم ، وأطعموهم وأرشدوهم كيف يفعلون . وحدث ذات مرة أن جُرح أحد أعواننا والألمان يطاردونه ، فراقبه السويديون فإذا به يرمى بنفسه على الأرض فيطلق الرصاص على الألمان ، ثم ينهض فيعدو ، ثم ينبطح أخرى فيطلق

الرصاص ليصدّ مطارديه عنه قليلا ، ولما صار على بعد نصف ميل من الحدود أصابه جرح فلم يقو على العدْو .

وبلغ ذلك من نفوس السويديين ولم يطيقوه ، فاجتاز بعض الحرس الحدود وأنقذوا الهارب من الألمان بالقوة وأجاروه ، فقدم الألمان احتجاجاً إلى القائد فلم يحفل شيئاً بهذا الاحتجاج .

وفي أثناء احتلال الألمان للنرويج كانت قوافل السيارات تقطع السويد في جميع الطرق ، وكان من السهل على رجال المقاومة أن يدسوا في بعض هذه القوافل سيارتين أو ثلاث سيارات خاليات ، ثم تتخلف تلك السيارات عند مكان معين وتحل محلها أخرى غاصة باللاجئين عليها أغطية من المشمع . وكل ما كان يفعله الألمان هو أن يحصوا عدد السيارات . وأظن أننا لم نفقد غير ثلاث سيارات منها طول مدة الحرب .

كان عمل الطائرات السويدية المكلفة بمراقبة الحدود الشمالية أقرب إلى أن يكون إنقاذ اللاجئين ، فإن الألمان حين اضطروا للتقهقر مرتدين في شمال النرويج في شتاء ١٩٤٤ — ١٩٤٥ حملوا معهم العمال الروس المسخرين وبعض النرويجيين والإسكيمو ، فكان يفر منهم إلى الحدود السويدية عدد غفير .

وكان اللاجئون في بعض الأحيان يعجزون عن مواصلة فرارهم ، فيسقطون من الإعياء في المنطقة التي يحتلها الألمان ، وقد جمدت أقدامهم وسيقانهم من شدة البرد . فكانت طائرات المراقبة السويدية تلمح مئات منهم ، فيهبط الطيار إلى الأرض لينتشلهم أو يدل حرس الحدود عليهم . وقد أنقذت طائرات الإسعاف السويدية من الأرواح أكثر مما يبلغه علمنا .

وقد فر إلى السويد أثناء الحرب ٦٠ ألف نرويجي على الأقل ، تاركين وراءهم كل ما يملكون ، وكانوا يسجلون أسماءهم في المفوضية النرويجية باستوكهلم ، ثم يذهبون إلى كيستر في قلب السويد . وقد اختيرت من بينهم قوة نرويجية هائلة تولى تدريبها ضباط سويديون ونرويجيون ليشتركوا في الهجوم الأخير على النرويج . ولم تكد تأتي سنة ١٩٤٥ حتى بلغ عدد هذه القوات المدربة ١٥٫٥٠٠ جندي ، وكان كل عتادهم ومؤنهم يأتيهم من الجيش السويدي .

وقد أوى إلى السويد ما يقرب من ٢٥٠ ألف نسمة من الهاربين خوفا من السخرة ومن القتل ، من أهل النرويج والدنمرك وإستونيا ولاتفيا ولتوانيا . ولقد امتدت معونة السويديين إلى خارج بلادهم أيضاً ، فكانوا يطعمون كل يوم في أوسلو

وحدها ٥٠٠٫٠٠٠ من أطفال المدارس فى السنوات الأخيرة لاحتلال الألمان . وكان الصليب الأحمر السويدى يتولى إطعام ٧٠٫٠٠٠ طفل كلَّ يوم فى فنلندة .

ومن أغرب المعونات التى أسدتها السويد المحايدة، تسليمها لإنجلترا أول قنبلة صاروخية لم تنفجر . وقد بدأ إلقاء هذه القنابل على لندن فى أكتوبر ١٩٤٤ . وفى يولية سنة ١٩٤٤ اتصلت بى حكومة لندن طالبة منى أن أنقل بعض صناديق كبيرة من استوكهلم ، مجموع وزنها طنان ونصف طن أما ما فى هذه الصناديق فكان سراً مكتماً .

فطار البكباشى كيث ألن إلى السويد فى طائرة قديمة غير مسلحة، وحمل الصناديق الثقيلة وقفل راجعاً إلى مقرنا فى شرق أسكتلندة، ثم قدت أنا هذه الطائرة إلى أكبر مطار لاختبار الطائرات فى إنجلترا، وسلمت الصناديق للأستاذ ألكسندر الذى أيد ظنى فى أنها قنبلة صاروخيـــة أزيل دبوس تفجيرها وكانت قد وقعت فى السويد أثناء تجربة قذفها .

ويتبين من السجلات أننا أنزلنا من الطائرات على النرويج ١٤٤٢ رجلا و١٢٠ طناً من المؤن ، وقمنا بسبع وستين مهمة جوية نجحت منها ٤١ مهمة ، أما البقية فلم تنجح لرداءة الجو .

وحدث فى اليوم الذى طرنا فيه لإلقاء المؤن على النرويج لأول مرة أن زارنا الملك هاكون وولى عهده ، ليستعرضا الطيران النرويجى . وكان مجلسى بجوار ولى العهد فى مأدبة العشاء ، فذكرت له مهمتنا فى تلك الليلة ، وسألته هل يحب أن يكتب كلمة إلى مواطنيه وقد فعل ، وكذلك الملك . وأرفقت بها كلمة بينت فيها كيف صارت إلى الرسالتان . فلما أردت أن أقوم استأذنت الملك فغمز لى بعينه.

وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى زارنا الملك وولى عهده وقائد سلاح الطيران النرويجى ، فلما أديت التحية للملك بادرنى قائلا : « ماذا فعلت ؟ »

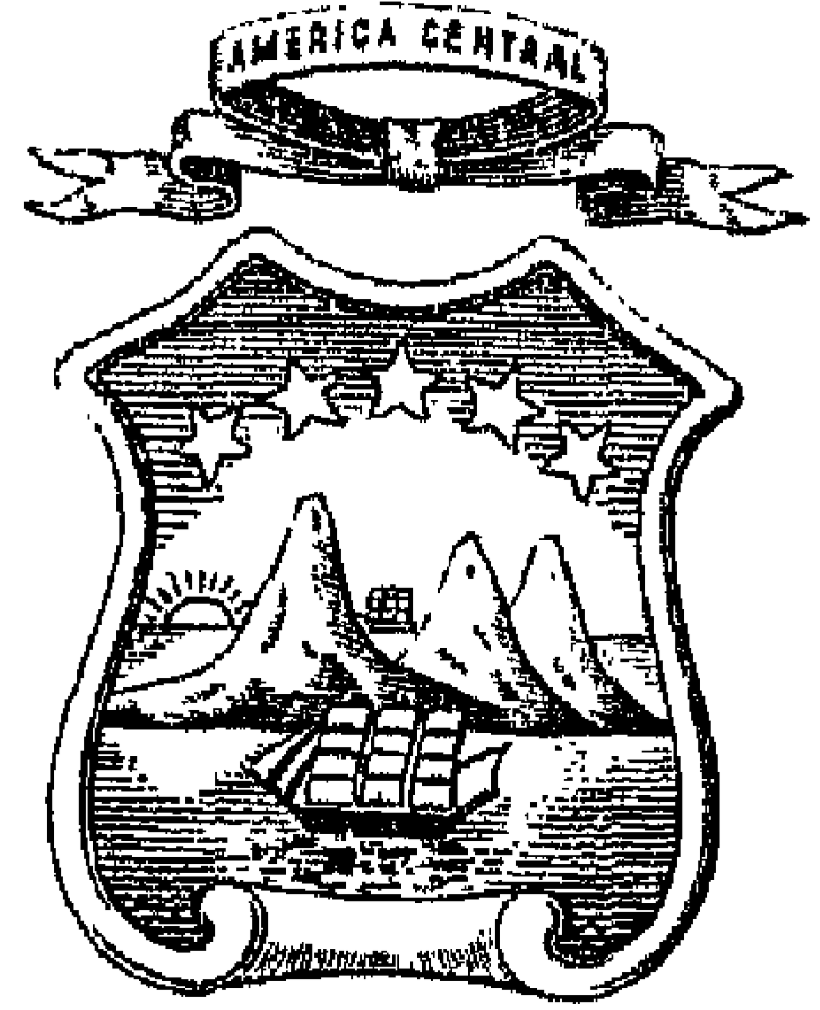
فقلت : «لقد بلغت الرسائل يامولاى» .

فأومأ برأسه وقال : « لا يمكن أن أتصور ذلك ، لقد تناولنا طعام العشاء معاً ليلة أمس ، فما لبثت بعدئذ أن ذهبت إلى النرويج ، وها أنت قد عدت» .

وفى أثناء الطعام أقبل ساع يحمل رسالة تقول: « وصل كل شىء ، وكذلك الرسالة شكراً لكم » ، فقدمت الرسالة للملك فجعل يحدّق فيها مليًّا كالمتعجب .



رجل فرد متوقد البصيرة ، يمهد الطريق لنهضة أمته




# رجل يعلم شعبا

ميكل سكالي
مختصرة من مجلة "ذي اترامريكان"

تكتنف جمهورية كوستاريكا القائمة في أمريكا الوسطى بلاد تعتورها الحروب الأهلية والحكومات الدكتاتورية في الحين بعد الحين ، بيد أن هذه الجمهورية مافتئت منذ أجيال ماضية على نهجها ، تعنى بمزارع بنها المنتشرة خضراً وحمراً في أرضها كمربعات رقعة الشطرنج . وهي لاتبالي إلا بما يعنها . وهي تعرف ما الحريات الأربع وتمارسها . أما حرية التعبير ، فإن في صحافتها واجتماعاتها العامة متنفساً للمناقشة الحادة في أي موضوع . وأما حرية الدين ، فإنها بلد سواد أهله من الكاثوليك ، غير أن حكومته ترعى رعاية دقيقة حقوق أهل المذاهب الأخرى جميعاً . وأما التحرر من العوز ، فلست تجد فيها ثروات ضخمة ، وتكاد لا ترى فيها فاقة أو خصاصة . وأما التحرر من الخوف ، فإن جيشها الصغير ليس سوى رمز لسيادتها ، ويدير شئونه رجل من غير أهل الحرب يعرف باسم «وزير الأمن العام» لا باسم «وزير الحربية» .

وقد لجأ إليها آلوف من مشردي السياسة جاؤوها من شتى أمم الأرض، ولكن لست تجد من أبنائها هي مشردين سياسيين .

وجمهورية كوستاريكا تحتقر مظاهر الأبهة والفخامة ، ودار برلمانها أدنى شبهاً بدار مجلس بلدي . ورئيسها الشاب بيكادو كان محامياً ومدرساً ، وهو يقطن داراً من أوساط الدور . غير أن أهلها قد أشربت قلوبهم حب الثقافة والتخلق بأخلاق المواطن الصالح . وعاصمتها سان جوزيه بصفوف منازلها الصغيرة الزاهية بالألوان ، مدينة أنيقة جميلة ، وتختلط في شوارعها السيارات الفخمة بعربات زينت برسوم بهيجة تجرها ثيران تتدلى الأزهار من أعناقها . ومفخرة سكانها ، الذين يبلغون تسعين ألفاً ، هي المسرح القومي الذي يعد درة من الدرر، ويضم فرقة للموسيقى الرفيعة تزهى بها مدينة عظيمة . وتصدر فيها خمس صحف يومية أو ست ، ومجلة فذة تدعى « إلريبا تورتيو أمريكانو » يمتد نطاق

أثرها الثقافى الحر إلى قراء الإسبانية فى شق العالم الغربى .

وأعجب ما فى كوستاريكا أن كل هذا قد صدر عن الشعب ، وقد بدرت بوادره فى أحوال تثبط الهمم . وقد كانت كوستاريكا فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخها تعانى الفقر ، وتكابد بلاء الصراع بين أهلها . وكان فيها جامعة صغيرة تخرّج كل سنة فئة قليلة من المحامين والقسيسين والشعراء ، ولكن الذين يعرفون القراءة كانوا دون عشرة فى المئة . وقد ظل تسعون فى المئة من الشعب أمياً حتى العقد السابع من القرن الماضى — فكانوا نهباً سائغاً للمختالين من رجال السياسة والمغامرين من رجال الحرب .

ثم قام فيهم رجل تتّقد بين جوانحه عقيدة راسخة بأن « الديمقراطية لن تقوم لها قائمة بغير أفراد من المواطنين يحسنون الإدراك والفهم ، وهذا شيء لا يمكن أن ينشّأوا عليه إلا فى المدارس » . وكذلك خرج فى سنة ١٨٨٥ رجل رضىّ الطلعة قوى العزم ، يدعى « مورو فرنانديز » ليعلم الشعب — الشعب بأسره . وقد كان من أثر الحرب التى شنها على الجهل ، أن باتت كوستاريكا اليوم أكثر بلاد المناطق الحارة تعلماً وأقلها أمية ، فهى تسبق إسبانيا وإيطاليا واليونان ودولاً كثيرة من دول أوربا الجنوبية . وهى تخصص نحو خمس ميزانيتها للتعليم ، وتنفق ٨٤ ٪ من هذا المبلغ على أعجب نظام للمدارس الابتدائية فى العالم قاطبة . ففى أرض مساحتها نصف مساحة تونس، تجد ٨٥٠ مدرسة يقوم عليها ٨٥٠٠ من المدرسين ، ويتلقى العلم فيها ٨٠٠٠٠ من الأطفال . و ٩٠ ٪ من هذه المدارس مباحة للناس جميعاً مجاناً .

ويوم ولد مورو فى سنة ١٨٤٣ لم يكن فى البلاد سوى عشرات من النساء يعرفن القراءة والكتابة ، منهن أمه مرسيديس ده فرناندز ، فقد مات عنها زوجها ولم يخلف لها شيئاً سوى ثلاثة أطفال — ابنتين وولد . فزاولت التدريس والخياطة ، وقترت على نفسها لتدخر ما تستطيع حتى تتيح لابنها مورو نُتَفاً من التعليم . فلما بلغ السادسة عشرة كان يشغل وظيفة كاتب فى الحكومة ، ويعلم أطفال الجيرة ، ويدأب على تلقى الأدب والموسيقى من والدته . وأعظم شأناً من ذلك كله أنه قضى ليالى كثيرة مع محام بريطانى شاب يعلمه الإسبانية ويلتقط منه الإنجليزية ومبادىء القانون .

وقد أدرك مورو السادسة والعشرين قبل أن يظفر بإقناع الجامعة بأنه نهل من المعارف ما يؤهله للحصول على درجة فى القانون . وقد كان يومئذ معاونا لأحد

الوزراء، وربما كان أحسن شباب كوستاريكا تمرساً بالأعمال ومرانة عليها . ونشأته فى دواوين الحكومة علمته أن فئة قليلة من الرجال تستطيع أن تتلاعب بالجماهير الأمية وفقا لأهوائها ، وأن الشعب يعانى من جراء جهالته الشدائد — اضطراب الأمن والفقر والمنازعات الدامية . وقد قضى مورو بفضل صديقه الإنجليزى سنة فى مكتب محام فى لندن ، وتبين كيف تكون الديمقراطية فى هيئات الأمة : من المدرسة إلى مجلس النواب . ثم عاد وقد عزم على أن يوطد لمبادىء الديمقراطية الصحيحة فى بلاده .

وكان لا بدَّ لهُ من عزيمة ماضية ، فقد كان ضئيل البدن نحيلاً سقيماً . فقد عجزت يده اليمنى من جراء شلل أصابها قبل أن يبلغ الثلاثين، فتعلم كيف يكتب بيده اليسرى. ومضى قدماً فى حياة جمعت بين القانون والسياسة والتجارة ، فلما بلغ الثانية والأربعين من عمره كان قد حصّل من المال ما يغنيه ، وأصبح موضع ثقة الناس فى كوستاريكا . ولقد حثه أصحابهُ على أن يسعى إلى رياسة الجمهورية ، غير أن مآربهُ السياسية لم يكن لها سوى هدفٍ واحد : أن يساعد صديقه برناردو سوتو حتى يصبح رئيس الجمهورية ، فلما تمّ ذلك كوفىء مورو بأن قلد منصب وزير المعارف .

فشرع يصلح ما كان يسميه الناس تجوّزاً نظام التعليم . فقد كان مفروضاً أن فى كوستاريكا مئة مدرسة مختلفة الأنواع ، بيد أن بعضها لم يكن له وجود إلا على الورق ، أما مبانيها الخاوية فقد استأجرتها الحكومة من السياسيين المحتالين، وقد أغلق بعض هذه المدارس لأن مالها قد نفد . أما المدرّسون الذين كانت تعوزهم الدّربة وينالون أزهد الأجور ، فقد انطلقوا يلتمسون لأنفسهم أعمالا تعينهم على العيش . ولم يكن حضور الدروس فرضاً لازماً ، وكان هذا النظام السقيم المضطرب لا يشمل سوى ربع السكان، وكان نصف اعتمادات التعليم ينفق على مدرستين ثانويتين وعلى الجامعة ، ولم يكن فيها جميعاً سوى ٢٤٠ طالباً .

وكان مورو يدرك أن الوسائل الناقصة لا تثمر ، فعزم على أن يضع نظاما جديداً شاملا للتعليم ، يكلف الدولة خمسة أضعاف المقرّر للتعليم فى ميزانيتها . ثم تقدم إلى الكونجرس وحمل حملة شعواء على النفاق الشائع بين الناس : إنهم يزعمون أن كوستاريكا دولة ديمقراطية، ومع ذلك فإنها تنكر على الناس حق تعليمهم أصول التربية الوطنية . قال : « والتربية الوطنية عمادها أن يعرف المرء نظم بلاده ، وأن يعرف

العامل كرامته وللعمل قيمته » وهذه أشياء ينبغى أن تتولى المدرسة تعليمها .

وقد أقنع منطقه الواضح الحاسم كثيراً من الذين كانوا قانعين بالنظام القديم ، وتجرّأ فأدخل فى هذا البلد المنعزل الصغير مايعدّ أروع إصلاح للتعليم فى ذلك العهد .

فكان أول ما فعل أن ألغى الجامعة ، وكان رأيه أن الدولة لا تستطيع أن تنفق على هذا الضرب من الترف الغالى ، وتتولى فى الوقت نفسه الإنفاق على إنشاء نظام لتعليم الشعب كافة . فإن الشبان الذين يرغبون فى دراسة الآداب والفنون العالية ، لهم من الثروة مايعينهم على السفر إلى الخارج فى طلب مايبتغون . وبذلك يتاح لهم أن يعودوا إلى بلادهم مزوّدين بما ينفع بلادهم من الآراء والأفكار .

وكان أهم ماتتطلبه كوستاريكا هو المعلمين ، فأنشأ مدارس للمعلمين والمعلمات ، وأرسل صديقاً له إلى سويسرا ليستحضر الذين يتولون التعليم فى هذه المدارس . وقد اختار سويسرا لما أثر عنها من آراء جديدة صالحة فى التعليم ، ولأن مساحتها وموقعها الجغرافى يجعلان ماتواجهه من مشكلات التعليم شبيهاً بما تواجهه كوستاريكا . وقد اصطفى مورو خمسين فتى وفتاة بعد اختبارهم ليدرّبوا على نفقة الدولة ، ثم ليكونوا نواة هيئة المدرسين الجديدة .

ثم أنشأ مدرسة ابتدائية نموذجية ، حيث يتعلم فيها صفوة من المعلمين القدماء أساليب التعليم الجديدة ، بالملاحظة وبالممارسة . وأصدر مجلة للمعلمين اسمها « المعلم » تنقل آراء أعظم رجال التعليم فى العالم ، وزاد مرتبات المعلمين ، ووضع نظاما لمعاشاتهم ومكافآتهم عند مرضهم ، فكان أول نظام من نوعه فى أمريكا اللاتينية ، فكان من أثره أن أدخل الطمأنينة على نفوس رجال التعليم .

وزاد عدد المدارس الابتدائية ضعفين أو أكثر ، وجعل التعليم إجبارياً ، وسن قانونا جديداً يحظر تسخير الأطفال فى الأعمال فى ساعات الدراسة . وسنّ قوانين أخرى لتزويد الطلبة الفقراء بالكتب مجانا ، وجعل الفحص الطبى والتطعيم حتما على الجميع . وأدخل فى المدارس الثانوية تدريس العلوم والدراسات الفنية واللغة الإنجليزية ، ليخرّج رجالا تحتاج إليهم البلاد فى نهضتها ورخائها .

وأعظم ماتم على يديه هو منهاج المدارس الابتدائية ، وكان أعظم ما جعله كذلك مافيه من حرص على تربية الأطفال على الدقة فى العمل والسعة فى التخيّل . وقد ألغى الرياضة المملة ، وجعل كل ساعة من ساعات الدراسة حافلة بالمغامرة والمنافسة . ففى تعليم الجغرافيا مثلا يبدأ الطفل بأن يرتاد مدرسته وبيته والطريق الذى بينهما ويصف ذلك كله ، ثم

يجول مستكشفاً نواحي المدينـة مستطلعاً مصانعها ومتاجرها ومنشآت ضوئها ومائها، يتبين كيف يختار موظفوها وكيف تدفع لهم أجورهم.

ثم يرسم خريطة كوستاريكا بما فيها من نجود يزرع فيها البن، ومن مناطق على الساحل تزرع فيها أشجار الفاكهة وقصب السكر، ومن طرق تفضي إلى أسواقها. ثم يرسم قناة بناما ويعين الطرق التي تسير فيها حاصلات بلده إلى سائر بلاد العالم. ثم يدرس بعد ذلك تلك البلاد، ويجمع في دفاتر خاصة قصاصات من الصحف والمجلات التي تصور له أساليب الحياة فيها. فلا تكاد تنقضي سنوات على ممارسته هـذا اللهو المحبب، حتى يكون الطفل قد استوعب من علوم الاقتصاد والسياسة ما يؤهله أن يكون مواطناً نافعاً.

وعلى هذا المنهاج الخلاب نفسه يجرى تعليم التاريخ ووظائف الأعضاء والرياضيات أيضاً، ويلعب الطفل من الألعاب ما يتضمن كثيراً من مسائل الضرائب والمعاملات المالية والتجارية. وأما البنات فلا يتعلمن الطبخ والخياطة وحسب، بل يخرجن إلى الأسواق فيشترين حاجاتهن ويقدمن تقريراً يذكرن فيه ثمن كل شيء وسبب رخصه أو غلائه.

وقد كان رأى مورو «أن التربية ينبغي أن لا تكون مقصورة على المدرسة»، فأنشأ أول دار عامة للكتب وأهدى إليها طائفة من كتبه الخاصة، وأسس متحفاً حيث يستطيع كل من يعرف القراءة أن يظفر بما يريد من تاريخ كوستاريكا وجغرافيتها ومواردها. وقد تفرع من دار الكتب التي أنشأها في سان جوزيه، ٢٠٠ دار أخرى يقبل الناس عليها إقبالا شديداً.

فلما مات هـذا الرجل النحيل في سنة ١٩٠٥، خلـف وراءه شعباً ٦٠ ٪ منه يجيدون القراءة والكتابة، يقابلهم في زمن حداثته ١٠ ٪، وقد بلغت النسبة الآن ٨٥ ٪. وفي كوستاريكا اليوم ١٢ مدرسة ثانوية ممتازة، وقد عنيت الدولة بتأسيس مدارس للعلوم، والهندسـة، والفلسفة، والآداب، والاقتصاد، وطب الأسنان، طبقاً لما تحتاج إليه البلاد. وفي سنة ١٩٤١ ضمت هـذه المدارس وصارت جامعة من الطراز الحديث.

وليس في وسع رجل فرد أو جماعة من الناس أن يستغلوا غفلة شعب حسن الإدراك والفهم. وكوستاريكا اليوم تحسن إدراك مشكلاتها العامة والخاصة، وقد كان هذا مرمى مورو يوم شرع منذ ٦٠ سنة مضت في أن يهيء لقومه بالتعليم استقراراً وطيداً وحياة رخيـة وثقافة نامية.

خطة تتيح للعامل « فرصة للمغامرة والربح » فى نطاق النظام الرأسمالى

# "ينبغى أن يكون للعمال نصيب فى النظام الرأسمالى"

اريك جوليستون
مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

يقضى المذهب الاشتراكى بأن يعمل كل فرد للدولة، فينال مقابل ذلك ضمانا يوقيه نوائب الحياة، أو هذا هو الرأى على الأقل. فالدولة هى السيد الدائم المطاع، والفرد خادمها الراضى المقيم على الولاء لها.

أما المذهب الرأسمالى فيقضى بأن كل رجل حر يتصرف كما يشاء وإن كان أجيراً لرجل آخر أو لشركة، وليس لأحد أن يفرض عليه عملا يعمله أو يحدد له زمن قيامه بذلك العمل. وليس لأحد أن يمنع عاملا مأجوراً أن يصير صاحب عمل يستأجر عمالا، أو هذا هو الرأى على الأقل.

وتجد الناس فى أمريكا التى بلغت فيها الرأسمالية أوج ازدهارها، يؤكد بعضهم لبعض أنهم يؤمنون بهذا النظام بكل قلوبهم، غير أنهم يدركون أن نظامهم هذا بعيد عن الكمال، وفيه من العيوب ما يفسح المجال لأقلية صاخبة أن تطعن مواطن الضعف الحساسة فى جسم الرأسمالية طعناً قويا. وهذا يخيف أنصارها، فتراهم يخشون أن يردوا على الطعن بمثله. وترى أمم العالم قاطبة ماضية إلى الاشتراكية لاتلوى على شىء.

وإذن فقد آن الأوان للذين يؤمنون منا بالنظام الرأسمالى، أن يحرصوا على تأييده دون خوف أو وجل. وما كنا حتى اليوم إلا متترين دفاعاً عنها.

وإذا كان النظام الرأسمالى ينطوى على نهج للعمل الخاص الحر، فلا يجوز لنا أن نتطلع إلى الحكومة لكى تمسك عليه رمقه وتمهد له الحياة والنماء — فهذا طريق يفضى إلى سيطرة الدولة على الاقتصاد القومى. وإذا كان النظام الرأسمالى ينطوى على أن الفرد سيد كامل الحرية، فيتعين علينا أن نضمن أن هذه الحرية الكاملة ليست مزية خاصة يتمتع بها أفراد قلائل، بل مزية يتمتع بها جميع الناس. وينبغى أن تكون المنافع عامة أيضاً كحرية العمل.

ونحن نقول إن المنهج الرأسمالى يتيح لكل امرىء فرصة للاقدام على المغامرة والربح، غير أن الحقيقة المريرة الغالبة اليوم

هى أنه ليس فى وسع كل امرىء أن يُقدم ، وليس لكل امرىء نصيب كامل فى الربح الذى يثمره نظام الأرباح .

إن الرجل من أوساط العمال فى جماعة رأسمالية ، يحز فى نفسه اليوم أنه لايستطيع أن يقدم غير هيّاب للعواقب ، فهو يعلم أنه يعيش فى جماعة رأسمالية ، ولكنه لايحس أنه عضو فيها ، وليس له ما يعتمد عليه إلا أجره المحدود . فإذا ساءت الحال أصبح الأجر شيئاً غيرمضمون . وهو يعمل لقاء أجرمعين ، وليس له أن يتطلع إلا إلى هذا الأجر. فلا يجد فى عمله مايحرك همته ويثير حب المغامرة فى نفسه . ولما كان قد عَدِم كلّ فرصة تتيح لهُ أن يجنى من هذا النظام شيئاً يضاف إلى أجره ، تراه لايحس بأن هناك آصرة تجمع بينه وبين هذا النظام.

ومن الواضح أنه ليس فى وسع جميع الناس أن يملكوا عملا يديرونه بأنفسهم ، ولكنّ هذا لايمنع أن يكون لكل امرىء حق فى نصيب من منافع هذا النظام . فإذا كانوا عاجزين عن أن ينشئوا أعمالهم الخاصة، فينبغى أن تتاح لهم فرصة لمشاركة أصحاب الأعمال الذين يستأجرونهم ، وأن يكون لهم نصيب من الربح إن وجد .

وقد حاولت أربع شركات لى يدٌ فى إدارتها ، أن تفعل هذا منذ زمن طويل ، فخلصنا أخيراً إلى الاعتقاد بأننا خليقون بتحقيق ما نصبو إليه ، إذا أخذنا بمبدأ توزيع قسط من الربح على العمال ، وبمبدأ إشراكهم فى الإدارة ، فيحسون أن العمل عملهم هم ، لا عمل جماعة غريبة عنهم .

وقد أردنا أن تصبح أعمالنا « أعمالا مشتركة » تتحد فيها مصلحة العامل ومصلحة صاحب العمل فتصيران مصلحة واحدة . وقد أردنا أيضاً أن يشترك معنا عمّالنا فى تقرير ما يجوز أن نُقدم عليه ، وتعيين نصيبهم من الربح إذا أصبنا نجاحا فيما نقدم عليه . والترحيب بمشورة العمال ومقترحاتهم لايعنى أن مجلس الإدارة تخلى عن حقه فى إدارة العمل . وقد كان رأينا أن الحكم الأخير من حقه هو ، ولكن الآراء الجديدة النافعة ليست احتكاراً للمجلس ، وهذه الآراء هى أغلى الدّرر وأنفسها فى جميع الأعمال .

وليس منهجنا هذا ضربا من الإحسان ، فنحن نرى أن الأخذ بمبادىء توزيع قسط من الربح على العمال ومشاركتهم فى الإدارة ، أمر نافع مطابق لحقيقة الأحوال ، وتقتضيه مصلحة العمل نفسه . ونحن لا نزعم أن منهجنا حل تام لمشكلة النزاع بين العمال وأصحاب المصانع ، ولا هو رأى جديد . وقد

منذ سنوات وأهل التجديد من رجال الأعمال يسعون إلى إشراك عمالهم فى دراسة مشكلات العمال ، وإعطائهم نصيباً عادلا من ثماره . وإنما نحن نتوسل بوسائل خاصة بنا لتحقيق هذا الغرض فى شركاتنا ، ونظن أن منهجنا يخفف سورة الجفاء التى تسود علاقات العمال بأصحاب العمل . بيد أننا نعلم أن التوفيق يخطىء هذا المنهج، إذا لم يعن رجال الإدارة أشد عناية بصنع بضائع جيدة تعود بربح وفير .

وقد أنبأنا عمالنا أن توزيع قسط من الربح عليهم لا يقصد به أن يكون بديلا من المرتبات الحسنة والأجور العادلة. وأما القسط من الربح فهو جزاء مايسديه العمال من يد فى نجاح العمل . ومنهجنا قائم على أن نوزع على عمالنا ٢٥ ٪ من الربح الصافى قبل خصم الضرائب وأرباح المساهمين ، وننوى أن ندفعه لهم جملة واحدة مرة فى السنة . وقد وضعنا خطة محكمة حتى ينال كل نصيبه العادل وفقاً لطول خدمته ، ولما يحمله من تبعات ، وهكذا . والمبدأ الذى نجرى عليه هو هذا : أن يتبين العامل الصلة الوثيقة المباشرة بين ماينتجه وبين نصيبه من الربح.

وثمة وسائل أخرى للحث على الإنتاج : كتوزيع الأسهم ، والمكافأة عن زيادة الإنتاج ، والجوائز التى تمنح للمتفوقين ، ولكنها جميعاً ترمى إلى هدف واحد .

وربح الشركات إنما يزداد إذا أحسنت الإدارة عملها ، وإحسان الإدارة يقتضى أن تنتفع بآراء كل رجل يضمه العمل . ونحن نظن أن خير وسيلة لتحقيق ذلك هى ما نسميه « المشاركة فى الإدارة » . ففى كل شركة « مجلس إدارة صغير » مؤلف من سبعة أعضاء يمثلون أقسام الشركة : المكتب ، وقسم البيع، وجماعة عمال المصنع، وهكذا . وأعضاء المجلس الأول يعيّنون تعييناً ، ثم يكون لهم وحدهم بعدئذ أن ينتخبوا الأعضاء الجدد ، وقد يحل عضوان مكان عضوين كل ستة أشهر ، وقد لا يتمّ ذلك ، فهذا رهن بمشيئة المجلس وحده . ولا يجوز لكبار المديرين وأعضاء مجلس الإدارة الأعلى أن يكونوا أعضاء فى هذا المجلس .

والمجلس الصغير يحقق غرضين نافعين : فهو يقترح مايرى لتحسين العمل ، ثم هو ميدان يتدرب فيه الرجال ليشغلوا مناصب المديرين العالية ، أو ليكونوا أعضاء فى مجلس الإدارة الأعلى .

وهذه الخطة لا تعارض خطة لجان اتحاد العمال التى تمثّل عمال الاتحاد فى شركاتنا ، ولا تؤثر فى صلة تلك اللجان بالإدارة .

إن طموح المرء إلى الارتقاء والاتقان ،

هو الدم الجارى فى شرايين النظام الرأسمالى. والخير العام معقود بناصية هــذا الطموح وتحويله إلى عمل نافع. وسوف يتنافس النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى فى العالم قاطبة للظفر بالتأييد والمناصرة. وكلاهما فى دور تجربة واختبار، ولن يعقد النصر فى آخر الأمر إلا للنظام الذى يكفل أكبر قدر من الخير لأعظم عدد من الناس.

## غلبة الوهم

كان المؤلف الموسيقى موريس راڤل، كلِفاً باقتناء الكتب والصور النادرة، والآنيــة المصنوعة من الخزف النفيس، وغيرها من التحف. وكان فى مكتبه قاعدة أقام عليها أنفس ذخائره — كرة من البلور الداخن، وكان لا ينى عن المفاخرة بها حين يزوره زائر من خُلصائه

وكان الزوار يهمسون همس المحتفل المعجب: «أين وقفت عليها ياموريس؟ إنها بديعة!» . فيقول موريس متكلفاً الوقار: «أتظن حقاً أنها بديعة؟ الحقيقة أنها زجاج مصباح كهربائى محترق» . [ ل. ل. إدجار ]

## همسة فى مسرح!

فى عهد الملكة ڤيكتوريا ذهبت سارة برنار، الممثلة الفرنسية العظيمة، إلى لنــدن حيث مثلت دور كليوباترة على أحد مسارحها. وقد تجــلى فن برنار فى ذات ليلة، فمثلت دور الملكة المصرية المتلهبة أبدع تمثيل وأصــدقه، وحين جاءها الخادم بنبأ هزيمة أنطونيو، طعنته. ثم ثارت ثائرتها فصارت تهرف، ومضت تحطم كلّ ما تصل إليه يدها من رياش القصر، ثم هوت كومة إنسانية بين الأنقاض حين نزل الستار. وفى أثناءِ سكون قليــل تخلل عاصفة الهتاف والتصفيق، سمعت سيدة إنجليزية عجوز وهى تقول لصاحبتها قولا ينم على الرضى: «ما أعظم الفرق! ما أعظم الفرق بين حياة كليوباترة وحياة مليكتنا العزيزة!»

[ صحيفة كرستيان سينس مونيتور ]

« تهاويل القنبلة الذرية . . . « لقد جمح الخيال » هكذا كتب ده سيفرسكى فى وصف ما كان للقنبلة الجديدة من وقع فى نفوس الناس . وإليك ما يقوله كبار الخبراء فى الرد عليه :

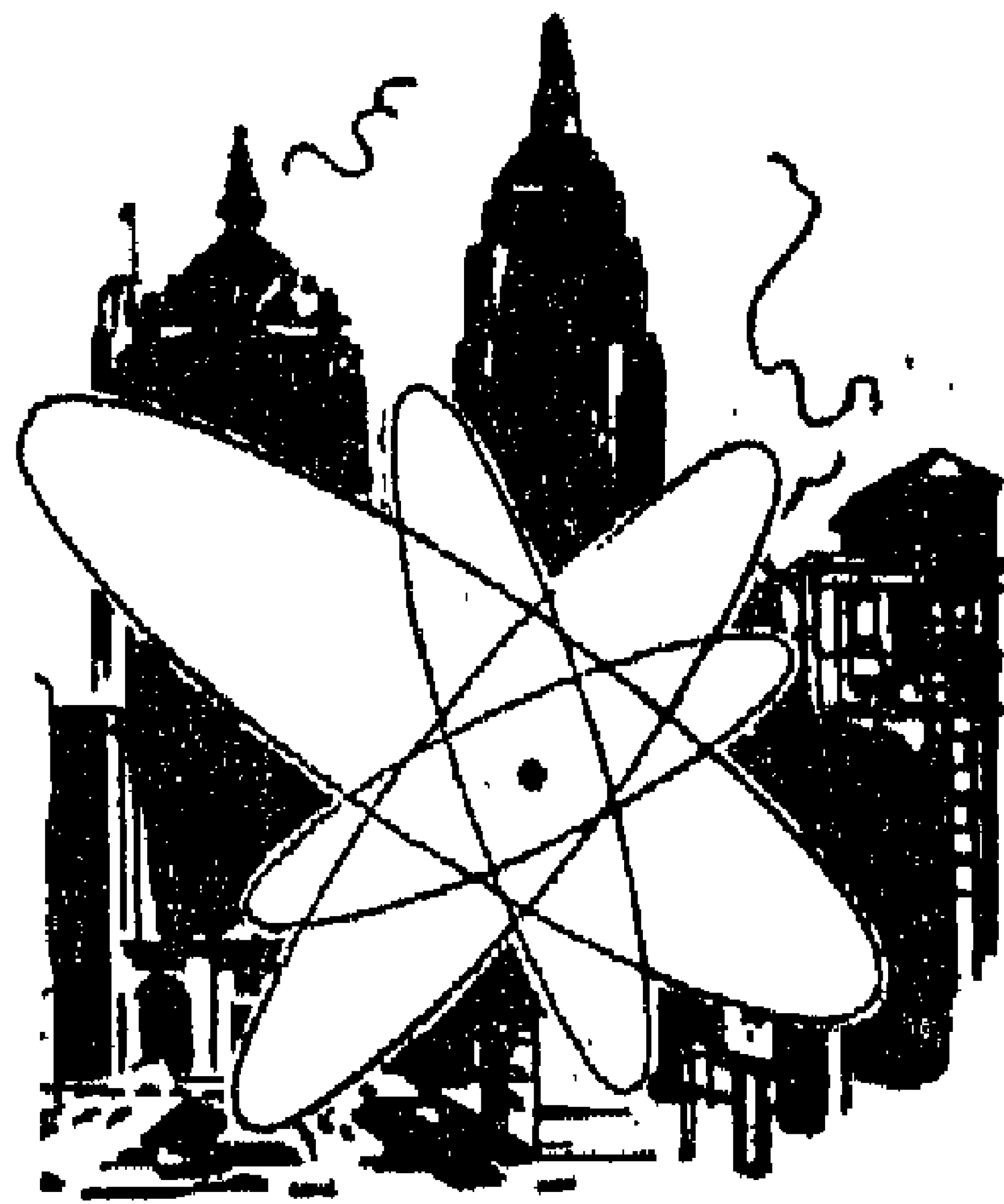
# لو ألقيت قنبلة ذرّيّة على مدينة نيويورك

روبرت ليتل

ماذا يحدث لو أخذتَ إحدى القنبلتين الذريتين اللتين ألقيتا على اليابان ، وقذفتها على مدينة نيويورك ، أو على كبرى ناطحات السحاب فيها على التخصيص ؟

وجهت هذا السؤال إلى الجنرال توماس فاريل ، الذى كان وكيلا لمشروع صنع القنابل الذرية ، ثم عهدت إليه الحكومة أن يفحص الدمار الذى حاق بمدينتى هيروشيما ونجازا كى ، فقال :

« إذا أحكم تفجيرها نسفت ناطحة السحاب « إمپير ستيت » ، وجعلتها هباءً منثوراً . وقد يبقى منها بضع طبقات فوق سطح الأرض ، ولكنها تكون غير صالحة للسكنى . ولو فجرت حيث ينبغى أن تفجر ، لصدمت الجزء الأعلى وألقته على الأرض . وليس بين القنابل الكبيرة التى سبقت القنابل الذرية ، قنبلة تستطيع أن تفعل شيئاً من هذا مهما بلغت ضخامتها .



وقد تولى فريق كبير من خبراء العلم والطب والحرب ، فحص الخراب الذى حاق بمدينتى هيروشيما ونجزا كى ، فظلوا شهرين يسألون الشهود ، ويقيسون المسافات ، ويصوّرون الصور . وهم يستطيعون ، استناداً إلى بحوثهم الوافية ، أن يقدروا تقديراً دقيقاً ما يحتمل أن يحدث فى مدن أخرى ، لو ألقيت عليها قنبلة ذرية .

والخبراء مجمعون على مخالفة رأى ده سيفرسكى* حيث يقول : إنه لو ألقيت إحداها على نيويورك أو شيكاغو لما زاد ما تحدثه من التدمير وما تقتله من الناس ، على ما تفعله قنبلة من ناسفات الربوع زنتها عشرة أطنان .

وهم يعتقدون أن مقالة ده سيفرسكى

* تهاويل القنبلة الذرية : المختار ، أبريل ١٩٤٥ ص ٨

تهوّن خطر القنابل الذرية، وتملأ القلوب طمأنينة كاذبة فى هذه الأوقات الحرجة .

أما القنبلتان الذريتان اللتان ألقيتا على هيروشيما ونجازاكى فقد فجرتا قصداً على ارتفاع كبير ، لكى تشمل موجة الضغط الناشئة عن التفجر أوسع مساحة ممكنة .

وكان مركز الانفجار على نحو ألفى قدم فوق سطح الأرض ، أما رقم الارتفاع الحقيقى فلا يزال سرًّا . وعلى أن مركز الانفجار كان على هـذا البعد من سطح الأرض، فقد دُمرت مبانٍ مشيدة بالأبرق ( الأسمنت المسلح ) تدميراً تامًّا ، وكان منها مبنى سجن تبلغ كثافة جدرانه ثمانى بوصات . وعلى بعد قليل منها كانت مبانٍ أخرى مشـيدة بالأبرق ،فدمرت طبقاتها العليا . وأما المبانى المتعددة الطبقات المشيدة بالطوب ، فقـد سويت بالأرض فى دائرة نصف قطرها ميل ونصف ميل ، أو نحو ذلك . وفى مدينة نجازاكى حمل الضّغط مداخن المصـانع ، أو صـدعها ، أو قلبها فى دائرة نصف قطرها أربعة آلاف قدم . وقد انهارت بعض الثكنات على مسافة أربعة أميـال ونصـف ميـل من المركز . وقد تحطم عشر الزجاج على بعد سبعة أميال ، وتحطم بعضـه على مسافة ١٢ ميلا .

وحين نرفع عيوننا إلى أبراج المبانى فى مدينة غربية ، يسهل علينا أن نظن أنها أمنع من مدن اليابانيين الواهية ، ويسهل أن ننسى أن تسعة أعشار المدن العظيمة ، أو أكثر من تسعة أعشارها ، مؤلفة من مبان منخفضة مشيدة بالطوب أو الحجارة أو الخشب ، وأنها ليست أمتن كثيراً من المبانى التى انهارت فى هيروشيما ونجازاكى .

والجنرال فاريل مهندس ممتاز ، فلما سألته أن يتوسع فى وصف ما يحتمل حدوثه فى نيويورك لو ألقيت عليها قنبلة ذرية قال : « إذا فجرت قنبلة ذرية واحدة على الارتفاع المطلوب، فوق أمثل حى فى مدينة نيويورك، لشمل الخراب الشديد الناشىء عن ضغط التفجر ، مساحة نصف قطرها ميـل أو أكثر» ، أى أن المبانى فى رقعة مساحتها ثلاثة أميال تسحق سحقاً أو تغدو غير صالحة لسكنى من قد يبقى حيًّا من سكانها .

ولكن ألا تستطيع المبانى التى شيدت للكاتب أن تثبت على قوة هـذا التفجر ؟ وقد وقفت مع الدكتور فيليب موريسون ، العالم الطبيعى الذى اشتغل فى المعامل التى جمعت فيها القنبلة فى نيومكسيكو ، ورمينا ببصرنا إلى شارع تقوم هـذه المبانى على جانبيه فقال : « إن ناطحات السحاب تبدو أمتن مما هى حقاً ، فهى مؤلفة من قطع من الطوب بعضها فوق بعض ، ولها واجهات

من الحجر ، والطوب والحجارة مستقرة داخل هيكل من الصلب ، فإذا انفجرت قنبلة كقنبلة نجـــازا كى فى الهواء قرب هذه المبانى ، تهاوت قطع الطوب والحجارة كما تتساقط أوراق الشجر ، فتقتل من فى داخلها أو تجرحهم ، وتسدُّ أنقاضها الشوارع . وإذا انفجرت القنبـلة قرب سطح الأرض تطايرت الحجارة وقطع الطوب ، فتصير كأنها مقذوفات المدافع » .

وقد سئل الجنرال جروفز ، مدير مشروع القنبـلة الذرية فى لجنـة الطاقة الذرية ، عما يحتمل أن يحدث لمدينة وشنطن فقال: « لو ألقيت حيث يحتمل أن يلقيها العدوّ المهاجم ــ أى فى المثلث الذى يشمل أكبر طائفة من مبانى الحكومة ــ لدمرت رقعة قطرها نحو ميلين » . أى لأحدثت من الدمار وقتلت من الناس ما يكفى لتعطيل أعمال الحكومة الأمريكية .

وقد أبى ده سيفرسكى أن يعترف فى مقاله بأن انقلاباً قـــد تمَّ فى عـــلوم الحرب ، وقال إن الكتاب « بالغوا مبالغة عظيمة » فى وصف آثار القنبلتين اللتين ألقيتا على هيروشيما ونجازا كى . وقد راعه ما وجده من فرق بين ما رآه بعينيه ، وبين ما كان يتوقع أن يراه بعد أن قرأ « تهويل » التقارير غير الرسمية . وهو لم يجد « البقعة الجرداء التى تبخر فيها كلُّ شىء فى طرفة عين » . وقال إن قوة « النَسف » التى ولدها تفجر القنبـــلة لم يكن شيئاً « غير مألوف » ، لأن المبانى المشيدة بالأبرق لم تزل « سليمة الأركان » و « أنها النار ولا شىء غير النار » هى التى دمرت ما دمرت وقتلت من قتلت ، وأنها لم تكن ناراً أشعلتها حرارة القنبـلة ، بل ناراً نشـأت من « تماس » الاسلاك الكهربائية . . . وانقلاب الأفران ومصابيح الجاز وتحطم أنابيب الغاز » .

ويردُّ الخبراء على هذا القول بقولهم : « ترى ماذا يريد ؟ قد لا تكون النار شيئاً جديداً ، ولكنها حققت الغرض المطلوب . وقد ألقيت القنبلة بعد حساب طويل قائم على بحث مفصل فى أوصاف الهدف وطرائق اليابانيين فى البناء . والنتيجة التى رآها ده سيفرسكى مخيّبةً للظن ، هى هى النتيجة التى أرادها أصحاب القنبلة . وقد دُبر أمر قنبلة هيروشيما حتى تتفجر على ارتفاع معين لتقويض أكبر عـــدد من بيوت اليابانيين الخشبية ، ثم شبَّت النار فى هذه البيوت . وقد تفجرت القنبلة كما قدر لها . ولو تفجرت على مقربة من الأرض ، لتمّ التبخر ، ولزاد عدد المدكوك من مبانى الأبرق ، ولأمكن حرق رقعة ضيقة من المدينة بنار القنبـــلة ، كأنها كسرة خبز تفحمت على النار . ولو تم

ذلك لكان فيه تبديد للطاقة دون تحقيق غرض ما . فغرض أصحاب القنبلة لم يكن إحداث « بقع جرداء » ، أو تصديع مبان مشيدة بالأبرق ، بل كان حسم الحرب ، وقد حسمت بقنبلتين وحسب . فإن لم يكن ذلك كافياً لإقناع ده سيفرسكى ، فهو إذن رجل يلتمس العيوب فيما لا يعابُ .

ويرى الخبراء أن ده سيفرسكى لم يعبأ كثيراً بالدمار الذى حمل إمبراطورية على التسليم . ويقولون إنه ربما لم يرَ المدرسة الممدودة الرواق ، والمشيدة بالأبرق ، وقد كانت على ٢٤٠٠ قدم من مركز التفجر ، ومع ذلك فقد سحقت قوة النسف نصف طبقاتها العليا . ولعله لم يرَ بناية أخرى ظهرت فى جدرانها المشيدة بالأبرق شقوق طويلة متعرجة ، تدلُّ على أن الضغط الشديد قد صدَّع بنيانها . ولا هو يذكر إحدى وعشرين بناية أخرى فى نجازا كى ، كانت مشيدة بالأبرق وقريبة من مركز التفجر ، قدمُ أربعٌ منها ، وتصدَّعت عشر أخرى . ثم تراهُ قد أهمل فى بحثه أن طائفة من مبانى اليابانيين قد بنيت بناءً أمتن من أمثالها فى أمريكا أو أوربا ، لكى تتحمل تأثير الزلازل الكثيرة . وقد قال إنه رأى أعمدة الأعلام وصفارات الإنذار وغيرها من الأشياء الواهية لم يمسها التفجر أو الحرارة بأذى ، ولكنه لم يرَ عشرين عموداً ملويًّا من أعمدة الأعلام ، ولا الدّهان الذى صهرته الحرارة التى تولدت عند الانفجار ، وقد كان هذا الدهان طلاءً خزان للوقود ، يبعد ٦٥٠٠ قدم عن مركز الانفجار ، ولعله لم يرَ أيضاً النبات المحترق على الآكام التى تبعد ٧٠٠٠ قدم عن مركز الانفجار .

أما رأى ده سيفرسكى أنه لو ألقيت إحدى هذه القنابل على مدينة أمريكية ، « لما أحدثت فيها من الأذى أكثر مما تحدثهُ قنبلة من ناسفات الربوع زنتها عشرة أطنان » فيعدُّه الخبراء حديث خرافة . فالقنبلة من ناسفات الربوع فيها خمسة أطنان من المادة المتفجرة ت . ن . ت أو أكثر قليلا ، على حين تجد الطاقة المنطلقة من القنبلة الذرية تعدل الطاقة التى يطلقها تفجر ٢٠ ألف طن من ت . ن . ت .

وقد نظرت إلى صورة تلك المدرسة الممدودة الرواق فى نجازا كى ، والتى نسف نصف طبقاتها العليا مع وجودها على ٢٤٠٠ قدم من مركز الانفجار . وسألت الجنرال فاريل ما يحتمل أن تصنعه قنبلة من ناسفات الربوع لو ألقيت على نيويورك . فقال : «إن القنبلة من ناسفات الربوع هى بحسب تعريفها قنبلة تستطيع أن تخرّب ربعاً كاملا فى مدينة حديثة ــ أى ما مساحته أربعة أفدنة

فلنفرض أن هذه القنبلة سقطت عند تقاطع شارعين فى منطقة من نيويورك منخفضة المبانى ، وأنها خربت أو آذت أذى بليغاً أربعة ربوع — أى ستة عشر فداناً . وهذه مساحة تبلغ جزءاً من أربعين من الميل المربع . ولو فجرت قنبلة ذرية على الأرض بين مبان كمبانى هذه الربوع الأربعة ، لأحدثت من الأذى ما يزيد على أذى ناسفة الربوع ثمانين ضعفاً على الأقل . وإذا فجرت على الارتفاع الذى ينبغى أن تفجر عليه ، لفاق أذاها أذى ناسفة الربوع مئة وعشرين ضعفاً » .

ورأى الدكتور موريسون أن أذى القنبلة الذرية أكبر من أذى ناسفة الربوع مئة ضعف على الأقل ، وربما بلغ ثلثمئة ضعف أو ألف ضعف . أما الأستاذ هـ . ل بومان المهندس المعمار بقسم التفتيش فى قيادة القاذفات الأمريكية ، فيرى أن أثرها أكبر من أثر ناسفة الربوع مئة ضعف إلى مئتى ضعف ، حتى فى هيروشيما الواهية البنيان . ويرى پول نيتز وكيل قسم التفتيش فى قيادة القاذفات الأمريكية ، أن تصريح ده سيفرسكى « لا سند له من الحقيقة » .

ويعترف ده سيفرسكى أنه لم يحسب حسابات دقيقة ، ولم يقم فى كل من المدينتين سوى يومين ، وهذا ، على ما قاله للجنة مجلس الشيوخ الأمريكى « لا يكفى طبعاً للقيام ببحث مفصل » . ويقابل هذا أن ١١٤ خبيراً قضوا ألوفاً من الساعات فى البحث والحساب .

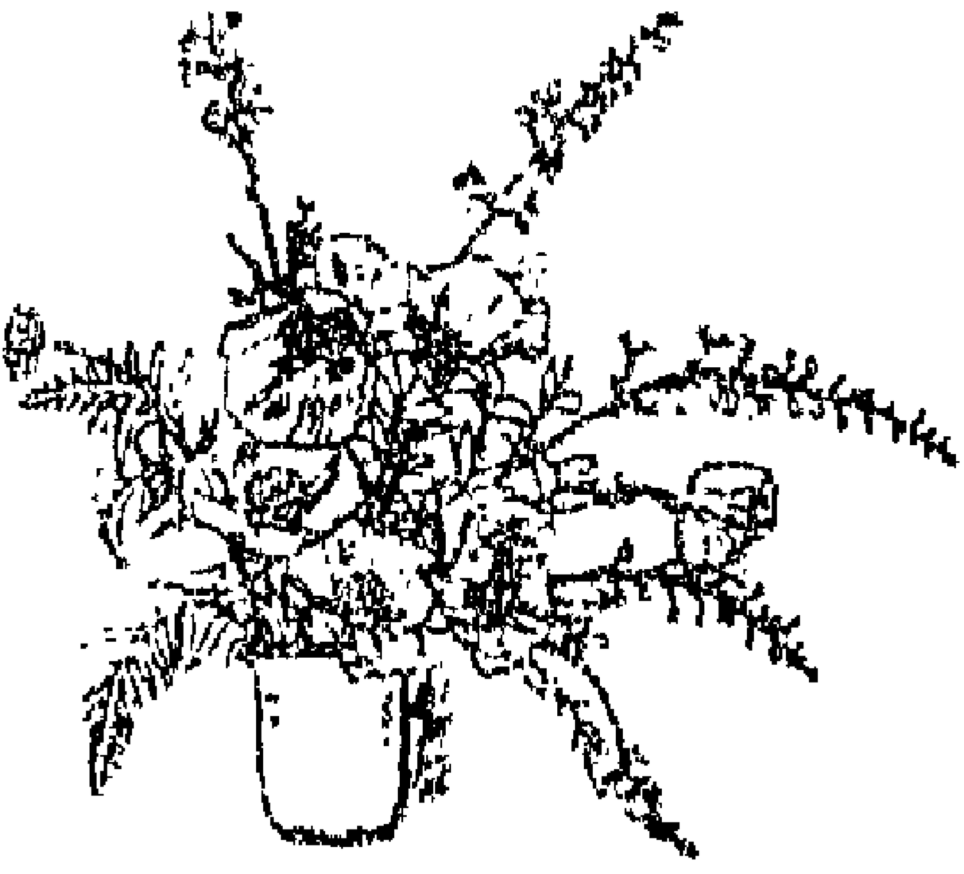
وقد حث ده سيفرسكى الناس فى مقالته على « أن يبثوا الرأى بمنطق سليم ونفوس هادئة ، وأن يتجنبوا العسف والمكابرة فى الحقائق » . فيرد عليه الخبراء بأنه هو المكابر فى الحقائق ، وأن إذاعة الأقوال الخطأ عن القنبلة الذرية تنطوى على خطر عظيم ، لأنه إذا صح ما قاله من أن قنبلة هيروشيما لا تؤذى مدينة أمريكية أكثر مما تؤذيها قنبلة من ناسفات الربوع ، خفف الناس من هول مخاوفهم ، واستغشوا ثياب عدم المبالاة واطمأنوا ، وضعف عزمهم على إنشاء عالم يسيطر فيه القانون العالمى على هذا السلاح المخيف .



من الناس اليوم من يعرف أن يصنع قنبلة واحدة تفوق فى تدميرها مليون قنبلة من ناسفات الربوع ذوات العشرة أطنان . ولو ألقيت هذه القنبلة على أية مدينة كبيرة ، لكانت خليقة أن تدمر مبانيها ، وتقضى على جميع أهلها قضاء مبرماً .

[ الدكتور إدوارد كوندن مستشار مشروع القنبلة الذرية ومدير مصلحة المقاييس والموازين ]

# أمٌّ تحنو على ٤٥,٠٠٠ طفل



إليينور ليك
مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"

**امرأة** ضئيلة الجسم ، ولكنها تحمل عبء دعوةٍ ينوء بها الرجال ، تلك هي القاضية كاميل كيلي — بمدينة منفيس في ولاية تنيسي . فقد جعلت همها أن تقنع كل جافي الطباع من الآباء وغيرهم أن ليس ثمة شيءٌ يسمى « الطفل الفاسد » ، وأن كل ما يحتاج إليه علاج الطفل العاصي العنيد هو قدرٌ صالحٌ من الحبّ والحنان والفهم . وقد بلغت ما أرادت .

وقد قضت على منصة القضاء عشرين عاماً حافلة بالعجب ، وكفلت بحنانها ٤٥,٠٠٠ طفل ، وبلغت من التوفيق مبلغاً جعل اختيارها لمنصبها يتكرّر ستّ مرّاتٍ بغير معارضة من أحد .

وهي في ملبسها أشبه بأميرة صغيرة تحيلة تختال في أجمل ثيابها ، فإذا تكلمت ، والكلام عادتها التي لا تنقطع ، لم تلق بالاً إلى كثرة سامعيها أو إلى اختلاف طبائعهم وعقولهم . ففي نفسها عقيدة لا تزال تدفعها وتحركها، إذ أشرب قلبها حبّ البشر جميعاً : أبيضهم وأسودهم ، غنيهم وفقيرهم ، فتراها تظل ست عشرة ساعة لا تملّ ، وهي تشرح رأيها الذي تعتقده للناس ، من الزعماء إلى الخادمات إلى العمال إلى نواب الأمة . وترى عدداً جمًّا من الناس يحوطها بمحبته . فمن رجال ونساءٍ وأطفال يحتشدون كل يوم على مقربة من دار المحكمة ، ومن كبار المشهورين إلى صغار المغمورين ، قد وقفوا ينتظرون لكي يلقوا إليها بالتحية .

وقد قالت امرأة مدّت إليها القاضية يد المعونة : « إن الذين يتولون بذل الخير للناس يتصنعون أحياناً ابتسامة توطد الثقة بينهم وبين أولئك الناس . أما القاضية كاميل فهي إذا ابتسمت لك شمختَ برأسك ، وأحسست كأن الدنيا أصبحت طوع يديك » .

وقال رجل من أصحاب الأعمال كان قد وقف بين يديها في المحكمة وهو يومئذ صغير : « إنها فيمن عرفت ، هي الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يجعلك تشعر بأن لكرامة المرء وعزته لذة لا تعادلها لذة » .

وغرفة محكمتها مكان تبتهج العين برؤيته، ولكنه جليل يشعرك بالهيبة . فيه كراسي

وثيرة ، وفيه بدل منصة القضاء المألوفة منضدة تتلألأ عليها باقة من الزهر . وتعالج القاضية كاميل قضاياها غير متقيدة بتقاليد المحاكم ، وتحرص على أن تجعل لغتها بسيطة واضحة . فإذا جلست مجلسها قالت : «ليست هذه الغرفة إلا ساحة للتقاضى، تتاح فيها الفرصة لكل امرىء أن يتكلم ، ولن أدع أحداً يغادرها وهو مهموم أو ضيق النفس . فتعالوا نعالج هذا الأمر معاً » .

وقد أراد أحد مشاهير المحامين أن يستعجل النظر فى إحدى القضايا ، فانتهرته القاضية قائلة : « لا أحب أن يتعجلنى أحد ، هذه محكمة همها الأخلاق قبل كل شىء . وسأستنفد من الوقت ما يتيح لى أن أقوم الأخلاق » .

وأهل بلدتها جميعاً يظاهرونها أقوى مظاهرة ، حتى لقد استطاعت أن تجمع حولها طائفة من أقدر رجال المحاكم ، فمن أجل ذلك كان سبيلها فى الإصلاح والتقويم أجدى من سبل القضاة الآخرين .

وهى تقول : « إنك لا تستطيع أن تخرج سوء الخلق من طبيعة الطفل بالعنف ولا بالتقريع . فالطفل سريع التحول والانصراف ، فلا تكاد تمضى فى محاولة تهذيبه قليلا حتى تراه قد صار أصم لا يسمع لما تقول . فإذا وجدت فى خلق الطفل ما يسوء ، فعليك أن تفحص عن العلة الكامنة وتحاول علاجها » ، وهى ترى أن العقاب الذى يؤلم البدن شىء لاجدوى فيه . وهى ترى أن الطفل إذا كان ثائراً حديد الطبع ( وهما وقود الحياة ) ، فهو خليق بأن يرجى منه خير كثير . وتقول : « إذا بذلت معونتك لطفل هادىء الطباع عاجز قليل الحيلة ، كنت خليقاً أن تظل له كافلا ومعيناً مدى الحياة ، ولكنك إذا أعنت آخر من ذوى العُرام والطباع الحديدة ، فجرت ينبوعاً متدفقاً لا يقف أمامه شىء » .

وقد وجهت القاضية كاميل طائفة من الصغار ذوى الحدة والشراسة ، فجعلتهم يقيمون وهم لا يدرون ملعباً بمعونة من المجلس البلدى ، ويشتركون هم مع الجماعات الأخرى القائمة فى البلدة . ويحظى الطفل منهم بالمعونة التى تتيح له أن ينمى مواهبه الخاصة . فتراها تحث الآباء مثلا على أن يشجعوا الطفل الذى يجيد العمل بيده على أن يصبح صانعاً من الطبقة الأولى بدلا من أن يصبح موظفاً من الطبقة الثانية .

فإذا رأت القاضية أن الآباء والأطفال قد عرفوا الطريق الذى ينبغى أن يسلكوه ، نفضت يدها من معونتهم . وهى تؤمن بأن من الواجب على كل امرىء أن يعتمد على

نفسه ، وأن يكون عنيفاً في زجر الضعاف الواهنين ، وأن يمقت التدليل والطراوة .

كان والد القاضية كاميل أحد الجراحين الممتازين وهو الدكتور ج . ب . ماكجى ، بيد أن فتاته كاميل لم تمل نفسها قط إلى أن تعيش عيشة الفتيات المدللات المترفات . ومات أبوها وهى فى ميعة صباها ، فعزمت على أن تصبح طبيبة أيضاً . وظلت تزيّن لولاة أمرها أن تلتحق بمدرسة الطب ، فلم تلبث أن ماتت لها أخت أكبر منها ، وخلفت بنين صغاراً . فهجرت كاميل ما كانت فيه لتربى أولاد أختها . وقبل أن تبلغ العشرين من عمرها لقيت شاباً محامياً هو توماس فيتزجر الدكيلى ، كان مثلها شباباً وتوقداً ، فتزوجا وعاشا فى سعادة مشرقة الجوانب ، وظلت كاميل سنوات ولا همّ لها إلا رعاية زوجها وصغارها الثلاثة .

كان توماس قد أعجبه ما فى زوجته من عقل ، وأجب لها أن تصرفه فيما ينفع ، فأغراها بأن تدرس القانون عنده فى مكتبه . فظلت سنتين تشاركه فى عمله ليلا ، ثم بقيت ١٨ شهراً تعاونه فى سائر أعمال مكتبه بعض الوقت . ثم رأت يوماً ولدها الصغير وقد خرج قاصداً مدرسته ، فانتبهت فجأة وجعلت تتساءل : أى ضرب من الأطفال صغارهم أو كبارهم ، سوف يعاشرهم ابنها هذا بعيداً عن رعايتها ونظرها ؟ وجعلت تقول لنفسها : « من الخطأ أن نظن أنّ مهمة الأم الفاضلة لا تتجاوز ما يجرى بين جدران بيتها » .

فما هو إلا أن اختارت أجمل قبعاتها ولبستها ، وانطلقت ميممة شطر المدرسة التى فيها ولدها ، وقدمت نفسها للأساتذة المدرسين ، ثم لم يمض طويل وقت حتى كانت قد بذلت جهداً فى تأليف جماعة للآباء والمعلمين ، وظفرت بانتخاب أول امرأة لمجلس التعليم فى بلدتها . ثم أجالت طرفها فى نواحى البلدة ، لتنظر ما يفعل الأطفال بعد المدرسة ، فلم يرُقها ما رأت .

فلما مضت سنوات وجاءت ساعة ، وصارت البلدة فى حاجة إلى قاضية لمحكمة الصغار ، كانت كاميل قد طارت شهرتها فى البلدة بأنها المرأة التى تستطيع أن تستميل أى إنسان للجهاد فى سبيل تهذيب الأطفال . ومع أنها لم تنل إجازة الحقوق ، فقد سن المجلس التشريعى للولاية قانوناً يتيح لها أن تكون أول امرأة تتولى القضاء فى ولاية تنيسى ، وثانية اثنتين فى البلاد كلها .

ولم تنل كاميل حتى اليوم إجازة الحقوق ، ولكن المحاكم العليا لم تنقض من أحكامها فى ثمان سنوات سوى حكم واحد .

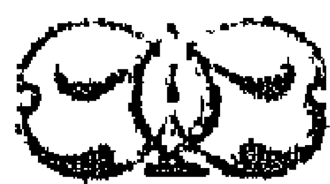
فلما نجحت في تهذيب أطفال بلدتها ، صرفت جهدها إلى تهذيب آبائهم ، وهي تقول : « ليس مردّ الفساد والإعوجاج إلى الصغار ، بل الوزر وزر الآباء . وأكثر ما يكون عليه الصغار إنما هو من جناية الكبار عليهم » * .

وكل ضرب من ضروب الإخفاق التي تحيق بالآباء تعرض عليها في المحكمة . فمن الآباء ، كما تقول كاميل : « من يتعدّون حدود القانون ، ثم ينقلبون ساخطين حين ينتهك صغارهم حرمته » . ومنهم من يأمر ابنه أن يراقب له شرطي المرور ، ليسوق هو سيارته بسرعة تتجاوز ما حدده قلم المرور . ومن الآباء من لا يزالون في شقاق ونزاع ، ولا يخطر لهم ببال أن صغارهم يتلقنون كل كلمة يسمعونها . ومنهم الأم التي لا تقول شيئاً سوى : « امسح رجليك يا ولد ، ابعد عن الكرسي يا ولد » ، فهذا ليس بيتاً يؤلف ، بل كل ما فيه دعوةٌ تدعو الطفل أن يخرج إلى الشارع .

وشرُّ هؤلاء جميعاً ، أولئك الآباء الذين يأبون أن يحملوا تبعة الأبوة والأمومة ، وتقول كاميل : « إن الأطفال عندئذ يلتمسون لأنفسهم حنان الأبوة والأمومة حيثما وجدوها . وكثير من البنات السيئات الخلق ليس بهن إلا أنهن يبحثن على غير هدى عن الحب الذي افتقدنه في بيوتهن . والآباء الذين يبرئون ذمّتهم بأن يكفلوا للطفل حاجة جسمه ، ثم يتركون سائر أمره لمدرسة أو لخادم ، إنما يحرقون قلوب أطفالهم باللوعة والحزن » .

وقد اقتبست نظام المحكمة التي أنشأتها كاميل ، بعض الحكومات المحلية في ست ولايات ، وقد اتبعت كثير من المدن أسلوبها في الإصلاح . بيد أن كاميل ترى نفسها أسعد ما تكون حين تكون المعاملة بينها وبين أفراد الناس . وقد قال أحد أصدقائها وقد يئس من أمرها : « إن شر عادات كاميل أنها إذا لقيت فتاة لا تكاد تتذكر ، فيما يبدو ، ألقيتها في حفلة أم في سجن » ، فليس في قلبها المخلص الكريم حد فاصل يفرق بين الناس ويجعل بعضهم عندها أفضل من بعض .

* ومن أجل أن يصلح الآباء أخطاء أنفسهم جعلت القاضية في محكمتها مكاناً يقصدونه للاستشارة والاسترشاد . وقد وفد عليها آلاف من الآباء يستشيرونها ، وجاءوا بصغارهم أيضاً لتسدد لهم خطاهم قبل أن يبلغوا مرتبة الفساد والاعوجاج .



هل تعرف كيف تقعد لا تعمل شيئاً ؟

# كيف تستثمر الكسل؟

ألن ديفو

*مختصرة من مجلة "كورونت"*

نحن اليوم فى عصر العمل ، وكلٌّ منا مطالب بأن يزيد فى عمله وأن ينمِّى قدرته . وفى العمل خير كثير ، وبالإكباب عليه أتمّ البشر طائفة من المآثر المجيدة. بيد أن العمل قد ينقلب شراً أيضاً ، إذ يستغرق انتباهنا حتى نفقد نعمة التمتع بالكسل ، فنُجَنّ بالعمل حتى ننسى أن معرفة المرء « كيف يزيد عمله » معرفة ضارة ، إذا لم نُداوِها بمعرفته « كيف يقعد لا يعمل شيئاً » .

وممارسة الكسل ليست هينة كما تبدو. ولن يتاح لك فى ساعة أن تتعلم ما كنت تشاركك فيه سائر الحيوان فى قديم الأزمان ، أى أن تسترخى مطمئنا . ولكن عليك أن تحاول — فهذا وحده هو الذى يفضى بك إلى القرار الذى يجد الإنسان فيه قوة يستمدّها ليحمل ضجة الأعمال التى تملأ رحاب الدنيا ، وهذا وحده هو الذى يمكنك من أن تنهل من ينابيع الروح الخالدة .

وإذا أردت أن تعرف أين بلغ بنا الجهل ، فانظر كيف يصنع الرجل أو المرأة حين يفرّ لحظة من قبضة العمل ، تحدوه الرغبة فى الكسل ، فهو يلعب الكرة أو يرتاض أو يسوق سيارته أو يرقص . تلك الرغبات الجامحة التى لا تصلح عوناً على الكسل النافع . وكذلك شأن من يتعهد حديقته أو من يتمشى مع صديق له . والحقّ أن المرء عندئذ يشغل نفسه بعمل يرضيه ويرتاح إليه ، ولكنه لا يمارس الكسل .

وأصول الكسل بسيطة : أن لا تبذل جهداً ، وأن تكفّ عن التفكير ذى القصد . وذلك يقتضيك أن تصير شيئاً لاقصدَ له ، كشجرة أو صخرة ، وأن تهجر تلك الحركات القلقة التى ابتلتك بها الحضارة ، وأن تدع العادات المرهقة التى جعلتك تألف الجهد الموجّه والتفكير الموجّه ، وتستبدل بها سَبْح النفس إلى غير هدف وبغير توجيه .

انظر إلى النمر أو الثعلب وقد استرخى ليستريح ، وانظر إلى هِرّتك — فهذه العيون شاخصة إلى غير شىء . وهذه العضلات ساكنة سكون الحجر ، وكل شىء قد كفّ عما أَلِف من الحركة . إنه حيوان يمارس الكسل . وهو عنده عمل طبيعى كالأكل أو النوم — ولكنه شىء لا بُدّ لك أنت أن تتعلمه تعلماً . فإذا تعلمته انفتحت لك أبواب

عالم جديد من الشعور ، عالم فيه من الأمن ولطف الإدراك ما لم تعرف له مثيلاً قط .

إنه دنيا فيها عجائب من القوى التي تنعش النفس الإنسانية المنهوكة .

إبدأ وحاول الكسل الآن . فإذا فرغت من قراءة هذه الكلمة فألق المجلة جانباً ، وكفّ متعمداً عن كل حركة كنت تأتيها ساهياً . . . كتحريك ساقك ، والطرف بعينيك، والقرع بإصبعك على يد الكرسي . ولقد كان نفسك وأنت تقرأ سريعاً غير عميق ، وهما من خصائص العجلة التي نعيش فيها . فأرح رئتيك وأرخهما ، وخذ النفس عميقاً بطيئاً . راحة عجيبة لذيذة ، أليس كذلك ؟

وإذا كنت لابس نظارة فانزعها ، فإن ذلك الضغط الخفيف على أرنبة أنفك يسبب لك ضيقاً ويعوقك . وكذلك الحزام وبنيقة القميص ، ففكهما . استلق الآن على ظهرك واسترح . لا تحاول أن تتابع أفكارك . وسترى فكرك قد بدأ يسير إلى غير هدف ، وستبدأ نفسك تسبح وتجول كما تشتهى .

وإذا بك ترى أفكارك المبهمة وذكرياتك ومُدْرَكاتك، على غموضها جميعاً، قد أخذت تتحرك فى سريرتك للتحرّر من وثاقها . وذلك لأن طغيان « الفكر » وطغيان « الحركة » قد بطلا الآن . لقد بدأت نفسك تستشعر ، مثلا ، شذا الزهور التى فى تلك الزهرية . وكان هذا الشذا كامنا فى الغرفة اليوم كله ، ولكن نفسك لم تكن طليقة حتى تشمّها . استنشق هذا الشذا بقوة فى رئتيك ، فإنه يستجيب للنفس السابحة استجابة عجيبة . والآن بدأت تدرك شيئاً آخر كنت غافلا عنه — هذا الشعاع المستقرّ على ظاهر يدك . عجباً ، لقد بدأت تجد فى الدنيا شيئاً يروقك ، حين وجدت نفحة الزهر فى خياشيمك ، ومسّ شعاع الشمس على لحم يدك .

اسبح سبحاً ، واسكن . ما أغرب ذلك اللحن الموسيقى الذى تسمعه من طنين تلك الذبابة ! وما أروع زرقة هذه الرقعة من السماء ! إن مسّ الكرسىّ على بدنك المسترخى نعمة سابغة ، وتنفسك البطىء العميق قد أشعرك سكينة لا مثيل لها ، وإذا بطرائف وغرائب من الذكريات تنثال عليك . . . رائحة البحر على شاطىء الإسكندرية ، آثار الغزلان على رمال البادية، نواح الحمامة التى فقدت أليفها عندك . والآن وبعد لأى ترى نفسك تستغرق فى تلك الدنيا الحبيبة التى لا يدخلها إلا المبرّزون فى فن الكسل والاستجمام .

إن ردّ المرء نفسه إلى اتّباع الأساليب الصحيحة فى الحياة ، فن يستحق أن يتعلم .

غفلة وإخفاق أعقبا يقظة ونجاحاً ، وأيضاً عبرة مؤداها أن قلم المخابرات المحكم ضرورى للدول فى الحرب والسلم على السواء .

# عيون الساسة والقواد وآذانهم

توماس م . چونسون
مختصرة من صحيفة " ذى وشنطن بوست "

ليس لرجال السياسة ولا لقوّاد الحرب غنى عن « قلم المخابرات » ، فرجاله عيون الساسة والقواد وآذانهم . ومع ذلك كانت الولايات المتحدة فى ظلام دامس يروّع النفس ، يوم نزلت بها نازلة برل هاربر . وقد اعترف دين أتشيسون ، وكيل الخارجية الأمريكية ، بأن الأساليب المتبعة فى وزارة الخارجية لتسقّط الأخبار وجمعها ، كانت يومئذ لا تكاد تختلف عن الأساليب المتبعة منذ قرن ونصف قرن من الزمان . وقد أخطأ قلم المخابرات البحرية خطأ فاحشاً فى تقدير مواقع حاملات الطائرات اليابانية ، وظنها لا تزال فى مياه اليابان ، يوم كانت تمخر اليمّ مقبلة على برل هاربر . ولم يكن بين أقسام الحكومة التى تتولى جمع الأخبار قسم واحد يحسن عمله ، ولم يكن بين جهود هذه الأقسام تنسيق ولا تعاون .

وقد أرسلت الحكومة فى وشنطن أمر إلى ضباط المخابرات البحرية ، تبين لهم فيها كيف يستطيعون أن يحسنوا عملهم ، فوجدت هذه الأوامر ، بعد نازلة برل هاربر ، محفوظة فى خزانة ، ولم توزع على الضباط . وقد صدر الأمر إلى أحد رجال التمثيل السياسى بتغيير رموزه ، فاحتج قائلا : « تغيرون رموزى ! إنها رموز حسنة ! فقد مضى علىّ عشرون سنة وأنا أستعملها ! » وكانت وزارة الخارجية تستغرق أياماً طويلة فى حل رموز الرسائل وتوزيعها على مكاتبها البالغ عددها ١٢٧ مكتباً . ولم يكن فى الوزارة مكتب خاص ينحصر فيه أمر هذه الرسائل . وقد أنشىء مجلس مشترك للمخابرات قبل واقعة برل هاربر بثلاثة أشهر ، فلم يبدأ عمله إلا بعدها بثلاثة أيام ، ولو هو توفر على حل رموز الرسائل اليابانية التى التقطت قبل الهجوم بثلاثة أيام ، لكشفت عن خطط اليابانيين .

كان خطر الحرب فى المحيط الهادى شبحاً ماثلا منذ زمن بعيد ، ومع ذلك فقد كان كل ما نعرفه عن الجزائر التى فى أيدى اليابانيين نزراً لا يعدو موقعها من خطوط العرض والطول . وقد كانت وزارة

الخارجيــة تظن أن جمع المعلومات المطلوبة يغضب « دولة صديقة » ، فعرقلت مساعى رجال الأسطول لمعرفة طِلْع هذه الجزائر قبل بول هاربر. فلم تكد الواقعة تقع حتى هبّ رجال الأسطول يسألون كل من تقع يدهم عليه من شذّاذ الآفاق وغواصى اللآلىء وبحارة سفن الصيد ورجال البعثات ، بل كل من وقعت عينه على جزيرة يابانيــة ، مهما بعد عهده بها .

وقد حشدنا سفناً وجيوشاً لأخذ جزيرة كسكا ، ولكن بعد أن تسلل اليابانيون منها . ويوم نزل مشاة البحرية فى جزيرة وادى الكنار ، كان لا بد لهم من أن يعتمدوا فى معرفة أوصافها الجغرافيــة على ما يلتقطونه من أسرى اليابانيين . وعلى أن اليابانيين قضوا سنين يتدربون على قتال الغابات ، وتعلموا أساليبه وحيله ، فقد كنا نحن نجهل الحقائق والحِيَل على السواء .

وقد منينا فى إفريقية بأول هزائمنا على البر ، لأننا يوم وقعنا على أمر عسكرى ألمانى ينطوى على دقائق كرّ رومل فى مضيق فايد ، لم نجد فى قيادة إحدى فصائلنا من يعرف الألمانية لكى يترجمه. فقد تخلّف رجال المخابرات الذين أحسنا تدريبهم ، على مسافة بعيدة وراء خطوط القتال . فكان الدرس الذى تعلمناه غالى الثمن ، فأرسلنا الخبراء لساعتنا بالطائرات إلى إفريقيــة ، من معسكرهم فى ولاية ماريلاند فى أمريكا. ثم دأبنا بعد ذلك على أن يظل رجال مخابرات القتال قرب ساحة الحرب — فأسفر ذلك عن عواقب حسنة .

وكنا لا نكاد نعرف شيئاً عن مواطن الضعف فى أهداف طائراتنا فى بلاد المحور فى أوربة وآسية . وقد كان ٧٠ فى المئة من محركات الطائرات اليابانية تصنع فى مصنعين لم تقع عليهما عين أمريكى .

وقال رجال المخابرات الجوية : إن نظام توزيع الطاقة الكهربائية فى ألمانيا لا يمكن أن يعطل بقذف المصانع التى تولد الطاقة الكهربائيــة ، فلذلك امتنعنا عن قذفها ، ولكننا نعلم الآن أن تعطيلها كان ممكناً ، وأنه كان خليقاً بنا أن نقذفها بقنابلنا .

كان تقتيرنا فى الإنفــاق على جمع المعلومات لا يكاد يصدق . وقد عهــد إلى قسم من أقسام المخــابرات أن يتولى جمع المعــلومات عن الشرق الأقصى — اليابان والصين وجنوب آسية الشرقى وسيبريا — وكان هذا القسم مؤلفاً من ضابط واحد ، وكاتبــة واحدة . وقد طلب أحد ضبــاط المخــابرات ٥٠٠ ريال ثمناً لرسوم تبين مطارات دولة معادية ، فعنّفه رؤساؤه على إسرافه . وقد فرضت الحكومة فى وشنطن

على الملحق العسكرى فى برلين ، أن يوفى من ماله الخاص أجر برقية بالرموز أرسلها إلى وشنطن منذراً فيها بأن هتلر قد عزم أن يزحف على براج .

كانت وزارات الخارجية والحربية والبحرية ، تسترخص فى جمع معلوماتها عن طريق الممثلين السياسيين والقنصليين وبعض المتطوعين من الوطنيين ، ولكن الملحقين الأمريكيين بالسفارات والمفوضيات كانوا لا يسمعون ولا يرون إلا ما يؤذن لهم به على الأكثر. وقد حظر بعض سفرائنا السفر والرحلة على الملحقين ، أو البحث عن الحقائق والمعلومات فى دور الكتب ، حتى لا يظهروا فى مظهر التجسس .

وقد وجد أحد الملحقين الأمريكيين فى عاصمة أوربية ذات شان خطير ، ثلاثة جواسيس بين موظفى مكتبه : اثنين من النازى وواحد من الروس ، وكانوا جميعاً من الأمريكيين المتجنسين ، فأبت عليه الحكومة فى وشنطن أن يفصلهم لعلو مرتبتهم فى كشف موظفى الحكومة . ولم يكن لنا نظام محكم لنقل الحقائب الدبلوماسية التى تحتوى على التقارير السرية المرسلة من ممثلينا إلى وشنطن وحمايتها ، فكان النازيون واليابانيون يفتحون هذه الحقائب ويقرأون محتوياتها .

وكنا نقنع شاكرين بما يجود به المتطوعون ، ولكنّ عملهم كان غير منتظم ولا يعتمد عليه . وقد روى أحد هؤلاء الهواة من الجواسيس أن هناك غواصة يابانية جديدة تحمل مدفعاً قطره ١٦ بوصة ، ثم اتضح أن « المدفع » كان آلة رافعة . وروى غيره أنهم رأوا عدداً من سفن اليابان الحربية ، فإذا هو يفوق كثيراً كلّ ما كان اليابانيون يملكونه من سفن حربية !

بيد أننا تدرجنا فى إحلال المخابرات القائمة على الأصول العلمية محلّ الارتجال . فعهد إلى العلماء ورجال البحث والاستقصاء بالعمل ، واعتمدنا أيضاً على عددٍ من عامة الناس يجمعون الحقائق غير متكتمين . وقد جمعت الحقائق عن طبائع جزائر ألوشيان وحالة جوّها من الكتب فى دار كتب الكنجرس . وهدتنا صورة قصت من مجلة ألمانية إلى مدفع ألمانى جديد مقاوم للطائرات قطره ٤٠ مليمتراً . واطلعنا على صور نشرت فى صحف ألمانيا ، فرأينا فيها طائرة جاثمة امام مصنع ، فهدانا ذلك إلى أن هذا الطراز من الطائرات يصنع فيه . وأخذت صورة من كتاب صنعه الألمان لإرشاد المسافرين ، فوجدنا فيها نفقاً يعترض أحد الطرق العامة ، فوقع فى ظننا أن هذا مكان يصح أن يقوم فيه مصنع تحت الأرض .

فصوَّر من الجوّ ، فأيدت الصورة ظننا .

وقد جرب قسم المخابرات كلّ شيء مهما كان شاقاً . فلكى نعين مواقع مصانع تكرير الزيت الألمانية ومسالك السفن ، أكبّ مئات من رجال البحث على فحص تقارير أجور الشحن وكشوف ما حملته عربات السكك الحديدية أو السفن ، وبحثوا فى دليل مدينة طوكيو المحتوى على عنوانات رجال التجارة من المشتغلين بالمعادن والفلزات والكيميائيين، وقورنت بالصور التى صوّرها الطيارون من الجوّ ،فانكشفت مصانع الحرب التى أحكم اليابانيون تنكيرها.

وقد علمنا أول ما علمنا بطائرات الفدائيين اليابانيين (كاميكازى) من إشارة جاءت فى إذاعة يابانية ، ثم من أفواه الأسرى. وقد قال أحد الأسرى إن بارجتين يابانيتين قد جعلتا حاملتى طائرات، بإنشاء سطح عليهما للطائرات . وقد عثر أحد الطيّارين المصوّرين على إحدى هاتين البارجتين فصوّرها ، وأكبّ خبراء المخابرات على الصورة يفحصونها، وإذا أحدهم يقول « : ولكنّ الطائرات لا تستطيع أن تعود إلى هذا السطح ، فإن المدافع المضادة تعترض خط هبوطها ».

ثم أسفرت لهم الحقيقة — هذه طائرات لا يقصد بها أن تعود . وإذن فاليابانيون يتأهبون لإرسال الفدائيين من طياريهم .. فلما أنذرنا بذلك تأهبنا له » .

وقد ساعدنا أسير ألمانى على أن نحل لغز وسيلة من أدهى وسائل الدفاع فى الغواصات ، وهذه الوسيلة هى أن تلقى الغواصات حبوباً كيميائية فى الماء وراء مؤخر الغواصة ، فتولد الحبوب فقاعات لها صوت ، إذا سمعته فى أجهزة التسمع التى نعتمد عليها ، بدا لك كصوت الغوّاصة نفسها ،فيسرع البحّارة إلى إلقاء قنابل الأغوار حيث تكون الفقاعات ، على حين تمضى الغواصة آمنة إلى طيتها .

فقد ظلّ هذا التدبير منطلياً علينا إلى أن كان شهر إبريل سنة ١٩٤٢ ، فيومئذ انفجرت قنبلة من قنابل الأغوار ، فصعدت فقاعات حمر إلى سطح الماء . فجمع ضباط المخابرات نماذج من الماء الأحمر وفحصوه . ثم أسروا قائد غوّاصة أخرى ، فلما قابله ضابط المخابرات قال أمامه غير محتفل : «لم تجدك الفقاعات هذه المرّة» فبهت الألمانى . فقال الأمريكى : « إننا نعلم كلّ شىء عنها » ، ثم ذكر أمامه تفاصيل بناها على التقدير البارع ، فوقع ذلك فى نفس الألمانى وقعاً عظيما ، فباح بكل شىء . وقد دلت التجارب على وجود فرق يسير بين صوت الفقاعات وصوت الغوّاصات ، فدرّبنا مطاردى الغوّاصات من رجالنا على تبين

هـــذا الفرق حتى لا تخدعهم الحيلة .

وقـد أسرنا قائداً ألمانياً فى تونس فى أوائل سنة ١٩٤٣ ، وتولىّ الخبراء حل عقدة لسانه ، ففاخر بأنهُ شاهد التجارب الأولى التى جرّبت بالقنابل الصاروخية . ولم يكد ينقضى زمن قصير على ذلك ، حتى عرضت صـور صوّرت من الجوّ على كونستانس بابينجتون سميث ، خبيرة فحص الصـور الجوّية فى قسم المخابرات الجوّية البريطانى الأمريكى ، فاستوقفت صورة منهـا عينها الناقـدة ، إذ لاحظت علامة بيضـاء تشبه حرف T على قاعدة صغيرة تحيط بها أكوام ضخمة من التراب، وغيرها من المنشآت الخفية الغامضة . وكان ذلك فى بينامندى ، فدبرت الغارة عليها ، فقتل فيهـا مئات من العلماء المشتغلين فى معاملها ، وتأخر سير البحث العلمى فى الأسلحة الألمانية الجديدة ستة أشهر . ويعتقد بعضهم أن هذه المدة أنقذت بريطانيا ، وأتاحت للحلفاء فرصة للظفر*.

أما فى المحيط الهادى فقد غامر أربعـة آلاف من اليابانيين الأمريكيين، وتعرضوا للأسر والتعـذيب لـكى يظفـروا لقسم المخابرات بالمعلومات من خطوط القتـال ، وقد أسـفر مجهودهم عن مليونى تقرير وخريطة ومذكرة أخذت من قتلى اليابانيين أو أسراهم ، ومن المنشآت اليابانية . وقد فحصت ورقة كربون واحدة ، فأسفر فحصها عن خط سفر لسفينة ، وجدول لقوة آلاى ووسائل لعلاج الملاريا . وتبين الخـبراء فى رسم من الرسوم ، كيف كان اليـابانيون ينكّرون ناقلات الجند .

وفى جميع أعمال الغزو فى أوربة ، كان ضباط المخابرات يصحبون جنود الغزو فى مراحـله الأولى ، فكانوا يسرعون بعـد استيلاء الغزاة على مراكز قيادة الأعداء ، إلى كسر الخزائن واسـتخراج ما فيها من الأوراق ، ثم يعودون بها على جناح السرعة إلى مقرهم . وكذلك وجدوا خريطة تبين حقول الألغـام على مقربة من صقلية . وقد تم للأمريكيين الاستيلاء على شربورج بسرعة ودون خسارة كبيرة ، لأن جواسيسهم ظفروا بخريطة تبين حصون المدينة وخطة الدفاع عنها . وحسبهم هذا وحده مسوّغاً لتدريب رجال قسم المخابرات .

وقد دأب رجال البحث العـلمى على استكشاف أساليب تعين رجال المخـابرات فى عملهم ، فتم لهم تقدم عظيم فى الانتفـاع بأجهزة الراديو والرادار . وفى التقـاط رسائل الأعداء وحل رموزها ، وفى تقدير أحوال الجو . وقد صنعت آلة تصوير شديدة

* « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » ، المختار : ديسمبر ١٩٤٤ ص ٢١

الدقة والإحكام ، تصور الأرض من الزاوية التي يراها الطيار منها وهو محلق في الفضاء ، وكانت الصور رائعة الصفاء ، فساعدت على إحكام قذف القنابل ، ثم على إحكام الاستطلاع بعد القذف . واستخدمت هذه الآلات في تصوير رقع فسيحة من الأرض ، فصنعت لها خرائط لأول مرة في التاريخ .

ولما ثبت نفع الجواسيس الذين يهبطون بالمظلات وراء صفوف العدو ، ثم يرسلون أنباءهم بأجهزة لاسلكية قصيرة الموجة ، انصرفت طائفة من هيئات الحكومة إلى القيام بأعمال المخابرات السرية . وقد أنشئت هيئة سميت «مكتب الخدمات الاستراتيجية» ولم يكن لها من عمل سوى هذا . وقد سجل رجالها أعمالا رائعة أحياناً ، ونافعة أحياناً ، وجامعة بين الروعة والنفع كليهما أحياناً أخرى . ومن أعمالهم أنهم ألقوا إلى رجال المقاومة الخفية في ١٦ بلداً ما زنته ٢٧٠٠ . . طن من الأسلحة والذخائر وألوفاً من الجواسيس ، وهؤلاء لم يقتصروا على جمع المعلومات النفيسة ، بل نظموا أيضاً أعمال التخريب . وقد أنقذ غيرهم ما يزيد على خمسة آلاف من الطيارين الأمريكيين

ولا تقل قصة « سوكو » روعة عن كل ما تقدم . و «سوكو» اسم جمعية صينية أمريكية تعاونية ، مؤلفة من مقاتلي العصابات وعمال الراديو ، عمت أعمالها ساحل الصين كله ومعظم قلب الصين . وكان مديرها الجنرال تاي لي رئيس قسم المخابرات السرية التابع لشانج كاي شيك . وقد كان هذا القائد يدير أيضاً مدرسة تتعلم الصينيات فيها كيف يتوددن إلى الموظفين والقواد اليابانيين ، وكيف يستطلعن دخائلهم ، ثم كيف يدسسن لهم السم إذا اقتضى الأمر .

وكان بين أعضاء سوكو أمريكيون من عمال الراديو في الأسطول وفيلق مشاة البحرية ، ولكنهم تنكروا في زي الصينيين . وكان رجال العصابات الصينية يذودون عنهم ويحمون حماهم ، وكان هؤلاء الأمريكيون يغيرون على مواقع اليابانيين ويستكشفون مواقعهم الحربية ، ويدمرون مستودعاتهم وجسورهم وقاطراتهم . ولكن أهم أمجاد سوكو ، كانت تقاريرها اللاسلكية عن أحوال الجو وحركة السفن اليابانية .

فقد كان لهذه المعلومات شأن خطير في الحصر البحري الذي ضيّق الخناق على اليابان .

أما وقد وضعت الحرب أوزارها . فترى كثيرين يذهبون إلى أن تعزيز قسم المخابرات في الدول يقي من الغفلة والإهمال ، وأنه أمر لا غنى عنه لتوطيد أركان السلام ، كما كان أمراً لا غنى عنه لكسب الحرب

# كيف نفهم الروس

*أحاديث نقلها " أندريه ڤيسون"*

« هذه خلاصة أحاديث نقلها الكاتب عن خبراء لهم من التجربة والمنزلة مايمكنهم من أن يتكلموا عن ثقة ويقين فى أغمض مشكلة تواجه العالم اليوم . وقد آثر المتحدثون لسبب لايخفى أن تظل أسماؤهم مكتومة »

ليست روسيا — وإن خالها زائرها — سجناً من السجون ، ولا يتسنى إدراك شعور الروس نحو نظام الحكم فى بلادهم إلا إذا تذكرنا ما كانت عليه المدارس الداخلية فى القرن الماضى ، وقسوة إدارتها ، وكثرة نواهيها ، واعتماد معلميها فى التربية على العصى .

فطلبة هذه المدارس كانوا لايصيبون من الطعام إلا أقله وأردأه ، ويرقدون فى حجرات رطبة ، قد رسم لهم أساتذتهم أساليبا يسلكونه فى حياتهم لايحيدون عنه ، وهيهات أن يخطر لصبي أن يفعل مايشتهى ، وكان حتما على الطلبة أن يأووا إلى فراشهم فى ساعة معلومة .

أما الأرض التى تكتنف المدرسة فمنطقة محرمة عليهم ، ومخالطة الغرباء ممنوعة ، أو لاينظر إليها بعين الرضى . وكان للطلبة صحيفتهم المدرسية ، ولكن لايدور بخلد محرريها أن ينتقدوا ناظر المدرسة أو معلميها ، شأنهم كشأن سائر الروس اليوم لايدور بخلد أحدهم انتقاد حكومته فى الصحف . وكل ما كان يستطيعه الطلبة أن ينتقدوا غناء فرقة الإنشاد ، أو أن يطالبوا بالإقلال من تيارات الهواء التى تجرى فى حجرات النوم . وشبيه بذلك حال الروس اليوم ، فإنهم يشعرون بأنهم أحرار فى انتقاد خلل طرق المواصلات والمطالبة بتحسينها حتى يمتنع تعطل عربات السكك الحديدية ، وتعرض راكبيها من الجنود المسرحين للموت برداً .

وكذلك ما كان ليخطر ببال طلبة تلك المدارس أن يبحثوا المسائل الجنسية فى صحفهم . وقلما شعروا أن لهم « حقاً ثابتاً » أن يفعلوا ذلك . وكذلك الروس اليوم لايخطر ببالهم أن لهم أن يبحثوا المسائل السياسية فى صحفهم ، وكان الصبى إذا فوجىء وهو يحادث زملاءه فى المسائل الجنسية ، أدرك أنه ملاق عنتاً وبلاء ، وشبيه بذلك شعور الروس اليوم حينما يجرؤون على انتقاد سياسة بلادهم بحرية ،

فكان جزاء الصبي ضربات بالعصى، أما جزاء الروس اليوم فالنفى إلى سيبريا .

ولكن هل يعنى هذا أن الروس غير سعداء فى بلادهم ؟ كلا إنما مثلهم كمثل طلبة تلك المدارس ، فهم لم يكونوا غير سعداء على رغم نظامها الصارم ، وربما كان بين الطلبة خوارج يتململون، ولكن الأكثرية راضت نفسها على تقبل تلك الحياة . وربما نزعت نفوسهم فى الحين بعد الحين حنيناً إلى بيت يؤويهم ، حيث يجدون الحنان والراحة، وسواد الروس قد نشأوا محرومين من بيت يؤويهم ظله ، فهم لا يعرفون غير «مدارسهم» . ولو سألت الروسى اليوم، ممن لا يتجاوز الحلقة الخامسة من عمره ، عن أحوال بلاده قبل الثورة لما تذكر منها شيئا.

وخطأ أكثر المراقبين الأجانب أنهم يضعون أنفسهم — وهم لا يشعرون — موضع الروس، فإن الواحد منهم إذا جلس فى سفارته أو فندقه يحدث أمثاله من الأجانب عن الروس، لا يسعه إلا أن يأسى لهم ويأسف، ولكنه إذا خرج إلى الطرقات واختلط بالجماهير وحادث الناس ، ملكته الدهشة حين يرى الروس لا يأسون لما يأسى له ، ويجدهم أهل مودة وصبر وبشاشة ، بل هم شعب لا يسع من يخالطه إلا أن يحبه .

فإذا أردت أن تفهمهم ، فعليك أن تخاطبهم بلسانهم ، ولكن القلق يستولى عليهم إذا تبين لهم أن محدثهم أجنبى ، فهم يعلمون أن مخالطة الأجانب أمر مستنكر ، فقد قيل لهم إن من وراء حدودهم أقواماً دب فيهم الفساد، وقد قضى عليهم بالفناء . وهم يؤمنون بأن العالم معاد لهم، فهم يخافونه.

ولكنهم يتلهفون على معرفة ذلك العالم. وتصدر حكومة الولايات المتحدة فى روسيا صحيفة مصورة اسمها « أمريكا » ، فحددت السلطات السوفيتية عدد ما يوزع منها بعشرة آلاف نسخة ، والثمن المقرر للنسخة ٢١ قرشاً ، ولكن أعدادها القديمة تباع فى السوق السوداء بمئة ريال ، ولو طبع منها خمسون ألفاً مثلا لنفدت جميعاً . ولا جدال فى أن هناك كثيراً من الروس يتلهفون على معرفة أخبار العالم ، ولكن « مدرسيهم » يلقنونهم أن مفارقة «المدرسة» خطأ كبير، فلا يعصون ما يؤمرون .

ولا جرم أن أكثر الروس إثارة لاهتمام الأجانب هم العلماء والكتاب ومؤلفو المسرحيات والممثلون والفنانون ، ولكن قل بين الدبلوماسيين والصحفيين من أتيح له أن يحادثهم فى خلوة . ولا يلقاهم إلا من عرف منهم بالصدق والصرامة، فما يخشى عليه بأس من مقابلة هؤلاء الأجانب. وإذا سئل أكبر رجال الفكر من الروس: هل يضايقه

أن يقضى السهرة مع أحد الأجانب أجاب : « اطمئنوا ، فالمكلفون بمعرفة ذلك يعلمون أنكم زوّارنا فى هذه الليلة » .

وليس من المتوقع حدوث انقلاب فى شعور الروس، وقد خيل لبعض المراقبين الأجانب أنهم لمحوا فى قادة الجيش الأحمر بوادر التبرم من تلك الحالة ، ولكن هذه أمنية وحسب، فإن محاكمات سنة ١٩٣٧ و ١٩٣٨ أجريت «لتطهير» القيادة العليا فى الجيش الأحمر ، ولم تزل منذ ذلك تنقّى من كل عنصر يشوبها. والجيش الأحمر موزع فى مناطق متراحبة حتى لايتسنى لقواده أن يجتمعوا معا . والمارشال الروسى نشّىء ليكون أداة حربية، وقد بجزل له العطاء والتبجيل وألقاب الشرف، ولكن حرّم عليه أن يكون له فى السياسة رأى . والمارشال زوكوف هو خير مثال لهذه الدُّمى العسكرية ، فهيهات له أن يبدى رأيا فى أبسط المسائل السياسية دون مراجعة موسكو .

وقد دل المراقبون السياسيون على أنهم يخطئون تمام الخطأ فى فهم روسيا وستالين، حينما أعلنوا أنهم يعتقدون أن ستالين سيتخلى قليلا قليلا عن أزمة الحكم ، فإن ستالين لن يتخلى عن الحكم إلا إذا مات .

وإن خشيته لمستقرة فى قلوب رعاياه جميعاً ، فهم يعلمون أن مصيرهم اليوم رهن بكلمة يلفظ بها ، غير أن الناس جميعاً يحترمونه ويوقرونه . وهم ينظرون إليه اليوم كما كان الروس ينظرون إلى القيصر إيفان المخيف فى القرن السادس عشر، وقد يكون ستالين مخيفاً ، ولكنه درعهم وملاذهم . وإذا سارت بعض الأمور على غير مايشتهى ، فاللوم واقع على مرؤوسيه ، أما هو فمصدر كل خير .

ولايزال ستالين يقبض بيده على زمام السلطان المطلق بغير قيد ، ولعل أعضاء المكتب السياسى، وعددهم ١٣، هم وحدهم الذين يتمتعون بالحرية فى مكاشفته بآرائهم . ولم يتسن لأى مراقب من المراقبين الأجانب أن يعلم هل لأعضاء هذا المكتب آراء سياسية متباينة . ولعل عمل هذا المكتب هو المظهر الوحيد للديمقراطية فى روسيا ، لأن أعضاءه وحدهم هم الذين يسمح لهم بالاجتماع معاً للتعبير عن آرائهم بحرية .

فإذا أخذوا يتكلمون ، راح ستالين يدور حول المائدة ذهابا وجيئة ، ثم إذا هو يقف فجأة ويقول: «أعتقد أن الرفيق فلانا على صواب » وبذلك تنتهى المناقشة . وهو يلقى باله للآراء المختلفة التى يدلى بها الأعضاء،

وقراره الأخير يكون غالباً فى صف الأكثرية، فإن أيد رأى الأقلية فلن يخطر ببال الأعضاء أن ينازعوه أو يعارضوه .

ولا سبيل اليوم إلى نشوء جبهة معارضة من أعضاء المكتب السياسى. وقد يحدث أن يجد العضو نفسه خارجا على رأى الأكثرية، ولكنه إذا تكرر وقوفه فى صف المعارضة، كان مصيره مفروغا منه ، إذ لن يلبث حتى يفصل ويحل غيره محله .

وأقل الأعضاء شهرة ، وإن كان أكثرهم سلطانا ، هو مالنكوف سكرتير الحزب الشيوعى ، وهو منصب ظل فيه ستالين قبله عشرين سنة ، فعلى يديه يتم تعيين كل موظف كبير أو ترقيته ، وكل ما يجرى فى حياته . ولا يتدخل مولوتوف تدخلا مباشراً فى رسم السياسة الداخلية ، ولكنه قد يكون له أثر فى توجيهها بفضل تقاريره التى يقدمها عن السياسة الخارجية. وأقل الأعضاء نفوذاً هو المارشال فوروشيلوف، والاعتقاد السائد أنه رجل على شىء من الغباوة ، ولكن الغباوة وحدها لا تعد جريرة فى روسيا ، كشأنها فى سائر الدول ، فقد يكون فوروشيلوف وأضرابه رجالا ليس لهم من التأثير سوى قليل ، ولكنهم يحتفظون بمراكزهم ورتبهم وامتيازاتهم ما داموا على ولائهم لستالين .

وقد بدأ كثير من المراقبين الأجانب يميلون أخيراً إلى القول بأن زعماء الاتحاد السوفيتى قد أصبحوا أقرب إلى الوطنيين منهم إلى الشيوعيين. وهذا ليس بصحيح ، فإنهم فى قرارة أنفسهم متشبثون بمذهب ماركس ولا يحيدون عنه . ولما كان لا غنى للناس عن الوطنية ، كما لا غنى لهم عن الدين، ترى هؤلاء الزعماء يتخذون الوطنية والدين أداة لخدمة مذهب ماركس .

**هل** يرتاب زعماء السوفيت فى الديمقراطية الغربية؟ ليس التعبير الصحيح أن نقول إنهم يرتابون فيها ، بل إنهم لا يثقون بها . فغلوُّهم فى التمسك بالأمر الواقع ، وإيمانهم بمذهب ماركس ، يجعلهم يحكمون على الناس بأعمالهم لا بأقوالهم . وهم غير راضين عن أعمال حلفائهم السابقين . ولنسلِّم بأن بعض هذه الأعمال لم يكن صوابا ، ولكن لو كانت أعمال حلفائهم كلها على صواب ، وفيها خير كثير ، لما اطمأن لها زعماء السوفيت أقل اطمئنان .

وهم ، لإيمانهم بمذهب ماركس، يعتقدون أن الفرد غير مختار ، وأن أعمال البشر تصرِّفها أحكام التاريخ الاقتصادى ، وهى أحكام نافذة وهم قد يقرّون بأن مستر روزفلت ومستر بيفن يريدان لهم الخير ،

ولكنهم يؤمنون أشد الإيمان بأن روزفلت، سواء أراد أم لم يرد، مضطر إلى اتباع منطق الرأسمالية، وكذلك بيفن.

والأمر الذى أمر به الروس صغيرهم وكبيرهم فى كل شئون الحياة، هو هذا: « لا تكثر من اعتقاد الآراء لنفسك، ودع الآراء لنا نحن». وهناك حادثة جرت بين أحد المؤلفين الناجحين والرقيب، فقد قرأ الرقيب الكتاب الأخير للمؤلف وقال له: « فى كتابك آراء .. آراء كثيرة » ! ثم سكت قليلا وهز كتفيه وقال: « والآراء تدفع الناس إلى التفكير، فإذا بدأوا يفكرون لم تستطع أن تعرف كنه الأفكار التى سوف تجول فى عقولهم. ولهذا لا يمكننى أن أوافق على نشر الكتاب كما هو ».

وتأويل فلسفة ماركس هذا التأويل القائم على النظام الجامع، هو طابع الحياة فى روسيا السوفيتية كلها، ولعله أحد الأسباب التى تجعله عسيراً على زعماء السوفيت أن يفهموا العالم الخارجى، فهم يمقتون أشد المقت حرية الرأى وحرية الصحافة، فتراهم يشيرون إلى مقالة نشرت منذ ستة أشهر فى صحيفة أمريكية تصدر فى إحدى المدن الصغيرة ويظنونها من وحى وزارة الخارجية الأمريكية، ويجدون فيها الدليل على اتجاه جديد فى سياسة الولايات المتحدة. فإذا أنت شرحت لهم معنى حرية الصحافة فى أمريكا لم يصدقوك، أو حسبوك من الخادعين، فإن صدقوك سألوا: «وكيف نثق بحكومة يبلغ من ضعفها أن لا تقدر على شىء حتى على مراقبة صحفها ! »

ولكن هل معنى هذا أن الحرب بيننا وبين الروس ناشبة فى المستقبل القريب ؟ لاجرم أن يكون مثل هذا الاحتمال غير مستبعد، ولكننا لسنا من أتباع مذهب ماركس، فمن أجل ذلك تتسع صدورنا لأن نعتقد أن الحرب ليست حتما مقضياً، بل الأمر على النقيض، فلدينا من الأسباب ما يجعلنا نظن أن نشوب الحرب أو تفادى نشوبها لا يتوقف على مسلك روسيا بقدر توقفه على مسلك بريطانيا والولايات المتحدة.

وروسيا لا تريد فى العهد الحاضر أن تغزو العالم، فإن زعماء الروس يعلمون أن هذه الغاية مستحيلة، وإنما مطلبهم هو الظفر بأكبر قسط من الأمن. وهم فى سعيهم وراء هذا الأمن يدفعون ببلادهم إلى كل جهة يعتقدون أنهم لن يصادفوا فيها من يقاومهم، ولذلك لا ينقطع تطلعهم إلى « لقمة سائغة » بقرب حدودهم، فإن وجدوا مجالا خالياً وثبوا إليه. فالوسيلة الوحيدة لمنع الحرب هى أن تحرص الولايات المتحدة وبريطانيا على أن لا تدع فى

آسية وأوربة معاً لاخالياً من الوجهة السياسية أو الاقتصادية .

وأكبر خطر يهدد السلم اليوم هو أن الولايات المتحدة وبريطانيا لم تقرر واحدة منهما إلى اليوم خطاً محدداً تقف عنده وتقاوم ولا تتراجع، بل هما دائبتان على مباحثة روسيا على أساس «مبدأ عالم واحد» وهذا أساس ينهار تحت أقدامهما شيئاً فشيئاً .

وهناك سؤال آخر: أمن الممكن التعاون مع روسيا ؟ فإذا قصدنا بالتعاون ذلك التكاتف الحادث بين أمريكا وبريطانيا ، أو بين بريطانيا والدنمرك ، أو بين الدنمرك والسويد ، فالجواب مع الأسف هو: كلا ، ولكن الممكن هو التعامل مع روسيا. وقد تعذر من قبل التعامل مع ألمانيا ، لأنها كانت تريد أن تسيطر على العالم ، ولكن الروس اليوم لا يريدون شيئاً كهذا ، وإن اعتقد زعماؤه أن الشيوعية ستعم العالم يوما ما بحكم منطق التطور التاريخي وحده . وهم لن يترددوا في حث هذا التطور كلما وجدوا الفرصة مواتية وأينما وجدوها ، ولكنهم لا يؤمنون بأن الحرب أمر لا مفر لهم منه لبلوغ ذلك الهدف .

وليس من المتوقع ، مادامت السياسة السوفيتية كما هي اليوم ، أن تربطنا بروسيا روابط من الثقافة المتشابهة أو الرأي المشترك، فقد رأينا أن عاقبة تلهف الشعب الروسي على الصحف الأجنبية أفضى إلى أن قرر زعماؤه التقليل من اتصاله بالعالم . ولن تثمر الخطط الموضوعة لتبادل الطلبة بين روسيا وغيرها من البلدان ، فإن روسيا لن تأذن بإيفاد طلبة إلا القليل ممن طبعتهم الشيوعية بطابعها ، فلا يفتنهم عن إيمانهم شيء من فتن المذاهب أو رغد العيش في الممالك الرأسمالية .

ويعمد المراقبون العسكريون إلى تقليب أوجه الرأي في مقدار الفوضى التي يعتقدون أنها ستعم روسيا بعد موت ستالين. ولا شك أن شيئاً من الاضطراب سيعقب موته ، ولكن لا جرم أن يكون ستالين وأعضاء المكتب السياسي قد تدبروا هذا الاحتمال مليًّا ، فإذا مات ستالين انتقلت السلطة إلى المكتب السياسي . وسيكون الجيش مبعثراً في نواحي روسيا المترامية الأطراف ، فلا يبقى له أقل نفوذ سياسي . ومن المحتمل بطبيعة الحال أن ينشب بين أعضاء المكتب السياسي صراع شديد لانتزاع السلطة ، ولكن هؤلاء الأعضاء الثلاثة عشر ليسوا من الحمق ، فهم يدركون أن كل خلاف خطير بينهم سيكون فيه القضاء على وطنهم وعلى أشخاصهم .

وليس في روسيا اليوم جبهة منظمة تضم

المتذمرين ، وأوكرانيا هى الرقعة الوحيدة التى ينبعث منها بين الحين والحين حركة تدل على وجود تيار من المعارضة . وخطر هذه الرقعة لا يغيب عن أذهان قادة السوفيت، فهم أبداً يلاحظونها بعين ساهرة ويسلطون عليها دواماً سيف محاكمات التطهير ، وإذا اشتد ساعد أحد قادة المعارضة أجهزوا عليه لساعته .

ويقول قادة السوفيت إن الذى يسوّغ لهم اتباع هذه السياسة العنيفة بلا رحمة ، هو إيمانهم بالرسالة التى يضطلعون بها. وقد قصد ستالين جماعة من الشيوعيين الفنلنديين يسترشدونه فى الخطة التى يجرون عليها ، وسألوه عن أغراضه الرئيسية، فكان جوابه أنه يريد أن ينهض بالشعب الروسى البالغ عدده ١٨٠ مليون من وهدة الفقر والجهل التى كان يتردّى فيها قبل الثورة ، ليصبح شعباً كريماً قادراً على بناءِ صرح مدنية جديدة، وعلى الدفاع عنها والذود عن حياضها.

ولعل العبء الذى يلقيه قادة السوفيت على عاتق شعبهم هو أثقل عبء تحمله شعب من قبل ، ولكن هؤلاء القادة قد توّجوا هامة روسيا بإكليل النصر ، وهم الآن يَعِدونها بالأمن والرفاهية. ومادام الروس يثقون بهذه الوعود ، فإنهم سيسيرون طائعين وراء قادتهم .



## العقل راحة من تعب

منذ جيلين هُرِع أحد سكان بوسطن إلى حكيمها الدكتور إدورد إفريت ، والغيظ ينهش قلبه ، فقد نشرت إحدى الصحف مقالاً نُقد فيه هذا الرجل نقداً لاذعا ، فجُن جنونه ، فسأل الحكيم ، ماذا يفعل : أيطالب اعتذاراً ينشر فى الصحيفة نفسها ، أم يقيم قضية ويطالب بتعويض ؟ فأصغى إليه الدكتور إفريت ، ثم قال : « ماذا تفعل ؟ لو كنت مكانك ياسيدى العزيز ، لما فعلت شيئاً . فنصف الناس الذين يقرأون هذه الصحيفة لم يقع نظرهم على المقال ، ونصف الذين وقع نظرهم عليه لن يقرأوه . ونصف الذين قرأوه لم يفهموه ، ونصف الذين فهموه لم يصدقوه . ونصف الذين صدقوه لا خطر لهم ولا شأن على أية حال ! »

# وحيد

تلخيص كتاب

الأميرال رتشرد إ. بيرد



هذا هو الكتاب الذى تردد الأميرال بيرد أربعة أعوام فى كتابته. وهو وصف لتجربة خاصة فى القطب الجنوبى، ظل زمنا طويلا لا يستطيع أن يحمل نفسه على الإفضاء بها.

وما زال « وحيد » كتاباً من أروج الكتب وأوسعها انتشاراً منذ ظهر. وقد قالت عنه جريدة نيويورك هرالد تربيون، إنه « من أعظم الروايات قوة، وأشدها تحريكا للنفس، وهو كتاب عظيم ينبض بالحياة ».

# وحيـــد

أنشأت بعثتنا إلى القطب الجنوبى قاعدة للأرصاد الجـــوية سميتها قاعدة « بولنج » . وكان موقعها قريباً من مركز القطب ، فى صعيد من الجمد مترامى الجوانب مطبق الظلام ، بين قاعدة البعثة الأصلية ومركز القطب فى داخل المنطقـــة المتجمدة الجنوبية . وقد أقمت فيها وحدى أديرها طول ليالى شـــتاء القطب الجنوبى من عام ١٩٣٤ ، فكانت أول محطة أقام فيها إنسان فى جوف تلك القـارة المتجمدة الجنوبية .

وكانت فكرتى الأصليـــة أنه ينبغى أن يتولى العمل فى القاعدة ثلاثة رجال — اثنان للمراقبـــة الجوية ، وعامل لاسلكى . ولكننا ما كدنا نصل إلى «أمريكا الصغرى»، وهو الاسم الذى أطلقناه على قاعدة بعثتنا ، حتى كان شهر مارس قد انتصف ، وبدأ الشتاء يُقبل . وكان من جراء ازدياد البرد واشتداد العتمة ، ووجود ثغرات خفية فى كتلة الجليد ، أن صار الزحف إلى الداخل خطراً . وأرسلتُ جماعة تقدمتنا بالجرارات لإقامة قاعدة فى جوف المنطقـــة المتجمدة على مسافة ١٢٣ ميلا إلى الجنوب ، فلاقت مصاعب ميكانيكية شتى . ولم يكن فى الوسع نقل المؤن اللازمة لثـــلاثة رجال فى الوقت المناسب ، فكان لابد من الاكتفاء برجل واحد ، وهـــذا الرجل هو أنا . فما كان يسعنى أن أكلف واحداً من المرؤوسين بهذه المهمة .

وكانت هذه القاعدة الأماميـــة ، فضلا عن هذا ، هى همى منذ البداية . ففى أثناء رحلتى إلى القطب الجنوبى فى ١٩٢٨ — ١٩٣٠ خطر لى أن الأرصاد الجـــوية إذا دونت فى قاعدة داخلية دائمة ، ونُسّقت مع البيـــانات التى تجمع فى الوقت نفسه فى « أمريكا الصغرى » ، خليقة أن تلقى نوراً

كاشفاً على الأحوال الجوية فى هذا النصف الجنوبى من الكرة .

ثم إنى أردت أن أذهب من أجل التجربة ذاتها . فبعد سنوات عديدة من البلبلة المتراكبة التى أورثتنيها رحلات شتى، شعرت بشىء من الحيرة ، ووددت أن أذوق طعم السكون التام والوحدة ، وأن أغوص غَوْصاً على فلسفة تملأ شعاب النفس . أما من حيث الشئون العملية للحياة فقد كنت أشعر أن تجربتى كرائد، قد أكسبتنى الاعتماد على النفس، وكان هذا من سوء تقدير يدل عليه أنى كدت أفقد حياتى .

وطرت إلى القاعدة الأمامية فى ٢٢ مارس وعاد الطيار على الفور لئلا يجمد الزيت فى المحرك فتستحيل إدارته مرة أخرى . ووجدت الذين سبقوا بالجرارة عاكفين على حفر حفرة طولها ١٥ قدما ، وعرضها ١١ قدماً ، وعمقها ٨ أقدام ، وهى سعة كافية لكوخى الذى ركب لى خاصةً ، ومتى نزل الكوخ فى الثلج فإنه يكون فى أمان من الريح وما تذروه من الثلج . والريح عند حاجز « روس » الثلجى ، الذى يقع على أقل من عشر درجات من القطب الجنوبى ، تثور بسرعة عظيمة وتذرو الثلج وتركمه على أى جرم قائم . والحاجز منبسط مستوٍ كأنه سهل ، وترى الثلج يتصاعد أبداً حتى يكتنف حواشى قبة السماء المضروبة على دائرة أفق لا ثغرة فيه .

وقد أطيلت الحفرة لتتسع « لشرفتى » التى صنعت بأن مُدَّ السقف مقدار قدمين بعد الحائط عند الطرف الغربى ، وبذلك تهيأ لى ممر إلى سردابين متوازيين : أحدهما مخزن للوقود ، والثانى للمؤن . وفى أقصى طرف السرداب المفرد للطعام حفرنا ثغرة لبيت الخلاء ، وهو يمتاز ، كما قال أحد الرجال ، « بالمجرى المكشوف » . وفى أحد أركان السقف الناتىء باب يرتقى إليه بسلم ، ويؤدى إلى ظهر الأرض .

واتخذت لتدفئة الكوخ موقد زيت ذا غطاءين، تمتد مدخنته على أحد الجدران قبل أن تخرج من ثغرة فيه ، وقد ظننا أننا بهذا قد هيأنا بديلا من جهاز لنشر الحرارة ، ولكنه كان بديلا غير متقن . وكنا قد فقدنا أنبوبتين أو ثلاثاً على الطريق، فاضطررنا أن نصنع وصلات من صفائح سعة الواحدة منها خمسة جالونات، فصار هذا الجهاز الساذج البرىء المنظر ، هو الذى تتوقف عليه حياتى أو موتى .

وفى ٢٨ مارس حين عاد رجال الجرارة إلى « أمريكا الصغرى » ، أمرتهم أن لا يبذلوا من أجلى أى جهد لإنقاذى إذا كف الراديو عن العمل ، وقلت : « مهما يكن ما يحدث

فاذكروا أنى هنا فى هذا الـكوخ خيرٌ حالاً مما عسى أن تكونوا على الحاجز إذا جئتم لمعونتى » .

وبعـد أن ذهب الرجال هبطت إلى الـكوخ فراقنى ما وجدت . فقـد كانت وسائل العيش المكفول كلها فى متناولى ، فى عالم أستطيع أن أقطع ما بين أطرافه بأربع خطوات من ناحية، وثلاث من ناحية أخرى. ولم يكن عالماً مشرقاً ، فقـد كان مصباح العاصفة فوق مرقدى خافت الضوء ، وكان مصباح البـترول المدلى من السقف يلقى ضوءه كله على نقطة واحدة ، فتبدو الظلال أسود وأحلك. على أن هذا الخفوت أكسب المـكان سعة عميقة حسنة الوقع . وكان معى فونغراف خفيف الحمل للتسلية .

ولما خلعت ثيابى فى تلك الليلة الأولى ، سخطت حين لمست قدمى العارية الأرض الباردة ، وبعـد أن فتحت الباب للتهوية ذهبت أعدو إلى مخدعى قبل أن يدركنى البرد الداخل ، وسرنى — إذ تذكرت بيت الخلاء على مسافة ٣٥ قدما فى السرداب — أن كُلْيَتَىّ سليمتان .

ووجـدت فى الأيام القليلة التاليـة أن الأجهزة الجوية ستكون مَشْغلة كبيرة ، وكانت ثمانية منها تعمل باستمرار ، ولم تكن تمضى ساعة من النهار لا أشتغل فيها بتعهدها أو بتدوين الأرصاد .

وكان الترتيب أن أتصل بالراديو « بأمريكا الصغرى » فى الساعة العاشرة من أيام الأحد والثلاثاء والخميس ، وكان جهازى يسمح بأن تتحدث « أمريكا الصـغرى » إلىّ ، ولـكنى كنت لا أستطيع أن أجيبها إلا بالنقط والفواصل، أى برموز مورس. وقد شجعنى تشجيعاً عظيما أنى نجحت فى أول محـاولة لإرسال رسالة بالرموز على الرغم من قلة تجربتى . وقد استطاع جون داير ، وشارلى ميرفى أن يحلا رموز رسالتى بطريقة ما .

وأقبـل شهر إبريل بالثـلج والرياح ، فأحسست أنى آخر من بقى حياً من العصر الثلجى ، وأنى أستمسك بالحياة بما خلف لى عالم معتدل الجو ميسَّر له العيش، من أدوات هزيلة . والبرد يصـنع الأعاجيب ، فإذا هبطت درجة الحرارة إلى خمسين تحت الصفر ، فإن النور الساطع يخمد فى يدك ، وإذا هبطت إلى الخمس والخمسين فإن البترول يتجمد ، ولهيب المصباح يخمد على الذبالة ، وعند درجة الستين تحت الصفر يتغلغل البرد إلى أضأل قطرة من الزيت فى الجهـاز ويقضى عليها ، وإذا كان هنـاك أخف نسيم فإنك تستطيع أن تسمع نَفَسك وهو يتجمد إذ يسبح ، فتجد له

صـوتاً كصوت فرقعة شريط صـغير من البارود .

وقد دعانى الـبرد — حتى برد إبريل المعتـدل نسبياً — إلى التفكير فى أمور كثيرة ، فقد جمد النوفوكين ( مخدّر ) فى صندوق الأدوية ، وحطم أنابيب الزجاج ، وانفجرت زجاجات عصـير الطماطم فى صندوقين ، واضطررت أن أضع الطعام المحفوظ إلى جانب الموقد طول النهار ليذوب ماجمد منه . وكان الصقيع يتجمع على نقط الاتصال الكهربائى لجهاز الريح ، ومقياس سرعتها واتجاهها فوق الـكوخ ، وكان تنظيفها عملامؤلماً ،ولاسيما فى الليالى العاصفة. وقلما كنت أهبط عن عمود مقياس الريح الذى يبلغ ارتفـاعه إثنتى عشرة قدماً إلا بإصبع أو أنف أو خد أضرّ به الصقيع .

وكان الـكوخ دائماً شديد البرد فى الصباح ، وكان الصقيع يكسو مرقدى فى حيث تكثفت أنفـاسى . ولم يكن التـوقى بقفازات من الحرير ليمنع أصابعى أن تجد لسعة وألماً من لمس المصباح أو الموقد حين أشعلهما . وكانت بشرة جلدى القـديمة قد تقشرت عن الأطراف من لمس الأشياء المعدنيـة المقرورة ، فالجلد الجديد حساس إلى درجة لا تطاق .

وكنت قبل أن أبدأ الحياة فى «القاعدة الأمامية » ، أتناول الحيـاة فى يسر وكيفما اتفق ، وأعمل حين أحس بالرغبة فى العمل ، أما الآن فقد صار النهج المنتظم هو وسيلة الدفاع الوحيدة ضد الوحشة التى تطير العقل. ولم يسعنى إلا أن أعترف بالوحشة، ولم أستطع على فرط اجتهادى أن أتلقى هـذه الوحشة بغير احتفـال ، لأنها كانت أعظم من أن تسمح بذلك ، ولهذا اجتهـدت أن أشغل أيامى بالواجبات المنتظمة المطردة حتى لاأفكر فى وحشتى .

وأخذ إبريل يمضى ، فأخذ النهـار فى القصر . وكانت الشمس منذ أسابيع تبكر فى الغروب ، وتتأخر فى الشروق . والآن ومابقى على ضوء النهار إلا أسبوعان ، فقد صارت الشمس كرة عظيمة لا تكاد ترفع نفسهـا عن الأفق . فكانت تدور ساعات قليلة وقد حجبها الضبـاب ، ثم تغيب عن النظر بعـد الظهر بقليل . وألفيت نفسى أنظر إليها وأرقبها كما ينظر المرء إلى حبيب يفارقه .

وكان كل يوم تقريباً يأتى بما يذكرنى بالأخطار المتنـوّعة للعزلة ، وكان الصقيع لاينفك يسدّ مدخنة الموقد ،وأنابيب التهوية. ومجرى العادم من المولد الكهربائى للراديو . ومع أن المشى كان دائماً رياضتى المحببة ، إلا أنى لم أكن أجرؤ أن أدع عمود مقياس

الريح يغيب عن عينى ، وهو العلامة الوحيدة على مسافة مئات من الأميال .

وأردت أن أزيد مسافة ما أمشيه ، فوضعت علامات على طريق طوله مئة ياردة ، وغرست أعواداً من الخيزران طولها قدمان، وجعلت بين كل عودين ثلاث خطوات ، ولكنى فى أحد الأيام المظلمة كنت ذاهلا فتجاوزت آخر عود ، فلما درت لأعود لم أر علامة ، فهالنى أنى لا أدرى إلى أى مدى ذهبت ، وفى أى اتجاه أسير ، فألقيت نور المصباح الكشاف على « الحاجز » ، ولكن قدمى لم تتركا أثراً على الأرض الصلبة ، فعرانى الخوف ، وكان أول ما خطر لى هو أن أجرى ، ولكنى كبحت هذه الرغبة ورحت أتدبر الموقف .

ولما كانت الحقيقة الوحيدة التى أستطيع أن أبنى عليها هى الاتجاه الذى أقبلت منه ، فقد حفرت فى الثلج صورة سهم مسدد إلى هذا الاتجاه ، ثم كسرت قطعاً من طبقة الثلج وكومتها وجعلتها بمثابة منارة . ثم تطلعت فوجدت نجمين على امتداد خط السهم ، فجعلت عينى عليهما وسرت مئة خطوة ووقفت ، وأدرت النور الكشاف حولى فلم أر شيئاً سوى الحاجز المسيح .

ولم أجرؤ أن أواصل السير مخافة أن أفقد المنارة الثلجية ، فعدت أدراجى وفى المرة التالية انحرفت ثلاثين درجة إلى اليسار ، وبعد مئة خطوة لم ار شيئاً ، كما حدث فى المرة السابقة .

فقلت لنفسى : لقد ضعت ! وهالنى الأمر ، وأدركت أن على أن أطيل المسافة من المنارة ، وقد أضل بعد ذلك ولا أهتدى إلى المنارة ، ولكنه لم يكن ثم بديل من هذا إلا أن أجمد ويقتلنى البرد حيث أنا . ولهذا استقر عزمى على أن أزيد المسافة ثلاثين خطوة فى الاتجاه نفسه ، فأعليت كوم الجليد بقطع أخرى ، وبعد أن خطوت الخطوة التاسعة والعشرين ، رأيت عوداً من الخيزران لا يزيد بعده على ثلاثين قدماً ، وما أظن أن بحاراً تحطمت سفينته ولمح شراعاً بعيداً ، يمكن أن يكون أعظم منى سروراً .

وكانت الأيام الأولى من شهر مايو أبدع ما مر بى . فقد كانت الريح لا تكاد تتحرك ، وكان البرد يهبط من القطب ، وكانت السماء سوداء كالفحم ، وضوء الشمس الغاربة يسطع كالنار الموقدة ، وشمل « الحاجز » سكون ، فلا حس ولا نبأة . ولم أعهد مثل هذا السكون التام من قبل .

والوحدة معمل بديع يتجلى لك فيه مدى تأثير الناس فى أخلاقك وعاداتك ، فسرعان ما نبذت آداب المائدة ، ورحت

آكل بأصابعى ، أو من علبة ، أو وأنا واقف .

وحياة الوحدة تمحو الحاجة إلى المظاهر الخارجية ، فبعد فترة كففت عن السخط واللعن ، وإن كنت فى البداية سريعاً إلى الإعراب عن نقمتى على كل ما يمتحن به صبرى ، ولم يزايلنى روح الفكاهة ، ولكنى الآن أضحك حين أضحك بقلبى ، كأنما نسيت أن أخرج صوت الضحك ، ووجدت أيضاً أن الألفاظ ، حين أنطق بها ، تبدو لى خاوية وغير مألوفة .

وتركت شعرى ينمو ، لأنه طال حول عنقى فأفادها الدفء ، وقد حرصت على أن أحلق ذقنى مرة كل أسبوع ، لا لسبب سوى أن اللحية تجمد من الأنفاس فيترد الوجه ويثلج . ونظرت ذات صباح فى المرآة ، فقلت لنفسى إن رجلا ليس معه امرأة ، يذهب عنه العجب ، فقد كان خداى متقرحين ، وأنفى أحمر وارماً من عض القر مئات من المرات ، ولكن منظرى لم تكن له قيمة . وكل ما كان يعنينى هو ما أشعر به ، وقد كنت حسن الحال إذا استثنيت الصداع أحيانا .

وفى أوليات مايو نجوت ذات يوم بأعجوبة ، وكنت أتمشى كعادتى بعد الظهر خارج الكوخ ، فألفيت نفسى فجأة منطرحاً على وجهى بطولى فوق الثلج ، وإحدى ساقى متدلية فى ثغرة مفتوحة ، فزحفت مبتعداً بوصة بعد بوصة ثم تراجعت ، وألقيت على المكان نور المصباح الكشاف لأرى ماحدث .

فوجدت أنى اخترقت بساقى السقف الثلجى لثغرة خفية — ثغرة لاتستطيع أن تفطن إلى وجودها من السطح الصلب . وكان طول الفتحة ثلاث أقدام فقط ، ولكن جوفها واسع كالكهف العظيم ، وجدرانها يتغير لونها من الأزرق إلى الزمردى وهو لون ثلج البحر ، ولم أستطع أن أرى قعرها ، ولا بد أن عمقها يبلغ مئات من الأقدام . وقد كان من حسن حظى أنى تخطيت فتحة الفجوة بعرضها ، ولو أنى كنت سائراً فى أى اتجاه آخر ، لكان من الممكن أن أقع فيها . وقد غرست أعواداً من الخيزران فى موضع الخطر .

ولما كان اليوم السابع عشر من مايو ، بعد شهر من غياب الشمس تحت الأفق ، صار الشفق الذى يبدو عند الظهر ، لا أكثر من شق فى الظلام يضيئه وهج محمر بارد ، وأصبح « الحاجز » عبارة عن ظل راكد هائل تعلوه كتل متراكبة من السحاب ، وطبقات من الظلام بعضها فوق بعض ، وهذا هو الليل القطبى ، ووجه العصر الثلجى الكئيب . فلاشىء يتحرك ، ولاشىء يرى . فكأننا حيال روح الجمود .

وأقبل البرد من جوف الظلام الذي يزداد حلوكة . وفي يوم الأحد العشرين من مايو وقف مقياس الحرارة في الكوخ عند درجة ٧٥ تحت الصفر . وعند منتصف الليل صعدت من الكوخ لأرى الضوء القطبي ، فما كدت أخرج كتفي من الباب حتى اعتراني شعور غامر بالاختناق ، وتفتحت رئتاي ولكن الهواء لم يصل إليهما ، فثنيت رأسي وتنفست في القفاز .

وقلما كان الشفق القطبي يسطع بمثل هذا اللهب الخالص . وكان ممتداً في السماء من الجنوب إلى الشمال على هيئة إهليلج عظيم ، وفيما وراء الطرف الجنوبي كان رداء النور الوهاج يطرح ثناياه وحواشيه على القطب الجنوبي .

وبينما كنت أرقب هذا المنظر تغيرت هيئة الشفق ، فصار أشبه بأفعى عظيمة وضاءة تتحرك ببطء على سمت السماء . وفي الوقت نفسه بدأت ثنايا ذلك الرداء الملقى على القطب تتموج كأنما أخرجتها عن جمودها قوة سماوية ، وراحت الطيات الأفعوانية تلتف على النجوم فتختفي واحداً بعد واحد ، فكنت كأنما أشهد مأساة كونية ، وكأن الأفعى التي تمثل قوات الشر ، تمحق الجمال .

واختفت الأفعى بغتة وعادت النجوم ، ورفع الرداء عن القطب كأنما نحته الريح التي أقبلت في تلك اللحظة تخفق فوق الحاجز ، فسرى في بدني دبيب الإحساس بأني رأيت منظراً لم تقع عليه عين إنسان فانٍ آخر .

وصارت حياتي بقية هذا الشهر حياة عقل على الأكثر ، وأصبحت وأنا افكر وحدي فوق هذا الحاجز ، أقدر على التمييز بين ماهو عندي سمين وماهو غث ، وتعلمت ماطال تنبيه الفلاسفة إليه — أن الإنسان يستطيع أن يحيي حياة عميقة مستغنياً عن كثير من الأشياء . وتغير حتى رأيي في النجاح وتعريفي له ، وملت إلى الاعتقاد أن غاية الإنسان الأولى ينبغي أن تكون التماس الوسيلة إلى مقدار من التناسق في نفسه وبين أهله ، وبهذا يفوز بالسكينة .

وكانت هذه فترة جليلة . ولم أكن أشعر إلا بعقل أوتي السكينة ، ومع ذلك كنت أحس أني أوفر حظاً من الحياة مما كنت في أي وقت آخر . وما أقل لحظات السكينة والصفاء في حياة الإنسان ، ولكن قليلا من هذه اللحظات حسْبُه زاداً طول العمر .

وقد فزت حينئذ بنصيبي من سكينة النفس ، وقد بقيت الأصداء الجليلة تتردد في نفسي زمناً طويلا .

وهوت الضربة على رأسي يوم الخميس

الحادى والثلاثين من شهر مايو ، وكنت فى الصباح أتحدث مع «أمريكا الصغرى» ، وإذا بآلة البترول التى تولد فى السرداب الكهرباء لجهازى ، يضطرب عملها ويتقطع. فأرسلت إلى داير إشارة أن « أنتظر » ، ووجدت الهواء فى السرداب مشبعاً بغازات العادم ، وظننت أن بالوقود شيئاً ، فانحنيت على مولد الحرارة ، وكان هذا آخر عمل أتذكره. والذى أذكره بعد ذلك أنى زحفت إلى الكوخ على يدى وركبتى وأنا أتألم ، ورأيت جهاز الراديو كأنه ملفوف فى ضباب ، فتحسست حتى وجدت المفتاح وأغلقته .

ورقدت قليلا على السرير ، ولكن عدم انتظام حركة المحرك ذكرنى بأن على أن أوقفه لأتقى الاختناق ، فلما انقلبت عن السرير أصابنى الدوار ، واضطرب قلبى ، فزحفت ببطء وألم إلى مفتاح الكهرباء ، ثم ارتددت إلى السرير .

ومضت بقية هذا اليوم الأخير من مايو وكأنها خيالات وأحلام ، وكان يخيل إلى أن ما أعانيه من الألم فى عينى ، ومن الصداع والغثيان ، والخفقان العنيف ، وتعاقب نوبات الدوار الحارة والباردة — كل ذلك غير حقيقى إلا البرد فإنه كان حقيقياً. وكان الخدر الذى أحسه فى يدى ورجلى يدب فى بدنى كأنه شلل بطىء .

وقد صفا ذهنى فى تلك الليلة إلى حد تيسر معه أن أتبين ماحدث ، فلابد أن أنبوب العادم قد امتلأ بالصقيع ، فخرج أول أوكسيد الكربون إلى السرداب. على أنى قد أدركت ، حتى وأنا فى هذه الحالة من الذهول ، أن المحرك ليس السبب الوحيد لما أصابنى ، فقد كان الموقد المثقوب هو المجرم الأول . وقد يجىء التسمم بالأوكسيد بطيئاً متكاثفاً ويكون نتيجة التعرض آنا بعد آن للأبخرة .

وقد نجوت من كارثة كادت تحيق بى ، ولكن كان على ان أستعد لمواجهتها فى صورة أخرى ، وكنت لا أكاد أقوى على إضاءة الشمعة على الرف فوق رأسى ، فأى أمل لى فى جلب الطعام والوقود من السراديب ؟ وقد أستطيع أن أعيش عدة أيام بغير طعام ، ولكننى لا أستطيع أن أعيش طويلا بغير وقود . وكان لابد من ملء خزان الوقود كل يومين أو ثلاثة. وقد انطفأ الموقد حتى وأنا أفكر فى هــذا !

وكان أقرب برميل للوقود على مسافة ١٤ قدما من الباب ، ولكنى لم أصل إليه إلا بعد وقت طويل ، لما أنا فيه من الضعف والألم . وبعد أن ملأت الوعاء لم أستطع حمله وفيه عشرون رطلا ، واحتجت أن أجره ، قدما فقدما ، إلى الكوخ . ولما نجحت أخيراً ، تنفست الصعداء لحظة ، فقد صار

فى وسعى أن أطرد البرد يومين على الأقل .

وكان النوم أقوى ما أشعر بالحاجة إليه، ولـكنه لم يسعفنى لفرط الألم فى رأسى وظهرى ورجلى، ووقع فى روعى وأنا راقد على السرير أنى لن أبرأ ، فإن أول أوكسيد الـكربون يعصف بالهيموجلوبين فى الدم ، فتحتاج الـكبد والمرارة إلى زمن طويل لإعادة المادة الناقلة للأوكسجين ، وهذا أمر يحتاج إلى أسابيع ، حتى وإن فاز المرء بخير عناية فى المستشفى . على أن أقسى البرد وأحلك ساعات الليل ، لم يكونا قد أقبلا بعد ، وكانت الشمس قد بقى على عودتها ثانية ثلاثة شهور تقريباً ، ولم أستطع أن أقنع نفسى بأن فىّ القوة الـكافية لانتظارها .

وكان اليوم التالى — أول يونيه — يوم جمعة ، وكانت تلك جمعة سوداء ، فقد استيقظت من حلم كله أهوال لأجد أنى لا أكاد أقوى على الحركة، وأدركت أن كل ما يسعنى أن أطمع فيه هو أن أطيل حياتى بضعة أيام ، وذلك بادخار ما بقى من قوّتى ، وبأن أقوم بألزم مايلزم ببطء شـديد ، وبتأنّ عظيم .

وكانت حاجتى الأولى إلى الطعام والوقود، وكانت النار خامدة منذ اثنتى عشرة ساعة ، ولم أكن قد طعمت شيئاً منذ ٣٦ ساعة ، فتمهلت فى كل عمل ، ونهضت عن السرير ودخلت فى ثيابى ، واعترانى كالإغماء حين لمست الأرض ، فقعدت على الـكرسى عدة دقائق ، لا أصنع شيئاً سوى التحديق فى الشمعة ، ثم استجمعت قوة كافية لإشعال الموقد ، وكان اللهب أحمر ذا دخان من سوء الاحتراق ، وكانت النـار عدوّى ، ولـكنى ما كنت أستطيـع أن أحيا بدونها .

وكان الظمأ أطول شجرة فى غابة آلامى، وكأن السرداب الذى قطعت فيه الثلج لإذابته ماء ، على مسافة ١٠٠ ميل ! ولـكنى مضيت إليه ، وسرعان ما زَلت ووقعت . وكان مكان الثلج أبعـد من أن أستطيع بلوغه ، فلحست جدار السرداب حتى شعرت بمثل نار الحريق فى لسانى ، ثم جمعت من الثلج القذر على الأرض ماملأ نصف دَلْو ، وكان لايزال كتلة قذرة حين حاولت أن أشرب ، وكانت يداى ترتعشان ، فأريق الماء على بدنى كله ، ثم قئت كل ماشربت ، وكنت على وشك الإغماء ، فزحفت إلى السرير لأستريح .

وقد واجهت الموت مرات عديدة فى الجو ، ولـكن الحوادث تجرى بسرعة فى الجو : تقرر أمراً فيزحمك الحـكم على الفور ، ومتى أقبل عليك الضيف الخفى فى برجك ، فإنه لايكون إلا واحداً مما لا يحصى من المشاغل ، أما الآن فالموت غريب جالس فى غرفة

معتمة ، مطمئن إلى ما يعلمه من أنه سيظل مقيماً هناك حين أمضى أنا .

وغمرتنى موجات عظيمة من الخوف ، واستقرت فى أعماق نفسى ، ولم يكن الخوف من الآلام أو الموت ذاته ، بل من جراء القلق الفظيع على أهلى وما يصيبهم إذا لم أعد إليهم . وقلت لنفسى إنى ارتكبت خطأ جسيما حين ذهبت إلى «أمريكا الصغرى» . وكنت أيضاً فى ساعات المرارة هـذه أرى حياتى كلها تمر أمامى وتعرض على ناظرى ، وأدركت مبلغ غلطى فى تقدير قيم الأمور ، وكيف أنى عجزت عن أن أرى أن ما فى الحياة من أشياء بسيطة مألوفة لا بهرج فيها ، هى الأهم ، فما يكترث المرء فى النهاية إلا لأمرين : محبة أهله وألفتهم .

وكان العزم الوحيد الباقى لى وأنا مدرك له ، هو أن أكتب رقعـة إلى زوجتى ، وكان القلم والورق على رف قريب ، ولـكنى حين مددت يدى إليه وجدت ذراعى غير طليقة ، فقد جمد الكم بالماء الذى أريق عليه ، فانتزعت ذراعى انتزاعاً ، وأمدتنى اللهفة على الكتابة بالقوة اللازمة ، غير أنى كنت أضعف من أن أستطيع الكتابة وأنا قاعد ، وكان رأسى ينثنى على صـدرى كلما حاولت ذلك . فلما فرغت من الرسالة استرحت زمناً طويلا ، ثم كتبت رسائل إلى أمى ، وإلى بنى ، وإلى القوم فى «أمريكا الصغرى» ، وربطتها جميعاً بخيط لففت طرفه على المسمار الذى يتدلى منه المصباح .

وكان اليوم الثانى من شهر يونيو امتداداً لحوادث اليـوم السابق القابضة للصدر . فعملت مرة أخرى ما لا بد من عمله ، بالتجزئة . وكنت أنفق قوتى بقدر وقطرة قطرة ، وأزحف ولا أمشى ، وأستريح فترات طويلة بعد كل مجهود يسير أبذله ، ودخلت فى السرداب ثلاث مرات فى النهار ابتغاء الوقود ، وكنت أحمله فى وعاء ماء من الصفيح ، لأن خزان الوقد كان أثقل من أن أقوى على حمله .

وكان اليوم التالى يوم أحد ، ومعنى ذلك أن أتصل بالراديو بأمريكا الصغرى ، وأن أكذب وأنا أصف لهم حالتى ، وهو ما كانت كل شـعرة فى بدنى الذى ركبـه الوجع تلح علىّ أن أجتنبه ، وما أكثر ما سئلت لماذا لم أخبر القوم بما حدث ؟ وجوابى أن الخطر كان عظيماً على من يجيئون لنجدتى ، فهناك الظلام الحالك المعترض بينى وبينهم ، والبرد ، والفجوات الفارغـة فى منطقة الحاجز ، والثغرات الغادرة ، وكلها حقائق ثابتـة لا سبيل إلى مغالطة النفس فيها ، فليس مما يتصوره العقل أن تعرض حياة رجال أنجاد لمثل هذه المهالك .

والله وحده يعلم من أين أوتيت القوة لتنظيف انبوبة التهوية من الصقيع ، وإدارة الآلة ، ولكن الأمر بعد ذلك صار لا يتطلب أكثر من ضغط إصبع لإدارتها ، وكنت أعلم أن الرموز لن تكشف عن حالى ، وكان للقوم آراء فى أعمال الربيع المقترحة ، فكنت أجيب بلا أو نعم ، وأكف وقد حل بى الإعياء .

ولعلى كنت فى تلك الليلة قريباً من الجنون ، فقد كنت فى عذاب ، وأبى أن يزايلنى الاعتقاد أنى فى سباق الموت ، غير أنى استطعت أن أشرب قليلا من اللبن مع بعض البسكويت ، وأصبحت فأحسست أنى أقوى قليلا . وفى العصر وسعنى أن أدير الفونغراف ، فسمعت ثلاث أسطوانات ، وكان شيئاً بديعاً أن أسمع أصواتاً كثيرة تخفق فى أركان الكوخ .

وقال لى صوت من الداخل : « إنك فى سبيل الشفاء ، ولك أمل حقيقى فى البرء . وربما كان واحداً فى المئة ليس إلا ، ولكنه أمل وفرصة » .

وقد حاولت فيما بعد ، وأنا راقد على السرير ، أن أحلل الموقف ، ففى خمسة أيام طويلة كالأبد كنت مفقوداً على هضبة عظيمة من الألم ، وقد سُدّ كل فج ، وقد تعذبت ، وجاهدت ، ورجوت النجاة ، وكففت عن الرجاء . على أن الإنسان لا ييأس ، فإن شيئاً حيوانياً أو آلياً فيه يدفعه إلى التشبث بالحياة والاستمرار فيها ، وسألت نفسى : ما الذى تتعلق به فى رجائك؟ ماذا يمكن أن يُصنع مما لم يُصنع إلى الآن ؟

وكانت الحاجة الأولى إذا أردت البقاء أن أنفق قوتى بحساب ، والثانية أن أتقى التسمم مرة أخرى . وينبغى أن أستعمل الموقد بقدر ، وأن لا أستعمل أبداً مصباح البترول المضغوط — وهو الضوء الوحيد الحسن ، ويجب أن أنام وآكل لأسترد قوتى .

ولكنى إذا اقتصرت على هذا النهج دون غيره ، فإنى خليق أن أجن لما تذكرنى به كل ساعة من هذه الحالة التى لا جدوى فيها ولا رجاء . فلا بد من شىء فوق هذا — إرادة الصبر على الشدائد ، وهذه لا تستمد إلا من أعماق النفس . ولكن كيف ؟ بأن أسيطر على خوالجى ولا أفكر إلا فيما هو خليق أن يفيدنى السكينة ، فإن عقلا متنافر الخواطر ، مظلماً من الارتياك واليأس ، حقيق بأن يقضى علىّ قضاء مبرماً كالبرد .

وفى تلك الليلة بذلت جهد المستيئس لأملأ ذهنى بأطايب الحياة ونعمها ، وأحطت نفسى بأسرتى وإخوانى . وأسريت بنفسى إلى حيث نور الشمس والخضرة والأشياء

النامية ، وفكرت فى كل ما سأصنع حين اعود إلى أهلى ، وبدت لى آلاف من الأشياء التى لم تكن قط إلا عارضــة فى رأيى ، على أعظم جانب من الفتنة والخطر . وأخـيراً ذهب عنى الاضطراب ، فلما أطفأت الشمعة شعرت أنى أعيش فى عالم بسيط غير معقد ، يتمنى الناس فيه الخير بعضهم لبعض ، وهم جميعاً وادعون مسالمون ورحماء فيما بينهم ، ويتناولون الحياة فى رفق ويسر .

ولم تسكن الأوجاع والآلام ، ولم يسعفنى النوم إلا بعد ساعات عديدة ، ولكن نومى فى تلك الليلة كان أعمق مما كان فى أية ليلة أخرى منــذ ٣١ مايو . وفى الصباح كان عقلى وبدنى جميعاً أصح .

غير أن هذا التحسن كان نفسياً أكثر مما هو بدنى ، وقد قضيت ثلاث ساعات فى الاستعداد للاتصال بالراديو يوم الخميس : من حمل وقود ، إلى إحماء الآلة ، إلى غير ذلك . وكنت ضعيف الحركة كأنى رجل هرِم جداً .

وصرت بعد ذلك أرهب الاتصال المقرر بالراديو ، فقد كانت مهمة إعداد الآلة ، والخوف من الأبخرة ، يستنزفان ما ادخرت من قوة ومقـاومة . وكنت اخشى أن أكشف للقوم عن حقيقـة حالى عفواً ، وفكرت فى أعذار أقدمها لوقف الاتصال ، ولكنها كلها كانت سخيفة . ولم يكن يسعنى أن أقطع الاتصال بلا كلام ، لأن أى صمت طويل من جانبي قد يحمل «أمريكا الصغرى» على القيام بعمل طائش على الرغم من أوامرى .

ومضت الســاعات بطيئة جداً فى تلك الأسابيع الأولى من شهر يونيــة . وكان الألم فى عينى يمنعنى من القراءة ، وكان ملء الفونغراف يقتضينى جهداً يجب ادخاره لمهمة الحياة . وكان أقسى ما أحتمل هو العتمة الدائمة ، وكنت أتلهف على النور ، ولكن مصباح البترول كان يطلق أبخرة ، ويتطلب استعمال كبّاس لضغط البترول ، وهــذا يستنفد من قوتى ما لم أكن مستعداً لإنفاقه .

ثم أهوى عدوّى الخفى علىّ بضربة ثانية فى اليوم السابع عشر . ذلك أنى أدركت محرك الراديو ، فكانت حركته مضطربة حتى اضطررت أن أفحص الصمامات ، ودار المحرك على نحو حسن ، وإذا بى أحس بدوار وأقع على ركبتى ، فوقفت المحرك ، وزحفت إلى مرقدى ، وبى من السقم مثل ما كان بى فى الأيام الأربعة الأولى من الشهر ، ولم أكد أنام فى ليلتى تلك ، فقد جهدنى الوجع والتوصيم وهزّنى خفقان قلبى .

وكانت الأيام التالية عُقَداً فى حبل الزمن ،

وقد استطعت أن أواصل تسجيل الأرصاد فى داخل الكوخ ، ولكن هـذه المهمة لم تكن تبدو ذات صلة بالحقيقة ، فبينما كان جزء منى يتحسس طريقه ليؤدى مهماته ، كان جزء آخر كأنما يراقبنى من المرقد ، وكان صوت خافت متذمر يقول إنك لن تستطيع الاستمرار ، ولست أنت الذى يعمل وإنما هى العادة ، أما أنت فقد انتهيت.

ولما كان اليوم الثامن والعشرون من يونية تلقيت نبأ طيباً من «أمريكا الصغرى» ، فقد انتوى الدكتور بولتر أكبر علمائنا أن يذهب بجماعة إلى القاعدة الأمامية ليراقب ظاهرة نيزكية موعدها أوليات أغسطس ، فلم أكد أصدق الألفاظ التى كانت تسك أذنى كالحصى ، فى السماعة ، ثم سألنى بولتر « وما رأيك ؟ »

وكان عقلى غير مستقر ، فما حدث من قبل إلا مرة واحدة — فى رحلة سكوت — أن قام أحد برحلة كبرى فى خلال الليـل القطبى الجنوبى . وقطع المسافة بين «أمريكا الصغرى» والقاعدة الأمامية لا يكون فى أسعد الأحوال إلا جهاداً شاقاً ، ولا يجوز أن تقع أغلاط . على أنى أذنت للدكتور بولتر فى القيام بارتيادات قصيرة ، وأن يبلغنى النتيجة. وقـد كنت وأنا أقول له هذا أعلم فى ذات نفسى أنى لن أقوى على رفض طلبه . ولقد تحملت كثيراً ، فليس يسعنى أن أطرح أية قشة أتعلّق بها .

وظللت عصر ذلك اليوم راقداً أفكر فى هل يمكن اقتفاء الأثر فى ظلام يولية ، فإن هذه الرحلة لن تكون فى خط مستقيم لكثرة الفجوات تحت الثلج ، وقد وضعت على الطريق فى شهر مارس السابق أعلاماً بين كل اثنـين منها سدس ميل ، ولعل العواصف الثلجية قد أطارت عشرات منها أو عفت عليها ، وتركت ثغرات عظيمة فى هذا الخط الذى يبلغ طوله ١٢٣ ميلاً .

وقد حاولت جاداً أن تكون تقديراتى مجرّدة عن الهوى ، فتجسمت لى المصاعب التى تعترض الرحـلة ، وانتسخ ببطء ذلك الأمل العظيم الذى نشأ بعد الظهر ، وحل ردّ الفعل محـله ، فانطفأت الشمعة وأنا منكسر النفس ، وبى كلال وملل شديدان .

ومضى شهر يونيـة ، وتفاقم الـبرد ، وزحفت طبقة رقيقة من الثلج إلى الجدران الداخلية للكوخ حتى صـارت على مسافة ثلاث أقدام من السقف . ولم يذب الثلج وإن كان الموقد يظل مشتعـلا ست عشرة ساعة فى اليوم . وكان الطعام المحفوظ على مقربة من الموقد يحتـاج إلى الكسر بالمطرقة والإزميـل ، وجمد لحم أصـابعى

وتهرأ من لمس المعدن البارد . وعلى كثرة ما كنت أحشو به معدتى ، وأتدثر به من الثياب ، كان يبدو لى كأن من المستحيل توليد حرارة كافيــة فى بدنى .

ولما صعدت فوق الكوخ كادت الريح تشق جلدة وجهى وتنزعها ، وعلى كثرة ما كنت أدور وألتوى ، لم أستطع أن أتقى وقعها المخدر ، وكانت أصابع قدمى ربما أصابتها القرّة ثم ماتت ، فأحاول أن ألينها ليجرى فيها الدم مرة أخرى ، فيجمد أنفى ، فأوجه همى إلى الأنف فتجمد اليد ، وكان الرسغان والعنق والساقان تنبض نبضاناً أليماً ،ويتعاقب عليها النار والقِرّة .

وتقلص الحاجز من البرد ، وكان يخيل إلى أنى أستطيع أن أحسّ ما تعانيه قشرة الأرض من أوجاع . وكانت الرجفات الثلجية تجيء بعنف شديد ، وكان لها أحياناً مثل صوت الرعد ، قصفة بعد قصفة . وكان من الجلى أنه مع تقاص الحاجز ، قد أخذت الفجوات تتفتح حول القاعدة الأمامية .

وفى الخامس من شهر يولية رمانى القدر بضربة أخرى فظيعة ، إذ تعطل مولد الراديو الذى يعمل بالبترول ، فقد انكسرت اليد المحركة ولم أستطع إصلاحها ، وبقى الجهاز الاحتياطى الذى يدار باليد ، وهو يحتاج إلى رجل يعمل لتزويد آلة الإرسال بالقوة اللازمة ، وإلى رجل آخر يتولى أمر المفاتيح ، فكان على — أنا الذى ليس له نصف قوة الرجل الصحيح البــدن — أن أتولى الأمرين وحدى .

فشرعت أدير المحرك بكلتا يدى ، وكان الجهد أعظم مما كنت أظن ، ولكنى استطعت إدارته أخيراً وبدأت الإذاعة .

وظللت خمس دقائق أنادى وأدعو ، ثم تحولت إلى جهاز الاستقبال ، وكانت أصابعى ترعش وأنا أهيئ طول الموجة التى عينها داير لهذا الجهاز ، فلم أسمع إلا خشخشة ، فجربت كل ما على لوح الموجات فلم أجد إلا صمتاً تاماً ، فكدت أبكى من خيبة الأمل . واسترحت دقائق على السرير ثم عدت إلى إرسال الإشارات ، وإن كان من الجلى أن قوتى ستنفد عاجلا إذا ظللت على هذا المنوال ، ولما تحولت إلى جهاز الاستقبال ، كان قد بلغ من إعيائى أنى لم أعد أعبأ بشىء . ثم جاء صوت داير من الظلام مقدار ثانية ، وما كدت أسمعه حتى انقطع ، فرحت أعالج مفتاح الصوت وأنا يائس ، لأهتــدى إلى الخط الدقيق الذى يؤدى الإذاعة إلىّ :

« استمر . استمر . لقد سمعناك . استمر من فضلك . سمعناك » . كان هــذا صوت داير ، فخطر لى أن هذا بديع .

وقلت لداير: إن المولد خرب، وإن الجهاز الاحتياطى يتعبنى ، وأخبرته أن « الراديو لا يعول عليه من الآن فصاعداً، فلا تنزعجوا إذا لم تأتكم رسالاتى » .

ثم أقبل ميرفى يتكلم ببطء ، قال : « إن الرحلة إلى القاعدة الأمامية خطرة كما تعلم ، ولهذا فإن الاستعداد لها يجرى بأشد عناية ، ولو كنت فى مكانك لما اعتمدت على إمكان وصول الجرارات قبل آخر يولية » .

فأحسست بصدمة ، وخطر لى أنهم إنما يقومون بهـذه الرحلة من أجلى ، أفتراني كشفت لهم عن حقيقـة حالى ، دون أن أدرى ؟ وقلت لهم بحـدة إذا كانوا يظنون أن الرحـلة خطرة ، فينبغى أن يعدلوا عنها .

فقال شارلى بلهجته الهادئة المتزنة ، إنه يأسف لحمل كلامه على هذا المحمل : « وكل ما أعنيـه ، هو أننا نقـدر مبلغ طول الشهور الثلاثة الماضية ، وأننا نقدر أيضاً مبلغ خيبة الأمل إذا تأخرت الجرارة وقتاً طويلا » ، وتكلم طويلا ولـكنى لم أسمع إلا القليل ، لأن قلبى كان يخفق ورأسى يدور ، فتعثرت إلى مرقدى . وكانت هذه هى النكبة الثالثة ، وقد جاءت بعد خمسة أسابيع من سقم مستنزف للقوة ، فـكادت تقضى علىّ ، فاضطررت إلى التمهل فى الحركة وعاودنى الألم ، ومعـه القىء والأرق .

وكان الوجـه الذى يطالعنى من المرآة فى تلك الأيام وجه رجل هَرِم ضعيف ، فقد كان الخدّان متهضّمَين خشنين من الصقيع والعينان كالجمرتين ، وكانت ضلوعى بارزة ، والجـلد متهدّلا على ذراعى . وكان وزنى ١٨٠ رطلا حين ذهبت إلى القاعدة الأمامية ، ولـكنى أشك فى أن وزنى تجاوز ١٢٥ رطلا فى شهر يولية .

وفى الخامس عشر أبلغنى ميرفى بالراديو أن رحلات بولتر التجريبية نجحت ، وأنه سيحاول أن يقوم بالرحلة فى أول يوم طيب بعد العشرين من يوليـة ، فرددت عليهم بقولى: «استوثقوا أتم استيثاق من أنكم لن تضـلوا عن الطريق أو ينفـد وقودكم . ولا تعرضوا حياة أحد للخطر »

فقال ميرفى : « سنخاطبك كالعادة يوم الخميس ، ثم مرتين كل يوم بعـد ذلك » فحاولت أن أرسل إليه أنى تلقيت هـذه الرسالة ولـكن قوتى نضبت . وقد وجدت العبارة التاليـة مدونة فى سجلات أمريكا الصغرى : ( ثم قال بيرد : «حسن . أصغوا مقدار عشر دقائق كل يوم نن نن نن ...» فطلب داير إعادة العبارة ، فلم يسمع جواباً )

وحتى الآن بعد أربعة أعوام يبدو الأمر كله غريباً كأنه خيال ، فقد كنت أكذب ،

وكان القوم فى أمريكا الصغرى يكذبون أيضاً ، والفرق أنهم أدركوا أنى أكذب ، فاخترعوا قصة يغالطوننى بها .

ويظهر أن شارلى ميرفى بدأ يشعر فى الأسبوع الأخير من شهر يونية بأنى لست بخير ، وزاد شكوكه أن رآنى أستعمل الجهاز الاحتياطى الذى يدار باليد ، وأن الرموز لا تكاد تفهم ، وأن الفترات طويلة بين الألفاظ ، غير أنه هو وبولتر حرصا على أن لا يصدر عنهما ما يحملنى على الاعتقاد بأنهما يضعان خطة لرحلة إنقاذ ، لا لأى غرض آخر .

وفى ١٨ من يولية أبلغنى ميرفى أن بولتر وأربعة آخرين قد ساروا ، فما قاسى رجل محكوم عليه بالإعدام وهو يروح ويجىء فى سجنه لعل الحكم يخفف فى اللحظة الأخيرة ، أكثر مما قاسيت حينئذ . فقد كنت معنياً بأمرى فقط ، فالآن صار ضميرى الذى يعضّه الندم مسئولا عن حياة خمسة آخرين .

وفى الساعة الثامنة صباحاً أبلغتنى أمريكا الصغرى أنهم « صاروا على مسافة ١١ ميلا جنوباً ، ومن الجلى أنهم يجدون مشقة فى الاهتداء إلى الأعلام » .

وكان البرد قارساً وهو يزداد سوءاً ، وقد أشار الخط الأحمر على خريطة درجة الحرارة إلى أدنى من ٧٥ تحت الصفر ، فأحسست بأن عقلى يطير وأنا أفكر فى أمر هؤلاء الخمسة وهم يحاولون فى منطقة الحاجز أن يحتفظوا بحياتهم وحياة السيارة .

وعند منتصف الليل نمّ صوت ميرفى على القلق : « صارت الجرارة الآن على مسافة ١٧ ميلا جنوباً ، والمشقة تزداد ، والظاهر أن الأعلام كادت تختفى تحت الثلج . وكلما غاب واحد منها عنهم احتاجوا أن يسيروا فى دائرة حتى يهتدوا إليه ، وقد اقتلع بعض الأعلام وذهب » . فأعددت رسالة لتنقل إلى ميرفى ، ولكن ذراعى خذلتانى حين هممت بإرسالها ، وما من شىء فى الحياة أشعرنى مثل هذا العقم والعبث .

وفى الصباح التالى بعد ليلة من الآلام والمزعجات ، خيل إلىّ مرة أخرى أنى معلق فى ذلك الفضاء الغريب بين الشعور والغيبوبة . وكان هذا أبرد يوم فى الشتاء ، وكان مقياس الحرارة فى الداخل يشير إلى ٨٢ تحت الصفر — وبلغ من قسوة البرد أنى لما فتحت الباب لم أستطع أن أتنفس ، وحاولت أن لا أنظر إلى جهة الشمال لعلمى أنى لن أرى شيئاً ، ولكنى نظرت عسى أن تكون الجرارة فوق مرتفع ، فأرى نورها . وأخذت عينى ضوءاً مضطرباً خفق قلبى ، ولكنه لم يكن سوى نجم فى الأفق .

ولبثت خمسة أيام أكابد عذاب القلق

ولا أستطيع الاتصال بأمريكا الصغرى ، وكنت أفتح البـاب عشر مرات فى اليوم لأنظر إلى الشمال، وكنت فى كل مرة تقريباً تخدعنى النور المضطرب اللماح الذى كنت أتبين دائماً أنه من النجوم . وفى اليوم السادس والعشرين سمعت بالراديو خليطاً من الألفاظ مشوهاً . فهمت منه أخيراً أن بولتر ضل الطريق تماماً بعد ٥٢ ميلا إلى الجنوب وأنه عاد إلى القاعدة ، وأنه ليس ثم حيلة سوى الانتظار حتى يتحسن الجو .

وهكذا انتهى يولية ، وقلت لنفسى وأنا أرفع الصفحة عن التقويم : «هذا هو اليوم الحادى والستون منذ أصابنى أول انهيار ، ولم يتغير شىء فى الحقيقة فى هـذه الفترة ، وما زلت وحدى » . وكان كل ما حولى شاهداً بما حل بى ، فمن علب مبعثرة ملأى إلى النصف بطعام جمـد ، إلى كتب قد سقطت عن رفوفها وتركتها حيث سقطت ، والآن غطت الأرض والجدران الأربعة والسقف طبقة رقيقة من الثلج ، ولم يبق هناك شىء آخر تغشاه .

غير أن النهـار كان يتنفس فى تثاقل فى الشمال ، ويطرد الظلام قليلا قليلا كل يوم . وعلى ضوء هذا الفجر برز الطريق المعلم بالرايات ، قليلا قليـلا من ظلمة الغموض . وإذا كان لى الآن أمل لا ينسخ ، فهو أن أرى الشمس وضـوء النهار يزحفان على منطقة الحاجز . وهذا على الأقل ما لا بد لى منه ، فما تنزل إرادة الحياة عن هذا القدر من الأمل .

وفى يوم السبت الرابع من أغسطس قام بولتر بمحاولة أخرى ، ونقص عدد رجاله إلى ثلاثة ، عسى أن يمضى بسرعة إلى القاعدة الأمامية .

وكان يوم الأحد يوماً أوثر أن أمحوه من ذاكرتى ، فقد قمت من النوم وأنا سقيم لا أطيق الطعام ، ومتعب لا أستطيع أن أتلهى بالعمل . وجاءت إذاعة الظهر بأخبار سيئة ، فقد تعثرت سيارة بولتر فى فتحة فجوة ، وهو الآن يحاول أن يخرجها منها ، فانهارت أعصابى . لماذا لا يصنع أحد شيئاً لمساعدته ؟ فأدرت مفتاح الراديو وسألت فى « ما هى الحكاية يا شارلى ؟ أليس هناك جرارة أخرى ترسل لمساعدته ؟ استخدم كل مواردك » .

فأجاب شارلى بلطف وقال إنه لا داعى للانزعاج ، فقد رفض بولتر كل معونة ، ثم قال : « اسمع يا ديك ! إن الحقيقة أن قلقنا عليك أشد . فهل أنت مريض ؟ هل أصابك شىء ؟ » .

فحاولت أن أهرب من الجواب بقولى

إنى فهمت كل شىء فيما يتعلق بالجرارة ، وهنا عجزت عن إدارة المحرك ، وبقى الجواب ناقصاً . وكتب داير فى سجل أمريكا الصغرى : « إن قوة بيرد تستنزف بعد كل بضع كلمات » فتهربى لم يخدع إذن أحداً .

وقد كتبت فى يومياتى بتاريخ ٦ أغسطس ما يأتى : « مما يجننى أنى بعد ٦٦ يوماً كشفت عن حقيقة حالى فى نوبة ملل . وإنى لأتمنى أن ينتهى الأمر على نحو ما ، فما أستطيع أن أظل هكذا يطفو بى الأمل لحظة ، ويرسب بى الإخفاق لحظة أخرى .. وسآوى إلى فراشى الآن يحدونى الأمل فى أن أراهم هنا الليلة التالية » .

وقد كنت ، منذ أول محاولة لبولتر ، أعد شعلا وصواريخ ، فإن جماعة بولتر إذا لم تجد نوراً يرشدها إلى مكانى تد تمر بالكوخ على مسافة مئة ياردة ولا تراه . وفى صباح اليوم التالى ، جعلت أدخل السرداب مرة كل ساعة فأخرجت ست صفائح من البترول وستة مشاعل من المغنسيوم وأعددتها على السطح ، فكنت كأنى استعد لآخر وقفة .

وقد نفعتنى هذه الاستعدادات البسيطة ، لأنها صرفتنى عن نفسى فترة من الزمن ، وتذكرت أنه لم يبق على طلوع الشمس إلا ثلاثة أسابيع ، وحاولت أن أتصور منظرها ، ولكن الأمر كان أعظم من أن أستطيع تمثله .

وبدأ بولتر مرة أخرى فى الثامن من أغسطس ، وفى الساعة الرابعة من عصر اليوم التالى علمت أنه خرج منذ ٣٧ ساعة ، وأنه قطع نحو ٤٠ ميلا .

ولما صعدت إلى السطح فى الصباح أقسمت أنى رأيت نوراً من ناحية الشمال . فأخرجت طائرة الإشارة ، وجعلت لها ذيلا من السلك والقماش ، ثم غمست الذيل فى البترول وأشعلته ودفعت الطائرة فى الهواء ، وكان منظرها يبعث على الارتياح وهى تترنح فى الظلام وذيلها مشتعل . وكان هذا أول عمل مبتكر عملته منذ زمن طويل ، غير أنى لم أتلق رداً من ناحية الشمال ، وأطلقت شعلتين من البترول على التعاقب بسرعة ، فلم يجىء جواب . وزايلتنى الحماسة ، وفترت الهمة ، فتهافتُّ من الإعياء .

وعدت إلى الكوخ ، وانطرحت على الفراش ونمت نوماً متقطعاً ، وقد خيل إلىّ مراراً أنى أسمع صوت جرارة ، ولكن هذه لم تكن سوى أصوات صرير فى منطقة الحاجز . وعند العصر صعدت مرة أخرى بمنظار الميدان ، فلم أر شيئاً يتحرك .

وفى ذلك المساء أبلغنى ميرفى وهو مبتهج :

« صار بولتر الآن على مسافة ٩٣ ميلا إلى الجنوب ، وهو واثق من النجاح . حظ سعيد لك يا ديك . خل الأنوار مشتعلة »

فلم أجب ، اتقاء لما عسى أن يصيبنى إذا أنا أدرت المحرك بيدى ، فليس مما يجوز أن يحدث أن يتقوّض كيانى الآن ، إذ لا بد من إعداد أنوار الإشارة .

وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى دفعت الباب وخرجت . فرأيت من ناحية الشمال شعاع نور كشاف يتصعّد ثم يتصوّب ، ثم يتصعد مرة أخرى حتى يكون على سمت نجم ثم ينطفىء .

فامتلأت نفسى سروراً لا يوصف ، وحملت شعلة فى يدى ومضيت بها إلى الطائرة وأنا أكاد أقع من فرط اللهفة ، وربطت الشعلة بالذيل ، وأوقدتها ودفعت الطائرة فى الهواء إلى ٧٥ قدماً . فظلت الشعلة وهاجة خمس دقائق . وكانت عينى على الشمال طول الوقت ، بلا جدوى . وظللت نصف ساعة قاعداً على الثلج لا أفعل شيئاً سوى أنى أحدق . وكنت أعلم أنى رأيت نوراً ، ولكنى بعد كل هذه الخيبات كنت مستعداً أن أشك فى كل شىء . وكان لا بد من الحسم ، فقد احتملت كل ما يسعنى احتماله من القلق .

وحاولت أن أنهض فخانتنى قواى ، فزحفت إلى الكوخ وتدليت على السلم إلى فراشى. وأبلغنى ميرفى فى الساعة الثامنة أن أخبار بولتر انقطعت منذ أربع ساعات ، فسقطت السماعة من يدى ، وهبط قلبى فى صدرى ، وصار عقلى كالذاهل . ولما عادت إلىّ نفسى كان نصفى على الفراش والنصف يتدلىّ منه .

وأدركت أنه لا بد من العناية بالإشارة ، فتحاملت على نفسى وسقتها إلى السلم ، فكان كل ما استطعته هو أن أرتقى فيه إلى منتصفه ، فلا شك أن بى حاجة إلى منعش ، وقد جربت الخمر مرة فكانت العقبى وخيمة . وفى هذه المرة وجدت فى صندوق الأدوية ، زجاجة هيبوفوسفات فيها استركنين ، فأخذت جرعة مضاعفة ، وشربت ثلاثة فناجين من أقوى شاى أستطيع أن أغليه ، فأحسست بخفة فى رأسى ، ولكن مُنّتى اشتدّت .

وبعد أن تقوّيت خرجت من الباب وأطلقت شعلة ، فلما خمدت ، تحرك شعاع من نور كشاف صاعداً هابطاً فى ظلام الأفق ، وقد يكون هذا وهماً آخر ، فقعدت وتعمدت أن أولى وجهى إلى الناحية الأخرى ، فلما كررت الطرف ألفيت الشعاع لا يزال يرتفع ويهبط .

وفى لحظة عجيبة زال عنى ما كابدته

فى يونية ويولية من اليأس والآلام ، وأحسست كأنى ولدت الساعة مرة أخرى . وبعد أن أضأت المشاعل حتى لم يبق منها إلا واحد ، هبطت إلى الكوخ وسخنت علبتين من الحساء لضيوفى .

وصعدت بعدذلك فرأيت جرم الجرارة. فأشعلت ، على سبيل التحية ، ما بقى من البترول والمشاعل، وأشفت النار على الخمود، وإذا بالسيارة تقف ويثب منها ثلاثة رجال . فلم أجرؤ على أن أتقدم إليهم . وأتذكر أنى صافحتهم ، وهم يصرون على أنى قلت : « أهلا بكم ! تعالوا انزلوا فقد أعددتم لكم حساءً سخناً » فإذا كان هذا صحيحاً فكل ما أستطيع أن أقوله أنى لم أقصد إلى التمثيل، والحقيقة أنى لم أجد ألفاظاً أنقل بها ما فى قلبى. وقيل أيضاً إنى تداعيت وسقطت عند آخر السلم . ولست أذكر هذا الذى حدث كله على وجه جلى .

ومضى شهران قبل أن أستطيع العود إلى أمريكا الصغرى ، وكانا شهرين جميلين وإن كنا أربعة لا نستطيع أن نتحرك دون أن يكون أحدنا فى طريق الآخر . وطالت مدة نقاهتى ، ولكن الظلام الذى كان فى قلبى تقشّع ، كما تقشع عن منطقة الحاجز وتدفق النور فى أثره تدفقاً عظيماً .

وقد بقى إلى الأبد جزء منى عند خط العرض ٨ر٨٠ جنوباً : وهو البقية الباقية من شبابى وغرورى ، على ما أظن ، وشكوكى على التحقيق . على أنى خرجت بشىء لم يكن لى من قبل على وجه التمام : وهو تقدير الجمال والإعجاز اللذين ينطوى عليهما كون المرء حياً . وخرجت بشىء آخر هو تقدير جديد لقيم الأشياء . وقد حدث كل هذا قبل أربع سنوات ، ولكن المدنية لم تغير آرائى ، فأنا أحيا الآن حياة أبسط وأكثر سكينة .



تستطيع أن تقول بحقٍّ أن أحبّ القراءة حُبًّا ينبعث من أعماق القلب — يجعل الشابّ أكبر مما تدلّ عليه سنُّه ، ويجعل الشيخ أشبّ مما تدلّ عليه سنُّه .

[ ولتر مردك ]

# لماذا تسير السيارات سيراً منتظماً بواسطة زيوت موبيلويل



زيوت موبيلويل الممتازة تزيد في نظافة المحركات وتقلل نسبة الرواسب التي تسبب ضياع القوة المحركة والوقود.

إنك تحصل بواسطة هذه الزيوت الفاخرة على حماية أجدى لسيارتك ويصبح قيامها أسرع وأسهل كما يقل استهلاكها من البنزين. وتستند شهرة زيوت موبيلويل الى ٨٠ عاماً من الأبحاث والخبرة. وان معاملنا الجبارة للأبحاث الكيمائية ولتكرير الزيوت ومنتجاتنا الفاخرة ونظامنا للتوزيع في جميع أنحاء العالم وخدماتنا الفنية - كل هذه العوامل مجتمعة كفيلة بان تضع شركة سوكوني - ڤاكوم في طليعة منتجي المواد البترولية في العالم !!




## سوكوني - ڤاكوم




C.R...4954

# صممت خصيصاً
# واختبرت خصيصاً ...

للانتفاع بها
في
الأقاليم الحارة



ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S:C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

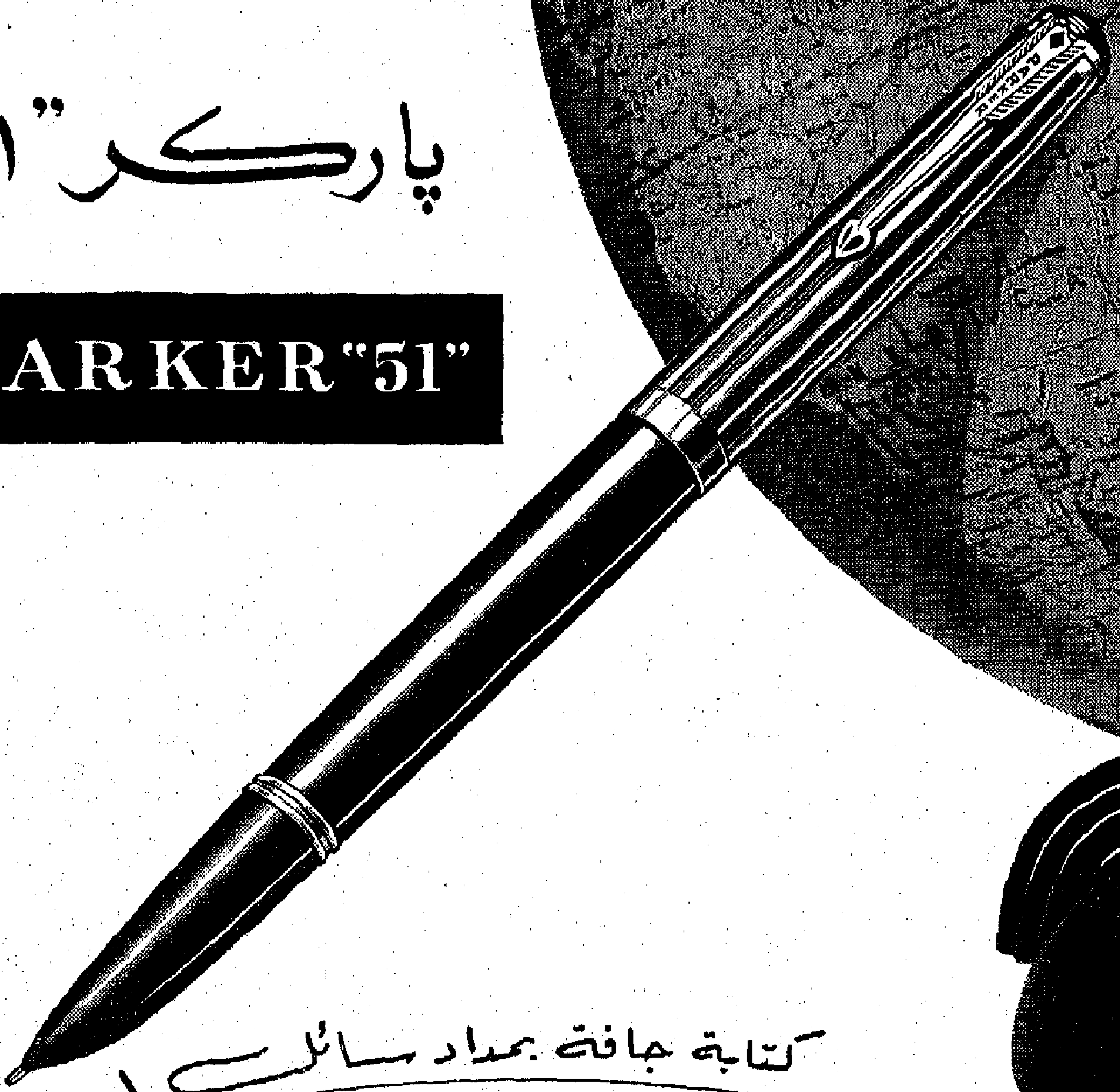
# PRESTCOLD
## للتبريد




شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجينيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

## شركة پرسد ستيل ليمتد

**THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND**


پاركر "٥١"
PARKER "51"

# حبال من الصّلب

إن حبال السلك « المهيّأة » التي تصنعها شركة « بثلهم ستيل » ، هي أعظم مرونة لأنها عولجت معالجة خاصة لإزالة بواعث الضغط في باطنها ، فأسفر ذلك عن أنها صارت أصلح لمقاومة التعب الذي يعتري الأسلاك من جرّاء لفها وثنيها حين استعمالها ، فهي إذن أطول عمراً على تكرّر الاستعمال .

وشركة « بثلهم ستيل » إحدى الشركات الكبرى في العالم لصنع الصلب ، تقدم لك أيضاً طائفة من منتجاتها مثل : الأسلاك ، والمواسير ، والألواح ، والصفيح ، والصلب اللازم للآلات ، والرفارف ، وكرات الصلب للبناء ، وضروب الصلب المستعمل للسكك الحديدية والطرق وغيرها .

وإن مصنع « سبارور بوينت » التابع لشركة بثليهم ، هو مصنع الصلب الوحيد في الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد . فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة ، فيعجل ذلك عمل الشحن ويخفض نفقاته .

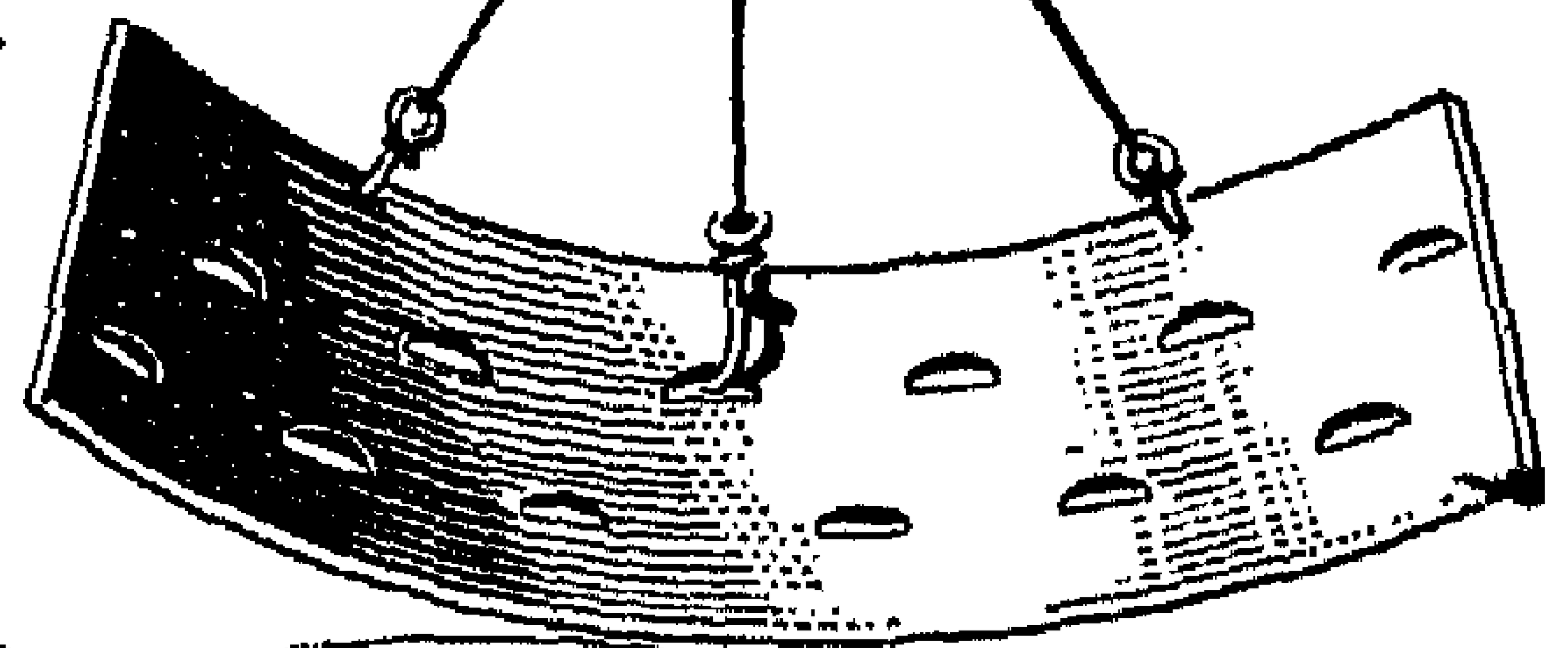
**Bethlehem Steel Export Corporation**

**25 Broadway, New York 4, U. S. A.**

الوكلاء ... في القطر المصري : شركة الدلتا التجارية ، ش . م . م ، في العراق : ستانلي شمطوعة . في فلسطين : رفائيل ملتز . في سوريا ولبنان مشيل صعناوي وولده

79SS



# غذاء أفضل لعالم أفضل




## كيف تمت الزيادة فى إنتاج المواشى

فى أوائل هذا القرن ، استطاعت شركة « سويفت » بما لها من هيئة عظيمة لحفظ اللحم ، أن تسدى أيادى لمصلحة الفلاحين ، بتوسيع نطاق الأسواق التى يباع فيها اللحم ، فأدرك الفلاحون شدة الحاجة إلى سلالات نقية من الماشية . فتمت زيادة عظيمة فى إنتاج الماشية التى يتصف لحمها بخواص ممتازة ، فذاعت شهرتها فى جميع أسواق العالم .

إن شركة سويفت لفخورة بما أسدته من يد لهذا التقدم العظيم فى الصناعة والاقتصاد .

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

## شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

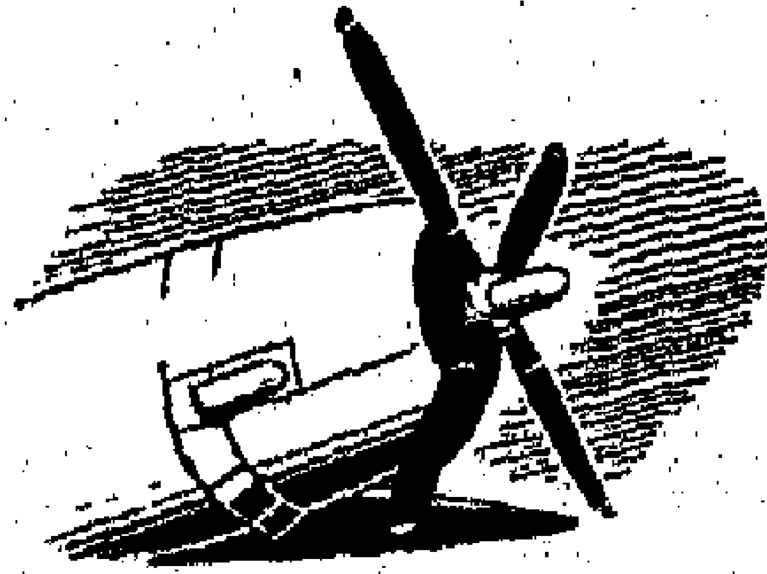
# من عواصم الموضة العالمية
# بالطائرة
## لحفلة هذا المساء

قد تلمحين فى مجلة من مجلات الموضة اليوم ، ثوباً أنيقاً متاحاً فى باريس أو نيويورك ، أو هوليوود ، وما هو أن تقع عينك عليه حتى يكون فى مقدورك أن تقتنيه غداً — فى هذا العصر ، عصر النقل الجوى العالمى الذى أسفر فجره .

إن خفة وزن الملابس ، وغيرها من أشياء المنزل ، تجعل نقلها بالطائرات أمراً ميسراً . وإن جهازاً جديداً لتحمير الخبز ، أو موسى كهربائية ، يمكن أن ينقل فى الطائرة بأجر قليل تدهشك قلته .

فأطلب من المخزن الذى تؤثره بعنايتك ، أن يجرب النقل الجوى ، كلما صار هذا النقل متاحاً .

**الهندسة التى بلتها الحرب وامتحنتها تعدّ خطوط الطيران العالمية بعونها**

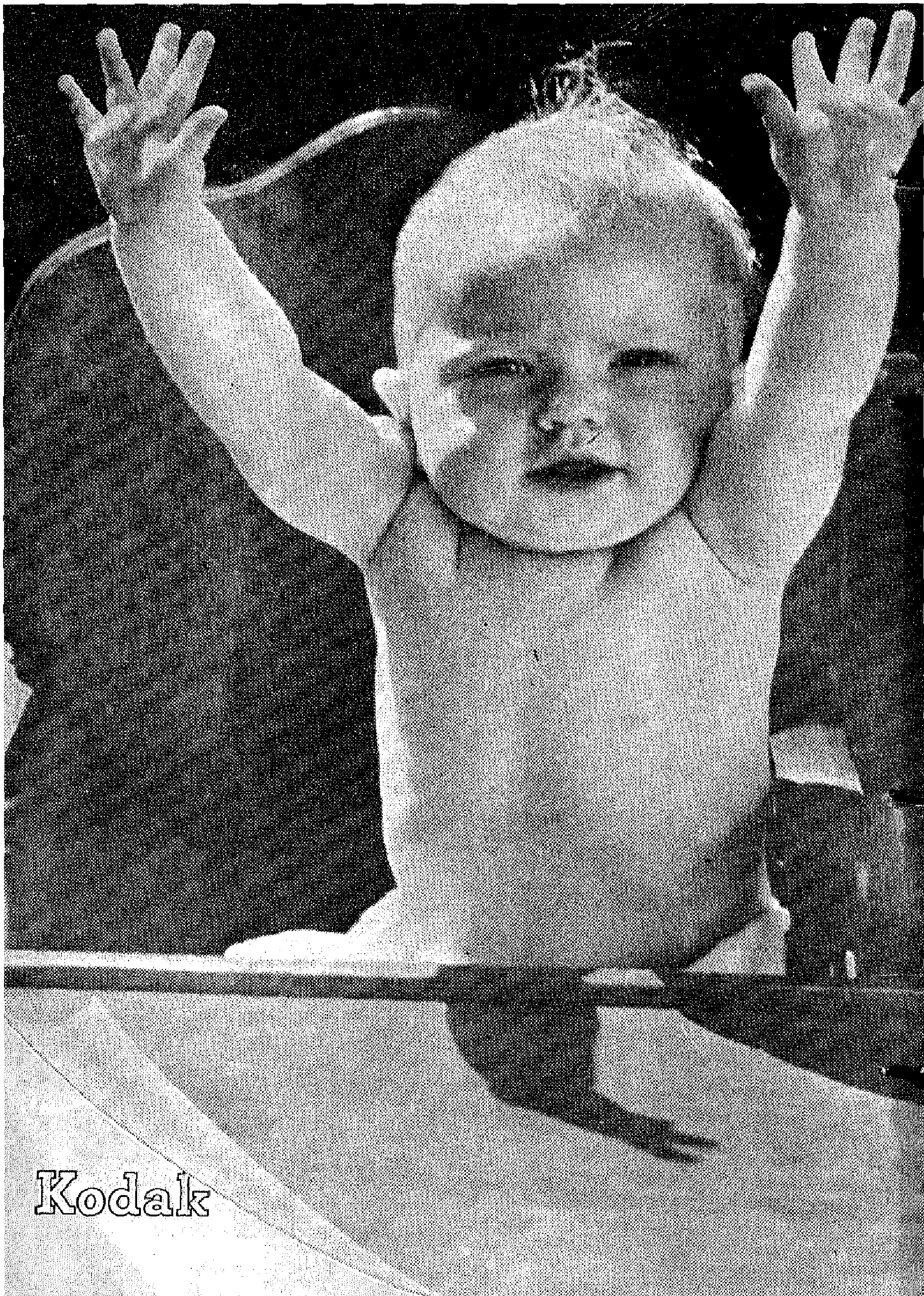


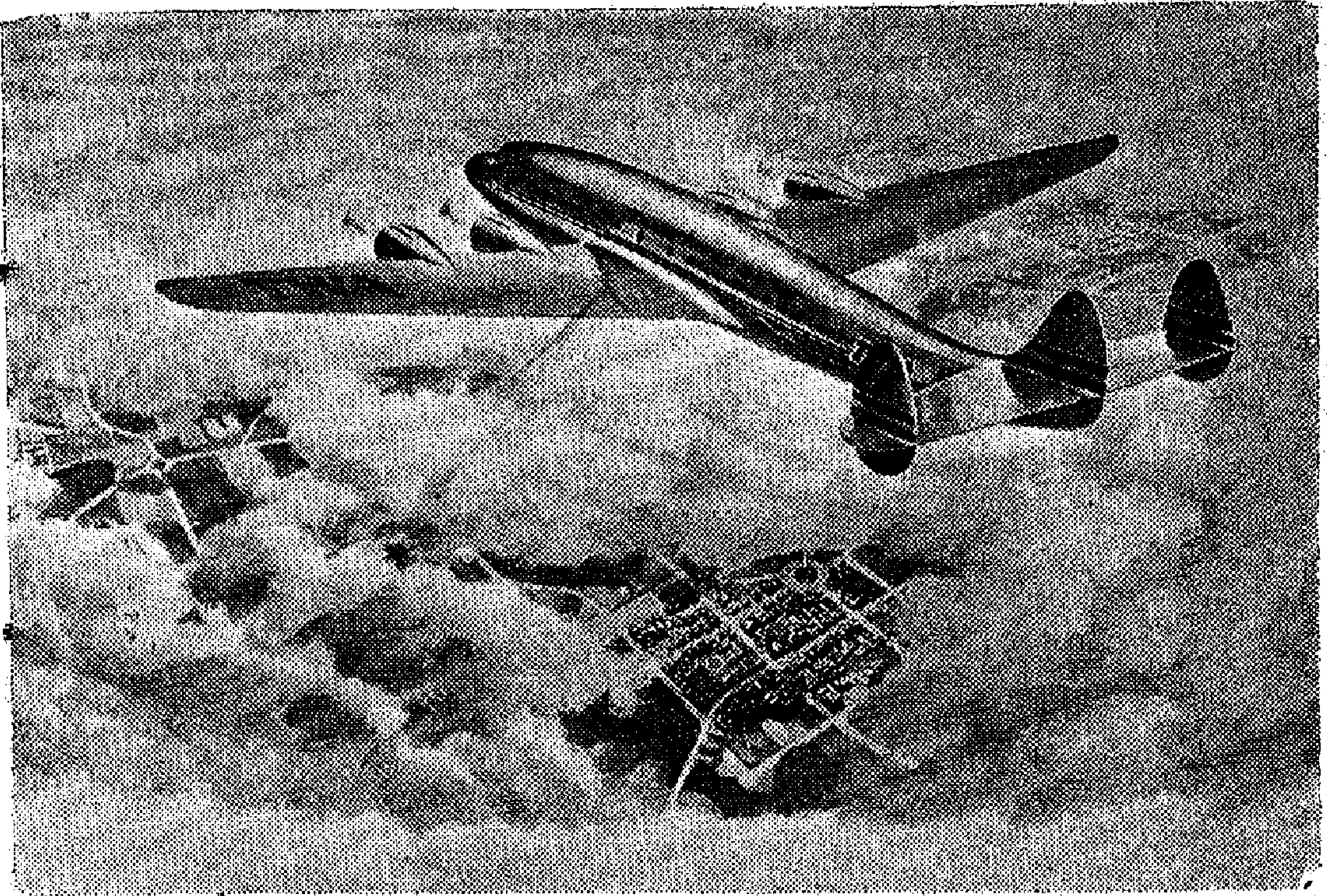
فى أثناء الحرب ، بلغت محركات رايت سيكلون ، ومراوح كيرتيس ذرىً جديدة من القوة والكفاية ، وامتحنت امتحاناً يعدل ألف سنة من التجربة والاختبار . وما تمّ لها هو الذى أتاح طائرات النقل السريعة التى تؤسس لها خطوط الطيران الدولية ، الآن .

**Curtiss Wright**

*Export Division*

REPRESENTATIVES AMERICAN EASTERN TRADING & SHIPPING CO., S.A.E., ALEXANDRIA


Kodak



# خبيرة بأحوال الجو في جميع أقطار الأرض

قطعت طائرات شركة « الخطوط الجوية العالمية **T W A** أكثر من ٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل فوق بلاد الأرض ، وقامت بأكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات ، فصارت شركة **T W A** عالمة بما تتوقعه من أحوال الجو في جميع أقطار الأرض . وأهم من ذلك شأناً ، أنها الشركة الأولى التي نقلت ركابها في راحة تامة فوق أطباق الجو المضطرب وهذه واحدة وحسب من نواحي التجربة ، التي تمكن شركة **T W A** من أن تهيء للمسافر سفراً مريحاً يعتمد عليه إلى أبعد الأمصار .



**TWA**

**TRANS WORLD AIRLINE**

رحلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندة . فرنسا . سويسرا إيطاليا . اليونان . مصر . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا .

## ماهي TWA

* **TWA** لها خبرة نيف و٢٠ عاماً في الطيران .
* **TWA** أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة في الأسفار التجارية .
* **TWA** لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوية .
* **TWA** سباقة في الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .
* **TWA** سجل ٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل في المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .
* **TWA** أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلنطي .
* **TWA** صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التي سجلت في طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .
* **TWA** أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوي يدور حول العالم ، وتراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

# أحدث وجوه التحسين فى عالم الرّاديو

# يأتيك بها فيلكو

# السبّاق !

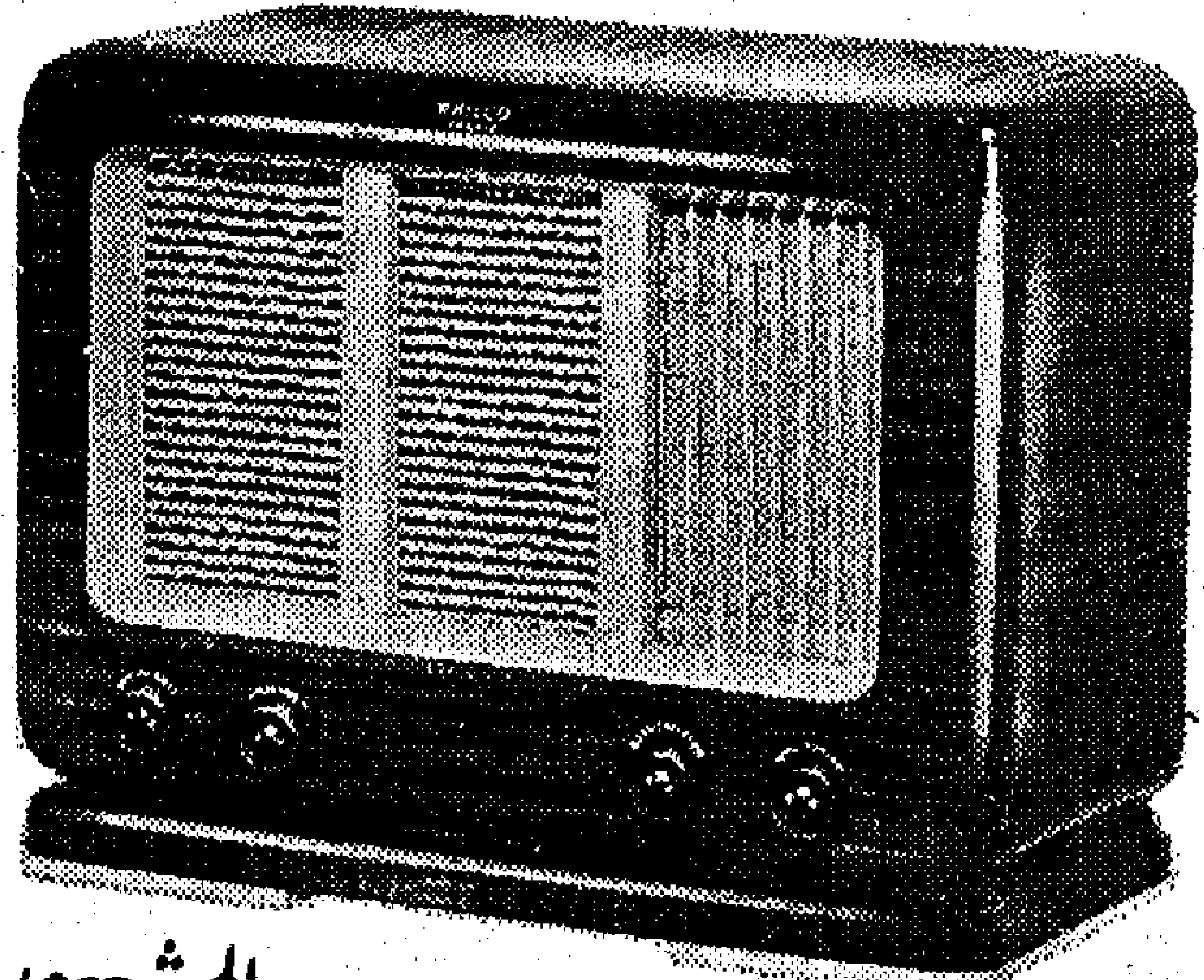


**حسبك أن تضع اسطوانة فى فتحة الجهاز**
**... فإذا الأنغام تنساب فى الفضاء**

**فيلكو ١٢٠١ :** يجعل عمل الراديو فونوغراف ذا الاسطوانة الواحدة ، أوتوماتيكياً . ضع أى اسطوانة من أى حجم فى فتحة الجهاز ، فيبدأ المحرك عمله ، وتنزل الإبرة على الاسطوانة من تلقاء نفسها ، وإذا الأنغام تنساب فى الفضاء ، ثم يتوقف المحرك ... كل ذلك يتم أوتوماتيكياً .

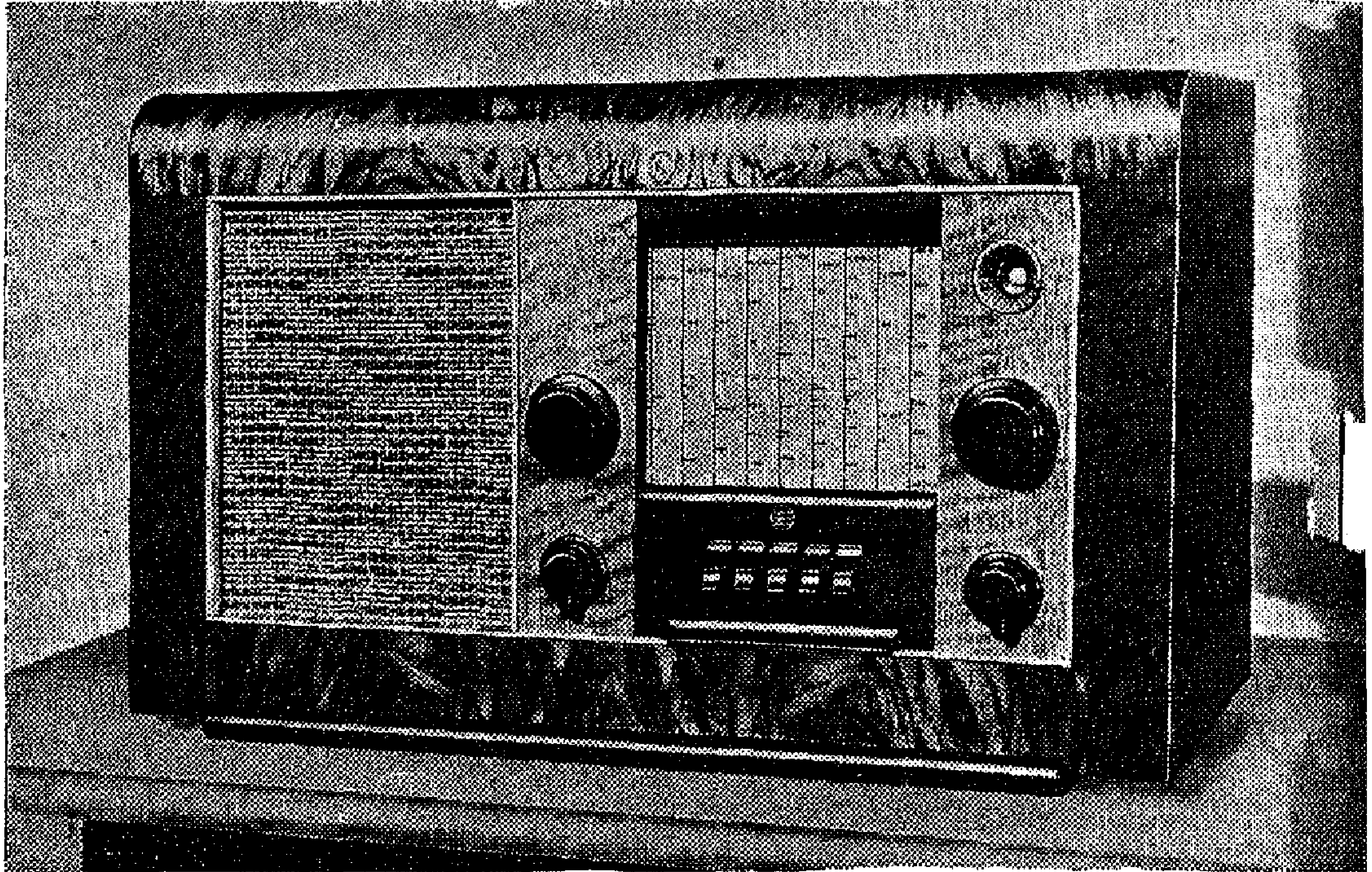
**سبقه بعشر سنوات الأجهزة المألوفة منذ أربع سنوات**

**فيلكو - ترويك ٨٦٠ :** يضبط على المحطات البعيدة التى تذيع على الموجة القصيرة ، بسهولة عظيمة كأنها محطتك المحلية ! قوة عظيمة ، نغم مجيد ، موبيليا أنيقة فاخرة ، مناطق أمواج للضبط الدقيق ، يلتقط الإذاعات المحلية والتى تذاع على الموجة القصيرة .



PHILCO

**المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم**



مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل A 24

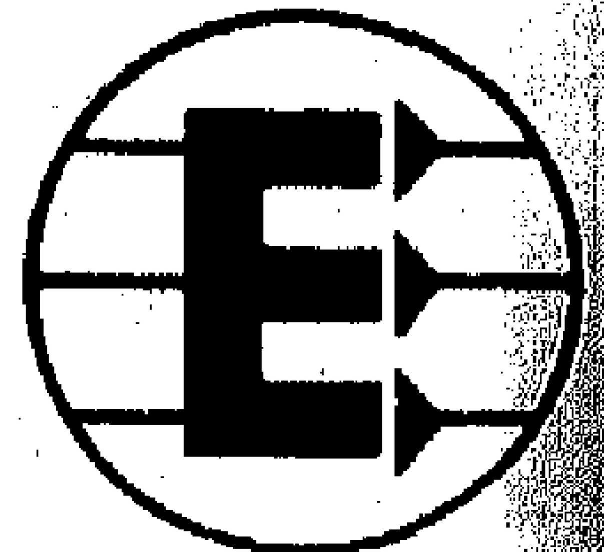
# راديو إكو ولمباته بدأت تصل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم .

وقد صُنع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة « إكو » ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز « إكو » .



هذا رمز المنتجات الممتازة التى تصنعها شركة إ. ك. كول لمتد.

E.K. COLE LTD. ECKO WORKS SOUTHEND-ON-SEA, ENG.

لهم أن يعرضوا على قرائهم موكباً عالمياً من الآراء والحقائق والمثل الإنسانية العليا. وهذه أول مرة في التاريخ أتيح لشعوب متفرقة على سطح الأرض أن يظفروا بمعين لا يغيض من القراءة الممتعة النافعة، فيطلعوا على أحدث ما تمّ في ميادين النشاط الإنساني: من طب وتربية وعلم وزراعة وصناعة وأدب وسياسة دولية. والذي نراهُ من اهتمام قراء الشعوب العربية بما في المختار من فصول، يدلنا على أنهم يعنون بما يزخر به العالم من تيارات الفكر وآيات العمل، وهذا الاهتمام هو إحدى الدعائم التي لا غنى عنها في بناء المستقبل الباهر المجيد الذي يعيد إلى الذهن حضارة العرب في أوج ازدهارها، ويعيننا على أن نتبوّأ مكانتنا في موكب الأمم.

فؤاد صروف

## مقتطفات من بعض الرسائل

**محرم إبراهيم الدسوقي فوده** — القاهرة

عندي ثلاثة أبناء أكبرهم في التاسعة وأصغرهم في السادسة، وأنا أعتقد أن مجموعات المختار خلال عدة سنوات، تكون مكتبة بسيطة عظيمة القيمة، دون أن تكلف مجهوداً يذكر أو مالا كثيراً. وأنا أحتفظ لكل طفل من أولادي الثلاثة بمجموعة نظيفة وكل منهم يشعر بأنها ملك له، يحافظ عليه ويعنى به.

**إبراهيم عبد القادر المازني** — القاهرة

سد المختار فراغاً هائلا بين مئات الألوف من المتعلمين في البلاد العربية، فصار يتسنى لهم أن يظفروا بالقراءة الممتعة النافعة فيرتفع مستواهم الفكري وتتسع آفاقهم. وقد لاحظت أن ابنيّ الصغيرين يحتفظ كل منهما بنسخة من المختار ويأبى أن يشاركه فيها.

**فارس الخوري** — رئيس مجلس النواب السوري

إن مقالاته (المختار) تعظم شأن الإقدام وتعلي منزلة الفرد، وتمجد الرجال والنساء الذين تحدوا العقبات والعوائق فاقتحموها وعملوا ما يبتغون. إنهم خير مثل لشبابنا.

**حبيب أبو شهلا** — وزير التربية الوطنية الأسبق في لبنان.

إن مجلة المختار وسيلة فعالة في متناول الجميع لمواصلة التربية التي تبدأ في المدرسة ولا تقطع إلا مرحلة واحدة منها حين ينتهي عهد الدراسة . . فأرحب به عوناً لنا في التربية الشعبية . . وعلى وجه خاص من ناحية ما يوريه في النفوس من العزم ويوحيه من صدق النضال.

**أحمد سامح الخالدي** - مدير الكلية العربية القدس

إن ما أدركه المختار من نجاح حتى اليوم ليس نهاية بل بداية. وسبب نجاحه واضح. إن في العالم العربي ليقظة، وإن في المختار لمتعة وفائدة للقراء مهما تختلف أراؤهم وأعمارهم.

**أنيس المقدسي** — أستاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الأمريكية.

نتسابق أنا وابني الصغير البالغ من العمر ١٤ سنة إلى قراءة المختار كل شهر ونتحدث معاً في كثير من محتوياته. فالمختار يحمل رسالة كان أهل الثقافة يتوقون إليها فيعرض المعلومات النفيسة عرضا يلائم ذوق الجمهور، ملقياً على الجد طرافة القصة وجاعلا من الحقيقة مصدراً للحبور.

# رسالة من رئيس التحرير

كل مجلة ، ككل قارىء من قرائها ، يأتى عليها زمان ترى فيه أن من الخير لها أن تقف قليلا لتتدبّر ما مضى من عملها ، وتستوضح طريقها وغايتها ، وتكون على ثقة من أنها تؤدى للناس ما ينبغى لكل مجلة صادقة النيّة أن تؤديه حتى تسوّغ وجودها .

ولقد أشرفت المختار على ختام سنتها الثالثة ، فتلفت محرروها ينظرون إلى قرائهم الذين زاد عددهم على مرّ الزمن زيادة ثابتة . وهم يدركون اليوم ، كما أدركوا يوم أصدروها ، أن مهمتهم ليست مما يستخفّ بهِ . فهذه الألوف من القراءِ الذين يحبون المختار ، والذين يقطنون كل قطر من بلادنا العربية المترامية — من مصر إلى فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسورية والعراق وجزيرة العرب إلى المغرب والمغرب الأقصى — والذين يعيشون فى قرى هادئة أو مدن زاخرة ، وفى المزارع الصغيرة أو القصور العظيمة ، كلُّ هؤلاءِ يشعرنا بالتبعة الضخمة التى يلقيها على كاهلنا شرف تكليفنا باختيار الفصول التى نجمعها ونقدمها إليهم فى أول كل شهر .

وشعورنا بالتبعة قوىٌّ لا يفارقنا لحظة واحدة ، ولكن يخفف من عبئهِ ويحبّبه إلينا ما قام عليهِ الدليل شهراً بعد شهراً من أن المختار تسد حاجة الناس وتسدى يداً نافعة إلى الحياة الزاخرة التى تضطرب بين جوانح شعوبنا العربية . وقد كتب إلينا آباء ومعلمون يقولون إن المختار معوان لهم على إطفاءِ ما يساور شبابنا من ظماءٍ عجيب إلى المعرفة ، وكتب شبّان وشيب يقولون إنهم وجدوا أن المختار ينبوع متدفق يستمدّون منهُ ما يقويهم ويفتح لهم أوسع الآفاق . ورسائلهم هى أكبر عون لنا على معرفة كنه ما نؤديهِ لهم ، وما ينبغى لنا أن نتوخاهُ فى اختيار فصول من ذخائر المطالعة العالمية بحيث تسدى أعظم نفع لأمتنا العربية .

والذى يفعله محررو المختار كلَّ شهر من جمع مقالات كتبها كتّاب من شتى الأمم ، ثم اختصار أجودها لتكون يسيرةً على القراءِ ، قد أتاح

[ البقية على الصفحة السابقة ]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

أغسطس ١٩٤٦
٣ قروش

# المختار من ريدرز دايجست

## في كل مقالة لذة دائمة

# مختار سبتمبر ١٩٤٦ عدد فاخر

من دواعى فخر « المختار » أن يعرض لك بعض ما فى عدد سبتمبر من المقالات الممتازة ، وهو العدد الذى يفتتح به سنته الرابعة .

* مقالة خاصة عن **العالم العربى** كتبها محرر «المختار» الطواف إدوين مولر الذى كتب مقالة: « لا تتغير حال قوم حتى يغيروها بأنفسهم » فى هذا العدد . ومقاله هذا خلاصة دراسة عميقة قام بها فى رحلته فى الشرق الأوسط منذ عهد قريب . ولن يقتصر الاهتمام بما جاء فيها على العالم العربى ، بل سيقرؤها ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ قارىء فى أقطار الأرض بلغات كثيرة .

* خريطة خاصة ملونة تبين **الروابط الثقافية** التى تصل ما بين قراء مجلة ريدرز دايجست فى القارات الخمس .

* **كتابان مختصران** ، أحدهما كتاب وليم بوليت، سفير أمريكا الأسبق فى روسيا ، عن الاتحاد السوفيتى ، وهو كتاب لم يكد يخرج من المطبعة حتى تخاطفته الأيدى .

* أما الثانى ، فقصة **مغامرة تاريخية رائعة** عنوانها : « جزيرة بتكيرن » ألفها نوردهوف وهول مؤلفا قصة « ثورة على السفينة بونتى » ، فترى فيها وصفاً حياً بارعاً لما حدث لجماعة مشهورة من العصاة المتمردين فى جزيرة مقطوعة عن سائر أرض الله .

* مقالة على غلاف العدد كتبها للمختار خاصة **الدكتور حافظ عفيفى باشا** مندوب مصر فى هيئة الأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن السابق .

* وأيضاً طائفة كبيرة من أمتع المقالات وأحفلها بالأنباء والمعلومات والفوائد .

وفى عدد سبتمبر أيضاً تجد السلسلة الثانية من القسائم التى ترى وصفها فى داخل هذا العدد ، وهى قسائم تمكنك من أن تظفر مجاناً بنسخة من كتاب عنوانه : « **هل أنت حى** » يضم مجموعة منتقاة مما نشر فى المختار منذ ظهوره . وهذه المجموعة الممتازة الأنيقة قد طبعت خاصة لقراء « المختار » **ولن تعرض للبيع** ، فاحرص على أن تقرأ البيان الوافى عنها فى قاب هذا العدد .

# المختار

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

أغسطس ١٩٤٦

## لا تتغيّر حالُ قومٍ، حتى يُغيِّروها بأنفسهم

إدوين مولر

**كلمة المحررين**: إن إدوين مولر، الذي كتب قصة النايل، هو أحد محررينا الطوافين. فمهمته مهمة يحسد عليها. وميدانه هو العالم بأسره، وموضوعه هو **النهضة والتقدم**.

وقد جاء إدوين مولر إلى الشرق الأوسط، ليكتب خاصة عن نواحي النهضة والتقدم فى اليقظة العربية التى ترقبها سائر أمم الأرض باهتمام عظيم. وقد اختار قصة « شلبي، وعائدة، ومشروع النايل » يسوقها مثلا رائعاً على مايدخل فى طوق الناس من بذل العون لإخوانهم فى الإنسانية، إذا اجتمعت فيهم ثلاث خصال: الهمّة: والمثابرة، وأعظمهنّ **العزيمة**.

ولعل مما يملأ قلبك غبطة أن تعلم، وأنت تقرأ هذه القصة، أن ملايين من الناس فى سائر أقطار الدنيا يقرأونها أيضاً — بلغاتهم المختلفة، منشورة فى سائر طبعات **المختار**. وأن طبعات اللغة الإسبانية، والبرتغالية، والسويدية، والدنمركية، والفنلندية، واليابانية، والإنجليزية، تحمل اليوم قصة النايل إلى أقطار المعمورة لتكون ملهماً ومرشداً لسائر الناس يهتدون بهديها. وهذه هى المقالة الأولى من سلسلة من المقالات التى عنى إدوين مولر بكتابتها عن العالم العربى. وسننشر الثانية فى عدد قريب.

# لا تتغير حال قوم حتى يغيروها بأنفسهم

صدور الصحف حافلة بأنباء المجاعة فى أرجاء الأرض، نقرؤها ونحن نفطر فنغصُّ باللقمة الشهية ، بل ربما رَدَدْنا اللقمة الأخرى حين نتصور مليوناً من البشر أو عشرة ملايين يهلكون جوعاً .

بيد أن الأنباء لا تذكرنا قط بالفاقة الدائمة التى تمهّد للمجاعة فى الحين بعد الحين . إن هلاك بضعة ملايين من الجوع ، لأقلُّ فجيعة من أن يظل مئات الملايين محرومين أسباب العيش والحياة ، وعدد سكان المعمورة يبلغ ألفى مليون نفس تقريباً ، فترى ثلثيهم موثقين بقيود الفاقة والجهل والمرض ، فلا يعيشون إلاّ عيشة دون الكفاف لا تليق بالبشر .

وهذه قصة حرب شنت فى ساحة صغيرة من ميدان مترامى الجوانب ، هو ميدان البؤس الإنسانى . وهى خليقة بأن تروى ، لأن الفكرة التى أوحت بهذا الكفاح تصلح للتطبيق فى أرجاء الأرض ، حيث تُبذل الجهود لإغاثة الناس وإصلاح أمورهم .

إن القرى المنشورة على ضفاف النيل الخضر النضيرة ، تقع فى أرض من أخصب أرض الزراعة فى العالم كله، ولكن الفلاحين الذين يحرثونها ويزرعونها ، لا يصيبون الكفاف من الغذاء ، فترى عظامهم بارزة تحت جلودهم الشاحبة . وهم سلالة حضارة من أقدم الحضارات على الأرض ، ولكنهم لا يقرأون ولا يكتبون . وهم يعيشون فى إقليم مشهور بطيب هوائه وجودته ، إلا أن المرض قد هدّ من قواهم ، حتى أصبح يؤودهم العمل الذى لا يكاد يعجز عن أدائه طفل سليم البدن .

ولعل قرية المنايل* كانت أسوأ قليلا من أوساط هذه القرى ، فقد كانت طرقها غير ممهدة تغطيها الأقذار ، وكان بها ثلاث برك آسنة كأنها مجارير مكشوفة ، ولم تكن بها مدرسة، كلا ولا مسجد ، إذ كان مسجدها القديم المهدّم قد أغلق خشية أن ينقضّ على المصلين . وكان نحو ٩٠ فى المئة من فلاحيها مصابين بالبلهارسيا والديدان التى تعيش متطفلة فى أمعاء البشر ، فتضعف أبدانهم وعقولهم ، وكان أكثر من ٥٠ فى

* شمال القاهرة مديرية القليوبية مركز قليوب.

المئة منهم مرضى بالأنكلستوما والملاريا ، وكان ٨٣ فى المئة منهم أميين ، وكان أهل القرية جميعاً يرزحون تحت أعباء البؤس الشامل .

قررت فئة من أهل القاهرة ، أكثرهم من المسلمين المثقفين، أن يقوموا بتجربة فى المنايل ، إذ رأوا أن ماتبذله الحكومة فى الحين بعد الحين من جهود فى سبيل تطبيق أصول الصحة وقوانين التعليم ، تنتهى إلى الإخفاق حين ترتطم بصخرة عاتية هى قلة مبالاة الفلاح . ولم تكن ثمة إلا طريقة واحدة لم تجرب بعد، هى أن يزينوا للفلاحين أن يغيّروا حالهم بأنفسهم .

وكذلك أرسلت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية* شخصين مصريين مسلمين إلى قرية المنايل : أحدهما محمد شلبى خريج جامعة فؤاد الأول بالقاهرة، وهو شاب أسمر رقيق الحديث يفتر ثغره عن ابتسامة حلوة آسرة، فيلقى فى روعك أن خلقه مزيج من الكفاية والمروءة والنجدة . والأخرى عائدة قابيل خريجة مدرسة الممرضات فى الجامعة نفسها، وهى سيدة مرحة سرعان ما تملك صداقتها قلب الشيخ الحديد الطباع والطفل الغرير على السواء . وشلبى وعائدة هما بطلا هذه القصة ، وكل فكرة مصيرها الموت إذا لم تجد من ينفخ فيها من روحه .

استأجرا منزلين من بين منازل القرية ، فأقام شلبى فى أحدهما ، وأقامت عائدة فى الآخر . ولم يدخلا على المنزلين إصلاحاً ، إلا أنهما تولياهما بالنظافة التامة ، ووضعا فى كل منهما عدداً من الدكك والمقاعد لاستقبال من يزورها من أهل القرية ولكن لم يزرها أحد ، فقد كان أهل القرية يتوجسون منهما خيفة ، فهم من عمال الحكومة — ناس غرباء . ولم يكن لشلبى وعائدة من عمل إلا التودد إلى الناس ، ولكن مضى الزمن الطويل ولم يظفرا بصديق .

وخطرت لشلبى فكرة موفقة ، فاستعان بأنصاره فى القاهرة واشتروا مذياعاً ، ولم يكن بالقرية مذياع . وأخذ ينتهز فرصة عودة الفلاحين من حقولهم مساء للعشاء ، فيديره خافت الصوت . وأنشأ يذيع البرامج العربية المذاعة من القاهرة ، ولاسيما ترتيل القرآن . وبدأ قليل من الرجال يقتربون من المنزل حتى يسمعوا التلاوة . ولم يحاول شلبى أن يغريهم بالدخول ، ولكنه وضع لهم عدداً من الدكك والمقاعد أمام الدار ، وأخذ يرقب ما يكون منهم [illegible]

* تعترف الجمعية بالفضل لأحد أعضائها ومرشديها هو الدكتور وليم ويدل كايلاند رئيس قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

كان أول رجل جاذبه المودة هو حسن أبو النصر . وكان حسن هذا شيخاً مغضّن الوجه استطاع أن يفلت من الموت ويعيش سبعين عاماً فى المنايل ، بل حافظ أيضاً على تلك النعمة الإلهية النادرة ، نعمة الشوق إلى المعرفة . فدخل عليه ذات ليلة يريد أن يستمع إلى المذياع ويجاذبه أطراف الحديث .

كان لحسن سبعة أولاد وست بنات أكثرهم متزوج ويعيش معه فى القرية ، فأخذ منذ تلك الليلة يأتى معه ببنيه وأصهاره ، ومنهم تألفت أول ندوة للرجال فى المنايل . وكانت تلك هى أول مرة اجتمعت فيها مثل هذه الجماعة ، أو تيسرت لها أسباب تكوين رأى عام والإعراب عنه .

اعترضت طريقهم العقبات ، فقد كان شلبى يستأجر الدكك والمقاعد من ثرىّ القرية الذى يملك خمسة أفدنة . وكان رجلا من طلاب المنافع لا تنقضى مآربه ، وكان لا يزال يسأل شلبى أن يبحث لابنه عن عمل فى القاهرة ، وأشباه ذلك . فلما أصم شلبى أذنيه جن جنون الرجل ، وجاء ذات يوم يقود جملا ، فحمل الأثاث ومضى به . فظل الرجال زمناً طويلا يجلسون على الثرى فى ندوتهم ، حتى اضطر الرجل تحت ضغط الرأى العام النامى أن يعدل عن سيرته .

وكانت عائدة خلال ذلك توثق صلا بالأطفال فى بيتها ، فكانت حين يحفّون كالهائبين تداعبهم وتلاطفهم ، ثم أخذ تعلمهم بعض الألعاب . وأخيراً أفضت به صلتها بالأطفال إلى أمهاتهم ، وسرعان ماتألفت فى القرية ندوة للنساء تشبه ندو الرجال .

ولم يحاول شلبى ولا عائدة فى أول الأمر أن يعلما الفلاحين كيف يصلحون أحواله ولكنهما ظلا أبدا ينتظران الفرصة المواتية أن تنبعث شرارة من سخط يتقد فى صدو الفلاحين فيؤججان نارها .

انبعثت هذه الشرارة حين حاولت الحكومة أن تطبق قانون التعليم الإجبارى على القرية ، فإن الذهاب إلى المدرسة فى مصر مفروض فيه أنه إجبارى ، وإن لم يكن فيها من المدارس ما يكفى لتعليم جميع الأطفال . وكان ثمة مدرسة فى قرية تبعد عن المنايل قليلا ، فكان على أطفال القرية أن يذهبوا إليها ، وكان الطريق إليها شاقاً طويلا ، فأضرب الأطفال عن الذهاب ونزل بالمنايل ذات يوم مفتش فرض الغرامة على بعض الآباء ، قدرها خمسة عشر قرشاً على كل منهم ، وهى تعادل كل ما يحصله الفلاح من عمله فى ثلاثة أيام . فهوى الخبر

كالصاعقــة ، حتى لم يكن للرحال حديث سواه فى ندوتهم .

واقـترح شلبي مترفقاً : لم لا تكون للمنايل مدرسة خاصــة ، ولعل الحــكومة نفسها تتولى بناءها ؟

كانت الفــكرة أكبر وأجلّ من أن يدركوا كنهها لساعتهم ، ولـكن سرعان ما أخذت جماعة من أهل الجرأة وأصالة الرأى أمثال حسن أبو النصر يبحثونها جادّين . وجيء إلى شلبي ذات يوم بوثيقــة هامة استغرقت أربع صفحات ، كتب فى نصف إحــداها التماس إلى الحكومة أن تبنى مدرسة فى المنايل ، واسودّ باقيها ببصمات أصابع الفلاحين .

رفع شلبي الطلب إلى القاهرة ، وبذلت مساعٍ ، وجاء الرد بأن الحكومة مستعدة لأن تبنى مدرسة فى المنايل ، إذا هيأ أهل القرية مكاناً للبناء .

وأذهلهم الرد . فقــد كان فى المنايل ٤٣٠ أسرة تعيش على ٩٠٠ فدان ، وكل قدم مربعة من الأرض تستغل فى الزراعة كل استغلال ، وتقوّم بثمن كبير ، أو يشغلها بيت أو طريق ، فلا مكان لهذه المدرسة .

وعرض شلبي اقتراحه الثانى : إن أكبر البرك الثــلاث الآسنة تغطى قرابة فدان ، فلو مهدت شوارع القرية ، لـكان ما يخرج من ترابها وأقذارها كفيلا بأن يردم البركة ويهيء مكاناً للمدرسة . ثم إن ردم هــذه البركة كفيل بأن يقضى على منبت من منابت الأمراض فى القرية ، بيد أن شلبي لم يكاشفهم بذلك .

وقُبل الاقتراح بعد تبادل الرأى ، وأخذ الرجال يعملون فى أوقات الفراغ .

ولـكن العمل أخذ يتراخى ، فإن الرجل الذى نهكت البلهارسيا قواه حتى يشق عليه عمله فى حقله ، عسير عليه أن يشارك بجهد آخر يبذله فى مشروع لخير الجماعة . وكذلك أخذ ردم البركة يســير رويداً رويداً حتى ما يكاد يظهر له أثر ، فلم يحاول شلبي استعجالهم ولا حثّهم .

ثم أصابت العمل صدمة شديدة ، فقد كانت الحكومة تراقب سير العمل ، فلما عيل صبرها قررت أن تعالج الأمر بالمأثور من وسائل الحكومات ، فدهم المنايل ذات يوم عشرة فرسان من رجال الشرطة ، وساقوا القرويين قهراً ليردموا البركة ، واضطروهم أن يستعملوا فى ردمها كل ما يقع تحت أيديهم حتى حطب القطن وقش الذرة والأرز الذى اختزنوه فوق سطوح دورهم للوقود .

وسخط الناس سخطاً شديداً ، وأسرع شلبي إلى أقرب تلفون ، ولـكن قبل أن يتاح له أن يتصل بأولى الأمر كان الضرر

قد وقع ، فقد أصاب منزلته عند الناس أذى شديد .

كان عليه أن يبدأ عمله من جديد ، فظل يجاهد عدة أسابيع حتى استعاد ثقة الفلاحين بالتدريج ، وعاد العمل يتقدم تقدماً مطرداً .

كان شلبي وعائدة يسيران خلال ذلك نحو هدفهما الثاني : الصحة ، وهي أهم شأناً من التعليم .

كانت حاجات القرية الصحية واضحة : إنشاء المراحيض ، وحفر الآبار لتزويد القرية بماء الشرب والغسل بدلا من ماء المستنقعات الآسنة ، وإزالة الزبالة ، وتغيير ما ألفه القرويون. وكان إنشاء هذه المرافق أمراً يسيراً شيئاً ما ، ولكن العقبة كانت في جعل القرويين يؤمنون بضرورتها ، وهي عقبة أعجزت كل السلطات الصحية في مصر .

اتصل شلبي بأنصاره ، فأرسلوا إليه ميكروسكوباً طلبه ، وراح يستعمله بحيث يراه القرويون ، فاستثار فضول حسن أبو النصر وسواه من الأذكياء . فشرح لهم شلبي عمل الميكروسكوب ، ثم طلب منهم أن يحضروا قليلا من ماء المستنقع ، فوضع قطرة منه على زجاجة ، وأخذ يريهم يرقات البلهارسيا وهي تسبح فيها سبحاً . ثم أخذ يسهب لهم في وصف عمل اليرقات وكيف تخترق الجلد ، وتدخل مجاري الدم ، وتصبح ديداناً تشق طريقها إلى الأمعاء أو جهاز البول ، وتعيش في عائلها فتستل قواه .

ولكن إقناعهم كان أمراً عسيراً ، فقد ألفوا منذ ولدوا شرب ماء النيل الذي تمدهم به الترع ، والله هو الذي أنزل الماء من السماء، وخلق فيه الدود، كما قال أحد شيوخ القرية فقال شلبي ، « أيها الشيخ . حق ماتقول ولكن نبئني . إذا كنت سائراً بين قضبان السكة الحديدية وسمعت قطاراً يقترب ، أتظل سائراً بين القضبان أم تتنحى عنها ؟ »

« لا يصر على السير بينها إلا مجنون » .

« حق ماتقول ، فهذه الديدان كالقطار يتجنبها الرجل الحكيم » .

وهز الشيخ رأسه بعناد . كان تحول الناس عما ألفوه بطيئاً ، وقد بنيت المدرسة قبل أن تحفر البئر ، ولكن البئر حفرت في النهاية ، وصار في المنايل ماء نقي .

وجعلت عائدة بيتها مركزاً لرعاية الطفل ورعاية الحوامل والوالدات . كان أطفال المنايل من قبل يولدون على أيدي اثنتين من القوابل العجائز الجاهلات ، وكان معدل وفيات الأطفال الرضع ٢٩٥ رضيعاً من كل ألف مولود حي في العام . وكان من العسير تبديل ما اعتاده الناس ، ولكن عائدة نجحت أخيراً فأغرت القابلتين بأن

تعملا معها بأجر ، وعلى مر الزمن صار الحوامل يذهبن إلى عائدة رأساً ، حتى سمى اسمها كثير من مواليد المنايل بعد ذلك .

بيد أن الخطوة الحاسمة فى تجربة المنايل لم تكن إلا يوم بدأ القرويون يقترحون وسائل الإصلاح وينفذونها بأنفسهم .

فقد قررت ندوة الرجال مثلا — دون إيحاء من شلبى — أن تجرى مسابقة لأنظف بيت فى القرية خلال فترة من الزمن ، وكانت الجائزة التى منحت للفائز أن تطلى مجاناً جدران بيته المبنى بالطين بطلاء من الجير مختلف الألوان بين أبيض ووردى وأزرق ، وهو نوع من الامتياز والوجاهة فى قرى مصر .

ومثل آخر : قرر النساء إنشاء جمعية تعاونية ، ومضين فيما عزمن عليه قدماً . أو عندما أسست القرية مبرّة لإعانة أسرها الفقيرة ، فالفقر درجات حتى فى المنايل . واشترت المبرة أنوالا للنسيج ، وأمدت الفقراء بغزل القطن ، فصار الفقراء المدقعون يجدون بمزاولة العمل فيها مرتزقاً يقيم أوَدهم .

وأشرف الأمر على غايته حتى أصبح لقرويون يتبرعون بأموالهم لمشروعات لإصلاح التى اقترحوها وأسسوها ونفذوها بأنفسهم ، دون أن يحثهم على ذلك أحد .

زرت المنايل بعد مضى ست سنوات منذ بدأت التجربة ، وقال لى دليلى فى الطريق : إن إصابات البلهارسيا قد هبط معدلها من نحو ٩٠ فى المئة إلى أقل من ثلاثين ، وانخفض معدل الأمية عاماً بعد عام ، إذ صار كل طفل يذهب إلى المدرسة .

واستقبلنا وفد من القرويين يرحبون بنا ، وعلى رأسهم الشيخ حسن أبو النصر ، مهيباً فى جبته الطويلة الزرقاء وعمامته البيضاء ، ومعه خمسة أو ستة من أعيان القرية ، كلهم فرح بالزوار ، مزهوّ بما صنعت أيديهم ، ويودّ أن يراه الناس ويعرفوه .

وسرنا فى موكب صغير اجتاز شوارع القرية المتعرجة ، ومررنا بدورها المبنية بالطين . وكان يعترض الموكب بين الحين والحين بعير يحمل حملا من الحطب تحتك أعواده بالجدران على جانبى الطريق ، أو بعض من الماعز يروح ويغدو حتى صرنا ندفعها بأقدامنا لنفسح السبيل ، ووقف النساء على أبواب دورهن خَفِرات ولكنهم باسمات .

رأيت المدرسة ، ورأيت كيف اتسعت مناهج التعليم المألوفة فى المدارس القروية ، فبعد أن كان المنهج لا يتجاوز عادة تعليم القراءة ، وأكثرها قراءة القرآن والكتابة والحساب ، أصبحت اليوم تشمل تعليم

الطرق الزراعية الحديثة وتربيـة الدواجن والخياطة وحفظ الفواكه والخضروات . ثم زورت غرفة الاجتماعات ، ومركز رعاية الطفل وعيادة الوالدات، والحمامات الشعبية وسواها ، وجُلْت فى طرق مكنوسة لا أثر فيها للأقذار، وزرت دوراً نظيفة على الرغم من بقاء بنائها كما كان .

نعم كانت المنازل متلاصقة ، وليس فيها أنابيب للماء الجارى ، ولم يكن فى أكثرها من الأثاث أكثر من طست كبير يستعمل فى العجن وغسل الملابس، وحماماً للأطفال، وجرة أو جرتين لجلب الماء من البئر ، وفرن مبنى بالآجر . إنهم لم يزالوا فقراء ، ولا يمكن أن يكونوا غير ذلك فى المساحات المحدودة من الأرض التى يملكون ، ولكن المنايل مع ذلك إذا قورنت بأوساط القرى المصرية اليوم بدت كأنها فردوس .

على أن منظر القرويين كان أعمق أثراً فى النفس من هذه المظاهر . ففى ريف مصر يألف المرء هيئة المصابين بالبلهارسيا — هذه المشية المتهدجة ، وهذه العيون الخابية المتعبة التى خلت من بريق الشوق ، وهذا الكلال الجاثم بصاحبه بين الموت والحياة . ولكن فلاحى المنايل يبدو عليهم أنهم أحياء مرهفون ، كأنما يتأهبون لإنجاز عمل جليل وسيفعلون . « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

لم تكد تجربة المنايل تنجلى عن هـذا النجاح ، حتى أخذت جمعيـة الدراسات الاجتماعيـة ترتاد قرى أخرى ، وتعالجها بنفس الأساليب . وكان شعارها دائما وفى كل خطوة ، أن يعينوا النـاس على أن يغيروا أحوالهم بأنفسهم .

وأخذت فى تدريب عدد كبير من الرجال والنسـاء على عمل ما عمله شلبي وعائدة ، وقد رُقِّيا ، وأصبحا الآن مفتشـين على مراكز التجارب ، يهديان المرشدين الاجتماعيين فيها إلى سواء السبيل .

واليوم تطبق خطة المنايل فى أربعين قرية من ٤٠٠٠ قرية فى مصر ، وبدأت النتائج تظهر قليلا قليـلا فى الإحصاءات المصرية العـامة للصحة والتعليم . وستصبح هـذه المراكز الأربعون وما يضاف إليها فى المستقبل ، واحات خضراً فى الفيافى المغبّرة التى يعمرها الفقر والجهل والمرض .

ولعل أخطر ما فى الأمر هو الأثر الذى تركته هذه التجارب فى الحكومة المصرية. لقد كان الإصلاح الاجتماعى دائماً هدفاً من أهدافها، ولكنها كانت ترتطم دونه بصخور العـادات المتقادمة الموروثة التى عمـرت خمسين قرناً ، والتى آثرت أن تقيم التماثيل

للموتى على أن تصلح من حال الأحياء ، والتى بنت الأهرام فأفقرت فى بنائها أرض مصر عدة أجيال، كأنما كانت الأهرام حرباً طاحنة أو وباء، والتى جعلت إقامة الأضرحة للأبطال الوطنيين ، أيسر من إقامة المستشفيات .

لقد حارب دعاة التقدم فى الحكومة هذه العادات، وحاولوا أن يرفعوا اعتمادات الإصلاح الاجتماعى ، ولكنهم كانوا يصطدمون دائماً بعقبة هائلة هى قلة مبالاة الفلاح ، ومقاومته لكل عمل يفرض عليه فرضاً وقسراً .

فأما وقد أصبح جلياً أن الفلاح يستطيع أن يغير حاله بنفسه ، فإن دعاة التقدم فى الحكومة قد ازدادوا إيماناً بما يعملون ، واستطاعوا أن يزيدوا عدد المدارس ، وأن ينشئوا مراكز زراعية للتعليم أتاحوا بها للفلاح سبيل العلم بالأساليب الزراعية الحديثة ، وأن يؤسسوا سلسلة من المستشفيات المتنقلة ، لن يمضى إلا قليل من الزمن حتى تجعل العون الطبى فى متناول عدد كبير من السكان .

وثمة فى مجلس الوزراء الذى تولى الحكم هذا العام وزارتان مهمتان يشغلهما رجلان كانا عضوين فى جمعية الدراسات الاجتماعية منذ زمن طويل ، وقد تقدما للمجلس باقتراح يبهر النفوس ، يطلبان فيه — وهما يتوقعان أن يجابا إلى ما يطلبان — فتح اعتماد بمبلغ ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه لإصلاح ألف قرية على غرار المنايل .

وقد تذكى هذه الجهود لهيب العزائم الكامنة تحت خمود الفلاحين الذين هم حوالى ١٣,٠٠٠,٠٠٠ من ١٧,٥٠٠,٠٠٠ من المصريين ، فهم إذا صحت أبدانهم وقويت ، وقرأوا وكتبوا وتعلموا الأساليب الحديثة، فقد لا يصبرون على بقائهم مصفدين فى أغلال نظام امتلاك الأرض الحاضر ، الذى يقضى على الأسرة المتوسطة فى مصر بالكدح والنصب لتعيش على قطعة من الأرض مساحتها فدانان .

ويومئذ سيكون على الحكومة المصرية أن تأخذ أهبتها وتصنع شيئاً ما لعلاج هذا الأمر على خير وجه مستطاع .

● إن الناس لا يرون الأشياء كما هى فى حقيقتها ،
بل يرونها على صورتهم هم فى حقيقتهم
[ هـ . م . توملنسن ]

# هذه طبائع البشر

إلى جانبي فى مباراة الكرة فلاح عجوز استرعى انتباهى بهتافه لكلا الفريقين. وأخيرا استبد بى حب الاستطلاع فسألته عن سرّ ذلك ، فقال :

« أنا لا أستطيع مشاهدة المباراة أكثر من مرة فى السنة ، فلا بد لى من أن أهتف للفريق الفائز أياً كان » [ فيليس بتكر ]

يوماً للصيد ووقفنا على شيخ نسأله أى الجهات يكثر فيها الصيد ؟

فسألته : « أأنت مقيم هنا من أمد بعيد ؟ » فأجاب : « مايقرب من ستين عاماً »

فنظرت إلى ما حولى من أرض مجدبة موحشة وقلت مازحاً : « عجباً ! » ففكر الرجل هنيهة وقال : « هذا بلد إذا لم تجد فيه ما تريد ، أمكنك أن تعيش بدونه ، أو هكذا يبدو لى »

[ هـ . ب . وينبرج ]

أسوق سيارتى فى الريف فى السنة الماضية فوقفت أمام قطيع من الماشية كتب على كل واحدة منه كلمة « بقرة » من الجانبين بخط أبيض عريض . ورأيت فلاحاً بالقرب فسألته عن السبب .

فقال : « إن بعض أهل المدينة يأتون إلى هذه الجهة لصيد الغزال ولا يفرّقون بين الغزال والبقرة ، وقد قتلوا بقراً كثيراً فى هذه النواحى . إنهم يذهبون إلى المدارس حتى يبلغوا العشرين من العمر ، فلا أكاد أشك أن المدن بها كثير من البلهاء المتعلمين »

[ أ . هـ . فيدبس ]

كنت أنتظر السيارة العامة فى بلد صغير ، سارت بى قدماى إلى مقبرة قريبة ، وأخذت أتصفح شواهد القبور ، ولم أرَ أحداً سوى رجل شيخ ينعم النظر إلى المكتوب على أحدها . فلما اقتربت منه استوى وأومأ محيياً ، وأشار بعصاه إلى قبر جديد لم يكتب على شاهده شىء وقال : « هذا قبرى ، وقد جئت لأتعرف إلى جيرانى فى المستقبل ! »

[ جوزيف . ب . برينان ]

أنتظر القطار فى قلق بإحدى المحطات ، وقد خرجت من الجيش بعد أن قضيت نحو ثلاث سنوات فى الخارج . وإذا بعجوزين شاب رأساهما تجلسان إلى جانبى .

وامتد الحديث بينهما فى أخبار الناس ، ولما كان هـذا أول حديث عن الناس يطرق سمعى بعد غيبة طويلة ، فقد أصغيتُ إليه إصغاء ظاهراً حتى أن إحدى السيدتين استدارت إلىّ وحملقت فى قائلة : « نرجو أن تكون قد استمتعت بحديثنا أيها الشاب » .

واعتذرت من فورى وأوضحت لها الأمر . فأومأت موافقة وقالت : « أصغ كل الإصغاء ، فإننا لم نبلغ بعد خير ما فى الحديث ، أنتظر حتى نبدأ الكلام على مسز جونسون ! »

[ ستان بلدكوت ]

لوالدتى صديقة تبلغ من العمر ٨٥ عاماً وكان الناس جميعاً يدعونها « الجدة » ، ولكنها كانت على شىء كثير من النشاط ، فأزمعت رحلة طويلة بالقطار ، وأراد أولادها الأربعة وأحفادها الأحد عشر أن يصرفوها عن سفرها ، ولكنها أصرت على السفر ورافقتها الأسرة بأجمعها إلى المحطة يزودونها بنصائح تنفعها فى سفرتها .

وقال لها أحد أبنائها : « إنا حرَّاك أمر يا جدتى فاسألى أى إنسان بالقرب منك »

فقالت : « لا يشغلك أمرى فحين أجدنى فى مأزق فسأتظاهر بأنى عجوز » .

[ أليس رتلدج ]

فى يوم من أيام شهر يونيو قرية جميلة تكتنف الأشجار بيوتها النظيفة . وقفنا نحادث رجلا شيخاً فقلت له متحمساً : « إنا نحب بلدتكم حباً جماً حتى أننا لنود أن نعيش فيها »

فقال « ولِمَ » ؟

فقلت : « لأنها جميلة ونظيفة ، ولأننا نحب أهلها ، إذ يظهر أنهم من خيار الناس » .

فقال الشيخ : « لا يغرّنك ذلك ، إن فيها من الفساد مثل ما فى أى بلد آخر ، بيد أن الناس هنا من الحكمة بحيث يمسكون ألسنتهم عن الحديث بشىء عما يجرى ! »

[ كايو وهارى فلاور ]

كراهية العم هوراس للمحاريث الآلية معروفة فى الناحية التى فيها مزرعته ، ومساحتها ٢٦٠ فدانا ، وكان لا يستخدم غير الخيول فى حرثها كلها . فجاءه أحد بائعى هذه المحاريث وأقنعه بأن يقوم بتجربتها أمامه ، وقال له إن قوة كل محراث كقوة مئتى حصان .

فقال العم هوراس بعد انتهاء التجربة : « عظيم جداً ! عظيم جداً ! إنى مستعد أن أشترى أحد هذه المحاريث إذا ضمنت المئتى حصان أن تزودنى بما يلزمنى من السماد أيضاً ! »

[ وين بلومبرج ]

# جاسوس ذو وجهين

ج. إدجر هوفر
مختصرة من "ذي أمريكان مجازين"

هذه قصة رائعة بطلها رجل، سمه إن شئت ألبرت فان لوب، وهو يقيم اليوم في مدينة من شرق الولايات المتحدة حيث تراه يروح ويغدو بين داره ومحل الجواهر الذي اشتراه في أواخر الحرب. وقد أخبر رئيسه السابق قلم المخابرات الأمريكي أن فان لوب كان أعظم جواسيس النازي في هذه الحرب، ولكنه لم يكن يدور بخلده قط أن فان لوب كان جاسوساً ذا وجهين، يتجسس لأمريكا متظاهراً بأنه يتجسس للألمان.

وفان لوب رجل هولندي، وفي ٦ إبريل سنة ١٩٤٢ دخل دار القنصلية الأمريكية في مدريد يطلب الإذن له بالسفر هو وزوجته إلى أمريكا. وقد قص عليهم خبره، فزعم أن الألمان اختاروه للسفر إلى أمريكا ليتجسس لهم على جيوش أمريكا وصناعاتها، وقد أمر أن ينشىء محطة إذاعة ليوافي همبرج بالتقارير يوماً بعد يوم. وأحب أن يثبت للقنصل صدق ما قال، فعرض عليه صوراً مصغرة تشرح كيف يصنع الراديو القصير الأمواج وكيف يدار، وعرض عليه بيانا ذكرت فيه المواد اللازمة لذلك، وكيف يكون تركيبها، وجداول الذبذبات، والرموز، ومفاتيح الرموز. وأراه أيضاً مبلغ ١٦٫٢٣٠ ريالا، نقداً وشيكات.

وقد أصر فان لوب على أنه إنما انطوى تحت لواء الألمان ودرس في مدارس الجاسوسية الألمانية، لكي تتاح له وسيلة يفر بها من أوربة. وها هو قد جاء ليخدم الحلفاء، فإذا نال الإذن بدخول الولايات المتحدة، فأحب شيء إليه أن يتجسس لهم متظاهراً بأنه يتجسس للألمان.

فقال له القنصل إنه سينظر في طلبه، وأبلغنا الخبر من فوره. فراجعنا محفوظاتنا فوجدنا فيها ذكره وخبره، فهو مولود في هولندة، ويبلغ من العمر نحو خمسين سنة، وزوجته ألمانية، وهو مهندس وخبير بالجواهر، وكان جاسوساً في حربين.

فأبرقنا إليه: «أرسله على الفور.»

وما هو إلا أن بثثنا عليه العيون، فعرفنا أنه تسلم قبيل سفره هذه الأوامر: «يجري العلماء الأمريكيون تجاربهم في تحطيم ذرة الأورانيوم. من المهم أن تقف

على سير هذه التجارب » . وتلقىّ بعد ذلك بيانا بأسماء كثير من العلماء العاملين فى بحوث الذرّة وعناوينهم . ولاتنس أن هذا كان فى أوائل سنة ١٩٤٢ يوم كانت أبحاث القنبلة الذرية مجهولة لايكاد يعرفها إلا نفر قليل من العلماء أو من رجال الدولة .

فاستقبلنا فان لوب وزوجته حين وصلا على سفينة برتغالية ، وما زلنا به نسأله ونضيّق عليه ونحتال حتى اعترف أخيراً أنه كان جاسوساً ألمانياً فى الحرب العالمية الأولى ، وأنه سجن زمناً لأنه سرق ٧٠٠٠ ريال من صديق له . ولما تبين أنّنا أخذناه بأكاذيبه الكثيرة ، ارتاع ارتياعاً شديداً.

ثم أنزلنا فان لوب فى فندق ، وأبحنا له أن يذهب حيث يشاء ، غير أننا أتبعناه أشدّ المراقبة . وكانت خطتنا أن ننشىء محطة الإذاعة ، ونتصل بقلم المخابرات الألمانى باسم فان لوب ، فلو وقعت أدنى هفوة لحبط كل تدبير . فلدى الألمان مثلا رجل يدعى فايزتوم ، يستطيع أن يتبين كل أسلوب من أساليب إرسال الإذاعة التى يمتاز بها كل من اتصل به ولو مرة واحدة ، وهو يعرف أسلوب فان لوب أتم معرفة .

فسجلنا أسلوب فان لوب فى الإرسال على أسطوانات ، وظل ثلاثة رجال منّا يتدرّبون حتى أتقنوا محاكاته دون أن يقعوا فى خطأ ، ودرسوا لغة فان لوب فى التعبير — وبخاصة بعض العبارات الغريبة التى تجرى على لسان الهولندى حين يتكلم الألمانية .

أقمنا محطة الإذاعة فى مكان قصى منعزل فى لونج أيلند بولاية نيويورك ، وفى ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ بدأنا الاتصال بالألمان بما يأتى :

« أنا الآن على أهبة العمل . ينبغى أن تحذروا كل الحذر ، وإن كنت أشعر أنى فى مأمن . سأستمع إليكم فى السابعة مساء » وبعد خمسة أيام جاء الرد : « العمّ فى غاية الغبطة . وهو يعرب لك عن تقديره ويتمنى لك كل خير » .

فابتهجنا بذلك ، وظللنا أكثر من عامين — إلى أول مايو سنة ١٩٤٥ — على صلة بهمبرج لم تنقطع ، وزوّدنا الألمان بأنباء عن الحرب والصناعة أكثرها صحيح ، وقدّمنا إليهم تقارير عن الجوّ ، وذكرنا لهم أسماء بعض السفن الراسية فى الموانىء الأمريكية والسفن الحربية التى يجرى إصلاحها ، وأخبار الصحف عن اعتمادات الحكومة للسفن والذخائر .

ولم يكن من الحكمة أن نظهر لهم أن فان لوب قد عرف أسراراً كثيرة ، فالألمان يدركون ولاريب أن جُهد جاسوس وحيد

فى أمريكا جهد محدود ، ولكن لفقنا لهم خبراً عن عاملين ألمانيين فى أحواض السفن زعمنا أن أحدهما فى بروكلين والآخر فى فيلادلفيا ، وأنهما كانا يوافيانه بالتقارير . فأخذ نجم فان لوب يسطع شهراً بعد شهر فى أفق القيادة الألمانية العليا .

ولم يكن كل هذا عبثاً ولهواً ، بل كنا نريد أن نعرف : أفى أمريكا جواسيس آخرون ، فلربما أمره الألمان أن يتصل بهم . وكنا نريد أن نعرف كيف يموّل الألمان صنائعهم فى أمريكا ، وأهم من ذلك كله أننا كنا نرجو أن نضلّل القيادة الألمانية بأنباء ملفقة نوافيهم بها .

وكنا نزعم لهم فى الحين بعد الحين باسم فان لوب أنه أوشك أن يفلس ، وأنه لايستطيع أن يستمرّ . فجن جنون رئيسه القائد النازى حرصاً على إرضائه ، وعرض عليه بادىء ذى بدءٍ أن يرسل ۲۰۰۰ ريال إلى بنك سويسرى فيحولها إليه بالتلغراف على بنك آخر فى نيويورك . فأردنا أن نعرف كيف يصنع الألمان وما هى أساليبهم ، فعارضنا هـذا الرأى ، وقلنا إنه محفوف بالمخاطر ، فما كان من القائد النازى إلا أن أخذ يرسل له طوابع بريد نادرة عن طريق أمريكا الجنوبية . ولقد مضت سنتان ولم يصل إلى فان لوب سوى مجموعتين اثنتين لاتزيد قيمة كل منهما عن ١٥٠ ريالا . فإذا كان الألمـان يلقون مثل هذه المشقة فى إرسال المال إلى جاسوس من جواسيسهم ونحن نيسر له الأمر ، فما ظنك بما يلقونه بغير هذه المعونة ؟

وطالما نطالب بمزيد من المال . وأخيراً أوفد الألمان رجلا هولندياً من أقطاب صناعة الصور المتحركة إلى أمريكا ، وكان بين الأعمال التى كلف بها أن يسلم فان لوب جواهر قيمتها ٦٠٠٠ ريال . فلما بلغنا أن جاسوساً جديداً أوشك أن يحضر ، أخذتنا حيرة . فلو نحن قبضنا على الرجل ( سمّه مثلا شوبرت ) لاسترابت ألمانيا . وخشيت أن يفضح سر فان لوب . وإذا تركنا شوبرت يتصل بفان لوب ، فنخشى أن يتصل بالألمان وينبئهم أن فان لوب جاسوس ذو وجهين .

ومن العجيب أن شوبرت هذا أيضاً يمم شطر القنصلية الأمريكية فى مدريد يعرض جهوده على الحلفاء ، وأظنه كان مخلصاً ، فقد عاوننا ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وتلقى فان لوب أمراً بالراديو أن يتصل بالتلفون بشوبرت فى فندقه ، فاتصل به أحد رجالنا باسم فان لوب وقال له : « أنا كلمان أحمل لك تحية العم . هل معك شىء لى ؟ » فأجابه شوبرت أنْ نعم . وتمّ الاتفاق بينهما

على أن يلتقيا فى ردهة أحد الفنادق ، وأنه سيسامه الجواهر بعد ترديد كلمة السر وهى « كليمان » . فلم يلبث شوبرت أن ذكر لنا كل هذه التفاصيل حتى نستطيع أن نترصد للرجل ونقبض عليه ساعة يتم اللقاء .

فلما وصل شوبرت ووجد الفندق غاصاً بالناس ، أخذه الغم . ثم دنا منه رجل وغمغم فى أذنه : «كليمان» ، واختطف حقيبة الجواهر وغاب فى الزحام . فكاد شوبرت يبكى ، فلا هو ولا أحد من رجال قلم المخابرات ، كما يظن ، رأى فان لوب . ولو كان قدر لشوبرت أن يرى الرجل الذى همس باسم « كليمان » لرأى زنجياً أسود حالكا فى ثياب سائق سيارة ، ولن يستطيع قط أن يخبر الألمان أنه رأى وجه فان لوب .

والآن دنت لنا الساعة الفاصلة . فقد طلبوا من فان لوب أن يجمع باله على خطط الأمريكيين لغزو أوربة ، وأن يصف لهم شارات الجيوش التى يراها فى نيويورك ، وأن يذكر الأرقام المسلسلة المثبتة على عربات النقل العسكرية ، وما إلى ذلك . فوافيناهم بأنباء كثيرة . ثم أخذنا نحتال برفق حتى تذكر لهم اسم أيسلندة ، وكان فان لوب فى ذلك الوقت عاملا فى أحد محال الجواهر ، فأخبرناهم على لسانه بما يأتى :

« أنبأنى أحد زملائى فى المتجر أن ابنه سافر منذ قليل إلى أيسلندة » .

وجعلنا دأبنا أن نردد فى كلامنا كلمة كأنها تأتى عفواً هى « أيسلندة ، أيسلندة أيسلندة » .

ثم أرسلنا فى ٣ مارس سنة ١٩٤٤ رسالة إلى همبرج تزيد الأمر تأييداً .

« رأيت فى يوم الأحد الماضى جماعة من الضباط فى بار فندق ، وقد جلسوا يشربون ويتحدثون ويتندرون على الخدمة فى أيسلندة ، فقال لهم ضابط من كبار الضباط إنه ليس مما يجمل بهم أن يتهوروا فى التندر والضحك ، فيوشك أن يرحل بعضهم إلى أيسلندة ، فإنه قبيل أن يغادر أيسلندة رآهم يعدون العدة لإيواء عدد كبير من القوات المحاربة » .

لقد مضت أشهر ولم تحلق طائرة استكشاف ألمانية واحدة فوق أيسلندة ، ولكن بعد إرسال هذه الرسالة ، ظهرت فى الجو طائرة ، وكان فى وسع الطيار أن يرى معسكرات أيسلندة قد غصت بالثكنات — ثكنات مزيفة طبعاً — وأن الميناء غاص بالسفن ، فمن أجل ذلك لم تلبث القيادة الألمانية أن تأهبت لصد الغزو من جهة النرويج .

وجعلنا نطاول لهم الأيام ، ونحن لا نزال في خلال ذلك نوافيهم بالتقارير ذاكرين أن الغزو قد أرجىء إلى حين . فلما انتهى الجيش الألماني في فرنسا إلى حالة من الضعف والوهن من جراء نقل الجنود إلى النرويج ، انقضت الجيوش والأسطول على نورمندى ، ولم يكن طريقها ممهداً آمناً ، فقد كان عليها أن تقاتل وهي تتقدم — ولكن ماظنك لو كان الجيش الألماني كله في هذا الطريق مستعداً للقائنا ؟

ومن الغريب أن فان لوب لم تسقط مكانته من جراء تقاريره المضللة، ولا وُجّه إليه توبيخ قط . وظللنا نتابع إرسال الأنباء التي يدل أكثرها على عظيم مابلغته قوات أمريكا البحرية ، وهي أنباء نعلم أن الألمان سيبلغونها إلى اليابان .

ثم جاء يوم ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٥ ، فجاءتنا هذه الرسالة من همبرج :

« إن الموقف الراهن يقتضى قطع الصلة التي بيننا ، ولكن انتظر رسالة منا مرة في الأسبوع . وسيتولى العم جميع أمرك في المستقبل ، كما كان يفعل فيما مضى » .

وظللنا نترقب يوماً بعد يوم ننتظر الإشارة ، ولكن بلا جدوى . لقد فرّ العم وهلكت ألمانيا . وبقى فان لوب — ذلك الجوهرى الهولندى وحده يروح إلى عمله ويغدو ، ناكس الرأس مغموماً بالذى كان من غدره وخيانته .

فتركناه وشأنه، فقد صانعنا زمناً طويلاً — والسيف مسلولٌ على عنقه .

## راحة العمر

ظل الجنرال بريهون سمرفيل رئيساً لقسم التموين في الجيش الأمريكى أربع سنوات في زمن الحرب الأخيرة ، فكان يشتغل اثنتى عشرة ساعة كل يوم من أيام السنة ، حتى بلغ منه الجهد . فلما اعتزل الخدمة سأله أحد أصدقائه ماذا ينوى أن يفعل ؟ فقال :

« سوف أستريح . فسأظل ستة أسابيع جالساً في كرسى على شرفة دارى ثم أبدأ بعد ذلك في هز الكرسى قليلاً قليلاً » [ كارل دترز ]

رجل من أصحاب حمام السباق يعدد ما بين الحمام والبشر من المشابه !



# الحمام والبشر

ت . ماكيان داوز

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

لقد أقبل الربيع ، وكان حمامي الذي اتخذته للسباق قدقضى الشتاء لا تبالي واحدة منه بصاحبتها ، فهو إذا عاد إلى بيته انقلبت كل حمامةٍ رأساً إلى مجثمها . أما اليوم فقد أخذ ترجيعه وهديله يتردّد في جوانب بيته، وقصرت ساعات رحلته ، وقلّ تسكعه في نواحي السطح ، وتراه يدخل بيته عجلاً ليتم شغله الشاغل، من اختيار أليفه وبناء عشه .

وكانت خصالها أحياناً تثير العجب لقرب شبهها بخصال البشر . فمن ذكورها وإناثها العربيد المشاكس ، ومنها الوديع المسالم ، ومنها العنيد ، ومنها الدمث الطباع ، ومنها المدبّر الدؤوب . ومنها البليد المهمل ، ومنها اللعوب الغزل . ومنها المحصنات العفيفات .

ومن صغارها الذي عجّل نموّه ورشده ، ومنها المتخلف النمو .

والمعاشرة بين الذكر والأنثى تستمر مدى الحياة . وكبار الأزواج تبدأ تدبير بيتها حين يطول النهار ، وذلك في فبراير . أما صغارها فتبدأ ذلك يوم تختار أليفها . والذكر يرجّع سجعه نافخاً طوقه ليعرض محاسن ألوانه الزاهية ، ويختال اختيالا عجيباً ساحباً ذيله على وجه الأرض ، غير أن الأنثى تبدو كأنها لا تبالي بما يفعل ، ولا تكاد تلقي إليه بالاً حتى يغلو غلوّاً شديداً في غزله واختياله ، وعندئذ لا يزيد ما تفعله على أن تخفقه خفقات بجناحها ، ويخيل إليك أنها تقول له : « لشدّ ما تجرّأت أيها العربيد ! »

بيد أن الأنثى ولا ريب ترقبه باهتمام أشد مما يبدو عليها ، إذ يكون عليها أحياناً أن تختار بين خطابها المدلهين . والحمائم كالبشر كثيراً ما تختار الزوج الذي لا يصلح لها . وفي الحين بعد الحين ينضم إلى جماعة الحمام الآلف جماعة وحشية « شريدة » ، ويخيل إلى صاحب الحمام أن هذا الطائر الشريد بائس مسكين، فهو ريش كله ، نحيل البدن ، خلو من الأناقة والرشاقة ، ولكنه على ذلك لا يلقى تعبا في الظفر لنفسه بأليف .

والحمائم إذا ظفرت بأليفها أخذتها نشوة كنشـوة الزوجين منّا بعـد العرس . فهما دائماً معاً ، قد تلاصقا ما استطاعا ، ويبلغ ما يجرى بينهما من القبـل والمغازلة مبلغاً فاضحاً .

وأنا قلما أدع لحمائمى اختيار أليفها إذا كنت أريد منها نسلها، فقد رأيت أن الجمع بين أليفين متماثلين فى القدرة وكرم الأصل أفضل عاقبة . ويكفيك أحياناً أن تحبسهما معاً فى مكان منعزل — ولكن بعـد أن تعقـد بينهما شيئاً من المعرفة ، وإلا فقد يحـدث بينهما من النفور ما يشق عليك أن تزيله .

ومن دأبى ، إذا أردت أن أعقـد بين حمامتين معرفةً ، أن أخرج الحمـائم كلها من البيت ، وأترك الذكر والأنثى طليقين وحدهما فى تلك الحجرة الواسعة . والأغلب الأعم أن يألف أحـدهما صاحبه فى أقصر وقت ، وعندئذ أنقلهما إلى المكان المنعزل .

أما استبدال زوج مكانَ زوج فلم يكن أمراً سهلا فى كل مرة . وقد كان عنـدى حمامة ذكر كريم رشـيق ، فسألنى الذى ربّاه أن أعيره إياه زمناً ، فقبلت وأرسلته إليه فى بلد آخر .

وبعد أشهر جاءتنى منه رسالة ذكر فيها أن الطائر قد ردّ إلىّ ، وأنه قد أبى أن يعاشر أنثى ويستولدها بيضة واحـدة . وقد قـدم إليه عشرات من إناث الحمام ، فصَدّ عنهن جميعاً ، وظل كئيباً جاثماً فى عشه قد أضناه الحنين وهدّ قواه .

وجاءنى على القطار السريع مجهودا ساغباً ظامئاً أشعث أغـبر ، فلما دنوت من بيت الحمام حاملا قفصه ، كان جذله برؤية وطنه جذلاً لاحدّ له ، وحاول أن يقتحم القضبان قبل أن أفتح باب القفص ، وما كدت حتى انفلت طائراً إلى وكره القـديم ، وأهوى على الدخيل الذى احتله فأوجعه ضرباً وأجلاه عنه . ثم جعل يحيّي أليفته القديمة تحيـة صادق الحب ، ولم يذق طعاماً ولا شراباً حتى فرغ من ذلك كله .

وعلى أن أنثى الحمام هى التى تختار أليفها ، إلا أن الذكر هو الذى يختار مكان العش ، ولها هى حق الرفض والامتنـــاع ، فربما اختار عدة أماكن قبل أن يبلغ رضاها . فإذا ماتم اختياره ، فقلما يمكن تحويلها عنه .

والذكر والأنثى يتعاونان على بناء العش، فهو يجمع لها العيدان والريش، وتتولى هى نسجه وتنضيده . وبعض الذكران أحسن همة من بعضها فى جلب العيدان ، فتحمل إلى البيت أكواماً منها ، وأما بعضها فيقنع بقليل من أعواد القش . وسواء قلّ المحمول أو كثر ، فهو يحتفل بما جاء به بالترجيع

والقرقرة والتودّد إلى صاحبته. وهو لا يجعل همه أن يلقى مايحمل ، بل يقضى بضع دقائق ليحدث صاحبته بما لقى من الجهد فى البحث عنه ، ويثنى على العش الجميل الذى تصنعه ، وليسمع ثناءها على همته وحسن بلائه .

وقبل أن يدنو ميقات وضع الأنثى بيضها بأيام قلائل ، ترى الذكر قد استبدّ به الخوف من أن البيضة لن تنزلق إلى مكانها اللائم . وتراه حزيناً كئيباً حين تفارق الأنثى عشها ، فيرغمها على العودة إليه ، وأصحاب الحمام يسمون هـذا المسلك « الإرغام » . ويبلغ من قلق بعض الذكور أن لا تتيح لإناثها فرصة للأكل . وقد كاد أحد الذكور التى عندى يقتل أنثاه جوعاً بعنفه فى إرغامها عَنْوة على العودة .

والذكر والأنثى يتقاسمان حضانة البيض بترتيب مقدّر ، فتتولاها الأنثى منذ الأصيل حتى يطلع الفجر ، أما الذكر فيتولاها نهاراً ، ولكنه لا يجثم عليه كل الجثوم ، بل تراه يطير عنه إذا سنحت له فرصة للمغازلة .

وكثيراً ما يكون فى بيت الحمام حمامة أو أكثر لا أليف لها ، فيكنّ فتنة للأزواج . وطالما استمتعت برؤية حمامة ذكر قد أخذ يحتفى فى ساعات راحته بإحدى الحمائم العزّاب ، ولكنه قلما يبلغ ما يريد ، فإن أنثاه لا تزال ترقبه ، فإذا رأت أنه قد جاوز الحدّ فى مغازلته ، انقضت كالصاعقة ونفرت تلك الغاوية الفاتنة .

والفراخ أول ما تخرج من بيضها تتطلب ، كواليد البشر ، غذاء خاصاً . وآباؤها ذكوراً وإناثاً تفرز مادةً تسمى « لبن الحمام » تقذف به من حواصلها . وصغار الحمام لا تطيق فى أول الأمر أن تقيم أعناقها زمناً يكفى لإطعامها ، ولكنها لا تلبث أن تنمو حثيثاً وتشتدّ قواها .

فلا يكاد ينصرم أسبوعان حتى يتم ريشها وتقوى على بعض الحركة ، وإن كانت سيقانها أضعف من أن تحملها أكثر من لحظة فى كل مرة . فإذا كان ذلك أصبحت الأم لا تحفل بهم إلا أقل حفْل ، فهى لا توجه رعايتها إلا إلى الصغار التى لا حول لها ولا قوة ، ويومئذ تبدأ نفسها تتشوّق إلى ذرّية جديدة . أما الأب فهو الذى يولى هؤلاء الصغار عنايته ويتعهدّها بكفالته . وهو عمل ضخم ، فإن الصغار تأكل أكلا لمًّا .

وما يكاد عمر الصغار يتجاوز ثلاثة أسابيع حتى تنفلت خارجة من بيوتها ، فربما ضلت وحارت ، ولم تستطع أن تعرف أين مكان العش . فإذا أخطأت ودخلت عشاً غير عشها فهنالك تلقى بلاءً شديداً ، فإن صاحب هذا العش لا يعنّى نفسه بالنظر إلى عمْر الدخيل أو الفحص عن نيّاته . وهنالك أيضاً

لا يؤمّل الفرخ الصغير نجدةً من أبويه ، فإن الحمام يرعى حرمة الجـوار ، وما من شيء يحمله على أن ينتهك حرمة جاره ، حتى ولا الذود عن ولده وفلذة كبده .

فإذا تجاوز عمر الأفراخ أربعة أسابيع قليلا ، فقد صارت أهلاً لأن تفارق بيتها فراق الأبد . فيعلمها الأب كيف تميز طعامها وتعرفه ، ويعوّدها التقاط الحب حتى تصير ماهرة محنكة . فإذا بلغت ذلك ، فعليها أن تعول نفسها .

والذكر والأنثى جميعاً يصلحان للسباق ، ولكن الزوجين الأليفين أصلح للسباق في المسافات البعيدة .فالأنثى تبذل أعظم جهدها في السـباق حين يكون لها بيض تحضنه أو فراخ زُغْب تتعهدها . والذكر خليق أن ينطلق عائداً بأسرع ما يطيق حين يكون في زمن « إرغام » أنثاه ، قبل أن تضع بيضها بيوم أو يومين . وربما جمعنا على الذكر الغـيرة مع القلق ، وذلك بأن نحبس مع أنثاه ذكراً غريباً في عشهما ، فيكون آخر شيء يتذكره قبـل الفراق أن له في بيته منافساً متقحِّماً ينبغي له أن يطرده ويقصيه . وقد جازت هـذه الحيلة على حمامة من خِيرة حمامي ، فأتى في سباقه بما لم يأت بمثله من قبل .

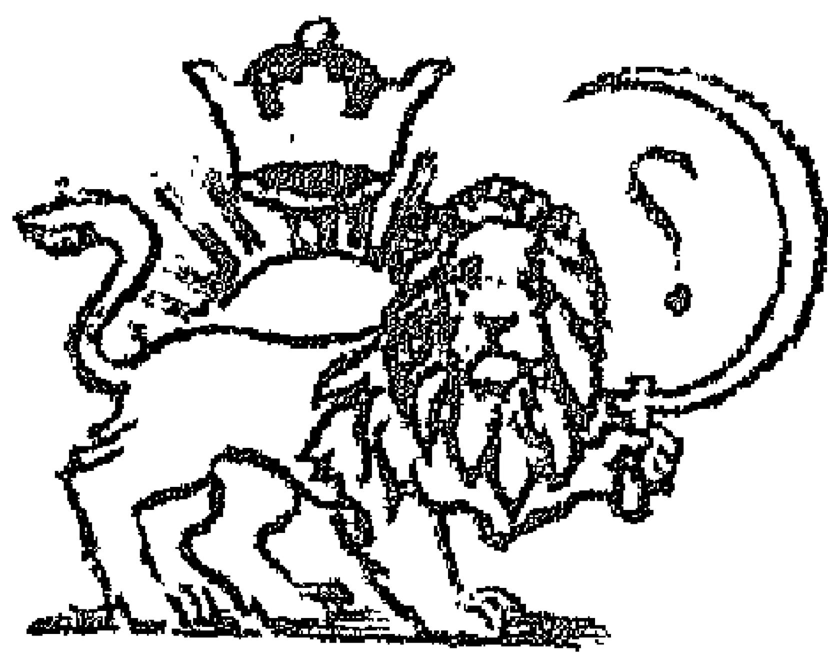
ولقد درست خصال الحمام وطِباعه ، فنفعتني دراستها أحسن نفع في فهم خِصَال البشر وطبائعهم فيما يأتون أو يذرون .



## هذا عذر !

قال الجاحظ : « ورأيت أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكر إلا اشتدّت نحوه بحـدّةٍ ونزَق وتسرُّع ، حتى تنقر أين صادفت منه ، حتى يصدّ عنها كالهارب منها . وكانَ زوجها جميلاً في العين رائعاً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين ، وبناتٌ وبناتُ بناتٍ ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهنّ . وقد بلغ من حُظْوته أني قلّما رأيته أراد واحدة من عُرْض تلك الإناث فامتنعت عليه ، وقد كنّ يمتنعن من غيره . فبينا أنا ذات يوم جالس بحيث أراهنّ ، إذ رأيت تلك الأنثى قد زَافَتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمي : ما الذي غيَّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إني رحَّلْتُ زوجها إلى مكان آخر فذهب ، ولهذا شهر . فقلت : هذا عُذْرٌ ! » . [ كتاب « الحيوان » ج ٣ ص ١٦٧ ]

# كيف دخلت "الديمقراطية" أذربيجان




إدوين مولر

*مختصرة من مجلة "ذي أميريكان ميركيوري"*

سارت بنا الطائرة مع الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين، ويمتد على الشاطىء طريق عام أخذنا نرقبه بإنعام، فلم نلبث أن رأينا عليه صفاً من سيارات يتلو بعضها بعضاً، فحوّمنا فوقها دانين منها دنوًّا أتاح لنا أن نرى وجوه راكبيها، ونتبيَّن زيهم الروسى.

ثم وصلنا إلى ثغر بهلوى، فإذا على الرصيف ثلاث سفن نقل روسية، ورأينا صفاً من الجنود يعبر صاعداً إلى إحداها، على حين احتشدت فى فناء الميناء سيارات نقل ودبابات ومدافع مضادة للطائرات، تنتظر كلها الشحن، ذلك أن الجيش الروسى قد أخذ يجلو عن إيران

وهكذا انقشع — فى الوقت الحاضر — أول خطر تعرض له السلم العالمى فى حداثة عهده. ولن يحدث بعد ذلك، فيما نرجو، أن تتوغّل دولة كبيرة بقواتها العسكرية فى أرض دولة مجاورة ذات سيادة وتسيطر عليها.

وتبقى مسألة أخرى: ما القول فى التوغّل السياسى؟ فثمّ وسائل أخرى غير الجيوش يتم بها غزو الدول. وإيران اليوم هى محكّ التجربة، فالذى يحدث فيها حادث فى أنحاء أخرى كثيرة من العالم. فالمسألة فى إيران هى هل تصبح ولاية أذربيجان — التى ظفرت باستقلالها الذاتى حديثاً — شيوعية؟ أم ماذا يكون من أمرها؟

والآن يتسنى لأول مرة أن نروى ماوقع من الأحداث فى هذا الجانب القصىّ الزاخر بالدلالات.

تقع أذربيجان فى الركن الشمالىّ الغربى لإيران، على تخوم الحدود الروسية، ويبلغ عدد سكانها أكثر شيئاً من مليونين، ولسانهم قريب من التركية، ويقيم منهم ٢٠٠٫٠٠٠ فى تبريز عاصمتها. وهى بلدة رثة المنظر كثيرة التراب، وليس فيها إلا طريق واحد معبَّد، أما سائر الطرق فأوحال وحصباء. وفيها ثلاث دور للسينما كانت تعرض قبل الحرب أفلاماً أمريكية طال عليها القدم، أما الأسواق فمتاجرها مظلمة ضيقة كالكهوف، وليس فيها إلا مصانع قليلة

للثياب والجلود ، وعمالها يشتغلون ساعات طويلة فى أمكنة لاتتوفر فيها شروط الصحة .

ولكن أغلب أهل أذربيجان أهل زراعة ، وقليل منهم من يملك مزرعة أو بيتاً ، أما الفلاحون فيعيشون فى قرى مزدحمة يتراوح عدد سكانها بين ١٠٠ نفس و ٣٠٠٠ نفس أو ٤٠٠٠ ، وهم يخرجون كل يوم للعمل فى الحقول .

وقرية كاليفانا مثال صادق لحالة أذربيجان ، فإن الذى جرى على سواها من قرى الولاية جرى ، أو كان من الجائز أن يجرى عليها أيضاً . وكاليفانا تقع فى وادٍ عريض عارٍ بين تلال تكسوها الأشجار ، تبين من ورائها قُنَن جبال سَبَلان العاتية ، والتى تغطيها الثلوج معظم السنة .

ويعيش فى كاليفانا ٦٠٠ رجل فى بيوت مبنية باللبن مسقوفة بعيدان النبات ، وليس فيهم فرد واحد يملك أرضاً ، فإن القرية وما حولها من أرض تمتد أميالا ، ملك لرجل واحد ظلت أسرته تتوارثها جيلا بعد جيل . ذلك أن نظام الإقطاع لايزال سائداً فى إيران كلها . وليس الفلاحون رقيقاً بمعنى الكلمة ، ولكنهم لارتفاع أجور الأرض وغلبة الجهل وقلة الحيلة والفُرَص ، قد أصبحوا فى الواقع كالمقيدين إليها بالأغلال طول حياتهم . وكان من شأنهم إلى عهد قريب أنهم كلما لمحوا سيّدهم قادماً حسروا عن رؤوسهم وركعوا له .

وفى العهود الماضية كان السيّد المالك يقيم فى أرضه ويشرف على العمل بنفسه ، أما المالك اليوم فيعيش فى منزل أنيق فى طهران ، ويبعث بناظر زراعة ليتولى جباية الأجور .

ولم تتبدل أساليب الزراعة تبدلاً يذكر عما كانت عليه منذ ١٠٠٠ سنة ، فالفلاحون يشقون الأرض بمحراث غليظ من الخشب يجره ثوران .

وليس فى كاليفانا مدارس ، وأقربها إليها مدرسة فى قرية تبعد أربعة أميال ، وليس بين سكانها من يعرف القراءة والكتابة إلا ١٥ رجلا أو ٢٠ رجلا وامرأتان ، وشروط الصحة غير متوفرة ، ويموت هناك أربعة أولاد من كل خمسة .

وقد ساءت الأحوال الاقتصادية فى السنوات العشرين الماضية . وقلّما يرى الفلاح شيئاً من النقود ، والغالب أنه يجد نفسه فى نهاية كل سنة وقد ازداد غرقاً فى ديونه لصاحب الأرض .

وإذا لقى ناظر الزراعة مشقة فى جباية الأجور ، وما أكثر مايحدث ذلك ، استنجد بالخفراء ، وهم حراس الأمن ، تجمعهم

الحكومة من بين الجنود الذين ينبذهم الجيش الإيرانى، وكلهم أناس لا يوثق بهم ، إذ لا يزيد مرتب أحدهم فى اليوم عن ٦٠ مليما، بل لقد ظل الشاه رضا السابق سنة بأكملها لا يدفع لهم مرتباتهم قائلا : « فليرتزقوا من غلة الأرض » ففعلوا ، وكانوا إذا حلوا بأرض ليجبوا أجورها ، جمعوا منها نصيباً لأنفسهم أيضاً ، وكذلك أصاب بعضهم مالا وفيراً .

ومع ذلك بقيت كاليفانا إلى سنة ١٩٤١ لا تحرك ساكناً ولا تتذمر أو تثور ، فقد ظل سكانها على ولائهم للشاه ، مع أنه لم يبال بأمرهم إلا قليلا. وجنَّد الشاه فتيان القرية فى جيشه الجميل الجديد، وكانت قلوبهم تمتلىء برهبة الإعجاب كلما رأوا ضباطه يتبخترون فى شوارع طهران . ولكن قلما تسامع الناس بما يحدث فى روسيا وراء الحدود .

جاءت الحرب ، ولكن كاليفانا لم تتأثر بها فى مبدأ الأمر إلا قليلا — اللهم إلا بعض غلاء السّعر. وفى سنة ١٩٤١ راجت الإشاعات بأن الروس والبريطانيين يهمون بغزو إيران، فسرعان ما دُعى فتيان القرية إلى الجيش ، وسيقوا إلى الحدود الروسية ، ولبثت القرية تترقب الأنباء متوجّسة مذعورة .

فوصلتهم أنباء تورث الكمد، إذ ما كاد الروس يطلقون بضعة طلقات من مدافعهم وترمى طائراتهم قليلا من القنابل الخفيفة حتى تبدَّد الجيش الإيرانى الجميل . كان لهذه الهزيمة أثر بليغ ، إذ أصبح أهالى كاليفانا لا ينظرون إلى سادتهم كما كانوا ينظرون من قبل ، وابتدر بعض الرجال ماطرحه الجيش الهارب من البنادق وخبأوها حيطة لما قد يأتى به الغد . ولم يكن أهل كاليفانا كلهم من الفلاحين المسالمين ، بل كان فيهم نفر من الأشرار .

ثم تتابعت الأنباء ، لقد خلع الشاه ، ونُفى ، وخلّى العرش لابنه . وسرعان ما عسكرت جيوش الروس على مقربة من كاليفانا .

ودبّ القلق والذعر فى قلوب أهل كاليفانا — وبخاصة نساؤهم — فالألسن تتحدث عن النهب وهتك الأعراض، ولكن الجيوش الروسية ظلت بمنأى عن الأهالى، ولم يصدر منها عمل يعاب . وأقام الروس مخفراً لحراسة الطريق المؤدى من كاليفانا إلى تبريز ، فلا يعبر فيه إنسان إلا بعد فحص دقيق ، وكذلك لم تلقَ كاليفانا من شر الروس إلا قليلا .

ولكن الأحوال فى إيران أخذت تتدرج من سيىء إلى أسوأ كلما طالت الحرب ، إذ

كان الحلفاء يحتكرون شراء البضائع حتى لاتقع فى أيدى الألمان ، فأخل هذا الاحتكار بالحالة الاقتصادية فى البلد ، واستولى الحلفاء على أغلب وسائل النقل حتى يكفلوا وصول إمداداتهم إلى روسيا ، وتضخم النقد تضخماً هائلاً ، وارتفعت الأسعار وبلغت عشر أمثالها .

وأخذ أصحاب الأملاك فى كاليفانا وغيرها يشدّدون من وطأتهم على مستأجرى أرضهم ، وأدلى الخفراء دلوهم أيضاً ، فلم يسلم منهم نعجة ولا حمار فى كاليفانا .

وحينئذ بدأ الروس يستغلون تذمر أذربيجان ، وكانت الحدود بين تلك الولاية وبقية إيران كالمغلقة ، والاتصال بينهما عسير ، على حين كانت الحدود بين أذربيجان وروسيا مفتحة الأبواب ، ومن وراء الحدود ولاية أذربيجان الروسية ، ولغة الولايتين واحدة .

وبُذلَ كل جهد لحمل أهالى الولايتين على الشعور بأنهم شعب واحد ، وكان أهل كاليفانا إذا ذهبوا إلى تبريز يعدلون عن الأفلام الأمريكية إلى الأفلام الروسية ، ووزعت عليهم صور عديدة تقارن بين عذاب إيران ونعيم روسيا .

ثم جاء دور حزب توده ، وهو حزب شيوعى أو قريب من الشيوعية ، وقد ظهر أمره منذ سنة ١٩٢٠ ، وكان يُعدّ أثناء حكم الشاه السابق حزباً من الخوارج ، فلجأ إلى العمل سراً . أما أعضاؤه فأشتات مختلفة بعضهم من الطبقة العاملة ، ومن رؤسائه نفر من سراة إيران ، وهم رجال يهيمون بالمثل العليا ، وقد يئسوا من أن يبلغوا ما يريدون من إصلاح الشئون الاجتماعية المحزنة فى بلادهم ، عن طريق تعاونهم مع الفئة القليلة الفاسدة التى تستبد بالحكم فى إيران .

وجعفر بيشافارى أحد هؤلاء الرجال ، وهو يتولى اليوم رياسة الوزارة فى ولاية أذربيجان بعد أن ظفرت باستقلالها الذاتى ، وهو أيضاً رئيس حزب توده ويسمى الآن « الحزب الديمقراطى » . وهو سليل أسرة عريقة فى إيران ، ومكث بضع سنين فى روسيا ، ما بين سنة ١٩٢٠ و سنة ١٩٣٠ ، فلما عاد إلى وطنه أخذ يدعو للمبادئ التى تعلمها هنالك ، فسرعان ما ألقاه الشاه السابق فى السجن ، وتوصل الروس إلى إطلاق سراحه سنة ١٩٤١ ، فشرع هو وحزبه فى العمل جهراً ، وأخذ ينظم صفوف رجاله ، وبدأ ثورته .

ويقول عنه الذين رأوه أنه رجل حلو اللسان وَدُودٌ حذر ، ولا يضارعه فى التربية



والمنبت إلا نفر قليل من المنتمين إلى الحزب الديمقراطى . ولم يبق فى الحياة العامة اليوم سوى رجال قلائل ، هو أحدهم ، من المؤمنين بمذهب ماركس كل الإيمان .

ولم يصادف حزب توده فى مبدأ أمره نجاحاً كبيراً ، ولم تجذب اجتماعاته الأولى إلا نفراً قليلا، ولم تلق تأييداً يجدى . فأهل أذربيجان لا تنفذ فيهم مثل هذه الدعاية ، إذ جلهم من المسلمين ، والمسلمون ينفرون من الشيوعية ، والفلاح الإيرانى من طبعه التمسك بنوع من الاستقلال والعزة ، ولا يرضى أن يكون نكرة مسيرّة فى جماعة خاضعة لنظام صارم .

ولم يكن للروس فى مبدأ الأمر صلة ظاهرة بحزب توده ، ولعلهم ظنوا أنه قادر على اكتساب الأمة بغير حاجة إلى مساعدة منهم ، أو لعلهم كانوا فى شغل شاغل عنه وهم يخوضون غمار حرب عصيبة . حتى إذا حل صيف سنة ١٩٤٥ أدركوا — فيما يبدو — أن الشيوعية لم تلق نجاحا كبيراً فى أذربيجان ، والظاهر أنهم عزموا أن يعالجوا الأمر بأسلوب جديد .

وفيما يلى مثال يدل على تطبيق هذا الأسلوب فى كاليفانا :

« حدث ذات مساء ، بعد أن آب الرجال من حقولهم وتعشّوا ، أن أقبلت سيارة روسية تقل نفراً من حزب توده ، ولكنهم يختلفون عن خطباء الحزب فى الاجتماعات السياسية السابقة . ووقفت السيارة فى الساحة أمام المقهى الصغير ، وهو منتدى سكان القرية ، ثم أطلقوا أبواق السيارة ، فتجمعت حولهم جماهير غفيرة .

وكان كلامهم يخالف ما كان يلقى فى الاجتماعات السابقة من خطب سياسية نظرية ، إذ كان الهدف واضحاً محدّداً : « لا تدفعوا منذ الآن شيئاً إلى أصحاب الأرض ، فإذا وثبنا إلى الحكم فستكون هذه الأرض ملكا لكم . »

وهزّ شيوخ القرية رؤوسهم شكا وريبة ، ولكن كثيراً من الرجال — وخاصة من غرق منهم فى الدين — جاهروا بمناصرتهم .

فلما جاء ناظر الزراعة فى المرة التالية ، أبى كثير من أهل كاليفانا أن يدفع الأجر ، ولما اشتدّ فى مطالبتهم انهال عليه بعض شبان القرية يضربونه . ومع ذلك فليس لأغلبيتهم العظمى أغراض سياسية ، بل هم يعدّون أنفسهم مقيمين على ولائهم للشاه .

ولكن الطريقة الجديدة وجدت لها مرتعاً خصيباً بين العمال فى تبريز ، فكان يقال لهم : « لا تعملوا هذه الساعات الطوال بأجر زهيد ، فإذا وصلنا إلى الحكم فإن



ســاعات العمل ستقل ، والأجر يزداد ، فاطلبوا الغنى لأنفسكم لا لأصحاب المصانع » .

وظل الروس يظهرون تباعدهم عن نشاط حزب توده ، وقلّ من كان يعرف أن بيشافارى يلتقى كل يوم قنصل روسيا ليتشاورا معاً . وانضم إلى حزب توده كثير من أهل أذربيجان الروسية بعد أن دربوا على أساليب الشغب والتمرد .

وقام الحزب — تأييداً لقضيته فى نظر العالم ، وإثارةً للفلاحين — بتنظيم دعاية واسعة عن فظائع زعم وقوعها . فنشر فى صحفه روايات مسهبة عن مظالم أنزلها الخفراء وأتباع الملاك بالفلاحين ، ولاشك أن أكثر هذه الروايات صحيح . فمثلا حدث فى إحدى القرى أن شدّ الخفراء وثاق الفلاحين إلى الأشجار ثم نهبوا بيوتهم ، وكذلك قتلوا فلاحيْن فى قرية أخرى رمياً بالرصاص .

وأعلن الحزب أنه ستجرى انتخابات لجمعية وطنية تعلن الاستقلال وتضع دستوراً . وفيما يلى وصف لإجراءات الانتخابات التى اتبعت فى كاليفانا : أقبلت سيارات نقل لحمل الناخبين إلى مقر لجنــة الانتخاب فى قرية كبيرة على بعد بضعة أميــال . وقد أحجم كثير من شيوخ الفلاحين عن التصويت ، وقال بعضهم لبعض : « لنصــبر حتى نرى نتيجة كل هذه الأمور » ، ولكن ما إن بدت سيارات النقل عنــد أبواب مساكنهم ، ورأوا مسلك من فيهــا من حزب توده ، حتى قرر هؤلاء الشيوخ أن الأولى بهم أن يذهبوا لإعطاء أصواتهم . فلما وصلوا إلى مقر اللجنة ، وجدوا هناك أعضاء آخرين من الحزب لإعانة الأميين من الناخبين ، ونسبتهم ٩٥٪ ، على كتابة تذاكر الانتخاب . وأسفرت الانتخــابات عن فوز مرشحى الحزب فوزاً ساحقاً .

**تفشت** الثورة فى تبريز ، وكثر عــدد الخارجين من بيوتهم وعلى رؤوسهم قلنسوة العمال والفلاحين بدلا من قبعات الأثرياء الموسرين ، فقد غدا أصحاب القبعات يقابلون فى الطرقات بالسخط أو بالرجم بالحجارة ، وبدأت جموع من أصحاب الأرض وأتباعهم يهاجرون من أذربيجان .

وبدأت الصحف تنشر جــداول بأسماء الموظفين وأصحاب الأرض الذيـن يراد « تصفيتهم » . وبدأت التصفية ، فقتــل رجلان ضــابط بوليس فى تبريز يدعى على وليدى رمياً بالرصاص فى زقاق من الأزقة .

وقد سارع بيشافارى وغيره من الزعماء يتنصلون من أمثال هذه الجرائم ويستنكرونها ولكن تحقيقات رجال البوليس كانت تعاق بطرق مختلفة ، وندر بين رجال البوليس

من رضى بالاشتراك فى إجراء هذه التحقيقات خشية أن تدرج أسماؤهم فى جداول التصفية.

أما فى الريف فقد أخذت عصابات مسلحة من الفلاحين تذرع الدروب ، فإن رأوا أحد أصحاب الأرض يهم بالفرار أنزلوه من سيارته وقتلوه رمياً بالرصاص ، وصارت مراكز الخفراء تهاجم ليلا ، وإذا قصدت سيارة تحمل جنوداً إيرانية إلى مكان الاعتداء على مراكز الخفراء، تصدى لها فى الطريق ضابط روسى وأمرها بفظاظة أن تعود من حيث أتت .

ولما سيطر الحزب الديمقراطى على القرى شرعت قواته المسلحة تزحف من كل جانب إلى تبريز ، فوصلت إلى ضواحيها سيارات نقل حافلة برجال عليهم ثياب العمال وفى أيديهم البنادق .

ولم يبد الحاكم الإيرانى أقل مقاومة ، وسلم المبانى العامة، وأذن له أن يهاجر. وهكذا ظفرت بالسلطان المطلق حكومة الاستقلال الذاتى فى أذربيجان .

وتهافتت حجة الروس فى أن لا يدَ لهم فى تلك الحوادث ، فقد تولت الجنود الروسية حراسة المبانى العامة ومكاتب الحزب الديمقراطى ، وطاف زعماء الحزب المدينة وهم فى سيارات روسية. ونشطت الحكومة الجديدة نشاطاً كبيراً لتظهر أنها عاملة على إعادة القانون والأمن إلى نصابهما. وحوّلت عصابات الفلاحين المسلحة إلى جيش جديد وقوة خفراء جديدة . وأرسل بيشافارى إلى القنصل الأمريكى يستدعيه ، ليرى شنق رجلين فى الميدان العام فى تبريز ، لأن أولهما قد سرق والثانى قد هتك عِرْضاً .

أصبح حزب توده وإذا زمن الوعود قد انقضى وجاء زمن الوفاء بها ، وهو أشد الزمنين . فلا بد للحكومة من المال لتقوى على تصريف شؤونها ، كدفع مرتبات الجند والخفراء ، حتى لا يكونوا عالة على الأرض يفرضون على أهلها فريضة .

وبدأت حملة عنيفة لجباية الضرائب ، وكانت فيما مضى تجبى من الفلاحين على التراخى ، إذ كانت عناية الحكام السابقين مصروفة كلها إلى جباية الأجور للملاّك .

وظهر جباة الضرائب فى كاليفانا ومعهم جداول بالمبالغ المتأخرة ، فوجم الفلاحون . حقاً لقد تحرروا من دفع الأجور إلى أصحاب الأرض ، ولكن أصبح لزاماً عليهم أن يدفعوا ضرائب عن الأرض فوق مايدفعونه من ضرائب أخرى ، وضرائب الأرض أكبر من أجرها . هذا ولم يكن جباة الضرائب اليوم أقل عنفاً من الخفراء بالأمس .

ثم نجمت مشاكل أخرى ، فإن كثيراً

من الفلاحين بددوا ما كان عندهم من مال بدلا من أن يدفعوه إلى أصحاب الأرض ، فلم يبق في أيديهم شيء يشترون به البذور . فالدلائل كلها تدل على أن المحصول القادم ينذر بالخطر .

ونشأت مشاكل في تبريز أيضاً ، إذ قيل لأصحاب المتاجر إنهم إذا لم يدفعوا الضرائب فإن الحكومة ستتولى إدارتها ، وإن لهم إذا شاؤوا أن يبقوا فيها يتولون عمل الكتبة.

وظفر عمال المصانع بتخفيض ساعات العمل وزيادة الأجر ، ولكن أغلب رؤسائهم الفنيين كانوا قد هربوا ، ولم يبق أحد تعينه خبرته على إدارة المصنع ، إلا أن تكون إدارة عاجزة مختلة . وكذلك أدى خفض ساعات العمل وزيادة الأجر إلى ارتفاع الأسعار ، فكسدت السوق ، وأغلقت كثير من المصانع أبوابها . أو استبقت عدداً قليلا من عمالها ، وواجهت الحكومة مشكلة إطعام العمال المتعطلين .

ومستقبل إيران اليوم تحوطه الريب ، والرأى العام مضطرب حائر ، ويقول المراقبون الموثوق بهم أنه لو أجريت اليوم انتخابات بالاقتراع السرى ، لتبين ان ٩٠٪ من السكان يعارضون في الانضمام إلى روسيا ، وأن قدراً مثله يعارض في العودة إلى النظام السابق ، أى إلى عهد أصحاب الأرض والخفراء والفئة القليلة التى تستبد بالحكم في طهران .

وصحف إيران اليوم تفيض أعمدتها بالمشاريع الجديدة التى تعدها الحكومة للإصلاح الاجتماعى ، وللقضاء على الفقر والجهل والمرض بين الفلاحين ، وتحقيق إقامة الحكم على أسس ديمقراطية سليمة . ولو خلصت هذه النيات ، لكان من حق هذه الحكومة أن تعان على تنفيذها ، فإن سلم العالم سيتاح له قسط أوفى من الاستقرار ، إذا اعتمدت الحكومات على أسس النظم الديمقراطية ، بدلا من أن تستبد بالحكم فئة قليلة : سواء أكانت من طبقة العمال ، أم من طبقة السراة التى تملك الأرض .



صنعت إحدى شركات العطور عطراً جديداً أطلقت عليه اسم « سيدة » ، فلم تقبل عليه النساء لسبب ما . ثم خطر لأحدهم خاطر ، فإذا العطر قد ذاعت شهرته وعظم الإقبال عليه ، ذلك بأنه اقترح على أصحابه أن يغيروا اسمه ففعلوا ، فجعلوه « غانية » .

# الينبوع الذى لا يغيض

هارى إمرسون فزديك

**نحن** جميعاً نتوجّس خيفة على مصير العالم بعد الحرب ، وعلى أحوالنا الاقتصادية وعلى أعمالنا ، وعلى العلاقات بيننا وبين أصحابنا من الناس ، وعلى مالا نهاية له من الأزمات والأخطار . ولكن احصُرْ هذه النظرة فى أقرب مايخصُّك ، تجد أن الذى يساور قلب كل امرئ منّا إنما هو الجزَعُ على خاصّة نفسه وعلى حوْله وقوّته. فنحن جميعاً نشعرُ بعجْزٍ باطنٍ عن لقاء الأزمات التى تحيق بنا من خارجٍ .

وهذا هو الموضع الذى تلتقى عنده أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان. وإذا تيسّر لنا اليومَ أن نؤلف بينهما، فربما أفضى ذلك إلى أن يتغير مجرى حياة آلاف مؤلفة من الناس. إن بعضنا أشبه شىء بصهاريج الماء فنحن بخير مابقى الماء ، غير أن الغدير الذى نستمدّ من مائه قليل الغوْر ، ومادّته محدودة ، فإذا طالت أيام الجفاف علينا عجزنا عن احتمالها. ولكن بعضنا يكون كالعين الثرّة البعيدة الغور ، لا تستنزف ماءها صروف الزمن الطارئة .

وكل امرىء منا فى حاجة إلى هذا الينبوع الدّفين الذى لا يغيض. وأعمق حقائق الدّين وأقواها أثراً فى تغيير النفوس هو الإيمان بالله، ذلك الينبوع الفيّاض الذى لا ينفد مدده على الأيام .

اسأل من شئت منا : « هل تؤمن بالله؟ » يأتك الجواب : « نعم » ، ولكن ما أقل مايحمله هذا الجواب من المعنى أحيانا . فقليل منا من يبلغ به اليقين أن يكون لرجائه فى الله الغلبة على ساعات القنوط : إيماناً بأن الله معنا حيثما كنا ، وأنه هو الذى يمدّنا بحوله وقوّته ومعونته فى كل ساعات حياتنا ، وأنه هو الذى يجعلنا كالينابيع المتفجرة لا كالصهاريج .

ولنتدبر بعض التجارب التى تمر بالإنسان. فمن الناس مثلا من يبقى فى زمن الرخاء متماسكا صابراً بغير مشقة كبيرة ، فله أسرة آمنة

مطمئنة تشدّ أزرها مكانتها فى المجتمع، فتراهم متماسكين مجتمعين كأنهم حزمة من عيدان القمح .

ثم تصيبهم محنة ، فإذا الأمن والدعة وما ألفوه من قوة شدت أزرهم تتبدد جميعها ، ويصبح كل فرد منهم موكولاً إلى حوله وقوّته ، فإذا به لا يحتمل المحنـة وتتفرق نفسه شَعاعاً . ومن عادة الناس أن يقولوا إن تبدُّد الأمن والدعة هو الذى جرّ علينا الدّمار، ولكن الحقيقة هى أنه كشف ما كان كامناً فى النفس من خلل وفساد، وأنها لم تكن قطُّ فى داخلها سليمة قوية الجوانب. وكان مثلنا كمثل الحزمة من عيدان القمح ، فلما انحلّ رباطها تفرّقت شذر مذر ، ذلك بأن الأواصر التى تجمعنا لم تكن وثيقة العرى .

لم يأت على الناس زمان كزماننا كثر فيه من أصبح وحيداً موكولاً إلى حوله وقوته، فقد فعلت الحرب ذلك بجماهير غفيرة منا ، فلا عجب إذا وجدنا أن أمراض الأعصاب تربى على سائر الأمراض مجتمعة .

ولا يدُرُّ بخلدك أنه مما يدخل فى وسع الأطباء النفسانيين أن يحلوا لنا هذه المشكلة. نعم ، أنا أومن بالطب النفسانى ، حتى إنه ليخطر لى أحيانا أنى لو لم أكن معلماً لوددت أن أكون طبيباً نفسانياً. بيد أن علاج هذه العلة الإنسانية العميقة يقتضى معارف أخرى غير معرفة الطب النفسانى وحده ، أو أن يكون بعض الأطباء النفسانيين فى صورة خير من الصورة التى هم عليها . وقد رأيت ورأى سواى، مئات من الناس ممن عرضوا أنفسهم مراراً على جمهرة من الأطباء النفسانيين حتى صار أحدهم يحفظ تشخيص مرضه عن ظهر قلب ، ومع ذلك تجده لا يزال يعانى الخلل والاضطراب. وسر ذلك أن ليس فى نفسه مدد يعينه ، ولا ينبوع من قوة كافية، وأنه لا يعرف أين يجد بغيته منها . فهذا الرجل وأشباهه صهاريج قد أخذ ماؤها يجفّ، لا عيون ثرّة بمائها. وهذه الحقيقة تجعل كل نصيحة تبذل لهم سدًى وهباءً .

إنه لهول فظيع أن يشعر المرء ، حين يكون وحيداً ، بأنه حقاً وحيد ! وهـذا الشعور هو الدمار المخرب الذى يجلبه الكفر وعدم الإيمان . والكافر غير المؤمن يصبح مُوكولا إلى حوله وقوته ، وإذا به يجد فى أعماق نفسه فِجاجاً رحبة موحشة لا أنيس فيها . وأول شىء يقوله الدين العظيم للإنسان: لا ، لست وحيداً ، ففى أعماق نفسك التى لا تدركها الأبصار ، ينابيع من ماء الحياة يمكن أن تتفجر فتملأ فراغ نفسك بمدد وافر كافٍ .

فهذا مثلا رجل يشعر أنه قادر لا يعجزه شىء فى هذه الحياة ، فهو حى زاخر القوة

حديد الإرادة ، يستطع أن يأخذ الحياة بقوة وعزيمة ، ولم يحس قط أن قوته تخذله ، فإذا ما أراد شيئاً هجم عليه هجمة النمر على فريسته لايعوقه عن مراده شيء .

ولم يقع نظرى على أحد من أمثال هذا الرجل إلا عرفت أنه سوف يبتلى عاجلا أو آجلا بمحنة تجعل هذا الأسلوب الذى اتبعه شيئاً لاغناء فيه كالكتابة على الماء .

وانظر إلى الحزن الصادق مثلا . هذا أحد أصدقائى كانت له بنت فى الخامسة من عمرها ، لطيفة رقيقة ، فدهمها داهم فقتلها أمام باب داره ، فحمل أوصالها الممزقة على يديه إلى البيت . فماذا يصنع المرء لصديق فى ساعة كهذه ؟ من السخف ولاريب أن تقول له : « املك نفسك ، وسر فى الحياة بعزم وقوة » . ولكن هناك كلمة ينساها الناس والوعاظ هى «الصبر» . نعم لابد من العزم والقوة ، ولكنهما ليسا كل شيء ، فنحن نفتقر إلى مدد من داخل النفس يجعل الصبر أمراً ممكناً .

وكثير من الأحداث التى تلم بنا تحتاج إلى شيء أعمق من القوة والعزم ، كالإخفاق الشديد مثلا . فكل امرىء منا يحدث له يوما أن يدخل داره ذات ليلة فيرى ضيفا ينتظره ، ياضيعة الأمل ! لقد تبدد كل ماقدره وعزم عليه . فلو صرخ المرء فى مثل هذه الساعة كما صرخ بتهوفن حين أصابه الصمم : « رباه ! آتنى قوة تجعل لى الغلبة على نفسى » لكان استنجاده بالقوة والعزم شيئاً لاغناء فيه ، وماهو إلا تعزية وتعليل . فإذا أراد المرء أن يخلص مما يلم به وهو حى النفس غير منغص ولامكدر ، فلابد له من مدد عميق يستمد منه.

ولاتقصر فكرك على مثل الحزن والإخفاق ، بل فكر فى مطالب النفس التى لاغنى عنها فى عيشة راضية مطمئنة ، كسكينة النفس مثلا ، حتى تظفر نفسك ببعض الاطمئنان حين تدخل بيتك مع الليل وتفارقه فى وجه الصباح . وأينا لايريد ذلك ؟ ولكن مامن أحد ينال سكينة النفس قسراً وعنوة ، بأن يعقد عزماً مصمماً على نيلها . وسكينة النفس مدد من القوة يكتنف مطالبنا وحاجاتنا فى كل يوم ، وهى ضرب من الشعور بينابيع فى النفس يبلغ عمقها مبلغاً بعيداً ، فلا تستنزف ماءها صروف الحياة الدنيا . وهى من النعم التى لاتدرك بالجهد المبذول ، بل تأتى من كرم النفس وصفائها . وأشباه الصهاريج من الناس حائرون قلقون ، وأما أشباه العيون الثرة فوادعون مطمئنون . وفى هذا الأمر أيضاً تلتقى أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان .

ومنا آخرون يعانون مشكلة أخرى مختلفة . فقد دبر المرء منهم أمر حياته وسار

فيها على نهج معين، حتى صارت على مرّ الزمن عادة مألوفة وافية من جميع نواحيها . وإذا به يرى أن كل ما دبّره خطأ، وأن النهج فاسد لا يصلح ، وأنه في حاجة إلى أن يخرج من كلّ هذا ، ويدبّر أمرَ حياته تدبيراً جديداً وعلى أسس جديدة .

فهل سَلِمَ امرؤ منا من أن يشعر بمثل ذلك، وبأنه محتاج إلى أن يجدّد حياته ويغيّر ما بنفسه ؟ لقد قال براهمز الموسيقيّ يوماً وهو يذكر ألحانه الموسيقية : « إن ألحاني على العموم خيرٌ مني ، فهي أقل مني حاجة إلى الإصلاح ! » وهذا اعتراف رجل من الناس، خليق أن يعترف بمثله أشدُّ أهل الأرض كفراً ، فنفوسنا نفسها هي التي تحتاج إلى الإصلاح والتغيير .

وما من هوّة في هذه الحياة الدنيا هي أشد إفزاعا للنفوس من الهاوية التي تفصل بين هاتين الكلمتين « ينبغي » و « أستطيع » . يقول ملايين من الناس : « ينبغي أن أغير ما بنفسي، ينبغي أن أبدّل هذا التدبير الفاسد الذي أسير عليه، ينبغي أن أجدّد نهج حياتي » ولكن إذا قلت : « أستطيع — أستطيع أن أجدّد حياتي » فما أوسع المسافة بينهما . وفي هذا الموضع تلتقي أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان .

وماذا يقول الدين لأحدنا إلا : « إنك تستطيع » ؟ فإذا كانت الوحشة المتغلغلة في ضمير النفس ، حيث يجد المرء كلمة « ينبغي » تلوح له بعيدة نائية ، وحيث يرى كلمة « أستطيع » بعيدة خافية لا تكاد تبين — تجعل المرء عندئذ وحيداً حقاً ولا أنيس له، فهذا إذن أمرٌ حقيق بالجزع .

ولكن الأمر يختلف إذا صحّ أن ما يصدق على شئون الحياة الدنيا يصدق في شأن النفوس . فنحن مثلا وإن كنا نعجز عن أن نصنع الكهرباء بأيدينا ، إلا أننا نستطيع أن نطلقها ونظفر منها بالضوء والقوة ، فهل يمكن على هذا المنوال أن نطلق القوى الكامنة في النفس الباطنة ونظفر منها بالضوء والقوة المستكنة فيها ؟ هذا هو جوهر الفرق ما بين الكفر والإيمان، وهذا هو سرُّ القوة في الدين الذي يقول للمرء : « ينبغي لك » ، فإذا عرفت ذلك فأنت « تستطيع » — تستطيع أن تغير ما بنفسك، إذا جدّدت طريقة تفكيرك .

ونحن حين نوكل إلى حولنا وقوتنا ، ونحسُّ بحاجات لا نستطيع أن نسدّها وحدنا بلا معين، وحين يختلُّ أمرُنا ونحتاج إلى أن نرأب صدوع حياتنا ، وحين نلقى في كل يوم عنتاً ومخاوف في دنيا لا تستقرّ على حال — فحياتنا عندئذ اختبارٌ للينابيع المستقرة في أنفسنا . وليس يكفي أن يكون المرء صهريج ماء ، بل يجب أن يكون عيناً ثرّةً لا ينضبُ ماؤها على مرّ الزمن .

[ كاتبة مشهورة — وأم لخمسة أطفال تبنتهم — توجه رسالة إلى من يريد أن يتبنى طفلا . ]



# حديث مع بنتي المتبناة


بيرل بك
مؤلفة "الأرض الطيبة"
وحائزة جائزة نوبل في الأدب


*مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"*

عشرين سنة تبنيت أولى أطفالى ، وعلى كر الأعوام وجدنا أربعة آخرين ليكونوا لها أخوة وأختاً . وقبل أن أجلس لأكتب هذا المقال طلبت من كبراهم رأيها فيما ينبغى أن أقوله لمن عسى أن يريدوا أن يتبنوا الأطفال أيضاً .

فقالت فتاتنا التى بلغت العشرين: « أولا ، لا أظن أن كل إنسان يجوز له أن يتبنى . ولست أعنى الأغنياء والفقراء ، فما لهذا شأن بالموضوع » .

فتباحثنا فى أى الناس أليق وأصلح لتبنى الأطفال ، فقالت : « لا أرى أن يكون الأبوان فى غضارة الصبى ، فإن الشباب يفكرون على الأكثر فى الاستمتاع أولا ، وقد لا يولون الطفل من الحب ما فيه الكفاية » .

فقلت : « ولكن الشباب كثيراً ما يرزق البنين ولادة » .

فقالت : « إنهم قد يحبون الأبناء من أصلابهم بمجرد الغريزة الحيوانية ، ولا بد من شىء أكثر من هذا للطفل المتبنَّى » .

ومضت تقول: « وطبعاً لا ينبغى أن يكون الأبوان أسن مما يجب ، فإنهما خليقان أن لا يرتاحا إلى صحبة الأطفال ، وإنما ينبغى أن يسمح بالتبنى لمن يحبون الأطفال » .

والذى عنته بقولها هذا هو شىء أحسست به أنا نفسى إحساساً قوياً ، فإن كثيرين من الآباء يحبون أطفالهم ولكنهم لا يحبون الأطفال . فليس يجوز التبنى إلا لمن يحبون كل الأطفال ، فقبل التفكير فى التبنى يجب أن يتبين الرجال والنساء أى ضرب من الناس هم ، فهل يحبون الناس ؟ وهل يقدرون أن يحبوا طفلا صغيراً ليس من صلبهم ؟

والأطفال يشبّون، فهل يرضى الآباء عن ذوى النمش والعبث والطيش من صغار

الصبية والبنات الذين يتبنونهم ؟ وهل فى وسعهم أن يضحكوا إذا رأوا بعض المكر ؟ وهل فى مقدورهم أن يحبوا طفلا لا تخفى عليهم عيوبه ؟ فإذا كنت مفطوراً على حب الأطفال ، ولا ترى أنهم يضايقونك ، فإن لك أن تتبنى .

والخطوة التالية هى أن تهتدى إلى الطفل ، وهذا صعب . وأحب أن أقول إن عليك أن تجد طفلك بمعونة وكالة أو معهد للأطفال يعتمد عليه ، غير أن الحقيقة المحزنة أن هذه المنشآت قليلة ، وأن القوات المنظمة التى تعمل ضد التبنى ، هى من القوة بحيث تزداد الصعوبة .

وينبغى لأجل الأطفال أن يسهل التبنى ما أمكن ، ولابد بطبيعة الحال من البحث فى حالة الآباء وبيوتهم ، ولكنه ليس ثم سوى بديل واحد صالح من الآباء الصالحين للطفل ، وذلك هو آباء صالحون آخرون .

وقالت بنتى بعد تفكير آخر : « لست أرى أن يعامل الطفل المتبنى معاملة خاصة ، وينبغى أن يُعَلموا ، ويُحَبوا ، ويعاقبوا كغيرهم من الأطفال ، ولا يجوز اختصاصهم بألطاف ، لأنهم خليقون أن يشعروا أنهم غرباء » .

وقد سرنى قولها هذا ، فقد عوّدنا أطفالنا أن نكون معهم على حقيقتنا ، وهم يشاطروننا حسن حظنا كما يشاطروننا ما لا مهرب منه من سوء الحظ أيضاً . وكنا إذا أرهقنا أنفسنا بالعمل — كما نضطر كثيراً إلى ذلك إذا كانت أسرتنا كبيرة ونفقاتنا على قدرها — فإنه يكون عليهم أن يحتملوا جرائر تعبنا ، وما يبدو منا من قلة الصبر أحياناً ، ولكنهم يستطيعون دائماً أن يكونوا على ثقة من حبنا لهم .

وعلى الآباء أيضاً أن يتقبلوا الطفل على علاّته ، فإنه مهما تكن البيئة فإن لكل طفل طبيعة لا تتغير ، وهو من الساعة التى يخلق فيها تحدد له صفاته الجوهرية ، وليس للتدريب والقدرة من أثر إلا إنماء ما هو موجود فعلا ، وتوجيهه . والمبالغة فى الأمل لا نتيجة لها إلا الخيبة والشقاء للجميع .

وكيف يعرف الإنسان أنه وجد الطفل الصالح للتبنى ؟ وهل العيون السود مهمة ؟ أو العيون الزرق ؟ إن كل شىء يصبح مُهماً إذا رأيت أنت أنه مهم ، والشعور له قيمة فيما بين الآباء والأبناء . ويجب العناية بالعواطف أول شىء ، لأن لها أعظم الأثر فى إقامة العلاقة بالطفل الجديد .

وإنما اخترت صفة جسمانية على سبيل المثال ، وطبيعى أن تكون الصفات الأخلاقية والنزعات أهم . وإذا اختار أبوان نزعتهما إلى الظهور قوية بارزة ، طفلاً حساساً

خجولا منطوياً على نفسه ، فإن هذا الاختيار يكون سيء المغبة للجميع. ولكن كيف نعرف؟ ولنسلم جدلاً بأنه ليس ثم وسائل مقطوع بهديها ، فإن هناك بعض الأمور التى يمكن الانتفاع بها . من ذلك أن أرومة الطفل — بل خصائصه القومية الأساسية — ينبغى أن تكون أقرب ما يمكن إلى أرومة الأبوين اللذين يتبنيانه . فإذا كان يجرى فى عروقك الدم الإيطالى الحار، فليس لك أن تتبنى طفلا منحدراً من أصل إسكندناوى بارد ، إلا إذا كنت قد تزوجت امرأة من هذا الجنس أحببتها .

والناحية الثقافية أيضاً لها قيمتها ، فالآباء الذين لايعبأون بالكتب ، والذين تركوا المدرسة فى سن مبكرة ، لاينبغى لهم أن يتبنوا أطفالا أنجبهم آباء كانوا أساتذة فى الجامعات ، والعكس أيضاً صحيح .

والذين يشتهون أن يتبنوا البنات أكثر ممن يطلبون البنين، لظنهم أن البنات « أيسر » . على أن الواقع أنى وجدت أمر البنين أيسر، فإنهم أكثر استقلالاً ، وأصرح بطبيعتهم على وجه العموم ، ولكنه يجب أن يفكر المرء فى الطفل المتبنى على اعتبار أنه فرد لا على اعتبار أنه صبى أو بنت .

وقالت بنتى بلهجة جازمة : « إنه لاينبغى أن يكون هناك طفل واحد ، فإن الطفل المتبنى يجب أن يكون له أخوة وأخوات يعيش معهم ويبادلهم الحب ، فضلا عن أن يكون له أبوان . وهذا يجعل حياته أوفى وأوطد »

نعم ، كل امرىء يحتاج إلى الراحة المستفادة من أن يكون له أكثر من قريب واحد فى البيت ، لأنه يخشى إذا لم يكن ثم سوى قرابة واحدة ، أن تصبح العلاقة أشد استحكاماً مما ينبغى ، والآمال تعظم جداً ، وتجاوز الحد فى حرارتها حين تكون منحصرة فى طفل واحد ، والطفل يتحمل من أجل ذلك وقراً ، ومثله الأبوان . وينبغى دائماً أن تكون للطفل أسرة ، وقد يكون مؤدّى هذا زيادة الجهد لكسب الرزق ، وأن تكون الحياة بسيطة ، ولكن السعادة تكون أكثر، فإن الأطفال يساعد بعضهم بعضاً ، فضلا عن مساعدة الآباء .

ووجهت إلى بنتى سؤالا آخر ، قلت : « هل أحسنتُ إذْ أخبرتك من أول الأمر أنك متبناة ؟ »

ولم تكن إلا رضيعة حين دخلت فى زمرتنا ، فلما شبت عن الطوق إلى الحد الذى تصغى فيه إلى القصص قبل النوم ، رويت لها قصتها البديعة وكيف اهتديت إليها ، ولماذا اخترتها وآثرتها دون غيرها من الأطفال ، وتكررت القصة على مدار السنين.

وفى ذات ليلة ، بعد أن بلغت السابعة ، شرعت أعيد عليها القصة مرة أخرى فتثاءبت وقالت : « أعرف كل هذا ، فهاتى شيئاً جديداً » فاطمأن قلبى ، فقد صارت القصة الآن قديمة حقاً ومفروغاً منها ، وكان مما تؤمن عواقبه أن ينساها المرء كل النسيان، فقد توثق ما بينى وبينها .

وقد قالت الآن وهى فى العشرين وعليها هيئة التى تتفكر : « إنى مسرورة لأنك أخبرتنى قبل أن أستطيع حتى أن أتذكر . وقد كنت ، وما أزال ، أسلم بأن الناس يجيئون بالأطفال ولادة أو بالتبنى ، وهذا كل ما فى الأمر ، ولكنى لو لم أكن عارفة بالحقيقة من البداية ، لكان من الممكن أن أضطرب حين أعلم »

فسألتها : « ولكن هبى أنك لم تعرفى الحقيقة أبداً ؟ » فقالت : « قد يخبرنى بها بعضهم ، وأنا أفضل أن أعرفها منك يا أمى »

لم يساورنى الخوف قط بعد تلك الليلة حين كانت فى السابعة فى عمرها ، وبعد ذلك بعامين زرتها فى مخيم صيفى ، فأقبلت على تعدو وهى تلهث :

« إنى سعيدة يا أمى بحضورك ، فهل لك أن تتحدثى إلى إحدى أترابى ؟ إنى شديدة الأسف من أجلها ، فإنها متبناة ! »

فجاهدت أن لا أبتسم وقلت : « ولكنك تعرفين ياحبيبتى أن هذا لاشىء »

فقالت فتاتى الصغيرة جادة : « ولكنها متبناة حقاً ، فليس لها أم ، وهى تعيش مع خالتها »

وكانت هذه عندى لحظة من لحظات السعادة العميقة ، فإن فتاتى لا تشعر أنها متبناة ، فإن لها أمها .

وسألتنى بنتى الصغرى ليلة وأنا ألفها فى فراشها : « هل ولدنا جميعاً نحن الأخوة والأخوات ، من سيدات مختلفات ياأمى؟ »

فقلت بلا احتفال : « نعم » .

فقالت : « ولكن هذا لاقيمة له لأننا كلنا لنا أم واحدة هى أنت ، لاقيمة على الإطلاق » فوافقت ، وبعد دقائق نامت .

ليس ثم سوى قاعدة واحدة للإجابة عن الأسئلة : أجب بصدق . وكلما كان الطفل أصغر ، كان من الممكن الإجابة بإيجاز وبلهجة الكلام العارض دون احتفال . وفى طور المراهقة ينبغى أن تكون الإجابة أوفى مع الشرح ، وينبغى أن يعلم الطفل أن له إذا شاء أن يبحث عن أصوله . والمألوف إذا كانت العلاقة فى البيت سليمة ، ولم تحدث صدمة عند العلم بالتبنى ، أن لاتبدو من الطفل رغبة فى البحث عن أبوين مجهولين .

وأعتقد أن التبنى المبكر — بعد الميلاد على قدر الإمكان — خير أساس للسعادة

فيما بعد مع الطفل ، فإن الآباء والأطفال يحتاجون جميعاً إلى تقاسم تجربة الطفولة .

وأنا أعرف أن البعض يشعر باطمئنان أكثر إذا تبنى طفلا اجتاز الاختبار العقلى والجسمانى للسنة الأولى أو السنتين الأوليين ، ولكن الآباء يواجهون شيئاً من المخاطر سواء كان الطفل بالولادة أو التبنى . ومن الممكن أن يولد طفل به نقص عقلى أو جسمانى فى أية أسرة ، بل إن التبنى أقل تعريضاً للأخطار . أما العيوب العقلية ، فإن منها ما هو بين ، فمن السهل التفطن إليه عند الميلاد ، أما التى أخفى فقد تبقى مستورة إلى أن يبلغ الطفل سن التعلم .

إن تبنى طفل مع الجهل التام بما ورث أمر خطير ، كالزواج بسرعة وجهل من شخص ليشاطرك أبوة أولادك . وفى وسع وكالة الطفولة يعتمد عليها أن تقوم عنك بالتخير اللازم ، وهذا عمل يقوم على التعاون . فالأبوان يصفان نفسيهما ، ويصفان الطفل الذى يريدان ، ويزور بعض رجال الوكالة بيت الأبوين ، فإنه لاينبغى أن يسمح لأحد بتبنى طفل إذا كان لايستطيع أن يكفل له الامن المعقول الذى قوامه بيت ثابت من الوجهتين المالية والوجدانية ، فليس يجوز مثلا أن يستخدم الطفل « لإنقاذ » حياة زوجية قد أشفت على الانهيار .

وهل يمكن أن تكون العلاقة بين الأبوين والطفل المتبنى كما تكون بينهما وبين ابنهما بالولادة ؟ إنها يمكن أن تكون أوثق ، فإن مجرد كون الأبوين يختاران الطفل المتبنى ويريدانه ، يجعل العلاقة منذ البدء قوية قويمة . وكثيراً ما يقوى الحب عن طريق الإحساس بتبعة الأبوين ، واستجابة الطفل فتصبح أقوى وأحرّ من علاقة الدم .

وإذا وقع اختيار الأبوين على طفل أسن فإن العقل هو الذى يجب أن يكون الهادى والمرشد فى إقامة العلاقة الجديدة . ويجب أن لاتكون هناك غيرة من علاقات الطفل الماضية . وعلى الأبوين الجديدين أن يتقبلا هذه العلاقات كما تبدو للطفل ، وأن يسمحا له بأن يذكرها ويتحدث عنها بحرية ، فإن محاولة قمع ذكريات الطفل لامؤدّى لهاسوى تعميقها .

والطفل الكبير تكون له أيضاً عادات ثابتة ، وقد لا توافق هذه العادات جو الأسرة الجديدة . فالصبر إذن هو المنهج القويم ، فإن العادات الجديدة لا تتكون إلا حين يريد الطفل نفسه أن يكوّنها . ولا بدّ له أولاً من أن يشعر بالاطمئنان والأمن فى بيته الجديد ، وأن يثق بأنه مرغوب فيه ، وأنه محبوب ، وحينئذ ينزع من تلقاء

نفســه إلى أن يكون جزءاً من الأسرة ، وينزل عن عاداته القديمة .

وسألت بنتى عند هذه النقطة : « هل قلنا كل ماينبغى أن يقال ؟ » .

فقالت : « هناك أمر آخر ، إن ماضى الطفل المتبنى يجب أن يظل سراً بين الأبوين والطفل ، فإن للطفل حقاً فى أن تتاح له فرصة عادلة لابتداء حياته » .

وهى على حق . وقد يكون من الضرورى أحياناً — إنصافاً للطفل — أن يشرح شىء متعلق بأصل الطفل ونشأته، لمدرس مثلا ، فيساعده على الفهم والحلم ، ولكن مايروى من هذا القبيل يجب أن يظل سراً .

ومضت بنتى تقول : «بالطبع ليس الأبوان كل من هناك، فإن هناك أيضاً بقية الأسرة» .

وأسرتنا كبيرة ، وقد كانت تفكر فى الخالات والأعمام وأبناء العمومة والخؤولة وفى الجدة . وإنه ليسعدنا أنهم تلقوا أطفالنا المتبنين بحرارة ، ولكن هذا لايطرد فى كل حال . ويجب أن يصر الآباء على أن يعد أطفالهم المتبنون أعضاء أصليين فى الأسرة — كما هم فى الواقع .

وختمت بنتى كلامها بقولها : « أظن أن هذا كل شىء ياأمى » .

ولكن أباها الذى انضم إلينا كان عنده سؤال فقال : « شىء آخر . هل ترين أنت أن تتبنى أطفالا ؟ »

وكان سؤالا حسناً ، أجابت بنتنا عنه بحرارة مريحة : « بالطبع أتبنى إذا لم أرزق بالولادة أطفالاً أكثر ، أتبنى كل من أستطيع أن أعنى بهم » .

ولعل هذا فى الواقع هو كل مايمكن أن يقال .

·oOOo··oOOo·

كنت أطوف فى ريف ولاية ألاباما فضللت طريقى ، فرأيت شيخاً كان جالساً على سياج مزرعته يمضغ الطباق، فسألته عن الطريق إلى قرية مونتجمرى، فرمى ببصره إلى الطريق وحك رأسه ، ووصف لى وصفاً معقداً طائفة من الطرق ينبغى أن أسلكها طريقاً بعد طريق .

فسرت على هديه سيراً دقيقاً ، وبعد نصف ساعة رأيتنى وأنا لا أكاد أصدق ما أرى ، واقفاً أمام الشيخ نفسه . فضقت ذرعاً بما فعل وقلت له بجفاء : « اسمع ياعمّ ، لِمَ فعلت بى مافعلت ؟ »

فقال : « الحقيقة يابنى أنى لم أشأ أن أضيع وقتى فى وصف الطريق إلى قرية مونتجمرى، حتى أستيقن من أن فى وسعك أن تسير على النهج الذى أبينه لك » .

حوادث من مذكرات حلال لمعضلات الجرائم .

# آيات في كشف الجرائم

جو تشمبرلين

مختصرة من مجلة "ذي أميريكان ليجيون"

ألقت شرطة كليفلاند القبض على عامل وقع فى ظنهم أنه ضرب زوجته ضرباً أفضى إلى موتها . ولم يكن عندهم شهود عيان ، وأبى العامل أن يعترف ، فجاءه داڤيد كاولز رئيس معمل البحث العملي للكشف عن الجرائم ، ووجه إليه أسئلة متعدّدة ، فتبين أنه رجل على حظ يسير من الذكاء فقال له :

« إذا كنت أنت القاتل ، فدمُ زوجتك لايزال على يديك ، ولن يدخل فى طوقك أن تغسله أو تزيله » . وصبّ على يد الرجل محلولا قلوياً ، ثم أضاف كاشفاً قلوياً أحال المحلول الأول أحمر قانياً كلون دم البشر ، فاعترف الرجل بالجريمة

وبمثل هذه الوسائل التى تجمع بين العلم ومعرفة طوايا النفوس استطاع كاولز أن يحلّ مئات من الجرائم الغريبة . وهذان مثالان من حوادث حدثت :

## المرأة التي ماتت مرتين

ندب أحد ضباط المباحث إلى بحث جريمة قتل، فلقيه عند الباب رجل ساكن النفس ، فقاده إلى حجرة النوم ، وفتح بابها الموصد ، وقال إنه أوصده حتى بقى كلّ شيء فى الحجرة فى مكانه .

وكانت زوجته ملقاة على عرض السرير فى ملابسها ، وقد اخترقت قلبها رصاصة . وكانت يمناها ممدودة كأنها تحيّ بها .

فسأله الضابط : « أين المسدس ؟ »

فقال الرجل : « لم أر مسدساً » .

فرأى الضابط أن فى الأمر غرابة . فالنوافذ مقفلة ، ولم يشاهد أحد خارجا من البيت . وروى الجيران أن الزوجين قد تشاجرا ، فاتهم الزوج بالقتل .

وحين وصل كاولز فحص الحجرة، وكان فيها سرير وخزانة وصندوق بجانب الجدار . ووراءه وعلى عشر أقدام من الجثة وجد كاولز المسدس المفقود ، وقد أطلقت منه رصاصتان . فكيف وصل إلى هذا المكان؟

وقد دهش كاولز حين تبين أن الجرح جرح رصاصة واحدة، على حين أخرجت من الجثة رصاصتان . فبدا كأن التهمة سوف

تثبت على الزوج . فكيف يطلق المرء رصاصتين على قلبه، ثم يهرع فيخفي المسدس.

وقد لاحظ كاولز أن الرصاصتين مختلفتان شكلا ، فواحدة مسطحة الرأس كأنها صدمت جسما صلباً عاقها . وتبين اختلافا أيضاً في الظرفين الفارغين ، فقد كان ظرف الرصاصة الثانية منفتحاً ، فدل ذلك على أنها قد ضغطت ضغطاً قويا .

فجمع كاولز بين هذه الدلائل ، وخطر له خاطر . فمرّ بإصبعه على قناة المسدس ، فوجدها منتفخة عند منتصفها ، ثم وضع رأس الرصاصة المسطّح على مؤخر الرصاصة الأخرى ، فكانت المطابقة تامة .

فاتضح له السرّ .

أطلقت الرصاصة الأولى قبل الحادث بزمن طويل فاستقرت في قناة المسدس لفساد في البارود، أو لصدأ في باطن القناة . فلما شدّت المرأة الزناد ، دفعت الرصاصة الثانية الرصاصة الأولى ، فانطلقتا كأنهما رصاصة واحدة ، فاخترقتا قلبها . وارتدت بعض الغازات المتفجرة من أثر الرصاصة المستقرة ، فأحدثت انتفاخا في الظرف ، وقذفت المسدس من يدها إلى حيث وجد وراء الصندوق ، ودلت اليد ممدودة على صحة ذلك الرأي . وكذلك برىء الزوج ، إذ كان هذا انتحاراً لا جريمة قتل .

## الملابس تشي بالرجل

**أحس** حارس الليل، في دار للأعمال ، بالمسدس في ظهره . وهجم عليه رجال فأوثقوه وكمموه وعصبوا عينيه . ثم نسفوا خزائن الجواهر ونهبوا الماس والزمرد والياقوت والذهب .

فلما وصل كاولز في الصباح ، أخذ نماذج من شظايا الأشياء التي حطمها اللصوص — المواد التي تقي من غوائل النار، وخشب الساج الصلب الذي بطنت به الخزائن. وصنع قالب جصّ لأثر قدم كان واضحاً على سقف بناء مجاور، حيث حطمت النافذة وفتحت .

وبعد أسابيع أبلغ الشرطة أن هناك رجلين يسرفان إسرافا فيما ينفقانه من مال في أحد الملاهي الفاخرة ، فاعتقلوا أحدهما لارتيابهم فيه . ووضع كاولز ملابسه تحت عين المجهر ، فوجد شظايا دقيقة من خشب الساج في ثنايا سراويله . ودلّ المجهر أيضاً على أن التراب المستقر في الثنايا مركب من المواد التي تصنع منها أدوات الوقاية من الحريق . ثم استطاعوا أن يقبضوا على زميله في ملهى ليلي ، وكان مشهوراً بفتح الخزائن الموصدة . فقورن أحد حذائه بقالب الجص ، فكانت المطابقة تامة . وكا هذا شاهداً صامتاً ، حين عزّ شهود العيا

# خلق معلما

هيرام هايدن

كان لكل امرىء يسميه « تافى » . وقد حدث أن والدىْ تلميذ كانا غائبين لما دخل ابنهما مدرسة « تافى » ، فلما عادا وذهبا ليريا هذه المدرسة قدمهما التلميذ وهو مزهو إلى المعلمين : « هذا هو المستر واطسون . وهذه المس جراهام . وهذا ناظرنا المستر — تافى » . واضطرم وجهه ، فما استطاع أن يتذكر اسم الناظر ، بل إنه لم يسمع اسمه قط منذ يوم افتتاح المدرسة .

وكان نفوذ « تافى » فى هذه المدرسة الخاصة للبنين ، غير مفهوم منا نحن الثلاثة الحديثى العهد بالتعليم ، ولم نكن نستطيع أن نفهم كيف يضبط أمرهم «بالكلام» . وكان لا يبدو عليه قط أن مسألة النظام تشغله ، على حين اننا ما اشتغلنا إلى الآن بتعليم شىء غير النظام . وحتى فى هذا البرنامج المحدود لم أوفق أنا إلى نجاح محسوس . وفى نهاية الشهور الثلاثة الأولى حملت تلميذاً صغيراً جريئاً بيدى حملاً ودخلت به على « تافى » وقلت : « خذه قبل أن أقتله » ، وكانت نيتى أن أستقيل فى ذلك المساء ، ولكن بعد نصف ساعة عاد هذا الغلام وهو هادىء مؤدب مستعد للتعاون ، فغيرت رأيى . ولما سألت «تافى» عما حدث قال وعينه تلمع : « لقد تحادثنا » .

وكان نفوذه هادئاً حتى لكان يندر أن يتاح لنا أن نرى كيف يصل إلى غاياته . وأخيراً سألته صراحة ، فقال :

« إن القاعدة الأولى أن لا تسمح لأزمة أن تنشأ ، لأن السيطرة على الموقف على وجه مُرْضٍ تصبح أصعب ، إذا هو بلغ مرحلة تستدعى توقيع العقاب . فلا تضع التلميذ أبداً فى مركز يستطيع فيه أن يتحدى

اشتغل هيرام هايدن بالتدريس عدة سنوات ، ثم سار أستاذاً فى جامعة نورث كارولينا . وهو الآن رئيس تحرير « ذى أمريكان سكولار » ، وقد ألف عدة كتب من بينها روايتان « حر بالطبيعة » و « إجازة فى مانهاتان » .

أوامرك ، أو تضطر فيه أنت إذا قال كذباً أن تكشف عن كذبه . ولا تسأل هل ارتكب خطأ ، حين تكون واثقاً أنه فعل ، لأنك بهذا تغريه بالكذب لينجو » .

وكان هذا جلياً وعملياً ومعقولا . فقلت: « ولكني لا أزال عاجزاً عن أن أفهم كيف تستطيع أن ترى المتاعب وهي تختمر » .

فقال تافي : « إن عليك أن تعرف تلميذك ، والمتاعب تلوح دائماً قبل أن تقع بزمن طويل ، وما من تلميذ متزن يقع منه عصيان بدون إنذار . ولما كانت المدرسة صغيرة ، فهناك فرصة لدرس تلاميذنا » .

وكان « تافي » يكلفنا أن نضع تقارير كل ستة أسابيع عن كل تلميذ من عشرة أو اثني عشر تلميذاً ، نبين فيه شخصيته — قدرته على الابتكار ، واستعداده للتكيف ، وإلى أي حد يوثق به ، وغير ذلك من الصفات . فإذا كان الآباء بعد قراءة التقارير عن أبنائهم الذين يحتاجون إلى التعهد والعلاج ، لا يبدون عناية بما ينبهون إليه ، فإن « تافي » يبين لهم بلباقة ، ولكن بإخلاص ، ما يوشك أن يحدث من السوء ، وكيف يستطيعون أن يعاونوا على اتقائه ، فكان التعاون الناتج عن هذا بين التلاميذ والمعلمين والآباء رائعاً .

وكانت لجنة ما من التلاميذ تعقد ظهر كل يوم عند الغداء مع « تافي » أو أحد المعلمين لوضع البرامج ووجوه النشاط ، وكانت إحدى هذه اللجان تسمى اللجنة التنفيذية ، وكان اسمها في الحقيقة ستاراً للجنة « تافي » لعلاج مثيري المتاعب . وكانت أي جائزة تمنحها المدرسة دون عضوية هذه اللجنة . ومتى دخل التلميذ فيها فقد صار من ذوي الشأن ، وصار يعمل مع « تافي » ليكفل لكل تلميذ التشجيع اللازم والفرصة التي يحتاج إليها لمعرفة نفسه . ولم يخن عضو واحد من أعضاء هذه اللجنة الأمانة التي في عنقه ، وهي أن يكتم المسائل التي يدور فيها البحث .

ولم يكن « تافي » شرساً ، بل كان على العكس أرق رجل عرفته ، ولكنها كانت رقة من ذلك الضرب الذي تثمره القوة الحقيقية ، وكان يكلف نفسه ويكلف كل امرىء غيره شططا ، فقد كان يطلب من كل فرد في المدرسة أن يعمل إلى آخر حدود طاقته ، وأن يهتدي إلى خير ما في نفسه ، وأن يظل محتفظاً به .

وكانت النظرة الأولى لا تكشف عن شيء غير مألوف فيه . وكان قصيراً أنيقاً بادي الذكاء ، ولم يكن فيه شيء غير مألوف غير بياض في شعره الذي عجل عليه الشيب ، فإذا ازددت معرفة به زدت شعوراً بالحرارة

والفكاهة فى عينيه ، والقوة التى فى يديه الجميلتين اللتين لا تضطربان أبداً أو تكثران من الإشارة ، وامتلاء صوته العميق . فإذا مضى عليك عام وأنت تعمل معه ، فإنه لايسعك إلا أن تتعجب لمثل هذا الرجل الذى يقنع بالبقاء ناظراً لمدرسة صغيرة مجاهدة فى دار ضئيلة ، لأنك تصبح على يقين من أنه يسعه أن يختار لنفسه وظيفة ناظر فى أى مدرسة شاء ، وتتعجب له أيضاً من أين جاء — متسائلا عن أخلاقه العجيبة لا عن مسقط رأسه . وكان قليل الكلام عن نفسه ، ولكنى استطعت شيئاً فشيئاً أن أجمع خيوط القصة .

لما عاد هنرى مورتمر من فرنسا وسرح من جيش الولايات المتحدة فى سنة ١٩١٩ ، اتجه إلى مدرسة للفنون ، وكان فى أيام صباه يتلهف عن قلم للرسم وفرشة للتصوير ، فالآن وقد ناهز العشرين ، صار معه المال اللازم ، وتهيأت له الفرصة لتعلم مايريد .

وقضى ستة شهور يدرس فى شيكاغو . وكان من الجلى لمعلميه أن أمام هذا الشاب مستقبلا فنياً باهراً ، ولما عاد إلى مسقط رأسه لزيارة أبويه فى أجازة الربيع كان فاتر الحماسة لعمله .

ومر فى أوبته بعمه فى كليفلاند ، وكان عمه قد فتح مدرسة للبنين ، وكان عمله هذا من وحى لحظة ، ولكن أثره بقى طول الحياة .

وقد ألفى المدرسة على حال من العجز محزنة ، فقد كان فيها أربعة معلمين ، تركها أحدهم من أجل وظيفة أخرى ، وذهب ثان إلى المستشفى ، فحرمته المدرسة بقية العام الدراسى . وكان عمه يحاول أن يؤدى عمل ثلاثة ، وكان من الجلى أنه منهوك .

وتلفت هنرى حوله . لقد كان فى جو هذه المدرسة شىء يستوقف النظر ويحرك النفس ، وكان هذا ملحوظاً فى المدرسين الباقين ، ومتجسداً فى التلاميذ ، وكانت نظرتهم إلى مدرستهم خلاف نظرته هو إلى مدرسته ، فقد كانوا يدفعون دفعاً إلى بيوتهم فى آخر النهار . وكان هذا الشىء يلتمع أيضاً فى عين عمه .

وأدرك فجأة أنه يتنفس الهواء المنعش الذى وجده فى مدرسة الفنون ، سوى أن الأدوات هنا ليست القلم أو الفرشة ، بل العقل والقلب . والأداة ليست هى الألوان واللوح ، بل الحياة الإنسانية .

وقال لعمه : «إن الإعياء قد تخلل بك ، فدعنى أتولى أمر فصولك بعد الظهر . وقد لايتعلم التلاميذ شيئاً كثيراً من الجغرافية ، ولكنى أظن أننا سنمضى فى سبيلنا »

ومضوا فى سـبيلهم . وفى تلك الليـلة قال لعمه فجـأة فى شقته : « إذا قبلت أن أعمل معك فسأبقى » .

ولم يكن الأمر بهذه السهولة ، فقد ظل أسابيع تمرُّ به أوقات يحِنُّ فيها إلى التصوير، ويشعر أنه ارتـكب خطأً فاحشاً. ولـكن الأسابيع امتدت إلى شهور ، والشهور إلى أعوام، ثم قابل فى حفلة عشاء فتاة إرلندية زرقاء العينين مشرقة الديباجة، فصار القرار لارجعة فيه .

وتزوج هيلين جـلاجر ولما جئت إلى المدرسة كان ابنهما فى الشهر السادس من عمره ، وكانوا يعيشون فى بيت صـغير قريب من المدرسـة التى كانت قد ازدهرت إلى حد يسوّغ نقلها إلى ضاحية فيها الحقول المنبسطة وهواء الريف . وكان عمه قد اعتزل العمل وتولى هنرى مورتمر أمر المدرسة الأوليـة ( من سن السادسة إلى الحادية عشرة ) ، وصار هنرى مورتمر معروفاً باسم « تافى » .

وبدأت أفطن على الأيام إلى المبادىء التى أنجحت «تافى» مع التلاميذ . فقد كان أولا يحب التلاميذ حباً صريحاً ومن أعماق قلبه، ولما كان يحبهم فهو يؤمن بهم . وقد رأيته تقبّل أطفالا يئس منهم آباؤهم وأصدقاؤهم والأطباء النفسانيون ، وهومطمئن واثق فى هدوء . وكان يقول : « إنهم لم يتولوا أمرهم على الوجه الصحيـح » .

وكان يوفق إلى الحل الصحيـح . فإذا كان التلميذ بيل جراهام كسولا ولايقدّر التبعة . فإن « تافى » يضع التبعة على عاتقه ، مثال ذلك أن يكل إليه « اجتماع الطلبة » التالى ، وينصرف كأنما لاشك فى أن الأمر سـيكون على مايرام . وإذا كانـ « دان بيلنجز» أضحوكة يسخر منه كل إنسان، فإن «تافى» يدعوه إليه ويكلفه أن يتولى رياسة لجنة الاستقبال التى تقوم بمرافقة الضيوف فى طوافهم بالمدرسـة .

ويتفق أحيانا ، بطبيعة الحال ، أن يدخل المدرسة تلميذ متعب حقاً يكلف « تافى » نفسه شططاً فى إصلاحه . ومن هؤلاء صبي اسمه دوجلاس هول فى العاشرة ، مات أبوه ودوجلاس رضيـع ، وراحت أمه تجيبه إلى كل ماينزو فى رأسـه . وكان دوجلاس لا يعرف الخوف ، ولا التبعـة الاجتماعيـة . وقد حدث ذات يوم وهو يعبث أن نفذت ذراعه من زجاج نافذة فانشق الجلد من الرسغ إلى الـكوع ، فلم يعبأ شيئاً بالدم المنبثق من الجرح المفتوح ، وأقبل علىّ يقول فى هـدوء : « أظن أنه ينبغى أن يصنع شىء لهذا » .

ولما كان « تافى » يدرك أن الأساليب المعتادة لاخير فيها مع دوجلاس ، فقد ظل وقتاً طويلا لا يصنع شيئاً سوى توثيق روابط الصداقة مع هذا الصبي. وقد اهتدى إلى مايعنى به دوجلاس ، وشاطره هـذه العناية ، وأغضى عن المخالفات التى كان فى العادة يعالجها بحزم .

وكنا نظن أن « تافى » لم ينجح فيما أراد، ولكنه لم يسعنا إلا أن نعترف بأن دوجلاس يحبه ويحترمه كما لم يحب أو يحترم أحداً سواه، وظلت الحال على هذا المنوال عدة شهور. ثم كانت الصدمة ، فقد بدأ دوجلاس يبالغ فى شعوره بنفسه ، ويشغب على التلاميذ علانية ، وبدا لنا كأن « تافى » سيخفق لامحالة آخر الأمر .

ولكن قابلت دوجلاس ذات يوم مقبلاً فى الردهة وهو يبكى ، فحدقت فيه غير مصدق . دوجلاس يبكى ؟ ! وقضيت عشر دقائق فى إقناعه بأن يذكر لى السبب ، ولكنه ذكره لى أخيراً وقال وهو لايكاد يبين : « لقد طردت من الفصل وأرسلت إلى « تافى » ، فقال لى : أن أمله خاب فىّ . وقال: إنه مامن صديق يخذل صديقه كما فعلت أنا » .

وانفرجت الأزمة بعد معركة طويلة ، وأدركت بغتة مبلغ بطولة « تافى » فى صبره وحلمه .

ولما قابلت « تافى » بعد ذلك بساعة ، ورأيت ماهو فيه من التعب والكلال، عرفت ما تكلف من الجهد المضنى فى القيام بما أخذه على عاتقه من أن يصوغ نفوس هؤلاء الصغار صوغاً جديداً .

ولم يكن يعادل حبه للتلاميذ وإيمانه بهم إلا حبه للتعلم وإيمانه به وحماسته له ، وكان هذا بيّناً فى كل دروسه. فبإرشاده وتوجيهه صار تلاميذ الفصلين الخامس والسادس يجدون فى دروس الجغرافية والتاريخ تلك المتعة الساحرة التى يجدها الأولاد عادة فى الكتب الفكاهية وفى برامج الإذاعة التى يعترض عليها الآباء .

وكانت طريقة « تافى » فى تدريس التاريخ مثلا أن يجعل كل تلميذ فى الفصل حاكما على بلد من البلاد . فيظل التلاميذ عدة أسابيع يجمعون بمساعدة « تافى » المعلومات عن بلادهم ، وكان يجد أن مكتبة المدرسة غير كافية ، فيقضى أيام السبت فى المكتبة العامة، فيرتد وهو فيها إلى حياة إنجلترا أو فرنسا أو إسبانيا فى القرن السابع عشر .

ثم تجىء الخاتمة ، فيتكهرب جو الفصل ،

ويكون على كل تلميذ أن يجيب بإسهاب عن كل سؤال فى الموضوع عن بلاده يستطيع أن يلقيه عليه التلاميذ الآخرون و« تافى » ، وما أقدرهم على توجيه الأسئلة الصعبة ! وأتذكر تلميذاً عمره عشر سنوات كان المفروض أنه ملك فرنسا وقد وقف أربعين دقيقة يدلى بجواب بعد جواب عن المحصولات، والمحبات الأجنبية والحكومة، فى يسر دون أن يزعجه أنه ارتد ٢٥٠ سنة ، وكان يبدأ دائماً بقوله : « لقد عالجنا هذا الأمر على النحو الآتى . . . »

وقد تكشف جانب من أسلوب « تافى » السحرى فى هذه الفصول ، فإننا نحن الذين كان علينا أن نعلم التلاميذ ، أو الذين علموهم ، كنا نطلب مايكاد يدخل فى باب المستحيل ، وهو أن نكون نحن والتلاميذ شيئاً واحداً ، فنألف لغتهم وعالمهم ، ولكن دون أن نهبط إلى مستواهم من الفجاجة وعدم النضج ، وبذلك نتخلى عن اليد المرشدة التى توجه نشاطهم . وكل المعلمين الحاذقين يعالجون أن ينصبوا هذا الميزان ، و« تافى » هو الوحيد الذى رأيته يحافظ عليه دون فلتة أو زلة من أى نوع . وكان فى دروس التاريخ ، كأنه واحد منهم على نحو طبيعى لا تكلف فيه — متحمساً متحفزاً كأى تلميذ منهم . على أنه ما كان يحتاج إلا أن يقول : « هل أنت واثق من هذا يافلان؟ » ، ليسود الجمع صمت التفكير والالتفات .

وكانت « ألعاب » الجغرافية تزاول عادة عند الغداء ، وكانت تستغرق المتنافسين ، حتى أنهم كثيراً ما كانوا ينسون أن يطلبوا نصيباً ثانياً من الفاكهة . وفى أحد الأعوام نزل بعض صغار التلاميذ عن فترة اللعب بعد الظهر . بضعة شهور ، ليصنعوا خريطة بارزة من الإسمنت لأمريكا الشمالية فى فناء المدرسة . وما كان من الممكن أن يخرج تلميذ من دروس «تافى» فى الجغرافية بعد عام أوعامين بغيرعلم غزير بالحدود والموارد الطبيعية ووجوه الأرض ، إلا أن يكون قَدْماً غبياً .

وكنا إذا حاولنا أن نثنى على « تافى » وتدريسه ، يكتفى بأن يقول : « شكراً ، هل علمتم أن فلاناً يقوم بعمل عظيم فى تدريس العلوم العامة ؟ » أو يقول : « أليست فلانة موفقة غاية التوفيق فى حمل الأطفال على تزيين المكتبة بصور من الكتب التى يحبونها ؟ » ثم نعلم من فلان أو فلانة فيما بعد كيف نشأ «العمل العظيم» ، أو من أين جاءت الفكرة التى وُفِّق فى إخراجها — فى حديث مع « تافى » .

وكانت لحماسة « تافى » فى عمله عدواها ،

فنشت فى المدرسة ، وصرنا لانستقر إذا بعدنا عن المدرسة ، وشرعنا نعود إليها بعد العشاء للتدبير والبحث ، وكانت النتيجة أن صارت تعقد اجتماعات غير رسمية ليلة بعد ليلة تتداول فيها الآراء فى التلاميذ ، وفى الوسائل ، وفى المشروعات .

وقد تفرّق الآن الذين كانوا يعملون فى هذه المدرسة وتشتتوا ، ولكننا لم ننس « تافى » ، كما لم ينسه تلاميذه القدماء ، فقد نفعنا كما نفعهم . فإنه لما علمنا كيف نهتدى إلى خير ما فى التلاميذ ونبرزه ، علمنا فى الوقت نفسه كيف نعرف نفوسنا ونبرز خير مافيها .

وقد تلقى « تافى » عروضاً مغرية كثيرة بأن يتولى إدارة مدارس أخرى بمرتبات أكبر ، وقد سألته عن السبب فى رفض عرض من هذا القبيل ، فبدا عليه الارتباك .

وقال وهو أقرب مايكون إلى الغضب : « لا أستطيع أن أترك هذا المكان . إنه مكانى » .

وهذا ما كان . وقد كان يعنى أنه يشعر بأن عليه عهداً وثيقاً لعمله ، وستظل هذه المدرسة دون غيرها مدرسته دائماً . على أن ما قاله كان صحيحاً بمعنى أعم ، فإن كل إنسان يكون فى موضعه متى وجد أنه يستطيع فيه أن يستخدم مواهبه إلى أقصى مدى ، ومتى وسعه أن يجعل كل يوم مثيراً ومفيداً له ولمن يعملون معه .

وإذا كنت أكتب عنه كأن عمله قد انتهى ، فذلك لأن كل مايدور فى نفسى عنه مرتبط أوضح ارتباط بأيام المدرسة فى تلك الدار الصغيرة . على أن الواقع أن المدرسة اتسعت ، ولا تزال قائمة ، ومياانفك « تافى » ناظراً لفصولها الأولية ، وقد عُرضت عليه نظارة المدرسة كلها فأباها وقال : « إنى لا أحسن العمل إلا مع الأولاد الصغار » .

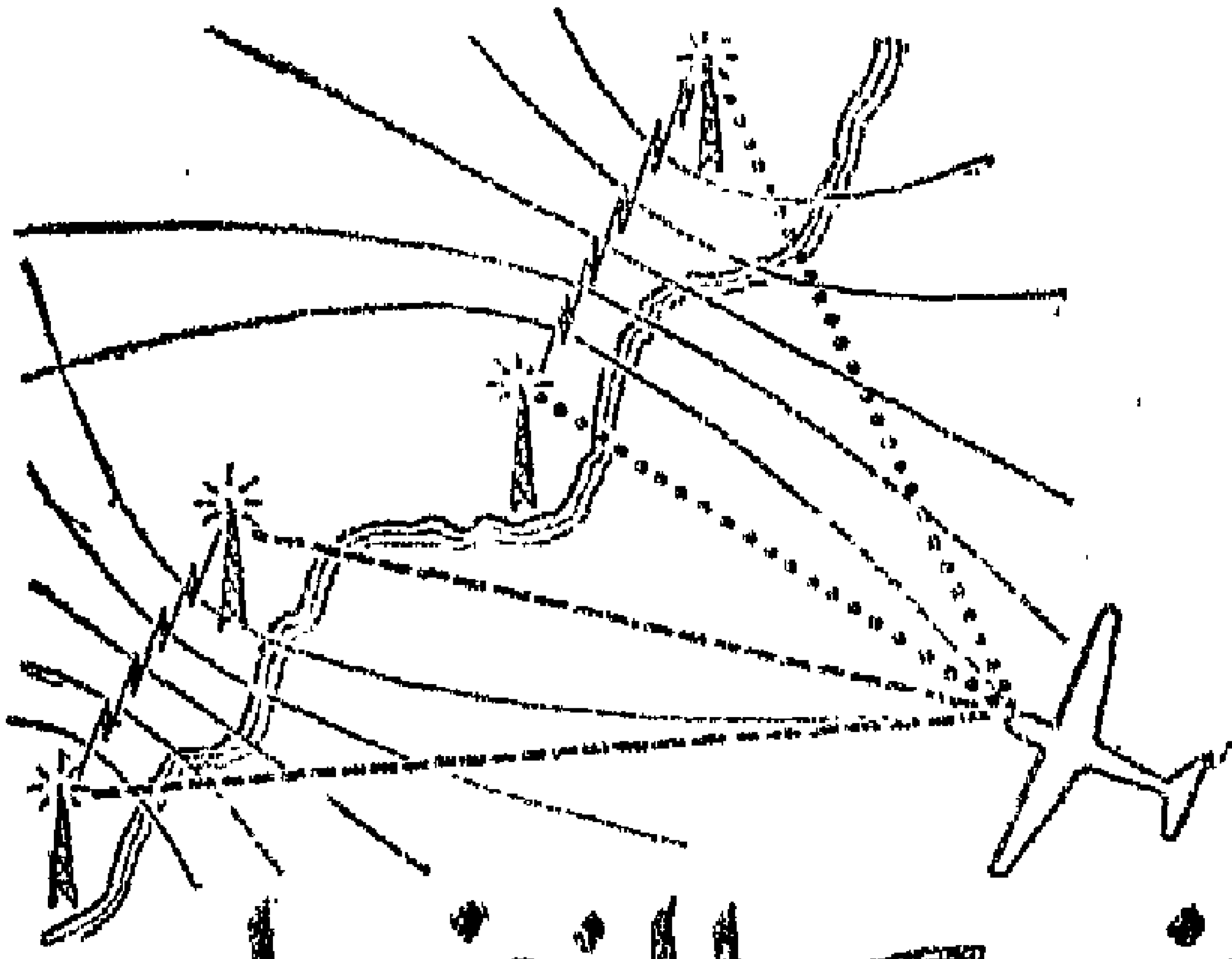
وقد ذهبت الدار الصغيرة ، وصار الصغار يسكنون فى بناء كبير من الآجر الأحمر مع الكبار ، وزاد عدد التلاميذ والمعلمين ، وتغير كل شيء — إلا « تافى » .

وقد حاولت فى آخر مرة رأيته فيها أن أحمله على الإفضاء برأيه فيما حدث من التغييرات فى المدرسة ، وهل لا يزال مغتبطاً بعمله فى البيئة الجديدة ؟ ولكنه لم يشأ أن يتحدث عن نفسه .

وقال وقد التمعت عينه بالنور القديم المعهود : « اسمع ! إنى أريد أن تقابل ديك برايس المدرس الجديد للأشغال اليدوية . لقد أغرى التلاميذ بمعالجة مشروع عظيم . وإن له لأفكاراً بديعة ! »



وجد رجال الملاحة في السفن والطرق طريقة جديدة ترشدهم إلى سواء السبيل .



# طرق ممهدة في عرض الفضاء

هارلند مانشستر ... مقتضبة من مجلة "سيونتفيك أمريكان"

أقلعت طائرتنا من مطار قريب من نيويورك ، ولم تكد حتى احتواها الضباب ، وتعذرت رؤية اليابسة . وكنا ميممين شطر مطار في الشمال يبعد أربعمئة ميل ، وليس بين أيدينا من مرشد سوى علامات خضر متراقصة على لوحة من زجاج في صندوق أسود صغير ، وقد أمر قائد الطائرة أن لا يلقى باله إلى شيء سوى هذا .

وعلى مائدة الملاح في جوف الطائرة ، أطلعني الكوماندر ريد على ضرب جديد من الخرائط تبين الطرق الممهدة في الفضاء . والخريطة تغطيها خطوط متقاطعة ، ولكل منها رقم يميزها . ولم تكن هذه الخطوط ما ألفنا أن نتصوره من خطوط الطول والعرض ، بل كان خطوطاً حقيقية رسمتها في رحاب الهواء ذبذبات الراديو . ومن الصندوق الأسود الصغير ، كانت تمتد أصابع من الكهيربات المنطلقة في الفضاء تبحث عن هذه الخطوط ، وأما العلامات الخضر المتراقصة فكانت تبين الأرقام التي تميز هذه الخطوط وتكشفها للقائد .

وأخذ ريد قلمه وأدناه من الخريطة وقال : « نحن طائرون الآن على هذا الخط ، فإذا ما بلغنا هذا التقاطع انحرفنا يساراً ، وتابعنا هذا الخط إلى المطار » .

وكذلك مضينا في طيراننا فوق ذلك الخط ، كأنما نحن في سيارة تدرج على طريق فسيح ، وقد عقد سائقها نيته على أن ينحرف إلى طريق آخر حين يصل إلى نقطة معينة . ثم ما لبث ريد أن حرك بعض المفاتيح ، فظهر أمامه على اللوحة خطان دقيقان منحنيان من الضياء ، ثم جعل أحدهما يدنو من الآخر .

قال : « حين ينطبق أحدهما على الآخر

نكون قد بلغنا تقاطع الطريقين » .

ثم تطابقا ، فأمر ريد قائد الطائرة أن ينحرف . ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى هبطنا خلال الضباب الكثيف حتى صرنا على ٥٠٠ قدم فوق سطح الأرض ، وإذا المطار أمامنا ، فقد قطعنا مئة وخمسين ميلا فى طرق خفيّة فى ضباب كثيف ، فلم نخطىء مدرج الطائرات فى المطار بأكثر من مئة ذراع .

هذا هو « لوران »* اختراع من أعظم المخترعات التى تمت لعلماء الطبيعة فى أمريكا فى أثناء الحرب . فقبل أن يخترعوا « لوران » كان رجال الملاحة فى السفن والطائرات التى تعبر المحيط ، يعتمدون على رصد الشمس أو النجوم ، ثم يحسبون حساب موقعهم على الطريقة التى عهدت منذ قديم الزمان . وقد كان ذلك يستغرق زمناً طويلا لا يوافق ما تحتاج إليه الطائرات السريعة . فإذا أطبق الجو وحجبت نجوم السماء ، عجز الملاحون عن الاستعانة بها ، فيبذر الوقود تبذيراً ، وتتعرض الطائرات للخطر ، ويظل نطاق الطيران محدوداً . وقد انتفع الطيارون بأشعة الراديو ، وبرادار ، وبغيرهما من الأساليب التى تعينهم على تعيين مواقع طائراتهم ، ولكن ليس بينها جميعاً وسيلة كهربية اجتمع لها ما اجتمع لوسيلة « لوران » من بعد المدى ، والإحكام ، ودقة الاعتماد عليها ، فإن « لوران » ينبىء الملاح بموقعه تماماً فى ثلاث دقائق أو أقل ، وهو نافع فى كلّ ساعة من ساعات النهار والليل ، مهما تكن حالة الجو .

كان لوران منذ عشر سنوات أمراً مستحيلا من الناحية الفنية ، ولو تمّ منذ خمس سنوات لعدّ أمراً خارقاً . ومع ذلك فقد استعانت به قبل أن تضع الحرب أوزارها ثلاثة آلاف سفينة وثلاثون ألف طائرة ، فسارت على شبكة الطرق العظيمة التى خطتها أمواج الراديو فى الفضاء . أما اليوم فإن شبكة هذه الخطوط تشمل ما مساحته ٤٠ مليون ميل مربع فى فضاء المحيطين الهادىء والأطلسى . وقد أقبلت السفن التجارية وطائرات الركاب الضخمة ، على الانتفاع بلوران إقبالا حثيثاً . فالسفينتان الكبيرتان « كوين مارى » و « كوين إليزابث » تعتمدان عليه وتنتفعان به ، وكذلك طائرات الخطوط الجوية الأمريكية والهولندية وغيرها .

ومبدأ لوران يمكن بسطه على أيسر وجه ، فهو يختلف عن رادار فى أنه يعتمد على

(*) Loran مركبة من الحروف الأولى من عبارة Long Range Navigation أى الملاحة البعيدة المدى .

أشعة لاسلكية طويلة الأمواج ، تلازم فى سيرها سطح الأرض ، بدلا من أن تنطلق فى الفضاء حين تبلغ الأفق ، كما تفعل الأشعة القصيرة الأمواج . ومدى الانتفاع برادار لا يزيد على ٣٥٠ ميلا ، وأما مدى الانتفاع بلوران فيبلغ ٨٠٠ ميل فى النهار و ١٦٠٠ ميل فى الليل . والمحطات المرسلة تعمل أزواجاً لا فرادى . غطّس سبابتيك فى الماء واجعل بينهما بضع بوصات ، فتحدث كلٌّ من السبابتين أمواجاً تأخذ فى الاتساع ، ثم تلتقى الجماعتان من الأمواج ، فالنقط التى تتقاطع فيها الأمواج تبقى مستقرة حيث هى . والأمواج التى ترسلها محطات لوران ، تفعل كما تفعل أمواج الماء ، والطرق الممهدة فى الجو للطائرات ، هى خطوط تصل بين النقط المستقرة التى تتقاطع فيها الأمواج .

وكل زوج من محطات لوران ، مؤلف من « سيّد » و « مَسُود » ، بينهما ٣٠٠ ميل أو ٤٠٠ ميل . فالمحطة « السيّد » تطلق نبضات من طاقة الراديو ، لا يزيد طولها على ٤٠ جزءاً من مليون جزء من الثانية ، وأما المحطة « المسود » فتتأثر بالطاقة المنطلقة من الأولى ، فتطلق هى أمواجها بعد جزء معلوم من الثانية . والنبضات المنطلقة تسجّل علامات خضراً متراقصة على اللوحة ، وكلٌّ منها يدلُّ على محطة غير المحطة الأخرى .

لم نكد نستوى فى الجوّ بعد قيامنا من المطار حتى تخيَّر الكوماندر ريد زوجاً من محطات لوران بينهما مسافة بعيدة . واستعان بجهاز أمامه فقدر الفرق بين الإشارتين الصادرتين منهما — فإذا هو ٣٨٧٨ جزءاً من مليون جزء من الثانية . وكان أقرب الطرق الممهدة فى الجو على خريطة لوران ، إلى تقاطع أمواج هاتين المحطتين ، هو الطريق المرقوم ٣٨٨٠ . وكانت طائرتنا قربه وإلى الشمال منه . ثم تخير ريد زوجاً آخر من المحطات ، يقطع خطها الطريق ٣٨٨٠ ، فصار فى وسعه أن يحدد موقعنا تحديداً دقيقاً . وقد استغرق كلٌّ ذلك أقل من دقيقة .

والذى يجعل الانتفاع « بلوران » أمراً مستطاعاً ، هو الدقة العجيبة فى جهاز التوقيت . فهو جهاز يقسم الثانية الواحدة مليون جزء ، ويتصل به جهاز آخر يحول هذه الأجزاء الدقيقة من الزمن رموزاً ترى بالعين ، ويستطيع كلٌّ من درّب عليها أن يفهم معناها . وقد بلغ من دقته أن الطيارين المتجهين إلى سان فرنسسكو فوق المحيط الهادىء ، كانوا يعلمون أنهم إذا ساروا على طريق لوران المرقوم ٢٠٥٥ فإنهم يمرون

فوق الطرف الشمالى لجسر الباب الذهبى الممدود فوق خليج سان فرنسسكو ، وإذا سلكوا الطريق المرقوم ٢٠٧٥ مرّوا فوق الجسر نفسه عند طرفه الجنوبى .

من طرق لوران طريق شاع استعماله فى الحرب ، كان ممتداً بين قاعدة الطائرات فى جزائر ماريانا وطوكيو ، والمسافة بينهما ١٤٠٠ ميل . وكانت القلاع الطائرة الضخمة تسلكه ذهاباً وإياباً فى الهجوم الجوى على العاصمة اليابانية . ولما صار لهذه القاذفات خط محدود تسير عليه ، صار فى وسعها أن تستغنى عن مقدار البنزين الذى تتخذه للطوارىء إن ضلت السبيل ، فتمكنت من أن تضيف بدلا منه ما زنته طن ونصف طن زيادة على ما تحمله من القنابل . وكانت حاملات الطائرات فى معركة أوكيناوى تعتمد على هذه العلامات الخضر المتراقصة ، فى توجيه المطاردات العائدة إليها ، فلا تضلُّ طريقها فى الجو المعتكر . وقد أنشئت طائفة من محطات لوران لكى ترشد الطائرات التى كانت تطير فوق جبال هملايا بين برما والصين .

وقد عرف « لوران » فى نوفمبر ١٩٤٠ يوم قررت اللجنة التى أنشئت للبحث العلمى فى شئون الدفاع ، أن تجرّب رأياً رآه الدكتور ألفريد لوميس . وأنشئت أربع محطات بين ولاية ديلاوار وجزيرة جرينلند فى خريف سنة ١٩٤٢ ، فأصابت فى الحال نجاحاً باهراً . ونظم الأسطول من فوره مناهج لتدريب رجاله على دقائق هذا الأسلوب . وكان ر . ج . ديبى فى إنجلترا قد شرع على حدة يبحث أسلوباً من هذا القبيل ، فانتفع العلماء الأمريكيون بتجربة الباحث الإنجليزى .

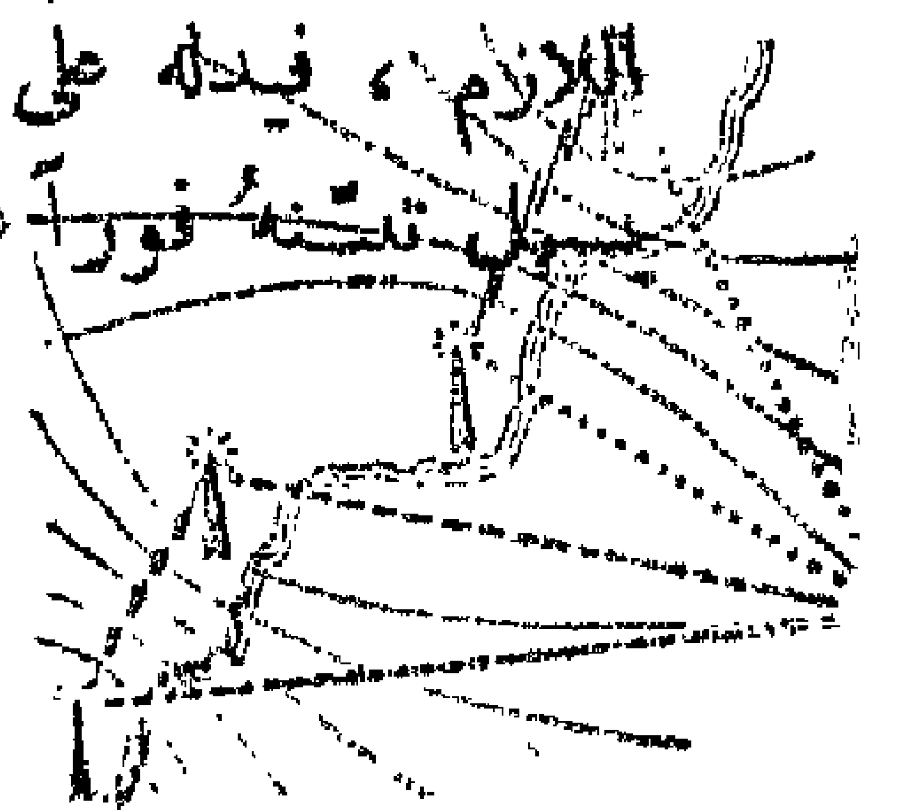
وأعظم منافع « لوران » هو إرشاد السفن والطائرات فوق رحاب المحيطات التى لم ترسم لها خرائط . ولم تكد تشرف الحرب على نهايتها حتى كان العلماء يجربون التجارب بأساليب جديدة قائمة على مبدأ لوران ، يسترشد بها فوق المحيطات والقارات على السواء . فأقيمت ثلاث محطات للتجارب تشمل الولايات المتحدة شرق نهر المسيسبى وشطراً عظيما من المحيط الأطلسى . وامتحنت وسائل الملاحة التى تعتمد على هذه المحطات ، فنجحت .

وقد ذهبتُ إلى ج . أ . بيرس ، الذى كان رئيس جماعة العلماء التى صنعت « لوران » ، فرأيت فى مكتبه بجامعة هارفرد ، خريطة عالمية شاملة ، وعليها سبعون دبوساً أحمر ، يمثل كلٌّ منها محطة من محطات لوران ، ومنها تنطلق خطوط متقاطعة من الأمواج ، فإذا شبّكتها تغطى

سطح الكرة كله . وقد فُكّك بعض هذه المحطات فى أثناء التحوّل من الحرب إلى السلم ، وأقيم غيرها فى مواقع خليقة أن تجعلها أنفع لحركة السفن والطائرات فى أيام السلام .

ومن محاسن « لوران » أنهُ قليل النفقة بعض الشيء ، فقد قدّر العلماء أن مئة وخمسين محطة خليقة أن تكفى لجميع مناطق البحار واليابسة التى تسلكها السفن أو تعبر جوّها الطائرات . وكلُّ محطة يقتضى إنشاؤها مئة ألف ريال ، وقد تكلف صيانتها جميعاً عشرين مليون ريال فى السنة، ولا غنى فى إنشائها والانتفاع بها عن التعاون بين الأمم . وقد عقد مؤتمر فى دبلين عاصمة إرلندة فى شهر مارس الماضى ، بحث أعضاؤهُ ما ينبغى الأخذ بهِ من قواعد فى أرجاء العالم قاطبة .

وقد فرغ العلماء من صنع أجهزة لوران تفوق ما صنع منها فى الحرب دقةً ويسراً . وشرعت « شركة جيروسكوب سبرى » تسلم زبائنها أجهزة تتمُّ عملها كله إتماماً آليًّا ، فيزول احتمال خطأ الحاسب حين يجمع الأرقام . وليس على الملاح إلا أن يختار محطتين ، ثم ينجز له الجهاز الحساب اللازم ، فيدله على رقم الطريق ، وهذا سبيل تبيّنهُ فوراً على خريطة لوران .



نشبت حرب فى المستقبل كان لأجهزة « لوران » شأن فى جعلها أشدّ فتكا وتدميراً .

ومنذ عهد قريب ألقى الدكتور بيرس خطبة فى معهد مهندسى الراديو ، فدهش سامعوه حين رسم لهم صورة مخيفة لطائرة تطير بغير قائد ، وقنابل توجه إلى أهدافها على طرق « لوران » المحكمة التخطيط . وقد قال لهم إنهُ فى وسع المدرّبين أن يرسموا فى جوف الليل خطاً يمرُّ فوق هدف معين ، إذا كان الهدف لا يبعد أكثر من ١٦٠٠ ميل ، ثم يرسم خط ثان يقطع الأول فوق الهدف تماماً ، فتكون نقطة التقاطع هى الموقع الذى تلقى فيه القذائف . وقد تحمّل مئات من الطائرات بالقنابل ، وتضبط أجهزة لوران التى فيها ، وترسل من مئات القواعد متجهة إلى هذا الخط ، فإذا بلغتهُ غيرت اتجاهها وسلكته لا تنحرف عنه يمنة أو يسرة حتى تصير فوق الهدف .

بيد أن مهمة لوران الأولى فى المستقبل هى إرشاد السفن والطائرات فى أيام السلام . وليس ثمة ريب فى أن طرقه الخفية التى تحيط بالكرة الأرضية ، ستجعل الرحلة فى السنوات المقبلة أسرع طيراناً وأسلم عاقبة وأقلّ تكاليف .

جنـــدى محترف ، وقف حياته المديدة على أن يثبت تفوق العقـــل على العنف ، وضرب لذلك المثل بنفسه .

# فاتح براري البرازيل



رزموند هولدريج

مختصرة من مجلة « زن إن أمريكان »

في قلب حيّ الأعمال الشامخ الأبنية في ريوده جانيرو عاصمة البرازيل ، مكتب عاطلٌ من الزينـة يجلس وراء منضدة فيه رجل من أعجب رجال القارتين الأمريكيتين . وهو قصـير القامة عريض المنكبين معتدل القوام كالرمح ، يشعّ من عينيه الحديدتين ذكاء متوقد ، لايفوته شىء ولاينسى شيئاً . وترى يديه تتحركان حركات سريعة حاسمة ، وهو يلتزم أسلوباً لا يتغير من الـكياسة ورقة المجاملة ، سواء أكان يحادث وزيراً خطيراً أم يملى رسالة على كاتب . وواضح من ملامحه أن أصله من هنود أمريكا، ويبدو لك رجلا ممتلئاً عافية فى الستين من عمره ، بيد أنه فى الثمانين .

هذا هو الجنرال كانديدو ماريانو داسيلفا روندون ، الذى تدين له البرازيل بأرض مساحتها ربع مليون ميل مربع من مجاهل القفار ، فتحها بغير سـلاح . وقد خطّـط تخطيطاً دقيقـاً حدوداً تعدّ من أطول الحدود البرية فى العالم ، واضاف إلى الخريطة خمسة عشر نهراً ، ومدّ ألوف الأميال من خطوط التلغراف فى قفارالبرازيل ، ونشر ألوية السلام بين قبائل مستوحشة ظلّـت ثلاثة قرون لاتستقبل أهل الحضـارة إلا بالسهام الصافرة ، وملأ متحف ريوده جانيرو الأهلى بألوف من نماذج وأشياء كان العلماء يجهلون أمرها ، فـكرّمته كلّ جمعية جغرافية عظيمة فى أقطار الأرض أحسن التـكريم .

وقد استهلّ روندون حياته العجيبة فى أحوال هى أشدّ مايتصوّره المرء من هوان الشأن . ولد سـنة ١٨٦٥ على مقربة من كويابا العاصمة النائية لولاية ماتو جروسو المترامية فى أحضان القفار . وكانت أمّـه من قبيلة بورورو الهندية ، وكان أبوه ابن رائد من ولاية سان باولو وينتمى إلى قبيلة تيرينا الهندية . ومات عنه أبواه وهو فى الثانية .

وقد تلقى مبادىء القراءة والكتابة على جدته لأمه ، وكانت قد حصَّلت بعض المعارف من كتب أصابتها عند أسر المزارعين التى خدمتها . ثم عاونه أحد عمومته على الدراسة فى مدرسة ، وكان الغلام متوقد الذكاء ، متفوقا فى الرياضة والهندسة ، فتخرّج فى السادسة عشرة من عمره، وطمح ببصره إلى المدرسة الحربية فى ريوده جانيرو فتقدم لتأدية امتحانها ، وظل يعمل فى مقر قيادة الجيش فى كويبابا ، منتظراً يرجو ما تسفر عنه نتيجة الامتحان حتى يعيّن فى المدرسة الحربية .

لم يكن مطلب روندون أمراً هيناً ، فقد كان يتيما لايملك شروى نقير، وليس له أسرة تشدّ من أزره ، وهو يطمع فى دخول مدرسة حربية ممتازة ، منافساً فى دخولها مئات من الشبان الذين يفوقونه ثروة وجاهاً . بيد أن ضبّاط القيادة راعتهم كفاية روندون وصدق إخلاصه ، فأرسلوا إلى المدرسة رسائل توصية به ، فقبل .

وهناك أكب على خريطة البرازيل ، فلاحظ ما كتب عليها هنا وهنا : « قطر مجهول يقطنه الهنود المتوحشون » ، ورأى تخوماً لا آخر لها لم تحدّد على الخريطة ، وتحديدها مرهون بمراجعة معاهدات مبهمة مضى عليها مئات من السنين . ولو كشف الذهب فى إحدى هذه المقاطعات ، لنشب نزاع بين البرازيل وإحدى جاراتها ، ولاستطاعت كلتاهما أن تقيم الدليل من الوثائق القديمة ، على أن مناجم الذهب داخلة فى حيّز فى أرضها . فهذه التخوم التى لم تحدّد بعد ، هى منبت خصيب لعوامل النزاع والحروب فى أمريكا الجنوبية .

وكانت مشكلة الهنود الأمريكيين مستفحلة أيضاً ، فرواج المطّاط فى منطقة أمازوناس ، قد جعل مدينة مناووس أغنى مدينة فى العالم إذا قدّرت ثروة كل فرد من أهلها ، فشدّ إليها الرحال رجال دأبهم التهور والجشع ، لايحجمون عن شىء فى سبيل استغلال أدغالها . فكانوا يغيرون على القرى الهندية لاسترقاق أهلها، ويأخذون القادرين منهم ليسخروهم فى العمل المضنى الذى يتطلبه جمع المطاط ، ويسبُون الحسان من نسائها للمتعة فى منازلهم المنعزلة .

ففكر روندون فى هذه الأمور ، فاضطربت نفسه . ولم تسنح له الفرصة إلا فى سنة ١٨٩١ ، يوم أنشئت الولايات المتحدة البرازيلية ، إذ عزمت الحكومة الجديدة أن تمدّ خطوط التلغراف إلى أصقاع البرازيل النائية ، وعهدت إلى الصاغ جوميس كارنيرو بأن تمدّ خطاً طوله ٤٠٠ ميل بين كويبابا وأراجوايا ، فاختار مساعداً له شابا حديث

عهد بالتخرّج من المدرسة الحربيــة ، هو الملازم كانديدو ماريانو داسيلفا روندون .

وقد نشب النزاع مع هنود قبيلة بورورو يوم بدأ العمل تقريباً ، ولـكنهم ما لبثوا حتى أدركوا ، بعد معاملتهم بالأناة والحلم وموالاتهم بالهدايا ، أن هؤلاء الرجال فى ملابسهم العسكرية ، ليسوا من « أوباش » المتحضرين الذين نهبوا قراهم . فرفرف لواء السـلام على تلك المنطقة . وبعد ١٣ شهراً تم مدّ التلغراف ، فـكان أول خط فى ولاية ماتو جروســو التى تفوق مساحتها مساحة فلسطين خمسين ضعفـاً أو تزيد .

وقد أقام روندون فى السنين العشر التالية يمدّ خطوط التلغراف ، وينشر السلام فى بقاع مزّقها الخصام المرّ ثلاثة قرون . وقد مدّ نحو ألفى ميـل من الخطوط فى مناطق كان اقتحامها يعدّ أمراً مستحيلا . وقد التفّ حوله رجال من ذوى الإخلاص يعـاونونه ، وكانوا صِلاب الأعواد يستطيعون أن يصـبروا على حياة الأدغال شهراً بعد شهر . وقد ساروا على نهجه فى معالجة مشـكلة الهنود : لا تطلق النار أبداً مهما استفزّوك ، ولا تأخذ من قرية شيئـاً حتى ولا ورقة أو عوداً . وقد كان هذا فى رأى المحنكين من قدامى جوّابى الآجام سخفـاً مابعده من سخف ، ولـكن هذه الخطة آتت ثمرها فى قبيلة بعد قبيلة . ولعل خير مثل عليها مانالوه من مودّة قبيـلة مرهوبة الجانب ، هى قبيـلة نامبيكاراس الشرسة التى تسكن منطقة ريوجوروينا . وقد رآهم روندون أول مارآهم حين بغتوه وهجموا عليه . فقد أخطأه السهمان الأولان قيد شعرة ، وأصاب الثالث حزام بندقيته فوق موقع قلبه ، فترنح فى سرجه، ثم تماسك ومضى يحيّيهم بألفاظ السلام والصـداقة . فبهرهم مايرون ، فهذا رجل يتـدلى من صدره سهم غارز فيه ، ولـكنه يصرّ على أنه صديق لهم ، ففرّوا من وجهه ، فترك لهم على المـكان هدايا من الفؤوس والمدى والقماش ، ومضت قافلته فى طريقها .

وبعد سنوات لقيت جماعته رجال هذه القبيلة مرة أخرى . وقد دلّه طريق مطروق على أقرب قرية كبيرة من قراهم ، فأخذ روندون رجلين من رجاله ويمّم شطرها . وبغتة ألفوا أنفسهم حيال خمســة من المتوحشين الشداد ، وكانوا غير مسلحين ، فقادوهم إلى القرية حيث احتفوا بهم حفاوة عظيمة .

جاءوهم بالطعام : ذرة وفاكهة ولحم قرد مدخّن وجذوراً محمرة . وقدّم لهم شراب الأناناس البرى فى قرع كـبير ،

وسجاير سود ضخمة مخيفة المنظر. وعلى أن روندون لم يدخن قط، فقد قبل أن يدخن لأنه من الواضح أن الرفض يورث الريبة. وفي اليوم التـالي سار روندون في طليعة عصبة منهم إلى جماعته حيث تبادلوا الهدايا.

أما اليوم فترى في أرض هـذه القبيلة مدارس ومعابد وعيادات طبيـة. وهم يوقرون علم البرازيل الذي جاءهم به روندون رمزاً للسـلام والتراضي. وقد ضمنت لهم الحكومة أرضهم، وحقهم في الاحتفاظ بعقائد قبيلتهم ومنهجهم في الحياة، غير ان الأثر الجميـل الذي تركه روندون فيهم، قد أفضى إلى تبدّل حياتهم، والأخذ بحضارة البرازيل رويداً رويداً، فباتت اللغة البرتغالية — لغة أهل البرازيل — هي لغتهم الغالبة، وحلّت الزراعة وتربية الحيوان محلّ العداوة، وفتح الطريق بينهم وبين العـالم الحديث.

سمى الهنـود خط التلغراف «لسان ماريانو» *. ويسمع روندون ذلك فيقهقه ويقول: «كانوا يسرقون سلك التلغراف ويتخذونه لصـنع الحلى، ولـكنهم حين أدركوا أننا ننتفع به للتخاطب، تركوه وشأنه. وأنت ترى أنه لم يكن لنا بدّ من أن نقنعهم بتصوير الأمر تصويراً يتصل بشـخص يعرفونه، فسميناه لهم لسان ماريانو».

والأداة التي اعتمد عليها روندون في توثيق الصـلة بهذه القبائل، هي هيئة فذة أنشأها سنة ١٩١٠ وأطلق عليها «مصلحة حماية الهنود». وقد سُنّت قوانين تحمي سكان الغابات من اسـتغلالهم واغتصاب أرضهم، وأنشئت في جميـع هذه المناطق النائية مراكز لنشر السـلام، وما لبث الهنود حتى أقبلوا عليها رويداً رويداً.

وسار تصحيـح الخرائط جنباً إلى جنب مع هـذا الفتح الذي تمّ بلا سلاح. وقد تولت «لجنة روندون» كما كان الشعب يسميها، تعيين مجاري أنهار كانت مواقعها على الخريطة تنحرف مئة ميل عن مواقعها الصحيحة، وحدّدت مجاري أنهر أخرى كانت مجهولة. وأشهر هـذه الأنهار هو «نهر الشك» الذي رسم على الخريطة يوم ذهب تيودور روزفلت إلى البرازيل. وقد أراد روزفلت أن يرى النهر بعينيه، فصحبه روندون إليه، وقد قضـيا أربعة أشهر يستـكشفان مجرى هـذا النهر العظيم إلى حيث يصبّ في نهر معروف. وترى «نهر الشك» اليوم مرسوماً على الخرائط باسم «ريو روزفلت».

* الـكلمة الثانية في اسم روندون الـكامل



وقد مضى روندون يحض الحكومة على تحديد التخوم ، فأقنعت الدول المجاورة ، دولة بعد دولة ، بتعيين لجان تتولى هذا العمل مع لجنة روندون . وقد خرج مئات من الناس يرتادون الأدغال ويمسحونها ، حتى صار تخطيط أطول الحدود البرية فى العالم — إذا استثنينا حدود روسيا — كاملاً على الخريطة أو يكاد .

وفى سنة ١٩٣٢ كادت الحرب تنشب بين بيرو وكولومبيا من أجل مناوشات فى الآجام كان سببها خلافٌ على الحدود . وقد سوّيت المسألة بغير حرب على الأكثر ، بفضل هيبة الجنرال روندون وآرائه السديدة ، فقد كان هو رئيس اللجنة الدولية وممثل البرازيل فيها ، وكان يحق للطرفين المتنازعين أن يستأنفا قرارات اللجنة إلى عصبة الأمم ، ولكنهما لم يضطرا إلى ذلك على الإطلاق .

هذا الظفر الدبلوماسى الذى أحرزه روندون كلفه ثمناً غالياً ، فقد ذهب بصر إحدى عينيه وضعُف بصر الأخرى ، لأنه أصيب بالرمد الحبيبى فى سنوات أربع من الكدّ فى عمل اللجنة ، ولولا صلابة عوده النادرة لما نجا من عذاب أفظع . وقد قضى خمسين سنة فى القفار ، ولكنه لايزال يتمتع بعافية عجيبة وهو فى الثمانين ، وكان السفر معه يضنى الرجال الذين يصحبونه ، حتى الهنود منهم . وقد كان مرة فى طليعة كوكبة من الفرسان نال منها الجهد كل مَنال ، ولكنه حثّها على المضى حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً ، حين ترجّل عن جواده ناضر الوجه كالزهرة الغضة وقال : « نتعشى الآن ثم نتابع السُّرَى فى الساعة الواحدة صباحا » . فصاح رفاقه من فرط الألم : « وكيف نستطيع أن نواصل الرحلة بعد أن ننام ساعة واحدة ؟ » فحدّق فيهم روندون دهشة وعجباً وقال : « أأراكم لا تعرفون كيف تنامون وأنتم على متون مطاياكم » .

وكان من الناس مَن ينضمُّ إلى بعثاته وهم لايصدقون مايروى عن صبره وقوة جلده من روايات أشبه بالأساطير . وكان أحدهم رياضياً مدرّبا فى الثامنة والعشرين من عمره فجعل يتبجّح : « إن عمر الجنرال كضعف عمرى ، وسأماشيه حتى يلهث ويسقط لسانه من فمه » . وقد بلغ روندون خبر هذا الفتى ، فدعاه ليتفقد معه درباً لم يطرق إلا منذ عهد قريب ، وانطلقا يسيران سيراً حثيثاً ، وكان الشاب يكاتم ضحكه . ومضت ساعتان دون أن تتغير سرعة السير ، فكفّ الفتى عن الضحك ، وبعد ست ساعات جعل الشاب المترنح يغمغم ببضع كلمات

مؤداها أنه قد يحسن بهما أن يأكلا شيئاً . فقال روندون : «لا ! لا ! لم أتعوّد أن آكل وأنا أتفقد الدروب» .

فكان قوله ضِغْثاً على إبّالة . ولم تكد تمضى ساعة أخرى حتى كان الشاب المزهوّ قد ارتمى على الأرض غيرعابىء بالنمل وجعل يلهث : « لا أستطيع أن أسير خطوة أخرى يا سيدى » .

فرمى إليه روندون نظرة هادئة وقال : « أنا أعلم أنك لا تستطيع ، فهذه غابة وليست ساحة للرياضة . وينبغى أن تعرف بعض مايعرف عنها قبل أن تسرف فى وعود تتشدّق بها بين أصحابك » .

وهذا مثال آخر يدل على قدرته الخارقة على احتمال الشاق ، فقد كان من شأنه عقب انتهاء الرحلة إلى « نهر الشك » أن خرج فى رفقة — ومنهم روزفلت — إلى سفينة موفورة فيها أسباب الراحة ، وبدلاً من أن يعود إلى ريودهجانيرو بحراً ، انكفأ إلى الأدغال وعاد إلى العاصمة براً ، فقطع أكثر من ألفى ميل .

وقد ابتُلِى بمعظم أمراض المناطق الحارة ، فقد أصيب مراراً بالملاريا ، وكان كثير من نوباتها عنيفاً خليقاً أن يقضى على من كان دونه قوة واحتمالاً . وقد حدث مرة وهو يستكشف طريق خط تلغرافى ، أن نزلت به الحمى ، فأمره طبيب البعثة أن يعود إلى ريو ، فكان جواب روندون : « لك أن تعود يادكتور ، وأما أنا فباقٍ هنا حتى أحقق غرض البعثة » .

إن البلاد التى ارتادها روندون فيها قوى كامنة زاخرة تمهد لانتشار الزراعة وتربية الماشية واستخراج المعادن ، وفى أقاصيها الغربية بترول ، ومايستخرج منها من ماس وذهب يزداد ازدياداً مطرداً ، وفيها غابات واسعة تكثر فيها أشجار الخشب الصلب ، ولكنها لم تكد تمسّ ، وفيها أيضاً أشجار المطاط وأشجار البلاتا التى يستخدم صمغها فى عزل الأسلاك .

وتسمع فى البرازيل اليوم صيحة تدوّى : هيّا إلى الغرب ، وترى الطرق العظيمة تمتدّ مخترقة مناطق كانت برارى يوم بدأ روندون يفتحها ، والسكك الحديدية تمدّ خطوطها ، والمدن تقوم حسنة النظام فيما كان منذ عهد قريب قفراً يباباً وسيجد ملايين من الناس رزقاً ومأوى فى أرض وحشية قد روّضها الإنسان ، ومنهم جماعات كبيرة من منكوبى أوربة الذين يذكرهم روندون فيقول : «سنرحب بهم ونفتح لهم صدورنا . فليأتوا ، فإن فى أرضنا متسعاً لكل من يريد أن يعمل .

« وكلُّ من يعرفنا يعرف أننا قوم لانحب العنف ، وأنا جندي وقفت حياتي على شيء واحد ، هو أن أقيم الدليـل على تفوّق العقل على العنف . أما قتل الهنود فمن السهل أن نقتل الناس ، ولـكن ذلك لايحلُّ لك مشكلة ما . وتغليب العقل أشق وأحوج إلى الشجاعة ، وإن رجالي الذين قالوا : « نؤثر أن نموت على أن نقتـل أحداً » كانوا أسمى وأصدق شجاعة من طالب المطاط الجاهل الذي يطلق ناره على كلّ من يرى من أهل الأدغال .

« وقد سرنا هذه السيرة في علاقاتنا بسائر العالم . فمن هـذا الإيمان بالسلام نستمدّ قوة لن ينالها الداعون إلى العنف » .



## من أسكتلندة !

قال الطبيب لرجل أسكتلندي : إن زوجته تحتاج إلى جراحة استئصال اللوزتين ، وأن هـذه الجراحة كان ينبغي أن تتمّ حين كانت زوجته فتاة صغيرة . فأمر الأسكتلندي بإجراء الجراحة، وأرسل فاتورة الجراح إلى حميه .

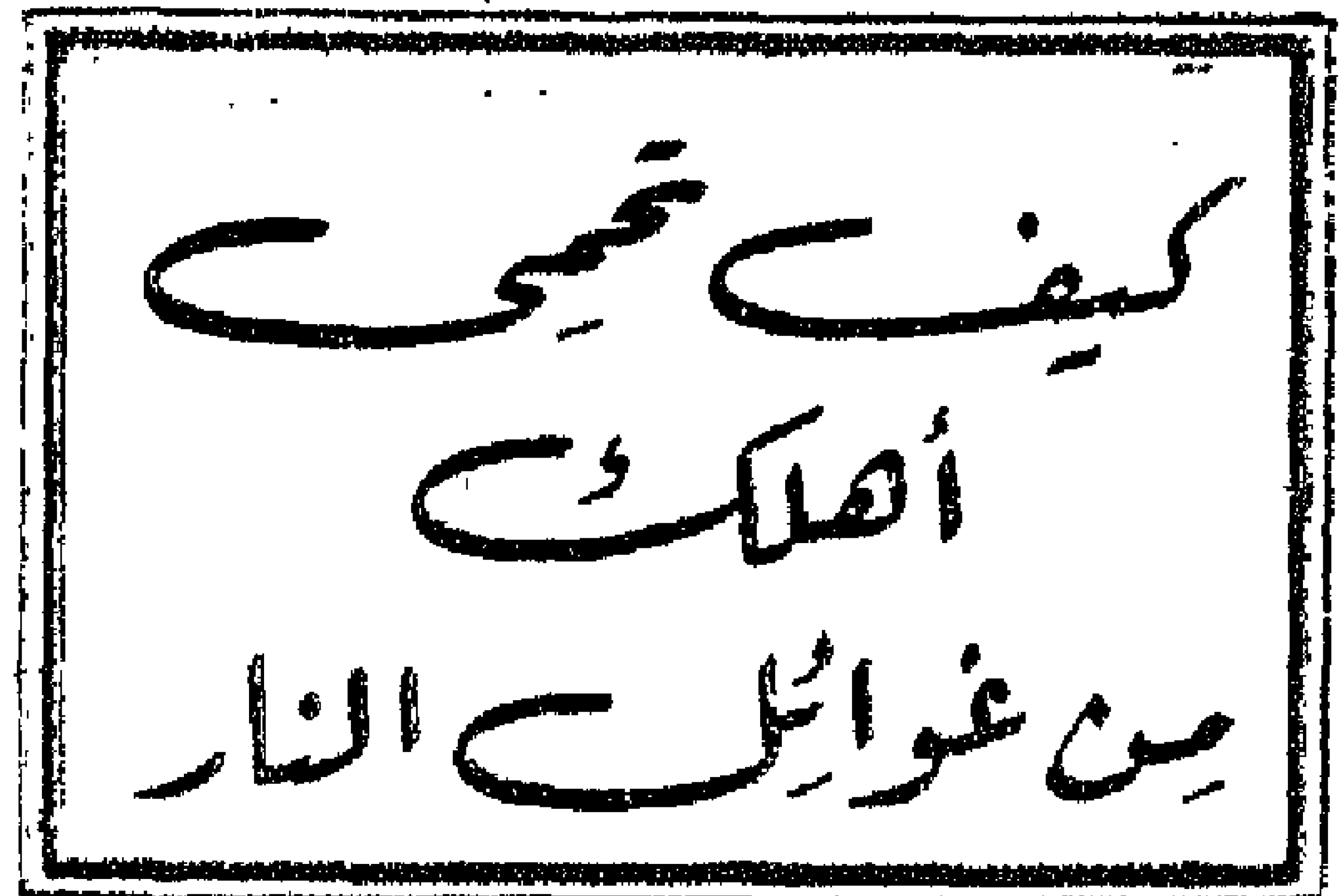
[ جريجوري هارتسويك ]

كان أحد سكان لندن ميمماً بالقطار شطر إدنبرة ، وكان معه في الحجرة شيخ أسكتلندي متجهم الوجه . فلما وقف القطار في المحطة الأولى بعد قيامه من لندن ، رأى الإنجليزي صاحبه الأسكتلندي يهرع من العربة ويعدو على الرصيف ثم يعود عدواً وهو يلهث تعباً . وقد حدث مثل ذلك في ثلاث محطات فتحير الإنجليزي وسأله عن السبب . فقال الأسكتلندي :

« هو هذا ، فقد ذهبت إلى لنـدن لأستشير خبيراً متخصصاً في أمراض القلب ، فقال إن حالة قلبي مفزعة ، وأنني إن لم أحرص على جميع أسباب الوقاية فقد أسقط ميتاً على حين فجأة . فلذلك تراني أشتري تذكرة القطار من محطة إلى محطة » .

[ لاي منشل هودجز ]

« ألوف من ضحايا الخطرين التوأمين — اللهب والدخان ، كان يمكن إنقاذهم لو كانوا عرفوا هذه الحقائق البسيطة »




# كيف تحمي أهلك من غوائل النار

پول كيرني
مختصرة من مجلة "ردبوك"

يقول رجال المطافىء دائماً : « إن خير البيوت بيت يسهل الخروج منه » . ويحسن أن يضاف إلى ذلك أن صاحب البيت الأريب هو من يعرف كيف يفرّ منه ساعة الخطر .

فإن ظننت هذا سخفاً ، فانظر إلى شابين لم يكادا يبرحان غرفة نومهما أثناء حريق شبّ فى البيت ، حتى ماتا على عتبة بابهما . كانت غرفتهما فى الطابق الثانى ، فكان أولى بهما أن يخرجا إلى الشرفة ، ثم يهبطا إلى الحديقة التى تحتها سالمين آمنين، بيد أن الذعر أطار لبهما ففعلا مايفعله كل إنسان فى مثل هذه الحال ، فيمّما شطر السلم — فهلكا ولمّا يبلغا ما أرادا .

وثلاثة أرباع من يموتون فى الطوابق العُليا من البيوت حين تشتعل النار فى الطابق الأسفل ، إنما كان سبب هلاكهم شىء واحد ، هو أن الحرارة تتصاعد إلى أعلى من الطابق الأسفل. فإذا ما شبت النار فى طابق سفلى ، فإن الهواء الشديد الحرارة والغازات الناشئة من الحريق ، تتراوح حرارتهما بين ٤٢٧ درجة و ٥٣٨ درجة بميزان سنتجراد ، وسرعان ما يغمران بهو الطابق الأعلى . فإذا هبّ السكان من نومهم مذعورين ، واندفعوا من غرف النوم إلى البهو ، فكثيراً ما يلاقون حتفهم قبل أن تصل إليهم النار بوقت طويل .

وقليل من بعد النظر والتدريب كفيل بأن ينقذ ألوفاً من الأنفس. فإذا استيقظت على رائحة دخان ، فلا تبادر إلى فتح باب غرفة النوم ، بل ضع راحة يدك على دفّة الباب ، فإذا ألفيت الخشب ساخناً فلا تفتحه ، فقد فات الأوان . إن سخونة الخشب، أو سخونة أكرة الباب، معناها أن البهو الذى خلفه تغمره حرارة قاتلة ، وربما استحال عليك أن تصل إلى السلم سالماً .

فدع هذا الباب مغلقاً ، وفرّ من النافذة إذا استطعت ، وإلا فاستغث ، فمادام بينك وبين النار باب مغلق فأكبر الظن أن سوف تبقى بخير حتى توافيك النجدة .

وإذا لم تجد الباب ساخناً فافتحه على حذر. قف خلفه ومِلْ عليه وادعمه بفخذك وقدمك ، فربما اضطررت إلى إغلاقه بعد

أن تفتحه . ثم ضع راحة يدك على مفرق الباب من فوق رأسك ، وافتحه على حذر ، فإذا أحسست بضغط عليه ، أو بلفح الهواء الحار على يدك ، فرُدَّ الباب بقوة ، وأسرع إلى الشباك .

ويأتى بعد تدبير فتح الأبواب فى البيوت التى شبت فيها النار ، ما ينبغى من التدبير فى إغلاق الأبواب . والمرء حين يفاجأ بحريق فى بيته يفرّ من غرفته مذعوراً ويترك بابها مفتوحاً على مِصْراعيه . ومن البديهى أن هذا يتيح للحرارة المتجمعة والأدخنة الصاعدة أن تستبيح المسكن دون عائق . ولو أغلق هذا الباب بعد فتحه توّاً لحبست النار وطلائعها من الحرارة والغازات بضع دقائق ، قد تكفى لإنقاذ البيت من غائلة الحريق .

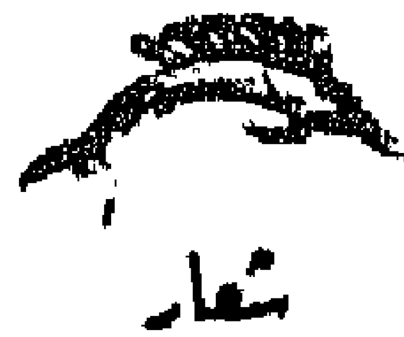
وخير مثل يضرب هو ما كان من ربة بيت شابة حاولت أن تؤرّث نار الفحم فى مطبخها ، فصبت عليها قليلا من الجاز ، فانفجرت الأبخرة ، واستطارت النار فى أرجاء المطبخ والتهمت كل شىء .

وعندما ثاب إليها الرشد كان المطبخ كله يتوهج لهيباً ، ففكرت أول ما فكرت فى إنقاذ طفلها الراقد فى الطابق الأعلى ، واندفعت من المطبخ إلى مرقد الطفل ، فاختطفته ، ثم اتجهت إلى السلم .

وكان الجيران قد طلبوا النجدة ، فأسرع رجال المطافىء إلى البيت من فورهم ، ولم يكن مكانهم يبعد عن البيت إلا أقل من ميل ، ولكنهم ما كادوا يصلون حتى ألفوا الأم وابنها صريعين فى البهو الأعلى .

فهذه الأم التى نجت من لفحة النار الأولى التى عصفت على وجهها ، قد قتلتها الغازات المميتة التى اندفعت إلى أعلى لم يعقها عائق ، وكل ذلك لأنها لم تغلق باب المطبخ حين فرّت .

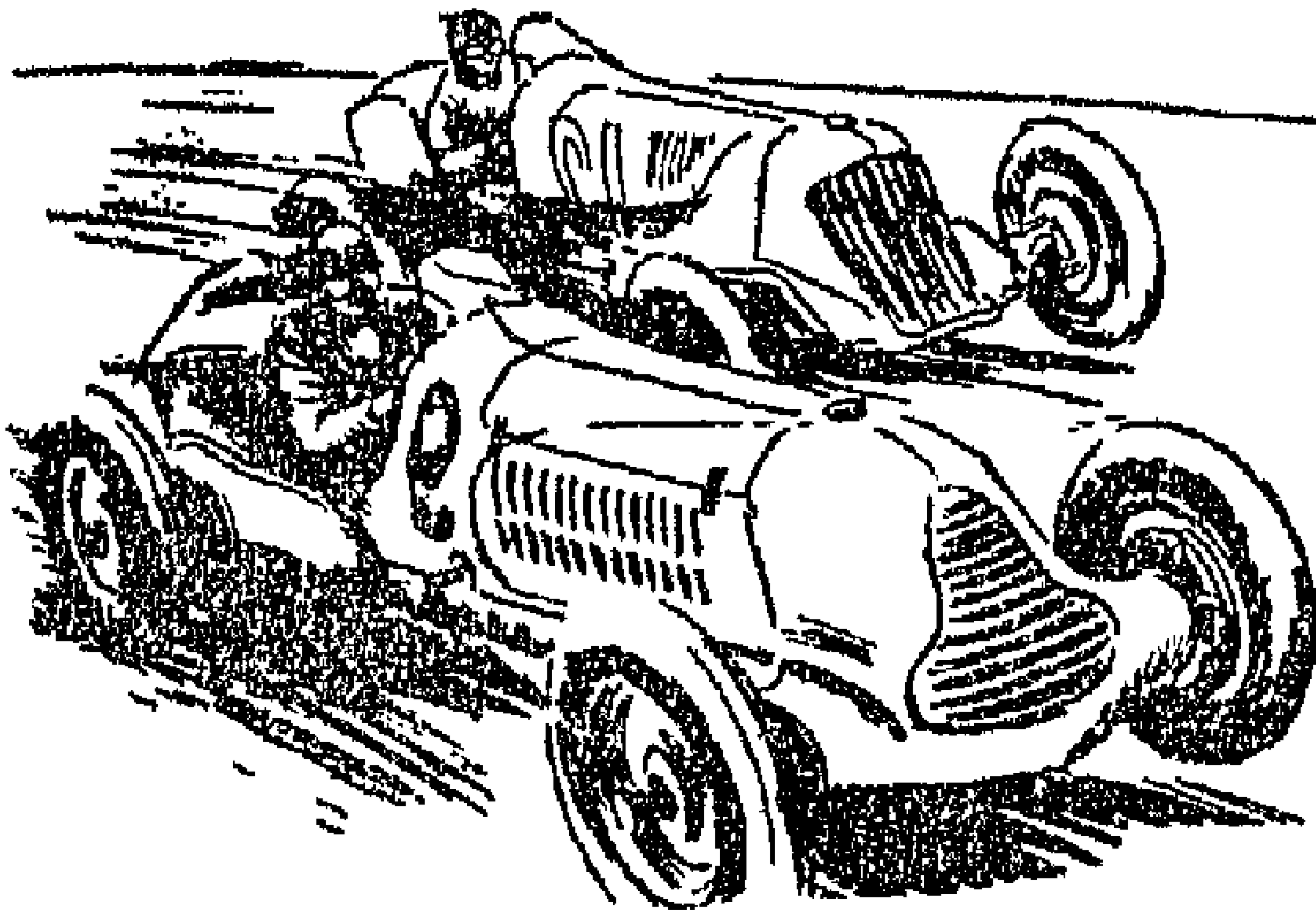
ورجال المطافىء يجمعون على أن آلافاً من سكان المنازل الذين ذهبوا طعاماً للنار ، كانوا أدنى إلى النجاة ، لو أنهم تعلموا تلك الطرق البسيطة فى فتح الأبواب وإغلاقها حين تشب النيران فى بيوتهم .



**شعار**

على جدار مبنى الأبحاث العلمية فى شركة جنرال موتورز علقت لوحة كتبت عليها هذه الكلمة : « هذه معضلة إذا حلَّت صارت يسيرة سهلة » .

كيف تكون المغامرة فى سباق السيارات ؟ ولم يحبها المتسابقون ؟



# أروع سباق

يول و. كيرف

مختصرة من مجلة "إسكواير"

فى يوم ٣٠ مايو الماضى استأنف الأمريكيون أروع مباريات السباق عندهم وأحبها إليهم : سباق السيارات على مسافة ٥٠٠ ميل فى حلبة سباق السرعة فى مدينة إنديانابوليس. وقد أنشئت هذه المباراة أولا سنة ١٩١١ ، ولم تزل تشتهر ويعظم الإقبال عليها ، حتى صار عدد المتفرجين الذين يشهدونها ١٥٠ ألفاً . ثم نزلت نازلة بِرل هاربر ، فانقطعت المباراة .

وهواة السباق يظلون ثلاثين يوماً قبل يومه يدفعون نصف ريال ليشاهدوا السواقين المتبارين وهم يجربون سياراتهم ويتدربون . وعدد هؤلاءِ المتفرجين يبلغ ١٠٠ ألف ، وتنضم إليهم جموع لا تحصى فى الأيام التى تباح فيها المشاهدة مجاناً . وقبل الموعد بأربع وعشرين ساعة، يبدأ المتفرجون يصطفون صفوفاً أمام المدخل ، فإذا ما فتح الباب فى الساعة السادسة صباحا ، رأيت سيارات القادمين تمتد أميالا فى كل جهة ، وهى تملأ عرض الطريق أربعاً أربعاً .

وروعة السباق هى المغنطيس الذى يجتذب الهواة المتحمسين. فهناك ترى آيات من الروعة أو الشجاعة المطبوعة ، تتوالى أمام عينيك فى حلبة السرعة التى يبلغ طولها ميلين ونصف ميل . وقد حدث مرة أن انقلبت سيارة « أيرا هول » كالدوامة وصدمت جدار الحلبة عند المنعطف الجنوبى، وعلى أنه أصيب بأذى بالغ ، فقد أدرك أن سيارته ستتدحرج على المدرج المائل ، فتسد الطريق على السيارات اللاحقة ، فتحدث حوادث مروّعة . فقفز من مقعده وعمد إلى سيارته التى تزن ١٨٠٠ رطل فأسند إليها ظهره الذى برّح به الألم ، وأمسكها حيث هى عند الحائط حتى مرقت السيارات المتسابقة تنهب الأرض نهباً .

وشبّت النار مرة فى سيارة « نورمن باتن » أمام موقف المتفرجين ، فخشى أن تتعرض حياة كثيرين منهم للخطر إن هو

قفز منها ، فمضى يسوقها غير عابىء . ولما اندلعت ألسنة النار الآكلة إلى مقعده وقف فى مكانه وساق سيارته بقدم واحدة مخترقا الحاجز إلى عربة المطافىء — فظلّ أسابيع طريح الفراش فى المستشفى. وفى سنة ١٩٣٧ ظفر «ويلبر شو» بقصب السبق، برغم الزيت الكاوى الذى ظلّ ينقذف على ساقيه من ثقب فى سيارته أثناء الأميال الخمسين الأخيرة من السباق .

ولكن لماذا يغامر المتبارون هذه المغامرات ؟ لأنهم قوم قُدَّت أعصابهم من صُلب، وقد ولدوا ظماء إلى الإقدام، جياعا إلى السرعة ، يحركهم شوق شديد إلى التنافس. وبعضهم يتخذ هذا السباق هواية ينعم بها ، وأما كثرتهم فتجده عملا رابحاً . وكذلك يمضون فيه سنة بعد سنة يأتون بالمعجزات .

فنى آخر سباق تمّ قبل برل هاربر ، انفتلت سيارة « إفريت سيلر » وانقلبت ثلاث مرات، ثم نزلت على سطح سيارتين من سيارات المتفرجين كانتا مرابطتين فى ساحة الحلبة ، فلم يصب أحد بأذى يذكر. واتفق مرة أخرى للسائق «شت ميلر» الذى صدع جمجمتهُ وذراعهُ وستة من عظامه فى سنة ١٩٢٨ ، أن وثبت سيارته فوق الجدار عند المنعطف الجنوبى، فخطّت سويّةً على عجلاتها، فمضى بها إلى حظيرة السيارات دون أن يضطر إلى تغيير سرعتها .

ولعلّ أعجب العجائب هو ما وقع لفتى يدعى « بيب ستاب » ، حين انفتلت السيارة التى أمامه، فصدمتها سيارته صدمة قوية فى وسطها، وجاءت السيارة اللاحقة فصدمتها جميعاً ، فقذفت سيارة بيب من جدار الحلبة الداخلى إلى الجدار الخارجى ، ثم ارتدّت كما ترتدّ الكرة التى تقذف قذفا شديداً عن الحائط ، فصدمت أربع سيارات أخرى. ومع ذلك لم يصب أحد بأذى. يقابل هذا أن سائقاً يدعى « بل كمنجز » لقى حتفه فى سنة ١٩٣٩ ، حين انحرف بسيارته العادية على طريق يغطيه الجمد ليتفادى أحد المشاة .

ويقول هؤلاء الفتيان ، إنك إذا كنت خليقاً أن تلقى حتفك على الطريق كما لقيهُ كمنجز ، فلمَ لا تحاول أن تجنى من ركوب سيارتك ما فى السباق من روعة وتسلية . وبعض المال المخصص للجوائز وقدره ١٠٠ ألف ريال ؟ والجوائز تتفاوت من عشرين ألف ريال للمجلّى، إلى ١٤٠٠ ريال يأخذها الذى يجىء فى المرتبة العاشرة ، ثم توزّع جوائز أخرى كثيرة على سائر المتبارين وفقاً لعدد الدورات التى يتمونها فى السباق . ولا تقل جائزة ما عن ٥٠٠ ريال ، ويضاف إلى هذا أن رجال التجارة والإعلان والهواة

المتحمسين يمنحون جوائز شتى للرجل الذى يكون المجلّى فى دورة ما من دورات السباق. وكثيراً ما يصيب بعض المتسابقين الذين لا يمضون فى السباق إلى نهايته، مبلغ ٣٠٠٠ ريال إلى ٤٠٠٠ مما يظفرون به من هذه الطائفة من الجوائز وحسب.

ولكن الصعاب التى تحزن وتثبط الهمة كثيرة. تصوّر أنك قضيت ستة أشهر تعدّ سيارتك للسباق، ثم لا تكاد تبدؤه حتى تتكسر الذراع التى تغيّر السرعة، كما وقع لكمنجز مرة. أو تخيل ما يكون شعورك لو حدث لك ما حدث لويلبر شو سنة ١٩٤١، فقد كان متقدماً أميالا كثيرة على سائر المتسابقين، والغلبة تكاد تكون محققة، فيضيفها إلى المرات الثلاث السابقة، وإذا بعجلة تنكسر، فخرج من السباق ودخل مستشفى أقام فيه عدة أسابيع تحت العلاج.

وفى سنة ١٩١٢ ظل « رالف ده بلاما » سابقاً منافسيه ٤٩٥ ميلا، ولم يبق أمامه سوى خمسة أميال، فلما دخل الشوط الأخير خمدت أنفاس محركه، فعلم أن من العبث أن يحاول إصلاحه، فخرج من السيارة ودفعها بيديه دفعاً، وكان بينه وبين قصب السبق عشرون قدماً وحسب، حين مرق أحد منافسيه ونال الجائزة، ولكن تهليل المتفرجين لرالف كان أعظم من تهليلهم للفائز.

أما فى سنة ١٩٣٩ فقد توالت الكوارث جملة واحدة. فقد كان « لو مير » سابقاً ولم يبق أمامه سوى دورتين — أى خمسة أميال — فانحرفت سيارته واخترقت الحاجز وخسر السباق والجائزة. وفى الدورة التالية اصطدم الرجل الذى صار فى الطليعة بعد خروج لو مير بالرجل الذى يليه فتحطمت السيارتان، فصار شت ميلر الذى يليهما فى الطليعة والجائزة فى متناول يده، ولكنه حين مرق عند المنعطف لمح السيارتين المتحطمتين وأحد الرجلين ملقى على الطريق أمامه، وكان فى وسعه أن يتفادى الاصطدام بالسيارتين، ولكن ذلك يعرض السائق الذى أخذ يقف مترنحاً لخطر دوسه، فلم يتردد شت لحظة واحدة، فأدار عجلته إلى الحاجز وصدمه نابذاً جائزة قدرها عشرون ألف ريال.

ومن هم هؤلاء الرجال؟ هذا خياط، وهذا ثرىّ، وهذا سائق سيارة نقل، وهذا طبيب، ومنهم نفر غير قليل تجاوز الأربعين من العمر. ومشقة السباق عظيمة، فإذا أقدم عليه المعافى القوى من أوساط الرجال، خلعت ذراعاه بعد دورتين. ومعظم الذين يمضون فى السباق إلى غايته تتنفّط أيديهم وتتقرّح برغم بطانة الشاش الرقيق الذى يلفّ على عجلات القيادة.

أما طنين الآذان من أثر المحركات الهدّارة فلا يسكن إلا بعد ثلاثة أيام .

وسيارات السباق يبلى منها فى ٥٠٠ ميل مايعدل مايبلى من سيارات الناس فى ٥٠ ألف ميل . وعدد الذين يختارون للمباراة ثلاثة وثلاثون، أما الذين يعضون فيه إلى الغاية فقلما يزيدون على عشرة. ولكى يسمح لك بدخول المباراة ينبغى أن يبلغ معدل سرعتك ١١٠ أميال فى الساعة ، فى مسافة ٢٥ ميلا — أى ١٦٠ ميلا أو أكثر فى الأشواط المستقيمة. ومن كان حديث عهد بهذا السباق ينبغى له أن يمتحن بأن يسوق سيارته أمام جماعة من السواقين المحنكين ، وأن يسوقها خمسين دورة بسرعة تطرد زيادة كل عشر دورات، من ٨٠ ميلا فى الساعة إلى ٩٠ إلى ١٠٠ إلى ١٠٥ أميال إلى ١١٠ ، ونصفهم يجوز الامتحان. ولا يزال الرقم القياسى للسباق هو رقم «فلويد روبرتس» الذى سجله سنة ١٩٣٨ فكان معدله ١١٧,٢ الميل فى الساعة. وهذا يشمل وقوفه للتزوّد من البنزين، ولإصلاح مايلزم إصلاحه فى السيارة .

ومعظم السيارات يستعمل خليطاً من زيت الخروع للتزييت . وقد استعمل الكحول وقوداً بدلا من البنزين فى سيارتين فازتا فى سباقين. وليس للسيارات زوائد من مراوح لتبريد المحرك ، ولا عوارض تقى من الاصطدام، ولا بطاريات ولا أجهزة لقياس السرعة . والعجلتان الأماميتان أصغر من العجلتين الخلفيتين . فالمروحة لا حاجة إليها حين تبلغ السيارة هذه السرعة العظيمة ، والبطاريات والمولدات تزيد وزن السيارة وتقتضى استعمال أسلاك — فيستعاض منها بماجنيتو لتوليد الشرارة يظل على الأرض ويُعدُّ منه سلك للانتفاع به فى قيامها، فيخفف كلُّ ذلك من وزن السيارة ١٥ رطلا أو نحو ذلك .

وتتفاوت نفقات السيارات ، فقد عنيت إحدى شركات الزيت بتجربة آراء جديدة فى سيارة جديدة، فأنفقت ٣٠ ألف ريال على أربع سيارات دخل اثنتان منها حلبة السباق، وأنفق أحد أبناء الأغنياء ٢٠٠ ألف ريال فى صنع سيارة واحدة ، ثم وجدها لا يرجى منها نفع فنبذها. ومن سخرية الدهر أن سواقاً قديماً ابتاعها بمبلغ ١٥٠٠ ريال، وأنفق ألفاً أخرى على تحسينها — وفاز بها فى السباق التالى.

وعجلات سيارات السباق ملساء من الخارج، وأنابيبها تملأ بالإيدروجين لا بالهواء ،لأن الإيدروجين لا يتسرب من الأنبوب الذى فى باطنها ، ولا يزداد ضغطه ازدياداً كثيراً حين ترتفع حرارة العجلة. وتكاد جميع السيارات الآن تكمل السباق دون أن تحتاج إلى تغيير عجلاتها ، وإنما تغير العجلات فى أثناء السباق

احتياطاً وتوقّياً . ولم تحدث حادثة ما فى السنوات العشر الأخيرة مرجعها إلى فساد مطاط العجلات .

أما حجم المحركات فى سيارات السباق فنصف حجمها فى السيارات المألوفة وأكثرها له أربع أسطوانات . وحلبة السباق أعظم مكان لامتحان السيارات فى العالم . وماتعلّمه المتبارون بالتجربة أسفر عن تحسين لاتقدر قيمته فى ضروب الوقود ، ومواد التزييت ، وإعداد المحركات للطـــائرات والدبابات وزوارق الطربيد .

ومن الأمور الشائعة أن الحكومة الألمانية كانت تبذل العون لصناع محركات سيارات السباق ، فإذا المحركات التى صنعوها قد استعملت فى مطاردات مسرشمت . وكذلك محرك رولز رويس مرلين ، الذى كفل الغلبة للطاردة البريطانية سبتفاير على المطاردة مسرشمت . وماتمّ فى ألمانيا وبريطانيا تمّ فى أمريكا ، فقد تفوّق قسم أليسون فى شركة جنرال موتورز ، فى صنع المطاردات السريعة ، وما كان عمله سوى نتيجة لتجربة أحد مؤسسيه منذ ٣٥ سنة فى حلبات السباق . وحين أراد سلاح الطيران الأمريكى أجود مطاط يصلح لعجلات الطائرات السريعة ، اختار مطاطاً صنعه فايرستون خاصة ليحتمل الجهد المضنى الذى يبليه فى السباق .

فصاحب السيارة من أوساط الناس قد جنى ربحاً عظيما من هـذا السباق ، من المرآة التى تبين له السيارة التى وراءه ، إلى العجلات المنتفخة ، إلى الفرامل التى تشد العجلات الأربع . ولنا اليوم أن نتطلع إلى تحسين السيارات من وجوه عديدة كانت موضع بحث وتجربة قبل الحرب ، بفضل امتحانها فى مثل هذا السباق .

وقد تمكن رجل بارع من رجال السباق أن ينتفع بتجاربه ، فصنع جهازاً ينذر صاحب السيارة فى مثل لمح البصر بانفجار يوشك أن يقع فى عجلته . وكان آخر يخشى ماتحدثه دورة السيارة دورة سريعة من تآكل فى عجلاتها ، فرأى أن يزاد عرض العجلة . ويلوح أن هذا الرأى سيحل مشكلة العجلات ، ويمهد لصنع عجلات تنتفع بها سيارات النـاس مسافة خمسين ألف ميل .

والواقع أن هـذا السباق العظيم ليس منافسة رائعة من أجل الشهرة والجوائز وحسب ، بل هو أيضاً تجربة لمهندس السيارات يمتحن فيها آخر مستحدثاته ، فيعرّضها فى مسافة ٥٠٠ ميل لكل ماتتعرض له فى خمسين ألف ميل لو كانت مركبة فى سيارة عادية . وفى هذا نفع نجنى ثمره أنا وانت فى آخر الأمر .



عالم مشهور يهيب بالأمهات أن يؤدّين ما خلقن له .

# لبن الأم حقّ طبيعيّ للطفل

الدكتور ألكسيس كاريل
الدكتور في الطب وحائز جائزة نوبل الطبية
ومؤلف كتاب « الإنسان ذلك المجهول »

— ١ —

أيهما خير : أن نرضع الطفل من ثدي أمه أم من لبن الزجاجة ؟ سؤال يتردد في الألوف المؤلفة من البيوت ، وعلى جواب هذا السؤال يتوقف تحديد نوع العناية التي يحظى بها الرضيع. وعلى أن الرضاعة موضوع يهم الأمهات والأطباء خاصة ، إلا أنه يهمنا جميعاً من حيث إننا بشر . فالرعاية التي يلقاها الطفل لها أكبر الأثر فيما تكون عليه صحة البالغ وخلقه . وربما كان لرضاعة الطفل من ثدي أمه أو من الزجاجة ، شأن في أن يصير بعد زمن إنساناً رضيّ النفس نافعاً في قومه .

نعم إن تغذية الرضيع أيسر على الأم من إرضاعه وأجدى على الطبيب . وقد تحسنت أساليبها إلى حد كبير ، وأصبحت عواقبها طيبة في أغلب الأحوال ، وهي خليقة أن تنفع إذا كانت الأم ذكية ، أو إذا أمكن استخدام ممرضة مدربة ، ولذلك ترى بعض أطباء الأطفال والمولدين ، في المستشفيات المعدة للولادة التي يدخلها الموسرات من النساء ، كثيراً ما يشيرون عليهن بتغذية الرضيع إعفاء لهن من الرضاعة ، وذلك لعلمهم أن ذلك هو أحب ما يبتغين .

ومع ذلك ترى الثقات في الصحة العامة ، وأكثر الأطباء المولدين وكبار الأطباء عامة وهم الذين يولدون أكثر الأطفال ، ينصحون بالرضاعة الطبيعية ، ويعدونها خير الوسائل لتغذية الطفل .

والكتب الحديثة في أمراض الأطفال تؤيد هذا الرأي ، ومراكز رعاية الطفل تزكي لبن الأم . وقد أصدر مكتب الأطفال في وزارة العمل بالولايات المتحدة بيانات نافعة لإرضاع الطفل من ثدي أمه . وأعلن مفتش صحة نيويورك في بيان أصدره في المدينة، أن لبن الأم هو حق طبيعي للطفل. ولقد يختلف ثقات الطب في كثير من الموضوعات الطبية الهامة ، ولكنهم يجمعون على تزكية الرضاعة الطبيعية ، ويؤمنون أن البديل الكامل عن لبن الأم لم يخلق قط ، وأن جميع الامهات على التقريب قادرات على إرضاع صغارهن .

ولكن من النساء من لا يؤمن بمزايا الرضاعة الطبيعية . ففى طبقة الأغنياء أسرة تحرم ٩٠ فى المئة من الأطفال أن يغتذوا بلبن أمهاتهم ، وعلى نقيض ذلك تجد عدد الذين يغتذون من غير الثدى بين أصحاب الدخل اليسير لا يزيد على عشرة فى المئة إلى أربعين. وكانت الأمهات تلقّن بناتهن ما ينبغى أن يعلمنه من شئون رعاية الطفل، فقلّ ذلك حتى كاد ينقرض فى جماعات كبيرة من الناس ، وأصبحت الأمهات فى هذا العصر تجهل وظائف الأعضاء وأساليب تغذية الرضيع ، فما أسرع ما يصغين إلى مايشير به الطبيب أو الزوج أو الصديقات بفطام الرضيع ، وكان أحرى بهن أن يتفكرن فيما للرضاعة الطبيعية من خطر الشأن .

— ٢ —

فالجنين فى الرحم بُضْعة من الأم ومن كيانها ، وهذه الصلة ينبغى أن تدوم عدة أشهر بعد الولادة ، وإن كانت يومئذ أضعف ، فكلاهما يظل فى حاجة إلى الآخر. فالجسدان وإن كانا قد انفصلا ، مرتبطان بعدة روابط كيمائية وفسيولوجية وعقلية . ومن الجلى أن هذه الروابط تضعف إذا استبدلت الزجاجة بثدى الأم .

إن الثدى يصنع اللبن ويوزعه توزيعاً لا يدخله الخطأ . فعلى رأس حلمته فتحات لخمس عشرة قناة ضيقة أو عشرين ، وهذه الأقنية تتسع تحت دائرة الحلمة السمراء فتصير مستودعات للبن، ثم تتغلغل فى الثدى حتى تنتهى إلى فجوات متسعة تبطنها خلايا كل عملها أن تصنع اللبن . وتحيط بهذه الفجوات شبكة واسعة من أوعية الدم الدقيقة يكثر فيها جريان الدم ، فصنع أوقية من اللبن يقتضى مرور ٣٠٠ أوقية إلى ٤٠٠ أوقية من الدم فى هذه الأوعية .

وليس الثدى عضواً مستقلا ، فإن نشاطه يعتمد على نشاط سائر الأعضاء ، والفجوات التى تصنع اللبن (غدد اللبن) تنمو فى زمن الحمل ، ويدفعها إلى هذا النمو موادّ يفرزها المبيضان ، وفى نهاية اشهر الحمل تتلقى هذه الفجوات من الغدة النخامية القائمة فى قاعدة الجمجمة أمراً بالبدء فى صنع اللبن . والثدى يؤثر تأثيراً بيناً فى الرحم والمبيضين، فإنّ مصّ الطفل للثدى يحدث انقباضات متوالية فى الرحم تساعده على البرء من آثار الوضع ، ويؤدى إرضاع الطفل إلى انقطاع الطمث . فالخلايا التى تصنع اللبن ، والحلمة، وأوعية الدم ، والأعصاب ، والمبايض ، والرحم والغدة النخامية وسواها من الغدد ، هى كلها أجزاء فى جهاز معقد ، تتعاون جميعاً على القيام بوظيفة معينة . فالثدى إذن ليس مجرد حلية يتحكم فى شكلها

وحجمها ذوق الخياط ، بل خلق الثدى أداة لنمو الطفل أفضل نمو ، ولصحة الأم أيضاً . ومَثَل المرأة التى تحول بينه وبين عمله ، كَمَثَل الصينيات يوم كن يعقن نمو أقدامهن ، أو لعلها أقلّ منهن ذكاء .

إن حلمة الثدى تلائم شفتى الرضيع ولسانه أتم الملاءمة . وأكثر الحلمات المصنوعة من المطاط ليست إلا صوراً مسيخة منها . والرضاعة تقتضى انقباضات متوالية فى عضلات وجه الرضيع ولسانه وعنقه ، وحركات متعاقبة فى فكه الأسفل وتنفساً من أنفه ، وفى نفس الوقت يضغط الرضيع ثدى أمه بيديه الغضنين ليزيد جريان اللبن . فالرضاعة عمل شاق وهى أول مجهود قدر على الكائن البشرى أن يبذله ، فيفضى إلى نمو الفكين والأنف والحنك نمواً كاملا ، ويزيد الوجه جمالا والصوت قوة .

أما رضاع الزجاجة فما أشبهه بمص سائل من أنبوب ، فالرضيع يمص اللبن منها مصاً سهلا سريعاً . ولما كانت حلمات المطاط طويلة فهى لا تلائم فمه ، ولو صنعت صنعاً أدق لكانت الرضاعة من الزجاجة أقرب إلى الطبيعة . هذا على أن الحاضنة المهملة والأم العجول ، كلتاهما تؤثر الحلمة المصنوعة ، طلباً للراحة ولأنها تقصر الوقت الذى ينفق فى الرضاعة .

— ٣ —

يفرز الثدى فى نهاية الحمل سائلا أصفر يسمى اللِّبَأ ، وهو يحتوى على مواد تقى الطفل من العدوى . وفى اليوم الثانى بعد ميلاده تبدأ الرضاعة التى تقتضى مص الثدى وتفريغه تفريغاً كاملا . ومن غرائب الحياة أن مقدار اللبن الذى يفرزه الثدى يزداد تبعاً لازدياد حاجة الطفل إلى اللبن ، ويتراوح بين بضع أوقيات فى الأيام الأولى ، وحوالى لترين أو لترين وربع بعد ثمانية أشهر .

وتركيب اللبن يجارى أيضاً حاجات أنسجة الطفل الآخذة فى النمو ، ويحتوى لبن الأم مواد زلالية تشبه فى تركيبها المواد الزلالية التى تكون جسم الطفل . وهذه المواد الزلالية فى اللبن لا تؤدى قط إلى حالات الاستهداف* التى ربما أحدثها لبن البقر ، لاختلاف تركيب مواده الزلالية عن تركيب المواد الزلالية فى جسم الطفل . ومقدار المواد الزلالية والفسفور والجير الموجود فى لبن الأم ، هو على التحقيق أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أى تلفيق صناعى ممكن . وكلما كبر الطفل قل معدل نموه ، فعندئذ يقل مقدار المواد الزلالية والأملاح فى لبن الأم . والثدى يوفق توفيقاً دقيقاً

* الاستهداف : حالة تجعل الجسم عرضة للتأثر بأشياء معينة ، فيصاب بحالات مرضية مختلفة .

بين خواص اللبن ومقداره ، وبين حاجات الرضيع الدائمة التغير . وهو كسائر الأعضاء الحية يؤدى عمله المعقد بإحكام عجيب .

ولا يوجد مثل هذا التوافق بين حاجات الرضيع الكيميائية وتركيب لبن البقر أو الماعز . فلبن البقر يحتوي مقداراً كبيراً جداً من المواد الزلالية والأملاح المعدنية ويعوزه الحديد ، وهو أعسر هضما من لبن الأم ، وفيه عدد جم من الميكروبات ، فلذلك ينبغى تعقيمه ، وهذا التعقيم يفقد اللبن بعض مزاياه . بل يقال إن لبن الأم إذا أفرغ من الثدى وأعطى للطفل فى زجاجة صار أقل فائدة منه إذا رضعه من الثدى رأساً . ومع ذلك فإن لبن البقر إذا خفف بالماء وزيد فيه سكر اللبن أصبح غذاء جيداً على ما فيه من عيوب ، إذ أن الجسم البشرى قد وهب قوة خارقة على أن يلبس لكل حالة لَبُوسها .

— ٤ —

وللرضاعة الطبيعية آثار شتى فى الأطفال.

الأول : أنها تقلل عدد من يموت منهم . وقد ثبت من فحص ٢٠٫٠٠٠ طفل فى شيكاغو أن عدد الوفيات بين الذين يغذون بغير الثدى عشرة أضعاف الوفيات بين الذين يرضعون من الثدى. وقد شُنّت فى إنجلترا حملة للحث على الرضاعة الطبيعية ، فأفضت إلى خفض معدل وفيات الأطفال فى السنوات الثلاثين الماضية بمقدار ٦٦ فى المئة عما كانت عليه . وإذا أنت أرضعت ابنك رضاعة طبيعية ، كان حظه من السلامة والنجاة من أخطار العام الأول ، وهو أخطر عام فى حياته ، ما بين ثلاثة أضعاف حظوظ الطفل الذى يتغذى بغير ثدى إلى عشرة أضعاف حظوظه .

الثانى : أن الرضاعة من الثدى تجعل الطفل أقل مرضاً ، والأطباء كلهم مجمعون على هذا . ويدل الإحصاء الدقيق على أن ٦٤ فى المئة من الأطفال الذين يغذون ولا يرضعون الثدى أصيبوا بعلل فى الرئتين والحلق والمعدة والأمعاء فى العام الأول من عمرهم ، على حين أن العلل لم تصب سوى ٣٧ فى المئة من الذين يرضعون الثدى .

الثالث : أن مص اللبن من حلمة المطاط الشائعة لا يضارع الرضاعة من الثدى ، وليس له ما لها من الأثر فى تكوين الوجه والحلق . فالرضاعة من الزجاجة هى بعض السبب فيما يصاب به أطفال كثيرون من بروز الفك الأعلى وانخساف الذقن وتشويه الأنف وسقوط سقف الحنك . وهذه الأضرار التى تصيب تركيب الطفل تدخل الفساد على نبات أسنانه ، وتمهد لالتهاب اللوزتين واللعوم والآذان وكهوف عظام

الجمجمة . وأغلب الرأى أن الرضاعة الطبيعية تقلل قدراً كبيراً مما ينفق على الطفل إذا كبر، من أجور أطباء الأسنان والمتخصصين فى الأنف والحنجرة .

الرابع : يعتقد كثير من الأطباء أن الرضاعة لا تمنح الأطفال الصحة وحسب ، بل تزيدهم أيضاً قدرة على الصبر وسكينة النفس . ومن المعروف أن ثمة أناساً لا يمسّهم المرض قط ، وهم أشد مقاومة للأمراض المعدية ، ولا عمل بينهم وبين الأطباء والجراحين والمستشفيات ، فأولئك بوجه عام رضعوا من أمهاتهم صغاراً . وليس مرجع هذا كله إلى الوراثة وحسب ، بل هى مناعة يكتسبها الطفل أيضاً فى أيام نشأته من طعامه ، ومن الرعاية التى يحاط بها .

— ٥ —

ما أثر الرضاعة فى الأم ؟ إن الإرضاع والرضاعة من الوظائف الطبيعية ، إذا هى أدّيت على الوجه الأكمل وجب أن تكون آثارها خيراً . ونحن نعلم الآن أن الرضاعة تساعد على نمو عقل المرأة وبدنها ، والثدى لا يصيبه ضرر من نشاطه فى الرضاعة . فإذا فطم الطفل أخذت غدة الثدى تضمر حتى تعود إلى شكلها السوىّ الأول. ولكن ينبغى أن ينال الثدى ما يجدر به من العناية قبل الرضاع وفى زمن الرضاع ، وبخاصة ما ينبغى من رفعه وشدّه حتى لا يسترخى ، فإن الذى يصيبه من التدلى ينشأ من قلة العناية وسوء الغذاء ، ولا علاقة له البتة بالرضاعة . ولو تعلمت المرأة من طبيب حكيم كيف تكون الرضاعة ، لصانت جمالها حتى وإن أرضعت عدداً عديداً من الأطفال. ومن اليسير توقى التهاب الحلمة وخراجات الثدى بالرعاية الطبية . ولم يقم دليل قط على أن الإرضاع يورث سرطان الثدى .

وإذا أصابت الأمهات ما ينبغى لهن من الطعام والراحة والرياضة كان لإرضاعهن أطفالهن أثر بيّن فى تحسن صحتهن . فبعد أن يولد الطفل تحدث رضاعته من ثدى أمه انقباضاً فى الرحم تمنع حدوث النزف، وتعين الرحم على أن يعود إلى طبيعته ، ومتى انقطع الطمث أتاحت حركة الثدى للمبايض فترة تنال فيها قسطها من الراحة . ومن أهم الأمور أن تنال الأم فى أثناء الرضاع طعاماً كافياً كاملا . وينبغى للأطباء أن يبذلوا من الجهد فى البحث عن غذاء كامل للمرضعات أكثر مما يبذلون لتلفيق شتى الوصفات لعمل اللبن الصناعى . وعلى الأم وهى ترضع ولدها أن تعرف ما وسعها كيف تدبر أمر معيشتها، وأن تعرف أضرار التدخين والخمر والقهوة التى تسرى فى الدم وينتقل أثرها إلى الرضيع ، وعليها أن تتجنب كثيراً من

العادات المستهجنة ، وأن تتحامى هياج الأعصاب وحدة الغضب . والأم العاقلة تستفيد لنفسها من الرضاعة ذخراً ينفع صحتها فى حاضر أيامها ومستقبلها .

والرضاعة الطبيعية ، كما نعرف ، مهمة شاقة رتيبة ، إذ تظل الأم بضعة أشهر أمَةً مطيعة لابنها الذى يجب أن يرضع كل ثلاث ساعات أو أربع ، ويكون عليها فى الوقت نفسه أن تقوم بعملها فى المنزل . فهى إذن فى حاجة إلى نظام دقيق تأخذ به نفسها ، فلا يتسع لها أن تنال نصيبها من المتع كالنزهة ومعاشرة الناس والرحلات والملاهى ، بيد أن العوض الذى تعتاضه غنيمة لا تقدر ، فهى تتعلم الإيثار والحب ، وهى تصيب قسطاً عظيما من الغبطة حين تفيض على رضيعها ما يزيده صحة وقوة وجمالا . وهذا الشعور هو قوام سعادة المرء فى الحياة ، فإن أكثر ما يجلب الحزن على الآباء هو ما يلحق ذُرّيتهم من آفات تصيب العقل أو البدن .

— ٦ —

ترى لِمَ كتب على كثير من الأطفال أن يرضعوا من زجاجة لا من ثدى ؟ يقال إن ٧٠ فى المئة من الأطفال فى أمريكا يولدون فى مستشفيات الولادة ، ويفطمون عن الثدى بعد أسبوعين ، فهل هذا ذنب الأطباء أم ذنب الأمهات ؟ إن الأطباء المولدين ينصحون بالرضاعة الطبيعية ، مدركين قيمتها فى نقاهة الوالدات ، غير أن أطباء الأطفال الذين تقع على كاهلهم تبعة العناية بالمثريات من الأمهات لا يولونها ما هى خليقة به من التقدير . والنساء أشد إيثاراً لإرضاع أولادهن من الزجاجة ، ولا سيما ذوات الثراء . فلأى سبب يكثر فطام الطفل عن ثدى أمه قبل الأوان ؟

يقول الدكتور هنرى ديتريش بعد أن فحص ٣٧٠ حالة فى حرمان الأطفال لبن الأم ، أن ثمة خمسين سبباً مختلفة تتخذ معاذير لهذا الحرمان : منها قلة اللبن ، أو عيب فيه ، أو عدم زيادة وزن الطفل عليه ، أو ضعف الأم ، أو تشقق الحلمة ، أو «واجبات الأم» فى المجتمع وهذه معاذير لا يؤخذ بها ، فإنّ ٩٠ فى المئة منهنّ قادرات على إرضاع أطفالهن . ولا يمنع الأم من إرضاع طفلها منعاً باتاً إلا الحمل والسل والسرطان ، وبعض أمراض أخرى .

إن الأسباب التى صرفت الأمهات عن الرضاعة الطبيعية ، هى أسباب فسيولوجية وخلقية معاً . فالأم فى هذا العصر ليس لها من تعليمها ولا عاداتها ما يهيئها للأمومة ومقتضياتها . فهى لا تتعلم قيمة الوظائف التى يؤديها الثدى ، والحبل متروك لها على الغارب فى اختيار ما يحلو لها من أسوأ

عادات الطعام ، فهى لا تأكل زمن الحمل والرضاع ما ينبغى لها من غذاء يدرّ اللبن ، ولا تعنى عناية علمية بثدييها وحلمتيهما اللتين يجب أن تدلكا أثناء الحمل دلكاً رفيقاً بشحم الحيوان بين الحين والحين ، وهن لا يدركن أن الرضاعة كالحمل وظيفة عضوية لا غنى عنهـا ، فما أسرع ما يستجبن إلى طبيب الأطفال فيصرفن أطفالهن عن الثدى إلى لبن الزجاجة .

ويرى كثير من الأمهـات أن عملهن ومستقبلهن وشهواتهن الاجتماعية أهم من رعاية أطفالهن ، ولا يدركن أن المرأة إنما خلقت للأمومة . وقد كتبت أم شابة منذ بضع سنين إلى «مجلة الآباء» تأسى لما تلقاه، لأن « الأطباء لا يقدرون فداحة ما تبذله الأم من وقتها وجهدها » فى إرضاع ولدها. والعجيب أن أحداً ما لم يأسَ قط على ما أنفق من وقت وجهـد فى خلق آية من روائع الفن أو العلم أو الهندسة ، فليس يجمل بأم أن تشكو مما تلاقى من صعاب ، فإن الطفل القوى السليم أروع عمل وأبدعه .

والأم فى العصر الحديث فريسة فى مخالب البيئـة الاقتصادية والبيئة العقلية ، فقـد ضرب المجتمع صفحاً عن قوانين علم الحياة ، وبخاصة قانون النسل . فالبنات قد حُرِمنَ من معرفة العمل الذى خلقن له وجهلن قدره فى حياة البشر ، بل صرن يتعلمن ما يتعلمه الصبيان ، وصرن بمنزلة الذكور، لهنّ مالهم فى الحياة ، وعليهن ما عليهم ، فصار على المرأة أن تعول نفسها كما يفعل الرجل . فكيف يتأتى لعاملة فى مصنع أو مكتب ، أو لمدرّسة أو محاميـة أو طبيبة أو تاجرة أو امرأة باحثـة عن ملاذّ الحياة ، أن ترضع طفلها ثلاثة أشهر أو أربعة هى الحـدّ الأدنى للرضاعة ؟

وفضلا عن ذلك فإن قواعد الصحة فى هذا العصر قد ألقت عبئاً ثقيلا على كواهل الأمهات ، إذ أصبحت تنشئة الطفل تنشئة كاملة تتطلب أدقّ العناية ، ولقد أصبحت حاجة العالم اليوم إلى شـباب قوى العقول والأبدان، أمسّ مما كانت فى أى عهد مضى فى تاريخ الحضارة .

ترى أيهما خير : أن يرضع الطفل من ثدى أمه أم من الزجاجة ؟ هذا سؤال يخفى وراء بساطته الخادعة حقيقة هائلة . والجواب متروك للأطباء والأمهات ، ولكل رجل وامرأة فى الأمة ، بل للجنس البشرى كله . إن الأم وهى ترضـع ولدها تؤدى واجبها الأسمى الذى تقتضيها إياه الجماعة ، ولـكن ينبغى للجماعة أن تمنحها من الثقافة وتهذيب الأخلاق والمعونة ، مدداً لا غنى لها عنـه فى أداء هذا الواجب النبيل المقدّس .

فتيان وفتيات فى مدرسة ريفية يحققون أحلامهم وأمانيهم .

# شباب مدرسة يمهدون الطريق

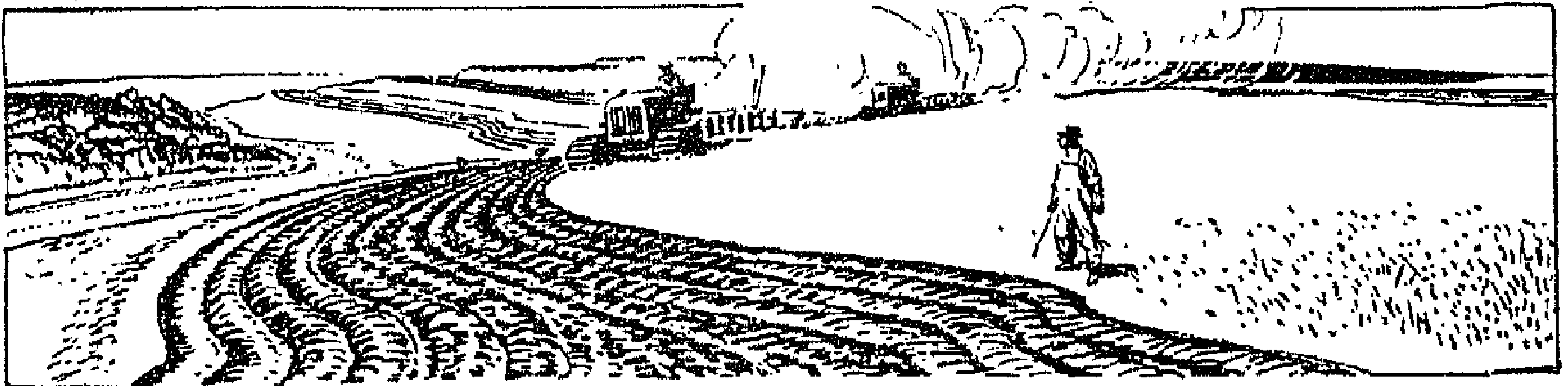
بليك كلارك

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

« يستطيع الأولاد والبنات أن يصنعوا المعجزات بأيديهم بغير معين، وقد يحتاجون أول الأمر إلى المعاونة فى تهيئة مشروعاتهم ، فإذا ما بدأو يعملون فخذ حذرك ، فلربما بذوك وغلبوك » .

هذا هو رأى جيمس كريتزبرج ناظر مدرسة هولتفيل الثانوية ، أوفر المدارس نشاطاً فى ألاباما بجنوب الولايات المتحدة . وتعج هذه المدرسة بأعمال يتولاها الطلبة أنفسهم تنفع زراع تلك الجهة : من ذبح مواشيهم إلى تصفيف شعور نسائهم . وقد نفث الطلبة بنين وبنات روحاً جديدة من الهمة والإقدام فى نفوس الأهلين بإدخالهم طرائق الزراعة الحديثة ، وإعادة طلاء المنازل ونقشها ، وتعويد أحسن العادات الصحية ، وتدبير أنواع من الرياضيات ، إلى غير ذلك. وهم فى الوقت نفسه يتدربون على حمل تبعات المواطن الصالح ، وكل ذلك لا يحول دون تبريزهم فى الدراسة .

كانت بلدة هولتفيل منذ ست سنين لا تزيد على مئة بيت منتشرة على طول الطريق، قلما يجد فيها الشباب الطموح ما يحفزه إلى العمل والإصلاح . وكانت منازلها المبنية من الخشب لم يمسسها طلاء ، وتأكل خشبها من طول تعرضه لاختلاف الجو، فاستحالت كالحة دكناً . وكانت أفنيتها تربة فى الصيف موحلة فى الشتاء . وكان الزراع لا يغلون من حقولهم التى عرتها عوامل الجو سوى قليل من القطن الذى أتلفته الدودة ، وبعض الدجاج الهزيل والمواشى العجاف . وكانت



نساؤهم تلقى أشد التعب من طهى الطعام على مواقد توقد بالخشب ، فتلفح حرارتها وجوههن . وكان عشاؤهم لا يعدو فى أغلب الأحيان ذلك العيش الجاف المصنوع من دشيشة الذرة واللحم المملح . ولم تكن البلاد المجاورة ، التى يأتى منها ثلثمئة طالب تحملهم السيارات كل صباح إلى مدرسة هولتفيل ، أحسن حالاً .

وفى صباح يوم من ربيع ١٩٣٨ ، دخل ستة من الطلبة على ناظر المدرسة ، وكان قوى الشكيمة حلو الحديث، ليبثوه شكواهم فقال له أحدهم : « أيكون مصيرنا بعد عشر سنين أن نصبح زراعاً فقراء ، تمضى الأعوام ولم ندخر من عملنا صفراء ولا بيضاء ؟ » وقالت فتاة : « أود أن يكون لى فى الحياة مجال غير جمع الخشب وحمل الماء من البئر » . وأرادوا أن يعرفو لماذا لا تكون بلدتهم خيراً مما هى عليه وأحدث .

وفهم كريتزبرج ما يرمون إليه ، فقد كان هو نفسه يعمل فى المزارع يوم كان صبياً . وتحاشى أن يلقى إليهم بأية نصيحة ، وكان فى ذلك حكيما بعيد النظر . فتحدث إليهم حديث المتحمس عما يمكن تحقيقه بسعة الحيلة والتفكير . وخرج الطلبة وقد آمنوا بأن فى أيديهم وحدهم أن يختاروا الوسائل التى تؤدى إلى تحسين حالهم ، ثم يعملون بعد ذلك بكل ما أوتوا من قوة على تحقيقها .

وأوحى كريتزبرج بعد أيام قلائل إلى ج . ر . فورمبى المتخصص فى الصناعات الزراعية بالمدرسة ، أن يبحث فى اجتماع عام للطلبة مسألة ما يضيع على زراع الجهة من لحم الماشية التى يذبحونها كل عام ، وهو يختلف بين ٢٥ فى المئة و ٥٠ فى المئة . وقال فورمبى إن المال يضيع سُدًى ، وإن الأهلين يحرمون أكل اللحوم الطازجة التى هى غذاء جوهرىّ فى الشتاء ، ثم أشار عرضاً إلى طريقة حديثة لحفظ اللحم ، وهى صناديق تبريد الأغذية وحفظها .

وبعد انتهاء الاجتماع بخمس دقائق ، ذهب جماعة من الطلبة إلى كريتزبرج وقالوا له : « ألا يمكن أن نذبح الماشية هنا ، ويكون عندنا فى المدرسة آلات للتبريد وصناديق لحفظ المأكولات ؟ »

فسألهم : «هل يعرف أحدكم كيف يذبح الماشية ؟ »

فأجابوا : « نحب أن نتعلم ، وسيعلمنا مستر فورمبى » .

فاعترض كريتزبرج بقوله : « إن ذلك يقتضى عملا كثيراً » .

فقالوا له : « إذا أنت جئتنا بالمال قمنا نحن بالعمل ! »

وكان هـذا هو ما يريد كريتزبرج أن يسمعه منهم، فطلب إلى بعض الزراع من طلاب القسم الليلى فى المدرسة أن يضمنوا المدرسة فى قرض تقترضه، فأخذ مبلغ ١٣٫٥٠٠ ريال من مكتب التسليف الزراعى الحكومى تدفع على خمس سنوات، بفائدة قدرها ثلاثة فى المئة. ولم يمض أسبوعان حتى بدأ الأولاد يحفرون أساس المذبح الجديد.

وجاء مهندس لتركيب آلة التبريد، وسرعان ما أخذ الطلبة الجزارون يتولون تمليح اللحم، وصنع السجق وإذابة الشحم وحفظه. وكان الطلبة يؤجرون صناديق التبريد للزراع، ودرجة حرارتها ٣١ تحت الصفر، حيث يخزنون فيها ما لديهم من لحم الماشية والدجاج والفواكه والخضر مقابل ريال واحد فى الشهر. فما وافت سنة ١٩٤٤ حتى سددوا القرض وبلغ دخلهم ٣٨٨٠ ريالا فى تلك السنة.

ولم ينس كريتزبرج فتيات مدرسته، فقد دعا مسز مارجريت هولت لتقص على الطالبات كيف رأت أن صناعة تعبئة المأكولات فى العلب، فى المدارس التى زارتها فى ولاية جورجيا، كانت ذات فائدة لأهل الريف. واختتمت كلامها بقولها: « إن إتقان تعبئة المأكولات يزيد دخل الأسر الزراعية ٣٠٠ ريال فى العام ».

ودخل على كريتزبرج مرة أخرى جماعة من البنات وذكرن له رغبتهن فى فى افتتاح مصنع لتعبئة المأكولات. واتفق كريتزبرج، بعد أن أخذ عليهن المواثيق بالجد فى العمل، على أن يقترض أدوات من مصنع معطل يقع على بعد ٦٠ ميلا من المدرسة.

ونشرت البنات رسالة فى تعبئة المأكولات وحثثن النساء على إرسال الخضر الغضة، وحرصن على أن لا تزيد المدة بين قطف الخضر وحفظها فى العلب على ساعتين. وكان الأجر الوحيد الذى يتقاضينه هو ثمن الصفائح وسبعة مليمات للتعبئة. وفى خلال سنة استطاعت المدرسة أن تملأ رفوف ١٣٥ بيتاً من بيوت الزراع بثمانية آلاف علبة من الذرة والبامية والطماطم والخوخ والبرقوق والكمثرى.

وفى اجتماع آخر بيّن المحاضر للطلبة أن الدجاج الهزيل لا ينتج سوى نصف مقدار البيض اللازم لتغذية أسرهم تغذية وافية. وسرعان ما عالج الطلبة هذه المسألة بأن أعدوا مصنعاً للتفريخ، واشتروا عدداً وفيراً من الدجاج الجيد، وباعوها للزراع بعد أن اتفقوا معهم على أن نشترى منهم مصنع

التفريخ فى المدرسة ، بيض هـذا الدجاج بسعر يزيد ٤ قروش على سعر السوق لكل ١٢ بيضة . وفى سنة ١٩٤٤ ، فرّخ الطلبة ٨٠٫٠٠٠ من الفراريج وباعوها، فجمعوا من ثمنها ٢٢٩٥ ريالا .

والآن وقد ضرب المثل، توالت المشروعات الجديدة سراعاً حتى لقد كان من العسير أن يجدوا عدداً كافياً من المتمرنين لكى يديرها . وكان الطلبة فى بعض الأحيان يقومون بأعمال من تلقاء أنفسهم ، فقد بنوا خزان ماء سعته ١٨٫٠٠٠ جالون ، وجلبوا إليه الماء من سبع عيون ، ثم مدوا الأنابيب إلى المدرسة . وساعدوا أصحاب المنازل فى تركيب المضخات ، فمهدوا لإنشاء نظام للمياه الجارية والحمامات الحديثة فى كثير من المنازل . وكذلك زوّد الكهربائيون من الطلبة كثيراً من المنازل وكنيسة البلد بالأسلاك الكهربائية ، وهيأوا لمسرح المدرسة ما يحتاج إليه من الأنوار . وقام طلبة السنة الثانية ممن أوتوا موهبة النقش بتزيين منازل البلدة، فطلوا الأثاث وأصلحوا المقاعد وتفننوا فى عمل أغطية السرر من أكياس الحبوب الفارغة .

وعمل المتخصصون فى الأغذية منهم على تكثير ألوان الطعام فى أسرهم ، وأبدلوا برغيف الذرة ، الذى كان يأكله الفلاح ، رغيف القمح الخالص . وفى السنة الماضية فازت الطالبة فرانسيز جيبون فى مسابقة شملت أسر الولاية بأجمعها لتحضير أنفع وجبات الطعام وأكثرها تغذية .

وحين شرع طلبة مدرسة هولتفيل الثانوية فى بث روح النهضة فى مقاطعتهم ، كانت حاجتها ماسة إلى الآلات الزراعية . وكانت الحكومة قد طلبت زيادة إنتاج زيت الفول السودانى ، بيد أنه لم يكن بينهم من يستطيع شراء آلة لجمع الفول السودانى ، ويبلغ ثمنها ٦٥٠ ريالا ، فاشترت المدرسة بما جنته من أرباح مصنع التفريخ آلة جمع الفول وأجرتها للزراع ، فلم يبق مزارع إلا زرع أربعة فدادين إلى عشرين فداناً من الفول السودانى ، وجنوا ربحاً قدره ٧٠ ريالا عن كل فدان .

واشترى الطلبة بما اكتسبوه من آلة جمع الفول آلات زراعية أخرى ، فأداروا آلة لقطع النبات ، تقطع فدان الشوفان مقابل ريالين، ومكبساً لكبس التبن وتهيئته فى بالات فى مقابل ٣ ريالات للطن . وباع كثير من الزارعين ما قيمته ٣٠٠ ريال من التبن بعد أن اختزنوا ما يكفيهم منه للشتاء .

وسرعان ما أخذ مزارعو هولتفيل فى حرث أرضهم بالمحاريث الآلية ، وضم

قمحهم بآلات الفم التى يديرها الطلبـة . ثم أخذوا يطحنون حبوبهم فى المطحن الذى يديره الطلبة .

وقد خطط طالبان ٥٠٠٠ فدان من الأرض بالمحاريث الآلية ووَقَوْها بذلك شر التعرية ، وساعدوا أهل المقاطعة على تخطيط عدة آلاف أخرى من الأفدنة . وفى هذه الأرض جذور ٦٥٫٠٠٠ شجرة وهبتها إحدى الشركات للمدرسة ، وقام الطـلاب على زراعتها بأنفسهم .

كانت هذه المقاطعة منـذ ست سنوات لا تنتج سوى محصـول واحد ، فأصبحت اليوم تزخر بالبساتين الغناء التى ينشرح الصدر لرؤيتها . ولما وثق طلبة الزراعة فى المدرسة بأن زراعة الخوخ أجـدى على الزارعين من زراعة القطن ، ساعدوا الفلاحين على زراعة ما يزيد على ٥٠٫٠٠٠ شجرة خوخ ، وتعهدها الطلبـة بالرش والتبخير وعالجوها بما يقيها شر الحشرات الثاقبة . وربح أحد المزارعين فى السنة الماضية ١٠٠٠ ريال من بيع الخوخ ، وربح آخر ٣٥٠٠ ريال من بستان مساحته ١١ فداناً .

ويخرج مصنع الخشب ومصنع الآلات بمدرسة هولتفيـل أسرّة من الخشب ، وعربات الأطفال المعدنية وأراجيحهم ، وأدوات الألعاب الرياضية، وأعمدة الأسوار.

ويصنع الطلبـة أيضاً آلات تسميد يمكن تحويلها إلى آلة سريعة لبذر الحبوب، بإدخال تغيير لا يستغرق عشر ثوان . ويشـترى الزراع الآلة من هذه الآلات بمائة ريال .

ويصنع الكيميائيون من الطلبة مطرّيات الوجه، ومسحوق تنظيف الأسنان، وغسول اليد، والصابون السائل، ويبيعونها. وتدير جماعة من البنات المهتمات بشئون التجميل ، دكاناً نظيفاً للتزيين كامل المعدات ، يختلف إليه نحو ٥٠ من النساء . وتدفع الطالبة ٤ قروش لغسل شعر الرأس ، ويدفع غير غير الطلبة ستة قروش . ويبلغ متوسط ما يغله الدكان فى الأسبوع ١٠ ريالات يشترون بها معدات جديدة . وقد صح عزم الجماعة على شراء آلة لتجعيد الشعر تتم بها معدات الدكان .

على أن الطلبـة الذكور الثمانية الذين أرادوا تعلم الحلاقة لم يصيبوا من النجاح ما أصابته جماعة الفتيات . فقد اشتروا كرسى حلاق وحوضاً من الصينى من دكان أغلق أبوابه فى بلدة مجاورة ، وشرعوا يقصون شعر تلاميذ المدرسة بأجر قـدره قرشان ونصف ، ولكنهم لم يتقدموا تقدماً مرضياً بدون مدرب متمرن . وأخيراً عمدوا إلى إقامة حفلات راقصة وإلى بيع الحلوى، فجمعوا

٦٥ ريالا بعثوا بها أبرعهم ليتدرب مدة ستة أسابيع فى إحدى مدارس الحلاقة والتزيين . وعاد الشاب، ولكن عرض عليه عمل أجدى فى محل آخر ، فلم يستطع أن يرفض، فسدد القرض الذى تعلم به. وكذلك أغلق دكان الحلاقة أبوابه .

ويشرف على مال منشآت المدرسة جماعة من الصيارفة الشبان ذوى الكفاية من فتيات وفتيان . درسوا التجارة فى نفس المدرسة ، فهم يمسكون دفاتر الحسابات ، ويقبلون الودائع والأمانات ، ويقرضون القروض ، ويحسبون الفوائد . ويبلغ متوسط معاملاتهم ٣٠٠ ريال فى اليوم .

ولقد أتاح طلبة المدرسة لأهالى البلدة المتشوقة إلى الرياضة ، أنواعاً كثيرة من الملاهى والرياضات ، فهم يعرضون كل ليلة سبت فلماً سينمائياً كاملا ، وأفلاماً قصيرة أخرى للأخبار يشهدها نحو ٢٠٠ شخص إلى ٥٠٠ شخص بقاعة المحاضرات العامة فى المدرسة. وأجر الدخول قرشان ونصف. وفى كل ليلة أربعاء يجتمع الزراع وزوجاتهم بفناء الألعاب بالمدرسة فيلعبون شتى الألعاب الرياضية. وتدير المدرسة أيضاً مكتبة لإعارة الكتب والمجلات والألعاب المنزلية كالنرد والشطرنج وغيرها .

وقد اضطرت المدرسة أن تزيد مبانيها حتى تتسع لكل أنواع النشاط المختلفة . فاشترت بمالها الأكواخ والحظائر المهجورة وحولتها إلى ٢٥ مبنى من الخشب منتشرة فى أرض المدرسة التى بلغت ٥٤ فداناً .

إن أنواع النشاط العديدة التى يقوم بها طلبة هذه المدرسة تحفزهم إلى الدراسة ولا تعوقهم . ولقد نقص عدد الذين يتركون المدرسة قبل التخرج من ٤٥ فى المئة إلى ٢٥ فى المئة. ودلت المقارنة بين خريجى مدارس ولاية ألاباما الثانوية الذين يدخلون الكليات، على أن طلبة مدرسة هولتفيل الثانوية من بنين وبنات ، كانوا هم الأوائل فى سنة من السنين ، وكانوا دائماً فى طليعة الناجحين . ولم يحدث أبداً أن رسب أحدهم فى مادة من مواد الدراسة .

وأنت تشهد اليوم فى هولتفيل روحاً جديدة ، فترى الزراع الآن يمرون على حقول الحنطة والشوفان والقطن وبساتين الخوخ وأفنية البيوت، وقد اكتظت بالمواشى السمينة الأصيلة والدجاج الجيد، وقد أخذهم الزهو والفرح . وتفخر الزوجات ببيوتهن النظيفة المطلية تحيط بها خضرة المروج . ولقد تحسنت صحة الناس حين صار طعامهم أجود مما كان وأكثر ألواناً. والأولاد والبنات جميعا يفخرون ببلدهم ويعتزون ، فهو بلد قد أصاب رخاء ونعمة صنعوها له بأيديهم .

رجل من ثقات المذهب الواقعي في السياسة ، يعرض رأيه في سياسة أمريكا الخارجية — ولاسيما سياستها حيال روسيا .

# السياسة العالمية الوحيدة التي تجدي

جوزيف پ . كنيدي
سفير الولايات المتحدة السابق في بريطانيا العظمى

مختصرة من مجلة "لايف"



السياسة العالمية كما أراها — مذهبان متباينان ، ولا بدّ للولايات المتحدة من أن تختار أحدهما . أما المذهب الأول فيقوم على أن السعي بثبات وبإصرار إلى إقامة النظم الديمقراطية الحرة في العالم ، سيؤدي إلى بلوغه مرتبة رفيعة من المدنية الراقية ، بحيث ينتهي نشوب الحرب ، أو الخوف من الحرب . والسلم ، في نظر هذا المذهب ، هو ثمرة التقدم .

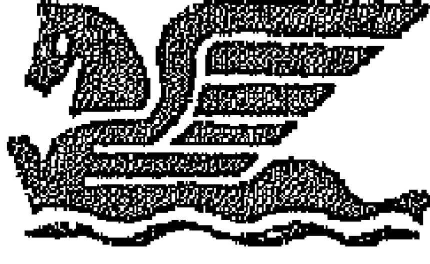
وهذا المذهب ، من جهة الرأي ، مذهب معقول ، لأنه سيفيد من جماع العوامل والنوازع التي تجاهد في سبيل إقامة عالم أفضل ، وسيجذب إليه أنصاراً تتقد قلوبهم بالحماسة والإخلاص والتفاؤل ، ولكني أعتقد أن هذا المذهب تشوبه ثلاثة عيوب جوهرية .

فالعيب الأول : هو أنه سيؤدي ، بطبيعته ، إلى توريط الولايات المتحدة في سياسة تحملها على الاهتمام بشئون غيرها في نطاق عالمي لم يسبق لها أن بلغته أو تدبرت عواقبه من قبل .

والعيب الثاني : مستفادٌ من التاريخ ، إذ كان يدلنا على أن الأمم التي بلغت شأواً بعيداً من التقدم ، هي في الغالب أمم خاضت غمار حروب كثيرة ، كاليونان ، وروما ، وإسبانيا ، وفرنسا ، وبريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة . وليس في التاريخ دلالة تدلّ على أن الدنيا خليقة أن تنعم بالسلم إذا ما بلغ العالم كله ، وآسية أيضاً ، مرتبة التقدم التي بلغتها فرنسا مثلاً .

والعيب الثالث : وهو أخطرها ، مردّه إلى أن الأمم المتأخرة لو تبدّل أمرها فأصبحت أمماً محاربة ، أو لو انقلبت دولة

هـذه قسيمـة يفصلها بائع الصحف
الذى باع هـذا العـدد من المختار



إلى بائع الصحف

هذه قسيمتك ، افصلها ، واجمع كل ما تستطيع جمعه من القسائم ، فإن قيمتها عظيمة وعلى كل منها رقم خاص بها . فقد تقع يدك على رقم أو أكثر من الأرقام الرابحة

كل شهر ١٢٥ جنيهاً
توزع فى
١٠٠ جائزة مالية

أ

نمرة ٥٣١٣٩

اترك بقية هذه القسيمة
للقارئ الذي يشتري هذه النسخة منك

سيتم سحب الأرقام الرابحة في دار المختار
في القـــاهرة

ففي كل شهر سوف يسحب ١٠٠ رقم يعطى
أصحابها من باعة الصحف جوائز مالية —
وسوف تنشر الأرقام الرابحــة في الصحف
المحلية في الأقطار العربية .

سوف توضع القسائم في أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر
من المختــــار

# المختار

**تقدم "المختار"** تهانئها إلى قرائها الكرام بشهر رمضان المبارك وتهدى إليهم هـذه الإمساكية مع تحياتها .

وهى تغتنم هذه الفرصة فتعلن لهم كيف يظفرون بغير مقابل ، بكتاب مجلد تجليـداً فاخراً يضم فى ٩٦ صفحة أجود المقالات التى نشرت فى المختار فى موضوع « فنّ الحياة » .

وقد طبعت هذه المجموعة المنتقاة لقراء مجلة المختار خاصةً ، احتفالا بانقضاء عامها الثالث منـذ ظهرت فى اللغة العربية .

وعنوان هـذا الكتاب : « هل أنت حىّ » .
ولن يُعرَض للبيع .

رمضان ١٣٦٥

# ١٣٦٥

| تواريخ | | | مواقيت الصوم والصلاة | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الأيام | رمضان ١٣٦٥ | يوليو ١٩٤٦ | مغرب (ق س) | عشاء (ق س) | سحور (ق س) | إمساك (ق س) | فجر (ق س) | شروق (ق س) | ظهر (ق س) | عصر (ق س) |
| الاثنين | ١ | ٢٩ | ٥١ ٦ | ١٩ ٨ | ١٢ ١ | ١٢ ٣ | ٣٢ ٣ | ١١ ٥ | ٠١ ١٢ | ٣٧ ٣ |
| الثلاثاء | ٢ | ٣٠ | ٥٠ | ١٨ | ١٣ | ١٣ | ٣٣ | ١٢ | ٠١ | ٣٧ |
| الاربعاء | ٣ | ٣١ | ٥٠ | ١٧ | ١٤ | ١٤ | ٣٤ | ١٣ | ٠١ | ٣٧ |
| الخميس | ٤ | أغسطس | ٤٩ | ١٦ | ١٥ | ١٥ | ٣٥ | ١٣ | ٠١ | ٣٧ |
| الجمعه | ٥ | ٢ | ٤٨ | ١٥ | ١٦ | ١٦ | ٣٦ | ١٤ | ٠١ | ٣٧ |
| السبت | ٦ | ٣ | ٤٨ ٦ | ١٤ ٨ | ١٧ ١ | ١٧ ٣ | ٣٧ ٣ | ١٥ ٥ | ٠١ ١٢ | ٣٧ ٣ |
| الأحد | ٧ | ٤ | ٤٧ | ١٣ | ١٧ | ١٧ | ٣٧ | ١٥ | ٠١ | ٣٧ |
| الاثنين | ٨ | ٥ | ٤٦ | ١٢ | ١٨ | ١٨ | ٣٨ | ١٦ | ٠١ | ٣٧ |
| الثلاثاء | ٩ | ٦ | ٤٥ | ١١ | ١٩ | ١٩ | ٣٩ | ١٧ | ٠١ | ٣٧ |
| الاربعاء | ١٠ | ٧ | ٤٤ | ١٠ | ٢٠ | ٢٠ | ٤٠ | ١٧ | ٠١ | ٣٧ |
| الخميس | ١١ | ٨ | ٤٤ ٦ | ٠٩ ٨ | ٢١ ١ | ٢١ ٣ | ٤١ ٣ | ١٨ ٥ | ٠١ ١٢ | ٣٧ ٣ |
| الجمعه | ١٢ | ٩ | ٤٣ | ٠٨ | ٢٢ | ٢٢ | ٤٢ | ١٨ | ٠٠ | ٣٧ |
| السبت | ١٣ | ١٠ | ٤٢ | ٠٧ | ٢٣ | ٢٣ | ٤٣ | ١٩ | ٠٠ | ٣٦ |
| الأحد | ١٤ | ١١ | ٤١ | ٠٦ | ٢٤ | ٢٤ | ٤٤ | ١٩ | ٠٠ | ٣٦ |
| الاثنين | ١٥ | ١٢ | ٤٠ | ٠٥ | ٢٥ | ٢٥ | ٤٥ | ٢٠ | ٠٠ | ٣٦ |
| الثلاثاء | ١٦ | ١٣ | ٣٩ ٦ | ٣ ٨ | ٢٦ ١ | ٢٦ ٣ | ٤٦ ٣ | ٢١ ٥ | ٠٠ ١٢ | ٣٦ ٣ |
| الاربعاء | ١٧ | ١٤ | ٣٨ | ٢ | ٢٧ | ٢٧ | ٤٧ | ٢١ | ٠٠ | ٣٦ |
| الخميس | ١٨ | ١٥ | ٣٧ | ١ | ٢٧ | ٢٧ | ٤٧ | ٢٢ | ٥٩ ١١ | ٣٥ |
| الجمعه | ١٩ | ١٦ | ٣٦ | ٠٠ ٨ | ٢٨ | ٢٨ | ٤٨ | ٢٢ | ٥٩ | ٣٥ |
| السبت | ٢٠ | ١٧ | ٣٥ | ٥٨ ٧ | ٢٩ | ٢٩ | ٤٩ | ٢٣ | ٥٩ | ٣٥ |
| الأحد | ٢١ | ١٨ | ٣٤ ٦ | ٥٧ ٧ | ٣٠ ١ | ٣٠ ٣ | ٥٠ ٣ | ٢٣ ٥ | ٥٨ ١١ | ٣٤ ٣ |
| الاثنين | ٢٢ | ١٩ | ٣٣ | ٥٦ | ٣١ | ٣١ | ٥١ | ٢٤ | ٥٨ | ٣٤ |
| الثلاثاء | ٢٣ | ٢٠ | ٣٢ | ٥٥ | ٣٢ | ٣٢ | ٥٢ | ٢٤ | ٥٨ | ٣٣ |
| الاربعاء | ٢٤ | ٢١ | ٣١ | ٥٣ | ٣٢ | ٣٢ | ٥٢ | ٢٥ | ٥٨ | ٣٣ |
| الخميس | ٢٥ | ٢٢ | ٣٠ | ٥٢ | ٣٣ | ٣٣ | ٥٣ | ٢٦ | ٥٨ | ٣٣ |
| الجمعه | ٢٦ | ٢٣ | ٢٩ ٦ | ٥١ ٧ | ٣٤ ١ | ٣٤ ٣ | ٥٤ ٣ | ٢٦ ٥ | ٥٨ ١١ | ٣٢ ٣ |
| السبت | ٢٧ | ٢٤ | ٢٨ | ٥٠ | ٣٥ | ٣٥ | ٥٥ | ٢٧ | ٥٧ | ٣٢ |
| الأحد | ٢٨ | ٢٥ | ٢٧ | ٤٨ | ٣٦ | ٣٦ | ٥٦ | ٢٧ | ٥٧ | ٣١ |
| الاثنين | ٢٩ | ٢٦ | ٢٦ | ٤٧ | ٣٧ | ٣٧ | ٥٧ | ٢٨ | ٥٧ | ٣١ |
| الثلاثاء | ٣٠ | ٢٧ | ٢٥ | ٤٦ | ٣٨ | ٣٨ | ٥٨ | ٢٩ | ٥٧ | ٣١ |



صلاة العيد حيث تكون الساعة ٥،٥٦ صباحاً

# كيف تظفر بنسختك
# من كتاب "هل أنت حيّ"

سوف تظهر فى أعداد أغسطس وسبتمبر واكتوبر ونوفمبر من المختار قسائم ، كهذه وعلى كلّ منها تاريخ العدد الذى ترفق به .

فإذا أردت أن تظفر مجانا بنسختك من هذا الكتاب الجديد ، فما عليك إلاّ أن تفصل هذه القسائم ، فإذا جمعت ثلاثا منها من ثلاثة أعداد من أشهر مختلفة ، وأرسلتها إلينا ، بعثنا إليك بالبريد نسخة من هذا الكتاب بغير ثمن .

ولا ترسل إلينا القسائم متفرقة بل اجمع الثلاث ، وارسلها بالبريد ومعها إسمك وعنوانك إلى « المختار ١٤ شارع القاصد بالقاهرة » . ولا تعطى سوى نسخة واحدة من الكتاب لكل قارىء .

( وفى كل قسيمة جزء خاص ببائع الجرائد الذى اشتريت منه نسختك ، والرقم المسجل عليها قد يتيح له أن يظفر بجائزة مالية فى سحب تجريه المجلة فى دارها . )

ونحن على ثقة بأن هذا الكتاب لن يكون ذخيرة تفخر بها مكتبتك وحسبُ ، بل ستجد فى كل مقالة منه ، ملهماً وحافزاً ومرشداً .

فمن أحب فصوله إلى القراء : —

- افعل ما تهيبه .
- لا تنتظر إذا أردت أن تحيي .
- أطع هذا الحافز .
- اتخذ من المرض مزية .
- تستطيع أن تكون شيئاً وأنت وحدك .

---

هذه القسائم لن توضع فى نسخ المشتركين ، وسترسل إلى حضراتهم رسائل خاصة بالبريد تبين لهم كيف يستطيعون أن يظفروا بنسخة من كتاب : « هل أنت حيّ » .

مطبعة پول بارييه

كبيرة فصارت غازية معتدية ، لم تجد فى هذا المذهب خطة موضوعة خاصة تمنع نشوب حرب شاملة ، أو تكفل النصر فيها إذا ماوقعت .

فلندرس الآن سياسة الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر ، لنعرف هل تورطها هذه السياسة من الاهتمام بشئون غيرها توريطاً واسع النطاق ؟ وأنا أزعم أنها فعلت ، فقد تورّطت مثلا فى انتخابات اليونان ، وفى الخلافات العنصرية فى فلسطين ، وفى المنازعات القائمة حول المبادىء والسياسات فى البلقان ، كما ورطت نفسها فى شئون الهند وإسبانيا والأرجنتين ، وفى مشاكل الشعوب غير المستقرة أينما وُجدت. ولكن هل فى هذه السياسة أى ضمان للولايات المتحدة عند نشوب حرب كبرى ؟ لست أرى إلا دلالات ضئيلة على مثل هذا الضمان. وقد حدث فى الولايات المتحدة أن تبينت للرأى العام مطالب ، ولكنه لم يجد قيادة قوية رشيدة ، فأدى ذلك إلى تحطيم قوتها العسكرية الجبارة التى كانت تملكها منذ أشهر قليلة . فلو تدبرنا هذا أدركنا أنه ليس من المتوقع أن تنجح الولايات المتحدة فى اتباع سياسة عسكرية بعد الحرب يبلغ من قوتها أن تكفل خير ضمان لمنع الحرب . ومن سوء الحظ أنها لاتستطيع أن تقدم لغيرها أى ضمان ينفى أخطار حرب كبرى ، أو إن فعلت فهو ضمان لايكاد يغنى . ذلك بأن حق الاعتراض (الفيتو) الممنوح للدول الكبرى فى مجلس الأمن ، يجعل تلك الهيئة لا نفع فيها من حيث هى أداة لقمع العدوان الذى تقترفه دولة كبيرة أو من ينتسب إليها من دول صغيرة . وربما كانت هيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تقمع الحروب الصغيرة لا الحروب الكبيرة .

فمن البيّن إذن أن سياسة الولايات المتحدة العالمية فى الوقت الحاضر ، تجعلها ترضى بأن تواجه المخاطر التى تعمل على تهيئة أسباب الحرب ، وتفعل ذلك باسم المروءة والنجدة ، دون أن يكون هناك ضمان كاف مانع للحرب . فواضح أن هذا المذهب غير عملى وأنه محفوف بالمخاطر .

وأقترح أن يحل محله مذهب صالح للتنفيذ يعترف باحتمال نشوب حرب عالمية أخرى تتهيأ منذ الآن أسبابها ، وأنها ستقضى القضاء المبرم على تقدم العالم . وعلى ذلك ينبغى أن يحصر العالم كل جهوده فى السعى إلى منع نشوب حرب أخرى ، وإن أدى هذا إلى تعويق تقدم العالم . وحجة هذا المذهب أننا لو نجحنا لازدهر التقدم من جديد من تلقاء نفسه، وذلك أنه ينبغى أنْ نعرف أنّ التقدم هو ثمرة السلم ،

لا أن نظن أن السلم هو ثمرة التقدم .

وهذا المذهب يكفل لأمريكا أن يكون لها من القوة ما يمكنها إذا نشبت حرب عالمية أخرى ، من أن تجعلها قصيرة الأجل حاسمة الضربة ، قاضية على المعتدى .

وإذا اعتبرنا أن احتمال نهوض أعدائنا ثانية إلى الغزو من جديد هو من قبيل المخاطر غير المتوقعة في المستقبل القريب ، فلايزال هناك عاملان قد يؤديان وحدهما — أو مرتبطين معاً — إلى نشوب حرب عالمية ثالثة : أولهما هو الانهيار الجسيم فى قوة الولايات المتحدة وسطوتها ، وثانيهما هو تفكك الروابط بين الدول الكبرى الثلاث .

وليس انهيار قوة الولايات المتحدة مجرد كلام . لقد خرجت من الحرب وهى أقوى دولة عرفها التاريخ ، فما هى حالها اليوم ؟ لقد حُطمت أداتها العسكرية الجبارة ، وتفاقم دَيْنُهَا القومى ، وأصبح تحويل صناعتها من الحرب إلى السلم يسير سيراً بطيئاً ، وهى أيضاً مهددة بتضخم النقد ، وترى كل جماعة منظمة من جماعات الشعب تسابق أختها لكى تنال نصيبها من المغانم . وألاعيب السياسة لا تزال تجرى كما كانت ، بل هى اليوم ليست خيراً منها بالأمس . أفهذه حال يرجى معها للولايات المتحدة أن تحتفظ بمكانتها فى العالم ؟ كلا ، بل الظن هو العكس ، أى أنها لن تحتفظ بهذه المكانة .

وثانى أسباب نشوب حرب عالمية ثالثة وأقربهما احتمالا ، هو تفكك الدول الكبرى . ومن المحقق انه إذا تفاقم هذا التنافر وانقلب إلى حرب كبرى ، أن نجد روسيا فى جانب ، والولايات المتحدة ، أو الإمبراطورية البريطانية ، أو كلتيهما معاً ، فى الجانب الآخر . ولذلك فإن خطة الولايات المتحدة حيال روسيا هى أهم عناصر سياستها العالميــة وأخطرها — بل إن خطر هذه الخطة عظيم الشأن ، إذ أن أغلب الظن أن تكون روسيا هى الممهِّدة للحرب .

وسياسة روسيا — كما هى الآن — أشد العوامل غموضاً فى العلاقات الدولية الراهنة ، فهى بين دول العالم أوسعها رقعة وأشدها ازدحاماً بالسكان من الجنس الأبيض ، ولديها أعظم الموارد التى لم تستغل بعد ، وأقوى جيش ، وأقدر حكومة ، وروسيا هى ثانية دول العالم القوية ، وقد كادت قوتها تبلغ مبلغاً يضارع قوة أمريكا . وقد وصف تشرشل سياسة روسيا العالمية بأنها « سر محجب فى جوف أحجّية فى قلب لغز » ، وسر هــذا اللغز هو اتباع روسيا سياسة مذهبية وسياسة قومية فى وقت واحد ، وقد تتعارض السياستان أحيانا وتتلاقيان أحيانا .

وأساس سياسة روسيا من ناحية المذهب

هو نشر الشيوعية فى أرجاء العالم . ولمّا وُلِّيَ ستالين الحكم، كفّت روسيا عن هذه السياسة عند الضرورة ، لتعزّز مكانتها من حيث هى ثانية القوتين القاهرتين فى العالم، ومع ذلك فإن أحدث تصريحات ستالين وأعمال الشيوعية فى خارج بلادها، كلها اليوم دليل سافر على أن أساس هذه السياسة لم يتغير.

وأمّا أساس سياسة روسيا القومية فهو لايختلف عن أمثاله فى أية دولة أخرى ، فهى تريد صون سلامة أرضها ، وصون أمنها ، وهى تسعى لكى تحقق لشعبها رفاهية سياسية واقتصادية واجتماعية . ومن الواضح أنها من أجل أن تدعم سياستها القومية ، تعتزم أن تستدل إلى أقصى حد مافازت به فى الحرب من سطوة وقدرة عسكرية . فهى ستفيد من كل ضعف تلمحه فى غيرها من الدول الكبرى ، ولاتفتأ تذكر حاجتها إلى توفير أسباب أمنها من الوجهة العسكرية، فهى تريد أن تحتمى وراء نطاق من دول صديقة ، أوقل وراء دول خاضعة لسلطانها وتصيد بذلك عصفورين بحجر واحد . فأوّل ماتستفيده هو أن تقيم لها سدًّا تعيش وراءه فى عافية لا يلحقها أذى من جوارها للدول الرأسمالية ، والثانى أن تكون هذه الدول كالجسور تعبر عليها دعوتها إلى نشر الشيوعية فى العالم .

وقد صادفت روسيا حتى اليوم نجاحاً كبيراً فى اتباع هذه السياسة فى وسط أوربة والبلقان ، وتزداد دلائل اهتمامها بالجانب الشمالى الغربى من أوربة . وهى تصرّ على المطالبة بالإشراف على الدردنيل ، وبقواعد فى بحر إيجه ، وبنصيب لها فى بلاد إفريقية التى قد توضع تحت الوصاية . أما فى الشرق الأوسط فهى تطالب بأن تقوم تركيا « بتصحيح » حدودها الشمالية الشرقية ، وتدافع بقوة عن موقفها فى إيران أمام مجلس الأمن .

وفى شرق آسية تحتل روسيا منطقة كوريا الشمالية . وهى تجرى هناك ، كما تفعل فى البلقان ، على سياسة الاستغلال ورفض التعاون ، إلا أنها فى المنطقة الأولى أوفى بتعهداتها منها فى أوربة . والأمر على خلاف ذلك فى سياستها فى منشوريا ، فقد صادرت فيها الأملاك وتلكأت فى سحب جنودها . وكل هذا ينبىء بأن سياستها فى الشرق الأقصى قد تصادم سياسة الولايات المتحدة فى آسية .

وتتبع روسيا حيال هيئة الأمم المتحدة سياسة المسايرة فى الوقت الحاضر، وذلك لسبب واضح ، هو اعتقادها أن اتباع مثل هذه السياسة يعود عليها ببعض الخير ولا يضيرها . أما حق الاعتراض الممنوح

لها في مجلس الأمن ، فيحميها كما يحمى الدول الصغيرة التابعة لها . فهى فى موقف حسن يساعدها على المساومة ، ويهىء الفرصة لها لتنشر نفوذها فى مناطق ما كانت لتصل إليها لولا هذه الهيئة . وما دامت هذه الهيئة تعمل إلى اليوم على منع نشوب حرب ، قبل أن تتمكن روسيا من اللحاق بالولايات المتحدة وبريطانيا فى التقدم الصناعى وفى معرفة سرّ الذرّة ، فإنها تسدى إلى روسيا يداً تنفعها فى مآربها .

وانفراد حزب واحد بالسلطان فى روسيا ، وخروجها من الحرب وقوتها العسكرية سليمة نسبياً ، كل هذه أسباب تجعلها قادرة على أن تهدّد أو تعمل ما يوافقها ، فهى واثقة بنفسها ، ولا تحجم عن العدوان ولا تأخذها شفقة ، بل هى غير مقيدة بالمبادىء الخلقية التى اصطلح العالم عليها ، وهى متأهبة لأن تفيد فوراً من ضعف خصومها ومن هفواتهم . والخلاصة أنها نجحت فى التمويه على العالم ، ولا تزال تستفيد منه أعظم فائدة .

ومن الجلىّ أن الولايات المتحدة هى التى يجب عليها أن تقود الجهود كلها للخروج بالعالم من هذا الموقف الضّنْك .

وهناك حقيقة واحدة من السهل أن يجمع عليها كل من خبرَ روسيا : وهو أن روسيا تفهم ، بل تنتظر ، بل تعجب بالصراحة والاستقامة ، ويُسر التنفيذ ، وحسن المطابقة للواقع مهما قسا — فى الرأى والقول والعمل . فهذه هى خطتها ، وهى تنتظر مثلها من بقية الدول ، فإذا لم تفعل كفعلها ثارت ريبتها . فهيهات أن يخطر ببالها أن أمة من الأمم تتبع فى تفكيرها وأعمالها خطة غير قائمة على رعاية مصالحها ، إذ هذا فرض لا يتصوره عقلها ، بل هى إذا صادفت مثل هذه الأمة حسبتها أمة حمقاء أو ضعيفة ، أو كلتيهما معاً .

وقد ساءت العلاقات بين أمريكا وروسيا زمناً طويلا ، لأن الولايات المتحدة تجاهلت هيام الروس بالحقائق الواقعة وعاملتها بما يناقضه . وقد حان الوقت الذى يجب فيه على الولايات المتحدة أن تتبع تلك الخطة وتجعلها أساس كل سياسة لها حيال روسيا . ومن أجل هذا يجب أن ندرس ، بصراحة وبأمانة ، سياسة روسيا كما نتوقعها فى المستقبل . وأنا أرى أن هذه السياسة يمكن تقسيمها إلى خمسة أبواب :

١ — مسائل قد لا توافق هوى أمريكا ولكنها ، إذا نظرنا إليها نظرة مطابقة للواقع ، مسائل لا يمكن نقضها أو تعديلها . مثال ذلك : فنلندة ، دول البلطيق ،

بسارابيا ، جزائر كوريل ، وبعض أطوار الاحتلال الروسى فى ألمانيا .

٢ — مسائل تعارض فيها أمريكا من حيث المبدأ ، ولكنها لاتجعلها مثار نزاع ، اللهم إلا لدلالتها على أن روسيا ترفض التعاون .

مثال ذلك: بولندة، بروسياالشرقية،شمال كوريا ، ومبلغ نشاط الشيوعية فى الوقت الحاضر، وموقفها المتعب لهيئة الأمم المتحدة .

٣ — مسائل ينشأ حولها خلاف خطير وهى بطبيعتها لايجدى فيها استخدام القوة العسكرية ، ولكنها أمثلة واضحة على رفض روسيا للتعاون . فينشأ عنها أن تعاملها أمريكا بالمثل فترفض التعاون معها ، ولا سيما فى مساعدتها على الخلاص من ضائقتها الاقتصادية . ومثل هذه المسائل تضعف كثيراً من مقدرة هيئة الأمم المتحدة، وقد تفضى إلى انسحاب روسيا منها .

مثال ذلك : رومانيا ، بلغاريا ، تركيا ، إيران ، منشوريا ، زيادة نشاط الشيوعية ، والامتناع عن التعاون مع هيئة الأمم المتحدة للوصول إلى التسوية السلمية ، أو لاتخاذ التدابير اللازمة للإشراف على الطاقة الذرية .

٤ — مسائل تدل على تحول روسيا من رفض التعاون إلى التهديد الخطر ، وذلك يوجب أن تقوم الولايات المتحدة بعمل حازم فى إخراج روسيا من هيئة الأمم المتحدة .

مثال ذلك : توغل روسيا سياسياً أو عسكرياً فيما وراء حدود منطقة احتلالها فى ألمانيا ، عدوانها على السويد أو النرويج ، أو على شمال إفريقية ، عملها على هدم هيئة الأمم المتحدة ، أو سعيها إلى أن تكون لها السيطرة فى ميدان الطاقة الذرية .

٥ — مسائل تفوق فى خطرها ماورد فى الباب الرابع ، وتنطوى على عدوان أو تهديد خطير لسلم العالم ، وتوجب شن الحرب لصدها .

مثال ذلك : الهجوم ، أو التهديد بالهجوم على الشاطىء الغربى لأوربة ، أو على بريطانيا العظمى أو الفيلبين ، وغرب المحيط الهادى والقارة الأمريكية .

ينبغى أن يكون أساس السياسة العالمية التى تتبعها أمريكا هو منع نشوب حرب عالمية ثالثة ، وتنفيذاً لهذه السياسة ينبغى أن تصرف جل عنايتها إلى فض هذه المشاكل ، وعندئذ يجب على أمريكا أن :

١ — تعلن أن الولايات المتحدة تعتبر علاقاتها مع روسيا هى المشكلة الوحيدة الباقية دون حل من مشاكل منع نشوب حرب عالمية أخرى .

٢ — وتقرر أن الولايات المتحدة ستتبع منذ اليوم حيال روسيا سياسة تتجلى فيها الصراحة بغير إبهام ، وتعتمد على النظرة الواقعية العملية .

٣ — وتقول لروسيا إن الولايات المتحدة تقدر لسياسة روسيا حيالها خمسة أحوال محتملة هي : الصداقة المألوفة والتعاون ، التعاون المحدود ، عدم التعاون ، التهديد الخطر ، العدوان أو التهديد بالعدوان .

٤ — وتقول لروسيا إن الولايات المتحدة في الحالة الأولى متأهبة للتعاون معها أتم تعاون ، ولمساعدتها على إعادة تعمير بلادها . وفي الحالة الثانية والثالثة تعاونها الولايات المتحدة وتساعدها بالقدر الذي تلقاه منها . وفي الحالة الرابعة تتخذ الولايات المتحدة أوثق الطرق لتأليف جبهة متماسكة من غرب أوربة تقف في وجه روسيا ، وتقول لها فوق ذلك إن الولايات المتحدة ستجد نفسها مضطرة إلى اتخاذ التدابير اللازمة لصون أمنها وأمن العالم . وفي الحالة الخامسة أنها لن تتوانى عن خوض غمار الحرب .

أما اليوم فأول واجب يقع على عاتق الولايات المتحدة هو أن تزيد من قوة حكومتها وقدرتها في الداخل وفي الخارج .

وأخيراً ينبغي للولايات المتحدة أن تفهم وأن تقبل حمل الأعباء التي ألقيت على كاهلها من تبعات جديدة في نوعها ، جديدة في مدى اتساعها ، وأنها إذا طرحت هذه التبعات سقطت مكانتها التي تبوأتها ، وتبدد آخر أمل في سلم العالم وتقدمه .



## على قارعة الطريق

كانت فتاة أمريكية حسناء ممشوقة القوام ، تسير لوجهتها في أحد شوارع بوجوتا عاصمة جمهورية كولومبيا ، فرآها شاب فراقت في عينيه . فجعل يقتفي خطاها ، وهو يلقي إليها بعبارات الإطراء ، فأحنقها ما كان منه . فما إن بلغت شرطي المرور حتى هرعت إليه ، وقالت غاضبة : « هذا الرجل الواقف هناك يتبعني » .

فالتفت الشرطي إلى الرجل ثم صعّد بصره وصوّبه إلى الحسناء المهتاجة ورفع قبعته وانحنى وقال : « يا آنسة ، لو لم يكن هذا وقت عملي ، لكنت أنا أيضاً تبعتك » .

[ مجلة « إنتر أميريكان » ]

« قوة الديميرول على دفع الألم تضارع قوة المورفين العجيبة — ولكنها لاتورث الإدمان »

# دواءٌ جديدٌ يقضي على الآلام

بول دى كروف



جاء عقار جديد هو الديميرول فكان رحمة لملايين أضنتهم الآلام . لقد كان المورفين حتى اليوم هو السلاح الوحيد الذى يقضى على الألم المبرّح ، ولكن يغضّ من شأنه ما يورثه من الإدمان. أما الديميرول، وهو يقارب المورفين فى الأثر، فقد عولج بفعله الساحر ملايين من المرضى فى مستشفيات مختلفة فى أرجاء أمريكا ، فلم يدمن تعاطيه أحد لم يتعاط مشتقات الأفيون من قبل .

والديميرول يستعمل تحت إشراف الطبيب دائماً للسيطرة على نوائب الربو ، وعلى عذاب الشقيقة (صُداع شِقّ الرأس)، ولتخفيف آلام عرق النسا والنُّبراق (مرض النيورالجيا) ولتيسير الولادة وجعلها مأمونة قليلة الآلام.

والمورفين ، على خارق قوته فى دفع الألم، عقار محفوف بأخطار عديدة . فهو يصيب مراكز المخ التى تسيطر على التنفس بالفتور ، فإذا أعطى للمصابين بالقُلاب (مرض القلب) والرّبو ليرفه عنهم ، كان خليقاً أن يزيد تنفسهم ضعفاً على ضعف ، كما أن فقر الدم والكُبَاد (مرض الكبد) يضاعفان قوة المورفين ، ويجعلان خطره أشد . وإذا استعمل فى تهدئة المرضى أثناء الجراحات ، كان خليقاً أن يشل حركة الأمعاء، وقد يغرق المرضى فى سبات يجعل تعاونهم مع الممرضة والطبيب بعد الجراحة أمراً مستحيلا .

لقد كان المورفين نعمة على من بلغوا المرحلة الأخيرة من الأمراض المزمنة ، ومع ذلك فهو عندئذٍ أبعد عن أن يكون نعمة خالصة لا تشوبها نقمة ، إذ يصير لزاماً على الطبيب أن يزيد جرعة المورفين زيادة مطردة لكى يبقى له أثره . فإذا تراكم العقار فى الجسم ، وأصبح خطراً على التنفس ، وجب الامتناع عن الحقن به ، فقد تلحق المريض أعراض خطرة ، ولا يعود إليه ألمه الماضى وحسب ، بل يأخذ أيضاً فى البكاء ، وتنفضه القشعريرة ، ويتلوّى من تقلص العضلات .

وكذلك تصير نقمة المورفين أكبر من نعمته على الأغلب . وقد حاول الكيمائيون أن ينزعوا حُمته فذهبت جهودهم سدًى .

يبدأ خبر الديميرول فى سنة ١٩٣٩ يوم عثر الكيميائيان الألمانيان الدكتور أيسلب

والدكتور شومان على شيء لم يطلباه قط . فقد كانا يحاولان أن ينتجا نوعاً من الأتروبين أفضل من النوع المعهود ، وهو عقار يبسط العضلات التي لا تخضع للإرادة . وكانا يجربان ما يستحدثانه من المواد في الفيران ، فإذا نوع من هـذه المواد التي استحدثاها من الأتروبين ينجلي ذات يوم عن ظاهرة عجيبة . فقد حقنت به الفيران فجعلت تشيل بأذنابها فوق ظهورها معقوفة على شكل (S) ، وهي ظاهرة معروفة لاتنشأ إلا عن تعاطي مشتقات الأفيون المشابهة للمورفين .

ويومئذ وُلد عقار جديد هو الديميرول . وقبيل أن تنشب الحرب وتقطع العلاقات بيننا وبين أهل العلم من الألمان ، نقل الدكتور مارك هيرت أثارةً من هذا العقار الغامض إلى أمريكا ، فقام علماء معامل ونتروب ، تحت إشرافه بتجربة كانت فتحاً جديداً في آفاق العلم .

والمعروف أن القرود يستعبدها المورفين بسهولة ، فأعطيت طائفة منها جرعاً ضخمة من الديميرول كل يوم طوال عشرة أشهر ، فلم يورثها الإدمان . وقد جعلها أقل شعوراً بالألم ، ولكنه لم يُبلّدْ حسّها ولم يَعُق تنفسها ، كما يفعل المورفين .

واجتمع ذات ليلة علماء مصانع ونتروب ومساعدوهم ، متطوعين لإجراء أول تجربة في البشر تمتحن بها قوة الديميرول على دفع الألم . غشي الوجوه وجوم ، فقد كان عليهم أن يتعاطوا عقاراً جديداً ، ومن يدريهم أنه على خلوّه من الأذى للفيران يكون مأمون العاقبة في الإنسان ؟ وقبل أن يُحْقنوا به أحدث فيهم المجربون قدراً معلوماً من الألم بتسديد شعاع ساخن متقطع إلى جباههم ، ثم حُقنوا بالديميرول ، فلم تكد تنقضي ١٥ دقيقة حتى طرأ عليهم شعور غريب جديد هو ضرب من النشوة والسعادة ، فلما أعيد تسديد الشعاع الساخن أحسوا له ألماً ، ولكنهم لم يعبأوا به .

على أن هذا الألم المستحدث إنما يصيب البشرة وحسب ، فهل في قدرة الديميرول أن ينافس المورفين في سيطرته العجيبة على الآلام المتغلغلة المبرّحة ؟ وجد الدكتور هيرت ذات يوم أحد مساعديه مستلقياً يتلوى من مغص الكلى المؤلم ، فحقنه بالديميرول ، فما هي إلا دقائق حتى أخذ الرجل يتطلع إلى منقذه باسماً غير مكترث بالألم.

وثمة رجل آخر كان يئنّ من عذاب أليم منشؤه أن حصاة سدّت قناة المرارة ، فحقن بالديميرول فلم تكد الإبرة تنزع حتى بدت على وجهه الدهشة لزوال ألمه ، وقال: « إني عاجز عن إدراك ماحدث لي »

وفي أحد مستشفيات نيويورك رقدت

مرأة تعانى أزمة من الربو أربعة أيام، وقد شق عليها التنفس حتى أوشكت أن تختنق، ولم تنقذها أدوية الربو المعروفة، وكان من المحال استعمال المورفين لما يُخاف من أثره في إرهاق تنفسها المكدود، غير أن حقنة الديميرول أعانتها على الراحة من ضيق التنفس.

وبعدئذ طُرح الديميرول على مدارس الطب في جامعات نيويورك وهارفردووين بدتيرويت لتتم المقارنة العلمية بينه وبين المورفين في دفع الألم. فاختبره الدكتور روبرت باترمان من كلية الطب بجامعة نيويورك اختباراً منظماً في مستشفى بلفيو بنيويورك. وفي مارس ١٩٤١ صار كل مريض مصاب بألم شديد يحقن بالديميرول مهما اختلفت أنواع الآلام أو مدتها. وقد زال الألم بعد حقنة واحدة منه زوالا تاماً في ٨٥ في المئة من ٨٨١ حالة خلال ثلاث ساعات إلى أربع، وفي ١٠ في المئة كان الشعور بالراحة بَيْنَ بين. وحقن به ١٦٤ مريضاً أجريت لهم جراحات في البطن، فوجد الدكتور باترمان والدكتور ملهولاند أنه قد أراح ٨٥ في المئة منهم راحة تامة وفارقهم الضيق والقلق، وأن قوة الديميرول على دفع الألم تضارع قوة المورفين. ومنذ ذلك الحين أخذ أطباء مستشفى بلفيو يستعملون الديميرول.

ولم يرد ذكر لمريض أدمن الديميرول إدماناً متحكما، بين عشرات الألوف الذين عولجوا به في كثير من المستشفيات. على أن أثره المريح قد يغرى بعض الناس بمواصلة تعاطيه، ولكن هذا ليس إدماناً، وذلك لأن الديميرول لا يخلف آثاراً ضارة إذا منعته عن متعاطيه. فلما كان خالياً من هذا الخطر القديم المعهود في المورفين، جعل الأطباء يوسعون نطاق استعماله وهم آمنون.

كان الأطباء يرجئون استعمال مشتقات الأفيون لمرضى السرطان المستعصى إلى أن يبرح بهم العذاب في المرحلة الأخيرة، لأن الألم سرعان ما يألفها ويستعصى عليها، ولكن أغلب هذه الحالات تجدى في دفع آلامها جرعة من الديميرول لا يتغير مقدارها، مهما طال استعماله أسابيع أو شهوراً.

والرحمة التي يسبغها الديميرول على الحياة في نهايتها. يسبغ مثلها على الحياة في بدايتها، ففي ١٩٤١ أوشكت شابة أن تلد أول ولادة، فاستبد بها الخوف حتى أصابتها الهستريا، فجعلت تصرخ وتتلوى من الألم كلما ضربها الطلق، حتى صارت تعصى أوامر الممرضات والأطباء، فحقنت بالديميرول، فما هي إلا دقائق حتى هدأت. ثم سئلت: «ألا تشعرين بالألم؟» ، فرفعت بصرها باسمة وقالت:

« نعم أشعر ، ولكني لا أعبأ به . إن هذا الدواء قد قوّى قلبي »

وكان فى طليعة الذين اختبروا الديميرول ، الدكتوران ، جوردن جيلبرت وألفرد ديكسون ، وقد اختبراه فى ١٥٠ أمّاً فى مستشفى يونيون بمدينة بلتيمور ، وقد شهدا أنه يقصر مدة الوضع ، وأنه مأمون العاقبة للمواليد ، وأنه يقوّى نفوس الوالدات .

وفى مستشفى الولادة ببوسطن التابع لجامعة هارفرد ، استعمل الطبيبان وليم توماس وتشارلس روبى ، مزيجاً من الديميرول والإسكوبولامين ليحدثا للنفساء سِنة من النوم والنسيان . وكان المورفين يستعمل من قبل مع الإسكوبولامين لهذا الغرض ، فتنسى النفساء آلامها ، ولكن استعماله أبطل لأن فيه خطراً على تنفس المولود . وقد حقن بمزيج الديميرول ألف نفساء ، فسيطر الديميرول على الألم والخوف . أما الإسكوبولامين فقد أنسى النفساء محنتها وشقاءها . ولم يبق فى أذهان ٧٠ فى المئة منهن شيء يذكرنه من حوادث وضعهن ، فإن ذكرنَ حادثاً أو حادثين منفصلين ، وكلهن دون استثناء لم يتذكرن ألم الوضع .

لقد قصرت مدة الوضع بمعدل ساعتين ونصف عند الوالدات أول ولادة ولم يتأثر تنفس المولود البتة ، ولا حدثت مضاعفات رئوية للأمهات . ويعتقد أطباء بوسطن أن مزيج الديميرول والإسكوبولامين أقوى من كل مسكنات آلام الوضع ، فهو اليوم المسكن الذى يستعملونه .

وقد أخذت هذه الطريقة فى تخدير الوالدات تشيع فى أمريكا ، والفضل فى ذلك لسلامة عاقبة الديميرول . ويقول الدكتور هومر كارتر من ماديسون بولاية ويسكونسن بعد أن ولد أكثر من ٢٧٠٠ أم بالديميرول: « أعتقد أننا اليوم أقرب ما نكون إلى الظفر بأفضل مسكن فى طب الولادة »

وتقوم كل الأدلة على أن الديميرول لا يجوز استعماله أبداً دون وصفة من طبيب ، فإن أثره القوى فى السيطرة على الألم ، إذا أسيء استعماله ، قد يخفى أعراض المرض التى يستعين بها الطبيب على تشخيصه ، كما أن أخذ جرعات كبيرة منه دون إشراف طبي عمل ينذر بخطر يدهم المريض .



وقد بلغ إنتاج الديميرول من الوفرة مبلغاً يزيدنا أملاً ورجاء فى مكافحة ما يبرّح بالبشر من الآلام الكثيرة المضنية .

# قيّد خواطرك

روبرت أبدجراف
منقولة عن مجلة « ذى رو تيريان »

ما ابتُلى به أكثرنا هو كسل الفكر، وأن عقولنا قد ألفت الاستهانة والاستخفاف. فنحن نُفرط فى القراءة دون أن نتلبث حتى نستوعب ما قرأناه ونتدبره، ونعتبره بما مرّ بنا من تجارب أو بما لاحظنا من ملاحظات، أو بما نعرفه فى مثل موضوعه. وإذا قرأنا لم نكفّ عن القراءة وقتاً كافياً، وفى الحين بعد الحين، حتى يستقرّ المقروء ويثبت فى عقولنا. تُرى كم من مرّة يتريّث أحدنا حيال فكرة صادفها وهو يقرأ، محاولا أن يقارنها بفكرة من سوانح عقله، أو أن يضمها إلى مجموعة الأفكار التى راقته فى مواضى أيامه؟

قال كارليل: « اقعد ساكناً وصنّف خواطرك ». فلوْ أفردنا لهذا العمل ساعةً أو ساعتين فى كل يوم يتزوّدُ العقل فيهما بما ينفعه، فلن نلبث أن نجد من اللذة والسرور بانتظار ميعادها ما لاعهد لنا بمثله.

وخير وسيلة وأجداها فى تنشيط عقولنا هو أن نعتاد تقييد خواطرنا.

واعلم باديء ذى بدء أن القراءة ضرب من الخطل إذا قلّ انتباهك حتى ما يبقى لما تقرأ فى نفسك إلا أثرٌ سريع الزّوال، والأفكار سريعة التفلّت والضياع، والذاكرة كالغرْبال لا تكاد تمسك ما يكون فيها. وقد عبّر عن ذلك « لويس كارول » أدق تعبير فى إحدى رواياته حيث جاء فيها:

« قال الملك: لن أنسى، لن أنسى هولَ تلك اللحظة!

« قالت الملكة: إنك لناسيه إذا لم تقيّده بالكتابة! »

ويروى أن رجلا خطرت له خاطرة بديعة استخفته حتى انكبّ ساجداً يشكر نعمة الله عليه، فما كادَ يقوم من سجدته حتى وجَدَ أن الخاطرة قد أفلتت من ذاكرته. فالفكرة المستحسنة، والخاطر الجديد، والرأى المتوقّد، وما فى الروايات والخطب والكتب والأحاديث، كلها تفرُّ منا فراراً إذا لم نحرص على تقييدها ما استطعنا. يقول هنرى هازلت الناقد الإنجليزى فى كتابه « التفكير علم »: « الخواطر سريعة الطيران، فلا تحتقر حيلة تمكنك من اقتناصها وإن هانت »

نعم إن العبقرية لا تكتسب بتقييد السوانح، ولكن مما له خطره ودلالته أن

عدداً لا يستهان به من قادة الرأى والفكر كانوا حِراصاً على تقييد سوانحهم . فهذا داروين قد كتب مذكرات لا تحصى ، وبخاصة إذا وقع على حقيقة جديدة أو رأى يخالف ما انتهت إليه أبحاثه : « ما دامت الحقائق أو الأفكار التى لا تستهوينا أقرب انفلاتاً وفراراً من التى تستهوينا » . وكان من عادة روبرت لويس ستفنسون الروائى الأسكتلندى أن يحمل معه دائماً مجلدين ، أحدهما كتاب ليقرأ فيه ، والآخر كراسة يقيد فيها خواطره . أما توماس هوبز الفيلسوف الإنجليزى المشهور الذى شغل أوربة فى القرن السابع عشر بآرائه وأفكاره، فقد كان من عادته إذا خرج يتمشى مسافة طويلة أن يحمل عصاً قد أخفى فى رأسها دواة وقلماً ، وتكون معه فى جيبه كراسة ، فيخرجها « ساعة تُومِض فى عقله خاطرة » . وأما جوناثان إدواردز أحد أصحاب العقول الفذة فى فجر التاريخ الأمريكى ، فكان من عادته أن يكتب ما يخطُر له وهو على متن جواده ، ويشبك القصاصات بدبوس فى معطفه ، فإذا بلغ غايته رأيت مخلوقاً عجباً تخفق عليه جُذاذات الورق .

والمجهود الذى نبذله فى تقييد ما نريد ، خليق أن ينقش الفكرة فى عقولنا نقشاً . فلماذا يحجم المرء عن أن يرسل إلى « أمين المحفوظات » وهو العقل ، إشارة يرغب إليه فيها أن يتولى حفظ بعض الأفكار المتخيرة فى أماكنها ، لكى تكون ذخيرة يلجأ إليها فى ساعات تأمله . فالعقل لا بد له من مادة عتيدة مدَّخرة حتى يستطيع أن يجيدَ التفكير والعمل .

ومن حسنات تقييد الخواطر أنه يعيننا على تقدير الآراء حقَّ قدرها ، ويكون تمهيداً لحصر الفكر والتأمُّل . ومجرَّد تقييد الخواطر تدريب على حسن الاختيار . والمرء إذا كان يقظاً مُدَرَّباً على الملاحظة ، فالأشياء التى يقيدها تكون كالومَضات الساطعة تكشف له عن أبْكار المعانى والآراء .

فعلى قدْر ما يتولد من أبكار هذه المعانى تكون قيمتها وصلاحها ، إذ ينبغى أن نجد فيها ما يشحذ العقل ويكثر الخواطر . فيسأل أحدنا نفسه : أهذا معنى مقبول بلا قيد ولا شرط أم بقيد وشرط ؟ وماذا وراءه من معان ؟ وما الخواطر التى تتداعى إليه وتتبعه ؟ وهلْ هو خيرٌ من أشْباهه التى نعرفها ؟

يقول علماء النفس : إن أجدى طريقة فى تثبيت الأفكار فى الذهن ، أن تقرنها إلى أفكار أخرى ثابتة فيه . فتقييد الخواطر يجعل الفكرة تدخُل فى حوزتنا ، وتجعلنا نمارسها ونجرِّبها بأنفسنا .

وكثيراً ما يحصر أحدنا فكره فى شىء ما، فتنجم له فكرة طارئة تلوحُ فى ناحية قصيّة من فكره ، فينبغى أن نتعوّد اقتناص مثل هذه الفكرة . يقول جراهام والاس فى كتابه « فن التفكير » : « خيرُ ما يفعله المرء أن يقيد هذه السوانح الطارئة كما هى بغير تهذيب ولا صَقل ، ثم يدعها حتى يتاحَ له أن يمتحن جوهرها ويصقلها وينقيها من شوائبها »

وأنا أقيد ما يخطر لى على جُذاذات صغيرة من الورق ، فآخذها بين الحين والحين واراجعها. فإذا آراء فى موضوعات شتى ، بعضها متعلق بالفلسفة وبعضها يمتّ إلى عملى الذى أزاوله ، وكثير منها لم يكتب بصيغة وافية بالمراد . فهذه فكرة تتعلق ببيع بعض المنتجات التى يهمنى أمرها ، وقد حسنت الفكرة شيئاً فشيئاً ، وأنا اليوم أرجو أن أنتهى إلى تدبير صالح فى أمرها .

وأعرف رجلا من أصحاب المصانع لا يزال منذ سنين فى طليعة أصحاب صناعته ، فما عاد قطّ من طوافه فى أرجاء مصنعه إلا وفى يده قصاصات قيد فيها بعض الرأى فى تيسير عمل أو تبسيطه ، أو فى توفير الوقت، أو فى تحسين الأسلوب ، أو فى تغيير الرسم، أو فى معاملة الناس. وهو يتصفح هذه القصاصات كل بضعة أيام ، فلا يزال يمتحن الفكرة منها ويتمم نقصها ، حتى يثق أنها بلغت غاية التمام .

والكتابة تصفى الأفكار من كدَرها . وبين معارفى رجلٌ يرى رأى جرانفيل كليزر فى أن : « الدؤوب على استخدام القلم فى كل يوم هو خير وسيلة لتهذيب الأفكار وصقلها وتوضيحها » ، فصار من دأبه أن يحرص فى كل يوم من أيام السنة على أن يكتب كل ملاحظة تسنح له أو فكرة تلوح له، سواء رضى عنها أو سخط. وأفكاره تمتد إلى أشياء شتى متباينة — الناس والفلسفة ، والسياسة وطبائع البشر ، وعمله الذى يزاوله — وقصارى القول أنها تستوعب الحياة كلها . وقد قال إن هذه السُّنّة التى حرص على اتباعها جعلته أدقّ ملاحظة وأصفى فكراً ، وصار ذهنه أحفل مما كان بالمعانى والأفكار ، وعلمته الكتابة أن يكون أسلسَ عبارة عما يجول فى نفسه وأفصح بياناً .

أما الكاتبة المشهورة « إيدا تاربل » فقد جعلت دأبها منذ سنين أن تعمد إلى آلة تسجيل الأحاديث ، بعد أن تفرغَ من قراءة صحف الصباح ، فتملى عليها تعليقها على شىء استرعى اهتمامها فأرهفت هذه العادة قُوَى عقلها وتفكيرها . فما نشكُّ أن شدّة كلفها بألوان مختلفة من وجوه

الحياة ، بعد أن بلغت الحادية والثمانين من عمرها ، هى الدليل البين على مافى هذا الأسلوب من نفع وصلاح .

وعلاقة القراءة بالتفكير تتطلب بعض التدبر . وقد سار قول توماس هوبز فى الناس مسير المثل ، إذ قال إنه لو كان قرأ مقداراً كالذى قرأه سواه ، لكان أقلّ علماً ومعرفة . وقال كاتب آخر: إن من يحاول أن يفكر عن طريق القراءة أشبه بمن يحاول أن يتعلم الرسم عن طريق شفّ الصور ، فهو يدع عقل الكاتب يفكر له أو يلاحظُ الملاحظات . وهذا ديمقراطيس الفيلسوف اليونانىّ الذى عاش فيما قبل سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، قد بلغ به أنه أراد أن يسْمُل عينيه ، فيذهب بصره فيكفّ عن القراءة ، وبذلك لا يجد محيصاً عن أن تنصرف قواه إلى التفكير .

ولكن هناك حقيقة أخرى هى أن أكثر كبار المفكرين كانوا من الذين لا يدعون شيئاً إلا قرأوه ، بيد أنهم كانوا يعرفون كيف يقرأون. والسرُّ كل السرّ هو أنهم كانوا يرخون لتفكيرهم طرفاً من عِنانه ، فإذا هيّجَتْ نوازعَ الخيال فكرة عرضت لك فى أثناء ماتقرأ،وسلكت بك فى طريق جديدة من التفكير ، فمن الحكمة أن تطوى الكتاب أو المجلة من ساعتك ، وأن تدع عقلك يسبحُ طليقاً فى جو لا عَهدَ له بمعالمه . وهكذا تجعل القراءة حافزاً منشّطاً إلى التفكير السليم الأصيل .

ويقول جراهام والاس : إن قراءة الصحف عند كثير من الناس « تدريبٌ مستمرّ مَدَى الحياة على اكتساب عادة مستهجنة هى الاستمتاع المتراخى ثم النسيان المطلق لسلسلة من الأفكار لا يربط بينها رابط » . وهو يوصى بقص قصاصات مما يهمنا وتصنيفها وحفظها . أوليس من العجيب أنّ أكثر الناس لا يولع أحد منهم بموضوع واحد على الأقلّ ، يحرصُ على معرفة كل شىء عنه ؟

وإذا أخذ أحدنا كتابا يقرؤه فانتهى إلى فقرة أو جملة يخيل إليه فجأة أنها تجاو له غوامضَ موضوع أو تنير له معالمهُ ، أو وقع على فكرة جديدة أو رأى يثير عجبه، فمن خطل الرأى أن يتخطّاها دون أن يقيدها لنفسه على طريقة ما ، فيضمها بذلك التقييد إلى ذخيرته من المعانى والأفكار . وإذا لم يفعل ، فما من شك أنه لن تنقضى ساعات قلائل حتى تضل عنه فى ضباب الذاكرة المطبق ، أو تغيب فى غمرة أفكاره الأخرى .

وكم من رجل وامرأة من خيرة العلماء والمثقفين ، يرجع الفضل فى أكثر ما بلغوه

وحصّلوه إلى اعتيادهم أن يقرأوا وفي يدهم قلم». فالكتب لا تتبارى متسابقة في عقولهم بل تدلف هادئة حتى تستقر في منازلها .

ونحن اليوم نعيش في زمن السرعة الخاطفة، فالأفكار والمعاني والملاحظات والآراء والخواطر تنثال علينا انثيالا متداركاً ، فإذا لم نستعمل عادة التقييد بالكتابة ، فإن بعض الأفكار الجليلة الخطر وشيكة أن تفرّ منا أو تموت وينقطع أثرها . وأجلّ من ذلك وأكبرُ أن اعتياد تقييد السوانح خليقٌ أن يكون نعمة من النعم الجزيلة على كلّ من يريدُ أن يستيقظ من غفوته ويفكر .



## هوّنه عليك !

اشتهرت دوروثي فيلدز بما صنّفتهُ ولحّنته من الأغاني الشعبية الشائقة . وهي فتاة ذكية واسعة الحيلة ، فيوم كانت تلميذة في المدرسة الابتدائية ، طلبت منها مدرّستها أن تنشئ رسالة موضوعها : « أبعث ما رأيتُ على الضحك » . فلم تكد تنقضي دقيقة حتى سلمت ورقتها إلى المدرّسة ، فبهتت وفتحتها فقرأت فيها : « كان أبعث ما رأيت على الضحك ، أبلغ من أن يوصف » .

[ جريس بركنز أورسلر ]

كان ذلك في الحادية عشرة من عمره ، وكان في المدرسة ولداً « شقيًّا » فأمرته المدرّسة أن يلبث في المدرسة بعد انصراف الفصل ، وأن يكتب رسالةً مؤلفة من ٥٠٠ كلمة . فكتب ما يلي :

سكة الحديد : حين تقف على خط السكة الحديدية ، وترمي ببصرك إلى أمام ، ترى ما بين القضبان قد أخذت يضيق ، ويضيق ، ويضيق . . . ( وهكذا حتى صار عدد كلمات الرسالة ٥٠٠ كلمة ) .

[ لوسيل شاور ]

كانت جارتنا قلقة لأنها لم تتلقّ رسالة من ابنها في المدرسة منذ أسابيع ، ثم جاءتها رسالة فإذا نصُّها :

« أمي العزيزة : لقد فرضوا علينا أن نكتب إلى أهلنا . سلامي . جاك »

[ صحيفة « أتلانتا جورنال » ]

إذا ابتليت سهول أمريكا العظيمة بقحط عام ، فلن ينحصر أثره المدمر فى غذاء أمريكا ، بل يتعداه إلى غذاء العالم قاطبة .

# بلاء القحط

مختصرة من
صحيفة "سان لويس بوست دسباتش"

ثانس جونسون

كان العام الماضى عامَ جفافٍ فى السهول العظيمة غربىّ نهر المسيسبى ، وقد أخذت الريح تهبُّ على وجه التربة ، فتسفى ترابها الناعم سَموماً كثيفاً يحرق حقول الحبوب ويقتلع القمح من جذوره . وترى الفلاحين فى هذه السهول يرمون ببصر زائغ إلى السماء ، كأنهم يسألون : أينزل بهم بلاء قحطٍ عامّ كالقحط الذى نزل سنة ١٩٣٣ ؟

فإذا احتبس المطر ، وهو خطر دائم يهدّد هذه السهول ، كان احتباسُه بدء الكارثة . قلّب نظرك فى السهول تر فيها جميع العناصر التى تمهّد للنكبة ، فالناس يجنون مالاً وفيراً من عملهم ، والفلاحون وأصحاب الأرض على السواء ، يرتكبون الأخطاء التى ارتكبوها من قبل ، وينسون العِبرَ التى ابتلوا بها فى محنتهم السابقة .

وحالة الجوّ فى السهول تتقلب من النقيض إلى النقيض ، من عشب غزير غضّ ومحاصيل وافرة ، إلى جفاف وإمحال ، ومن ثراء ضخم يكدَّسُ على عجل ، إلى إفلاس وفاقة . وقد وصف الرعاة والروّاد الذين طافوا بهذه



[ وبدا للناس كأن الأرض كلها قد أثارها مثير ]

الأرض منذ ٧٥ سنة ، عواصف من الرمل تعمى الأبصار ، سفتها الريح من دروب الجاموس وقيعان الأنهر الجافة . وأما المطر فينهمر حين ينهمر مدراراً ، فتتدفق الجداول إلى الأنهر العظيمة ، ولولا العشب القوىّ المتماسك ، لجرف الماء تربة هذه السهول ، فإذا أزيل العشب فلا مفرّ لسطح التربة من أن تسفيه الريح أو يجرفه المطر .

هذه السهول المترامية التى تبلغ مساحتها نصف مليون ميل مربّع ، ظلت حتى

سنة ١٨٨٠ يكسوها عشب يبلغ ارتفاعه إلى الخصر، ولم تمسها يد إلا فى مزارع أنشأها الهنود الأمريكيون الذين برعوا فى الزراعة والرى قبل عهد كولمبوس بنحو قرنين.

ولكن لم يكد الأمريكيون يقهرون الهنود حتى تدفقت على السهول أمواج من قطعان الماشية، وبدا لكل متطلع أن الثراء معقود بنواصى فحول البقر. ولم يلق أحد بالا إلى العشب حتى المجزوز على مساواة سطح الأرض. وقد أنذرتهم الطبيعة، فحل جفاف شديد قصير المدى فى سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥، فلم يعبأ به أحد، إذ كان سيل الأموال المتدفقة الميسرة قد خلب ألبابهم.

ثم كان يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٥.

تنفس الصبح عن يوم صاف دافىء ككل يوم منذ بداية شهر أكتوبر، فما انتصف الصباح حتى بدأت غيوم تتلبد فى السماء. فلما وافى الظهر همى غيث، ثم هبط البارومتر على حين فجأة، وعصفت الريح، وسقط الثلج بدلا من المطر، فما أمسى المساء حتى كانت درجة الحرارة تحت الصفر، فلما أسفر فجر اليوم التالى كان الصقيع قد ضرب السهول وأحال أديمها صفحة جامدة. واشتد عزيف الرياح، وهبطت الحرارة إلى ٢٩ تحت الصفر بميزان سنتجراد.

واستدبرت المواشى مهاب الريح، فساقتها جنوبا. وكذلك كان شأن سائر الحيوان من كويوت، وذئب، ووعل. وهوت قطعان بأسرها فى مخارم الجبال وهلكت، أو ضربها البرد فجمدت وهى تحاول أن تعبر الأنهار.

وأرسلت رسالة من دودج ستى فى ١١ يناير ١٨٨٦ جاء فيها: «روى رجل من مزرعة قريبة إلى الجنوب من المدينة، أنه رأى مواشى تجمدت وهى فى مكانها». وبعد ثمانية أيام ورد من جاردن ستى أن: «عشرة آلاف من الماشية هلكت بين المدينة ونهر المرأة البيضاء».

ومضت الريح عاصفة هادرة، وهبطت الحرارة إلى ٣٤ تحت الصفر، وتراكم الثلج بعضه فوق بعض، وجعل الناس فى المدن يحرقون الذرة ليصطلوا بنارها. فلما خمدت العاصفة فى أخريات يناير، كان عشرات من الرعاة والفلاحين وسكان المدن قد هلكوا، وصارت جيف الطيور والحيوانات الميتة تغطى وجه السهول.

وقد بلغ ماهلك من المواشى مبلغا فظيعا. وهذا صاحب مزرعة كبيرة أبى أن يبيع قطيعه قبل العاصفة بخمسة وعشرين ألف ريال، فباع ماتبقى منه بخمسمئة ريال. وقد هلك نصف المواشى فى الجزء الجنوبى الشرقى من ولاية كولورادو. ومن الرعاة من أقسم أنهم كانوا يستطيعون ان يمشوا على جيف البقر الهالكة مسافة أربعمئة ميل.



وأفلست تجارة الماشية ، وأما السكان فقد هالهم ما نزل بهم فغادروا مستعمراتهم، ولكن ماهو إلا أن أقبلت طائفة جديدة من المستعمرين ، وظلوا يتوافدون ثلاثين سنة تباعاً، فقد أغرى ألوفا من المتفائلين ماردّده الناس عن ثروة تجمع على عجل، وهبات من الأرض تهبها الحكومة للمستعمرين، وكلام معسول يجرى على ألسنة المروّجين لبيع الأرض .

وظلّ المطر فوق المعدّل سنة بعد سنة ، إذا استثنينا جفافا دام خمس سنوات فى أواخر القرن الماضى. وجاءت الجرّارة وما يلحق بها من أدوات الزراعة، فيسرت للزراعة أن يتسع نطاقها . ونشبت الحرب العالمية الأولى فارتفع سعر القمح ارتفاعا عظيما. وظلت الجرّارات تعمل ليل نهار ، تحرث الأرض التى كساها العشب. وقد كانت مساحة الأرض التى زرعت قمحاً فى سنة ١٩٣٠ سبعة أضعاف ما كانت عليه فى سنة ١٩١٠ . وعلى أن أرضاً مترامية حوّلت إلى الزراعة ، فقد زادت المواشى حتى بلغ عددها رقماً لم يبلغه منذ سنة ١٩٠٠ ، فلما ضربها القحط فى سنة ١٩٣٣، لم يكن الناس ولا كانت الأرض على أهبة لدرء نكبته.

فقد مضى شتاء سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ دون أن ينزل ثلج يذكر. وكان القمح ضعيفاً سقيما، وكان سطح التربة كأنه ذرور ناعم، وازدادت شدة الريح فى شهرى فبراير ومارس وكثر الغبار، فدار فى خلد الفلاحين أن هذا ليس بالجفاف المعهود ، ثم علموا ذلك علم اليقين فى يوم ١٤ إبريل .

إنهم لن ينسوا ذلك اليوم ما عاشوا .

فقد لاح لهم كأن كلّ حقل فى غربى ولاية كانساس قد بدأ يتحرّك، فقد انحدرت عليهم الرياح من الشمال، وشقت سطح التربة وحملت التراب سحابا كثيفاً ظل فترة ملاصقاً لسطح الأرض، يلهب وجهها بسياطه. ولم تلبث التربة نفسها حتى أخذت تتحرّك ، وكان الغبار يزداد ارتفاعا فى الفضاء كلما اشتد هبوب الريح. وضاق مجال الرؤية حتى صرت لا ترى إلا أقرب الأشياء إليك. وكانت السيارات تطلق أنوارها فى النهار أو الليل، فيكتنفها ضوء أزرق إلى الخضرة يروع الناظرين .

وحين دنا وقت الظهر، لاح كأن الريح أخذت تحتمل كتلاً من التراب والدبال وتقذفها فى الهواء ، وإذا غيمة من التراب الأسود تملأ الفضاء من جانب الأفق إلى جانب الأفق ، ثم تمضى جنوبا .

وقد كانت حركة غيوم التراب سريعة ، فأطبقت على مدن بأسرها قبل أن يتمكن سكانها من أن يدخلوا بيوتهم. وكانت الريح المندفعة تسبق وصولها، ثم يغشى المكان ظلام دامس. وتسرّب الغبار إلى البيوت، مهما كانت

محكمة البناء ، حتى لتعجز عن أن ترى ما فى الطرف الآخر من الحجرة . وكان الهواء مشحوناً بالكهرباء ، فكانت تأخذ الناس رِعْدة إذا ما لمسوا جسماً مصنوعاً من المعدن. وشق التنفس، فما يخفف من ألمه قليلا إلا خرقة مبلولة توضع على الفم والأنف . وفسد الطعام على الموائد، وصار اللبن سائلا أسود ، وغطى الغبار الأسرّة والسجاجيد والأثاث، والملابس فى الخزائن ، والطعام فى الثلاجات .

وبعد أربعين دقيقة مرّ أحلك جزء من العاصفة، وبدأت تستبين مصابيح الشوارع على مسافة ٥٠ ذراعاً ، ولكن الظلام أقام ثلاث ساعات أخرى. فلما انقشع ، خرج الفلاحون إلى الحقول ليتفقدوا ما تلف من محاصيلهم وحيواناتهم ، فكانوا يدوسون على جيف الأرانب البرية والعصافير ، وألسنتهم تلهج بالسِّباب واللعنات .

وكانت درجة الحرارة ، فى شهر مايو ، ٣٨ فى الظل، يوماً بعد يوم . وظلت الريح تهبُّ والغبار يذهب ويعود ، يحرق القمح ويكوّم التراب أكواماً .

وفى صباح ١٠ مايو بدا للناس كأن الأرض كلها قد أثارها مُثير. وحلّ محل الغيم الأسود ستار أغبر يمتدُّ مسافة ألف ميل حجب قرص الشمس من الشمال إلى الجنوب. وحدث تماسٌّ فى أسلاك السيارات التى كانت فى الطريق ، وجرّدت حقول كثيرة من ترابها حتى تعرّى ما تحت التراب من صخور .

وهبَّت ريح سرعتها ٦٠ ميلا، فحملت سحباً من الغبار مهبُّها إلى الشرق ، فلم يجيء الليل حتى كانت سحب التراب قد احتوت مدينة شيكاغو ووادى أوهيو .

وقدَّر الخبراء ما وقع على مدينة شيكاغو من تراب السهول بنحو ١٢ مليون طن . وفى اليوم التالى أطبق على شرق الولايات المتحدة هبوب قاتم حجب الشمس خمس ساعات فى نيويورك ووشنطن . وروى ركبُ سفن المحيط الأطلسى التى تبعد ٣٠٠ ميل عن الساحل ، أن الغبار أخذ يسقط على متونها .

وقدرت وزارة الزراعة بأن خمسين مليون بوشل من القمح قد تلفت ، فاستبدّ الذعر بالأمة ، وبادر الكنجرس فأرصد مالاً للإغاثة ولشراء البنزين والزيت للجرارات حتى تستعمل فى شقّ الأخاديد العميقة وبذر القمح فيها، وتغطيتها حتى لا تسفيها الريح .

وعلى أن الفلاحين جهدوا ليل نهار ، واستعانوا بكل وسيلة ، فقد ظلت عواصف الغبار تهبُّ خلال سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ . وقد جرّد بعض الأراضى من كل عشب نامٍ ، حتى لقد عمد بعض الغربان إلى الأسلاك الشائكة يتخذها لبناء أوكاره . وفرّ ألوف من الفلاحين من هذه المنطقة .

وأقام من أقام ، لأنهم لم يهتـدوا إلى أين المفرُّ . وفى صيف ١٩٣٦ كان معظمهم يعيش على هبات تمنحها الحكومة .

وعين الرئيس روزفلت لجنة من الخبراء لدراسة الموضوع ، فقررت أن فى المنطقة بقية من رجاء . ووضعت القواعد التى ينبغى أن يتبعها الفلاحون والحكومة فى سبيل إنقاذها .

وقد قام كلٌّ من الفريقين بما عليه ، فصنع الفلاحون ألوفاً من المصاطب فى المزارع والمراعى ، وجعلوا الحرث خطوطاً متعرجة لا خطوطاً مستقيمة ، وشقوا أخاديد عميقة ، وبنوا ألوفاً فى السدود الصغيرة لحبس الماء لشرب الماشية . وغرست مصلحة الغابات ٢٢٧ مليون شجرة جعلتها نطاقاً يحمى المنطقة من ناحية حدودها الشرقية . وغرست مصلحة حفظ التربة ٥٦ مليون شجرة حول المزارع فى قلب منطقة القحط ، فكان لها أثر ناجع فى وقاية التربة من فعل الرياح السافيات .

ثم عاد المطر ينهمر ، فامتلأت البحيرات وصارت الجداول مفعمة فى سنة ١٩٣٨ ، فكتبت صحيفة تقول : «هذه منطقة الوحل» لا « منطقة القحط » . لقد عادت الحياة تملأ جنبات السهول عوداً سريعاً .

ولكن الحرب العالمية الثانية نشبت ، فاشتد الطلب على اللحم والقمح ، وظلت الرطوبة فوق المعدل ، فأصابت المنطقة رخاء عظيماً ، فعاد كبار الملاك وصغار الفلاحين يرتكبون حماقاتهم القديمة .

فقد حولت ألوف من الأفدنة من أرض للمراعى إلى حقول لزراعة القمح ، وأهمل الفلاحون أساليب الزراعة التى أشارت بها لجنة الخبراء ، وعادت المحاريث تشقُّ الأرض ، واكتظت المراعى بعدد ضخم من الماشية . فالأحوال اليوم كالأحوال التى سبقت النكبات الماضية .

وقد أنذرتهم الطبيعة فى هذا الربيع ، فالرطوبة فى الطبقة التى تحت التربة قد بلغت حدًّا يبعث على الجزع فى السهول الجنوبية جميعاً . ولجنة «السهول العظيمة» فى وزارة الزراعة تقول فى تقرير من تقاريرها : «إن هناك ٤٥٩٥٠٠٠ر٤ فدان عرضة لشرّ السافيات» . وقد عاد الغبار يملأ الهواء ، ويحيل ضوء الشمس خابياً داخناً يثقل على صدور العاملين فى الخلاء . وقد هبت عاصفة كبيرة من غبار ، فاهتمت بها الصحف اهتماماً بالغاً . أهذا توطئة لنكبة مقبلة ؟ إن مصلحة حفظ التربة تخشى أن يكون ذلك كذلك فهى تقول :

«ستصاب جميع نواحى السهول بجفاف شديد — عاجلاً أو آجلاً » .

لقد أصبحت هذه السهول مرة أخرى عرضة لنازلة تصيبها فى المقتل .

أخرج ذهنه الخصب نحو ٤٠٠ اختراع ، أفضت إلى قيام ستين شركة وأربع صناعات جديدة .

# مخترع عبقري

## جورج وستنجهاوس

مختصرة من مجلة « كورونت »

زيم ا. ليديت



الناس في هذه السنة تحتفل بانقضاء مئة عام على ولادة جورج وستنجهاوس المخترع العظيم ، ومع ذلك لم يُبلِ الزمن جدّة مخترعاته، فتكاد جميعها تكون نافعة اليوم كما كانت يوم صنعها . وقد ظل ثماني وأربعين سنة يسجل مخترعاتهِ بمعدل اختراع في كل شهر ونصف شهر ، فأفضت إلى قيام ستين شركة وأربع صناعات جديدة . وقد تيسرت لك أسباب الضوءِ الكهربائيّ والمعدات الكهربائية التي في بيتك ، لأنه أول من أقام الدليل ، برغم معارضة إديسون القوية ، على أنهُ في الوسع نقل التيار الكهربائي نقلاً صالحاً على مسافات بعيدة .

وقد كان وستنجهاوس يحبُّ الاختراع ، ويتذكر أحد زملائه أنهُ رآهُ يوم كان في الخامسة والأربعين من عمرهِ ، مرتدياً أقذر ثيابه ، ومكبّاً على محرّك دوّار في ورشته ، في الفترة ما بين اجتماع مجلس الإدارة وحفلة الاستقبال : « فقد كان العمل عنده بمنزلة قسط من الراحة يصيبه في لعبة أو رياضة » على ما قاله هذا الصديق .

وهذا المحرّك الدوار كان الاختراع المخفق الوحيد ، بين ٤٠٠ اختراع أنتجها ذهنهُ الخصب . ولكنهُ لم ينبذهُ نبذ النواة ، فقد كان يقول : « أعرف صبيّاً صنع صورة لرجل فلم يرضَ عنها، فأضاف إليها ذيلا وادّعى أنها صورة كلب »، وكذلك قلب وستنجهاوس محرّكه بين يديه ، وجعله عدّاداً للماء . فصار أساساً لصناعة جديدة .

لم يطلب وستنجهاوس العلم في جامعة ، وكانت ورشة أبيه أحب المصانع إليه . فلما كان في الثانية والعشرين من عمره أتتهُ الشهرة منقادة ، مصادفة واتفاقاً . فقد اصطدم قطاران من قطارات الشحن، فتأخر

قطار ركاب كان هو مسافراً فيه . وكان اصطدام القطرات كثيراً فى تلك الأيام ، لأن فرامل القطرات كانت تشدّ باليد ، فيتعذر وقف القطار على عجل . ففحص وستنجهاوس حطام القطارين ، وسأل السوّاقين ، ومضى إلى بيته وقد عزم أن يستنبط جهازاً يمكن المهندس من أن يشدّ الفرامل على مركبات القطار جميعاً فى وقت معاً .

كان غيره قد سبقه إلى بحث هذه الفكرة ، وكان بعضهم قد جرب صناديق من البخار تركب فى كل مركبة لشد الفرامل ، فوجدها غير مجدية . وذات يوم قرأ هذا المستنبط الشاب مقالا فى مجلة عن نفق فى جوف « مون كنيس » فى جبال الألب الفرنسية الإيطالية ، وكان النفق قد حفر بأجهزة تثقب الصخر ، يحركها هواء مضغوط .

فتبين سر الجهاز المطلوب فى لمحة عين ، ووضع تصميماً لفرملة يحركها الهواء المضغوط . وهذه هى فرملة وستنجهاوس الهوائية التى تعتمد عليها جميع القطارات فى أمريكا ومعظم بلاد الأرض .

وقد علم بعد ذلك أن غيره فكر فى الانتفاع بقوة الهواء المضغوط ، ولكن تصميمه امتاز بخاصتين جديدتين ، فتغلب على جميع الذين نازعوه حق الانتفاع به أمام القضاء . أما الخاصة الأولى فقطعة من أنبوب تصل بين أنابيب الهوا المركبة فى كل مركبة على حدة ، وأما الثانية صمامات أوتوماتيكية أحكم تركيبها ، بحيث تشد شداً محكماً إذا انفصمت وصلة الأنبوب بين مركبتين . فإذا حدث لقطار ما جعله قسمين منفصلين ، وقف الجزء الخلفى لأن الفرامل أوتوماتيكية ، وتظل الفرامل فى الجزء الأمامى عاملة ، لأن الصمامات تنسدّ بعد الانقطاع فلا يفلت الهواء المضغوط من الأنابيب .

ولم يكد يضع فرملته حتى بدأ جهاداً مرهقاً مضنياً ليقنع أصحاب السكك الحديدية بنفع ما صنع . فرد عليه كرنيليوس فندربلت صاحب « شركة نيويورك سنترال » بكلام كأنه حد السيف : « أتريد أن تقول دون خجل أو حياء أن الهواء يستطيع أن يقف قطاراً متحركا؟» . وأخيراً أقنع وستنجهاوس شركة صغيرة بأن تمتحن فرملته ، فما كادت القاطرة تستجمع قوتها للانطلاق ، حتى شُدت الفرامل ، فوقف القطار عن الحركة وقفاً عنيفاً على غير انتظار ، ودفع الركاب دفعاً قوياً . فثارت ثائرتهم على المخترع الشاب ، وجعل هو يعدو ليرى ماذا حدث ، فوجدوا على الخط الحديدى أمام القاطرة ، سائق

عربة انقذف من عربته ساعة أجفل حصانه، ولولا الفرملة لداسه القطار .

وقد بدأت شركة وستنجهاوس لفرامل الهواء تصنع الجهاز الجديد سنة ١٨٦٩، يوم أن كان المخترع فى الثالثة والعشرين من عمره . وكانت القطرات التى زادت سرعتها فى حاجة إلى نظام دقيق سريع من الإشارة وأساليب تحويل القطار. فوجه وستنجهاوس اهتمامه إلى هذه الناحية ، فابتاع المخترعات المسجلة التى كانت معروفة يومئذ ، وضم إليها ما ابتكره هو ، حتى تم له هذا النظام المحكم ، فأنشأ لاستغلاله شركة « يونيون سويتش وسيجنال » التى لا تزال فى طليعة الشركات .

واهتمامه بالإشارة أفضى به إلى الاهتمام بالكهرباء ، ففى العقد التاسع من القرن الماضى ، كان المشتغلون بالكهرباء يتناقلون الحديث عن مخترعات جولارد وجبز فى فرنسا ، والتى تمكن من أراد أن ينقل تياراً كهربائياً متقطعاً فى الأسلاك مسافة بعيدة — وهو ما كان متعذراً فى التيار الثابت المستمر . فأرسل وستنجهاوس رجلا إلى فرنسا، وأمره أن يشترى « حقوق » مخترعات جولارد وجبز « بأى ثمن » . وقد فعل، فكلفه ذلك ٥٠ ألف ريال ! فأعاد وستنجهاوس تصميم جهازها ، وصنع محولا جديداً أفضل من محولها ، ليزيد الضغط الكهربائى العالى أو يخففه ، وأنشأ مركزاً صغيراً للتجارب فى مدينة بتسبرج .

ثم بدأ نضال دام عشر سنوات بين وستنجهاوس الداعى إلى الانتفاع بالتيار المتقطع ، وبين الذين لا يرضون عن التيار الثابت بديلا . وكان مدار « حرب التيارين » أن التيار المتقطع يصعق من يمس الأسلاك التى يجرى فيها إذا ما زيد ضغطه الزيادة اللازمة لنقله مسافات بعيدة . ولما اتفق أن لمس صبى أحد هذه الأسلاك وصعق فمات ، حملت الصحف على ما استحدثه وستنجهاوس ، وصدرت قوانين تحظر مد الأسلاك التى يجرى فيها تيار عالى الضغط فى شوارع كثير من المدن .

وكتب إديسون ، أعظم المشتغلين بالكهربائية فى عهده فقال : « ليس ثمة ما يسوغ إستعمال التيارات المتقطعة ، لا فى العلم ولا فى العقل ، وأما أنا فأود أن يحظر استعمالها » .

فرد عليه وستنجهاوس : « إن التيار الكهربائى سيقتل بعض الناس ولا ريب ، وكذلك الديناميت ، والوسكى ، وكثير غيرها . ولكن عندنا وسيلة تمنع الكهرباء المدمرة فى التيار المتقطع من أن تؤذى أحداً » .

وقد جنى وستنجهاوس ثمرة إيمانه بالتيار المتقطع يوم نافس إديسون على إضاءة معرض شيكاغو العالمي في سنة ١٨٩٣ وظهر عليه. ولكن إديسون كان يسيطر على الشركة الوحيدة التي تصنع مصابيح كهربائية جيدة، فدأب وستنجهاوس خلال ثلاثة أشهر على الاختراع والامتحان حتى وفق إلى صنع مصباح جيد. فأضاء به أرض المعرض، وظفر بحفاوة الناس جميعاً بما وضعه من نظام كهربائي.

وقد ظفر ظفراً آخر في تلك السنة يوم مُنح حقّ توليد الطاقة من شلالات نياجرا، فأقام ثلاثة مولدات لم تزل عاملة إلى يومنا هذا. ففي ليلة العاشر من نوفمبر سنة ١٨٩٦ احتشدت الجماهير في شوارع مدينة بفالو التي تبعد ٣٠ ميلا عن الشلالات، فلما انتصف الليل أدار محافظ المدينة مفتاحاً فغمرها ضياء باهر — ولدتهُ قوة كهربائية نقلت إلى المدينة من الشلالات. أما اليوم فإن ٩٥ في المئة من الطاقة الكهربائية تنقل بطريقة التيّار المتقطع. والقوة المحركة الرخيصة التي أتاحها «تيار وستنجهاوس»، قد زادت قدرة المصانع على الإنتاج زيادة لا تقدر، فكان ذلك بدء ثورة صناعية جديدة — بدء عصر القوة الكهربائية.

ولم يكد يشرف على ترويض شلالات نياجرا، حتى صرف عنايته إلى شيء آخر — الغاز الطبيعي. فقد كشف الباحثون فجوات كبيرة تحت الأرض زاخرة بهذا الغاز قرب مدينة بتسبرج حيث يقيم. فأمر بحفر بئر في فناء داره، فلما صار عمقها ١٥٠٠ قدم أصاب الحفارون الغاز الذي انطلق انطلاقاً قوياً فنسف غطاء الآلة ودمّر سائرها، ثم اشتعل الغاز، وظلّ لسان النار الهادر الذي بلغ ارتفاعه مئة قدم، يضيء المنطقة أسابيع عدّة، فضايق ذلك جيرانه مضايقة شديدة.

وأخيراً تمكن من سد البئر، وإذا وستنجهاوس يُلفي نفسه مشتغلا بتجارة الغاز الطبيعي. وأقبل على هذا العمل بما عهد فيه من نشاط وإقدام، فلم تكد تنقضي سنة واحدة حتى كان قد سجّل ٢٨ اختراعاً خاصاً بالغاز والانتفاع به. وبفضل براعته صار الغاز وقوداً نافعاً مأمون المغبّة. وكان الناس ينسون أن يقفلوا أنبوب الغاز حين ينقطع وروده، فإذا ورد في الأنابيب وقعت حوادث الاختناق والانفجار وشبوب النار، فصنع لهم جهازاً يدرأ هذا الشرّ، فيمنع من تلقاء نفسه انسياب الغاز من الأنبوب حين يقل ضغطه، حتى يعود غير صالح للاشتعال. واخترع سلسلة من الأنابيب، كلُّ حلقة منها أكبر قطراً من الحلقة

السابقة ، فتكفل هبوط ضغط الغاز هبوطاً مطّرداً حتى تبلغ درجة تصلح للاستعمال فى الدور ، وبهذه الأنابيب نقل الغاز من الآبار إلى المستهلكين . وقرب مدينة بتسبرج صناعة مزدهرة اشتهرت بها ، هى صناعة الزجاج التى تحتاج إلى الغاز ، وسبب نجاحها يعود على الأكثر إلى نجاح أنابيب وستنجهاوس فى نقل الغاز إليها من آبار بعيدة .

كان وستنجهاوس مهيب الطلعة ، فهو مديد القامة ، مفتول العضل ، أشيب الشعر مرسل الشاربين ، له فى نفوس الناس أثر قوى وسحر . وقد روى أنه فى أثناء مفاوضات مالية اقترح أحدهم على « شيف » المالىّ أن يلقاه فقال : « لا أريد أن ألقاهُ ، فهو خليق أن يقنعنى » . وكان يحبُّ معاشرة الناس وينعم بها . وقد ظل سنين كثيرة يقيم مأدبة عشاء فى بيته كل ليلة .

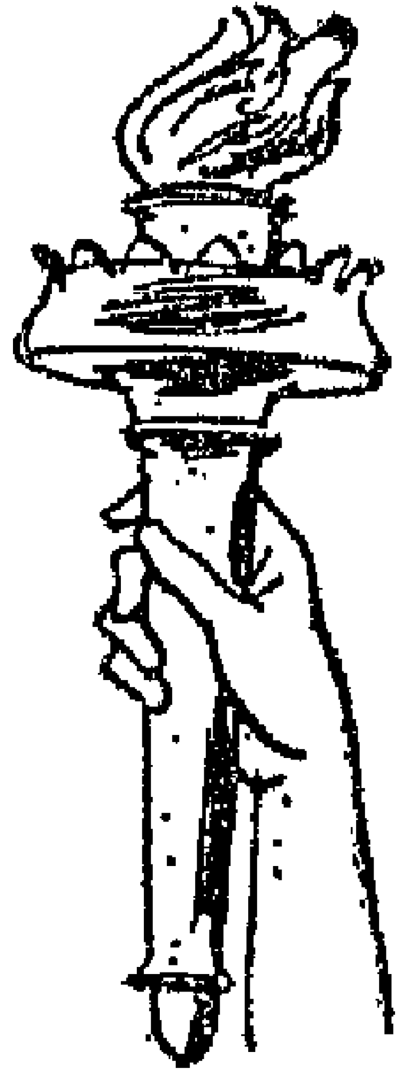
وكان يدأب على العمل فى بيته ومكتبه على السواء ، وقد فتن كثيرون من الذين عرفوه بأساليبه فى العمل . فهو فى بيتهِ يرسم رسومهُ جالساً على حافة مائدة ، أما حجر الرسم فى مصنعه فكان من دأبه أن يدخل إحداها على غير انتظار ، ويجلس إلى منضدة ، ويشغل نفسه بأى رسم يُلفيه ملقى عليها .

كان وستنجهاوس قد جاوز الخمسين قليلا حين أقدم على أعظم أعماله — صنع التربين البخارى الذى استغرق معظم جهده فى ثمانى سنوات . ولم يكن هو الذى اخترع التربين ، ولكنه كان فى طليعة الذين اتخذوه للانتفاع به فى السفن ، وفى توليد الطاقة الكهربائية فى المدائن والقرى .

ثم نزلت النازلة . ففى الذعر المالى الذى حلّ بالناس سنة ١٩٠٧ أحيلت شركاته إلى الحراسة القضائية ، وفقد سيطرته عليها ، لأن براعته فى تدبير المال لم تكن تضارع براعته فى الاختراع — فاختلت أموره . وبعد سنوات مضى به أحد شركائه ذات ليلة فى سيارة ، فجاسا فى مدينة بتسبرج. قال صاحبه : « فلما بلغنا اللوحة المضيئة الباهرة التى كتب عليها «شركة وستنجهاوس الكهربائية والصناعية» أشاح وستنجهاوس بوجهه عنها ، ونظر إلى التلال الجُرْد نظرة فيها من الألم والأسى ما يقطع نياط القلوب. وظل مدة طويلة لا ينبس بكلمة » .

وفى صيف ١٩١٣ خرج يوماً يصطاد ، فانقلب به الزورق ، فأصيب بزكام شديد ، واعتل قلبه ، ثم توالت عليه شهور كالحة من المرض والضنى ، ولكن ذهنه ظل صافياً يقظاً إلى يومه الأخير ، وفى ١٢ مارس ١٩١٤ ، كان جالساً فى كرسى قائم على عجلات ، وعلى مقربة منه رسوم صنعها هو لكرسى يحركه محرّك ، فجاءه أجله وقضى نحبه .





# حياة موظف سوفيتى في أمريكا

مختصرة من كتاب «اخترت الحرية»

فيكتور كرافشنكو

في ٤ إبريل سنة ١٩٤٤ استقال فيكتور كرافشنكو من لجنة المشتريات السوفيتية فى الولايات المتحدة ، محتجاً بأن الاتحاد السوفيتي يهدف إلى أغراض تناقض التعاون الذى قام بينه وبين أمريكا وبريطانيا العظمى زمن الحرب . وفيما يلى خلاصة لكتابه « اخترت الحرية » وهو يروى فيه كيف تختار الحكومة السوفيتية ممثليها فى الخارج وكيف تراقبهم :

نبتت فكرة ذهابى إلى أمريكا عضواً فى لجنة المشتريات السوفيتية أول ما نبتت فى يناير سنة ١٩٤٣ ، إذ اقتضى التوسع فى تنفيذ قانون الإعارة والتأجير ، أن توفد روسيا إلى الخارج مئات من المتخصصين . ولما كنت مهندس تعدين أشرف على بضعة مصانع منتشرة فى أنحاء روسيا ، فقد جعلنى ما قمت به أهلاً لمثل هذا المنصب ، وكانت سيرتى السياسية أيضاً ، كما تعرفها الحكومة على الأقل ، لا غبار عليها .

ولو كنت أنا البادىء بعرض نفسى لهذا الأمر ، لعدّ ذلك من قبيل سوء التصرف . فعلى قدر تلهفك على السفر إلى الخارج ينبغى أن يكون حرصك على كتمان هذه الرغبة . وفى أثناء حديث لى ذات ليلة مع موظف فى مصلحة التجارة الخارجيـة ، احتلت على أن أوقع فى نفسه أن أمامه رجلا جديراً بأن ينتفع به فى الخارج ، فتطوّع بتقديم هذا الاقتراح إلى الجهات المختصة .

وظللت بعد ذلك ثلاثة أشهر خيل إلىّ فيها أن جهود دولة مطلقة السلطان قد انصرفت كلها إلى مهمة واحدة ، هى الفحص عن أمر هذا الضعيف ، أعنى نفسى . وقد بدأ هذا البحث الدقيق فى وزارة التجارة الخارجية، وأخذ موظف صغير من عُرْض الموظفين يضع على عينيه نظارات غليظة ، يستعرض تاريخ حياتى منذ مولدى، ثم جعل يسألنى عن والدىّ وجدودى وسائر أقاربه وأصهارى ، ومَنْ عرفت من الأصدقاء والزملاء منذ عقلتُ .

ولقد جزت مثل هذا الامتحان مرات عديدة من قبل ، وقام الحزب الشيوعى

ومكتب الجيش وغيرهما من الإدارات، بتقييد كل صغيرة أو كبيرة فى حياتى . وكان يجب أن تكون الإجابات متطابقة فى كل مرة ، ومصدّقة للإجابات السابقة . فلو خانتك الذاكرة قليلاً أو تناقضت إجاباتك فى أمر هيّن ، هاجت ريبة الدولة من فورها . وقد دمّر كثير من أفراد الشعب السوفيتى مستقبلهم ، لأنهم خلطوا بين تاريخ وتاريخ .

وبعد ثلاثة أشهر استدعيت ثانية إلى وزارة التجارة ، ويومئذ تولى سؤالى موظف أعلى منصباً وأشد مكراً ، وظللنا ثلاث ساعات نستعرض تاريخ حياتى ، وهو يتريث بين الحين والآخر ليناقشنى فى آرائى السياسية ، ويوجه إلىّ أسئلة فيها أشراكٌ منصوبة ، ويتعمد الإدلاء بآراء خطأ ثم يعدل عنها ، حتى يأخذنى على غرّة .

وقد كلفت بعد ذلك أن أجمع كتب توصية من هيئات الحزب التى أعمل فيها . فلما فعلت أشاروا علىّ بأن أتقدم إلى الرفيق ليديف ، الوكيل المساعد لوزارة التجارة ، فعادَ يسألنى من حيث بدأت ، وهو يقلب بين يديه الملف الضخم المخصص لى .

وأخيراً قال بلهجة حازمة : « أيها الرفيق ، أتراك مقدّراً ما لوظائف الخارج من خطر الشأن ؟ إنه لزامٌ عليك أن تبرهن على جدارتك بالثقة التى حباك بها الحزب » .

فأجبت متواضعاً : « سأبذل جهدى أيها الرفيق ليديف » .

وبعد خمسة أيام استدعيت إلى مكتب اللجنة المركزية لكافة فروع الحزب ، فلقيت موظفاً أخذ يتفرس فىّ ملياً ثم قال : « يهمنى أن أعرف تفكيرك السياسى . فهل خامرك شك فى سياسة الحزب فى أمر ما ؟ »

فأجبته « كلا البتة ! » .

« ولكنك كنت فى مركز حرج أثناء التصفية فى سنة ١٩٣٦ و١٩٣٧ ، فقد كانوا يفحصون عن أمرك ويسألونك . فماذا كان من خبرك ؟ »

« لقد أخذتنى الدهشة ، بل ساورنى شىء من الغيظ ، فأنا أعلم أنى برىء » .

« أبقى فى قلبك شىء من هذا الغيظ ؟ »

فابتسمت كمن يسأل عن خرافة لا يتصورها العقل وقلت : « عجباً ، كلا ، البتة » .

والراجح أنه حكم علىّ بعد استجوابى بأننى رجل يستخلص لنفسه بعض الآراء ، ولكنها آراء سليمة لا ضير فيها ، وأننى رجل غير بارع الذكاء ، ولكن يمكن الاعتماد عليه . وكذلك زكتنى اللجنة المركزية .

وسرعان ما قدمت إلىّ نشرتان سريتان تتضمنان القواعد التى يجب أن يسير عليها موظفو الحزب فى الخارج . وفى النشرتين

تحذير من الشراك التى تكتنف المعيشة فى الدول الرأسمالية ، وهما تعرضان عليك صورة لعالم غريب مفطور على حب العداوة ، همه الوحيد أن يوقع رعايا السوفيت فى حبائله وينتزع منهم أسرار دولتهم . فالمقدمون على خوض هذه اللجج المخوفة محرم عليهم أن يتكلموا فى السياسة ، أو أن يتحدثوا فى أى موضوع بغير داعٍ . فإذا سئلنا عن الحياة فى روسيا السوفيتية وجب علينا أن نتهم هؤلاء السائلين النابشين بأنهم جواسيس .

وتتضمن هذه القواعد أن النظام الرأسمالى ثمرة تعفن قلبها ، وظلت قشرتها تبرق وتخلب الألباب . ويجب علينا فى أسفارنا فى الخارج أن لا ندع امرأة أبداً تجاذبنا الحديث ، وبخاصة إذا كانت تتكلم الروسية ، كما يجب علينا أن لا نضع أقدامنا فى الحانات وأندية الليل — اللهم إلا لعمل رسمى مأذون به . وأنذرتنا النشرتان بأن حقائبنا ستفحص فى أمريكا ، وأن جواز سفرنا قد يسرق منا لاستخدامه فى التجسس ، وأن محادثتنا التلفونية قد تُراقب .

وعدت فى اليوم التالى إلى مكتب رياسة الحزب حيث لقيت فى انتظارى موظفاً آخر أعلى درجة من السابق وقال لى :

« أيها الرفيق كرافشنكو ، إن خير وقاء تعتصم به من الأخطار فى الولايات المتحدة هو الحرص على تعلقك باليقظة البلشفية ، وإخلاصك للحزب . وأنت اليوم ذاهب إلى دولة بلغ فيها النظام الرأسمالى ذروة الرقى ، فإياك أن تثق بمن يزعم لك أنه صديق لأمتنا — وهذا ينطبق على المهاجرين الروس ، وعلى أصحاب المصارف والمصانع وغيرهم من الرأسماليين الذين أصبح من البدع الجديدة عندهم اليوم إظهار إعجابهم بالاتحاد السوفيتى » .

وعُهد إلى موظف ثالث أن يباحثنى فى واجبات المهندس عند سفره إلى الخارج ، وقال لى إن أهمها هو جمع المعلومات الاقتصادية والعسكرية — ويجب أن أدرب نفسى على ملاحظة الدقائق الفنية ، ومناهج المصانع ، والتحسينات المستحدثة فى الآلات وطرق الإنتاج .

وصلت إلى فلادفوستك لأبحر منها إلى أمريكا ، فأخذ ثلاثة من موظفى الجمارك ينقبون فى كل قطعة من ثيابى ، ويدسون أصابعهم فى البطانة وينفضون كل ثوب ، ثم فحصوا بذلتى وقلبوا جيوبها وبطانتها ، وأخيراً أذن لى بالسفر .

وبعد ١٩ يوماً رست بنا الباخرة فى فانكوفر ، ففحص رجال الجمارك الكندية جوازات سفرنا بنظرة عابرة ، ولم ينقب أحد فى ملابسنا أو حقائبنا ، بل الأعجب



أن لم يسألنى إنسان عن شىء ما . فأين بغضاء طبقة الرأسماليين لغيرهم من الطبقات ؟

وسرنا ما وجدناه فى متاجر فانكوفر من وفرة الملبس والمأكل والمتاع ، وكأنما تحقق أمام أعيننا حلم الاشتراكية فى نشر الرخاء ، وأخذت أقول لنفسى : « أليس هذا هو الذى وُعدنا به فى مستقبل لايزال فى عالم الغيب ، وبعد تنفيذ سلسلة لا تنتهى من برامج السنوات الخمس ؟ » . ولاحظنا فى القطار الذى أقلنا إلى وشنطن أن أحذية رفقائنا متينة وملابسهم جيدة ، وبدا لنا كل هذا الرخاء حلماً من الأحلام .

وكانت لجنة المشتريات السوفيتية قد استأجرت لى فى وشنطن حجرة فى مسكن أسرة أمريكية ، فوجدتها بادية السرور لعشرة رجل أجنبى من « هؤلاء الروس المدهشين » ، ولم تسألنى أن أبرز لها مستنداً يثبت شخصيتى ، والظاهر أنها لم تكن مكلفة أن تبلّغ خبرى إلى لجنة تراقب المساكن .

ولكنى حين ذهبت إلى عملى فى اليوم التالى ودخلت مكتب اللجنة فى وشنطن ، تنفست جوّاً من الريبة والتآمر يدل على جوّ السوفيت ، وقدمت نفسى إلى الرفيق سيروف ، فاستقبلنى بريبة ، وسلمته تذكرة عضويتى فى الحزب الشيوعى .

فبادرنى بسؤال مقتضب « رقمك ؟ » فتلوت له دون أن أتلعثم رقم ٢٤٨٦٤٧٥ إذ لو نسى الشيوعى رقمه فى الحزب لعدّ ذلك دلالة على وهن إخلاصه .

ورياسة المبعوثين الشيوعيين فى الولايات المتحدة مسندة إلى سيروف ، لا لشىء إلا لأنه الممثل الأول للجنة المركزية للحزب ، مع أنه لا يشغل رسمياً إلا منصب مساعد صغير فى لجنة المشتريات . وليس بين جميع مبعوثى السوفيت فى أمريكا — فى الواقع — من يضارعه فى سلطانه ، فكلمته قانون نافذ على أكبر الممثلين العسكريين والاقتصاديين ، لأنه يتكلم بلسان الحزب .

ولم تكن لجنتنا — فى حقيقة أمرها — إلا قطعة منتزعة من النظام الجامع المطلق نقلت من موسكو . فها نحن نعيش ونعمل بين أناس أحرار ، إلا أننا لا نشاركهم حرية القول ، وحرية الصحافة ، وحرية الاعتقاد ، وحرية الأمن من الخوف ، بل ظللنا رعية مذعورة الجنان لدولة ذات بطش ، تفرض علينا نظاماً محكماً من التجسس على كل كلمة أو عمل يصدر منا . وكانت لنا — حتى فى أمريكا — لجنة للحزب ، وإدارة خاصة ، « الإدارة السرية » ، فلم ينقصنا شىء من تلك الإدارات المختصة بالإرهاب السياسى والتجسس على الناس .

وأكثر ما آلمنا من القيود هو القيد



المحكم المضروب على علاقاتنا بالأمريكيين ، فقد حُرّم علينا أشد التحريم أن نوثق الصداقة بيننا وبينهم ، اللهم إلا لأغراض تتعلق بالعمل . وفرض علينا أن نقدم عن كل من نعرفه تقريراً مسهباً ، لا يقتصر على التعريف به ، بل يشمل أيضاً ذكر آرائه فى السوفيت . أما الإذن لنا بأن تتحول هذه المعرفة إلى صداقة ، فموكول إلى كبار الرؤساء .

وكان من الطبيعى أن أتعرف بكثير من الناس فى مكاتب وشنطن المتصل عملها بقانون الإعارة والتأجير ، فكنت فى حرج دائم لما ألقاه من تودّدهم ، فإن الموظف السوفيتى حين يصادف مثل هذه الصراحة والبراءة من الريبة يحسبها من خلق الأطفال .

وقد بلغ من شدة مراقبة علاقاتنا مع الأمريكيين أنْ كان لزاماً علينا أن نظفر بإذن رسمى يبيح لنا إرسال بطاقات التهنئة بعيد الميلاد إلى زملائنا فى العمل ، فقد أمرنا أن نعدّ بياناً بأسماء من نريد أن نبعث إليهم بهذه البطاقات ، وأن نرفقه بصيغة التهنئة . وقد روجعت هذه البيانات وصدّق عليها ، وتولت اللجنة إرسال البطاقات بالبريد لكى تضمن اتباع الحدود المرسومة .

وليس من السهل أن نحمل الأمريكيين على تصديق مثل هذه التصرفات ، فقد حدث أن كنت مسافراً مرة بالقطار ، وجلست أقلب صحيفة ، فجاء زميل لى فى اللجنة وجلس بجانبى ، فذكرت له مقالا منشوراً فيه نقد للحكومة وقلت : « إن هؤلاء الأمريكيين لا يحجمون عن إبداء رأيهم فى رجال الدولة ، من روزفلت فنازلاً » .

وهى ملاحظة عابرة سرعان ما نسيتها ، ولكنى استدعيت بعد بضعة أيام إلى مكتب سكرتير شعبتى فى الحزب ، وسألنى :

« كيف كان سفرك ؟ »

« كانت رحلة طيبة » .

« لقد لقيت الرفيق ب . أليس كذلك ؟ »

« نعم ، لقيته » .

« فماذا كان موضوع مناقشتكما ؟ »

فركبتنى الحيرة وقلت : « مناقشة ! لا أذكر أنه جرت بيننا مناقشة ما » .

« إننى أراك أيها الرفيق لا تصارحنى بما فى نفسك . فأنت ولا شك لم تنس أنك انتقدت الصحافة السوفيتية ، ونَقِمت منّا أننا لا نهاجم المارشال ستالين » .

فصحت به : « هذا كذب . وأنا أصرّ على أن تستدعى الرفيق ب » .

ولكن الرفيق ب خانته الشجاعة فلم يستطع أن يصرّ على ما قال ، فصرفوا النظر

عن هــذا الموضوع ، ولــكنى زدت إيماناً بأن الحكمة تقضى علىّ بأن أحبس لسانى .

وجرت لى حادثة أخرى : مرضت ذات يوم فوصلتنى رسائل مودّة من بعض الأمريكيين ، فسألت موظفاً فى اللجنة أن يترجمها لى ، فإذا سكرتير الحزب يستجوبنى بصراحة عن علاقاتى بهؤلاء الأمريكيين واحداً بعد واحد ، ثم عنّفنى تعنيفاً قاسياً ، وأمرنى أن أتحرز من حبائل المجتمع الرأسمالى الذى نعيش فيه . وحسبت نفسى سعيداً أنى نجوت بجلدى من هذا المأزق .

وقد بلغ نظام التجسس الذى يلاحق الموظفين السوفيتيين ، مبلغاً من التشعب والإحكام يذهل العقل ، فكل فرد منا يقتضيه إخلاصــه للحزب أن ينقل كل كلمة أو عمــل مريب يصــدر من الآخرين . وللحزب ، فضــلا عن ذلك ، جيش من الأعوان منبثّ بين موظفى اللجنة، ويشغلون فى الظاهر بعض المناصب الفنية ، ولــكنهم فى الواقع منصرفون إلى التجسس على إخوانهم، ومن ورائهم جماعة أخرى من موظفى قلم البوليس السرى ، وهؤلاء هم الجواسيس الفنيون . وحتى الضابط العظيم رئيس اللجنة ، والرفيق سيروف ذاته ، لا ينجوان من هذه المراقبة الدقيقة .

ومهما يكن نوع العمل الموكول إلى المثلين الاقتصاديين السوفيت ، فإن أهم واجب يطالبون به هو أن يجمعوا ما وسعهم من البيانات عن المؤسسات الصناعية الأمريكية والمسائل العسكرية والمخترعات العلمية . وحدث ذات يوم أن استدعى أعضاء الحزب فى هيئتنا ــ و ٩٠ ٪ من كبار الموظفين منتسبة إليه ــ وقرأ علينا الرفيق سيروف تقريراً مسهباً يعدّد أنواع المعلومات التى يجب أن نبحث عنها ، وطريقة الظفر بها مع التكتم والتخفى ، وكيف ننقل هذه المعلومات إلى الاتحاد السوفيتى . فجاء هذا التقرير تذكيراً لنا بأن السلطات العليا تعتمد علينا فى أداء واجبنا فى هذا المجال .

على حين أنى لم أصادف إلا الصراحة ونقاء السريرة فى معــاملاتى مع رجال الأعمال وموظفى الحكومة من الأمريكيين . وقد زرت مصانع كثيرة ، فكان رؤساؤها يطلعوننى دائما على كل ما لديهم من الآلات والمواد ، ومن بيانات نفقات الإدارة ، وكأنهم لا يدرون أن ضيفهم مؤمن بأنهم من طبقة معادية لطبقته ، بل إنهم تجاوزوا حد المجاملة بين المضيف وضيفه ، وبذلوا لى كل ما أحتاج إليه من معونة فى أداء عملى . ومثل هذه الصراحة شىء لا يصدقه عقل الروسى .

ولا أدرى متى قر قرارى على التحــرر من نير النظام الجامع المطلق ، فهــذا قرار

ولده شعور أخذ يقوى شيئاً فشيئاً في دخيلة قلبي، ولكنني كنت أحس أنني سوف أخطو هذه الخطوة الحاسمة قبل أن أفعل ذلك بشهر كامل. ولم أكاشف أحداً من أصدقائي وزملائي بما انتويت، إذ كنت أعلم ما سوف يصيبهم إذا وقع عليهم ظل من الشك، حين تقوم إدارة البوليس السرى بالفحص عن أمرى.

وتسللت من وشنطن مساء يوم سبت ونزلتُ نيويورك، واستأجرت حجرة في فندق غير مشهور، وهناك أعددت البيان الذى أعلن فيه استقالتي وأسبابها. فلما ظهر البيان في الصحف، ادعت اللجنة في مبدأ الأمر أنها لا تعرفني، وكان من البيِّن أنها تنتظر الأوامر من موسكو. ثم عدلت عن إنكارها وسارعت إلى نشر بيانات — لا مفرّ منها في مثل هذه الأحوال — يراد بها تشويه سمعتي.

وعلى رغم الحيطة المحكمة التى اتخذتُها، لم يمض وقت طويل حتى رأيت جواسيس السوفيت يتسكعون حول الفندق. وكنت أسارع مراراً إلى الترام الذى يسير تحت الأرض، أو أقفز إلى سيارة منطلقة في سيرها، وتنقلت من فندق إلى فندق، متسمياً كل مرة باسم مستعار. وكان يخيل إلى في بعض الأحيان أنني تملصت من قبضتهم، ولكن سرعان ما أجدهم من جديد يترصدونني على باب الفندق.

وذهبت مرة إلى مدينة في غرب أمريكا أزور بعض أصدقائي الأمريكيين، وظننت أنني ركبت القطار دون أن يقع بصر أحد عليّ، ولكني حين وصلت لم أجد في انتظارى هؤلاء الأصدقاء فحسب، بل ثلاثة من الجواسيس أيضاً. وركبنا سيارة، فركبوا أخرى وساروا خلفنا، ولم نفلح في التخلص منهم إلا حين وقفنا أمام نقطة بوليس، فتجاوزتنا سيارتهم، ومضت دون أن تتريث. وكتبنا رقم سيارتهم، ولكن تبين أن لوحتها مسروقة.

وفي أثناء إقامتي في تلك المدينة دعيت مرات إلى تلفون من نيويورك، فكنت أسمع أصواتاً غامضة مجهولة تنذرني — باسم الصداقة — بأن حياتي في خطر، وأنه ينبغي لي أن أجد لنفسي مخبأ. ومن الواضح أنهم كانوا يقصدون حملي على الالتجاء إلى مكان بعيد عن الأنظار أختبىء فيه، حتى يسهل عليهم عندئذ أن يفتكوا بي.

وقد ينجح هؤلاء السفّاحون ذات يوم في الفتك بي، وقد ألاقي حتفي في نهاية هذه الفسحة التى يعدّونها لي في عمرى، ولكن هيهات أن يفتكوا بهذه الشهادة التى أخلفها للناس من بعدى.

# كيف تعيش على أربع وعشرين ساعة في اليوم

خلاصة كتاب بقلم أرنولد بينيت

هو كتاب جليل فى علم توجيه النفس — يصف دواء ناجعاً للترهُّل العقلى ، ويدل على الوسيلة التى تضاعف متعة النشاط اليومى فى كل شىء .

وقد اهتدى بهذا الكتاب آلاف ، وما زال محبوه القدامى يسرهم أن يرجعوا إليه ، وقد كتبه أرنولد بينت فى مفتتح حياته الأدبية ، ولا يزال معدوداً من خير آثاره ، وهو يقدم للقارىء خلاصة للطريقة المنظمة البديعة التى طبقها المؤلف الكبير فى حياته هو ، فكانت ثمراتها باهرة .

# كيف تعيش
# على أربع وعشرين ساعة في اليوم

## المعجزة اليومية :

إن المثل القائل : « الوقت من ذهب » ، يصور الأمر دون الحقيقة ، فإن الوقت هو المادة الأولية الغامضة لكل شيء ، وما ميزتنا من الوقت فى الحق إلا معجزة يومية . فأنت تستيقظ فى الصباح فإذا كيسك قد امتلأ بسحر ساحر بأربع وعشرين ساعة من نسج حياتك غير المصنوع ، وإذا أنفس الأحراز يغدق عليك على نحو فذ لا يعدله إلا السلعة نفسها !

وانظر ! إنه ما من أحد يستطيع أن يسلبك إياها ، وهى لا تسرق ، ولا يأخذ أحد منها فوق ما تأخذ أو دونه ، وما تكافأ الثروة أو العبقرية أبداً بساعة واحدة إضافية فى اليوم . وليس ثم عقاب ، فبدد هذه السلعة النفيسة كما تشاء ، فإنك لن تحرم نصيبك منها .

وعليك أن تعيش على هذه الساعات الأربع والعشرين من الزمن اليومى ، ومنها تغزل خيوط صحتك ولذتك ومالك ورضاك واحترامك ، وتطور روحك الخالدة . وإذا كان المرء لا يستطيع أن يعيش على قدر معين من الدخل المالى فقد يستطيع أن يكسب قدراً آخر قليلا ، أو يتشدد فيحدث التوازن بين الدخل والنفقة . ولكن إذا لم يستطع المرء أن يجعل دخله ، وهو أربع وعشرون ساعة فى اليوم ، كافياً لكل وجوه الإنفاق الصحيحة ، فإنه يورث حياته كلها الاضطراب بلا شك .

وأينا لم يقل لنفسه فى حياته : سأغير هذا أو ذاك متى أتيح لى وقت آخر ؟ وأينا لا يساوره الإحساس بأن السنين تمضى وتنقضى ، وأننا لم يتيسر لنا أن نجعل لحياتنا نظاماً عملياً صالحاً ؟ وهذا الإدراك لهذه الحقيقة العميقة المهملة ، هو الذى حملنى على الفحص العملى الدقيق لما ننفق من الوقت كل يوم .

## احتياطات قبل الابتداء :

إن أهم تمهيد لمهمة ترتيب حياة الإنسان بحيث يحيى الإنسان حياة وافية مريحة فى نطاق ميزانية يومية من أربع وعشرين ساعة ، هو الإدراك المادىء للصعوبة القصوى فى هذه المهمة ، ولما تتطلبه من التضحيات والجهود التى لا آخر لها ، وكل

تأكيد لهـذا لا يكون إلا دون الكفاية . فإذا كنت غير مستعد لاحتمال المثبطات ، وإذا كنت لاتقنع بثمرة يسيرة لجهد عظيم، فلا تبدأ إذن! وارقد مرة أخرى واستأنف الإغفاءة المضطربة التى تدعوها حياتك .

وإنه لأمر محزن ، أليس كذلك ؟ على أنى أرى أنه أمر حسن أيضاً — وأعنى به هذه الحاجة على عقد العزم قبل أن يستطاع فعل شىء يستحق الذكر ، وإنى لأشعر أن هذا أكبر مايميزنى من القطة الجالسة قرب الموقد.

وأراك تقول : «حسن. افرض أن عزمى صح على خوض المعركة ، فكيف أبدأ ؟ » فياسيدى العزيز ، إنك تبدأ ، وهذا كل ما هناك . وإذا رأيت رجلا فى حمام سباحة يريد أن يقفز إلى الماء البارد ، ويسأل : « كيف أبدأ بالقفز ؟ » فإنك لا تجيب إلا بقولك : « اقفز ! شدّ أعصابك ثم ثب ! »

وأبدع ما فى هذا الزاد الدائم من الوقت أنك لاتستطيع أن تبدده سلفاً ، فإن اليوم التالى والساعة التالية مهيّئان لك على أكمل صورة وأخلاها من العيب ، كأنما لم تبدد فى حياتك كلها لحظة واحدة . ولهـذا فإنه لافائدة من الانتظار إلى الأسبوع القادم ، بل حتى إلى الغد . غير أنى أحب قبل أن تبدأ أن أحذرك من حماستك ، فإن الحماسة غادرة خوّانة ، وليس فى وسعك أن تبلغها مناها فى البداية ، فإنها تودّ لو حركت الجبال وغيرت مجرى الأنهار ، ثم إنها كثيراً ماتفتر فجأة وتخمد .

وحاذر أن تحاول ما هو فوق الطاقة فى البـداية ، واحسب للحوادث والعوائق حسابها، وللطبيعة الإنسانية أيضاً، ولطبيعتك أنت على وجه خاص ، فإن الإخفاق المجيد لايؤدى إلى شىء ، ولكن النجاح اليسير قد يؤدى إلى نجاح غير يسير . ومن أجل هذا ينبغى حين نشرع فى هذه المهمة العظيمة — مهمة الحياة الوافية فى الحدود الضيقة لأربع وعشرين ساعة فى اليوم — أقول ينبغى أن نتقى ، مهما كان الثمن ، خطر الإخفاق فى البداية .

والآن فلنتدبر ميزانية الزمن اليومى . إنك تقول إن يومك ممتلىء وإنه يفيض ، فكيف ؟ إنك تنفق من الوقت فعلا فى كسب رزقك — كم ؟ سبع ساعات فى المتوسط ؟ وفى النوم ؟ سبعاً ؟ سأضيف ساعتين أخريين كرماً منّى ، وأتحداك أن تبين لى على الفور كيف تقضى الساعات الثمانى الأخرى ؟

### عد المتاعب :

ولكى يتسنى لى أن أعالج الموضوع على الوجه الصحيح ينبغى أن أختار حالة عادية

— ولتكن حالة رجل من أهل لندن يعمل في مكتب . والغلطة الكبرى التي يرتكبها هذا الرجل الكثير الأشباه فيما يتعلق بيومه ، هي غلطة نظرة عامة تفسد عليه ثلثي نشاطه ومصالحه ، وهو في الأغلب لا يشعر بحب لعمله، فيبدأ عمل وظيفته متكرّهاً، ومتأخراً على قدر مايستطيع ، ويفرغ منه بسرور ، وبأسرع مايستطيع، ويندر أن تراه يشتغل بقوته الكاملة ، وهو يباشر عمله .

ولكنه على الرغم من كل هذا يصرّ على أن يعد هذه الساعات من العاشرة إلى السادسة هي « اليوم » ، أما الساعات العشر السابقة ، والست التالية فليست عنده شيئاً سوى مقدمة وخاتمة . مثل هـذا الموقف يقضى بطبيعة الحال على اهتمامه بالساعات الست عشرة الأخرى ، وتكون النتيجة أنه لايحسبها حتى وإن كان لايبددها ، وأن لايراها أكثر من هامش . وإذا كان رجل يجعل ثلثي حياته تبعاً وذيلا لثلث واحد من المعترف به إنه لايحس له بحماسة قوية ، فكيف يمكن أن يرجو أن يحيى حياة تامة وافية ؟ إنه لايستطيع .

إن الحياة التامة الوافية تقتضى أن يرتب أمر يومه في نطاق يومه . وهذا اليـوم الداخلى الذى يشبه صندوقاً صينياً داخل صندوق صينى أكبر منه ، يجب أن يبدأ في الساعة السادسة مساء وأن ينتهى في الساعة العاشرة صباحا . وفي خلال هذه الساعات الست عشرة كلها، ليس له من عمل سوى تعهد عقله وروحه والناس . وهو في هذه الساعات الست عشرة ، حر ، فهو لا يكدح في سبيل الرزق ، وإنما هو كأى رجل له دخل خاص . وهذا هو الموقف الذى يجب أن يتخذه ، وهو موقف له أهمية عظمى، إذ كان نجاحه في الحياة رهناً به .

والنشاط التام في هذه الساعات الست عشرة يزيد على التحقيق قيمة الساعات الثماني المفردة للعمـل ، فإن من أهم ما يجب على رجلنا أن يتعلمه أن الملكات العقلية قادرة على العمـل الدائم ، وهى لا تكلّ كما يكل الذراع أو الساق ، وكل ما تحتاج إليه هو التغيير لا الراحة ، اللهمّ إلا في النوم .

وأنا حين أستعرض طريقة رجلنا الذى اتخذته مثالا لغيره ، في الانتفاع بالساعات الست عشرة التى هى له خالصة ، سأقتصر على بيان الأشياء التى يعملها والتى أرى أنه لاينبغى أن يفعلها، مرجئاً ما أقترحه «لغرس» الأوقات التى سأكون قد هيأتها — كما يهيء المستوطن فضاء في الغابة .

ولا يسعنى إنصافاً له إلا أن أقـول إنه لايضيع إلا وقتاً قليلا قبل أن يغادر بيتـه صباحاً في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة،

ففى كثير جداً من البيوت ينهض الرجل فى الساعة التاسعة ويفطر فيما بين التاسعة والدقيقة السابعة والتاسعة والدقيقة التاسعة والنصف ثم يمضى. ولكنه لايكاد يغلق الباب الأمامى وراءه حتى تكسل قواه العقلية التى تكل"، فهو يسير إلى المحطة فى شبه غيبوبة، ويصل إليها فيحتاج فى العادة إلى انتظار القطار . وأنت ترى فى مئات من محطات الضواحى كل صباح رجالاً يتمشون فى هدوء على الأرصفة، على حين تسرق شركات السكك الحديدية وقتهم بلا خجل — والوقت أغلى من المال — وتضيع من جراء ذلك مئات الآلاف من الساعات كل يوم ، لأن الرجل الذى اتخذته للتمثيل لايقدر قيمة الوقت ، ولايخطر له أن يتخذ احتياطات سهلة جداً ليتقى خطر تضييعه .

إن معه عملة صحيحة من الوقت ينفقها كل يوم — ولنقل أنها جنيه ، وليس يسعه إلا أن يبد"لها بقطع نقدية صغيرة، وهو حين يبدلها يرضى بأن يخسر خسارة فادحة . فإن هذا هو مايفعله حين تسرق منه الشركة خمس دقائق مرتين كل يوم .

وقد تقول إن هذا منك دخول فى تفاصيل دقيقة، وهذا صحيح، وسأسوغ ذلك فيما بعد .

والآن هل لك أن تشترى جريدتك وتستقل القطار ؟

## النفس والروح الخالدة :

تستقل قطار الصباح، وتعكف فى هدوء على جريدتك ، وهيئتك هى هيئة رجل فى فسحة من أمره ، رجل يملك من الزمن ثروة ، رجل جاءته من كوكب يومه مئة وأربع وعشرون ساعة ، لا أربع وعشرون فقط . وأنا رجل مشغوف بقراءة الصحف فليس من الرأى الصادر عن هوى أن أقول إنه لما كانت السرعة تتوخى فى إصدارها ، وكانت مجعولة لتقرأ بسرعة ، فليس لها محل عندى فى برنامجى اليومى ، وأنا أقرأها فى فترات شتى . أما أن تقرر لها ثلاثين أو أربعين دقيقة من الوحدة الجميلة ، فلست أستطيع أن أدعك لتبعثر هذه اللآلىء النفيسة فى الوقت بمثل هذا الإسراف . إنك لست « شاه » الزمن، واسمح لى أن أذكرك بأدب بأنك لاتملك من الوقت أكثر مما أملك ، فلا قراءة للصحف فى القطار إذن! فقد (ادخرت) لك نحو ثلاثة أرباع الساعة للانتفاع بها .

وقد بلغت الآن مكتبك ، فأنا أتركك فيه إلى الساعة السادسة . وأنا أعلم أنك توهب ساعة فى منتصف النهار ، تقضى أقل من نصفها فى الطعام . ولكن سأدع لك كل هذا لتنفقه كما تحب . ولك أن تقرأ جريدتك حينئذ .

وألقاك مرة ثانية حين تنصرف من مكتبك وأراك متغير الوجه متعباً ، وسواء أكان هـذا صحيحاً أم لم يكن ، فإن زوجتك على كل حال تقول إنك متـغير الوجه ، وأنت تدعها تفهم أنك مكدود . ولست تتنـاول طعامك عقب دخولك مباشرة، ولكن بعد ساعة أو نحوها تحس أنك تستطيع أن تطعم شيئا ، ثم تروح تدخن جاداً ، وتقـابل أصدقاءك ، وتتمشى على غير هدى ، وتلعب الورق، وتعبث بكتاب، وتلاحظ أن الشيخوخة تدب إليك ، وتتمشى ، وتلمس البيانو . . . يا إلهى ! لقد جاوزت الساعة الحادية عشرة بربع ساعة! وآن أن تفكر فى النوم! وتبذل أربعين دقيقة فى التفكير فى النوم ، وأخيراً تأوى إلى مرقدك وقد نهكك عمل اليوم ، وقد مضت ست ســاعات أو أكثر منذ انصرفت من مكتبك — مضت كالحلم ، مضت كالسحر ، مضت لا تدرى كيف !

وهـذه حالة تعد عادية ، ولكنك قد تقول : « إن من السهل عليك أن تتكلم هكذا ، ولكن الإنسان يتعب حقاً . ولا بد أن يقابل الإنسان أصدقاءه ، فما يستطيع أن يظل دائماً غير مستقر » . وهذا صحيح ، ولكنك حين تذهب إلى المسرح ( وخاصة مع امرأة جميلة ) ماذا يحدث ؟ إنك لا تدخر وسعاً لتبدو فى آنق هندام ، وتنطلق عائداً إلى المدينـــة ، وتظل غير مستقر أربع ساعات أو خمساً ، ثم ترافقها إلى بيتها ، ثم تنصرف إلى بيتك ، ولا تقضى ثلاثة أرباع الساعة فى التفكير فى أن تأوى إلى فراشك بل تأوى إليه ، وتنسى التعب والأصدقاء على السواء ، وتبدو لك الأمسية طويلة بديعة ( أو لعلها كانت أقصر مما يجب ! ) . وهل تذكر أيام أقنعوك بأن تغنى فى فرقة الجمعية من هواة التمثيل ، فكنت تقضى ساعتين كل ليلتين تكد وتكدح كالعبد مدة ثلاثة شهور ؟ هل تستطيع أن تفكر أنه حينما يكون هناك شىء معين تتطلع إليه فى المساء ، شىء تعلم أنه سيتطلب نشاطك كله ، فإن التفكير فى هـذا الشىء يلقى على اليوم كله وهجه ، ويجعل الحيوية فيه أزهر وأقوى ؟

والذى أقترحه هو أن تعمد فى الساعة السادسة إلى مواجهة الحقائق ، وأن تعترف بأنك لست بتعبان ( فإنك لتعلم أنك غير تعبان ) . وأن ترتب أمر أمسيتك بحيث لا يقطعها الطعام فى منتصفها ، وبذلك تخلو أمامك مسافة من الزمن مقدارها ثلاث ســاعات ، ولست أدعوك أن تقضى ثلاث ساعات كل ليلة من حياتك فى استخدام نشاطك العقلى ، وإنما الذى أدعو إليه على سبيل الابتداء ، هو أن تشتغل ساعة ونصف ساعة مرة كل ليلتين بعمل مهم منتظم ،

كتعهد عقلك وتثقيفه ، وبذلك يبقى لك ثلاث أمسيات للأصدقاء ولعب البردج والتنس ، والخلافات المنزلية ، والقراءة العابرة ، والتدخين ، والحديقة والتمشى ، وتبقى لك ثروة عظيمة مقدارها ٤٥ ساعة بين الساعة الثانية مساء من يوم السبت إلى الساعة العاشرة صباحاً من يوم الاثنين .

فإذا واظبت، فإنك سرعان ماتشتهى أن تقضى أربع أمسيات ، بل خمساً ، فى سعى جدى لأن تكون حياً بالمعنى الصحيح ، وتكف عن عادة تحديث نفسك فى الساعة الحادية عشرة والربع بأنه آن لك أن تفكر فى الذهاب إلى مخدعك ، فإن الرجل الذى يشرع فى الذهاب إلى فراشه قبل أن يفتح باب مخدعه بأربعين دقيقة، لهو رجل استحوذ عليه الملل ، إنه رجل لا يحيىَ .

ولكن تذكر فى البداية أن هذه الدقائق الليلية التسعين ثلاث مرات فى الأسبوع ، يجب أن تكون أهم دقائق الأسبوع كله . وينبغى أن تكون مقدسة وأن يكون لها من القداسة مثل ما للتجارب المسرحية أو مباراة التنس . فبدلاً من أن تقول : « إنى آسف لأن علىّ أن أذهب بسرعة إلى نادى التنس» تقول : « إن على أن أعمل» . وأنا أعترف أن هذا غاية فى الصعوبة ، فإن التنس ألح وألزم جداً من الروح الخالدة .

## تذكر الطبيعة البشرية :

وأرى فى الحالة العادية أن تقصر برنامجك الرسمى على ستة أيام فى الأسبوع ، فإذا ألفيت نفسك راغباً فى مدّه ، فلك أن تمده ، ولكن عليك أن تعدّ الزمن الإضافى ربحاً عابراً لا دخلا منتظماً ، حتى تستطيع أن ترتد إلى برنامج الأيام الستة دون أن تشعر أنك أفقر ، أو أنك متخاذل .

والآن فلننظر أين نحن . لقد اتفقنا إلى الآن على أن ننقذ من الأيام الضائعة نصف ساعة على الأقل من صباح ستة أيام فى الأسبوع ، وساعة ونصف ساعة فى ثلاث أمسيات فى الأسبوع ، فالجملة سبع ساعات ونصف ساعة فى الأسبوع .

وكأنى بك تقول : « ماذا ؟ تزعم أنك تعلمنا كيف نحيا ، وكل ماتناولته هو سبع ساعات ونصف ساعة من ١٦٨ ؟ أتريد أن تأتى بمعجزة بهذه الساعات السبع والنصف؟» . وأوثر الصراحة فأقول نعم ، إذا تفضلت بالسماح لى ! فإن ما اذهب إليه هو أن الانتفاع الكامل بهذه الساعات سيجعل حياة الأسبوع كله أنشط وأسرع ، ويفيض عليها متعة ، ويزيد اهتمامك حتى بأتفه الأشياء . وإنك لتباشر الرياضة البدنية عشر دقائق ليس إلا فى الصباح والمساء، ومع

ذلك لا يدهشك أن ترى نفسك أصبحت أصح بدناً وأحسن حالا على العموم ، فلماذا يدهشك أن يؤدى إفراد ساعة وبعض ساعة فى المتوسط كل يوم لعقلك، إلى زيادة نشاطك العقلى كله ؟

إنه ليس بالمجهود التافه فى الحقيقة أن « تهيىء » سبع ساعات ونصف ساعة من الغابة اللفّاء . وعسى أن يكون المرء قد أساء قضاء الوقت ، ولكنه قضاه . فإذا فعل شيئاً آخر فإن معنى ذلك أنه غير عاداته ، والعادات عسيرة التغيير ، ولا بد لذلك من بعض التضحية ، ومن قدر عظيم من الإرادة . ومن أجل هذا أقول وأكرر : ابدأ فى سكون وبغير جلبة .

وقبل أن أقول شيئاً فى طريقة الانتفاع بهذه الساعات التى عيناها ، أعرض اقتراحاً أخيراً هو أن تخصص أكثر من ساعة ونصف ساعة لما يعمل فى ساعة ونصف ساعة : تذكر الحوادث ، وتذكر الطبيعة البشرية ، فاجعل ما بين التاسعة والحادية عشرة والنصف ، للعمل الذى تريد أداءه فى تسعين دقيقة .

### السيطرة على العقل :

يقول الناس : « إن المرء لاحيلة له فى أفكاره » ولكن للمرء حيلة . فإن السيطرة على آلة التفكير ممكنة كل الإمكان . ولما كان لاشىء على الإطلاق يحدث لنا خارج عقلنا ، فإن الأهمية العظمى للقدرة على السيطرة على ما يجرى فى هذا العقل العجيب ، أوضح من أن تحتاج إلى بيان ، فبدون القدرة على تركيز الخواطر وحصرها — أى بدون القدرة على الإملاء على الذهن وضمان الطاعة — تصبح الحياة الصحيحة مستحيلة ، فالسيطرة على العقل هى العنصر الأول فى الحياة التامة الوافية .

ومن هنا يبدو لى أن أول عمل ينبغى أن يؤدى كل يوم هو تدريب العقل ورياضته . ولهذا الجانب من فن الحياة وصناعتها أفردت الوقت من اللحظة التى تتخطى فيها عتبة بيتك إلى اللحظة التى تصل فيها إلى مكتبك .

«ماذا ؟ أدرّب عقلى وأروضه فى الشارع ، وعلى الرصيف ، وفى القطار ؟» نعم ! ولاشىء أبسط من ذلك ! ولاحاجة بك إلى أدوات ! ولاحتى إلى كتاب ، غير أن الأمر مع ذلك ليس سهلا .

عندما تبرح البيت ، احصر ذهنك فى موضوع ( أى موضوع ، فى البداية ) . ولاتكاد تقطع عشر ياردات حتى تلفى عقلك قد تفلت هارباً منك تحت عينك ، وراح عند منعطف الطريق يعالج موضوعاً آخر . فاقبض على ناصيته ورده إليك ، وسترى قبل

أن تصل إلى المحطة أنك احتجت أن تعيده إليك أربعين مرة . فلا تيأس فإنك لن تخفق أبداً إذا أنت ثابرت . ومن الخطل أن تزعم أن عقلك غير قادر على التركيز . أتتذكر ذلك الصباح الذى تلقيت فيه رسالة مقلقة تتطلب رداً دقيقاً ؟ وكيف حصرت ذهنك فى موضوع الرد حتى بلغت المكتب وهناك جلست على الفور وكتبت الرد ؟ فهذه حالة حركت الظروف فيها نفسك واستثارت حيويتها إلى حد استطعت معه أن تتحكم فى عقلك تحكم الطاغية ، فأصررت عليه أن يؤدى عمله ، فأداه .

وبالتدريب المنتظم على تركيز الذهن (وهو أمر لا سر فيه ولا وسيلة له إلا المثابرة) تستطيع أن تتحكم فى عقلك فى كل ساعة من ساعات اليوم ، وفى أى مكان تكون فيه . ولست أعبأ شيئا بالموضوع الذى تحصر فيه خواطرك ، مادمت تحصرها ، فإن الذى له قيمة هو إلزام آلة التفكير النظام . على أنه يحسن أن تقتل عصفورين بحجر واحد ، فتحصر خواطرك فى أمر نافع . وأقترح عليك — وهو مجرد اقتراح — فصلا صغيراً من ماركوس أوريليوس أو إبكتيتوس . اقرأ الفصل فى المساء ، وفكر فيه فى الصباح . وسترى .

والآن أراك تقول لنفسك : « لقد بدأت أشعر بالاهتمام بما يقول هذا الرجل ، ولكن مايقوله عن التفكير فى القطار وعن حصر الذهن وما إلى ذلك ليس لى ، فقد يكون هذا شيئاً حسناً إذا عمل به غيرى ، أما أنا فإنه ليس بسبيلى »

ولكنه بسبيلك ، وأنا أكرر هذا القول بقوة ، بل إنك للرجل الذى أتعمده . وإذا أنت رميت اقتراحى هذا أو أهملته فإنك ترمى أنفس ما أقترح عليك . جربه ، وأمسك بزمام عقلك ، وتأمل كيف يداوى ذلك نصف أدواء الحياة — ولاسيما الهم ، ذلك الداء المخجل المنحوس الذى لا مهرب منه .

### التفكير :

إن التدرب على حصر الذهن (وهو ماينبغى إفراد نصف ساعة له على الأقل فى اليوم) ليس إلا تمهيداً ، كسلم البيانو . ومتى أفدت القدرة على السيطرة على هذه الأداة الجامحة ، فإن عليك بطبيعة الحال أن تضع النير على عنقها ، ولا بد لهذا من دراسة مبدئية .

أما ماذا تكون هذه الدراسة ، فأمر لاخلاف عليه ، إذ هى دراسة النفس . « أيها الإنسان ، اعرف نفسك ! » لقد ابتذلت هذه العبارة حتى أنى لأخجل أن أسطرها ، غير أنه ما عمل بها إلا أحكم الحكماء .

ولا أدرى لماذا ؟ وإنى لمقتنع بأن الرجل الطيب من أوساط الناس لا ينقصه فى حياته شىء كما ينقصه التفكير .

إننا لا نفكر ، وأعنى أننا لا نفكر فى أشياء لها قيمة حقيقية — فى مسألة سعادتنا ، وفى الاتجاه الرئيسى الذى نحن سائرون إليه ، وفيما تعطينا الحياة ، وفى ما للعقل ( أو ما ليس له ) من أثر فى أعمالنا ، وفى العلاقة بين مبادئنا وسيرتنا ، فإن السعادة ليست ثمرة اللذة العقلية أو البدنية ، وإنما هى ثمرة نمو العقل وتفتحه ، والتوفيق بين السلوك والمبادىء .

ولا تخش أن أقحم عليك مبادىء معينة ، فإن كل ما أذهب إليه هو أن الحياة التى لا يتطابق فيها السلوك والمبادىء ، هى حياة سخيفة ، وأن هذا التطابق لا يتم إلا بالامتحان اليومى والتفكير والعزم .

وعلى قدر نقص تفكيرنا يكون نقص عقلنا . فإذا حدث لك مرة أخرى أن سخطت على النُّدُل لأن شريحة اللحم التى قدمها إليك مبالغ فى إنضاجها ، فادع إليك عقلك وشاوره ، والأرجح أن يقول لك إن النادل ليس هو الذى طبخ اللحم ، وإنه لا سيطرة له على أعمال المطبخ ، وإنه حتى لو كان هو وحده الحقيق باللوم — فإنك لا تنال شيئاً بهذا الغضب ، وإنما تفقد وقارك وتبدو للنادل أحمق شرساً ، ولا يؤثر غضبك أدنى تأثير فى شريحة اللحم .

وستكون نتيجة هذه المشاورة بينك وبين عقلك ( وهو لا يتقاضاك أجراً عليها ) أنك ستعامل النادل — إذا تكرر هذا — معاملة مخلوق مثلك ، وتحتفظ بسكينة نفسك ، وتصرّ فى أدب على أن يأتيك بشريحة أخرى . وسيكون الربح بديهياً ومادياً !

ومن الممكن الانتفاع إلى مدى بعيد بالكُتاب فى تكوين المبادىء وتكييف السيرة ، وقد ذكرت ماركوس أوريليوس ، وإبكتيتوس ويحسن أن أذكر أيضاً بسكال ، ولا برويير ، وإمرسون ، ولكن قراءة الكتب لا يمكن أن تغنى عن الفحص اليومى الصريح لما كان منك أخيراً ، ولما تهمّ أن تصنعه — وإدارة العين فى النفس والنظر إليها وجهاً لوجه (حتى وإن كان المنظر مما لا يخفف وقعه !) .

ومتى نعالج هذا الأمر المهم ؟ يبدو لى أن الوحدة فى رحلة الإياب هى الوقت المناسب ، فإن المرء يذهب يفكر عادة بعد المجهود الذى بذله فى يومه لكسب رزقه ، فإذا كنت تؤثر أن تقرأ جريدتك ( التى تستطيع أن تتصفحها وأنت تنتظر عشاءك ) بدلا من أن تؤدى هذا الواجب الأولى المهم ، فإنه لا كلام لى غير أنه يجب عليك أن تنهض بهذا الواجب فى وقت ما . والآن أنتقل إلى ساعات المساء :

الاهتمام بالفنون :

ويقضى كثيرون فترة المساء فى غير شىء، لأنهم يظنون أنه لابديل من الكسل سوى درس الأدب ، وقد لا يكون لهم ميل إلى الأدب .

وهذا خطأ فاحش ، فإن ثم ميادين فسيحة للمعرفة خارج نطاق الأدب ، تؤتى مرتادها ثماراً يانعة . فأنت تذهب مثلا إلى الحفلات الموسيقية ، وتدخن سيجارتك ( ويؤسفنى أن أقول أنك تشعل الكبريت أثناء عزف النغمات الرقيقة من فاتحة بتهوفن) وتستمتع بالموسيقى . غير أنك تقول إنك لا تستطيع العزف على البيانو أو القيثارة ، فما قيمة هذا ؟

وليس من شأن عجزك عن عزف لحن ما على البيانو أن يمنعك أن تعرف تأليف الفرقة التى تصغى إلى عزفها . فإن الحاصل الآن هو أنك على الأرجح تظن أن الفرقة مؤلفة من جملة آلات متنافرة تخرج جملة من الأصوات المختلطة المطربة . ولست تصغى إلى الدقائق، لأنك لم تدرب أذنك قط على الإصغاء إليها .

ولو أنك سئلت أن تسمى الآلات التى تعزف عليها سمفونية بيتهوفن التى هزتك ، لما وسعك أن تفعل . وكل ما يسعك أن تقوله عن هذه السيمفونية إنها «شىء جميل» ولو أنك كنت قرأت كتاب كريبل « كيف تصغى إلى الموسيقى » ( وفيه صور شمسية لآلات العزف الموسيقية وترتيبها ) لذهبت بعد ذلك إلى الحفلات الموسيقية وأنت على جانب مدهش من الفهم والاهتمام ، ولبدت لك الفرقة لا على هيئة جماعة مختلطة ، بل كما هى فى الواقع — كائناً متوازناً رائعاً ، لكل جماعة من جماعاته المتعددة وظيفة مختلفة لاغنى عنها ، وإذنْ لأرسلت لحظك باحثاً عن الآلات ، ومصغياً إليها ، ولوقفت على فرق ما بين البوق الفرنسى والبوق الإنجليزى ، ولعرفت السبب فى أن النافخ فى المزمار يتقاضى أجراً أكبر من أجر العازف على الكمان ، وإن كانت الكمان أصعب ، ولألفيت نفسك تحيى فى الحفلة على حين كنت قبل ذلك موجوداً فى حالة من الغيبوبة الجميلة ، كالرضيع الذى يحدق فى شىء ساطع .

ومن الممكن أن يوضع بهذه الطريقة أساس المعرفة المنظمة الصحيحة للموسيقى ، وفى وسعك أن تقصر دروسك على نحو خاص من الموسيقى (كالسيمفونيات مثلا ) أو على ألحان مؤلف خاص . وفى نهاية عام من ٤٨ أسبوعاً تفرد فى كل أسبوع منها ثلاث أمسيات قصيرة للموسيقى ، فضلا عن درس

البرامج وشهود الحفلات الموسيقية التى تتخيرها بفضل اتساع معارفك ، تلفى نفسك قد عرفت الموسيقى حقاً ، وإن كنت مازلت أبعد ماتكون من القدرة على عزف « لحن لبتهوفن » على البيانو .

وقد تقول: « ولكنى أكره الموسيقى ! » فياسيدى العزيز اعلم أنى أحترمك .

وما يقال عن الموسيقى يقال عن غيرها من الفنون . وإنى أذكر كتاب المستر كليرمونت ويت « كيف تنظر إلى الصور » أو كتاب المستر رسل سترجيس « كيف تقدر فن العمارة » على سبيل الابتداء ( مجرد الابتداء ) فى الدرس المنتظم لفنون أخرى .

وعسى أن تقول : « ولكنى أمقت كل الفنون ! » فاعلم يا سيدى العزيز أنى أحترمك أكثر فأكثر . وسأعالج أمرك فيما يلى قبل أن أتناول الأدب .

**لاشىء تافه :**

الفن شىء عظيم ، ولكنه ليس أعظم شىء . وأهم المدركات هو التفطن المستمر للسبب والنتيجة — أو بعبارة أخرى للتطور المتواصل للكون . ومتى عرف الإنسان الحقيقة الأساسية ، وهى أنه ما من شىء يحدث بلا سبب ، فإنه يكبر عقلا وقلباً أيضاً .

وإنه لصعب على الإنسان أن تسرق ساعته . ولكن المرء يخطر له أن اللص إنما صار لصاً لأسباب مرجعها إلى الوراثة والبيئة يسهل فهمها علمياً . ويشترى المرء ساعة أخرى ، وقد لا يكون مغتبطاً بذلك ، ولكنه على الأقل يكون على حظ من الفلسفة لا يدع سبيلا إلى مرارة النفس . والمرء حين يدرس السبب والمسبَّب ينفض عنه تلك الحالة التى تجعل غرابة أمور الحياة تصدم أناساً كثيرين . وهؤلاء الناس يعيشون بين الطبيعة الإنسانية وكأن هذه الطبيعة بلاد أجنبية ، غير أن الإنسان متى نضج ينبغى أن يخجل من الشعور بأنه غريب فى بلد غريب .

ودرس السبب والمسبَّب يلطف من آلام الحياة ويفيض عليها سحراً . فالرجل الذى لا يعرف من النشوء والتطور إلا اسمهما ينظر إلى البحر فلا يرى إلا منظر جليلاً مملاً ، أما الرجل الذى استقرت فى نفسه فكرة ارتباط السبب بالمسبب دائماً فإنه يرى فى البحر عنصراً كان أول من أمس بخاراً ثم صار أمس يغلى ، وسيصبح غداً لامحالة جليداً . وما من شىء هو أبعث على رضى النفس الدائم كتقدير جمال الحياة وفتنتها العظيمة الدائمة التغير .

وقد تكون كاتباً لسمسار أرض ، وقد

تكون الفنون بغيضة إليك ، وقد تريد أن تنمّي روحك الخالدة ، وقد لا تكون مرتاحاً إلى عملك لأنه تافه .

كلا ! ما من شيء تافه .

وإن ما تنطوى عليه الحياة من فتنة عظيمة ليتبدى فى مكتب سمسار الأرض . فقد اشتد الزحام فى شارع أكسفورد مثلا، وأراد الناس اتقاءه فجعلوا يسيرون فعلاً تحت السراديب والمصارف ، وكانت النتيجة ارتفاع الأجور فى هذا الحىّ ! أفليس هذا بديعاً ؟ وليتك تدرس بهذه الروح موضوع الأراضى مسافة ساعة ونصف ساعة ، مرة كل ليلتين ! أليس هذا خليقاً أن يجعل لعملك متعة جديدة وأن يغير حياتك كلها ؟ أو أنت كاتب فى مصرف ، ولم تقرأ تلك القصة التى تخطف الأنفاس ( وهى متنكرة فى صورة بحث علمى ) وأعنى بها كتاب وولتر بيجهوت « شارع لومبارد » . ومهما يكن من الأمر ، فإنك إذا كنت قد بدأت بهذا ثم توسعت فيه تسعين دقيقة مرة كل ليلتين، فإن عملك حقيق بأن يستولى على هواك ، وأنت جدير بأن تصبح أحسن فهماً للطبيعة الإنسانية .

أو أنت سجين فى مدينة ، ولكنك تحب الرحلات إلى الريف والتملى بشهود الحياة على الفطرة — وإنها الملهاة تجعل النفس أرحب — فلماذا لا تخرج فى بعض الليالى من باب بيتك وفى قدميك خُفّان ، إلى أقرب عمود عليه مصباح غاز ، وهناك تلاحظ الحياة الطبيعية للفراشات العادية والنادرة ، ثم تنسق ما تقف عليه من هذا الطريق ، وتقيم عليها بناء ، فتصبح آخر الأمر وأنت تعرف شيئاً عن شيء ما ؟

فلا حاجة بك إلى العُكوف على الأدب أو الفنون لتحيي حياة ممتلئة .

فإن ميدان المناظر والعادات اليومية فى انتظارك لإشباع تلك الرغبة التى منحناها الحياة ، والتى يكون إشباعها معناه أن لك قلباً يعى .

والآن أنتقل إلى ذلك الذى « يحب القراءة » ومن حسن الحظ أن أمثاله كثيرون .

**القراءة الجدية :**

إن الروايات خارجة عن نطاق « القراءة الجدية » ، التى تفرد لها تسعين دقيقة ، ثلاث مرات فى الأسبوع ، لأن الروايات الرديئة لا ينبغى أن تقرأ ، ولأن الجيدة لا تتطلب من القارىء أى جهد عقلى محسوس . والرواية الجيدة تدفعك بقوة كما يدفع التيار الزورق ، فتصل إلى ختامها وأنت منبهر الأنفاس ، ولكنك غير منهوك . وخير

الروايات لا يتطلب إلا أيسر مجهود . وأهم العوامل فى تثقيف العقل هو الإحساس بالجهد، والصعوبة ، وبأن أمامك مهمة تودّ بجانب من عقلك أن تؤديها ، وبجانب آخر أن تهرب منها ، وهذا إحساس لايمكن أن يستفاد من قراءة رواية .

ولعل الشعر الخيالى أشد أنواع الأدب تطلباً للجهد العقلى ، وهو أسمى صور الأدب وضروبه . وأنا أقول هذا وأنا أشعر شعوراً أليماً بأن الجمهور الأكبر لايقرأ الشعر . فإذا كان الشعر « كتاباً مختوماً » فى نظرك ، فابدأ بقراءة مقال هازلت المشهور عن طبيعة «الشعر على وجه العموم» ، فإن من الصعب أن يتصور المرء الحالة العقلية لرجل يقرأ هذه المقالة ولايشعر برغبة قوية فى قراءة شىء من الشعر قبل وجبة الطعام التالية . فإذا أحدثت المقالة هذا الأثر فى نفسك ، فإنى أرى لك أن تبدأ بقراءة الشعر القصصى البحت .

وإذا كنت تكره الشعر ، فإن عندك التاريخ أوالفلسفة، وهذا مثلا كتاب هربرت سبنسر « المبادىء الأولى » وهو يسخر مما يدّعيه الشعر ، ويأبى إلا أن يعد كتابه أجل ما أنتجه عقل بشرى . ولست أقترح هذا الكتاب على أنه صالح لمبتدىء فى المجهود العقلى ، ولكنى لا أرى سبباً يمنع أى رجل متوسط الذكاء ، بعد أن يقضى عاماً فى القراءة المتواصلة ، أن يصبح قادراً على الهجوم على أسمى ما أنتجه الإنسان من البراعات فى التاريخ أو الفلسفة . إن من أعظم مزايا هذه البراعات أنها واضحة جلية إلى حد مدهش .

وأنا أعرض اقتراحين عامين لتثقيف النفس بالقراءة : الأول أن تعين اتجاه جهودك ومداها . فاختر فترة معينة ، أو موضوعاً معيناً ، أو مؤلفاً واحداً ، وقل لنفسك : « أريدأن أعرف شيئاً عن الثورة الفرنسية ، أو عن اختراع السكة الحديدية ، أو عن شعر جون كيتس » وتفرغ فى زمن معين لما وقع عليه اختيارك ، فإن ثم متعة عظيمة تستفاد من التخصص .

والاقتراح الثانى : أن تفكر وتقرأ فى آن واحد . فإنى أعرف ناساً يقرأون ويفكرون كثيراً ، ولا يستفيدون شيئاً ، وما كان حالهم ليختلف لو أنهم انصرفوا إلى شىء مادى . ذلك أنهم يجوبون أقاليم الأدب فى سيارة ، وكل همهم الحركة ، ويفخرون بعدد ما قرأوا من كتب فى العام .

فإذا أنت لم تفرد ٤٥ دقيقة من وقتك على الأقل للتفكير الدقيق المتعب فيما تقرأ ( وهذا معجز جداً فى البداية ) ، فإن الدقائق التسعين التى تنفقها فى الليل تذهب

سدّى ، ومعنى هذا أن خطوك سيكون بطيئاً .

لا بأس ! انس الغاية ، ولا تفكر إلا فيا يحيط بك من المناظر ، وبعد فترة ، وعلى غير انتظار منك ، تلفى نفسك فجأة فى بلد جميل ، على تلّ .

أخطار تتقى :

ولا يسعنى أن أختم كلامى على حسن الانتفاع بالوقت بغية الحياة (لا مجرد الوجود الهامد) دون أن أشير إلى بعض الأخطار التى تعترض طريق الإنسان المخلص فى تطلعه إلى الحياة الصحيحة . والخطر الأول هو أنه يخشى أن يصبح المرء ذلك المخلوق الذى ليس أثقل منه — الصلف المزهوّ . وهو شخص مأفون منفوخ خرج يمشى مختالاً ، ففقد وهو لا يدرى أهم جزء من هندامه وهو روح الفكاهة . وهو شخص ممل استكشف شيئاً فوقع ذلك من نفسه وقعاً عميقاً ، جعله يشق عليه جداً أن لا يرى العالم كله يشاطره اهتمامه .

ولهذا ينبغى أن يتذكر المرء حين يشرع فى الانتفاع بوقته كله ، أن هذا وقته هو وليس بوقت غيره من الناس ، وأن الدنيا كانت تدور على عادتها فى سلام قبل أن يشرع فى موازنة ميزانيته من الساعات .

الخطر الثانى أن يصبح مقيداً ببرنامج يشدّ إليه كما يشدّ الرقيق إلى مركبة . وأنا أعرف ناساً حياتهم أعباء ثقال على أنفسهم وعلى ذويهم وأصدقائهم ، لأنهم لا يدركون هذه الحقيقة البديهية ، وهى أن البرنامج يجب أن يحترم ، غير أنه لا يجوز أن يعبد عبادة . وقد سمعت امرأة متزوجة تقول : « كلا ! إن آرثر يخرج دائماً بالكلب للرياضة عند الساعة الثامنة ، ويشرع دائماً فى القراءة قبل التاسعة بربع ساعة . فمن غير الممكن أن .... » الخ . الخ . ونغمة الحسم التى تتبينها فى هذا الصوت الشجى هى التى تكشف عن مأساة خفية .

على أنه يجب أن يقال من ناحية أخرى أن البرنامج هو البرنامج ، وهو ينقلب فكاهة سخيفة إذا لم يراعَ .

وثم خطر آخر من أن يُغرَى الإنسان بالاندفاع والعجلة ، وأن يصبح شيئاً فشيئاً مهموماً بما ينبغى أن يفعله بعد ذلك . والعلاج الوحيد هو إعادة النظر فى البرنامج وتقليله وتضييقه . على أن من المفيد جداً أن ينتقل الإنسان من جزء إلى جزء من البرنامج بتمهل شديد ، أو بعبارة أخرى أن يضيع خمس دقائق وهو مدرك تماماً أنه يضيعها .

والخطر الأخير والأهم الذى أشرت إليه من قبل ، هو خطر الإخفاق فى البداية . فإن

هذا قد يقضى بسهولة على الحافز الوليد إلى طلب الحيوية التامة . ومن أجل هذا ينبغى إتخاذ كل حيطة لاتقاء ذلك ، ولا يجوز تكليف هذا الحافز فوق طاقته . ولتكن الخطوات الأولى بطيئة غاية فى البطء على أن تكون منتظمة متلاحقة .

ومتى استقر عزمك على أداء مهمة ، فإنه ينبغى أن تؤديها مهما عانيت من المشقة والاستكراه ، فإن ماتربحه من الثقة بالنفس إذا قمت بعمل ممل ، عظيم جداً .

وأخيراً لا تسترشد حين تختار ما تشغل به وقتك فى المساء ، إلا بذوقك وميلك .

وإنه لحسن أن يصبح الإنسان موسوعة حية للفلسفة ، ولكن إذا لم يكن لك ميله إلى الفلسفة وكنت أميل إلى دراسة نداءات الباعة فى الشوارع ، فخير لك أن تنصرف عن الفلسفة وبحارها العميقة ، وأن تعكف على نداءات الشوارع !

********

## سلطان الألفاظ

كان عندنا بستانى مكسيكى رَبْعة القوام حلو الابتسام ، فظل عدة سنين يتعهد الحديقة أحسن تعهد ، ثم أغراه عمل آخر ينال عليه ضعف أجره عندى . فلم يجد توسُّلى إليه ولا رسائلى ، ولا ماعرضته عليه من مضاعفة أجره ، فى ردّه إلى .

وصرت أتعهد الحديقة بنفسى فى وقت فراغى حتى ضقت ذرعاً . وأخيراً رآنى جار لى ، هو قنصل فنزويلا فى كاليفورنيا ، ولاحظ سوء ما وصلت إليه الحال ، فعرض على أن يكتب رسالة بالإسبانية إلى جو جونزاليس البستانى يزين له فيها العودة إلى .

فخامرنى شك عظيم ، ولكن لم يمض على إرسال الرسالة يوم حتى كان جو دائباً كعادته يتعهد حديقتى . وقال وهو جذل نشوان: «أنا مسرور بعودتى إليك. فما كنت أعرف أنك تكتب الإسبانية ، إنه لشىء جميل . »

فلم أستطع صبراً وسألت صديقى القنصل عن السحر الذى طوى عليه رسالته ، فقال غير مكترث : إنه لأمر بسيط ، فما زدت على أن كتبت إليه : « رأيت الشجر قد انحنت أغصانه حزناً وكمداً ، وسقطت أوراقه كالدموع المنهمرة ، ورأيت الورد قد أشاح بوجهه عن وجه الشمس ، وأخذ يفقد ماعهدناه من شذاه وعطره ، ورأيت الطير كسيفاً حزيناً قد كف عن ترجيع أغاريده الحلوة — كل ذلك لأنها افتقدت صديقها جو ، الذى كان يتعهد الحديقة ويجملها» . وابتسم القنصل ثم قال : « كنت على يقين من أن هذه الرسالة ستبعث الحنين فى قلبه » .

[ إدوارد ثوردير ]

# لا تضق صدراً بالأرق

الدكتور جورج والتن
متخصص في طب الأعصاب

مختصرة من كتاب " علام الهم ؟ "

إذا أنت توقعت أن ترى السكينة اللازمة للنوم المريح ، تنزل فجأة على عقل أضناه الهمُّ والكدُّ طوال النهار ، فقد طلبتَ عبثاً . فالذى يورث تهيُّج الأعصاب المانع من النوم ، هو الهمّ لا العمل . ولا يجوز لمن يأرق أن يتسرّع فيظن أن الأرق هو عِلةُ شقائه لا الهمّ . وقد يدهشك أن تعلم مقدار ما تطيقه من طول السهاد ، دون أن يلحق بك أذى ، على شريطة أن تنسى سُهادَك .

بيد أن عمل يومك ينبغي أن يكون منوّعاً ، وأن تتخلله فترات من الراحة . والذين يدرّبون الشبان على الرياضة يحرصون على أن يتّقوا كلّ مجهود عنيف قبل المباراة ، فلِمَ لا نجعل حظّ عقولنا من ذلك كحظّ أبداننا ؟ فإذا أردت أن تروّض نفسك على عادة النوم ، فينبغي أن تتعلم عادة الإكباب على ما بين يديك ، فهذا يعينك حين تأوى إلى فراشك على أن تعدّ النوم هو ماينبغي أن تعنى به دون غيره ، فلا تتخذ موعده فرصة لتسوية المشكلات والتأمل في مكاره المستقبل . ويغلب أن تصيب نفعاً إذا أنت مشيت قليلا أو أخذت حماماً ، أو زاولت بعض الرياضة ، ولكن إذا أنت فعلت هذا كله وأنت مهتاج ، فإنه قلما يجديك .

وأنفع ماتتأهب به للنوم هو الثقة بأنك سوف تنام ، وأنك لن تبالى إذا لم تنم ؛ فلا النوم العميق ولا النوم الطويل ضرورى لطول الحياة أو للقدرة على العمل . وقد قال جورج أنجل المصلح وهو في الرابعة والثمانين ولا يزال موفور النشاط ، إنهُ ظلّ أسبوعاً كاملاً لم ينم ، وبقى ثلاثة أشهر متوالية لا يصيب من النوم أكثر من ساعتين كلّ يوم ، وإنه لا يذكر أنه نام ملءَ عينيه ليلة واحدة . وثمة كثيرون ظلوا سنين لا ينامون أكثر من بضع ساعات كلّ ليلةٍ ، دون أن يلحق بصحتهم أو راحتهم أذى .

وفى طليعة العادات العقلية الضارة التى لها صلة بالنوم ، هى أن تظن حين تأوى إلى مضجعك أن نومك ثمانى ساعات ينبغى أن يبدأ لساعتك ، وأنه ينبغى لك أن تحصى ساعات الأرق وتطرحها من العدد المقرّر . وهذا الحرص نفسهُ مانع من النوم ، فإذا قلت لنفسك : « إن لم أنم الليلة فسوف

أنام فى ليلة أخرى » ، وجدت فى هــذا أعجب معوان على النوم . والاحتفاظ بضجعة مريحة يســترخى فيها بدنك دون أن تُغفى أنفع من التقلب . وتدريب نفسك خلال يومك على الحدّ من حركتك التى تنشأ من ثورة أعصابك، هو مما يعينك على اكتساب هذه القدرة . والإيحاء الذاتى ينفع أيضاً . فإذا أردت أن تمتحن أثر القلق والإيحاء الذى لا خير فيه ، فانبطح على وجهك ثم تقلب على الفراش من جنب إلى جنب حتى تعود كما كنت ، واقطع تقلبك بفترات من السكون ، وقل لنفسك : « لا أستطيع أن أنام وانا على هذه الهيئة » ، فالحركة السريعة والإيحاء يمنعان النوم. وإذا أردت أن تتبين أثر استرخاء البدن والإيحاء النافع، فاضطجع الضجعة نفسها وتقلب كما فعلت أولاً وأطل فترات السكون وأنت مسترخٍ وقل لنفسك: « أستطيع أن أنام مهما كانت ضجعتى » فالضجعة المريحة والإيحاء الملائم يجلبان النوم قبل أن تتم الدورة .

ومنّا من يأرق لأنه يظنّ أنه يعجز عن النوم قبل أن يسوّى مشكلاته ، ولو فعل الناس كفعله لما نام أحد . فخير ما يفعلونه هو أن يروضوا أنفسهم على أن يرجئوا بعض أمورهم إلى ما يأتيهم به الغيبُ والغــد .

وصرف الذهن عن كلّ فكر بغيض ، عادة يشقّ تعودّها ولكنه ليس مستحيلا . وقد عاش الأسقف بيكون حتى نيّف على المئة ، فقال إن سرّ تعميره ، هو امتناعه عن التفكير فى شىء بغيض بعد العاشرة ليلاً .

وحرص المرء على أن ينام فى حجرة يجد فيها درجات معينة من الهدوء ، والضوء أو الظلام ، والهواء أو قلة الهواء ، هو من العادات المدمّرة للراحة . ومن كان هــذا شأنه ينبغى أن يقول لنفسه : « كل امرىء يستطيع أن يحتمل ما يطيب له ، والفيلسوف وحده هو الذى يستطيع أن يحتمل ما لا يحبّ » ، وليحاول أن يكون فيلسوفاً لا مخلوقاً رقيقاً يُدمى بنانه لمس الحرير . وإذا تنقل المرء باحثاً عن مكان هادىء ينام فيه ، فلربما وجد الهدوء نفسه ثقيــل الوطأة ، وشرّ من ذلك أنه ربما سمع صوت الدم وهو يجــرى فى عروقه ، وهو أمر لامفرّ له منه .

ولا تنسَ أن علة أرقك إنما هى العقل . ومن أراد أن ينام ليله فينبغى له أن يحسن تنظيم نهاره ، فلا يأخذ على عاتقه من العمل أكثر مما يطيق إنجازه دون كدٍّ أو ضيق ، وأن ينجز ما يأخذهُ على عاتقــهِ دون أن تمزّق قلبه الشكوك والهموم .



# فهرس المختار

## المجلد (٦)

العدد ٣١-٣٦ — من مارس إلى أغسطس ١٩٤٦ — السنة الثالثة



# إعلان لبيع عدد أقل من أقلام باركر

Kenneth Parker

رئيس شركة قلم باركر
جاينزفيل . وسكونسن . الولايات المتحدة

اتضح أخيراً بناء على استفتاء أجرى فى ١٩ بلداً مختلفاً أن عدداً أكبر من الناس يفضلون «باركر» على جميع أنواع الأقلام الأخرى مجتمعة. وهذا التفضيل قد أوجد حالة تشبه السوق السوداء، يقع فيها الغُرم كله على الشارى.

ونحن الذين نصنع هذه الأقلام لا نملك إلا الفخر بهذا الإقبال، ولكن شركة أقلام «باركر» تقدم على ذلك حرصها على أن لا يغبن الشارى، وعلى أن لا ينفق ماله جزافاً. وهذا أمر لا يحدث إلاّ فى أسعار السوق السوداء.

وإن سعر التجزئة الرسمى المناسب المعقول لأقلام «باركر» يتوقف، فى كل بلد، على رسوم الشحن والتأمين، كما يتوقف على ضريبة الاستيراد والضرائب المحلية (إذا كانت تُفرض). وعلى كل فلا يجوز أن يصل السعر المحلى فى أى بلد إلى ضعف أو ضعفى أو ثلاثة أضعاف سعر التجزئة فى الولايات المتحدة الأمريكية. والسعر المقرر فى الولايات المتحدة الأمريكية لقلم «باركر ٥١ ستاندارد» هو إثنا عشر دولاراً أمريكياً ونصف دولار، ولقلم «باركر ٥١ ذى الغطاء الذهبى» ١٥ دولاراً أمريكياً.

إن ندرة أقلام باركر ترجع إلى امتيازها المعترف به، وإلى أن شركة «باركر» تأبى أن تنتج منه مجموعات كبيرة على وجه السرعة وبغير عناية دقيقة. وجرياً على هذا المبدأ الذى لم تحد عنه شركة «باركر» منذ ٥٨ عاماً صرفت نظرها أخيراً عن بضعة ملايين من الدولارات كانت فى متناول يدها.

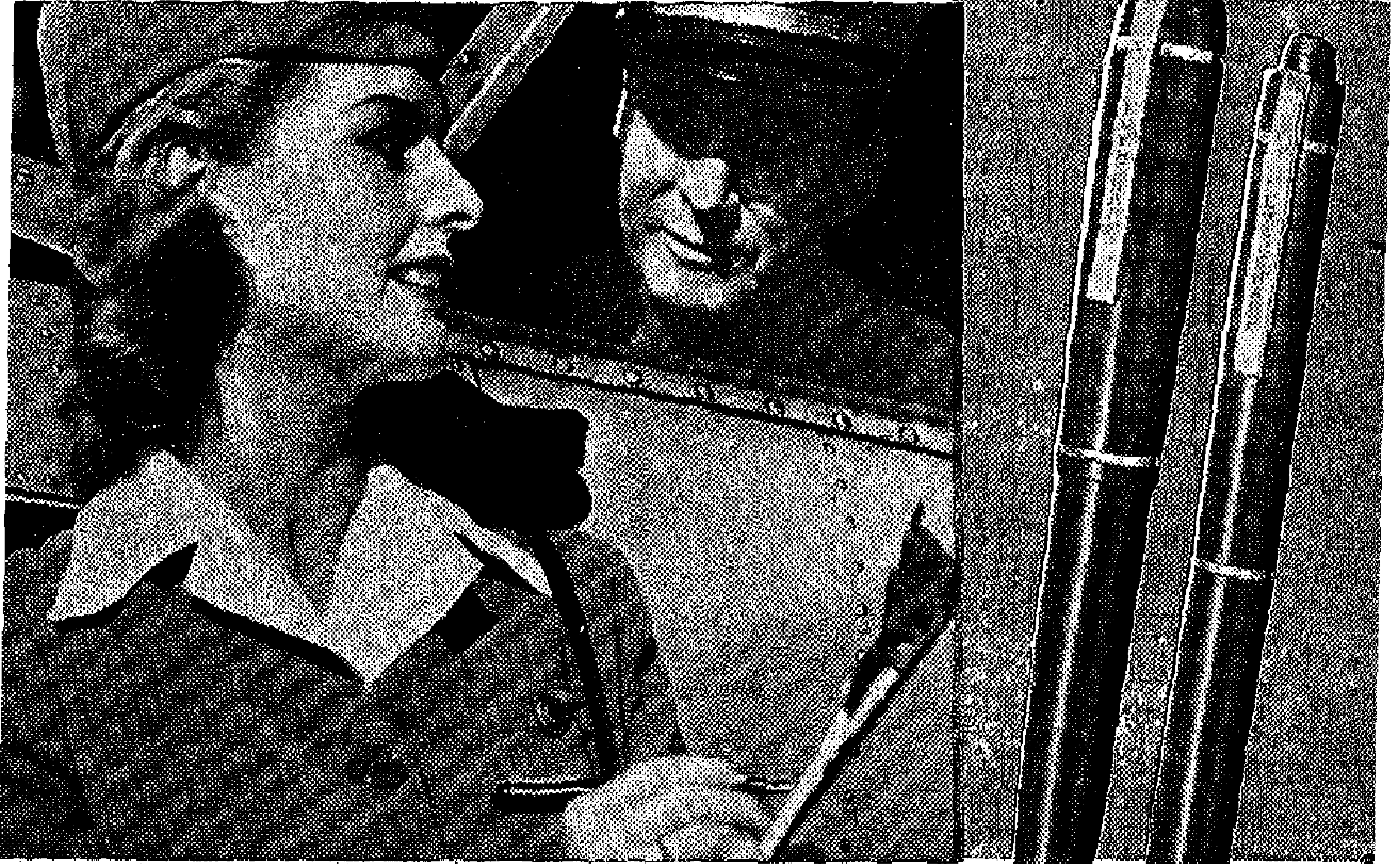
ثم إن استيراد أقلام الحبر فى بعض البلدان محدد وفى بعضها الآخر ممنوع على الاطلاق فإذا كان بلدك أحدها، فتذكر أن لحكومتك أسباباً وجيهة حملتها على اتخاذ مثل هذه الإجراءات.

وعلى كل حال فعاجلا أو آجلا ستتاح أقلام «باركر» فى منطقتك بأسعارها المعتدلة. وإلى أن يأتى ذلك اليوم تزوّد بقلم آخر — إذا مست الحاجة — أو تزوّد بالصبر! لا تشجع السوق السوداء. إن نقودك تؤتى ثماراً أطيب حين تنفقها فيما تفضله أنت من أعمال البر والإحسان.

# تصوّر قلماً يستطيع أن يطير !

إنه قلم ايڤرشارپ الذى يعتز به

طيارو الخطوط العالمية "پان أميريكان".



لا عجب أن يكون قلم ايڤرشارب هو الوحيد المفضل عند كل من يمتطى جناح الجو ! فخزانه العجيب الفريد يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطبقات العليا — وعلى اليابسة أيضاً بالطبع. فلا مضايقة ولا أصابع ملطخة ! وفى الطبقات العليا تنضح الأقلام الأخرى ويسيل حبرها — أما قلم ايڤرشارب فيستمر فى كتابته — على أكمل وجه !

والخزان السحرى علاوة على ذلك يهيىء لقلم ايڤرشارب كتابة عدد أكبر من الكلمات، بسهولة أوفر، وحاجة أقل إلى التعبئة.

أما قلم الرصاص ايڤرشارب، ذو الطلقات، المعروف بـ « وزن الريشة » فيكفى ضغط بسيط على زره السحرى ليظهر الرصاص — تماما على طريقة المدفع الرشاش !

## ايڤرشارب

### ضمان مستمر

خدمة أقلام الحبر ايڤرشارب وأقلام الرصاص ايڤرشارب مضمونة — ولا يقتصر هذا الضمان على عدد معين من السنين ولا حتى على الحياة بل هو ضمان للأبد.

## قدم ايڤرشارب .. تكون قدمت أبدع هدية !

# فى خدمة كل سيدة

## منتجات تجمع بين خبرة الحرب وأسعار بعد الحرب

فى خلال الحرب كان على شركة مصر للغزل والنسج أن توفر الكساء للملايين وقد هيأت لها هذه المهمة الجبارة خبرة واسعة فى سبيل تحسين منتجاتها من القطن والصوف والكتان ، وأصبحت كل سيدة تقتنى منتجات شركة مصر للغزل والنسج ، تثق تماماً بأنها قد ظفرت — مقابل نقودها — بأجود ما فى السوق .

وقد رأت شركة مصر للغزل والنسج أن تتيح لعملائها فى مصر والسودان والأقطار العربية جنى ثمار هذه الخبرة الطائلة فشرعت فى تجديد مصانعها العظيمة والسمو بإنتاجها ليظفر كل مستهلك بتلك المنسوجات البديعة التى كانت وستظل رمز الأناقة والجودة والذوق السليم .

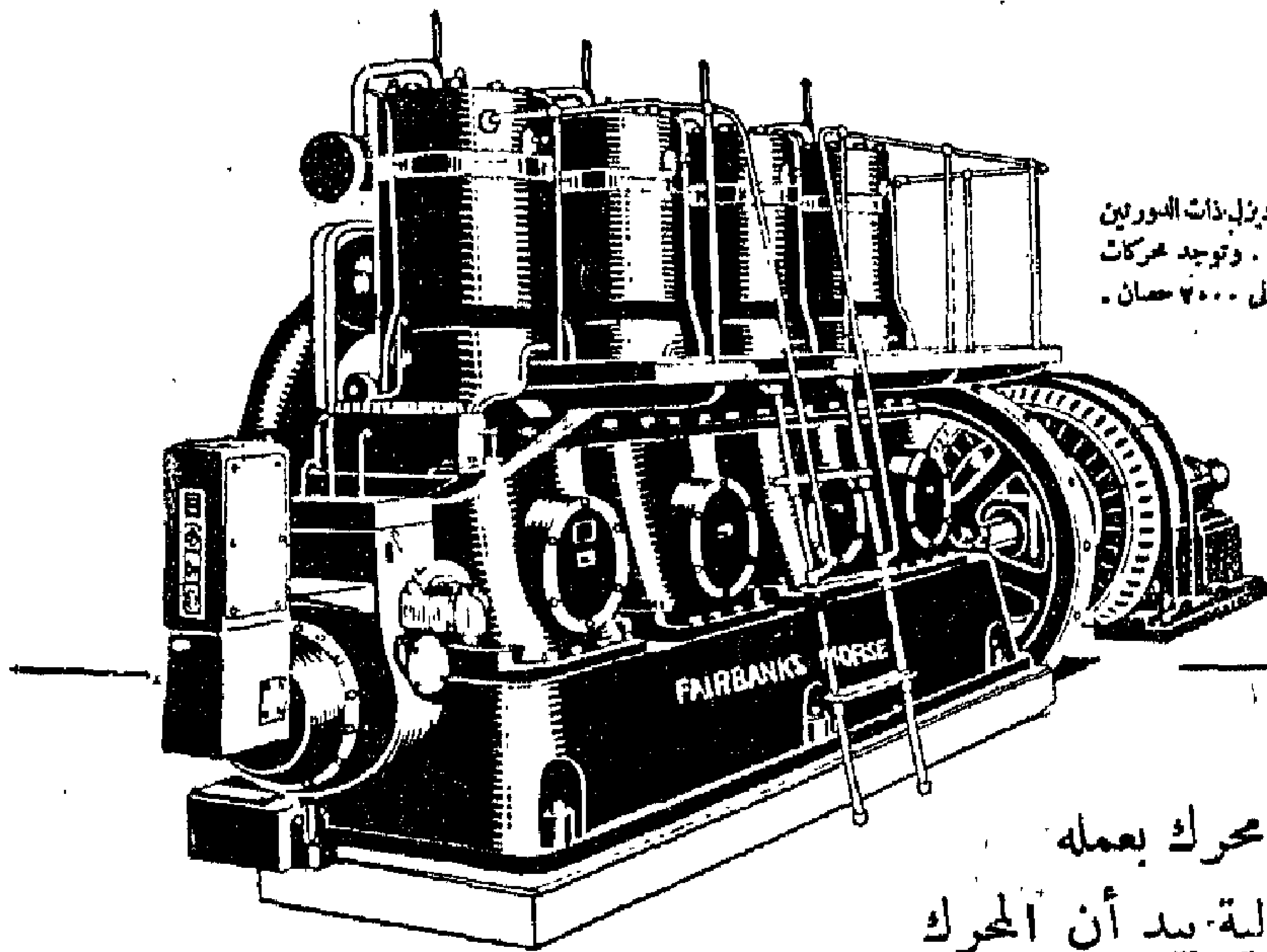
منتجات من الدرجة الأولى
قطن . صوف . كتان



## شركة مصر للغزل والنسج

مركزها الرئيسى بالقاهرة — مصانعها بالمحلة الكبرى

# عطل أقل بفضل هذا الدّيزل




« فيربانكس مورس » موديل ٣٢ » ، محركات ديزل ذات الدورتين للعمل الضخم ، قوتها من ١٢٠ إلى ٤٥٠ حصاناً . وتوجد محركات « ديزل فيربانكس مورس » تتراوح قوتها من ٥ إلى ٢٠٠٠ حصان .

كثير أن يقوم أي محرك بعمله خلال ثلاثين سنة متوالية بيد أن المحرك المبين هنا أدى هذا النوع من الخدمة وقام بهذا الضرب من العمل مرات عديدة ، في أحوال عديدة ، ولمؤسسات عديدة . فسواء كنت تتأهب لمشروع بلدى ، أو صناعى ، أو زراعى يلزمه القوة المحركة فهيء لنفسك أقصى ضمان وأقل نفقة باستشارة وكيل « فيربانكس مورس » لتظفر بالمحركات التى تعطيك هذه الخدمة القياسية التي قام عليها البرهان!

شركة شمال شرق أفريقيا التجارية
القاهرة ـ الاسكندرية

ف . ا . كتانه وشركاه
بيروت ـ طهران

ف . ا . كتانه دمشق
لميتد بغداد

چوزيف ج . روزجولد . تل أبيب
( مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

م . برجر . تل أبيب
( جميع المنتجات ما عدا مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

# Fairbanks, Morse & Co., Inc.

تأسس سنة ١٨٣٠

إسم جدير بأن تتذكره



Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.

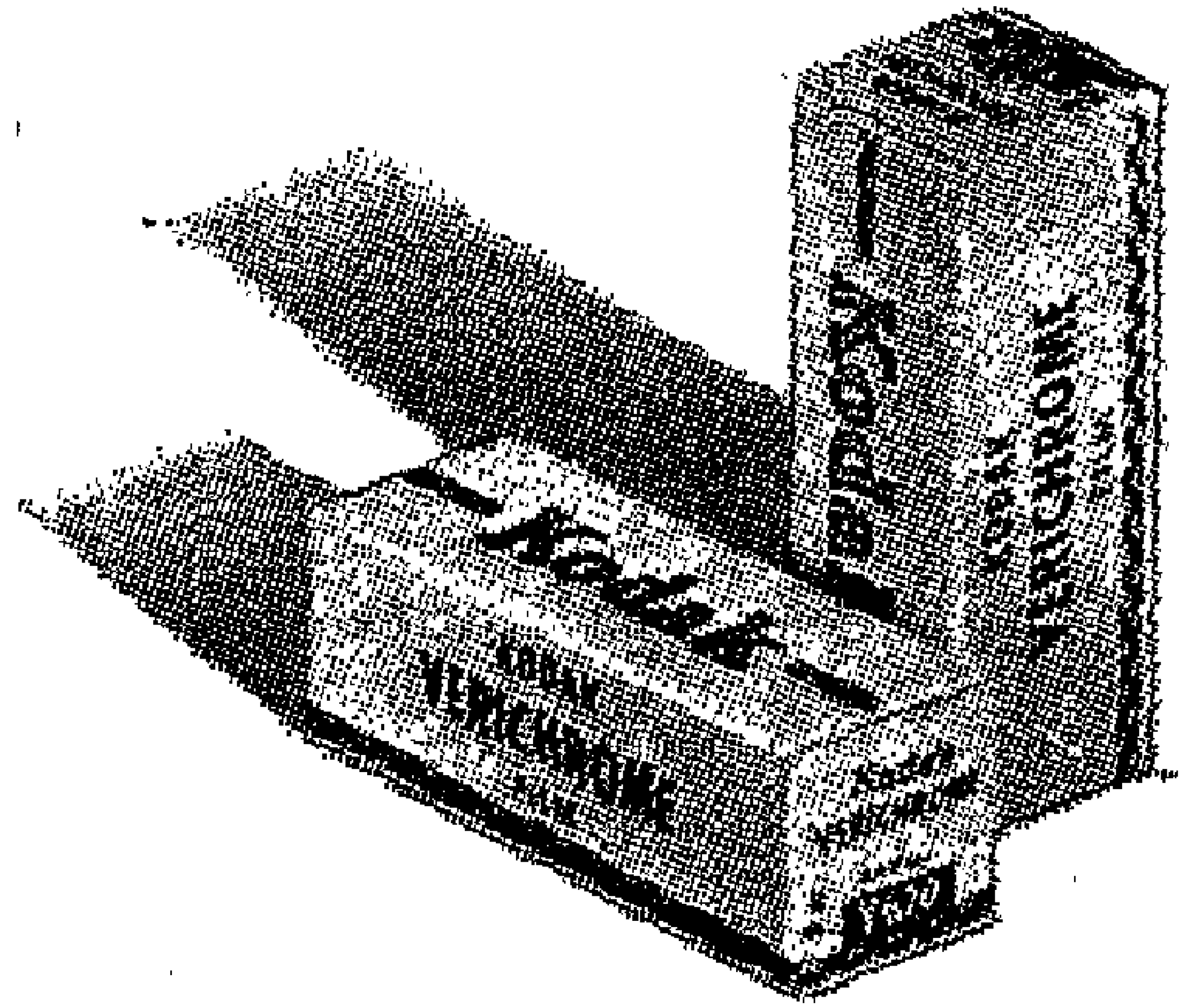
محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات . أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس . معدات السكك الحديدية .

... باللغـة العـربيـة هو "غطّاس"

... باللغـة الإنجليزية هو "a diver"

... باللغـة السويدية هو "dykare"

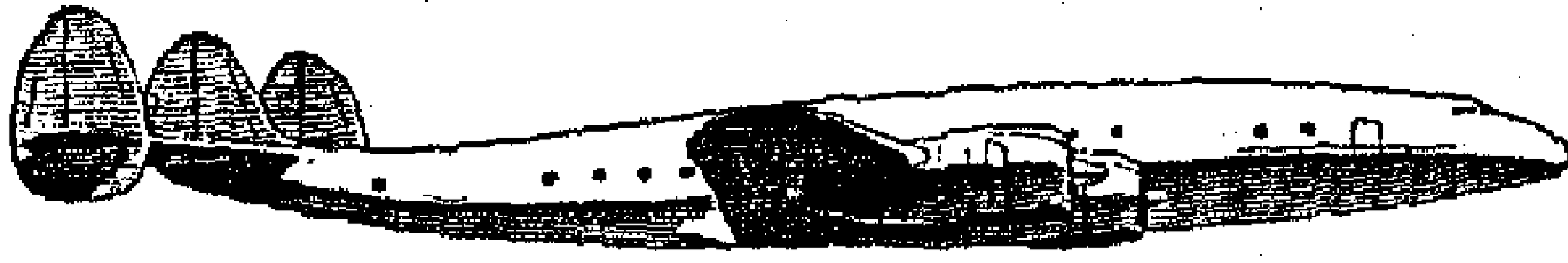
ولـكنك تجد فى جميع لغات الأرض كلمة واحدة تدلُّ على كلِّ ما يلزم لالتقاط الصور، من أفلام، وآلات تصوير، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak*




**Kodak*** ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٨ سنة شركات «كوداك» والشركات المنتمية إليها، و«كوداك» لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين، تيسر لكل إنسان أن يظفر بمنتجات «كوداك»، فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY, ROCHESTER N. Y. U. S. A.


Kodak







CONSTELLATION

# وفر الوقت والعطل والنقود في مصنعك




فشهرة منتجات جارجويل تستند الى ٨٠ عاماً من الابحاث والخبرة والى الخدمة الفنية الممتازة التي تقدمها شركة سوكوني - ڤاكوم الى عملائها في جميع أنحاء العالم.




**سوكوني - ڤاكوم**




C.R. 4954

# فى طريقها إلى الشرق الأوسط




إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة

حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط . ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

**كريم وليامز الفاخر للحلاقة :** يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمــة دون أن يتهيج الجلد .

**أكوا ڤلڤا :** أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعــد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

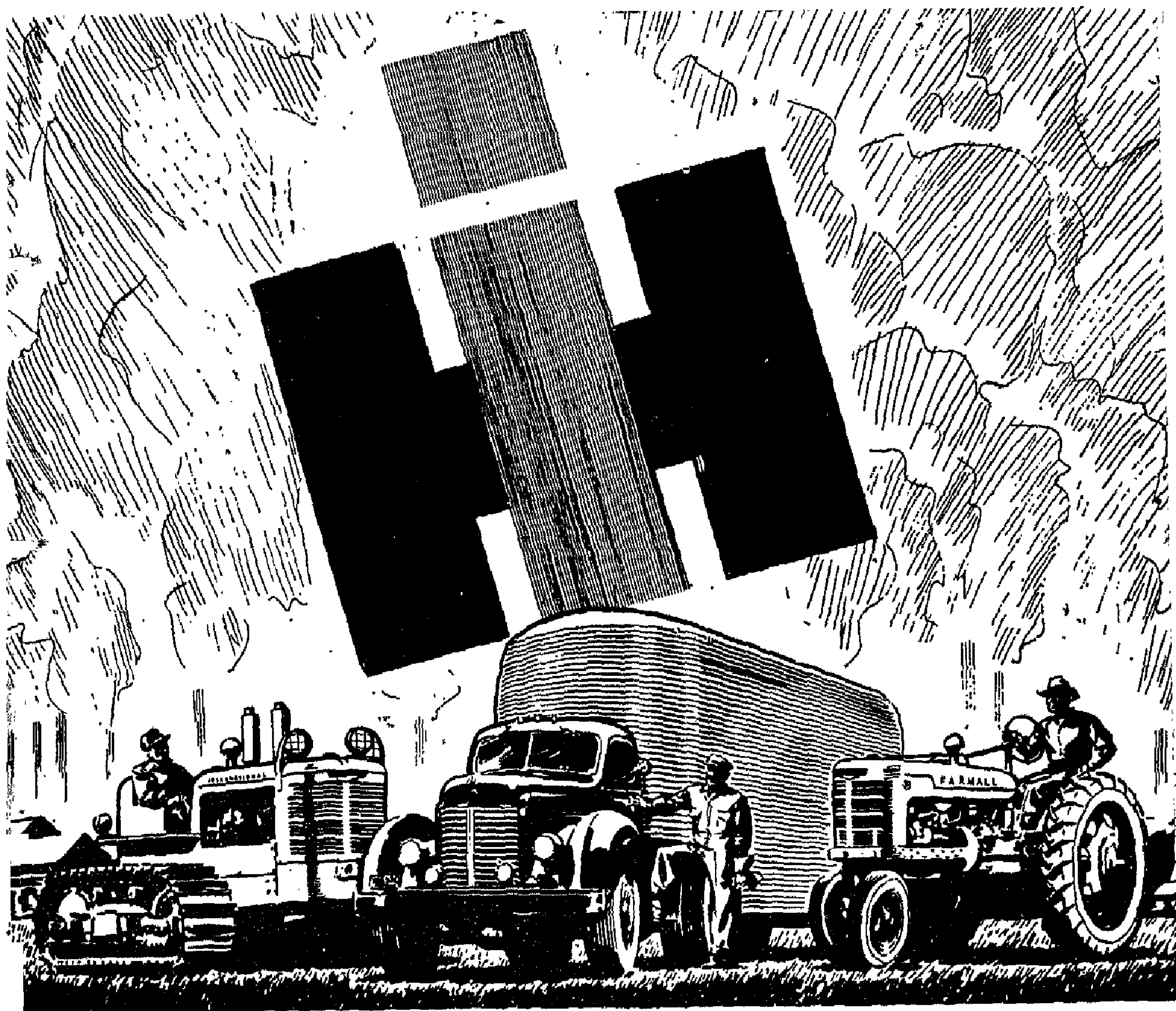
**كريم جليدر و كريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة :** خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

**قلم صابون وليامز للحلاقة :** مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة

*The J. B. Williams Co.*, GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيك ، الولايات المتحــدة

**منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة**




# هذا الرمز الجديد دليل على منتجات إنترنشونال هارفستر

## ... إنه رمز الخبرة والخدمة

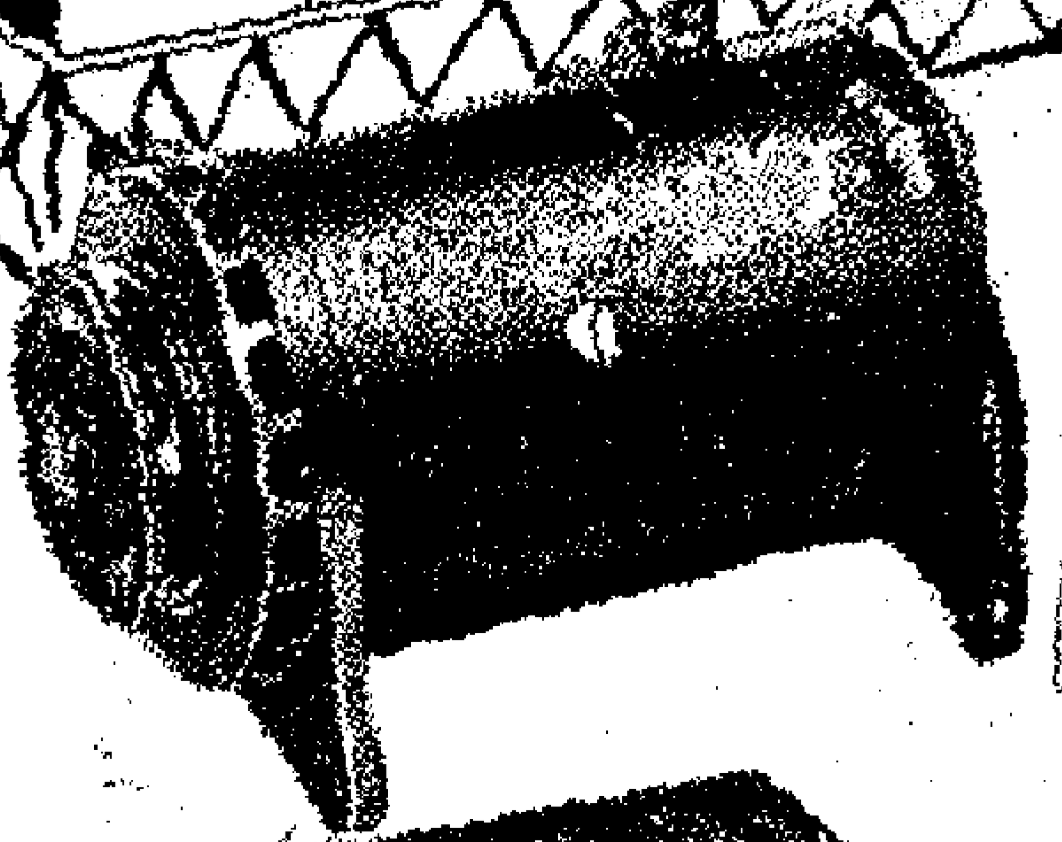
مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة « إنترنشونال هارفستر » . ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر » وأصبح يشمل مجموعات كاملة من كيونات « إنترنشونال » وآلات القوى الصناعية « إنترنشونال » وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « إنترنشونال ... » وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة فى جميع نواحيها وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر » من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التى تؤديها لمستعملها فى جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التى تنتجها مؤسسة « إنترنشونال هارفستر » . إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم فى العالم أجمع كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة :

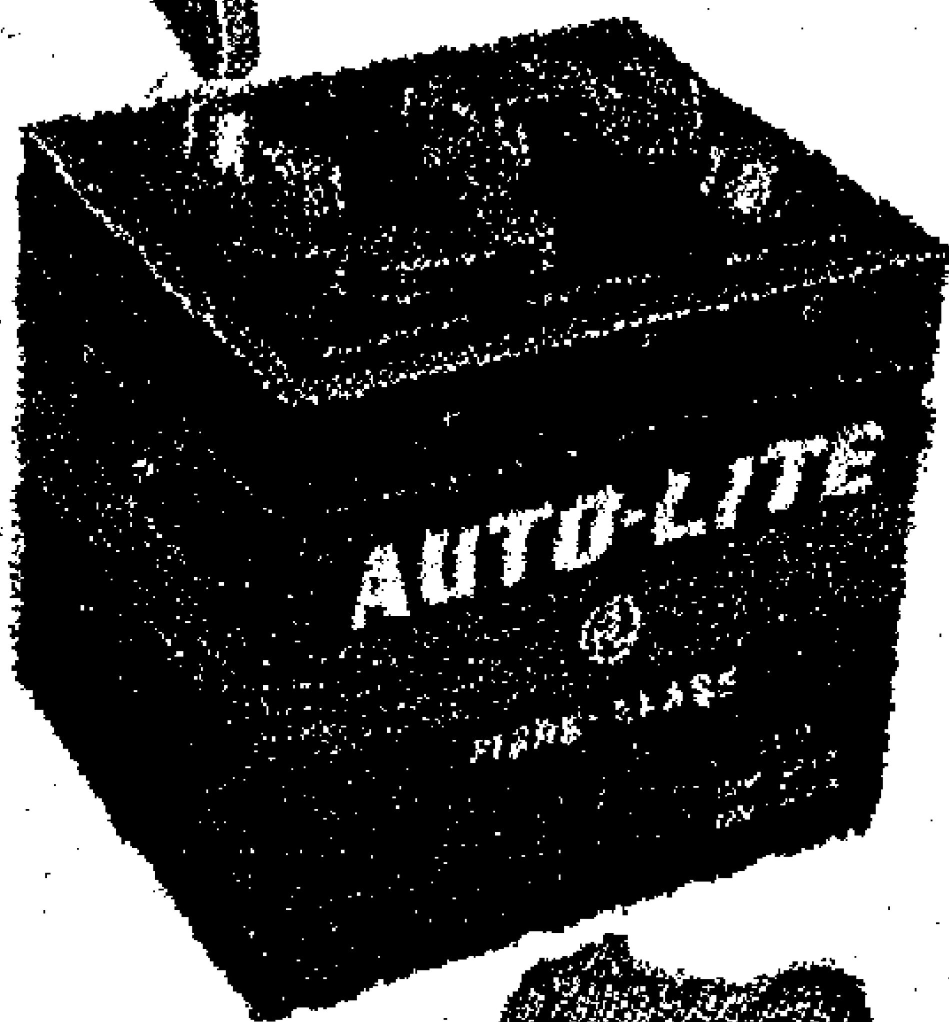
INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U. S. A.

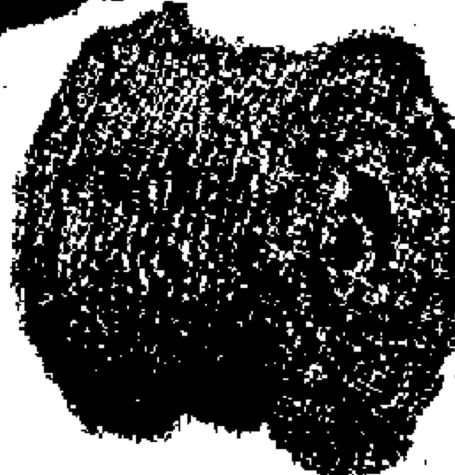
**سيارات النقل إنترنشونال — آلات القوى الصناعية إنترنشونال**
**جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال**

**INTERNATIONAL HARVESTER**


AUTO-LITE




AUTO-LITE



# وصفة لأسنانك




**كيفية الاستعمال :** استعمله مرتين فى اليوم على الأقل كما تستعمل أى معجون عادى للأسنان . نظف أسنانك بالفرشة تنظيفاً محكماً بأن تحرك شعر الفرشة على ميناء الأسنان حركة سريعة حثيثة من أعلى إلى أسفل .

**أكثر من ١٤ عنصراً :** إن معجون الأسنان LISTERINE مركب من ١٤ مادة انتخبت بعناية فائقة وأحكمت موازنة مقاديرها بحيث تعطيك أعظم مزايا الصقل والتنظيف بلا أدنى خطر على ميناء الأسنان .

**المزايا التى تترقبها :** ينفذ إلى أدق ثنايا الأسنان (بفضل عنصر منظف خاص) فيصل إلى البقع الميكروسكوبية الدقيقة التى تهمل وتظل بغير تنظيف لو استعمل أى معجون أضعف أثراً من هذا .

طعم جديد ، لذيذ ، منعش ، يستطيبه ذوقك تشعر بعده أن فمك صار أطرى وأنقى وأعذب .

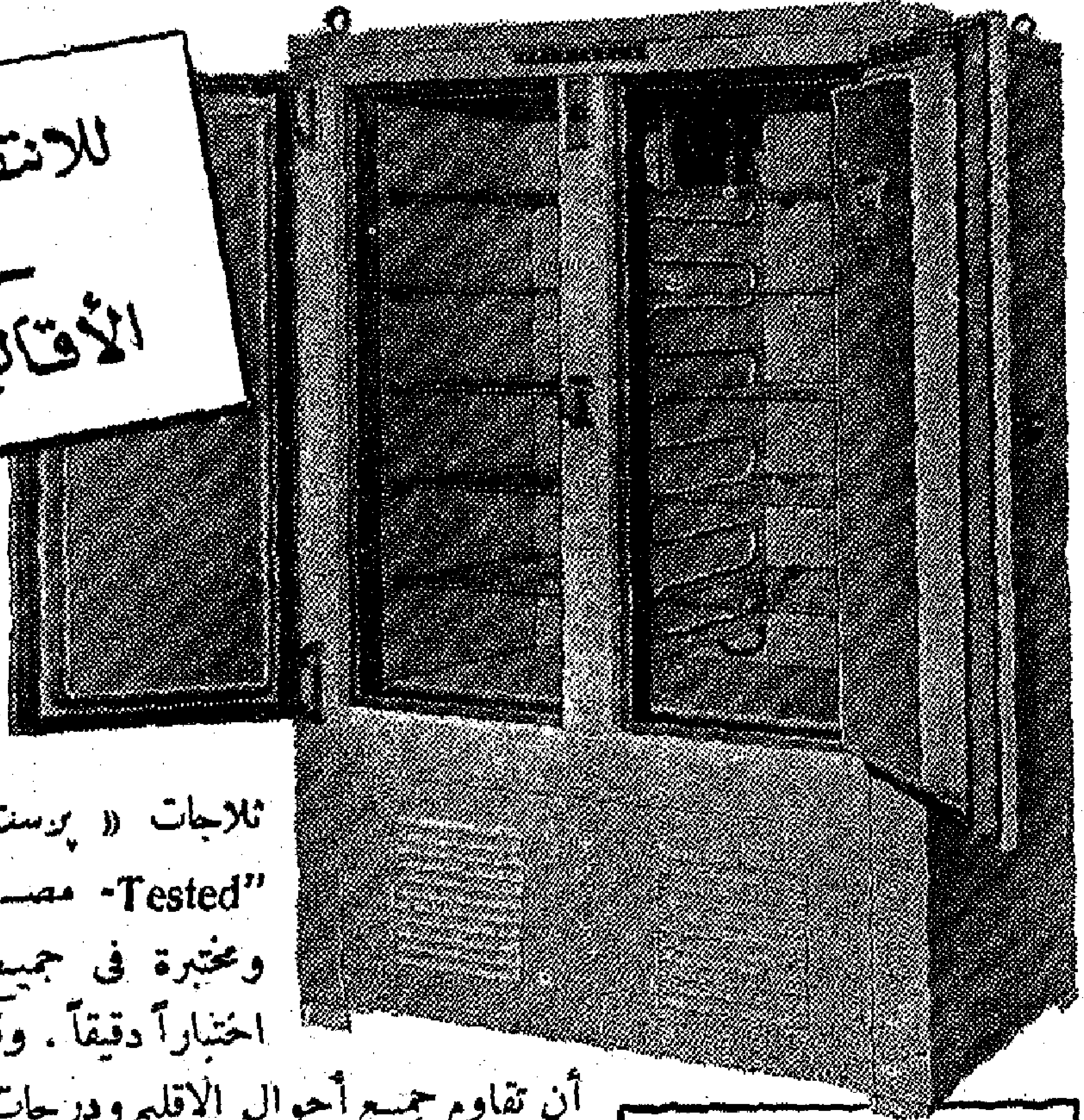
اقتصاد حقيقى من الممكن تسجيله بالقرش والمليم ! لاحظ بنفسك المقدار البسيط الذى يلزمك من هذا المعجون العصرى للحصول على نتيجة باهرة !




## معجون الأسنان
## ليسترين LISTERINE

# صممت خصيصاً
# واختبرت خصيصاً ...

للانتفاع بها
في
الأقاليم الحارة



ثلاجات « برست كولد » "Tropic -Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن ببناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

# PRESTCOLD
## للتبريد




شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولانى هانكى وشركاه (السودان) ليتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

# شركة پرسد ستيل ليمتد

**THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND**




# مرحبا بالعالم

إن توفير أسباب الراحة والمتعة فى الرحلات الجوية على نطاق عالمى واسع ، مهمة ميسورة هيّنة لمؤسسة مثل TWA وقد كانت TWA أول شركة جوية استطاعت منذ نيف وستة عشر عاماً أن تهيء للمسافرين فى الولايات المتحدة رحلات تصل بين الشاطئين الشرقى والغربى ، تخصّصت منذ ذلك الحين جزءاً كبيراً من مجهودها لتوفير أسباب الراحة الجوية للمسافرين فى جميع أنحاء العالم.



TWA
TRANS WORLD AIRLINE

## ماهى TWA

* TWA لها خبرة نيف و ٢٠ عاماً فى الطيران.
* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .
* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوّية .
* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .
* TWA سجلت ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .
* TWA أول من نظّم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلنطى.
* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالميـة ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .
* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتُراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

رحلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندة . فرنسا . سويسرا إيطاليا . اليونان . مصر . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . العين . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا .




# امتياز قديم مأثور في الراديو والأجهزة الأليكترونية

إن علامة RCA التجارية ترمز إلى خير أجهزة الراديو والمعدات الأليكترونية التي تملأ النفس بروعتها ومزاياها — وهي ثمرة الخبرة والتجربة التي كسبتها شركة « راديو كوربوريشن أوف أمريكا » خلال ٢٦ سنة قضتها في الأبحاث الفنية والهندسية . إن RCA رمز يدل على اختيار قديم مأثور . تراه بيناً في إقبال الزبائن على منتجات RCA وحرصهم على اقتنائها .

وشركة RCA تفوق كل شركة أخرى في مالها من قدم راسخة وأصل ثابت في كل ميدان من ميادين الراديو . . . والصناعة الأليكترونية . . . والتلفزيون . . . والصمامات ... والأسطوانات ... والإذاعة ... وأجهزة الصوت في المدارس والمصانع ... وتسجيل الصوت على الأفلام ... وآلات عرض الأفلام المسجلة ، وكثير غيرها من المنتجات المماثلة .

والمنتجات التي عليها علامة RCA يراها كل مشتر حصيف في جميع أرجاء العالم أفضل المنتجات .



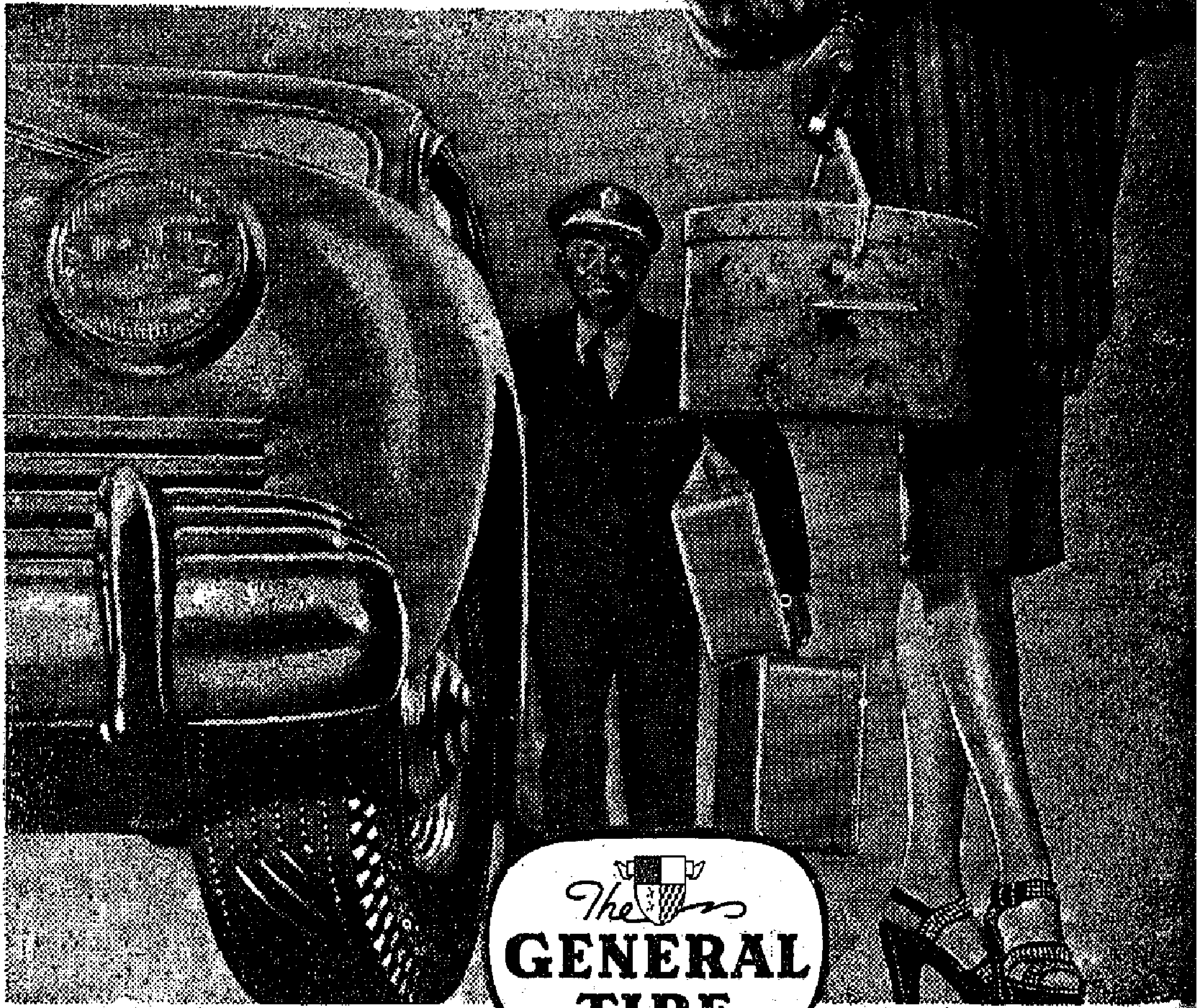

**RCA INTERNATIONAL DIVISION**

**RADIO CORPORATION of AMERICA**

**745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.**

# كل ميل يقطعه يقدم الدليل على امتياز نوعه

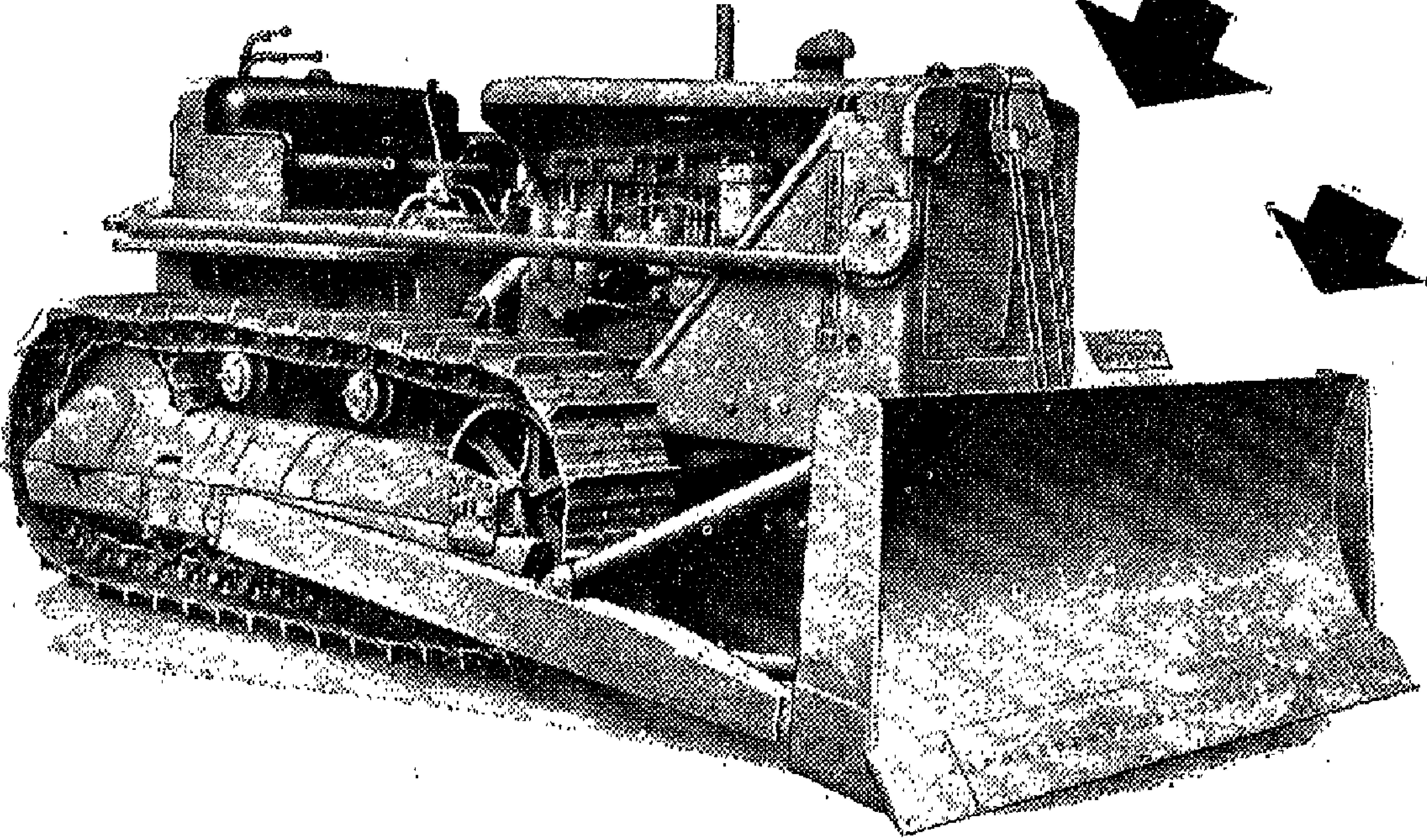
شركة جنرال تير أند رابر اكسبورت.
اكرون . اوهايو . الولايات المتحدة
تلغرافيا : جنتيروكو اكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة . وكندا . ومكسيكو . وفنزويلا . وشيلي . والارجنتين




يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

© The General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO

# المسالف الجديدة
# "كاتربيلر"



إن شركة « كاتربيلر » تتيح الآن مجموعة كاملة من المسالف ( ممهدات الطرق ) تضارع فى صنعها الممتاز وأدائها الفريد جرارات « كاتربيلر » ديزل . وتمتاز هذه الوحدات الجديدة بجميع المميزات التى كسبتها الشركة خلال سنين طويلة من الخبرة فى صناعة معدات نقل التراب .

واسمع جميع من اقتنوا هذه المسالف يخبروك أنها أبسط المسالف التقنة وأسهلها قيادة وأكفأها عملا . فهى خالية من العوارض المركبة فوق رأس السائق وهى التى تزيد وزنها بلا ضرورة وتقلل من مدى الرؤية . ونصلها القوى ، المثنى بشكل خاص يمكن لها أن ترفع أثقالا أعظم كما يهيء لها بمعاونة جرارات « كاتربيلر » ديزل أن تؤدى عملا أكبر فى مدة أقصر وبتكاليف أقل . وستجد الحكومات والمقاولون والزراع أن معدات « كاتربيلر » الجديدة تسد حاجات حيوية عديدة — فهى تمهد الأرض ، وتعبد الطرق ، وتنشىء الخزانات وتحفر الترع للرى ، وغيرها من الأعمال .

CATERPILLAR TRACTOR Co., PEORIA, ILL., U.S.A.

**CATERPILLAR DIESEL**

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

[ تتمة مقالة الغلاف ]

وهذا قليل من كثير من المقالات الحديثة التي نالت حفاوة قراء المختار . وهذه الدلالات العظيمة وأمثالها تؤيد محرري المختار فيما يعتقدونه من أن قراءهم يريدون أن يظلوا على صلة وثيقة بكل ما يجدّ في جميع أرجاء العالم من الآراء والأفكار .

وصدق فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية حين قال : « التعارف أفضل وسائل التفاهم بين الشعوب ، وأفضل وسائل التعارف ما كان الفكر رائده والعلم سبيله . ويسرنا أن تكون مجلة المختار التي تنشر في مصر بلغة عربية مبينة ، وتحمل إلى سائر الأقطار العربية صفحات مختارة تبحث في جميع نواحي الحياة . من رسل التعارف والتفاهم بين أبناء هذه الأقطار ، بل بينهم وبين تلك الأقطار النائية التي طوت الحضارة مراحلها البعيدة ومسافاتها العظيمة فجعلتها قريبة دانية » .

ونحن نأمل أن تكون أنت نفسك قد أصبحت على ثقة من أن هذه المجلة ينبوع يمدّك بأنباء العالم ومعارفه ، وبما يسليك ويرضيك ويخفف عنك . ونحن حِرَاص، كدأبنا أبداً ، على أن نقف على ما تراه أنت وتقترحه علينا في شأن المختار ، حتى نستطيع أن نجعله أقربَ إليك وأبلغ إلى رضاك في الشهور المقبلة .

فؤاد صروف

٣ يوليه ١٩٤٦


AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 36, AUGUST 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين

مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .

مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربيــة

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولیم ف . چیلسپي .

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً ، الاشتراك ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

# رسالة من رئيس التحرير

— ٢ —

محرر المجلة التى يتداولها الناس، كصاحب المحل الذى يقصده الناس، ينبغى على كليهما — إذا أراد أن يبلغ رضى الجمهور — أن يقدم إليه موادّ مختلفة الألوان والأشكال. يكون فى كل منها نفع لطائفة من القراء، ويكون فى معظمها نفع لهم جميعاً. فالبحث عما يحتاج إليه القراء هو أعظم شطر من عمل المحرر، فلذلك ترى محررى المختار لا يفتأون يلتمسون كل طريق جديد لتجويد العمل الذى يؤدونه لعربى، من تزويده بالأنباء والمعلومات والمقروءات النافعة، الكتب والمجلات والصحف.

و المشتركين فى المختار، فقد وصلتك ولا بدّ رسالة من ألك عن المقالات الست التى استحوذت على رضاك، وعن رأيك فى المجلة بوجه عام. وإذا كنت ممن يشتريها من الباعة، فلعلك وجدت فى قلب المجلة بطاقة تتضمن نفس السؤالين. ونحن نتقدم بالشكر إلى آلاف من قرائنا الذين وافونا بآرائهم فيما طلبناه منهم، فقد أعانونا على اختيار أوفق ما ينفع هذه الشعوب التى تفور فوراناً بنهضة خالصة صادقة، والتى لا ينطفىء لها ظمأ إلى معرفة ما يدور فى هذا العالم المحيط بها.

وإليك عناوين المقالات التى حازت اهتمام قرائنا فى الأشهر الأخيرة. فانظر، وأنت تقرؤها، كيف أنها تدلّ على صحة التقدير وعظيم الاهتمام بأشياء كثيرة فى الحياة خارجة عن نطاق ما نألفه فى حياتنا:

قضية السلام، بطولة رائعة فى المنطقة المتجمدة، آسية ينبغى أن تعيش حرة، شعب يكافح الأميّة، أحدث أعجوبة بين العقاقير الطبية، ثمانية مبادىء لمعاملة روسيا، ليوناردو دافنشى، صفقة فى جزيرة تاهيتى، بوليفار المحرر الأعظم، حكومة عالمية أو خراب عالمى.

[ التتمة على الصفحة السابقة ]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

سبتمبر ١٩٤٦ — ٣ قروش

# المختار

## من ريدرز دايجست

### في كل مقالة لذة دائمة





# بعض ما تقرأ في عددنا القادم أكتوبر ١٩٤٦

**ملك الجزيرة العصامي :** هذا كاتب أمريكي يرسم صورة حيّة نابضة بالقوة ، لحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

**الرجل الذي أبى أن يعترف بالهزيمة :** زنجي من زنوج أمريكي ، صار في طليعة علماء الكيمياء ، وأتاح للحوامل ما ييسّر لهن الحمل والولادة ، وللشيوخ ما يردّ عليهم النشاط — كان جدّه عبداً رقيقاً ، وأبت جامعة من جامعات البيض أن تعيّنه أستاذاً فيها . قصة تلهم العزيمة وتلهم الجهاد .

**الشخصيات التي لا تنسى :** الحياة بعد الموت ؟ لم يكن مؤمناً بها . ثم حدث — وهو على فراش الموت — ما بيّن له أنه كان قد ضلّ الصواب . الكاتبة سيجن توكسفيج تحدثك عن أبيها الحبيب المرتاب . . . وعن المعجزة التي حملته على تغيير رأيه .

**حواس الحيوان المرهفة :** يستطيع ذكر الفراش أن يستروح أنثاه وهي تبعد ميلاً عنه . ويستطيع طائر « أبو الحنّ » أن يسمع وهو على فنن الشجر ، صوت دودة تتحرّك تحت سطح الأرض . حواس تفوق في دقتها أدق أجهزة العلماء . وهذه طائفة من أعجب رواياتها .

**أفتك الحروب :** الجراثيم — لا القنابل الذرّية — قد تكون السلاح الذي يُسلّ في حرب تالية . صورة مروّعة لما عسى أن يكون من هجوم بالكوليرا والطاعون ... وما تمّ من ذلك حتى الآن ، وكيف أسفرت تجاربها عن نفع في الطب والزراعة وغيرها .

**« كنا ننتظر وصولكم في دكار » :** كانت مدافع حصون الساحل مشرعة ، وكانت الغوّاصات متأهبة لتقذف الموت على السفن ... وهذا رجل كان موظفاً في شركة إعلان ، فصار جاسوساً من هواة الجاسوسية ، ولكنه ظفر فضلّل القيادة الألمانية — قصة من أحسن قصص الجاسوسية في الحرب العالمية الثانية .


AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 37, SEPTEMBER 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلي أتشيسون — المدير المساعد : مارڤن لوز .

**الطبعة العربية**

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : وليم ف . چيلسپي .

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً ، الاشتراك ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .

**العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤**

المختار

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

سبتمبر ١٩٤٦

# العرب يسيرون قدما

إدوين مولر

في الشرق الأوسط اضطراب ، فنحن نقرأ عن قنابل تقذف في فلسطين ، وعن صراع في القاهرة ، وعن مظاهرات في جميع الدول العربية من ضفاف دجلة إلى شواطىء النيل . وما يحدث في بلاد الشرق الأوسط ، يدل خير دلالة على ما سيكون عليه العالم الذي نعيش فيه نحن وأولادنا من بعدنا . ففي هذه الرقعة المضطربة ، تصطدم رغبات روسيا بالمصالح الحيوية لبريطانيا والولايات المتحدة . وأنت ترى ملايين من العرب يتململون في سورة انبعاث قومي ، وهم لم يقرروا بعد ، أيتجهون إلى الشرق أم يتجهون إلى الغرب ، إلى الشيوعية أم إلى الديمقراطية .

ولبُّ الحقيقة في شأن العرب اليوم ، هي أنهم في غمار تحوُّل عنيف سريع ، فهم ينتقلون في مدى جيل واحد من حياة كحياة الإقطاع في القرون الوسطى ، إلى حضارة القرن العشرين . وأنت ترى قرب محطة عربية حديثة لتعبئة البنزين في فلسطين جماعة من البدو قد ضربت خياماً كخيام إبراهيم عليه السلام . وترى في دمشق الشام ، في الشارع المسمى بالشارع المستقيم ، منزلاً تقطنه نسوة محجبات منعزلات ، وأما السيدة في المنزل المجاور فتلبس أحدث الأزياء وتسوق سيارتها لتحضر اجتماعاً للاتحاد النسائي ، للمطالبة بحق النساء في الانتخاب .

إن شيخ القبيلة الرحَّالة في الصحراء ربما كان له السلطان المطلق على رجال قبيلته وهم جميعاً من أهل البأس والشدة ، وربما

رأى أن يقتل إحدى زوجاته أو سراريه، ولكنه يقود طائرته الخاصة إلى القاهرة وينزل منها فى فندق شبرد.

وفى حى واحد من أحياء مدينة حلب، ترى سير الثورة الصناعية من مهدها إلى يوم الناس هذا. ففى طرف من أطراف الحى رجل ينسج القطن ويجلس أمام نوله فى جوف الدكان، وهو أشبه بكهف يطل على الشارع، ومكسبه نصف ريال فى اليوم. وفى الطرف الآخر مصنع للقطن يبلغ عدد عماله ١٢٠٠ عامل، وهو مزود بأحدث الآلات، ولعمال المصنع مطعم خاص، وحمامات رشاشة، ومستشفى، ونظام للمعاش بعد اعتزال العمل. وقد قرر صاحبه لمصلحة ضرائب الدخل أن ربحه من هذا المصنع وسائر أعماله بلغ فى السنة الماضية مليونى ريال.

فى طليعة الحرب التى يشنها العالم العربى على الفقر، تجد الطبقة المتوسطة التى أخذت تبرز من صفوف القوم — وهى القوة الجديدة الدافعة فى الشرق الأوسط. فلم يكن هناك من قبل سوى الباشوات فى القمة، والفلاحين الفقراء وبدو البادية فى الحضيض. وقد قيل إنك كنت تجد، إلى عهد قريب، ثلاثين رجلا فى الدول العربية يحسب لرأيهم حساب. أما اليوم فينبغى أن نحسب حساباً لرجال الأعمال والمهندسين والمحامين والأطباء والمعلمين والطلاب، فهم رجاء العالم العربى — وخطره. فإلى أية جهة يتجهون؟ فبينهم رجال يسعون إلى إنشاء حكومات ديمقراطية قوية، ولكن عدد الناخبين الأحرار لايزال قليلا، والرأى العام المطلع لايزال ضيق النطاق.

وليس فى وسعك أن تجرى انتخاباً فى قبيلة من البدو، لشيخها السلطان كل السلطان عليها، فتراه فى العاصمة جالساً فى مجلس النواب يحمل مسدسين ونطاقاً من الرصاص تحت عباءته. وقد دارت مناقشة منذ عهد قريب فى مجلس النواب السورى، بين ممثلى البدو وممثلى الحضر، فاشتدت حتى شهر بعض الشيوخ مسدساتهم وهددوا بها المعارضة، ففُضت الجلسة.

ولا تزال الحياة فى جانب من بلاد الشرق الأوسط خارج المدن، تجرى على مايشبه حياة الإقطاع. فهذا رجل يملك قرية كاملة كانت ملكا لأسرته منذ أجيال، وهو يمثلها فى المجلس النيابى، وهو يحالف غيره من رؤساء العشائر، وترى جماعة منهم تدين بالولاء لرئيس أكبر شأناً.

ولكن التقدم مطرد، حتى فى العراق حيث النظام الإقطاعى أقوى، فهناك تجد بعض الشيوخ يملك ما مساحته ١٠٠ ألف

فدان من الأرض الزراعية الخصبة المحدودة، ويبلغ دخله ربع مليون ريال فى السنة. والحكومة العراقية لم تبلغ من القوة مبلغاً يمكنها من أن تنزع ملكية أمثال هذه الأرض، ولكنها شرعت فى تنفيذ مشروع كمشروع توزيع الأرض فى أمريكا. فعند أسافل نهر دجلة، أرض واسعة مجدبة قد عمها الرىّ وقسّمت مزارع، كل مزرعة منها مساحتها ٨٥ فداناً. والحكومة تمنح مجاناً مزرعة من هذه المزارع لكل رجل يرضى أن يعيش فيها ويتعهدها بالحرث والزرع، ثم تصير ملكا له بعد خمس سنوات. وللحكومة مزارع مثالية، يستطيع أن يجد فيها صاحب المزرعة ما يريد من البذور، ويسوق بقره إلى ثيرانها لتحمل منها، ويتلقى التعليم والتدريب فى وسائل الزراعة وطرقها.

وفى مصر مشروع شبيه بهذا المشروع، وعرب فلسطين قد أخذوا يقسمون الأملاك الكبيرة إلى مزارع صغيرة يملكها صغار الفلاحين ويتعهدونها.

وهناك ناحية أخرى ترى فيها بوادر الإصلاح، فالعامل فى المصنع العربى كانت تعوزه إلى عهد قريب حماية القانون لحقوقه. أما تشغيل الأطفال فلم يكن خاضعاً لقانون. وثمة ضروب من السجاجيد الشرقية لا تصلح يدٌ فى نسجها كما تصلح أصابع الصغار الغضة، فيشتغلون فى نسجها عشر ساعات أو أكثر كل يوم وهم جالسون أمام النول على لوح ضيق، وأرجلهم مدلاّة لا تمسّ سطح الأرض، فيصابون بتشويه فى العظام. أما حيث التعليم إلزامى، فترى صاحب المصنع يسمى مصنعه مدرسة — يشمل برنامجها نصف ساعة كل يوم من القراءة والكتابة والحساب، وتسع ساعات ونصف ساعة فى نسج السجاجيد.

وقد سنّ البرلمان اللبنانى منذ عهد قريب قانوناً للتأمين الإجبارى على حوادث الصناعة، ثم تبين أنه لا توجد شركات تأمين أهلية تستطيع أن تضطلع بعبء هذا التأمين، وأما الشركات الأجنبية فقد أبت أن تضطلع به، فقرروا أن يرسلوا وفداً من الشباب إلى الولايات المتحدة ليتعلموا أصول التأمين وأساليبه، حتى تضطلع به الحكومة اللبنانية.

والصحة العامة من المشاغل التى تعنى بها الحكومة، فوزارة الصحة فى مصر لا تستطيع أن تنفق المال اللازم على عددٍ كافٍ من المستشفيات والأطباء لعلاج الفلاحين المنكوبين بالأمراض، فأضافت إلى المستشفيات القائمة مستشفيات متنقلة وأطباء يطوفون فى البلاد فى سيارات. ولقد كان أكثر عرب فلسطين فى عهد الحكم العثمانى

كان أمراً طبيعياً ، وعيون الغرب شاخصة إلى البلاد العربية ، أن يعنى محررو مجلة «ريدرز دايجست» فى أمريكا ، بإيفاد أحد محرريها الطوافين ، ليزور الشرق الأوسط ، فيشاهد بعينيه ويلمس بيديه مجالى البعث القومى فيه ، فيكتب عنه بياناً لقرائها .

وهذه قصة المحرر الطواف .

ولن يقتصر نشرها على الولايات المتحدة ، بل سيشمل جميع أخوات «المختار» التى تطبع وتوزع فى أقطار المعمورة ، وإذن فسوف يتاح للملايين الذين يتلقون نسخ اللغة الإنجليزية ، والإسبانية ، والبرتغالية ، والسويدية ، والدنمركية ، والفنلندية ، واليابانية من ريدرز دايجست أن يقرأوا — وكثيرون منهم يقرأ ذلك لأول مرة — وصفاً مشرباً بالعطف ، لما يجول فى صدورنا من آمال ، وما نواجهه من مشكلات . ولما كنا نعتقد أن قراء الطبعة العربية — المختار — يهمهم أن يعرفوا كيف يبدو عالمنا العربى ، فى نظر كاتب غربى يتوخى أن يكون منصفاً ، نشرنا لهم ترجمة هذه المقالة كما كتبها .

[ رئيس تحرير المختار ]

أميين ، أما اليوم فتجد ١٢٥ ألفاً من التلاميذ فى المدارس ، وترى فى القدس كلية عربية ، وفى مصر جامعتين أنشأتهما الحكومة فى خلال ٢٥ سنة مضت . أما العراق التى يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة ، فكان فيها ٢٥ مدرسة عدد تلاميذها ١١٠٠ ، ولكنك ترى فيها اليوم عشرة أضعاف هذا العدد من المدارس ، إلا أن معدل الأمية لا يزال كبيراً جداً .

وقد أنشأت مصر صندوقاً للمتعطلين عن العمل ، لكى تعين بماله ألوفاً من العمال الذين تعطلوا عن العمل منذ أخذت جيوش الحلفاء تنسحب من مصر . وثمة مشروع قانون بفرض ضريبة على الدخل لينفق مالها فى مشروع طويل الأجل للإصلاح الاجتماعى .

فهذا الشعور بالتبعة حيال الجماهير الفقيرة ، لم يسبق له مثيل فى الشرق الأوسط .

إن الرجال الذين يحاولون أن يجددوا حياة الأمم العربية يحتاجون إلى مشورة أهل الرأى فى الشئون الفنية والإدارية ، ولكنهم يريدون هذه المساعدة من مستشارين يبذلون المشورة وحسب ، ولا يتولون الإدارة والسيطرة .

والعربى لا يثق — خطأ أو صواباً — بالاستعمار البريطانى ، فقد كان البريطانيون فى الماضى يسيطرون على ماليته ، وكان ما يشتريه فى الخارج يكاد يقتصر على البضائع البريطانية بشروط بريطانية . وعلى أنه قد يسلم بأن الأثر المباشر لانسحاب البريطانيين

قد لا يكون خيراً كله ، فإنه يريد أن يكون حراً فى تقدير ما يريد .

أما الفرنسيون فلهم فى قلب العربى مقت صريح . ففى عهد انتدابهم فى لبنان وسوريا ردّ الفرنسيون على مقاومة العرب بالعنف العسكرى الذى بلغ أوجه فى قذف دمشق بالقنابل فى سنة ١٩٤٥ ، فذلك الرش من الرصاص جعل وجود الصلة الوثيقة بين فرنسا والشرق الأوسط أمراً غير محتمل زمناً طويلا .

والعربى مستميت فى مقاومة الصهيونية * وليس يتسع هذا المقال لمعالجة مشكلة فلسطين معالجة وافية ، ولكن حلها على وجه سلمى ، سوف يكون من أشق الأمور .

والدول العربية متضامنة ، فإذا ألمّت إحداها تداعت الأخرى بالألم. فبعد الحوادث الأخيرة التى حدثت فى القاهرة ، قامت مظاهرات كبيرة من أجل أرواح « الشهداء » المصريين فى كل دولة عربية أخرى . وعنف الفرنسيين فى دمشق أثار سخط العالم العربى ، ثم إن المسألة الصهيونية توحد ما بين الشعوب العربية جميعاً .

فإلى من يتجه العرب ؟ ربما ولّوا شطر روسيا ، فالاتحاد السوفيتى معنىٌّ عناية عظيمة بالدول العربية ، وفى كل عاصمة من عواصمها ترى المفوضية السوفيتية أكبر من المفوضية الأمريكية — مع أن مصالح روسيا التجارية أقلّ من مصالح أمريكا . وكل مفوضية سوفيتية مركز لبثّ الدعاية السوفيتية . وقد أظهر الكرملين فى العهد الأخير اهتمامه العظيم بالمسلمين فى أرض السوفيت ، وهو لا يجد فرصة متاحة لتوثيق العرى بينهم وبين المسلمين فى الدول العربية إلا اغتنمها . وأنت تجد فى الأزهر ، تلك الجامعة الإسلامية العظيمة فى القاهرة ، عدداً من الطلاب الروس .

كان البريطانيون والفرنسيون يحصرون أكبر اهتمامهم فى القادة الذين يسكنون المدن ، وكبار شيوخ القبائل فى الصحراء ، أما الروس فيوجهون أكبر دعايتهم إلى الطلاب وأصحاب الدكاكين وعمال المصانع والفلاحين . وروسيا تؤيد العربى على المستبدين الأجانب ، وتشير عليه بأن « يخرج البريطانيين والفرنسيين » ، أما فى فلسطين فإنها تلتزم سياسة حذرةً تميل إلى معاداة الصهيونية .

والدعاية الروسية لا تجد طريقها ممهداً ، فالعربى منحدر من صلب رجل البادية ، الذى يعتزّ باستقلاله أيما اعتزاز ، وكلاهما

---

* « تقرير عن فلسطين » : المختار يوليه ١٩٤٤ ص ٧٣

لا يزال على هذه الفطرة ، ولذلك ترى أن الأحزاب الشيوعية العربيـة غير كبيرة ، ولـكن الأحزاب الأخرى غير كبيرة أيضاً ، وناخبو المستقبل لم يكادوا يبدأون الانتساب إلى الجماعات السياسية . وما أعلن من برامج الأحزاب الشيوعية مطبوع حتى الآن بطابع الاعتدال ، ولا يحتمل أن يسيء إلى الاشتراكيين المعتدلين ، وفيه ما يزيّن لطبقات العمال المتبرمة أن تقبل عليه .

وقد تكون هناك الآن جماعات عربية ، تطلب إلى موسكو أن تتدخل لمقاومة ما تراه من خطر الصهيونية ، ولـكن الذين يعرفون طبيعة العرب يقولون إن هذا الطلب لا يزال بعيداً عن الظفر بتأييـد الأكثرية . ومع ذلك ، فقد يتجه العالم العربيّ إلى روسـيا إذا لم يجد صديقاً يتجه إليه .

وماذا يقال عن الولايات المتحدة فى العالم العربى ؟

يرجع قسط من اليقظة العربية الحديثة إلى أثر مدرسة أنشئت فى لبنان منذ ثمانين سنة ، ثم صارت تعرف باسم جامعة بيروت الأمريكية . وأنت تجد فريقـاً كبيراً من زعماء العرب قد تخرجوا فيها ، فقد اجتمع منهم ١٩ متخرجاً فى مؤتمر سان فرنسسكو كانوا أعضـاء فى وفود الشرق الأوسط .

وقد كان ما أحرزه معهد بيروت من منزلة باعثاً على إنشاء معاهد على مثاله فى القاهرة وحلب ودمشق . فهذه المدارس ، وجماعات الطلبة المصريين التى أوفدت إلى أوربة ، هى التى نقلت إلى العرب الطرف الأول من معارف الغرب وفنونه وطريقته فى الحياة .

لقد ولدت الحضارة فى هذا العالم العربى وبلغت الثقافة العربية منزلة سامية بعد أن ضمّ خلفاء محمد ﷺ كل الشعوب الواقعة شرق البحر المتوسط وجنـوبه ، فى دولة واحدة ودين واحد ، وذلك منذ اثنى عشر قرناً أو تزيد ، ولـكن الغزاة من الأجانب غلبوا العرب على أمرهم . وخلال الاحتلال العثمانى الذى دام أربعة قرون ، جمد العرب ولم يتقـدموا ، فتخطت ديارهم تيـارات الحضارة الغربية .

ثم بدأ البعث الثقافى فى القرن التـاسع عشر ، ولـكن الفرصـة الأولى للثورة على الترك العثمانيـين سـنحت لهم فى الحرب العـالمية الأولى . وقد حارب العرب مع الحلفاء ، معتقدين أن الحرية ستكون جزاءهم ، ولـكن مؤتمر الحلفاء فى سـان ريمو منح بريطانيـا الانتداب على فلسطين وشرق الأردن والعراق ، ومنح فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان ، وظلت مصر تحت الحماية البريطانية .

وقد ناضل العرب لرفع هذه السيطرة وظفروا ببعض الحرية — ولكنهم لم يظفروا باستقلال صحيح . ثم خسروا معظم ماظفروا به حين جاءتهم الحرب العالمية الثانية بقوة الغرب الحربية ، وأسفرت هذه الحرب أيضاً عن انتشار الصناعة انتشاراً سريعاً ، فتثقف العرب تثقيفاً جديداً بأساليب الغرب .

وقد انتهت الحرب الآن ، وعلى أن الفرنسيين والبريطانيين يسعون لكي يقيموا حيث هم ، فإن العرب لايرضون بذلك . والدولتان فى سبيل الخروج ، فيبقى عندئذ شيء من الفراغ .

وفى خلال الحرب أماطت أمريكا اللثام قليلا للعرب عن قوتها المادية ، ثم خرجت ولم يبق هناك سوى ما لشعبها من مصالح فى آبار النفط وخطوط المواصلات الجوية ، ومعاهد للثقافة والتعليم .

والعرب لايرون أمريكا اليوم تبذل سعياً ما لتعينهم على حل مشكلاتهم الكثيرة ، فضعفت مودتهم للولايات المتحدة ، ولكن منزلة أمريكا لاتزال عظيمة ، فإذا بذلت سعياً مُقارِباً استطاعت أن تفتح لمنتجاتها سوقاً رائجة بين خمسين مليوناً من العرب.

فالحاجة هناك ماسة للآلات التى تبرّد الهواء ، ولكن ينبغى أن تعدّل حتى تلائم درجات الحرارة العالية التى تبلغ أحياناً ٦٥ . والأمريكيون الذين يصنعون هذه الآلات لم يعبأوا بذلك . وأجهزة التبريد التى يصنعونها لاينتفع بها أتمّ نفع ، إذ ليس فيها ما يقيها شرّ الرمال السافية ، وسياراتنا لاتصلح للرحلة فى الصحراء . وقد تحدثت وأنا فى بغداد مع مستر نيرن الذى يسير سيارات الركاب الضخمة بين الشام وبغداد فتقطع الصحراء السورية بين عشية وضحاها وكان قد عاد منذ عهد قريب من الولايات المتحدة ، حيث جرب أن يشترى سيارات ركاب كبيرة وطائفة من المعدات تبلغ قيمتها ربع مليون ريال ، على أن تكون موافقة للسفر فى الصحراء ، فلم يجد من أصحاب المصانع الأمريكية من يعنى بإمداده بما يريد، حتى ولا بعد أجل طويل .

ولكن طلب النفع التجارى هو مذهب قصير النظر ، فينبغى أن نذهب إلى الشرق الأوسط حيث نشدّ أزر أولئك العرب الذين يحاولون أن يجعلوا أممهم دولاً ديمقراطية حرّة . وينبغى أن نعينهم على أن يؤسسوا مدارس وجامعات ، وأن نمدهم بالمعلمين ، وينبغى أن نحثهم على أن يرسلوا طلابهم ليزوروا أمريكا ، وأن نرسل طلابنا ليزوروا البلاد العربية. وينبغى أن نرسل لهم خبراء فى الهندسة والزراعة وشئون المال

والإدارة ، وأن نوجه إليهم بعوثاً طيبـــة تســاعدهم على مكافحة المرض ، وأن نشبع جوعهم إلى الـكتب عن أمريكا — أى ينبغى أن نفعل كلّ ما يعينهم على أن يبنوا حياتهم الجديدة بأيديهم .

مضت قرون والدول الأجنبية تتــولى أمر العرب لـكى تستغلّ وتمتلىء بطونها ، فالآن ينبغى للولايات المتحدة أن تجعـل غرضها هناك إسداءَ المعونة ، فتسدى بذلك خير معونة لنفسها وللعالم قاطبة .

## كلمة خالدة

بعد جهد مضنٍ أنجز توماس كارليل المجلد الأول من كتابه « الثورة الفرنســية » وأعطاه الفيلسوف الاقتصادى جون ستيوارت مِل ليقرأه قراءة الفاحص النـاقد . وبعد أيام عاد مِل شاحب اللون مرتعــد الفرائص ، ليفضى إلى صاحبه بأسواء الأنبـاء ، فقد رأت خادمته أن ورق الـكتاب يصلح لإيقاد النار ، فلم يبق منه سوى ورقات قليلة !

ولمـا خرج الزائر المكروب الذاهل ، وأوصِـد الباب على كارليل وزوجته وسوءِ طالعهما، قال كارليل لها : «مسكين مِل ، إن ماحدث قد أحزنه حزناً شديداً ، فينبغى أن نخفى عنه خطر ما حدث » ، وذلك لأن كارليل وزوجته كانا يومها لا يملـكان شروى نقــير ، ولان كارليل كتب كتابه كأنه مدفوع بقوة خارجة ، وكان إذا ما فرغ من كتابة الفصل يمزّق المذكرات الخاصة به، كأنها شيء قد ملّه فهو لا يودّ أن يراه ثانية .

وبرغم الدم الأسكتلندى الذى يجرى فى عروقه،أمر فى اليوم التالى بإرسال مقدار من الورق إلى داره، وكتب فى مذكرته العبارة التالية : «أحسّ كأن مدرّساً قد مزق أوراق كراستى حين أطلعتــه عليها وقال : لا يا فتى ، ينبغى أن تعيد كتابة موضوعك ليكون أفضل مما كتبت » !

[ ألـكسندر ولـكوت فى مجلة « ماكول »

« فلاح ضرير يصف ما أحس بعد أن ارتد إليه بصره

# ماذا يحس الأعمى إذا ارتد إليه البصر

دانيـل شوارز

مختصرة من مجلة " ذي نيويورك تايمز "

رسل كريدل ، أحد أصحاب مواشي اللبن في بنسلفانيا ، أعمى لا يبصر منذ سبع عشرة سنة ، وكان يبدو أن لا أمل في شفائه ، ولكن منذ ستة أشهر أجريت له في عينه اليسرى جراحة حديثة فعاد يبصر من جديد .

فأي شعور يحسه الأعمى إذا رد إليه بصره ؟

كان رسل كريدل فتىً في الثانية عشرة نشيطا سليما معافىً ، يوم رماه أحد لداته بكرة من الثلج أصابت عينه اليسرى ، فالتهبت ، وسرى الالتهاب إلى العين اليمنى ، وخلف ندوباً عميقة في قرنيتي العينين — وهما النافذتان المستديرتان الشفافتان اللتان تعلوان حدقة العينين وإنسانهما — فصار لا ينفذ منها إلا أقل الضوء ، وأصبح أعمى .

لم يكن عماه مطبقاً — وقليل من الناس من يصاب بالعمى المطبق ، وما من أحد ممن يصابون به يستفيد من ترقيع القرنية . إن التعريف الشائع للعمى هو العجز عن التمييز بين النور والظلام ، ولكن الأطباء وقوانين تعويض العمال ، تعتبر المرء أعمى إذا لم يستطع أن يرى على بعد ستة أمتار شيئاً يراه المبصر الوسط على بعد ستين متراً ، حتى وإن لبس النظارة . وقد كان رسل يرى على بعد ستة أمتار ونصف ما تراه أنت على بعد ستين ، ويعرف مكان النافذة من الغرفة ، ويعد أصابعك إذا رفعتها له على بعد نصف متر من عينيه . وقد استطاع أن يتم تعليمه الثانوي ، وراض نفسه على أن يمشي شامخ الرأس كأنه مبصر ، ولكن متاعبه بدأت يوم تخرج وأخذ يبحث عن عمل . كان يومئذ في التاسعة عشرة ، وكان قوياً مشتاقاً إلى عمل ، ووفق إلى وظيفة مراجع في إحدى الصحف .

يقول رسل : « لم أمكث في هذا العمل غير ثلاثة أيام ، وكانت الريح تجري رُخاء حتى جاء يوم فذهبت إلى مدير التحرير أحمل إليه بعض البرقيات ، فلم أر الحديدة القائمة على مكتبه ، فنفذت في معصمي ، وأردت أن أمضي في عملي ولكنه قال لي : إنه يشفق أن يصيبني أذىً آخر » .

وقسا عليه العيش بعد ذلك ، وأخـذ يحس مرارة الانتقال من عمل إلى آخر ، لا يستقر فى أحدها إلا بضعة أيام ريثما يدرك أصحاب العمل أنه ضعيف البصر . واعتزم فى النهاية أن يحاول العمل فى تربية البقر الحلوب ، وكان أبوه عاملا من عمال السكة الحديدية ، فأقرضه بعض المال ، فاشترى مزرعة ثم ابتاع عدداً من البقر وبدأ يعمل.

يقول رسل : « لبثت هناك ثلاثة أشهر وحيداً ، وعرفت مكان كل حجر فى هذه المزرعة من كثرة عثراتى حيث مشيت ، ولكنى تعودت ذلك . وكثرت الندوب فى ساقى من كثرة العثرات ، فجعلت حصانى دليلى فى المزرعة ، ولا أدرى كيف نجحت فى إدارتها » .

ولم يخطر على بال رسل قط أنه قد يعود فيبصر من جديد ، ولكن أمه جاءته ذات يوم فى العام الماضى فقرأت له مقالا عن مصرف العيون لرد البصر* الذى أنشىء فى نيويورك ، فسأل صيدلى المنطقة أن يتحرى صدق هذا النبأ إذا نزل المدينة . ولم يمض إلا قليل حتى سافر رسل إلى نيويورك ليفحص عينيه ، وسجل اسمه فى قائمة الصالحين لجراحة ترقيع القرنية ، حتى تجرى له عندما تتيسر القرنية اللازمة .

فى هذه الجراحة تؤخذ بضعة من قرنية سليمة فترقع بها قرنية المريض ، وهذه العين التى تؤخذ منها الرقعة هى فى أغلب الأحوال عين شخص أوصى بها لمصرف العيون بعد أن يتوفى . وييسر المصرف لجراحى العيون المدربين على هذه الجراحة الدقيقة سبيل الحصول على العيون.

يقول رسل : « عندما دعيت إلى المدينة لإجراء الجراحة كنت يومئذ أخزن دريسى . وجاءت نونا زوجتى ، ولم نكن قد تزوجنا بعد ، وما كان لى أن أتزوجها وأنا أعمى ، ولو أنها كانت تريد ذلك — فقالت لى إن على أن أركب القطار التالى إلى نيويورك . فعقدت الدهشة لسانى ، وأسرعت فغيرت ملابسى ، وأخذت نونا وأمى تعدان لى الحقيبة . وعزمت أمى على أن ترافقنى إلى نيويورك فلما بلغنا المحطة تأخر القطار وكان ناظر المحطة هو مأذون المنطقة ، فأتيح لى ولنونا أن نعقد زواجنا ، لأن الشك لم يخامرنى فى نجاح الجراحة .

«ولما غيروا الضمادات على عينى بعد ثلاثة أيام ، استطعت أن أرى وجه الطبيب — لم يكن واضحاً كل الوضوح ، بيد أنه كان أوضح مما عهدت . ثم رفعت الضمادات وكان على أن أتدرب على الرؤية من جديد ،

* المختار يناير ١٩٤٦ ص٥ « عيون يرتد إليها البصر »

وأظن أن عيني كانت في حاجة إلى شيء من الرياضة .

« وحدث ما كنت أتوقع بعد نحو أسبوع ، فقد ذهبت أركب القطار مع أمي ، فلم يكد يخرج من النفق ، حتى تطاعت من النافذة فوجدتني أرى ، واستطعت أن أقرأ اللافتات على طول الطريق !

« ولما عدت إلى داري رأيت نونا ، فوجدتها أجمل مما كنت أتوهم ، ورأيت لافتة تدل على شارع لم يدر بخلدي قطّ أنه موجود ، ورأيت مزرعتي ، ولو لم تدلني نونا عليها لما ميزتها عن سواها .

« وكانت أتفه الأشياء تبدو عجيبة في عيني ، حتى أعواد الحطب الملقاة على الأرض . أرأت عيناك قطّ أعواد الحطب ؟ ما أجمل أشكالها وصورها ! إن أبدع ما في الأشياء هو تفاصيل تركيبها ، فقد كنت أرى منفضة السجائر كأنها كتلة لا غير ، ولكني أصبحت اليوم أرى تفاصيل تركيبها . بيد أن أبدع ما رأيت هو ما رأيته يوم علوت ربوة في مزرعتي ، فاستطعت أن أرى المزرعة كلها : المروج والأشجار والسماء » .



## في محكمة الطلاق

طلبت مسز ڤيولا بك أن تطلق من زوجها ، وذكرت السبب في المحكمة فقالت : إن زوجها حاول أن يقتلها فقذف رأسها بفرخ دجاج حيّ ، فمات الفرخ وأغمي عليها ، فرشها بالماء حتى ثاب إليها وعيها ، فأمرها أن تطبخ الفرخ .

[ مجلة تايم ]



## حرية القول

اجتمع جندي أمريكي وجندي روسي في برلين فتحدثا عن نظام الحكم في أمريكا وروسيا . فقال الأمريكي للروسي ، إنه يستطيع أن يذهب إلى وشنطن وأن يقرع باب البيت الأبيض ويسأل الرئيس ترومان كيف حاله وأن « أهزّ إصبعي في وجهه وأصارحه بكل ما أراه في هاري ترومان » .

فقال الروسي : « وأنا أستطيع أن أذهب إلى الكرملين وأطلب مقابلة ستالين وأسأله كيف حاله ، وأهزّ إصبعي في وجهه ، وأصارحه بحقيقة رأيي في هاري ترومان » .

[ لنرد ليونز ]



# ثروة في قبر

ادجار هوفر
مدير المكتب العام للمباحث بالولايات المتحدة

ليلة من ليالي الصيف ، وفي غفلة من العيون والأرصاد ، تسلل شبحان بين صفوف الأجداث في مقابر الجنود ، أحدهما طويل والآخر قصير . وكان أطولهما يحتضن صندوقاً ضخماً ، ويسير بخطى قلقة مضطربة ، ويتلفت مخافةً وحذراً . وكان الآخر يحمل أدوات حفر ، ويسير مطمئناً لا يلتفت يمنة ولا يسرة . حتى إذا أتيا قبراً بعينه أخذا يحفران الثرى الرطب ، ثم دفنا الصندوق في حفرة عمقها أربع أقدام .

وغمغم الشبح القصير غمغمة المنهوم : « لن أبوح بسرّه ولو قتلوني » .

فقال الآخر : « ولا أنا » .

وقبيل الفجر تسلقا سوراً من السلك ارتفاعه ثماني أقدام ، وغابا في زحمة الحياة ، وخلفا وراءهما في الأرض كنزاً دفيناً ، أورث رجال المباحث بلوس أنجيليس صداعاً أليماً . فقد ضم هذا القبر في ليلة ٣٠ يولية ١٩٤٥ ، ١٠٠،٠٠٠ ريال ، هي أسلاب سرقة من أعتى سرقات المصارف .

وهذه قصة عثورنا بالرجلين وبالكنز ، على رغم العهد الذي تعاهدا عليه .

في صباح ذلك اليوم ، في هوليوود بكاليفورنيا ، كان على مقعد السيارة ستّ حقائب مملوءة بقطع النقد الفضية ، وصندوق من الورق المقوى مملوء أوراقاً مالية ، وبلغ المال كله ١١٣،٠٠٠ ريال ، وكان مهيأً لصرف أجور عمال مصنع طائرات لوكهيد . وجلس في مقدمة السيارة مندوبان من بنك الولاية هما : ثورستون باترسون السائق ، وفيكتور لون ليرصد الطريق ،

وبينهما مسدسات عامرة بالرصاص .
ساراً فى الطريق العام يقصدان المصنع ، حتى إذا انحرفا عنه إلى طريق متفرع منه ، خرج عليهما بغتة رجل يرتدى زىّ الشرطة الحربيين ، ويرفع لهما يده آمراً بالوقوف . فلما أوقف باترسون السيارة فجأة هاله أن يرى مسدساً مسدّداً إليه ، وملأ قلبه دهشة أيضاً أن يرى هذا الشرطىّ الطويل الرثّ الهزيل يرتعد فزعاً .

وصاح بصوت أجش : « انزلا » وطلع عليهما من وراء شجرة شبح مسلح أقصر منه وأضخم جثة وأهدأ حركة ، وانضم إليه حيث كان واقفاً فى الطريق المغمور بضوء الشمس . وسدّد اللصان مسدسيهما ، فاضطر لون وباترسون أن يذعنا لأمرها .

« انتقلا إلى مؤخرة السيارة ، ونكسا رأسيكما وانظرا إلى الأرض ، واجعلا أيديكما خلف الرأس » .

وكذلك اختُطف الرجلان ، وأبعد بهما اللصان حتى أضمرتهم التلال ، وبعد أن سارت السيارة عشرين دقيقة فى طريق وعر ، وقفت على حافة واد عميق منعزل ، وساقا الأسيرين إلى المنحدر المفضى إلى بطن الوادى . فأوثقا باترسون وشدّا عنقه ويديه إلى جذع شجرة ، أما لون فكبّوه على وجهه بين الأعشاب موثق المعصمين وراء ظهره .

وكان كلاهما معصوب العينين بشريط لصّاق ، وعاد اللصان إلى السيارة ، وتوعّدا الأسيرين وعيداً يجمد له الدم فى العروق .

ولم يكد باترسون يأمن على نفسه ، حتى راح يحكّ جانب وجهه الأيمن بعنف على لحاء الشجرة الخشن . وسرعان ما دمى خدّه . ولكنه لم يعبأ ، واستمرّ حتى أزاح العصابة اللصاقة عن إحدى عينيه ، ثم أخذ يلقى الأوامر على زميله الذى كان يجاهد أن يقف : « قف . ادْنُ منى . طُفْ بالشجرة التى أنا موثق إليها وقف خلفى ، ففى وسعى أن أضع يدى على السكين التى فى جيبك . كن على حذر » .

وخرجت يدا لون من قيدها ، فنزع العصابة عن عينيه ، وقطع وثاق باترسون ، وصعّدا حتى خرجا من الهوة وبلغا الطريق العام .

كان هذا الاعتداء تحدياً لمكتب المباحث ، لأن اللصوص انتهكوا حرمة قوانين الدولة ، فقد نهبوا مالا ، وخطفوا رجالا ، وادعوا صفة رجال الجيش ، وسرقوا كساه . وفوق ذلك فإن أموال المصرف كانت كلها فى ضمانة هيئة من هيئات حكومة الاتحاد الأمريكى . وصار علينا أن نجلو غوامض القضية على عجل ، حتى لا تكون تلك السهولة

وتلك الجرأة مدعاةٌ للصوص تهوّن عليهم الإيغال فى العنف والإجرام .

كان لدينا دليلٌ واحدٌ : فبينا كان اللصان يعصبان عينى لون ، لمح شعار موظفى مصنع لوكهيد للطائرات على قميص اللص القصير ، وما من شك فى أنه قد لبس هـذا الشعار ليوهمنا أنه من عمال المصنع . وعلى رغم هذا فقد كان هذا الأثر فاتحة الطريق .

كانت إدارة الشرطة ، ومكتب العمدة ، ورجال المباحث بلوس أنجيليس ، قد بدأوا جميعاً يستجوبون مئات من النـاس ، ويفحصون عن المشتبه فى أمرهم ، ويتقصون الأنباء ويتحرّون دلائلها . ولبثنا نحن نتتبع أساليبنا فى التحقيق ، فقد علمتنا التجارب مثلا أن اللصوص كثيراً ما يذهبون إلى مكان الجريمة فى سيارة مسروقة ، ولذلك أخذنا نبحث عن السيارات المسروقة ، فعثرنا على سيارة عتيقة زيفت تواريخ رخصها ، متروكة فى موقف للسيارات ، ووجدنا فيها صندوقاً من الورق المقوى عليه اسم وعنوان ، فما كاد رجالنا يشرعون فى البحث عن العنوان ، وإذا سـيدة تدعى مسز إيبلار تتصل بالشرطة فى التلفون وتقول :

« تعالوا وانظروا ماذا وجدنا فى بيتنا » .

كان ثمة حظيرة للسيارات فى مؤخرة البيت ، أجرتها صاحبته لشابين منذ بضعة أسابيع . وفى مساء اليوم الذى حدثت فيه السرقة ، تدحرجت كرة أحد الصبيان ، فدخلت من أسفل باب الحظيرة ، فأزاح أولاد إيبلار مزلاج الباب ، فوجدوا هناك ست حقائب مملوءة بالنقود الفضـية ، وقميصاً من قمصان رجال الجيش على كمه شعار رجال الشرطة الحربيين ، ومسدسين وسترة رياضية ملصق عليها شعار موظفى مصنع لوكهيد .

كان رقم الشعار الأخير مزيفاً ولا ريب ، فقد محى الرقم الأصيل ، واستبدل مكانه رقم زائف بقلم زيتى أسـود . وقد أخذه علمـاء مكتب المباحث بوشنطن وفحصوه فى المعمل ، بيـد أنهم لم يتبينوا من أمره شيئاً فى ضوء النهار ، ولـكن عندما سلطت عليه الأشعة فوق البنفسجية ، بدت فجأة صور على دهانه الشفاف ، فقد تركت أرقام الشعار الأصلية المطبوعة عليه بعض الآثار الخفية .

ولم تمض ساعة حتى كان رجال المباحث بلوس أنجيليس يفحصون سجلات الموظفين فى المصنع ، وتبين من هذا الفحص أن هذه الأرقام القديمة الممسوحة كانت ذات يوم لعامل طويل القامة ، مضطرب الأعصاب ، يدعى جون جوزيف أوكيل . وكان أوكيل قد زكى عاملا آخر من عمال المصنع يدعى « ستانلى ماتيسيك » على أنه أقرب أصدقائه إليـه . وكان سـتانلى هذا ، على ما جاء

فى شهادة عمال المصنع ، رجلا قصيراً بديناً مشهوراً بأنه هادىء لا يحركه شىء ، وكذلك عثرنا على اسمى ضالتنا وجزء من تاريخ حياتهما يقارب اليقين .

ومع أن الرجلين كانا قد تركا مصنع لوكهيد منذ عهد بعيد ، فقد تيسر لنا أن نقتفى آثار تنقلاتهما حتى بلغا جامعة كاليفورنيا بلوس أنجيليس ، حيث صارا طالبين منتسبين فى زمن الصيف ، واستعملا فى الانتساب إليها شهادات زائفة . ووجدنا فى غرفتهما بمسا كن الطلبة مبارد ومثاقب ومفاتيح حظيرة السيارة فى بيت أبيلار ، ورسماً فيه تصميم طريقة لإنذار السكان باللصوص، وحربة بندقية، ومثقباً كهربائياً، وأغرب ما وجدنا فى النهاية نسخة خطية لقصة مكتوبة فى ١٢ صفحة ، ألفتها أوهام أوكيل المخبول النفس ، عن جندى قتل سمساراً من سماسرة التأمين !

فأين نتعقب أوكيل وماتيسيك ؟ كان علينا ونحن نضع خطة البحث عنهما أن نستعمل الحدس والتخمين للكشف عن أسلوبهما فى التفكير ، فأغلب الظن أن المجرمين اعتقدا أنهما اقترفا جرماً لا يمكن اكتشافه ، ولن يلبثا حتى يعودا إلى دارهما . ولئن صح هذا لما اقتضى الأمر أن نبعد فى بحثنا عن هذا المكان ، وذهبنا ومعنا صورتان استعرناهما من سجلات الجيش ، لنبحث عنهما فى حانات لوس أنجيليس .

أليس عجيباً أن يدخل اثنان من رجالنا حانة فيجدا أوكيل جالساً على مقعد وأمامه كأس من الجعة ؟ ولم يكد يرفع كأسه ليشرب حتى أمسك كلٌّ منهما بإحدى ذراعيه ثم خرجا به من الحانة ، وأراحاه من مؤونة حمل مسدس عامر بالرصاص .

كان هذا اللص ينبح حتى ردّد الطريق كله صدى نباحه ، وكان يصيح مستغيثاً بالمارة ويقسم أنهم أقاربه وأصدقاؤه ، متظاهراً بأنه مجنون . وغافله أحد رجالنا وسأله : « أين ستانلى ؟ » فأجاب : « لم أره منذ شهور » ثم أدرك أنه وشى بنفسه ، فاستسلم فى هدوء قلق كئيب .

ولم تمض إلا ساعة حتى فاجأنا ستانلى يحوم حول الحانة نفسها ، وصادرنا فى سيارته جهازاً فتاكاً ملفوفاً بالقماش ، وكانت هذه اللفة الخادعة مسدساً عامراً بالرصاص ، فلو كان فى جيبه أو قريباً من يده ، لما تردد البتة فى إطلاقه .

فلما بلغنا مكتب المباحث ، أخذ اللصان يوجهان التهمة إلى رجل ثالث زعما أنّ اسمه « نك » ، وادعيا أنه اضطرهما بالوعيد أن يفعلا ما أمرهما ، ثم اختص نفسه بالغنيمة كلها . وأرادا أن يزعزعا شكوكنا فيهما ،

فأخذ أوكيل يصرخ فى ظلام الليل لاعناً « نك » ، ولما وقفا بين يدى قاضى الأمور المستعجلة جعل يردد اسمه ، ثم خرّ إلى الأرض يعلو شدقه الزبد ، بالخدعة المألوفة وهى ابتلاع قطعة صغيرة من الصابون !

وحاولنا خلال الشهور التى سبقت المحاكمة أن نعرف منهما سرّ المال المسروق ، فقالا لن نبوح به ولو قتلتمونا ، وفضلا عن ذلك فإن « نك » وحده هو الذى يعرفه !

بيد أنا وجدنا تحت سرير أوكيل أثراً تماماً : علبة من الورق المقوى مملوءة ماء ، نُقعتْ فيها ورقة مالية قيمتها ريال . ومدلول هذه التجربة الساذجة واضح ، وهو أنهما دفنا الغنيمة فى أرض رطبة ، فأراد أوكيل أن يعرف متى يبلى الريال إذا أصابه البلل .

وأخذ ستانلى يكتب من غرفته رسائل يبعث بها إلى زميله خفيـة ، فكانت تصل تباعاً إلى أوكيل ، ولكنها كانت تقع فى أيدينا أولاً بطريقة ما . فعرفنا الصفات التى اتفقا على تلفيقها فى وصف نك المزعوم ، وعرفنا الخطة التى دبراها للدفاع ، وهى ادعاء الجنون . وكذلك عرفنا أنهما وضعا خطة محكمة للهرب ، ينفذانها إذا حكم عليهما بالسجن زمناً طويلا .

وفى هذه الرسائل وجدنا ما كنا نبحث عنه ، وهو المال المسروق، وكانا يشيران إليه باسم « رقم ١٨ » أو باسم « الورق » . جاء فى إحداها : « إذا ذهبوا بنا إلى أحدسجون الاتحاد فقد يبلى الورق فى أقصر وقت تحت أمطار الشتاء » . وجاء فى الأخرى : « من مزايا أختى أن عمرها لا يعدو السابعة عشرة ، وهم لا يستطيعون محاكمة قاصر ، ولكن قل لى بربك كيف تطيق أن تذهب إلى . . . »

كان ستانلى أخبث من أن يسمى المكان الذى أخفيا المال فيه ، ولكنا عرفنا من رسالته هذه أن المال ليس مدفوناً فى أرض رطبة وحسب ، ولكنه مدفون أيضاً فى مكان يصعب أن ترتاده فتاة .

بدأنا نبحث فى أرض الجامعة حيث كان يقيم الرجلان ، على سفح جبال سانتا مونيكا التى تفصل غرب لوس أنجيليس عن مصنع لوكهيد . وعثرنا بخمسة آلاف ورقة من ذات الريال مدفونة فى حديقة أزهار فى أرض الجامعة ، اعترف بها السجينان ، وحلفا أن نك قد استولى على الباقى .

ونمى إلينا أنّه كان من عادة أوكيل وستانلى أن يتنزها فى الضواحى الجميلة بين الأودية . وتبين لنا من خريطة المكان أن الطرق المتعرّجـة الممتدة بين أشجار الجبل تعرف بالأرقام لا الأسماء . فما كاد أشد رجالنا قلوبا وأثبتهم جناناً يضعون

أصابعهم على الطريق رقم ١٨ حتى عرتهم القشعريرة ، فهو طريق يمتد فى بقعة موحشة مهجورة من أرض الجامعة ، حتى ينتهى إلى رأس الوادى العميق الذى تركا فيه مندوبا البنك ، فأحسسنا أننا نقترب من الهدف ـ ولكن إلى اين المنتهى بعد ذلك ؟

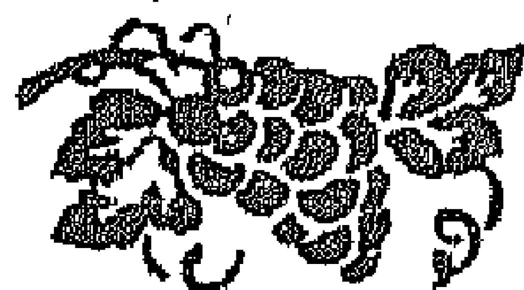
أخذ رجالنا يتقصون المسالك مبتدئين من مرتفع فى غرب مساكن الطلبة ، ويسيرون على هدى ما عرفوا من الحقائق ويتخيلون ما خفى عنهم . وفرضوا أن اللصين انحدرا ولا بدّ من رأس الوادى العميق فى الطريق رقم ١٨ ، وبعد أن تركا الغنيمة فى حظيرة السيارات ، تركا السيارة على نحو ميل منها ، ولما جنّ الليل دفنا أوراق المال فى أرض رطبة . ثم عاد رجالنا فلاحظوا أن درباً من الدروب المتعرجة بين الشجر يؤدّى إلى سياج من السلك ارتفاعه ثمانى أقدام يحيط بمقبرة ، وطابق استنتاجهم ما جاء فى التقارير التى وصلت حديثاً إلى المكتب . هذا ، وشاهد القبر علامة يسهل تذكرها ، ومثل هذا السور يشق تسلقه على فتاة .

أخذ رجالنا يمشون بمنتهى الأناة بين صفوف من القبور لا آخر لها ، يسألونها عن أثر أو دليل . وسرعان ما بلغوا قبر جندى مات فى ١٩٢٢ ، فوجدوا خلف شاهده كومة مريبة من ورق الشجر .

راحوا يحفرون ، فلم يلبثوا أن وجدوا صندوقاً ، فما كادوا يفتحونه حتى لعبت الريح بحزم من أوراق النقد قيمها ١٠٠,٠٠٠ ريال .

وعرف أوكيل ما حدث ، وأتاحت المحكمة له فرصة أخرى لكى يعترف بجرمه ، ولكنه لم يعترف ، وآثر أن يحاول الفرار من حراسه ، فلما أضنته المطاردة استسلم ومشى إلى المحكمة ، فاعترف لها بكل ما كان منه ، فخفف الحكم عليه من ٣٥ سنة إلى ٢٠ سنة ، ولكن ستانلى ظل زمناً يصرّ على الإنكار ، ثم بدا له فى النهاية فاعترف أيضاً ، وخفف الحكم عليه إلى ٢١ سنة .

ولعل هذه السرقة لو حدثت منذ ١٥ عاماً لما قدّر لها أن تكتشف أبداً ، فإن الفضل فى حلها كان للأشعة فوق البنفسجية ، مضافاً إليها مثابرة رجال الشرطة وصبرهم ، وأيضاً ذلك الجزاء الذى ينالونه على طول كدْحهم وكدّهم — ألا وهو حسن التوفيق .



# النفس المغمومة تذيب البدن

ونفرد رودز

مختصرة من مجلة " ذي فورم "

يقول جوته الشاعر الألماني : « من كان غنياً في دخيلة نفسه ، فقلما يفتقر إلى شيء من خارجها » وصدق . فأنت إذا آمنت بأن أسباب الصحة والعافية كامنة في دخيلة نفسك ، لامجلوبة مما تضني نفسك بالبحث عنه في خارجها ، وجدت فرق مابين الرأيين بيناً واضحاً فيما تعالج من شئون معاشك في كل يوم . ومعيار سعادتنا في الحياة هو الحالة التي تكون عليها عقولنا ونفوسنا، لا الحالة التي تكون عليها أبداننا .

وما أكثر مايعرض على الأطباء من العلل المختلفة والآلام المتباينة ، بيد أنهم لايزالون يجدون مرّة بعد مرّةٍ أنها أحوج إلى علاج العقل والنفس منها إلى علاج البدن . وأكثر من نصف المرضى في المستشفيات العامة ، هم من المصابين بأمراض نفسية لا أمراض بدنية ، كما قال أحد ثقات الأطباء . وقد قال هو أيضاً : يجب على الطبيب إذا جاءه رجل يشكو ، أو امرأة ، أن يفحص عن حالة نفسه ، كما يفحص حالة الرئتين والقلب وأجهزة الهضم.

وهذا الدستور الذي يظن أنه فكرة مستحدثة ، ليس جديداً البتة ، فقد عرفه الأطباء والفلاسفة منذ عصور بعيدة ، فقد قال أفلاطون منذ ١٩ قرناً : « إذا وجدت الرأس صحيحاً والبدن سليماً ، فخذ في علاج النفس ». وقد قيل قديماً : « القلبُ المبتهج يدني إلى الشفاء ، والنفس المغمومة تذيب البدن » . وقد عظم كنفوشيوس شأن العقل ، من حيث هو المرفق بين النفس والبدن، وأن الصحة هي نتاج هذا التوفيق. فلو قلت إن العلة إذا ظهرت في بدن ، احتاجت النفس غالباً إلى بعض العلاج ، فما قلت إلا ما قالت به جمهرة المفكرين من قديم الأزمان ، وما طبّقه الإنسان بهدْيٍ من غريزته على مرِّ العصور .

ورُبَّ رجلٍ وقع من الحياة في مثل الأرض الموحلة فكادت تبتلعه ، ولكنه يظلّ يجاهد للنجاة مستيئساً . وبينما هو كذلك إذ انهارت قوى بدنه حتى شقّ عليه الجهادُ ، وإذا هو يسرع إلى الطبيب فيفحصه فلا يرى في بدنه علة ظاهرة ، بل كلُّ مايحتاج إليه هذا الرجل ، وما كان يحتاج إليه منذ أول أمره ، أن يلتمس

طبيباً يعالج نفسه ، أو يعلمه كيف ينازل الحياة وجهاً لوجه لاتثنيه خشية ولا رهبة .

وهـذه امرأة أخذت تذكر ما حلّ بجسمها من الإجهاد ، وكلما أوغلت فى حديثها زاد وضوحاً أن الذى بها لم يكن كلالاً أرهق بدنها ، بل كلالا أرهق نفسها. فالحياة لم تسعفها بما كانت تشتهى ، فقد كانت تحب الأطفال بيد أنها لم تمتع بالزواج. وكانت امرأة نصَفاً ، غير أنها ظلت دائماً تحت سلطان أسرتها . وكانت مخفقة فى كل ماتحاول من أعمال ، فمن أجل ذلك بقيت مقيدة لم تذق طعم الحرية . وكذلك فترت همتها وماتت نوازع نفسها ، ولم يبق فى قلبها شوق إلى شيء تتوق إلى تحقيقه أو بلوغه ، وامتلأ قلبهـا فزعاً من طوارق المستقبل .

ومَنْ كثرتْ حسراتهُ على نفسه فقد ابتلاها بشرّ ما مزّقها ، فهذه المرأة لم يكن بدنها حاجة إلى تطبيب أو علاج ، وقد جهدَ الأطباء فلم يجدوا فى بدنها علة باطنة ولا ظاهرة ، وما بها إلا أن نفسها كانت محتاجة إلى باعث يحركها ، وإلى تهذيب يعلمها كيف تستجيب لداعى الحياة . فلما دلّوها على الأساليب التى تصلح بها ما اختلّ فى نفسها ، بدأت تحسّ بدبيب البرْءِ مما كانت تشكو منه فى بدنها .

والنفس هى موطن العلل المضنيـة ، والنفس هى الحقيقة بالعناية والتعهد ، فإذا أردتَ لها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على أن تعطها من القوت ماتقوى به وتصحّ . فقدِّم لها قوت يومها من أشياء سوى الأخبار المثيرة ، والملاهى المغرية ، والأحاديث التـافهة ، واللذات البرّاقة الفارغة ، ثم انظر إليها كيف تقوى وتشتد؟ فإن التافه الخسيس مفسدة للنفس .

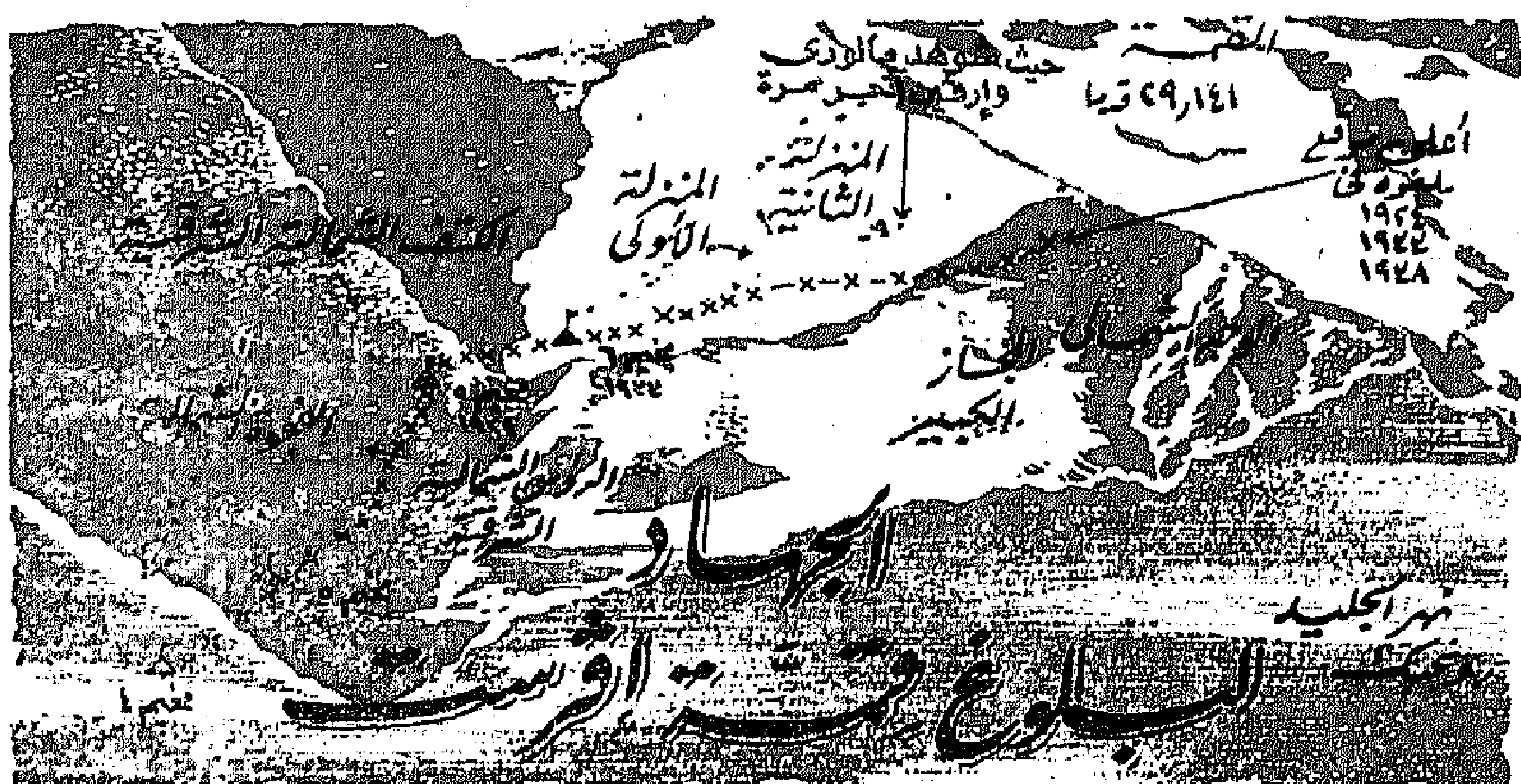
واعلم أن كل فكرة تفسح لها مكانا فى تفكيرك ، وكل عاطفة تبيح لنفسك أن تستمتع بها ، تترك فيك أثرها وتسلك بك أحد الطريقين : فإما أن تُدخلَ الوَهن على قوّتك فى مزاولة الحياة ، وإما أن تزيدك قوّة على قوّتك . فإن شئت فاقرأ خبر شابّ أمريكيّ كان يدرس فى جامعة هارفرد اسمه هنرى وارْنر ، استطاع أن يجعل بدنه الذى ضعضعته الآلام والأسـقام خادماً يتصرّف فى طاعة عقله . فهو حين نال شهادته بتفوّق واقتضاه نيلها أن يقاسى سبع سنوات من العذاب المرير وهو يُدَار به من فصل إلى فصل على كرسى ذى عجل ، وحين تحدّى تباريح الألم الوجيع وبلغت به همتـه أن صار أحد المتخصصين فى قراءة غوامض المخطوطات الهنـــدية المكتوبة باللغة البالية القديمة ، وحين كانت الآلام تضطرّه أن يدرس ويكتب وهو واقف

أمام منضدة عالية وتحت إبطيه عكازتان ، أو أن يفعل ذلك وهو جاثٍ على ركبتيه بإزاء كرسى حتى يريح فقار ظهره ، وحين نشر، وهو فى هذه الحالة ، ترجمة الأسفار الودية المقدسة ترجمة حفزت أحد كهنة الهندوس أن يتجشم زيارته لا لشىء إلا ليقدم له شكره باسم الأمة الهندوكية — حين فعل وارنر ذلك كله وراض نفسه عليه ، كان بدنه يومئذ فى حالة يرثى لها ، بيد أن عقله ونفسه كانا جميعاً فى أروع يقظة وأتم عافية .

وليحرص من شئت من الناس على أن يشيح بوجهه عن الخسائس والتوافه يوماً بعد يوم ، وأن يختار كل رفيع محكم ، فلن يلبث شيئاً فشيئاً أن يبلغ بنفسه المنزلة التى تكون عندها قادرة على كلّ شىء مهما عظم . بيد أن الناس فى حاجة إلى التقويم والتعليم ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على كل طبيب يعالج الأبدان أن يكون أيضاً طبيباً خبيراً بطب النفوس ، ومن أجل ذلك كان فرضاً على علماء الدين أن يكونوا أهلَ بَصرٍ بعلم النفوس البشرية .

فأول واجب على رجال الدين أن يعلموا الناس حقائق الإيمان بالله ، وأن يذكروا الله مستعينين بذكره على تزكية نفوسهم وتنوير بصائرهم ، وأن لا يجعلوا الدين أفعالا خالية من حقيقة العبادة ، وهى معرفة النفس بالله معرفة متغلغلة تهديها فى كل شأن من شئون الحياة . فالنفس العارفة بحقيقة الدين لا تحسُّ قطُّ أنها تكافح وتجاهد وحدها محرومة من كل عونٍ ، بل تطرح جانباً كل المخاوف والأوجال ، وتسمو إلى منزلة الثقة بالحياة وما فيها من الخير ، ويكون من اليسير عليها أن تتعلم كيف تستنبط القوّة من معين الحياة الذى لا ينضب . ولن تكون إذن عاقبة عِرْفانها أنها آمنت بالله وحسب ، بل تكون قد استولت على قوّة ليس لها بها عهدٌ من قبل .

ولن تجد فى الناس من يخطر بباله أن يصف الجرّاح النّطاسى بأنه قاس لا يرحم ، لأنه يحدث الجروح ويسبب الآلام . والحياة طبيبٌ جراح ، فهى تحدث الجروح دون أن تخفف عنا بالمخدرات . ويبلغ من فعالها أحيانا أن تبتر قلوبنا من علائقها ، غير أن أكثرنا لا يعى عنها أعظم ما ينبغى أن يتعلمه وأنفاه للألم ، حتى ينالَ منه الضرّ والأذى . فماذا تريد الحياة أن تتعلمه منها ؟ تعلمنا سيادة النفس، ومن بركة هذه السيادة أن تكون للنفس سطوة على البدن . ومن أجل ذلك ينبغى أن يصبح علاج علل الأبدان أشد اقترانا مما هو عليه الآن، بالتنبه الشديد إلى العلل التى تخامر النفوس .




جيمس رامزى أولمان

مختصرة من كتاب " هاى كونكوست "

> يصف المؤلف فى هذا المقال الجهاد الرائع الذى جاهده «لاى ماكورى» فتغلب على أعلى جبل فى العالم

تبدأ قصة جبل إفرست فى عام ١٨٥٢ إذ كان أحد كتبة مكتب المساحة التفصيلية الهندية مكباً على صفحة من الأرقام فرفع رأسه وصاح بصوت متهدج : « لقد اكتشفت يا سيدى أعلى جبل فى العالم ! » ، فقد دلته المراجعة الدقيقة لأرقامه وحسابه على أن القمة الشماء يبلغ ارتفاعها ٢٩٫١٤١ قدماً ، أى أنها أعلى من أقرب قمة تنازعها هذا الفخر بنحو ألف قدم. وكانت تلك القمة موسومة فى الخرائط برقم ١٥ ، ولكنها سميت بعد ذلك باسم سير جورج إفرست أول مدير عام لمصلحة المساحة فى الهند.

وظل جبل إفرست بعد مضى أكثر من نصف قرن على اكتشافه جبلا تكتنفه الأسرار ، إذ كانت التبت ونيبال ، وهما البلدان اللذان يقع الجبل على حدودهما ، موصدين فى وجه الأجانب والغرباء . ثم جاءت سنة ١٨٩٠ ، ففى أواخرها أخذ المغامرون المتنكرون فى زى تجار الهندوس والمسلمين يتوغلون فى مسالكه ودروبه العظيمة التى لم تطأها أقدام أهل الغرب من قبل . وأصاخ هواة تسلق الجبال إلى دعوة الخفى والمجهول ، وانطلقوا لا تردهم عن غايتهم عوائق البشر ولا أهوال الطبيعة. نعم ربما كان فى وسع سائح بمفرده أن يتسرب إلى البلاد دون جواز رسمى ، غير أن الجماعة الكبيرة لا مندوحة لها من إذن تناله من حكومة التبت . وقد ظل هذا ممتنعاً عليهم سنين طوالا .

وأخيراً فى عام ١٩٢٠ تضافرت الجمعية

الملكية الجغرافيــة ونادى تسلق الجبـال البريطانى، واستطاعا بعد مفاوضات متطاولة أن يظفرا بذلك الإذن . وأخذوا من فورهم فى إعداد المعـدات على خير وجه وأتقنــه ، وقرروا أن يرسلوا إلى الجبـل حملتين : الأولى للاستكشاف ، والثـانية ( بعدها بسنة ) لتسلق الجبل . وقد خرجت فعلا حملة ثالثة ، كُتب عليها أن تنتهى محاولتها بمأساة فاجعة على بضع مئين من الأقدام من القمة وبلوغ الغاية .

كانت حملة الروّاد مؤلفة من زهرة متسلقى الجبـال والمستكشفين الإنجليز ، وكان فى زمرة الشبان منهم « جورج لاى مالورى » المدرس بمدرسة شارتر هاوس بالقرب من لندن . وقد قُدِّر لمالورى أن يصبح أشهر متسلقى الجبـال فى عصره ، فقد كان الوحيـد الذى اشترك فى الحملات الثـلاث جميعاً . وعلى الرغم من أنه لم يكن يوماً ما قائداً رسمياً للحملة ، فإن مقدرته العجيبة فى التسلق وحماسته المتأججة قد جعلتاه رأس الجماعة كلها .

كان مالورى هزيلاً نحيلاً وجهُـه كوجه طفل ، فهو أبعد ما يكون عن رجل الرياضة الخشن كما يتصوره الناس . ولم يكن التسلق عنــده رياضة أو لهواً بل عبادةً خالصةً ، أى مغامرةً نصيبُ الروح فيهـا أعظم من نصيب البدن . ولعل تفسيره للدافع الذى يدفع النـاس إلى التسلق هو أبسط تفسير سمعناه وأعمقه. فقد سأله صديق: «لم تحاول تسلق هـذا الجبل ؟ » فأجابه مالورى فى بساطة : « لأنه موجود ! »

غادرت جماعة الاستكشاف دار جيلنج فى الهند فى أوسط شهرمايو ١٩٢١ ، وكان لابد لهم من رحلة شاقة تستغرق أسابيع فى جوف الأدغال الاستوائيــة الحارة ، ثم التسلق إلى قفار هضبة التبت الجرداء التى تكتسحها الرياح العواصف ، فتجشموا كل ذلك قبل أن يبلغوا مكانا يكونون فيه على مرأى من غايتهم ، فواصلوا السير يوما بعد يوم فى أشـد بقاع الأرض وحشــة وإقفاراً ، يشقون طريقـاً تستقبلهم فيه عواصف الرمل ومياه الثلاجات الزاخرة ، ويعبرون سهولاً واسعة تكثر الصخور فى أرجائها ، ويخترقون دروباً عظيمة فى مخارم الجبال .

وفى أواخر يونيو وصلت الجماعة إلى دير رونجبوك على مسيرة عشرين ميـلا شمال إفرست ، وأخيراً لاح لهم الجبل فى عظمته الشماء الشامخة ، فكتب مالورى يقول « وقفنا مشدوهين ، لم تنبس شفة بسؤال أو تعليق ، وما هو إلا أن ننظر وكفى ! »

وبدأ المستكشفون يدرسون ذلك الصرح المرّد من الصخر والجليد المتسامى إلى كبد السماء. كانوا عندئذ على ارتفاع ١٨٠٠٠ قدم، أى أعلى بكثير من أعلى قمة جبال الألب. وكان أقل مجهود يبذلونه يحدث ضيقاً فى الرئتين وخفقاناً فى القلب. وبقى أمامهم مسافة ميلين رأسيين من الجبل المتقاذف فى عنان السماء، وكنت تسمع الريح والثلوج تزأر من عَلٍ زئير الإعصار.

ولما بدأوا يعملون وئيداً حول قاعدة القمة تبين لهم أن إفرست يكاد يكون هرما كاملا، وكان جله عبارة عن طبقات من مَهاوٍ لا يحلم إنسان بتسلقها، ولم يجدوا مكاناً يدخل فى الطوق تسلقه إلا من الجانب الشمالى الشرقى. فقد كان على شفا الهاوية التى يبلغ عمقها ١٠٫٠٠٠ قدم من الجانب الشمالى حافة صخرية مدببة تنحدر من الكتف الصخرى العظيم بالقرب من القمة، إلى ربوة مرتفعة من الجليد تقع شرقى ثلاجة رونجبوك. وكانت زاوية هذه الحافة منحدرة انحداراً شديداً، ولكنها لم تكن من الانحدار بحيث تمتنع على الحاذقين من متسلقى الجبال. أما من الكتف فما فوق، فلم يكن يبدو أن ثمة عقبات لا تذلل.

وقد استغرق البحث عن طريق لبلوغ الربوة شهرين طويلين من الجهد والتدبير.

وكانت نورث كول، كما سميت الربوة وقتذاك، ترتفع من ثلاجة رونجبوك وتكاد تكون حائطاً رأسياً من الجليد ارتفاعه ٤٠٠٠ قدم. ولم يسع أحداً حتى ذلك المقدام مالورى، إلا أن يعترف أنه لا يمكن تسلقها من ذلك الجانب. وكان أمله الوحيد هو أن الجانب المقابل قد يكون أسهل مرتقىً.

وبعد دورة طويلة تزيد على المئة ميل، بلغ المتسلقون شِعْباً موحشاً تعوى فيه العواصف، وترتفع منه ربوة الجليد والثلج إلى ١٥٠٠ قدم فقط فوق مجرى الثلاجة. وأعمل أقوى ثلاثة من المتسلقين معاولهم وشقوا لأنفسهم طريقاً إلى أعلى الربوة، حيث يبلغ الارتفاع ٢٣٫٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. على أن قمة أفرست كانت لا تزال على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم فوقهم، وعلى بعد ميلين ونصف من مكانهم.

كان ذلك فى أواخر أغسطس، وكاد صيف الهملايا القصير ينقضى، فعادت جماعة الاستكشاف هذه إلى إنجلترا، وقد رادوا الطريق إلى الجبل ووجدوا موضع الضعف فى درعه المتين.

وفى أول مايو ١٩٢٢ ضربت حملة التسلق خيامها على مرأى من طرف ثلاجة رونجبوك، وكانت مؤلفة من ١٣ إنجليزياً

و ٦٠ من رجال الجبال من شمال الهند ،
و ١٠٠ رجل من أهالى التبت للمساعدة ،
و ٣٠٠ حيوان لحمل العتاد .

ولا يمكن تسلق إفرست إلا فى فترة قصيرة لاتزيد على ستة أسابيع ، فهى بقعة تكتنفها أعاصير الشتاء الهائجة حتى أوائل شهر مايو ، وبعد منتصف شهر يونيو تهطل الأمطار الوسمية فى الهند ، فتجعل جبال الهملايا الشرقية فخاً من فخاخ الهلكة ، لما بها من الثلج وذَوْب الجليد .

وظل المتسلقون والحمالون أسبوعين يروحون ويغدون على جوانب ثلاجات هائلة وينقلون الطعام والعتاد ، ويقيمون سلسلة من أربعة مخيمات لايبعد أحدها عن الآخر أكثر من مسيرة يوم ، وتخلف المُسِنّون من أعضاء الحملة ليكونوا صلة بين المخيمات الثلاثة السفلية ، على حين أنشأ الأقوياء منهم مخيماً رابعاً على رأس نورث كول على ارتفاع ٢٢٫٩٠٠ قدم .

واختير مالورى وثلاثة من رفقائه للهجمة الأولى على حمى قمة إفرست ، وفى فجر ٢٠ مايو تقدمت الجماعة وفى صحبتهم جماعة من الحمالين نحو تلك الشوامخ المجهولة التى لم تطأها قدم من قبل ، وكان هدفهم البعيد الصعب المنال لايزال على ارتفاع ميل من فوقهم .

وجهد المتسلقون ساعة بعد ساعة فى صعود الحافة الشمالية الشرقية ، وكانت الريح الباردة تجتاحهم بلارحمة ولاهوادة ، وشرٌّ من ذلك أنهم كلما صعدوا فى الجبل شقّ عليهم التنفس ، وقد اضطرهم البرد والجهد وهم على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم إلى الوقوف حيث كانوا ، فلما أرسلوا حمّاليهم إلى المخيم الرابع أقاموا لأنفسهم خيمتين صغيرين فى بقعة آمنة على قدر الإمكان واندسُّوا فى حقائب نومهم .

فلما بزغ نور النهار صعّدوا فى الجبل من جديد ، فى ضباب كثيف وثلج تذروه الرياح ، وبعد ساعة من التسلق بلغ أحدهم غاية مايطيق من صبر واحتمال واضطر أن يعود ، بيد أن مالورى وزفيقاه واصلا التسلق بجهد جهيد ، فكانوا يقضون ١٥ دقيقة فى تسلق مؤلم بطىء ، تعقبها فترة راحة طويلة ، ثم فترة تسلق ففترة راحة ، وهكذا دواليك . ولم يمض وقت طويل حتى جمدت أيديهم وأقدامهم ، وفغروا أفواههم طلباً للهواء . وقد قالوا فيما بعد إن عقولهم وحواسهم أيضاً قد تأثرت من شدة الحاجة إلى الأوكسيجين ، وفقدوا الإرادة والطموح والحكم على الأشياء ، وكانوا يسيرون قُدُماً ولكن كما يسير النائم .

وفى عصر ذلك اليوم بلغوا ارتفاع ٢٧٫٠٠٠ قدم ، وقد تسلقوا ثلثى المسافة الرأسية بين نورث كول والقمة ، وبذُّوا كل من

صعّد فى الجبال بألفى قدم وأربعمئة قدم. ولم تكن مواصلة السير فى تلك الساعة المتأخرة دون طعام أو ملجأ، إلا انتحاراً لامرية فيه. ولمّا كانوا قدبلغوا من الإعياء مبلغاً لايشعرون معه بخيبة الأمل أو بأية عاطفة أخرى، تولوا مرتدّين عن الهدف الذى إليه يهدفون.

وفى اليوم التالى أعادوا الكرة، وأقاموا مخيما خامساً على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم، وجهز الرجال بخزانات للأوكسيجين لتساعدهم على التنفس، بيد أنه تبين أن ما أفادوه منها بدّدته أجهزة الأوكسيجين التى أثقلت كواهلهم، فقدكانت زنة كل منها ثلاثين رطلا. وبلغ رجلان منهم نقطة لاتبعد عن القمة إلا نصف ميل عرضاً وقرابة ١٩٠٠ قدم ارتفاعاً، ولكنهما بلغا هنا غاية مايطيقانه من صبر واحتمال، فقد كانت أجسامهما وعقولهما قد جمدت، وكفت أطرافهما عن الحركة، وعجزت أعينهما عن الإبصار، فعادا أدراجهما مقهورين كما لقى رفقاؤهما من قبل، ولكنهما سجّلا رقماً عالمياً جديداً فى التسلق هو ٢٧٫٢٣٥ قدم.

وعقد ثلاثة من الإنجليز عزمهم على محاولة تكون خاتمة المحاولات، فصحبوا معهم ١٤ حمالاً يحملون المؤن، وبدأوا يصعدون من أحد المخيمات السفلى إلى القاعدة الأولى على نورث كول، وإذا بهم يسمعون دوياً عميقاً اهتز له الثلج والجليد، وانهال عليهم جائح من الثلج، فتردّى سبعة من الحمالين إلى الهاوية حيث ابتلعتهم إلى الأبد. وهكذا كانت عاقبة تسلق إفرست فى عام ١٩٢٢، فهى لم تنته بالهزيمة وحسب، بل انتهت بفاجعة أيضاً.

وفى مارس ١٩٢٤ قامت حملة ثالثة من دار جيلنج كان من أعضائها مالورى الذى لايعتريه الكلال، فبدأوا يمهدون لرحلتهم على نهج منظم وبسرعة ودؤوب، ثم بقى لهم قرابة شهر كامل للتسلق، على أن سوء الطالع داهمهم قبل أن يصلوا إلى الجبل، فلم يكد يقام المخيم الثالث تحت نورث كول حتى هب إعصار أحال المخيمات والمواصلات حطاماً مبعثراً، وخرج المتسلقون الذين كانوا يحتفظون بجهودهم للمرحلة الأخيرة لبلوغ القمة، لكى ينجدوا الرجال وينقذوا المؤن. وبعد أسبوعين من خروج طليعة الحملة من مخيمها الأول تملأ قلوبهم القوة والتفاؤل، عادوا أدراجهم وقد عضهم الصقيع وصاروا حطاماً بلغ الإعياء منهم كل مبلغ.

لقد أصابتهم ضربة شديدة، ولكنهم تهيأوا للنضال وجمعوا أنفسهم على قهر الجبل

من جديد . على أن سوء الطالع صادف الجماعة مرة أخرى على الحائط الثلجى العظيم أسفل نورث كول ، فإن زوابع السنتين الماضيتين وجوائح الجليد قد أحالت وجهه إلى إكام متناثرة وكُهُوب شديدة الانحدار، بحيث لم يبق أثر للطريق القديم .

تلت ذلك أيام من العمل القاتل ، فكان عليهم أن ينقبوا آلافاً من الدَّرَج فى الثلج والجليد ، وكان عليهم أن يقيموا السلالم ويعلقوا الحبال ليستطيع الحمالون أن يتسلقوا بأحمالهم . وأحدقت بهم أخطار كثيرة كادوا يتردَّون فيها لولا عناية الله . وقد حدث مرة بينما كان مالورى ينزل الحائط بمفرده ، أن زلت به قدمه ووقع إلى هوة فاغرة تحته ، غير أن معول الثلج الذى يحمله اصطدم لحسن حظه بالثلج وتعلق به بعد أن سقط عشر أقدام فقط ، ولم يكن تحته غير فضاء أزرق ضارب إلى السواد ، ولم يسمع رفقاؤه أصوات استغاثته لبعدهم عنه ، واستطاع بشق النفس أن يتشبث بالثلج ويتسلق حتى انتهى إلى مأمنه ونجا .

وأخيراً تم إنشاء الطريق على الحائط ، وفى تلك الليلة نفسها نزل زئبق مقياس الحرارة إلى ٢٤ تحت الصفر ، وسقط مع الفجر ثلج كثيف ، واضطر المتسلقون مرة ثانية خلال أسبوعين ، أن يعودوا أدراجهم إلى مخيم قاعدتهم ليستريحوا بضعة أيام .

وكانت الحملة قد أعدت عدتها لتبلغ الحافة الشمالية الشرقية لإفرست فى منتصف شهر مايو ، ولكن حل شهر يونيو ولم تطأ قدم رجل منهم أرض الجبل الأصيل ، وستهب الرياح الموسمية بعد عشرة أيام أخر ، وكان عليهم إذا أرادوا النجاح أن يبذلوا جهداً جهيداً حثيثاً .

وألقوا بأنفسهم فى الأسبوع التالى على الجبل يتسلقونه فى براعة لم يشهد لها العالم نظيراً من قبل . وكانت الخطة أن يتسلقوا الجبل فوجاً بعد فوج ، وكل فوج رجلان ، وبين السابق والتالى يوم كامل ، وكان عليهم أن يقيموا مخيماً سادساً أقرب مايكون إلى القمة بقدر مايدخل فى طوق الحمالين .

واختير مالورى وبروس للمحاولة الأولى ، حتى إذا بلغا ارتفاع ٢٥٫٣٠٠ قدم اشتد البرد فى الليل وبلغ درجة الصفر ، وعصفت الريح عاتية ، فلم يقوَ الحمالون على المضى فى سبيلهم ، ولم يُجْدِ فيهم أى إغراء يحملهم على التصعيد فى الجبل ، واضطر مالورى وبروس إلى النزول معهم وهما يتميزان من الغيظ .

وكانت الجماعة الثانية المؤلفة من نورتن وسمرڤيل قد بدأت تصعد فى الجبل لمن نورث كول وفقاً للخطة الموضوعة ، ومرا

بالجماعة الأولى وهى نازلة . وجهدت الجماعة خطوة خطوة فى التصعيد حتى جمدت أطرافهم وثقلت أقدامهم وكادوا يختنقون لقلة الهواء . وأخيراً استطاعوا أن يقيموا المخيم السادس على ارتفاع ٢٦٫٨٠٠ قدم فلما فرغوا من مهمتهم نزل الحمالون .

ونام نورتن وسمرڤيل تلك الليلة فى خيمة صغيرة ، ثم واصلا التصعيد عند شروق الشمس ، وكان البرد قارساً ، فجعل الرجلان يسعلان ويشهقان فى الهواء الرقيق المتجمد ، ولم يكن فى استطاعتهما أن يسيرا اثنا عشر خطوة متتالية دون أن يقفا ليستريحا . وكانا يتنفسان من أربعة أنفاس إلى عشرة أنفاس فى كل خطوة يخطوانها أثناء مسيرهما ، على أنهما واصلا السير خمس ساعات حتى بلغا ارتفاع ٢٧٫٠٠٠ قدم ، ثم ٢٧٫٥٠٠ قدم ثم ٢٨٫٠٠٠ قدم .

وعند الظهر أخذت سمرڤيل نوبة من السعال ، وأشار بيديه إلى رفيقه أن يواصل السير وحده .

وبعد مسيرة ساعة بلغ نورتن حفرة يملؤها ثلج ناعم متفكك ، فلو زلت فيها قدمه لتردى ١٠٫٠٠٠ قدم حتى ينتهى إلى ثلاجة رونجبوك . فعبرها نورتن سالماً ، ولكنه علم وهو متعلق بيديه إلى الحافة أن الرجاء قد انقطع ، فقد أخذ الصداع رأسه وجعل قلبه يخفق بشدة ، حتى خيل إليه أنهما سينفجران فى أية لحظة . وأشنع من ذلك أن بدأ يرى الشىء الواحد شيئين ، ولم يعد يقوى على جر قدميه المتثاقلتين إلى حيث يريد أن يمضى بهما ، ولم يكن للتصعيد أكثر من ذلك غاية سوى الموت المحتوم .

وقف نورتن بضع لحظات جامداً بلا حراك ، وقد بلغ ارتفاع ٢٨٫١٢٦ قدماً ولم يبق على الهرم الذى تنتهى به قمة إڤرست سوى بضع ياردات من فوقه ، ونحو ألف قدم من الصخر المنحدر الخالى تقريباً من الجليد ، تناديه وتدعوه إلى القمة الباذخة والهدف المتلألىء .

هبط نورتن وسمرڤيل من تلك المنحدرات الهائلة سالمين وتولاهما رفقاؤهما بالعناية ، بعد أن بذلا كل ما يطيقانه من جهد .

عزم مالورى وقد أمضه الألم لإخفاق محاولته الأولى ، أن يحاول مرة أخرى . نعم ، إن جبل إڤرست كان قريع مالورى وحده دون الناس جميعاً . فقد راد الطريق إليه ومهدت قدماه السبيل إلى شعفاته العليا ، وكانت روحه المتأججة هى القوة الدافعة النافذة فى كل محاولة ، وكان غزو قمته هو حلم حياته العظيم .

واندفع مالورى إلى الأمام قدما بسرعته المعهودة ، وبدأ هو وأندرو إرڤين ، أحد

أفراد فرقة التجذيف بجامعة أكسفورد ، يصعّدان فى الجبل من نورث كول ، فبلغا المخيم السادس فى الليلة الثانية ، وقررا أن يستعملا جهازات الأوكسيجين فى المرحلة الأخيرة . وروى آخر الحمالين الذين نزلوا من أعلى مخيم فى تلك الليلة ، أن مالورى وإرفن كانا على خير حال يفيضان أملا فى النجاح

وقيض لرجل واحد أن يرى مالورى وإرفن فى آخر العهد بهما .

ففى الثامن من شهر يونيو همّ ن . ا . أودل عالم طبقات الأرض المرافق للجماعة ، وكان قد قضى ليلته وحيداً بالمخيم الخامس ، فانطلق يريد المخيم السادس ومعه حقيبة فيها شىء من المؤونة ، وكانت مسالك الجبل العليا قد غشيها ضباب أدكن خفيف ، ولم يستطع أودل أن يستبين مما فوقه إلا القليل. فلما تسلق فجوة صغيرة على ارتفاع ٢٦٫٠٠٠ قدم ، انقشع الضباب هنيهة وبدت القمة فى جلالها الرائع ، ورأى فوقها شبحين صغيرين ارتسما على صفحة السماء وليس بينهما وبين ذروة القمة الباذخة أكثر من ٨٠٠ قدم. ظل يرقب الشبحين وهما يصعدان رويداً رويداً إلى القمة ، ثم أطبق عليهما الضباب مرة أخرى وغابا عن ناظريه .

وقد أتى أودل فى الثمانى والأربعين ساعة التالية بمعجزة فى الصبر والجَلَد ، فقد بلغ المخيم السادس بكيس المؤن الذى يحمله ، ثم صعّد فى الجبل أعلى من ذلك وهو يرقب وينتظر ، بيد أن قمة الجبل ظلت محجبة فى الضباب ولم تبد بادرة تنبىء عن عودة المتسلقين . وفى صباح اليوم التالى صعّد ثانية فى الجبل من المخيم السادس باحثاً منادياً بأقصى ما يطيق البشر ، ولكن ما من مجيب إلا عويل الرياح ، وبدت الذروة الشماء شامخة بأسرارها المحجّبة وجلالها المنيع ، متلفعة بصمت الدهور ووحشتها . وأخيراً ضاع كل رجاء ، ونزل أودل إلى أعلى مخيم وطيّر نبأ الفاجعة إلى من كانوا يترقبون عند السفح .

لقد ثوى جثمان مالورى وإرفن فى مكان ما من تلك البيداء الموحشة من الصخر والجليد التى تحرس قمة العالم ، أما أين وكيف دهمهما الموت ، وهل ظفرا بالنصر قبل النهاية فشىء لم يُحِطْ بعلمه إنسان .



إنى لأنزل عن كل شهرتى وفنى ، إذا وجدت امرأة لاتزال مشغولة البال بى إذا تأخرت عن موعد العشاء . [ ترجنيف ، القصصى الروسى ]

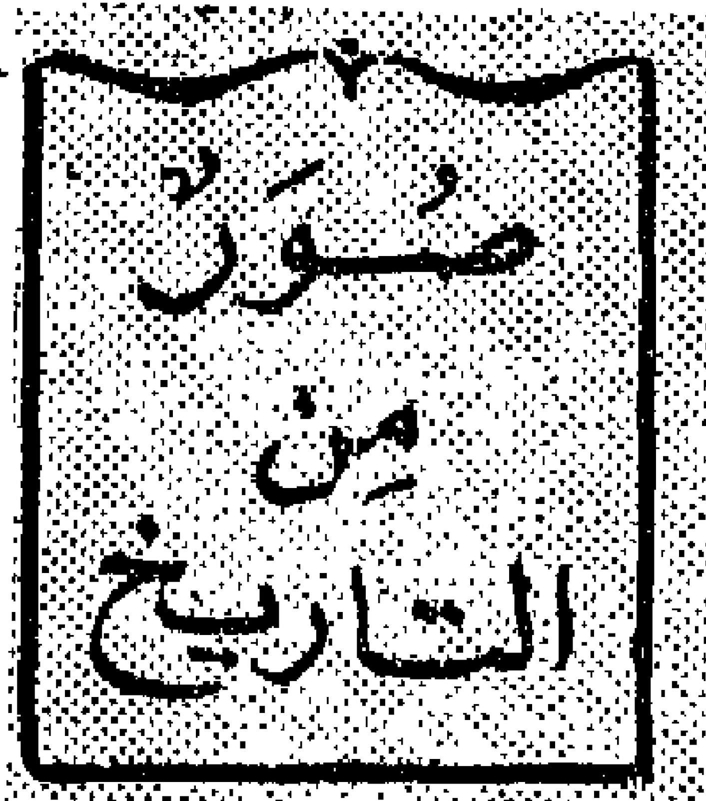
إمبراطور رومانى يبطل كائنة عراف بليلة قصف وعنف لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

# كاليجولا المجنون - يلهو

روبرت جريفز*

مختصرة من كتابه « أنا ، كلوديوس »

كان من خبر كاليجولا الذى صار فيما بعد من أشهر أباطرة الرومان فى القرن الأول من ميلاد المسيح ، أن عرافاً أنبأه فى رَيْعان صباه ، أنه يستحيل أن يصير إمبراطوراً كما يستحيل عليه أن يعبر خليجَ نابلى على متن جوادٍ . فلما صار إمبراطوراً عقد عزمه على أن يبطل الشطر الثانى من تكهن العراف . فأمر رؤساء النواتىّ فى إيطاليا وصقلية جميعاً أن يأخذوا الإبريق على جميع السفن الكبيرة ، وينزلوا حمولتها ويخزنوها ، ثم يوجهوا السفن إلى خليج نابلى محروسة ببوارج الحرب . فاجتمع هناك نحو ٤٠٠٠ سفينة ، منها ألف بنيتْ خاصة لذلك الغرض ، وألقت مراسيها جميعاً فى عَرْض الخليج . ثم جعلوا السفن صفين متوازيين يمتدان من ميناء « بُتْيولى » إلى دارته ( ڤيلا ) فى « باولى » . فكانت أعجاز




السفن ناتئة تفسد عليه ما يريد ، فما هو إلا أن أمر بأن تسوّى حتى تصير سطحاً منبسطاً ، فنشروا منها جميعاً الجزء الناتىء عند مقدم السفن ومؤخرها . ثم غطى السفن بألواح الخشب ، وألقى على الألواح التراب ، ورُشّ التراب بالماء ثم دُك حتى استوى ، فصارت مهاداً منبسطاً عريضاً يبلغ طوله نحو خمسة أميال ونصف ميل .

ثم أمر كاليجولا أن يُقام صف من الدكاكين على طول جسر السفن الممدود ، وأن توضع فيها السلع ويتولاها العمال ، فيما لا يزيد على عشرة أيام استعداداً للاحتفال الذى أعده ليوم عبور هذا الجسر . فلما جاءت سفن أخرى عائدة من رحلاتها فى الشرق ، شُدّ بعضها إلى بعض حتى صارت

---

* روبرت جريفز ، شاعر إنجليزى وناقد ممتاز نال شهرة ذائعة بكتبه الثلاثة عن الإمبراطورية الرومانية : « أنا كلوديوس » و « كلوديوس الإله » و « كونت بليزاريوس » .

على شكل خمس جزائر متصلة بذلك الطريق الممدود . وجعلت هذه الجزائر كأنها قُرًى، تُرفع إليها الماء وأقيمت فيها الحدائق .

وأخيراً صار كل شيء على أتم الأهبة ، ولبس كاليجولا عباءة من الحرير أرجوانية اللون مطرّزة بالجواهر ، ووضع على رأسه إكليلاً من أوراق البلوط ، ثم قرّب قرباناً إلى إله البحر ( نبتيـون ) ، وقرباناً آخر إلى إله الحسَد خوفاً من أن يحسـده إله من الآلهة، أو كما قال . وبعدئذ اعتلى متن جواده وانطلق يركض على الجسر، وتبعته حاشية فرسانه جميعاً ، ثم فرسان على أثرهم جاءبهم من فرنسا، يتبعهم ٢٠٫٠٠٠ راجل . فلما بلغ الجزيرة الأخيرة على مقربة من بُتْيولى ، أمر نافخي الأبواق أن ينفخوا ، واقتحم المدينـــة اقتحاماً ، كأنه يطارد عَدوًّا فارًّا .

وقضى الليلة واليوم التالى فى بُتْيولى كأنما يستريح من عناء المعركة . فلما أقبل المساء عاد أدراجه قاطعاً الجسْر فى مركبة النصر الذهبية ، وسارَ على أثره صف من العربات محملة بغنائم المعركة — من أثاث وتماثيل وحُلى مما نهبوه من بيوت التجار والأثرياء فى بتيولى . وأخذ الرهائن من العبيد الأجانب حيثما ثقِفهم ، عليهم ثيابهم التى يلبسونها فى بلادهم، ومطوّقين بالسلاسل الثقيلة . أما أصدقاؤه فقد ساروا على أثره فى مركباتهم المزخرفة ، وعليهم الحُلَل الموشّاة ، وهم ينشدون الأناشيد فى الثناء عليـه ومَدْحه . ثم تبعهم الجيش ، ومن ورائه ٢٠٠٫٠٠٠ نسـمة فى ملابس يوم الزينـة . وأوقدت النيران على قمم التلال المحيطة بالخليج ، وحمل كل من شهد يوم الحفْل مشعلاً فى يده .

فلما ألقى عصَاهُ واستقر فى « باولى » مرة ثانية ، ترجّل عن جواده وأمر أن يحمل إليه صولجانه ، وهو رُمْح له ثلاثة نصال من الذهب ، فحمله فى يده ونزل إلى أحد زوارق القَصْف واللهو ، وسار به الزورق إلى أوسط الجزر الخمس ، يتبعه أكثر جيشه فى سفن الحرب . ثم نزل من زورقه وارتقى منصّة مكسوّة بالحرير ، وخطب الجموع المحتشدة وهى تمر على الجسر الممدود . ثم أعلن أنه سوف يعطى كل جندى قطعتين من الذهب ينفقهما فى لهوه وشرابه ، وأنه سيعطى كل من شهد الجمع خمس قطع من الفضة . فظل هتاف الجماهير يشقّ الجو نحو نصف ساعة ، حتى أمرهم كاليجولا أن يكفوا ، ودفع لهم ما وعدهم به. فاصطف الجمع صفوفاً ، وجاءت حقائب المال وأفرغ ما فيها واحدة بعد أخرى ، فما مضت ساعتان حتى نفد المال كله . فما كان من

كاليجولا إلا أن أذن للمتخلفين اللاحقين أن يأخذوا بثأرهم من السابقين الذين أسرع بهم طمعهم وجشعهم . وبذلك احتدمت بينهم معركة حامية .

ثم جاء الليل فكانت أروع ليلة عرفها الناس من ليالى الشراب والغناء والصراع والقصف . وكان كاليجولا إذا شرب ساءت أخلاقه ، فخرج على رأس حراسه يطوف بالجزيرة وبصف الدكاكين ، ويقذف بمن يلقاه فى اليم . وكان البحر ساجياً ساكناً ، فلم يكن يعجز عن أن ينجو بنفسه إلا السكران المنزوف ، أو الهرم المحطم ، أو الطفل العاجز . وكذلك لم يغرق ليلتئذ أكثر من ٢٠٠ نسمة أو ٣٠٠ نسمة .

فلما انتصف الليل أغار كاليجولا بسفنه على إحدى الجزر الصغيرة ، فحطم جانبى الجسر ، وجعل يصك سفن الجزيرة واحدة بعد أخرى حتى لم يكن لركابها الذين عزلهم بدٌّ من أن يحتشدوا فى رقعة صغيرة فى وسط كل سفينة . وبقيت الغارة الأخيرة لكاليجولا نفسه فى سفينته ، فجاءت به وهو واقف فى بُرْجها وفى يده صَوْلجان يُلوّح به إليهم ، ثم انقضّ على البقية المذعورة وأغرقهم جميعاً فى جوف البحر .

فلما انصرم اليومان — يوما الترفيه — كان خزانة ماله قد نفد كل ما فيها . وشرٌّ من ذلك أن كاليجولا لم يأمر بردّ السفن إلى أصحابها ونواتيها ، بل أمر أن تُرمّم الفجوات والثُّلَم ، ثم عادَ أدراجَه إلى رومة ، وشغلته عن الفكر فى أمرها أعماله الأخرى . وجاءت عاصفة عاتية وأغرقت ألف سفينة على المكان . وقد استطاع بحارة ألفى سفينة أن ينزعوا مراسيها ويفلتوا بها من غوائل العاصفة ، إلا أن الخسارة أحدثت نقصاً عظيماً فى السفن التى تحمل القمح والميرة من مصر وإفريقية ، وكان من جراء ذلك أن قَلّ الطعام فى رومة قِلّةً تنذر بالخطر المستطير . وكذلك انتهى أروع مشهد من المشاهد التى عرفتها الدنيا — وأخلاها أيضاً من الغرض والمعنى .

·oOOo·⇐⇒·oOOo·

نزاع للحياة

فى كل صباح حين أخرج من دارى أقول لنفسى : « سوف ألقى اليوم رجلاً وقحاً ، أو منكراً للجميل ، أو ثرثاراً . وهذا شىء طبيعى ولا مفرّ منه ، فلا تلق إليه بالاً . »

[ ماركوس أورليوس ]

# ميلوا عن طريق الحرب

وليم هارد و اندريه فيسون

نحن في الأمم المتحدة نعالج المنازعات الدولية منفردة ، ولكنا نأبى أن ننظر إلى الخيط الذى يصل ما بينها ، وهذا الخيط هو بحث كلٍّ من الدول الكبرى الثلاث عن « أمنها » الخاص .

وليس فى وسع الأمم المتحدة أن تخرج ابتداءً ، شيئاً من ذات نفسها ، فإنها ليست إلا وكالة حكومات ، فليس فى مقدورها أن تخرج إلا ماتغذّيها به الحكومات . والحكومات الآن تغذّيها بحوارٍ في السلم والسلوك ، لن يختلف فى شىء لو أنها رأت أن الحرب لا مفرّ منها .

إن الاتحاد السوفيتى يأخذ كل غلام ويشرع فى تدريبه فى مدرسته للخدمة الإجبارية فى الجيش الأحمر ، وهو يحتفظ بقوة لهذا الجيش تبلغ ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ،وقد شرع يبنى أسطولاً من الطراز الأول لم يكن للقياصرة مثله . وهو يعلن بلسان ستالين أن الجيش الأحمر والأسطول الأحمر سيرفعان فن الحرب إلى مراتب أعلى فأعلى ، من الكفاية والقدرة على التدمير .

والبريطانيون يتشبثون على قدر مايدخل فى طاقتهم بكل « حصن للإمبراطورية » ، من جبل طارق على أرض أسبانيا إلى هونج كونج على أرض الصين ، ويحتفظون بالتجنيد الإجبارى ، ويجعلون الأسطول الملكى مستعداً أبداً للوقوف فى وجه أية عاصفة دولية .

والولايات المتحدة لا تقترح وسيلة لمنع الأمم المتحدة من أن تصبح إحدى وخمسين داراً للصنعة تصنع السلاح للدفاع المزعوم والعدوان المحتمل . فما هو مقصدها ؟ إنها لا تحاول أن تخرج أعضاء الأمم المتحدة الخمسين معاً عن النهج القديم ، وإنما تنضم إليهم فيه ، وتنوى أن تنشىء جيشاً لم يسبق له مثيل فى قوته ، وأن تدرّب له الشباب الأمريكى تدريباً تامًّا ، وأن تبنى أسطولا أكبر بمقدار خمسين فى المئة من الأساطيل المجتمعة لبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى ، وأن تكون لها أعظم قوة جوية فى العالم ، وهى تصنع قنابل ذرية أكبر وأشد هولاً ، ومقذوفات مدمرة بعيدة المدى تطلق بالنفث أو على هيئة الصواريخ ، أكبر وأقوى من مثيلاتها .

وأخيراً تنوى أن تنافس إلى النهاية بريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وقد شرعت

فعلا فى ذلك ، بالمطالبة بقواعد قصية ، وبإيقاع الضغط على الدول الأجنبية لتقوم فيها « حكومات صديقة » ، وبإرسال « بعثات عسكرية » إلى هذه « الحكومات الصديقة » لتعزيز فن الحرب ونشره ، وبالاحتفاظ بقلم مخابرات يستخدم جواسيس يدخلون فى كل البلاد الأجنبية ليحصلوا على المعلومات العسكرية والاقتصادية بأية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة .

على أن الدول الكبرى الثلاث كلها ينبغى أن تدرك هذا العبث المحض الذى ينطوى عليه تنافسها فى نشدان « أمن » قومى بحت إذا هى أرادت أن تتّقى الكارثة الدولية .

ولننظر فى وجوه « الأمن » البريطانى والأمريكى والسوفييتى . إن بريطانيا بفضل ما حققته قديماً فى باب الاستعمار من الأعمال التى بدأت فى عهد قرصان الملكة إليزابيث ، تستطيع اليوم أن تبدو أقل الجميع نزوعاً إلى العدوان . وقد ظل جبل طارق بريطانياً منذ عام ١٧٠٤ ، وهونج كونج منذ عام ١٨٤٢ ، والموقف البريطانى هو :

إن كل الدول ارتكبت فى الماضى أعمال عدوان ، فإذا أردت أن نردّ مظالم هذه الاعتداءات السابقة فإن عليك مثلا أن تقول للروسيين :

« آبار الزيت الغنية هذه التى تملكونها حول باكو على بحر قزوين ، لقد أخذتموها من فارس ( إيران ) بالقوة فى عام ١٨٠٦ فالآن ردّوها إلى الفرس ! » .

مثل هذا القول مستحيل فيما يرى البريطانيون، فإنه يقتلع نظام العالم من جذوره ، وخير ما يمكن أن يُصنع هو منع العدوان فى المستقبل . ويقول البريطانيون إنهم يستطيعون من قبيل العمل الودى ، أن ينزلوا عن بعض اعتداءاتهم السابقة لمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة، ولكن تحول دون ذلك حقيقة حربية لا مصرف عنها ، فإن كل واحد من هذه الاعتداءات الماضية لا غنى عنه لبريطانيا ولأمنها اليوم .

وهذه الحجة لا تقنع الروسيين كل الإقناع ، فهم يقولون إنكم معشر البريطانيين تحاولون أن تفرقوا تفريقاً سخيفاً بين الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكن الزمن يقبل فى أوقات مختلفة على الأمم المختلفة بحسب نشوئها التاريخى ، وطبقاً لمذهب كارل ماركس . واليوم هو زمننا نحن الروسيين ، فهل نحرم أمننا لا لسبب سوى أن أمنكم البريطانى تحقق قبل أمننا ؟

وفى سبيل أمننا الروسى منذ ١٩٣٩ ، وعلى الرغم جهاراً من مواثيق عدم الاعتداء ، استلحقنا أجزاء من بولندة وفنلندة

وكل إستونيا ولاتفيا ولتوانيا ـ وهى أراض كانت تابعة للقياصرة ، واستردنا أيضاً الامتيازات الخاصة التى كانت للقياصرة فى منشوريا ، واستحوذنا على أقاليم معينة من تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ـ وهى أراض لم تكن قط تابعة للقياصرة .

يضاف إلى ذلك أن تجربتنا فى هـذه الحرب علمتنا أنه لا يجـوز مرة أخرى ـ فى سبيل أمننا ـ أن تكون هناك فى أى مكان قريب منا حكومات غير صـديقة . ولهذا ، وبفضـل الجنود الحمر والوكلاء المحليين من الأهالى الذين يستجيبون لموسكو ، حصلنا على « حكومات صـديقة » الآن فى رومانيا ، وبلغاريا ، وبولندة ، ويوغوسلافيا ، وألبانيا . وخليق بنا أن نشعر بأننا آمن إذا كانت لنا « حكومات صديقة » فى إيران وتركيا أيضاً .

ومتى صرنا فى أمن تام ، فإننا نصبح مسالمين كل المسالمة ، وهـذا هو السبب فى أننا نزعنا بروسيا الشرقية من ألمانيا ، وجزر كوريل من اليابان ، منتهكين بذلك ميثاق الأطلسى الذى يقضى بعدم ضم بلاد أخرى ، والذى انضممنا إليه بصفتنا عضواً فى الأمم المتحدة فى أول يناير سنة ١٩٤٢ .

على أن هذا كله يا أصدقاءنا البريطانيين الأعزاء ليس إلا مقدمة . فقد أرتنا سيرتكم أن الدولة لا تكون آمنة إلا إذا كانت لها قواعد على مسافات بعيدة جداً من أرضها . وهذه سنغافورة مثلا تقع منكم على الجانب الآخر من العالم ، على أننا لن نتطلع إلى مثل هذا المطمح فى البداية ، وكل ما نطلبه هو قواعد فى البحرين الأبيض المتوسط والأحمر ، وهما قريبان جداً منا فى الحقيقة : فى جزر الدوديكانيز القريبة من قاعدتكم فى قبرص ، وفى طرابلس التى كانت إيطالية فيما مضى ، على كثب من قاعدتكم فى مالطة ، وفى إريتريا الإيطالية سابقاً قرب قاعدتكم فى عدن ..

وأنتم تعترضون بشدة وتقولون إن هذه القواعد ستهدد أمنكم و « خطوط الحياة » لكم ، فلنسألكم :

هل أنتم منفردون بالحق فى أن تكون لكم خطوط حياة ؟ ونحب أن نقول لكم فى صراحة إننا ننوى أن تكون لنا خطوط حياة آمنة كخطوطكم ، مهما بلغ من عنف مقاومتكم .

وهذه هى التقدمة البريطانية والروسية لفكرة « الأمن » ، وهى فكرة لا يسمح بها إلا للدول الكبرى . وما من أحد يرى أن دولة صغيرة ضعيفة كسويسرا تحتاج إلى الاستيلاء على أى أرض جـديدة فى سبيل أمنها ، ولو أن سويسرا طالبت بأرض من إيطاليا وفرنسا وألمانيا والنمسا لتعزيز أمنها

لضحك العالم ، فهى الدول الكبرى القوية وحدها التى يجب أن تصبح أكبر وأقوى لتكون آمنة ! ثم تتصادم مناطق أمنها فتصبح مناطق نزاع وصراع ، وتتداخل خطوط حياتها وتصبح خطوط حرب * .

ونحن الأمريكيين نهمّ أن نشترك فى هذا الصراع وأن نجعله يشمل الكرة الأرضية كلها.

وفى وسعنا أن نقول بحق للروسيين :

إنكم تبغون قواعد جديدة فى النصف الشمالى وحده من الكرة ، فيالها من تجربة ! ونحن نبغى قواعد فى النصفين الشمالى والجنوبى جميعاً . وإنكم لتبغون القواعد الجديدة فى ناحيتكم فقط من نصف الكرة الشرقى فيالها من قناعة ! أما نحن فنبغيها فى نصف الكرة الغربى الذى نحن فيه وفى النصف الشرقى الذى أنتم فيه أيضاً .

ففى المحيط الهادى تريد الولايات المتحدة قواعد فى جزر مارشال وماريانا ، وكذلك فى إيوجيما وأوكيناوا ، وهذه المطالب التى يستدعيها الأمن مناقضة للتعهد فى ميثاق الأطلسى بعدم الضم ، ولكنها تبغى أن تشعر بالأمن ، ولكى تكون آمنة يجب أن تكون قريبة من الصين .

وقد حصل الاتحاد السوفيتى بموافقة رئيس للولايات المتحدة على قاعدة بحرية فى أرض صينية هى بورت أرثر بمنشوريا . وبمساعدة رئيس أمريكى آخر ، يجب على الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً للوقاية من شر هذه القاعدة ! وقد وافق مجلس النواب على مشروع قانون يخول الرئيس ترومان أن يهب الصين ٢٧١ سفينة حربية صغيرة ، وأن يعيرها مئة ضابط بحرى أمريكى لتعليم الصين كيف يقاتلون فى البحر ، وقد قام ضباط الجيش الأمريكى بالشىء الكثير لتعليمهم القتال فى البر ، والأرجح أنهم سيفعلون ما هو أكثر.

وفى عالم « دولى » لا يمكن أن يتجاوز التدريب على القتال الحد ، أو تزيد القواعد التى تنطلق منها القاذفات على مقدار الحاجة . فمن أوكيناوا تستطيع الولايات المتحدة بسهولة أن ترسل القاذفات على بورت أرثر أو على ميناء فلادفستوك الروسى ، ومع ذلك لا شك أن الولايات المتحدة خليقة أن تعترض بشدة على وجود قاعدة روسية فى جزيرة كلبرتون الفرنسية تجاه المكسيك ، وهى تبعد من سان فرنسسكو مثل بعد أوكيناوا من فلادفستوك تقريباً .

ومثل هذا يصدق على المحيط الكبير الآخر ــ الأطلسى .

فقد أخذت الولايات المتحدة فيه القواعد

* راجع مقال « هل ضللنا طريق السلام ؟ » المختار : نوفمبر ١٩٤٤ ص ١

المتسع الجديدة من البريطانيين فى وقت محنتهم ، وأعطتهم فى مقابلتها خمسين مدمرة قديمة . وترمق الولايات المتحدة أيضاً قواعد فى البرازيل وفى الجزر الخالدات البرتغالية .

على أن الولايات المتحدة تبغى المزيد ، فإن المنطقة المتجمدة الشمالية هى مركز العالم فى عصر الطيران الجديد ، ومن أجل هذا تلح فى اتخاذ قواعد فى جرينلند وأيسلند .

وللروسيين اهتمام خاص بقاعدة أيسلند ، فإن الطائرة التى تقوم من نيويورك إلى موسكو تمر فوق أيسلند وتكون عندئذ قد قطعت ثلثى المسافة إلى موسكو . وهذا هو السبب فى أن القاذفات الأمريكية ينبغى أن تكون قادرة على القيام من أيسلند .

ولا شك أن طائرة تقوم من موسكو وتتجه مباشرة إلى نيويورك تمر فوق لابرادور ، وتكون حينئذ قد قطعت ثلثى المسافة إلى نيويورك ، ولكن هذا هو السبب فى أنه لا ينبغى أن تكون هناك قاعدة روسية فى لابرادور .

غير أن الشعب الروسى نزّاع بطبعه إلى مقابلة الفعل بمثله ، وهو ينشىء استحكامات جديدة على سواحله القطبية ، ولا ينكر النبأ القائل أنه يفكر فى مطالبة النرويج بقواعد على جزيرتى سبتز برجن وجان ماين ، وجزيرة جان ماين لا تبعد أميالاً كثيرة من أيسلند ، فإذا مضت الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفيتى على نهجها الحاضر ، فإنها لا تلبث أن تحيط القطب الشمالى بحلقة من القواعد تنذر بحرب .

أفلا نستطيع أن نرى أن كل خطوة تخطوها أمة من أجل أمن جديد معناها ثغرة فى الأمن القديم لأمة أخرى ؟ ألا نستطيع أن نرى أننا حين نقوم بحركة جديدة من حركات « الدفاع » على مقربة من أمة أخرى ، فإن الأمر يبدو لهذه الأمة الأخرى فى صورة حركة « هجوم » ؟ ألا نستطيع أن نرى أننا حين نمنح أنفسنا قوة جديدة فى منطقة نائية ، فإننا نوحى إلى أمة من الأمم فى تلك المنطقة أن تلتمس لنفسها قوة جديدة تقابل بها قوتنا ؟ ألا نستطيع أن نرى أن نتيجة الاستزادة المستمرة من الأمن لكل أمة هى زيادة انتفاء الأمن للأمم جميعاً ؟ هل حدث قط فى التاريخ من جانب الدول الكبرى لغط أكثر وسعى أعظم فى سبيل أمنها ؟ وهل هبت على الأرض كلها من قبل ريح خوف وجزع أسود من هذه ؟

ألم يئن أن يوضع برنامج نافع يجعل هذا السعى الكاذب للأمن سعياً صادقاً فى سبيل السلام ؟ قال بيرنز وزير الخارجية الأمريكية منذ عهد قريب : « إنى مقتنع

بإمكان الوصول إلى حلول مرضية إذا انقطعت كل هذه المداورات فى سبيل المزايا الحربية » . ونحن هنا نعرض برنامجاً لإخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل .

ولنفرض أن الولايات المتحدة قالت للروسيين :

إننا سنكف عن محاولة الحصول على قاعدة محصنة فى أيسلند ، إذا كففتم أيضاً عن محاولة الحصول على قواعد حصينة فى سبتزبرجن وجان ماين ، وسنمتنع عن تحصين جزر ألوشيان التى تؤدى رأساً إلى جزر كوريل ، إذا امتنعتم عن تحصين جزر كوريل التى تؤدى رأساً إلى جزر ألوشيان . أفتشعر أى دولة من الدولتين حينئذ بأنها أقل أمناً ؟ ألا تحس كل منهما أنها أكثر أمناً ؟

ولنفرض أن الولايات المتحدة قالت للروسيين والبريطانيين :

إن الحرب العالمية الثانية إنما بدأت فى الحقيقة حين غزا اليابانيون الصين فى عام ١٩٣١ ، وقد قضى الحلفاء المنتصرون الآن على قدرة اليابانيين العسكرية على الغزو ، والدول الكبرى القريبة الآن من الصين هى روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ونحن الأمريكيين سنحرص على عدم تحصين أيوجيما وأوكيناوا إذا حرصتم أنتم الروسيين على عدم تحصين بورت أرثر وفلادفستوك ، وإذا تركتم أنتم معشر الإنجليز هونج كونج غير محصنة .

أفتصبح أية دولة من الدول الكبرى الثلاث فى هذه الحالة أقل أمناً ؟ ثم ألا تكون الصين أكثر أمناً وأقل حاجة إلى استعدادات عسكرية وبحرية ؟

ولكن لنفرض أن الولايات المتحدة مضت إلى ما هو أبعد من ذلك ، ولنفرض أن ساسة الدولة الكبرى الثلاث بذلوا مجهوداً أدبياً هائلا وراضوا أنفسهم على تصديق ماوقعوه ، حين قبلوا الأحكام الخاصة بنظام الوصاية وبمجلس الوصاية فى ميثاق الأمم المتحدة . ولنفرض أنهم بعد أن وقعوا برنامجاً دوليًّا للبلاد التى تشملها الوصاية يحرصون على التزامه ، ولنفرض أنهم اتفقوا على ما يأتى :

تسلم الولايات المتحدة كل الجزر اليابانية السابقة والجزر التى كان لليابان انتداب عليها ، كأمانة إلى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة لإدارتها .

ويوافق الروسيون على أن تتولى إدارة القواعد فى طرابلس وإريتريا الإيطاليتين سابقاً ، أية هيئة يختارها مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة .

ويسلم البريطانيون لمجلس الوصاية كل المستعمرات التى عهـدت عصـبة الأمم فى الانتداب عليها إلى بريطانيا ، ويوافقون على أن لا تكون بريطانيا هى الوصية التى يعينها مجلس الوصاية .

فما ينبغى أن تتولى دولة كبرى إدارة أى أرض موكولة إلى مجلس الوصاية ، بل ينبغى أن تتولى إدارة هذه الأراضى كلها دول صغيرة لا يمكن أن يخشى أن تكون لها مآرب استعمارية مثل الدنمرك والسويد والنرويج وسويسرا . فما من شىء أحق بأن ينمى الشعور بالاخاء العالمى من رؤية أقاليم عظيمة تدار أمورها إدارة دولية حقاً لا استعمارية ، فى سبيل الخير العام للعالم .

وبعد ذلك نفرغ الصبغة الدولية على كل المساعى الملحة التى تبـذلها الدول الكبرى من أجل إنشاء « الحكومات الصديقة » .

فإذا كان الاتحاد السوفيتى وعدة نفوسه ١٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يظن أن رومانيا التى ليس فيها سوى ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس عدوٌ له وخطر عليه ، فليطرح الحقائق أمام مجلس الأمن التابع للأمم المتحـدة وليطلب النجدة .

ولتقترح بريطانيا هـذا على الاتحاد السوفيتى ، ولتمهد لتقديم هذا الاقتراح بأن تكف عن اتباع الضغط على الدول العربية لعقد معاهدات معها تتضمن نصوصاً « ودية » تؤتيها مركزاً عسكرياً بريطانياً فيها .

ولتنفض الولايات المتحدة يديها أولا ، ثم تخاطب الاتحـاد السوفيتى وبريطانيا جميعاً ، ولتكف الولايات المتحـدة عن استخدام قوتها لإكراه الأرجنتين أو غيرها من دول أمريكا اللاتينية على إقامة الحكومة التى ترى الولايات المتحدة أنه ينبغى أن تقوم . وإذا كان للولايات المتحدة أى شكوى من أية دولة أمريكية لاتينية فلتبسطها أولا لجامعة الدول الأمريكية ولتطرحها بعد ذلك إذا احتاج الأمر على الأمم المتحدة .

وفى هذا الباب نستطيع أن ننتفع بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة ، فإن من أسـباب الضغط القوية فى سبيل إنشاء الحكومات الصديقة ، طلب الوصول إلى موارد البترول مثلا . وقد اسـتغل البريطانيون والهولنديون والأمريكيون والفرنسيون — دون الروسيين — موارد الشرق الأوسط الهائلة من البترول .

وهذا الظلم كان يمكن رفعه بعمل يتخذه مجلس الاقتصاد والاجتماع دون أية حاجة إلى ضغط يوقعه الاتحاد السوفيتى على إيران ، لإقامة « حكومة صديقة » . وهذا المجلس نفسه يستطيع أن يجيب ما تطالب به روسيا من الحصول على « موانىء دافئة » بأن يحول

السفن الروسية الحق فى استخدام ميناء على الخليج الفارسى باعتباره « ميناء حراً » مع حظر إنشاء قواعد سوفيتية فى تلك المنطقة.

والآن فلنفرغ الصبغة الدولية على « البعثات العسكرية » . لقد أرسلت الولايات المتحدة بعثات عسكرية إلى ١٦ دولة أمريكية لاتينية لتعلم حكوماتها كيف ترقى مواهبها وتزيد براعتها المحلية فى القتل. والكونجرس يدرس الآن تشريعاً يخول الولايات المتحدة أن ترسل بعثات عسكرية إلى سورية والدولة العربية السعودية واليمن وغيرها من البلاد الواقعة بين فكى النزاع السوفيتى البريطانى فى الشرق الأوسط. فهل نحن نعتقد حقاً أن التوسع فى التعليم العسكرى هو ما يحتاج إليه الشرق الأوسط ليهدأ ويسكن ؟ إن على الحلفاء أن يقلعوا عن إيجاد مدارس لتلقين دروس فى الذبح. وعلينا أن نضع حداً للتنافس بين الدول الكبرى الثلاث فى سبيل حصول كل منها بواسطة البعثات العسكرية على أكبر عدد من الدول الصغيرة تضيفه إلى أتباعها فى الحرب.

ثم دعونا نفرغ الصبغة الدولية — فى أوقات السلم — على أقلام المخابرات فى العالم ، ونعنى بها فى صراحة نظم التجسس . فإنه يحدث دائماً أن يفتضح أمر بعض الجواسيس ، فيقبض عليهم من جراء أعمال تعدّ انتهاكاً لحرمة الضيافة الدولية . وقد كشف حديثاً عن أعمال من هذا القبيل قام بها وكلاء الحكومة السوفيتية فى كندا ، وسمّموا بها العلاقات بين كندا والاتحاد السوفيتى .

وسيكون للأمم المتحدة قريباً ، وهى تسعى لحظر استعمال القنبلة الذرية ، مكتب تفتيش ، وهذا المكتب الذى سيعمل فيه علماء وجنود ، سيكون عليه أن يجوب كل البلاد ليمنع صنع القنبلة الذرية . وهو إذ يفعل ذلك سيكون مضطراً أن يجعل عينه على جميع الاستعدادات والمنشئات العسكرية من أى نوع — وكل ما يحتاج إلى العلم به أى قلم مخابرات مشروع . وفى هذه الحالة لا يكون وجود قلم مخابرات وطنى إلا استثارة لا مسوغ لها ، ودعوة متعمدة إلى مقابلة الفعل بمثله . فلتكن أقلام المخابرات الوطنية خاضعة تماماً للرقابة الدولية .

والآن نجىء إلى أصعب عمل فى سبيل إفراغ الصبغة الدولية على ما بين الأمم ، ولكنه على عسره يجب أن يتم ، إذا كانت الدول الكبرى الثلاث تروم أن تبث روح السلام فى الأمم المتحدة وتظفر ، بحقيقة السلام من هذه الأداة .

إن الصحفيين الذين شهدوا مؤتمر نزع

السّلاح فى عصبة الأمم فى جنيف لا يسعهم إلا أن يتذكروا النداءات القوية التى كان ماكسيم ليتفينوف مرة بعد مرة يتحدى بها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، أن تقبل مع الاتحاد السوفيتى مبدأ نزع السلاح نزعاً تاماً . ومن حق مندوبى الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة أن يقولوا الآن :

يا رجال الاتحاد السوفيتى ، إننا نعود بكم إلى تلك الأيام التى كنتم فيها مثاليين ، وكنتم تعدلون عن الامتيازات القيصرية الخاصة القديمة فى البلاد الأجنبية ، وحين كنتم مستعدين لنزع السلاح . أفلا تستطيعون أن تعودوا كما كنتم فى تلك الأيام ؟ أم تراكم أنتم أيضاً قد أصبحتم دولة كبرى أخرى ليس إلا ؟ .

إن الصعوبات الفنية فى وضع مشروع اتفاق دولى للتدرج فى خفض السلاح فى العالم ، هائلة ، غير أن الإخفاق فى التغلب عليها يؤدى لا محالة إلى التسابق فى التسلح . فلماذا لا نوسع اختصاصات لجنة الأمم المتحدة الخاصة بالأسلحة الذرية ، بحيث تشمل كل الأسلحة ؟ أم ترانا نظن أن من الفظاعة أن تدمر مدينة فى لحظة ، ولكنه ليس من الفظاعة أن تدمر تدميراً بطيئاً وجانباً بعد جانب ؟

فالعدول عن الاستحواذ على قواعد بعيدة ، وعن تلفيق « حكومات صديقة » ، وعن إرسال بعثات عسكرية ، وعن الاحتفاظ بأقلام مخابرات ، والسعى إلى إفراغ الصبغة الدولية على كل هذه الأمور ، ووضع حد دولى للسلاح والقوات المسلحة — ألا يمكن أن تكون هذه الخطوات هى الدرجات الأولى فى سلم السلام الصاعد الواضح لمن يريد أن يراه ؟

إن الأمم لا يسعها أن تمضى فى التعامل بروح الحرب ، ثم تحقق السلام بأن تجلس من حين إلى حين فى غرفة واحدة . إن السلام يتطلب الإيمان ، ولكن الإيمان يموت إذا لم تؤيده الأعمال . والذى يفتقر إليه العالم هو أن يرى الدول الثلاث الكبرى تقوم ببعض أعمال السلام — السلام النافع الذى يسير بالأمم فى طريق التقدم .



تلقى خطب المآدب فى اليابان قبل تناول الطعام ، فذلك يخفف من قلق الخطيب ويحدُّ أيضاً من طول الخطبة ، لأن تقديم الطعام يقطع إطناب الخطيب الثرثار .

# تعلموا أن تعيشوا مع أبنائكم

دوروثي كانفيلد فيشر

من كتاب "الأمهات والأبناء"

أذكر حتى يومى هذا ، ما كان مني يوم كانت ابنتي الأولى لاتزال طفلة صغيرة ، فقد حزمت أمرى وعزمت بكل ما فى الأم المتعلمة من رغبة صادقة فى تنشئة طفلها على خير وجه ، على أن أفعل ذلك أو أموت . فذهبت إلى الطبيب وألححت عليه أن يزودني بقاعدة صحية أجرى عليها ، فقلت : « يقول لى بعض النسوة إن الطفلة ستصاب حتما بالإسهال وتموت إذا أنا لم ألفها بالصوف ، وبعضهن يقول : إن جلدها الغض سيتنفط بالبثور المؤلمة إن لم أكسها بأرق الكتان . فأى الفريقين على صواب ؟ »

فنظر إلى الطبيب كالمستغرب وقال : « دعيني أقل لك شيئاً واحداً يكتمه الأطباء عادة عن الوالدات : إن الطفل السليم ينمو نمواً صحيحاً ، مهما يكن الوهم الغالب على ذهن أمه . وسواء كسوت ابنتك بالكتان أو القطن أو الصوف ، فإنك لن تستطيعي مهما بلغ منك الهم والقلق أن تحولى دون نموها ، مادام بدنها دافئاً نظيفاً غير مبتل ، وما دمت توفرين لها أسباب الراحة » .

وقد ظننت يومئذ أن قول الطبيب حكم عام مبهم يحاول أن يتهرب به من الجواب ، ولكنني تعلمت منذ ذلك اليوم أن أبتسم كما يبتسم طبيبي الحكيم ، حين أرى ماتتكبده من عناء لاحاجة إليه ، فى عزمنا الصادق على أن ننهض بما نراه واجباً على الأمهات لامحيص منه . وإننا لندهش حقاً ، حين نرى الأسر المعروفة بالصحة والسلامة والبشاشة ، تنجب جميعاً جيلاً من الناس متصفاً بالصحة والسلامة أيضاً . فإذا ما أتيح للأطفال قدر كاف من النوم ومن الطعام المغذى ، وحظ معقول من التعليم ، وقسط عظيم من الحب والحنان ، وشىء من التأنيب الرقيق ، نجوا من دور فى حياتهم تكثر فيه متاعبهم ، ويشتد صخبهم ، وتؤلمنا نقائصهم ، وإذا هم رجال ونساء لهم نفع فى جماعتهم ، وبهم حرص على القيام بما تطلبه الجماعة منهم . ونحن لانجنى شيئاً حين يأخذنا القلق عليهم ، ويشقينا ما نتصوره من مصير كل عيب من عيوبهم ، سوى أن نسكب المرارة على بضع ساعات من حياتهم كانت خليقة أن تكون حلوة عذبة . ونحن نستكبر كل حادث صغير يحدث لهم ، بما يساورنا من

ألم الجزع على مصيرهم ، ثم يتعاظم الألم حتى يصير كالمرض ، فنتصور الحادث التافه أزمة خطيرة . ثم لا نزال نتأمل ما تنطوى عليه كلُّ خليقة من خلائق الطفل من شقاء وبؤس ، حتى ندمر قسطاً وافراً من سعادة الساعة التى هو فيها .

ننظر فى حياة فتى من الفتيان فلا نرجو منه خيراً لعيب فيــه هو « الاستخفاف وعدم المبـالاة » ، وليس يجدى معهُ أن تهدّدهُ أو تغريه بالمكافأة ، أو تحضّهُ على أن يحفظ حجرته حسنة الترتيب ، أو أن يكفّ عن ترك دراجته فى المطر طوال الليل. ونحن حين نحثّهُ على أن يحسّن سيرته ، ونحاول أن نصلح من أمره ، نتلفت فى قلق وجزع إلى العالم الزاخر الذى تشتدُّ فيه المنافسة دون هوادة أو رحمة ، فنحكم بأن مصيره إلى الإخفاق حتماً . ولكن حين يشبُّ الفتى دون أن يفسده ماحرصنا عليه من إصلاحه، تراه قد صار شاباً يفتن القلوب، وعلى أنه لا يزال كما كان مستخفاً قليل المبالاة ، إلاّ أنه سـديد الرأى مستقيم حسن السيرة ، أى أنه أصاب نجاحاً عظيماً ، وهو ليس ذلك الضرب من النجاح الذى كنا نريدهُ لهُ . وهو لم يصب من النجاح ما كان خليقاً أن يصيبه لو استطاع أن يجمع بين فضائل كثيرة متناقضة ، كالدقة والإحكام وحسن الترتيب ، وأن يكون فى الوقت نفسه رجلا سمحاً كريماً حسن المعشر . ومهما يكن من أمر ، فإنه صار فتى نفاخر به ، وقد كان خليقاً بنا أن نبدأ منذ زمن بعيد نستمتع بشخصيته وما تفيضه من الضياء والمرح على من حوله .

ومن أسهل السهل على الآباء أن يقعوا فى الخطـأ وسوء التقدير ، وأن يأخذهم الظنُّ بأن كلّ الفضائل التى حاولوا أن يرسخوها فى نفوس الصغار قد انهارت وقامت فى مكانها عيوبهم الأصيلة . فهذا فتى سوف يفضى به كسله إلى أن يصير أفّاقاً ، وهذه فتاة تدأب على الكذب ، وهذه أخرى تستبدُّ بها الأثرة ، وهـذا فتى آخر لاهمّ لهُ إلا اللجاجة .

وعسى أن يجىء شابٌّ من أهل قرابتك الذين يطلبون العلم فى الجامعة ليزورك فى يوم من الأيام ، وإنه لشابٌّ يفورُ شباباً وفتوة . وقد يكون من بواعث دهشتك أن ترى كيف يكون وجوده ومرحه حافزاً لصغارك ، فيغير حالهم تغييراً عجزت عنه أنت بكل مابذلته من سعى لحملهم على الخير ، وإذا جوّ دارك قد تغير ، فحلَّ الضـياء محلّ القتام ، والاهتمام محلّ قلة المبالاة ، وإذا الفتى الكسول قد انقلب متوقداً متوفّزاً ، وإذا الفتاة الكذابة تنصرف عن الكذب ،

وإذا الفتاة ذات الأثرة تنسى نفسها فيما تصنعهُ لغيرها ، وإذا الفتى اللجوج قد زالت لجاجته فصارت دَماثة ورقة . هذا وقريبك الشابُّ لم يفه بنصح أو إرشاد ، ولا نطق بكلمة فى التنديد بعيوب الصغار ، ولا بكلمة فى الثناء على فضائلهم ، بل لم يكن قدوة حسنة لهم ، فكان يجلس مسترخياً فى مقعده ، وينفض رماد سيجارته حيث يكون ، ولكنّ اقتناعهُ الحىّ غير الواعى ، بأن أعظم مسلاة فى الدنيا هى أن تكون حياً ، وأن متعة الحياة جديرة بكل مايبذل لها ، كان كالهواءِ البارد المنعش الذى يهبُّ على حين فجأة فيقشع غمام يوم قاتم يثقل على الصدور . والصغار الذين نتعهدهم بكل مايساورنا من قلق على مستقبلهم واهتمام بعيوبهم ، هم كالنبات الذى يذويه الجوُّ الذى لايوائمه ، فإذا هبت الريح المنعشة وغمرهُ ضياء الشمس ، رأيته اهتز واستوى على سوقه ، ورأيت ماء الحياة يترقرق فى أفنانه وأوراقه .

ومع ذلك فهذا الشاب الذى جاءك من الجامعة ، لايملك من أسباب الغبطة والبهجة والثقة بالحياة بعض ماتملكين . فنحن الآباء الذين لايزال صغارهم تحت أجنحتهم ، نجتاز بهم اليوم خير مَرْحلة فى أسفار الحياة . فنحن أوفر صلة بالحياة ، ونحن طريق يجتازهُ أكبر عدد من أسباب الرجاءِ والعناية ، ونحن اليوم أكبر حظاً من الحبّ والحنان والبهجة من كل يوم سابق أو لاحق ، ولن يأتى علينا يوم نستطيع أن نستمتع فيه بما نستمتع به اليوم من آيات الحياة الوافرة الزاخرة ، ولا يوم ندنو فيهِ كما ندنو اليوم من صفاءِ الطهر فى الصغار ، أو نلمس فيه غبطة الحياة كما نلمسها فى وجودهم . ومع ذلك ترانا نكدّر إشراق هذه المسرّات العابرة عبوراً سريعاً ، فإن أقصى جهدنا لن يجعل الصغار صغاراً لاعيب فيهم ، ونحن لا ندع لمبدأ النموّ العجيب أمر الكشف عن قوى النفس كشفاً أتمَّ كثيراً مما نستطيعه نحن ، ثم إننا نواجه المستقبل مواجهة الوَجِل العاجز .

ولقد يساورنا خوف على عاداتٍ فى صغارنا نعلم حق العلم أنها لن تدوم على السنين بعد تمام نموّهم ، إذا كان ذلك النمو قوياً سليماً . ونحن نعلم أننا اجتزنا فى صغرنا مراحل لاتبشر بخير ، وأن إخواننا وأزواجنا وأبناء عمومتنا كانوا أحداثاً دأبهم قلة المبالاة والكسل وقلة الشعور بالتبعة ، فصاروا رجالاً دأبهم العمل والسعى واحتمال التبعات ، أو آباء يحسنون القيام على شئون أسرهم . وكثيراً مانرى فتيات من الغافلات اللاهيات قد صرن أمهات

محسنات ، ولـكننا نبسط القتام فى سماءِ أولادنا بما نستشعره من خوف عليهم ، ظناً منا أن قانون النموّ لا يسرى عليهم ، وانهم سيمضون يمصّون أصابعهم كالأطفال حين يطلبون العلم فى الجامعات ، وأنهم فى كبرهم سيظلون كما كانوا ، ينسون أحياناً أن يغسلوا وجوههم إذا هبّوا من النوم .

وفى طوقنا أن نعين صغارنا أن يتغلبوا على عيوبهم ، إذا أذنّا لأنفسنا أن نصدق ما نعلم أنه حقيقة لامراء فيها ، وهو أنهم فى نموّهم سوف يخرجون من هذه العيوب.

وفى طوقنا أن نسدى إليهم عوناً أعظم إذا نحن صرفنا بصرنا عن التحديق فى احتمال إخفاقهم . وفى طوقنا أن نبلغهم رسالة عظيمة القدر بالغة الأثر ، هى أن يؤمنوا بأن الحياة خيرٌ ونعمة سابغة مباركة .



## حكمة المجالس

شبت منذ سنوات نار حاصدة فى مدينة صغيرة فى بنسلفانيا ، فعجز رجال المطافىء عن مكافحتها ، لأن الماء كان متجمداً فى حنفيات المطافىء . فاجتمع مجلس المدينة ليبحث فى الوسائل التى ينبغى له أن يقررها لكى يوقِّى المدينة مثل هذه الكارثة .

وبعد ساعات من المناقشة العنيفة هب رجل واقفاً وصاح : « أقترح أن تمتحن حنفيات المطافىء ثلاثة أيام قبل كل نار تشبّ » !

وإذا عضو آخر قد هم واقفاً وأيّد الاقتراح ، فوافق عليه المجلس .

[ ليفا يوتيتس ]

اجتمع أحد مجالس التعليم المحلية فى ولاية ماريلند وقرر أن المنطقة فى حاجة إلى مدرسة جديدة ، وبعد البحث وافق أعضاؤه على هذا القرار :

تقرر أن تشيد مدرسة جديدة فى هذه المنطقة ، وتقرر أن تشيد بمواد البناء التى شيدت بها المدرسة القائمة الآن لغلاء مواد البناء ، ثم تقرر أن يستمر الانتفاع بمبنى المدرسة القائمة إلى أن يصير مبنى المدرسة الجديدة صالحاً للاستعمال ، حتى لا تتعطل الدراسة .

[ وليم مورجن ماكلاف ]

مكان عجيب حيث يتولى العلماء توليد ضروب جديدة من الحيوان والنبات تجدى على الفلاح وتزيد موارد الطعام

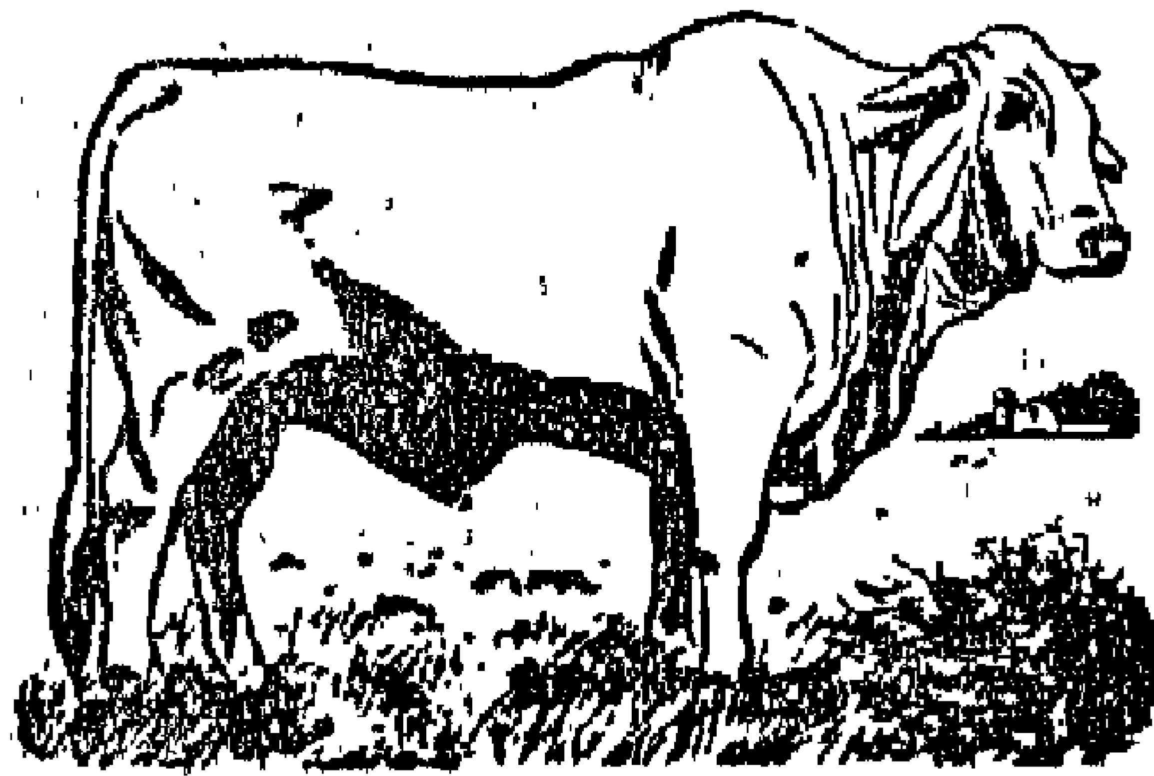
# بقرٌ ودجاج ممتاز

فردريك ج. براونل • مختصرة من "ذى أميريكان مجازين"

كنت منذ عهد قريب أصف لصاحب لى فى وزارة الزراعة، تلك السيارات الجديدة العجيبة المنتظرة فى المستقبل القريب فقلت: « سوف تكون ممشوقة مجهزة بأدوات تكييف الهواء، لايضرُّ بها التآكل أو الاصطدام. وسوف تبلغ من خفة الوزن مبلغاً يمكنك من أن تدفعها بيدٍ واحدة، وتقطع بجالون واحد من البنزين ضعف المسافة التى كانت تقطعها به من قبل، وسوف تصنع هياكلها وفقاً لحاجتك ومطالبك الخاص ».

فقال صاحبي: « ليس فيما تقوله شىء جديد، فقد أدخلنا كلَّ ضرب من ضروب الإصلاح التى ذكرتها على الأحياء فى وزارة الزراعة. ونحن اليوم ننتج ديكة رومية ممشوقة القوام، وخساً يحتمل اختلاف البرد والحرّ، ونبات طماطم لايذوى ولايفسد، وبطيخاً كأنه قُدّ خاصة ليوضع فى البرّادات. وقد ولّدنا أنعاماً تعطينا من اللحم المقدّد مقداراً يزيد ضعفين على المقدار الذى كانت تعطينا إياه، مقابل نفس المقدار من الطعام الذى تأكله. ونحن ننتج غنماً مختلف الأوصاف يوافق طلب كل طالب من الفلاحين الذين يقطنون الجبال أو الأودية أو الصحارى. أما إذا أردت أن ترى مايدهشك حقاً من العجائب، فعليك أن ترى أحدث ما صنعناه ».

وعلى مقربة من وشنطن أنشأت وزارة الزراعة حقلا للتجارب فى النبات والحيوان، وقد ظللت أسبوعا كاملا أرتاد هذه المنطقة العجيبة التى مساحتها ١١٠٠٠ فدان، فدخلت معامل رأيت فيها علماء الوراثة مكبين على تغيير طبائع الأحياء، وتجولت فى أروقة عُلّقت على جدرانها نباتات لم تر



بقرة بعضها من سلالة أبردين أنجوس وبعضها من سلالة بقر الهند المقدس

من قبل ، وحدّقت فى حيوانات لم يكن لها مثيل فى فلك نوح ، رُكبت فيها خواص جديدة مرغوب فيها .

وهذا الحقل هو أكبر مركز من طائفة من مراكز التجارب ، تجد فيها علماء وزارة الزراعة مكبين على التوسل بوسائل التربية العلمية ، ليخلقوا ضروباً جديدة من النبات والحيوان . ويضاف إليها مراكز للتجارب تتعهدها حكومات الولايات ، ترى فيها العلماء يولدون ضروباً جديدة من المحاصيل ، وأنواعاً جديدة من الماشية سوف ترتع فى حقول الفلاحين فى الغد القريب . وقد عدتُ لساعتى من رحلة طوّفت خلالها بهذه المعامل العجيبة التى يتولى رجالها الأحياء ، كما يتولى المهندس الدور والجسور . وقد رأيت بصلا لاتدمع منه عين السيدة وهى تخرّطه ، وخوخاً ليس على جلدته زَغب ، وعشرات من هذه المعجزات العلمية . بيد أن أكبر ماراعنى من العجائب وجدته فى زرائب الماشية وأقفاص الدجاج والحقول الخضر .

فهذه بقرة ضخمة الجثة ، وثيقة التركيب ، تشبه بقرة هولشتين ، ولكنها تختلف عنها قليلا . وقد ذكر لى الراعى الذى يتعهدها أنها من نِتاج المزاوجة بين سلالتين ، وأنها ستكون رأس سلالة جديدة . وقد عرضت فى معرض زراعى فظفرت بجائزة الجمال ، أما مقدار ماتدرّه من اللبن ، فحدّث عنه ولا حرج . وقد أدرّت فى السنة الماضية ١٥ ألف كوارت ( نحو ١٥ ألف لتر ) ، أما مايحتويه لبنها من الزّبد فيفوق حدود التصوّر ، فقد بلغ ألف رطل ، وهو يزيد ثلاثة أضعاف على معدّل الزّبد فى لبن البقرة التى تقتنى للحلب . وهذه البقرة وديعة قوية البنية ، ويغلب أن تكون طويلة العمر .

وعلى مقربة من مكان البقرة ، رأيت عجول المستقبل التى تتخذ للحومها ، والعجل منها ضخم الجثة يكاد يكون مربعاً كالصناديق التى يشحن فيها لحمه ، فهو معمل حىّ متحرك يصنع اللحم الغضّ المرىء للقلى أو الشىّ . ووجدت فى حقل قريب ضرباً جديداً من الماشية يقتنى لغرضين مختلفين ، فالبقر يدرّ مقداراً كبيراً من اللبن يكثر فيه الزّبد فتضارع بقرة جرسى الخالصة ، والعجول تذبح فيكون لحمها طيباً للأكل . وترى رعاة البقر يطالبون اليوم بعجول لايستغرق زمن بلوغها وتمامها من أربع سنوات إلى ست سنوات ، بل يمكن أن تربّى حتى تكون صالحة للذبح وهى لم تكد تتعدّى سنة ونصف سنة من عمرها ، فيباع لحمها الغض بأثمان باهظة . ثم ترى بعض

الفلاحين قد أدركوا أن القطيع الواحد من الماشية قد يجدي عليهم محصولين : اللبن واللحم ، فطالبوا بذلك ، فإذا العلماء قد وجدوا الحلّ الذى تتطلبه الطائفتان جميعاً .

وقد أراد رعاة المواشى ، فى منطقة خليج المكسيك ، أن تكون لهم عجول تستطيع أن تحتمل عوادى الإقليم وآفات الحشرات ، فحلّ علماء وزارة الزراعة هذه المشكلة بأن ولدوا حيوانا غريب المنظر محدودب الظهر ، فلما وقعت عينى عليه قال صاحبى : « إن اسمه مكدونلد سنغ ، بعضه من سلالة إبردين أنجوس وبعضه الآخر من بقر الهند المقدس عند البراهمة . فشعره الأسود يقيه وقدة الشمس ، والزيت الذى يفرزه جلده يذود الحشرات عنه » . وقد رأيت سائر المواشى مستلقية فى الظل تلهث من شدة الحرّ ، ولكن مكدونلد سنغ ظلّ يرعى غير عابىء به ، فيزداد وزنه ازدياداً مطرداً ، ثم يتحوّل مالاً فى جيب صاحبه ، وشرائح من اللحم الممتاز على مائدتك .

أما الفلاحون فى أمريكا الجنوبية فقد طلبوا نوعاً جديداً من البقر الحلوب ، ذلك بأن بقرهم يدرّ مقداراً يسيراً من اللبن ، والبقر الحلوب الذى يستورد من الولايات المتحدة لا يستطيع أن يحتمل عوادىَ الإقليم الاستوائى . وسكان الجزائر فى جنوب المحيط الهادى يحتاجون إلى بقر حلوب لا تؤثر فيه حرارة الجوّ ، ولا أمراض المناطق الاستوائية . وقد قيل لى إن العلماء قد أشرفوا على تحقيق مايطلبه الفلاحون فى الحالين .

أما فى أقفاص الدجاج ، فقد وجدت فراخ الغد قد قطعت نصف الطريق إلى الغاية المطلوبة .

قال الرجل الذى يتعهدها : « انظر فيما حولك . هذا سرب من الدجاج متفوق فى بيضه ، فكل دجاجة منه تبيض من ٢٦٠ بيضة إلى ٢٩٠ ، وهو ضعف العدد المألوف فى الدجاج البيوض . وترى هناك دجاجاً يبيض بيضاً فى حجم ليمونة اليوسف افندى . وأما السرب فى هذا القفص فقد اختص ببيض يصلح للطبخ على وجه معين ، وهو فى الوقت نفسه خير بيض للتخزين .

« أترى ذلك السرب من الفراخ ؟ فلحمها يكاد يكون كله لحماً أبيض طرياً لذيذاً . وهذه الفراخ الصغيرة التى ترى على أجنحتها خطوطاً سوداً هى ديكة صغار ، فقد طلب مربو الفراخ علامة خاصة يميزون بها الديكة ، ليعتمدوا عليها فى فرز الديكة الصالحة لتلقيح الأنثى البيوض ، فولّد خبراؤنا هذا الخط الأسود فى الذكور ليكون علامة مميزة » .

وما تم على أيدى علماء تربية الحيوان فى توليد أصناف وضروب من البقر والفراخ تم مثله فى الحبوب ، وقد كانت الذرة المهجنة أول مثل على الظفر الذى أحرزوه. *

وقد غزا الحقول عدو ختال هو ضرب من الدود الصغار لونه كلون البشرة يطلق عليه اسم « ثاقب الذرة » . وقد نزلت آفته أولاً فى الولايات الشمالية الشرقية بالولايات المتحدة ، ثم انتشر انتشاراً سريعاً إلى الغرب والجنوب برغم الاحتياط والحجر. وتبين الباحثون أن السم لايتغلغل إلى مخابىء هذا الدود فى جوف العيدان ، ولايدل على وجوده إلا ما تراه من نوار ذابل وكيزان فارغة . ومع ذلك فقد رأيت حقلا زرع ذرة ، فرأيت نواره يخفق فى الهواء ، وليس فيا مساحته فدان دودة واحدة من هذا الدود الختال . فعلماء الوراثة قد ولدوا ذرة لها عود لايقربه الدود . وقد وزعت بذور هذا الضرب الجديد من الذرة للبذر فى مساحات واسعة خلال سنة ١٩٤٦ .

وثمة حبوب أخرى لمستها يد الساحر العلمى . فقد وقفت بين حقلين زرع فيهما الشوفان ، وكان الشوفان فى أحدهما ضاجعاً على الأرض وقد فتك به مرض «الصدأ» ، وكان فى الآخر مستوياً مستقيما ، كأن آفة مرض الصدأ لاوجود لها فيما حوله من الأرض . وتربية النبات تربية علمية ، هى التى ولدت هذا الضرب من الشوفان الذى يسخر بالمرض ، ثم إن محصول الشوفان الجديد يزيد ١٠ ٪ على الشوفان القديم ، فدانا بفدان .

وقد رأيت حبوباً ولدها العلماء فركبوا فيها خواص معينة طلبت منهم ، فأعانت الأمة على ما أصيبت به من قلة اليد العاملة فى المزارع خلال الحرب . ففى منطقة السهول العظيمة يبلغ ارتفاع الذرة طول الإنسان أو يزيد ، فينبغى أن تجمع عيدانها باليد لابالحصادات ، وهذا عمل طويل بطىء شاق . فقال الفلاحون : « هاتوا ضرباً من الذرة نستطيع أن نحصد عيدانه بحصادات القمح » ، فأكب علماء الوراثة على النبات ، وفككوه كما تفكك آلة ، ثم ولدوا ضرباً جديداً منه لايزيد ارتفاعه على متر واحد .

وقد رأيت نوعاً جديداً من القمح ضمُولاً صلب المراس ، فهو لايبالى بمرض الصدأ الذى فتك بمئة مليون بوشل فى الحرب العالمية الأولى ، كانت الحاجة إليها ماسة . وهذا القمح لا يتأثر أيضا بصدأ

* « انقلاب فى زراعة الذرة » . المختار : نوفمبر ١٩٤٥ ص ٢٧

الأوراق ، ولا بمرض اليرقان . وقد بلغ من قوة احتماله أنه لايتأثر بالبرد إذا بلغ درجة خمسين تحت الصفر. وبذلك يتاح لفلاحي ألاسكا أن يزرعوه في مناطق لم تزل وقفاً على نبات الطحلب وشجر الصنوبر الهزيل .

وقد تمكن علماء الوراثة من أن يعيدوا تركيب الأحياء بأساليب أخرى رائعة ، فقد وَلدُوا نحلاً أنيساً لطيفاً ، وقطناً يوافق الآلة التي صنعت لجنيه، وضروباً من الفاصوليا والكرنب فيها من الفيتامين ضعف ما تجده في أصنافها المعروفة ، وخساً يظل رخصاً غضاً في أشد الأجواء حرارة ، وبطاطس يقاوم الحشرات والآفات .

إن النباتات والحيوانات التي نقلت من أوربة وآسية إلى أمريكا كانت أساساً لخير ما فيها من سلالات النبات والحيوان . ففي وسعها اليوم أن تردّ الأمانة بما تقدمه من السلالات التي وَلدَها العلماء ، لكي تعمر بعض الأرض التي دمرتها جوائح الحرب .

·OOO·⊰·OOO·

## محرر صيني يرد مقالاً

يا أخا الشمس والقمر

هذا خادمك ساجداً تحت قدميك ! وإنني لأركع بين يديك وأتوسل إليك أن تأذن لي أن أتكلم وأظلّ حيًّا . إن مقالكم المكرّم قد تنازل فألقى عليّ سناه الجليل ، فتصفحته في نشوة من الفرح . وأقسم بعظام أسلافي أني لم أقرأ من قبل مثل هذه الآيات الزاخرة بالخاطرة السريعة والعاطفة النبيلة والفكر السامي . وأنا أعيدُه إليك جزعاً ، فلو أنا نشرت هذه الذخيرة التي أتحفتني بها ، لأمر الإمبراطور أن تتخذ مثلا يحتذى ، وأن لاينشر شيء إلا أن يكون في مثل روعته وبراعته . أما وأنا أعرف الأدب حق المعرفة ، وأعرف أن الإتيان بمثل مقالك لن يتاح قبل عشرة آلاف سنة ، فإني لأعيدهُ إليك مع خدم يتولون حراسته .

وإنني لأستميحك عذراً عشرة آلاف مرة .

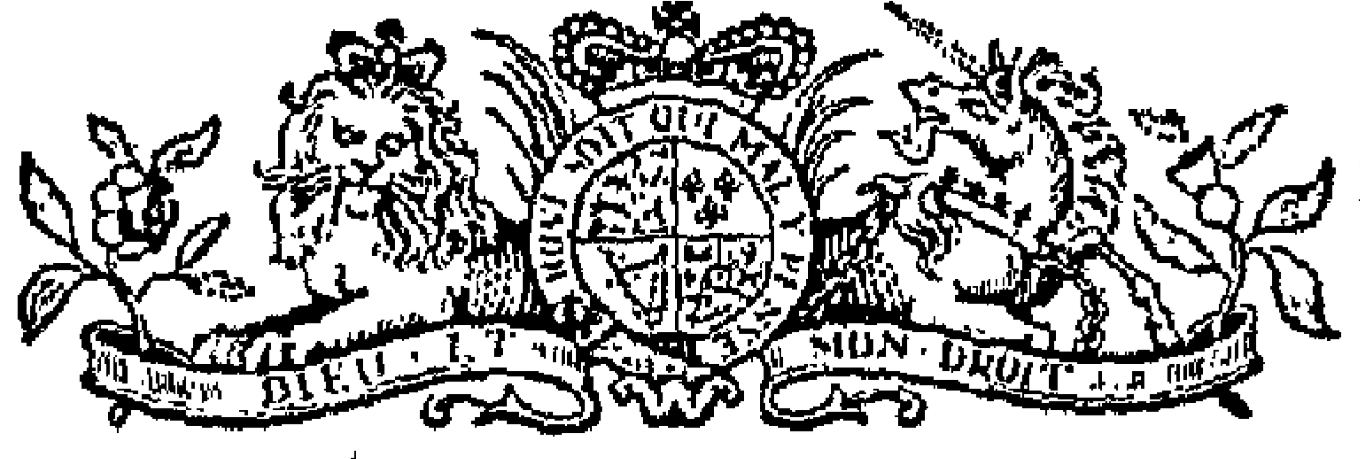
انظر . هذا رأسي تحت قدميك ، وما أنا إلا حَفْنة من تراب .

خادم خادمك

وانج شن ، المحرّر

« صحيفة جعلت همها أن تكفل للصحافة حرية الرأى والتعبير عنه »

# صوت "الرعّاد"





جورج كنست

نقلاً عن صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"


تلقت جريدة « التايمز » الإنجليزية من الألمان فى الحرب العالمية الثانية ، أعظم تحية تلقتها قط جريدة. ففى الغارة الجوية التى شُنت على لندن فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٠ أصيبت دار التايمز بقنبلة ، فأعلن الراديو الألمانى إعلان المظفَّر ، أن « صوت إنجلترا » قد أُسكت ، ولكن الألمان أخطأوا الحساب ، فقد صدرت الجريدة فى موعدها ، ولم تتوقف عن الصدور أبداً طوال الحرب .

والحوادث التى من هذا القبيل لم تكن نادرة فى تاريخ هذه الصحيفة المديد ، ففى أثناء الإضراب العام فى بريطانيا سنة ١٩٢٦ ، تدفق البنزين إلى حجرة المطابع فى دارها واشتعلت فيه النار ، ولكن الجريدة ظلت تصدر ، وإن بقيت فترة ما تصدر على قدر نشرة صغيرة ، والحقيقة أن « التايمز » كانت يوم احتفت بصدور عددها المرقوم ٥٠,٠٠٠ منذ بضعة أشهر ، قد قطعت مئة وستين سنة تصدر كلّ يومٍ ما عدا أيام الأحد فى عهدها الأول ، ويومى عيد الميلاد والجمعة الكبيرة أيضاً فى عهدها الحديث .

بيد أن صدورها فى الموعد المحدّد بغير استثناء ، ليس كل ما فى جريدة التايمز . وقصتها هى قصة جريدة كافحت فى سبيل حرية القول وحققتها ، ثم تذرّعت بهذه الحرية لتسدى الخير إلى أهل إنجلترا . وتحريرها القائم على الجرأة والاستقامة ، جعلها أعظم الصحف نفوذاً على سطح الأرض ، يحبها الناس ويكرهونها ، ولكنهم مجمعون على احترامها .

وإنّ منافساتها ليعترفن لها بالمنزلة الأولى. ففى إنجلترا الضيقة ، تستطيع أن ترى أية صحيفة تصدر فى لندن ملقاة على مائدة الفطور فى كلّ بيت فى طول البلاد وعرضها ، وما يوزّع من التايمز قليل — لا يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ نسخة إلا قليلا — ولكن نسخها تلقى على المئتى ألف مائدة ثمّن

لأصحابها شأن خطير فى البلاد . وقد أقامت التايمز الوزارات وأسقطتها ، ورفعت الملوك ورؤساء الوزراء فى البلاد الأجنبية وخفضتهم. وهى تحاول دائماً أن تجرى على شرعة الإنصاف كما تراها ، فلذلك تجدها قد ألهبت بسوطها أصحاب المصانع وجماعات العمال على السواء ، يوم رأتهم يستحقون ذلك . ولم تخش فى يوم من أيامها تنكر الجماهير لها .

فى الحرب العالمية الأولى هاجمت لورد كتشنر التخبط المضطرب ، وكان يومئذ قائداً عاماً للجيش البريطانى ، وبطلا عند البريطانيين ، فهلل الناس يوم علموا أن نسخة من التايمز قد أشعلت فيها النار فى باحة البورصة فى لندن ، ولكن الجريدة ظفرت بما تريد ، فقد صار لويد جورج رئيساً للوزارة ، وأنشئت هيئة أركان الحرب ، فعززت بذلك وسيلة الظفر فى الحرب ، وثبت صدق نظر التايمز .

إن إقدامها على مواجهة الرأى العام المعارض لرأيها حين ترى نفسها على حق ، صفة من الصفات التى تميز هذه الصحيفة اللندنية العريقة. وتستطيع أن تردّ عشرات من مشروعات الإصلاح الاجتماعى والبرلمانى إلى ما تبديه من الرأى فى مقالاتها الافتتاحية . وقد بدأت منذ سنواتها الأولى تكافح من أجل نشر الأخبار والتعليق عليها تعليقاً حرًّا دون تدخل من الحكومة ، فاقتضى ذلك منها نضالا عنيفاً مع رجال من أمثال «وليم بت» ، ومع مصالح فى الحكومة مثل مصلحة البريد .

فالصحف الأولى كانت تعتمد على إعانة الحكومة وعلى أجور خاصة تنالها من أجل أن تنشر بعض الأخبار ، وأن تحبس أخباراً أخرى . وقد جرى جون والتر منشىء التايمز على هذا النهج ، ولكنهُ كان برماً به ، وكان يخرج عليه فى الحين بعد الحين فيسدد سهامهُ إلى رجال الحكم . وقد حكم عليه مرة بأن يقيّد ويعرّض ساعة لاحتقار الناس ، وأن يسجن ستة عشر شهراً ، فلما خرج كان أدنى إلى الحذر والعزم جميعاً . وقد حوكم ابنهُ من بعدهُ لأنهُ تحدّى ما كان للحكومة من سلطان على الصحافة .

وقد توسلت الحكومة بقوانين الضرائب واللوائح والرخص لكى تخضع التايمز لإرادتها ، وصارت مصلحة البريد ترجىء تسليم مراسلاتها ، وهدّدتها بإلغاءِ حقها فى أن ترسل الرسائل بالبريد ، ولكن النصر عقد للتايمز فى آخر الأمر ، فجعل نصرها مبدأ حرية الصحافة مبدأ قائماً على الزمن .

وقد اهتمت التايمز بألوان أخرى من الكفاح . ففى سنة ١٨٤٠ مثلا أنفقت مالا

جزيلاً فى كشف حلقة من المجرمين الدوليين كانوا قد دأبوا على تزوير رسائل الاعتماد التى تصدرها المصارف ، فنهبوا من المصارف وشركات التأمين ألوفاً من الجنيهات ، فوقع هـذا العمل أحسن وقع عنـد تجار لندن ، فعرضـوا أن يوفوها المال الذى أنفقته ، فلما اعتذرت عن القبول ، جُعل المال جوائز توزّع باسم صحيفة التايمز على طلاب العلم من ذوى الإملاق .

وقد أطلق على صحيفـة التايمز لقب « الرّعاد » ، لأنها تبرق وترعد فى كل كلة على أسـلات كتابها دفاعاً عن مصلحة قرائها . وقد منحتها حكومة بريطانيا فى سنة ١٩٢٩ ترساً كالترس التى تمنحها للنبـلاء ، وهى الصحيفة الوحيدة التى شرفت هذا التشريف ، وعلى الترس صـورة ذراع تتقاذفُ منها الصواعق .

وأنت إذا تصفحت عـدداً من التايمز راعك ما ترى . فالصفحة الأولى كالقفر الجافى ، ممتلئة بالإعلانات المبوّبة ــ إعلانات الوفاة وطلب العمل والرسائل الخاصـة ، وكلها مطبوعة بحروف دقيقة . ولست تقع على الأنباء والمقالات الخطيرة ، حتى تبلغ الصفحة الرابعة ، فتجدها تحت عنـوانات لا تستوقف نظرك ، وليس بينها عنوان يزيد اتساعه على نهرين . وقد رأت صحف إنجلترا فى أثناء الحرب العالميـة الثانية أن تنقص عـدد صفحاتها وتزيد عـدد نسخها لقلة الورق ، أما التايمز فظلت تصدر فى ست صفحات ولكنها خفضت عدد ما يوزع منها من النسخ إلى ثلثين .

والقائمون على تحريرها يفرضـون أن قارئها رجلٌ جادٌ رشيد مهذب ، يعنى عناية كافية بقراءة جميع الأخبار من أول الصحيفة إلى آخرها . وهم لا يعمدون إلى تلخيص الخبر فى فقرات مثيرة تستهل بها المقالة ، بل يكتبونها بلغة مُرْسلةٍ رزينةٍ .

وقد استهلت التايمز ذات مرة رواية مصرع ملك من ملوك البلقان ، بمختصر عن أسرة دراجافتش استغرق ٣٠٠ كلة ، ولم تشر إلى مصرع الملك بكلمة قبل منتصف العمود الأول .

وليس فى الصحيفة رسوم كاريكاتورية . وتكاد جميع مقالاتها تكون غفلاً من الإمضاء وليس عندها كتّاب يتوفرون على كتابة مقالات خاصة بأسمائهم . وهى تعهد إلى أبرع المحامين فى كتابة أنباء المحاكم ، فيفعلون ذلك على أدق وجه وأحكمه ، فتنزل المحاكم ما يكتبونه منزلة السجل الرسمى نفسه .

والصحيفة لم تزل من الناحية المالية غير مستقرة على حال من القلق ، ولكنها أحسن

حالا فى العهد الأخير . ودارها فى لندن لا تملأ عيناً ، فتراها خاشعة كالمستحى إلى جانب الدور الشوامخ التى شيّدتها زميلاتها فى « فليت ستريت » . وفيها مصعد قديم يتسع لثلاثة وحسب لم يزل يتحرك كالمصدور بين أدوارها الثلاثة . وقد حدث يوم كان جفرى داوسون رئيساً للتحرير أن تعطل به المصعد ساعتين بين الطابقين ، وكان موعد طبع الصحيفة قد دنا ، فدليت إليه تجارب المقالات الافتتاحية فراجعها، وصدر « الرّعّاد » فى موعده .

وأنت تجد وراء مظهر التايمز هيئة قادرة متوثبة من الصحفيين ، شقت الطريق فى كل ميدان من ميادين الصحافة . وقد كانت أول من استعمل آلات البخار للطباعة ، وكذلك المطابع الدوّارة وإرسال الأخبار بالراديو . وكانت أول من عمد إلى الإعراب عن الرأى فى صفحة خاصة ، وصنعت أول نسخة مصغرة فى الحرب البروسية الفرنسية يوم صغرت بالتصوير صحيفتين من التايمز حتى صارتا فى حجم طابعى البريد ، وهرّبتهما إلى باريس التى حاصرتها جيوش بسمارك ، وهناك كبرتا وقرئتا بواسطة الفانوس السحرى . وقد ظلت جماعة من أطباء العيون تجرب التجارب ثلاث سنوات لكى تضمن للتايمز حروفاً تسهل قراءتها ، فإذا هى حروف تعد مثالا فى وضوحها .

وقد دأبت التايمز منذ نشأتها على التفوق فى جمع الأخبار الصحيحة على أسرع وجه ، فتوسلت بالسفن والجواسيس وحمام الزاجل قبل زمن بوليتزر وهرست بزمن طويل ، فتمت لها معجزات فى سرعة نقل الأخبار إلى قرائها . وتفننها فى ذلك لا مثيل له فى سائر الصحف ، وكانت هى السابقة فى كثير من هذا الباب .

كان أول مراسل حربى مراسل التايمز المعروف باسم وليم هورد رسل ، وهو رجل إرلندى جرىء طلق اللسان لا يعبأ بشىء . وكانت الحرب التى ذهب إليها رسل ليوافى صحيفته بأخبارها هى حرب القرم ، فتنكر له الجيش فى الميدان ، وجاء بخيمته وضربها فطواها الجيش ، وقد ظل معظم الوقت يستبدّ به البرد والسهاد والجوع ، ولكن هذه المشاق لم تلن له قناةً ، فمضى ينبىء الشعب البريطانى بما فى جيشه من مساوىء ، وأن ضباطه أهل غطرسة لا يصلحون لما تولوه ، وأن الجنود لا يصيبون كفايتهم من الطعام ، ومعظم طعامهم ملوث، وتعوزهم الأحذية والأغطية، فإذا ما مرضوا أو جرحوا ماتوا من الإهمال.

وقلة العناية . وقال إنه سوف تحلُّ بالجيش كارثة إن لم يسارعوا إلى إصلاحه .

فأثارت رسائلهُ النفوس ، وكذبت الحكومة ما جاء فيها ، ولكنَّ رسل مضى قدماً يورد الحقائق كأنها سيل متدفق ، وأيدهُ رئيس تحرير صلب المراس . فهبَّ الناس في إنجلترا وجعلوا يكتتبون بالمال من أجل الجنــود ، وأنشأت فلورنس نايتنجيل بالمال الذى اكتتب به في التايمز مستشفيات في الميدان ، وأدخلت وسائل لحفظ الصحة لم تكن قد جرِّبت من قبل . وأخيراً هوت الوزارة البريطانيــة تحت ضربات « الرَّعاد » وقامت وزارة جديدة أصلحت الجيش ونالت النصر .

ولا يزال الناس يرســلون مالا إلى « الرَّعاد » حين يقرأون أخباراً تستثير نفوسهم . وقد أنفق مليون ريال مما جمعتهُ الصحيفة لترميم كنيسة وستمنستر ، ومليون آخر لترميم كاتدرائية سانت بول ، وفي سنة ١٩٢٤ جمعت مليوناً أيضاً لتشترى به قدراً من الراديوم للمستشفيات البريطانية، وقد تلقت خلال الحرب العالمية الثانية اكتتابات يزيد مجموعها على ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال .

وفي سنة ١٨٧٠ كان للتايمز في باريس مراسل عجيب المنظر له سوالف تتدلى على عارضيه ، يدعى هنرى ده بلويتز ، وكان يلبس قبعة عاليــة ويحمل في يده عصاً ، ولكنه كان عليماً بالأخبار — وكانت له ذاكرة خارقة . وقد ذهب يوماً مع رئيس التحرير إلى مجلس النواب فاستمع إلى خطبة ألقاها تيرس رئيس الوزراء ، فأعرب رئيس التحرير عن أسفهِ أن لم يأت بمراسل يحسن الاختزال لتدوين الخطبة ، فلم يفُهْ بلويتز ببنت شفة ، بل عاد إلى مكتبه وكتب بياناً دقيقاً عن الخطبــة ملأ ثلاثة أعمدة في التايمز — معتمداً على ذاكرته .

وأما آية بلويتز فكانت في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، الذى اجتمع ليضع معاهدة الصلح في ختام الحرب البروسية الفرنسية . وكان له بين أعضاء المؤتمر صــديق كان يدسُّ في قبعتهِ مذكرات عما يحدث كلَّ يوم ، ثم يذهب إلى مطعم معين للعشاء ، فاقتنى بلويتز قبعة تشبه قبعة صاحبه تماماً ، وجعل دأبهُ أن يذهب إلى هــذا المطعم ، ويعلق قبعته قرب قبعة صاحبه ، ثم يتعشى كلٌّ منهما على حدة دون أن يحيي أحدهما الآخر ، فإذا فرغ بلويتز غادر المطعم وعلى رأسه قبعة صاحبه ، وفيها المذكرات . وقد برم بسمارك برماً شديداً بما كانت التايمز تنشرهُ من بيانات مفصلة عن مؤتمر سرى ، حتى عمد في أحد الأيام إلى غطاء مائدة

المؤتمر فرفعه قليلا ونظر تحت المائدة وقال محنقاً : « أردت أن أستوثق من أن مراسل التايمز ليس مختبئاً تحتها » .

وقد ظفر بلويتز بنسخة من المعاهدة ، ولكنهُ لم يظفر باستهلالها ، وكان أهمّ ما فيها ، وأبى صاحبه أن يعطيه نصها ، إلا أنهُ قبل أن يتلوها على صاحبهِ الصحفى ، فكان هذا كل ما يطلبه بلويتز . ولم يكد يفرغ من الإصغاء إلى نصها حتى استقلّ قطاراً ، وأملى النصّ على كاتم سرّهِ ، ثم خاط الورق داخل البطانة فى معطف كاتم سرّهِ الذى سافر بالقطار . وأما بلويتز فقد عاد إلى برلين ذرًّا للرماد فى عيون منافسيهِ من الصحفيين . وأما كاتم سرّهِ فقد أبرق النص من بروكسل فى اليوم التالى فأصدرت التايمز ملحقاً خاصًّا ، وكذلك قرأ أهل لندن نصوص المعاهدة قبل أن يجفّ حبر توقيعها .

والركن الركين الذى تقوم عليه منزلة التايمز فى رواية الأخبار ، هو اهتمامها برواية أنباء الاقتصاد والسياسة والثقافة رواية وافية . وهى لا تدخر وسعاً حتى تسبق منافساتها ، ولكنها لا تحجم عن نشر خبر حادث مضى عليه أسبوع . ومحرّرو الأخبار فى التايمز صحفيون من أهل العلم ، فهم يحققون كل اسم وكلّ موقع جغرافى يرد لهُ ذكرٌ . فإذا دأبت على قراءة التايمز ظفرت بحسن الاطلاع ، فهى تروى كل شىء ذى شأن وتتوخى الدقة فى الرواية .

وفريق من مراسلها فى الخارج رجال ذوو ثراء ، ويعرفون البلد الذى يقيمون فيه معرفة دقيقة كما يعرفون وطنهم . وقد مضت سنوات على السر ويلموت لويس مراسلا للتايمز فى وشنطن ، وهو يعرف باسم « سفير بريطانيا غير الرسمى » ، وكثيراً ما يُدعى إلى البيت الأبيض التماساً لمشورته . وأعضاء المجلسين النيابيين فى وشنطن يقرأون رسائله باهتمام عظيم . وأما فى إنجلترا فكنت تجد بين كتّاب التايمز رجالا من أمثال ديكنز وثاكرى وهازليت وكارليل .

والتايمز تعنى بباب « رسائل إلى المحرر » عناية كبيرة . وكتاب هذه الرسائل ينتقدون سياسة بريطانيا انتقاداً شديداً ، أو يوجهون نداءً إلى أصحاب المخازن حتى ينشروا ظلالهم فى أيام المطر لينتفع بها الناس ، أو يروون نوادر عن غرائب الطبيعة وعجائب المخلوقات .

وتجد فى صفحتها الأولى باباً مشهوراً اسمه « باب الألم » ، ينتفع به الذين لا سبيل لهم إلى مراسلة من يريدون أن يراسلوهم . وبعض ما ينشر فيه يدل على روح الفكاهة البريطانية ، مثلا : « ضابط طريح الفراش .

يطلب أن يؤجر مزماراً . الغرض هو الأخذ بالثأر » . وبعضه يدل على أدب المداهنة البريطانى ، مثلا : « إلى سائق السيارة الذى كان خليقاً أن يدوسنى فى كنجز رود مساء السبت ، أقدم شكرى » .

إن التايمز لا تنتمى إلى حزب سياسى ، ويغلب فى مقالاتها الافتتاحية أن تؤيد الحكومة ، ولكنها لا تتوانى عن مهاجمتها إذا حادت عن النهج الذى ترى « الرعّاد » أنه هو النهج القويم . وقد كان توماس بارنز رئيس تحريرها الأول ، أول من جعل المقال الافتتاحى سلاحاً ماضياً ، حتى صار رجال الحكومة يأخذون رأيه قبل أن يبتّوا الرأى فى قرار .

فلما تولى رئاسة تحريرها جورج إرل بكل حاربت التايمز مشروع قانون الاستقلال الذاتى لإرلندة الذى وضعه جلادستون ، فارتكبت فى حربها هذه أحد الأخطاء القليلة التى ارتكبتها فى تاريخها . فقد نشرت سلسلة من الرسائل كان يظن أن بارنل الزعيم الإرلندى قد كتبها يحث بها أهل إرلندة على التذرع بالعنف . ثم ثبت فى المحاكم أن الرسائل مزيفة ، فأمرت المحكمة « الرعّاد » بأن تدفع ٥٠٠٠ جنيه تعويضاً ، فمس شهرة الصحيفة أذى بليغ .

وفى سنة ١٨٩٨ أنقذ أمريكيان صحيفة التايمز من كارثة مالية ، ذلك بأن هوراس إفريث هوبر، ووليم مونتجمرى جاكسون، كانا قد ذهبا إلى لندن لينشئا فيها مكتباً للإعلان على الطريقة الأمريكية ، فعثرا خلال بحثهما على ألواح الطبعة التاسعة من دائرة المعارف البريطانية التى نفدت ، وعلما أيضاً أن التايمز تعانى أزمة مالية ، فاقترحا أن يصدرا طبعة جديدة من دائرة المعارف مختومة بخاتم التايمز ، وتتولى الإعلان عنها مجاناً ، وتتقاضى عمولة عن كل مجموعة من مجلداتها تباع فى بريطانيا .

وروّج الرجلان للدائرة ترويجاً عجيباً ، فاشترى البريطانيون ألوفاً من مجموعاتها ومن الصناديق التى صنعت من خشب السنديان لحفظ كلّ منها . فبلغ دخل هوبر وجاكسون فى إنجلترا ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال — فكفى نصيب التايمز لإنقاذها يومئذ .

أما هوبر فكان يودّ لو اشترى « الرعّاد » نفسها ، ولكنّ أصحابها خشوا أن يدخل عليها الأساليب الأمريكية المثيرة فى عرض الأنباء — ومن يدرى فربما نشر عناوين الأنباء على صفحتها الأولى ! وأدرك هوبر ذلك فأقنع لورد نورثكليف بشرائها ، فلما توفى نورثكليف كانت التايمز فى الطليعة مرة أخرى ، وحالتها المالية على خير ما يرام .

وفى سنة ١٩٢٢ اشترى جميع أسهمها

جون والتر الحفيد الأكبر لمؤسسها ، والكولونيل جون آستور .

وصحيفة الرعّاد هي الصحيفة الوحيدة التي تعدُّ مؤسسة قومية ، وقد أراد صاحباها اليوم أن يضمنا « أن لا تكون في المستقبل سلعةً تباع لأكبر مزايدٍ ، وأن لا تقع في أيدٍ غير صالحة » ، فألفا لجنة وجعلا لها حق منع بيعها إذا رأت ذلك . ومن أعضاء هذه اللجنة قاضي القضاة ورئيس الجمعية الملكية ومدير مصرف إنجلترا . وقد ألقت التايمز على الناس دروساً كثيرة ، وهذه الخطة التي وضعت لكي تضمن استقلال جريدة عظيمة بإقامة وصاية شعبية عليها ، ليست أقلَّ هذه الدروس شأناً وخطراً .



## غلب برنارد شو على أمره

روى س . ج . ولف الرسّام الأمريكي : قيل لي في لندن إنه أمر مستحيل أن يأذن لي برناردشو بأن أصوره ، فلم ينثن عزمي فكتبت إليه :

« عزيزي مستر شو : لقد قلت منذ سنين أن السبب الوحيد الذي حملك على أن تأذن لرودان أن يصنع تمثالا لك ، هو أنك وجدت التمثال خير وسيلة لتخليد شهرتك . وهذا يصدق على أوربة ، أما في أمريكا فأقول لك بمثل ما أثر عنك من الوداعة : إنك لن تخلد فيها حتى يتاح لك أن أرسمك . واعلم أن ذلك لن يستغرق أكثر من نصف ساعة من وقتك ، وهذا يسير جداً »

فجاءني الردُّ : « لي تجربة وافية بما يطلبه المصورون والمثالون ممن يرضى أن يكون نموذجاً لهم ، ولكن شرطي هو — نحو ٣٧٥٠ ريالا لكل ساعة — وهو أجر باهظ . ثم إنني لا أستطيع أن أتحلل من أشغالي قبل سنة » .

فأحسست أن الرد المناسب الآن كفيل بأن يجدي ، فلما وافى يوم ٤ يوليو ( عيد الاستقلال الأمريكي ) كتبت الرسالة التالية : « قبلت شرطك . وأما ما أتقاضاه أنا عن الرسم فهو ٣٧٥٠ ريالا لكل ساعة ، ولا ينبغي لك أن تتحلل من أشغالك وأنا أرسمك . فمتى أحضر ؟ إذا كان في وسعك أن تجلس لي وأن توقع الصورة بعد ظهر اليوم ، ظفر الشعب الأمريكي بوثيقتين خطيرتين وقعتا يوم ٤ يوليو » . فتلقيت بعد الظهر دعوة شو بالتليفون .

أظهر العيوب التي يتبينها كلا الزوجين في رفيقه ، كما دل عليها استفتاء تم من عهد قريب

# عيوب الزوجات والأزواج

وليم ا. ليدجيت • مختصرة من مجلة "رد بوك"

كانت عيوب الأزواج والزوجات ونقائصهم موضوع بحث مستفيض جرى منذ عهد قريب . فقد سئلت الزوجات أن يذكرن أهم عيوب الأزواج . وطلب إلى الرجال أن يبينوا عيوب الزوجات . ونتائج هذا البحث خليقة أن تدل المتزوجين على ما ينبغي أن يتحاشوه إذا أرادوا أن يعيشوا عيشة سعيدة مديدة .

## عشرة عيوب في الزوجات :

١ — النقار : وهذا يفضي إلى المسألة الآتية : ترى أيكون نقار الزوجات هو العلة الدافعة لأزواجهن إلى عادة شرب الخمر إذ تبين أن شرب الخمر هو في رأى النساء عيب الرجال الأكبر . ولقد قال فيلسوف مغمور مجهول مرة إن طريق النجاح يزخر بنساء يَسُقْنَ أزواجهن سَوْقاً بين أيديهن . بيد أننا لم نعثر على رجل واحد بين آلاف الأزواج الذين تحدثنا إليهم ، ينسب أي شطر من نجاحه إلى نقار زوجته.

٢ — الإسراف : « إنهن يردن أن يعرفن كل مايملك الرجل ليجارين جاراتهن في معيشتهن » ، « وهن لايدركن ما يبذله الرجل من جهد في سبيل التقدم والنجاح ، بل يَعُقْنَهُ ، ويبدّدن كل مليم جمعه » .

٣ — سوء القيام على شؤون البيت : « إن زوجتي لاتعنى بنظافة منزلنا » ، « إن الزوجات في هذا الزمن لايحضرن الفطور لأزواجهن بأنفسهن » ، « وهن يؤدين أعمال البيت كما يتفق ، ثم يخرجن للهو واللعب » .

٤ — الاختلاف إلى ملاهي الليل ، وشرب الخمر : « يألفن الحانات ويهملن أطفالهن » . « إن زوجتي تريد أن تجرني كل ليلة تقريباً إلى المراقص » .

٥ — القيل والقال : « لاتنقطع لهن ثرثرة » ، « يطلن الحديث في التليفون » ، « إن مايبتدعنه من القصص عن صاحباتهن ليقف له شعر الرأس » ، « لزوجتي براعة هائلة في تحريف مايقوله الناس ، وتبديله عن وجهه » ، « ينبغي أن تكون النساء خيراً من الرجال في تأليف الروايات، فإنهن يبتكرن القصص كل يوم » .

٦ — الأثرة : « لاهمّ لهنّ إلا هات هات طوال الوقت » ، « إن زوجتي تستغرق وقتاً طويلا في التزين للخروج وهي دائماً

تتأخر عن المواعيد ! » ، « إنها لاتفكر فى راحتى بل فى راحتها » .

٧ — كثرة الخروج : « أندية الخياطة وأندية الأدب ، وأندية لعب الورق ، وأندية الشاى ، لقد جنت النساء بالأندية ! » ، « يشغلهن إسداء الخير والبر للناس ، حتى صرفهنّ ذلك عن البر بأزواجهن » .

٨ — الرغبة فى السيطرة : « إنها تدير أمر المنزل وتدير لى أمورى وتنصح للجيران عما ينبغى لهم فعله ، وهى الآن وأيم الله تريد أن تدير أمور البلاد . فهى تقضى اليوم كله تحدثنى فيما ينبغى للحكومة أن تعمله » ، « يردن أن يدبرن أعمال الرجال وأعمالهن معاً ، فيخفقن فيهما جميعاً » .

٩ — إهمال الملبس والهندام : إن قائمة الإتهامات فى هذا الموضوع تطفح بحكم ساخرة وردت على لسان الرجال : « خلقت المرأة لتتزوج وتسمن وتترهل ! » ، « لقد نفضت زوجتى يدها من كل حيلة تجعل بها نفسها جذابة » .

١٠ — وعاشر عيب فى الزوجات هو اهتمامهن برجال كثيرين آخرين .

هذه هى أهم مايوجهه الرجال إلى النساء من النقد ، على أن عصر النخوة والمروءة لم ينصرم بعد ، ولم يزل فى الرجال من ينزه المرأة عن العيوب . فإن ٨ ٪ من الذين أدلوا برأيهم قالوا إن ليس فى الزوجات عيوب . وقال رجل منهم « إذا كانت النساء كزوجتى فقد بلغن أوج الكمال . » وقال آخر « إن زوجتى تجهد نفسها كثيراً فى العمل ، وهذا عيبها الوحيد ، بارك الله فيها . » ويلوح أن ١٤ ٪ أضناهم « جهد الصراع » حتى عجزوا عن الإجابة .

**عشرة عيوب فى الرجال :**

١ — شرب الخمر : لقد بزّ هذا العيب كل عيوب الرجال فى هذا الاستفتاء . والعجيب أنه تبين من استفتاء مماثل منذ عشر سنين أن الشرب لم يكن مشكلة ذات بال إلا عند قلة قليلة من الزوجات .

٢ — قلة المبالاة والاهتمام : « كلما علت بهم السن قلت رعايتهم وانتباههم لزوجاتهم فلا يمدون إليهن يد المساعدة كما كانوا يفعلون » ، « يقل اعتناؤهم بهندامهم . لايفكرون البتة فيما يخلقونه من عمل لزوجاتهم إذا هم مسحوا القذر فى المناشف أو إذا دخلوا البيت وأحذيتهم غائصة فى الطين أو إذا تركوا صحفهم ملقاة على الأرض ، أو إذا لم يعلقوا ملابسهم » ، « عدم المبالاة بالأشياء الصغيرة . هذا هو عيبهم » .

٣ — الأثرة : « يريدون إذا صحت أبدانهم أن يكونوا ملوكا ، وإذا مرضوا أن يكونوا أطفالا » ، « يجىء زوجى ساعة الأكل متأخراً ،

فإذا تأخرت أنا هبّ فيّ وثار » . « يعمل دائماً ما يحب فقط ولا يفكر البتة فى الآخرين » .

٤ — شدة التحكم : « يريدون أن يكون لهم الرأى الأعلى دائماً ، ولا يتصورون أن ثمــة أحداً يعرف شيئاً سواهم » ، « الرجل الآمر الناهى يضجر النساء » .

٥ — التقلب : كان هذا العيب موضوعاً لكتب والمسرحيات منذ قرون ، ولكنه ليس فى مقدمة العيوب التى تشكو منها الزوجات .

٦ — التقتير : « لا يدرك الأزواج بتاتاً ما يتكلفه المنزل هذه الأيام » ، « ويبدد الرجال المال على أنفسهم ولكنهم يجادلون فى كل مليم تنفقه الزوجة » .

٧ — قلة شغفهم بالبيوت : « تعتقد النساء ان إدارة المنزل لا ينبغى أن تكون من أعمال المرأة وحدها وتريد أن يشاركها الرجل تبعاته . يترك الأزواج تربية الأطفال للزوجة » ، « إن زوجى لا يساعد فى رش مدخل المنزل أو إصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح فيه ، ولا يقوم بنصيبه فى كتابة الرسائل إلى الأهل والأصدقاء » .

٨ — « إن الأزواج ينظرون إلى الزوجة كأنها مسألة مفروغ منها بمجرد أن يضعوا خاتم الخطبة فى إصبعها » ، « وأنهم يصرفون كل اهتمامهم إلى عملهم حتى ليكادون ينصرفون عن زوجاتهم » ، « وإن المرأة لا تهمها خدمة المنزل المرهقة إذا كان زوجها يفاجئها بين الفينة والفينة بشىء تطيب له نفسها أو يثنى عليها أو يغازلها أو يدعوها إلى مطعم أو مسرح » ، « لا يلبث الزوج أن يكف عن إبداء حبه وعطفه لزوجته » .

٩ — « لا يكتفى الرجل بمبادرته إلى الكف عن إبداء حبه لزوجته ، بل تكثر شكواه وسخطه » .

١٠ — وآخر عيب فى الأزواج هو القمار والتدخين : « يملأون البيت رائحة خبيثة من أثر تدخينهم » ، « إن زوجى لا ينفك يلقى رماد لفافته على بساط الغرفة » . « يخسر زوجى كل ماله فى لعب القمار » .

هذا أيها الرجال ما تظنه المرأة فيكم إذا سألها عنكم سائل غير متحيز . أفليس هناك من يظن أن الأزواج على خلق عظيم ؟ بلى وهن قلائل ، فإن ٤ ٪ من النساء اللاتى اشتركن فى الاستفتاء ذكرن أن « الأزواج لا عيب فيهم » وأمسك ٨ ٪ عن الكلام .

وقد أماط هذا الاستفتاء اللثام عن حقيقــة واحدة هى أن أهل الزراعة هم أسعد الرجال جميعاً وأرضاهم عن زوجاتهم فلم يذكر زارع واحد عيب سوء القيام على شؤون البيت . وقال كثيرون منهم « لا عيب فى المرأة » . ويبدو أن ثمة شىء فى حياة الريف يؤدى إلى العيشة الراضية بين الزوجين .

# إذا عميت البصيرة

ستانلى هاى

يقول جيمس بيرنز وزير الخارجية الأمريكية: إن « الغاية هى السلام الدائم » .

وجاء فى رسالة لرجال الدين : « لقد أتاحت مشيئة الله فرصة لأهل الأرض أن يقيموا عالماً لا حرب فيه » .

وأنا أقول : إن « السلام الدائم » ليس الغاية الأولى ، وإن « عالماً لا حرب فيه » ليس أسمى ما هيأته مشيئة الله للناس .

وأذهب إلى أن السلام باعتباره غاية الديمقراطية مصيره البوار الآن كما كان مصيره فى ميونيخ ، وأن النهج المتبع فى سبيله بعد الحرب ينذر بسلسلة من نظائر ميونيخ ، وأنه إذا لم تعن الأمم الديمقراطية بأن تهتدى إلى وسيلة دفاع ، تعلنها وتهيئها ، عن هدف أعظم تتوخاه ، فإن الأمم المتحدة ستسير على الدرب الذى سارت عليه عصبة الأمم ، وأن الشرور التى حارب الحلفاء ليقضوا عليها ستولد مرة أخرى ، وأن عالمنا سيواجه كارثة كالتى واجهها العالم فى عهد ميونيخ .

قال ألكسندر هملتون : « إن الحكومة يجب أن تكون ذات مبدأ فعّال » والسلام لا هو فعّال ولا هو مبدأ ، والمعجم يعرفه بأنه «حال أو موقف ليس فيه حرب» . وليس من الضرورى أن يكون موقفاً حسناً ، فإنه يمكن أن يكون شراً لا يطاق . وتاريخ الجهاد الحديث من أجل الحرية ، من زمن الماجنا كارتا إلى ميثاق الأطلسى ، يثبت أن السلام يمكن أن يكون شراً أعظم من شر الحرب .

وكون السلام خيراً أو شراً رهن من كل وجه بالمبادىء التى أثمرته واحتفظت به ، وهل هى خير أو شر . وتقديم السلام على المبدأ هو تقديم للمسبّب على السبب ، وتعريضهما كليهما للخطر .

والسلام الصالح لا السلام بمجرّده هو الذى يستحق أن يكون الغاية ، والمبادىء التى يمكن أن يصاغ منها سلام صالح —

لا السلام بمجرّده — هي التي ترفع لأبصار شعوب العالم الحرة غاية تسعى لها .

وقد حاولنا ذلك من غير طريقه .

إن النزاع الذي كان بين الحلفاء وهتلر لم يكن على السلام ، فقد كان هتلر يبغي السلام، ووعد أمته بألف عام منه، ولكنه كان ينشد سلاماً يثمره توسيع نطاق مبادئه الجائرة وتوطيدها .

وكانت الديمقراطيات هي الحنطة لطاحونه، ولم يكن لها ما يماثل قوة معتقداته وحرارتها، فكان أهلها عُزْلاً من الوجهة الأدبية أكثر مما كانوا من الوجهة المادية .

كان « السلام » غاية الديمقراطية ، وكان دور ساستها هو دور « الموفّق » ، وكانت غاية السياسة الديمقراطية « توطيد السلام »، فلم يكن ثم شيء أوفق من هذا لمقاصد المحور .

وسنحت سبع فرص على الأقل كان يسع الديمقراطيات فيها على الأرجح أن تحول دون الحرب، لو أن المبادىء لا السلام كانت غايتها المقدمة على سواها . ففي سبتمبر ١٩٣١ استولى اليابانيون على منشوريا ، وكان هذا تحدياً أدبياً أكثر مما كان تحدياً عسكرياً . ولو أن الديمقراطيات احترمت ما تعهدت به وأقسمت على الوفاء له من مقاومة العدوان وانضمت إليها روسيا السوفيتية كما كانت خليقة أن تفعل — لوسعهم ما هو أكثر من إنقاذ الصين . إذن لأبقوا على أنفسهم وكرامتها ، ولتعلموا كيف يعملون معاً بطريقة فعالة لتأييد مبادئهم ، ولكانوا قد رفعوا قِبَل العيون تحذيراً بالغاً لكل معتدٍ آخر في المستقبل يدله على أنهم سيعملون معاً مرة أخرى لا محالة على هذا النحو .

ولكنهم لم يحترموا تعهداتهم، وإنما قايضوا عليها « بالسلام » ، وكانت تلك تجارة باهظة عجلت بانحطاط الروح الأدبي للديمقراطية ، ومهدت السبيل لتضحية أخرى بالمبدأ .

وفي ١٦ مارس ١٩٣٥ نقض هتلر الأحكام الخاصة بنزع السلاح في معاهدة فرساي ، وفي ٣ أكتوبر ١٩٣٥ غزا موسوليني الحبشة ، وفي ٧ مارس ١٩٣٦ زحف هتلر على أرض الرين ، وفي يوليه ١٩٣٧ جدد اليابانيون عدوانهم على الصين ، وفي ١٢ مارس ١٩٣٨ استولى النازيون على النمسا، وفي ١٩ سبتمبر ١٩٣٨ بعثوا ببلاغهم النهائي إلى تشيكوسلوفاكيا .

وكل أزمة من هذه الأزمات المتتالية انتهكت حرمة مبادىء كانت الأمم الديمقراطية ملزمة من الوجهة الأدبية بصونها والدفاع عنها ، فلم تفعل، وآثرت صون «السلام» .

وصار التقهقر بعد ذلك عن الاقتناع إلى الإذعان والتنازل ، انحداراً ، ابطار

تشمبرلن ثلاث مرات إلى ألمانيا، وأخيراً عاد من ميونيخ وهو مغتبط «بالسلام في زماننا».

قال تشرشل : « لقد كان على بريطانيا وفرنسا أن تختارا الحرب أو العار ، وقد اختارتا العار ، وستصليان بنار الحرب» .

وإن المرء ليرقب الرواية الحاضرة وهى تنكشف له عن مناظرها الكئيبة ، فيحس بما يجعله يقول: «هذا ما وقع لى» . والمناظر مختلفة ، والأشخاص قد تغيروا ، ولكن الموقف مألوف يغرى بالتشاؤم .

قال الشيخ أرثر فاندنبرج بعد عودته من اجتماع مجلس الأمن الأول فى لندن : « لقد افتقدت الشعور بالغيرة القوية التى تسمو بالنفس، على قضية أدبية عظيمة جديرة بالجهاد فى سبيلها » .

لم يكن نقد الشيخ موجَّهاً إلى الروس، فإن غيرتهم على ما هو فى نظرهم « قضية أدبية عظيمة جديرة بالجهاد فى سبيلها » هددت أول اجتماع لمجلس الأمن وكادت تودى بالاجتماع الثانى . وهذا على الرغم من أن الهيئة الشيوعية الدولية تبدو « جانحة للسلام» ، والصحف الشيوعية هى بلا مراء أعلى صحف العالم صوتاً بدعوة «السلام» — وأشدها حرباً على تثبيت المبادىء الديمقراطية التى هى أهم من السلام . وقد كان أنصار الشيوعيين الذين حضروا خطب تشرشل الأخيرة فى نيويورك يرفعون أعلام «سلام» تذكرنا بالأيام التى كانت فيها صفوف الحزب تدعو إلى السلام بأى ثمن مع هتلر : « نريد السلام . تشرشل يريد الحرب . لا دماء ولا عرق ولا دموع بعد الآن » .

إن النزاع بين الديمقراطية والشيوعية ليس على السلام ، بل على نوع السلام ، فإن الشيوعيين لا يقنعون بأن يقوم سلام من أى ضرب كان ، وإنما يبغون فى صراحة تامة سلاماً قائماً على توسيع نطاق مبادئهم وتوطيدها ، وهم يعتقدون أن هذه الغاية أهم من السلام وأنها هى الضمان الوحيد له .

وهذا الاعتقاد حق لهم ، فإذا كان ينطوى على خطر فتبعتنا كتبعتهم . إن العبارات الجليلة فى ميثاق الأطلسى ، كالعبارات الجليلة فى ميثاق عصبة الأمم ، كان المفروض أنها إعلان لمبادىء هى فى رأى الديمقراطيات أعظم قيمة من السلام .

« لا توسع » ، « لا تغيير فى حدود الدول لا يتفق والرغبة الحرة للشعوب التى يعنيها الأمر » ، « حق كل الأمم فى اختيار نوع الحكومة التى تعيش فى ظلها » ، « تمكين الأمم جميعاً من وسائل الحياة فى أمان داخل حدودها الخاصة ... وأن يحيا جميع الناس فى الدنيا متحررين من الخوف والعوز » .

كانت هذه مبادىء سلام صالح ، ولكنا

لم نؤيدها تأييداً كافياً ، وإنما قايضنا عليها « بالسلام » . وهذا ما يوشك أن يصبح تجارة باهظة الكلفة .

ولا يكاد يكون من الإنصاف لوم الشيوعيين الذين يقدّمون المبادىء إذا استغلوا الواقع، وهو أن الديمقراطيات تتجرد من سلاحها الأدبى، وسعوا لإبقائنا «جانحين للسلام » ، وإذا أوقعوا الضغط علينا لنفسح لمبادئهم بالتضحية بمبادئنا من أجل «السلام» .

إنه لم يعد هناك جدال يذكر فما بيننا على الأداة والوسائل اللازمة لإقامة نظام عالمى أفضل ، فنحن متفقون على أن الأمم المتحدة لا غنى عنها ، وأن العلاقات بين الأمم يجب أن يطرد تنظيمها بالقانون لا بالمعاهدات ، وأن السيادة القومية المطلقة يجب أن تعدل تدريجاً .

وشكنا مرجعه إلى العوامل الأدبيـة ، وليست الأداة هى علته . وإذا كانت الأمم المتحدة ضعيفة فليس ذلك لفساد فى الأداة ، بل لأن بناتها ومسيّريها لم يقرروا الصبغة الأدبية للثمرة التى ينتظر أن تنتجها الأداة، وليس من المنتظر تعديل السيادة القومية والحد منها، مالم تتقرر القيم الأدبية التى تنتفع بهذا الحد على وجه حاسم .

وقد لا يكون ثم أمل قريب فى إجماع الأمم على هذه للسائل الأدبية ، غير أن هذا أقل استدعاء للتشاؤم من احتمال عجز الأمم الديمقراطية عن تقرير اتفاقها وتأييده .

قال مكاتب أمريكى فى إذاعة حديثة من باريس: «فى أوربا كلها يعرب الديمقراطيون «الهيّابون » عن مخاوفهم من الشيوعية . ومنذ قرن ونصف قرن كانت الديمقراطية خطراً رائعاً فى كل مكان ، فكيف أصبحت ولا خطر منها إلا على نفسها ؟ »

لماذا ؟ لأن الديمقراطية فقدت الشعور بدعوتها، وفقد الديمقراطيون حماسة الدعوة، وقد انطفأت شعلة الإيمان الذى كان يدفع إلى الجهاد ، والذى كان يجعل الديمقراطية « خطراً رائعـاً » ، والديمقراطيون الآن « هيّابون » « بكاءون » من جراء ما يساورهم من الشك الأدبى والروحى .

ولا يتطلب محو هـذا الشك أى تعهد جديد من الأمم الديمقراطية ، وإنما يتطلب أولاً تصميماً جديداً ، على أن تعمل داخل حدودها وفق المبادىء التى هى مرتبطة بها. ويتطلب ، ثانياً ، الاقتناع المجدد بأن تقدّم الفكرة الديمقراطيـة لا يتأتى إلا بالإقناع وبالقُدْوة ، وأن محاولة بثها بسياسة القوة أو بالإكراه المباشر أو غير المبـاشر نقض للفكرة الديمقراطية من شأنه أن يهزمها .

إن الديمقراطية لم تشق طريقها فى العالم بالوعظ أو الضغط بل بفضل القدوة وتأثيرها.

وقد وعدت بما هو أكثر وأحسن مما وعد به أى مذهب منافس لها ، ووفت بما وعدت .

ولا شك أن الأمم الديمقراطية تستطيع بما لها من قوة أن « تملى على العالم » ، ولكن فرصتها هى أن « تعرض على العالم » . وعليها لكى تفوز على المنافسة العدوانيـة الحاضرة أن تثبت إيمانها بأقطع حجة، وذلك بأعمالها حيال الشعوب التابعـة لها ، والأقليات ، والجماعات المتخلفة ، وفى كل موقف يزعم الديمقراطيون فيه أن عندهم الجواب عنـه لرفع مستوى الحياة الإنسانية . ذلك أن تثبيت الديمقراطية يكون بالابتداء بالنفس كما هو شأن كل عقيدة يدعو لها الإنسان .

وهكذا تستطيع الأمم الديمقراطية ، وهى فى مركز يزداد مناعة ، أن تذيع مبادئها على العالم ، وأن تصرّ على أن تكون لكل شعب فرصة حرة غير مقيدة لاختيار هذه المبادىء والحياة فى ظلها .

وهذا التقرير والإصرار — مستندين إلى الدليل على أن هذه الأمم تنوى أن تعمل بما تدعو إليه — ليس من شأنهما أن يقضيا على أداة الأمم المتحدة ، بل إن ذلك خليق أن يجعل من هـذه الأداة قوة أدبية ، بل هو على الأرجح يجعل منها — لفرط عمق الرغبة فى نظام عالمى أفضل — قوة أدبية لا سبيل إلى مقاومتها .

قال الرئيس ترومان حديثاً : « ألا من لنا بمن يبرىء هـذا العالم السقيم مرة أخرى وينبهه إلى تبعاته الأدبية » .

وقد يبطىء على الدنيا ظهور هذا الرجل ، والعالم لا يكاد يقوى على الصبر والانتظار ، ولا حاجة بأمم العالم المحبـة للحرية إلى الانتظار ، فإن فى وسعها أن توقظ نفسها — عالمة أن قوة الديمقراطية وانتشارها رهن بأن يعود الناس فرداً فرداً فيعرفوا ما تعد به الديمقراطية ، وأن يصح عزم الجماعات واحدة واحدة على الوفاء بهذا الوعد .

قال الشيخ فاندنبرج فى ختام تقريره إلى مجلس شيوخ الولايات المتحدة عن اجتماع الأمم المتحدة بلندن : « قد تقولون لى إنى أتحدث عن العصر السعيد المأمول ، فأجيبكم بالكلمة القديمة : إذا عميت البصيرة هلك الناس » .

إن الذى يجعل المستقبل حافلا بالنذر ليس النقص فى العدة السياسـية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية ، بل هو ما ينقص الشعوب المحبة للحرية من خيال وبصيرة وحرص على تحقيق مراميهما فى كل أعمالها يوماً بعد يوم .

« لكى تنجو مما يؤذى عينك أو يضعف بصرك — كن حريصاً فى اختيار ... »

# نظارات الشمس



جورج و . كسكر
مختصرة من مجلة "هايچيا"

فى كل عام ملايين من النظارات تباع الملوّنة، يطلبها الناس لراحة العين ووقايتها. ومع ذلك يكثر الذين يشكون صيفاً من احتقان العين أو تورّمها أو التهابها ، وغير قليل منهم يرى أمام عينه نكتة سوداء ، لا يبصر من خلالها شيئاً . ويقول طبيب مشهور : « إن الراحة التى تتيحها النظارات القاتمة راحة خدّاعة ، والوقاية فى معظم الأحيان مستحيلة أو ممتنعة »

إن إشعاع الشمس مؤلف من أشعة شتّى ، وإذا استثنينا أشعة الضوء التى ترى ، وجدنا أشعة لا تراها العين ، كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ( أشعة الحرارة ) . والنظارات الملوّنة الرخيصة ، هى كأية قطعة من زجاج معتم أو ملوّن ، تحجب بعض الأشعة التى ترى وتخفّف وهج الضوء ، ولكنها لا تحجب التى لا تراها العين كل الحجب ، وقد تكون سبباً فى إيذائها . إن إنسان العين يضيق عادة حين يكون الضوء وهّاجاً ، فلا ينفذ فيه من أشعة الضوء إلا القدر اللازم لتصوير الجسم المرئىّ على شبكية العين التى فى مؤخر المقلة . ولكن النظارات المعتمة تقلل الضوء المرئىّ ، فيتسع إنسان العين ، فيتعرض باطنها الحساس للأشعة الأخرى .

والعين تستطيع بطبيعتها أن تحتمل قدراً معتدلاً من الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، بل يرى بعض الأطباء أن هذا القدر المعتدل قد يكون نافعاً . بيد أن تعرض العين لقدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية قد يحدث التهاباً فى الملتحمة ، وقد تنفذ بعض أمواجها الطويلة إلى القرنية وتصل إلى العدسة، فتتألق تألقاً يزيغ البصر .

أما الأشعة تحت الحمراء فقد تكون أبلغ ضرراً . فإذا حدّقت فى الشمس ثم حوّلت بصرك عنها ، فربما رأيت بقعة سوداء تدوم قليلا وإن أغمضت عينك . وذلك السواد هو شبح قرص الشمس الذى طبعته أشعة الحرارة على شبكية العين طبعاً خفيفاً ، ثم لا يلبث حتى يزول ، ولكنك إذا أطلت التحديق فى الشمس وإن كنت لابساً نظارة معتمة ، فإن البقعة السوداء قد تدوم فتفسد البصر الصحيح ، لأن عدسة العين قد جمعت ، رغم نظارتك المعتمة (وبمعونتها) قدراً من الأشعة تحت الحمراء على رقعة صغيرة من غشاء باطن العين ، وتحرق بقعة منه .

ولما كان الزجاج العادىّ الشفّاف يحجب بعض أمواج الأشعة فوق البنفسجية ،

فكل نوع تقريباً من النظارات المعتمة يقي العين بعض الوقاية من أثرها ، ولكنّ النظارات المعتمة الشائعة الرخيصة غير كافية للوقاية فيما يرى الأطباء ، فزجاجها مصنوع على الأكثر من زجاج عادي دخل في تركيبه موادّ من أكسيد المعادن من أجل تلوينه .

ويقول الدكتور أرنو تاون مساعد أستاذ طب العيون في جامعة نيويورك : « إن خير نظارات تقي من الشمس هي التي تمتصُّ الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، وتمتصُّ أيضاً بعض الامتصاص ألوان طيف الشمس ، فيظلُّ من يلبسها يرى الأشياء كأنْ لا نظارات على عينيه » .

ومثل هذه النظارات يمكن شراؤها من كاكين النظارات بأسعار متفاوتة ، وقد صنعت نظارات جيّدة من زجاج بصريّ مصقول يحجب الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، ويخفف قوة الضوء المرئيّ حتى تحتمله العين .

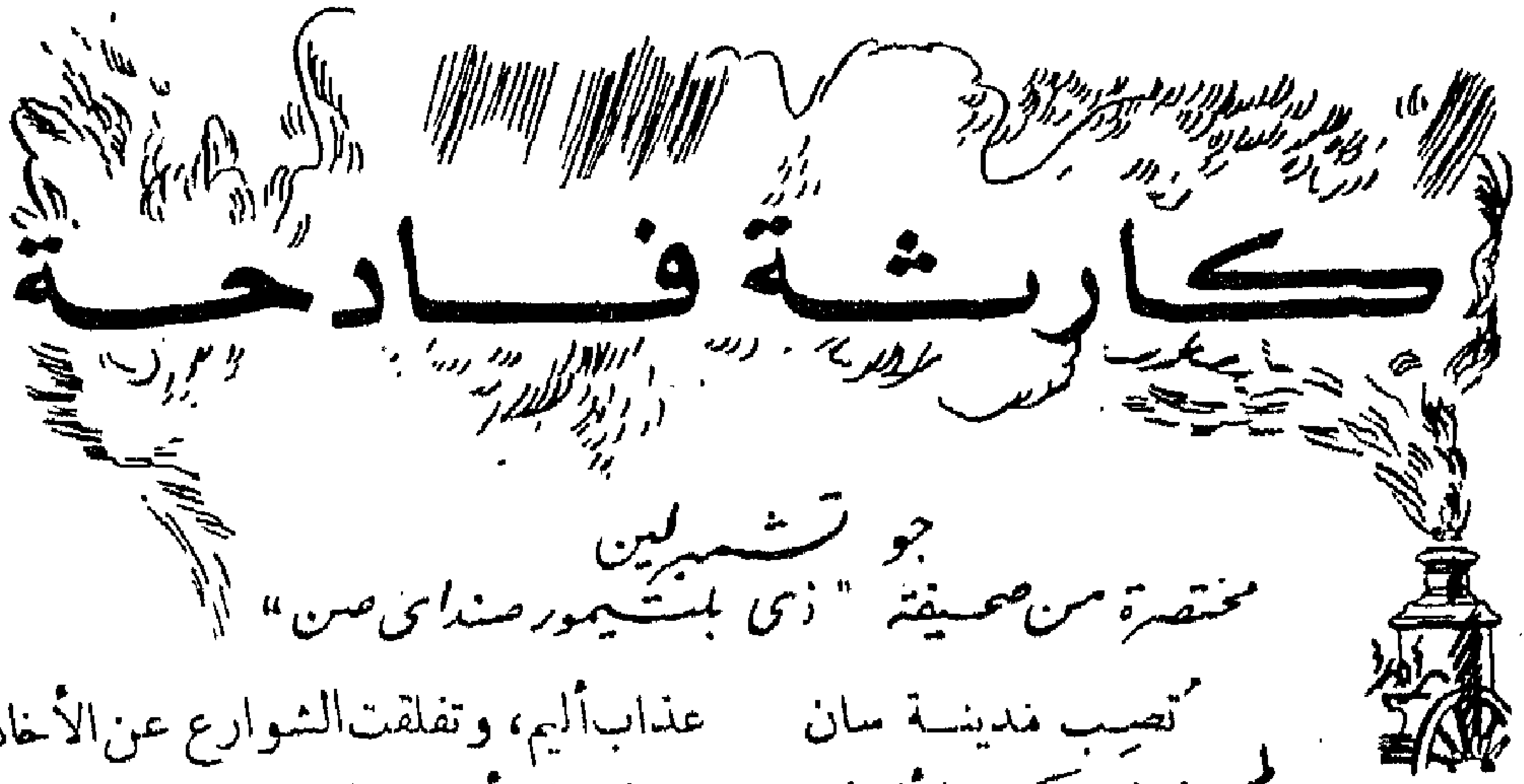
أما العدسات المستقطبة المستعملة في نظارات الشمس ، فتحتوي على غشاء بين طبقتين من الزجاج ، فيحجب عن العين معظم وهج الضوء المنعكس عن سطح الماء أو الأرصفة المرشوشة مثلا . ويرى بعض أطباء العيون أن هذه المزية يغضّ منها أن النظارات المستقطبة مسطحة لا محدّبة ، وأنها لذلك تعكس بعض الضوء إلى العين ، وهم يؤثرون أن تكون النظارات مستقطبة محدّبة ، وسوف تتاح للناس بعد قليل .

أما لون نظارات الشمس ، فقد قرر أهل الرأي في سلاح الطيران الأمريكي ، أن اللون الأخضر المصفرّ هو خير لون ، لأنه لا يشوّه الألوان الطبيعية . وهذا أمر ذو بال لمن يلبس النظارات وهو يسوق سيارته ، لأن اللون الكهرماني القاتم يجعلك لا تميز ما بين الأحمر والأخضر المتخذ لإشارات المرور . ويرى علماء مصلحة المقاييس الأمريكية أن اللون الأصفر الضارب إلى الخضرة ، أو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، هو أقل الألوان تشويهاً للألوان الطبيعية .

وقد استقصى الدكتور تاون آراء جماعة من أطباء العيون في أمر نظارات الشمس ، فوجدهم مجمعين على أن النظارات التي صنعت عدساتها من زجاج مصقول ، هي وحدها التي ينبغي أن تلبس ، وأن يمتنع الناس عن لبسها إلا في الضوء الوهّاج . ويرى خمسون في المئة من هؤلاء الأطباء أنها إذا استعملت لغرض آخر كانت ضارّة .

قد يكلفك الحصول على هذا الضرب من النظارات ، أكثر مما يكلفك شراء نظارات رخيصة ، ولكن هذا وحده الذي يكفل لك سلامة عينيك وبصرك .

منذ أربعين سنة هوت هذه النكبة على مدينة سان فرنسسكو



# كارثة فادحة

جو تشمبرلين

مختصرة من صحيفة "ذى بلتيمور صنداى صن"

لم تُصِب مدينة سان فرنسسكو منذ أنشئت رخاء كمثل رخائها فى إبريل ١٩٠٦ . فقد كانت مخازنها مزدحمة بالمشترين، ومسارحها غاصة بالنـاس ، وفنادقها تردُّ الوافدين . فهذه المدينة التى ناهز سكانها ٤٠٠٫٠٠٠ نسمة ، كانت يومئذ فى أوج ما أثر عنها من مرح ونشاط ، سواء فى ذلك قصور الأغنياء وأكواخ الفقراء المكتظة بأهلها .

وأنشد أنريكو كاروزو أوبرا كارمن فى دار الأوبرا الكبيرة مساء الثلاثاء ١٧ إبريل، فما كاد الذين أطالوا السهر من سكانها يأوون إلى مضاجعهم حتى قُذِفوا منها قذفاً عنيفاً ، ومادَتْ المنازل وهَوَت المداخن وتحطم الأثاث وتنزّت الأرض نفسها كأنما نالها مسٌّ من عذاب أليم، وتفلقت الشوارع عن الأخاديد .

فهـذا أدهى زلزال حدث فى الولايات المتحدة ، قد صكّ سان فرنسسكو بهدير مروّع فى الساعة ٥ والدقيقة ١٣ من يوم الأربعاء ١٨ إبريل . وقد استغرقت أعنف هزاته نحو ٤٨ ثانية، بدت كأنها دهر طويل، وتلتها هزات أخفّ توالت طوال اليوم ، فهدمت المبانى ، وقطعت أسلاك الكهرباء وأنابيب الغاز وقلبت عربات السكة الحديدية.

وقد أصيبت مدن أخرى فى كاليفورنيا



بأدى ، فبلغ طول المنطقة التى أصيبت ٣٠٠ ميل على الساحل الأمريكى الغربى شمال سان فرنسسكو وجنوبها ، وبلغ عرضها فى بعض المواقع ٤٠ ميلا ، على محاذاة شق قديم فى قشرة الأرض يعرف بشق سان أندرياس . وقد تزحزحت الأرض من مكانها تزحزحاً عمودياً بلغ ارتفاعه فى بعض الأماكن أربع أقدام ، وبلغ متوسط تزحزحها الأفقى تسع أقدام . وكان من أثر التزحزح أنْ انفلقت جذوع بواسق أشجار السيكويا القائمة فوق الشق ، كما ينشق عود الثقاب ، وأما البيوت والمخازن والطرق العامة فقد انفتق ما بينها وتباعد بعضها عن بعض . وكانت السفينة آرجو قرب رأس مندسينو على ٢٠٠ ميل من المدينة ، فارتجت من مقدمها إلى مؤخرها .

أما مبانى سان فرنسسكو المشيدة بهيا كل من الصلب ، والقائمة على أسس راسخة ، فقد مادت ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنها لم تهو إلى الأرض . وكذلك كان شأن المبانى المشيدة بالآبرق . أما الدور الواهية فقد تقوضت فى بضع ثوان ، وتهدمت دار المجلس البلدى التى أنفق على بنائها سبعة ملايين ريال ، وأصيبت دار العدل التى تضم سجن المدينة بضرر جسيم ، فظن السجناء أن أحدهم يحاول نسف السجن بالديناميت عسى أن يطلق سراح قاتل محكوم عليه بالموت .

وحين حدثت الهزات الأولى ، كان أحد الطباعين فى الطبقة العليا فى دار للطباعة ، فهرول على السلم عسى أن يبلغ الشارع . وقد بلغت الهزة مبلغاً عنيفاً ، فهوت المطابع من خلال السقف الذى أوهنه الزلزال فوصل الطباع والمطابع إلى الأرض فى وقت معاً .

وقتل مئة من المجانين فى مستشفى ضعيف البنيان بقرب سان جوزيه ، وزاد الطين بلة أن المجانين الخطرين انطلقوا فى أرض المستشفى يصخبون ، أو يقاتلون حراسهم المغلوبين على أمرهم لقلتهم .

وكان أنريكو كاروزو فى فندق بالاس فقال بعد أن نجا : « استيقظت يميد بى سريرى كأننى على ظهر سفينة فى بحر مائج . ونظرت من النافذة فرأيت المبانى تترنح ، وكتلا كبيرة من حجارتها تهوى إلى الأرض ، وسمعت صراخ الرجال والنساء والأطفال .

« وجعل بلاط السقف فى غرفتى يتساقط كالمطر فعدوت إلى الشارع ، وخيل إلى بعد قليل أن المدينة قد صارت شعلة من نار . فهمت على وجهى طول النهار ، ولكن الجنود كانوا لايسمحون لأحد بالمرور . فنمت فى تلك الليلة على الأرض ، ولا أزال أجد فى ساقى ألم ذلك المضجع النابى » .

وفي اليوم التالي استأجر غلام كاروزو مركبة بثلثمئة ريال لتنقلهما هما وأمتعتهما إلى زورق يحملهما إلى مدينـة أوكلند حيث يستقلان قطاراً إلى شرق أمريكا .

وكان في سان فرنسسكو يومئذ جون باريمور الممثل ، وكان على وشك أن يركب سفينة تقله إلى أستراليا ليمثل فيها بعض رواياته . وقد روى مترجمه « جين فاولر » أن جون كان قد حضر حفلة كاروزو ، وتعرف إلى سيدة فاتنة كانت جالسة إلى جواره . وفي الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ذهب باريمور إلى ميدان « يونيون » ، وكان لايزال مرتدياً ثياب السهرة ، فكان رابط الجأش غير عابىء بشيء ، فنصح له مدير أعماله أن يعود إلى الفندق ويستبدل حلته بحلة تصلح للنهار ، فذهب وعاد لابساً بذلة من الجوخ . ثم تذكر أنه ترك في جيب ثياب السهرة كل نقده ، وهو ٣٠٠ ريال كان قد اقترضها ، فهرع إلى الفندق ليأتي بها فوجدها طعمة للنار .

وقد أذيع في أول الأمر أن باريمور في عداد المفقودين ، غير أنه أقنع أحد الصحفيين بأن يضمن برقيته إلى نيويورك رسالة إلى شقيقته إثيل ، وقد أملى باريمور نص الرسالة مستوحياً خياله ، فقال إن الزلزلة قذفت به من سريره ، وأنه هام على وجهه في الشارع لايكاد يعي شيئاً ، حتى لقيه جندي فوضع في يده مجرفة وأرغمه على العمل في الأنقاض ٢٤ ساعة . وقرأت إثيل باريمور هذه القصة الخيالية الرائعة على خالها جون درو وسألته أيصدق ماجاء فيها ، فقال : « أصدق كل كلمة . لم يكن ثمة بدٌّ من زلزلة لتزحزحه من سريره ، ومن سطوة الجيش كله لكي ترغمه على أن يعمل » .

تلقى أهل سان فرنسسكو بلاء الزلزلة بالصبر والتسليم ، ولكن الكارثة الحقة وقعت بعد الزلزال . فقد شبت النيران من جراء تقطع أنابيب الغاز وتماس الأسلاك الكهربائية وانقلاب المواقد . فلما وصل رجال المطافىء خراطيمهم بالحنفيات راعهم أن لا يجدوا ماء فيها ، فقد حطمت الزلزلة أنابيب الماء . وكانت تسعة أعشار بيوت المدينة مصنوعة من الخشب ، فاشتعلت كأنها حطب . واتصلت النيران المتفرقة بعضها ببعض فصارت ناراً واحدة مستعرة .

واندفع الناس يبذلون غاية الجهد ليخرجوا المصابين من المباني المتقوضة قبل أن تدركهم النار ، وقد وقعت الأنقاض على أحدهم فسمّر في مكانه لايرجى له خلاص ، فتوسل إلى من يحاولون إنقاذه أن يرموه بالرصاص قبل أن تكتنفه النار . ولكنهم لم يكفوا عن السعي إلى إنقاذه إلا بعد أن

آذتهم النار أذى شديداً فقطعوا الرجاء ، فرموه برصاصة قتلته .

وقد التهمت النيران الحى المزدحم جنوب شارع « ماركيت » ، ثم سرت لا يردّها رادّ إلى أحياء التجارة والملاهى والفنادق ، وزال من الوجود حىّ الأوباش وحىّ الصينيين ، وهو أكبر الأحياء الصينية فى أمريكا . وخلت بؤر المخدرات من مرتاديها ، وهو مالم يقع منذ عهد طويل . وكسر الإيطاليون دنان النبيذ وغمسوا فيها الأكياس ليكافحوا بها الجمر المتساقط على سطوح بيوتهم .

وظلت النار تتأجج وتهدر طوال نهار الأربعاء وليله ، ونهار الخميس وليله أيضاً ، فما وافى يوم الجمعة حتى كانت النار قد التهمت معظم المدينة القديمة ، والنار لا تزال مستعرة ،

بيد أن حياً كبيراً من أحياء السكن فى غرب المدينة سلم من النار ، فعزم مكافحو النار الذين أضناهم الإعياء ، أن يقفوا فيه وقفتهم الأخيرة . فنسفوا صفاً من الدور طوله ميل وحولوه أنقاضاً ، وعلقوا أملهم على أن تبلغه النار ولا تتعداه ، ورفعوا بالمضخات الماء الملح من الخليج ، وغطى الرجال رؤوسهم بالأغطية المبلولة ، ووجهوا خرطوم الماء إلى الأنقاض ساعة سرت فيها النار ، وسدّد خرطوم آخر إلى الرجال المكافحين ، وإلى عربات المطافئ لتبريدها فعجزت النار عن أن تتخطى هذا الحاجز .

وقد دارت معركة أخرى حاسمة على محاذاة رصيف الميناء عند نهاية شارع « ماركيت » ، خاضها فريق من الجنود والبحارة ومشاة البحرية والمتطوعين ، فأنقذوا محطة زوارق التعدية والأحواض والأرصفة ، فاستطاعت الزوارق أن تمضى فى عملها : تنقل إلى المدينة المنكوبة الطعام واللباس والأدوية ، وتخرج منها المصابين والمنكوبين .

ونفرَ سكان المدينة كأنهم جيش فارٌّ مدحور ، وقد اتخذوا المركبات والعربات وعربات الأطفال وكلّ ما تصل إليه أيديهم وسائل لينقذوا أمتعة من بيوت قائمة فى طريق النار ، وكثير مما أنقذوه كان يبعث على الاستغراب . هذا كنار ، وهذه ساعة أو آلة خياطة ، أو صورة أو زهرية . وقد أنقذت أرملة سيف زوجها الراحل . وقد عزم رجل أن لا يدع الذعر يطير عقله ، وكانت النار متأججة فى البيوت المجاورة لبيته ، فتأنّى فى ملبسه وتأنق ، وحلق ذقنه وسرّح شعره ، وحزم أمتعته فى حقيبته . فلما أبعد قليلا عن بيته نبهه أحدهم إلى أنه نسى أن يلبس سراويله !

وضربت معظم الأسر التى احترقت بيوتها خيامها فى حديقة « جولدن جيت » وميدان

« برزيديو » ، وكانت تطبخ طعامها وتنام في العراء . وأتيح لبعض الذين كانوا أسعد حظاً من هؤلاء ، أن يظفروا بخيام ومؤن من الجيش . وقد ولد في ليلة واحدة عشرون طفلا في حديقة «جولدن جيت» .

وطارت في الجو أغرب الإشاعات : أن موجة عارمة طغت على مدينة نيويورك ساعة زلزلت الأرض في سان فرنسسكو ، وأن مدينة شيكاغو قد غابت في بحيرة مشيجن ، وأن الزلزلة قد أطلقت حيوانات حديقة الحيوان فجعلت تفترس المنكوبين في حديقة « جولدن جيت » .

ورُويت روايات فظيعة عن رجال وُجدوا وفي جيوبهم أصابع سيدات ، كأن وقتهم لم يتسع لنزع الخواتم منها ، والحقيقة أن لم يقع حادث قط من حوادث النهب والسلب . وقد قتل اثنان خطأ على الأرجح ، وأطلق بعض الذين أقاموا أنفسهم حراساً على الأمن ، رصاصاً على رجل فقتلوه .

وقد حرص القوم حرصاً شديداً على أن يسرعوا إلى تجديد بناء مدينتهم . ومما روى أن أحدهم احترقت أصابعه من مس القرميد الحامي ، وهو يحاول أن يستخرج الطوب الذي يصلح للبناء من أنقاض داره المتهدمة . وعادت الصحف إلى الظهور ، وعاون ألوف من المتطوعين على تنظيف المدينة ورفع الأنقاض ، وأقام التجار متاجرهم في الخيام والأكواخ أو على قارعة الطريق . وكان شعارهم جميعاً : « دع ذكر الزلزلة ، واصرف حديثك إلى شئون العمل »

على أن أروج الأعمال في المدينة لم يكن بيع الملابس أو ضرورات الحياة ، بل كان بيع البطاقات التي صورت عليها مشاهد النار . وقد بيعت النقود المصهورة والأشياء التي مستها النار وغيرها مما يحفظ للذكرى ، بأثمان غالية .

وكان جانيني قد أنشأ مصرفاً ( بنك إيطاليا ) منذ سنتين ، فحمل مال المصرف وودائعه في عربة وغطاها بالخضر وقطع ٢٠ ميلا إلى سان ماتيو حيث خبأها في بيته ، فكان عمله غاية في الحكمة وبعد النظر ، لأن النار التهمت بناء المصرف . فلما عاد إلى سان فرنسسكو أنشأ لساعته مصرفاً عند رصيف الميناء ، وبدأ يعقد قروضاً ، قبل أن تخمد النار للذين يريدون أن يجددوا بناء بيوتهم . وقد عقد هذه القروض دون ضمان سوى ما يتوسمه في طالب القرض من خلق قويم ، وقد رُدَّت إليه الديون جميعها ، ومصرف جانيني اليوم من أكبر المصارف في الدنيا .

وقد نكب التاجر « رفايل ويل » نكبة شديدة ، فقال متهلل الأسارير : «أنا شيخ ،

ولكننا بنينا سان فرنسسكو من قبل ، وهذا مالى لتجديد بنائها الآن » ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فوهب ٥٠٠٠ ثوب لنساء كن فى حاجة ماسة إليها .

وعينت لجان ، وعهد إليها تنسيق أعمال البر وجمع المال والبناء والنقل . وتقدمت مدن أخرى وأمم أخرى ومجلس الأمة ، والأفراد بمساعدات جزيلة . ثم ثبت أن عدد القتلى كان يسيراً هو ٤٥٢ ، وجرح بضع مئات ، وقدرت خسارة الأملاك بنحو ٥٠٠ مليون ريال ، رُدَّ ١٥ فى المئة منها إلى الزلزال و ٨٥ فى المئة إلى النار ، فقد كانت أفتك نار عرفها الناس ، وأفدح كارثة فى التاريخ . فقد أكلت النار ما مساحته خمسة أميال مربعة من أرض المدينة و ٢٨٠٠٠ بيت ، فصار مئتا ألف من أهل المدينة بغير مأوى .

وقد سار تجديد بناء المدينة سيراً حثيثاً فأعاد القوم تصميم موارد الماء وجددوا بناءها . وفصلوا الموارد التى ينتفع بها الناس عن الموارد التى ينتفع بها فى مكافحة النار . فإذا تقطعت أنابيب المياه فى المستقبل ، بقى للمدينة أنابيب تصلح للمطافىء ، ووضع لها نظام خاص من الصمامات . وأنشئت صهاريج الماء فى مواقع مختارة حول المدينة ، وأقيمت مضخات لرفع الماء من الخليج عند الحاجة ، وعمد أصحاب بعض المبانى إلى بناء صهاريج وإقامة مضخات وحفر آبار عميقة فى أرض مبانيهم .

وقد اضطرت شركات التأمين فى أوربة وأمريكا إلى أخذ مبالغ من مالها الاحتياطى لكى تسدد المبالغ المؤمن عليها عندها ، وقد عجز بعضها عن الوفاء . وكان من أثر الزلزال والنار أن غيرت شركات التأمين نصوص عقود التأمين ، إذ لم يكن بدٌّ من أن تحسب حساباً لكارثة أخرى كمثل هذه الكارثة ، وذلك بأن تحدّد عدد العقود التى تقبلها شركة ما فى منطقة بعينها ، وأن تؤمن فى شركات أخرى لكى تكون الخسارة موزعة عليهم جميعاً .

وبينما كانت النار تلتهم مدينة سان فرنسسكو ، جلس ول إروين . أحد أبنائها فى مكتب صحيفة نيويورك سن فى نيويورك ، ولازمه ثمانية أيام متوالية ، فكتب كتاباً عن هذه الكارثة مستعيناً بنشرات الأخبار وبما يعرفه عن مدينته ، وجعل عنوان بعضه « المدينة البائدة » ، فكان ظفراً صحفياً فى الطبقة الأولى ، وراج الكتاب رواجاً عظيماً . ولم تكد تنقضى ثلاث سنوات حتى صار أهل المدينة يذكرونها مزهوّين فيقولون : « المدينة القائمة » ، فقد تمّ بناء معظمها وصارت فى طريقها إلى مستقبل أزهر من ماضيها الأوّل وأعظم .

شاهد عيان يحدثنا عن آيات من الجرأة والإخلاص فى حياة أمهات الطير والحيوان .

# أمهات الحيوان

أرشيبولد رتيلدج ،
مختصرة من مجلة " الحقل والجدول "

كان من عادتى إذا جاء زمن الفيضان وطغى نهر « سانتى » الذى يمرّ بأرضى فى كارولينا الجنوبية ، أن أقضى وقتاً طويلاً على ظهر الماء أستنقذ ما عندى من الماشية وحيوان الصيد من غائلة الخطر . وفى إحدى هذه الرحلات رأيت بعينى مالم أرَ مثله قط ، من سلوك أمٍّ من أرقّ أمهات الحيوان خلقاً ، وأبشعها منظراً .

كانت خنزيرة بريّة مشطوبة الظهر ، خلقت كأنها ضبع ضخمة ، ولها خَطْم طويل محدّد الطرف ، فما تكاد تراها حتى تشعر بأنها حيوان شديد الضراوة . كنت فى قاربى حين رأيتها حبيسة على جذع ضخم من الخشب قد علق بفرع متدلٍّ من شجرة بلوط ، وقد اكتنفتها من جوانبها تسعة خنانيص صغار من أولادها . ولاشك فى أنها كانت تعلم علماً ليس بالظنّ أن الماء الطامى لن يلبث حتى يكتسح الجذْع الذى اعتصمت به . وكان من السهل عليها أن تنجو بنفسها ، فالخنازير البرية المشطوبة الظهر تستطيع أن تسبح أميالاً ، بيد أنها أبت أن تدع أولادها على مَدْرجة الهلاك .

وكان فى وسط الماء ربوة قائمة على بعد نصف ميل ، فجعلت ترمقها ببصرها كأنها تقدّر ما فى السباحة إليها من المكاره والأخطار . فلما استقر عزمها ، أرسلت صوتاً تهدىء به روع صغارها ، وأقبلت إليهن ودارت عليهن بخَطْمها حتى حشدتهن معاً على ظهر الجذع . ثم ألقت بنفسها فى الماء وأخذت تسبح لتريهن أن السباحة أمر سهل ، ثم عادت أدراجها وصعدت على الجذع ، وما لبثت أن أرسلت صوتاً حنوناً تثبّتت به قلوبهن ، ثم قادت صغارها على حذر حتى انغمسن فى الماء . فلما تفقدتهن ببصرها واستيقنت أنهن جميعاً معها ، سبحت على مهل مولّية وجهها شطر الربوة ، حريصة عليهن أن يكنّ قريباً منها على كلا جانبيها ، لتشق لهن طريقاً سهلا فى تيار الماء . فلو رأيت هذه المخلوقة البشعة المنظر وهى

تحنو على صغارها وتحوطها حتى تبلغ بها مأمنها لراعك ماترى من حسن تدبيرها .

بينما كنت أتتبع أثر ظبية وخشفها ( ولدها ) ، إذا بي أقف على قصة مكتوبة بلغة مواطىء الأقدام، وإذا هي تدل على ما في قلوب أمهات الحيوان البرىّ من شجاعة . فقد لقيت هذه الظبية حيّة فتاكة كانت خليقة أن تفتك بصغيرها ، بيد أنها استجمعت كل قواها وضمت حوافرها الأربعة حتى صارت كأنها مجموعة من رماح مُشرَعة وانقضّت تثب على الحية مرة بعد مرة حتى مزقتها إرْباً إرْباً .

رأيت مرة سنجاباً صغيراً في قعر مستنقع وقد وقف على غصن غضّ يقضمُ ما عليه من نُوّار ، وكان بين هذا الشق الصغير وبين الشجرة التي سمعت أمّه تناديه من عندها ، نحو ثلاثين قدماً . وعلى حين غرّة رأيت بومة تلقى بنفسها قاصدة قصد السنجاب الصغير، فصرخت الأم المفزّعة صرخة حادة، فما هو إلا كلمح البصر حتى رأيت الصغير ينقلب متعلقاً بالغصن كهيئة اللاعب المتقلب على عمود العُقْلة . وما كاد يفعل حتى مرَقت البومة منقضة على المكان الذى كانت فيه فريستها . وسبق الصغير عودتها إليه، إذ كان قد انطلق كالبرق الخاطف إلى بيت أمه التي أنجته بيقظتها وانتباهتها .

ورأيت مرّة أخرى أنثى سنجاب تثب من فنن عالٍ إلى فنن قريب منه ووقفت تنتظر وليدها أن يتبعها ، فلما همّ بأن يثب أحجم ، فقد رأى ما بين الفننين كالهوّة الواسعة . وماهو إلا قليل حتى جمع قواه ووثب، فسقط على طرَف فنن رقيق لا يحمل ثقله . فانطلقت أمه من مكانها كالسهم واحتضنته ، وكذلك وقَتْ صغيرها المترنح أن يسقط على الأرض فيهلك .

كلنا يعلم أن من عادة أمهات القطط إذا فاجأها خطر ، أن تحمل صغارها بين أسنانها وتفرّ بها حتى تصير بمنجاة منه ، بيد أني رأيت طائراً يفعل كفعلها . فقد عثرت مرّة على أنثى طير من الطير المسمى بدجاجة الأرض ، فلبثت أرقبها يوماً بعد يوم وهي جاثمة على بيضاتها الخمس ، فلما انشق البيض عن فراخها ، خرجت كأنها كراتٌ عليها زَغبٌ ، لها بطون عظيمة وعيون سودٌ ساكنة الطرف ، فمن رأى رزانتها وسكونها وتجهُّم وجهها، ظنها قضاة في مجلس القضاء . فدنوت ذات يوم من العش ، ففزعت الأم وضمت أحد صغارها

بين قائمتيهـا ، وطارت به حتى غابت عن نظرى ، ثم عادت . وبقيت أرقبها حتى حملت فراخها جميعاً إلى مأمنها بهذه الطريقة .

تقضى ذكور الحيوان فى البَرّ كل أوقاتها فى صيد أو قتال أو كسل، أما إناثها العاملات المجاهدات فهى التى تعلم الصغار كيف تكون الطاعة التى لاغنى عنها فى المحافظة على الحياة.

خرجت يوماً فى شهر يونيه ، فبينما أنا أجتاز أحد المروج إذا بى أسمع صرخة فزع أرسلتها إحدى إناث طيور الشُّمانى (السمان)، ومالبثت أن رأيتها تحاول أن تجتذب بصرى إليهـا متظاهرة بأنها قد أصيبت بجراح . وما هو إلا أن لحتُ فراخاً لها صغيرة لايزيد عمرها على يوم واحد ، ورأيتها تبذل غاية جهدها فى طاعة أمها وما تأمرها به ، وإذا كل واحد منها يحاول رابط الجأش أن يخفى نفسه ، فزحف بعضها واستخفى فى جوف الأعشـاب ، وجلس اثنان منها على العشب كأنهما حجران ثابتان ، وهما ينظران بعيون لامعة المقلة لايطرف لها جفن. فرفعت أحدهما فى يدى ، فإذا هو يحاول أن يستقرّ فى مكانه ويستخفى جهده فى راحة يدى . وظللت أنظر فى ساعتى، فإذا أمّـهن تقضى ١٢ دقيقة كاملة وهى ترسل صوتها لتحذّر صغارها ، وإذا الصغار ساكنة فى أماكنها لاتتحرك . وأخيراً رأيت أن أرفع عن هذه الأسرة ماألقيت عليها من الفزع والمخافة ، فوليت منصرفاً عنها ، ولـكننى على يقين من أنى لو بقيت لظلت حريصةً على طاعتها وإذعانها إلى أجل غير مسمى .

خرجت ذات صباح فمررت قريبـاً من مكمن ظبية ففزعت وأجفلت ، فوقفت ساكناً ،فإذا هى لم ترنى ولم تستروح رائحتى، ولـكنها وقفت ترتجف من الذُّعر ، فقـد كان معها خشفها الصغير وهو يذهب ويجىء مترنحاً من ضعف قوائمه الدِّقاق . وكانت الظبية تدرك أن خير وسيلة للاستخفاء هو أن تُميتَ الصوت وتبقى ساكنة بلا حراك ، بيد أن خِشْفها كان جاهلا غرًّا لم يعرف هذه الوسيلة بعد ، فطفق يرتع ويلعب حولها حتى ضاقت به ، فرفعت سـاقها الرقيقة ، ووضعتها على ظهره وأمسكته بقوة وأنامته على العشب وكأنها تقول له :

« ينبغى أن تنام سـاكناً يابنى ، حتى تنجلى عنّـا غاشية هذا الخطر » .

تظل الفراريج الرومية شهراً بعدخروجها من البيض ، وهى عاجزة عن الطـيران ، فتبقى أمهاتها معها على الأرض ملازمة لها ، وتقضى يومها كله وهى تقود صغـارها فى

حوف الغابة حريصة على سلامتها . فترى لأم أحياناً واقفة كأنها تمثال قائم ، وكأنها حارس رائع المنظر لا يمسّه نصب ولا كلال ، قد أرهف سمعه إلى حسّ ثعلب أو هرٍّ وحشى أو ابن عُرس ، والصغار قد ذهبت مذاهبها فى التماس أقواتها .

وفى عشية يوم من شهر مايو وقفت على مثل هذه الأسرة وهى فى مرتعها ، إذ كنت قد دنوت من شجرة فسمعت زُقاء أرسله فرخ رقيق الصوت — والزقاء هو النغم العذب اللطيف الذى يصدر عن صغار الديكة الرومية. فلما زحفت دانياً من مكانه ، رأيت أماً قد بدأت تدرّب صغارها على الطيران حتى تتخذ مجاثمها فوق الشجر . وكانت هى وثلاثة من صغارها لا يزالون على الأرض ، أما الباقون فكانوا فى مجثمهم على الشجرة ، غير أن بعضها كان واقفاً على فنن لا يرتفع عن الأرض أكثر من ثلاث أقدام . ورأيت أيضاً فرخاً من فراخها الزُّغب قد وقف على شجيرة ملتفة وهى تميل به يمنة ويسرة . وكانت الفراخ على الأغصان واقفة تضطرب ، فصوّبت أبصارها إلى الأرض متسائلة ، وجعلت تفصح عن مخاوفها بألحان رقيقة من حلوقها ، وإذا واحد منها لم يتماسك فى موقفه وهوى على الأرض . فانطلقت الأم تنذر الضعاف منها ، ثم طارت إلى غصن دانٍ وأرسلت صوتاً تقوّى به عزائمها ، فرفرف أحد الوقوف على الأرض بجناحيه وطار إلى رأس شجيرة ، ثم عاد فطار إلى حيث كانت أمه . واستطاع الباقون أن يحملوا أنفسهم إلى ارتفاع سبع أقدام .

فاجتمعت الفراخ السبعة عشر على الغصن مع أمها ، وحاول كل منها أن ينضوى إلى جنبها . ثم حدث ما يروع الناظر ، فقد نشرت الأم جناحيها كأرحب ما تستطيع حتى يجدوا جميعاً فى ظل جناحيها أمنهم وراحتهم. فقلت لنفسى : فى مثل هذه البرية أجد قلوباً على فطرتها قد أفعمتها الأمومة بالحب والحنان، فهذه أم تهدّد أخطارُ الليل صغارَها، فهى تحرص بادىء ذى بدء على أن تستنقذهم من مجال الخطر الذى يترصّدهم على الأرض. ثم لما رأت أنه يستحيل على جماعة الصغار أن تحتشد جميعاً فتجد الدفء فى حِضْنها ، بسطت عليها جناحين لا يمسّهما كلال، ونشرتهما ما استطاعت ليكونا لصغارها حصناً وملاذاً .

فلو أنت مددت يداً رفيقة حَذِرة وأزحت تلك الغلالة الرقيقة التى تفصل ما بين حياة البشر وحياة الحيوان ، لكنت خليقاً أن ترى ضروباً متشابهة من الحنان والبسالة والجمال ، وأروع ما تراه هو تفانى الأمهات فى حياطة صغارهنّ ودفع الأذى عنها .

# امتحن معارفك الصحية

للدكتور تشارلز فردريك ماكيفجان
مختصرة من مجلة "بترهومز آند جاردنز"

أى حد بلغت فى مسايرتك للتقدم الحديث فى علم الصحة ، وفى معرفة مشكلاته التى لم تحلّ بعدُ ؟ هذا امتحان عرض على زائر صحى وممرضة وطبيب ، فتفاوتت درجاتهم بين ٧٦ و ٩٢ فى المئة . فإذا أجبت عنها وكانت درجة نجاحك ٧٠ فى المئة فقد أحسنت . ومهما يكن ، فعلى قدر قلّة درجتك يزداد ما تتعلمه من الحقائق الصحية التى كنت تجهلها بعد أن تراجع هذه الأسئلة وأجوبتها الصحيحة .

١ : فى الوسع أن يحصّن جسم المرء تحصيناً موفقاً من جميع الأمراض التالية ما عدا واحداً منها . فما هو ؟

الجدرى ... ... ... ... الجديرى
التيفود ... ... ... ... الدفتريا

٢ : أى الأمراض فى مصر يحدث من الوفيات خلال السنتين الأوليين من العمر ، أكثر مما تحدثه الحصبة والدفتريا وشلل الأطفال مجتمعة ، فى نفس الفترة من الزمن ؟

السعال الديكى ... ... إسهال الأطفال
الأنفلونزا ... ... ... التيفود

٣ : إن البنسلين، ذلك العقار العجيب، يعدُّ :
« ا » أعظم مكتشفات مصلحة الصحة العامة الأمريكية .
«ب» اكتشاف السير ألكسندر فلمنج العالم البريطانى .
« ج» فرعاً من فروع صناعة الأسبرين .

٤ : أى مرض من الأمراض التالية لا ينتقل من شخص إلى آخر ؟

السرطان ... ... ... تفلطح القدم
الجرب ... ... ... النكاف الوبائى

٥ : الملاريا والحمى الصفراء والجدرى وحمى التيفود ، تشترك جميعاً فى خاصّة واحدة من الخواصّ التالية :
« ا » كلها تنشأ عن لسع حشرة .
«ب» كلها أمراض مميتة دائماً .
« ج» كلها يمكن توقيها .

٦ : أفتك الأمراض اليوم بالنساء بين الخامسة والثلاثين والخامسة والخمسين هو :

التهاب الكليتين ... ... النزف المخى
السرطان ... ... الحوادث العارضة

٧ : يقول الأطباء إن الكساح سببه :

قلة النوم ... ... نقص فيتامين د
ميكروب مجهول ... ... ... الوراثة

٨ : أى الأمراض التالية يقتل من أطفال المدارس فى مصر أكثر من أى مرض سواه ؟

الحمى الروماتزمية ... التهاب الزائدة

التهاب غشاء الرئة ... الحمى المتموّجة

٩ : دلّ البحث العلمى على أن أهمّ مصدر للسلّ هو :

« ا » مخالطة المصابين من البشر .

« ب » اللبن الملوّث بجراثيم السلّ .

« ج » قلة الرياضة .

١٠ : يتولى الجيش المصرى تحصين رجاله ضد خمسة أمراض على الأقل ، فهل تستطيع أن تسمى ثلاثة منها ؟

١١ : اقرن كل اسم من أسماء العظماء التالية أسماؤهم :

١ ـ لويس باستور ٣ ـ مدام كورى

٢ ـ بيلا شيك ٤ ـ ولم رونتجن

بأحد الفتوح الطبية التالية .

« ا » اكتشاف الراديوم .

« ب » الوقاية من الكلب .

« ج » اكتشاف الأشعة السينية .

« د » اكتشاف اختبار يحدد مناعة المرء على الدفتريا .

## أصح أم باطل ؟

١٢ : إذا طال الهمّ ، أفضى إلى تقرّح المعدة أو ساعد عليه .

١٣ : المصدر الطبيعى الوحيد للفيتامينات هو موادّ الطعام .

١٤ : لايوجد ميكروب الكزاز (التتانوس) إلا حيث يوجد الصدأ .

١٥ : العظم هو أصلب مادة فى الجسم .

١٦ : تنتقل حمى التيفود بواسطة اللبن الملوّث والماء الملوّث بجراثيمهما .

١٧ : إن السنّ التى تحافظ على نظافتها لا تسوّس .

١٨ : عدد المصابين بعمى الألوان من النساء أكبر من عدد الرجال .

١٩ : شلل الأطفال لا يصيب الرجال .

[ الأجوبة الصحيحة فى ص ١٠٦ ]

قدر لكل جواب صحيح عن الأسئلة ١ـ٩ ست درجات ، ودرجتين لكلٍّ من أجزاء السؤال العاشر ، وأربع درجات لكل جواب صحيح عن الأجزاء الأربعة فى السؤال الحادى عشر ، وثلاث درجات لكل جواب صحيح عن الأسئلة ١٢ — ١٩

# محامي الدّفاع

مارى ريمون شيبان أندروز

مختصرة من كتاب "محامى الدفاع"

هذه القصة منذ سنوات عديدة قص رجل هرم جداً ، وكان شيخاً جليلاً مديدَ القامة معتدلها ، براق العينين ذا سمت يفطن إليه أقل الناس ملاحظة . وكان قد التقى برفيقه عرضاً ، وهو أمريكى ، فى فندق ببرمودة ، فجعلا يتحدثان .

وكان الشيخ الهرم يتحدث عن حوادث ورحلات ومغامرات ، ولكنه كان يتحمس لصناعته خاصة ، وهى القانون . وكانت عيناه السوداوان تومضان حين يذكر عظماء رجال القانون .

« هراء ... » ودقت يد العالم الكبيرة النحيلة ذراع الكرسى : « ذلك القول بأن القانون يجعل الناس ذوى كزازة وشح ، وأن المحامين إنما وجدوا ليجعلوا عيونهم على جيوب زبائنهم . وأنا رجل هرم جداً ، وقد رأيت أعمالا حميدة قام بها أطباء وقسيسون ، ولكن من خير ما أعرف هو مافعله محام فى أثناء القيام بمهام صناعته » .

ثم راح يروى الخبر :

وقف رئيس اللجنة الإقليمية عند باب المكتب المفتوح ، وكان المرشح لمجلس الأمة مكباً على رسالة . وجعل الرئيس وهو ينتظر ، يتأمل على مهل ذلك الوجه المقطب العاكف على الرقعة ، وكأنه هامة من جبل صخرى ، منيع ، موحش ، كالح ، غير أنه جميل بما يتفتح فيه من مونق الزهر .

وطوى المرشح الرسالة ودار فى كرسيه :

« آسف ياتوم لأنى تركتك تنتظر ، وقد كنت أحاول أن أهتدى إلى طريقة يستطيع الرجل بها أن يكون فى مكانين فى وقت واحد . ويبدو لى أنى لن أستطيع إلقاء خطبتى هنا يوم الجمعة » .

« لاتستطيع إلقاء خطبتك ! إنك لاشك تمزح » .

فهز الرجل الجالس على الكرسى رأسه : « كلا » ، ونهض وجعل يتمشى فى الغرفة بخطوات طويلة بطيئة ، وكان الرئيس يتبعه بالاعتراض :

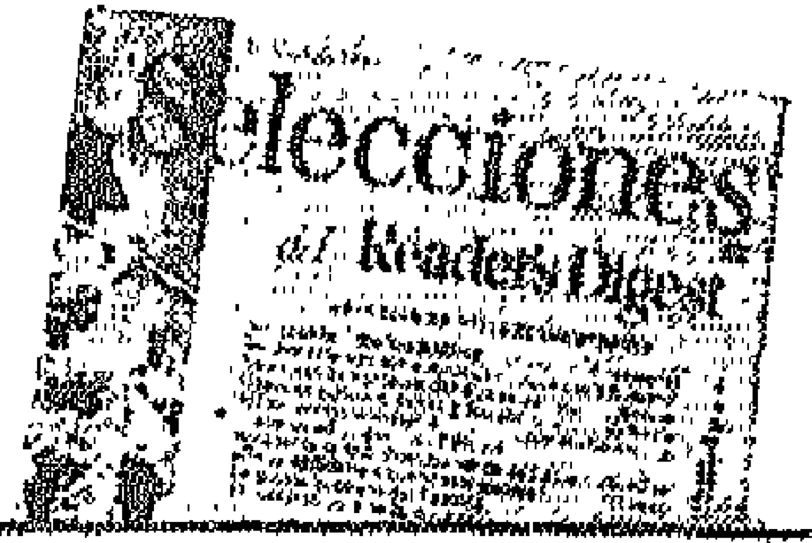
« إنك لتعلم أن كارترايت قد يهزمنا ، وليس من الحكمة تضييع فرصة — موعد الانتخابات قريب جداً » .

فوقف الرجل الضخم ، وارتسمت على فمه الكبير ابتسامة غريبة التمعت بها عيناه الحادّتان النافذتان .

# كلمة سامية

## لحضرة صاحب الجلالة عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية

« يسرّنا أن تحمل المجلات الحديثة ، ومن أمهاتها "المختار" رسالة الفكر الحديث والتعليم الأممية ، وأن تمكن للناس في القربى ، لا قربى النسب بل قربى الثقافة والعلم والأدب ، وهي أبهج وأجمع قربى ، وإن في هذا تثقيفاً وتأليفاً ينتفع به الشرق العربي لما يحمل من كنوز القرائح ومثل الحياة العليا ومن مسرة النفس ولذة العقل . »




**الإسبانية :** « سيلكيونس دل ريدرز دايجست »

( توزع في جمهوريات أمريكا اللاتينية الإحدى والعشرين )

أظنُّ أني نفذت إلى سر « سيلكيونس » ، فهذه المجلة تعرف كيف تجمع جماً ميسَّراً جميع حوادث العالم الذى نعيش فيه . وأرى ببصيرتى ، القارىء الوسط من الناس وقد عاد إلى بيته من عمل يومه ، فأضاء المصباح وجلس إلى مكتبه ليجنى كلَّ ما يستطيع أن يجنيه من هذه الموسوعة الصغيرة النفيسة . [ توماس ده لاكروز ، هافانا ، كوبا ]




**البرتغالية :** « سيلكويز دو ريدرز دايجست »

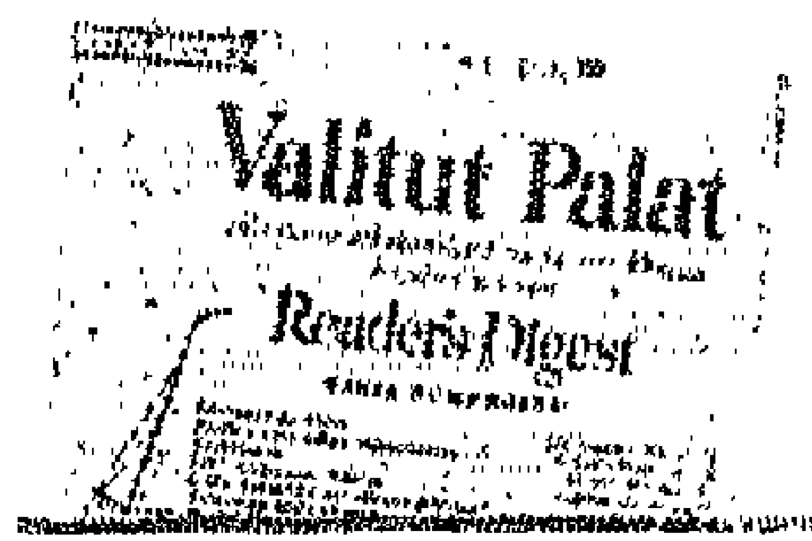
( توزع في البرازيل وفي البرتغال والمستعمرات البرتغالية في آسية وإفريقية )

في صفحات سيلكويز نشدُّ رحالنا إلى جميع أقطار الأرض ، ونحسُّ بوقع كثير من حوادث العالم في نفوسنا ، وهى حوادث لها صلة وثيقة بشعبنا بل بالإنسانية جميعاً وإن لم تحدث في بلدنا . [ لوثيا موباهاس ريوده جانيرو ، برازيل ]




**السويدية :** « دت باستا اور ريدرز دايجست » ( توزع في السويد )

نحن الرجال والنساء الذين يقطنون أربعة أقطار المعمورة تتاح لنا فرصة عظيمة كلَّ شهر لنشبع جوعنا الفكرى ونطفىء ظمأنا العقلى بثمار مقطوفة من شجرة المعرفة الحديثة ، تعرضها علينا عرضاً مشهياً ميسراً هذه المجلة وشقيقاتها في سائر اللغات . وهذا الغذاء يعيننا على النشاط الوافر ويحرّك عنايتنا بذخائر العقل الإنسانى . [ هـ . الدن ، استوكهلم ، السويد ]

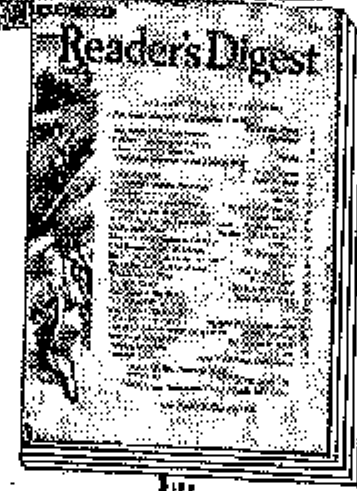



**الفنلندية :** « ڤاليتوت پالات ريدرز دايجست » ( توزع في فنلندة )

يسعدنى أن أرى هذه المجلة تطبع باللغة الفنلندية لأنها تتيح لأبناء وطنى فرصة للاستمتاع بمقالاتها النفيسة المختارة من صحف بلاد كثيرة . ومن عجيب أمرها أن طالب المدرسة والأستاذ ، وبائعة المخزن والحطاب ، والمريض والرياضى العظيم ، تلقوها جميعاً بالحماسة والإعجاب .

[ ألفار ڤيلسكا ، هلسنكى ، فنلندة ]

تتقابل هذه الملايين كل شهر
وذلك لتبادل الآراء كما لو
كانت على ميعاد



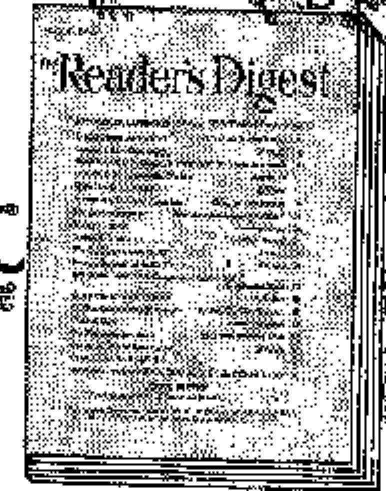


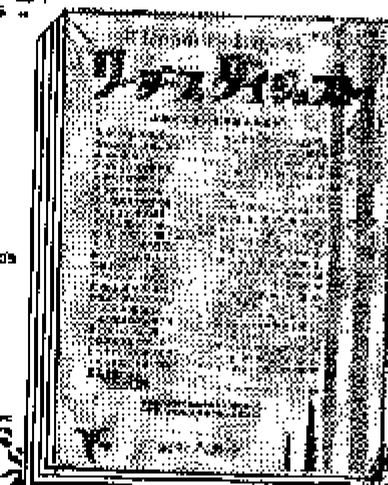








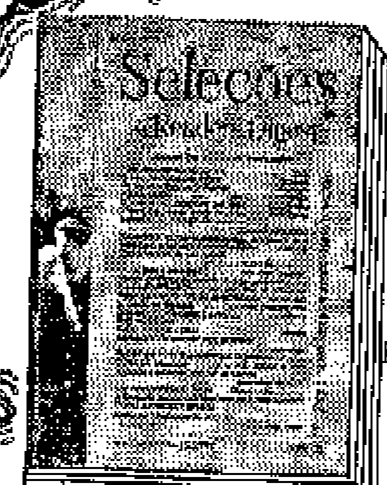


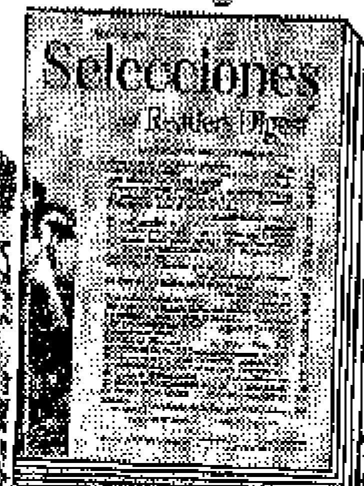



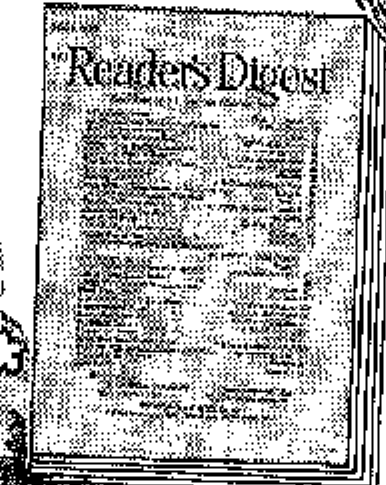








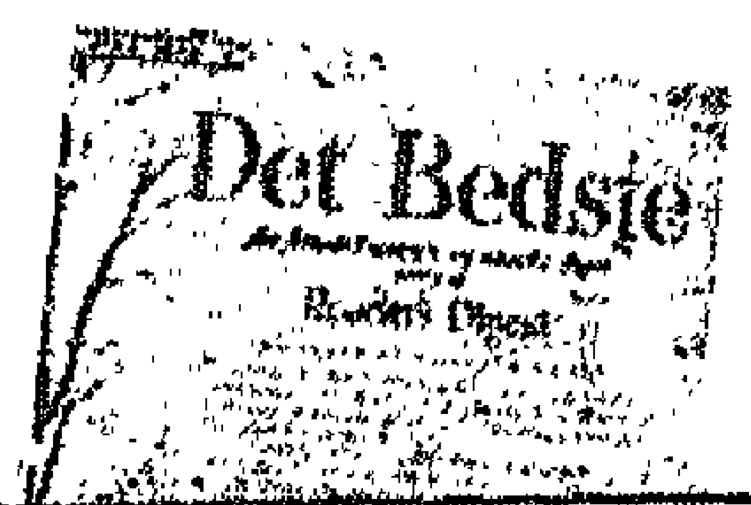




كندا
الولايات المتحدة الامريكية
امريكا الوسطى
البرازيل
امريكا الجنوبية
فنلندا
السويد
بريطانيا العظمى
الدانيمارك
البرتغال
العالم العربي
غرب افريقيا البرتغالية
شرق افريقيا البرتغالية
الهند
الصين
اليابان
استراليا

## كلمة
## حضرة صاحب السعادة
## عبد الرحمن عزام باشا
## الأمين العام للجامعة العربية

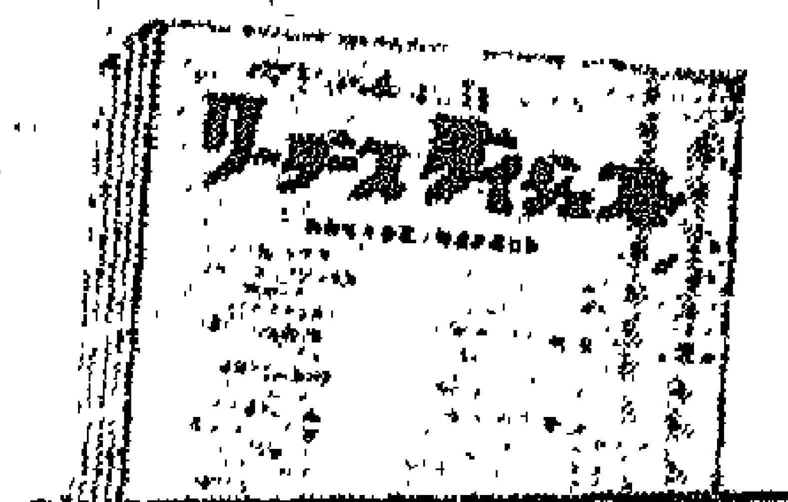
« فى سورة النهضة العربية التى تغمرنا اليوم ، وتدفعنا إلى بناء حياتنا الجديدة على ركنين من وحى تاريخنا، وتمثّل خير ما نجده فى حياة الغرب، أجد فى «المختار» وسيلة نافعة لتثقيف العقول وشحذ الهمم . فهى تيسّر للشباب ورود مناهل العلم والعمل الصادق النافع . فمن الخير أن يقبلوا عليها . ويسرّنى أنها بدأت تعنى بتعريف الشرق العربى إلى الغرب ، موثقة أواصر التعاون الفكرى بيننا وبينهم . فبغير هذا التعارف بين الشعوب لا تقوم للسلام والحضارة قائمة ، وقديماً قال على بن أبى طالب ,, الناس أعداء ما جهلوا ,, »




**الدنمركية :** « دت بيدست فرا ريدرز دايجست » « توزع فى الدنمرك »

فى عصرنا هذا يسير التطور الروحى والفنى والسياسى سيراً حثيثاً ، وترى الصلات بين الأمم تتحوّل تحولا سريعاً ، حتى لتجد الرجل من أوساط الناس لا يسعه أن يطلع إلا على أيسر قدر من أخبارها . فلذلك أرى أن المختصرات التى تنشرها ده بيدست منتقاة من مجلات العالم ، هى مختصرات نافعة وتبين للقارئ أصول الحوادث الجارية ونشأتها . ثم إنها تتيح له ذخيرة من المعارف العامة يشق عليه أن يجمعها بنفسه .

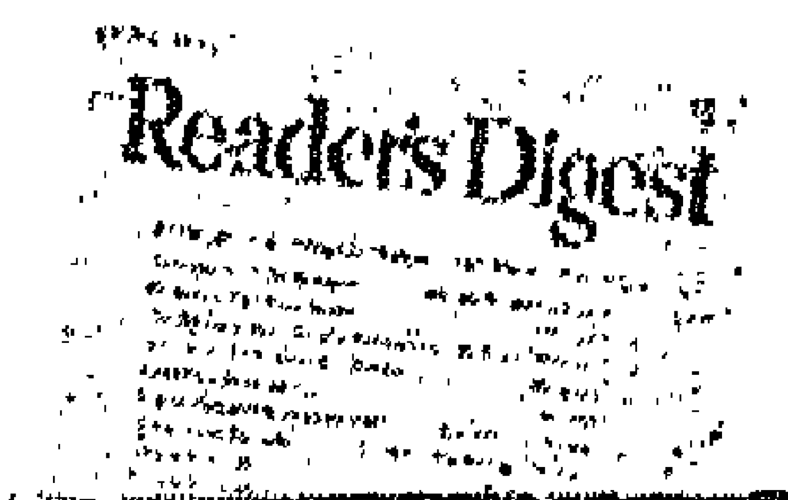
[ لك فيشر ، كوبنهاجن ، الدنمرك ]



**اليابانية :** ( توزع فى اليابان )

عرتنى النشوة بعد مطالعة مجلتكم الممتازة ، لأنى أنا اليابانى أستطيع اليوم أن أقرأ الأدب العالمى، وإن « نافذتكم المطلة على العالم » لضرورية لتعزيز انبعاث اليابان . فهذه مجلة لا تجد فيها نفاية ، كلّ مقال فيها يصبح قطعة من حياتك . فأنا أشكر لكم الفرصة التى أتحتموها لى لكى أتثقف بثقافة العالم .

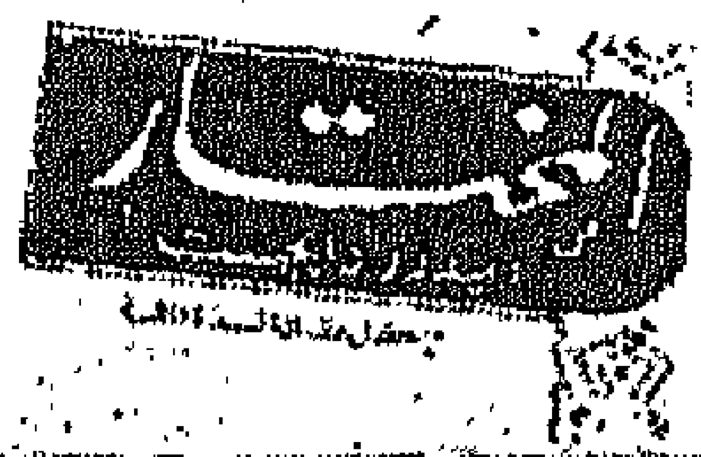
[ تورايشى سيما كاوا ، طوكيو ، اليابان ]




**الإنجليزية :** « ريدرز دايجست » ( توزع فى أمريكا الشمالية واستراليا وبريطانيا والهند )

كان دخول ريدرز دايجست بريطانيا باعثاً عظيماً من بواعث غبطتى ، فهى تمكن ملايين من الناس ، ولا سيما الصغار ، أن يطلعوا على ما تفعله الأمم الأخرى وما يدور فى أذهان أهلها . وإنى لأتمنى أن يظلّ كلّ عدد منها ينتقل من يد إلى أخرى حتى يبلى غلافه . . . ثم أن يظلّ ينتقل

[ ج . ر . روبرتسون سكوت ، لندن ، انجلترا ]




**العربية :** « المختار من ريدرز دايجست » ( توزع فى البلاد العربية )

من العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب وافٍ من هذه المائدة العالمية المشتهاة . . . واشتراك الملايين فى نوع واحد من القراءة هو نفسه قرابة ذهنية تساعد على التفاهم وتقريب الأفكار ، وتقرر القواعد التى يقوم عليها اشتراك النظر والاهتمام ؛ كأنما هؤلاء الملايين على موعد واحد كلّ شهر للقاء والمحادثة . . . وهذه هى الألفة الذهنية التى تمكن ، حيناً بعد حين ، بالتعوّد الذى لا عناء فيه .

[ عباس محمود العقاد ، القاهرة ، مصر ]

( م الرغائب بمصر )

وقال : « لا أستطيع أن أفضى إليك بالسبب . وأوثر أن لا تسألنى عنه ، ولكنى لا أستطيع أن ألقى تلك الخطبة هنا يوم الجمعة » ، وانتهى الأمر بهذا .

وفى صباح الجمعة ، عند مطلع الشمس ، كان المرشح الجديد القامة يخترق الشوارع الساكنة فى المدينة الغربية قبل أن يخرج من يبكرون فى القيام. وكان راجلاً فما عتّم أن خرج إلى الأرض المكشوفة يقطعها بسرعة ، وماوافت الساعة التاسعة حتى كان قد دخل بلدة فى الريف، على مسافة عشرين ميلاً من حيث بدأ .

وكان باب المحكمة مفتوحاً على مصراعيه لاستقبال الصباح الضاحى، وجلستها منعقدة والقاعة غاصة ، فدخل المرشح لمجلس الأمة دون أن يفطن إليه أحد وقعد فى آخر صف وكانت القاعة من الداخل ساذجة ، وجدرانها بيضاء وخشبها غير مدهون ، ومقاعدها من خشب ، وأدار المرشح فيما حوله عيناً كأنها ألفت هذا المنظر . وكانت المحكمة تنظر فى قضية سرقة ، فأرهف أذنيه وبدا عليه كأنه يدرس القاضى والمحامين، ولم تفته كلمة مما كان يعقب به الجالسون بقربه ، وانتهت القضية . ثم نهض المدعى وقدم قضية جون ويلسون متهماً بالقتل .

فسرت فى القاعة حركة ، وظهر فى مدخلها مأمور الضبط يقود صبياً فى الخامسة عشرة من العمر ، فى ثياب رثة من صنع البيت ، وبين كتفيه رأس وضاء أحمر الشعر ، وكان شاحب اللون مذعوراً ، وكانت عيناه على الأرض. وواجه القاضى، وهو شاب، هذا المتهم ، وعهل مشفقاً ، ثم عالج أعصابه فشدها .

وسأل : « ألك محام ؟ »

فهز الصبى رأسه الذهبى المنفوش الشعر: « كلا . . . لا أعرف أحداً . . . ولا مال لى أدفعه »

« هل تحب أن تعين لك المحكمة محامياً ؟ »

وسمع فى سكون القاعة صوت حذاء يحك البلاط ، ونهض الرجل الجالس فى الصف الأخير ، وتقدم ووقف أمام القاضى .

وقال : « إنى ياصاحب السعادة محام . ويسرنى أن أكون محامى الدفاع » .

ونظر القاضى هنيهة إلى هذا الرجل الفارع الطول المتراخى الأوصال .

وسأله : « ما اسمك ؟ »

فأجاب فى هدوء : «أبراهام لنكولن» ،

وألقى بعضهم هنا وهناك نظرة أخرى على المحامى الضخم ، فإن هذا هو المرشح لمجلس الأمة ، وكان هذا كل ما دار بأخلادهم . وما كان أحد من فلاحى الحدود أو أهل الريف الذين يلبسون مايصنعون فى دورهم ،

أو النساء اللواتى يرتدين العبك وقبعـات الشمس — ما كان أحد من هؤلاء الذين سمعوا الاسم، يحلم بأنه سيكون له مكان رفيع فى التاريخ .

وأجاب القـاضى : « إنى أعرف اسمك يامستر لنكولن ، وإنه ليسرنى أن أعينك لتولى الدفاع عن السجين » .

وأخذ المحلفون أماكنهم ، وأدار لنكولن عينيـه العميقتين الفاحصتين فيهم واحداً بعد واحد، ولكنه لم يردّ أحداً منهم، وبدأ المتفرجون ينظرون إليه بصبر نافد ، وكان الشعور ضدّ السجين ، ولكنهم كانوا يودّون أن يروا شيئاً من الكفاح عنه .

وبدأ المدعى عرض القضية باسم الشعب ، وقص بإيجاز قصة القتل . وقال إن السجين كان يعمل فى مزرعةمن يدعى أموس بيرى فى الخريف السابق من عام ١٨٤٥ ، وكان فى المزرعة رجل إرلندى اسمه شونسى ، وكان يطيب له أن يتسلى بمعابثـة الصبى ومضايقتـه ، فكرهه الغلام . وفى الثامن والعشرين من أكتوبر كان الغلام يسوق مركبة موقرة بالدريس إلى الضيعة المجاورة ، فالتقى عند بوابة المخازن بشونسى ومعه أموس بيرى ورجلان آخران ، وطلب الفتى من أموس أن يفتح البوابة ، وهمّ أموس أن يفعل وإذا بشونسى يتكلم ، ويقول إن الغلام كسول ، وأنه ينبغى أن يترجل ويفتح البوابة بيده ، ونزعَ الإرلنـدى المِذْرَى التى كانت مع الغلام ووخزه بها وأمره أن ينزل ، فوثب الغلام مندفعاً ، واسـترد المِذْرَى وألقى بنفسه على الإرلندى وطعنه ، فانغرزت سن المذرى فى جمجمته فمات بعد ساعة . هذه هى القصة .

وكانت ساعة الغداء قد وافت ، فرفعت الجلسة ، وعبر القاضى والمحامون الشارع إلى المطعم .

ولكن أحد المحامين اختفى ، ولم ير أحد ذلك الرجل الضخم وهو يمشى فى الطريق الظليل مع امرأة هزيلة ذاوية فى ثياب بالية، كانت تجلس فى ركن مظلم من قاعة المحكمة وتذرف الدمع فى صمت .

« هذه أم السجين »، قالتها امرأة بصوت خفيض حين أعيدت الجلسة وأجلسها محامى المتهم برفق وعناية قبل أن يتقدم إلى مكانه .

ودعا المدعى شهود العيان وألقى عليهم الأسئلة ، فشهدوا بتفاصيل الجريمة ، وبدا كأنما لاشك فى إدانة المجرم ، وكان متقبضاً منطوياً على نفسه ، ووجهه ممتقع من عناء الشهر الذى قضاه فى السجن، وقد استولى عليه اليأس — قاتل وماجاوز الخامسة عشرة .

وتقدم النهار، وصار صوت المدعى الأخَنّ يعلو ويهبط وهو يسأل الشهود ، غير أن

المحامى الضخم الجالس هناك لم يبد اعتراضاً واحداً حتى على أقوال ضارة جداً بالمتهم، وكان يفحص وجوه القاضى والمحلفين، وكأنه يدرس شخصية كل رجل. وأخيراً قال المدعى: «انتهينا من الموضوع»، ورفعت الجلسة للعشاء.

وكان الرأى السائد أن الفتى مقضى عليه، وأنه ما من محام ولو كان لوذعياً يستطيع أن ينقذه بعد شهادات كهذه. وكان الرأى أيضاً أن هذا الرجل الضخم العملاق لا يمكن أن يكون محامياً قديراً، وإلا لاستطاع أن يصنع شيئاً لموكله قبل أن يبلغ الأمر هذا المبلغ. وكان الشعور العام يؤيد الحكم على الفتى، فإن ارتكاب جريمة القتل فى سن الخامسة عشرة، يدل على فساد يحسن إخلاء الدنيا منه.

وأعيدت الجلسة فى منتصف الساعة الثامنة، ولم يكن ثم مقعد واحد خالياً، وجلست المرأة النحيفة فى ثوبها الرخيص الرث عند المنصة فى هذه المرة وقرب ابنها. ودخل القاضى، ثم نهض ابرهام لنكولن ومشى على مهل بين الصفوف الصامتة، ووضع يداً كبيرة على كتف السجين النحيلة، فاضطرب الفتى وخاف. فحنى لنكولن قامته المديدة وقال: «لا تخف يابنى» قالها بصوت خافت، ولكن كل امرىء سمع كل كلمة: «سأخرجك من هذا المأزق، فحاول أن تتشجع من أجل أمك».

ونظر الفتى إلى أمه الرثيثة الحال، فقابلت نظرته بابتسامة متكلفة، فحاول أن يبتسم لها، ورأى الجمهور الجهد الذى بذله كل منهما فى سبيل الآخر، ورآه القاضى، والمحلفون، وأخذته عينا لنكولن الحادتان اللتان ترقبان كل شىء من تحت حاجبيهما الكثين، ولمح اختلاجة رحمة فى أكثر من وجه واحد. فنزع سترته وطواها على ظهر كرسيه ووقف فى قميصه.

وبدأ أبرهام لنكولن: «أيها السادة المحلفون، سأعالج هذه القضية على نحو غير مألوف فى المحاكم، فلن أدعو شهوداً، فإن هذا السجين الجالس هناك هو حسبى شاهداً ولن أجادل. وكل ما سأفعله هو أنى سأقص عليكم قصة، ثم أدع القضية بين أيديكم»

وسرت هزة فى قاعة المحكمة، ومضى الصوت الذى كان فى البداية حاداً غير حسن الوقع، يقول:

«أنت يا جيم بك — أنت يا جاك أرمسترونج —»، وأشارت الإصبع الضخمة إلى اثنين من المحلفين:

«أنتما تستطيعان أن تتذكرا — نعم، وأنت أيضاً يا لوك جرين — ما كان منذ خمسة عشرة عاما مضت، حين أقبل من

أنديانا فتى طوال نحيف فى ثياب زرية ، وأحسب أن مظهره كان من الغرابة بحيث لاينساه من يراه . فقد كان يلبس سراويل من صنع البيت أسفلهامدسوس فى الحذائين. أيها السادة المحلفون : إنى أعتقد أن بعضكم يتذكرون هذا الشاب ، وكان اسمه أبرهام لنكولن » .

وسكت المتكلم المعروق الوجه ورفع كميه قليلا ، فرأى المحلفون الرسغين المكسوين بالشعر وعضلات الكف والذراع، نعم تذكر بعضهم العملاق الشاب الذى كان بطلا فى كل مايدور على القوة البدنيـة . وجلسوا مرهفى الآذان .

ومضى الصوت القوى يقول ، وقد رقت نظرة العينين كأنما يديرها صاحبهما فى طريق طويل قطعه : « إن خير شطر من حياة الإنسان يشتمل على صداقاته . وفى هـذه الأنحاء أصدقاء أوفياء يمكن أن يكسبهم الإنسان ، وقد كان لهذا الشاب ذى الثياب الزرق بعض الأصدقاء . وسأسوق إليكم نبأ أسرة أولته عطفها وودها .

« غادر الشاب أبرهام لنكولن بيته فى الثانية والعشرين من عمره لينشد رزقه، ولم يجد العمل دائماً فى تلك الأيام القارصة . وفى عصر يوم من أيام الخريف ، بعد أن قطع أميالا وأميالا بحثاً عن عمل، سمع ضربة فأس ، ووجد كوخاً ، وكان الكوخ حقيراً حتى بالقياس إلى أكواخ الرواد، وكان على النوافذقماش بدلا من الزجاج ، وفى الكوخ غرفة واحدة فوقها غرفة صـغيرة . فتقدم أبرهام إلى الكوخ يحدوه الأمل وطلب المأوى » .

وكف الصوت مرة أخرى ، وشاعت فى وجهه ابتسامة للذكرى الجميلة :

« أيها السادة المحلفون : مافاز ملك قط بأجمـل مما فاز به أبرهام من الترحيب . وقال صاحب ذلك الكوخ له إن كل مايملك هو له ، وأدخل الشاب المتعب فى الكوخ، وكان فيه طفلان صغيران يلعبان على الأرض وامرأة صغيرة الجسم تغنى طفلا بجانب الموقد لينام ، وصـعد الضيف إلى الغرفة العليا بعد العشاء .

« وفى صباح اليوم التالى ، بعد أن عاون على بعض الأعمال ، سأل : هل ثم عمل له يزاوله ؟ فقال الرجل نعم ، يوجد عمل كاف إذا كان يستطيع أن يقطع الخشب ويشذبه.

« وسأله الرجـل : أتحب أن تعمل ؟

« فقال له أبرهام إنه قد لا يصلح لعمل مثل قتل الأفاعى ولكن — على كل حال كانت النتيجـة أنه أقام وأثبت قدرته على القيام بعمل رجل .

وعاش أبرهام خمسة أسابيع فى هـذا

الكوخ ، فكان يحتطب مع الأب ، ويساعد الأم فى أعمال البيت ، ويلاعب الابن كثيراً ذلك الطفل البسام الذهبى الشعر . وهو لايعرف شطراً من حياته كان فيه أسعد وأخلى بالا » .

وتناول المحامى سترته ، وكانت كل عين عليه فى المحكمة ، فدس يده فى جيب ، وأخرج رسالة :

« وقد انتقلت الحال بهذا الشاب المدين بكل هذا الفضل العظيم ، إلى ما هو أرغد وأخصب ، فيما بعد . واستطاع بفضل الله وبحسن الحظ أن يتبوأ مكانا فى المجتمع ، وقد حافظ — حافظتُ على قدر ما يستطاع على الاتصال بهؤلاء الأصدقاء القدماء ، ولكن فى غمرة المشاغل الكثيرة لم يأتنى منهم خبر فى السنوات الأخيرة حتى كان صباح الاثنين الماضى ، فجاءنى هذا فى سبرنجفيلد »

ورفع يده بالرسالة :

« هى رسالة من الأم التى رحبت بشاب مكدود فى كوخها المتواضع ، وقد مات زوجها منذ سنوات ، وتبعه الولدان الكبيران . أما الأم التى كانت تغنى طفلها عصر ذلك اليوم الغابر » ، ودار وأشار إلى المرأة الصغيرة المتقبضة على المقعد الأمامى . « فهذه هى ! »

وهوت ذراعه ، وأضاءت عينه وهو يصوبها إلى رأس الفتى المجرم الذهبى الشعر ، ولم يكن فى القاعة من لم يسمع كل مقطع من الجملة التالية :

« أما الطفل فهو هذا السجين الماثل أمامكم ! »

وسمعت شهقة فى هذه القاعة الحارة المزدحمة ، وحفيف ثوب امرأة ، ونحنحة رجل ، ثم ساد صمت تركه محامى الدفاع يفعل فعله ويقوم عنه بما يريد ، فقد كان السكون يصوغ له العقول كما لايستطيع الكلام أن يفعل ، وكان الناس فى القاعة من رجال ونساء يحركون أقدامهم أو يتنهدون ، وقد أفعمت قلوبهم بما أورثهم هذا الصمت .

وفى اللحظة المناسبة ، تناول المحامى الأطراف المنهوكة من أعصاب الجمهور كما يتناول السائق أعنة خيله القلقة ، وارتفع صوته قائلا :

« وما أكثر ما تذكرتُ ( وكان يتكلم كأنما يفكر بصوت عال ) ما أكثر ما تذكرت تلك الأسابيع من الحنان الذى لا ينضب معينه من هؤلاء الناس المساكين ، ودعوت الله أن يتيح لى أن أثبت لهم شكرانى لفضلهم ، فلما جاءتنى الرسالة يوم الاثنين الماضى تطلب المعونة ، أيقنت أن الله استجاب لى .

« ويتفق أحياناً أن تجىء استجابة الدعاء

مقترنة باقتضاء تضحية ، وهذا ما كان من أمرى . فقد كانت الليلة فى حياتى هى التى تمثل الذروة فى سنوات من الطموح ، وكان على أن ألقى خطبة يحتمل أن تفضى إلى النجاح أو الإخفاق . وقد وضعت هذا النجاح ، أو الإخفاق إذا جاء به الزمان ، على مذبح سلامة هذا الفتى . وأنا مغتبط بذلك ، وعليكم أنتم — وأدار عينه القوية فى المحلفين — أن تنيلوه هذه السلامة .

« أيها السادة المحلفون : قلت فى البداية إنى سأعالج هذه القضية على نحو غير مألوف ، وقلت إنه ليس عندى حجة أطرحها أمامكم وقد قصصت عليكم القصة ، وإنكم لتعلمون أنه فى السن التى تحمل فيها يد الغلام الكتب المدرسية أو أدوات الصيد ، حملت يد هذا الفتى آلات الرجال فكان فيها الوبال . وأنتم تعلمون كيف أن الغلام ظل يستفزه رجل كبير حتى نفد صبره ، فاستعمل الآلة التى كانت فى متناول يده . تعرفون هذه الأشياء كما أعرفها ، وكل ما أرجوه هو أن تعاملوا هذا الغلام الصغير كما تحبون أن يعامل غيركم صغاركم فى البيت . وهذه حياته بين أيديكم . أيها السادة المحلفون لقد ختمت كلامى » .

وجلس أبرهام لنكولن .

وبعد برهة خرج المحلفون وعبروا الشارع إلى غرفة فى فندق مواجة للمحكمة ، ومضى نصف ساعة ، وحدثت حركة ، وعاد الذين كانوا قد غادروا قاعة المحكمة متزاحمين ، وشدت المرأة الصغيرة الضاوية الجالسة فى المقعد الأمامى يديها النحيلتين ، ورجع المحلفون وقعدوا . وقال كاتب الجلسة بصوت ممل : « أيها السادة المحلفون ، هل اتفقتم على حكم ؟ »

فقال رئيسهم : « نعم » .

« ماهو حكمكم؟ مذنب أو غير مذنب؟ »

ومضت هنيهة لعلها ثانية لم يتنفس فيها أحد فى هذه القاعة الغاصة ، وحدقت المرأة الصغيرة بوجه ممتقع فى رئيس المحلفين ، وكانت كل عين ترمقه ، إلا الفتى فقد كان لا يبدو عليه أنه مصغ وهو جالس ورأسه الذهبى مثنى على صدره .

وقال الرئيس : « غير مذنب » .

فكانت الفوضى ، وراح الرجال يصيحون ويدبدبون ويلوحون بأيديهم ويطوحون بقبعاتهم فى الهواء ، والنساء يبكين ، وصرخت واحدة أو اثنتان وقد استخفهما الفرح ، ونظر أبرهام لنكولن فإذا الغلام النحيف يتطوح ويكاد ينكب على وجهه ، فأسرع إليه وتلقاه بين ذراعيه الكبيرتين ، ورفعه فوق الحاجز ووضعه بين ذراعى المرأة التى راحت تهزه وتقبله ،

وأقبلت القاعة كلها عليها، غير أن لنكولن وقف كالحارس وردّ الجمهور.

وقال بصوت عال: «لقد أغمى على الغلام، فدعوه يتنفس» ثم قال بابتسامة، «لقد عاد إليها طفلها — إنها بخير يا إخوانى، ولكن هاتوا جرعة من ماء للغلام».

انتهت قصة الرجل الهرم، وبعد لحظة من الصمت عاد إلى الكلام كأنما يريد أن يرد على اعتراض من جليسه.

«بالطبع، مثل هذا لا يمكن أن يحدث اليوم، وما كان يمكن أن يحدث فى محاكم الولايات الشرقية. ولعل أحداً غير لنكولن لم يكن ليقدر عليه، ولكنه كان يعرف جمهوره ومحلفيه، وصدقت فراسته فى شخصية القاضى، فكان ما قصصت، وهو أمر واقع»

فألقى السامع على الرجل الهرم نظرة فاحصة ثم قال:

«هل لى أن أسأل كيف وقفت على هذه القصة؟ لقد رويتها بلهجة العليم الواثق حتى كأنك كنت حاضرها. فهل كنت فى تلك القاعة؟»

فالتمعت عينا الرجل السوداوان البراقتان وابتسم ابتسامة غريبة، كأنما ارتد إلى نصف قرن مضى، وأخذ يبتسم لوجوه استحالت تراباً من زمان طويل.

وقال: «كنت أنا القاضى».



## عبقرية الموسيقى

ذهب غلام إلى موزار الموسيقى العظيم وسأله كيف ينبغى له أن يفعل لكى يؤلف سمفونية.

فقال موزار: إنك فتى طرى الإهاب، فلم لا تبدأ بتأليف ألحان بسيطة؟

فقال الفتى: ولكنك ألفت سمفونيات حين كنت فى العاشرة.

فقال موزار: نعم، ولكننى لم أسأل كيف أؤلفها.

[ شانتج بولوك ]

ooOo

كلّ امرىء سيّارة عامة يركب فيها جميع أسلافه.

[ أوليفر وندل هومز ]

# هذه طبائع البشر

وقفت سيارتي قرب مدينة صغيرة لأدعو شيخا راجلا ليركبها ، فهمّ ثم انثنى يهزّ رأسه وقال : « لست أدري ماذا ينبغي أن أفعل ؟ فقد دعاني روبنسون أمس الأول إلى ركوب سيارته ، وأمس دعاني بيل طود ، وها أنت تدعوني اليوم . فقد أخذت ساقاي تتعوّدان الكسل ، فإن لم يتفق لي من يدعوني غداً ، فقد تثوران عليّ أو تخذلاني . لا . أظنّ أنه خير لي أن أمشي لكي تعلما من منا هو السيّد ذو السلطان » .

[ جيمس جلن ]

كنت أنتظر قطاراً ، فطال انتظاري ، فرأيت فتاة حسناء في ريعان شبابها تدنو من أمٍّ شابة أجهدتها العناية بطفلها ، فسألتها وهي تبتسم ابتسامة الصديق الودود : « أتسمحين لي أن أعنى بطفليك حتى تصيبي قليلا من الراحة ؟ » .

وقد ظلت الفتاة نحو ساعة تلاعب الطفلين فلما دنا القطار حملت بعض أمتعة الأم . وقد رأيتها تعين ثلاث أمهات مجهدات غير هذه الأم ، وكانت فيما تفعله غاية في الرقة والمقدرة . فلم أملك نفسي أن أسألها : « أتنتظرين قطاراً » ، فقالت : « لا . أنا أسكن على مقربة من المحطة مع عمتي ، وليس عندي ما أصنعه بعد المدرسة » ثم تهدّج صوتها وهي تقول : « كنا خمسة ، وكانت أمي تجهد جهداً عظيماً حين نسافر ... وكان والدي في الحرب ، وأما أمي فماتت منذ بضعة أسابيع ... وقد كانت ترى أنني أحسن ملاطفة الأطفال . فصرت أجيء إلى هنا لكي أبذل العون للأمهات المجهودات » .

[ هيزل دنيكر ]

خرج صديق لي في سيارته في يوم قائظ فانفجرت إحدى عجلاتها قرب مدينة صغيرة فساءه ذلك ، ونزل وهمّ بتغيير العجلة ، وإذا شيخ على عربة يجرّها بغل قد وقف قربه وقال : « أبك حاجة إلى معونة ؟ » .

فمسح صاحبي العرق عن جبينه وعينيه ونظر إلى الشيخ وردّ بالنفي ردًّا جافياً ، ثم أكبّ على محور العجلة .

فنظر إليه الشيخ ، ثم نزل على مهل من عربته ، وما هي إلا دقيقة حتى أحسّ صاحبي أن شمس أغسطس القائظة قد غابت عنه . فرفع عينيه فرأى الشيخ واقفاً وقد حمل مظلة بيديه وقال : « خطر لي أن المظلة تقيك وقدة الشمس قليلاً » . [ بن نورستن ]

# جزيرة بتكيرن

*مختصرة من كتاب بهذا الاسم*

تشارلز نوردهوف
و
جورج نورمان هول

هذه هى الحلقة الثالثة فى سلسلة المغامرات والمآسى والمعاشق التى نسجها المؤلفان نوردهوف و هول ، من حادثة من أغرب الحوادث فى التاريخ البحرى . وقد اتخذا من البحث الدقيق الشامل الذى قام به لهما خبراء فى إنجلترا وأمريكا ، أساساً للقصة .

والحلقة الأولى فى هذه السلسلة هى رواية « ثورة على السفينة بونتى » المشهورة التى صوّرت للسينما ، والثانية هى رواية « رجال ضد البحر » . وأخيراً فى « جزيرة بتكيرن » يبلغ المؤلفان بهذه القصة الغريبة التى وقعت فى البحار الجنوبية ختامها الرائع .

في ربيع ١٩٣٥ دخل ربان من بوسطن بسفينته فى ثغر جلوستر وهو يفيض بأنباء زيارته للفردوس الهادىء الذى هو جزيرة بتكيرن — وهى نقطة منعزلة فى جنوب المحيط الهادىء .

وروى قصصاً عن أهل الجزيرة الأشداء الكرماء الذين يعيشون فيها اليوم — عن كبيرهم باركر كرستيان ، ونوريس وفنسنت ينج ، وعن أطفالهم الذين يسمون باسم ماكوى . وباركر كرستيان هـذا من نسل الثائر فلتشر كرستيان فى القرن الثامن عشر ، وقد كان أسلاف أسرتى ينج وما كوى ممن اشتركوا فى فتنة السفينة بونتى ، وفيما تلا ذلك مما هو روى فى هذه القصة .

وكانت سفينة النقل المسلحة بونتى الإنجليزية قد أبحرت من ثغر سبيتهيد فى عام ١٧٨٧ قاصدة إلى تاهيتى فى البحار الجنوبية . وكانت غايتها أن تجىء بفسائل أشجار الفاكهة وأن تحملها إلى المزارع البريطانية فى جزر الهند الغربية حيث يمكن أن تغرس ، فتزوّد الأرقاء بطعام رخيص ، ولكن بعد أن أدت السفينة مهمتها أثار ربانها الثانى فلتشر كرستيان النواتىّ على الربان بلاى ، لأنه عدّ سلوكه قاسياً لا يطاق . وقد وضعت خطة الثورة فجأة ، ونفذت بسرعة فى صباح ٢٨ إبريل عام ١٧٨٩ . ووضع الكبتن بلاى و ١٨ من البحارة الموالين له فى زورق أنزل بهم إلى البحر ، ولم يرهم الثوار بعد ذلك .

وبقى على السفينة بونتى مع فلتشر كرستيان ثمانية من المتمردين فى جملتهم إدوارد ينج ، وألكسندر سميث ، وماتيو كوينتال ، ووليم ما كوى فجابوا البحر باحثين عن ملجأ أمين ، ومعهم ستة من البولنيزيين ، و ١٢ فتاة جميلة من بولينزيا أيضاً أقنعوهن بمصاحبتهم من تاهيتى — فوجدوا جزيرة نائية قل من يعرفها ولا تستطيع حتى يد الأميرالية الطويلة أن تصل إليهم فيها .

# جزيرة بتكيرن

« أيها الرجال قفوا جميعاً عند مؤخر السفينة » .

وكف فلتشر كرستيان عن التمشي ونظر إلى الجزيرة التي ألقت السفينة بونتي مراسيها قربها . وكانت كأنها متن مرتفع على طرفيه جبلان عاليان ، في جانب أحدهما أكمات صعود ، ولكن فوق الأكم مئات من الأفدنة كثيرة الشجر مغمورة بالخضرة وجدولان ينحدران إلى البحر . فيالها من أرض قد تكون جنة !

وقال كرستيان وهو يواجه هذا الجمع العجيب من رجال ونساء ، وبيض وسمر ، « اسمعوا جميعاً . إننا هاربون من وجه العدالة ، لأننا ارتكبنا جريمة التمرد ، فإذا اهتدوا إلينا وقبضوا علينا فسيكون الموت مصير كل رجل منا . وقد وجدنا هنا جزيرة لا يحتمل أن يزورها أحد ، ويبدو لي أنها خير ملجأ ، ولكن إذا نزلنا فيها فلا منصرف لنا عنها ، فاعرفوا هذا ولا تتوهموا غيره ، وقد انقضت أيام أسفارنا إلى غير رجعة ، وليس ثم للسفينة مرسى مأمون — فيجب أن تجرّد وتحرق . والآن هل توافقون ؟ »

فارتفعت على الفور خمس أيد، ثم انضم ماكوى ومارتن إلى الموافقين بعد تردد ، وقال كرستيان بحدة : « وأنت يا ميلز ؟ » فرفع البحار الشيخ يده وقال : « أرى أن هذا هو الأصوب ، ولكن صعبٌ على المرء أن ينقطع عن العالم طول العمر على صخرة كهذه » .

فقال كرستيان : « أصعب من ذلك أن يشنق . وهناك أمر آخر : من الآن فصاعداً فيما يتعلق بشئون جماعتنا سيكون لكل رجل صوته ، ويتقرر كل أمر بإرادة الكثرة . موافقون ؟ إذن كونوا من هذا على ذكر دائم » ودار فنظر إلى الجزيرة وقال : « هذه بقعة هادئة . والله المسئول أن يبقيها كذلك » .

وبعد ثمانية عشر عاماً ، في سنة ١٨٠٨ ، اكتشفت السفينة الأمريكية توباز جزيرة بتكيرن مرة أخرى ، ورحب بالمستر ويبر ربانها ، رجلٌ أشيب قوى البنية يرتدى ثياب البحارة البريطانيين القديمة ، وكانت نظرته تنبىء بالقوة التي يلطفها طيب النفس . وكان هذا هو ألكسندر سميث الرجل الوحيد الذي بقي حياً من جماعة المتمردين .

وكانت القصة التي رواها سميث لزائره فاجعة ، فما بقي من الرجال الخمسة عشر والنساء التاهيتيات الاثنتي عشرة ، وهؤلاء وأولئك هم الذين نزلوا في الجزيرة في عام

١٧٩٠ — سوى النساء والأطفال وسميث نفسه . ذلك أنه بعد ثلاثة أعوام من الوفاق فى محلة من المساكن الساذجة الخشنة ، تلهبت البغضاء بين البيض والتاهيتيين من جراء مشروع تقسيم الأرض بين البيض ، وانفجرت النفوس فجأة فكانت مذبحة .

وهذه هى القصة كما رواها سميث :

كان يوماً أسود ، ذلك اليوم الثامن عشر من سبتمبر عام ١٧٩٣ وهو تاريخ لن أنساه . بدأ القتل عنـد الفجر ، فلما كانت الليـلة التالية كان آخر هندى قد قضى نحبـه ، وكذلك معظم البيض ، وبقى كوينتال وماكوى والمستر ينج فضلا عن النساء التاهيتيات .

وأحسبك لاتستغرب أنى أشعر بحنق على كوينتال وماكوى ، فإنهما هما اللذان أثارا الفتنـة ، ثم خرجا منها سالمين . وكان ماكوى قدذهب إلى أن الهنود غيرجديرين بأن يملكوا أرضاً ، ولكن كل ماكانوا يطلبونه هو أن يعـاملوا معاملة الرجال . أما الفتيات فما تستطيع أن تجد خيراً منهن فيقات معينات صادقات بريئات من سوء الخلق وجفوة الطبع . كلا ، نحن الملومون ، وكان ينبغى قبل أن نغـادر تاهيتى أن نحرص على أن يكون لكل رجل فتـاة ، وأن نحمل معنا عدداً آخر من الفتيات ، ولكن المتاعب كانت ستحدث لامحالة بغض النظر عن الفتيات .

وقد قام كرستيان بكل ما يدخل فى وسع إنسان . والآن هاهو ذا فى سياق الموت وامرأته مايميتى إلى جانب فراشـه لاتريم مكانها منـه ، ولا تكف عن النظر إلى وجهه . وما أظن أن رجلا استقبل الموت بمثل أسفه وحزنه ، فقد تقوّض كل مالمسه وقد أراد الله أن يجعل هذه الجزيرة جنة عدن صغيرة فقلبناها جحيماً ... وبعد فترة طويلة سمعت صوته يقول: « حاذرأن يعرف الأطفال! » وكان هذا آخر ماسمعته ينطق به .

واحتجت ياسيدى إلى وقت حتى أرتب خواطرى ، وكنت أفتقـد الموتى ولكنى أحسب أن ينج كان أشدنا حزناً ، فبعد موت كرسـتيان لم أسمعه قط يضحك ، وكان يقضى الساعات جالساً ينظر إلى البحر ، على أنى كنت مغتبطاً بأن كوينتال وماكوى نأيا بنفسيهما عنى .

وكان ماكوى قد انخلع فؤاده من الفزع حين رأى الهنـود يطلبونه فى تلك الليلة ، وكان قد رأى رأس رجلين منا دامبين متدلين عند حزاميهما ، فطار عقله

من الرعب . وكان كويتتال قد اختبل ولكن على وجه آخر ، وقد كان دائماً به خفة فى عقله ، ولكنه بعد حوادث القتل هذه صار يكلم نفسه ويتصرف على نحو شاذ، تخافته النساء . فلما أدرك أن ماكوى رحل عن البيت ، ذهب يبحث عنه حتى وقع عليه فى كوخ صغير فى حفرة : «إذن هذا مخبؤك ؟ وما هذه الأدوات كلها ؟ » فلم يسع ماكوى إلا أن يخبره ، وكان قبل حوادث القتل بزمن طويل قد صنع جهازاً للتقطير ، وراح يقطر الخمر سراً ، فلما سأله كويتتال صب قدراً كبيراً من الخمر وأراه كيف تصنع ، وكان لا يستطيع أن يصنع إلا مايسد حاجته هو ، فالآن جاءا بإناء نحاسى كبير من السفينة بونتى، وبه يستطيعان أن يصنعا أى مقدار .

ولما أعد الجهاز الجديد ، بدأت متاعب جديدة .

وكانا فى أول الأمر يشربان خمرها فى هدوء ، ولكنهما بعد قليل صارا يحملان شرابهما إلى البيت ، وأغريا خمساً من الهنديات بعشاربتهما ، وكان هذا أول ماعلمت بالخبر .

وأقول هذا عن نفسى — لقد حاولت أن أصرف النساء عن ذلك فى البداية ، ولكنهن وجدن أن الشراب ينسيهن أشجانهن ، فلم يعد فى الوسع صدّهن عن ماكوى وخمره . وكانت مايميتى وعدد قليل من النساء يأبين أن يذقن هذه الخمر، وإن كن لا يعرفن ضررها . ثم زارنى ينج ذات ليلة ، وكان من السهل أن يعرف المرء من أين أقبل ، فوضع زجاجة على المائدة وقال : « هذه من ماكوى ، أرسلها إليك وفيها شراب جيد ينفعك . وإن الله ليعلم ان قليلا من السرور لا يضيرنا » . وأقول لك ياسيدى إنه ما من بحار يحب شراب « الروم » فوق ما أحبه ، وأختصر فأقول إننا أتينا على مافى الزجاجة فيما بيننا .

وفى وسعك أن تخمن ماتلا ذلك ، فقد صرت ألحق بالآخرين عند ماكوى ، وكان كل واحد فى أول الأمر يكتفى بقدح فى اليوم لايزيد عليه ، ولكن بعد ذلك لما صار المخزون وفيراً ، شربنا كما نشاء ، والنساء الخمس معنا ، وكان ثلاث منهن لا بعولة لهن ، فهاجهن الشراب لما بهن ، وألهب دماءهن كما فعل بنا . ولا حاجة بك إلى أن نخبرك كيف كانت حالنا، فمافكرنا فى زوجاتنا أو فى شىء آخر . وكانت مايميتى ترجونا أن نقلع عن الخمر من أجل الأطفال فنخجل ونعدها أن نرعوى ، ثم نكرّ إلى ما كنا فيه بعد بضعة أيام . وبلغ من أمرنا أن النساء الخيّرات أبين أن يكون لهن بنا

شأن، واستمرت الحال على هذا المنوال شهوراً.
ثم حدث ما أفاء علينا عقولنا نحن الوحوش.

وكنا نحن الرجال الأربعة عند ماكوى سكارى كالعادة، وكانت امرأته وامرأة كوينتال قد أصبحتا تخافان البقاء فى البيت، فأخذتهما مايعيق إلى بيتها، وحوالى منتصف الليل أقبلت على بيتى أترنح وأتعثر، فأرقدتنى امرأتى فى فراشى، وكانت قد بقيت معى كل هذا الوقت، وكذلك فعلت امرأة كوينتال معه، فلم تهجرانا، ولكن صبرهما أشفى على النفاد، كما سأقص عليك.

وما كدت أغمض عينى حتى هزتنى زوجتى وأيقظتنى وقالت: «أسرع لقد ذهب كوينتال إلى بيت مايعيق، وما يريد إلا شراً!»

فخرجت أوقظ ينج وماكوى، ولما عدنا وصرنا فى منتصف الطريق سمعنا كوينتال يدق الباب ويضربه، حتى كاد يقع حين بلغناه، وكنا نسمع بكاء الأطفال ثم صوت مايعيق تقول: «عندى هنا بندقية وسأريه إذا وضع رجلا فى البيت، ابتعدوا أيها الآخرون!»

وكان ماكوى هو الوحيد الذى يستطيع أن يعالج أمر كوينتال، فعدا إليه وأمسك بذراعه: «أمجنون أنت؟» فدفعه كوينتال دفعة طرحته على الأرض وقال: «أريد امرأتى» فأمسك به وأمسك ماكوى برجليه، والمستر ينج بذراعيه، وأوثقناه نحن الثلاثة وحملناه إلى بيت ماكوى، ولم نحل وثاقه لأنه كان كالوحش الهائج.

وكانت هذه هى الحادثة الأخيرة التى استنفدت صبر النساء، فلما استيقظت فى صباح اليوم التالى لم أجد لامرأتى أثراً، وكان يوما عاصفاً تتخلله فترات سكون حارة، فقصدت إلى الشاطىء على عادتى لأنظر إلى البحر، وكنت ناظراً إلى ناحية الشرق فلمحت شيئاً طافياً، على مسافة ميل من الشاطىء، ففركت عينى المتحيرتين فرأيت زورقا مقلوبا وحوله وفوقه ناس، وفى وسعك أن تدرك كيف فوجئت وفزعت بعد كل هذه السنين التى لم أر فيها سفينة فى هذا المحيط الموحش، فذهبت أعدو إلى بيت ماكوى فى طلب المنظار، وأيقظته هو وينج وأسرعنا إلى نقطة المراقبة. وأنت تعلم كيف أنك حين تنظر بالمنظار إلى شىء بعيد، يخيل إليك أنه يثب إلى عينيك، هذا زورقنا الشراعى مقلوب، وكل نسائنا حوله وقد أمسكن بالأطفال فوقه. وياما كان أشدها صدمة! دفعنا القوارب إلى الماء، وانحنينا على المجاديف فحنيناها، إى والله! ولو كان هؤلاء النسوة من بنات بلادنا لغرق أكثر من طفل فى ذلك اليوم، ولكن هؤلاء

يعرفن كيف يضبطن أمرهن فى الماء ، ورفعناهن إلى القوارب — وكانت ما يميق آخرهن — وسحبنا الزورق . وجلست مايميق ومارى الصغيرة بين ذراعيها وفى عينيها نظرة يأس لن أنساها إلى آخر يوم من حياتى . وهل تصدق يا سيدى أنهن كن قد اعتزمن أن يبحرن ومعهن الصغار إلى جزيرة من الجزر التى مررنا بها فى طريقنا من تاهيتى ؟ وهذا يريك مبلغ قنوطهن . لقد دفعناهن إلى إيثار الموت غرقا أو ظمأ على الحياة معنا .

وفى ذلك المساء اجتمعنا نحن الرجال ، ولكن لا لنشرب ، وكان كوينتال جاداً كغيره — لا تقطير بعد اليوم ، وأقسمنا على ذلك . وأوينا إلى فرشنا مفيقين للمرة الأولى منذ زمن طويل .

والآن يا سيدى سأتخطى ثلاثة أعوام . حافظنا على وعدنا شهرين أو ثلاثة ، ولم نذق قطرة واحدة من الخمر ، وقد حاولنا أن نبدأ عهداً جديداً . ثم تكررت القصة القديمة ، وانتقلت حالنا من سيء إلى أسوأ ، وفى النهاية رحلت مايميق بأطفالها إلى الوادى لتعيش هناك ، وشيد النسوة بيتاً لهن بلا معونة منا ، وجمعوا الأطفال فيه بعيداً منا ، وقد بقيت زوجتى وزوجة ينج معنا ، ولكن ما أقل ما كنا نحفل وجودهما ! وبقيت أربع نساء أخريات ، فعشنا معاً على حال يخزينى أن أتذكرها . . .

وهكذا سارت الأمور إلى آخر عام ١٧٩٧ . وإنى لأذكر مجلس شراب لنا فى خريف ذلك العام ، وكان شر ما مر بنا من أمثاله ، فقد عكفنا على الخرطول اليوم واليوم التالى ، ولكننى فى صباح اليوم التالى زهدت فيها ، وساورنى شك فى أن يكون أمر قد وقع فما اقتربت منا النساء قط ولم يكن فى البيت شيء يؤكل ، فمضيت إلى الوادى ، وكان قد مضى ثلاثة شهور لم تطأ فيها أقدامنا هذه الأرض . فلما أشرفت على الوادى وقفت ، فقد كانت الأرض كلها ممهدة والحدائق مغروسة والنساء يعملن ، ولكن الذى استوقفنى وتركنى أحدق مستغرباً هو أنى رأيت سوراً من جذوع الشجر مغروسة فى الأرض على عمق كبير ، وارتفاعها اثنتا عشرة قدماً ، والسور حديث ومتين ، فلو أن رجالاً أقاموه لما كان أقوى . وبعد قليل استأنفت السير على مهل حتى لحقنى النسوة ، فأقبلت أربع منهن اللائى تتقدمهن مايميق ، وكانت كل واحدة منهن تحمل بندقية ، فلما صرت على نحو اثنتى عشرة ياردة قالت : « قف حيث أنت ! ماذا تبغى ؟ » ، وكنت أشعر بالخجل

وأنا أواجهها ، ولكن الرجل الذي فقد احترامه لنفسه يحاول أن يكابر ، وهذا ما فعلت ، فقلت : « أين بالهادي ( وهي روجتي ) ، إني أريد أن تعود إلى البيت » فنظرت إلى مستثبتة ثم قالت بلهجة هادئة: « إنها لا تريد أن تكون معك وافهم هذا : عليك أن ترجع وتبقى هناك ، ومن الآن فصاعداً كل من وضع منكم قدمه في هذا الوادي يعرض نفسه للهلاك ، فإن عندنا هنا كل البنادق ، والبارود والخرطوش والرصاص لصنع ما نحتاج إليه ، وفي وسعنا أن نرمى كما يرمى أى واحد منكم ، فاذهب » .

وكان كوينتال وماكوى لا يزالان مخمورين ، ولكنى في العصر قصصت عليهما ماقالت لى النساء . وكان من رأى ينج وماكوى أن ندعهن وشأنهن ، غير أن كوينتال كان شكساً عسراً ، وهو ضخم الجسم قوى كالثور ، قليل الذكاء : « لن يلعبن معى هذه اللعبة ، وسأجيء باثنتين منهن » ونهض ، وانطلق ، وتبعته أنا وماكوى . وكان كوينتال لم يغتسل منذ عدة أيام ، وكانت لحيته عظيمة كثة تحجب نصف صدره ، ولم يكن عليه مايستره إلا خرقة قذرة حول وسطه ، وكان يحمل هراوة ، فكان أبشع منظراً من أى مستوحش وقعت عليه عيني . وما كاد يظهر في الأرض المكشوفة حتى نفخ بعضهن في صدفة بحرية ، وكان هناك ست من النساء فانتشرن ووقفن ينتظرن ، وركعت مايميق وراء صخرة وأراحت عليها بندقيتها ووقف كوينتال لما صار على مسافة ستين ياردة ، ثم مشى على مهل وفي ثبات ، وبعد أن خطا ثلاث خطوات أطلقت مايميق النار عليه ، فندّت عنه صيحة وارتمى على الأجمة ووراءها ، ووجدناه ممسكا بكتفه حيث مزقت الرصاصة العضلات ، وكان الدم يتدفق من موضع أصابته رصاصة كادت تقطع إحدى أذنيه ، واحتاج أن يرقد شهرين — وكان سيء الخلق فيهما — وكان جلياً لنا أنه يزداد خفة عقل كل يوم .

وسكنت الأمور زمناً ، ولم تدن منا واحدة من هذه النسوة ، ولم نر صاحبنا ينج إلا قليلا ، وانقطع عن الشراب معنا ، ولم يذق قط بعد ذلك قطرة من الخمر ، ولكنى كنت قلقاً على صحته ، فقد جعلت حالته تسوء وكان مصاباً بالربو ، وكانت به حاجة إلى التعهد ، ولكنه أبى أن يأذن لى في إبلاغ النسوة أنه مريض . ولما برىء كوينتال والتأمت جراحه رأى هو وماكوى أنهما صبرا زمناً كافياً ، وقد علمت بما حدث فيما بعد ، وكان فيهما من العقل مايجعلهما يتذكران أن النسوة يحسنّ الرماية ، فاختفيا حيث يستطيعان أن يريا الأرض المكشوفة ،

وبعد ساعتين من الانتظار خرجت اثنتان تحملان سلتين على ذراعيهما وليس معهما سلاح ، وكان كوينتال وماكوى مختبئين بقرب الطريق ، فوثبا على المرأتين وأمسكا بهما ، فذعرت إحداهما حتى أنها لم تبد أية مقاومة ، ولكن الأخرى قاومت بأسنانها وأظافرها . وأخيراً جيء بهما موثقتين إلى بيت ماكوى ، ولا أظنك تحب أن تعرف ماجرى بعد ذلك ، ولكنهما فتكا بهما فتكاً مخزياً ، وفى الليل لما نام كوينتال وماكوى خرجت المرأتان .

ومضت ثلاثة أيام هادئة ، ثم حدث قبيل العصر ( وكنت فى قيلولتى كالعادة ) أن كنت أفتح شباكا فانطلقت رصاصة ومرت على نحو بوصة من رأسى ، وتلتها أخرى حطمت الشباك ، فهاج ذلك كوينتال وماك كوى وكنت أرى من ثقب فوهات البنادق فى الغابة مسددة إلى الباب،فقد وقعنا ولاشك، وأحدق النسوة بالمكان،وغايتهن قتلنا . وكان رأيى الخروج ، ولكنا اتفقنا على الانتظار إلى الليل ، غير أنهن كن يردن إخراجنا إلى الأرض المكشوفة ، وقد فعلن ، فقد تسلل بعضهن بالمشاعل وأضرمن النار فى السقف، فما مضت دقيقتان حتى كانت النار قد تضرمت فى المكان .

وكان لابد من الخروج بسرعة ، وكان ذلك خطراً ، وقد خرجت من نافذة مطلة على البحر ، ودرت حول بيت الدجاج ، وأطلقت إحداهن النار ، ولكنى عبرت الأرض واختبأت بين الشجر حتى طلع القمر . ثم ذهبت إلى بيت ينج ولكنه لم يكن فيه ، وعلمت فيما بعد أن النسوة حملنه إلى مكانهن ليقمن على تمريضه . ثم سمعت صوت ماكوى، وقد أصيب فى رجله ونزف منه دم كثير ، وقال إنه لم ير كوينتال ، ونأينا بأنفسنا عن المحلة عشرة أيام ، ولكن أحداً لم يدن منا ، ولم يظهر لكوينتال أثر ، وإن كنت قد بحثت عنه فى كل مكان ، وكنا واثقين أنه مات . وذات يوم بعد ثلاثة أسابيع صعدنا فى الجبل لنلقى نظرة أخيرة على ماحولنا ، وهناك ، حيث يسقط جانب الجبل عمودياً إلى البحر ، رأينا يد فأس كانت فى البيت يوم احترق ، فزحف ماكوى إلى الحافة ونظر ، ولكنه لم ير إلا تكسر الموج على الصخور . ولما كنا نعرف كوينتال فقد اعتقدنا أنه جرح جرحاً بالغاً فرمى بنفسه ليرتاح ، وكان كوينتال رجلا خشناً صلباً ، وحشاً فى قوته ، وخطراً جداً إذا سكر ، ولكن كان له جانب آخر ، فما من أحد إلا أحب كوينتال حين جاء إلى بتكيرن . وقد شق فقده على ماكوى لأنهما كانا صديقين حميمين .

وفى تلك الليـلة شرعت تمطر ، وظلت تسحُّ ثلاثة أيام ، ولم يكن لنا عمل ما ، فعدنا إلى الخمر ، ونزا فى رأس ما كوى أنه الملوم على ما حاق بالجزيرة من شقاء ، وكان لا يتكلم فى شىء آخر ، فكان يقول : « إنها الحقيقة ، أنا أول من أراد أن يقسّم الأرض ، وهذا هو الذى أدى إلى التقتيل . وما من رجل مقتـول ، أبيض أو هندى إلا وأنا المسئول عن موته » . وعلى هذا النحو مضى يتكلم طول الليل حتى كاد يطير صوابى من كثرة التكرار .

وفى اليومين التاليين حرصت على اجتناب ما كوى ، ثم قلقت عليه فذهبت إليه فألفيته منقبضاً فى ركن وقد قلب المـائدة وأدناها منه ليختبىء وراءها ، وما كدت أراه حتى أدركت ما أصابه ، فقد بدأ يتوهم أن أهوالاً ستحل به ، وكان منظره يدعو إلى الرثاء ، وهو ينتفض ويرعش وركبتاه تحت ذقنـه وعينـاه تحدقان فىّ كالمستوحش ، وراح يتوسل ويصيح : « لا تدعه يلمسنى » وكان صوته يُغثينى ، وكان كلما استولى عليه الفزع يصيح صيحات لا تندّ عن آدمى . ولما كاد النهار يطلع استرخى ، ورأيته يغفى ، وكنت قد أدركنى الإعياء فوضعت رأسى بين ذراعى ونمت حتى أيقظتنى صرخة أخرى ، وقبل أن أفيـق كان ما كوى قد انطلق خارجاً من الباب يعـدو إلى الصخور المشرفة على البحر ، فتبعته وأنا أصيح به : « ارجع ! » ولـكنه لم يدر وجهه قط ، وهوى واختفى عن عينى . وكانت سقطة مرعبة على الصخور السفلى ، ولمحت جثمانه وقد أقبل الموج يزأر وحمله وارتد به .

ووقفت هناك نصف ساعة ، ثم ذهبت ياسيدى إلى حيث كنا قد خبأنا ذخيرتنا من الخمر ، فكسرت الصنـدوقين وأخرجت الزجاجات وضربت الصخور بكل واحدة منها فحطمتها ، ثم نزعت سلك النحاس من الجهاز وقذفت به إلى أبعـد ما أستطيع ، ولما رأيته يسقط فى البحر قلت : « الحمد لله لقد انتهينا من هذا ! »

ولو كنتَ سكيراً ياسيدى وكففت عن الشراب فجأة ودفعة واحدة ، لأمكنك أن تدرك الآلام التى عانيتها فى الأسبوعين التاليين ، فما كنت أستطيع أن أنام أو أطعم شيئاً ، وكنت أخاف أن يستولى علىّ الذعر قبـل أن يقضى علىّ ، ولـكنى ثَبتُّ فهان الأمر شيئاً فشيئاً .

وكان أمراً عظيما أن أستعيد احترامى لنفسى ، فحلقت لحيتى التى كنت قد أرخيتها وتوخيت النظافة ، ورتبت بيتى القـديم ، ثم عمدت إلى البيوت الأخرى فأصلحت من

شأنها ، وكنت أعمل وحدى ، وإن كنت لا أدرى لماذا جشمت نفسى هذا كله، وأحسبنى دار بخلدى أن النسوة سيعدن يوما ما .

وبعد نحو شهر ، كنت ذات يوم أقتلع الحشائش من الحديقة ، فسمعت حفيفاً بين الشجيرات ، فدرت ونظرت فإذا امرأتى مقبلة. ولم ينبس أحد منا ببنت شفة، وطوقتنى بذراعيها ، وأراحت رأسها على كتفى ، ثم شرعت تبكى بكاءً خافتاً على عادة الهنديات ، فكان لهذا وقع عميق فى نفسى ، ولكنى بقيت ناظراً أمامى ، وبعد برهة قلت : « أين بندقيتك يا بالهادى ؟ ألا تخشين أن أصنع بك سوءاً ؟ » فما أجابت بشىء سوى أن شددت علىّ فى عناقها ، فتناولت يدها ، وبقينا كذلك عشر دقائق ، وسأهمل كل ما قلناه ، ويكفى أن أقول إننا عدنا كما كنا قبل أن تحدث هذه الحوادث . وخبرتها خبر ماكوى ، فبكت عليه . وكان بكاؤها أكثر ، ولكن من الفرح ، حين أخبرتها أنى حطمت جهاز التقطير وزجاجات الخمر . وكنت قد ساءنى أن ينج لم يجىء إلىّ ولكنها قالت إنه سقيم مُشْبَتٌ .

ثم انصرفت وحدها . وبعد ثلاث ساعات عادت ومعها النسوة والأطفال وكل ما استطعن أن يحملن ، وكنت لم أر بعض الصغار قط ، وبعضهم لم تقع عليه عينى منذ ثلاث سنوات ، وكان ابن كريستيان قد صار غلاماً حسناً ، فى الثامنة من عمره ، وأخوه فى السادسة ، ومارى الصغيرة فى الخامسة — ولدت فى نفس اليوم الذى بدأ فيه التقتيل . وكانت جملة الأطفال ثمانية عشر ، منهم اثنان لى فى أحسن صحة يتمناها المرء لهما . وقد أحزننى وألهج نفسى أن أفكر فى آبائهم الذين ماتوا ودفنوا وحرموا الاستمتاع بهم . وحيتنى النسوة تحية رقيقة ، ولم يذكرن الماضى بكلمة ، فعلمت أن هذا صنيع مايميتى — ماخلق الله خيراً منها ، شجاعة يفخر بها أى رجل ، ولا شرّ فى قلبها . ورأيت الأخريات قد تغيرن ، فإن مامرّ بهن قد أكسبهن رزانة غير مألوفة فى سنهن ، وكان بعضهن خفيفات سريعات إلى كل عبث ، ولكنهن كبرن وصرن خرائد وأمهات عاقلات .

واستقر بنا المقام بعد بضعة أيام كما كنا من قبل ، وشرح صدرى أن أرى البيوت عامرة بالنساء والأطفال ، والأفنية نظيفة والحدائق مجددة ، وتغير ينج ولم يعد يضحك أو يمزح كما كان يفعل قديماً ، ولكن نظرة اليأس اختفت ، فكان يجلس ويراقب الأطفال ، وينعم بمنظرهم .

وذهبت ذات صباح إلى الجانب الغربى

من الجزيرة ومعي خمسة من الأطفال الذين يحبون البحث عن البيض . فذهب كوينتال الصغير وحده وغاب شيئاً ثم أقبل من الغابة وبه فزع يعقل لسانه ، فأمسكت به فتعلق بي تعلق من لاينوى أن يدعني ، وكان ينتفض من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، وأخيراً استطعت أن أقف منه على مارأى — رجلاً ضخما هائل الأنحاء جالساً على صخرة .

فقلت له : « أنا أخبرك بما رأيت يابني . إن هناك بعض التماثيل القديمة المنحوتة من الحجر ، وهي ذميمة المنظر، وتبدو للرائي كالرجال ، ولكنه لاخوف منها » .

« لا . . لا . . لقد رأيته يتحرك ! »

وأصرّ على ذلك ، فأمرته أن ينتظر برهة ريثما أطرد هذا الشبح من الجزيرة ، وكنت أنوى أن أمشي قليلا ثم أعود إليه وأقول له إن الشبح قد اختفى ، ولكني لما قطعت مسافة لمحت ماصدمني — آثار أقدام عارية ، وهي في حجم قدمي ، فلم أصدق عيني ، فمشيت نحو خمسين ياردة دون أن أحدث صوتا ، ثم نحيت الأغصان ونظرت وإذا بكوينتال جالساً وظهره إليّ على الهيئة التي رآه عليها ابنه ، وكان عاريا تقريبا ، وكان إلى جانبه فرشة من الحشائش الجافة وهو يكسر البيض ويشربه ، وكانت عظام خنزير برى ملقاة في ناحية وعظام غيره مبعثرة حوله ، وكانت ريح المكان تغثي الكلب .

ولو كان عقلي في رأسي لرجعت ، ولكني ناديته قبل أن أستطيع أن أرد نفسي ، فأدار رأسه على مهل وبصر بي ، فأورثني منظر وجهه رعدة راحت تدب في بدني علواً وسفلاً ، ولن ترى مثل هذين العينين خارج مستشفى مجانين ، وكانت له لحية عظيمة تصل إلى وسطه ، فتكلفت الهدوء وقلت : «أين خبأت نفسك ياملعون؟ لقد ظنناك وحق الله ميتاً » ، وما كدت أنطق بهذه الكلمات حتى تناول هراوة واندفع نحوي وقد أطلق صيحة ليس لها نظير في الطبيعة ، لا في الإنسان ولا في الوحوش ، فانكفأت أعدو طلباً للنجاة ، وأنا أثب وأحاوره وأداوره ، ثم علقت رجلي بشيء فوقعت وما أرى إلا أنه في أثرى ، ولكنه كان قد وقف يجيل عينيه فيما حوله متحيراً ، كأنه ليس على ثقة من أنه رأى شيئا . فلم أتحرك حتى كرّ راجعاً .

وكان ظننا أننا رأينا آخر متاعبنا وإذا بهذه تبرز لنا . وكان لا بد من إخبار النسوة فامتلأت قلوبهن فزعاً ، ورأى بعضهن أن نقتله، ولكن أكثرهن استهولن أن نقتل رجلا مختبلاً في غير ذنب . وصرت كل يوم بعد ذلك أصعد في الربوة ومعي بندقية ومنظار فأراه في معظم الأحيان ،

ولكنى لم أره يوماً، فلما عدت وجدت النسوة جزعات . ذلك أن كوينتال كان قد اندفع خارجاً من الغابة يطلب سارة إمرأته ، فبلغ من ذعر المسكينة أن خرجت على وجهها فارّة من البيت لا إليه ، ثم أدركت أنها أوقعت نفسها فى مثل الفخ ، وكان الطريق الوحيد الباقى لها ، هو المؤدى إلى الربوة ، وهو على أثرها، فارتقت فيه إلى القمة ثم ألقت بنفسها من فوقها مؤثرة ذلك على أن يدركها .

وكان الظلام قد دخل ، ومضت ساعة لم يفطن فى خلالها أحد إلى غياب امرأة أخرى هى سوزانا ، فبحثت عنها ولكنا كنا لا نستطيع شيئاً قبل أن يطلع الفجر، فلما طلع خرجت أنا وينج وإن كان غير معافى . وكان مع كل منا بندقية ، وكنت أحمل فأساً أيضاً ، وكنا ندرك أن علينا أن نقتل كوينتال ، وفى وسعك أن تتصور شعورنا . وانحدرنا إلى الوادى الغربى لأننا ظننا أنه سيعود إلى مكانه القديم ، فلما دنونا منه ، زحفت على يدى ورجلى لأنفض المكان ، فرأيت سوزانا منطرحة وليس على بدنها خرقة ، وقد قيدت رجلاها ويداها بشرائط طويلة من لحاء الشجر . فاستوثقت أولا من أن كوينتال غير موجود ، ثم فككت قيدها فى خمس ثوان ، وكانت فى حالة يرثى لها ، وجلدها كله خدوش وجروح ، ولكنى حمدت الله على أنها ما زالت على قيد الحياة ، وهمست فى أذنها : « أين هو » فأشارت إلى الجانب الأقصى، فوجدته نائماً وراء بعض الشجيرات فرفعت بندقيتى ولكنى لم أستطع أن أشد الزناد ، فقد كنت أفكر فى كوينتال القديم الذى عرفته على السفينة بونتى . ثم تذكرت النساء والأطفال وسارة التى ماتت ، فعلمت أن لامعدى لى عن المضى فيما جئت له ، فالتقطت بعض الحصى ورميته عليه ، فوثب إلى قدميه وتناول هراوته ، فلما أقبل علىّ شددت الزناد ولكن البندقية خانتنى ، وكان الوقت أضيق من أن يسمح لى بأكثر من التنحى عن طريقه وتناول الفأس ، واتقيت الضربة التى سددها إلىّ ، ثم أهويت بالفأس يا سيدى على أم رأسه ، بكل ما أملك من قوة ، فكانت ميتته سريعة رحيمة ، فقد خر صريعاً على الفور دون أن يتوجع .

والآن ياسيدى قد بلغت آخر أيام البأساء ، فمنذ ذلك اليوم عشنا فى سلام ، وسنظل كذلك بعون الله . نعم ، جاء السلام ، ولكن قلبى ظل زمناً طويلا خالياً من سكينته ، فقد كان وجه كوينتال يطالعنى فى الليل والنهار حتى كدت أفقد صوابى ، وعرف ينج مابى ، وكان الفضل له وللأطفال فى اجتيازى تلك المحنة .

ومامن كلام يفي ببيان نعمة هؤلاء الأطفال، فقد وهبونا حياة جديدة . وكان هناك ٢١ طفلا فى ذلك الوقت ما بين وليد جديد وغلام فى التاسعة من العمر ، فشفوا قلوبنا وأسوا جراحها ، وجعلوا هـذه الجزيرة الصغيرة فى النهاية جنة على الأرض .

والآن أخبرك بأعظم ماأصبت من نعمة وخيرفى سنى حياتى كلها، وإن كنت لم أفطن إلى هذا فى حينه . ذلك أنى وجدت ينج ذات مساء جالساً إلى مائدته يكتب فى سجل للسفينة بونتى ، وكثيراً ما رأيته يفعل ذلك .

فسألته : « ما هـذا الذى تكتبه بهذه الكثرة ؟ أهى يوميات تدونها ؟ »

« نعم . تسجيل للمواليد وما أشبهها . ولكن هذا ليس كل شىء » .

فقد كان يدون كل مايتذكره من الكتب ، وكان قارئاً نهماً ، وقل مانسيه ، وقد قرأ لى قطعة من قصة تسمى « سير الحاج » كما دونها ، فاستولت على نفسى أتم استيلاء . ولا تنس يا سيدى أنى لست إلا بحاراً جاهلا ولاعلم لى بلذة القراءة أكثر من علم الخنازير هنا .

وقال: «ألم تتعلم قط الكتابة والقراءة ؟»

قلت : « تعلمت قليلا ، ولكنه ذهب كله الآن »

قال : «مارأيك فى أن تستأنف التعليم ؟ إن لك لاستعداداً ، وهـذا بين »

فسرنى هـذا أعظم السرور لأنى كنت فى حاجة شديدة إلى صرف ذهنى عن كوينتال ، وكان السير بطيئاً فى البداية ولكنه كان صبوراً طويل البال حتى لكان يسعه أن يعلم دمية من حجر . وأخذ يقرأ لى من توراته ، وكنت قد سمعت منها فقرات أيام أنا صبى طائش ، ولم أوجه إليها عقلى . فالآن بدأت أرهف سمعى لذلك ، وكان فى كل مساء يتلو على بعض الآيات ، فأدير عليها تفكيرى إلى المرة التالية ، وظللنا فى هـذا نحو تسعة شهور فتعلمت القراءة ببطء ولكن باطراد ، ثم ساءت صحة ينج مرة أخرى ، ولم يستطع أن يسترد قوته ، وتفاقمت علة الربو ، ولو أنه كان اتفق لك يا سيدى أن تراقب إنسانا يغرق وأنت عاجز عن نجدته ، لأمكنك أن تتصور الحال . فقد كانت تشتد عليه وطأة المرض فيكافح لتخليص أنفاسه فأتوجع له ، وهو يزداد ضعفاً . واستمرت الحال على هذا المنوال ثلاثة شهور ، وجاء يوم أقعدناه مستنداً إلى الوسائد ، فرأيت من نظرته أنه يعلم أنه فى سياق الموت ، وبعد لحظة التفت إلى ، وقال : « إنك يا ألكس الوحيد الذى أبقاه الله لتنشئة الأطفال ،

وإنها لأمانة كبرى، وأنا واثق أنك ستكون مخلصاً في حملها . . ولشد ما كنت أود أن أبقى معك ياصاحبي » .

وتوفى فى تلك الليلة ، ودفناه فى اليوم التالى ، والألفاظ عاجزة عن وصف شعورنا بفقده ، وقد كنت أحبه كأنه شقيق وإن كان أرفع منى شأنا .

وتالله ما كان أحلك الأيام التالية وأعظم وحشتها ! فما بقى سواى من جميع الذين خرجوا من السفينة بونتى التى أبحرت من إنجلترا ، وفكرت فى تمردنا وفيما كان لى فيه من نصيب — وكيف عاونت على وضع الكبتن بلاى و ١٨ رجلا معه فى زورق صغير فى قلب المحيط ، وكنت أرى الزورق بعين الخيال ، والذين فيه وقد ماتوا ظمأً أوجوعاً ، أو أتعثلهم والمتوحشون يفتكون بهم . ولو أن إنسانا ياسيدى شعر بأنه ضائع فى هذه الدنيا ، لما كان هذا الإنسان إلا ألكس سميث . وكنت قد أهملت دروس القراءة لما كان ينج فى مرضه الأخير ، ولكنى بعد قليل عدت إلى التوراة ، واصلاً ما انقطع عندما كف ينج عن تعليمى ، ولو كنت على شيء من العلم لأخذت فى درس العهد الجديد على الفور ، ولكنى جعلت أدرج كالحشرة فى الظلام ، فى بطء وصبر ، وواظبت على هذا ثلاثة أعوام ، وكانت هناك أجزاء معقدة عويصة علىّ ، ولكن غيرها مثل المزامير والأمثال ، لم أزل أعالجه حتى حفظته عن ظهر قلب . وقد سمعت بأناس اهتدوا فجأة إلى الله ، ولم يكن الأمر كذلك معى ، فقد اهتديت شيئاً فشيئاً ، ولما بلغت حياة المسيح تفتح قلبى كما ينفتح مصراعا الباب . وسأكتفى بهذا ياسيدى ، ولكنى أقول إنى أوتيت سلاماً لم يزايلنى إلى الآن .

ولكنى كنت قلقاً على الأطفال ، ومن أدرانى أن دماء آبائهم التى تجرى فى عروقهم لن تدفعهم إلى مثل سيرتنا القديمة ؟ وكلما طال تفكيرى فى هذا زاد اقتناعى بأنه يجب أن لا يظلوا جاهلين كلمة الله ، ولجت بى الرغبة فى أن آخذ بأيديهم ، وقد يدهشك أن بحاراً جاهلا يستطيع ذلك ، ولكن بمعونة الله علمتهم على نحو أدهشنى أنا نفسى . وبدأت بأمهاتهم ، فقصصت عليهن قصة التوراة ، وكانت القصة هى التى عنين بها فى البداية ، ولكنهن سرعان ما تبين أن وراءها ما هو أكبر ، وكان من دواعى الاغتباط لى أن أعلم الأمهات ، فإذا كان هذا كذلك ، فما ظنك بلذة تعليم الأطفال ؟ وبلغ من لهفتهم على التعليم أنهم كانوا يؤمنون ولا يساورهم أدنى شك، وقد

حملني هذا على التمهل والعناية والتدقيق ، فقد خفت أن أعلمهم غير الصواب المحض ، ولم أقل شيئاً عن الخطيئة ، لأنهم كانوا لا يعرفون ماهي ، وعلمتهم أن يحب بعضهم بعضاً ، وأن يقولوا الحق ويفعلوه ، وأن يوقروا أمهاتهم وأن يعاملوا الناس كما يحبون أن يعاملوا .

وكان هذا كله باللغة الهندية التي كنت أتكلمها كما يتكلمونها تقريباً ، ولكني وأنا ماض في عملي ، كنت أفكر في السنين التي ستجيء بعد أن أذهب ، فأدركت أن عليّ واجباً آخر ، ولعلك تعلم أن لغتهم لغة كلام ليس إلا ، فأخلق بهم إذا اقتصروا عليها أن لا يستطيعوا قراءة شيء . وهكذا رأيت أن عليّ أن أعلمهم كتابة الهجاء ، ولم أسترح إلا بعد أن أوجدت مدرسة ، وكان القليل الذي يعرفونه من الإنجليزية عوناً لي ، وكانوا أذكياء سريعي التلقف ، ولكني كنت أحياناً أهم بأن أنفض يدي من هذا الأمر ، غير أنهم بعد أن تعلموا المبادىء ، مضوا سراعاً ، ولن أنسى زهوهم حين استطاعوا أن يقرأوا قليلا ، وأن يكتب بعضهم إلى بعض رسائل وجيزة . وكان هناك مكتب للكبتن بلاي وفيه أوراق وحبر وأقلام ، فضننت بهذه الأوراق كأنما كانت رقائق من ذهب . ولما نفد الحبر ، صنعت حبراً من رماد الجوز ، أما الأقلام فكانت متوفرة ، لكثرة الطيور في الجزيرة ، ولما نفد الورق صنعت اردوازات من ألواح الصخور . وكان الأمهات ينظرن إلى المدرسة كأنها أعجوبة الدنيا . والحق ياسيدي أنك إذا فكرت في الأمر لم يسعك إلا أن تقول إنه قل مايعادل سحر الكتابة ، وماأدري كيف وصل الناس إلى العلم بها في البداية !

والآن شارفت قصتي ختامها ، وفي وسعي أن أمضي في الكلام ليلة أخرى ، أو سبع ليال وأحدثك عن الأعوام الأخيرة ، ولكني لا أحب أن أمتحن صبرك ، وفي مقدورك أن تعرف بغير تعريف . فقد سارت حياتنا سيراً هادئاً كأنها يوم من أيام الصيف دون أن يقع شيء من النزاع مذ قتل كوينتال ، وعاشت الأمهات وعشت معهن للأطفال وإنهن لأمهات طيبات على الرغم من أنهن كن كافرات وثنيات من قبل ، ومازلن كذلك من بعض الوجوه ، على أن بعض الكفار مما يمكن أن ننتفع بدرسه .

نعم ، حياة هادئة طيبة تلك التي أتيحت لنا في السنوات التسع الأخيرة ، وإني لكبير الشك في أن تكون هناك في أي مكان آخر أسرة إنسانية تعيش معاً وبينها من التراحم والتواصل فوق ما بين أسرتنا . ذلك أن في حياتنا سلاماً وفي قلوبنا سلاماً ، وقد صارت جزيرة بتكيرن الآن وطننا

جميعاً . وهذه جملة الحال فى ألفاظ قليلة .

* * *

بعد زيارة السفينة « ثوباز » ببضع سنوات، ظهرت سفينة بريطانية عند جزيرة بتكيرن ونزل ربانها إلى البر لينظر ، فلم يحاول سميث أن يختبىء . وقال : « إنى آخر ثوار السفينة بونتى ، وأنا مستعد أن أعود معك لأحاكم ، فإن العمل الذى بدأت فيه هنا سيستمر بدونى » . ولكن الربان البريطانى هز رأسه وقال : « لا أعرف شيئاً عن السفينة بونتى ، ولم أر أحداً له علاقة بالفتنة ، ولست أفهم فى أى شىء تتكلم . وهؤلاء الأطفال يحتاجون إليك » ، وصافح سميث وانصرف .

[ نبذة من « جزيرة إيستر » لمؤلفها روبرت ج . كايسى ]



## ولادة تمثال

فرغ رودان المثّال الفرنسى من صنع تمثال فخم للشاعر ڤيكتور هوجو، وقد مثّلهُ فيهِ واقفاً على هامة صخرة ، وحوله ربّات الفنون وعرائس البحار . وفى صباح أحد الأيام جاء المثّال بجماعة من الصحفيين إلى داره ليروا التمثال ويتأملوه قبل أن ينقشه على الرخام أو يصبّه فى البرونز . وكان لسوءِ حظه قد ترك النافذة مفتوحة فى الليلة السابقة ، وثارت عاصفة هوجاء دفعت المطر الغزير منها ، فتحول طين التمثال كتلة من الصلصال لا قوام لها ، وهوى مثال الشاعر فى وهدة من الوحل .

وفتح رودان الباب ، ودعا زوّاره ليتقدموه إلى الحجرة ، وإذا هو يرى الكارثة التى نزلت بتمثاله ، فكاد ينتف لحيته نتفاً من الغيظ والحنق ، ولكن أصوات الصحفيين ارتفعت بالإطراء العظيم .

« مدهش ! آية ! هذا فكتور هوجو ينهض متسامياً فوق الخبث والفساد . ماأعظمه من رمز ! ياأستاذ هذه آية من آيات العبقرية . لقد حاولت أن تمثل فساد عصر لم يبق فيه شىء من النبل والطهر سوى صوت الشاعر . ما أروع مافعلت ! »

فسألهم رودان متخاذلاً : « أهذا رأيكم ؟ »

فقالوا جميعاً : « طبعاً ، هذه آية الآيات » .

[ أناتول فرانس ]

## نهج للحياة

« كلٌّ مُقْتَصِرٍ عليه كافٍ ... مَن صارع الحق صرعه ... الغِيبة جهد العاجز ... الخلاف يهدم الرأي ... الطامع فى وثاق الذل ... مَن لان عوده كثفت أغصانه » .

[ على بن أبى طالب ]

ما أكثر كلامنا عن العقل والمعرفة ، ولكن ماقيمتهما ؟ إن القلب لايسعه أن يحيا بهما . وإنّ المرءَ لينزل عن كل معرفته فى سبيل قبلة واحدة ، وينزل عن كل عقله فى سبيل لمسة رفيقة واحدة — واحدة !

[ الكاتبة : أوليف شراينر ]

يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها .
أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها .

[ صحيفة « پوست دسباتش » ]



## امتحن معارفك الصحية

[ الأجوبة الصحيحة ]

١ : الحماق الجديرى ٢ : إسهال الأطفال
٣ : اكتشاف السير ألكسندر فلمنج
٤ : السرطان ٥ : كلها يمكن توقيها
٦ : السرطان ٧ : نقص ڤيتامين د
٨ : الحمى الروماتزمية ٩ : مخالطة المصابين من البشر ١٠ : حمى التيفود وحمى التيفوس والجدرى .
١١ : لويس باستور ، الوقاية من الكلب .
بيلا شيك ، اختبار مناعة الدفتريا .
مدام كورى ، اكتشاف الراديوم .
وليم رونتجن ، اكتشاف الأشعة السينية .
١٢ : حق ١٣ : باطل (يصنع الجسم ڤيتامين د ، إذا تعرض لضوء الشمس) ١٤ : باطل ( يوجد فى كل أرض ملوثة بروث البهائم )
١٥ : باطل (عاج الأسنان أصلب) ١٦ : حق
١٧ : باطل ( فقد تبلى الأسنان من نقص بعض عناصر الطعام ) ١٨ : باطل ( عدد المصابين به من الرجال أكثر من عشرة أضعاف المصابين به من النساء ) ١٩ : باطل ( ولكن الأطفال أشد قبولا للإصابة به ) .

# طريق إلى فهم الاتحاد السوفيتي





تأليف

ولیم س. بولیت

سفير الولايات المتحدة سابقاً في الاتحاد السوفيتي
فسفيرها في فرنسا، فمندوبها الخاص في الشرق الأوسط

إن منع الحرب يقتضى كل مفكر أن يحاول فهم الاتحاد السوفيتى ، وهذا الكتاب يختلف عن سائر الكتب التى تعالج المشاكل الدولية ، فى حسن بيانه ودقة اختصاره . وهو يستغرق شوق قارئه ويفيده معرفة واسعة ورأياً نافعاً . ولا ريب فى أنه سيصير مدار حديث الناس . والصفحات التالية هى مختصر الفصل الثانى منه :

# مملكة فنيحة الأركان

قال روزفلت يوم ١٠ فبراير ١٩٤٠ « كل من تواتيه الشجاعة على مواجهة الحقائق يعلم أن الاتحاد السوفيتى تديره ديكتاتورية لا تقل جبروتاً عن أية ديكتاتورية أخرى فى العالم » . ثم لم يكد ينقضى عام واحد حتى كان هتلر قد غزا أوربا وانقلب يهاجم الاتحاد السوفيتى ، وقضت مصلحة أمريكا أن تُعان روسيا على مقاتلة غزاتها الألمان ، فوصلها المدد . وكان روزفلت يأمل بهذا التكاتف مع الاتحاد السوفيتى أن يتفقا على تسوية مؤقتة يكون من شأنها تدعيم سلم مُوَطّد الأكناف .

وبعد مؤتمر طهران ظل روزفلت يتحدث ساعتين إلى الصحفى فورست ديفس ، فكتب فى صحيفة ستردای إيفننج بوست يقول : « إن الخطة العامة التى وضعها روزفلت للوصول إلى عالم متمسك بأهداب السلم مطيع للقانون هى جرّ روسيا إلى أن تشارك مخلصة طيبة النفس فى التسوية التى تعقب الحرب . ومن أجل ذلك تجنب روزفلت كل ما من شأنه أن يسىء إلى الكرملين . ولبّ سياسته هو العمل على تهدئة روع ستالين » .

وكان روزفلت يأمل تحقيق خطته بالوسائل الآتية :

١ — إمداد ستالين بكل ما يحتاج إليه فى مواصلة الحرب ، لا يبغى من ذلك جزاء .

٢ — حمل ستالين على أن يوافق على

التصريحات الصادرة ببيان الأهداف العامة كميثاق الأطلسي .

٣ — مقابلة ستالين وجهاً لوجه، وحمله على قبول مبادىء العالم الجديد والديمقراطية .

وانتقد أناس هـذه السياسة وقالوا : « ما العمل إذا تبين ، برغم هذا التساهل ، أن ستالين لا يلين جانبه ، ولا يعدل عن إصراره على اتباع سياسته الخاصة ، صارفاً نظره عن العالم الغربي ؟ » وجواب ذلك ، كما قال فورست ديفس، هو: «إن روزفلت فاق كل رجال السياسة في المغامرة بالكثير لنيل الكثير ، فقد راهن على أن الاتحاد السوفيتي في حاجة إلى السلم ، وأنه يريد أن يشتريه بالتكاتف مع العالم الغربي » .

وقد خسر روزفلت رهانه ، ومات قبل أن يتبين له ذلك بدلالة مافعلته روسيا في بولندة والمجر والنمسا ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وألمانيا وإيران ومنشوريا وكوريا ، إذ لم يتحول ستالين عن عقيدته . وقد أثبتت حوادث ١٩٤٥ بما لايدع شكا ، أن ميثاق الأطلسي واتفاق يالتا كانا في نظره بمثابة ثوب جميل وجده حاضراً ليتخفى فيه ، فهو يلبسه إلى أن تنقضي حاجته إلى التخفي .

لماذا يتعذّر إرضاء ستالين ؟

إن أهل الاتحاد السوفيتي يعيشون في رقعة ذات غنى وفير لم تزدحم بالسكان ، ولم تستغل مواردها بعدُ ، ويبلغ من اتساعها أنها تشغل سدس العالم كله . ويتطلع الروس إلى مستوى أعلى في المعيشة ، وإلى شيء من الحرية الفردية والسلم . فأما وقد نزع سلاح ألمانيا واليابان فلم يبق للدول الكبرى إلا أن تصادق الاتحاد السوفيتي . وهذا وضع يحمل أية حكومة ديمقراطية على أن لاتفكر إلا في السلم. فلماذا إذن لاتنطفىء شهوة حكومة السوفيت في التوسع ؟

ونجد جواب هـذا في التيارات القوية التي تدفع السوفيت إلى الاستعمار ، وبعضها دفين في أعماق تاريخ روسيا ، وبعضها متصل الأسباب بالمذهب الشيوعي . فالاتحاد السوفيتي لا نظير له بين الدول الكبرى ، فهو ليس دولة فحسب ، بل هو أيضاً مركز قيادة لعقيدة دولية . ومن المهم أن نفهم حقيقة هذه الدولة ، وأهم من ذلك أيضاً أن نفهم حقيقة العقيدة الشيوعية ، إذ أنها هي التي تملي على الاتحاد السوفيتي سياسته الخارجية . فلنبدأ إذن بتتبع نمو روسيا تحت حكم القياصرة .

## روسيا ترث الشكوك والرِّيَب

عرف التاريخ الروس أول ما عرفهم سكاناً في مراعي أوكرانيا والغابات الممتدة حول نجود نوفجورود وموسكو ، في أرض

لا تحمها حدود طبيعية ، بل هى رقعة لا بَيّنة التخوم ولا منيعة الجانب ، واقعة فى هذا السهل العظيم الممتد من منغوليا إلى بوردو .

ومنذ فجر التاريخ شهد هذا السهل الخصب المترامى بين آسية وأوربة هجرة قبيلة إثر قبيلة من الهمج الرحّل نحو الغرب ، يعبرون الأودية المنخفضة بين جبال الأورال . ولعل الروس أنفسهم قد وصلوا بهذا الطريق ذاته إلى الأرض التى استقروا فيها ، ولم يجدوا فيها ما يحميهم من جموع الهمج التى تتابعت فى إثرهم ، وقاسوا أيضاً عداوة جيرانهم فى الشمال والجنوب والغرب ، وغزيت أرضهم مراراً . فتاريخهم سلسلة من الحروب ، والمجاعات والتعذيب ، وهتك الأعراض ، والتقتيل والرق ، فعلمتهم هذه التجارب القاسية أن ينظروا إلى الغريب نظرتك إلى من يريد أن يقتلك ويسلبك أرضك . فلا جرم أن أصبحوا من جراء هذه الأهوال أكثر الناس ريبة . فلم يكن لهم بد من ممارسة فن الخداع وفن الحرب ، وأصبح من غرائزهم أن يعاملوا الغريب بوجه يبدى الصداقة ، والقلب باق على الحذر والتكتّم .

والروس من أشد أهل أوربة بأساً ، ولولا هذا لما عاشوا ، وقد خرجوا من محنهم القاسية دون أن يمسّ ما ورثوه من القوة والبأس ، فهم أقوياء الأجسام والعقول والأرواح . والمرأة الروسية أكثر تحملا للجهد من الرجل ، وهى منذ كانت تقوم بأعمال أشق من عمل زوجها ، وتلد له أيضاً ، ولا تزال على ذلك إلى اليوم . ولقد غلب العدو الروس مراراً فى القتال ، ولكن هيهات أن يفوقهم فى كثرة النسل .

## سبعة قرون تحت حكم الطغاة

ولقد ظل الروس طوال تاريخهم تحت حكم الطغاة ، فما عرفوا قط معنى الحياة فى ظل الحرية المنظمة . وكانت روسيا إبان حكم آخر القياصرة نيقولا الثانى ، تبدو فى عين الأمريكى والإنجليزى بلداً يجثم عليه استبداد لا يطاق ، ولكن الروس كانوا يومئذ ينعمون بنصيب من الحرية يزيد عما ألفوه .

وقد ثبّت دعائم الحكم الغاشم فى روسيا أنها وقعت فى سنة ١٢٤٠ فى يد باتو حفيد جنكيزخان مؤسس الإمبراطورية المغولية ، فعاش الروس قرنين تحت حكم المغول ، وأجبر من بقى حياً من أمراء الروس على الاعتراف بخضوعهم ( للخان ) زعيم المغول . ويقول المؤرخ فرنادسكى :

« وقد تجلى أثر المغول فى نواحٍ كثيرة من أنظمة الحكومة والمجتمع فى روسيا ، إذ أن الدولة المغولية كانت تقوم على مبدأ

خضوع الفرد خضوعاً مطلقاً لحكم قبيلته ، ويفضى هذا إلى خضوعه للدولة . وقد رسخ هذا المبدأ على الزمن رسوخاً تاماً فى أذهان الشعب الروسى ، وكان من نتائجه فرض التجنيد الإجبارى على جميع طبقات الشعب . وإذا نظرنا إلى المبادىء المغولية نظرة شاملة وجدناها ضرباً من الدولة الاشتراكية .

« وجاء المغول برأى جديد فى سلطة الأمير ، إذ قالوا إنها تستند إلى قوته التى لاترحم ، فهى سلطة فردية مطلقة ، وينبغى الخضوع لها خضوعاً أعمى . فلما انقضى حكم المغول ورث خلفاؤهم هذا الرأى » .

ولم يقتصر تأثير المغول على أنظمة الحكم فى روسيا بل تعداها إلى الدين أيضاً ، فقد حمل الدوق فلادمير ، صاحب مدينة كييف رعاة الوثنيين على التنصر فى سنة ٩٨٨ . ومن يومئذ أصبح الروس أكثر الشعوب المسيحية تديناً . وسرعان ماعرف حكامهم كيف يستغلون تدينهم لأغراضهم السياسية ، فلما استولى الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وحطموا الدولة الرومانية الشرقية ، بدأ إيفان الثالث ، دوق موسكو ينشر فكرة خلافته لقسطنطين ، وأنه أصبح الحامى الوحيد للكنيسة الأرثوذكسية ، وأن موسكو هى رومة الثالثة . واستكمالا لمظاهر هذه الخلافة ، تزوج إيفان إحدى قريبات آخر الأباطرة البيزنطيين . ومن هنا نشأت عقيدتهم بأن موسكو هى مبعث النور والمدد لهداية الناس إلى الفضيلة . وما أسهل أن يقتنع الشعب بأنه أرقى من بقية الشعوب ، وأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . وأصبح الروس المتدينون يؤمنون بأن الله قد اختارهم لإنقاذ العالم . وصار خلاص العالم على أيديهم مثلاً أعلى لايبرح أذهانهم منذ استولى الترك على القسطنطينية . وقد استعان القياصرة بهذا الاعتقاد لشن الحروب ، لا على المسلمين فحسب ، بل على سائر الأمم المسيحية أيضاً . والشيوعيون ينهجون هذا المنهج ، مع عداوتهم للدين ، بغية تأييد عُدْوانهم .

### البوليس السرى من تقاليد القياصرة

وهكذا أنشأ الحكم المغولى عادتين روسيتين لاتزالان إلى اليوم من العوامل القوية الحاسمة فى روسيا السوفيتية .

١ — أنه من المألوف أن يعيش المرء فى ظل ديكتاتورية ودولة مطلقة السلطان .

٢ — أنه كتب على موسكو أن تحكم العالم وتنقذه .

وقد استحدث إيفان المخيف (الذى حكم من ١٥٤٧ إلى ١٥٨٤ ) فكرة جديدة فى الحياة الروسية تمثلت فى إنشاء هيئة

منقطعة النظير لا تزال قائمة إلى اليوم ، ألا وهى هيئة البوليس السياسى السرى ، تتبع الخائنين له وتعاقبهم بأشد قسوة وحشية .

وكان إيفان المخيف عظيم الهمة وافر القوة يلذ له التعذيب (وقد قتل ابنه بيده) ، فكرهه النبلاء ، فقرر إيفان تصفيتهم ، وعهد بهذه المهمة إلى بوليسه السرى ، وأطلق يده فى قتل من يشاء من النبلاء ، وهتك أعراض زوجاتهم ومصادرة أملاكهم . فلما لم يبق منهم قدر كاف للتقتيل ، صرفوا بحثهم إلى ضحايا أخر . فحدث مرة أن ذبحوا أغلب سكان نوفجورود . ولقد شهد الميدان الأحمر فى موسكو ، بأمر من إيفان المخيف ، مصرع مئات ممن وقع عليهم غضبه ، حيث كان يلقى أحدهم حياً فى ماء يغلى أو يشوى على النار حتى يكونوا عبرة لسائر رعاياه . حدث هذا يوم كان شكسبير حياً ، والملكة إليزابيث جالسة على عرش إنجلترا ، ووثيقة الماجنا كرتا (التى لا تجيز القبض على إنسان إلا بحكم ) نافذة المفعول منذ ٣٥٠ سنة . فهذا هو مقدار تأخر الروس فى الزمن عن أساليب المدنية الغربية .

وهذه الهيئة السرية التى أنشأها إيفان ، وسماها « أوبريكينا » باقية إلى اليوم فى روسيا . حقاً لقد تغير اسمها فى زمن آخر القياصرة وأصبحت تدعى (أوخرانا) ولكن أصل طبيعتها لم يتغير . ثم رفعت الحكومة السوفيتية سلطة البوليس السرى إلى منزلة جديرة بحاكم أشد قسوة من إيفان المخيف . وكانت تعرف إبان حكم لينين وستالين باسم ( تشيكا ) ثم باسم ( أوجيبو ) وهى تسمى اليوم ( نيكفيدا ) وقد ارتفعت بالتجسس إلى مقام الفنون الجميلة ، وتولت ذبح آلاف مؤلفة من الرجال والنساء والأطفال ، ومكنت للذعر فى قلوب الروس . ( وقد قلدها هتلر وأنشأ على غرارها الجستابو الذى يتصل نسبه بالأوبريكينا ) .

وقد ظل الروس قروناً عديدة يعدّون إيفان المخيف هو المثل الحىّ للشر ، ولكن ما كاد ستالين يفرغ من تصفيات (١٩٣٦ - ١٩٣٨ ) حتى بدأ مؤرخوه المطيعون يصورون إيفان فى صورة البطل ، فترى الصبيان يلقنون اليوم فى دروسهم أنه كان قائداً نبيلا للشعب الروسى .

وفرق إيفان ما يملكه ضحاياه من أرض ومدن وقرى على «الأوبريكينا» ، وأنشأ له بلاطاً جديداً من هؤلاء السفاحين البارعين ، وسمى نفسه قيصراً تشبهاً بقياصرة الرومان ، واصطفى لنفسه حاشية غريبة الأطوار ، إذ جعلها على غرار الرهبان ، فكان رجال الأوبريكينا يرتدون المسوح السود ، ويخلطون بين أعنف نزوات الفحش وبين

التعبد والصلاة . وقد رأت الأوبريكينا أن أرضهم تغل لهم ربحاً أوفر لو هم حرموا على فلاحيها أن ينتقلوا إلى غيرها . وكانت حرية الفلاحين قد حدّ منها كثيراً ولكن إيفان أصدر فى سنة ١٥٨١ أمراً بأن يبقى الفلاحون وأسرهم إلى الأبد فى الأرض التى يزرعونها . وهكذا فرض الرقّ على الفلاحين . ويختلف الرق فى روسيا عن مثيله بين الزنوج ، إذ يسترق الفلاحين للأرض لا لملاكها ، فهم لايباعون إلا مع الأرض . وأصبح معظم الروس رقيقاً ، فالفلاحون هم سواد الشعب ، ولم يتحرروا من هذا الرق إلا فى ١٨٦١ . وهكذا عاش الشعب الروسى ٢٨٠ سنة فى حال كحال رقيق الزنوج فى أمريكا ، بل لعلها شرّ وأشنع .

وإيفان المخيف هو أول من عهد إلى رعاياه فى مملكة موسكو الصغيرة ، أن يخرجوا إلى الغزو ، فأتاح لهم أن يحكموا من كرة الأرض سدسها ، وانتزع فى ١٥٥٢ مدينة قازان من يد حكامها التتر ، واستولى فى ١٥٥٤ على أستراخان . وهكذا بدأت أمواج من الروس تغمر السهول المديدة التى اجتاحها المغول من قبل فى غزواتهم إلى أوربة . وقد خضع لحكمهم فى القرون الأربعة الماضية ١٦٨ شعباً وقبيلة . وهذه الكتب المدرسية الصادرة فى الاتحاد السوفيتى فى ١٩٣٥ مكتوبة بنحو ١٦٥ لغة ولهجة .

وقد بسط الروس حكمهم على سيبريا والشعوب الإسلامية التى يغصّ بها الجانب الشرقى الجنوبى من روسيا ، وعلى القرم والقوقاز وأواسط آسية ، وقد تم هذا الغزو ببطء وبعد وقت طويل ، ولكن الروس ثابروا عليه ، وأخيراً ثبت الروس دعائم حكمهم فى الشواطىء الشمالية للمحيط الهادى .

### مشروعات السنوات الخمس فى عهد القيصر

وحاول الروس أن يتجهوا شطر المحيط الأطلسى ، فصادفوا معارضة أشد بأساً مما لقوه من قبل ، إذ صدمتهم طلائع المدنية الغربية ، وهى تفوق مدنيتهم فى كافة مظاهر الحياة ، فلم يتقدموا كثيراً لما هم عليه من التأخر . وأراد بطرس الأكبر ( الذى حكم من ١٦٨٢ إلى ١٧٢٥ ) أن يقضى على هذا التأخر ، فزار أوربة ودرس فنونها الصناعية .

كان رجلا شديد الصرامة يتأجج نشاطاً وذكاء ، وقد قرّ عزمه على أن يقتبس الأساليب الأوربية ، مهما كلفته من ثمن ، لتنظيم اقتصاديات بلاده ، لكى يزيد قدرتها على القتال ، ولكنه — كما يقول المؤرخ الروسى الكبير كليوشفسكى :

« لجأ إلى القسوة المفزعة لتنفيذ أغراضه النافعة ، فكان إصلاحه صراعاً مرّاً

بين الطغيان وبين الشعب وهممه الفاترة . وكان بطرس يأمل بالتهديد بسلطانه الواسع أن يوقظ روح الابتكار فى شعب غريق فى الرق ، كما أراد أن يستعين على نشر التعليم بالنبلاء أصحاب الرقيق، إذ كان شرطاً لازماً لانبعاث روح الابتكار فى الشعب . وأراد أن يعمل الرقيق ، وإن ظل رقيقاً ، عمل الأحرار ذوى الإرادة . فهذا التفاعل بين الاستبداد والحرية وبين التعليم والرق، هو المشكلة السياسية التى ظللنا قرنين، منذ حكم بطرس، نحاول أن نجد لها حلا، وهى لا تزال إلى اليوم باقية بغير حل » .

ولا يزال ستالين يحاول أن يجد لها حلا، فإن مشروعات السنوات الخمس التى وضعها متصلة النسب بمشروعات بطرس. وقد فرضها بطرس — كما يفعل ستالين — على شعبه المتقاعس بالقوة بل بالقتل .

وحاول بطرس أن يفتح لبلاده نافذة تطل منها على أوربة ، فنقل عاصمته من موسكو إلى المستنقعات المحيطة بنهر نيفا ، وعلى أكمة هنالك بنى مدينة سان بطرسبرج وهى تسمى اليوم لنينجراد . ودفعه حرصه على هذه النافذة المطلة على أوربة ورغبته فى توسيعها ، إلى محاربة السويد ، فهزمهم فى سنة ١٧٢١ واستولى على إستونيا وليفونيا وبعض أجزاء كاريليا وفنلندة .

فلما هب بطريق موسكو الزعيم الروحى للكنيسة الأرثوذكسية يعارض إصلاحات بطرس ألغى بطرس منصب البطريق وجعل مكانه هيئة حكومية تسمى « المجمع المقدس » . وهكذا تم لبطرس الأكبر إخضاع الكنيسة لسلطانه ، كما فعل ستالين من بعده ، إذ جعلها خاضعة للسوفيت ، حينما أنشأ فى الحكومة السوفيتية لجنة تختص بشئون الكنيسة الأرثوذكسية ، ورئيسها أشبه بوزير الدين .

وسار خلفاء بطرس على خطته فى محاولته تدعيم استبداده وتقوية جيوشه باقتباس ما تعرفه أوربة من العلوم والأساليب الصناعية. فإذا نظرنا إلى بلاط الإمبراطورة كترينا (التى حكمت من ١٧٦٢ إلى ١٧٩٦)، وجدت فيه مظاهر الحياة الأوربية، ولكن الفلاح الروسى ظل وراء هذه المظاهر يعيش فى وهدة الأقذار والبؤس والرق .

وتاقت كترينا إلى المجد الحربى، فتكتمت أمر خطة وضعتها للغزو، وكان أول غرضها أن تستولى على شواطىء البحر الأسود والبلقان والقسطنطينية ، فهاجمت تركيا وانتزعت منها مساحات واسعة ، ولكنها لم تفلح فى فتح القسطنطينية . أما غرضها الثانى فكان بولندة .

وأرادت كترينا أن تتفادى الحرب بينها

وبين بروسيا والنمسا فأشركتهما فى جريمتها، واقتسمت الدول الثلاث بولندة لأول مرة فى ١٧٧٢، ثم فى ١٧٩٣، وأخيراً فى ١٧٩٥، بعد أن حارب البولنديون من جميع الطبقات ببسالة دفاعاً عن حريتهم، ولكن اسم بولندة محى من خريطة أوربة.

واستولت روسيا على أكبر جزء من بولندة، ولكنها وجدت نفسها تزدرد لقمة عسيرة الهضم، إذ أصبح كل بولندى يدين بما جاء فى نشيدهم القومى: « لن تموت بولندة ما دمنا أحياء »، ومن العسير أن يحكم رجال ذاقوا أقل قسط من الحرية بوسائل العنف والاستبداد التى ابتدعها رؤساء المغول. فاضطر الإسكندر الأول حفيد كترينا إلى بحث مطالبة البولنديين بدستور لهم، فوضع لهم فى ١٨١٥ دستوراً يجمع بين روسيا وبولندة تحت حكم القيصر نفسه، ولكنه منح بولندة كياناً سياسياً منفصلا له مجلس نواب وصحافة حرة وعلم وطنى مستقل.

وامتعض رعايا القيصر حين رأوه يمنح البولنديين المغلوبين حقوقاً أنكرها على الروس الفاتحين، وكان هذا ولا ريب تناقضاً عجيباً، فبدأ الروس يطالبون بحقوق مثلها. ولما شبت نيران الثورة فى بولندة سنة ١٨٣٢ قضى النبلاء الروس على هذا التناقض بأسلوب ينم عن طبعهم، إذ قرروا إلغاء دستور بولندة، بدلا من أن يمنحوا الروس مثل ما للبولنديين من حقوق، وكذلك ساروا بين الأمتين، ولكنها مساواة على الطريقة الروسية، غير أن هذا المستوى كان أحط مما ألفه البولنديون.

ووصف المؤرخ سير برنارد باريس حوادث ١٨٣٢ أصدق وصف حين قال: «سقطت بولندة فريسة فى يد الأداة الحكومية الروسية، فكأن روسيا لا تستطيع حكم بولندة إلا إذا جردتها من المدنية». واستعادت بولندة استقلالها ١٩١٨، ولكنها محيت مرة أخرى من خريطة أوربة حينما هاجمتها جيوش هتلر وستالين معاً، وتصافح الديكتاتوران الغاشمان فوق جثتها، وأبرق ستالين إلى فون روبنتروب يقول: « لقد ربط الدم بين الشعبين الروسى والألمانى برباط صداقة جديرة بالبقاء والثبات الدائم».

واليوم تحتل الجيوش الروسية بولندة، وتقيم فى وارسو حكومة كالألعوبة فى يد موسكو، ومن البلاء أن لا يجد المرء شيئاً يحمله على الاعتقاد بأنهم اليوم أكثر رغبة عما كانوا منذ ١١٤ سنة، فى منح البولنديين حقوقاً لم تمنح للروس حتى اليوم.

## الدنو إلى الديمقراطية

وتجلى أول مظهر لبدء اهتمام الروس

بالديمقراطية السياسية والحرية الفردية ، على أثر غزو نابليون أرض روسيا. فلما أوقعت الجيوش الروسية الهزيمة بنابليون ، سارت إلى باريس ، فرأى الضباط الروس فى فرنسا وألمانيا مستوى من المعيشة والثقافة والحرية والسعادة أرفع بكثير من مستواهم ، فلما عادوا إلى روسيا بدأ نفر من صغارهم فى تأليف جمعيات سرية غرضها الإصلاح السياسى.

ولما مات القيصر إسكندر فى ديسمبر ١٨٤٥ قام نزاع على وراثة العرش ، فانتهز المتآمرون هذه الفرصة وأشعلوا نار الثورة فى سان بطرسبرج ، ولكنه كان يسيراً على حاكم المدينة أن يخمدها ببضعة طلقات من المدافع ، وقدم للمحاكمة ١٢٠ متآمراً فأعدم خمسة منهم ، وذلك لأنه لم يكن من دأب قياصرة القرن التاسع عشر أن ينتقموا من أسر المتآمرين وأصدقائهم ، كما كان يفعل سلفهم إيفان المخيف ، أو خلفهم ستالين .

وظلت تيارات الديمقراطية التى حركها المتآمرون تعم البلاد طوال القرن التاسع عشر ، وطغت فى ١٩٠٥ كالسيل المتدفق ، وأخيراً غمرت القيصرية فى ١٩١٧ . ولقد قضت روسيا ٩٢ سنة فى فوران سياسى واقتصادى وثقافى وفنى ، وانبثق من هذه الفورة كتاب عظماء كبوشكين ودستوفسكى وترجنيف وتولستوى وشيكوف ، وموسيقيون مشهورون وارتقى الرقص المسرحى ( البالية ) إلى مستوى الفنون الجميلة ، وقام العلماء الروس كمندليف وبافلوف وغيرهما بأبحاث علمية عظيمة الخطر ، وأعانت السكك الحديدية وانتشار الصناعة على تحويل روسيا عن الاقتصاد الزراعى الذى كان وزاد عدد السكان زيادة كبيرة حتى بلغ ١٧٠ مليوناً فى ١٩١٤ .

أما القياصرة فقد ظلوا وحدهم — فيما يبدو — عاجزين عن التطور ، إذ لبثوا يتشبثون بسلطان المستبدين لا ينزلون عن شيء من حقوقهم حيال ضغط القوى المطالبة بالإصلاح ، إلا بقدر ضئيل أو بعد فوات الوقت . والواقع أنهم كانوا لا ينزلون عن بعض سلطانهم إلا حين تثير هزيمتهم فى الحرب غضب رعاياهم . وتأججت نيران ٥٥٦ ثورة بين الفلاحين فى عهد القيصر نيقولا الأول ( من ١٨٢٥ إلى ١٨٥٥ ) ، ولكنه لم يهتد إلى علاج أحسن من إقدامه على إلغاء حرية الفكر . واشتبك قبل وفاته فى حرب القرم ضد فرنسا وبريطانيا العظمى ، وخلف لوارثه إسكندر الثانى ( من ١٨٥٥ إلى ١٨٨١ ) هزيمة منكرة . وكان إسكندر متذبذباً سليم الطوية ، فاضطره ضغط الغضب الوطنى والحركة الديمقراطية التى انبعثت من الهزيمة إلى أن يحرر الرقيق فى ١٨٦١ .

واقتبس فى ١٨٦٤ نظام المحلفين ، وكان هذا النظام معروفاً فى إنجلترا منذ ٦٥٠ سنة خلت ، ثم كانت نهايته أن قتل غيلة .

وعاد إسكندر الثالث ( من ١٨٨١ إلى ١٨٩٤ ) إلى سياسة القمع ، واضطهد الكنائس المنشقة ، وكم الصحافة ، وطارد المطالبين بالإصلاح السياسى والثوار . ثم خلفه آخر القياصرة نيقولا الثانى ، وهو رجل واهن ضعيف كالطفل فى عجزه عن قيادة الشعب الروسى الجامح ، وقد أعلن نيقولا الثانى بعد تولية العرش : « ليعلم الناس جميعاً أننى لست أقل من أبى إصراراً على الدفاع عن مبدأ حكم الفرد » .

وأثارت هزيمة روسيا على يد اليابان فى ١٩٠٥ غضباً وطنياً أفضى هو وجميع المظالم التى يعانيها الشعب الروسى، إلى إعلان الإضراب فى كافة أرجاء البلاد فى ١٠ أكتوبر ١٩٠٥ . فاضطر نيقولا الثانى إلى التخلى عن شىء قليل من سلطته ، ومنح رعاياه فى ١٧ أكتوبر قسطاً من حقوقهم ، وبرلماناً يعرف باسم الدوما .

وعم الفرح أرجاء البلاد ، ومرت لحظة خيل فيها أن روسيا قد تصل بالتدريج إلى نظام الملكية الدستورية كما فى إنجلترا ، ولكن القيصر كان يمقت الدوما ، فعاشت روسيا بعد ذلك ١٢ سنة فى حال تقارب الثورة . ومع ذلك كانت تلك السنون هى الفترة الوحيدة التى نعم فيها الروس منذ فجر تاريخهم بقسط ضئيل من الحرية .

وألفت الحرب الأوربية الأولى بين معظم الروس فترة قصيرة تحت لواء « الاتحاد المقدس » ، واتقدت كراهية الألمان فى الصدور ، ولكن الهزائم اللاحقة التى أنزلها عاهل ألمانيا بالروس أثارت سخط الشعب على حكومة القيصر ، لإهمالها الشنيع وتلوثها بالرشوة . وبدأت جيوش الجنرال بروسيلوف فى صيف ١٩١٦ تشن هجوماً موفقاً على النمساويين والألمان ، ومع ذلك كانت الجنود الروسية تبيت على الطوى ثلاثة أيام أو أربعة ، ولم يكن لديهم شىء من وسائل العلاج ، ولكنهم ثابروا على هجومهم بشجاعة فائقة وجلد . ولما انقضى هذا الهجوم فى سبتمبر ١٩١٧ كان عدد الخسائر فى جيش بروسيلوف قد بلغ مليون نسمة ، وأخذ الجرحى يتسللون إلى المؤخرة ، فأثار منظرهم حنقاً عنيفاً على القيصر الضعيف العاجز ، وعلى زوجه الواقعة فى براثن راسبوتين ، وعلى أداته الحكومية الفاسدة .

وقتل راسبوتين ، وأخذ كل من يستطيع الاتصال بالقيصر يحذره قرب وقوع الثورة ، وأخذ رجالات الدولة وسفراء حلفائه يحضونه على تبديل حكومته ، ومنح الدوما

سلطات واسعة ، ولكنه لم يستمع لهم ، بل أمر فى ١١ مارس ١٩١٧ بحـل الدوما وإطلاق الرصاص على المظاهرات التى سارت فى شوارع بتروجراد تصرخ مطالبة بالخبز .

## الثورة الروسـيـة

شبت نيران الثورة فى اليوم التالى ، وفى صـباح ١٢ مارس ١٩١٧ اكتسحت بتروجراد جموع المتظاهرين الهائجة الجائعة. وبعد ثلاثة أيام تخلى القيصر عن العرش ، وأرسل هو وأسرته إلى المنفى ، ولقوا جميعاً حتفهم قتلاً بعد أن وثب السوفيت إلى الحكم وهكذا محى اسم القيصر من روسيا ، ولكن القيصرية بعثت مرة أخرى باسم جديد : ألا وهو قيصرية لنين وستالين .

واستبشر العالم كله بخلع القيصر ورأى فيـه دلالة على بدء عهد من الحرية يستمتع به الشعب الروسى ، وأخذ الروس أنفسهم فى غمرة الفرح يعـانق بعضهم بعضاً فى الطرقات . وظن سائر العالم — وهو جاهل بأحوال روسيا وتاريخها أو لا يعلم منـه إلا القليل — أن امبراطورية القيصر المترامية الأطراف ستصبـح جمهورية ديمقراطية .

وبذلت الحكومة المؤقتة التى خلفت القيصر كل جهدها لاقتباس الأنظمة الديمقراطية ، ولكنه كان مجهودا ضعيفاً ، فقد كان رئيسها الأمير ليفوف من أشياع تولستوى المؤمنين بمبدأ عدم مقاومة الشر ، وعلاوة على ذلك فقد سقطت تلك الحكومة منذ مبدأ عهدها تحت رحمة العمال السوفيت ومندوبى الجنود فى بتروجراد .

وكان سوفيت بتروجراد عمالاً وجنوداً قد تمّ اختيارهم من المصانع والكتائب المعسكرة بالبلد، وانضم إليهم زعماء الأحزاب الاشتراكية المختلفة . وحُـرِّم على كافة الأحزاب غير الاشتراكية أن ينضموا إلى السوفيت . وفى مبدأ الأمر كان أغلب أعضاء هذه الهيئة من الثوار الاشتراكيين الذين يدعون أنهم يمثلون الفلاحين .

وانقسم الحزب الاشتراكى الديمقراطى إلى شعبتين ، تسمى الأولى « منشفيك » ، وهى تؤمن بأن الوصول إلى الاشتراكية ينبغى أن يتـأتى بالوسائل الديمقراطية ، وأنه لن يكتب لها الاستقرار بنجاح إلا إذا عمت الصناعة البلاد . والثانية هى شـعبة « البلشفيك » ، الذين أرادوا أن يقيموا النظام الديمقراطى فوراً بأية وسيلة كانت . ولما تبين لهيئة أركان الحرب الألمانيـة أن لنين سيعمل على إخراج روسيا من الحرب ، بعثت بهذا الزعيم البلشفيكى إلى لنينجراد فى إبريل ١٩١٧ ومنـذ ذلك الحين بدأ البلشفيك يتسمّـون باسم الحزب الشيوعى .

وكان سوفيت بتروجراد هيئة ضخمة العدد يعجزها أن تؤدى أعمالها يوماً بعد يوم فى ثورة لا تزال تتأجج، فانتقلت قيادة العمل إلى « اللجنة المركزية التنفيذية »، وسرعان ما انتزعت أعنة السلطان هيئة أخرى أقل منها عدداً هى مكتب رياسة اللجنة المركزية التنفيذية. وكان لنين يفوق بقية الزعماء فى الذكاء والإرادة والحصافة السياسية. فأخذ هو وأعوانه يبسطون نفوذهم شيئاً فشيئاً على السوفيت. وهكذا تحولت ديكتاتورية الطبقة العاملة قليلاً قليلاً إلى ديكتاتورية متحكمة فى الطبقة العاملة، وفى كل فرد آخر فى روسيا، وتجمعت هذه الديكتاتورية فى يد قائد الحزب الشيوعى.

ولولا لنين لكان من الجائز أن لا تقوم للبلشفية والحزب الشيوعى قائمة. وينحدر لنين من أبوين من الطبقة الوسطى، وهو رجل ضخم الرأس قصير الساقين، حلو الدعابة، قادر على اجتذاب قلوب الناس، وقد تبين له طريق حياته حينما قبض على أخيه الأكبر إسكندر إليانوف وهو يتآمر على قتل القيصر إسكندر الثالث، وكان يحبه حباً عميقاً، ثم شنق أخوه. فمن يومئذ وجد لنين بين جنبيه فى الأوقات الحرجة قلباً قاسياً لا يرحم، يناقض كل المناقضة ما جبل عليه من رقة ورحمة، وكتب فى ١٩٠١ يقول:

« إننا لم نتخلَّ قط، ولا يمكن أن نتخلى أبداً، عن الإرهاب، فهو من أعمال الحرب، ولا غنى عنه فى بعض مراحل الجهاد ».

وأعمال لنين أعون من أقواله فى فهم الاتحاد السوفيتى، ولكن بعض كلماته أصبحت اليوم من الحقائق الواقعة. وفارق وطنه سنة ١٩٠٠ ومعه بعض شركائه وأنشأ فى مونيخ فرعاً لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى سماه ( إسكرا ) أى الشرارة.

وتضمنت أولى مقالاته فى الصحف البذرة التى انبثق منها الحزب الشيوعى الراهن إذ قال: « يجب أن نعلم رجالا يقفون على الثورة حياتهم كلها، لا وقت فراغهم فحسب، فإن مقاومة البوليس السياسى تتطلب صفات خاصة ورجالا يحترفون الثورة. فإذا احتشدت لدينا فصائل من العمال الثائرين حنكتهم الدُّربة الطويلة، فلن يتغلب عليهم رجال الشرطة أياً كانوا. وينبغى لنا أن نستعين بالكتمان المطبق والتدقيق فى اختيار الأعضاء. وأخيراً ينبغى إنشاء رابطة من الأخوّة والثقة بين الثوار، فطلبنا إذن أن تكون لنا هيئة عسكرية »

وقد نجح لنين فى تأليف هذه الهيئة العسكرية، أى الحزب الشيوعى الذى يتحرى الكتمان المطبق والتدقيق فى اختيار الأعضاء.

## البوليس السري القيصري

### يبعث من جديد

ووقفت الهيئة الثورية المتماسكة القادرة التى شكلها لنين ، إلى الظفر بجنود وأسلحة وانتهزت فرصة الفوضى التى أشاعها تفكك الجيش الروسى المنهزم فنجحت يوم ٧ نوفمبر ١٩١٧ فى قلب الحكومة المؤقتة . واجتمع مؤتمر السوفيت فوراً ، وتألفت حكومة باسم وزارة الشعب رئيسها لنين ، وتولى تروتسكى وزارة الخارجية . وكان فى ذيل القائمة اسم « أ . ف . زوجا شفيلى ستالين الذى تولى منصب رئيس الجنسيات » .

واندفعت الحكومة السوفيتية تعمل حثيثاً لبسط سلطانها على روسيا كلها . وبعد نزاع دام أسبوعاً ، قضت على خصومها فى موسكو ، ثم بدأت تمد سلطانها على المدن الصغيرة والقرى فصادفت معارضة كبيرة . فعمد لنين فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٧ إلى بعث « الأوبريكينا » من جديد ، ذلك السلاح القديم الذى استغله إيفان المخيف ببراعة ووحشية . وأطلق عليها لينين اسم « اللجنة العليا للقضاء على أعداء الثورة » ، ولفظ « تشيكا » مركب من الحروف الأولى فى هذا الاسم . وبدأ رجال التشيكا يعملون بالقسوة التى عرفت بها الأوبريكينا ، وعلا « الإرهاب الأحمر » علواً كبيراً .

ويقول المؤرخ فرنادسكى :

« لم تكن الفظائع التى ارتكبت فى هذا العهد عرضاً من أعراض سوء استعمال السلطة ، فإن الإرهاب الأحمر أصبح أمراً معترفاً به ، وهو جزء لايتجزأ من أساليب إخضاع الأمة لإرادة البلشفيك . وقد صرح لنين نفسه بأنه « لايتصور أن تقوم الطبقة العاملة ديكتاتورية إلا بالإرهاب والعنف » فنزعت التشيكا من قلبها الرحمة والرفق . وكانت مهمتها محاربة طبقة البورجوازى ( أصحاب الأملاك والتجار ) ، ولكنها فى الواقع أبادت بلا تمييز كل من يشتبه فيهم أنهم من المعارضين للحكومة السوفيتية » .

وكان أمل جميع الديمقراطيين الروس منذ ثورة ديسمبر ١٨٢٥ أن يروا الشعب الروسى وقد أتيح له يوماً ما أن ينتخب جمعية نيابية لتضع دستوراً ديمقراطياً . وكانت الحكومة المؤقتة قد بدأت تعد هذه الانتخابات ، وأجريت يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٧ أى بعد ١٨ يوماً من استيلاء السوفيت على مقاليد السلطة فى بتروجراد . وكان عدد أعضاء الجمعية ٧٠٣ فلم يكن بينهم سوى ١٦٨ نائباً شيوعياً . واجتمع نواب الجمعية الدستورية فى بتروجراد يوم ١٨ يناير ١٩١٨ ، فأسرع الشيوعيون فقبضوا على النواب غير الاشتراكيين ، ولكن الأغلبية ظلت

للاشتراكيين الثوريين ، وانتخب شيرنوف لرياستها وهو معروف بعدائه للشيوعية ، فأرسل لنين إلى الجمعية جنوداً تحمل البنادق والمدافع وفض اجتماعها . وهكذا ضاع كل أمل فى إقامة الديمقراطية فى روسيا وأصبحت حكومة الاتحاد السوفيتى منذ ذلك الحين مظهراً سافراً للديكتاتورية التى يتولاها قائد الحزب الشيوعى . وكأن نظام الحكم الاستبدادى القديم الذى فرضه رؤساء المغول قد عاد فأطبق من جديد على الشعب الروسى بقسوة لا ترحم فكان كما قال مازاريك :

« لقد تخلصوا من القيصر لا من القيصرية، فهم يلبسون رداءها مقلوباً »

## الفوضى والحرب الأهلية

وتعقدت المشاكل التى واجهها لنين تعقداً شديداً ، من جراء إيمانه بأن البشر لن يجدوا خلاصاً إلا على يد الشيوعية ، وأن دعوته ليست هى إقامة الشيوعية فى روسيا فحسب ، بل إتاحة خيراتها للعالم كله . فلم تقتصر أغراضه المباشرة على تدعيم الحكومة السوفيتية فى روسيا فحسب ، بل تعدتها إلى تشجيع الثورة فى أوربة كلها . وكان يؤمن بأن الثورات الاشتراكية ستجتاح ممالك كثيرة فى أوربة، ولاسيما المجر.

ولكن هذه الثورات الاشتراكية لم تتقد شرارتها . والحكومة الشيوعية الوحيدة التى قامت زمناً وجيزاً فى أوربة كلها ، هى حكومة بيلاكون فى المجر. وقد امتد عهدها من ٢١ مارس إلى أول أغسطس ١٩١٩ . وقد بذل لنين أقصى جهده فى مساعدتها على البقاء ، وأرسل إليها سراً وفوداً تحمل المال والجواهر ، وظل يوالها فى الراديو بنصائحه وتوجيهاته، ولكن الاتحاد السوفيتى غير متصل الحدود بالمجر، فكان من العسير أن تعينها بالجيوش ، ومن جراء انقطاع المواصلات بينهما ضعفت هذه الحكومة وذهبت ريحها . وكان أهم ما أدته أنها علمت الاتحاد السوفيتى أن من العسير عليها أن تعين الثورات الشيوعية فى بلاد لا تجاور حدودها روسيا ، وأنه من الحكمة أن تحاول توسيع المنطقة التى تحكمها موسكو ، وذلك بغزو الأقاليم المجاورة قبل أن تحاول الإشراف على البلاد البعيدة عنها .

وأراد لنين أن ينقذ الحكومة السوفيتية من الدمار على يد جيوش عاهل ألمانيا ، فعقد معها فى ٣ مارس ١٩١٨ صلحاً منفرداً بالرغم من التزام روسيا فى معاهداتها مع حلفائها بأن لا تفعل . ورأى لنين فى جوع الشعب الجائعة ما يهدد بقلب نظام حكومته ، فأرسل حرسه الأحمر ورجال التشيكا للاستيلاء على الحبوب من الفلاحين، وجاء بها إلى المدن الجائعة ، وبدأ يوزع

الخبز ببطاقات التموين على نمط جعلها أقوى سلاح سياسى . ولما كان الحصول على الطعام متعذراً من السوق السوداء ، فقد أصبحت بطاقة التموين من أسباب الحياة . وجاد بهذه البطاقات على رجال التشيكا والحرس الأحمر وأعضاء الحزب الشيوعى وعمال المصانع ، كما جاد على أرباب الحرف وعمال المصانع العاطلين بنصيب ضئيل من الطعام حتى يهلكوا جوعاً رويداً رويداً . ثم غدّ بقية الناس من الرجال والنساء والأطفال عناصر غير منتجة ومنع عنهم البطاقات .

وقد نجحت ديكتاتورية لنين فى النهاية بفضل هذه الأساليب ، ولكنّ السخط الذى أعقبته كاد يقضى عليها ، إذ امتلأت قلوب الفلاحين غيظاً لاغتصاب حبوبهم وبدأوا يقاومون بالسلاح رجال التشيكا والحرس الأحمر . وكانت جميع العناصر الديمقراطية ساخطة أيضاً من جراء فض الجمعية الدستورية ، ومن جراء ما ارتكبته الحكومة مع من ترتاب فى معارضته من قتل وتجويع . فبدأت الحرب الأهلية .

وعلاوة على ذلك فقد أثار الصلح المنفرد الذى عقده لنين مع ألمانيا موجة متلاطمة من بغض الحلفاء لهذه الحكومة ، إذ أنه فك عقال قوات ألمانية عظيمة ، وخشى الحلفاء أن تحشد هذه القوات لمقاتلة الجيوش الفرنسية والإنجليزية والأمريكية التى كانت تحارب فى الجبهة الغربية . وكانت المخازن فى مورمانسك وأركانجيل ، وفلادفوستك ، ملأى بمقادير وفيرة من السلاح والذخائر التى أرسلها الحلفاء للجيش الروسى ، فقرّ عزم الحلفاء على أن لا يتركوا هذا العتاد يقع فى يد الألمان أو فى يد الحكومة السوفيتية . فنزلت فى شهر إبريل ١٩١٨ فصيلة من قوات الحلفاء فى مورمانسك ونزل غيرها بعد ذلك فى أركانجيل وفلادفوستك .

ولم يحاول الحلفاء أن يزحفوا إلى لنينجراد أو موسكو ، ومع ذلك تألفت قوات روسية تحت رياسة لفيف من القواد يؤيدهم بعض الحلفاء تأييداً فاتراً ، وأخذت تهاجم القوات الشيوعية بنجاح ، حتى إن الحكومة السوفيتية خلال فترة قصيرة من شتاء ١٩١٨ و ١٩١٩ لم يكن لها سلطان إلا على منطقة لا تزيد مساحتها عن دولة إيفان المخيف .

وبلغ الحرج بموقف الحكومة السوفيتية أنها قدمت فى ١٤ مارس ١٩١٩ إلى مبعوث أمريكى فى موسكو عرضاً مكتوباً يسرى مفعوله إلى ١٠ أبريل ١٩١٩ ، لعقد الصلح على أساس الوضع الذى يكون قائماً فى ميدان القتال . هذا مع أن القوات المعادية للشيوعية كانت تحتل حينئذ ثلاثة أرباع روسيا .

ورفض هـذا العرض زعماء الحلفاء المجتمعين فى مؤتمر الصلح بباريس ، وظنوا أن الحكومة السوفيتية ستفقد سلطانها على موسكو ولنينجراد، وأن حكومة ديمقراطية ستقوم مكانها . ومع ذلك فقد أبوا إرسال مدد من الجند يعين على إيقاع الهزيمة بحكومة السوفيت ، وكما قال لنين فيما بعد : « كان لدى الحلفاء ملايين من الجند ، فلو أنهم أرسلوا قوة لا تزيد على بضعة آلاف مؤلفة لأوقعت بنا الهزيمة » .

وبعد نزاع عنيف نشب بين الروس هلكت فيه جموع غفيرة بالتعذيب والقتل والجوع والمرض ، تمكنت الحكومة السوفيتية من هزيمة خصومها من الروس وبسطت سلطانها على إمبراطورية القيصر ، سوى فنلندة وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبسارابيا وبولندة .

ولم يحاول لنين طوال تلك المدة إخفاء الواقع من أن الحكومة السوفيتية هى التى توجه الحركات الشيوعية فى العالم كله ، فقد كان رئيس مجلس وزراء الشعب فى الحكومة السوفيتية . ولكنه اشترك جهرة فى مؤتمرات الشيوعية الدولية ( الكومنترن ) ، وكان هو رئيسها المبجل . والواقع هو أن وزارة الخارجية السوفيتية هى التى تولت بالراديو دعوة أول مؤتمر للكومنترن ، وكانت مهمته علانية هى تنظيم الثورة الدولية وتوجيهها إلى أغراضها .

## الكومنترن

مات لنين فى ٢١ يناير ١٩٢٤ ، فخلفه ستالين وأقام نفسه ديكتاتوراً بعد نزاع عنيف بينه وبين تروتسكى ، وأصبح صاحب سلطان مطبق على الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعى والبوليس السرى والكومنترن . ولقد رفضت الحكومات الديمقراطية أن تعترف لستالين بحق توجيه الطابور الخامس فى بلادها ، فكان هذا شيئاً مهماً فى تأخير اعترافها بالحكومة السوفيتية . وظلت أمريكا ترفض الاعتراف بها ست عشرة سنة ولكن روزفلت قرر فى سبتمبر ١٩٣٣ أن يقبل الاعتراف بالحكومة السوفيتية إذا هى تعهدت بالكف عن توجيه الحزب الشيوعى الأمريكى ، وسمحت بحرية الدين للأمريكيين المقيمين فى بلادها .

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٣٣ وقع ليتفنوف فى البيت الأبيض ، نيابة عن الحكومة السوفيتية ، اتفاقاً تتعهد فيه الحكومة السوفيتية بالكف عن « أى تدخل فى الشئون القومية للولايات المتحدة » .

ولكنهم لم يفوا بهذا العهد ، إذ اجتمع فى موسكو فى صيف ١٩٣٥ ، المؤتمر السابع

للشيوعية العالمية ، واحتل قادة الشيوعية الأمريكية مركزاً بارزاً فى هـذا المؤتمر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صدرت أوامر إلى الحزب الشيوعى الأمريكى ترشده إلى الوسائل التى يستعين بهـا على الوثوب إلى الحكم بالحيلة والخداع ، وعنـدئذ أمر روزفلت سفيره فى موسكو أن يقدم للحكومة السوفيتية مذكرة شديدة اللهجة احتجاجاً على روسيا لأنها نكثت عهدها بعدم التدخل فى الشئون القوميـة الأمريكية ، وبينت المذكرة أنه « إذا دأبت الحكومة السوفيتية على تجاهل عهدها الصريح ، فإن عملها ستترتب عليه آثار خطيرة جداً » .

ولم يعر ستالين هذه المذكرة أقل اهتمام بل راح يدأب على توجيه الحكومة السوفيتية والكومنترن معاً . فلما ظهر خطر هتلر ، قرر روزفلت أن من مصلحة أمريكا أن تتجاهل مؤقتاً نكث ستالين بعهده ، وأن تبقى العلاقات الدبلوماسية متصلة بينها وبين روسيا ، ولكن روزفلت لم يقر قط حق الحكومة السوفيتية فى توجيه الحزب الشيوعى الأمريكى . وطنطنت الحكومة السوفيتية بإلغـاء الكومنترن فى ٢٢ مايو ١٩٤٣ حينما أرادت أن تتظاهر بأنها حكومة ديمقراطية محبة للسلم . ولم ينقض عام واحـد حتى بدّل الحـزب الشيوعى الأمريكى اسمه باسم « الرابطة السياسية للشيوعية » ، ولكن ستالين ظل محتفظاً بالوسائل التى كان يستعين بها لبسط سلطانه على الشيوعية العالمية ، وإن اختلفت مظاهرها الخارجية .

## التراجع فى الجبهة الاقتصادية

خرجت الحكومة السـوفيتية من انتصارها فى الحرب الأهلية وهى متحكمة فى منطقة مترامية تبلغ مساحتها سدس العالم ، غنية بالمعادن ، وتضم بلاداً تجود فيها الزراعة ، ويسكنها ١٦٩ شعباً وقبيلة من أهل البأس والقوة ، ولكن الحرب العالميـة الأولى والثورة الشيوعية والحرب الأهلية أوقعت الاضطراب والانحلال بالنظام الاقتصادى كله فى هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ووقع على عاتق لنين عبء جسيم هو إعادة تعمير بلاده ، إذ هبط الإنتاج الصـناعى فى ١٩٢٠ إلى ثمن ما كان عليه فى ١٩١٣ ، كما قل محصول الحبـوب من ٧٤ مليون طن فى ١٩١٦ إلى ٣٠ مليوناً فى ١٩١٩ . فاضـطر لينين أن يبتدع سياسة اقتصادية جديدة تبيّن فيها التراجع عن السـياسة الشيوعية التى طبقت فى ١٩١٧ ، إذ كانت الحكومة السوفيتية تستولى من الفلاحين على محاصيل الحبوب وتترك لهم منها مقادير ضئيلة لطعامهم ، فامتنع الفلاحون عن إنتاج

ما يزيد عن حاجتهم . وأراد لنين تشجيع الفلاحين ، فأمر أن يباح لهم بيع ما يبقى لديهم من المحاصيل فى السوق الداخلية ، بعد أن تستولى الحكومة على حصتها. واحتفظت الحكومة السوفيتية بحق احتكار التجارة الخارجية ، وأنشأت نظاماً لتجميع المصانع فى وحدات تخضع لإشرافها ، كما أبقت فى يدها حق الإشراف على المصانع ذات الإنتاج الضخم ، وأذنت للأفراد بتملك بعض المصانع الصغيرة وإدارتها ، ومنحت امتيازات لرؤوس الأموال الأجنبية .

ولكن هذه التدابير لم تكن إلا وسائل مؤقتة لزيادة الإنتاج ، وحسبها كثير من الأجانب دليلا على عودة روسيا إلى النظام الرأسمالى ، فى حين أنها عند لنين وغيره من الزعماء ، ضرب من التحول الحكيم عن تدبير يمكنهم أن يعودوا إليه فيما بعد .

وقد بلغ من نجاح السياسة الاقتصادية الجديدة أن توالى ازدياد الإنتاج الصناعى والزراعى فبلغ فى ١٩٢٧ مستوى ١٩١٣ فى عهد القيصر . فقرر ستالين أنْ قد آن أوان شن هجوم على الجبهة الداخلية لفرض نظام المزارع المشتركة وبسط إشراف الحكومة على الإنتاج الصناعى وتقدمه فى الاتحاد السوفيتى ، طبقاً لبرنامج السنوات الخمس .

وليس يتأتى لأحد إلا لديكتاتور لديه بوليس سرّى وفرق للإعدام ، أن يفرض على شعب ، مهما بلغ صبره ، احتمال الآلام التى جرّتها هذه السياسة . والحكومات الديمقراطية من واجبها أن تكفل للناخبين مستوى معيشة كريمة وإلا هزمت فى الانتخابات ، أما الديكتاتورية فتستطيع أن تنزل الشعب إلى مستوى منخفض وتنتفع كما تشاء بإنتاجه ، ولا تترك له منه إلا أقل قدر يعينه على الحياة . واختار ستالين أن يتحول الإنتاج من البضائع المستهلكة ، وهى مطلب الفلاحين ، إلى الصناعات اللازمة للحرب ، فانخفض إنتاج البضائع المستهلكة إلى الحد الأدنى ، ووظفت أموال وافرة فى إنشاء مصانع الحديد والصلب والأسلحة والذخائر . وبرامج السنوات الخمس التى وضعها ستالين هى التى أوحت إلى جورنج بقوله فيما بعد : « نريد مدافع بدلا من الزبد » .

وتتابعت برامج السنوات الخمس ، وانقلب الاتحاد السوفيتى من دولة سواد سكانها من المزارعين إلى دولة لا يشتغل بالزراعة فيها إلا نصف سكانها . وأفضى نظام المزارع المشتركة إلى اختفاء ملايين من المزارع الصغيرة التى كانت أبرز مظاهر الحياة الروسية ، وجمعت تلك المزارع وصارت وحدات كبيرة . وقد رضى بعض الفلاحين ممن اشتد بهم الفقر عن هذا النظام ،

ما من حسن حاله منهم فقد كرهه وعارضه ، وكان أغلب أفراد الفئة الأخيرة جنوداً فى الجيش الأحمر أثناء الحرب الأهليـة ، فلم ينفعهم سابق ولائهم ، وأطلق عليهم ، تحقيراً اسم « الكولاك » ، وصودرت مزارعهم وكل ما يملكونه ، فإذا بدر منهم اعتراض ، وهذا ما فعلته الملايين منهم ، قتـلوا رمياً بالرصاص أو أرسلوا للسخرة فى سيبريا .

وكانت أول نتيجة لهـذا الهجوم على الجبهة الداخلية ، أن تفشت المجاعة ، وهبط عدد الخيول من ٣٤ مليوناً فى ١٩٢٩ إلى ١٦ مليوناً فى ١٩٣٣ والبقر من ٦٨ مليوناً إلى ٣٨ مليوناً ، والغنم والماعز من ١٤٧ مليون إلى ٥٠ مليوناً والخنازير من ٢٠ مليوناً إلى ١٢ مليوناً ، واستولت الحكومة فى شتاء ١٩٣٢ — ١٩٣٣ من أوكرانيا وكوبان ، رغم احتجاج الفلاحين ، على مقدار من الحبوب بلغ من وفرته أن مات من أهل الإقليمين عدد يتراوح بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين ، من جراء المجاعة التى أحكمت الحكومة تنظيمها ، ولكن ستالين استطاع بهذا الثمن الفادح أن يفرض نظام الملكيات الزراعية المشتركة . ولم يبق فى روسيا منذ ١٩٣٩ فلاح ينعم باستقلاله الخاص .

وهكذا اختفت من روسـيا كافة آثار السياسة الاقتصادية التى وضعها لنين . وقال ستالين فى ١٩٣٩ : « لقد هلك المستغلون ولم يبق أحد ممن ينبغى القضاء عليهم »

ومع ذلك ظلت الحكومة محتفظة للبوليس السرى السياسى بمستوى رفيع من القوة والعدة والعدد ، لم تبلغه هيئة الأوبريكينا فى أيام إيفـان المخيف ، والتى عُرفت باسم « التشـيكا » فى عهد لنين ، ثم باسم « الأوجيبو » ، وهى تسمى اليوم « نيكفيدا » ، لقد غيرت أسماؤها ولكن طبيعتها لم تتغير . فعلها اليوم أن تتشمم خصوم الديكتاتورية تستـأصلهم وبغير رحمة ، فأذنها تسترق السمع فى كل مكان ، ويعيش كل روسى فى رهبة من الساعة التى يسـمع فيها يدها تدق بابه ليلا . ويأتمر بأمرها جيش يبلغ ربع مليون ، وأفراده أحسن أجراً ومسكناً وطعاماً من جنود الجيش الأحمر ، وله مدافعه وطائراته وسجونه وأقبيته لتنفيذ الإعدام . وفى ١٩٣٧ بلغت ميزانيتـه ٣ بلايين روبل ، ولا نعـلم اليوم أين بلغت هذه الميزانية ، ولكن الأنباء تدل على أن جيش النكفيدا قد أصبح تعداده ٦٠٠ ألف

## الحياة فى ظلال النيكفيدا

والجيش الأحمر ذاته خاضع لإشراف النيكفيدا ، ولهـا أعوان فى كل مسكن ومصنع وجمعية علميـة ومسرح ، لتلتقط

آذانهم كلمات الانتقاد . ويجب على أعضاء الحزب الشيوعي جميعاً أن يبلغوها كل ما يسمعونه مما يتطلبه ظمأها الذي لا يهدأ للبحث عن دواعي الريبة . وقد أجبر آلاف من غير الشيوعيين على خدمتها ، وإلا حاق بهم انتقامها الشديد ، وفي الخمس عشرة سنة الماضية ألقت في السجن بعدد من الرجال والنساء لا يكاد يقل عن عشرة ملايين ، وسخرتهم في أشق الأعمال ، وهم على وشك أن يهلكوا جوعاً . وكثيراً ما تبعث بهم إلى المنطقة القطبيـــة الشمالية حيث لا يتسنى للإنسان أن يعيش أكثر من ست سنوات .

وتتجسس النيكفيدا على السفراء ، بل على الوزراء وقادة الجيش في الحكومة السوفيتية . ويسير أربعة من أعوانها خلف السفراء ليلا ونهاراً ، ويجب على كل من يخاطب أجنبياً أن يبلغها فوراً مضمون الحديث . وإذا استثنينا فتيات فرقة الرقص وبضعة أعوان للنيكفيدا ممن أمروا بالاتصال برجال السلك السياسي فإن جميع الروس يعلمون أن الإكثار من التحدث إلى الأجانب وخيم العواقب . وقد نجحت النيكفيدا في أن تجعل الرعب أول إحساس في القلوب ، وأينما امتدت يدها أو أذنها فما وراء الخدود الروسية ، وجدت الرعب جاثماً هناك أيضاً .

وبعثُ الرهبـــة من العقاب والرغبة في المكافأة هو الوسيلة التي يستعين بها مدربو الحيوان في الملاعب المتنقلة على تعليمها بعض الحيل . وكذلك يفعل ستالين لكي يخضع الرجال لإرادته ، فهو يبث في قلوبهم الخوف من النيكفيدا ورجاء الرقي إلى المناصب العالية ويستطيع المقتدرون في ميدان العلم والفن أن يرتقوا إلى المناصب الرفيعة دون أن يلتحقوا بالحزب الشيوعي ، بشرط أن يواظبوا على تقريظ الديكتاتورية وعلى طاعة النيكفيدا ، أما غيرهم في بقية الميادين فإن عضوية الحزب الشيوعي تعينهم كل العون على بلوغ مثل هـــذه المناصب ، ولم يحدث في الحكومة السوفيتية أن رقي أحد في ميدان السياسة والاقتصـــاد إلى منصب عظيم إلا إذا كان عضـــواً في الحزب الشيوعي ، وليس في الاتحاد السوفيتي سوى حزب واحد ، أما بقية الأحزاب فقد « صُفّـيت » .

ويتابع ستالين الخطة التي وضعها لنين في سنة ١٩٠١ ، والتي تقضي بأنه لا ينبغي للحزب أن يكون حزباً سياسياً بالمعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة ، بل « هيئة عسكرية » . وقد وصف هذه الهيئة العسكرية بقوله : « تستـــند إدارة الحزب إلى ثلاثة آلاف أو أربعـــة آلاف من رجال القيادة العليا ، وهم بمثابة الضباط العظام ، ثم يأتي بعدهم ٣٠ ألفـــاً أو ٤٠ ألفـــاً من أواسط

القادة ، وهم الضباط ، من ١٠٠ ألف إلى ١٥٠ ألفاً من الأعضاء البارزين في الحزب ، وهم بمثابة فرقة صف الضباط ، أما بقية أعضاء الحزب ( ويبلغ عددهم ٦ ملايين) فعليهم أن يتلقوا الأوامر بالطاعة .

وينبغي لرئيس كل حزب سياسي في بلد ديمقراطي أن يلبي طلبات الناخبين وإلا تحولوا عنه إلى حزب آخر . أما في الاتحاد السوفيتي فليس أمام أعضاء الحزب باب آخر يطرقونه ، إذ ليس هناك إلا حزب واحد هو الحزب الشيوعي ، والناخبون لا يجدون إلا قائمة واحدة من أسماء مرشحي الحزب الشيوعي الذين اختارهم ستالين ، فكأن الانتخابات مظاهرات تنظمها الحكومة .

وما دامت للديكتاتور سيطرة على الحزب الشيوعي والنيكفيدا ، فليس بمستطاع خلعه إلا إذا ثار الجيش . ويشغل ستالين منصب المارشال ، ولذلك فهو القائد الأعلى للجيش . وعلاوة على أن ضباط هذا الجيش هم من الطبقات الممتازة في الحزب الشيوعي ولديهم كل أسباب الراحة ، فهم لذلك راضون وهم جميعاً ، وضباطهم العظام أيضاً ، لا يسلمون من النيكفيدا ، ويبلغ من شدة رقابتها لهم أن أية كلمة تفلت وتنم عن الانتقاد قد يجازى عليها قائلها بالصمت المؤبد .

## تفوق روسيا في عدد السكان

وينمو الشعب الروسي في عهد ستالين ، كما نما في عهد القياصرة ، نمواً حثيثاً ، ولم يزد عدد سكان إمبراطورية القيصر في ١٩١٤ عن ١٧٠ مليوناً . ويقدر عدد من فقدتهم روسيا في الحرب العالمية الأولى وفي المناطق التي انتزعت منها بعد الحرب ، بستة وعشرين مليوناً تقريباً ، ولكن عدد سكان الاتحاد السوفيتي في ١٩٣٩ عاد فقارب ١٧٠ مليوناً ، وهذا بالرغم من نشوب الحرب الأهلية في ١٩١٨-١٩٢٠ ، وانتشار المجاعة في ١٩٢٠ — ١٩٢١ ، وفي التصفيات والمجاعة في ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، وارتفاع نسبة الوفيات بين ملايين العمال الأرقاء المسخرين . ولعل عدد سكان روسيا اليوم أقل شيئاً من ١٧٠ مليوناً ، ولكن من الجلي أن نمو السكان في روسيا أسرع منه في أمريكا وبريطانيا وفرنسا .

وإذا سمح للاتحاد السوفيتي أن يستبقي المناطق المترامية التي يبسط عليها سلطانه منذ ١٩٣٩ في أوربة وآسية ، بالإدماج أو بالاحتلال أو بإقامة حكومات موالية ، فإن عدد سكانه سيزداد بإضافة الشعوب التابعة إليه .

## فى أوربة

| | |
|---|---|
| بولندة ... ... ... | ٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| ألمانيا الشرقية ... | ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| رومانيا ... ... | ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| يوغوسلافيا ... ... | ١٥٫٧٠٠٫٠٠٠ |
| المجر ... ... ... | ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| بلغاريا ... ... .. | ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ |
| ليتوانيا ... ... ... | ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| لاتفيا ... ... ... | ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| إستونيا ... ... | ١٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| ألبانيا ... ... | ١٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| المجموع ... ... | ١١٨٫٠٠٠٫٠٠٠ |

## فى آسية

| | |
|---|---|
| شمال الصين (منطقة يحتلها الجيش الأحمر السوفيتى الصينى) | ٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| منشوريا ... ... ... | ٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| شمال كوريا ... ... | ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| المجموع ... ... | ١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ |

وعلاوة على ذلك فإن المالك الأوربية التالية خاضعة له بعض الخضوع ، وهى مهددة بأن يصبح سلطانه عليها مطلقاً .

| | |
|---|---|
| تشيكوسلوفاكيا ... | ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| النمسا ... ... ... ... | ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ |
| فنلندة ... ... ... | ٣٫٨٠٠٫٠٠٠ |
| المجموع ... ... ... | ٢٥٫٨٠٠٫٠٠٠ |

وإذا أتيح للاتحاد السوفيتي أن يبسط سلطانه على هذه الملايين كلها تضاعف عدد السكان الواقعين فى قبضة يد الديكتاتور ، وبلغت رعيته ٤١٨ مليوناً . وعلاوة على ذلك فإن مقدرة الاتحاد السوفيتى الصناعية ستزيد بإدماج منطقة سيليزيا الصناعية التى كانت تمد ألمانيا بنحو ٣٠ ٪ من إنتاجها الصناعى ، ومنطقة منشوريا الصناعية التى كانت تمد الصين بنحو ٧٠ ٪ من إنتاجها الصناعى ، وبآبار الزيت فى رومانيا .

### محاربة الدين

لو تقلصت روسيا وعادت إلى حدودها فى ١٩٣٩ فسيكون تحت سلطانها عدد من الشبان الأقوياء ، ليس عند أية حكومة ديمقراطية عدد مثله . وقد لقحت أذهانهم بالأكاذيب الموهومة عن الممالك غير الشيوعية فالرقابة الدقيقة فى المدارس والكتب والإذاعة بالسنما لم تزودهم إلا بالدعاية للشيوعية والديكتاتورية ، فلا عجب إذا امتلأت رؤوسهم بشتات من المعلومات الخطأ .

وقد عملت الحكومة السوفيتية على تمكين الجهل الدينى بين رعاياها . وإذا قارنا عهد الاتحاد السوفيتى بعهد القيصر وجدنا عدد

من يلم بالقراءة والكتابة قد زاد ، أما عدد من يستطيع التفرقة بين الفضيلة والرذيلة فقد قلّ . فهم يساقون إلى الإيمان بأن الغاية تسوّغ الواسطة ، وأن الدين خرافة لا تنطلي على شبان أذكياء مثلهم . وكانت حجة الحكومة فى محاربة الدين فى ١٩١٧ هى « الدين للشعب كالأفيون » وظلت منذ ذلك الحين تضطهد الكنيسة تارة وتعاملها ببعض التسامح تارة أخرى ، وذلك كلما رأت أن هذا التسامح يأتيها ببعض المنافع السياسية من جيرانها . ولكن عدد القساوسة قل بنسبة ٩٠ ٪ عما كان عليه فى ١٩١٧ ، حتى أن شبان بعض المناطق لم يروا بأعينهم كنيسة قط .

وهذا ستالين لا يكتم رأيه فى هذا الأمر ، فقد قال لوفد العمال الأمريكيين فى ١٩٢٧ : « إن الحزب لا يستطيع أن يقف من الكنيسة موقف المحايد . نعم إن الحكومة تقوم بدعاية ضد الدين لمحاربة الأضغان الدينية جميعها ، وأينما وجدتها . تسألوننى : هل قضينا على رجال الدين الرجعيين ؟ نعم لقد فعلنا ، ولكن من سوء الحظ أننا لم نقض عليهم القضاء المبرم ، فالدعاية ضد الدين هى الوسيلة الوحيدة التى ينبغى أن نتوصل بها إلى محو رجال الدين الرجعيين »

ولكن الدعاية وحدها لا تكفى لمحاربة الدين ، فطغت موجة من الإرهاب الدينى فى ١٩٢٩ ثم فى ١٩٣٧ فحاق بالقساوسة السجن والنفى والقتل ، ولم تحلّ ١٩٣٩ حتى كانت عزيمة رجال الدين قد تضعضعت كل التضعضع . وندر أن تجد يومئذ فى روسيا قسيساً لا يخضع بين يدى ستالين .

ولقد هاجم هتلر الاتحاد السوفيتى فى ١٩٤١ ، فاحتاج ستالين إلى معونة الشعور الدينى والشعور الوطنى معاً ، حتى يستمد من الفلاح أقصى ما يقوى عليه من تضحية لمقاتلة الألمان . وأعلن سرجيوس ، أكبر رجالات الكنيسة وكرسيه فى موسكو ، تأييده لستالين فى قيادة الحرب ، فجازاه بأن يُنتخب بطريقاً ، ثم دعاه إلى مقابلته. وفى اليوم التالى أدى البطريق أول واجب عهد إليه فى السياسة الدولية ، فطالب حلفاء السوفيت جهاراً بفتح الجبهة الثانية .

وأنشأت الحكومة « لجنة شئون الكنيسة الأرثوذكسية » لتتولى توجيه البطريق الهرم الذى يبلغ من العمر ٧٥ سنة. فلما أنزل ستالين الكنيسة إلى مرتبة المكاتب الحكومية ، أرادها أن تكون أداة صالحة قوية الأثر . وأبيح تدريب صغار القساوسة بعد التحريم وأذن بإنشاء معهد دينى.

فمن الذى ربح : أهى الكنيسة أم الحزب الشيوعى ؟ إن ستالين يبسط سلطانه على

الكنيسة ويجعلها أداة فى يده يستخدمها فى سياسته الداخلية والخارجية . ومهما يكن من شأن الحقوق التى نزل عنها زعماء الكنيسة السياسيون فى صلحهم مع ستالين، فإن هذه الكنيسة لاتزال تضم نفراً قليلاً من قساوسة قلوبهم عامرة بالإيمان الذى أعانهم على احتمال مالقوه من آلام واضطهاد.

## العقيدة الشيوعية وسياسة السوفيت الخارجية

الشيوعية هى العقيدة التى تؤمن بها الحكومة السوفيتية فتنشىء لها أطفالا لكى يحيوا فى ظلها ويموتوا فى سبيلها . فعقيدة ماركس ولنين وستالين هى الإلحاد، وزعمهم أنها تستند إلى الحقائق العلميــة ، مع أنها تستند إلى فرض غــير معقول ، وهو أن إقامة الديكتاتورية الشيوعيــة فى الأرض وإلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، سيقضى على الحرب بين طبقــات الشعب الواحد وبين بعض الأمم وبعض، وأنها سترقى بالطبيعة الإنسانية كما يقول لنين حتى تختفى الدولة ويعيش الناس بعد زوال الدول ، فى جو من الحرية الكاملة والهناءة الشاملة .

وقد بنى لنين على هذه العقيدة رأيه فى تسويغ إقامة الديكتاتورية فى روســيا ، إذ كان يؤمن بأن قيام الدولة يؤدى حتماً إلى التقاتل ، أما إذا عاش الناس تحت لواء الديكتاتورية الشيوعية، فإنهم يتهيأون للظفر بالحرية التامة . وقال : « لا حرية مع قيام الدولة ، وحين تستتب الحرية ستختفى الدولة » .

وهذه العقيدة عندهم بمنزلة الإيمان ، ولعل هذا هو تفسير ظفرها كما ظفرت الديانات من قبل ، بأنصار يخلصون لها ويستشهدون فى سبيلها . فالمؤمن بها حق الإيمان يعتقد بأنه يجاهد لتخليص البشر من ربقة الشر ، وأنه يعمل لرفع لواء الحق الأزلى . فالحزب الشــــيوعى فى نظره هو رابطة إخوانه المؤمنين ، وكتابه المقدس قد خطه له ماركس ولينين وستالين ، أما الاتحاد السوفيتى فهو الداعى إلى الجهاد* .

ولما كان أسمى الأهداف الخلقية ، فى نظر العقيدة الشيوعية ، هو تحطيم الدولة على إثر إقامة الديكتاتورية الشـيوعية فى الأرض ، أصــبح أول واجب على الرجل أن يعين على إقامة هــذه الديكتاتورية . ويؤمن الشيوعى بأن هــذه الغاية الخلقية السامية تسوغ كل الوسائل المؤدية إليها ،

* نسبة غلاة المؤمنين بالشيوعية فى الأحزاب الشيوعية خارج روسـيا أكبر منهـا فى الحزب الشيوعى الروسى ، ذلك بأن الشيوعيين الروسيين يرون الشيوعية رأى العين ، فيرون معها النكفيدا أما الشيوعيون خارج روسيا فلا يزالون على إيمانهم بالجنة التى تزينها لهم الدعاية الشيوعية .

من حرب وقتل وتلويث سمعة ونكث للعهود،
وكما قال لنين : « من الضرورى أن
نستعين بالخداع والمكر ومخالفة القانون
والمراوغة وإخفاء الحقائق » فالحدود
الخلقية التى تلتزمها الحكومات الديمقراطية،
أو الحكومات الرأسمالية أو الاستعمارية ،
لا وزن لها فى قرارات الحكومة السوفيتية.
فالعقيدة الشيوعية تتطلب من الاتحاد
السوفيتى ومن كل الحكومات الشيوعية ،
أن تجعل أول أهداف سياستها الخارجية
إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض ،
فترى الحكومة السوفيتية تبدل خططها
وأساليبها لبلوغ هذا الهدف ، تبعاً لتقديرها
للموقف الدولى . أما الغرض ذاته فباق بغير
تبديل ، وما هو إلا غزو الشيوعية للعالم
كله . ولن نجد أقل مشقة فى فهم السياسة
الخارجية للاتحاد السوفيتى ، إذا نظرنا
إليه — كما يفعل الشيوعى — نظرتنا إلى
جيش محارب ، فالخطط والأساليب واحدة :
الهجوم حين يرى القائد أن النصر قريب ،
والتراجع حين يتوقع الهزيمة .

## الحرب حتم لا بد منه

وفيما يلى تصريح للنين يتضمن المبادىء
الأساسية التى تقوم عليها سياسة السوفيت
الخارجية . وقد أقره ستالين وأدرجه فى
مؤلفه المسمى « مشاكل مذهب لينين » :

« إننا لا نعيش فى عالم مؤلف من دولة
واحدة ، بل فى ظلال عالم من دول كثيرة ،
ولا يتصور بقاء الجمهورية السوفيتية طويلا
هى والدول الاستعمارية جنباً إلى جنب .
فلا بد من غلبة أحدها على الآخر ، ولا مفر
إلى أن يحين ذلك الأوان ، من وقوع
مصادمات مهولة بين الجمهورية السوفيتية
والدول البورجوازية » .

والحكومة السوفيتية عليمة بما تهدف
إليه ، ولهذا فهى تؤمن بأن الحرب لا بد
منها بين الاتحاد السوفيتى ، والدول
البورجوازية ، أو الرأسمالية ، كأمريكا
وبريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندة
وفرنسا وبلجيكا وهولندة وسويسرا
والسويد والنرويج والدنمرك . فهى لا تفهم
السلم كما نفهمه ، بل هو فى نظرها هدنة
تستعد فيها للهجوم .

وقد كرر ستالين مناداته بهذا الاعتقاد
فى إذاعة له يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ ، رسم فيها
خطة منسقة للعمل ، لا للحزب الشيوعى
الروسى وحده ، بل لكافة الأحزاب
الشيوعية فى العالم ، فقال إن الحروب لا مفر
منها ما بقى النظام الرأسمالى . ولم ينسب
إثارة الحرب العالمية الثانية إلى النازية أو
الفاشية أو العقلية العسكرية اليابانية ، بل

نسبها إلى النظام الرأسمالي العالمي فقال : « يخطىء من يظن أن الحرب قد نشبت عرضاً أو من جراء خطأ بعض الساسة . لقد وقع مثل هذا الخطأ ، ولكن الحرب نشبت في الحقيقة ، لأنها نتيجة لا بد من أن يعقبها تطور العوامل الاقتصادية والسياسية في العالم ، تبعاً للنظام الاحتكاري الرأسمالي وقد بين ماركس وأتباعه أن النظام الرأسمالي المهيمن على الاقتصاد العالمي تكمن في طياته بذرة الأزمات والحروب ، وأن نشوء هذا النظام رهن بالأزمات أو الحروب ، لا بالثبات والاستقرار . فالأزمة الأولى التي صادفها هذا النظام ، أفضت بنا إلى الحرب العالمية الأولى ، كما أفضت الأزمة الثانية إلى الحرب العالمية الأخيرة » .

وأعلن ستالين في خطبته هذه أن المشروع التالي للسنوات الخمس يرمي إلى التوسع في إنتاج الصلب حتى يصل إلى ٦٠ مليون طن في السنة ، أي ثلاثة أمثال مقدار إنتاج الصلب في روسيا في ١٩٤٠ ، وهو ما يفوق إنتاج ألمانيا واليابان وبريطانيا العظمى معاً في ١٩٤٠ . ويبسط ستالين اليوم سلطانه على إنتاج الصلب في سيليزيا ومنشوريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر . ولا جرم فإن إنتاج الصلب هو المقياس الذي تقاس به المقدرة الصناعية اللازمة لشن الحرب .

وما دمنا نرى الديكتاتور السوفيتي لا يزال يؤمن — كما آمن دائماً — بأن تحطيم الدول الرأسمالية الديمقراطية وغزو الشيوعية للعالم هما الطريق الوحيد المؤدي إلى السلم ، وما دمنا نراه أيضاً يأمر بإنتاج هذا المقدار الضخم من الصلب في الوقت الذي يحتاج فيه الشعب الروسي أشد الاحتياج إلى بضائع الاستهلاك . فما نشك أقل شك في عزمه على مواصلة سياسة العدوان .

## التعارض بين الأغراض والخطط

والذين ينقمون على السياسة السوفيتية لأنها متقلبة ولا يمكن التكهن بها ، يخلطون بين الخطط والأغراض ، فالحكومة السوفيتية تسير قدماً نحو أهدافها ، ولكنها لا تحجم عن تبديل خططها — كما يفعل القائد المحنك — فهي تخفي خططها وتحول قوتها من جانب إلى جانب ، وتزن بدقة عوامل القوة والضعف في بلادها وفي الدول غير الشيوعية ، فإذا استيقنت أنها إذا ضربت قصمت ، ضربت من فورها .

وترى الشيوعية أن إقامة ديكتاتوريتها في العالم يمكن أن تتحقق بوسيلتين :

١ — الحرب بين الطبقات : ومعنى هذا إثارة الثورة في الممالك غير الشيوعية ، والقضاء على كافة الطبقات سوى طبقة العمال.

٢ ـــ أن يغزو الاتحاد السوفيتي الممالك المجاورة له فإما أن تدمج فيــه : وإما أن تقام فيها حكومات موالية لموسكو .

ولما كانت الحكومة السوفيتية هي القائد الأعلى للجيش الشيوعي العالمي ، فهي لن تقتصر على استخدام أسلحتها الماضية من مقدرة عسكرية وسياسية واقتصادية ، بل تجمع إليها الطابور الخامس من كافة الأمم التي تفتح له صدرها ، فإذا أصدرت أمرها إليه أطاع الأمر . ويتخفى هذا الطابور السوفيتي في الممالك الديمقراطيــة في زي حزب سياسي يسمى عادة الحزب الشيوعي ، ويستعين بالحريات التي تكفلها الديمقراطية ، كحرية الرأي والصحافة والاجتماع ، ويعمل على تقويض المملكة التي تحميه .

والتبدل المفاجيء في خطط هذه الطوابير الخامسة السوفيتية ، مرجعــه إلى أوامر تملى عليها من موسكو . ولما كانت سيطرة الديكتاتورية الشيوعية على الاتحاد السوفيتي أهم دعامة للشيوعية العالمية ، فقد وجب على الأحزاب الشيوعية خارج روسيا أن تخضع مصالحها لمصالح الاتحاد السوفيتي ، فكثيراً ما تصدر إليها الأوامر بالعدول إلى خطة جديدة تكون مدعاة للسخرية فكأن هذه الطوابير الخاصة فرقة من الجند يضحى بها من أجل سلامة الجيش كله .

وإذا كان غزو الأرض كلها هو غرض الحكومة السوفيتية ، فأين الأمة التي تطمئن لنجاتها من شر هــذه المطامع ؟ وجيران روسيا أشد عرضة للخطر من الممالك البعيدة عنها ، وذلك لسبب بسيط ، هو أنها في متناول يد الجيش الأحمر ، وهو لا يتورع عن الغزو كلما وجد إليه سبيلا ، ولا ينكص عنه إلا إذا ألفاه عسيراً أو خطيراً . فشهوة الغزو عنده لا حد لها . والاتحاد السوفيتي أقدر من كل مملكة أخرى على هضم ما يلتهم ، لأنه لا يتقيد بمبادىء الأخلاق التي تواضع عليها البشر ، فهو لا يتورع في المناطق التي يبسط عليها سلطانه المطلق ، عن القضاء فوراً على خصومه السياسيين من كافة الطبقات ، إما بالقتــل وإما بإرسالهم للعمل سخرة في منفى يكون هلاكهم فيه محققاً . وهذا أيضاً هو مصير كل رجل متعلم مثقف إذا أبى أن يذعن للإرهـاب ويصبح من أعوان السوفيت ، فإذا تم له القضاء على كافة منتقديه بالقتل والنفي ، سلّم له شعب فزع يائس : يسهل حمله على انتخاب مرشحي السوفيت وإلا حرم بطاقات التموين التي لا حياة له بدونها . وبهذه الأساليب تم له هضم إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة الشرقية .

نجاح الخطط السوفيتية

كان مطلب الشيوعيين قبل وثوبهم إلى

الحكم فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ أن يخضعوا العالم بسلاح وحيد ليس لهم غيره ، هو إثارة الحرب بين الطبقات فى الشعوب . فأتيح لهم منذ ذلك اليوم أن يستعينوا بقوة دولة عظيمة وشعب جبار ، وأصبح فى إمكانهم أن يتذرعوا لأغراضهم لا بالحروب بين الطبقات فحسب ، بل بالحروب الدولية بين الأمم أيضاً . ويتوقف التجاؤهم إلى هذه الوسيلة الأخيرة على تقديرهم للموقف العسكرى الدولى . ولما كانوا يثقون كل الثقة بأنهم لن ينكصوا أبداً عن محاولة بسط الشيوعية على العالم ، فهم لن يغمدوا السيف الذى يسلونه على الدول البورجوازية ، إلا إذا فرغوا من فرض الشيوعية على العالم كله . وهم لا يرون المعاهدات ومواثيق عدم الاعتداء إلا عهوداً يوقعونها ، لا لشىء إلا لأن مصلحتهم تقتضى ذلك ، فإذا وقعوها أبطنوا نية النكث ساعة يرون أنفسهم قد بلغوا من القوة مبلغ أن ينكثوا بها بكل جرأة ، فهم يهتدون بقول لنين : « لا بد من الاستعانة بالخداع ومخالفة القانون والمراوغة وإخفاء الحقائق » .

وقد غيرت الحكومة السوفيتية خططها السياسية الدولية تبعاً لتقديرها لتطورات الموقف الدولى ست مرات منذ نوفمبر ١٩١٧ :

(١) ١٩١٧/١٩٢٠ : قدرت أن الثورات الشيوعية على وشك أن تكتسح أوربة ، فشنت هجوماً واسع النطاق ، سلاحها فيه إثارة الحرب بين الطبقات ، مع وقوفها موقف الدفاع فى الحرب الأهلية بينها وبين خصومها فى داخل روسيا .

(٢) ١٩٢٠/١٩٣٣ : قدرت أن الاتحاد السوفيتى هو أضعف شيئاً من الدول غير الشيوعية ، وأنها قد تهاجمه ، فتراجعت عن خطة الهجوم تراجعاً حكيماً ، وعقدت مواثيق عدم اعتداء مع كثير من جيرانها كتركيا فى ١٩٢٥ ، وألمانيا وليتوانيا فى ١٩٢٦ ، وإيران فى ١٩٢٧ ، والأفغان فى ١٩٣١ ، وبولندة وفنلندة وإستونيا فى ١٩٣٢ . ومع ذلك لم تنقطع عن وصف عصبة الأمم بأنها مؤامرة رأسمالية مدبرة ضدها ، ولكنها أرسلت ليتفينوف فى مارس ١٩٢٨ للدفاع عن مبدأ نزع السلاح نزعاً تاماً فى كافة الدول .

(٣) ١٩٣٤ /١٩٣٩ : قررت أن الاتحاد السوفيتى يواجه خطر الهجوم عليه فى جبهتين من قبل ألمانيا واليابان ، فحاولت أن تصل إلى اتفاق مع هتلر ، ولما أخفقت التجأت إلى خطة أخرى غرضها تأليب الدول البورجوازية على ألمانيا واليابان ، فانضمت إلى عصبة الأمم فى ١٩٣٤ وعقدت

معاهدة تحالف مع فرنسا وتشيكوسلوفاكيا في ١٩٣٥ (وهما من الدول البورجوازية)، وأمرت أعوانها الشيوعيين في الخارج أن يعملوا على تأليف «جبهات شعبية»، وإثارة حركات تناوىء الفاشية، ليجد فيها الاتحاد السوفيتي عوناً على ألمانيا واليابان.

(٤) ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ / يونيو ١٩٤٠ : قررت أن الميثاق الذى وقعه هتلر وستالين يوم ٢٣ أغسطس ١٩٣٩، سيفضى إلى حرب طويلة محطمة بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وأن الاتحاد السوفيتي لم يعد يخشى غائلة ألمانيا طوال هذه الحرب، وأن البؤس الذى ستجره الحرب قد يعين الاتحاد السوفيتي على إقامة الشيوعية فى أوربة، فتحولت مرة أخرى إلى الهجوم، ونقضت معاهداتها مع فنلندة وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة ورومانيا، وضمت إليها بعض أجزاء من فنلندة وبولندة ورومانيا وكافة ممالك البلطيق.

(٥) يونيو ١٩٤٠/١٩٤٤ : قدرت أن سرعة انهيار فرنسا ومقاومة البريطانيين لجيوش هتلر فى أوربة قد تفضى إلى تعريض الاتحاد السوفيتي إلى خطر الهجوم عليه فى جهتين من قبل ألمانيا واليابان، فحاولت أن توثق اتفاقها مع ألمانيا، وعقدت ميثاق عدم اعتداء مع اليابان فى ١٣ أبريل ١٩٤١. فلما هاجمت ألمانيا الاتحـــاد السوفيتى فى ٢٢ يونيو ١٩٤١، التزمت خطـة الدفاع فى الداخل والخارج، وبذلت كل جهدها للظفر بتأييـــد الدول البورجـوازية، فطنطنت بإلغاء الحزب الشيوعى الأمريكى والكومنترن (الشيوعية الدولية)، ووقعت ميثاق الأطلسى، ولبت طلب بريطانيا وأمريكا، ووقعت أيضاً كافة التصريحات العامة المتضمنة بيان الأغراض السياسـية التى كان يهدف إليها الحلفاء.

(٦) ١٩٤٥ / ١٩٤٦ : لما رأت الحكومـة السوفيتية أن إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة ورومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا وألبانيا، وبعض أجزاء النمسا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا (إلى حدود نهر الألب) ومنشوريا وكوريا الشمالية — قد وقعت فى يد الجيش الأحمر، أو قامت فيها حكومات موالية لروسـيا، دفعها حب العدوان إلى محاولة إخضاع هـذه المناطق لسلطانها المطلق، واستخدمت الطابور الخامس ليهيء لبسط نفوذها، فى فرنسا وإيطاليا واليونان وبعض الممالك الأوربية.

وتستند السياسة الخارجيـة للحكومة السوفيتية فى الوقت الحاضر إلى اعتبارات عسكرية، مؤداها أنه يجب عليها أن تتثبت قليلا حتى تتمكن من تدعيم سلطانها فى تلك

المناطق المترامية التى وقعت فى يدها منذ عهد قريب ، وأن تستولى على ممالك غرب أوربة بتقويض داخلها بالمكر والخديعة ، وأن تعيد بناء صرح اقتصادها الداخلى" وأن تصل إلى سر" القنبلة الذرية قبل أن تخاطر بمحاربة أمريكا ، ولهـذا رأت أنه يجب عليها أن لاتحارب أمريكا من فورها، وربما رأت أن تختبر مقدار مقاومة بريطانيا وأمريكا بعد أن نهكتهما الحرب ، فإذا وجدت ضعفاً بسطت سلطانها على بعض البلاد كإيران وتركيا وشمال الصين ، ولكنها ستتراجع حتما إذا ثبتت لها بريطانيا أو أمريكا. لأنها لا تجرؤ الآن أن تحارب أمريكا، كما تخشى أن لا تسمح لها أمريكا بإخضاع بريطانيا لسلطانها .

وكل محاولة لفهم سياسة السوفيت الخارجية ، يقتصر المرء فيها على تدبر خططها الموضوعة لزمن قصير، ستؤدى إلى استخلاص نتائج بعيدة عن الصواب ، فإن سياسة السوفيت الخارجية من سنة ١٩١٧ إلى ١٩٢١ ، حين حاولت الحكومة السوفيتية إثارة الحروب بين الطبقات فى أوربة ، قد تعارضت تمام التعارض مع سياستها الخارجية من سنة ١٩٣١ إلى ١٩٣٩ ، حين سعت إلى الظفر بمعونة الدول البورجوازية ضد ألمانيا واليابان . كما أن هذه السياسة فيما بين سنة ١٩٢١ و١٩٣٣ ، حين كانت الحكومة السوفيتية ضعيفة ، وخشيت أن تهاجمها الدول البورجوازية فعمدت إلى عقد مواثيق عدم اعتداء مع جيرانها ، تتعارض تمام التعارض مع سياستها من ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ إلى يونيو ١٩٤٠ ، حين أصبح الاتحاد السوفيتى قادراً على مهاجمة جيرانه ، وافترس كثيراً منهم .

## دار الصنعة الشيوعية

ولكن السياسة الخارجية السوفيتية ليست سراً غامضاً ، وهذا ستالين يقول وقد صدق : « إن سياستنا بسيطة واضحة » . فإن لهم فى سياستهم الخارجية خطة لا يحيدون عنها ، هى إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض . والحكومة السوفيتية تعتبر نفسها دائماً فى حرب، إما سافرة وإما مقنعة ، تدور بينها وبين دول العالم غير الشيوعية . وكلما عانقت الحكومة السوفيتية دولة غير شيوعية معانقة الصديق ، فإنها تخفى فى يدها خنجراً تنوى أن تغمده فى ظهرها . فهذا هو السبب فى أن ستالين لا تلين له قناة ، وهو السبب فى إخفاق « الخطة العالمية » التى وضعها روزفلت . فينبغى لنا إذن أن نواجه حقيقة كريهة ، وهى أن ستالين كهتلر لا يقف من تلقاء نفسه ، بل يجب صده عند حد" . ولكن أمنى هذا أن الشيوعيين

على حق فى اعتقادهم بأن الحروب بين الاتحاد السوفيتى والدول غير الشيوعية حتم لا مفرّ منه ؟ كلا .

ويستطيع الديكتاتور السوفيتى ، إذا شاء ، أن ينتفع بقوة الاتحاد السوفيتى ونمو سكانه ، وبعقيدة الشيوعيين المؤمنين ، وبالتقاليد الاستعمارية الموروثة عن روسيا القيصرية ، وبمعونة الحكومات الموالية له والتى أقامها فى أوربة وآسية ، وبإخلاص الطابور الخامس الذى أقامه فى كافة الأمم باسم الحزب الشيوعى ، وبمساعدة أبواقه ودعاته ، وبالأحرار الذين أضناهم اليأس من علاج مشاكل الحياة الإنسانية ، بالوسائل الديمقراطية فرموا بأنفسهم بين أحضانه .

فهذه قوات عظيمة متجمعة فى يد ديكتاتور جبار عنيد ، تدفعه عقيدته إلى السعى لبسط سلطان الشيوعية على العالم ، وستفضى سياسة التهدئة والمسالمة بنا إلى الحرب ، أو إذا اتبعت هذه السياسة فإن الحكومة السوفيتية ستتخطى فى يوم من الأيام حدود المسالمة . فإن السياسة السوفيتية لا تخفى استنادها إلى الاعتبارات العسكرية .

وهذا لنين لم يتردد فى التراجع حين وجد أمامه قوة تفوق قوته ، وكذلك ستالين لن يحارب إذا وجد أمامه مثل هذه القوة . وليس فى الأرض عمل مشروع مثل استخدام القوة ، إذا كان الغرض منه كسب الوقت حتى تنمو المبادىء الخلقية وتتمكن . ونماء المبادىء الخلقية فى الاتحاد السوفيتى يقتضى بعض الوقت . وليس ثمة وسيلة تمنعه من غزو الدول غير الشيوعية خلال ذلك سوى مواجهة قوته بقوة أعظم منها مهما كان ذلك شاقاً . والحكومات كلها تعمل اليوم على توطيد السلام ، إلا الحكومة السوفيتية والحكومات الموالية لها ، فهى تستعد للغزو . وهى تفضل بطبيعة الحال أن يتحقق هذا الغزو بغير حرب ، وأن تبسط ديكتاتوريتها على العالم دون أن تضطر إلى القتال . وأبناء الدول الديمقراطية وشعوبها يريدون استتباب السلام بيد أن غريزة حب البقاء لم تمت فى قلوبهم ، وسيعمدون وإن كرهوا إلى إعداد الجيوش وإقامة هيئات دولية تصون الأمن ، يبلغ من قوتها أن تكافح عن السلم وتردّ عادية كل معتدٍ ، ولو كان الاتحاد السوفيتى .

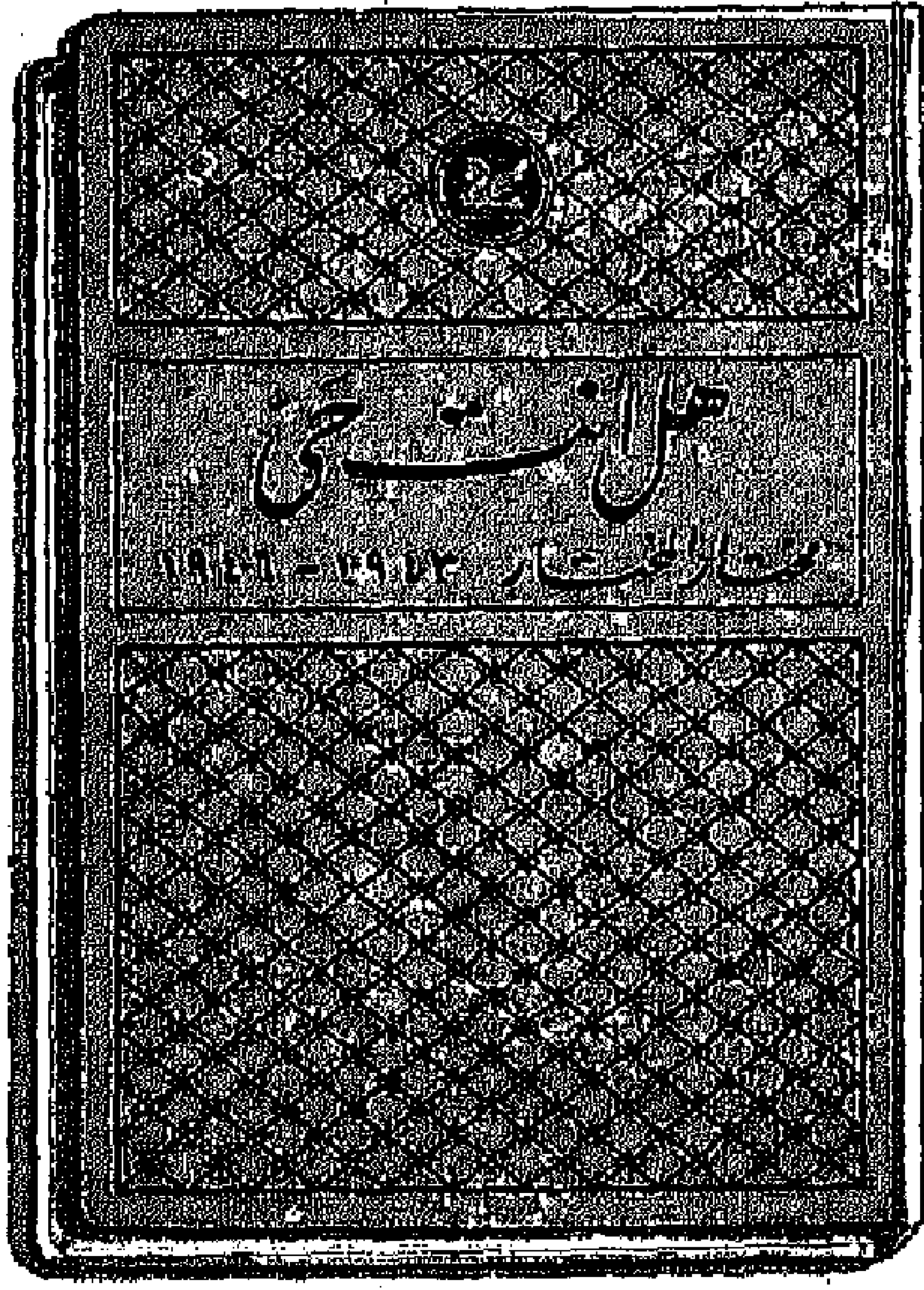


# شفرات جيلت

GILLETTE BLADE
MADE IN ENGLAND

حلاقة سريعة وسهلة وناعمة واقتصادية ،
هذا ما تمتاز به شفرات جيلت .
فاذا كنت تجد صعوبة في الحصول عليها ،
لأن انتاجها لا يزال محدوداً ، فابحث
عنها فهي جديرة بذلك .






# "هل أنت حي"

كتاب جديد رائع ، يوحى بالقوة ، ويلهب العزيمة ، ويلهم سكينة النفس ، ويرسم نهجاً للحياة النافعة الزاخرة . صفحاته ٩٦ ، ولو عرض للبيع لما قل ثمنهُ على ٢٠ قرشاً ، ولكنه لن يعرض للبيع ، وهو يحتوى خير ما نشر فى المختار من مقالات تشحذ همتك وتسدد خطاك. إنه يعرض الآن عليك بغير ثمن .

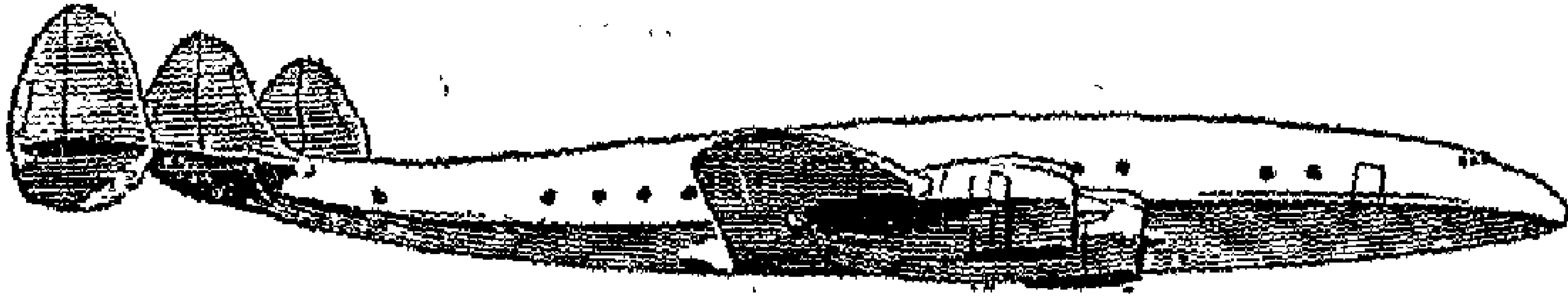
# كيف تحصل على نسختك من كتاب "هل أنت حي"

فى أعداد سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر التى تعرض للبيع ، قسائم وعلى كل منها تاريخ العدد الذى ترفق به . فإذا أردت أن تظفر مجاناً بنسختك من هذا الكتاب الممتع النافع الجديد ، فما عليك إلا أن تفصل هذه القسائم ، فإذا جمعت ثلاثاً منها من ثلاثة أعداد من ثلاثة أشهر مختلفة ، وأرسلتها إلينا ومعها اسمك وعنوانك ، أرسلنا إليك نسختك هذه الهدية النفيسة .

أما المشتركون فليس فى أعدادهم قسائم وسيتلقون بالبريد ، بياناً يدلهم على طريق الظفر بهذه الذخيرة النفيسه الغالية .

# بعض المقالات الممتعة فى الكتاب الجديد "هل أنت حي"

أطعْ هذا الحافز . جرِّب كل شىء مرة . هل بين جنبيك قلب مهذب ؟ احصر ذهنك فى الموضوع . اتخذ من المرض مزية . كن سيد عملك . سر الشباب الدائم . لا تخف وابدأ من جديد . كيف تعاشر من تحب . افعل ما تتهيبه . كيف تكتسب الاتزان العاطفى .



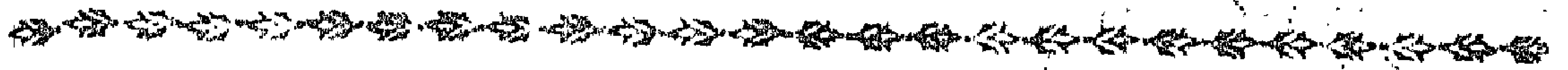



CONSTELLATION

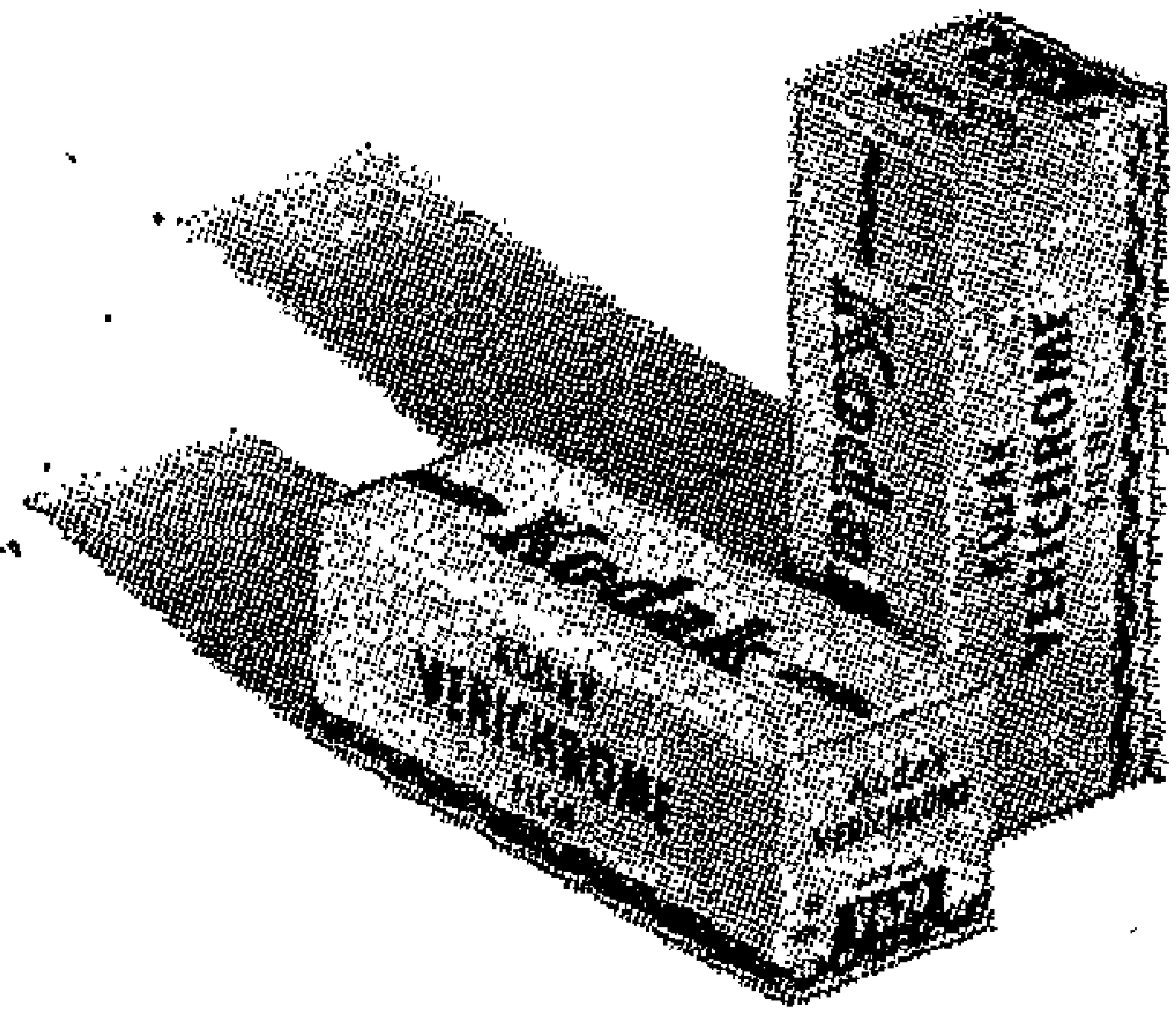
... باللغــة العــربيــة هى "حمامة"

... باللغــة الإنجليزية هى "*a dove*"

... باللغــة اليونانيــة هى " 'Η Περίστερα "



ولـكنك تجـد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحدة
تدل على كل مايلزم لالتقاط
الصور، من أفلام، وآلات
تصوير، ومعدات وأدوات
هى كلمة : *Kodak**




**Kodak*** ماركة قديمة سجلتها منذ ٥٨ سنة شركات «كوداك»
والشركات المنتمية إليها، و«كوداك» لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين، تيسر
لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات «كوداك»، فى أنحاء الأرض.

EASTMAN KODAK COMPANY, ROCHESTER N. Y., U. S. A.


Kodak

# ليس جماله وحده
## هو الذى يجعله
# أكثر الأقلام طلباً

أكثر الأقلام طلباً ولا عجب ! فسنه المغلفة ، المحمية ، فى مأمن من الغبار والهواء . . . وهى ندية على الدوام ، تبدأ الكتابة فى التو والحال . . ورأسها مصنوع من الأوزميريديوم الثمين الذى يهيىء لك كتابة ميسرة ناعمة كالمخمل ، كما أنه القلم الوحيد الذى صمم وصنع لكى يستعمل أسرع أنواع الحبر فى العالم إلى الجفاف ، حبر « پاركر ٥١ » ! .

# پاركر "٥١"

# Parker "51"

كتابة جافة بمداد سائل





جديدة من كل ناحية

أولى سيارات العالم لما بعد الحرب

# ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة

رائعة الشكل ، تختلف اختلافاً جريئاً عما سواها .

هذه سيارة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الجديدة ، وهى حقاً أولى سيارات العالم لما بعد الحرب ، بل هى أكثر من ذلك .

إنها ذات قيمة ممتازة لأنها صنعت بما اشتهر عن « ستوديبيكر » من دقة وإتقان — كما أنها صممت بحيث تهيىء أوفر قسط من الراحة أثناء السير ، وتتيح فى القيادة مرونة لم تسبقها إليها سيارة أخرى صنعت حتى الآن .

وهى منخفضة للغاية . . . رحبة للغاية — تمتاز بشكل منساب مشيق . وهى متاحة فى أربعة أطرزة بالغة الرشاقة ، وهى مريحة على السواء فى سيارات « ستوديبيكر كوماندر » أو « ستوديبيكر شامبيون » وقريباً تأتيك سيارة « ستوديبيكر » أخرى ذات سطح متحرك .

إن الطلب على « ستوديبيكر ١٩٤٧ » أولى سيارات العالم لما بعد الحرب ، قد بلغ مبلغاً عظيماً . ومما يطمئنك أن تعرف أن إنتاجها يسير الآن على قدم وساق وأن عدداً متزايداً من سيارات « ستوديبيكر » تعد للأسواق الآن — وأنت تقرأ هذا .

**The Studebaker Export Corporation**
**South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker**

*Studebaker*

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

رعب خفي
يعقد شفتيها ..
ولكن
عينيها وحدهما
تفصحان عما
تكتمه
شفتاها
الصامتتان !

دوروثي ماك جوير
جورج برنت
إثيل باريمور
في
سر
السلم الحلزوني

بالاشتراك مع
كنت سميث • روندا فليمنج
إنتاج : دور شارى

إخراج روبرت سيودماك
سيناريو مل دينالي

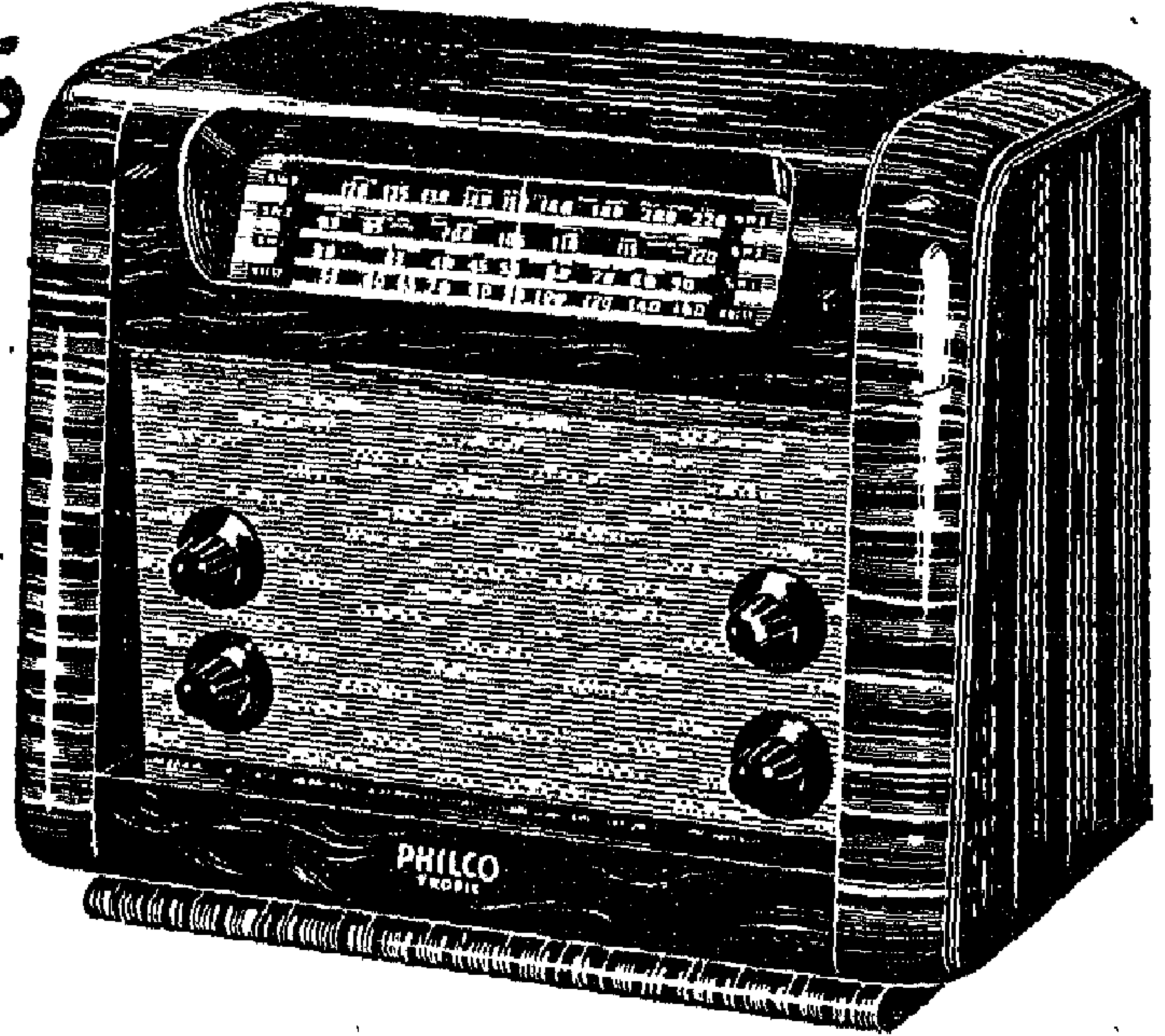
R K O
RADIO
PICTURES

ر . ك . و
راديو بكتشرز

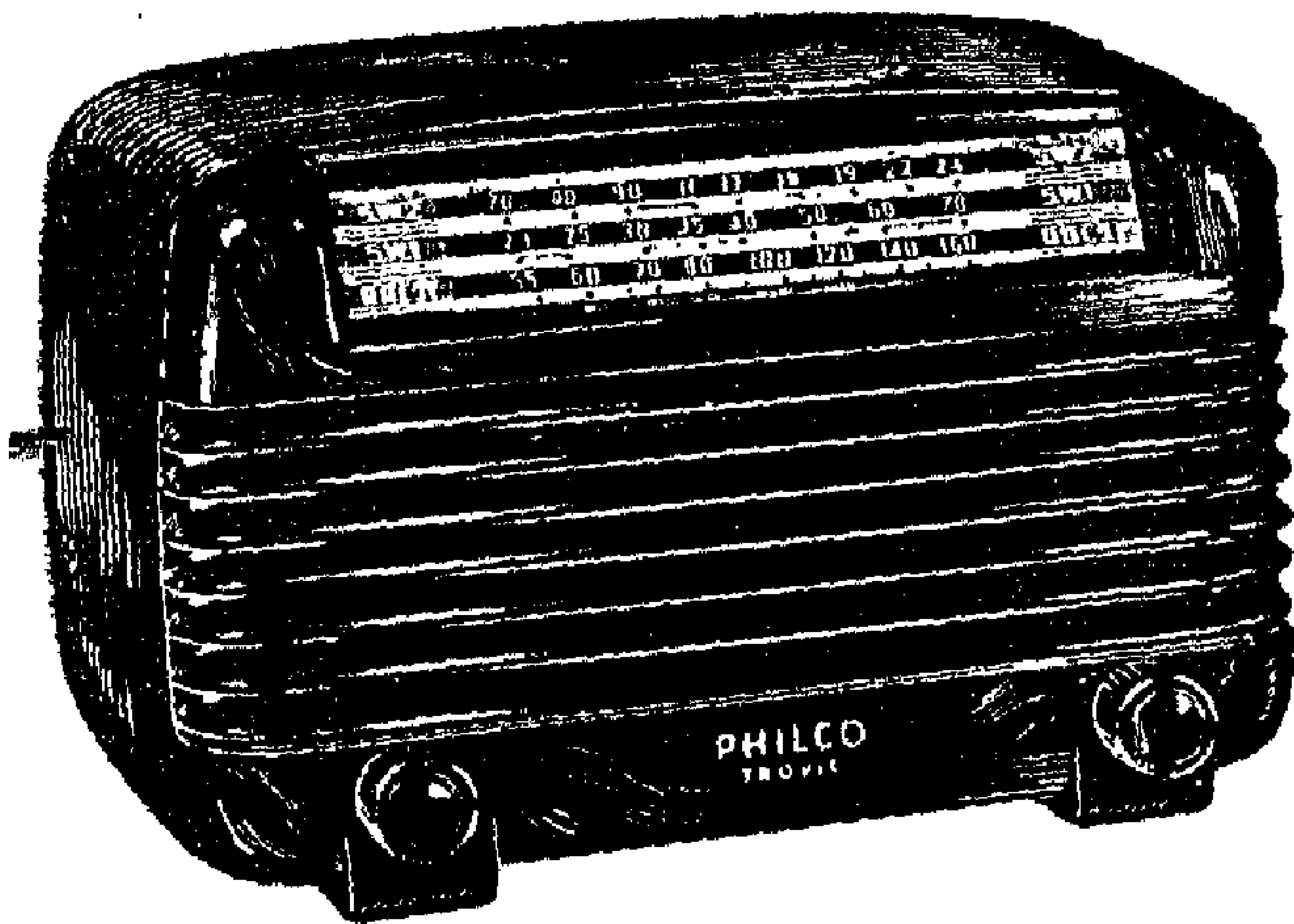
# أجهزة راديو فيلكو
# الجديدة العظيمة المصنوعة للمناطق الحارة
# قد وصلت!

## مصنوع لاستقبال العالم

أعظم أجهزة الراديو التي أخرجتها معامل « فيلكو » مزايا سبّاقة ، تتيح لك ضبطاً أيسر وأدقّ ، وجمالا أعظم وأرقّ في الصوت . . . ومتعة أكبر في برامج المسافات البعيدة على الموجة القصيرة . كل موديل يعطيك أكثر من ثمنه .




فيلكوتروبيك 816 : مناطق أمواج للضبط الكهربائي الدقيق ، ٥ صمامات ، ٤ مناطق للضبط منها اثنتان للأمواج القصيرة.

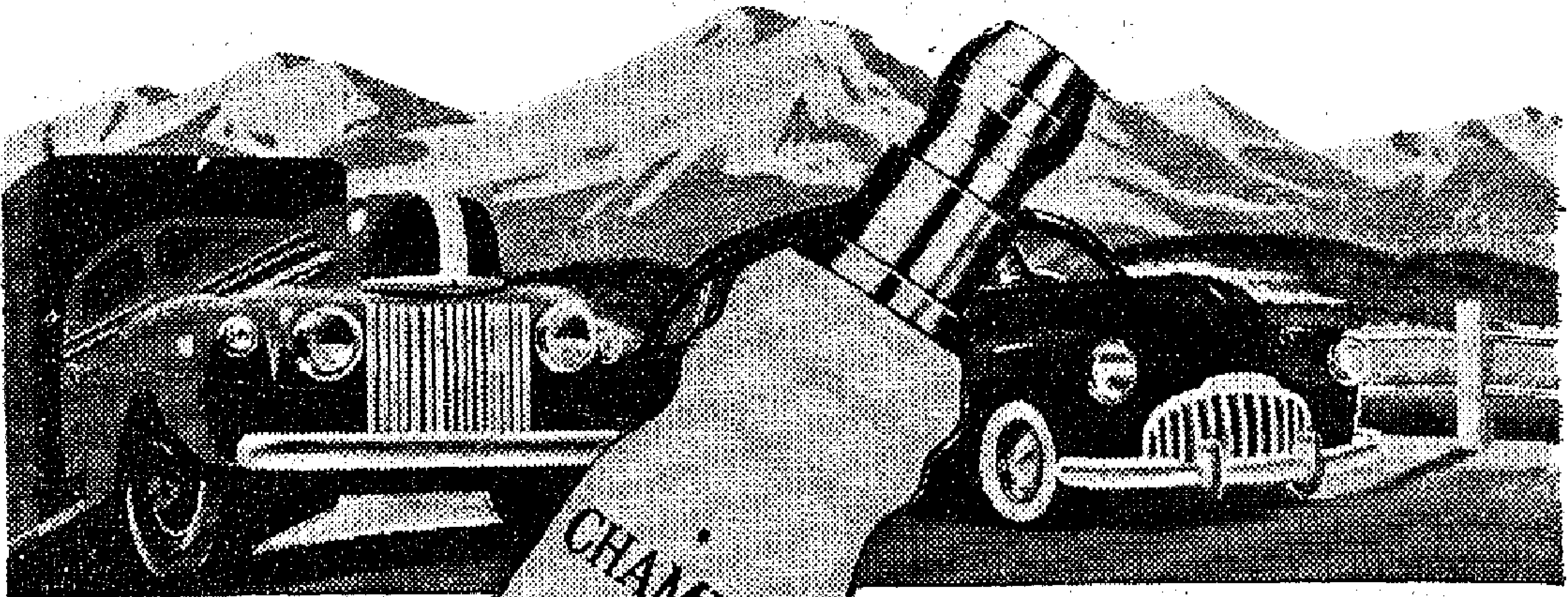



فيلكوتروبيك 805 : راديو مصنوع من العجائن للأمواج القصيرة ، جماله منقطع النظير ، ٥ صمامات ، ثلاث مناطق للضبط منها واحدة للإذاعات المحلية ، واثنتان للأمواج القصيرة من ١٣ متراً إلى ١٠٠ متر .

عاين اليوم هذه الأجهزة عند وكيل فيلكو الذي تعامله

# فيلكو
المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم

PHILCO
INTERNATIONAL
CORPORATION
230, Park Avenue,
New York 17, N.Y.



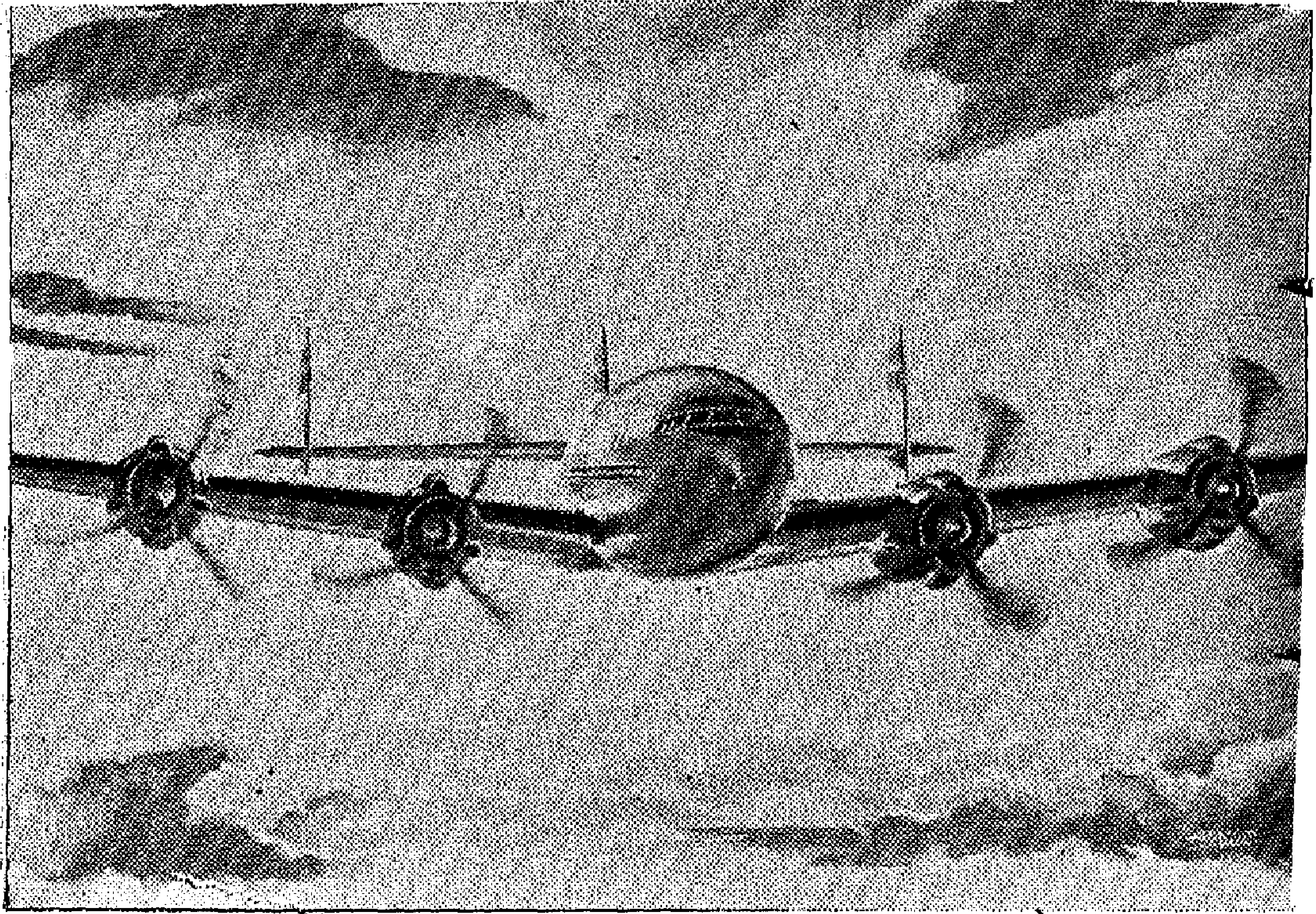

# قـــوة
## جديدة من
## شموع الاحتراق المضمونة
# شامپيون

إن أصحاب المركبات — سواء أكانت سيارات أم كاميونات أم جرّارات — يَنْشُدون لآلاتهم أعظم قدر من القوة ، والضمان ، والعمل الاقتصادى النافع . وهـذه الخواص التى تُعَدُّ مقياساً لأداء كل مركبـة وجودتها ، هى الخواص التى يمتاز بها محركك حين تجهزه بشموع الاحـتراق المضمونة « شامبيون » .

إن شموع الاحتراق « شامبيون » ، قد ظفرت بتفضيل الناس لمزاياها تفضيلا حاسما لأنها تجعل قوة المحرك أعظم ما تكون ، ونفقة صيانته أقل ما تكون ، فتضمن لك دائماً أكبر قدر من الكفاية ، وخدمة خالية من المتاعب .

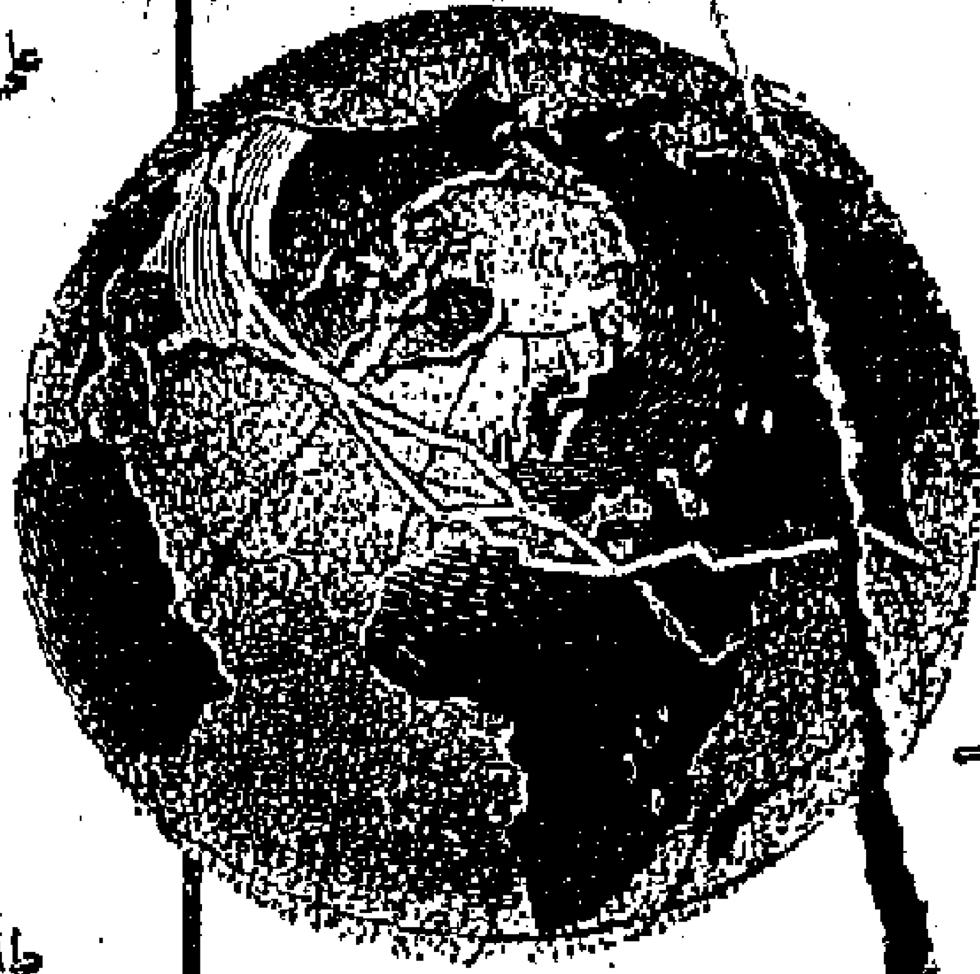



R-64-



# سبّاق مع الشمس

إن طائرات TWA تجرى كالشمس فى جو السماء فتذرع القارات والمحيطات . وقد رخص لشركة TWA حتى الآن بأن تنشىء خطوطاً جوية فى ٢١ بلداً فى أوربا وآسيا وإفريقية وأمريكا الشمالية ، وهى تحمل إلى الملايين من شعوب العالم آيات البراعة فى السيطرة على المسافة والزمن . تلك الآيات التى هيأتها لها تجربة ٢٠ عاماً قضتها تلاحق الشمس ملاحقة لم تزل تزداد سرعة وبعد مدى .



**TWA**

TRANS WORLD AIRLINE

رحلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة ، نيوفوندلاند ، إرلندة ، فرنسا ، سويسرا ، إيطاليا ، اليونان ، مصر ، فلسطين ، شرق الأردن ، العراق ، المملكة العربية السعودية ، اليمن ، عمان ، الهند ، سيلان ، البرتغال ، إسبانيا ، الجزائر ، تونس ، ليبيا .

## ماهى TWA

* TWA لها خبرة نيف و٢٠ عاماً فى الطيران .
* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .
* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوّية .
* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .
* TWA سجلت ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .
* TWA أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .
* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .
* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتُراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

# تجنب عطل سيارات نقل الركاب والبضائع، ووفر نقودك!



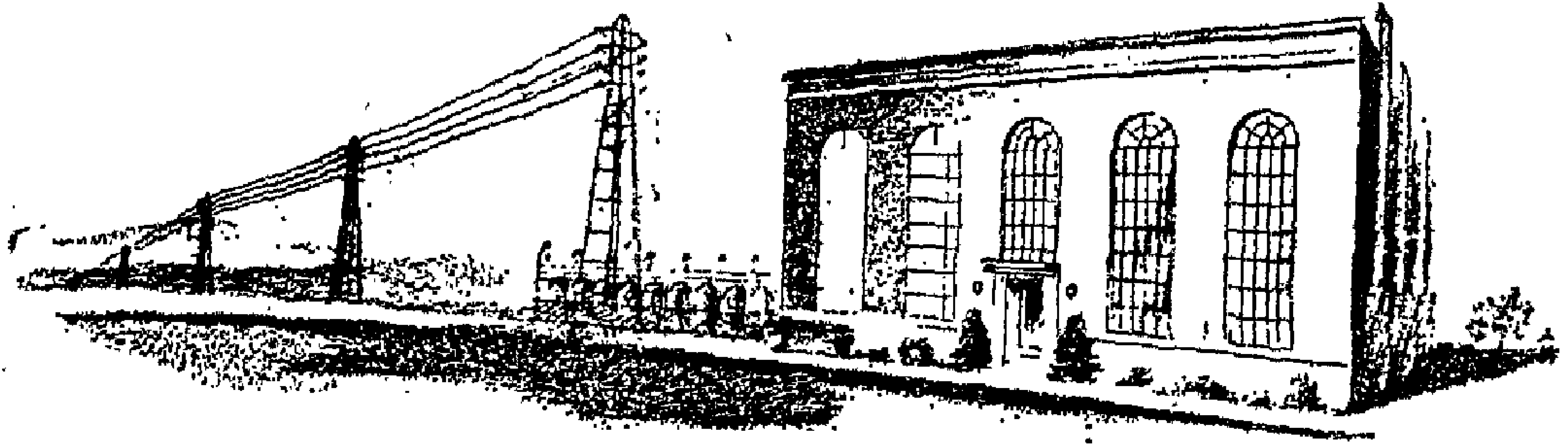
يجد أصحاب سيارات نقل الركاب والبضائع في جميع أنحاء العالم أن زيوت دلفاك تقاوم الحرارة والأوساخ مقاومة فعالة وتقلل الرواسب الكربونية ومزيج الزيت بالبنزين وتحفظ الآلات أكثر نظافة فتكون النتيجة قلة المتاعب في الطريق وتخفيضاً في تكاليف الصيانة والتشغيل وزيادة في الأرباح

إن شركة سوكوني - ڤاكوم تقدم لكل نوع من السيارات والمحركات والآلات الصناعية نوع الزيت أو الشحم الذي يناسبه من الوجهة الفنية استناداً الى أعظم خبرة عالمية في المنتجات البترولية يرجع عهدها الى ٨٠ عاماً مضت منه




## سوكوني - ڤاكوم





# قوة نوردبرج ديزل

## تهيئ لك أداء قليل النفقة تعتمد عليه

سواء كنت تريد أن تهيء القوة لمصنع محدود الطاقة أو لمصنع عظيم يتطلب آلاف الأحصنة ، فثمة محرك « نورد برج - ديزل » من أى حجم ونوع ليلبي طلبك بالذات . إن معدات « نورد برج - ديزل » قد اكتسبت خلال نيف وثلاثين سنة فى صناعة محركات الديزل ، شهرة ذائعة لما تمتاز به من أداء اقتصادى يمكن الاعتماد عليه . ولكى تظفر بحل مرض لمسائل القوة التى تشغلك فاعن بتركيب محرك « نورد برج - ديزل » . فإذا طلبت مزيداً من الاستعلامات خابر ممثلينا فى الشرقين الأدنى والأوسط فى البلاد الآتية :

**NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.**

فى القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن
فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

**الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة**
٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة .

فى المملكة العربية ، **أمريكان إيسترن كوربوريشن** بجدة
فى إيران ، **أمريكان إيسترن ليمتد** ، ش روزفلت بطهران

فى العراق
**الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد**
٢٨٢/٩ شارع المستنصر ببغداد ، شارع الملك فيصل بالبصرة

**NORDBERG** ماكينات ديزل

# صفائح من الصّلب




إن ألواح الصلب التي تنتجها شركة « بتلهيم ستيل » لهياكل السفن وخزانات الزيت أو الماء أو الجاز الخ . . . مصنوعة بدقة عظيمة حتى يتسنى تركيبها بيسر وبأقل نفقة ، وحتى تقاوم الوهن الذي يعتري المباني ولكي تقوم بخدمة طويلة تبعث على الرضى التام .

وشركة « بتلهيم ستيل » التي تعد إحدى الشركات الكبرى في العالم لإنتاج الصلب ، تقدم لك مجموعة كاملة من منتجاتها الفولاذية : كالأسلاك والمواسير والصفيح والرقائق وصلب البناء والصلب اللازم للسكك الحديدية والطرق العامة . . . الخ .

وإن مصنع « سباروز بوينت » التابع لشركة بتلهيم ، هو مصنع الصلب الوحيد في الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد . فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة ، فيقلل ذلك ما قد يلحق بالبضاعة من ضرر من جراء الزيادة في شحنها وتفريغها ونقلها قبل أن تبلغ السفينة .

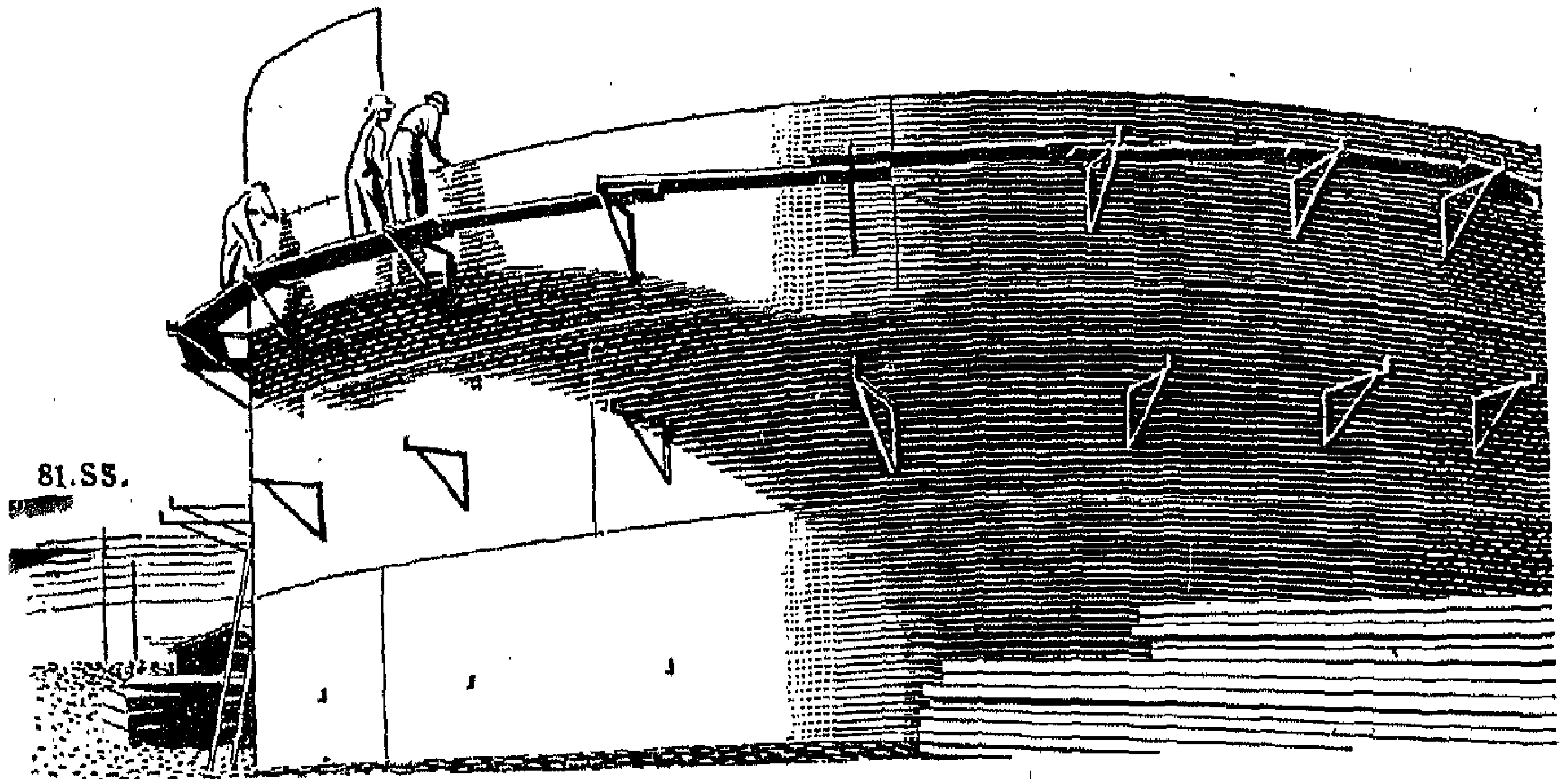
**Bethlehem Steel Export Corporation**

25 BROADWAY, NEW YORK, U.S.A.

الوكلاء في القطر المصري : شركة الدلتا التجارية ش . م . م .

في العراق : ستانلي شعشوعة — في فلسطين : رافائيل ملتز

في سوريا ولبنان : مشيل سحناوي وولده



فلما اطلعت على مقالات العدد الأول لم أملك نفسى وقلت إن هذه المادة النافعة الملهمة ، الميسَّرة للقارىء ستسدى يداً بيضاء نافعة فى سدّ حاجات ملحة تتطلبها شعوب آخذة بأسباب اليقظة ، فتمنيت من صميم قلبى ، أن ينجح مشروع فؤاد صروف ، لا من أجله وحسب ، بل من أجل أمتنا العربية على الخصوص .

والمختار تستهل فى هذا الشهر سنتها الرابعة ، وقد صارت فى السنوات الثلاث الأخيرة علماً معروفاً فى حياتنا كالأهرام نفسها ، ولست فى حاجة إلى أن أصف بأى حفاوة استقبل الناس من جميع الطبقات مجلة المختار فى جميع أرجاء العالم العربى ، وكيف انتفعوا بها ، فقد تعلمت ألوف من الأسر ، كما تعلمت أنا وزوجتى وأولادى ، أن يقرأوها من أجل ما فيها من المتعة ، ولكى يظلوا أيضاً على صلة وثيقة بتيارات الفكر العالمية الزاخرة التى تحيط بكرة الأرض .

وتعبير « تيارات الفكر » ليس مجازاً وحسب ، إنها قوة حقيقية ملموسة يطرد اتساع نطاقها على الزمن . فقد مضى الزمن الذى كان يسع الشعب أو الفرد أن يبقى بمعزل عن هذه التيارات المتدفقة . وقد أتيح لى منذ عهد قريب أن اجلس مع أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، وهم يحاولون فى نشأتها أن يجدوا الحلّ الموفق للمشكلات والمصاعب التى تساور عالمنا المكدود . وهذه التجربة إنما هى درس فى التربية الدولية للأعضاء جميعاً . وأحد الدروس التى كان الأعضاء يتلقونها كل يوم ، هو أن كل خطوة تخطوها أية أمة فى طريق التقدم إن هى إلا خطوة تخطوها جميع الأمم فى هذا الطريق نفسه — بل هى خطوة تخطوها الإنسانية قاطبة . فإذا اكتشف عقّار جديد فى السويد ، أو إذا عقد لواء الظفر فى كفاح الأمية فى الصين ، أو إذا تم اختراع آلة جديدة فى أمريكا ، أو إذا مانجح مشروع المنايل فى مصر ، فالعالم كله يتقدم قليلاً فيدنو من حقيقة العالم الذى ينبغى أن يكون .

إن مجلة المختار مجلة دولية وقفت نفسها على رواية هذا الضرب من التقدم حيث يتمّ . وقد علمت أنها تنشر الآن فى أكثر من ثمانى لغات ، وتوزع فى أكثر من ثلاثين بلداً ، وأنا أعدّ إقبال العالم العربى عليها واحتفاءه بها من علامات تقدمنا . وليس من المصادفات أن نجد هذه الأداة المثقفة بين أيدينا فى الحين الذى تأخذنا فيه سورة الغبطة ببعث طال عليه الزمن ، وفى الحين الذى نعانى فيه مشكلات هذا البعث . وإن الدول العربية فى تقاربها ، وفى سيرها لكى تتبوأ مكانها بين أمم الأرض ، تلقى على كواهلنا جميعاً تبعة عظيمة تطرد على الأيام زيادةً ، هى أن نصنع مايفيد التقدم ، لا فى بلادنا وحسب ، بل فى أرجاء العالم كله . فإلى جميع العرب الذين يتوقون إلى السير قدماً مع العالم ، أقدم هذا الصديق البشير — بشير التقدم والمودة .

حافظ عفيفى

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

# مِعوانٌ على النهضة

الدكتور حافظ عفيفي باشا
رئيس مجلس إدارة بنك مصر وعضو مجلس الإدارة المشترك
مندوب مصر في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن

منذ أكثر من ثلاث سنوات كان صديقى فؤاد صروف منهمكاً فى إعداد الجزء الأول من المجلة التى كانت يومئذ مجلة بغير اسم ، ثم صارت تعرف باسم « المختار » . وقد سألنى هل تصلح لنا مجلة من هذا القبيل وتلائم ذوق أمتنا. وكنت أعرف مجلة ريدرز دايجست وماتسديه من خدمة نافعة فيما تختاره من مجلات العالم والكتب المطبوعة ، وتهيء منه كل شهر مختصراً متنوع الألوان متعادل الأقسام من خير مجالى الفكر فى أيامنا هذه . ثم كنت أعلم أيضاً أن الذين يتكلمون الإنجليزية ، والذين يتكلمون الإسبانية والبرتغالية فى قارة أمريكا الجنوبية ، وأهل السويد فى الشمال البعيد ، كانوا يشاركون فى هذه التجربة التى تولتها الريدرز دايجست فى تبادل الفكر والرأى بين أمم الأرض. فقلت لفؤاد إننى أرى أن أمم العالم العربى متشوّقة إلى المساهمة فى مثل هذا الجهاد النافع المجدى فى سبيل الثقافة .

وقد أطلعنى فؤاد على بعض المقالات التى كان يعدُّها للطبع يومئذ ، ومازلت أذكر حتى الساعة مقالة عنوانها « إذا أردت أن تتعلم » ، وهى تنطوى على وصف مدرسة يستكشف فيها الصغار أن التعلم مَسْلاةٌ ومسرّة وليس محنة قاسية . وكان هناك مقالة تبيِّن طريقة جديدة لتوليد الأمهات ، أيسر وآمن مغبّة مما سبقها من الطرائق ، ثم كانت هناك ترجمة مدام كورى ومختصر سيرتها الرائعة .

[ التتمة على الصفحة السابقة ]

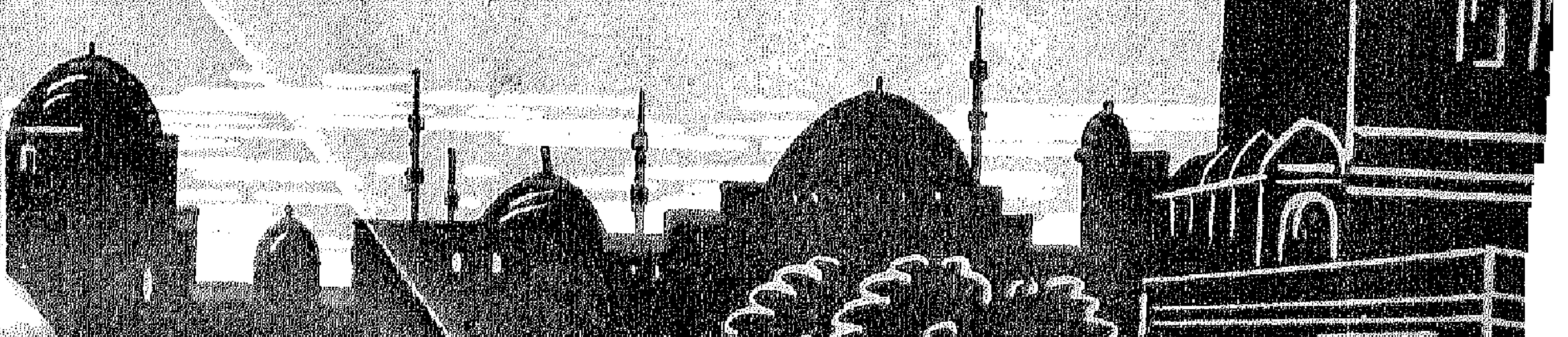
أكتوبر ١٩٤

# المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة





# بعض ماتقرأ فى عددنا القادم نوفمبر ١٩٤٦

**الحياة فى الغابات :** كتاب إنسانى خالد ، هو بيان عن تجربة عيشة راضية مطمئنة ، وعن مغامرة فى طلب البساطة والنظام ، لا تزال كما كانت منذ مئة سنة مطابقة لحاجة الإنسان . وهو كتاب سمع به أكثر الناس ولكن لا يقرؤه اليوم إلا قليل . ومع ذلك فيخيل إلينا أنه كلما ازدادت الحضارة تعقيداً على تعقيد ازداد هذا الكتاب علواً وخلوداً عام بعد عام .

**هل تحس بالتعب دائماً ؟** ما هو أكبر سبب للتعب المزمن ؟ وهل الراحة علاج له ؟ وهل يفضى إرهاق العمل إلى الإعياء وانهيار الأعصاب ؟ هذا المقال النافع يبطل الأوهام الشائعة عن التعب وأسبابه وعلاجه .

**المدمّر :** ظل مكتب المباحث الجنائية سنتين يقتفى خطو هذا المجرم الفتاك ، الذى نشر الإرهاب فى منطقة واسعة آهلة . هذه قصة رجل نشىء فى الإجرام ، وكانت أمه هى التى نشأته . . . . ولكنه ارتكب الخطأ الذى نم عليه . قصة بوليسية حقيقية فيها عبرة لرجال التربية والحكم وعلم الاجتماع على السواء .

**علموا أولادكم الحياة :** ظل الصغار يشى بعضهم ببعض فأعطاهم أبوهم سلة وقال : اكتبوا قصصكم على بطاقات وارموها فى هذه السلة ، فإذا ما امتلأت ، فاقرأوا ما كتبتم ، واحفظوا منها ما كان جديراً بالحفظ — هذه أمثلة جديدة رائعة نافعة على أساليب الآباء فى تربية أبنائهم .

**أسطورة السلالة المتفوقة ؟** أى سلالة من الناس أضخم البشر مخاً ؟ وهل ضخامة المخ تؤثر فى الذكاء والعبقرية ؟ وهل تجد فئات الدم فى جميع السلالات ؟ وأى سلالات البشر أسدى أعظم يد لأصول الحضارة ؟ هذا أستاذ عالم يبين فساد القول بتفوق السلالة البيضاء ، ويستقصى أصل هذه الخرافة .


AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 38, OCTOBER 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

**الطبعة العربيــة**

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جايسى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

**العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤**





مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

السنة الرابعة
المجلد ٧
العدد ٣٨
من
ريدرز دايجست



# خواطر عن سياسة السوفيت الخارجية

جون فوستر دليس

مختصرة من مجلة "لايف"

خبير أمريكي في الشئون الخارجية يشرح عناصر سياسة السوفيت الخارجية وحقائقها، وكيف يتم التوفيق بينها وبين سياسة السلام العالمية.

أهم عمل ينبغي على أقطاب الدول أن يتموه، هو الاهتداء إلى خطة تحول دون وقوع تصادم خطير بين دولهم وبين الاتحاد السوفيتي. وليس هناك اليوم أقل شك في أن مثل هذا الاصطدام محتمل الوقوع، بل إن هذا الخطر يزداد وضوحاً كلما تعمقنا في دراسة السياسة السوفيتية.

وسنحاول في هذا المقال أن نبين شيئين: الأول، السياسة السوفيتية على حقيقتها، والثاني، ما يقتضيه هذا من توجيه في سياسة أمريكا وأعمال هيئة الأمم المتحدة.

ويزعم قادة السوفيت أن السلم والأمن يتوقفان على الوصول بالعالم سريعاً إلى اعتناق المذهب السياسي السوفيتي الذي يقضي على بعض الحريات الفردية من أجل تحقيق التناسق الاجتماعي. وهذه الحريات الفردية التي يريدون اغتصابها إنما هي أغلى ما نعتز به من تراث سياسي وديني. وقد ذدنا في الماضي عن هذه الحريات بالسلاح حينما بدت عرضة

للخطر . والأساليب التي يتبعها قادة السوفيت بغيضة إلى معتقداتنا في الإنسانية والعدل .

ومن الحمق أن نعلّق آمالنا في السلم على قيام مصالحة صادقة بين عقائدنا وعقائد قادة السوفيت اليوم ، فالفروق بيننا جوهرية . والواقع أن السلم لايتطلب أن يعتنق الناس جميعاً عقيدة واحدة ، كما يرى قادة السوفيت اليوم فيما يبدو ، بل يمكن أن يسود العالم السلمُ على مابيننـا من فرق ، لو عدل قادة السوفيت عن وسائل العسف التي يتوسلون بها اليوم لمحو هذه الفروق .

وهذا هدف يمكن تحقيقه ، فقادة السوفيت ساسة أهل حصافة وحسن تقدير للأمر الواقع ، فإذا أقمنا لهم الدليل على أن حرياتنا عزيزة علينا ، متأصلة فينـا بحيث يستحيل استئصالها، صح لنا أن نتوقع عدولهم — من باب الحكمة السياسية — عن أساليب هيهات أن تنجح، بل ربما أفضت إلى كارثة.

## البرنامج السوفيتي

ولايتسنى إدراك السياسة الخارجية لدولة ما من أقوال رجالها فحسب ، بل أدلّ من ذلك مذاهب قادتها ومظاهر هذه المذاهب في أعمالهم ، فإذا ضمت هذه العناصر بعضها إلى بعض أمكن أن نستخلص نتيجة يمكن الاعتماد عليها . فإذا نظرنا في أمر روسـيا السوفيتية وجدناهذه العناصر أجزاء مترابط تؤلف كلا واحداً له منطقه وفيه اتساق .

إن الذين يرسمون السياسة الخارجية السوفيتية يؤمنون إيماناً وثيقاً بالمبدأ القائل « إن هذا العالم عالم واحد » وإن « السلم لايتجزأ » . وهاتان العبارتان تجريان على ألسنتنا مجرى الحكم والأمثال ، ولكنهما هما أركان السياسة السوفيتية الخارجية ، وأهم أغراضها أن يتحقق للاتحاد السوفيتي السلم والأمن والفرص العادلة المؤاتية — وهذه هي الأهداف المألوفة التي تتوخاها كل سياسة خارجية . بيد أن قادة السوفيت حين يرون أن العالم واحد وأن السلم لا يتجزأ ، تجدهم يعدُّون السلم والأمن رهناً بمحو كل الأوضاع الاجتماعية غير الموســومة بطابع سوفيتي، إذ هي في نظرهم تعرض العالم للخطر بشطره شطرين متنافرين . وهم يرون أيضاً أن مايتوخونه هو خير للعالم ، فهم يعدّون المثل الأعلى للحكومات هو النمط السوفيتي القائم على ديكتاتورية الطبقة العاملة ، التي نشأت لزيادة رخاء الشعب ، والقضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان . فهذا في رأيهم هو الديمقراطيـــة الحقة ، وكل مايعارضها من أفكار سياسية أو معتقدات روحية يطلقون عليها وصف « الفاشى » أو « العدائى »

وينبغى لنا أن ندرك المعانى التى يفهمها الناطقون بلسان السوفيت من كلمات « الديمقراطية » و « الفاشية » ، كما ينبغى أن نفهم معنى « الود » عندهم .

وإخفاقنا فى بلوغ هذا الفهم يفسر لنا لماذا نوافق فى أحيان كثيرة على أقوال قادة السوفيت ، ثم نجده من العسير أن نوفق بين أعمالهم وأقوالهم كما فهمناها . فإذا قال قادة السوفيت إن غرض سياستهم الخارجية هو أن تقوم فى كل مكان حكومات « ديمقراطية » تكون صديقة لهم ، وعاملة على محو التفكير الفاشى، فهذه غاية معقولة وليس لنا اعتراض عليها حتى نتبين أن :

« الديمقراطية » معناها عند الروس النمط السوفيتى من ديكتاتورية الطبقة العاملة، و « الفاشية » هى عندهم كلمة قدح توصف بها كل المذاهب غير المذهب السوفيتى .

و « الود » عندهم كلمة تنم على رضى عن كل من يؤمن بالمثل العليا السوفيتية ، وعلى كل من يبرهن على إخلاصه لها بالعمل على نشرها والنهوض بها .

والسياسة السوفيتية، بحسب هذا التفسير، سياسة عنف بلا جدال ، فهى تسعى إلى القضاء على المبادىء الأســاسية التى نراها نحن لازمة للمجتمع الحر ، وهى تسعى حثيثاً إلى تلك الغاية ، لأن قادة السوفيت يؤمنون بأن العالم سيظل معرضاً للخطر حتى يدرك هذا الغرض أو يحققه .

والصبر على المبادىء غير السوفيتية هو فى نظرهم ضعف ينطوى على خطر .

وقد قال فشنسكى فى خطابه القوى عن مشكلة المهاجرين فى أول دورة لهيئة الأمم المتحدة :

« إننا لن نرضى بالتسامح، فقد لحقنا منه أذى كبير .. » ولهذا — كما جاء فى ختام خطبته — فإن المهاجر الهائم على وجهه ، وإن هان شأنه ، يكمن فيه خطر على سلم الاتحاد السوفيتى وأمنه ، إذا كان من المؤمنين بمبادىء معادية للشيوعية السوفيتية .

ويرى قادة السوفيت أن أقرب الطرق لمحو هذه الأخطار الكامنة هو أن تقوم فى كل مكان حكومات تعتنق مذهب الاتحاد السوفيتى فى السياسة

وستفرض مثل هذه الحكومات رقابة دقيقة ، وتستعين بالبوليس السرى لتكشف عن كل من لا يزال يؤمن بمذاهب سياسية أخرى وتنزع شوكتهم بإقصائهم عن مكانهم المعهود فى المجتمع . ولهذا يرى قادة السوفيت أن إقامة مثل هذه الحكومات فى جميع أرجاء العالم يتيح تناسقاً عالمياً وهدوءاً سياسياً شاملا تحت لواء « السلم السوفيتى »

جون فوستر دليس محام مشهور وخبير فى الشئون الدولية ، وقد قضى معظم حياته فى تأييد قضية السلام . كان طالباً فى الجامعة حين عين سكرتيراً لوفد الصين فى مؤتمر لاهاى الثانى للسلام . ثم كان مستشاراً قانونياً للرئيس ولسون فى فرساى ، وعاون على تنظيم ماليـة تسع دول بعد الحرب العالمية الأولى . وألف قبيل هذه الحرب كتاباً عنوانه « الحرب والسـلام وتطوّر العالم » فعُدّ أفضل ما كتب فى أسباب الحرب وبواعث السلام . وقد كان عضواً فى الوفد الأمريكى فى مؤتمر سان فرنسسكو ، ثم فى اجتماعى هيئة الأمم المتحدة ، وقضى وقتاً طويلاً فى مفاوضة ممثلى روسيا ، فاطلع على آرائهم أحسن اطلاع .

وهم يقسمون العالم — لتحقيق أغراض سياستهم الخارجية — إلى ثلاث مناطق :

(١) منطقة داخليـة وهى الاتحـاد السوفيتى ذاته .

(٢) منطقة متوسطة ، وهى « نطاق واق » يحيط بالمنطقة الداخلية .

(٣) منطقة خارجية وهى باقى العالم كله.

وهى تشمل الأراضى التى أدمجت فى الاتحاد السوفيتى ، فهى تضم الاتحاد السوفيتى « كما كان فى بدء تكوينه سـنة ١٩١٧ » ويضاف إليه كل الأرض المجاورة التى استولى عليها فيما بعد : شمال فنلندة ، والمناطق ذات الشـأن الحربى فى جنوبها وهى متحكمة فى مداخل بحر البلطيق ، وإستونيا ، ولاتفيا ، وليتوانيا ، والقسم الشمالى من بروسيا الشرقية ، والنصف الشرقى من بولندة ، والقسم الشرقى من تشيكوسلفاكيا ، ومقاطعة بسارابيا وبيكوفينا . ( وكانتا من قبل تابعتين لرومانيا ) وتانوتوفا ، وبورت آرثر ، والنصف الجنوبى من جزيرة سخالين ، وجزائر الكوريل .

وقد وضع الدستور السوفيتى على أساس الاتحاد ، فيسهل أن تدمج فيه شعوب جديدة ومناطق جـديدة . وليس هناك ما يدعو إلى الظنّ بأن توسـع الاتحاد السوفيتى قـد بلغ نهايته ، فإن روسيا تسعى اليـوم إلى استرداد ولايتى قرص وأردهان من تركيا . وأغلب الرأى أن ينتهى الأمر بأن يضم بعض الولايات شبه المستقلة فى المنطقة الوسطى إلى الاتحاد السوفيتى .

وهى متاخمة للمنطقة الداخلية ، ولم تنضج بعد فتدمج فى الاتحـاد السوفيتى ، ولكنها لقربها منه تتأثر بنفوذ السوفيت العسكرى ، وقوات السوفيت تحتل اليوم — أو كانت تحتل إلى عهد قريب — هـذه المنطقة . وما من جهة من جهاتها نجت من الاحتلال إلا وهى اليوم فى خوف منه ، وتلاقى حكومات هـذه المنطقة إغراء شـديداً لكى تضع سياستها الخارجية وجيوشها - وأهم من ذلك كله - بوليسها السرى ورقابتها ، فى أيدى رجال يسترشدون برأى موسكو . وهكذا يضمن لقادة السوفيت أن تصبح هـذه الحكومات « صديقة » لهم .

وأحـوال المنطقة المتوسطة سائدة أيضـاً على تفـاوت بينها ، فى الجهات الآتية من أوربة :

بولندة ، ألمانيا الشرقية، تشيكوسلفاكيا، النمسا الشرقية ، المجر ، رومانيا ، بلغاريا ، يوغسلافيا ، ألبانيا . وكذلك الجهات الآتية فى آسـية : منغوليا الخارجية ، منشوريا ، كوريا الشمالية ، ولاية سنكيانج فى الصين. وليس هناك ما يدعـو إلى الاعتقاد بأن المنطقة المتوسطة قد عينت حدودها تعييناً نهائياً، فترى اليوم مساعى تبذل لتوسيعها : فى اليونان حيث ينشب نضال مرير من أجل الحكم بين جمعيـة « إيام » التى تعضدهـا روسيا وبين سائر الأحزاب ، وفى إيران ( حيث تنشب الثورة فى أذربيجان التى كان يحتلها الروس ) ، وتركيا ( التى تعانى ضغط روسيا ) ، وكردستان (حيث يشجع الكرد على إقامة دولة مستقلة استقلالا داخلياً تحت حماية السوفيت) ، وكوريا الجنوبية ( حيث يعضد الروس بعض الجماعات السياسية ) .

وهى تشمل باقى بلاد العالم . وهى بلاد حكمت عليها الطبيعة بأن تكون بعيدة عن التأثر بقوة روسيا البرية، فلا يتسنى لها التدخل بالقوة فيها لإقامة حكومات موالية، وتختلف الأساليب التى تتبعها روسيا لإقامة مثل هذه الحكومات الموالية باختـلاف البلاد حين تكون مستقلة أو غير مستقلة .

ففى مناطق المستعمرات التى يبلغ مجموع سكانها ٧٥٠ مليوناً ، يحض قادة السوفيت أهاليها على الثورة للمطالبة بالاسـتقلال ، ويؤيدونهم ويظاهرونهم ، ويطالب هؤلاء الأهالى بأن توفع عنهم مظالم لاسبيـل إلى إنكارها، وأن تحقق أمانيهم القومية ، وقد ساعدت ظروف الحرب ودعاية اليابان وألمانيا على تأجيج هياجهم . ويعمد قادة السوفيت

— فى هذه الأحوال — إلى تشجيع اللجوء إلى العنف بدلاً من الاعتماد على أساليب المسالمة الواردة فى ميثاق الأمم المتحدة .

ولقد أبوا فى الدورة الأولى لهيئة الأمم المتحدة أن تمتدح الجمعية العمومية عمل الدول المنتدبة من قبل عصبة الأمم ، حين أرادت بمحض اختيارها أن تسلم البلاد الواقعة تحت انتدابها إلى مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة . أما فى اجتماعات وزراء الخارجية فى لندن وباريس ، فقد عارضوا الخطة التى وضعتها الولايات المتحدة للمستعمرات الإيطالية ، والتى تتضمن التعهد بمنحها الاستقلال فى وقت قريب ، وتجعل إدارتها — إلى أن يحين ذلك الوقت — موكولة إلى مجلس الوصاية .

أما البلاد المتمتعة بالاستقلال التام ، فهى النصف الثانى من المنطقة الخارجية . ففى بعض هذه البلاد — كما فى فرنسا — أقيمت أحزاب شيوعية قوية تتعاون هى وقادة السوفيت . أما فى البلاد الأخرى فمن العسير إقامة أحزاب شيوعية أو أحزاب يسار متطرفة يبلغ من قوتها وحدها أن تبسط نفوذها على الدولة . ففى مثل هذه الأحوال يستعان فى بسط النفوذ بأقليات صغيرة متقنة التنظيم . وتسعى هذه الأقليات حتى تظفر بمقام ذى شأن فى كتل الأحزاب الكبيرة ، بل قد يبلغ بها أن تصبح فى يدها القدرة على ترجيح الكفة حينما يتقارب عدد الأصوات التى تنالها الأحزاب الكبيرة .

وينتفع أعوان السوفيت فى بلوغ أغراضهم بحرية الصحافة والخطابة للتشهير بالذين يعتنقون مبادىء قوية تعارض المذهب السوفيتى ، ويخشى نفوذهم الأدبى والسياسى . وقد اتبع هذا الأسلوب مثلا فى انتقاص السنيور باديلا الذى كان إلى وقت قريب وزيراً للخارجية فى المكسيك لأنه ناصر سياسة الولايات المتحدة فى مؤتمر سان فرنسسكو ، وساهم بقسط وافٍ فى العمل على وحدة القارتين الأمريكيتين ، فلما عاد إلى وطنه هاجمته صحافة اليسار مهاجمة شديدة ، واتهمته بأنه قبل الرشوة من الولايات المتحدة ، وباع نفسه لها ليظفر بتأييدها السياسى . فكان من نتائج هذه الاتهامات أن تخلى فوراً عن وزارة الخارجية . ووضع خلفه نصب عينيه فى اجتماع هيئة الأمم المتحدة فى لندن أن تقترع المكسيك فى أغلب الأحيان مع روسيا وضد الولايات المتحدة ، وبهذا أمن المصير الذى لقيه سلفه .

ويريد الاتحاد السوفيتى أن يمنع قيام اتحاد سياسى أو اقتصادى بين دول أوربة الغربية التى تتاخم المنطقة الوسطى ، مثل فرنسا وبلجيكا وهولندة وبريطانيا ، لأنها

إذا اتحدت فقد تصبح ذات نفوذ يوازن نفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة المتوسطة الأوربية . وقد قامت في هذه البلاد أحزاب شيوعية تتعاون تعاوناً وثيقاً مع الشيوعية السوفيتية . ومنذ أشهر قال أحد الموظفين الفرنسيين وهو يتحدث عن تعزيز الوحدة الاقتصادية بين فرنسا وبعض جيرانها ، إن هذه الوحدة متعذرة لأنها تغضب السوفيت ، وفي طاقتهم ، بفضل النفوذ الشيوعي ، أن يثيروا في فرنسا حركة من الإضرابات المخربة المدمرة .

ومنطقة البحر الأبيض المتوسط جزء من المنطقة الخارجية ، وقد وجهت إليها السياسة والدعاية السوفيتية كثيراً من عنايتها وجهودها . فهي طريق الحياة المفضي ببريطانيا إلى الهند والشرق الأقصى ، ويسعى الاتحاد السوفيتي إلى نزع السيطرة على هذا البحر من يد بريطانيا ، وتمتد محاولاته هذه إلى جميع شواطىء هذا البحر .

وتسيطر إسبانيا والمغرب الأسباني على مداخله الغربية ، وقد أصبحت إسبانيا اليوم مسرحاً لنضال سياسي خطير ، فجميع الدول الكبرى متفقة على وجوب إسقاط فرانكو ، ولكن المسألة هي كيف يتم ذلك ؟ وما هو النظام الذي يخلفه ؟ أما بريطانيا وأمريكا فتسعيان معاً حتى يخلفه بالطرق السلمية نظام يستند إلى مبادىء الأحرار لا الشيوعيين . وأما قادة السوفيت فلا يحجمون عن إثارة حرب أهلية ترفع الشيوعيين إلى مناصب الحكم . وقد ترددت فرنسا بين هاتين الإرادتين .

ويبذل قادة السوفيت جهوداً قوية للسيطرة على سياسة فرنسا الخارجية . وقد قام الاتحاد السوفيتي أخيراً بتدبير استثنائي فقدم قمحاً إلى فرنسا مع أنه يتلقى هو نفسه العون من هيئة الإعانة والتعمير ، وفعل ذلك عن طريق الشيوعيين الفرنسيين لمساعدتهم على اكتساب نفوذ سياسي .

والشيوعية في إيطاليا تلقى تأييداً تطاول به أحزاب الوسط ، وتبذل جهود متصلة للانتفاع بأخطاء الحكومات العسكرية التي أقامها الإنجليز والأمريكيون .

وتسعى روسيا إلى اكتساب العالم العربي كله ، وتشجع قيام القلاقل في مراكش الفرنسية والجزائر وتونس .

أما جمهوريات أمريكا اللاتينية فكثير منها يواجه مشكلات اقتصادية نشأت في أعقاب الحرب ، وعدد كبير من عمالها لا ينعم بمستوى حسن في معيشته . وقد أتاحت هذه الأحوال للدعاية الشيوعية فرصة سانحة انتهزها المشاغبون من أحزاب اليسار المتطرف ليقوضوا دعائم وحدة القارتين

الأمريكيتين التى عملت الولايات المتحدة على تعزيزها .

ويسعى الاتحاد السوفيتى إلى شد أزر اتحاد النقابات العالمى الذى تألف أخيراً ، حتى تتخذه أداة للنفوذ السياسى فى العالم كله . ولهـذا الاتحاد اليوم هيئات عمال ذات شأن فى أكثر من ٥٠ أمة ، وهذه الهيئات تضم فى أغلب الأحوال الجناح الأيسر لأحزاب العمال فى كل بلد ، وترى الشيوعيين وأنصارهم من أعضائها يبذلون من الجهـود المفضية إلى بسط نفوذهم على الوجه الذى يرضى الاتحاد السوفيتى .

...

إن أساليب السوفيت هى أساليب مجتمع من الناس يعامل أقواماً من وراء حدوده يعتقـد فيهم الفساد ، ويتوقع منهم الخطر ، فالامتناع عن مخالطتهم هى القاعدة العامة ، والتآخى محرم ، اللهم إلا إذا كان جـزءاً من خطة موضوعة للتغلغل السياسى .

وقد أسدل ستار حديدى بين المنطقة الداخلية والخارجية لا يرفع أبداً . وهـذا يحقق غرضين : أولهما يتعلق بالداخل ، والآخر بالخارج .

فهـذا الحجاب مطلوب فى الداخـل للاحتفاظ بنقاء المعتقدات التى لم ترسخ إلا بعد ثلاثين سنة تقريباً من الدعاية والتطهير ويحول هذا الستار أيضاً دون سخط خليق أن ينشأ إذا أتيح للشعب السوفيتى أن يعرف أن عمال بلاد كثيرة — كالولايات المتحدة وبريطانيا — ينعمون بعيشة أفضل من عيشتهم

أما فى الخارج فالستار الحديدى يعين الدعاية السوفيتية على أن تكون أجـدى تأثيراً مما لو عرف الناس حقيقة الحال فى الاتحاد السوفيتى . ولا شك أن الحالة الاقتصادية فى بعض أجزاء الاتحاد السوفيتى أفضـل منها فى بعض المناطق المتخلفة فى الشرقين الأوسط والأقصى ، غير أن الإلمام بحقيقة الحياة فى الاتحاد السوفيتى يدعو فى مجمل الرأى إلى الحط من سمعة السوفيت .

والواقع أنه يسهل على الأفراد الساخطين على الاجتماع وعلى أصحاب المثل العليا ، أن يبالغوا فى تقدير تجربة السوفيت وقدرتها على تحقيق ما يصبو إليه الناس من آمال . وهم يحكمون على هذه القدرة بخيالهم وببعض الأمثلة التى أحكم عرضها لا بالحقيقة الواقعة . وهـذا ربح للاتحاد السوفيتى لا يقدر بمال .

ويقال للشعب السوفيتى إن هـذا ستار لا غنى عنـه ، يعينه على أن يقف موقف الدفاع حيال عالم خارجى لا يضمر له الود .

ويرحب قادة السوفيت بالحوادث التى قـد تنم فى ظاهرها على أن جفاء العالم الخارجى

متأصل فى طبعه ، بل إنهم يتلمسون هذه الحوادث ويجرون فى طلبها . ففى مؤتمر سان فرنسسكو واجتماعات الجمعية العمومية ومجلس الأمن ، دأب الوفد الروسى على المطالبة بعرض مقترحاتهم للمناقشة العامة والاقتراع عليها فى الأحوال التى كان الإخفاق فيها لا محيص عنه ، لأن ذلك يتيح لهم أن يطنطنوا لشعبهم ولأتباعهم فى الخارج بالموقف العدائى والفاشى — كما يقولون — الذى يقفه العالم الخارجى حيالهم .

وتفرض السياسة الروسية على كل من يسافر إلى الخارج فى بعثات دبلوماسية أو تجارية أن يتمسك أشد تمسك بالمبدأ القائل بأن الديموقراطية السوفيتية لا تصبر على المعارضة والجدال . فالدبلوماسيون الروس ، بل قل جميع الروس خارج بلادهم ، محظور عليهم أن يخالطوا أنصار المذاهب المعارضة مخالطة غير مقيّدة . ويحدث أحياناً أن يشاركوا مبتهجين فى بعض الحفلات ، ولكنهم قلما يتباحثون فى المسائل السياسية والاجتماعية والثقافية . فإذا شذ أحدهم وخالط أتباع مذهب مخالف مخالطة الأصدقاء ، فهو خليق بأن يردّ إلى بلاده .

وتنفيذاً لهذه السياسة ، يسير الاتحاد السوفيتى بخطى وئيدة نحو الانضمام إلى المؤسسات التى تعمل للتعاون الدولى . فهو حتى اليوم لم ينضم إلى صندوق النقد الدولى ولا إلى البنك الدولى للتعمير والإنشاء ، ولا إلى هيئة الطعام والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، ولا إلى الهيئة الدولية المؤقتة للطيران المدنى ، ولا إلى لجنة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، ولا إلى لجنة الطوارىء الاقتصادية فى أوربة ، ولا إلى هيئة لجنة الفحم الأوربية .

أما انضمامه إلى هيئة الأمم المتحدة فاستثناء ، فمنذ مؤتمر موسكو فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ شارك الاتحاد السوفيتى فى المراحل التى أفضت إلى إنشاء هيئة عالمية يكون هو من أعضائها المقدّمين . وقد تلقى الوفد الروسى فى مؤتمر سان فرنسسكو تعليمات من المارشال ستالين بأن يقبل بعض أحكام الميثاق ، بعد أن كان هذا الوفد ينفر منها كل النفور . ( ونخص بالذكر تلك الأحكام التى تبيح المناقشة العامة فى مجلس الأمن والجمعية العمومية ، وتسوية المنازعات بالوسائل السلمية المادة ٤١ ) وذلك لتفدى الإخفاق فى إنشاء هيئة دولية ، أو إنشاء مثل هذه الهيئة دون أن يشترك فيها الاتحاد السوفيتى .

وتدل الدلائل على أن قادة السوفيت قد رأوا فى الهيئة العالمية ، فى مبدأ الأمر ، وسيلة لاستمرار استئثار الدول الثلاث الكبرى بالسلطان ، كما كانت الحال زمن

الحرب ، غير أنهم اضطروا إلى نبذ هـذا الرأى ، ومع ذلك رحبـوا بتأليف الهيئة لكى تحول دون إنشاء رابطة مقصورة على الديمقراطيات الغربية ، ثم لكى تعين السياسة السوفيتية على نشر رأيها فى السلم العالمى فى بلاد المنطقة الخارجية .

ويرجو قادة السوفيت أن ينزعوا من الديمقراطيات الغربية مالها من نفوذ غالب فى هيئة الأمم المتحدة ، وهم يسعون تحقيقاً لهذا إلى تقوية اتحاد نقابات العمال العالمى فى هيئة الأمم المتحدة ، وفى كل أمة مشتركة فيها . أما هيئة الأمم المتحدة فلا تستطيع أن تلحق أى ضرر بخطط السوفيت ، لما لروسيا من حق الاعتراض ، إذ هى عضو دائم فى مجلس الأمن . وقد دأب قادة السوفيت على السعى إلى تعزيز هـذا الضمان بجعل حق الاعتراض شـاملا جميع المسائل ، حتى المناقشة فى مجلس الأمن .

والسند الأخير الذى تعتمد عليه السياسة الخارجية السوفيتية هى قوتهـا العسكرية ، فقد تم تسريح بعض القوات الروسـية ، ولكن قادة السوفيت بينوا بوضـوح أنهم عازمون على الاحتفاظ بجيش كبير ، وعلى تعزيز قواتهم الجوية والبحرية ، وهم يبذلون جهوداً عظيمة لمعرفة وسائل الانتفاع بالطاقة الذرية ، فالقوة العسكرية ــ فى رأى هؤلاء القادة ــ هى قِوامُ سيادة الدولة . وقد قال المارشال ستالين فى الخطبة التى ألقاها يوم أول مايو سنة ١٩٤٦ إنه يجب أن يحرص عليها كما يحرص الإنسان على « نور بصره » .
وقد دأب قادة السـوفيت فى مباحثات معاهدات الصلح على الاعتراض اعتراضاً قوياً على مبدأ الإشراف الدولى ، حتى الإشراف على دول الأعداء .

وتطبق السياسة الخـارجية السوفيتية بطريقة صارمة دقيقة لا تسامح فيها ، وتوضع جميع خططها القريبة والبعيدة فى موسكو ، وهى التى تشرف على تنفيذها . وأمرها موكول على الأكثر إلى رجال يجهلون أحوال العالم وشعوبه ، فهم يرسمون الخطط طبقاً للمنطق السوفيتى ، فكأنهم يلعبون الشطرنج والرقعة هى العـالم كله ، والقطع هم الدبلوماسيون والعمال الروس فى الخارج ، يتحركون كما تحركهم يد اللاعب الماهر فى موسكو . فلا يتاح للدبلوماسى الروسى أن يتصرف فى شىء من تلقاء نفسه وبحسب رأيه ، حتى أن رؤساء وزارة الخارجية كمولوتوف وفشنسكى لا يستطيعون اتخاذ قرار فى أية مسألة عالمية هامة دون أن يرجعوا إلى موسكو ، أى إلى ستالين وأعضاء المكتب السياسى أيضاً .

## قوة السياسة الخارجية السوفيتية

إن السياسة الخارجية السوفيتية قوية لأنها هى المظهر الخارجى الطبيعى للسياسة الداخلية السوفيتية ، فالتناسق السياسى داخل الاتحاد السوفيتى قد تم بلوغه على يد فئة من الحكام عاهدوا شعبهم على نشر الرخاء بين العمال ، وصار لهم فى مقابل ذلك حق القضاء على حرية الفكر التى قد تؤدى إلى التنافر السياسى .

ولكن السياسة السوفيتية تتسامح فى بعض الأمور ، وبخاصة فى فروق الجنس بين أفراد الشعب ، وهؤلاء الأفراد أحرار فى الاتفاق أو الاختلاف فى مسائل العلم والأدب وأشباهها ، ولهم أيضاً حريتهم فى الدين ، إذا قصروا دينهم على أداء العبادة ، ولكن ليس هناك أى تسامح فى مسائل السياسة ، فكلمة الدولة فيها هى العليا ، وإذا نطقت كان كلامها هو القانون ، وهو قانون خُلقى لا وضعى فحسب ، فكل تفكير سياسى أو دينى يعارض رأى الحكومة يعدُّ شراً لا يمكن التسامح فيه . وهكذا تم التناسق السياسى الداخلى فى روسيا بفضل الدعاية والإرهاب والقمع .

ويسعى قادة السوفيت اليوم إلى تطبيق خططهم الداخلية على نطاق عالمى ، وهذه هى السياسة الخارجية السوفيتية ، فهى سياسة طبيعية ، بسيطة ، ماضية ، وتلك هى عناصر قوتها العظيمة .

وتستمد تلك السياسة قوتها أيضاً من كونها ثورية ، لأن التبدل هو قانون الحياة ، والذين يسعون إلى التبدّل تغمرهم نشوة الابتهاج لشعورهم بأنهم يسايرون تطوّر العالم الذى لا سبيل إلى صدّ تياره . وتجتذب هذه السياسة بما فيها من قوىً فوّارة دافعة ، أولئك الذين يرون السعادة فى الجهاد لتحسين أحوال العالم ، كما تجتذب أيضاً أولئك الذين يظنون أنهم قد يظفرون بالمغانم من قلب النظام السائد ، وتجتذب أخيراً كل أولئك الذين يستبدُّ بهم السخط على نصيبهم فى الحياة الدنيا .

ومما يزيد فى جدوى هذه الناحية من السياسة الخارجية السوفيتية أنها تعمل فى عالم يبدو أنه خِلْو من الإيمان والنظام ، فليس فى شعوب آسية وإفريقية وأمريكا الجنوبية نظام اجتماعى سليم . وأوربة تعانى هذا الانحلال الخلقى الذى يعقب الحروب ، ويزيده سوءاً ما نراه من تردد وتناقض فى معاملة ألمانيا . وقد تكشفت عيوب كبيرة فى الدول الرأسمالية ، وبخاصة فى الإمبراطورية البريطانية والولايات المتحدة ، وأحد هذه العيوب هو شهوة الاستعمار وما يعقبها من

اضطهاد الأجناس . وثانيها هو الإخفاق في مواصلة الإنتاج والقضاء على البطالة . أما الروس فشعارهم في هاتين المسألتين هـو « الاستقلال » و « العمل لجميع العمال » ، وقد حاولوا إدماج هذين اللفظين في ميثاق هيئة الأمم المتحدة فلقيت محاولتهم معارضة قوية ، ولكن وجهة نظرهم تغلبت بعـد إدخال بعض التعديل عليها . ومثل هـذه الحوادث من شأنها أن تعـزز رأى قادة السوفيت في أن العالم الخارجي يفتقد الزعامة الخلقية ، وأنه من السهولة حمله على اعتناق مذهبهم الفتيّ الجديد .

وأخيراً فإن للسياسة السوفيتية تلك القوة الدافعة التي تنبثق من النجاح العظيم . ففي الداخل رسخ الولاء والنظام في قلوب الشعب الروسي الباسـل الشديد البأس ، فاستطاع بما أدهش الناس أن يصدّ عدوان القوة الألمانية الهائلة العنيف . أما في الخارج فقـد وفقت السياسة الخارجيـة إلى مدّ رقعة الاتحاد السوفيتي حتى أصبح يشمل معظم البلاد التي كان يطمع فيها غلاة القياصرة ، بل نال أكثر منها في بعض الجهات ، وهو لا يزال يوسع رقعتـه . وفي المنطقة المتوسطة المحيطة بالمنطقة الداخلية تقوم حكومات خاضعة لإرادة قادة السوفيت . وفي المنطقة الخارجية يتمتع السوفيت بنفوذ قوي في كل مكان .

ويندر من بين ساسة الدول من يقدم على عمل دون أن يسأل نفسه أولا : هل يرضى هذا العمل قادة السوفيت أم يغضبهم ؟ ولم يسبق في التاريخ أن تمتعت فئة قليلة من الرجال في بلد واحد بمثل هذا النفوذ العالمي . وقد تم للسوفيت كل هذا في بضع سنين ، فأصبحت لقادتهم هيبة عظيمة .

## ضعف السياسة الخارجية السوفيتية

ومن المفهوم أن يطمئن قادة السوفيت وأتباعهم في كل مكان إلى مقدرتهم على نشر لواء السلم الروسي على العالم كله بالوسـائل السلمية ، ولكن هـذا المنطق يخطىء فهم الموقف العالمي على حقيقته . وفي هذا خطر كبير ، فهو يبالغ في تقدير شأن الانتصارات الأولى التي نالها السوفيت بفضل الحرب ، وما أعقبته من فوضى يعاني فيها الناس إعياء يتحلل بأجسامهم ونفوسهم ، كما يقلل من شأن جوانب الضعف في الداخل وعوامل المقاومة في الخارج .

إن النظـام السياسي السوفيتي لا يلائم القيام على تنفيذ خطط كبيرة عالمية النطاق كل الملاءمة ، لأن حق إصدار القرارات النهائية مقصور على عدد قليل من كبار القادة ، وينـدر أن ينزلوا عن بعض سلطانهم لمن يليهم . وهناك أيضاً نقص في عدد الموظفين

الذين يحسنون معالجة الشئون الخارجية .

وقد سارع الروس إلى إقامة نظم الحكم فى البلاد الأوربية الواقعة فى المنطقة الوسطى تحت ظل الحرب، ولذلك فهى لم تصطدم بعد اصطداماً شديداً بالمنازعات القومية العنيفة . وقد استعان بعض ذوى الطموح بالروس فى الوصول إلى الحكم أو للاحتفاظ بمقاليده، ولكنهم لن يسعدهم أن يظلوا طويلا أتباعاً للروس ، وقد أخذ بعضهم يكشف القناعَ عن هذا الشعور المضمر .

وفى المنطقة الخارجية تغالى السياسة الخارجية السوفيتية فى الاعتماد على سخط الجماهير ، فهذا السخط يفيد على الدوام فى الإعانة على هدم الأنظمة الاجتماعية القائمة . ولكن ينبغى أن تعقب فترة الهدم فترة بناء، فإذا حلت هذه المرحلة فقدت السياسة الخارجية السوفيتية كثيراً من أتباعها فى الخارج .

واعتماد السياسة السوفيتية على الستار الحديدى هو من أبلغ أسباب ضعفها . إنه يعين قادة السوفيت على أن يزعموا إلى حين أن الإتحاد السوفيتى قد وفق إلى حلّ المشاكل الاقتصادية والاجتماعية كافة، ولكن مثل هذه الدعوى لن يسلم لهم بها طويلا ، لأن هذا الستار يبث الريبة وسوء الظن فى القلوب بثا مطرداً، وسيزداد عدد الناس الذين يرغبون فى النفوذ إلى ماوراء الستار، فإذا تعذّر عليهم ذلك قالوا إن النظام السوفيتى لم يبلغ من النجاح مبلغاً ينزهه عن النقد والمقارنة المحايدة .

وحساب الروس فاسد بلا جدال ، لأنه يقلل من شأن نفوذ العالم الغربى من أن يرى الإنسانية تسامُ سوءَ العذاب ، ويقلل من شأن تمسكه بالحريات الفردية .

فالنظام السوفيتى لا يعرف الرحمة ، وقد تجلى ذلك فى فترة الانتقال خاصة ، حين قضى على معارضيه، وهكذا كثرت فى المنطقة المتوسطة حوادث الاغتيال السياسى وخطف الناس من بيوتهم على يد البوليس السرى ، لأن آراءهم السياسية موضع شبهة .

وقد أخرج ملايين من الناس من ديارهم ، ومصيرهم المحتوم هو الحرمان فالهلاك . وتحاول ملايين أخرى أن تفرّ من مناطق الاحتلال السوفيتية ، ويفضل كثيرون من المهاجرين الانتحار على أن يردُّوا إلى المنطقة المتوسطة أو الداخلية . والذين ألفوا نوعا من المدنية الراقية ، ينفرون من الاستخفاف بالأرواح البشرية وقلة الاكتراث بالبؤس الإنسانى — أى مايلازم مايتوسل به الروس من وسائل لتحقيق الاتساق السياسى .

والسبيل إلى الحكم على خطةٍ ما لا يكون بالنظر إلى نتائجها فحسب ، بل إلى وسائلها

أيضاً . ولما كانت الشعوب السوفيتية قد استبسلت في القتال حين هاجمها هتلر ، فإننا نميل اليوم عند الحكم عليها إلى تذكر شجاعتها وتضحيتها ، وأن نسدل ستاراً على أفعال جيوشها وساستها وبوليسها السرى في البلاد المجاورة لها . ولكن إذا ماتجلت هذه الأساليب للأنظار ، أثارت بلا جدال مقاومة عنيفة . ففي النمسا والمجر ، حيث جرب الشعب هذه الأساليب، ترى الأحزاب الشيوعية قد هزمت في الانتخابات هزيمة منكرة .

وستبلغ المقاومة أشدها حين يتطلب تنفيذ الخطة الروسية نزول الناس عن حقهم في حرياتهم . ولم يلق السوفيت نجاحاً إلى اليوم إلا في البلاد التي لم تتمتع شعوبها بهذه الحريات على نطاق واسع . أما في البلاد التي ألفت هذه الحريات ومارستها ، فإن أبواق السياسة السوفيتية لا تجرؤ إلا على التحدث عن وجوب التحرر من خوف الفقر ، ولا تذكر شيئاً عن الحريات السياسية والأدبية التي سوف يهدرونها .

ويعمل السوفيت جاهدين على نشر مبادئهم في هيئات العمال المنظمة ، فيسرفون في بذل الوعود لها ، ومع ذلك فإن هذه الأوساط نفسها هي التي بدرت منها المقاومة الشديدة ، والحكومات التي تقف في وجه طغيان السياسة الروسية هي حكومات العمال في جامعة الأمم البريطانية ممثلة ، في بيفن في بريطانيا العظمى ، وإيفات في أستراليا ، وفريزر في نيوزيلندة . أما زعماء العمال في الولايات المتحدة الذين يعرفون الحريات الفردية الأمريكية ويعتزون بها ، فيجاهدون جهاداً باسلا — لا يقدره الناس حق قدره — كي يمنعوا تسرب الشيوعيين إلى مناصب القيادة في هيآت العمال . وبعبارة أخرى نجد في البلاد التي نعمت بالحرية الفردية ، أن أشد الناس معارضة للخطط السوفيتية هم اولئك الذين خبروا أساليبها خُبْراً وثيقاً .

ولا ريب في أنه حينما يزداد الأمريكيون إدراكاً للمعاني التي تنطوى عليها النظم السوفيتية ، فإن هذا الإدراك يبتعث فيهم تلك الروح التي دفعت أسلافهم إلى المخاطرة بدمائهم وأموالهم من أجل أن تكفل لهم حرياتهم الفردية .

فيجب أن نستند في عملنا إلى فرض أن السوفيت ، إذا دأبوا على خططهم ، فلن ينجحوا في بلوغ غايتهم بالوسائل السلمية .

## الحاجة إلى بذل مجهود عاجل

إذا شرع زعماء دولة كبيرة في تنفيذ سياسة قد تدفعنا إلى مقاومتها بالعنف ، وجب علينا أن نضع منذ اليوم خطط هذه المقاومة .

وكلما سارعنا إلى إقامة الدليل على أن هذه السياسة لا يرجى لها نجاح ، كان تبدّل مظاهرها أقرب وأرجى .

وليس بيننا أحد يسره أن يواجه نزاعاً دولياً كبيراً يقع فى الوقت الذى نشعر فيه بعد النصر أننا فى حاجة إلى فترة من الراحة ، ولا يسرّ أحداً منا كذلك أن يسلم بأن الخطر قد يجىء من أمة ساهمت بأوفى نصيب فى إدراك هذا النصر . وسيحاول بعض الناس الفرار من مواجهة هذه المشكلة ، ويكتفون بالنظر إلى الأغراض المحمودة التى تسعى إليها السياسة السوفيتية فيما تزعم . ويدرك بعض الناس ما فى السياسة السوفيتية من مظاهر العسف والقسوة ، ولكنهم يتعلقون بالأمل فى أن تكون هذه الظواهر محصورة النطاق أو عابرة لا تلبث أن تتغير ، وبعضهم يركن إلى الاعتقاد السائد بأنه ليست هناك أمة تريد أن تشن حرباً أو تكون سبباً فى إثارتها ، وبعضهم لا يريد أن يشغل باله بأمور كريهة قد تقع فى المستقبل ، مادام الدليل القاطع على أنها ستحدث ، لم يقم فعلاً .

وهذه المواقف هى التى تؤدى إلى الحرب إذ يسهل معها الخطأ فى التقدير الذى تنشأ منه الحروب الكبيرة .

صحيح أنه ليست هناك أمة تريد حرباً كبيرة أو حرباً لا تعلم نتائجها . وهذا ما يحدث فى الأعمّ ، فالحروب تنشب فى الغالب من جراء بعض الأخطاء ، فإن الزعماء يعملون على توسيع رقعة بلادهم ودائرة نفوذها حيث يحسبون أنهم لا يلقون مقاومة . فإذا صدق حسابهم ولم يصادفوا معارضة قوية تابعوا سيرهم . ويومئذ يلقى الرجال الذين نصحوا بالتريّث وضبط النفس ازدراء واستخفافاً ، وتنحصر القيادة فى أيدى المغامرين المتهورين فلا يحجمون عن انتهاز كل فرصة سانحة للمغامرة . وأخيراً يتبين لهؤلاء القادة آسفين أنهم أخطأوا التقدير .

وإذا قدر لنا أن نشهد حرباً أخرى فإنها ستقع على هذا المنوال ، فلن يثيرها أحد عن خطة موضوعة ، ولكن سوف يجرها خطأ فى التقدير .

وقد حُملت الولايات المتحدة فى مدى خمسة وعشرين عاماً على الاشتراك مرتين فى حرب عالمية ، لأن الشعب الأمريكى انتهى به الأمر إلى الشعور بأن سياسة العدوان فى أوربة وآسية تهدد مبادئه الديمقراطية ومثله العليا فى حرية الفرد . ولو كان الزعماء فى البلاد الأخرى قد بكّروا وأدركوا أن الشعب الأمريكى يهبّ إلى العمل كما حدث فعلا ، لاتبعوا فى الغالب طريقاً غير الذى اتبعوه . فتقصير الشعب الأمريكى فى إظهار

إخلاصه لمثله العليا فى الوقت المناسب ، يجعله مسئولا من جراء إهماله عن تهمة التسبب فى إثارة الحرب — وينبغى له أن لا يرتكب الخطأ ذاته ثلاث مرات فى جيل واحد .

## احتمال تبديل السوفيت لخططهم

وعسى أن يسأل سائل : هل فى مقدورنا أن نقوم بعمل يحمل قادة السوفيت على تبديل خططهم الخارجية باختيارهم ؟

لايستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال إجابة دقيقة ، فالسياسة الخارجية السوفيتية لا تحيد فيما يبدو عن مبادئها ، إذ يؤمن قادة السوفيت بأن منح الأفراد بعض الحريات فيه خطر ، وقد قضوا على هذه الحريات فى بلادهم كما تقضى حكومات البلاد الأخرى على حملة الجراثيم الخطيرة . ولكن الحريات التى يخشونها مزدهرة خارج بلادهم ، وهى سريعة الانتشار . وقد أقام قادة السوفيت حول بلادهم حواجز تقى بلادهم عدوى هذه الحريات ، وليس هذا بعلاج دائم ، بل هو نوع من الاحتماء بسجن من السجون ، ولايطيقه الرجال المقتدرون الطامحون الذين يدركون عظمة بلادهم ويحبون لها أن يكون لها شأن عالمى ، ولذلك تراهم يسعون إلى الظفر بتأييد الحكومات الأجنبية لمعاونتهم فى القضاء على هذه الحالة .

وقد يقال إن السياسة الخارجية السوفيتية لامفر لها من أن تظل كما هى مادامت الحالة الداخلية فى روسيا باقية أيضاً كما هى ، ولكن قلما تتتابع الحوادث فى حياة البشر على منوال منطقى بحت ، فإن قادة السوفيت اليوم أقل تعصباً من أسلافهم ، وقد أدخلوا على سياستهم الداخلية تعديلات كثيرة قضت بها الحكمة . فالشيوعية كما هى اليوم فى روسيا تختلف — من الوجهة الاقتصادية — اختلافاً بيناً عن الشيوعية التى نادى بها ماركس وطبقها لينين وتروتسكى . وكذلك تغيرت السياسة الخارجية السوفيتية ، فقد كان المسوّغ لها فى الماضى هو أداء رسالتها المقدسة لتحقيق الثورة العالمية ، أما المسوغ لها اليوم فهو كفالة أمن الاتحاد السوفيتى .

ويبدو على الحركات السياسية السوفيتية فى الخارج — إبان عهد ستالين — أنها تحاول أن تزن بميزانها احتمال النجاح واحتمال الخطأ . وقد غالى بعض الممثلين السوفيتيين فى مواقفهم أحياناً ، ولكن ستالين أمرهم بالتراجع حين لقى معارضة غير منتظرة ، فخففت بذلك حدة التوتر . وكل هذا يدل على أن السياسة الخارجية السوفيتية قابلة للتبدل إذا اتضح لقادة السوفيت بجلاء أنها غير مجدية ، وأنها لن تؤدى فى الواقع إلى تعزيز سلامة الاتحاد السوفيتى .

ومع ذلك فلا يجدينا أن نتجادل فيما عسى أن تكون نيات الكرملين ، فهذه ملهاة عقلية ولكن لانفع فيها ولاجدوى منها . أما العمل فسبيله واضح، ينبغى أن يكون أساسه أن نعمل ما يفيد فى حمل قادة السوفيت على تبديل خططهم الخارجية . وإذا لم نمض قُدُماً فى سبيلنا على هذا الأساس كان إخفاقنا محققاً ، لأننا إذا فرضنا أن قادة السوفيت مثلا لايمكن أن يحملوا على تبديل سياستهم الخارجية ، أفضى ذلك بنا إلى التسليم أو إلى الحرب . وإذا أخذنا بالقياس على الماضى، فإنهاهى الحرب. ولذلك لايبقى أمامنا — من الوجهة العملية — إلا أن نفرض أن قادة السوفيت يمكن أن يبدلوا خططهم .

ولكن يجب علينا أن نفرض أيضاً أنه من العسير جداً إحداث مثل هذا التبدل ، لأننا لانستطيع أن نتوقع أن تطيب نفوس قادة السوفيت بتبديل سياسة تتجلى فيها روح الشيوعية السوفيتية وفلسفتها الأصلية ، وما بعثته من نجاح عظيم فى أول عهدها . ومما يزيد فى الصعوبة أن قادة السوفيت لايحيطون إحاطة كافية بأحوال العالم ، ولهذا فكل خطة موضوعة لحملهم على تبديل سياستهم يجب أن تدبر بحكمة ، وأن تكفل لها الوسائل القوية اللازمة ، وأن يتحد فى تأييدها الشعب الأمريكى كله .

## هيئة الأمم المتحدة

لم نتحدث إلى الآن عن هيئة الأمم المتحدة من حيث هى أداة قائمة لمنع التصادم العنيف الذى نخشاه .

وقد تكون هذه الهيئة ذات نفع كبير فهى قادرة على العمل ولكنها عاجزة عن كثير ، ويجب أن نفهم أوجه عجزها حتى لاتضيع جهودنا أو يخيب اعتمادنا عليها .

وهناك اليوم ثلاثة أساليب تهدد صلات الود بين الأمم ، وتراها هذه الأمة أو تلك خطراً ، ولا تستطيع هيئة الأمم المتحدة أن تسيطر عليها :

(١) تتوسل الدول الكبيرة بوسائل العنف أو الأساليب الخفية لكى تسيطر على الحكومات فى الدول الضعيفة .

وقد عرضت على مجلس الأمن قضيتان تمثلان هذه الحالة : الأولى وجود قوات روسية فى إيران ، والثانية وجود قوات بريطانية فى اليونان . وقد أدت المناقشات العامة فى مجلس الأمن إلى الوعد بسحب هذه القوات عاجلاً ، ولكن المجلس لم ينفذ إلى صميم الموضوع ، ألا وهو الإجابة على السؤال الآتى : هل تعرضت الحكومات المعترف باستقلالها لضغط خارجى غير مشروع ؟

وقد ينجح مجلس الأمن فى إثارة الرأى

العام إلى حد يمنع التوسل بسياسة القوة أن تتخذ مظهراً جافياً . وهــذا ربح ليس بقليل ، ولكنه لايجدى إذا كان أثره مقصوراً على حمل هذه الدول على إخفاء أساليبها فهى تستطيع إخفـاء أساليبها بوسائل كثيرة ، وقد توسلت بها الولايات المتحدة فى أول عهدها بالتوسع ، ثم صارت على الأيام أشد إتقاناً وإحكاماً .

إن مجلس الأمن مكتوف اليد فى أمرها ، وإذا نجح نفوذ دولة كبيرة فى التسرب إلى دولة صغيرة ، فإن حكومة تلك الدولة تعلن تحت ضغط هذا النفوذ ، أنها راضية عنه . أما إذا نجح هذا التسرب بعض النجاح ، فإن مظهره الخارجى يكون قيام حرب أهلية . وفى كلتا الحـالتين لاتستطيع هيئة الأمم المتحدة أن تتدخل فى الأمر ، لأنها تكون فى ظاهر الأمن متدخلة فى الشئون الداخلية للدولة . وهذه الحال تقلق البلاد الكبيرة والصغيرة ، لأن الشعوب الصغيرة قد تفرض عليها حكومات تخضع فى الأمور الهامة لرأى دولة أخرى ، وهذا هو لباب الخطة التى يتبعها الاتحاد السوفيتى فى المنطقة المتوسطة. وكذلك ترى الدول الكبرى فى هذه الطرق خطراً يهدد مكانتها فى العالم ، فإن سياسـة روسيا فى البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط تبعث زعماء بريطانيا على الشعور بأن أمتهم معرضة لخطر كبير لا يقل عن الخطر الذى تعرضت له حين دقَّ روميل أبواب مصر . ويرى الشعب الأمريكى أيضاً فى النشاط الشـيوعى فى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، أول تحدٍّ خطر لمبـدأ مونرو واتفاق شابلتبيك ، وكذلك يشعر الروس أنهم إذا كفوا عن مساعيهم فى المنطقة المتوسطة فإن دولاً أخرى تبذل مثل هذه المساعى . وهكذا يجثم الخوف على قلوب الناس بسبب هذه الأساليب الدولية التى تعجز هيئة الأمم المتحدة عن معالجتها .

(٢) وهنـاك أسلوب آخر يخشاه قادة الروس فيما يذهبون إليه ، ألا وهو ماتتمتع به من حرية فى إثارة البغضـاء . وقد قال فشنسكى إن سوء استعمالنا لهــذه الحرية « يؤدى إلى ارتكاب جرائم ضـد أعضاء هيئة الأمم المتحدة » . وقد اتهمنا مولوتوف فى اجتماع وزراء الخارجية فى لندن أننا نريد من وراء المطالبة بحرية الصحافة فى رومانيا إثارة الرأى العـام فى رومانيا ضد الاتحـاد السوفيتى ، لاتقرير مبدأ حرية الرأى . وقد ذكر أن دستور الاتحاد السوفيتى يعاقب كل من يسعى لنشر الكراهية العنصرية ، وطالب بأن توفر الدول الكبيرة للاتحاد السوفيتى حماية تحميهم من الكراهية والاحتقار .

وقد نستغرب مثل هذه المطالب إذ كانت

الشيوعية نفسها تعتمد على إثارة الكراهية بين الطبقات . ولكن مخاوف الشيوعيين قد تكون صادقة ، لأنهم عاشوا دائماً فى خطر ، و هم داخل بلادهم فى حمى من مهاجمات الصحافة والخطابة ، فلا عجب بعد أن عاشوا ثلاثين سنة فى كل هـذه الحماية أن ينمو فيهم اليوم خوف من عالم يتمتع بحرية توجيـه الانتقاد إليهم وإلى الأنظمة التى يدافعون عنها . وليس فى ميثاق الأمم المتحدة نصوص تتعلق بشأن حرية الصحافة والانتقاد وحسن استعمالها أو سوء استعمالها.

(٣) والأسلوب الثالث الذى يثير النزاع الدولى ، هو استخدام الحرية فى القضاء على الحرية . فإن الدعوة السوفيتية تسـتخدم ما عندنا من حرية الصحافة والخطابة والمراسلات ، لتتمكن من تحويلنا إلى أمة تقضى على هذه الحريات . ويضيق الشعب الأمريكى صدراً حينما يرى الأجانب ينتفعون كل الانتفاع بهذه الحريات التى عنده ، وينكرون عليه أن يكون حراً فى أن يختبر حقيقـة ما يدعون أنه كائن فى بلادهم . ولو أقمنا بيننا وبينهم سداً كما يفعلون ، لأدّى هـذا إلى زيادة الريبة واتساع شقة الخلاف بيننا. وليس العلاج الصحيح تضييق هذه الحريات بل مدّ نطاقهـا حتى يتسنى لـكل شعب أن يعرف أحوال غيره على حقيقتها . ولـكن ليس لهيئة الأمم المتحـدة سلطان فى فرض هذا الحل النافع .

وكذلك نرى أن هيئة الأمم المتحدة عاجزة اليوم عن السيطرة على أساليب الدول التى تُعـدّ السبب الأول لما يثير الخوف والـكراهية فى العالم . فالدول الصـغيرة قد تتعرّض للإرهاب ، والدول الـكبيرة للخطر ، وحرية الرأى والصحافة لسوء التوجيه ، « والستار الحديدى » قد يسدل للحيلولة دون تنوير الأذهان .

ولا ريب فى أن هيئة الأمم المتحدة ، ستتخذ وسـائل لمعالجة هـذه المشكلات ، ولـكن ذلك عمل بطىء .

وقد ظلت أبصار العالم إلى اليوم شاخصة إلى مجلس الأمن ، فرأت نزاعاً دائماً بين أمريكا وروسيا وبريطانيا ، وهذا النزاع لامفرّ منه ، بل قد أدى إلى نتائج حسنة ولـكن لو بذلت الفروع الأخرى لهيئة الأمم المتحدة بعض المجهود لنشر الإخاء بين البشر لقلّ إذن اضطراب التناسق الدولى .

فيجب إذن أن يتخذ أعضاء الهيئة من الجمعية العموميـة ندوة عامة يقومون فيها بمناقشة المشاكل التى تشغل أذهانهم فى جو من المجاملة والصراحة ، وجدير بهـذه المناقشات أن تعمل على محو سوء التفاهم وعلى التقريب بين وجهات النظر . ولـكن لن

يصبح السلم مكفولاً إذا أصبحت هيئة الأمم المتحدة مجرد ندوة تكاشف فيها الأمم بعضها بعضاً بما بينها من خلاف ، بل يجب أن تكون هيئة تنظم فيها جميع الدول جهودها وتضع مشروعاتها لرقى البشر وللنفع المتبادل . فمن مثل هذا يتولد الإخاء وتزيد الثقة والتسامح مما يقتلع جذور الشر التى نذوقُ نكالها اليوم . والسير فى هذا السبيل عسير ، لأن الاتحاد السوفيتى يأبى الاشتراك فى المؤسسات التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، ولكن لا ينبغى أن نرى فيه عدولاً نهائياً بل ينبغى أن نجاهد ونستعين بكل حيلة لحمل الروس على التعاون مع بقية الشعوب . ولكى نيسّر ذلك ينبغى أن يكون لهيئة الأمم المتحدة شأن أعظم فى تهيئة هذه المهامّ ، ولا ينسينّ أحد أن المجالس التابعة للهيئة ، قد وضع أصولها رجالٌ، بعضهم بعيد عن التسامح بُعْدَ رجال السوفيت أنفسهم عنه . فروسيا لم تشترك فى تأسيسها بل دُعيت لقبولها أو رفضها .

وينبغى أن يفهم كلُّ إنسان أن الأمم المتحدة ليست أداة بلغت الكمال ، وأن قدرتها على صون السلام لا يتطرق إليها خطأ أو وهن . فالحرب لم تلغ بعد ، وسلام الناس وأمنهم رهنٌ بما يفعلونه ، وبقدرتهم على إقامة الدليل على أن المجتمع الديمقراطى فيه قوة وحياة لا يريد أحد أن يقضى عليهما لو قدر ، ولن يقـدر لو أراد .

## الخلاصة

لم نتعرض إلى بحث بعض حالات معينة كإيران وبولندة والطاقة الذرية ، لأن غرضنا الأول هو إيجاد تفاهم عالمى يعين على حل مثل هذه المشاكل .

والخلاصة أن مشكلة حقوق السلم لا تحل إذا جعلناها مرتبطة بضرورة احتفاظ كل أمة بوضعها الراهن ، كما يتعذر حلها إذا سعت دولة كبيرة إلى فرض أنظمتها بالقوة على غيرها .

فإذا دأب الاتحاد السوفيتى على سياسة التوسع للمحافظة على سلامته ، فإن الولايات المتحدة لن تجد مفراً من مقاومته . فمشكلة إيران ليست مشكلة اقتصادية مرجعها إلى الخلاف على آبار الزيت ، بل هى مشكلة سياسية ترى فيها أن الاتحاد السوفيتى يخطو خطوةً فى طريق بسط نفوذه على العالم .

أما أسرار الطاقة الذرية ، فالمسألة التى تواجه الشعب الأمريكى هى : أيكشف هذه الأسرار لبلد لا يؤمن زعماؤه بما يؤمن به هو من التسامح والإخاء ؟

إن الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى يسهل إذا أثبت زعماؤه أنه يقبل عالماً تعيش فيه الأمم جنباً إلى جنب رغم اختلاف أنظمتها .

# حواس خارقة

ألن ديفو

يرجع سر كثير من غرائب أفعال الحيوان إلى الحدة الخارقة فى إحساسه المرهف . ونحن وإن كنا قد أوتينا مواهب عقلية مختلفة ، إلا أن هناك طائفة من « المدركات » يفوقنا الحيوان فى إدراكها بفضل ما عنده من حواس مرهفة دقيقة التصور ، وبفضل قدرته على أن « يحس » الأشياء .



إذا كنت قد قضيت بضع ساعات قبل أن تقرأ هـذا ولم تنظر إلى ساعتك ، فاجتهد وخمّن الوقت ، ثم انظر فى ساعتك . فكم كان فرق ما بينهما ؟ نصف ساعة ؟ ربع ساعة ؟ إذن فالنحلة أدق منك . فقد أجريت تجارب دقيقة فى إنجلترا تبين منها للعلماء أنهم إذا ظلوا أياماً يقدمون للنحل طعاما فى ساعة معينة ، ألِفت ذلك ، ورأوها آتية من كل فجّ فى ساعة الطعام . ويبلغ من دقة توقيتها أن موعد وصولها لا يختلف إلا اختلافا يسيراً يبلغ نحو خمس دقائق . وإن لها لبراعة دقيقة فى الإحساس بمرور الوقت تجعلنا نخجل لعجزنا ، على كل ما عندنا من ساعات متقنة معقدّة التركيب .

وقد يخدّر النمل أو النحل ساعات عديدة ، ومع ذلك تراها تحافظ على مواعيدها . وتبلغ غايتها المحدّدة فى وقتها المحدّد .

يضع أكثر الناس فى فنجان القهوة ملعقة من السكر ، فإذا وضع فيها مقداراً أقل فقلما يدرك اختلاف حلاوة القهوة . وغاية ما يبلغه ذوق البشر من القدرة على تبين الحلاوة فى السائل المحلّى ، هى حين يكون مزيجاً من جزء من السكر و ٢٠٠ جزء من السائل ، فما أبعد هذا وما أقصاه عن دقة ذوق الذباب ! فبعض الذباب يتبين الحلاوة إذا كان السكر المذاب جزءاً واحداً فى ٤٠٫٠٠٠ جزء من الماء . بيد أن الذباب يكاد يكون عديم الذوق إذا قورن بكثير من صنوف الفراش التى دلت على أنها قادرة على أن تتبين حلاوة جزء من السكر مذاب فى ٣٠٠٫٠٠٠ جزء من الماء .

إذا أخذت فراشة أنثى من الفراش الضخم وأدنيتها من أنفك ، فما تحنث إذا أقسمت أنك لم تجد لها رائحة . ولكن خذ هذه الفراشة الأنثى وادخل الغرفة ثم ضعها على باطن الستر الشبك المسدل على نافذة

مفتوحة ، ثم انتظر قليــلا . فإذا بك ترى سرباً حاشداً من الفراش الذكر قد تهافت على ظاهر الستر . وربما كنت لم تر قبل ذلك فراشة واحدة فى هذا المكان أو فى الحى كله ، غير أن ريح الأنثى قد جذبَ الفراش فملأت الجو كأنها ظهرت بسحر ساحر . وقد جرّب هنرى فابر تجارب على طائفة من الفراش يسمى فراش الطاووس ، فوجد أن ذكورها يستروح الرائحة الخفية التى تنفَح من إناثه وهى على بعد ميل منه ، هذا على أننا لانستطيع أن نتبين هذه الرائحة وهى على بعد بوصــة من أنوفنا . ولعل أعظم عجيبة فى حدّة حاسة الشم هى أن كثيراً من ذكور الفراش تستطيع إذا شمت إحدى الإناث منها أن تعرف أتزوّجت هذه الأنثى من قبل أم لاعهد لها بالذكور.

ما مبلغ دقة شعورك بالحرارة أوالبرودة؟ الحقيقة أنه لابدّ من أن ترتفع درجة حرارة مايحيط بك بضع درجات أو تنخفض بضع درجات حتى تلاحظ هــذا التغير ، على أننا وجدنا أن إحساس كثير من الحيوان بالحرارة يبلغ مبلغاً لايصدّق . فقد أجرى بعض العلماء فى متحف التاريخ الطبيعى فى أمريكا ، تجارب على حيّـات من طائفة « الأفاعى المضرّســة » التى منها ذوات الأجراس ، والتى أخذ اسمها من الضروس أو البثور الخشنة الصغيرة الموجودة على ظهور التماسيح . وهــذه الضروس هى الأعضاء التى تحسّ بها حرارة الجو .

وقدأجريت سلسلة من التجارب استعمل فيها مصباحان كهربائيان متشابهان لافرق بينهما سوى أن حرارة أحدهما أعلى من حرارة الآخر بقدر طفيف ، ( ومن طباع الحيّـات إذا رأت شيئين أن تأوى إلى أدفأ الشيئين ) . ثم أخذ المجربون يقللون فرق مابين درجة حرارة المصباحين شيئاً فشيئاً ، فرأوا أن الحيات لم تزل تأوى إلى أدفأ المصباحين صادفة عن أبردهما حين قلّ الفرق بين درجة حرارتها حتى بلغ أقل من خمُس درجة . فبلغت الدهشة منهم كل مبلغ ، وأخذوا يوغلون فى التجربة حتى استعملوا جثث الفيران الميتة . فمن أجل ذلك عصبوا أعين الحيّـات وسدّوا مناخيرها ، وأطلقوها ليعرفوا مبلغ قدرتها فى تبين جثث الفيران من شىء واحد هو ما تشعّـه الجثث من الحرارة . وليست قدرة الحيات مقصورة على أنها تتبين الحرارة ولا تخطئها من مسافات بعيدة لايستطيع الإنسان من عندها أن يتبينها البتة ، بل إنها تتبينها على مسافة عجز عندها أدقّ مقاييس الحرارة وأحكمها عن أن يدلّ على أىّ تغير .

إذا راقبت طائر الصيف الأحمر المعروف بأبي الحنّاء وهو يتواثب صيفاً على المروج الخضر يلتمس دود الأرض الذى يدبّ فى بطنها ، لرأيته يقف ساكناً لاحراك به بين الحين والحين ، ويميل برأسه جانباً كأنه يريد أن يدقق النظر إلى الأرض . بيد أن علماء الطير قد وجدوا أنه يفعل ذلك لأنه « يُصغى » ويتسمّع ذلك الحسّ الدقيق الذى تحدثه الدودة وهى تخشخش متحركة فى مساربها . ويشبه هذه العجيبة فى دقة السمع هو ما يكون من الخُلْد الأعمى فى تبين الحشرات التى يغتذى بها . فهو يقف ساكناً فى وجاره فيسمع أخفى طنين أو نشأة تحدثها حشرة فى طرف قصىّ من جحره .

والكلاب أيضاً قد أوتيت حاسة سمع عجيبة ، كما ثبت بالاختبار، فقد وجد العلماء أن الكلب يستطيع أن يسمع طقطقة الساعة أحسن سمع وهو على بعد ٤٠ قدماً ، فى حين أن الرجل الحاد السمع يسمعها بشِقّ النفس من بعد أربع أقدام . ومعنى هذا أن الكلاب تعيش فى عالم تبلغ فيه قوة الصوت عشرة أضعاف ما نسمع نحن .

كان علماء التاريخ الطبيعى ورجال الغابات يعتقدون منذ قديم أن الحيوانات تستطيع أن « تشعر » بالأشياء و « تحسّ » بها بأساليب يعسر علينا أن نتصورها . وحسبنا القدرُ الذى بلغه علمنا بالإحساسات الخارقة فى عالم الطبيعة ، فهو يجعلنا ندرك شيئاً من سرّ النشاط العجيب الذى نتبينه فى حركة الحيوان ومعيشته . وقد وجد العلماء أن فى السمك خطاً ممتداً على كلا جنبيه ، وفى هذا الخط أعضاء بالغة الدقة لا تراها عين ، وهى التى يعرف السمك بها مقدار ضغط الماء . وصغار الأسماك التى تنطلق سابحة فى ظلمة الماء وتياره لا تعثر أو تصطدم البتة بصخرة قائمة فيه ، لأنها « تشعر » بالصخرة فى تَبَيّج البحر . وأما ذِبّان الثمار أو النحل فإنها حين تنطلق ساعية إلى التماس أرزاقها بين الزهور ، فأكبر ما تهتدى به فى طريقها هو الأشعة فوق البنفسجية التى يخرج تبيّنها عن طاقة الإنسان جملةً من بين ألوان الطيف .

ومهما تطوّح بنا الخيال نحن البشر فلن يبلغ بنا أن نتصور أن نشارك شيئاً من الحيوان فى عالم الحس العجيب ، ولو كان هذا الحلزون الحقير ، فهو يستطيع أن « يرى » ببدنه كله ، فإذا نزعت عيونه بقى كما كان شديد الإحساس بالنور والظلمة ، حتى إنه ليجد للظلّ السارى مسًّا على بدنه .

تمهيد لغزو إفريقية الشمالية لم تنشر قصته من قبل . كيف خدع « نائب قنصل » أمريكى « أبله » ، جاسوساً ألمانياً كبيراً .



# "كنا ننتظركم في دكار"

دونالد كوستر

مختصرة من مجلة "ذى أميركان مركيورى"

توطئة بقلم فردريك سوندرن : فى ليلة من أواخر سنة ١٩٤٢ تلقت أسراب الغواصات الألمانية الهائلة فى جنوب المحيط الأطلسى ، أمراً ملحاً بأن تتجه بأقصى سرعتها إلى مكان يناوح مدينة دكار . ولم تكد تمضى أيام حتى كانت مئة غواصة ألمانية أو أكثر تحوم حول الطرف الغربى لقارة إفريقيـة . وتأهبت جنود فيشى للقتـال فى حصون الساحل المنيعة ، التى ردّت منذ سنتين هجوم البريطانيين والفرنسيين الأحرار بقيادة الجنرال ديجول . وكانت عمارة الغزو الأمريكية تشق عباب المحيط الأطلسى إلى كمين ينزل بها كارثة فادحة — أو هكذا ظنت القيادة الألمانية العليا .

ولكن فى مساء اليوم السابع من نوفمبر ١٩٤٢ طيرت محطات الإذاعة الألمانية هذه الرسالة : « اسمعوا ! اسمعوا ! لقد نزل جيش كبير للعدوّ ، على ساحل إفريقية الشمالى ... » ، ذلك بأن جيوش الحلفاء فاجأت الألمان ، بنزولها فى مكان من إفريقية يبعد ألفى ميل عن المكان الذى كان الألمان ينتظرونها فيه . لقد نجحت « خدعة دكار » التى كانت من أبرع خدع الحرب وأجداها .

ولقد صاغ دونالد ك . كوستر إحدى الحلقات الخطيرة فى هذه الخدعة . وهو شاب رقيق الحديث كان قبل الحرب مديراً فى إحدى شركات الإعلان ، فلما كانت سنة ١٩٤٠ ألفى نفسه يسوق سيارة إسعاف أمريكية فى الجيش الفرنسى ، فأسر وقضى فى ضنك الأسر عدة أسابيع ، ثم أطلق سراحهُ وعاد إلى أمريكا حيث انضمّ للأسطول . وقد أفضى به حذقهُ اللغـة الفرنسية إلى مكتب المخابرات البحرية ، ثم نقل إلى مكتب المخابرات الذى يتولاهُ الكولونيل وليم دونوفان . ولندع دونالد يروى روايته :

دُعيت فى يوم أحد إلى مكتب الكولونيل دونوڤان فقال : « إنك موفد إلى إفريقية إلى مدينة الدار البيضاء . إنها أهمُّ موقع فى العالم الآن » فطرفت بعينى ، فقال : «سوفَ نُغزى إفريقية الفرنسية فى يوم ما ، فإما أن يغزوها الألمان ، وإما أن نغزوها نحن ، فعليك أن تتأهب لمواجهة الاحتمالين . وينبغى لنا أن نعرف خطط الألمان ساعة يستقرُّ رأيهم عليها » .

فقلت : « سمعاً وطاعة » وبلعت ريقى .

فقال : « إن فى الدار البيضاء لجنة ألمانية للهدنة تسهر على تنفيذ الشروط التى فرضها النازيون على فرنسا فى سنة ١٩٤٠ ، فيحسن بك أن تحملهم على أن يعتقدوا أننا إذا ما غزونا إفريقية فسوف نغزوها من دكار ، أما الوسيلة لتحقيق ذلك فأترك تقديرها لك » .

فغصّ حلقى حين أدركت مغزى الكلمات التى فاه بها الكولونيل دون اكتراث .

ثم قال : « ومن الخير لك أن تمكث قليلا فى لندن ولشبونه وجبل طارق ، لتلتقط ما يتيسر لك من أنباء من رجال المخابرات البريطانية . هذا كل ما فى الأمر » .

فخالجنى مثل شعور صبيّة الأسطورة حين همّت باقتحام غابة تعجُّ بالذئاب فى منتصف الليل ، وتلاحقت فى خيالى صور السفّاحين من الجستابو والجواسيس المجرّبين ، ووسائل النازى البارعة فى الاغتيال .

ولم تكد تمضى أيام حتى ألفيت نفسى « نائب قنصل » يأخذ مرتبهُ من وزارة الخارجية . وقد لجأ دونوڤان إلى هذه الوسيلة ، لكى يستر أمر رجالهِ العاملين فى أرض تابعة لحكومة فيشى ، فهى تعدُّ على الحياد .

وفى وشنطن درّبت تدريباً حثيثاً على الرموز التى ينبغى أن أستعملها ، وعلى قليل سواها . فمدرسة الجاسوسية المحكمة التى درّبت رجالنا فيما بعد على كل شىء ، من فتح الخزائن إلى أساليب الاتصال بجاسوس آخر على ناصية الطريق فى بلد العدو دون أن يتعرّض أحدهما للخطر — تلك المدرسة كانت لا تزال فى ضمير المستقبل ، وما كنت يومئذ أعرف شيئاً من فنون الجاسوس ولا التحايل على فتح درج فى مكتب . فأحسستُ يوم أخذت طريق الجوّ إلى لندن بعجزى وقلة حيلتى .

ثم هجمت على مصادفة من تلك المصادفات الغريبة ، فقد لقيت فتاة إنجليزية عند بعض أصدقائى ، وكان قد طرق سمعها أننى مسافر إلى شمال إفريقية ، فتوسّلت إلىّ أن أعينها فى البحث عن صديق لها عزيز عليها ، وهو نمسوىٌّ يُدعى « فريدى » ، كان قد تطوع فى الكتيبة الأجنبية الفرنسية ، وأغلب

الظن أنه معتقل في مكان قرب الدار البيضاء. فارتبك الجاسوس الغرُّ ارتباكا شديداً، لأنّ أمر حلّي وترحالي كان ينبغي أن يكون سرًّا مكتوماً، فوعدتها وعداً فاتراً بأن أجرب أن أعرف مكان صديقها النمسوي.

ولقيت في لندن ولشبونة وجبل طارق كبار رجال المخابرات البريطانية فألفيتهم، رجالا يمتازون بالحاشية الرقيقة والطلعة المهيبة، وقد رأيت من ثقتهم واعتدادهم بأنفسهم ماردّني جزعاً على ضعفي وقلة حيلتي، فكنت ألتزم الصمت حين يأخذ الكبار يتحدثون. وقد أنبأوني عن الجنرال تيودور أوَر رئيس لجنة الهدنة الألمانية، فبدا لي من كلامهم أنه خصم خبيث عنيد، وكان لهُ هيئة لمقاومة الجواسيس منظمة أحسن تنظيم، لا يعرف رجالها معنى الشفقة.

وقد هزَّ الإنجليز رؤوسهم ليدلّوا على شكّهم في نجاحي في إقناع الجنرال بأي أمر ذي شأن إن لم يكن أمراً صحيحاً، لأنهُ يعرف حيل الجواسيس جميعاً. ونبهوني إلى وجوب السهر على سلامتي، فللألمان أسلوب خاصٌّ بهم في معالجة من يضايقهم من الناس، إذ يستدرجونهم إلى الأزقة ثم يطعنونهم بالمدى. وقبيل قيام طائرتي من جبل طارق أقبل عليّ رجل إنجليزي كالح الوجه، وربّت على كتفي وقال: «أتمنى لك الخير ياصاح، لن تبرح فكرنا»، قالها كأنه يشيّعني إلى مثواي الأخير.

أما في الدار البيضاء، فقلَّ بين ممثلي أمريكا السياسيين من كان يعلم ما يفعلهُ رجال الكولونيل دونوفان، وكان رجال القنصلية شديدي البَرَم بهؤلاءِ المعاونين الشبان الذين لا يعنون أقلَّ عناية بأعمال القنصلية، ويسيرون على نهج لا يليق بمناصبهم في محادثة عمال الميناءِ والصيَّادين وغيرهم من شذَّاذ الآفاق. وكنا نجهد ونشقى في إخفاءِ أجهزتنا اللاسلكية الخاصة عن بعض زملائنا الفضوليين.

وقد يسّر لي وسام صليب الحرب الفرنسي الذي في عروة سترتي، وحذقي اللغة الفرنسية، أن أوثق عرى الصداقة مع بعض الناس، وأن أتسقط الأخبار. وقد أعانني فريق ممن أثق بهم من خصوم ڤيشي على الاستيثاق من صدق مراجعنا ورسم لي صاحب أسطول من سفن الصيد خريطة تبيّن مسالك الماءِ المأمونة إلى ساحل مراكش. ودبر مهندس فرنسي فرّ من السخرة في ألمانيا، أمره حتى يتبعني إلى الكنيسة، وسلّمني ونحن جلوس فيها رسوماً تبيّن أحدث أبراج المدافع المضادة للطائرات، وهي أبراج أرغمه الألمان على المشاركة في تشييدها. وقد كانت هذه

المعلومات ذات شأن عظيم، ولكننى وجدت أننى لا أدنو شيئاً من جناب الجنرال أوَر.

ثم حدثت لى ذات ليلة مصادفة غريبة ثانية: فقد كنت جالساً مع نائب قنصل آخر فى مقهىً سيء السمعة على رصيف الميناء، حيث كنا نسمع أنباء السفن الغادية والرائحة، فمرّ بنا شابان، فصاح صاحبى، « ولتر »، فوقف الرجل، فقال صاحبى: « تفضل أقدم لك صديقى دونالد كوستر، فهو فى القنصلية أيضاً » فجلس الشابان، فرويا لنا أنهما نمسويان كانا فى فرنسا يوم غزاها الألمان، وأنهما التحقا بالكتيبة الأجنبية الفرنسية، ثم اعتقلا فى معتقل تابع لحكومة ڤيشى، فاستطاعا أن يفرّا إلى الدار البيضاء. ومضى ولتر روايته فقال: « وإذا بى أرى فى أحد الأيام تيدى أوَر الذى يدير لجنة الهدنة الألمانية، وقد كنت أعرفه فى باريس قبل الحرب ».

وختم ولتر كلامه بقوله: « فاتفقنا معه على أن نزوّده بالأخبار، فى مقابل أن يتركنا أحراراً. فنحن كلانا أعدى عداة النازيين، ولا مطلب لنا سوى هلاكهم ».

فجعلت الخواطر تتزاحم على فكرى: إما أن يكون أوَر قد بعث ولتر وصديقه ليقتفيا أثرى، وإذن فأنا حيال شرك، وإما أن يكون وجودهما فرصة من فرص الدهر.

وكنت لا أزال مستغرقاً فى التفكير حين التفت إلى النمسوى الذى فاتنى اسمه، وقال: « أوصلت من لندن منذ عهدٍ قريب ؟ » وتنهد وقال: « لى صديقة رائعة هناك. آه لو كنت أستطيع أن أعود ... » وأخرجت حافظتى لأدفع الحساب، وإذا بالنمسوى يكاد يثب علىّ، وصاح: « هذا خطها » وأشار إلى ظرف فى حافظتى، وقد كان ظرف رسالة تلقيتها من تلك الفتاة الإنجليزية التى لقيتها فى لندن، وكان خطها كبير الحروف ينم عليها. أما هذا الرجل فهو طبعاً « فريدى » الذى سألتنى أن أبحث عنه.

وفى هدأة الليل تكونت فى ذهنى خطة واضحة، أساسها أن أبدو شاباً عابثاً ثرثاراً ضعيف العقل، وأن أزوّد النمسويين، فى ساعات المعاقرة بأخبار دقيقة ولكنها ليست ذات شأن خطير، فينقلانها إلى أوَر. وكنت قد قرأت فى الكتب عن مثل هذه الخطة، ولكننى لم أظنّ أنها خطة يُرجى لها أقلُّ نجاح، بيد أنى عجزت يومئذٍ عن أن أفكر فى أية وسيلة أخرى.

ومضت أيام فإذا أوَر لم يكتف بأن يصدّق رواية النمسويين وحسب عن هذه اللقطة التى هى أنا، بل فتح لهما زجاجة شمبانيا. قال: « أجل. هؤلاء الأمريكيون جميعهم بله. أسكروهم يبوحوا بما عندهم ».

لم يكن أول ما طلبهُ أوَر من المعلومات مطلباً عسيراً ، فقد كان الجنرال يمتحن هذا المصدر الجديد بما يتبينه من دقة فى التافه من الأمور .

ثم لقيت الرجلين ذات يوم فوجدتهما فى كرب شديد ، ذلك بأن الجنرال ثارت ثائرته فى الليلة السابقة ، وصاح بهما : « أيها الخنازير. إنكما لاتعرفان هؤلاء الأمريكيين وإنما تحتالان على سرقة مالى » . وقد أقسم له ولتر وفريدى أنهما يعرفان الأمريكيين معرفة وثيقة ، وأنهما يستطيعان أن يقيما الدليل . فقال : « إذن أقيما الدليل على أسرع وجه ، فإن لم تفعلا بصّرتكما بما يكون مصير من يخدع قائداً ألمانياً » .

فرأيت خططى تنهارُ بين يدىّ ، فقد ساورت الريبة الجنرال أوَر ، وسوف يطلق علينا رجال مقاومة الجاسوسية ، فيتعرّض عملنا كله للخطر بعد أن سرنا فيه دون اعتراض الألمان أو تدخلهم، مما أثار دهشتنا. وإذا ضوء من الأمل قد أشرق : « لِمَ لا تقولان للقائد ، إنه إذا أراد أن يرى بعينيه صدق صداقتنا ، فليحضر غداً مساء إلى مطعم السوق السوداء الذى نؤمهُ قرب البحر ، ويرانا نتعشى معاً »

ثم قلت : « وسيرى منى ما يقنعه » . فارتدّ اللون إلى وجهى النمسويين المتقعين ، وقال ولتر متوقراً : « وعلى الجنرال أن يدفع ثمن العشاء ! »

لن أنسى تلك الليلة ما حييت . كانت أعصابنا متوفزة ، وما كدنا نهمّ بأكل لحم السوق السوداء حتى أقبل الجنرال النحيل الأشقر ، الحاكم المستتر لإفريقية الشمالية الفرنسية ، وكان يحفّ به كبار رجال اللجنة ، واتخذوا مجالسهم على مقربة منا ، ولزمنى إحساس غريب بأن الجنرال يحدّق فىّ بين كتفى .

ثم تظاهرت بالسكر ، وجعلت أضرب المائدة بيدى ، ورويت روايات تفضح بعض أسرار وزارة الخارجية ، وصحت طالباً المزيد من النبيذ ، وجعلت أناقش الندل ، وظللت أربّت على ظهر ولتر وفريدى ، وأسدد فى الحين بعد الحين نظرة عداء إلى الألمان ، وأحبس أنفاسى جزعاً على ما يكون من أمرها . وإذا النمسويان قد أخذا يسترخيان شيئاً فشيئاً ، وهمس ولتر فى أذنى فقال : « أحسنت ، الجنرال راض ! فأنا أعرف علامات رضاه. لقد أخذ يطمئن، وقد وقع هذا من نفسه موقعاً عظيماً » .

ولكى أبلغ الغاية من الخطة ، وقفنا فى سياراتنا خارج القنصلية الألمانية بعد قليل ، وصرنا نغنى بأصوات منكرة .

وفى اليوم التالى قدم فريدى للجنرال

بياناً ببضعة آلاف من الفرنكات ثمناً للعشاء، فتألق وجه القائد بشراً، ودفع المبلغ وأضاف إليه مكافأة كبيرة. وقال وهو يضحك: «أما الآن فعليكما أن تستخرجا من هذا المعتوه أخباراً هامة عن الأمريكيين وتعودا إلىّ بها». أما أنا فلم أكد أصدق ما كان من حسن حظى، فقد بدأ الجنرال يدعو النمسويين إلى حفلاته الفاخرة، وكان يستمعان إلى أحاديث تدور فى موضوعات يهمنا أمرها: فرجال الكيمياء من الألمان مكبون على تحضير مقادير كبيرة من غاز جديد، والقيادة الألمانية العليا قد صرفت همها عن غزو شمال إفريقية من إسبانيا. وكنا فى كل ليلة نرسل هذه الأخبار بالراديو أو فى الحقائب السياسية.

ولبثت ألمح لولتر وفريدى، فى الحين بعد الحين، أن الأمريكيين يهيئون غزواً، فما وافى شهر يوليو حتى كان القلق قد أخذ من الجنرال أوَر مأخذه، فأمر النمسويين أن يقفا كل جهدهما على استطلاع مكان الغزو الأمريكى. فقلت: «قولا لأوَر إن خطة الهجوم قد أقرّت. وسوف ننزل فى دكار فى أواخر الخريف». ثم سهدتُ ليلى. أيصدق أوَر هذا القول؟ أنصب القائد الألمانى ولتر وفريدى ليخدعانى كما أريد أن أخدعهُ؟ وإذا أسأت التقدير، فقد وقع علىّ إثم قتل ألوف من جنود الحلفاء.

لقيت النمسويين فى صباح اليوم التالى، فإذا هما فى نشوة، فقد صاح الجنرال مبتهجاً «سنتمكن من الخنازير الأمريكيين. سوف يقعون فى شرك جميل. ينبغى أن يطيّر هذا النبأ إلى القيادة الألمانية فى الحال».

وضغط على زرّ فجاء معاونوه، وأملى رسالة طيرت إلى فيزبادن مقرّ لجنة الهدنة، ثم فتحت زجاجات الشمبانيا، وشربوا تحية هتلر ومجد السلاح الألمانى، وتحية أصدقاء أوَر النمسويين، وأيضاً تحية «المعتوه الأمريكى»، ومنح ولتر وفريدى مالاً كثيراً.

لقد تمّ نصيبى فى تنفيذ خدعة دكار على أوفى وجه، وقد عزّزته خدع أخرى، مثل «تسرُّب أخبار» كان غرضها جميعاً تأييد الظن بأن دكار هى هدف الغزو.

وقد راعنى بعد بضعة أشهر أن نزلت مع القوات المتحالفة على ساحل وهران، على ١٩٠٠ من دكار. لقد تم غزو إفريقية الشمالية بعد قتال يسير، ودون أن تغرق سفينة واحدة من عمارة الغزو. وقد مضت إلى مطار تفراوى، حيث أسرنا ٦٠٠ أسير. وأمرت أن أتصل بالقائد التابع لفيشى.

فلما دنوت منه تلهب وجهه ومدّ إلىّ إصبعه متهماً وانفجر فقال: «لمَ نزلتم هنا؟ لقد كنا ننتظركم فى دكار».

# لا تعكر صفو طعامك

إدوارد ڤنسنت أوبراين

مختصرة من صحيفة "شيكاغو ديلي نيوز"

زرت أحد معامل البحث منذ عهد قريب ، فجعلت أطُوفُ في أحشاء قطةٍ ناعمة الملمس راضية العيش ، وكانت قد فرغت لساعتها من وليمة شهية أكلت فيها الكبدَ وسواها من أطايب طعام القطط . وبينما هي مستلقية على مائدة المختبر ، مغفية تهرُّ هرير الرضى ، نفذ العلم إلى أحشائها مستطلعاً بجهاز « الفلوروسكوب » .

كان هضمها على ما يبدو سائراً سيراً مطرداً لا يعوقه عائق ، وكانت القطة ساكنة سكون صفحة البحر في ليلة صيف ، وإذا أسطوانة تدور على جراموفون مستتر ، فتردِّد في دورانها نباح كلب سُجِّل عليها ، وإذا القطة المغفية قد وثبت إلى قدميها ، فتقوس ظهرها ، وقفَّ شعرها ، واتسعت حدقتاها ، وبرزت مخالبها .

بيد أن هذا التحول العجيب في مظهرها لم يكن شيئاً يذكر حيال ما حدث في أحشائها . فقد تدفق الإفراز من غدَّتيها الكظريتين ( فوق الكليتين ) ، وغمرت معدتها عصارات الهضم ، وانقلب انقباض العضل في الأمعاء ، وباتت قطعة الكبد اللذيذة ، كأنها في جوفها قطعة حجر .

رأيت ذلك كلَّهُ ، فتأملت تأمل المشفق على ما ارتكبته من خطأ — وهو خطأ لم يزل معظم الآباء يرتكبونه فيما أخشى .

ما من أحد يشك الآن في أن الجوَّ الهادىء على مائدة الطعام ضرورة لا غنى عنها للهضم ، فالطعام ينبغي أن يؤكل في جو يسوده السلام ، وإلا كان ضرره أكبر من نفعه . ولكن النظام العجيب الذى نسير عليه في الحياة ، قضى أن يكون وقت الطعام هو الوقت الوحيد الذى يتيح للأب أن يرى أبناءه ، وهو فرصته الوحيدة التى تسنح له لنصحهم وزجرهم وتأنيبهم .

فبدلا من أن يقبل الصغير على طعامه بحماسته المعهودة ، تراه يتوقع أن يسمع من أبيه بين أول الطعام وآخره ، تقريعاً ولوماً على سلوكه في المدرسة .

ولو تهيأ لك أن تفحص جوف هذا الصغير بجهاز الفلوروسكوب ، لألفيت أمعاءه يتلوَّى بعضها على بعض ، ولرأيت معدته يغمرها فيض من الحامض الهيدروكلوريك .

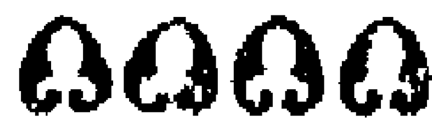
وتنظر إلى أخته التى تستبدُّ بها شهوة الطعام ، كجميع أترابها ، فتراها تصيب من الطعام لِماماً وهى سارحة العقل يستبد بها الوَجَل مخافة أن تسمع أباها يأتى عليها آراءه في نقد سلوك البنات في هذه الأيام .

وحتى الأم التى ألفت منذ سنين أن تسمع

بحث نقائصها وقت العشاء ، ترى غدتيها الكظريتين تفرزان مقداراً خطراً من الأدرينالين ، تأهباً منها لتدفع عن نفسها تهمة سوء تدبير البيت .

فأحشاء هؤلاء الناس ، شأنها كشأن أحشاء القطة حين سمعت نباح الكلب ، ولا تستثنى من ذلك أحشاء الأب . فالأب المسكين يعانى أثر القضاء فى شئون أسرته فى غير وقت القضاء ، فيثقل الطعام عليه ، وقد يشكو فى بعض الأحيان ألماً يحمله على الظن أنه مصاب بقرحة فى المعدة أو بما هو شر من القرحة .

وليس فى وسع أحد من الناس أن يسدى يداً كبيرة لحل مشكلات العالم الضخمة ، ولكن لو راض كل واحد من الناس نفسه على أن ينحّى المناقشات البغيضة عن مائدة الطعام ، لقلت المشكلات التى كتب على الناس أن يلتمسوا لها حلاً .



## ثأر الرجل

دُعى المركيز دل جريلو إلى حفلة ساهرة فى دار سيدة مشهورة من سيدات لندن ، فاعتذر بأنه ذاهب إلى الريف ، ولن يعود إلا فى ساعة متأخرة من مساء الحفلة . فقالت : « لا بأس . شرفنا ساعة تستطيع » . فلما عاد من الريف سار فى سيارته توّاً إلى دار السيدة .

فلما دخل ذهبت لتستقبله ، فما إن رأته حتى صعدت نظرها فيه وصوّبته ، وقطّبت أساريرها وقالت : « ولكنك يامركيزى العزيز لست لابساً ثوب السهرة ! إن هذا مستحيل » .

فعاد إلى داره ولبس ثوب السهرة وتزين بجميع أوسمته ونياشينه ، فلما دخل هُرعت إليه مضيفته وهى تبتسم ، فانحنى على يدها وقبّلها ، ثم دنا من مائدة العشاء وأخذ بإحدى يديه كوباً من الحساء البارد ، وأخذ بالأخرى حفنة من الثلج الناعم ، ودلق الحساء ونثر الثلج على ثوبه ، فدهش الجميع ، فقال : « ليس المدعوُّ إلى هذه الحفلة هو أنا ، بل المدعوُّ هو أنت أيها الثوب الفاخر ، فلذلك أطعمك وأسقيك » . ثم انحنى وخرج . [ المركيزة ستيلا فيتسلكى ]

# لمسة وكفى !

ألبرت ادوارد ويجام
مؤلف "علامات الرجل المتعلم" و" ثمرة شجرة الأسرة" الخ

مختصرة من مجلة " اليوم "

حدث في عصر يوم أن دخل صبي صغير خجول في الحادية عشرة من عمره، عيادة الدكتورة جريس فيرنالد الطبيبة النفسانية بلوس أنجلوس ، وناولها رقعة من إحدى المشرفات على المدارس العامة تطلب فيها من الطبيبة أن تشهد رسمياً بأن الصبي ضعيف العقل ، وأنه ينبغي أن يرسل إلى إحدى المدارس التي أنشئت لضعاف العقول. فوجدت الدكتورة فيرنالد أنه لا يستطيع أن يقرأ كلمة واحدة، ولكنه في الاختبارات التي لاقراءة فيها نجح كأي صبي من الأوساط ، فكتبت على بطاقته أنه « طبيعي » وردته إلى المدرسة .

وبعد ساعة عاد الصبي بنفس البطاقة وعليها هذا التعقيب الوجيز: «إذا كنت ترين أن هذا الصبي ليس بضعيف العقل فحاولي أن تعلميه شيئاً » .

أما كيف قابلت الدكتورة فيرنالد هذا التحدى ، وكيف استطاعت أخيراً بفضل اهتدائها إلى أمر عجيب ، أن تعلم هذا الطفل «الناقص العقل» كيف يقرأ وأعادته لينجح بسرعة في المدرسة — فهذا بعض مايقول عنه الأستاذ لويس ترمان رئيس قسم علم النفس بجامعة ستانفورد : إنه « أروع ما هو حادث الآن في التربية في أي مكان في العالم » .

إن أكثر من نصف تلاميذ المدارس يخفقون قبل أن يصلوا إلى الصف الثامن ، ويرجع السبب في إخفاق ربعهم إلى نصفهم إلى أنهم لايستطيعون أن يتعلموا القراءة ، ومع ذلك ليس في عيونهم أو عقولهم عيب ، ومن بين كل سبعة من الشبان والفتيات يدخلون الجامعة يتخرج اثنان ليس إلا . وكثيرون من هؤلاء يرجع إخفاقهم إلى السبب نفسه — أنهم لا يستطيعون أن يقرأوا إلا بصعوبة عظيمة . ويقدر علماء النفس المتخصصون أن في الولايات المتحدة عدداً يتراوح بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليوناً من البالغين الأذكياء الطبيعيين لا يستطيعون أن يقرأوا على على الإطلاق ، ولا يستطيعون تبعاً لذلك أن يتعلموا ، أو هم يقرأون ببطء وبغير فهم،

ومن أجل هذا يخفق هؤلاء البالغون فى كل مايتطلب القراءة .

غير أن هذه المأساة الإنسانية الهائلة المستمرة هى مما يمكن تفاديه، فإن كل امرىء يمكن أن يتعلم القراءة ويجيدها بسهولة . وفى وسعنا الآن أن نقول هذا ونحن مطمئنون إلى صحته، بفضل الاستكشاف الذى تم فى قسم علم النفس بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس على يد الدكتورة فيرنالد ومساعدتها السيدة هيلين باس كيلر .

وكان هذا الكشف ، ككثير غيره من المكتشفات العلمية ، وليد المصادفة فى ظاهر الأمر . حدثتنى الدكتورة فيرنالد قالت : « ظللنا ثلاثة أشهر كاملة نحاول أن نعلم هذا الغلام شيئاً ، ولكننا لم نستطع أن نجعله يقرأ حتى اسمه، وكان لايستطيع أن يقرأ المكتوب على اللوحات أو أسماء سيارات النقل، وكان لايعرف الطريق إلى الجامعة إلا من ألوان السيارات العامة . وقد جربنا معه طريقة البطاقات كل بطاقة عليها كلمة مفردة مكتوبة بحروف كبيرة ، ثم نغير ترتيب البطاقات ونبرز له التى عليها الكلمة ، ولكنه على كثرة ما كنت أريه الكلمة ، كان لا يستطيع أن يتذكر أنه رآها من قبل .

« وحدث ذات يوم أن أبرزت له بطاقة عليها كلمة « أرض » ، فقال على الفور « هذه أرض » فظننت أنها مصادفة. ثم عرضت عليه البطاقة مرة أخرى ، فأدهشنى أن قال ثانية « هـذه أرض » فسألته : كيف عرف ؟ فقال لا أدرى سوى أنى عرفت أن هـذه « أرض » .

« فسألت مساعدتى عن هذه الكلمة ماذا صنعنا بها مما لم نصنعه من قبل ، فقالت : « لا أدرى ، إلا إذا كان أنك لما ضقت صدراً أمس كتبت اللفظة على السبورة وتناولت يده ومررت بإصبعه على حروفها » .

« فتذكرت طريقة مونتسورى فى إمرار الإصبع على الحروف المفردة ، وهى طريقة أراها ضارة بالطفل ومعوقة له عن تعلم الكلمات ، فمضيت بالغلام إلى السبورة وجعلته يمر بأصبعه على عدة كلمات — من مثل منزل ، ومائدة وغيرها — فوجدته يتذكر فيما بعد كل كلمة يمر عليها بإصبعه .

« وتحمسنا لما اهتدينا إلى ذلك، وواصلنا العمل فى زيادة محفوظه ، وبعد خمسة شهور دعونا معلميه السابقين إلى الحضور والاستماع إلى تلميذهم الخائب « الناقص العقل » ، فأبوا فى البداية أن يصدقوا أنه يستطيع أن يقرأ، ثم أعطوه كتباً فى التشريح والتاريخ والآثار وعلم وظائف الأعضاء ، فقرأ الكلمات الفنية قراءة أدهشت كل من كان حاضراً . وبعد هذه الحفلة عاد إلى المدرسة التى كان فيها

من الخُباب ، واجتاز فيها ثمانية فصول فى خمس سنوات » .

وقد كانت هذه حفلة تاريخية لافى التربية وحدها بل فى حياة آلاف من الأطفال قضوا حياتهم فى سجن من الجهل ، وفى حياة كثيرين عانوا السجن الحقيقى لا المجازى ، لأن قصورهم العقلى دفع بهم إلى الإجرام . إن الذين يعدون أصفاراً فيما يتعلق بالقراءة ليسوا كثيراً فى أية مدرسة ، ولكن الضعاف فى القراءة يقدرون بنحو ربع التلاميذ على الأقل .

وأمثال هؤلاء الأطفال يعدون لسوء الحظ ناقصى العقل ، ولكن الحقيقة أنهم يحصّلون مايتعلمون بطريقة مختلفة ــ الطريقة الحسية ، فبدلاً من أن يتعلموا بعيونهم وآذانهم يتعلمون بعضلاتهم وأعصابهم ، أى أنهم يتعلمون بأن يعقلوا ويحسوا بكل جوارحهم البدنية ، وبهذا يكون تعلمهم أحسن ، لأن ذكراه تعمق فى نفوسهم . ومتى عرفوا هجاء كلمة فإنهم يتهجونها دائماً هجاء صحيحاً ، ويتعلمون الحساب بهذه الطريقة فيبدون كأنما يتحسسون طريقهم إلى حل المسألة ، وكأنما يدركونها بعضلاتهم ، ويصبحون أقدر على الحساب من الأطفال الأوساط العاديين .

وقد تلقت الدكتورة فيرنالد ومساعدتها السيدة كيلر ــ مذ وقع لهما هذا الاكتشاف ــ أطفالا عديدين من هذا الضرب ، لامن مدارس لوس أنجلوس وحدها بل من كل أنحاء العالم . ( وقد وجدنا أن كل من يعدون أصفاراً فى القراءة هم من البنين ، وإن كان هناك عدد كبير من البنات يكدن يحسبن أصفاراً ، ومعظم الأصفار فيما يتعلق بالقراءة ممن يعملون بيسراهم دون اليمنى لسبب غير معروف ) . وهؤلاء الضعفاء فى القراءة أو الذين لا يقرأون قد أخفقوا كلهم تقريباً مراراً ، وتعرضوا للسخرية والتقريع حتى جزعوا وأشفقوا أن يحاولوا التعلم ، ولكن الدكتورة فيرنالد جعلت منهم جميعاً قراءً فى الذروة من الإجادة ، ومنهم رجل فى الثامنة والثلاثين من عمره لم يكن يستطيع قط أن يقرأ أكثر من بضع كلمات قليلة ، أكب على القراءة فى حماسة حتى اضطرت الدكتورة فيرنالد أن تكف عن تعليمه زمناً مخافة أن يصاب بانهيار عصبى .

وكان من بين من عالجتهم الدكتورة فيرنالد من يدعى ويللى ج . وكان فى إصلاحية حكومية للأحداث ، وكان معدوداً ممن لا أمل فيهم ، ولم يتعلم شيئاً مطلقاً فى خمس سنوات قضاها فى هذا المعهد ، وكان لا يستطيع أن يقرأ اسمه إلا إذا كان مكتوباً على هذه الصورة « Wm » ولا يعرفه إلا

بالخط الذى تحت m . فدربت الدكتورة فيرنالد غلاماً آخر فى المعهد على تعليم ويللى بطريقة إمرار الإصبع على الكلمات ، فبلغ من نجاحه أن اجتاز ويللى ثلاثة فصول فى ثلاثة شهور ، وسرعان ما أعيد إلى بلدته فصار من خير التلاميذ فى المدرسة بدلا من أن يظل صبياً شريراً ينتهى به الأمر على الأرجح إلى الإجرام .

وخير ما أصف به طريقة الدكتورة فيرنالد أن أقص عليكم قصة غلام كنت أراقبه وهو يتعلم على هـذا النهج ، وهو فتى فى السابعة عشرة من عمره اسمـه دونالد ، وكان له معلمون خصوصيون ، وقضى فى المدرسـة أحـد عشر عاماً ولكنه لم يتعلم شـيئاً على الإطلاق ، ولم يستطع أن يحصل على وظيفة لأنه لم يكن يستطيع أن يقرأ بطاقات الأسعار أو غيرها .

فبدأت الدكتورة فيرنالد بأن اختبرت ذكاءه فألفته فوق المتوسط ، ثم قالت له : « إن لنا طريقة نعلمك بها القراءة كما يتعلمها أى إنسان ، فما من أحد يخفق . فماذا تهتم به على وجه الخصوص ؟ » فقال دونالد على الفور : «الجاسوسية» ، فكتبت الدكتورة الكلمة بحروف ارتفاعها نحو ثلاث بوصات وأمر عليها دونالد إصبعه نحو خمسين مرة ، وشجعته على أن يدير الكلمة فى رأسه ، وأن ينطق بها بصوت عال وهو يمر عليها بإصبعه ـــ حرفاً بعد حرف ، ومقطعاً بعد مقطع ـــ وأن يكرر النطق بالكلمة فى آخر كل مرة .

وأخيراً أصبح دونالد قادراً على كتابة الكلمة ، فأخفيت عنه الورقة الأصلية فغلط فى هجائها ، فصاحت الدكتورة فيرنالد «جميل» ، ثم ردت إليـه النموذج ، فمر عليه بإصـبعه مراراً ، وبعد نحو ثلاث ساعات كتب دونالد هذه الجملة : « إن لى اهتماماً بالجاسوسية » كتابة صحيحة ـــ وهذا أكثر مما استطاعه فى أحد عشر عاماً ! وبعد أن استطاع أن يكتب هذه الجملة ، كتبت الألفاظ له بالآلة الـكاتبة ليقارنها بكتابته ، إذ لابد أن يرى التلميذ الألفاظ مطبـوعة . ومضى دونالد فى تتبع ألفاظ جديدة بإصبعه . وهذه الفترة تمتد أسبوعين أو ثلاثة مع بعض الأطفال ، وبعضهم يحتاج إلى شهرين أو أكثر .

ووسع دونالد تدريجـاً أن يقرأ ألفاظاً جديدة من النسخة المطبوعة ، ثم تعـلم أن يعرف الألفاظ دون أن يكتبها أولا ، وشرع يقرأ فى الـكتب ، ثم وصـل إلى المرحلة الأخيرة ، فقد اكتسب الثقة بنفسه وصار يحب أن يقرأ أى شىء وكل شىء ، وبعـد ذلك صار زمام رقيه العقلى فى يديه ، أو على الأصح رهناً بعقله المتحرر .

والدكتـورة فيرنالد تنبـــه إلى ثلاثة

احتياطات مهمة ينبغى أن يتخذها الذين يستعملون طريقتها : فالطفل يجب إقصاؤه عن بيئته القديمة ، لأن كثرة إخفاقه أمام معلميه وأترابه تجعله يتهيب الاجتهاد . ثم إنه لا ينبغى أن يُكرَه على القراءة أمام الناس قبل أن يجيدها إجادة تامة . وأخيراً وفوق كل شيء ، يجب المضى بالطفل إلى نهاية المنهج ، أى إلى أن يتناول من تلقاء نفسه كتاباً ويقرأ فيه .

وتقول الدكتورة فيرنالد : « إننا لانعرف أبداً متى يجيء هذا اليوم ، وكثيراً مايجيء فجأة ، ولكن الأمر يبدو لنا وللطفل كأنه معجزة . وكثيراً ما يحدث أن نزيد محصول الطفل كلمة كلمة ، ونواظب على ذلك أسابيع وشهوراً ، وإذا به فجأة وعلى غير انتظار يشرع فى قراءة أصعب الكلمات وأطولها بصوت عال ، كما يقرأها أى متخرج فى الجامعة،وكثيراً مايصيح وهو جذل : «لقد قرأت هذا وحدى اقرأته وحدى!» . وبعض الأطفال يبلغون هذه المرحلة فى خمسة شهور أو ستة ، وبعضهم فى عشرة شهور أو اثنى عشر ، ولكن الطفل الذى يبلغ هذه المرحلة لايمكن أن يخفق بعد ذلك فى تعلم أى شيء يودّ تعلمه فى حياته كلها » .



## لمحات من حياة العظماء

فى سنة ١٨٧٤ أشار الأطباء على الممثلة العظيمة سارة برنارد أن تنصرف عن التمثيل إذا شاءت أن يطول أجل حياتها ، ولكنها عادت إلى خشبة المسرح بعد ما تماثلت للشفاء . فلما سألها أحد المعجبين بها عن هدية يهديها قالت : « يقولون إن موتى قريب ، فالك أن ترسل لى تابوتا » .

وبعد أسبوع تلقت من حانوتى رسالة بأن أحد الناس أمره بأن يصنع لها تابوتاً ، فكيف تريده أن يكون . فوصفت له وصفاً دقيقاً ماتريد ، ثم وافقت على أن يصنع من خشب الورد وأن تجعل مقابضه من الفضة ، ثم غيرت رأيها فجعلتها من ذهب .

وقد ظلت خلال مابقى من حياتها لايفارقها هذا التابوت ، وكانت تأخذه معها حيث ترحل ، وتقيمه على قوائم عند مؤخر سريرها حتى تراه دون مشقة حين تستيقظ .

وكانت تقول : « أفعل ذلك لأنه يذكرنى بأن بدنى سيتحول إلى تراب ، وأن مجدى وحده هو الذى سيخلد على الزمن » . [ كتاب «سارة برنارد الحقيقية» ]

وقود ناعم كمساحيق التطرية والتجميل ، خليق أن يسير القاطرات والسفن ويدفىء البيوت ، ويصير ركنا من أركان الاقتصاد والصناعة في هذا العصر .

# الفحم المسحوق يدفع محركا لا عهد بمثله

هارلند مانشستر

*مختصرة من مجلة "سينتفيك أميركان"*

مضت خمسون سنة وكبار المخترعين في العالم يتمنون أن يبتكروا وسيلة تمكنهم من أن يديروا محركا من محركات الاحتراق الداخلي بالفحم المسحوق الوافر الرخيص ، بدلاً من البنزين أو الزيت ، فلم يتمكنوا من تحقيق ما يتمنون . ولكن الفكرة ظلت كالأمل البراق أمام أعين المهندسين من ذوي الطموح ، الذين تبينوا أنهم سوف يحدثون ثورة صناعية جديدة إذا تم لهم أن ينتزعوا القوة من الفحم الرخيص وينتفعوا بها انتفاعاً مباشراً بدلا من حرقه تحت مرجل لتوليد البخار ، فيضيع جانب كبير من قوته جزافاً .

وهذا الذي تمنوه قد تم ، ففي الطابق الأسفل بمعمل في جامعة جونز هبكنز في مدينة بلتيمور ، تجد أول تربين يتحرك بالفحم المسحوق على أحسن وجه ، وما زال يتحرك منذ شهر ديسمبر الماضي - يدخل فحم البيتومين الرخيص في أحد طرفيه ، فيحوله جهاز بسيط مسحوقاً ناعماً كالسكر المدقوق ، ثم يقذف إلى حجرة الاشتعال التي تهدر فيها النار . وهو ينقى من دقائق الرماد التي تأكل العدد بزوبعة من الهواء تولدها آلة ، وإذا غازات الاحتراق التي بلغت درجة فائقة من الحرارة تحرك مراوح التربين ، ولن يمضى زمن طويل حتى يصبح التربين الجديد الذي يتحرك بغاز الفحم المسحوق منافساً لمحركات الديزل والمحركات البخارية ، ولن تقتصر منافسته لها على السكك الحديدية بل تشمل السفن والمحطات الثابتة التي تولد القوة أيضاً .

من العسير أن يبالغ الكاتب في قيمة محرك يأخذ الفحم ويقسره على أن يفعل كما يفعل الزيت . فموارد الزيت آخذة في النقصان ، على حين ترى موارد الفحم لا تزال عظيمة — تكفي ألوفاً من السنين . نعم إن في وسعنا أن نولد البنزين وزيت الديزل من الفحم بأساليب كيميائية معقدة ، بيد أن حرق الفحم دون تحويله أقل نفقة ، لا ريب في ذلك .

منذ ثمانيـة عشر شهراً وحسب ، كان التربين الذى يتحرّك بغاز الفحم المسحوق، أملا براقاً ترمقه عيون جماعة من مديرى شركات الفحم وشركات السكك الحديدية ، وكان يحضهم على المضى رجل يدعى روى هوايت ، رئيس شركة سكة حـديد بلتيمور أوهيو ، فاجتمعت الجماعة لتنظر فى الأمر : إن شركات السكك الحديدية تجنى جزءاً غير يسير من دخلها من نقل الفحم، فمصلحتها تقضى بأن تروّج للانتفـاع به ، ولكن معظم القاطرات التى تتحرّك ببخار يولده حرق الفحم ، ضعيفـة الكفاية من غير ناحية : فهى تحوّل ثمانيـة فى المئة أو أقلّ من حرارة الفحم إلى قوة محركة، وهى تضيع وقتاً فى الوقوف لملء المراجل بالماء ، وهى تهز الركاب هزّاً حين تبدأ تتحرك بالقطار ، وهى تدق الأرض التى مدّت فيها الخطوط دقاً عنيفاً ، وتنفث الدخان فى الفضاء، وتنثر الرماد على الأرض. أما محرّك الديزل الذى يتحرّك بقوة الزيت ، ويبدأ حركته فى رفق ولين ، وينتفع بقدر عظيم من حرارة وقوده ، فقد أخذ يحلّ محلّ القاطرة البخارية .

ومن ثمّ اتفقت طائفة من أكبر شركات السكة الحديدية مع طائفة من شركات تعدين الفحم ، على إرصاد مليون ريال للبحث ، ثم جعلت تبحث عن رجل يستطيع أن يصنع لها قاطرة تتحرّك بقوة الفحم المحترق ، وتفوق القاطرة القديمة .

فوجدوا ذلك الرجل حين وجـدوا جون إ . يلوت ، وهو من أكبر المهندسين الميكانيكيين ورئيس معهد «غاز تكنولوجى» فى مدينة شيكاغو . ومنـذ سنة أو أكثر قليلا، ذهب يلوت إلى بلتيمور ليتولى المهمة الجديدة الرائعة التى ألقيت على كاهله، وكان مستعداً أن ينفق خمس سنوات فى سبيل إنفاذها ، ولكن تربينـه بدأ يدور قبيل آخر السنة .

وقد قصدتُ يلوت فى جامعة جونز هبكنز فبين لى عمل التربين من ساعة يأخذ الفحم إلى ساعة تدور المراوح. وهو ليس اختراعا كما يقـول ، بل هى أجهزة شتى سبق اختراعها ، ضمّ هو بعضها إلى بعض .

يؤخذ الفحم الطرىّ من مخزنه ويوضع فى آلة تسحقه حتى تصير دقائقه كحبات الرمل غير أن حجمها أكبر مما ينبغى ، فتسحق الدقائق كالدقيق فى جهاز أسطوانى اخترعه يلوت حين كان معلماً فى شيكاغو . ففى هذا الجهاز تضغط دقائق الفحم التى فى حجم حبات الرمل ضغطاً شديداً بالهواء، ثم تدفع فى ثقب دقيق حيث يرفع ضغط الهواء ، وإذا الهواء الذى كان حبيساً فى مسامّ دقائق الفحم

ينطلق مسرعاً ، فتحدث ملايين الانفجارات الصغيرة فى الدقائق ، فتنسفها نسفاً يجعلها كالهباء الناعم لاتكاد ترى بالمجهر .

والفحم الذى سحق على هذا المنوال مسحوق ناعم هش ، إذا فركته بين أصابعك كان كسُخام المصباح . وقد بلغ من دقة أجزائه أنه حين يدفع فى حجرة الاشتعال ، يشتعل فوراً كأنه وقود من زيت ، فتستعر نار كأنها نار الجحيم ، وهى ما يتطلبه تربين الغاز . وسحق الفحم على هذا المنوال لايستغرق من القوة التى يولدها التربين سوى اثنين فى المئة .

إن أعصى مشكلة حيرت المخترعين فى صنع محرك من هذا الضرب ، هى كيف يمكن أن تنبذ من الفحم المسحوق تلك الدقائق من الرماد التى تبرى المعدن ، وتستطيع أن تقطع مراوح التربين الدوارة . وقد حل يلوت المشكلة بأن أزال هذه الدقائق من مسحوق الفحم قبل وصولها إلى المراوح . فقد استعان بجهاز « إيروتيك » الذى يرسب الغبار ، وهو اختراع تمَّ فى خلال الحرب واستعمل فى الدبابات وسيارات النقل ومحركات الطائرات ، ليقلل ما يتآكل منها باحتكاك حبات الرمل التى تدخل مع الهواء . وهو قائم على مبدأ القوة الطاردة عن المركز ، وينقى الهواء على منوال لا تجاريه فيه أحسن مرسبات الغبار .

أنشأ يلوت طائفة من هذه الأجهزة المرسبة بين حجرة الاشتعال والمحرك . وقد أسفر ذلك عن أن الهواء الذى ينفثه المحرك أنقى وأصفى من الهواء الذى يدخله ، كما يقول يلوت . وإذا صاحبَ التوفيق تجارب أخرى تجرب الآن فى جامعة برديو ، كانت دقائق الغبار التى ترسبها هذه الأجهزة صالحة لطلاء حواجز خطوط السكك الحديدية ، فتوفر ما تحمله كلُّ قاطرة من رمل تبلغ زنته طنين .

وقد اجتمع فى هذا المحرّك من المزايا ما يجعله منية رجال السكك الحديدية . وتدلُّ الحسابات على أن التصميم الذى صنعه يلوت لقاطرة سوف تبنى قريباً ، يجعل قدرتها ثلاثة أضعاف قدرة القاطرة الشائعة التى تتحرّك بالبخار أو أربعة أضعافها . ولن يكون فى هذه القاطرة ماء — وهذه مزية عظيمة ، ولاسيما فى الفيافى التى لا ماء فيها ، ونفقة صيانتها أقل ، إذ ليس فيها مراجل تنبغى مراقبتها وتنظيفها ، وأجزاؤها المتحركة قليلة العدد . وهى مدمجة التركيب ، فإذا صنعت واحدة منها فى نصف حجم قاطرة ديزل الكهربائية ، كانتا متساويتين فى القوة التى تولدانها ، وهى تصلح لأى ضرب من الفحم ، حتى الفحم الرخو الرخيص .

ومن مزايا هذا المحرك أيضاً مزية ظفرت بإعجاب رجال السكك الحديدية ، وقد لاحظها أولا قائدو الطائرات النفاثة فى الأقاليم الشمالية. فحين يمتص تربين الغاز هواء بارداً تزداد قوته بمقدار ٥٠ فى المئة ، إذ كان الهواء البارد أكثف من الهواء الساخن أو الدافىء، ففى الوسع أن يضغط منه مقدار أكبر فى جهاز الضغط بقوة أقل . وهذا يطابق ما هو معروف من أن جر القطار فى الشتاء يقتضى قوة أكبر ، لأن زيت التزييت يكثف أو يتجمد ، وأحياناً يلصق الجمد عجلات قطار واقف بالخط الحديدى ، فالمحرك الجديد يزداد قوة من تلقاء نفسه فى الشتاء حين يأخذ الهواء البارد ، فيعطى القاطرة الزيادة اللازمة من القوة لدفع القطار أو بدء الحركة به .

ولا يزال محرك الديزل أحسن المحركات قدرة فى العالم ، فيولد طاقة تبلغ ٣٦ فى المئة من الطاقة الكامنة فى وقوده ، أما محرك الغاز فيولد ٢٤ فى المئة ، وأما القاطرة البخارية فلا تولد أكثر من ٨ فى المئة ، ولكن ثمن الفحم اللازم لتحريك محرك الغاز الجديد لا يزيد على ثلث ثمن الزيت اللازم لمحرك ديزل ، وكذلك تتعادل المزايا فى المحركين .

وتربين الغاز الذى يتحرك بمسحوق الفحم ينبغى أن يكون خير محرك يصلح لمحطات توليد الطاقة حيث يكثر الفحم ويقل الماء ، ويمكن صنعه بحيث يولد قوة ٥٠٠ حصان أو قوة ١٠٠٠٠ حصان ، فهو كفيل أو خليق بأن يعيد الفحم مصدر الطاقة الأول فى السفن التى تمخر البحار السبعة. وقد أمرت شركات السفن ببناء تربينات البنزين لسفنها فإذا تحولت إلى تربينات الفحم وفرت مالاً كثيراً . وربما كانت الزوارق القاطرة فى المرافىء هى أول منتفع بهذه القوة الجديدة.

والعلماء مكبون على دراسة ما للمحرك الجديد من منافع أخرى ، وقد شرعوا يصنعون موقداً للبيت يغذى بتيار مندفع من الفحم المسحوق الذى يباع فى علب محكمة الإقفال ، وحين يوقد يحترق كله فلا يولد دخاناً ، وأما دقائق الرماد فتزال بجهاز شبيه بجهاز أيروتيك ، ويومئذ يكون للمواقد أنابيب يخرج منها العادم ، لا مداخن تنفث الدخان فى الهواء .

وإذا استثنينا الطاقة الذرية التى لم يتحقق الانتفاع بها فى الصناعة حتى اليوم ، كان صنع تربين الغاز أعظم ما تم فى توليد الطاقة فى القرن العشرين . فالمحرك الجديد الذى صنع للانتفاع بالفحم الكثير ، وتوفير موارد الزيت الآخذة فى النقصان، قد يكمل الانقلاب العظيم الذى بدأ باختراع تربين الغاز*.

* عاصفة فى صندوق ـ المختار فبراير ١٩٤٤ ص ٤١

# ملك الجزيرة العصامى

نويل ف. بوش • مختصرة من مجلة "لايف"



منذ سنوات، بينما كان عبدالعزيز بن سعود ملك الدولة العربية السعودية، ذاهباً إلى مكة حاجا على عادته فى كل سنة، انفجرت عجلة فى سيارته الباكار، فقعد جلالته على الرمل ريثما تصلح، فمرّ به راع على جمل وسأل عن الملك هل مر؟ فسأله ابن سعود، وقد رأى أن البدوى لم يعرفه، عن الباعث له على استفساره.

فقال الرجل: «إنى سمعت أنه فى طريقه إلى مكة، فقلت عسى أن يجود على بشىء من المال فأحج أنا أيضاً»

ففتح الملك كيساً فيه نقود ذهبية يحتفظ به لمثل هذا الطارىء، ونفحه بحفنة، فحدق الرجل فيها ثم نظر إلى الملك، وقال:

«شكراً لك يا عبد العزيز. لم أعرف وجهك ولكن جودك عرّفنى بك».

وهذه المقابلة تعد مظهراً دالاً على الملك وعلى بلاده كذلك. فإنه لما كان شبه جزيرة العرب ليس فيها سنما أو صحف سيارة، فإن رعايا ابن سعود لا يعرفون وجهه، غير أن هذا الراعى حين دعا الملك باسمه الأول لم يخرج عن العرف ولا خالف التقاليد.

فليست بابن سعود حاجة إلى المراسم الدقيقة التى تحجب فى الممالك الدستورية انعدام السلطة الحقيقية، ذلك أنه ملك مطلق، وأوسع أقرانه الأحياء سلطاناً فى هذا العصر. وهو يجمع فى يده وظائف الإمام، ورئيس الدولة، وقاضى القضاة، ورئيس الوزارة، ووزير الخزانة، والقائد الأعلى، والقاضى المركزى، ورئيس الشرط، وبابه مفتوح لكل امرىء تقريباً، وهو يستقبل جمهوراً كبيراً من رعاياه كل يوم فى قاعة العرش بقصره فى الرياض.

وتشبه قاعة العرش فى مظهرها قاعة الملك كول القديمة كما تبدو فى صورتها المألوفة، سوى أن على المنضدة إلى جانب الملك

---

نويل ف. بوش من كبار محررى مجلة «لايف». وقد كتب هذا الفصل بعد أن زار البلاد العربية السعودية ونزل ضيفاً على ابن سعود، وقد قضى خمسة أيام فى الرياض وحولها، مرتدياً الثياب العربية، وكان نازلا بقصر ولى العهد.

تلفوناً وجرساً كهربائياً . وإلى يمين جلالته « خلوة » يجلس فيها أكابر رجال البلاط وبعض أبناء الملك الكبار حيث يستطيعون أن يتحدثوا فيما بينهم ، ويكونوا على كثب منه إذا دعاهم . وقد بلغ ابن سعود السابعة والستين . وهو يمشى متمهلا قليلا لجراح قديمة فى بدنه من السيف والرصاص ، ولكنه على هذا يبدو أصغر مما هو. ومرجع ذلك من بعض الوجوه إلى صوته العميق وإيماءاته السريعة المعبرة ، وإلى هيئته التى تنم عن قوة الاستجابة ، ولعل ذلك راجع أيضاً إلى أنه من أبناء عالم جديد .

وإذا قيس ابن سعود بما فعل من ضم أكبر دولة عربيــة مذ ظهر محمد صلى الله عليه وسلم قبل ١٣٧٠ سنة ، فإنه يقف فى صف واحد مع أعظم رجال عصره ، وهو من أكبر رجالات العالم العربى . ولما كان فى يديه المدينتان المقدستان ، مكة والمدينة ، فان له المكان الأول، لا بين ثلاثين مليوناً من العرب فى الشرق الأدنى وحسب ، بل بين ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٥٠ من المسلمين موزعين فى أرجاء العالم .

وتعد الدولة العربيــة السعودية ، من الوجهة العملية ، بلاداً موصدة فى وجه العالم الغربى ، فما زار حصونها الصحراوية فى العصر الحـديث سوى مئة من الأوربيين والأمريكيين أو أقلّ . على أن موقع شبه الجزيرة وإشرافها على طريقين من الطرق الثلاثة إلى الشرق الأدنى جعلاها عاملا جوهريا فى خطط الأمم المتحدة لتموين روسيا والهند والشرق الأدنى أيضاً خلال الحرب . يضاف إلى ذلك أنه أنشئت فى جزيرة البحرين فى الخليج الفـارسى وعلى شاطىء بلاد العرب القريب منها محطات كبيرة لتزويد قوات الأمم المتحدة بالبترول .

وقد احتفظ ابن سعود فى الحرب العالمية الثانية بالحياد والمودة ، كما فعل فى الحرب العالميــة الأولى التى سبقت استيلاءه على البلاد المقدسة ، فكان هذا من حسن حظ البريطانيين ، لأنه لوكان ابن سعود قد انضم قبل الحرب إلى المحور الذى لم يدخر جهداً لحمله على ذلك ، لكان من العسير ، إذا لم يكن من المستحيل، إخراج الإيطاليين من الحبشة وإريتريا . ولو أن ابن سعود تردد ، لكان من المحتمل أن تفضى الثورة التى قامت فى العراق سـنة ١٩٤١ ، والتى تحولت فصارت تمهيداً لدخول العراق فى الحرب إلى جانب الأمم المتحدة ، إلى نتائج أخرى مختلفة جدا .

وقد أظهر ابن سـعود فى إيمانه بالأمم المتحدة وتأييده لها ، شجاعة وفطنة وبعد نظر ، لما بلغ روميل ضواحى الإسكندرية

فى سنة ١٩٤٢، وقد كفى الله الجميع السوء. وصار من أجل ذلك ينعم بشكر الولايات المتحدة وإنجلترا ، فى صورة شحنات من الذهب والغلال والسيارات بمقتضى قانون الإعارة والتأجير ، وبشكر رعاياه الذين ينتظرون منه، فى مقابلة السلطة التى يتولاها، أن يكون ركيناً حصيفاً لا خلل فى تدبيره ، وأن يجنوا هم ثمار عقله وحكمته .

ولم تبلغ بلاد العرب تحت حكم ابن سعود ما بلغته الأمم الأخرى من الرخاء والثقافة ، وقلما يحتفل رعاياه بالنعم المادية كالطائرة مثلا. وقد حدث منذ عهد قريب أن طيارا رأى إحدى مضخات البنزين القليلة فى الصحراء فهبط إلى الأرض ليتزود ، فلم يزد البدوى الذى ملأ له خزانه ، على أن قال فى تقريره: إن « إحدى السيارات » التى مرت به فى ذلك اليوم وقفت عنده ، واستأنفت سيرها جواً بدلاً من السير على الأرض .

وابن سعود رجل عصامى كوّن نفسه وسوّدها على غرار الأبطال ، ففى سنة ١٨٨٠ — عام ميلاده — كان شبه جزيرة العرب اسماً جزءاً من الدولة العثمانية ، وكان الواقع أن هذه الصحراء المتقاذفة معزولة عن العالم بأسره ، مُسوّرة دونه ، كأنها صحيفة مختومة . وكان الفرسان يثيرون المعارك فيما بينهم ، ويقتتلون فى السهول المبسوطة التى تضربها الشمس وتخترقها الرياح ، أو فى الدروب المظلمة فى المدائن المسورة ، ويتطاعنون بالسيوف أو الرماح، ويصيحون صيحات الحرب التى لم تسمعها أوربة منذ زمن بعيد .

وفى إحدى هذه الحروب استطاع الجد الأعلى لابن سعود أن يفتح معظم شبه الجزيرة . غير أنه لما كانت سنة ١٨٨٠ ، تضاءل ملك آل سعود حتى صار لاشىء ، وكان آل رشيد هم الذين انتزعوا منه ما كان له وقبل أن يبلغ ابن سعود العاشرة رأى جماعته كلها تطرد وتنفى من الأرض وتفتقر بعد غنى . وقد نشأ ابن سعود على أن عليه أن يسترد كل ما كان لآبائه من الأرض .

وقد خطا الخطوة الأولى لما بلغ الحادية والعشرين ، وأتى فيها بما لا يكاد يصدق من الإقدام والجرأة ، إذ استولى بعشرة رجال ليس إلا على مدينة الرياض ، وظل بعد ذلك خمسة عشر عاماً يدفع عنها آل الرشيد الذين ألحوا فيما حاولوه من إخراجه منها . وكانوا فى الحرب العظمى الماضية قد انضموا إلى الأتراك ، فانتهى بهم الأمر إلى زوال عهدهم ، وفى سنة ١٩٢١ أخذ ابن سعود من بقى منهم أسرى . ولما كان ابن سعود من أشد المؤمنين العاملين بمبدأ الإحسان إلى العدو المقهور ، فقد حمل

أسراه إلى عاصمته حيث لا يزالون يعيشون ، ويذهب الأمراء منهم إلى نفس المدارس التي يذهب إليها أبناؤه ، ويتسابق هؤلاء وأولئك على ظهور الجياد ، ولكنه لا يجوز لفتيان آل رشيد أن يتزوجوا من بنات آل سعود ، وإن كان لشبان آل سعود أن يتزوجوا من بنات آل رشيد .

وفي شبه الجزيرة ثلاث مناطق رئيسية . وقد استولى ابن سعود بعد قضائه على آل رشيد ، على المنطقة الوسطى في سنة ١٩٠١ وتسمى نجدا ، وبقي عليه أن يستولي على الأخريين — الحسا على الشاطىء الشرقي (وقد استخلصها من الأتراك في سنة ١٩١٤) والحجاز على الشاطىء الغربي (وقد انتزعها من ملك الحجاز في سنة ١٩٢٦) . وباستيلائه على الحجاز ، وفيه الأرض المقدسة على ساحل البحر الأحمر الأوسط ، أتم استرداد ما كان لآل سعود قديماً ، ونودي به ملكا على الدولة العربية السعودية ، ودخل مكة المحرّمة محرماً خاشعاً متواضعاً لله .

وكانت السيارة أول ما اتخذ ابن سعود وأدخل في بلاده من مخترعات الغرب ، ومع أن بقية أهل الجزيرة — ولم يجر في بلادهم إحصاء قط ، ولكنهم يبلغون زهاء أربعة ملايين — لا يملكون إلا بضع مئات من السيارات ، فإن للملك الآن ألف سيارة أو أكثر . فإذا قصد إلى مكة بأسرته الضخمة ، على عادته في كل عام ، سار في قافلة من السيارات تبلغ عدتها حوالى خمسمائة من أنواع شتى ، وفيها الخدم والحشم والحرس والطهاة وضاربو الخيام ، والميكانيكيون ، وقطع التغيير ، وقطعان الغنم وأسراب الدجاج والطيور ، وغير ذلك مما يؤكل أو يستهلك في الطريق .

وتستقبل مكة حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ من حجاج المسلمين يفدون إليها في كل عام ، وذلك من أكبر شئون الدولة وهو أعظم مواردها . وكان الحجاج في الزمن القديم يعدون صيداً مباحاً للصوص وقطاع الطرق ، فكانوا لا يجرؤون على قطع المسافة بين جدة ومكة — وهي خمسون ميلا — إلا ومعهم حرس مسلح . وكانت العادة أن لمن يفتقر إلى شيء أن يغتصبه ممن عنده هذا الشيء . بفضل الله ، فأعاد الملك للحج كرامته وجلاله ، وقطع دابر اللصوص وقطاع الطريق ، وأحيى ما تقضي به الشريعة من قطع يد السارق وضرب عنق القاتل ، زيادة في الزجر عن العدوان .

وتؤدي كل من الحكومة البريطانية وشركة « كاليفورنيا أرابيان ستاندارد أويل » نحو ثلث جملة الدخل الملك ، ولما كانت الحرب قد أدت إلى نقص كبير في عدد الحجاج فإن العجز — إذا كان هناك عجز —



بسده هذان المصدران . ويتصرف الملك فى الأموال بغير ميزانية .

والطعام الشائع هو الأرز ، والشراب العام هو القهوة ، وكلاهما مما يستورد . ومن أجل هذا صار الهم الأكبر للملك فى الوقت الحاضر هو زيادة الثروة الزراعية للأمة. وقد ذهبت إلى شبه الجزيرة فى شتاء سنة ١٩٤٢ بعثة من وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة برياسة المستر ك. س. تويتشيل ، وهو من أعرف الخبراء بشبه جزيرة العرب ، وطافت بأرضها وقطعت عشرة آلاف من الأميال ، لدرس التربة . ويقوم وزير مالية الملك فى الوقت نفسه بتجربة واسعة النطاق لإصلاح الأرض على مسافة غير بعيدة من الرياض حيث توجد آبار طبيعية تجعل من الميسور زراعة ٢٥٠٠ فدان أو نحو ذلك من أرض خصبة تنبت الحبوب والخضر .

وقد استعان ابن سعود بتحسين المواصلات فى مملكته على نشر إصلاحاته وتعميم الفائدة منها . وهو يتخذ من الراديو والتلفون اللاسلكى أداة للوقوف على مايحدث والإحاطة بما يجرى فى بلاده بدقة عجيبة . ومع أن البدو أن يذهبوا حيث يشاءون بقطعانهم ، إلا أن السياح لا يستطيعون أن يتنقلوا إلا بإذن من الملك نفسه ، ويقوم عماله بإبلاغه أخبار انتقالهم من مكان إلى مكان .

ولا شك أن إدارة شئون بلاد كبلاد العرب ، كأنها دكان فاكهة ، يكلف الملك جهداً جاهداً . فبعد أن يتلو القرآن ساعة أو حوالها قبل الفجر ثم يصلى الصبح ، يستحم ويتطيب بعطر الزهر الذى يحبه ويؤثره أشراف العرب ، ويشرب القهوة والشاى ، وبعد أن يفطر يذهب إلى البلاط ويدعو اليه وزراءه واحداً واحداً ليقف على ما جرى بعد آخر نهار . ويتفاوت ما يتلقاه من الأنباء ، من فتنة بين قبائل الشمال ، إلى سيارة تعطلت فى الوحل فى طريقها إلى الرياض .

وفى القصر الآن جماعة من المترجمين يستمعون إلى مايذاع من الأخبار الخارجية ويترجمونها ويحملونها إلى الملك فى أوقات منتظمة كل يوم . ولما كان الملك ذا خبرة عظيمة بالحرب فإنه كان يعرف، على الأرجح عن سيرها أكثر مما كان يعرفه معظم الموظفين فى وشنطن .

ويحسب العرب الوقت ابتداء من طلوع الشمس لا من نصف الليل ، فإذا كانت الساعة الثالثة ، أى بعد القيام من النوم بأربع ساعات ، فإن الملك يكون قد فرغ من الإشراف على الأعمال الإدارية المستعجلة وعاد إلى شرب القهوة والشاى . والقهوة



العربية مرة كثيرة الأفاويه ، وهى تحتسى فى فنجانات كالطاس ، يصب فيها ملء ملعقة كل مرة ، أما الشاى فيحلى بالسكر قبل تقديمه ، ويشرب فى أكواب أطول . ومتى أمال الملك الفنجانة كأنما يريد أن يفرغ آخر قطرة فيها على السجادة ، فهو عندئذ قد تهيأ لاستقبال الزوار .

ويصلى الملك الظهر فى المسجد ، وكثيراً ما يلقى عظة مستمدة من آية من القرآن ، ومن أبرع ماله فى هـذا الباب ، مافسر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » . قال الملك : « إن المعنى هو أن الخيرين قد يغترون فيرتكبون إثم الكبر والزهو ، وإن أهل الشر أمامهم على الأقل باب التوبة »

وضيوفه كمعظم من يزورون عاصمة من العواصم ، ينشدون جوده ، وقد أعد كل منهم ملتمساً بما يبغى . ويأخذ الشيوخ هذه الملتمسات ويرتبونها على حسب شأنها ، ويعرضونها على الملك بعد الغداء ، فيفصل فيها . فإذا كانت المغرب أقبل زواره ليرفعوا إليه شكرهم له على ما جاد به عليهم أو ليستزيدوه . ويحرص الملك على أن لا يغادر الرياض زائر بغير هدية مناسبة . وقد أعد لكبار الأجانب أو المشايخ الساعات والعباءات والقطع الذهبية . أما الفقراء فقد أعد لهم مطبخاً هائلا يستطيع أى بدوى أن يحصل منه على طعامه .

وقد تحرى الملك والتزم ما فرضه القرآن من قيود على الزواج ، ولكنه أيضاً استعمل ما أباحـه من الطلاق ، فمع أنه لم يتخذ قط أكثر من أربع زوجات فى وقت واحد إلا أنه تزوج من مئة إلى مئتين فى حياته مذ بلغ مبالغ الرجال . ويعيش كثير من مطلقاته فى أجنحة مجاورة لبلاط الملك . ويجرى الأمر بين زوجاته ومطلقاته وجواريه على حد المساواة .

ويُعدُّ التقدير الشائع بأن عدد أبنائه الأمراء الذين رزقهم من الزواج ٣١ ، مفرطاً فى الاعتدال . ويتولى ابنه وولى عهده الأمير سعود منصب حاكم الرياض . أما ابنه الثانى الأمير فيصل ، وهو من أكبر من يثق بهم الملك ، فهو وزير الخارجية ، ويقضى معظم وقته فى جدة على البحر الأحمر وهى المدينة الوحيدة فى بلاد العرب التى يسمح للأجانب بالإقامة فيها .

ومع أن ابن سعود من أوفى المؤيدين لبريطانيا ، إلا أنه ليس أقل من ذلك ميلا إلى الأمريكيين وإيثاراً لهم ، وهم شركاؤه فى

الشركتين الأجنبيتين الوحيدتين اللتين تعملان فى بلاده ، وإحداهما نقابة التعدين العربية السعودية ، وهى تعمل لاستخلاص الذهب من حفائر تعالج من قديم الأزمان .

على أن أكبر شركة تعمل فى شبه جزيرة العرب هى بلا مراء ، شركة « كاليفورنيا أرابيان ستاندارد أويل » التى يعد مجهودها رائعاً حتى فى بلاد مثل كاليفورنيا نفسها ، دع عنك بلاد العرب التى تتمثل ثروتها السائلة فى بضعة أقداح من لبن النياق . وقيامها هناك من دواعى الارتياح لأسباب عدة ، فضلا عن الأسباب المالية ، ذلك أن مراكز آلاتها فى الظهران تصلح أن تكون قواعد قريبة لأعمال الصيانة اللازمة لسيارات الملك . ثم إن مهندسيها يبذلون معونتهم لمشروع استصلاح الأرض فى الخرج ، وغير ذلك من وجوه التعمير الكثيرة .

وقد كانت آبار الماء القريبة العمق أكبر مشكلات بلاد العرب منذ فجر التاريخ . ومن البديهى أن حفر الآبار يعد لعبة أطفال فى نظر مستنبطى البترول ، وقد صار حفرها للملك عملا سهلا عليهم يضيفونه إلى حساب العلاقات الحسنة بينه وبينهم .

وقد أثمرت معاملات هاتين الشركتين مع جلالته ، ثمرة طيبة لحكومة الولايات المتحدة ، ذلك أن المودة بين الملك والولايات المتحدة تعد إلى حد ما ، امتداداً للمودة بين الملك وممثلى الشركتين .

وخير ما يتحلى به الملك من الصفات إيمانه السامى بالخير عاجلا أو آجلا ، فلم يدهشه أن الله الذى ساق إلى بلاد العرب ماء السحاب فيما مضى ، قد هيأ لها الآن هذا البترول الجديد . ولن يدهشه أن يهيىء الله الخير للناس وييسر قيام عالم نزيه وضّاء .



### قوة الايحاء

عزم علماء جامعة شيكاغو أن يجروا تجربة يمتحنون بها الرأى القائل بأن القهوة تمنع النوم ، فأعطوا طائفة من الناس مقداراً من القهوة ذات ليلة ، ثم أعطوهم فى الليلة التالية وفى الوقت نفسه مقداراً من اللبن . فأجمعوا على أنهم كانوا أسرع إلى النوم فى الليلة الثانية ، وأنهم على يقين من أن القهوة أرقتهم فى الأولى . فقيل لهم إن اللبن الذى شربوه فى الليلة الثانية كان يحوى من الكافيين ثلاثة أضعاف ما كان منه فى قهوة الليلة الأولى . [ لنرد ليونز ]

# القحط العظيم

مختصرة من
مجلة "فيوتشر"

فردريك سوندرن

تأبى الطبيعة فى كل قرن من الزمان أو نحوه ، إلا أن تحدث اضطراباً فى أحوال الجوّ ، وفيما يرتبط بها من موارد الطعام فى العالم . وسرّ ذلك لايزال محجوباً عن علماءِ الظواهر الجوّية ، بيد أن اضطراب الجوّ لم يحدث فى العصور الحديثة من بالغ الأذى للنبات والحيوان والإنسان ، من كلكتة إلى رأس هورن فى أمريكا الجنوبية ، مثل الذى أحدثهُ فى السنتين الأخيرتين .

وقد كان من بلاءِ الحرب العالمية الثانية وأثرها أن تفاقمت هذه المجاعة العظيمة لتقطُّع أسباب النقل، وتحوُّل مئات الألوف من الفلاحين إلى جنود ، وخراب مساحات واسعة من الأرض الخصبة . وتوالت على الدنيا سلسلة من الكوارث لم يتنبه لها أحد فى سورة الحرب ، فأحالت الناس فى أرجاء كثيرة من العالم ، هياكل بشرية متحركة تتهاوى على جنبات الطرق وتموت . وقد قال أحد خبراءِ الطعام فى لهجة المتفجّع : « يكاد يخيَّل إلى أن الطبيعة قد عزمت على إنزال العقاب بنا وفقاً لخطة محكمة » .

فى أوائل سنة ١٩٤٤ ( فصل الصيف فى نصف الكرة الجنوبى ) أطبق قحط عظيم على بلاد أمريكا اللاتينية جميعاً ، وكان الفلاحون ، من كوبا إلى أقصى جنوب الأرجنتين قد ألفوا تعاقب فصول السنة تعاقباً محكماً ، بيد أنهم ظلوا يرمقون السماء عسى أن يروا ما يبشر بالغيث ، ولكن سُدًى ، حتى ذوت الذرة والحنطة على على عيدانها ، ولم تجد المواشى ما تأكله سوى حشيش جافّ أسمر ، فنفقت قطعان كبيرة منها جوعاً ، فكان ذلك أفدحَ قحطٍ نزل بشقّ الكرة الجنوبى منذ ٨٦ سنة .

والعلماء لا يستطيعون حتى اليوم أن يعرفوا ما حقيقة الأسباب الجوّية المعقدة التى تحدث القحط ، ولكنهم يعلمون علم اليقين ما يجره القحط على الزراعة من شر بعد شر . فأول ذلك انحباس المطر عن الهطول فى موعدِه ، وآخره موت الناس جوعاً ، وتقلّ الحبوب التى يصنع منها الخبز ، ويرتفع ثمن الذرة والحنطة وغيرها من الحبوب التى تتخذ علفاً للمواشى

والدواجن ، وحتى ترى صاحب المزرعة يعلف مواشيه ثلاثة أرطال ونصف رطل من الحبوب لكى يظفر برطل من لحم البقر ، ويغذى دجاجه بخمسة أرطال ونصف رطل منها حتى يصيب ما زنته رطلا من البيض .

وحين تقلّ موارد الحبوب ، تقتضى الحالة الاقتصادية الانتفاع بالحبوب فى صنع الخبز والطعام دون العلف ، لأن ذلك ييسر تغذية عدد أوفر من الناس . فيضطر الفلاح وصاحب المزرعة عندئذ أن يذبح مواشيه ، فيكثر اللحم فى أول الأمر ، ولكنها كثرة خادعة تعقبها قلة ، لأن مقادير اللبن والزبد والبيض لا تلبث حتى تقلّ ، ثم ينقطع إنتاج اللحم وما يصاحب اللحم من مواد غذائية لا غنى عنها ، كالشحم والدهن وغيرها . ثم يبلغ الشر ذروته فى البلاد التى لا تزال على الفطرة ، حيث يعتمد الناس على مواشى اللحم فى النقل والحرث ، بدلا من اعتمادهم على الحصان والجرارة . فذبح الماشية فى شمال إفريقية والهند والصين ، يقتضى من الفلاح الجائع أن يجرّ المحراث بحبل مشدود إلى عاتقه المتهالك ، فتقلّ المساحة التى يحرثها ويزرعها قلة مطردة .

فنى جمهورية الأرجنتين ، وهى أكبر أرض تصدر الطعام فى قارة أمريكا الجنوبية ، نقص إنتاج اللحم خلال سنة إلى ٦٠ فى المئة من محصولها المعهود ، وهبط محصول الذرة إلى الثلث أو أقلّ ، ودعت الحاجة إلى ذبح معظم الخنازير . فلما نقصت حكومة الأرجنتين ما تصدرهُ من اللحم والشحم والحبوب نقصاً كبيراً ، أصابَ بريطانيا ، وهى فى طليعة الدول التى تستورد هذه المواد من الأرجنتين ، أذى بليغ . واقتضت ضرورات السلامة الحربية يومئذ أن تمتنع الصحف عن الإشارة إلى ذلك ، وعمد وزير الطعام فى لندن إلى خفض جراية الشعب .

وفى الوقت نفسه قلّ محصول قصب السكر فى كوبا ، فاضطربت موارد هذه المادة الغذائية فى العالم كله . وواجهت المكسيك وسائر بلاد أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية نقصاً ذريعاً فى المخزون من طعامها ، فاستغاثت بالأرجنتين والولايات المتحدة أن تزيدا ما تصدرانه إليها ، بيد أن الطبيعة كانت يومئذ قد شرعت تهجم هجومها .

فعلى ساحل إفريقية الشمالية ، أطبق جفاف شديد على الجزائر وتونس ومراكش . وهذه البلاد الخصبة لا تنتج ما يسد حاجة أهلها وحسب من القمح والشعير وزيت الزيتون والضأن والفاكهة والخضر ، بل تصدر أيضاً ما يزيد عن حاجتها إلى فرنسا وسائر بلاد البحر المتوسط . وقد تأخر

مطر الخريف فى سنة ١٩٤٤ عن موعده، فألفى الفلاح العربى المطـــر المتأخر يغمر حقوله فى زمن زرعها زراعة الخريف، ولم يكد يبذر بذوره فى الأرض فى أشـق الأحوال، حتى منعت السماء ماءها وغيثها.

فما وافت نهاية سـنة ١٩٤٥ حتى كان محصـول حبوب الخـبز فى هذه الأقاليم الإفريقية الثلاثة، قد هبط من ٤ ملايين طن إلى مليون أو أكثر قليلا. ومليون طن من القمح تكفى لتزويد عشرة ملايين من الناس بالخبز سنة واحدة، فنقص هذا المحصول هـذا النقص الفاحش، قد ترك ثلاثين مليون من الرجال والنساء والأطفال فى بلاد البحر المتوسط بلا خبز، إلا أن يأتيهم الفرج من مصادر أخرى. ثم إن نصف الماشية فى شمال إفريقية نفق أو ذُبح. أما محصول الفول السـودانى والزيتون، وهما مصدر زيت الطعام، فقد هبط هبوطاً ذريعاً، وانقطع إصدار الطعام بتاتاً أو كاد.

ودبّ هذا الشلل دبيبه فى أنحاء إفريقية الجنوبية كله، فقد ذوى نصف محصول الذرة الذى يعتمد عليه أهـل البلاد الأصليون، وهم كُثر، فى الظفر بطعام لا يكاد يقيم أوَدهم، ونقص محصول القمح إلى النصف أيضاً، وقلت غلة البطاطس والفول. فما وافت نهاية سنة ١٩٤٥ حتى اضطرت إفريقية الجنوبية أن تبتاع طعامها من الخارج.

أما أسـتراليا، أغنى البـلاد التى تنتج الحبوب والسكر واللحم والفاكهة واللبن والزبد والجبن للشـعوب التى تقطن حول المحيط الهادى الجنوبى والمحيط الهنـدى، فقد نزل بها المحْل الشـديد. فكانت سماؤها فى ربيع ١٩٤٤ صافيةً لا غيم فيها ولا سحاب، وكانت شمسها كأنها جمرة نار. فنفق الضأن الذى تستورد بريطانيا لحمه، وقلت غلة الحبوب، وأخذ الأستراليون، لأول مرة فى تاريخهم يصطفون صـفوفاً ليظفروا ببطاقات الطعام، وكانوا يرسلون إلى إنجلترا كل ما يستطيعون أن يستغنوا عنه، ولـكنه لم يكن كثيراً.

وبعد ما سرى الشلل فى أمريكا الجنوبية وإفريقية وأسـتراليا، زحف القحط على أوربة نفسها. فهطل المطر مدراراً فوق بلاد الدانوب ــ وهى أهراء أوربة الوسطى ــ فى الأيام التى يتخذها الفلاحون لزرع الخريف وزرع الشتاء. وتلا هذا السيل المدمر جفاف دام إلى آخر صيف ١٩٤٥، فكان أفدح جفاف فى تاريخ أوربة الحديث.

فنقص محصـول القمح الهنغارى نقصاً كبيراً، وهبط محصول الذرة إلى أقل من النصف، وقلت محاصيل البطاطس فى أوربة الوسطى كلها. ولما كان الخبز والبطاطس

عماد طعام أهالى أوربة الوسطى ، فقد جاء هذا القحط ضربة قاصمة لشعوب أضنتها الحرب . وحدث مثل هذا فى إيطاليا وإسبانيا وهولندة ، وهبطت مقادير الطعام المتاحة إلى أدنى حد .

بيد أن الطبيعة لم تكن قد أفرغت كل مافى جعبتها ، فكان آخر سهامها ما أصاب الهند وسيلان وبرما ، فإن المطر الذى يهطل فى تلك الرقعة من الأرض بين ديسمبر ومارس لم يهطل قط لا فى سنة ١٩٤٤ ولا فى سنة ١٩٤٥ ، وصار محصول الأرز فى الهند أقل بثلاثة ملايين طن عن مقداره المعتاد . وأما برما ، أكبر أرض تصدر الأرز لجيرانها وهو عندهم فى منزلة القمح فى الغرب ، فلن تستطيع أن تصدر شيئاً منه فى هذه السنة ، أى أن كثيرين سيموتون جوعاً فى الطرقات والحقول . ومما يزيد الطين بلة أن طاعون المواشى المخيف قد فتك بعدد وافر من الحيوانات اللازمة للزراعة .

أما الولايات المتحدة وكندا وبعض الشرق الأوسط فقد نجت . وانظر إلى مجلس الطعام المشترك فى وشنطن الذى ينظم توزيع الصادرات ، تر رجاله وخبراءه يكدحون كدحاً فى تدبير نقل الطعام من مكان إلى مكان لكى يمنعوا خطر المجاعة ، ولكن لا بدّ من أن تنقضى سنوات قبل أن يفيق العالم من الضربة التى سددتها إليه جوائح الطبيعة .

## قبلة فى الظلام

المشهد فى غرفة قطار يجتاز رومانيا فى أثناء الحرب . والأشخاص : ضابط ألمانى ، وضابط رومانى ، وسيدة عجوز ، وفتاة حسناء .

يدخل القطار نفقاً ، فيسمع الركاب صوت قبلة أولا ، ثم صفعة قوية . ويخرج القطار من النفق إلى ضوء النهار ، فيلتزم كل راكب السكوت ، ولكن حول عين الضابط الألمانى هالة سوداء .

تقول العجوز : إنها فتاة كريمة الأخلاق .

تقول الفتاة : ترى لماذا حاول أن يقبل العجوز دونى ؟

يقول الألمانى : هذا الرومانى بارع ، يفوز هو بالقبلة وأصفع أنا .

يقول الرومانى : أنا رجل بارع حقاً ، أقبل ظهر يدى وأصفع الألمانى ثم أنجو !

الشخصيات التي لا تنسى :

# أبي

سيجرد توكفسيج



أبى يأبى أن يبعث بأبنائه إلى المدرسة ، وإن كانت مدارس الدنمرك حسنة حتى قبل نصف قرن . وكان يقول إن الأطفال فى الفصول الكبيرة يضطرون أن يحفظوا معظم الأشياء عن ظهر قلب ، فتكون النتيجة أن لا يحدث شيء يستحق الذكر داخل رءوسهم . وقد كان هو مدرساً ناجحاً قبل أن يصبح محرراً لصحيفة يومية فى بلدة دنمركية صغيرة ، وكان هو يعلمنا بنفسه على الرغم من مشاغل حياته .

وكان يقول لنا كثيراً : « ليس عليكم أن تستظهروا شيئاً سوى حروف الهجاء وجدول الضرب ، فإن كل شيء فى الكتب إذا عرفتم كيف تستعملونها » .

وقد تعلمت القراءة وأنا ما زلت أجلس على قدمه فيرفعها بى ، وسرعان ما أخذ بعد ذلك يهدى أصابعى الصغيرة فى كتب المراجع التى عنده ، وما أحسب أن طفلا آخر أولى منى بشكر أبى على ماعلمنى من المراجعة والبحث .

وكان أبى شغوفاً بمصادقة الناس والحيوانات . فيدخل مثلاً مركبة قطار ، ويكون هناك رجل آخر منطو على نفسه ، وبعد لحظة ، إذا لم يقابل الرجل ابتسامة أبى بمثلها ، يعلق أبى على شيء غير عادى يراه من النافذة . وقد يتمتم الآخر ، ولكن أبى لا يزال به حتى يهتدى إلى الموضوع الذى يكون هذا الرفيق أدرى به .

وبعد ذلك يتدفق الحديث ، ويشعر الرجل أنه محل تقدير ، فينطلق بحريته ، ويستفيد أبى فهم جانب جديد من الحياة أو الطبيعة الإنسانية .

وكان دائماً يقص علينا القصص قبيل النوم ، وكان أحبها إلينا عن الأيام التى كان فيها أبى صبياً يرعى البقر على المرج . وكان وحده طول النهار ، فدرس الحيوانات والطيور والحشرات ، وكان يجيد تمثيل سلوكها لنا ، حتى لكنا ننعم بحيل الثعلب والكروان والعنكبوت .

وأحسبنا كنا رقيقى الحال ، ولكن كل

امرىء كان فى مثل حالنا تقريباً . وكان دخل أبى من الجريدة نحو ستمئة ريال فى العام، وكان هذا المبلغ يعادل فى ذلك الوقت من حيث القدرة على الشراء نحو ألفى ريال فى الولايات المتحدة . وكان لنا خادم ، وكانت الفتيات الريفيات يسرهن أن يعملن فى بيتنا. وقد حدثتنى إحداهن فيما بعد ، أنه لم يكن بيتاً بهيجاً فحسب ، بل كان المرء يتعلم فيه أشياء كثيرة .

وكان الطعام البسيط جيداً ووفيراً ، أما الثياب الزاهية أو الجديدة فكانت نادرة ، وكذلك موادّ الترف . وكان يندر أن نأكل برتقالة ، وكان أبى قبل أن يقسمها بيننا يحز على قشرتها خطوطاً تبين خطوط الطول والعرض للكرة الأرضية .

وكانت جميع المبانى الرئيسية فى بلدتنا الصغيرة التى يناهز تعدادها ألفى نسمة ، بسيطة هادئة تحيط بها الحدائق ، فكان الأطفال الصغار يشبّون فيها وهم فى أمان ، ويحاط الأطفال الكبار بالعناية والرفق ، — والفقر المدقع لا وجود له . —

ولا شك أن بلدتنا لم تكن جنة عدن . وقد كان أبى ينتقد كل ظلم يراه جلّ أو دقّ . وقد حدث أن عجوزاً كانت تبيع الكعك الدنمركى فى سلة مصنوعة من الأعواد المجدولة ، فسعى الخبازون حتى سحبت منها رخصتها. فجاءت إلى أبى شاكية، فاستردها لها ، ثم لم يزل يتعقب خبازاً منهم على وجه الخصوص حتى اضطره إلى تصفية مخبزه . وفى مرة أخرى حكم على اثنين من الصيادين بغير وجه حق ، فنقض الحكم بفضل أبى .

وكانت الجغرافيا أحب موضوع إلى أبى وإلينا أيضاً . ولم يكن يخرج بنا قط لشىء ممل كالتمشى ، وإنما كان يذهب بنا فى « رحلات » . ففى يوم من أيام الصيف ، جعلنا نرافق ستانلى فى أظلم مجاهل إفريقية ، وفى يوم من أيام الشتاء ، حملنا على مركبات الجليد مع نانسن فوق ثلوج جرينلند ، وكاد يبلغ بنا القطب الشمالى . ولم أكن أخاف العواصف أبداً ، لأن أبى كان يخرج بى فى صغرى ليلقى علىّ درساً فى الكهرباء، ويرينى جمال الخضرة والزرقة فى البرق .

وكان إذا سافر لعمل له يستصحب أحدنا

---

سيجن توكسفيج زوجة فرانسيس هاكيت ، روائية ومؤرخة مشهورة جاءت إلى أمريكا من وطنها الدنمرك فى سنة ١٩٠٦ وبعد أن تخرجت فى جامعة كورنيل فى عام ١٩١٦ اشتغلت بالصحافة، وكانت تحرر خلال الحرب نشرة إنجليزية تذيع أخبار المقاومة السرية فى الدنمرك . وهى مؤلفة أربع روايات ، وترجمة حياة هانز كرستيان أندرسون .

ليريه الأماكن التاريخية . وقد أرانى مرة قبر بطل ، وروى لى قصة حياته على نحو جعلنى فى تلك الليلة حين أويت إلى فراشى، أعرف اليأس للمرة الأولى ، فقد استقرّ فى ذهنى أن الموت سيفرقنا يوماً ما .

وقد آمنت بهذا لأنى كنت أعلم أن أبى يؤمن به ، وقد استعان بنظرية داروين وعلوم القرن التاسع عشر على النفاذ بعقله مما كان يسميه الجمود الدينى . وكان يقول إن المرء إذا وافق هؤلاء القساوسة على أن هنالك عالماً آخر فإنهم لا يلبثون أن يدّعوا أن فى وسعهم أن يقرروا مصيره فيه .

وكان أبى رحالة بطباعه ، فكان قلبه يرقّ للشريد الذى لا يستقر ، ويدرك أنه لا يطيق القرار ولا يصبر على التطواف ، كما لا يسعه هو إلا أن يكون معلماً . وكان يصر على القول بأن من الخطأ قذفهم فى السجون، ومن أجل هذا أنشأ جمعية سماها «أصدقاء المشردين» تهيء لهم أرضاً يعملون عليها، ولا تحرمهم ما يحنون إليه من العيش فى الفضاء الطلق .

ولما بلغ أبى الخامسة والخمسين تغلبت عليه فطرة الرحالة والشريد ، فقرر أن يرحل عن الدنمرك ، واختار الولايات المتحدة، لأن الكاتبين ثورو وإمرسون كانا له فى منزلة الأرباب (لم يكن لأبى دين يتبعه ، ولكن كانت له أرباب كثيرة ) ، وكان قد استوثق من عمل يتولاه فى جريدة دنمركية أمريكية ، ثم لما وجد أن سياسة الجريدة رهن بما يعده سياسة محلية فاسدة ، تركها وألقى بنفسه فى خضم أمريكا بلا معين .

وبعد عام أرسل فى طلب زوجته وبنيه ، وكانت معرفته بالإنجليزية دون الكفاية لصحفى ، ولم يكن له أصدقاء فى أمريكا يشدّون أزره ، فاضطر أن يعمل بيديه ، وتذكر أن سبينوزا الفيلسوف الذى عاش فى القرن السابع عشر ، كان يكسب رزقه بصنع العدسات، وقد تعلم أبى هذه الصناعة ، وصار يكسب سبعة ريالات فى الأسبوع .

وكان هذا دون الكفاية للأسرة ، فعالج أشياء أخرى ، فعمل خادماً يغسل الأوانى فى مطبخ فندق ، وكان يشتغل ١٤ ساعة فى اليوم ولا ينتهى قبل نصف الليل ، وكان يومئذ فى الستين من عمره . وكان بين خدم المطبخ الآخرين شاب إيطالى اسمه فيليب ، فدرس أبى قواعد اللغة الإيطالية ، وأدهش الشاب بمخاطبته بلغته ، ومالبث فيليب بعد ذلك أن أقبل على أبى وقال له : « كف عن العمل فى الساعة العاشرة » ، وبين له أنه سيقوم عنه بغسل الأوانى فى الساعتين الباقيتين . فاعترض أبى ، ولكن فيليب أصرّ ، فصار أبى فى السنوات التالية

لا يذكر ما وهبهُ إياهُ فيليب من الوقت إلا والدمع يترقرق في عينيه .

وقد تذكرت هذه القصة حين قال صديق : « كل امرىء ينطوى على إنسانين : ملك وصعلوك . وكان أبوك دائماً يهيب بالملك فيستجيب ويظهر » .

وعالج أبي الفلاحة في حقل بسيط في نيويورك ، ولم يكن ثم أثاث يذكر ، ولكن دائرة المعارف البريطانية كانت مصفوفة على رف خشن — اشتراها بالتقسيط ، وبهذا أبي إلا أن يكون مخلصاً لنفسه .

وسأله جيرانه ذات مرة أن يكف عن تعذيب الخنزير ، فقد كانوا كثيراً مايسمعونه يصرخ « صراخ معذب » كما قالوا ، وفي ساعة معينة من كل يوم . وكان تفسير ذلك أن أبي كان وهو خارج ليتعهد البقر ، يقف ويحك بأصبعه ما وراء أذن الخنزير ، فألف الخنزير ذلك وصار يصرخ صرخات فظيعة كلما نسى أبي أن يفعل ذلك .

ولما كان أبي لا يحسن الإنجليزية فإنه لم يستطع أن يشرك الأمريكيين في معرفته بالمدارس الشعبية الدنمركية للبالغين ، وهي التي يسرت للفلاحين الدنمركيين وزوجاتهم أن ينتفعوا بالجمعيات التعاونية انتفاعاً عظيما . وكان أبي قد ساعد على تأسيس مدرسة من هذا النوع ، فاتخذ من غرفة فوق الإسطبل قاعة للمحاضرات ، وصار هو وزميل له من المحررين يحاضرون الفلاحين بلا أجر ، مدفوعين برغبتهم القوية في ترقية التعليم .

إن التطور بواسطة التربية – لا الثورة – شعار الدنمرك . وقد وضع أساس هذا الموقف رجال من أمثال أبي الذي ظل ٢٠ عاما يستخدم الصحافة في سبيل العدل والتثقيف والتعاون . ولم يكن له مطمح بالمعنى العادى مثل طلب المال أو القوة ، ولعله لم يصنع شيئاً كبيراً ، ولكن هل ثمّ إحصاءات تبين أثر فردٍ أو جماعة في التمهيد لأيام أطيب وأرغد ؟ إن المستقبل يتطلب عدداً لا يحصى من أهل الإيثار ، وقد كان أبي من هؤلاء .

وبعد أن قضى ١٥ عاماً في أمريكا وكبر بنوه وصاروا قادرين على بذل العون له ، ذهبت أيام الكدّ والمتربة .

وفي السبعين من عمره عاد إلى الدانمرك مع أحد أخوتي ، وقد كتب هذا يقول إن عودة أبي كانت رحلة نصر ، حافلة بالأعلام وطاقات الزهر ، والولائم .

وألقى محاضرات عن أمريكا الدهشة ، ولم يذمّها قط من أجل أنها لم تفسح له مجالاً للنجاح فيها . واحتشد الناس يستمعون له ، فقد كانوا يعرفون أنه قام في سبيلهم بشيء كثير ، وقالوا في خطبهم لتكريمه : « لقد مهدت الأرض لديمقراطيتنا الاجتماعية »

وكانت أيام شيخوخته سعيدة هادئة . ولما كانت آفاق العـلم الجديدة تحرك نفســه وتساعدها على الازدهار ، فقد كان يبـدو أصغر من سنه إلى أن بلغ الثمانين . والواقع أن الشيخوخة أبرزت جمال معارف وجهه، وبريق القوة فى شعره الأبيض ، ولم تطفىء البصيص الساخر الذى فى عينيه . وقال وهو فى الحادية والثمانين يوم رقد على ما كان يعلم أنه فراش الموت : « ليس لى ما أشكو منه ، ولقـد عشت طويلا ونلت حباً كثيراً » .

وطلبت منه أن يتفكر عسى أن لا يكون الموت نهـاية كل شيء ، ولـكنه كاد يقطب فى وجهى ، فقد كان الإخلاص وصدق السريرة لباب أبى ، ولم يستطع أن يقول لى رغبة فى مرضاتى إذ كان يحبنى : « نعم ، قد يكون هناك شيء آخر . من أدرانا ؟ » . فقد كان لا يقول شيئاً إذا كان لا يعرفه .

ثم حدث وأنا جالســة بجوار سريره ، تغير فظيع ، فقد بدا عليــه أنه انتقل من النوم الخفيف إلى غيبوبة ، وفارق وجهــه منظره الطبيعى الذى احتفظ به فى مرضه ، وانقطع نفسه ، ودخلت الممرضة على أطراف أصابعها وفحصته ، فقال لى وجهها إن الأمر قد قضى ، وتركتنا وحدنا .

ولا أدرى كم لبثت معه ، وقد بكيت نحو ساعة قبيل غروب الشمس — أو أكثر من ساعة — ثم نظرت إليـه فجأة فإذا بوجهه حى ، حساس ، مشرق مرة أخرى ، وفتح عينيه وكانت زرقتهما عجيبة ، وفيهما نور كان قد خَبَا أخيراً . ونظر إلىّ بكل ما فى قلبه من حنان ، وسمعته يقول بصوته الحازم : « لا تبكى يا صـغيرتى ، فإنى الآن أعرف أننا سنلتقى مرة أخرى ! »

ثم أغمض عينيه ، وغاضت الحيـاة من وجهه ، ولم يبق إلا الهيكل الذى يبدو لى أنه لا صلة له بأبى . وكيف أفسر « عودته » وكلمته ؟ لست أفسرها ، لأن الحقائق ليست عندى ، ولـكنى أحسها عنده .

## أين يذهب المال ؟

أقام فردريك الكبير ملك بروسيا حفلة فاخرة فى قصره ، ودعا إليها النبلاء والمقدمين من رجال الحاشية . وفى أثناء المأدبة سألهم أن يبينوا له لم يطرد نقص الدخل مع زيادة الضرائب . فقال أحد القواد : « سأبين لجلالتكم أين يذهب المـال » .

وأخذ قطعة من الجليد فى يده ورفعها حتى يراها الحاضرون ، ثم ناولها إلى جاره ، وطلب منه أن يناولها لمن يليه وهكذا ، حتى وصلت إلى الملك ، فلما تلقاها فردريك كانت قد صارت فى حجم حبة الحمص .

# وهم النافذة المحطمة

هنرى هازليت * مختصرة من كتاب "الاقتصاد فى درس واحد"

**يقذف** أحد الدهماء نافذة خبّاز بحجر فيحطم زجاجها ، فيحتشد جمهور من الناس ، ويقول بعضهم إن فى هذا الحادث بعض الخير ، فهو يهيء لصانع الزجاج عملاً ، فيزداد دخله ٥٠ ريالا ينفقها عند تجار آخرين ، ويزداد دخل هؤلاء ٥٠ ريالا ينفقونها فى شئونهم عند غيرهم من التجار . وهكذا ترى النافذة المحطمة لاتزال تهيء مالاً وعملا فى دوائر تتسع اتساعاً مطرداً .

ألق على الموضوع نظرة ثانية ، إن هذا التخريب سيزيد عمل صانع الزجاج ، ولكن الخبّاز خسر ٥٠ ريالا كان يزمع أن يشترى بها حُلة جديدة من الخياط ، فبدلاً من أن يكون عنده واجهة من زجاج و ٥٠ ريالا ، تراه لايملك سوى الواجهة بعد إصلاحها . فما كسبه صانع الزجاج خسره الخياط ، ولم يزدد مجموع العمل شيئاً .

وفى وسعك أن تطبق منطق « زيادة القدرة على الشراء » على لص يسلبك مالك ، فقدرة اللص على الشراء تزداد بعد فعلته ، ولكن كل عمل يخلقه هو بما ينفقه من مالك ، ينقص ما تنفقه أنت ، لأن ما تنفقه يقلّ على قدر المبلغ الذى يسلبك إياه .

ولعلّ وهم النافذة المحطمة فى شتى أشكاله هو أكثر الأوهام رسوخاً فى تاريخ الاقتصاد ، وهو اليوم أشد ذيوعاً منه فى أى زمن مضى ، وترى أساطين الصناعة وزعماء العمال والكتّاب وأساتذة الاقتصاد يلهجون بتأييده . وسبب رسوخه فى الغالب هو ميل الناس إلى وزن سياسة ما بميزان أثرها المباشر وحسب ، أو ميزان أثرها فى جماعة خاصة وحسب ، ويغفلون البحث عن أثرها البعيد فى الناس جميعاً . وتسعة أعشار الأوهام الاقتصادية التى تؤذى العالم اليوم أذى عظيماً مردُّها إلى أن الناس يغفلون حقيقة واقعة هى : أن بعض الخطط ينفع الناس نفعاً صادقاً على الزمن ، وأما البعض الآخر فلا ينفع إلا جماعة خاصة على حساب غيرها من الجماعات .

تدبر ماشاع من اطمئنان الناس إلى إنفاق مال الحكومة فى المشروعات العامة ، ترَ أن

ذلك يُعَدّ فى أرجاء الأرض علاجاً ناجعاً لجميع أدوائنا الاقتصادية ؟ أثمةَ بطالة ؟ إنها ناجمة عن ضعف قدرة الناس على الشراء ، وما على الحكومة إلا أن تنفق من مالها ما يكفل سدّ هذا النقص .

والحقيقة أن كل شىء نظفر به ينبغى أن نُوفى ثمنه — ما عدا ماتهبنا إياه الطبيعة . ولكن العالم زاخر اليوم برجال من أدعياء الاقتصاد ، لايفتأون يطلعون بمشروع بعد مشروع للحصول على ما نريد بغير أن نوفى ثمنه ، فيذهبون إلى أن الحكومة تستطيع أن تمضى فى الإنفاق دون أن تلجأ إلى فرض الضرائب ، وأنها تستطيع أن تكدس الديون عليها ولا توفيها ، لأن الشعب هو الدائن والمدين جميعاً .

مثل هذه الأحلام ذهبت بدداً فى الماضى فى سورة الإفلاس أو التضخم الجامح . فكل قرش تنفقهُ الحكومة ، ينبغى أن يسدّد آخر الأمر من الضرائب ، وإرجاء يوم الحساب لايرجىء الشرّ وحسب ، بل يزيده تعقيداً على تعقيد .

إن كلامى لا ينصبُّ على الأعمال العامة التى تمس إليها الحاجة ، بل على الأعمال التى تتخذ وسيلة « لتدبير عمل للعمال المتعطلين » وحسب ، أو « لزيادة ثروة الجماعة زيادة لم تكن متاحة » لولا هذه الأعمال . هذا جسر يُبنى ، فإذا سَدّ بناؤه حاجة فى المواصلات أو النقل ، فليس ثمة اعتراض على بنائه . أما بناء الجسر لكى « ينشىء عملا » وحسب ، فمسألة أخرى . وحين يكون الغرض تدبير عمل ، يصير توخى المصلحة العامة فى المرتبة الثانية . وبدلاً من أن يفكر رجال الحكومة أين ينبغى أن يبنى الجسر ، تراهم يفكرون أين يمكن أن يبنى، ثم لايلبثون أن يلتمسوا مسوّغاً لبنائه فى مكان بعينه . وسرعان ما يبدو مشروع الجسر أمراً لا غنى عنهُ ، وكلٌّ من يشك فى ضرورته يرمى بالرجعية وعرقلة أعمال الحكومة .

وهم يزعمون أن بناء الجسر يهيء عملاً لخمسمئة رجل فى عام واحد ، لكى يدخلوا فى روعك أن هذا العمل كان مستحيلاً لولا هذا المشروع ، ولكن نفقة بناء الجسر ينبغى أن تسدد من الضرائب. وكل ريال يصرف على بناء جسر لا ضرورة لهُ يؤخذ من دافعى الضرائب ، فإذا كلف مليون ريال ، خسر دافعو الضرائب مليون ريال كانت خليقة أن تكون أجدى عليهم لو أنفقت فى أشدّ ما تمسُّ حاجتهم إليه .

وإذن فكل « عمل » تخلقه الحكومة ببناء الجسر ، يقابله ضياع « عمل » خاص فى مكان ما . ونحن نرى العمال يجهدون

فى بناء الجسر ، فتتجلى لنا حكمة قيام الحكومة على إنفاق مالها . بيد أن هنالك أشياء أخرى لانراها ، لأن فرصة الظهور لم تتح لها ، وهى تلك الأعمال التى ضُيِّعت حين جبت الحكومة مليون ريال من أجل الجسر .

وكلُّ ما تمَّ إنما كان تحويل العمل من ناحية إلى ناحية ، فقد زاد عدد عمال الجسور وقلَّ عدد عمال السيارات أو الراديو أو البناء . ورجال الحكومة يستطيعون أن يروا الجسر الذى مدّوه ، ولكنهم لو دربوا أنفسهم على رؤية الآثار المباشرة وغير المباشرة لعملهم ، لاستطاعوا أن يروا البيوت التى لم تبنَ ، والسيارات وأجهزة الراديو التى لم تصنع .

وكل سعى لخفض عدد موظفى الحكومة الذين يزيدون عن الحاجة ، يقابل بصيحة عالية : إنك إذا سلبتهم قدرتهم على الشراء ، خفضت الدخل القومى . وهذا نفسه هو وهم النافذة المحطمة ممثلا فى شكل آخر . فالمعترض ينسى أنه لو أقصى هؤلاء عن مناصب الحكومة ، لاحتفظ دافعو الضرائب بالمال الذى يجبى منهم لدفع مرتبات هؤلاء الموظفين . ولو بقى هذا المال فى أيدى الناس لزادت قدرتهم على الشراء ، بقدر ما تهبط قدرة الموظفين المفصولين على الأقل .

ولا تقف المسألة عند هذا الحد ، إن حال الأمة لا تسوء لفصل هؤلاء الموظفين بل تتحسن ، فعلى كل منهم أن يسعى إلى عمل ، ولن يناله إلا إذا كان قادراً على أن ينفع أصحاب الأعمال . فبدلاً من أن يكونوا متطفلين على المجتمع ، يصيرون رجالاً ونساء منتجين .

فإذا ما درسنا الخطط والمناهج وماتعقبه من آثار ، وجب أن لا نقصر الدرس على آثارها القريبة فى جماعات خاصة ، بل يجب أن يشمل الآثار البعيدة فى جميع الجماعات ، ويومئذ نرى أن ما نخلص إليه من رأى يتفق وما تمليه البديهة السليمة . ولن يخطر لأحد أن وهم النافذة المحطمة فيه نفع للناس ، ولا أن تدبير أشغال عامة لاحاجة إليها فيه شىء سوى العبث والتبذير ، ولا أنه من الخير أن نستبقى من لا حاجة إليه من رجال الحكومة .

فثمة أقوال كثيرة تبدو صحيحة إذا حصرنا النظر فى جماعة اقتصادية واحدة ، ولكن خطلها يتجلى لنا إذا وزناها بميزان المنافع التى تعود بالخير على الناس جميعاً .



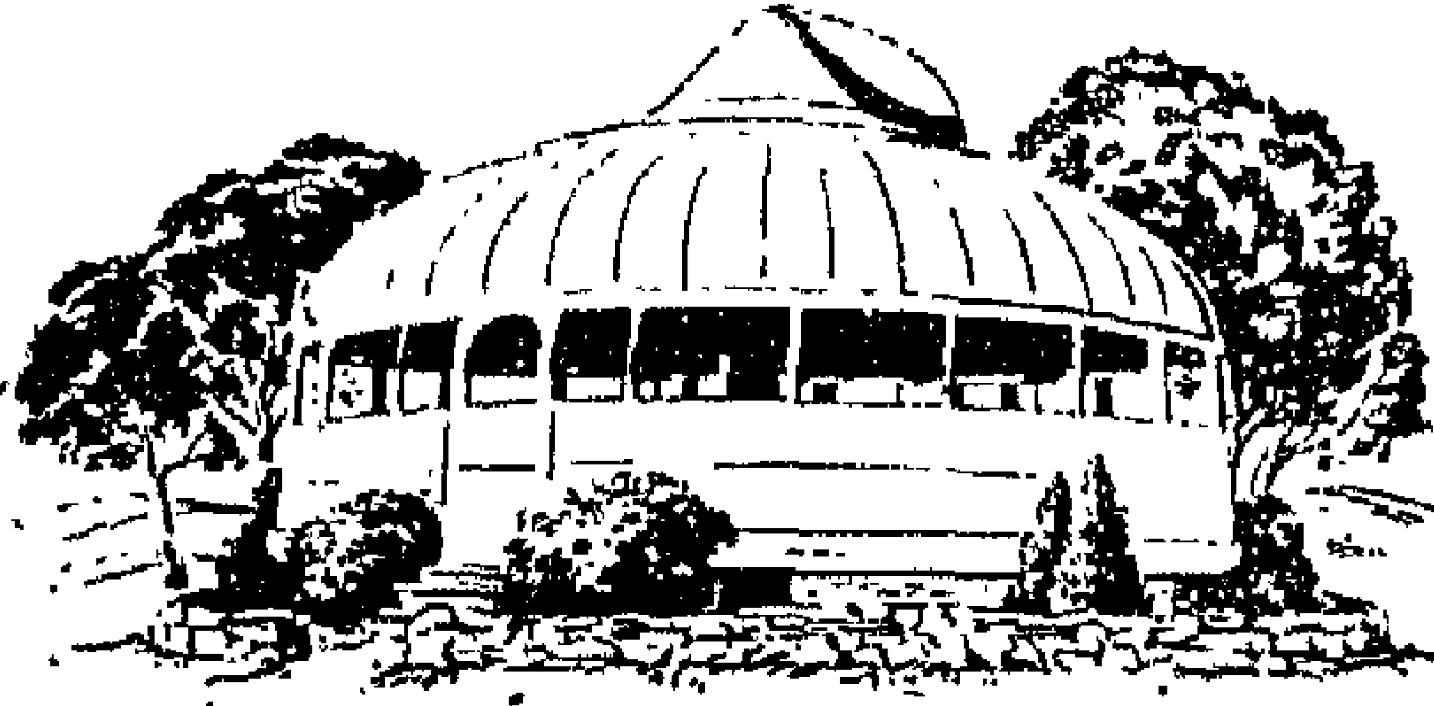
# هذه دار المستقبل

*مختصرة من مجلة "فورتشن"*

**رجل** ضئيل الجسم وثيق التركيب ، ليس له سوى همٍّ واحد فى الحياة، هو أن يجدد بناء العالم ، ذلك هو رتشرد بكمنستر فلر.

وقد زاول فى حياة لا تزيد على خمسين سنة من فنون الهندسة على اختلافها ما يحتاج إلى جهود طائفة من الأساتذة . على أن مآثره جميعاً قد لا تكون شيئاً مذكوراً إذا وفق فى المغامرة التى أقدم عليها اليوم — بنـاء دار للسكن ، لأنه إذا وفق كانت « آلة السكن » هذه خليقة أن تعقب من الآثار الاجتماعيـة أكثر مما أعقبه اختراع السيارة .

وقد برم أحـد رجالات الحكومة فى وشنطن لما سمعه من مرؤوسيه عن دار فلر العجيبة ، فاستقل طائرة ليرى الدار التى شيدتها شركة طائرات بيتش ، فمضوا به إلى المبنى الذى أخـفى فيه نموذج هـذه الدار ، فلم يكد يراها حتى صاح : « رباه ! هذه دار المستقبل! » . فلما انقضت دهشته قال : إن هذه الدار إما أن تحدث إنقلاباً خطيراً فى الصناعة ، وإما أن تكون أعظم



حين تدخل دار فلر المستديرة الشكل الخفيفـة الوزن الرخيصة الثمن ، تحس كأنك تعيش لأول مرة فى جـو القرن العشرين ، قرن العلم والصناعة .

خيبـة فى التاريخ ، وأنه يراهن على أن الانقلاب هو أقرب الأمرين .

وقد بدأ فلر يصنع هذه الدار منذ نحو عشرين سـنة حين نزل به الإخفاق فى طريقة للبناء وضعها وأطلق عليها وصف « ستوكيد » ، وكان أساسها أن يتخذ الأبرق ولبنات مصـنوعة من الألياف لتحمى داخل البناء من أثر الحرارة والبرد فى الخارج . وقد ظل خمس سنوات يحرص على تنفيذ هـذه الطريقة ، فعلم علم المجرب ما يعانيه كل من يحاول إحداث تغيير يسير فى أساليب البنـاء من مصاعب لا تحصى . فقـد عانى فى كل عمل أقدم عليه متاعب

شديدة ، من قبل العمال ، ومن جهل المقاولين، ومن النفقات الباهظة ، وقد هاله أنه لم يتبين طريقة تمكنه من أن يصنع داراً صالحة ليشتريها أصحاب الدخل اليسير من الناس .

فلما أخفق فيما حاول ، نقل أسرته إلى أحياء الفقراء في مدينة شيكاغو ، وعزم أن ينسى طلب الرزق حتى يرتب شتات آرائه وخواطره . فأسفر ذلك في سنة ١٩٢٧ عن تصميم الدار التي أطلق عليها اسم « ديما كسيون » ، وهي دار مسدسة الجوانب معلقة على صارية من فلز ، كأنها تفاحة مغروزة في سن رمح. وهي دار مجهزة بأجهزة ضبط الهواء ، وأثاثها جزء منها مبني فيها ، ومطبخها صغير ولكنه حافل بأدوات الطبخ الحديثة ووسائل الغسل الآلية . فوصفه كثير من الناس بقولهم إنه خيالي مخبول ، ولكن شذ منهم بعض أهل الجامعات فدعوه إلى إلقاء محاضرة ، وشد أزره فريق من مهندسي المعمار .

وبعد أن قضى سنوات يروج لآرائه ، خلص فلر إلى القول بأنه ينبغي له أن يرجىء أمر الدار، فهو يحتاج في بنائها إلى الألومنيوم واللدائن ( العجائن الكيميائية ) وأخلاط الصلب المتينة ، ولم يكن شيء منها متاحاً له يومئذ بأسعار مقبولة . فلما انصرف عن الدار ، صنع حماماً على طراز جديد ، بيد أن مديري الشركات الكبيرة التي تصنع الأحواض والمراحيض وغيرها من أدوات الحمام ، أبت أن تفسح المجال لمنافس جديد ينافسها .

فلم يثن ذلك من عزم فلر ، فما طلعت سنة ١٩٤٠ حتى طلع هو على الناس بتصميم لدار مبنية بألواح من الصلب المضلع كالتي تستعمل في بناء مخازن الحبوب . وبنيت بضع دور على مثاله ، ثم نشبت الحرب فتعذر الظفر بألواح الصلب . وكلا الدارين — الدار المشيدة بألواح الصلب والدار الموصوفة باسم « ديما كسيون » ، تعد شيئاً متخلفاً عتيقاً حين تقابلها بالدار الجديدة المصنوعة من الألومنيوم واللدائن . ولكن الفكرة الأصيلة فيهن جميعاً هي هي لم يطرأ عليها تغيير .

إن فلر يقول : إذا أردنا أن نتيح لجميع الناس مساكن صالحة ، وجب أن تكون المساكن مما يمكن إعداد مقادير كبيرة منها بالصناعة . فالإنتاج الصناعي الواسع قرين لسهولة النقل ، وسهولة النقل تقتضي خفة الوزن . ولذلك ترى فلر قد صنع داره من الألومنيوم والصلب الذي لا يصدأ ، ومن اللدائن، بدلا من أن يبنيها بالآجر والخشب. وهي تزن نحو ثلاثة أطنان بدلا من مئة طن ، وهو الوزن الغالب . وهي متدلية من محور

عمودى كالصارية ، وليست مشيدة على أساس . وهى مستديرة لا مربعة ، لأن الشكل المستدير يتيح للمهندس أن ينتفع أقصى الانتفاع بمتانة المواد التى تصنع منها الدار .

وليس فى الدنيا مسكن قريب الشبه بهذه الدار،فهى الدار الوحيدة التى صممت لكى تصنع صنعاً واسع النطاق . وقد صنعت فى مصنع للطائرات مع الطائرات نفسها ، ومن مواد الطائرات ، وتولى صنعها عمال الطائرات بالأدوات نفسها . وفى وسع شركة بيتش وحدها أن تصنع منها ستين ألف دار فى السنة .

ولما كانت دار فلر خارجة على كل مألوف معهود فى البيوت ، ترى المقابلة متعذرة بينها وبين البيوت المعهودة — بل هى أدنى فى الذهن إلى الطائرات وسفائن البحر والقطارات الحديثة . فالبهو يشبه الإسفين وهو يشغل مساحة ٣٣٨ قدماً مربعة ، أى ثلث مساحة الدار . والجدار الخارجى نافذة مصنوعةمن الألومنيوم والزجاج الذى لا يتشظى(بلكسيجلاس) . والنافذة تلتفّ بالدار كلها ، وترى من النافذة الحبال الممدودةالتى علقت بها أرض الدار ، ويتدلى فى داخل الدار من قاعدة الشباك حصيرة ملوّنة مصنوعة من اللدائن . أما أرض البيت فمصنوعة من ألواح خشب ( الباركيه ، الأبلكاش) مركبة بين ضلوع من الألومنيوم تنتشر وتلتقى كضلوع المروحة ، وأما الموقد فمن الصلب الذى لا يصدأ . وفى أسفل جدران البيت شقوق تخرج الهواء الفاسد من الحجرة ، وتعيده نقياً من خلال ثقوب فى أرض البيت إلى جهاز ضبط الهواء ، فتدفىء الأرض فى الشتاء .

وتجد فيها ثلاث حجرات سوى البهو ، وكلٌّ منها تشبه الإسفين ، وفيها حمامان وموقد، ومغسلة لصحون الطعام ، وثلاجة ، ووعاء للزبالة ، وثلاث خزانات دوّارة . وشكل الدار المستدير يثير الريب فى أول الأمر ، ولكنك لاتكاد تدخل البيت حتى تنسى اعتراضك بل ربما راقك كل ماترى . وأهم ما يستوقفك هو شعورك بالترف فيما ترى ، وليس مرجع ذلك إلى جودة المواد وجمال الأثاث وحسب ، بل مرجعه أيضاً إلى الضوء المنتشر من سقف البيت ، وهو قبة ترتفع ذروتها عن الأرض ١٦ قدماً .

ومنذ صنع هذا النموذج فى شهر أكتوبر الماضى زاره وتفقده كثيرون من جميع أنحاء البلاد ، فأعجبوا به وتحمسوا له . وقد جىء بزوجات ثمانية وعشرين من العمال لزيارته فكان مختصر أقوالهن : (١) إنه جميل (٢) أستطيع أن أنظفه فى نصف ساعة

(٣) وقالت ست وعشرون منهن : « أريد أن أشتريه »

وهذا القول الأخير لايعنى أن ٩٣ فى المئة من النساء يردن أن يقتنين داراً من دور فلر ، فنفوس الناس وألوان شعورهم وثيقة الارتباط بما ألفوه وتواضعوا عليه من معنى البيت، حتى لترى كثيرين قد استنكروا بيت فلر استنكاراً قوياً حين شاهدوه . ولكن سواء منهم من أحبه ومن كرهه ، فكلاهما يكنّ الإجلال لاهتمام فلر اهتماماً صادقاً بمشكلة تهيئة سكن صالح للناس من ذوى الدخل اليسير ، وكلاهما يقدر التفكير السليم الذى اتخذه أساساً لما يراه من حل لهذه المشكلة .

وأول سؤال يبتدره به الناس هو هذا : « لماذا جعلت البيت مستديراً ؟ » فيكون جوابه : « إن شكل الدار تابع للمواد التى يبنى منها . فالإيجلو ، بيت الإسكيمو ، هو قبة ، لأنك لاتستطيع أن تقيم بيتاً من قطع الجمد إلا أن يكون كالقبة . والبيوت المألوفة مربعة مستطيلة ، لأن الخشب أو الطوب الذى تبنى به قطع مستطيلة . وأما دار فلر المستديرة فتجعله ينتفع بالمواد المعدنية الخفيفة الوزن ، وبذلك يقلل من زنة الدار .

والدار شبيهة بعجلة مدلاة من مركزها ، وجدرانها لاتحمل السقف كما تحمله الدار المألوفة ، ولا تحمل أى شىء آخر ، بل هى محمولة. وتتوسط الدار سارية قائمة على أساس متين ، وتمتد من رأسها فى جميع الجهات كأضلاع المروحة ، حبال من معدن تحمل السقف والجدران ، وأرض البيت التى تراها مرتفعة عن سطح الأرض مقدار قدم. وأطراف الحبال مشدودة إلى الأرض كأنها أسباب الخيام مشدودة إلى أوتاد ، فتمنع الدار أن تميل أو تدور . والجسر المعلق خفيف بالقياس إلى الجسر المشيد فوق دعائم ، لأنه معلق من حبال ممدودة بين ضفتى النهر ، وكذلك البيت المستدير . ومتى تمت إقامة البيت المستدير ، تجلت مزاياه الأخرى . فمساحة الداخل بالقياس إلى مساحة جدرانه أعظم فى الدار المستديرة منها فى أى دار غير مستديرة ، وشكله الخارجى المجرد من الزوائد ، يخفف من ضغط الهواء ، ويقلل مايفقده من الحرارة المشعة منه ، وهذا التوفير فى الحرارة التى تشع منه يعين على جعل الموقد أخف وزناً من أمثاله حتى يصير أقل من مئة رطل . وفى وسع صاحب البيت أن ينتفع فيه بالتيار الكهربائى فيوفر بعض ماينفقه على الوقود .

ولما كان ظاهر البيت لامعاً إلى البياض، فإنه يعكس إشعاع الشمس ، ومن أجل ذلك

ينبغي أن يكون بارداً في الصيف. وقد أقيمت على سطحه مروحة كبيرة توجه الهواء العليل إلى الداخل، وبذلك تتم تهوية البيت عشر مرات في الساعة الواحدة.

بدأت شركة «بيوت فلر» عملها في وشنطن في ربيع سنة ١٩٤٤، وكان فلر يومئذ كبير المهندسين الميكانيكيين في «إدارة الاقتصاد الخارجي»، وكان قد نقّح تصميم الدار التي أطلق عليها وصف «ديما كسيون» لينتفع في بنائها بالأساليب الجديدة في صناعة الطائرات، ثم رحل غرباً عسى أن يحرّك عناية شركة طائرات بيتش إلى بناء داره، فلم يكد مديرها العام يطلع على تصميم فلر حتى استهوته الفكرة فعقدا اتفاقاً معه على التعاون المالي والصناعي، وسيبدأ إنتاجه على نطاق واسع في سنة ١٩٤٧.

ومتى بدأت الشركة الإنتاج الواسع النطاق — ٥٠٠,٠٠٠ في السنة — جعلت ثمن الدار نصف ريال لكل رطل من وزن البيت. وهذا يجعل ثمن البيت في حالته الحاضرة في حدود ٣٧٠٠ ريال. وهذا الثمن أقل كثيراً من ثمن أي بيت آخر يستطيع أن ينافسه، ويستغرق تشييد البيت عمل رجل واحد خلال ستة عشر يوماً أو عمل ١٦ رجلا خلال يوم واحد. ولما كانت أجزاء البيت تربط بعضها إلى بعض بالمسامير فليس هناك حاجة إلى آلات كبيرة على المكان الذي يشيد فيه، سوى سيارة النقل التي تحمل البيت، وهي مجهزة بآلة لإقامة الصارية.

وحين تتأمل كيف تستطيع حفنة من رجال الصناعة أن تصنع ٥٠٠,٠٠٠ بيت في السنة، تجد ذلك أمراً رائعاً. ولكن مدير شركة بيتش يقول إن صنع البيت «ليس مشكلة على الإطلاق»، وسوف تصنع أجزاؤه التي تبلغ ستين كما تصنع أجزاء الطائرات، ثم تجمّع كما تجمّع أجزاء الطائرة أو السيارة، فإذا ما بلغت نهاية خط التجميع وضع البيت في صندوق وسمّر غطاؤه.

أما فلر فلم يخطر له أن آراءه ستلقى النجاح التجاريّ السريع الذي لقيته، فقد كان همه الأول أن يُسدي يداً إلى الإصلاح الاجتماعيّ بتيسير السكن الطيب لأوساط الناس. وقد كتب مرة بحروف كبيرة العبارة التالية: «لن تستطيع أن تحسّن العالم بالكلام وحسب، والفلسفة لا تجدي إلا إذا طبقتها تطبيقاً ميكانيكياً».

أما اليوم فلن تجد أحداً، حتى ولا رجال المصارف، يظن أن فلر رجل مخبول. وهذا لا يدهشه، فقد كان رأيه منذ بدأ أن الناس سوف يتبينون ما يريد عاجلا أو آجلا.

# طريق قديم إلى حياة جديدة

فلتون أورسلر

*مختصرة من صحيفة "كرستيان هرالد"*

في مكتب المشرف على المقابر ، دنا من الكاتب سائق سيارة في زيّه الخاص وقال : « إن السيدة أضعف من أن تمشي . أتتفضّل بأن تخرج إليها ؟ »

وكان في السيارة سيدة كبيرة السن نحيلة ، لها عينان غائرتان ولكنهما لا تخفيان ما في نفسها من أسى عميق قديم .

فقالت : « أنا مسز أدمز . وقد دأبت خلال السنتين الماضيتين على أن أرسل إليك كل أسبوع . ورقة بخمسة ريالات ... »

« من أجل الأزهار » ، قالها الكاتب متذكراً .

فقالت : « نعم . . لكي توضع على قبر ولدي » .

ثم مضت تقول : « وقد جئت اليوم لأن الأطباء أنبأوني بأنه لم يبق من عمري سوى أسابيع قليلة ، ولن يؤسفني أن أفارق هذه الدنيا ، فليس فيها شيء جدير بأن أعيش له . وإنما أردت أن أجيء بنفسي اليوم لألقي على القبر آخر نظرة ، ثم لأشكر لك لطفك وحسن صنيعك » .

فطرفت عين الكاتب كالمتحير ، وقال : « أتعلمين ياسيدتي . يؤسفني أنك مضيت في إرسال المال من أجل الأزهار » .

« يؤسفك . . ؟ »

« نعم — لأن الأزهار لاتلبث أن تذوي ولا يراها أحد من الناس » .

« أتعرف هول ما تقول ؟ »

« نعم أعرف ، فأنا عضو في جماعة من الناس دأبها أن يزور أعضاؤها المستشفيات العامة ومستشفيات الأمراض العقلية . والناس في أمثال هذه الأماكن هم الذين يحبون الأزهار حباً جماً . إن في وسعهم أن يروها ويشموا شذاها . ففي تلك الأماكن مخلوقات حيّة ياسيدتي » .

فلبثت السيدة هنيهة ساكنة لاتبدي حراكا ، ثم أشارت إلى سائقها بأن يعود بها ، ولم تنبس ببنت شفة .

وقد دهش الكاتب بعد أشهر حين جاءته السيدة زائرة مرة أخرى ، وتضاعفت دهشته حين رآها تقود سيارتها بنفسها .

قالت وعلى ثغرها بسمة ودّ وصداقة : « إني لأحمل الأزهار بنفسي إلى الناس . لقد كنت على حق ، إن هذه الأزهار

تسعدهم ، والأطباء اليوم لايعلمون ماسرّ عافيتى ، أما أنا فاعلم . لقد وجدت شيئاً أراه جديراً بأن أعيش له » .

فقد كشفت هذه السيدة مايعرفه معظم الناس ولـكنهم ينسونه : « إذا أنت بذلت معونة لغيرك فقد بذلتها لنفسك » ، وهذه المعرفة هى الوسيلة الأولى التى يتوسل بها طبيب من أصدقائى ، يبدو لمن لايعرفه أنه يملك قوة ساحرة على شفاء المرضى ، فهو يأخذ بأيدى كثيرين من مرضاه إلى الصحة والسعادة بغير عقاقير أو مباضع . وبعض هؤلاء المرضى مصابون بأسقام كأمراض القلب ، وإدمان الشرب ، والشلل ، ولا تقتصر أسـقامهم على عُـقَـدٍ فى نفوسهم وأخلاقهم . وترى زملاءه يحيرهم توفيقه ، ولـكنه يقول فى بساطة الطفل البرىء :

« ينال مرضاى الشفاء حين يتداوون بشىء من الإيثار يبذلونه من ذات أنفسهم ، فالإيثـار أعظم ما يجنّب المرء شر الحسرة والبغض والخوف . ومن أجل ذلك كان أنجع دواء يشفى من ضروب مختلفـة من أمراض العقل » .

وقد روى لى صاحبى قصـة فتاة تدعى « إميلى » وبحثها عن السعادة . فقد دخلت ذات يوم عيادة الأسـتاذ إرنست ليجون رئيس قسم علم النفس فى « كلية يونيون » وكان همها أن تعرف كيف تستطيع أن تنتفع بحياتها ، فقد كانت فتاة بائسة متهدمة البنية ، فارعة الطول ، مشبوحة العظام ، غير رشيقة ولا مَشِيقة . وقد أجفل الأستاذ حين صافحها ، لأن راحتيها وأصابعها كانت باردة رطبة لفرط اهتياج أعصابها . ورأى أنها قد حرمت الذوق فى ملابسها ، فقد كانت زرية الهندام .

فقال لها : « يا إميلى ، أريد أن تشترى ثوباً للسهرة ، ولـكن حين تذهبين لشرائه اطلبى إلى البائعة أن تختار لك ثوباً يلائمك ، ثم أريدك أن تذهبى إلى المزين ليصفف لك شعرك ، واطلبى منه أن يختار لك من أزياء التصفيف مايظنه أدعى لإظهار محاسنك ، ثم أريدك أن تلبسى الثـوب وأن تذهبى معى إلى حفلة فى يوم الثلاثاء المقبل . »

فهزت إميلى رأسها وقالت : « سأشترى الثـوب ، وسأذهب إلى المزين لأصفف شعرى ، ولـكننى لن أذهب إلى الحفلة » .

فصاح بها الأستاذ : « وأنا أعلم سر إبائك أن تذهبى . إنك تظنين أنك لن تصيبى فيها متعة ما . اسمعى ، احذرى عنـد دخولك أن تتلفتى حولك كأنك منبوذة تضرع إلى السماء أن يقيّـض لها من يجاملها ، ولـكن قفى بين الناس ساكنة النفس ، وإذا ما رأيت رجلا واقفاً وحده ، فاذهبى إليه واسأليه

ما اسمه ، وما يهوى أن يعمل فى ساعات فراغه . ثم عودى إلىّ واروى لى ماتمّ ، فإذا كانت هوايته جمع طوابع البريد، عرفته برجل آخر يهوى جمعها ، وإذا كان يحب صيد السمك جمعته بصياد . ومتى فعلت فابحثى عن آخر، اشغلى نفسك كأنك مأجورة لتعنى براحة كل إنسان . وعدينى بأن تدأبى على ذلك حتى ينفضّ شمل الحفلة ، وأنك لن تخرجى حتى ينتهى الاجتماع » .

ومن غرائب الحياة فى أساليبها ، أن إميلى ذهبت إلى الحفلة وقضت وقتاً طيباً ، بل كانت حبيبة إلى كل من رآها . لم يدخل فى طاقة الأستاذ أن يجعلها فتاة جميلة، ولكنها بإرشاده جعلت نفسها فتاة محببة إلى من حولها . ومن معجزات الشباب أن إميلى تزوجت بعد ستة أشهر رجلاً بهى الطلعة لقيته فى تلك الحفلة .

وصديقى هذا من أشهر أطباء الأعصاب فى نيويورك ، يقصده كثيرون من الذين تستبدّ بهم شهوة الخمور ، بعد أن يقضى سائر الخبراء بأن لاشفاء لهم .

وقد قال لى ذات يوم: «أتعلم ماذا أفعل بهم ؟ دعنى أروى لك قصة رجل نطلق عليه اسم بل ولكنز . كان بل ولكنز أحد السماسرة ، فأفاق ذات صباح فوجد نفسه فى مستشفى للسكارى ورفع رأسه إلى الطبيب فغمغم قائلا : قل لى يا دكتور ، كم مرة جىء بى إلى هذا المكان ؟

« فقال الطبيب : خمسين ، لقد أصبحت كالنبات المعمر هنا .

« فقال ولكنز : أحسب أن الخمر ستقضى على .

« فأجاب الطبيب جاداً : لن يطول أجلك يابل .

« فأشرقت أساريره وقال : ماقولك فى كأس أداوى بها دائى ؟

«فقال الطبيب: لاأمانع، ولكننى أشترط عليك شرطاً واحداً : فى الحجرة المجاورة شاب فى أسوإ حال ، وهذه أول مرة جىء به فيها إلينا ، ولعله إذا رآك أبشع مثال للسكير فزع لمرآك فتجنّب السكر طول حياته .

« وبدلا من أن يغضب بل على الطبيب ، اهتم بما اقترح عليه .

« فقال : موافق ، ولكن لا تنس تلك الكأس حين أعود .

«وكان الشاب على يقين من أنه رجل هالك ، وأما بل الذى كان يعد نفسه غير مؤمن فقد أخذ يعظ الفتى ويشير عليه بأن يسلم نفسه إلى قوة عليا .

« قال : إن الخمر قوة خارجة عنك ، قد غلبتك على أمرك، فلن ينقذك منها إلا قوة

أخرى خارجة عنك، وهى الله أو هى الحق».

ومهما يكن من أثر بل فى قلب الشاب فلا ريب فى أن أثر بل نفسه فى نفسه هو كان عظيماً . وساعة عاد إلى حجرته ، نسى ما كان من أمر الكأس التى اتفق عليها مع الطبيب. وقد كان هذا منذ اثنتى عشرة سنة، ولم يشرب بعد تلك الكأس الموعودة. وذلك أن بل لما بدأ يفكر فى غير نفسه ، اطلق العنان لمبدأ الإيثار فى الحياة — فكان له فى نفسه أثر عظيم — فصار مؤسس حركة عظيمة موفقة لإنقاذ السكارى. [راجع مقال: «كنت سكيراً » ، مختـــار ١٩٤٦ ص ٤٨ ]



## نصيحة فى وقتها

أنشأ الدكتور موريس أرنست « نادى المعمَّرين » فى لنـدن ، وغرضه أن يعاون الأعضاء حتى يعمّروا إلى المئة . وكان الدكتور يؤمن بوجوب الاستمتاع بالحياة ، فجاءهُ ذات يوم رجل يريد أن يعمِّر إلى المئـة ، وسأله النصيحة ، فأشار عليه الطبيب بأن ينصرف عن الشرب والتدخين والنساء .

فقال الرجل : أأبلغ من العمر مئة سنة إن فعلت ؟

فقال الدكتور : لا ! ولـكن يبدو لك أنك بلغتها !

·oOOo·

## هى طبيعة البشر

كنت سائراً فى أحد شوارع نيويورك مع المؤلف بولتـون هول ، فدنت منه سائلة وطلبت منه هبة . فوضع هول يده فى جيبه وأخرجها ملأى بقطع من النقـد الفضى ، وكانت كبراها قطعة بنصف ريال ، وبسط راحتهُ لهـا لتأخذ منها ما تريد . فدهشت وتحيَّرت ، ثم أخذت قطعة بربع ريال ومضت على وجهها . فسألته : أتدعهم يختارون دائماً ؟

فقال : نعم ، إن ذلك يشعرهم بكرامتهم حين يقاومون ما تسوّله لهم أنفسهم من اختيار أكبر قطعة . ولم أجد سائلا قط اختار أكبر قطعة فى يدى حتى اليوم ، ثم إن ما يختارونه يخفف عنك شـعور الحقارة إن أنت أعطيتهم قطعـــة ربما كانت فى نظرك أصغر مما ينبغى ، فلو تركتُ الخيـار لى لآثرت أن أستبقى القطعة الـكبيرة لنفسى . [ ا . هارلان ]

إن إحكام الانتفاع بالجراثيم القتالة فى الحرب ينذر بأن تكون فظائع « الحرب البيولوجية » وبالا على البشر .

# أفتك الحروب

سيدنى شاليت
مختصرة من مجلة "كولييرز"

افرض أنه فى اليوم الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٨ مات رجلٌ فى مستشفى بنيويورك بعد مرض حادّ قصير، أصيب فيه بالهذيان من جرّاء التهاب الرئتين، وكثرت القروح البشعة على بدنه، وكان يسعل دماً . فلما شرّح بعد الوفاة قرّر الأطباء أن مرضه كان طاعوناً . وقد حيّرهم ذلك لأنهم يعلمون أنه لم تحدث فى أمريكا إصابة واحدة بالطاعون منذ سنين كثيرة .

وافرض أيضاً أن هذه الحادثة قد طابقت تماماً حادثة أخرى نجمت فى الميدان الدولى وتفاقمت، على بعد مابين الحادثتين من صلة فى الظاهر : لقد عاد مندوبو المحور الجديد بالطائرة إلى بلادهم بعد اجتماعات غير مجدية مع وزير الخارجية الأمريكية . وقد أخذ بعض رجال السياسة والصحافة ينذر بأن الحرب قد تشبّ بين لحظة وأخرى، فتكون هجوماً يُشَنّ بآلات تحمل الموت الذرّى، فتزلزل الأرض زلزالاً .

ولايكاد ينقضى بعض ذلك اليوم حتى يموت رجل آخر فى نيويورك بالطاعون، ويجعل الأطباء المذعورون فى جميع أحياء المدينة يقدمون تقاريرهم عن حوادث يدركون لساعتهم أن أعراضها كأعراضه، ويموت به فى اليوم التالى ستة آخرون، وترد أنباء الذين ماتوا به من شيكاغو، وسان فرنسيسكو، ودترويت، وبوسطن .

وإذا الأمة كلها قد وقعت فى قبضة سلسلة مروّعة من الأوبئة . وقد حدث فى إحدى المدن ماظنه رجال الصحة موجة من إصابات التسمم العادى بالطعام، فإذا هو داء « البوتيولزم » الغادر الفتاك . وها هم العمال فى المصانع التى أنشئت تحت الأرض فى صحراء نيومكسيكو لبحث الذرّة وصنع أسلحتها، تراهم يسقطون موتى بالكوليرا أو التولاريميا، أو السيتاكوسيس . وفى مراعى البقر تصاب الأنعام بداء فظيع، هو طاعون البقر، وحوادثه هذه هى أول حوادث من نوعها فى أمريكا الشمالية .

هذه صورة أملاها الخيال لما يحتمل أن يصاب به أى بلد إذا نشبت حرب عالمية ثالثة .

وإن تسدد الضربة الأولى في هذه الحرب بالقنبلة الذرية، بل بأسباب الحرب البيولوجية. ويومئذ يكون رجال التخريب قد فعلوا فعلتهم في موارد المياه واللبن. ثم لا تلبث أن تهجم طائرات الأعداء وبالوناتهم وصواريخهم تقذف القنابل، وتنفث سحباً من الجراثيم والغازات السامة فوق المدن، فإذا خدش رجل من جراء رصاصة أو شظية، فهو خليق أن يموت بمرض يقضي عليه.

هذا بيان مخيف بالأمراض التي قد تستعمل في الحرب :

بوتيـــولزم : ضرب من التسمم بالطعام أفتك من الغازات السامة ألف مرة . مميت في العادة .

بروسلوسيس: الحمى المتموجة الشديدة .

سيتاكوسيس: « مرض الببغاء » الفتاك .

تولاريميا : « حمى الأرانب » التي تضعف المصاب كثيراً .

الكوليرا : مميتة في أكثر الأحيان .

الطاعون : مرض وبيء تنقله طفيليات في القوارض ، وقد قيل إنه قضى على ٢٥ مليون نفس في القرن الرابع عشر .

التهاب الدماغ السحائي : مرض فتاك يسببه فيروس يصيب جهاز الأعصاب ويضرب المخ فيميت أو يحدث عاهة دائمة . وقد سمي خطأ « مرض النوم »

وقد تبدو هذه الصورة بعيدة عن الحقيقة، ولكن إذا استندنا إلى الحقائق العلمية المعروفة اليوم، لا منذ اثنتي عشرة سنة، وجدنا تحقيقها أمراً مستطاعاً .

والتعريف الرسمي للحرب البيولوجية هو « الانتفاع بالبكتريا وضروب الفطر والفيروس والأحياء المنسوبة إلى ريكتس ( وهي أحياء دقيقة يحملها القمل والقراد على الغالب ) والسموم المستخلصة من الأحياء، لإحداث الموت والمرض في الإنسان والحيوان والنبات الحي » . ويرى بعض الثقات، ولاسيما فريق من كبار الموظفين، أن حرب الجراثيم شيء وحشي فظيع، وأنه ينبغي أن لا تعمد إليها دولة ما إلا في الدفاع . غير أن الجنرال ألدن ﻫ . ويت، رئيس قسم الحرب الكيميائية، ينطق بلسان فريق آخر يرى رأياً مناقضاً لما تقدم .

يقول الجنرال ويت : « أعتقد أنها أسلوب نافع من أساليب الحرب، وأن لنفعها الحربي آفاقاً واسعة . ومن التناقض والغباء أن يتحدث الناس عن فظائع حرب الغازات وحرب الجراثيم، وأن يوافقوا في الوقت نفسه على الحرب الذرية . فأنا أعارض كل المعارضة أولئك الذين يتحدثون عن سلاح ما : أإنساني هو أم وحشي ؟ إن

الشيء الذى هو وحشىٌّ حقاً إنما هو الحرب نفسها » .

ومعظم أصحاب الرأى من رجال الحكومة والجيش متفقون على أن الحرب البيولوجية خطر كبير ، وأنها وسيلة تستطيع الدول المحرومة أن تدبر أمرها فى الخفاء ، فتتخذ من معامل الجامعات ومصانع الجعة والتقطير مصانع سرية لصنع هذه الأسلحة الفتاكة .

وقد أجريت تجارب أحيطت بستار كثيف من الكتمان فى شأن الحرب البيولوجية خلال الحرب ، واشتركت فيها الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا ، وكان غرضها أن تستدل على أحسن الوسائل للدفاع . وقد نشر الجيش الأمريكى منذ عهد قريب طائفة من التقارير عنها ، تخرج منها بالصورة التالية :

إذا أريد اتخاذ نشر المرض سلاحاً للهجوم ، عمد العلماء طبعاً إلى أفتك عوامل المرض فيختارون أشد سلالاتها ضراوةً ، ثم يزيدون قدرتها على الفتك بما يطلقون عليه « وصف الأخلاط غير الطبيعية » . فالتيفود الذى ينتشر عادة بالطعام والماء ، يزداد ضراوة وسعة انتشار إذا ذُرَّ فى سحابة مصطنعة ، فما هو إلا أن تتنفس حتى تستنشق الجراثيم . وأما الميكروب المخيف الذى ينشر مرض « البوتيولزم » بوساطة الطعام ، فيصير أضرى وأفتك إذا دخل الجسم من جرح مفتوح ، أو من الرئتين ، فلِمَ لا يوضع على رأس رصاصة ، أو لِمَ لا ينشر سحاباً .

بيد أن وسائل الحرب البيولوجية لا تحدث جميعها عذاباً أليماً أو موتاً ذريعاً ، فتستطيع الأمة التى تشنُّ الحرب البيولوجية أن تتخذ من أساليبها ما يوافق أغراضها ، فهى قادرة إذا شاءت أن تختار وسيلة تعجز شعب خصمها إلى حين : كالديسنطاريا ، أو ضروب من جراثيم الستافيلوكوك التى تسبب لوناً من التسمُّم . فإذا فعلت ذلك ، وجد جيشها الغازى جيوش خصمها أضعف من أن تقاوم ، ولكن دون أن يحيق بهم خطر الموت ، أو قد يختار قواد الحرب البيولوجية أمراضاً تحدث آثاراً طويلة المدى ولكنها غير مميتة مثل الحمى المتموجة .

وأخيراً إذا أريد الفتك ، كان الهجوم بالوسائل الفتاكة — ما كان منها وبائياً أو غير وبائى . والأسلحة التى فى هذه الجعبة هى الكوليرا والطاعون والبوتيولزم والسيتاكوسيس . وقد قال أحد الثقات إنك تستطيع أن تصنع من الجراثيم موادّ « أفتك من الغازات السامة ألف مرة » . فأنت لا تستطيع أن تراها أو تشمَّها أو تذوقها أو تتبينها إلا بأن تزرعها لتولّدَها ، فلا تكاد

تستريب فى أمرها وتأخذها لتزرعها، حتى يكون نصف أمتك قد قضى نحبه وهلك.

فى ديسمبر ١٩٤٣ أنبأ مكتب المخابرات الأمريكى، هيئة أركان الحرب الحليفة أنه يظن أن الألمان يفكرون فى الهجوم على بريطانيا بصواريخ تحمل أسباب الحرب البيولوجية، فكان هذا التقرير هو السبب الذى دفع حكومات الحلفاء إلى الإقبال على البحث البكتيريولوجى بكل ما وسعها.

وصدرت الأوامر فى أمريكا إلى القواد، بتنفيذ الخطط المقررة لمقاومة أساليب الحرب البيولوجية فى أمريكا وخارجها.

ولم يجىء صيف ١٩٤٤ حتى كان قسم الحرب الكيميائية قد أنشأ أربع منشئات للحرب البيولوجية، واشترك مطاردو الجراثيم مع رجال سلاح الطيران فى إجراء تجارب استعملت فيها قنابل كمثل قنابل الجراثيم. وألقيت قنابل مما ينشر السحاب فى الفضاء، وكانت مشحونة بأحياء غير ضارة يستطاع تلوينها، وتنتشر فى الجو كما تنتشر جراثيم الأمراض الفتاكة. وهذه الأحياء تركت آثارها فى الفضاء وهى تنتشر، فراقبها العلماء وجعلوا يتتبعونها.

ومن غرائب المفارقات أن الإنسان لايكاد يعبث بابتكار أساليب جديدة لزيادة فظاعة [illegible]، حتى ينتهى إلى ما ينفع الناس أيضاً. وقد تم هذا فى دراسة أساليب الحرب البيولوجية، فرجال الأسطول الأمريكى الذين كانوا يدرسون نشر جراثيم الطاعون بواسطة السحاب، جمعوا حقائق كثيرة عن انتشار الأنفلونزا، فكان لذلك شأن عظيم فى صنع لقاح ضد الأنفلونزا يبشر بالخير.

وقد وسّع العلماء الباحثون آفاق علمهم بعلاج الجمرة الخبيثة، والبروسلوسيس، والسيتاكوسيس، والتورلاريميا وغيرها من الأمراض. أما فى عالم النبات فقد سعوا إلى معرفة طرائق تمكنهم من القضاء على موارد الطعام عند العدو، فاكتشفوا خلال ذلك مواد نافعة تقتل الحشائش والأعشاب التى لا نفع فيها. أما فى بحوث الحيوان فقد وجدوا طريقة جديدة تمكنهم من أن يصنعوا مقادير وافرة من لقاح يقى من طاعون البقر الفتاك، وهذا وحده يكفى ليرد على الأمة ما أنفقته فى هذه البحوث.

ويقدر ما أنفقته الولايات المتحدة على بحث وسائل الحرب البيولوجية خلال الحرب العالمية الثانية بما لا يزيد على ٥ ملايين ريال، فنفقة الحرب البيولوجية إذا قيست بالألفى مليون ريال التى أنفقت على صنع القنبلة الذرية لا تعد شيئاً مذكوراً. وهذا خطر عظيم، فإن أسلحة الحرب البيولوجية، من اليسير صنعها على كل دولة تقريباً.

قصة عالم زنجى تلهم الثقة وتلهب العزائم وتهيء كثيراً مما ينفع النـاس فى صحتهم ومعاشهم .

# الرجل الذى أبى أن يعترف بالهزيمة

بول دى كروف

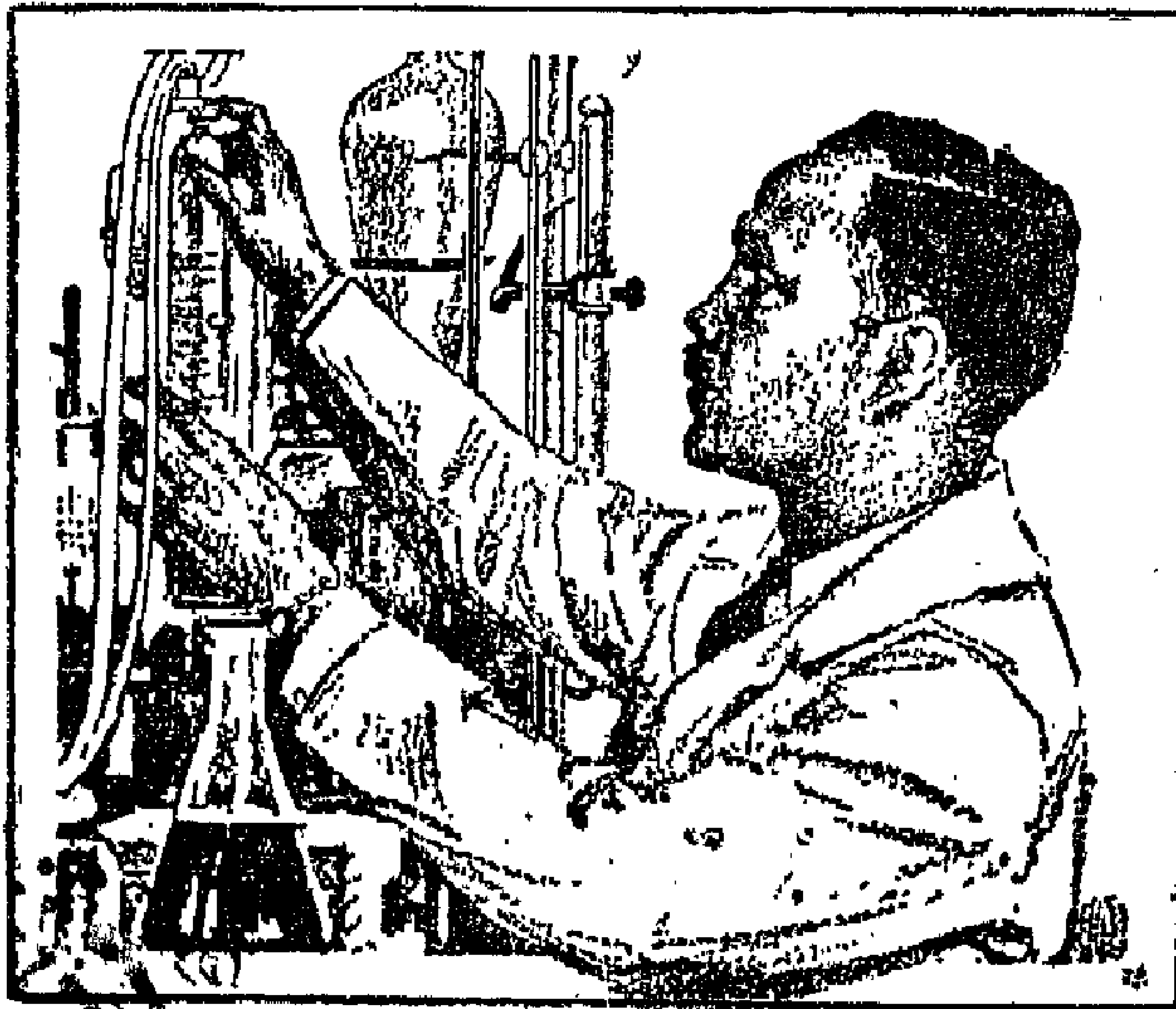
أجمع أهل العلم فى أمريكا على تكريم پرسى ل . جوليان ، وعدّه فى طليعة علماء الكيمياء عندهم . وهو يتولى منصب مدير البحث العلمى فى شركة جليدن التى تصنع مقادير كبيرة من ضروب الطلاء والدهان والطعام وإليه يعود الفضل فى ابتكار أساليب صناعية خطيرة الشأن ، من أسلوب جديد لطلاء الورق ، إلى طريقة جديدة تخمد نيران البنزين والجاز . أضف إلى ذلك أنه جعل هرمون الأنثى ، البروجستيرون ، متاحاً لجميع الحوامل اللواتى يهددهن خطر إسقاط الأجنة قبل موعد ولادتها . وقد مكن له علمه الواسع إنتاج مقادير كبيرة من هرمون الذكر ، فقل ثمنه حتى صار فى متناول ملايين من الذين يحتاجون إليه .

ومع ذلك فهـذا الرجل ، پرسى جوليان ، هو حفيد عبد رقيق .

وقد علمه أبوه أنه إذا شاء أن يصير عالماً فينبغى له أن لا يقنع بما دون النجوم . ويوم كان پرسى صبياً ، عاد فى أحد الأيام إلى بيته يلوّح مباهياً بورقة امتحانه فى الحساب وقد كتبت عليها درجته ٨٠ من مئة .

وكان أبوه رجلا دمثاً لطيفاً ، ولـكنه عنف ابنه تعنيفاً شديداً وقال : « لا يجوز لابن من أبنـائى أن يقنع بدرجة وسط ، فاجعل درجتك منذ الآن ١٠٠ فى المئة »

فوقع هذا التعنيف وقعاً شديداً فى نفس جوليان الصغير ، فصار أول فصله فى مدرسة المعلمين ، فلم يكن ذلك كافياً لإرضاء أبيه .



فإذا كان ابنه ينوى أن يصير عالماً موفقاً فلا مفر له من أن ينافس أذكى الناس . ولابد له من أن يظفر بأحسن تربية ممكنة، فذهب جوليان إلى جامعة دى پو فى ولاية إنديانا ، وهناك بدأ يتطلع إلى اليوم الذى يصير فيه حجة فى بحوث الكيمياء العضوية، وترفق العميد بلانشرد فما حاوله لكى يثنيه عن عزمه على تحقيق مطمح بعيد كهذا المطمح ، ولكن جوليان أصرّ على ما أراد ، وتوفر على دراسة الكيمياء . وفى سنة ١٩٢٠ تخرج فكان أول فصله ، ونال أعلى جوائز الدراسة .

ولكنه لم يكن يملك من المال ما يعينه على مواصلة الدراسة العالية ، ولما وزّع المال المخصص لعون المتخرجين على مواصلة دراستهم العالية فى الكيمياء ، لم ينل جوليان شيئاً منه ، فقد رأى أستاذه أنه ليس من الإنصاف لجوليان أن يشجعوه على ما ليس له به قِبَل من وقف حياته على الكيمياء . فرحل جنوباً ودرّس الكيمياء فى جامعة فيسك التى تضمّ شباباً من الزنوج ، فكان اتصاله بهم مما أذكى نار عزمه وطموحه ، ووجد فى جرأتهم على استطلاع خفايا الكيمياء وتوجيه الأسئلة إليه ، مارده مستنكراً لمحاضراته فيها ، فألف سلسلة جديدة منها ، ولما قرأها الأستاذ بلانشرد فى جامعة دى پو ، كتب إلى جوليان : « لقد بلغت محاضراتك من الوضوح مبلغاً عظيماً ، وسأمزّق بعض محاضراتى وأستبدل بها محاضراتك » .

وقرّر جوليان أن يطلب من جامعة هارفرد أن تمنحه مالا يمكنه من التوفر على البحث العلمى فيها ، وسأل بلانشرد : « أترضى أن تشدّ أزرى فى طلبى ؟ » فقال الأستاذ : «طبعاً » ، فسأله جوليان : « ولكن لماذا لم تمنحنى مالا لمواصلة الدراسة العالية يوم تخرجت ؟ » فقال بلانشرد : « كنت أعدّك طالباً ممتازاً ، ولكننى ظننت أنّ أبعد مرادك هو أن تصير مدرساً فى الولايات الجنوبية . ولست على ثقة حتى اليوم من أنك لن تلقى عقبات شداداً فى طريق الكيمياء ، فإذا كنت تجرؤ على المحاولة ، فأنا نصيرك » .

كان جوليان فى هارفرد حديث الناس ، فقد اشتغل وقاداً ، ونادلاً ، وكان مع ذلك يواصل الإكباب على تجارب الكيمياء إلى جوف الليل . فظفر بدرجة أستاذ فى سنة ، وكان فى طليعة فصله . وقد ألفت هارفرد أن تعيّن الشبان الذين ينالون هذه الدرجة معيدين فيها، ولكن رجال الجامعة لم يعينوه، وقالوا إنهم يخشون أن يأبى البيض من طلبة الولايات الجنوبية أن يقبلوه معلماً لهم .

وظل مقيماً فى هارفرد أربع سنوات يستعين بمال قليل لمواصلة البحث ، ثم عاد أدراجه إلى الجنوب ليدرس فى كلية وست فرجينيا للزنوج ، وكان معمله فيها عاطلا من أدوات البحث أو يكاد . وتولى هو وحده تدريس الكيمياء ، وقام بعمل خازن المعمل وفراشه ، ولكنه لقى هناك مرِّبياً ملهماً هو رئيس الكلية ، جون و . ديفس. فلما أيقن من تشجيع ديفس له أكب على البحث الكيميائى المستقل . وكان يتوق أن يعثر على المركبات العضوية البسيطة ، ثم أن يستكشف أسلوب الطبيعة فى تحويل هذه المركَّبات إلى المواد الأصلية فى الأجسام الحية كالفيتامينات والهرمونات ، ثم أراد — وهذا دليل على جرأته — أن يصنع بيديه فى معمله مقادير لا حدود لها من هذه المواد .

ولكى يحسن تدريب نفسه ، بدأ يعيد تجارب إرنست سباث العالم النمسوى الذى ركب النيكوتين والإفيدرين . وقد أسفر عمله خلال سنة واحدة عن نتائج باهرة ، فعين رئيساً لقسم الكيمياء فى جامعة هوارد فى وشنطن ، فوضع هناك تصميما لمعمل كيميائى يكلف مليون ريال ، ثم شيده . ولكن ظمأه إلى العلم لم يطفأ .

كان الأستاذ كولر فى هارفرد ، قد أحسن تعليمه ، فعرف كيف تجتمع ذرات الكربون جماعات شتىَّ الأشكال ، فتتألف منها ألوف من المركبات العضوية التى تبنى بها أجسام الأحياء . ولكن أنى له أن يجارى الطبيعة ، وأن يصنع هذه المواد الكيميائية ؟ إن ذلك ليس علماً وحسب ، بل هو فن دقيق مرهق أيضاً ، فمن له بأن يصير تلميذاً يتلقى العلم على إرنست سباث العظيم ؟

وقد هبَّ إلى معونته شاب كان زميلا له فى هارفرد ، وهو ابن رجل من كبار أهل المصارف والصناعة ، فتيسر له بمال هذا الصديق وبما وهبه إياه مجلس التعليم العام ، أن يسافر إلى فينا .

وقد عامله سباث معاملة العالم لزميله ، ودعاه إلى بيته . وفى سنة ١٩٣١ ظفر جوليان من سباث بدرجة الدكتوراه فى الكيمياء العضوية ، وعاد الدكتور جوليان إلى جامعة هوارد ليبدأ مشروع بحث علمى فى موضوع حير ألباب أعظم علماء الكيمياء فى العالم منذ زمن طويل .

إن « الفيسوستيجمين » عقار قوى يستعمل فى علاج الجلوكوما ، أحد أمراض العين ، وهو العقار الذى اشتق منه عقار آخر ، « البروستيجمين » ، الذى ينتفع به

اليوم ألوف من المصابين بكلال العضلات الخبيث على أثر مرض أو إصابة فى حادث* وكان العلماء يعرفون التركيب الكيميائى لعقار « الفيسوستيجمين » ولكنهم عجزوا عن تركيبه فى المعمل .

ولم يكد جوليان يبدأ فى تنفيذ مشروعه حتى دعاه أستاذه القديم بلانشرد ليعود إلى جامعة دي پو لإرشاد كبار الطلبة الذين يدرسون أساليب البحث ، وكان بلانشرد قد اقتنع بتفرّد تلميذه السابق ، فأقدم على عمل لم يكن ليقدم عليه من قبل . فقد شنّ حملة فى طول البلاد وعرضها ليجمع لجوليان مالا ينفقه فى البحث ، وقد طلبه من أمناء الجامعة وخريجيها ، ومن الناس أبيضهم وأسودهم على السواء . وفى أوائل العقد الرابع من هذا القرن ، راعت دوائر الكيمياء سلسلة من الرسائل العلمية الأصيلة نشرت فى مجلة الجمعية الأمريكية الكيميائية ، مؤداها أن تجارب جوليان المتوالية ، قد أدنته رويداً رويداً من صنع الفيسوستجمين بالتركيب الكيميائى .

وكانت الليلة التى أجرى فيها جوليان تجربته الأخيرة فى تركيب هذا العقار ، ليلة مشهودة . فهنا تجد فى أنبوبٍ واحد ، البلورات الطبيعية لعقار الفيسوستجمين ، مستخلصة من فول كالأبار ، وترى فى أنبوب آخر البلورات التى صنعها جوليان بالتركيب الكيميائى خلال ثلاث سنوات من الجهد المضنى . فإذا ثبت أن درجة انصهار الطائفتين من البلورات هى درجة واحدة ، كان ذلك دليله الأخير الحاسم على أن المادتين كلتيهما مادة واحدة . وإذا اختلفت درجة انصهار إحدى الطائفتين عن درجة انصهار الأخرى ، فقد ذهب كل جهده سدًى . وأخذ مساعده ، جوزف بيكل ، يسخن البلورات الطبيعية ، وجعل جوليان يسخن البلورات المصنوعة ، وكان الأستاذ بلانشرد يراقبهما وقد علق أنفاسه .

وإذا بيكل يصيح : « بدأت تنصهر » فردّ جوليان : « وعندى أيضاً » . فقد سجل مقياس الحرارة درجة واحدة .

وإذا بلانشرد الأستاذ الشيخ الأبيض من أقاصى الجنوب الأمريكى ، وبيكل الزميل الألمانى ، وجوليان الزنجى ، يتعانقون ، واغرورقت أعينهم بدمع الفرح والسعادة .

وانهالت تحيات العلماء على جوليان من بلاد أوربة وأمريكا . فالغلام الذى طمح إلى وقف حياته على دراسة الكيمياء ، يرى اليوم أن مُنْيته تكاد تتحقق . ولعله تذكر ما كان يوم خرج من ضيعته مودعاً أهله

* مقعدون ينهضون ويمشون ، المختار إبريل ١٩٤٤ صفحة ٣٦

ليذهب إلى جامعة دى پو . وكان بين أهله الذين ودعوه أمٌّ جدته ، التى جنت مرة ٣٥٠ رطلا من القطن فى يوم واحد ، وهى الآن فى التاسعة والتسعين ، وهذه يدها المغضنة تودعه . وقد ودّعه أيضاً جده بيد قطع إصبعان من أصابعها ، لأن سيده الأبيض عرف أنه قد تعلم أن يكتب . وأما تحية الوداع من والده ، فكان معناها أنه لايرضى منه فى دراسته بشىء دون الكمال .

ولعل جوليان تذكرهم فى ظفره هذا كما رآهم يومئذ — ثلاثة أجيال من أهله وقفت تبتهل وتدعو ، ولقد برَّ بهم جميعاً ولم يخذلهم . وهذا هو العميد بلانشرد يريده اليوم رئيساً لقسم الكيمياء فى جامعة دى پو ، فإذا قبل كان أول زنجىٍّ تولى منصب أستاذ للكيمياء فى معهد من معاهد البيض فى أمريكا . إنه سيجعل دى پو قبلة العالم فى دراسة الكيمياء ، ولكن رحابة صدر بلانشرد كانت أعظم من رحابة صدر زملائه — فقد رأوا أنه « لايحسن » أن يعينوه .

كان ذلك يوم حسرة فى حياة جوليان ، ولكن و . ج . أوبريان ، وكيل مجلس الإدارة فى شركة جليدن ، دعاه بالتلفون من مدينة بعيدة ، وقال إن شركته مافتئت تبحث بين رجال العلم عن أصلح كيميائى يتولى البحث فى فول الصويا ، ومايقال عن الذخائر الطبيعية الكامنة فيه . وكان يبدو من الحديث أن أوبريان أحد أولئك الرجال الذين يظنسون أنه إذا كان الناس خليقين بتكريم أبطال الملاكمة من الزنوج ، فينبغى لهم أن يرحبوا بأبطال الكيمياء منهم فى ميادين الصناعة .

وكانت أول مهمة ألقيت إلى جوليان فى شركة جليدن أن يبتكر طريقة لتحضير بروتين الصويا حتى يسهل الإنتفاع به فى طلاء الورق . وسأله مدير جليدن : « ما رأيك فى طريقتنا المتبعة الآن ؟ » فلم يداورهم جوليان وقال : « إنها سخيفة » .

وقد ظل جوليان أشهراً متعددة يعمل فى جو يشيع فيه خبث رائحة المواد المتحللة ، فكان يأخذ قدراً من فول الصويا ويضعه فى القدور يوم الإثنين ، فإذا أقبل على المعمل يوم الأربعاء ذرعه القىء لما فى الجوِّ من رائحة خبيثة ، وكان لون المقدار اليسير الذى يستخلصه من بروتين الصويا بالغ السواد يحيل الورق الأبيض المطلوب ورقاً أسمر .

وعالجت أصابعه الطويلة المتفننة كل وسيلة للتغلب على الميكروبات التى تحدث الانحلال والفساد ، وفتق له عقله حيلاً كيميائية عجيبة لتصفية البروتين وحله ومعالجته — وهو

من أعصى المواد على هذه الأساليب . فلم تكد تنقضى سنة حتى حوّل خسارة كبيرة تعانيها الشركة إلى ربح أكبر . وقد اشترك فى تصميم البناء الخاص بصنع البروتين وأشرف على تشييده ، فبلغت نفقته حين تمّ مليون ريال . أما اليوم فتجد شركة جليدن قادرة أن تبيع خمسة أضعاف ما تطيق أن تصنعه من بروتين الصويا ، وهو أرخص من كاسين اللبن ويصلح مثله لطلاء الورق .

ولكن هذا لم يكن سوى فاتحة ، فيوم كان الأسطول الأمريكى يجاهد جهاد المستميت فى المحيط الهادىء ، ظهر نفع جديد لبروتين الصويا الذى صنعه جوليان فى مناضلة اليابان . فقد كان مهندسو «شركة فوم» يتتبعون عمل جوليان ، فوجدوا أن بروتين الصويا يضرب على نيران البنزين والزيت ستاراً لا يخترقه الأوكسجين ، فيخمدها كأن يد ساحر قد مستها . وهذا أساس الطريقة التى انتفع بها الأسطول فيما بعد فأنقذت حياة ألوف من البحارة والطيارين وطائفة كبيرة من سفن الحرب .

ولم يكد جوليان ينال الظفر فى صنع البروتين الجديد ، حتى انقلب إلى نفاية فول الصويا يستخرج منها مواد خليقة بأن تعزز نشاط الأبدان ، فهناك مواد الستيرول فى فول الصويا ، وهى مواد كحولية تشتق من مركب كيميائى عضوى يعرف باسم (سيكلو – بنتانو – بزهيدرو – فينانترين) والعلم بهذه المواد معقد كأسمائها .

ويوم أكب جوليان ومساعدوه من الكيميائيين على هذا البحث ، كان هرمونا الذكر والأنثى يصنعان من ستيرول حيوانى يعرف باسم كولستيرول ، وهو يستخرج فى مقادير ضئيلة من النخاع الشوكى والمخ فى الأنعام ، وكان العلماء الألمان قد استخرجوا ضروب الستيرول من فول الصويا ، ولكن ما استخرجوه لم يكن صالحاً للتجارة ، لأنه قليل وغالٍ ، فالرطل من ستيرول الصويا كان يباع بمئة ريال .

هذه المواد الكيميائية الثمينة كانت مطوية فى زيت الصويا ، الذى ينبغى أن يحوّل صابوناً فى إحدى مراحل تحضيره للانتفاع به فى أغراض شتى . ولكن المشكلة كانت أن صابون زيت الصويا يصير كتلة صلبة ، يعجز العلماء أن يذيبوا منها ما فيها من الستيرول . ثم اتفق لجوليان ذات يوم أن عثر بالحل الكيميائى البسيط لهذا المشكل ، فقد كان فى أحد الأيام يراقب صاحباً له من المخترعين وهو يصنع مركباً يمكنه أن يمنع تصلب الجبس ، وأضاف المخترع مادة الجير ، فإذا المادة قد انتفشت حتى صارت كتلة كثيرة المسام كرغوة الصابون .

فانتفع جوليان بهذا فى علاج الصابون المصنوع بزيت الصويا . فلما جعل الصابون كتلة هشة ذات مسام ، أنفذ فيها مواد كيميائية تذيب مافيها من ستيرول ، فصار فى وسع جوليان وأعوانه أن يحضروا مقادير عظيمة من الستيرول بعد أن كان نادراً .

وكانت النتيجة الأولى التى أسفر عنها هذا البحث ، رحمة مرسلة من الله إلى الحوامل اللواتى يهددهن خطر الإجهاض . وكان الأطباء قد وجدوا أن الحقن بهرمون الأنثى ، البروجستيرون ، ينفع الحوامل . ولكن الهرمون كان قليلا ، فصنعت مقادير كبيرة من البروجستيرون ، من ستيرول الصويا الذى هيأه جوليان ، حتى صار فى متناول كل حامل تحتاج إليه .

وقلة مادة الكولستيرول كانت أيضاً عقبة تحول دون تحضير مقادير وافية من هرمون الذكر ، تستوستيرون . وهذا الهرمون يعين الكهول والشيوخ على الاحتفاظ بنشاطهم ويمدّ أجل شباب الحياة . ويقدر عدد الذين هم خليقون أن ينتفعوا به كل يوم من الذين بلغوا سن ٤٥ أو تجاوزوها ، بنحو عشرة ملايين . وقد أثبت جوليان ومعاونوه أن كلّ رطل من ستيرول الصويا يخرج من التستوستيرون ، مثل مايخرجه الرطل من الكولستيرول ، أو أكثر . وإذن فليس لتحضير التستوستيرون اليوم حدّ يحدّه — أكثر من فول الصويا ، يكثر عندك زيته ، فيكثر الستيرول المستخرج منه ، ويكثر مايمكن أن تصنعه من هرمون الذكر .

هذه الأعمال العلمية الباهرة ، جعلت شركة جليدن توفر لجوليان من الحرية مالا يمكن أن يتيسر له مثلها فى أية جامعة ، وعنده فى معمله بمدينة شيكاغو ، خمسون من أقدر الكيميائيين ، من بيض وزنوج وهو يتولى إرشادهم فى الطريق الوعر ، طريق البحث العلمى . وهم الآن معنيون بتحضير مادة « بريجنينولون » لمكافحة التعب والإعياء ، وقد يثبت أنها أيضاً هرمون لمقاومة الشيخوخة . وهم يحضرون الأحماض الأمينية الأساسية التى تعين الجسم على كفاح عدوى الأمراض ، وتعدّ اليوم منقذاً للناس من عوادى الجوع وقد أرادت الشركة أن تبالغ فى تكريم جوليان ، فتراها تضع الخطط لتشيد له معهداً فخماً للبحث ، ولن يقتصر البحث فيه على تطبيق العلم ، بل سيشمل البحث فى أصول العلم أيضاً . وأنت لاتكاد ترى پرسى جوليان حتى تستيقن أنه وهو فى السنة السابعة والأربعين من عمره ، لايزال فى مستهل عمر مديد يتيح له أن يسدى إلى الكيمياء يداً لها أعظم الأثر فى حياة البشر .



# مات الملك برغم جودة العلاج

بقلم هوارد هاجرد
أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة هارفرد
مختصرة من كتاب "شياطين، وعقاقير، وأطباء"

في صباح اليوم الثاني من شهر فبراير سنة ١٦٨٥ كان الحلاق يحلق ذقن شارل الثاني ملك إنجلترا في مخدعه، فأصيب الملك بغتة بتشنج عنيف وأغمى عليه، ولم يفق من إغمائه إلا مرة أو مرتين، ثم قضى نحبه بعد بضعة أيام. وأغلب الرأي أن الملك أصيب بسُدَّة، أي عَلَقة من دم طفَت في تيار الدم وسرت معه، فسدَّت شرياناً من الشرايين، وحرمت بعض المخ من الدم، أو لعل كليتيه كانتا مريضتين.

كانت الخطوة الأولى في علاج الملك هي فَصْدُه، فأخذ مقدار نصف لتر من الدم من ذراعه، ثم فصدت كتفه وحُجِم، وأخذ من دمه مقدار ربع لتر آخر. وبعد هذا الهجوم القاتل على الملك المريض، جاء دور العلاج بالعقاقير، فأعطى الملك مُقيئاً ومسهلين، تلتها حقنة في الشرج، خلط فيها الإثمد (الأنتيمون) والكاسكارا والملح وورق الخبازى، والبنفسج، والبنجر، وزهر البابونج، وحبّ الشمر، وبذر الكتان، والقرفة، وحب الهال (الحبهان) والصبر. وأعيدت حقنة الشرج بعد ساعتين، وتلاها مسهل آخر.

وحلق شعر رأسه، وأحدثت نفّاطة على فروته. و نشِّق الملك نشوقاً مهيجاً للعطاس مصنوعاً من جذور الخربق الأسود، ثم مسحوق زهر الشوكران «لتنبيه المخ»، وسُقِى النبيذ الأبيض، والأبسنت، واليانسون، وعصير ورق المسك، والنعناع، والسَّذَاب، وحشيشة الملك.

وعولج ظاهر بدنه بلزقة على القدمين مصنوعة من قطران برجندى وذَرْق الحمام، وداوموا على الفصد والإسهال. وقد أضيف إلى الأدوية بذور البطيخ، والمن، والدردار اللزج، وذوب اللآلى، وتلاها جذور الجنطيانا، وجوز الطيب، والكينا والقرنفل.

ولم تتحسن حالة الملك بل ساءت، فأسعف بأربعين قطرة من خلاصة الجماجم البشرية لتسكين التشنج. ولكى ينبهوا المريض أعطوه جرعة من ترياق راليه الذى يحتوى عدداً عديداً من خلاصات الأعشاب والحيوان. وأخيراً أعطى حجر البادزهر

(كان يستعمل قديماً ترياقاً للسموم) . قال سكاربرج أحد الأطباء الاثنى عشر الذين عالجوه : « وبعد ليلة مشئومة بدا وأسفاه أن قوى جلالته قد خارت ، وفقد الأطباء كل أمل فى إنقاذه ، واستولت عليهم الكآبة. ولكى لايظهروا فى مظهر المتلكىء فى تأدية كل مايجب عليهم ، لجأوا إلى أقوى شراب معروف» . وكان هذا الشراب خلاصة شاملة لعقاقير الصيدلة ، فكانت أمشاجاً مختلطة عجيبة التركيب ، فيها من ترياق راليه وشراب اللؤلؤ وروح النشادر ، ثم دفعوه دفعاً فى حلق الملك المحتضر .



## سر مع العالم

◆ حين تهتاج النفس ، فى ساعة هرج ومرج ، يشقُّ الاعتماد على الذاكرة فى تصوير ماحدث . وقد أراد أستاذ أن يقيم الدليل على ذلك ، فدبَّر شغباً يبغت به طلبة فصله ويفزعهم ، فاقتحم أربعة منهم حجرة الدراسة ، وناقر بعضهم بعضاً ، وظلوا ثلاثين ثانية يحطمون مانالته أيديهم من الأثاث ثم اندفعوا خارجين . فلما سأل الأستاذ الطلاب التسعة والعشرين الآخرين ، عجزوا جميعاً — ماعدا ثلاثة — عن تذكر عدد الشبان الذين اقتحموا الحجرة .

◆ أعجب صدىً معروف فى العالم اليوم ، هو صدى « وكر العقاب » فى الجبال التى تحيط ببحيرة كيلارنى فى إرلندة ، فإذا نفخ فى بوق أمامه وعلى مسافة معينة منه ، تردَّد صدى النفخ مئة مرة .

◆ إن « الميدان الأحمر » المشهور فى موسكو ، لم يؤخذ اسمه من ثورة « الحمر » فى سنة ١٩١٧ ، ولا من شعار الحزب الشيوعى ، بل هو يرجع إلى العصور الوسطى ، فقد كان اسمه بالروسية كراسنايا — وهى تعنى « أحمر وجميل » .

◆ جرت العادة فى اليابان أن يتلقى الندل والحلاقون والحمَّالون منح الزبائن فى ظروف صغيرة أعدت خاصة لذلك ، ذلك بأن تقديم المال « عارياً » يسوءهم ، فهم يعدونه ازدراءً بكرامتهم .

# الرأسمالية الجديدة
# فرصة للجميع

إريك جونستون ★

نحن رجال الأعمال نملك سرّ إنشاء رأسمالية جديدة تساير مبادىء التقدم والحرية ، ونحن نقول إننا نؤيد تعزيز المكانة الاقتصادية للطبقة المتوسطة ، وهذا يعني أن يقلّ عدد الذين في الحضيض ، وعدد الذين في القمة ، وأن يكثر عدد الذين في الوسط . إذن فما عيب تحديد حدّ أدنى للأجور يحفظ على الإنسان كرامته ؟ فهذه إذن وسيلة لرفع مستوى الذين في الحضيض . أليست كذلك ؟ وهي أيضاً وسيلة لزيادة عدد الذين في الوسط .

ونحن نقول إنه يؤسفنا أن نرى الكساد في الحين بعد الحين ، وتعطل العمال عن العمل في فصول بعينها ، ونقول إننا نطلب عملا ثابتاً للعمال . إذن فما هو عيب الأجر السنوى ؟ إنه يكفل للعامل عملاً ثابتاً سنة كاملة ، أليس كذلك ؟

ونحن نقول إننا نريد حقا أن نرى نعم الحياة أوفر انتشاراً بين الناس . إذن فما هو عيب نظام المشاركة فى الأرباح ؟ وما هو عيب ابتكار الحوافز للعمال حتى يزيدوا إنتاجهم — فيزيد ربحهم ، وربحك أيضاً .

ونحن نقول إننا نريد لجميع الناس بيوتاً أفضل وتعليما أرقى ، وأننا نطلب مستوى صحياً أعلى، وما يكفل حسن العيش للجميع حين تتقدم بهم السن ، وأننا نريد جميع أسباب الرخاء الحقيقي لجميع الناس .

فإذا كنا نريد ذلك حقاً ، فينبغي أن تكون ثمة وسائل لتحقيقه . ولست أزعم أن الوسائل التى ذكرتها هى الدواء لكل داء ، بل أقول إنها أشياء ينبغى لنا معشر رجال الأعمال أن نفكر فيها ، إذا أردنا نكفل لأنفسنا مستقبلاً بما نكفله لسائر الناس من مستقبل .

كانت الرأسمالية القديمة تعدّ نظاماً آليًّا بحتاً ، أو كانت ضرباً من آلة الحركة الدائمة التى يحركها دافع الربح . فالرأسمالية فى هذا التصوير فكرة عتيقة بالية لا تلائم حقائق

---

★ مختصرة من خطبة وداع ألقاها عند اعتزاله رئاسة الغرفة التجارية الأمريكية .

العصر الحديث ، فينبغى أن نسمو بتفكيرنا إلى مستوى من الرأى يعدُّ النهوض بالمصلحة العامة أساساً للعمل النافع ، فقد بلغنا فى تقدمنا حدًّا ينبغى لنا عنده أن نوجّه التاريخ كما نريد ، لا أن ندع التاريخ يفعل بنا ما يشاء .

وعلينا اليوم أن نختار بين المجتمع الرأسمالى القديم ، والمجتمع الرأسمالى الجديد . إن القديم مثقل بآراء بالية جامدة — ضدّ جماعات العمال المنظمة ، وضدّ نشاط الحكومة ، وضدّ الاقتصاد الموجّه . أما الرأى الجديد المتطلع إلى الأمام ، فهو أن الرأسمالية نظام إنسانى يفور حياة ويسير على سنن التطوُّر ، وفى وسعه أن يلائم بين أصوله وبين الأحوال الجديدة ، فهو أداة فى أيدى الناس يستخدمونها لخير الناس جميعاً .

كانت كلمة « رأسمالى » يوم توليت رئاسة هذه الغرفة منذ أربع سنوات ، صفة لضرب معين من الناس . وكنتَ تصف الرأسمالى بأنهُ « منتفخ الأوداج » ، وكانت الأرباح توصف بأنها « ضخمة » ، وكان الرأسماليون فى عرف الناس يزدادون سمناً وغنى بما يأكلونه من جهود الفقراء والمساكين .

وكان من آيات البراعة أن تدعو نفسك اشتراكياً ، وكان هذا الوصف خليقاً أن يفتح لك الأبواب إلى أى مجتمع ، أما الرأسمالية فكانت تتسلل لِوَاذاً من الأبواب الضيقة إلى تفكير الناس .

وقد كان هذا كله خطأً فاحشاً منذ أربع سنوات — ولم يزل . وأذكر أنى قلت إننا معشر رجال الأعمال ، قد أفزعتنا حملة اللوم القارص التى شُنت علينا ، وقد بلغ من خوفنا اننا لُذْنا بعبارة غامضة هى عبارة « نظام العمل الحرّ » .

وقد قلت يومئذ : إنك لا تستطيع أن تستروح نسمة من « العمل الحر » وتبنى بها مصنعاً ، فإنشاء مصنع وتوفير عمل للعمال يقتضى مالاً — رأس مال . فالكلمة التى ينبغى أن ينحصر فيها فكر الأمة اليوم هى بغير مداورة أو مواربة ، كلمة « الرأسمالية » .

وهذا الرأى اليوم أصدق مما كان منذ أربع سنوات ، وسوف يزداد على الأيام صدقاً — فى السنة المقبلة ، أو بعد خمس سنوات ، إذا عقدنا عزمنا على الاحتفاظ بنظام العمل الحر .

وينبغى لنا أن نباهى بالنظام الرأسمالى ، فالرأسمالية القائمة على المنافسة كان لها شأن عظيم فى كسب أعظم حزب فى التاريخ ، بيد أنه يجب علينا أن نوجه عنايتنا منذ اليوم إلى عظائم الأمور التى يمكن تحقيقها فى المستقبل ، فى ظل ضرب جديد من الرأسمالية .

إن تعريف الرأسمالية فى المعجم أصبح ميتاً كالحيوانات المنقرضة : « الرأسمالية حشد رأس المال . نفـوذ رأس المال متى انحصر فى أيدى رجال قلائل » .

وقد عاش رجال الأعمال أمداً طويلاً فى ظلال هـذا التعريف ، وهو لا ينطبق إلا على ما مضى من عهـد السلب والنهب ، والسالبين والمحتكرين .

ما رأيكم فى هذا التعريف : « الرأسمالية نظام اقتصادى يسمح بالمنافسة ، ويرمى إلى زيادة ثروة الكثيرين ، لا إلى زيادة ثروة رجال قلائل وحسب » .

وينبغى أن نولى وجوهنا شطر هـذا الضرب من الرأسمالية ، ولا نلوى على شىء ، والواقع أنه لامفر لنا من ذلك ، إذا أردنا أن نصون ما لدينا من نعم الحياة ، حتى لا تودى بها موارد التلف .

بيد أنه ينبغى لنا أن نطبق هذا التعريف ولا بد من أن نحدث وجوهاً من التغيير تُوائم الأحوال الجديدة والآراء الجديدة والتفكير الجديد . أفتستطيع الرأسمالية أن تثبت حيال النظم الجماعية الصاخبة فى أقطار أخرى؟ أو تستطيع الأمم فى عصر يميل إلى قيام الكتل الاقتصادية الكبيرة ــ الشركات الضخمة ونقابات العمال العظيمة ، وهيئات الحكومة التى تصرف مالا وفيراً ــ أن تحتفظ بالحريات الفردية والمنشآت الحرة ، وأن تعززها ؟

وأنا أزعم أنها تستطيع ، بل هى خليقة أن تزداد ازدهاراً على الأيام .

إن الفرد فى ظل الرأسمالية الجـديدة عامل حر ، يحق له أن يتخـذ القرار الذى يراه ، ولكن لا يحق له أن يعتدى على حقوق غيره . والرجل أجلُّ شأناً من الآلة ، فكرامة المرء لها المقام الأول . هذا هو الرأى الجديد ، أما نقيضه فهو الرأى القديم ، رأى النظام الجامع الذى يجعل المقام الأول للدولة .

وهذا هو الفرق بين اقتصاد روسيا والاقتصاد الحرّ . ففى الرأسمالية الديمقراطية يستطيع العامل إذا اختلف هو ورئيسه أن يطلب عملا جديداً من صاحب عمل آخر ، أما فى الدولة الجامعة ، فترى الدولة تعين للعامل أين يعمل ، وليس له سوى رئيس واحد هو الدولة ، فإذا اختلف هو ورئيسه أرسل إلى سيبيريا .

فالرأسمالية الجـديدة تعترف بعلوّ شأن الفرد ، ولكن ينبغى لها أن تعترف أيضاً بأن الاجتماع الحديث الذى قام فيه الإنتاج الواسع النطاق : قد دفع الأفراد إلى تنظيم جماعات اقتصـادية تذود عن مصالحهم . فالأفراد اليوم ينتسبون إلى نقابة أو جمعية

تجارية أو زراعية ، ، وقد نزلوا عن بعض حرياتهم إلى هذه الجماعات التي اختاروها حتى يستطيعوا أن يعملوا عملا منتجاً فى مجتمع يسوده نظام الإنتاج الواسع النطاق.

فهذه الجماعات الاقتصادية الحديثة ، هى قلب الرأسمالية الجديدة ، وستظل قائمة . بيد أنه لايسعنا أن نطلق لها العنان ، فإن لم تنظم أصبحت أقوى سلطاناً من الدولة نفسها. ولا يمكن للرأسمالية الجديدة أن تنجح إلا إذا خضعت هذه الجماعات لنظام عام .

وأفضل التنظيم هو أن يبلغ تنظيم الجماعات نفسها بنفسها أقصى حد ، وأن يخفّ تدخل الحكومة فى هذه الجماعات إلى أدنى حد ، ولكن علينا أن نتقبل كل تنظيم معقول لهذه الجماعات تسنه الحكومة ، فهى فى منزلة الحكم الذى يضع القواعد العادلة ، ثم يسهر على أن يحترمها الفريقان .

وليس فى وسعك اليوم أن تنظم أحد الفريقين دون الآخر ، فرجال الأعمال يطلبون تنظيم النقابات ، ورؤساء النقابات يطلبون أخْذ رجال الأعمال بنظام أدق ، والفلاّحون يريدون أن يخضع الفريقان لنظام معروف . ولا يسعك أن تطلب من إحدى هذه الجماعات أن تبين لك مواردها من المال ووجوه إنفاقه ، إلا إذا طلبت ذلك من الجماعات كلها .

والرأسمالية الجديدة تتطلب عنصراً أصيلاً آخر — هو تكافؤ الفرص لجميع الناس ، ولن تتكافأ الفرص بغير منافسة عادلة . فقد كانت الرأسمالية القديمة قائمة على الاحتكار ، فكانت تقضى على المنافسة، فتقضى بذلك على الفرصة المتاحة للعامل الصغير. أما الرأسمالية الجديدة فينبغى أن تشجع المنافسة ، فتفتح بذلك أبواب الفرص ، وأن تجعل غرضها أن يصير كل رجل رأسمالياً.

والمنافسة ، فيما أراها ، هى المنافسة التى تهيء الفرصة لبروز الآراء والأفكار الجديدة النافعة ، وظهور الرجال المتصفين بأخلاق الزعماء ، وهى المنافسة التى تبقى أسعار الأشياء عند حد معقول ، فتمهّد لتحسين أحوال المعيشة .

فهذه الرأسمالية الجديدة ، تعترف بأن الفرد له المنزلة الأولى ، وتدعو كل جماعة إلى تقدير تبعتها فى كل ماتفعل ، وتعظم شأن الفرصة التى ينبغى أن تتاح للناس .

وأمامنا عشر سنوات حاسمة ، فينبغى أن لا ننسى أن الحكم فى دولة ديمقراطية هو حكم الأكثرية ، فينبغى للأكثرية ، وهم العاملون ، أن تحس بأنها تنال قسطها من الربح فى نظام قائم على مبدأ الربح ، فإن لم تحسّ ذلك فربما رأت أن تعمل على قيام نظام آخر .

قلبوا نظركم فى أرجاء الأرض تروا ما تم فيها. فقد زالت الرأسمالية القديمة أو كادت — « صُفِّيت » فى روسيا ، وهى فى حشرجة الموت فى أوربة ، وتكاد تختنق فى بريطانيا.

كانت فترة رئاستى للغرفة التجارية فترة تجربة ودراسة ، وقد اقتضانى عملى فيها أن أتجول فى أقطار الأرض ، فرأيت مصرع الرأسمالية بعينى رأسى . وقد اقتضانى عملى أيضاً أن أتجول فى أمريكا مراراً لا حصر لها ، فخرجت من هذه الرحلات بهذه العبرة : علينا معشر رجال الأعمال : إما أن نساير المبادىء الحرة ، وإما أن نواجه خطر الانقراض . هـذا هو ناموس الحيـاة : « المسايرة أو الانقراض » .

إن فى أيدى رجال الأعمال ذلك المفتاح الذى يفتح باب هذه الرأسمالية الجديدة ، ولا يسعنا أن نتغاضى . فالتبعة واقعة علينا ، والفرصة سانحة أمامنا ، والقول الفصل لنا.

---

## سر المعاشرة

كثيراً ما يكون الفرق بين الزواج الموفق والزواج غير الموفق ، هو أن يحرص المرء فى كل يوم على أن يكف لسانه عن نطق كلمة أو كلمتين . [ هارلان ميلر ]

OO··OOOO··OO

## فيم يتقاتلون ؟

دار مرة حديث بينى وبين أحد أمراء القبائل آكلة لحوم البشر ، فلما أنبأته بخبر الحرب العظيمة الناشبة بين أهل أوربة ، عجب كيف يستطيع هؤلاء الأوربيون أن يأكلوا هـذه المقادير الهائلة من لحوم البشر . فلما قلت له : إن الأوربيين لا يأكلون لحوم القتلى من أعدائهم ، أجفل ونظر إلى نظرة المستهول وقال : « إنهم لقوم متوحشون ! فهم يقتتلون لغير غرض مقصود » .

[ العالم برونسلاو مالينوفسكى ]

# أسباب الموت المفاجئ فى البيت

ج . س . فرناس

مختصرة من " تسيديز هوم جورنال "

الحكم النافعة الشائعة : لاتقف على كرسى إذا أردت أن تنال شيئاً يبعد عن متناولك بل استعمل سلماً من سلالم المنازل المأمونة . ومع ذلك :

رأت إحدى جارات أرلين كالامان دخاناً خفيفاً يتصاعد من نافذة المطبخ ، فذهبت تتحرّى ، فألفت نفسها منحنية على جارتها مطروحة على الأرض والدخان يتصاعد من ثوبها . فقد وقفت أرلين على كرسىّ متداع لتتناول شمعاً تستعين به فى كىّ ثوبها . فتحطم الكرسى فوقعت مغشياً عليها ، وانقلب لوح الكىّ ، والمكواة متصلة بالتيار الكهربائى ، فحرقت جنبها حرقاً فظيعاً . ولم تتخلص من الندبة الكبيرة التى بقيت ظاهرة فى جنبها إلا بجراحة غالية . ومع ذلك فقد كانت سعيدة الحظ ، فقد كان ثوبها خليقاً أن يلتهب فيقتلها اللهيب .

وقد تكون النية حسنة ولكنّ الجهل أو الإهمال قد يحيلها خطراً . فقد اعتادت مسز أندرسن الدقيقة فى تدبير منزلها ، أن تغسل زجاجات اللبن بماء مغلى . وتضعها أمام بابها . وفى يوم شديد البرد ، أخذت الزجاجات كعادتها ، فانكسرت إحداها فى يدها ، لشدّة الفرق بين حرارة الماء المغلى وبرد الجو . فانتثرت شظية حادة وقطعت شريان معصمها ، ولو كانت وحدها لكانت حريّة أن ينزف دمها حتى تموت .

ولمواقد الغاز نصيب فى مآسى البيت . فقد كانت فرانسيز هيرش الصغيرة ترتدى قميصاً جميلا جديداً من صوف ذى زغب . فدخلت مطبخها لتعدّ العشاء ، ولكنها تأخرت قليلا فى إشعال غاز الموقد بعد أن فتحت صمامه . فانقذفت عليها سحابة من الغاز المشتعل ، فأحالت قميصها غلالة ملتهبة .

بيد أن ألمها الفظيع لم يفقدها رباطة جأشها ، فالتفت بلحاف سميك لتطفىء النار ولكن بدنها كان قد صار كأنه تمثال متوهّج وصارت تصرخ من ألم يضرب ما بين عنقها إلى خصرها . ومثل هذا الحرق خليق

بأن يميت ، ولكنها نجت ، كما نجا سواها من نساء فقدن حواجبهن وشعر نواصيهن بالطريقة نفسها .

ولطالما أوصت الأمهات بناتهن بأن يجعلن مقابض الغلايات إلى مؤخرة المواقد ، ولطالما نسيت البنات أن تفعل . وقد حدث لأم أن نسيت هذه النصيحة ، فعلق حزام ثوبها بمقبض غلاية كبيرة فيها ماء يغلى ، وكان طفلها الصغير يتبعها ، فاندلقت الغلاية عليه من رأسه إلى قدمه ، فكان موته أشد فظاعة من مِيتته لو عمدت أمه إلى تهشيم رأسه على حديد الموقد !

وهناك طائفة من المخاطر يتعرض لها الصغار ، فقد يترك الطفل وحده بضع دقائق فيرى أمامه سلكا كهربائياً فيعض عليه بأسنانه الندية من أثر لعابه ، فيصعقه التيار . أو قد يسقط من نافذة لم يحكم فيها تثبيت ستار السلك الدقيق الواقى من الذباب ، أو قد يقع من الفجوات الواسعة بين أعمدة الشرفة ، أو قد يموت اختناقاً إذا منعته أغطية السرير الدافئة من التنفس — ففى أمريكا يموت اختناقا بهذه الطريقة ١٥ ألف طفل كل عام .

وقد يعمد الشيطان إلى حيل بارعة تنطلى على ربة البيت ، فهذه أم كانت تنظف صيدلية البيت ، فألقت بثلاثين علبة صغيرة فى صندوق الزبالة . فعثر عليها صبيان فراحا يلعبان بها ، فمثل أحدهما دور الطبيب والآخر دور المريض .

وأخذ أحدهما حبة زرقاء ليداوى بها مريضه وكانت الحبة من السليمانى ، الذى تطهر به الأم أشياء البيت حين يصاب أحد أعضاء أسرتها بمرض معد . ومن نكد الدنيا أن يموت طفل حتى يفهم الناس أن فى العقاقير خطراً كبيراً .

وفى كل يوم يتعرض الناس للموت ، حين يأخذون حبة فى ظلام الليل ، أو حين يهملون أن يتحققوا من اسم الدواء على القارورة قبل تعاطيه . ومن الحكمة أن تغرز دبابيس فى سدادات قوارير السموم ، أو تلف أعناقها بشريط لصّاق حتى يكون ذلك منذراً بخطر ما فيها . وليس السم وحده هو الخطر الذى يهدد الأطفال إذا تركت قوارير الأدوية فى متناول أيديهم ، فقد مات طفل منذ عهد قريب لأنه أكل معظم ما وجده فى قارورة من حبوب الكاسكارا المسهلة .







# "زوجتى هى توأم الربيع"

جون ك . لاجن

مختصرة من صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"

فى قرية قديمة بولاية نيو إنجلند يقال لها «سالم» أضاء من آخر الليل نور هنا ونور هنالك .

وكتمت نوافذ دار آل بى ـ بُدى ، سرّ المعركة القائمة بين الآلام وبين صوفى الفتاة الرقيقة الواهية البنية الشقراء الشعر . وقد انصرفت إلى مذكراتها وكتبت فيها : « اللهم لاتجعل نور قلبى ظلاماً » .

وعلى مسيرة دقائق من هذه الدار أضاء نور آخر فى الدار الكئيبة التى لآل هوثورن ، وقد جلس إلى مكتبه فتى جميل المحيّا أسود الشعر يجاهد كجهادها ، مايعتلج فى نفسه من شعور بالخيبة والإخفاق .

وكذلك كتب ناثانيل هوثورن فى مذكراته : « لم أكن فى هـذه السنوات العشر الأخيرة حيّا يعيش ، بل حالماً يحلم بالحياة . لقد بنيت لنفسى قصوراً من الهواء ، ولست أعرف شيئاً من حقائق الحياة العميقة الدافقة ... » .

ومضت الليلة بعد الليلة على هذا الرجل وهذه المرأة ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، وهما فرائس للغم والقنوط . ثم جاء يوم فالتقيا ، وكأنّ الشعلتين الصغيرتين اتصلتا بعد لأى معاً ، وأشرق من اجتماعهما مثل نور الشمس .

وقد كانت زيارة ناثانيل وأخته لدار آل بى ـ بُدى ، بعد الإلحاح فى دعوتهما ، أمراً مثيراً عجباً . فما من أحد من قرية سالم يذكر أنه رأى أو سمع بأحد من آل هوثورن المتكبرين زار أحداً من الناس أو زاره أحد . وقد انطلقت أخت صوفى الكبرى صاعدة تنادى أختها : « صوفى ، صوفى البسى وانزلى . فقد جاء آل هوثورن . إنه لأجمل وأحلى من لورد بيرون » .

فضحكت صوفى ولكنها أبت أن تنزل ، قائلة إنه ما دام قد جاء مرة ، فسيجىء كرة أخرى . وبعد أيام قلائل جاء كرة أخرى — وحده . ويومئذ نزلت إليه صوفى فى ثوب أبيض طويل الذيل . وقد وصفت أختها لقاءهما فيما بعد فقالت :

« وقف لها ونظر إليها مليًّا ، وكلما أرسلت صوفى صوتها الخفيض الرقيق ، تراه يرمقها بتلك النظرة النافذة الفاحصة . وخطر على خاطر : ماذا يكون لو هو وقع فى حبها ؟ »

بيد أنّ ذلك كانَ قد كان .

كانت صوفى يومئذ فى الخامسة والعشرين ، ولكن الحب كان شيئاً لا يمرّ لها ببال . فقد أخطأ طبيب فى أيام صباها وجرّعها دواء شديداً أورثها علة عصبية لا تزال تعانى منها فى كل يوم آلاماً مبرّحة مضنية ، فمن أجل ذلك عزمت منذ صدر شبابها على أن لا تتزوّج أبداً .

وكان من فضل الألم أن آتاها حكمة ورقة ودعابة مكنتها من أن تجد راحة نفسها فى سعادة الآخرين : أولئك الأطفال الذين يزورونها فى غرفتها ، وأولئك الأصدقاء الكثيرون الذين جعلوا دار آل پى — بادى ندوة المثقفين وأهل الرأى .

أما ناثانيل فإنه لما عاد إلى عليّته أحسّ فجأة أنه قد خلص من أغلال البلاء الذى كان ينتابه منذ كان طفلا حتى قطع ما بينه وبين نفسه المبدعة . وكان أحد أسلاف ناثانيل ساحراً عرّافاً مشهوراً فى مدينة سالم ، فصبّ عليه أحدهم وهو يجود بنفسه لعنة تلحق ذرّيته — فأصابت اللعنة ناثانيل فى صدر حياته . وفى وسعه أن يذكر أمه الأيّم وقد لاذت من يومئذ بغرفة نومها المرخاة الستائر ، وأن يذكر أخته إليزابيث المتغطرسة المتجهمة تحرّم البيت أن يطأ عتبته زائر ، ولا تفارقه هى إلا ليلا لتتمشى وحدها فى أزقة سالم الموحشة ، والثالثة عمة له تتسلل لواذاً فى أرجاء البيت وعلى رأسها قلنسوة سوداء ، ومن ورائها قطة سوداء اسمها « عزرائيل » .

هذا هو « الصرح المشئوم » الذى دخله ناثانيل فى سنة ١٨٢٥ ، بعد أن قضى أربع سنوات فى الكلية ، وحبس نفسه فيه ليكتب ما شاء ، وهو أيضاً الصرح الذى لم يكن يجد عنه مهرباً — حتى لقى صوفى .

ولقد كتب إليها : « ما نحن إلا أشباح ، وكل ما يبدو لنا حقيقة ماثلة ليس إلا شقة رقيقة من حلم — ولا نزال على ذلك حتى يمسّ القلب طائف من الحبّ ، فهذه اللمسة هى التى تحيينا » .

والآن أحس ناثانيل ، وقد بلغ الخامسة

والثلاثين ، أنه بدأ الساعة َيحي . وكثرت زيارة الناسك المنعزل الجميل المحيّا لدار آل بي ـ بدى . فقد أحبّ صوفي ناثانيل منذ النظرة الأولى كما أحبها . وأخذت أفكار قصصه ورواياته تأتيه جديدة حيّة من حُسْن ملاحظته لما يجري في الدنيا التي تحيط به ، وإذا هو يحملها إلى حبيبته جميعاً.

بيد أن صوفي كانت له أعظم مُلهمة ، كانت أنثى ماثلةً يريدُ أن يسكن إليها وتسكن إليه طوال الحياة ، فعثر على وظيفة وزّان في جمرك بوسطن بمرتب قدره ١٢٠٠ ريال في السنة . كان وزن الفحم عملا شاقاً قذراً غير أن اكتساب الرزق أطلق لسانه وثبّت جنانه . وما مضت سنة حتى كانت نفسه قد فَضّت قيودَ الكَظم المتطاول، وقال لصوفي :

« ما أقلَّ ما كنت أعرفهُ عن معنى متعة النفس بالنفس حين تمتزجان ! نعم كان فيّ من الحياة قبل أن ألقاك ما كفاني أن أعرف أني لم أكن إنساناً حياً » .

فأجابته صوفي : « ما كان أعجبها سنة ! ألم تتبدل الأرض غير الأرض التي عهدناها ؟ ألست ترى كل شيء جديداً ؟ »

وبقيت عقبة كأداء قائمة بينهما ــ مرضها .

وكانت هناك أيضاً عقبة أخرى . كانت أخته إليزابيث الفتاة الغريبة المعذبة تقدّسه ، وهو لايدري ، تقديساً كأنه عندها قديس معصوم منزّه ـــ تتوجه إليه بقلبها خُفْية وفي صمت ، فكيف تصبر على فراقه ؟ حتى إنها انفجرت في وجه صوفي قائلة : « لن يتزوج ألبتةَ » .

أخذت إليزابيث تجاهد بالسلاح الأخير الذي بقي لديها ــ وهو حب ناثانيل لأمه . فهي لو علمت أنه قد تزوّج « مريضة هالكة» لقضى ذلك عليها . هذا على أنها ، كما قالت إليزابيث ، تكره أشد الكره ما بين ولدها وصوفي من علاقة . ولم يكن بين ناثانيل وأمه قط حديث يمسّ خاصة أموره وشواغله ، فمن أجل ذلك لم يكن له سبيل إلى أن يعرف أن أخته كانت تكذب .

أما صوفيا فكان الأمر عندها هكذا :

« إذا أراد الله لي أن أتزوج فإنه سيشفيني ، وإلا كان ذلك دليلاً على أن زواجي أبغض الأمرين إلى الله » .

أما ناثانيل فلم يشك قط في أن حبها كان قادراً على أن يحدث تلك المعجزة . ولقد كتب إليها من مكتبه في ميناء بوسطن .

« اسمعي يا عزيزتي . ليكن في حبنا من القوةِ ما يملأ قلبك عافية تنفي عن بدنك عَوَادِي الأسقام . قاسميني عافيتي وقوتي.

أيتها الحبيبة . ألا ترينَ أنهما ملك لك كما أنهما ملك لى ؟ »

ومضت السنوات الثلاث من أيام خطبتهما المكتومة ، وجعل الشفاء يدبُّ إلى صوفى رفيقاً خفيًّا فإذا هى فى أتم عافية. فلما تبين شفاؤها زارت أخوات ناثانيل ، واصطنعت غاية اللباقة والرفق والكياسة حتى مهدت السبيلَ إلى تغيير رأيهنّ فانتهوا أخيراً إلى الرضى والابتهاج بما اختار أخوهنّ .

أما أمه فإنه حين أنبأها بما نوى ، فقد قالت له فى هدوء : « ولكنى كنت أعلم ذلك منذ سنوات . ولو خُيّرت لما كنت أختار لك من النساء سوى صوفى » .

وكذلك تزوجا بعد خمس سنوات من يوم تعارفهما ، ونزل ناثانيل وزوجته فى الدار التى استأجرها على مقربة من ضفة نهر كونكرد .

وفى تلك السنوات البهيجة الأولى « كان كلّ مالا غنى عنـــه للحياة والبهجة ، كأنه ينزل عليهما عفواً كما ينزل الندى من جو السماء » . ولم يكن ناثانيل يقضى فى الكتابة سوى أربع ساعات فى اليوم . وكان يلم بهما بين الحين والحين بعض الزوّار ، كامرسون وثورو وغيرهما من كبار أدباء أمريكا فى ذلك العهد . بيد أنهما لم يردّا زيارة قط ، فما كانا يجدان فراغاً من فرط شَغَف كل منهما بصاحبه .

وكانا إذا جاء الشتاء خرجا للانزلاق على جليد النهر أو للتمشى فى الغابة . فإذا جاء زمن الدفء خرجا يصطادان السمك أو يسبحان فى النهر أو يجدّفان فى زورقهما، وصارت المروج والتلال الخضر التى تحيط بالدار القديمة مرتعاً لحبهما وهواهما .

وكتبت صوفى فى مذكراتها عن يوم من أيام الربيع فى أول حلولهما بتلك الدار :

« جُنّت الطير وأخذتها نشوة الطرب والغناء فطوحت بها هنا وهناك ، و نفخَتْ أطواقها وحيازيمها نفخاً شديداً. إنها عاصفة تدوى بالسجع الحلو والموسيقى الرقيقة » .

وانطلقت صوفى تعـدو لتنادى زوجها من خلال شباك غرفة مكتبه، فنحّى ناثانيل أوراقه جانباً ، وكتب فى مذكراته :

« يخيل إلىّ أن زوجتى هى توأم الربيع ، فكلاهما يحيّ صاحبه بأرق تحية وأحسنها ، وكلاهما غضُّ الأهاب ريّان النواحى ، وكلاهما يردِّد سجع الطير وترجيعه ، وغناؤهما ينبثق من صميم قلوبهما. لقد تزوجت الربيع ! أنا زوجٌ لشهر مايو ! »

وحال الحول على زواجهما ، فما كاد يعرف أن زوجه حاملٌ حتى كتب إليها :

« أيتها الحبيبة! لقد حال الحول على زواجنا،



فكأنما زاد وجودنا اتساعاً ورحباً ، وأفضى بنا إلى بحر من الحبّ لا يحدُّ ولا يبلغ البصر مداه » .

وما كاد يتم وضع ابنتهما الأولى حتى كتب ناثانيل : « شبحٌ خفّاق ولد للهمّ والكدح في الحياة الدنيا ، قد أقحم نفسه في حقائق حياتنا العليا » وكان ناشرو كتبه يدفعون له قليلا ويماطلونه طويلا ، وقد أدرك الإفلاس مجلة كان له عندها أجر سنة كاملة ، فإذا ناثانيل يجد نفسه غارقاً في الدين ولا رجاء له في زيادة دخله أو كسبه .

هذه الدار القديمة ، وهذا النهر ، وهذه البساتين والمروج والتلال الخضر — لقد فارقوها جميعاً إلى غرفة في المنزل القديم المشئوم ، منزل آل هوثورن في سالم . وكانت صوفي يومئذ مرضعاً وحاملا أيضاً ، فأيّ بلاء يتوقع هو شرٌّ مما لَقِي؟ بيد أن حبها كان أشدَّ مراساً وأعتى .

وكتبت صوفي في مذكرتها : «إذا أنعم الله عليَّ بمأوى آوى إليه في كنف زوجي ، فإني لأحمد الله حمداً لا يبلغ مداه . وكلما ازدادت أيامنا ظلمة وسواداً ازداد هو في عيني بريقاً ورُواءً » .

وقد وجد ناثانيل أخيراً وظيفة مفتش في جمرك سالم ، ولكنه فقدها من جراء بعض دسائس السياسة . وقد كتب :

« لم أخبر صوفي بعدُ ، ولكنها ستلقى النبأ صابرة صبرْ المرأة — أي بأحسن مما يفعل الرجل » .

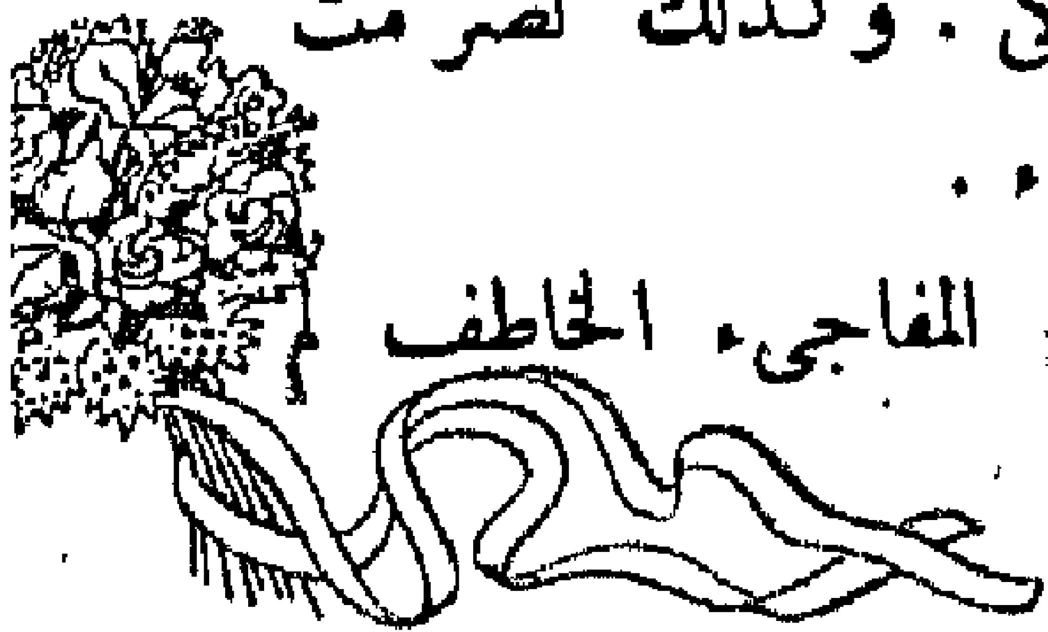
فلما نبّأها لم تلبث حتى أخرجت له ملء صندوق من قطع الفضة وأوراق النقد كانت قد ادخرتها من نفقة البيت وقالت له : « الآن تستطيع أن تكتب روايتك » .

وبدأ ناثانيل يكتب روايته الأولى « الحرف القرمزي » ، فما كاد يبدأ حتى جاء مرض أمّه ثم موتها ، فاستنفد كل ما ادخرته صوفي من مال قليل ، ولكنها أخذت تعمل خُفْيةً بعض أشغال التطريز لتبيعها ، وتكفل لزوجها ما يعينه على الاستمرار في الكتابة .

وكان يسعها أن تكتب ، حتى في اليوم الأسود يوم كانت لا تدري ماذا يأكلون غداً : « لا أجد فنًّا أسمى ولا جمالاً أحلى من أيامي التي أقضيها مع زوج كزوجي وطفلة كطفلتي » .

وجاءت الشهرة ناثانيل هوثورن بَعْد لأي . فما كادت روايته « الحرف القرمزي » تطبع في سنة ١٨٥٠ حتى تسامع الناس بها في أوربة وأمريكا وعدُّوه أكبر روائي أمريكي . وكذلك تصرّمت أيام الكدح والشقاء .

غير أن النجاح المفاجىء الخاطف لم



يحدث فى أسرة هوثورن تغييراً يذكر .

وحمد الصغار ربهم حمداً كثيراً لأن هذا سيتيح لأبيهم وأمهم وقتاً أوسع يقضونه فى النزهة واللعب وكتابة القصص . وقد قال ولدها جوليان بعد أن كبر : إنه يحاول أن يذكر مرة رأى فيها أن والديه لم يشاركاه هو وأخوته فى ألعابهم كأنهما من أترابهما ، « أو هل تمنوا قط أو خطر ببالهم أن يلتمسوا سواهما أتراباً يلاعبونهم ؟ »

وأصبح الفراق ، وإن قلت أيامه ، أشدّ ثقلاً على ناثانيل وصوفى مما كان ، فقد كتب ناثانيل فى مذكراته وقد كان ينتظر عودتها هى وطفليها من زيارة أهلها فى بوسطن :

« إذا لم تحضر صوفى اليوم . فلا أدرى ما أصنع بنفسى . لقد بلغت الساعة السادسة ولم يحضروا . لابد من حضورهم الليلة لابد .

« لقد حضروا بعد ربع ساعة مضت على ما كتبت . هم جميعاً بخير والحمد لله » .

وقد خرجا مرة يريدان زيارة كونكرد فلما بلغا منزلهما القديم الذى عاشا فيه زمناً طويلا ، عرّجا عليه ، ووقفا صامتين ، غير أن صوفى قد باحت لنا بما كان يدور بين جوانحها ، قالت :

« إنى لأقدّس هذه الأرض لما لقيت فى رحباتها من سعادة لاتقدّر — وإن كانت لاتضارع ما أنا فيه الآن من سعادة . . ولكنى لم أبلغ الغاية فى سعادتى بعد ، فإن زوجى لايزال سراً غامضاً فاتناً قد جاوز كل ما اهتديت إليه من أسرار امتلأت بفهمها نفسى » .

ولم يذهب كر السنين بشاشة هذا السر الغامض الفاتن ، ولعلّ ذلك كما قال ناثانيل : « السعادة ليست حوادث تأتى متتابعة ، لأنها جزء من الخلود . ولقد عشت أنا وصوفى فى ظلال الخلود منذ تزوجنا » .

وبعد اثنتين وعشرين سنة منذ تزوجا ، عادت صوفى إلى الدار القديمة آخر مرة ، وشيعت جنازة زوجها إلى مرقده حيث كانا يرتعان ويسعدان . وقد كتبت : « لو استطعت أن أواسى كل القلوب المكلومة ، ولو استطعت أن أحمل كل أحزان الناس ، إذن لامتلأت نفسى غبطة ، فقد أصبحت أعرف أن الحب ينسخ قضاء الموت المحتوم »

إن حبيبها لينتظرها منذ اليوم ، ولن تلبث بعده طويلاً . وسوف يبتهجان حين يلتقيان كما كانا يفعلان بعد كل فراق .

# منذ عهد آدم وحواء

أضعف ما يكونَ الرجل حين يسمع أنثى تقول له : ما أقواك !
[ كتاب إرفنج هوفمان « الفتنة » ]

○○··○○○○··○○

يخيل إليّ أن الفارق الحقيقي الذى يفرق بين الرجال والنساء هو الصبر على العـذاب ، فالمرأة تعتاد أن تتقبل تباريح العـذاب ، سواء أحاق بجسمها أم حاق بنفسها . أما الرجل فيظل يناضل ، فيضعفه النضال رويداً رويداً حتى يُغلب على أمره . بيد أن العذابَ لا يضعفُ المرأةَ ولا يغلبها على أمرها أبداً ، بل يصيرُ عنصراً من عناصر كيانها ، ويُدنيها من سرّ الحياة . أما الرجل فعلى خلافها ، فالعذاب يدنيه من ظلمة الموت .
[ فردريك بروكوش فى كتابه « المتآمرون » ]

<<<<

تستمسك المرأة بعُروة الأخلاق القويمة ، إذا لم تكن قد وجدت من تحب ، فإذا وجدته تراخت له وتهاونت . أما الرجل فعلى نقيضها : إذا لم يحبّ المرأة لم يتورَّع ، فإذا أحبها كان خليقاً أن يسير على سُنَّة من الأخلاق تفوت جُهْدَ النساك والمتعبِّدين .
[ مارك ريد فى كتابه « نعم ، يابنيتى الحبيبة » ]

☆☆☆☆☆☆☆☆

يظل الغدُ يشغل بالَ الأنثى حتى تتزوّج ، أما الرجل فلا يشغله الغدُ قطُّ حتى يتزوّج .
[ مجلة « وماتز هوم كمبانيون » ]

✠✠✠✠✠✠✠✠

إذا ارتكب الرجل خطأً هيِّناً قال عنه سائر الرجال : « ما أحمق هذا الرجل ! » ، فإذا ارتكبت المرأة خطأً هيناً قال الرجال : « ما أحمق النساء ! »
[ هـ . جاكسون فى صحيفة « دترويت نيوز » ]

يستطيع الناس الآن أن ينتفعوا بنتائج البحث الطبي الذي أنقذ حياة ألوف من جرحى الحرب، ولكنه ظل مكتوماً طوال أيامها.

# البحث السري لإنقاذ الحياة

ألبرت ك. ميزل

مختصرة من مجلة "هايجيا"

الذين يعرفون قصة العشرات من ألف الكلاب التي يسّرت شفاء ألوف من جرحى الحلفاء في الحرب، كانوا فئة قليلة من المشتغلين بالبحث الطبي، فلم تتغنَّ الصحف بذكرها، ولم يؤذن للمصوّرين أن يدنوا من حظائرها المحروسة ادق حراسة، فقد أدت عملها وراء ستار كثيف من الكتمان.

والتكتم الذي أحاط بهذه التجارب التي أجريت على الحيوان، لم يكن يُراد به إخفاء الحقائق عن العدو، بل حماية مشروع نافع في إنقاذ حياة الناس، من سخط جماعة قوية منظمة من الناس، هي جماعة مقاومة تشريح الأحياء من الحيوان.

والوسائل الخفية التي توسل بها هؤلاء العلماء المجندون، كانت حرية أن تكون لهواً وتسلية، لو كان غرضهم أقلّ شأناً وأيسر خطراً مما كان. فقد اضطرت جماعة من كبار الأطباء أن يخلعوا ثياب الضباط حتى يجوبوا الريف في عربة نكرة سوداء ليطلبوا من أصدقائهم بضعة كلاب، ويأخذوا عليهم الميثاق بأن لا يبوحوا بالسر إلى أحد من الناس. وكان طلبُ الكلاب على هذا النمط يتم تحت جنح الليل، وكان الرجال يؤثرون الليالي الممطرة حتى لا ينفضح سر ما تحملهُ عرباتهم. وبينما كانت الكلاب الضالة تجمع في حظائر عامة، وتقدم مئات منها كل أسبوع (بموافقة خصوم تشريح الأحياء من الحيوان)، أخذت جماعة الأطباء تجمع رويداً رويداً عدداً يسيراً من الكلاب اللازمة للتجارب، ولولاها لاستحال القيام ببحث أسفر عن إنقاذ أرواح كثيرة.

وإنك لتتبين نفع هذا العمل ونجاحه في أمر الجندي روبرت هول أحد مشاة البحرية. فقد نقل من جزيرة أوكيناوا وفي مخه شظية من قنبلة، وجاهد الجراحون في ثلاثة مستشفيات ليدرأوا عنه نازلة الموت،

ولكنهُ كان مشفياً على الموت من التهاب سحاء المخّ ومن خرّاجاته ، يوم وصل إلى مستشفى فى وشنطن على متن نقالة جوية .

فأخذه الأطباء بأسلوب جديد فى العلاج، إذ حقنوه فى قناته الشوكية بمقادير ضخمة من البنسلين حتى يسرى العقار منها سرياناً حثيثاً إلى المخ ويتغلغل فيه . فلم تكد تنقضى ساعات حتى أفاق هول من غيبوبته ، وهدأت حشرجة الموت فى حلقه ، وهو اليوم فى أتم عافية . ولو لم تمتحن هذه الأساليب الطبية العجيبة الجديدة فى فئة قليلة من الحيوان، لكان أمله فى الحياة ، وأمل مئات سواهُ ، أملا ضعيفاً جداً .

وقد نقل إلى نفس الجناح فى هذا المستشفى بحّار فى الثانية والعشرين يدعى ساندرز ، فُلِج شقه الأيمن كلهُ من خراج ضخم فى المخّ ، فحقن بالبنسلين فى جوف المخ بعد إجراء الجراحة اللازمة ، فغُلِب الموت على أمره مرة أخرى .

وما كان أحد الرجلين يعلم أنهُ مدين بحياته للأساليب التى أتقنت فى معمل الأبحاث الخاص الذى اقيم لهذا الضرب من البحث الطبى ، بمبلغ مليونى ريال . ولو فكرا فى الأمر، فلربما سألا أنفسهما كم زهقت قبلهما من أرواح، حتى يستطيع الأطباء أن يعرفوا معرفة دقيقة ماالقدار اللازم من البنسلين ليحقن فى المخ، حتى لا يقلّ عما ينبغى مثقال ذرة ولا يزيد . وحقيقة الأمر أن جرّاحى الجيش والأسطول ما عمدوا قط إلى التخبط فى إجراء التجارب على الناس، فزملاؤهم من رجال البحث كفوهم ذلك العناء ، وحلوا لهم هذه المشكلة وغيرها بما أجروه من تجارب على عدد يسير من الكلاب .

وفى معركة إيوجيما عرّض الصيدلىّ البحّار هارولد هيرش نفسهُ لنيران اليابانيين الحامية ، وخاطر بحياته لينقذ زميلاً له سقط جريحاً . فمنح وسام البسالة ، ونقل من ذلك الشاطىء الدامى وذراعه اليسرى مهشمة . وللجرّاحين طرق مأثورة فى إصلاح أمر العضلات والشرايين الممزّقة، ولكن العصب الزندىّ والعصب الأوسط فى ذراع هيرش كانا مقطوعين كذلك ، فإذا لم يعالجا حتى ينموا نمواً سوياً ، فقد قضى عليه أن يظل حياتهُ مشلول الذراع . ولو أصيب بمثل هذه الإصابة منذ خمس سنوات ، لما زاد أمله فى الشفاء على ٢٠ فى المئة ، ولكن ذراع هيرش استعادت حسها وحركتها ، لأن الجرّاحين استطاعوا أن يلفّوا أطراف الأعصاب المقطوعة بعد أن وصلوها برقائق من معدن التنتالوم .

كان الأطباء يعرفون شيئاً عن هذا المعدن قبل نشوب الحرب، ولكنهم لم يعرفوا

— إلا بعد تجارب كثيرة أجروها على الكلاب في تلك المعامل المخفورة — أن التنتالوم إذا ما لف حول الأطراف الموصولة لعصب مقطوع، كان كالدرع تحمى الألياف الرقيقة من الأذى حتى تلتئم.

وقد جرى الجراحون في أوربة منذ زمن طويل، على أن يتخذوا قطعاً من عظم الحيوان ليرمموا بها كسور الجمجمة في البشر، وأصابوا في ذلك نجاحاً كبيراً في أكثر الأحيان، ولكنهم كثيراً ما أخفقوا أيضاً، فلا تكاد تمضى أشهر حتى « يموت » العظم الدخيل، فيؤدى موته إلى مضاعفات تقتضى علاجاً طويلا. واتخذوا للغرض نفسه أيضاً ألواحاً من الفضة وغيرها من المعادن، ولكنها كانت تسفر في كثير من الأحيان عن عواقب كريهة.

وقد رأى الجرّاحون في أمريكا، أن استعمال رقائق من التنتالوم، وهو عنصر ضعيف التفاعل مع سائر المواد، خليق أن يتبعه نمو العظم من حوله حتى تصير رقيقة المعدن جزءاً من عظم الجمجمة الحيّ، ولكن بين الرأى والثقة من النجاح في علاج الجرحى، هوّة لا يمكن أن يتخطوها إلا بإجراء التجارب على الحيوان. وإنك لترى اليوم في حظائر هذه الجماعة من العلماء، كلاباً في جماجمها صفائح من التنتالوم، وما تسمعه من نباحها وما تراه من حسن صحتها، دليل على نجاح هذه التجارب. وتجد أيضاً مئات من الجنود الذين سرّحوا من الجيش والأسطول، بعد الانتفاع بصفائح التنتالوم في علاجهم، قد عادوا إلى مزاولة مألوف عملهم. ولو لم تتم لهم هذه الجراحة، لأقاموا في خطر دائم من فساد العظم وما يليه من جراحات متوالية، بل أيضاً في خطر من الموت في أحوال كثيرة.

وقد احتاج العلماء الباحثون إلى ثمانية عشر كلباً خدرت جميعها قبل إجراء التجارب لكي يحلوا بها مشكلة جراحة في الكلى طالما حيّرت الجراحين. وأصل المشكلة هو مدى الوقت الذى يظل فيه الجريح حياً إذا حبس الدم عن الكليتين. فأخذوا اثنى عشر كلباً وحبسوا الدم عن كلاها مُدَداً متفاوتة أطولها ساعتان، فلم يمت كلب منها، ولكن الكلاب الستة التى حبس الدم عن كلاها أربع ساعات ماتت جميعاً. فثبت أنه إذا حبس الدم عن الكليتين أكثر من ثلاث ساعات أشرف صاحبهما على الخطر.

فصدر على التو أمر إلى الفرق الطبية في جميع أرجاء الأرض أن تقدم المصابين في الكلى والظهر على سواهم من الجرحى، وأن ينقل هؤلاء المصابون إلى الجراحين خلال ثلاث ساعات. وكذلك انجلت التضحية

بحياة ستة كلاب عن وسيلة أنقذت مئات من الناس .

وكم قضت الغشية التي تعقب الخطير من الجروح والحروق على مئات الألوف من الناس،وهى تحدث عجزاً يعوق أجهزة التنفس ودورة الدم عن أداء وظائفها . ويوم نشبت الحرب ، كانت أساليب نقل الدم ومصله قد بلغت شأواً بعيداً من التقدم ، ولكن الأطباء كانوا لايعرفون معرفة دقيقة ، قدر المقادير التى ينبغى استعمالها للتغلب على الغشية، فإذا قل المقدار كثيراً عما ينبغى لم يدفع الموت، وإذا زاد كثيراً عما ينبغى فقد تفضى الزيادة إلى الهلاك . فأجريت التجارب على الكلاب فظفر العلماء بحقائق دقيقة عن المقدار اللازم من المصل لكل كيلو من وزن الجسم ، وهذا المقدار يرد عن الجريح أو المحروق عادية الغشية .

وهذه التجارب نفسها مهدت لصنع مرهم عجيب انتفع به رجال الأسطول فى علاج الحروق الناشئة عن تفجر المواد المتفجرة فى القتال،فأنقذ ٢٠ ألف بحار تعرضوا للموت أو لتشويه وجوههم من جراء هذا التفجر.

وكثيراً ما تسفر تجارب الحيوان عن أساليب كثيرة جديدة ، فيضم بعضها إلى بعض وينتفع بها فى إنقاذ أرواح البشر . فقد اضطر جون بيرسون أن يقفز من الطابق الخامس حين شبت النار فى منزله ، فلما رفع عن الأرض كان مصاباً بكسر فى فقار الظهر السفلى ، وبكسور أخرى . وكان عظم الفقار المنكسر ضاغطاً على النخاع الشوكى ، فأصيب لساعته بشلل فى النصف الأسفل من بدنه وشمل الشلل الأمعاء والمثانة.

فسارعوا به إلى أحد المستشفيات، وحقن بالمصل والدم فى الوريد بطريقة أتقن تجريبها فى تلك المعامل السرية ، ورفع الضغط عن نخاعه الشوكى ، ثم لف النخاع بغشاء مأخوذ من الحيوان لحمايته من الأذى — وهذه طريقة أخرى دفعتها تجارب الحيوان خلال الحرب دفعاً سريعاً حتى بلغت غاية الكمال. واستعملت مادة تدعى « زبد الفيبرين » لحقن الدم المنزوف — وهذا الرجل اليوم حى معافى .

ولو قومت المنافع التى أسفر عنها هذا البحث بما أنقذته من أرواح ، وما دفعته من حوادث بتر الأطراف ، وما حفظته من عقول مشرفة على الخبل ، لبلغت قيمتها مبلغاً عظيماً . أما اليوم ، فكل ما تعلمه الأطباء من هذه التجارب ، تراه مبذولاً للناس .

وقد تمت هذه المغانم الطبية جميعاً بعد تجارب أجريت على طائفة غير كبيرة من الحيوانات . فالعلماء السبعون الذين تولوا

هذا البحث كانوا يجرون تجاربهم كلّ سنة فى ٣٠ ألف فأر ، و٢٥٠٠ أرنب ، و١٥٠ قرداً ، و١٠٠ كلب ، و٤٥ شاة ، وعشرة خنازير ، ولم يشرّح من هـذه الحيوانات سوى عدد يسير . وتسعة أعشار التجارب لا تقتضى أكثر من حقن الحيوان ، أو ما كان من قبيل الحقن . وأربعة فى المئة من التجارب أو أقل ، تقتضى موت الحيوان الذى تجرى التجربة عليه ، وفى هذه الحالة يعالج بالتخدير قبل التجربة .

والذين يروّجون لمقاومة تشريح الأحياء من الحيوان ، ويسعون إلى سن قوانين تقيد إجراء التجارب على الحيوان بقيود ثقيلة ، يحلو لهم أن يصوروا جماعات من الأطباء تستحلى التعذيب فتقضى معظم وقتها فى تعذيب الحيوان . والواقع أن العلماء يتخذون كل احتياط دقيق فى التجارب التى يجربونها فى الحيوان . وفى المعامل التى تمت فيها الأبحاث التى تقدم ذكرها . كانت القاعدة المتبعة بدقة : « أن يجعل الحيوان عاجزاً عن الشعور بأى ألم فى أثناء التجربة ، وأنه يظل كذلك حتى تبلغ تمامها » .

ولكن برغم هذا الاحتياط الدقيق ، وما ثبت من نفع التجارب فى الحيوان ، ترى خصوم تشريح الأحياء من الحيوان ماضين قدماً فى دعوتهم الحمقاء . ولم يجرؤ القائمون على هذه التجارب على إذاعة ما فعلوه ، وما كان أساساً لطائفة من أعظم انتصاراتهم الطبية ، إلا الآن بعد أن زالت ضرورات الحرب . ومع ذلك فقد أذاعوه هيابين . ويسأل العلماء : ترى أيستطيع أقوى منطق فى العالم أن يردّ دعوى الإنسانية الزائفة التى تنصبّ على رؤوس المشرعين كل عام ، وأن يكفّ ألسنة أصحابها المطالبين بتحريم تشريح الحيوان ، زاعمين أن إنقاذ حياة كلب خيرٌ من إنقاذ حياة ألوف من البشر ؟



جلس رجل فى مقصورة بدار الأوبرا فى حفلة يغنيها كاروزو . وكان فى هذه المقصورة شاب يغمغم بكل لحن من الألحان المشهورة فى الرواية . فقال الرجل : « أبله ! » . فقال الشاب متحمساً : « من تعنى ؟ » ، فقال الرجل : « أعنى هذا المغنى كاروزو ، فإنه يمنعنى من الاستمتاع بصوتك » .

# فـــاتـــح قـــــارة

## ســـيرة هنرى م . ســـتانلى



لا يثير اليوم اسم الدكتور داڤيد لفنجستون إلا أصداء خافتة للضجة الصحفية الدولية التى كان هو مدارها وهو لايدرى قبل ستين سنة .

ولا يكاد اسم هنرى م . ستانلى الذى وجد لفنجستون الضائع فى أظلم مجاهل إفريقية ، يكون أشهر منه الآن . ومع ذلك كانت حياة ستانلى حافلة بالمغامرات التى تكاد تدخل فى باب الخيال ، والمتاعب والمساعى التى ليس لها فى التاريخ سوى نظائر قليلة .

وقد بوّأه عمله فى إفريقية ، بوصفه صحفياً ورائداً ، مكاناً رفيعاً بين عظماء المستكشفين الذين مزّقوا أستار الخفاء عن قارات الأرض المجهولة .

وقصة ستانلى تروى هنا فى قسمين : الأول يشتمل على صدر حياته كما سردها فى ترجمته لنفسه ، والثانى يشتمل على عثوره على لفنجستون كما رواه جاكوب واسرمان فى كتابه « بولا متارى » .

# سيرة هنري م . ستانلي

مختصرة عن ترجمته بقلمه

مات أبي بعد أن ولدت ببضعة أسابيع ولا بد أني كنت قد بلغت الثانية عشرة قبل أن أدرك أن الأم لاغنى عنها لكل طفل ، فقد ظللت إلى مابعد الرابعة يكفلني أقارب زاهدون فيّ ، أو يُدْفع بي ، على كره منهم ، إلى من يتولى أمري في الخارج . ثم حُملت في عام ١٨٤٧ إلى الملجأ ، وهو بناء ضخم من الحجر ، فلما أوصدت عليّ بوابته الكبيرة ، وخفت صداه ، خامرني للمرة الأولى شعور مخيف بالوحشة المطلقة .

وكان النظام صارماً في تنشئة الأطفال في ملجأ القديس أساف ، فقد كانت تحيط بنا جدران عالية ، وكان كل باب مترساً ، وتوقظ من النوم في الساعة السادسة صباحا ، وفي الثامنة مساء نحبس في حجرات النوم . وكان طعامنا الخبز والأرز والبطاطس والثريد — بعد أن يوزن بدقة .

وقد احتجت إلى زمن حتى أتعلم أن ليس للدموع قيمة في ملجأ ، وكان جيمز فرانسيس المعلم الأقطع الذي ألقي بي في يده الصارمة — رجلاً وحشي الطبع قد أفسدت خلقه المصائب ، ولم يكن رجلا يستطيع أن يفهم آلام الطفولة ، على أنه لم يحاول فهمها .

وكان أيسر خطأ في المدرسة يجرّ ضربة لاسعة من المسطرة ، وسلسلة الأغلاط تعاقب بجلد كجلد المتشفي . ففي كل يوم كان التعساء الصغار يطرحون على البلاط وقد أصارهم الألم أكواماً ، أو يقفون وعيونهم تطرف وظهورهم مقوسة ليتلقوا ضربة المسطرة أو ركلة وحشية . وكان من بين واجباتنا كنس أرض الملاعب بمقشات هي أليق بالعمالقة منها بأطفال صغار ، ورفع الثلج عن الأرض ، واستظهار صفحات برمتها في المساء .

على أن هناك شيئين أنا مدين لهما بالشكر في هذا المعهد العجيب ، فقد حرمت المحبة ونعمة الحياة في بيتٍ ، ولكني تعلمت أن أعرف الله بالإيمان ، وتعلمت القراءة ، فقد كنا جماعة دينية ، وكانت على رفوفنا مجموعة حسنة من الكتب الدينية . وكان مما يعزي النفس أن أعرف أن لي ربًّا في السماء هو أرحم بي من أبي وأميّ ، أتساوى بين يديه أنا وأقوى الأقوياء ، وإن كان لا أب لي ولا صديق أتجه إليه على وجه الأرض .

ولما بلغت الحادية عشرة كان بين أترابي غلام هو في عيني كأنه ملك من حيث الحسن

وطيب النفس ، وكان فى مثل سنى واسمه ويللى روبرتس . فمرضت ذات يوم ، وبعد أسابيع تماثلت للشفاء ، فروّعتنى إشاعة تقول إن ويللى وربرتس مات فجأة . ولما كان الملجأ يفتح على الفناء الذى فيه معرض الجثث، فقد اقترح بعض الصبيان أن نذهب لننظر إليه ، ودفعتنا رغبة قوية فى الوقوف على الأمر ، فتسللنا إلى البيت ، فألفينا الجثة مطروحة على خشبة سوداء ، فأقدم غلام كان من أجرئنا قلباً ؟ ونحىّ الغطاء، فلما رأينا الوجه الأصفر وجموده المفزع تراجعنا عنه جميعاً،وجعلنا ننظر إليه ونحن كالمسحورين.

ثم نحى الغطاء عن بدنه ، فرأينا أن البدن مزرقّ وبه عشرات من الجُدَرِ والندوب السود ، وكانت نظرة واحدة حسبنا . فغطينا الجثة بسرعة وقفلنا راجعين ونحن على يقين من أن فرانسيس هو السبب فى موت ويللى .

وفى مايو سنة ١٨٥٦ وقعت حادثة غيرت حياتى ، وذلك أنه جىء بمنضدة جديدة ، فأحدث بها صبى غافل بعض النقر ، فتناول فرانسيس عصا وأقبل وهو يتلهب حنقاً على الفصل الأول ، وطلب أن يعرف الفاعل ، ولم يكن أحد يعرفه ، فقلنا ذلك .

فقال : « حسن . إذن سيجلد الفصل كله . فكوا الأزرار »

وبدأ من آخر الفصل ، فحدث ما هو مألوف من الصراخ والتلوى والبكاء ، وكنت أنا قد أصبحت التلميذ الأول فى المدرسة وتوليت أمر المدرسة بنجاح فى غيبة فرانسيس ، واكتسبت وأنا لا أدرى شعور بكرامة واحترام الذات ، فلما اقترب دورى شعرت بأنى أتشدد للمقاومة .

فصاح بغضب : « ماهذا ؟ ألم تتهيأ بعد ؟ اخلع ثيابك حالاً »

فصحت : « لن يحدث هذا مرة أخرى » وأدهشتنى جرأتى .

وما كادت هذه الألفاظ تندّ عنى ، حتى ألفيتنى أرفع فى الهواء من قفاى ، وأطرح على المقعد وأضرب فى بطنى ، ثم رفعت ثانية ورميت على المقعد رمية كادت تكسر ظهرى . ولما انحنى المعلم مرة أخرى ليمسك بى سددت إليه ركلة قوية ، فاتفق أن كسرت له نظارته فكادت تعميه شظاياها ، وتقهقر فاصطدم بمقعد ووقع وضرب رأسه بلاط الأرض فوثبت إلى قدمى ، وانتزعت عصاه ، وجعلت أضربه جزافاً حتى ثاب إلىّ إدراكى لما أنا فاعل ، إذ كان يتلقى الجلد بغير حراك .

حرت ماذا أصنع، فقد ذهب عنى الغضب، فجررته أنا والآخرون إلى غرفته الخاصة ، وبعد أن أقفلنا عليه الباب سألنى صديقى موسى همساً : هل مات ؟ فأفزعنى هذا

الخاطر الشنيع ، ووافقت على ما اقترح من الهرب ، ولكن قبل أن أفعل بعثت بغلام يستطلع حالة المعلم ، وتنفست الصعداء حين علمت أنه كان يغسل وجهه .

وفررنا من المدرسة على الفور أنا وموسى ، وتسلقنا جدار الحديقة ، وأسرعنا فى الفرار كأن وراءنا كلاباً تتعقب آثارنا .

## الشريد

ومهما يكن من الثقة الغريرة التى كنت أنطوى عليها بأنى واجد وراء النطاق المسوّر أصدقاء يحتفسون بى ، فقد منيت بالخيبة العاجلة ، فما كدنا نتجاوز منطقة الباب حتى بصر بنا الأطفال فى ثياب الملجأ ، فتقحموا علينا بالاحتقار .

ولما أقبل الليل زحفنا إلى فرن جير مهجور ، وقد أضنانا التعب وداخلنا الهم وأفزعنا الظلام . وهكذا تقضت شر ليلة أتذكرها ، وطلعت الشمس فاستأنفنا الفرار ونحن جائعان بائسان ، وتغلبنا على حيائنا فاستجدينا بعض الخبز من سيدة عجوز بدينة رحيمة ، وفى تلك الليلة لُذْنا بكوم من الدريس .

وفى بكرة اليوم التالى وصلنا إلى دنباى حيث كان لموسى اقارب تلقونا بالترحاب ، وبعد أن استرحت ليلة مضيت وحدى إلى جدّى وهو صاحب مزرعة كبيرة وفى خفض من العيش ، وبعد أقل من ساعة كنت فى دوّار الضيعة بين الخيول والخنازير والإوز . فجرى حديث لاينسى .

وانى لأرى نفسى الآن واقفاً فى المطبخ وقبعتى فى يدى أمام رجل هرم صارم الوجه أحمره ، وهو مضطجع على كرسيه فى سراويل قصيرة ، يدخن من قصبة طويلة من الصلصال . وأتذكر أنه سألنى عمن عسى أن أكون وعما أبغى ، وبعد أن أفضيت إليه بحاجتى أخرج القصبة من فمه وأشار بها إلى الباب وقال : « حسن جداً ، يمكنك أن ترجع من حيث أتيت ، فما أستطيع أن أصنع لك شيئاً »

وزرت أقارب آخرين ، ولكن المتزوجين الذين لهم ملء بيت من الأطفال لايطيب لهم أن يعنّوا أنفسهم بالفقراء من ذوى القربى . وقضيت وقتاً وجيزاً فى ضيافة ابن عمى ، وهو مدرس شاب سرّه ما رأى من إقبالى على الدرس وتوفّرى عليه ، غير أن تلاميذ مدرسته عيرونى بأنى كنت نزيل ملجأ ، فسرعان ما صار ابن عمى يرغب فى التخلص منى .

وهكذا حدث أن عمة لى من ليفربول قدمت لزيارتنا ، فجازفت بالقول بأن زوجها — العم توم — يستطيع أن يوظفنى كاتباً فى شركة تأمين ، فتقرر على الفور أن أذهب ،

وأعطيتُ ثياباً لائقة وجنيها ، وأرسلت إلى ليفربول .

فألفيت العم توم خفيف الروح كثير الوعود وواثقاً من قدرته على أشياء كثيرة من أجلى ، ولكنه كان لا يكسب إلا جنيهاً واحداً فى الأسبوع يعول به أسرة كبيرة . ويمكن أن تعرف موضع الضعف فيه — إذا كان هذا موضع ضعف — من أنه ، وأسرته فى ضنك ، تسرّع فتحمل عبئى . ولم يتحقق التحاقى بوظيفة الكاتب المرجوة ، وأخيراً انتحت بى عمتى ماريا ناحية واقترضت الجنيه الذهب منى وقالت : « إن العم توم متعطل منذ أكثر من ثلاثة أسابيع ، وهو مكروب جداً ، ولابد لى من أن أهيىء له وجبة حسنة أو وجبتين لأقوّى قلبه وأشجعه » .

وفى صباح يوم الاثنين من الأسبوع التالى اقترضت بذلتى ورهنتها ، وفى يوم الاثنين التالى أخذت معطفى ، فعلمت أن الأسرة فى ضيق شديد .

ورحت أذرع الشوارع لعلى أجد أى عمل ، وأتأمل نوافذ الدكاكين عسى أن يكون فيها إعلان يقول «مطلوب غلام» ، وعرضت خدمتى عشرات من المرات فكان الجواب أنى صغير ، أو دقيق الجسم ، أو أنى لست خفيفاً رشيقاً ، أو أنى جئت بعد الأوان . ولكنه حدث ذات يوم بعد عشرين خيبة أن وجدت عملاً فى دكان سلع صغيرة متنوعة بشارع لندن بخمسة شلنات فى الأسبوع ، وكان عملى يبدأ من السابعة صباحاً وينتهى فى التاسعة مساء ، ويشمل الكنس وإعداد المصابيح وصقل النوافذ ، ورفع الشبابيك الثقيلة ووضعها .

فكنت أغادر البيت فى منتصف الساعة السابعة صباحاً ومعى وعاء فيه خبز وزبدة وقطعة صغيرة من اللحم البارد أتبلّغ بها إلى الساعة التاسعة مساء . وقد ظلت عاداتى منتظمة شهرين بفضل قوتى الريفية ، ولكن ثقل الشبابيك بعد ذلك هدّنى وأرقدنى أسبوعاً ، فاستخدم صاحب الدكان غلاماقوياً فى الثامنة عشرة بدلا منى ، وتلا ذلك شهر من ذرع الشوارع مرة أخرى أنشد عملاً .

فاتفق ذات يوم أنى كنت أؤدى مهمة لجزار فى الميناء ، فصعدت إلى السفينة وندرمير ومعى سلة من المؤن ورسالة إلى الربان . وفى هذه اللحظة قرر الحظ مصيرى ، فبينما كان الرجل يقرأ الرسالة كنت أنا أدير عينى بإعجاب فى أثاث الحجرة الوثير ، والمرايا المذهبة والطنف اللامعة . ثم شعرت فجأة بأن عينى الربان علىّ .

وقال : « أرى أنك معجب بغرفتى . فما قولك فى أن تعيش فيها ؟ »

فقلت وأنا فى دهشة : « سيدى ! »

« أقول ما رأيك فى أن تبحر على هذه السفينة ؟ »

« ولكنى لا أعرف شيئاً عن البحر ياسيدى » .

« هس ! ستتعلم بسرعة . هل تحب أن تبحر معنا تعمل عمل فرّاش ؟ سأعطيك خمسة ريالات فى الشهر ، وما يلزمك . وبعد ثلاثة أيام نبحر إلى نيو أورلينز » .

فتجمع فى لحظة كل ما كان يغيظنى ، وأوحى إلى أن أقول : « سأذهب معك يا سيدى إذا كنت ترى أنى أصلح » .

## فى البحر

لبثت ثلاثة أيام فى السفينة وندرمير غافلاً لا أدرى شيئا ، ولكن فى صباح اليوم الرابع ردّنى إلى الحياة صوتٌ حادٌّ يصيح بعنف من الكوة : « أنت أيها — أيها البريطانى الصغير ، اطلع وامسح السطح أيها — وإلا نزلت وسلخت جلدك حياً » .

وكان عنف الصوت وقوته كافياً لإيقاظ الموتى ، فنسيت الدّوار الذى كنت أعانيه وتعثرت صاعداً إلى السطح ، واختلست أقصر نظرة ممكنة إلى الوجه المضطرم ، وجه الرجل الذى بلغ به الغضب هذا المبلغ ، ثم رآنى أقبل على عملى بلا تلكؤ ، فأسرع إلى غلام آخر وقال له بتهكم لاذع : « والآن ياعزيزى هارى أرانى واثقاً أنك لا تريد أن تذوق طرف حذائى ، أم تُراك تريده ؟ »

فقال الغلام بسرعة : « كلا يا سيدى »

« إذن ألق بثقلك على هـذه المقشة . سامع ؟ »

« نعم ، نعم ، ياسيدى » .

واعتدل البحار ، ومضى إلى جماعة من النواتىّ يمسحون الأرض بهمة ويرسلون وابلاً من اللعنات فوق الرءوس ، فتساءلت وأنا أسمع هـذه اللعنات الفظيعة : إلى متى يكفّ الله عنهم نكاله ؟

ولما دقت أجراس المساء قيل لى إن سريرى سيكون مع سرير هارى فى غرفة الصبيان الذين هم تحت التمرين ، ولم يرد ذكر لتعيينى فرّاشاً . وكان زميلى هارى قد قام برحلة سابقة على السفينة وندرمير ، فلما أخبرته أنى عينت فرّاشاً أضحكه ذلك جداً وقال إن الربان مازال يلعب « لعبته القديمة » . « ففى الرحلة الماضية كان معنا غلامان فرّاشان ، ولكننا ما كدنا نخرج إلى البحـــر حتى استاقهما الربان أمامه للعمل ، وانهال عليهما طول الرحلة إلى نيو أورلينز ، فلما رست السفينة بجانب الرصيف فرّا مخافة أن يلقيا ما هو أسوأ من هـذه المعاملة فى رحلة الإياب . ولابد أن يكون الربان قد خرج بخمسة وعشرين ريالا من أجورهما » .

وكان النظام على السفينة وندرمير وحشياً، فكما أن فرانسيس كان يجلد ويضرب ويركل الأطفال الذين يلى أمرهم، كذلك كان مساعدو الربان الأوغاد يصيحون ويشتمون ويضربون ويركلون الرجال التعساء الذين يعملون فى السفينة، وكان من حسن حظى أنه فى الأسبوع الأول وجد ثلاثة ركاب مختبئين، فتحول إليهم غضب المساعدين، ولهذا لم تكن الرحلة غير محتملة.

وفى اليوم الثالث والخمسين من إبحار السفينة من ليفربول، دخلت ميناء نيوأورلينز، ولما سمح لنا بالنزول ذهبنا — أنا وهارى — نعدو على الرصيف فرحَيْن. وكان النسيم الرقيق المعطر وما امتزج به من روائح الدبس والسكر والبن الأخضر والقار، ومرق اللحم وشراب الروم والويسكى — يفيض على كل ما أرى سحراً. وكان الناس الذين أمر بهم يبدون لى أنبل من كل من رأيت، فقد كانت لأبدانهم خَطْرة فى المشى لم أعهدها فى قومى، وكان تعبير وجوههم مخالفاً لكل ما ألفته، وكددت رأسى بحثاً عن اسم لهذا الذى يخالف ما ألفت. وأنا أعرف الآن بطبيعة الحال أن الشعور بالمساواة والاستقلال هو الذى جعل كل وجه مختلفاً إلى هذا الحد عما رأيت فى ليفربول، فهؤلاء الناس لا يعرفون لهم سيداً، وليس فى قلوبهم رهبة لمستخدميهم. وضاعف مساعدو الربان فى الميناء مجهودهم معى، وأثقلوا الوطأة على بغير رحمة ليحملونى على ترك السفينة، فيقتصد أصحابها المبلغ الزرىّ الذى أستحقه. وأخيراً لم أعد أطيق حياة الرقّ، وفى الليلة التالية خرجت من السفينة ورقدت فى انتظار الصباح بين كوم من بالات القطن.

## العمل

وبعد طلوع الشمس بقليل خرجت من هذا المكان، ونفضت ما علق بثيابى واتجهت إلى شارع تشابيتولاس. وحوالى الساعة السابعة بصرت برجل جالس أمام دكان يقرأ جريدة، فظننته صاحب المكان الذى كان مكتوباً عليه « سبيك وماك كريرى — تجار جملة ووكلاء ». وبعد أن ألقيت نظرة أخرى على وجهه البشوش اجترأت فسألته: « بك حاجة إلى استخدام غلام يا سيدى ؟ »

فقال وهو يحدق فى وجهى: «غلام ؟ كلا لا أظن أن بى حاجة إلى غلام. من أين جئت، فلست بأمريكى ».

فقلت: « جئت من ليفربول ياسيدى »، وشرحت له أحوالى.

فقال: « وهكذا صرت بلا صديق فى بلد غريب، وغايتك أن تشرع فى جمع ثروة. حسن، وماذا تستطيع أن تعمل ؟ تعرف

القراءة ؟ أي كتاب هذا الذي في جيبك ؟ »

« هو إنجيلي ، هدية من أسقفنا . أي نعم ياسيدي أعرف القراءة » . قلت هذا مزهواً .

ففتح الإنجيل وتبسم وهو يقرأ ما كتب عليه : « هدية إلى جون رولاندز من توماس فاولر شورت الدكتور في اللاهوت وأسقف القديس آساف ، مكافأة على الهمة في الدراسة وحسن السلوك العام » .

والتفت إلي وأشار إلى مقال في الجريدة وقال : « اقرأ هذا » ففعلت ، وقرأتها كما قال قراءة صحيحة ولكن اللهجة غير أمريكية .

ثم سأل : « هل تحسن الكتابة ؟ » .

« نعم ياسيدي ، أكتب خطاً حسناً كما قيل لي » .

« إذن دعني أراك تكتب على غرارة البن هذه نفس العنوان المكتوب على الغرارة القريبة منها ، وعندك الفرشة وعلبة الدهان »

فرسمت في بضع ثوان حرف س في مربع وبجانبه « ممفيس بولاية تنيسى » ورفعت إليه وجهي .

فقال : « كتابة حسنة . والآن اصنع بالغرارات الأخرى ما صنعت بهذه » وكان هناك نحو عشرين ، وبعد بضع دقائق كان العنوان عليها جميعاً . فصاح : « بديع ، لاخوف من أن يضل بُنّي ويضيع في هذه المرة . سيحضر المستر سبيك بعد نحو ساعة ، وفي أثناء ذلك يحسن أن تجيء معي لتفطر » .

وقال لي إنه لما كان الأثر الأول في النفس له شأن عظيم ، فإنه يحسن بي أن أحلق شعري وأن أنفض الغبار عن ثيابي . وبعد أن أكلنا أخذني إلى دكان حلاق ، فلما عدنا إلى محل سبيك وماك كريري قال لي إن منظري مُرْضٍ .

وبعد أن حيّ هذا الرجل المفضال المستر سبيك تحية مودّة ، تناول ذراعه وانتحى به ناحية وقضى بضع دقائق في حديث معه ، ثم قال المستر سبيك وهو يبتسم :

« إني أيها الفتى مستعد أن أستخدمك على سبيل التجربة أسبوعاً بخمسة ريالات » .

وناهيك بما شاع في نفسي من الفرح والزهو حينئذ ! قبل بضع ساعات ليس إلا كنت كرجل معرّض لتهشيم رأسه في أية لحظة ، والآن صرت حراً وارتقيت إلى مرتبة الإنسان .

وأقبلت على العمل بهمة ، وما لبث ما بدا من نشاطي وقوة ذاكرتي أن صار موضع التقدير ، فثبت في عملي بخمسة وعشرين ريالا في الشهر ، وهو مبلغ كان يبقى لي منه خمسة عشر ريالا في الشهر بعد أن أؤدي أجر المسكن وتكاليف الطعام ، فهو كان ثروة في نظري .

وما انقضت بضعة أسابيع على مقامي

حتى تغيرت روحى وأخلاقى ، فقد نلت حرية القول والرأى ، وأمنت الاضطهاد واحتقار الطبقة التى انتمى إليها ، وصار ما ألقاه من معاملتى فى أمريكا كلها رهناً بشخصيتى أنا بغير نظرة إلى الأسرة أو الأصل ، فاستقام ظهرى وصارت خطواتى أوسع وأنا أستمتع بهذا الاستقلال الجديد. وبلغت الآن الخامسة عشرة ، فأنا لم يمض على تركى الملجأ سوى ثمانية عشر شهراً .

وعلمت من مستخدمى أن الرجل الذى كان أول من خاطبته — ذلك الذى أحسن إلى — سمسار يعمل فى التجارة بين الزراع على جانبى النهر وبين تجار نيو أورلينز ، واسمه ستانلى . وحوالى الأسبوع الرابع عاد المستر ستانلى يحمل طائفة جديدة من الطلبات ، وهنأنى بتحسن مظهرى وأسر إلىّ أن المستر سبيك راض عنى أتم رضى ، وناولنى بطاقته ودعانى إلى الإفطار يوم الأحد التالى .

ولما كان يوم الأحد ألفيت البيت من الفخامة بحيث ترددت فى الدخول لولا أن المستر ستانلى كان فى انتظارى على الشرفة ، فمضى بى إلى حجرة رحيبة نفيسة الأثاث ، وقدمنى إلى سيدة ضئيلة وهنانة هى مثال الصقل والتهذيب، فكانت أول سيدة قابلتها ، ولكنه ما من شىء كان خليقاً أن يتغلب على حيائى مثل ترحيبها بى وتلطفها معى ، وأجلستنى بجانبها على أريكة ، فسرعان ما انطلقت أثرثر معها بذلاقة مدهشة .

وانتقلنا إلى غرفة الطعام فألفيت فيها نحو اثنى عشر فى مثل سن المستر ستانلى وزوجته ، ومرتبتهما الاجتماعية ، فوقع فى نفسى أن بينى وبينهم هوة تكاد تتعاظم المجتاز ، وكان حديثهم يدور على ما أفهم فى الأغلب ، ولا شك أنهم أدركوا من سلوكى وسنى أنى لست من طبقتهم ، غير أنهم شرفونى بأن أدخلونى فى زمرتهم . فكان إفطاراً لا ينسى .

وصرت بعد ذلك أقضى صباح كل أحد مع آل ستانلى ، وكانت السيدة ستانلى تبدو فى كل زيارة أشد عطفاً وحنواً ، وكان هو يزداد محبة أبوية ، وكانوا يأخذوننى إلى الكنيسة ويتعهدوننى بطرق أخرى شتى .

وكان صيف ١٨٥٩ غاية فى الوخامة ، فمرض المستر سبيك ذات يوم وبعد أربعة أيام توفى ، فبيع المحل بالمزاد ولكن الذى اشتراه احتفظ بى .

وبعد بضعة أسابيع ذهبت أزور المستر ستانلى على عادتى يوم الأحد ، فراعنى أن أسمع من وصيفتها أنها مريضة جداً وأن بها حاجة إلى عناية دائمة ، وكان المستر ستانلى مسافراً وتبينت فى وجه الوصيفة مرجريت آثار

التعب والقلق، فرجوت منها أن تستعين بي، فقالت بعد تردد إني قد أساعدها على الظفر بحظ من الراحة إذا أنا جلست عند الباب، فإذا سمعت أي صوت أو حركة في الغرفة دعوتها ولزمت مكاني طول النهار والليل. ومع أني دعوت مرجريت مراراً إلا أن ما كانت تختلسه من فترات الراحة أعانها على الاحتفاظ بقوتها. ووعدت وأنا عائد إلى عملي أن ألتمس إجازة بضعة أيام، وأن أعود إليها في مدى ساعة، ولكن مستخدمي الجديد رأى أن يعد ما التمست من الإجازة بضعة أيام عملا متكرراً، وقال لي بجفوة إني أستطيع أن أذهب إذا شئت ولا أرجع، وقد كان هذا الرد الخشن لو سمعته قبل بضعة شهور خليقاً أن يجعلني أتضاءل، ولكن جو نيوأورليـنز ينضج شعور المرء بالاستقلال والكرامة، فأجبته بقولي:

« حسن جداً ياسيدي. تستطيع أن تطردني على الفور! »

وصار وقتي كله بعد ذلك تحت تصرف مرجريت، وكانت المسز ستانلي المسكينة تزداد في أثناء ذلك سوءاً، فلما كانت ليلة الأربعاء قال الطبيب إن حالتها خطرة. وقبيل منتصف الليل أومأت مرجريت إلى — وكان وجهها مكفهراً ممتقعاً — أن أدخل غرفة المريضة، فدخلت على أطراف أصابعي وقلبي يخفق خفقاناً مؤلماً، ورأيت سريراً عريضاً عليه أستار بيض من القطن الرقيق يرقد عليه جسمها النحيل، وكانت من الوهن والرقة بحيث خيل إلى أن من الوقاحة أن أكون قريباً منها وأنا في هذه العافية العاتية.

وفتحت عينيها الرقيقتين وقالت بصوت كأنما يجيء من بعيد: « كن فتى طيباً والله يبارك فيك! » وبينما كنت أرهف أذني لأسمع، اتسعت العينان وثبتتا، وغمرت محياها سكينة جميلة، فلما التفت لأنظر في عيني مرجريت عرفت أن الأجل قد وافى.

ولبثت فترة لا أكاد أجعل بالي إلى شيء من فرط الأسى، ثم انقشعت السحابة شيئاً فشيئاً عن ذهني، فذهبت أنشد عملا، غير أن الحظ لم يكن مؤاتياً في هذه المرة. وبعد أسبوعين من السعي المخفق انحدرت إلى كل ضروب الأعمال، وبعد شهر من هذا العناء ركبت باخرة إلى سنت لويس حيث قدرت أن أجد المستر ستانلي.

على أني علمت حين سألت عنه في الفندق في سنت لويس، أنه رجع إلى بيته قبل أسبوع وكان ما معي من المال قد قارب النفاد، ولكني لحسن الحظ استطعت أن أعود إلى نيو أورلينز لقاء أن أعمل مساعداً للطباخ في سفينة مسطحة لنقل الخشب.

## وجدت أباً

وفي نيو أورلينز حيث وجدت المستر ستانلي كان استقباله كاستقبال الأب، حتى أن الولد الضال ما كان يمكن أن يشعر بأكثر من هذا السرور.

بين هذه الجملة الأخيرة، وما تلا ذلك، فترة ...، وكنت لما أنا فيه من السرور الذي يملأ شعاب نفسي، لا أبالي بغير اغتباطنا المتبادل. غير أن العاطفة مالبثت أن حركت أعماق نفسي، فقد كان يقول بشيء من التأثر إن مستقبلي ينبغي أن يكون أمانة يحملها. ذلك أنه تأثر تأثراً بالغاً بما حدثته به مرجريت عن آخر ما كان وزوجته تجود بأنفاسها، فعاد لايستطيع أن ينحّيني عن تفكيره فيها، وقد سأل نفسه عما تراني أصنع، ولما كان يعرف أني غريب ولا صديق لي، فقد كان كل مايتخيله من حالي يحزنه، فاعتزم لما عاد إلى نيوأورلينز أن يبحث عني وأن يكفلني.

وكنت في أحلامي قديماً كثيراً ماأتصور النشوة المستفادة من حب الأب، كما أراه مُغدقاً على غيري من الأطفال فأغبطهم عليه. والآن، ومن حيث لا أحتسب، تلقيت هذه الاستجابة لدعائي.

وقبل أن أدرك كل ما ينطوي عليه هذا التصريح من أثر في حياتي، نهض، وضمني إليه ضماً رقيقاً، فتهافت وبكيت، فقد كان هذا هو الحنو الوحيد الذي ذقت طعمه، وما كانت القسوة مهما بلغ من أمرها لتسيل دموعي، ولكنها انهمرت لهذه الضمة الرقيقة.

وقال لي إنه لاولد له، وأنه هو وزوجته كثيراً ما سألا الله أن يمنحهما نعمة الذرية، حتى أضناهما التمني والانتظار، وكثيراً مافكر فيما أدار في نفسه سؤالي له: «بك حاجة إلى غلام ياسيدي؟»، فقد كان هذا السؤال كأنه إعراب عن مناه طول حياته: «وأنا أعدك أن أتخذك ابناً لي، وأن أعدك لمستقبل تجاري، وستحمل في المستقبل اسمي، هنري ستانلي».

وقد بدأ العهد الذهبي في حياتي من هذه اللحظة الجليلة.

ولاشك أن كثيراً من الناس قد عرفوا من وجهي المشرق وعيني الملتمعتين، ونحن نجتاز الشوارع معاً، أني ممتلىء جذلاً، وما استطعت إلا بجهد شديد أن أكبح نفسي عما تغري به خفة الفرح مما لايليق.

وانقضى معظم اليوم في تجهيزي لمنزلتي الجديدة، فزودت بثياب جديدة أنيقة، وملابس تحتية، وأحذية فاخرة، وأدوات زينة لا عهد لي بها، مثل فرشة الأسنان وفرشة الأظافر.

ثم مضوا بي إلى حمام طويل في إطار من الخشب الأسود، وبينما كنت أعجب

بحسنه سمعت عن المزايا الكثيرة المسندة إلى استعماله اليومى ما أغرانى بحبه .

وغمرت نفسى فيه عصر ذلك اليوم كأنما كنت أريد أن أغسل ما لوثنى به الفقر والشقاء . والأطفال الذين ينشأون فى بيوتهم يتبعون بالفطرة الآداب السائدة فيه ، ولم يكن لى بيت ، ولهـذا كان ينقصنى تلك اللباقات الصغيرة المستفادة من الحياة المنزلية ، غير أنى من اللحظة التى خرجت فيها من الحمام فى ثيابى الجديدة ، شرعت عفواً فى تلك التربية الأولية التى ستجعلنى جديراً بأن يرانى الناس إلى جانب رجل محترم .

ولبثنا سنتين تقريباً ننتقل بين نيوأورليتز ، وسنت لويس ، وسنسناتى ، ولويزفيل ، ولكنا كنا نقضى معظم وقتنا على فروع نهر المسيسبى السفلى حيث كنا نقوم بمهام رابحة فى معاملاتنا مع التجار المحليين . وقد اكتسبت فى هذه الأسفار التجارية معارف جغرافية تفوق كل ما كان يمكن أن تعلمنيه المدارس . وكان تذكرى للأسماء والوجوه والتفاصيل التجارية عظيم النفع لأبى .

وكنا حين غادرنا نيوأورليتز فى آخر ١٨٥٩ قد جلبنا معنا ملء حقيبة من الكتب المتخيرة ، وقيل لى إن علىّ أن أواصل الدرس كأنى فى مدرسة . ولم تكن رحلة على النهر مع رجل مثل أبى ، لتعوق تعلمى ، بل لقد بلغ من حرصه على اغتنام الدقائق التى تمر خطفاً ، أن تسرى حرصه إلى فصرت مثله .

وكنا نقرأ معاً فى هذين العامين ، ونتدارس كتباً كثيرة ، فاتسعت معارفى حتى كأنما كنت مع مؤدب .

وكنت حريصاً على العمل بأيسر اقتراح له ، غير أنى أخشى أنى لم أكن فى كل وقت جديراً بما يولينى ، أو كفؤاً لما يرجو لى ، فقد كنت امرءاً لا أستطيع دائماً أن أفعل الواجب أو اللائق ، ولا بد أنى امتحنت صبره فى بعض الأحيان .

## شريد ثانية

قابلنا فى سبتمبر ١٨٦٠ رجلا مديد القامة أنيقاً اسمه الماجور إنجهام ، على ظهر سفينة ذاهبة إلى نيوأورليتز . وقبل أن نبلغها ائتلفنا إلى حد جعله يدعونا إلى قضاء شهر معه فى ضيعته بأركنساس . ولما صرنا فى نيوأورليتز تلقى أبى رسالة من أخيه فى هافانا أقلقته وأحوجته إلى السفر لرؤيته ، فكانت دعوة الماجور إنجهام عوناً على تذليل الصعاب ، فأنا أذهب مع الماجور إنجهام ، وأبى يقوم برحلته ، ولو كنا اطلعنا على الغيب وعلمنا أن هـذا الفراق سيكون إلى الأبد لأحجم كلانا عنه ، غير أنا كنا قد بلغنا مفرق الطرق ونحن لا ندرى . . .

ولما آن لأبى أن يرحل رافقناه أنا والماجور إنجهام على باخرة مسافرة إلى هافانا ثم مضينا إلى أركنساس ، وصرت أتلقى من أبى الرسائل بانتظام ، ثم تلا ذلك شهر بعد شهر من الصمت التام . وقد بقيت حتى دخلنا فى شهر مارس ١٨٦١ أنتظر كل يوم أن أتلقى منه خبراً أو أن أراه مقبلا ولكنه كان قد كتب علينا أن لا نلتقى مرة أخرى فقد مات فجأة فى ١٨٦١ — ولم أسمع بموته إلا بعد زمن طويل .

وفى أثناء ذلك وقعت حوادث مدهشة . فقد تحدى كثير من الولايات الجنوبية حكومة الولايات المتحدة وخرج من الاتحاد معظم الولايات التى تنتج القطن ، وفى أوليات شهر مايو انفصلت ولاية أركنساس أيضاً ، فتلهبت النفوس وفارت وَسرَت فىَّ هذه الحماسة الحربية ضد همج الشمال ، فتطوعت فى الجيش الجنوبى .

وكنت إلى ذلك الوقت قد تفاديت فى حياتى الأخطار الجسام ، ولكن هذا التطوع كان غلطة فاحشة — الأولى من كثير غيرها . غير أنى كنت قد حمست كغيرى من أهل الجنوب وصرت « آكل نار » ، وأدار الثناء العام رءوسنا الصغيرة فصقلنا الأزرار النحاسية والأسلحة وما إليها من عدة القتال ، وطبعت صورنا على قطع من الصفيح ، على هيئات وحشية ، والمسدس فى يد ، والخنجر فى الأخرى ، والوجه عبوس منذر بالشر .

وبعد بضعة أسابيع اجتزنا شوارع عاصمة أركنساس للمرة الأخيرة ، وكانت تخفق فيها الأعلام ، والناس يصيحون ويهتفون ، ونحن نرفع عقائرنا بأغنية « ديكسى » والبنات يلوحن بمناديلهن ويبكين . وكان الضوء المنعكس عن بنادقنا اللامعة وسنانها المصقولة يخطف الأبصار ، والنسيم يعبث برايات الكتائب والفصائل ونحن سائرون إلى مكان العرض « وعيوننا إلى أمام » .

ولو أن السيدات الصغيرات شهدننا حين وصلنا إلى المعسكر فى الهزيع الأول من تلك الليلة ، بعد مسيرة يومنا الأول ، لركبهن الخزى إلى الأبد ، فقد كنا كمسع المتطوعين الجديدين ، موقرين بكثير مما ليس له نفع من العدة ، وقد أضنانا التعب ، واتسخنا . وفى أسبوعين اثنين مات خمسون بالتيفوس أو الملاريا ، أو من سوء الجراية . وبعد ثلاثة أسابيع كنا جميعاً مهددين بمثل ذلك .

على أننا تعودنا على الأيام لحم الخنزير المقدد والفول ، وتعلمنا الرضى بالنوم على وسادة من الحجر ، وتمرّسنا بالمصاعب والمناوشات ففقدت الحرب ثقل وطأتها شيئاً فشيئاً .

## شيلو

وفى اليوم الثانى من إبريل ١٨٦٢ تلقينا أمراً بإعداد جرايات من الطعام المطبوخ تكفى ثلاثة أيام ، وبعد يومين زحفنا لنشترك فى معركة من أحمى المعارك التى دارت فى الغرب . ففى الساعة الرابعة صباحاً ، تركنا معسكرنا الرطب ، وتقدمنا للهجوم فى شيلو على جبهة طولها ثلاثة أميال .

وظل القتال دائراً طول الصباح ، ونحن نحشو بنادقنا العتيقة ونطلقها ، وأخيراً قوبلنا بوابل من الرصاص بلغ من شدته أن صدر إلينا الأمر بالاستتار . ولما نهضنا مرة أخرى لنواصل الهجوم — وكنت قد استترت أنا واثنى عشر آخرين وراء شجرة مقطوعة — أصابتنى ضربة عند معقد الحزام وطرحتنى أرضاً ، ولم يطل انطراحى إلا دقائق ثم أفقت من الصدمة ، فوجدت مشبك الحزام منقوراً نقراً عميقاً ، ولما كنت لا أرى فصيلتى فقد سرت شمالا فى الاتجاه الذى سارت فيه الكتيبة فوق أرض مغطاة بجثث القتلى وحطام الحرب . وكان ما شهدت فى تلك الأرض كتلة من الفظائع سأظل أذكرها كلما ذكر اسم شيلو .

وأدركت كتيبتى حوالى الساعة الأولى وألفيتها مشتبكة فى هجوم عنيف ، واستمرت المعركة بعد الظهر كله . وأخيراً حوالى الساعة الخامسة ، قمنا بهجمة فاستولينا على معسكر كبير ، وبعد أن طردنا منه العدو وأبعدناه عنه أمرنا بالارتداد ، وكنت قد استحلت إلى شخص يتحرك كالآلة وليس لى إلا هم واحد هو أن أنام .

واستيقظت قبل الفجر بساعة ، وقد أنعشنى الرقاد . وبعد أن أكلت وهنئت ، لحقت بكتيبتى عند طلوع النهار ، فأرسلت الكتائب على الفور تقريباً إلى خط القتال بسرعة ، فتقدمنا فى النظام الخاص بالمناوشات . وكنت أنشط مما كنت خليقاً أن أكون ، ولعل السبب أن الكبتن سميث قال لى : « والآن يا مستر ستانلى أرجو أن تخطو إلى الأمام بهمة ! » فجرح كرامتى أنى أفردت بهذه الملاحظة ، وتقدمت كالصاروخ ، وبعد قليل لاقينا أعداءنا وكانوا على مثل نظامنا ، وكانوا مقبلين بعزم صادق ، فألقينا بأنفسنا وراء الأشجار القريبة ، وأطلقنا نيراننا ، وحشونا البنادق ووثبنا إلى مخبأ آخر ، وأخيراً وجدت نفسى فى أرض خضراء مكشوفة ليس فيها شجرة أو أصل شجرة على مقربة منى ، ولمحت منخفضاً من الأرض على مسافة عشرين ياردة تقريباً أمامى ، فعدوت إليها وحشوت بندقيتى بسرعة ، وشغلت بأعدائنا ذوى الثياب الزرق حتى أنى لم ألتفت

إلى جماعتنا ذوى الثياب الرمادية . ولم أفكر قط فى التراجع ، ولكن لما كان الزرق يتقدمون ويدنون منا دنواً لا يدعو إلى الاطمئنان على الرغم من نيراننا ، فقد نهضت من مكمنى ، فأذهلنى أنى الوحيد من جماعتى فى خط من مقاتلة الزرق ! فقد تقهقر رفقائى ، وما سمعت بعد ذلك إلا قائلا يقول : « ألق بهذه البندقية وإلا رميتك برصاصة تنفذ من عظامك ! ألقها بسرعة ! »

وكان ستة من الزرق مسددين بنادقهم إلى ، فألقيت بندقيتى وأنا لا أكاد أملك نفسى . وأصبحت أسيراً لهمج الشمال !

## أسير حرب

فى الثامن من إبريل نقلنا بباخرة إلى معسكر دوجلاس على مشارف شيكاغو . وكان بناء هذا السجن الموحش غاصاً بالحشرات والهوام ، فما مضى أسبوع حتى فتك بجماعتنا من الأسرى ما يحيط بنا ، وعاثت فينا أمراض الكبد والدوسنتاريا والتيفوس ، فصارت جماعتنا تزداد كل يوم نقصاً ، وكانت المركبات تأتى كل صباح إلى المستشفى ودار الموتى لتحمل الجثث .

وأقبل علىّ ، ذات يوم ، المستر شيهان أحد المشرفين على المعسكر وقال لى : إنى أستطيع إذا كنت قد مللت الأسر ، أن أنال حريتى بأن أكون جندياً من جنود الاتحاد ، فقلت : « كلا ! لا أستطيع أن أفعل هذا ! »

فأخذ يفيض فى الكلام على تفوق الشمال ، وأن الجنوب سيهزم لامحالة ، وأن مما يدعو إلى الرثاء أن يضحى الشبان بأرواحهم فى سبيل قضية كقضية الرقيق ، ولكنه كان من العبث أن يحاول التأثير فىّ من الناحية السياسية ، فقد كنت أجهل بالسياسة من أن يجدى معى ذلك ، ثم إن أبى الذى تبنانى كان من أبناء الجنوب ، وقد أعمانى جميله وشكران نعمته .

ولكن فى خلال ستة أسابيع اصطلحت عوامل أقوى من منطق المستر شيهان على نقض عزمى على إيثار البقاء أسيراً ، فقد خفت أن يعصف بعقلى تفشى الأمراض وأهوال السجن ، وأنى قد أظل فى الأسر سنوات ، فقبلت شروط الإفراج عنى ، والتحقت مع كثيرين غيرى من الأسرى بمدفعية الولايات المتحدة ، وفى الرابع من شهر يونية استعدت حريتى مرة أخرى .

ولكن بعد ثلاثة أيام من العمل فى الجيش استعلت علىّ جراثيم السجن ، فلما وصلنا إلى معبر هاربر ، صرعتنى الدوسنتاريا والحمى فثقلت وأثبِتُّ فسرحونى من الخدمة ، وأنا حطام .

وكانت حالتى من التضعضع أقصى ما يمكن أن يصير إليــه إنسان خارج السجن ، ولم يكن معى مليم ، ولا كنت أدرى أين أقصد ، ولم يكن فى وسعى أن أمشى ثلاثمئة ياردة دون أن أقف وأفهق ، وكنت ، وأنا أرقد فى الليــل كالخشب تحت أعين النجوم ، والحمى ترمضنى والنزف يلح علىّ فى جوفى ، لا أحس برغبة فى مكافحـة الموت ، ولـكن كل فجر يطلع كان يجىء بومضة أمل تدفعنى إلى طلب القوت والمأوى. وكانت هاجرز تاون على مسافة أربعة وعشرين ميلا من معبر هاربر ، ولـكن أسبوعاً تقضّى قبل أن أصل إلى ضيعة دون منتصف الطريق ، فرجوت صاحبهـا أن يأذن لى فى النزول بكوخ على أطرافها ، فجاءنى ببعض الدريس فانطرحت عليه وليس لى أدنى رغبة فى النهوض مرة أخرى. ومضت عدة أيام قبل أن أفيق ، فوجدت مرتبـة تحتى ، وغطاءً من قطن مطروحاً على ظهرى ، واستعدت قوتى ببطء بفضل العطف المتواصل وغذاء اللبن .

وقد بقيت مع هـذا المحسن الـكريم إلى منتصف أغسطس وكان يعنى بى أحسن عناية ، ولما رحلت أبى إلا أن يدفع لى أجر الطريق إلى بالتيمور .

القسم الثانى

# "بولا متـــارى" أو محطـم الصخور

تأليف جاكوب واسرمان

آخر ما كتبه ستانلى فى ترجمته لنفسه بين وأولى رحـلاته الـكشفية العظيمة فترة من حياته مستسرّة إلى حد ما ، وكل ما نستطيع أن نتبينه فى الظلام الذى اشتمل عليها هو أنه كان لا يستقر أبداً ، وأنه كان يجاهد مستئيساً ضد انقلاب الحظ عليه .

ففى خريف ١٨٦٢ كان يعمل أجيراً فى الحصاد ، ثم عمل فى البحر فى سفن شتى ، وتحطمت به سفينة تجـاه برشلونة فسبح إلى الشـاطىء وهو عريان ، وفى أغسطس ١٨٦٤ تطوع فى بحرية الولايات المتحدة ، وفى ١٨٦٥ شهد الاستيلاء الدموى على « فورت فيشر » . وقد وصف هذا الهجوم فى رسائل رحبت بها الصحف ، وكانت تلك أول عمل صحفى له .

وبعد ذلك صـار مراسلا صحفياً يجوب كرة الأرض ، ويروى وقائع الحروب والثورات ، ولفت إليه نظر جيمز جوردون

بنيت صاحب جريدة النيويورك هرالد .

فحدث ذات يوم فى ١٨٦٩ أن كان ستانلى يوافى الصحيفة بحوادث فتنة فى إسبانيا ، فاستدعاه إليه بنيت وكان فى باريس .

وقال بنيت : « عندى لك عمل مهم : هل تظن أن لفنجستون حى ؟ »

« لا أدرى يا سيدى »

« أنا أظن أنه حى ، وأن من الممكن الاهتداء إليه ، وسأبعث بك لتجده »

فلم يسع ستانلى إلا أن يتعجب لهذا الأمر الهادىء، بأن يذهب إلى قلب إفريقية المجهول باحثاً عن رجل يعتقد العالم كله أنه مات .

فسأل : « هل فكرت تفكيراً صحيحاً فى التكاليف الجسيمة ؟ »

« نعم . اسحب ألف جنيه الآن ، ومتى أنفقتها فاسحب ألفاً أخرى ، ثم ألفاً ثالثة، وهكذا ، ولكن اهتدإلى لفنجستون . هذا كل ماعليك : أن تهتدى إليه والله معك » .

وكان دافيد لفنجستون « الباحث عن النهر » كما كان أهالى إفريقية يسمونه ، طبيباً مبشراً أسكتلنديا يجوب إفريقية مرتاداً لها منذ ١٨٤٠، وكان رجلا جديراً بأعظم التقدير، فاز عمله الجرىء فى إفريقية بالإعجاب العام. وفى سنة ١٨٦٦ غادر زنجبار مغرباً إلى قلب القارة وقد خامرته فكرة الاهتداء إلى منابع النيل ، فلم يسمع عنه شىء بعد ذلك ، فقلق الناس عليه وجعلت الصحف تسأل بإلحاح : « ماذا جرى لدافيد لفنجستون ؟ »

على أن أصدقاء لفنجستون الذين كانوا يعتقدون أنه لا يزال حياً ما كانوا ليتصوروا ما صار إليه من سوء الحال فى ذلك الوقت. فقد كان فى السابعة والخمسين ، وقد ذهبت أسنانه ورثت ثيابه ، وألح عليه المرض ، وتكسر وهزل من الجوع ، وخذله وتخلى عنه أتباعه من الأهالى ، وقد بقى هذا الرجل المستفرد ، مقيما على غير أمل فى قرية يوجيجى على شاطىء بحيرة تنجنيقا يفصل مابينه وبين البحر القبائل المقتتلة، وتسعمئة ميل من الأدغال .

لما وصل ستانلى إلى زنجبار — نقطة البداية فى بحثه التاريخى — لم يجد خبراً عن لفنجستون ، ولا رسالة من بنيت تؤيد الأمر الشفوى بأن يبحث عن الرحالة ، ولا حوالة مالية ، وكان كل ما بقى من المال مع هذا « المراسل الخاص » ٨٠ ريالا . غير أن تعلياته كانت أن « يجد لفنجستون » فلابد من العثور عليه ، وظاهره القنصل الأمريكى فاستطاع أن يسحب على حساب بنيت ما يكفى من المال لتجهيز القافلة : ٣١ من الأهالى المسلحين يسمون « الجنود » ، و١٥٣

من الحمالين . وفى فبراير ١٨٧١ خرج إلى أرض مجهولة كل الجهل ، على أنه كان له هدف — وإن كان غامضاً — هو المنطقة التى تلى بحيرة تنجنيقا ، حيث قيل قبل عامين فى رواية مبهمة أن الرائد هناك . وكان الطريق الذى سلكه ( وهو لا يعد «طريقاً» إلا تخيلا ، والحقيقة أنه لم يكن يعدو أن يكون اتجاها قائماً على التخمين ) لم تطأه قدم أوربى قط ، ولم تكن دولة أوربية قد فكرت فى استعمار هذه النواحى ، وكان معظم إفريقية الوسطى يمثل على الخرائط باللون الأبيض .

وفى الأيام الأولى من رحلته فى الفيافى الألغاز ، كانت تأخذه الحمى الاستوائية ، وكان مسها أحياناً من الشدة بحيث يضطر إلى الرقاد أياماً على الشبكة التى يتخذها للنوم وهو غير مستطيع حراكا ، ولا يكاد يعى شيئاً .

وكانت الصعاب التى اعترضت القافلة ، عند عبور الأنهار الكثيرة التى وسعت الأمطار لجتها، وعُبَابَها ، مما لا يكاد يستطاع تخطيه ، وكانت تأخذ عليها الطريق أدغال ألفاف لا تخترق، وأشجار متشابكة متداخلة، وكانت الأشواك تحدث جراحاً عميقة فى الجلد ، وكان هناك نبات يكفى مسه لإحداث خراجات مؤلمة فى الخدين والجبين، وبطائح من الوحل منتثرة بين الحشائش التى تناهت فى الطول ، وكانت الأدغال المنخفضة تخرج منها أبخرة وبيلة لا تنقطع ، ولا تكاد القافلة تصعد إلى الأرض المرتفعة المكشوفة حتى يسهل على المغيرين رؤيتها ، فتتعرض للهجوم باستمرار، وكان خط الحمالين المتلوى يثير ضجة بين طيور لا عداد لها : حمائم خضر وغربان ودُرَّاج ذهبى وبَجَع ....

ثم كان هناك بلاء الحشرات ، ويصف ستانلى جموعاً لا تحصى من الزواحف جيوش جرارة من النمل الأسود والأبيض والأحمر تعيش فى الأرض الموبوءة، وحشرات من كل لون تمرح على الشجيرات والنباتات ، والبراغيث وذباب تسى تسى الذى لا يطاق ، وترى على العشب أعشاش زنابير صفر الرءوس لدغها كلدغ العقارب .

وكان يغيظه دائماً ويخنقه ما يراه بين أتباعه من الشك والخوف والقحة والتحايل ، وما يطلبه الطغاة الصغار على طريقة من «الجزية» . وقد تعلم المساومة الرفيقة مع الشيوخ الذين يتوعدونه ثم يؤدى «الجزية» خرزاً وقماشاً وأسلاكاً مما اشترى لهذا الغرض .

وكانت الأسابيع تمضى فيمرض الحمالون وينطرحون ، وكانت القافلة كلها تكف عن السير من فرط الإعياء . « وقد غاصت الحمير فى الأوحال كأنما سمرت فيها ، أو غرست » . وكانت أيام المطر المنهمر ، والغابات التى يقطر منها الماء ويلفها الضباب ، والأرض المغمورة

وألفاف الأعشاب فى الماء الموحل وألواح الأشجار الهامدة والقصب — كل هذا كان كافياً لإفشاء الحمى» . ثم جعلت الحصبة تأخذ نصيبها . ويصف ستانلى حوادث موت شبيهة بما كان يحدث فى معارك الإسكندر .

وكان ستانلى بطبيعة الحال يسأل فى كل مكان عن أخبار لفنجستون ، ولكن السؤال كان إلى الآن عبثاً ، على أنه مضى على سَنَنِـه . وفى أكتوبر قامت فتنة خطيرة ، أخمدها بجرأة بأن واجه بندقية زعيمها باحتقار . وواصل السير فى الوهاد والمستنقعات ، وقال الدليل : «هنا اختفى عن الأنظار تاجر عربى وقافلته المؤلفة من ٣٥ من العبيد» . وجاء الليل وجلس رجال ستانلى حول النار ينتفضون من الحمى ، ولا يجترئون أن يناموا خوفاً من زئير الأسود ، غير ان ستانلى استطاع بسالته وصدق عزمه أن يواصل السير على الرغم من المصاعب جميعاً . وكتب فى مذكراته يقول : «تحدثنى نفسى أنى سأجده ، سأجده ! سأجده ! حتى الألفاظ لها قوة الإلهام » .

وأخيراً فى صباح اليوم الثالث من نوفمبر التقت جماعة ستانلى بقافلة من يوجيجى ، تسأل عن الأخبار فتأثر تأثراً بالغاً حين قيل إن فى يوجيجى رجلا أبيض .

« رجل أبيض ؟ »

« نعم مثل السيد (أى ستانلى) وعلى وجهه شعر أبيض ، وهو مريض » .

«مرحى !» بهذا يعلق ستانلى فى مذكراته « إنه لفنجستون . لا بد أن يكونه ، ولا يمكن أن يكون سواه ! » ودعا رجاله إلى السير السريع إلى يوجيجى ، وانطلق هذا المنقذ والصحفى فى الفيافى كالعاصفة .

وفى يوم الجمعة العاشر من نوفمبر ١٨٧١ وهو اليوم السادس والثلاثون بعد المئتين مذ غادر الساحل ، دخلت القافلة يوجيجى ، فأحاط بستانلى حشد صاخب ، وتقدم رجل أسود مديد القامة فى قميص أبيض طويل ، وقال إنه خادم لفنجستون . فأمره ستانلى بأن يعدو إلى سيده ، فانطلق الرسول وقميصه الأبيض يخفق خلفه كأنه راية يعبث بها النسيم . ومضى الركب فى طريقه وعلى الجانبين الجماهير تتلاغط ، وبلغ القوم السوق حيث لمح ستانلى شيخاً له سمت ، «ولما اقتربت منه لاحظت أنه حائل اللون متعب» . ثم كان الحوار الشهير — وجيزاً خالياً فى ظاهر الأمر من العاطفة حتى فى ساعة الفوز هذه .

« الدكتور لفنجستون فيما أظن ؟ »

«نعم» قالها لفنجستون بابتسامة رقيقة ، ورفع قبعته قليلا .

وكان ستانلى قد خلع خوذته التى يتقى بها الشمس ، فأعادها ، ورد لفنجستون قبعته

إلى راسه ، وتصافح الرجلان . ثم جرى حديث كشف عن شيء من التأثر ،

« إني أحمد الله الذي وفقني إلى رؤيتك يا دكتور » .

« وإني لشاكر له أني هنا لأرحب بك » .

وكان من فكاهات التاريخ أن يلتقي هذان الرجلان المختلفان في أقصى الأرض الموحشة، وفي لحظة فريدة من تاريخ كل منهما — ستانلي الذي سيطبق الخافقين ذكره بفضل بحثه وما أثمره ، ولفنجستون حين تم عمله ودنا أجله .

ودهش لفنجستون حين شرح له ستانلي مهمته ، فما خطر قط على بال الرحالة الهرم أن العالم معنيّ بأمره أقل عناية .

وقضى الرجلان أربعة شهور معاً يرتادان المنطقة، ولكن الشيخ الرائد أبى أن يصحب منقذه إلى أوربة كتذكار حيّ لتوفيقه، وكان يعلم أن منيّته قريبة، ومن الأوفق له أن يلقى أجله في إفريقية الوسطى حيث قام بعمله . إن إفريقية أحق به ، وفي إفريقية آلى أن يلاقي الموت .

وهكذا — في مارس ١٨٧٢ ، بدأ ستانلي رحلة الإياب إلى الشاطىء ، وقد شق عليه أن يفارق لفنجستون ، وكان كلاهما يعرف أنه لن يرى صاحبه مرة أخرى ، وبعد شهرين وصل ستانلي إلى زنجبار ، ومات لفنجستون بعد ثمانية عشر شهراً على شاطىء بحيرة بانجيولو .

إن الذين هم من طراز ستانلي لا بد أن يؤدوا ثمن النجاح نقداً من خيبة الأمل ، فما بلغ ستانلي إنجلترا حتى قوبلت أقواله في كل مكان بالارتياب ، وكذبه الناس ولاموه وعاملوه بازدراء ، وتولى رئيس الجمعية الجغرافية زعامة هذه الحملة عليه ، نافياً أن ستانلي يمكن أن يكون قد قابل لفنجستون. وكان ستانلي قد جاء معه برسائل من لفنجستون غير أنه اتهم بتزويرها عمداً . وهبت على هذا الصحفي وأساطيره عن إفريقية رياح باردة من جمعيات علمية شتى ، وكانت الجمعيات والصحافة تؤثر أن تعتقد أن دافيد لفنجستون ذهب إلى غير رجعة ، على أن تصدق أن هذا الصحفي الأمريكي قد اهتدى إليه — لأنه لا من علماء الجغرافية ولا من الخبراء !

ثم كان اجتماع للقسم الجغرافي من الجمعية البريطانية ، ووقف ستانلي أمام جمع من ثلاثة آلاف فيهم طائفة من كبار العلماء الجغرافيين يدافع عن نفسه كأنه متهم بجريمة ، وقال رئيس الجلسة بلهجة لاذعة إنهم مجتمعون هنا ليسمعوا حقائق صادقة لا ليصغوا إلى حكايات مثيرة . فرد ستانلي بثناء حار على لفنجستون ، وبمقارنة أليمة بين الجغرافي المضطجع على كرسيه الذي يضيق من اعتقاداته

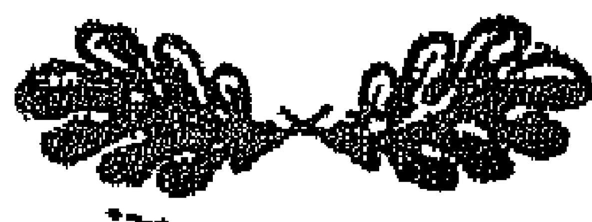
فيتحدث بلهجة الجزم عن إفريقية المجهولة ، وبين ذلك الشيخ الباسل الذى قضى سنوات هناك ينشد الحقيقة بين أعداء مستوحشين على الفطرة . وقد استولت هذه الخطبة على القلوب ، ولما حدث بعد ذلك بقليل أن اعترفت أسرة لفنجستون بصحة الرسائل ، لاذ النقاد بالصمت ، وبعثت إليه الملكة فيكتوريا برسالة تهنئه فيها ، وبعلبة نشوق ذهبية مرصعة بالماس .

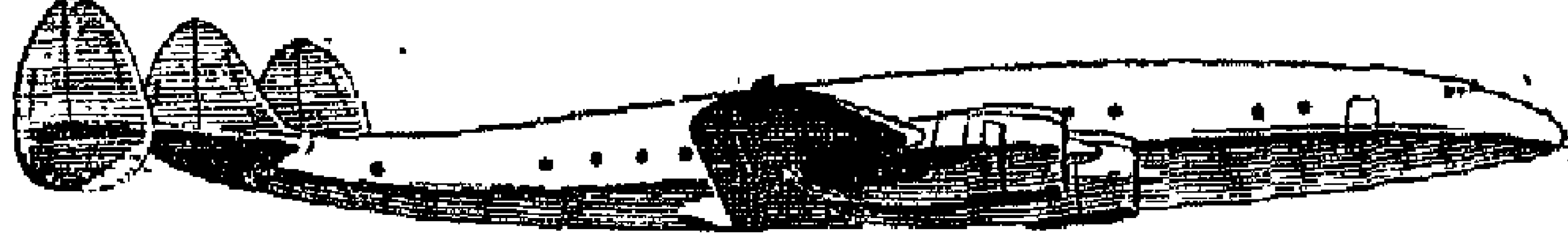
ولكن الشهرة كانت قد ثقلت وطأتها عليه ، وصارت المدنية فى نظره أ كذوبة ، وأصبح « قلب إفريقية الكبير » هو الذى يجرى الدماء فى عروقه ، وصورة إفريقية لا تبرح عينيه — جدتها الرائعة ، ووحشتها العظيمة ، وجلال مناظرها ، وفتنة ألوانها ، وشفوف نورها كالأحلام ، وأبعادها المترامية التى تورث النفس قلقاً لذيذاً ، كأن عليها صبغة رحلة إلى كوكب غير كوكبنا . فأغراه هذا السحر بتجديد السعى لحل ألغازها .

وراح ستانلى بعد ذلك يصنع تاريخاً لا يعرف عنه هذا الجيل شيئاً ، حتى أن مصاعب رحلاته تكاد تكون مجهولة أو منسية . ولم يكن اهتداؤه إلى لفنجستون إلا فاتحة كشوف غيرت وجه نصف قارة ، مادياً واقتصادياً ، وكان تتبعه لمنابع الكونجو من أعظم أعمال الارتياد . وحسم كشفه عن منابع النيل فى بحيرة ألبرت خلافاً قديماً .

وكان هنرى ستانلى آخر العظماء من أهل الخطار — غازياً تلكأ به الزمن ، واسمه يجاور اسم كولمب كمستكشف ، وقد مضت قرون بعد كولمب قبل أن ترسم أنهار أمريكا وجبالها ، وتعمر أرضها الشاسعة بالسكان ، ولكن خريطة إفريقية الاستوائية غطيت بالأسماء فى زمن ستانلى نفسه ، وقسمت مجاهلها إلى مستعمرات بريطانية وفرنسية وألمانية وبرتغالية .

ولعله كان من المناسب ، حين مات ، أن يأبى عليه أن يدفن فى وستمنستر ذلك المجتمع الذى زج به فى الملجأ فى صباه ، وحقر أعماله وهو رجل . ولا يحمل الحجر المنصوب فوق قبره فى إقليم سارى إلا هذه العبارة : « هنرى مورتن ستانلى — ١٨٤١ — ١٩٠٤ » مع اسمه الإفريقى « بولامتارى » ثم هذه الكلمة المفردة « إفريقية » .

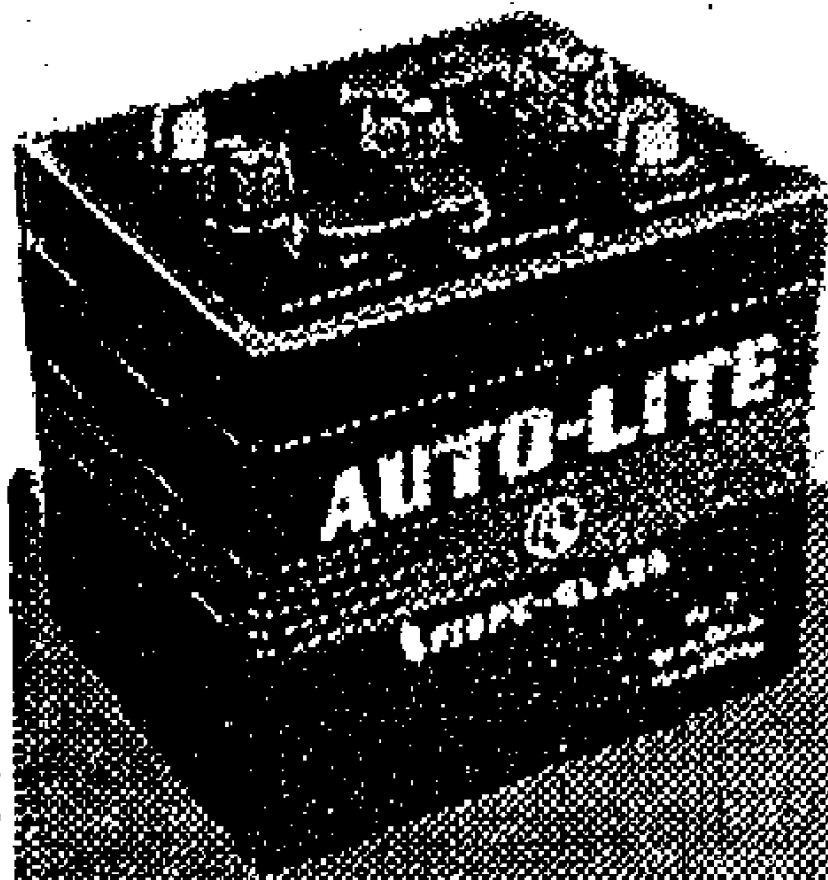






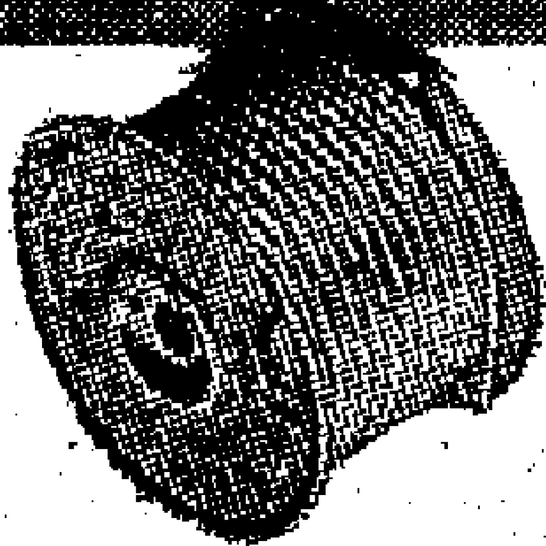


# أوتو - لايت




## معدات السيارات الكهربائية

# AUTO-LITE



خـدمات تؤديها اليوم . . . لأصـدقاء تكسبهم في الغـد .

هذا هو الشعار الذي تأخذ « أوتو ـ لايت » بأسبابه.

إن مؤسسة « أوتو ـ لايت » أكبر المصانع المستقلة في العالم لإنتاج معدات السيارات الكهربائية . وهدفها الأول تصميم معدات أفضل نوعاً وأعلى قدرة ... من شموع احتراق ومولدات وبطاريات وأسلاك وجميع المعدات الكهربائية التي تجعل قيادة السيارة متعة من المتع !

فلكي تضمن الظفر بأكمل صناعة، ابحث إذن عن اسم « أوتو ـ لايت » على معدات السيارات الكهربائية ... فهو دليلك إلى القطع الأصيلة المصنوعة في مؤسستنا والكفيلة بأن تهيء لسيارتك أداء لا يختلف عن أدائها وهي جديدة .



**THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY**

**Export Division Chrysler Building, Nova York 17, N. Y., U.S.A.**

# AUTO-LITE أجهزة للقيام والإضاءة والإشعال

# صممت خصيصاً
# واختبرت خصيصاً ...




ثلاجات « پرست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بميناء بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

# PRESTCOLD
## للتبريد




شركة E.A.S.T. ٣ شارع عمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولا لى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

# شركة پرسد ستيل ليمتد

**THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND**

في طريقها إلى الشرق الأوسط




إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بآخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط . ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

**كريم وليامز الفاخر للحلاقة :** يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

**أكوا ثللفا :** أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

**كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة :** خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

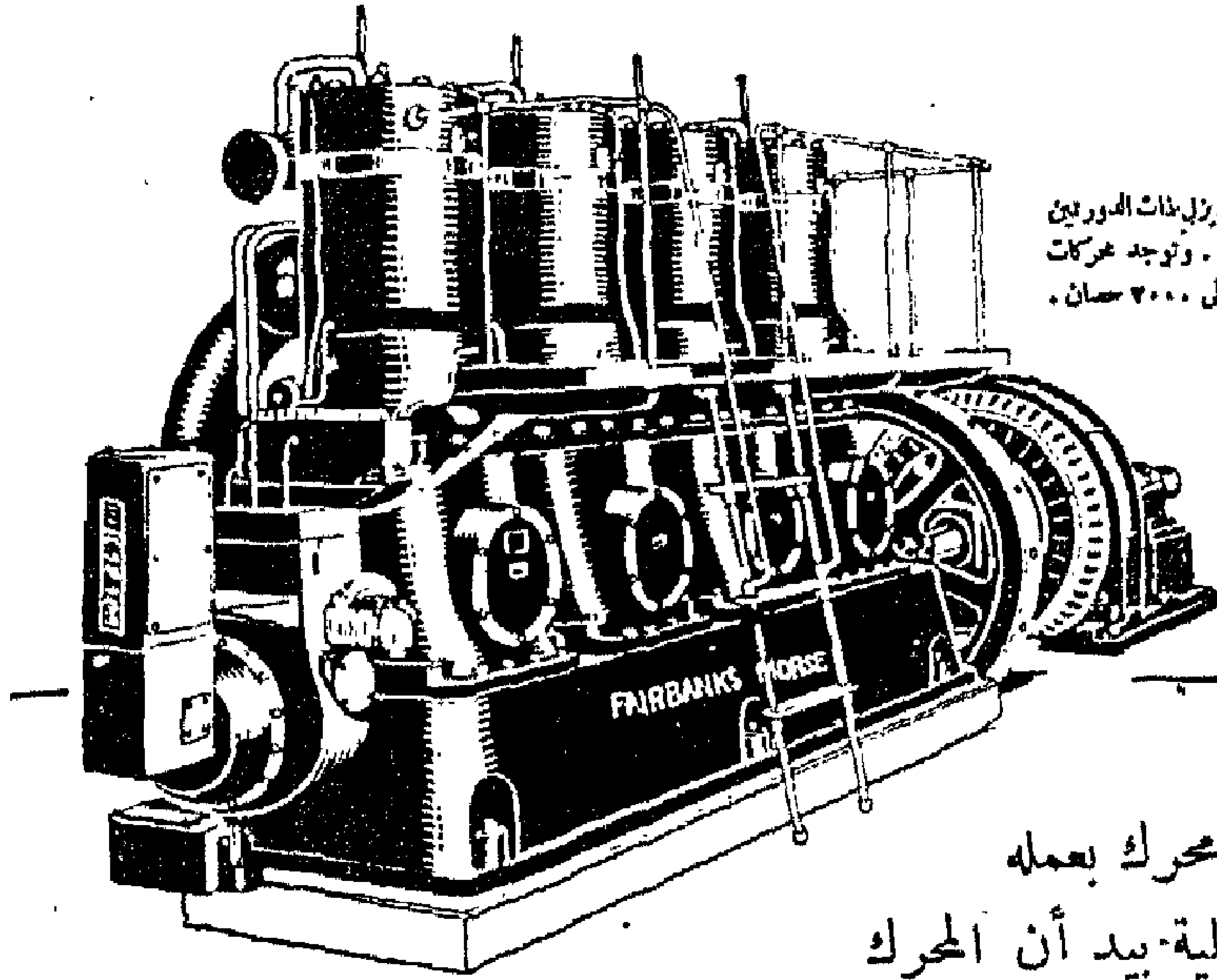
**قلم صابون وليامز للحلاقة :** مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co. GLASTONBURY, CONN., U.S.A

شركة ج ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة

# عطل أقل بفضل
# هذا الدّيزل




و فيربانكس مورس ، موديل ٣٢ » ، محركات ديزل ذات الدورتين
عمل الشخم ، قوتها من ١٢٠ إلى ٤٥٠ حصاناً . وتوجد محركات
ديزل فيربانكس مورس » تتراوح قوتها من ٥ إلى ٢٠٠٠ حصان .

كثير أن يقوم أى محرك بعمله خلال ثلاثين سنة متوالية بيد أن المحرك المبين هنا أدى هذا النوع من الخدمة وقام بهذا الضرب من العمل مرات عديدة ، فى أحوال عديدة ، ولمؤسسات عديدة . سواء كنت تتأهب لمشروع بلدى ، أو صناعى ، أو زراعى يلزمه القوة المحركة فهيىء لنفسك أقصى ضمان وأقل نفقة باستشارة وكيل « فيربانكس مورس » لتظفر بالمحركات التى تعطيك هذه الخدمة القياسية التى قام عليها البرهان!

شركة شمال شرق
أفريقيا التجـارية
القاهرة ـ الاسكندرية

ف . ا . كتانه دمشق
بيروت ــ طهران

ف . ا . كتانه وشركاه
لمتد بغداد

چوزيف ج .
روزجولد . تل أبيب
( مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

م . برجر . تل أبيب
( جميع المنتجات ما عدا مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

**Fairbanks, Morse & Co., Inc.** سنة ١٨٣٠




إسم جدير بأن تتذكره

Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.

محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات .
أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس .
معدات السكك الحديدية .




# تتزعم جميع المركبات من حمولة ٢ طن فما فوق

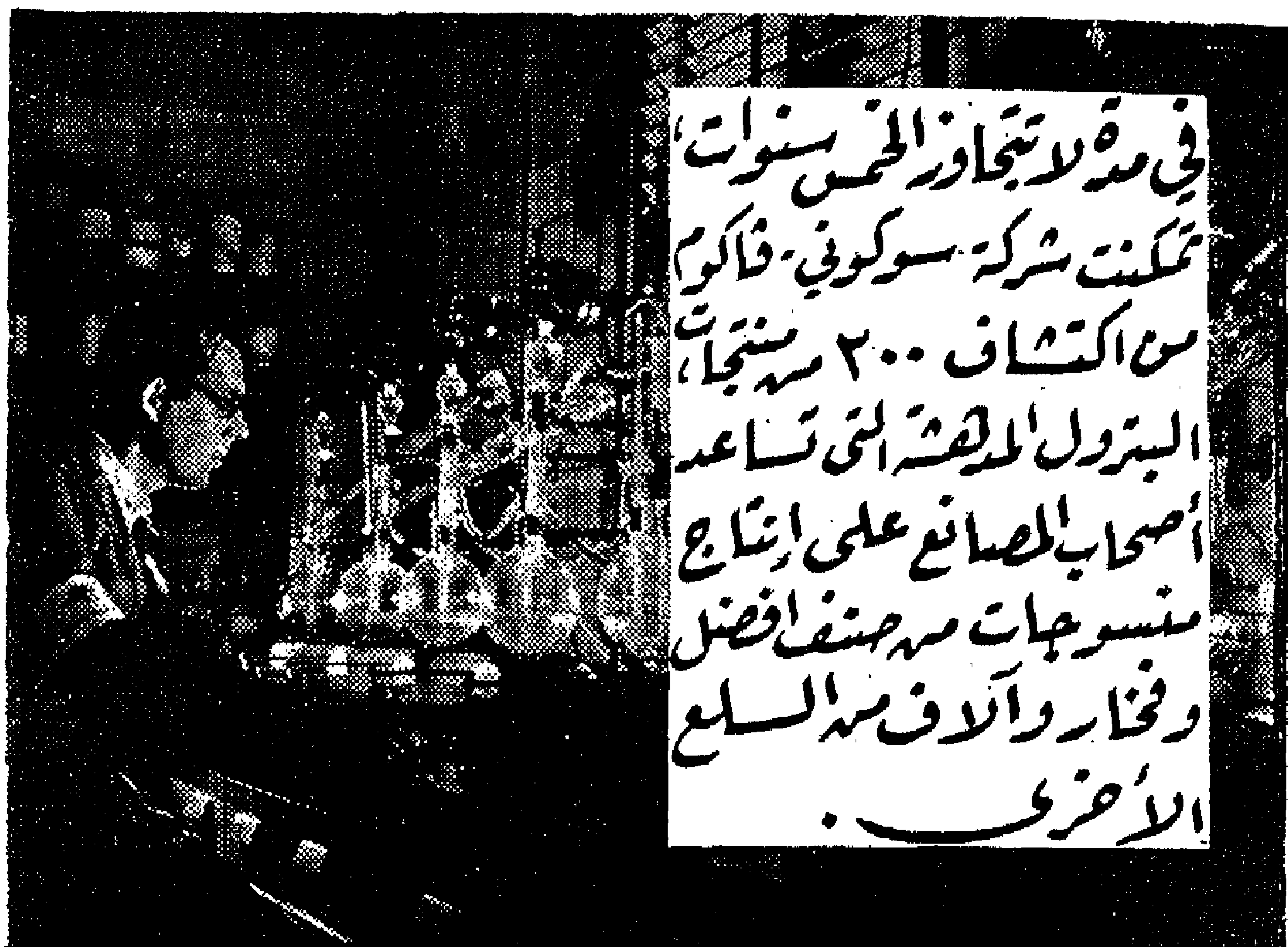
— إنك تجد مركبات النقل «انترنشونال» فى كل مكان يوجد فيه مهام ضخمة يجب أن تنجز . وكثير من هذه المركبات مضى عليها فى العمل ست سنوات أو أكثر ولكنها مستمرة فى أداء خدماتها بالرغم من ندرة كل شيء يحتاج إليه تسييرها فى الأحوال العادية . على أن مركبات النقل «انترنشونال» للمهام الضخمة قد أخذت تزداد ، ولا ريب فى أنه يهمك أن تلم بمميزات هذه المركبات إذا كنت تنشد لعملك أقصى حد فى الأداء وأدنى حد فى النفقات. إن مركبات النقل «انترنشونال» يسيرها محرك رد دياموند الجديد كما تمتاز بما اشتهر عن «انترنشونال» من تصميم متين وأداء باهر وهذا هو السبب فى أن عدد مابيع من مركبات «انترنشونال» للمهام الضخمة يتجاوز عدد مابيع من أى نوع آخر .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U.S.A.

**INTERNATIONAL**  **HARVESTER**


McCORMICK-DEERING INTERNATIONAL TRACTORS AND FARM EQUIPMENT — INTERNATIONAL TRUCKS • INTERNATIONAL INDUSTRIAL POWER

# منتجات بترولية عجيبة ساعدت جميع الصناعات



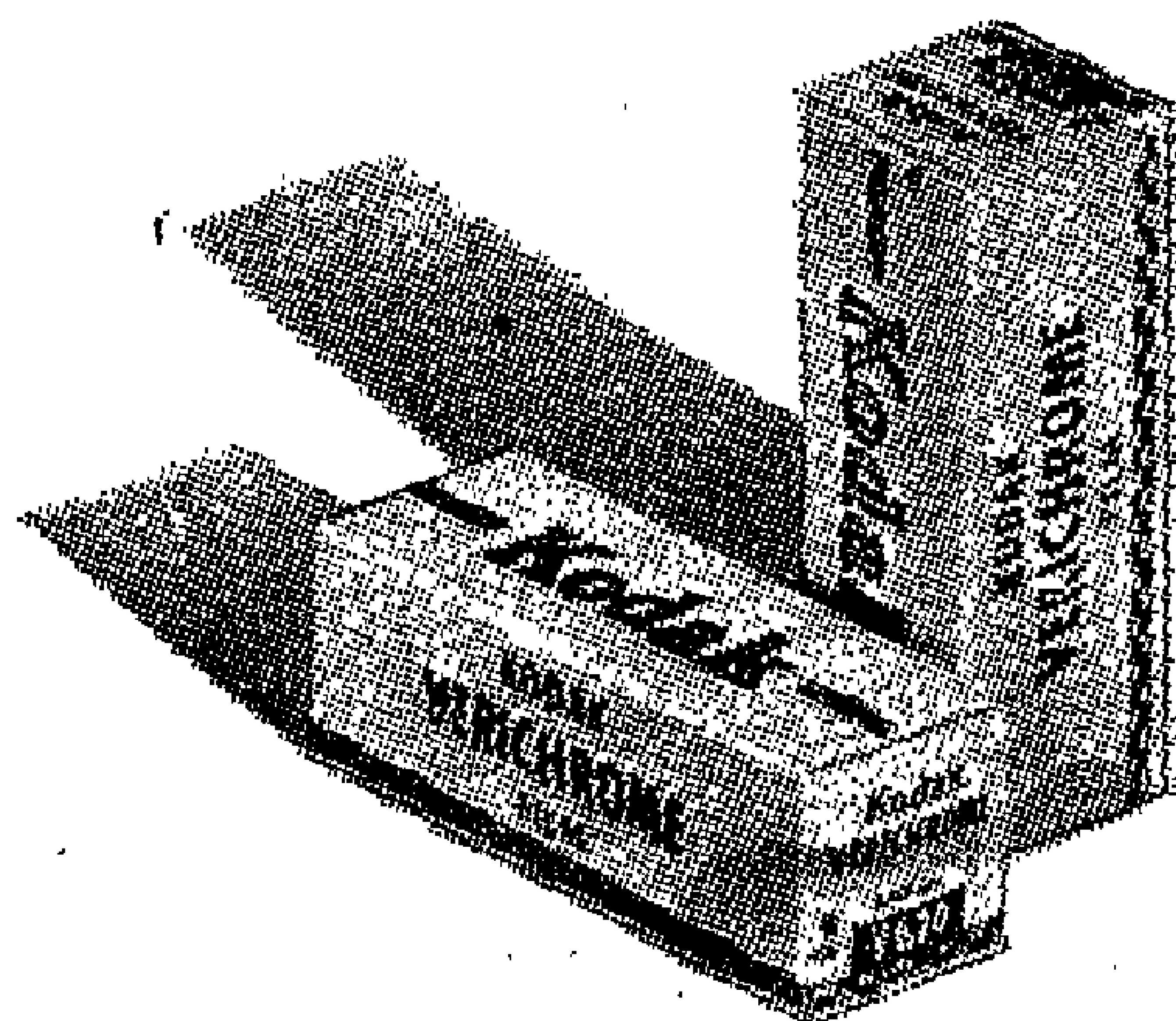

إن أصحاب المصانع في كافة أنحاء العالم يلجأون إلينا لحل مشكلاتهم العويصة الخاصة بالإنتاج والتزييت. وهم على علم من أن خبرتنا، التي يرجع عهدها الى ثمانين سنة مضت، كفيلة بأن تسد حاجتهم ويعلمون أيضاً، أن منتجاتنا الممتازة تشحن الى كافة أنحاء العالم ..!




**سوكوني - ڤاكوم**




C.R. 4954



Kodak
VERICHROME


Kodak

# البَرد حـاذر منـه

## بعد تعرضك المفاجئ له
## تغرغر في الحال بمطهر ليسترين!

أثبتت التجارب أن الجراثيم التى تغشى سطح الفم والحلق تقل وتتلاشى بمعدل ٩٦٫٧ ٪ بعد خمس عشرة دقيقة من التغرغر بمطهر Listerine وبمعدل ٨٠ ٪ بعد ساعة من الغرغرة .

وأعظم من ذلك شأناً ، أن التجارب التى أجريت خلال اثنى عشر عاماً أثبتت أن الأشخاص الذين يدأبون على الغرغرة بمطهر Listerine مرتين فى اليوم كانوا أقل تعرضاً للاصابة بالزكام واحتقان الحلق من سواهم وفى حالة إصابتهم كانت حالتهم أخف وطأة من أولئك الذين لا يستعملون غرغرة Listerine .

**مطهر ليسترين**

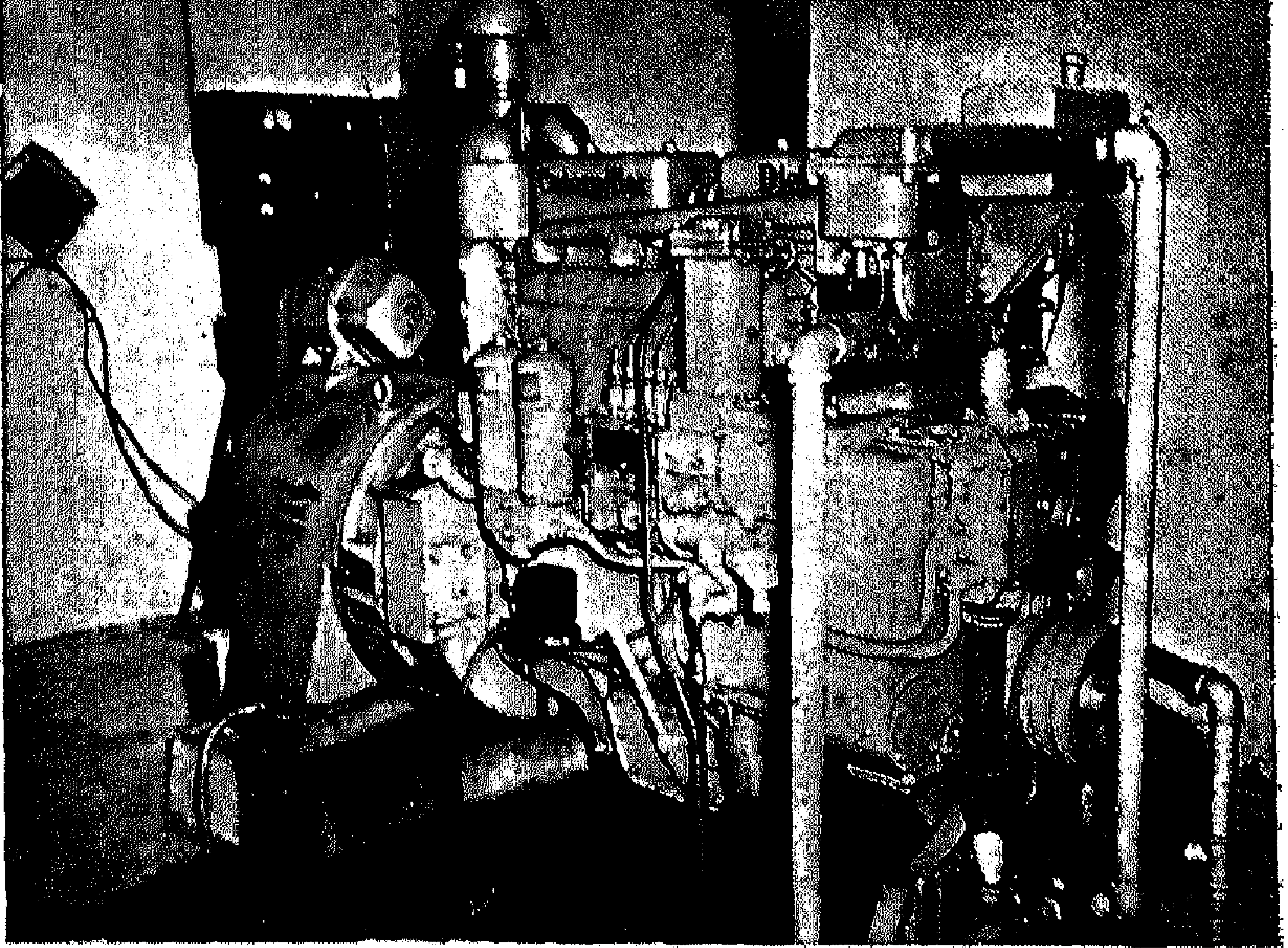
**LISTERINE**





# قوة مؤمن عليها

## في محطات الراديو المعرضة للأعاصير



إن العواصف والأعاصير تهدد باستمرار ، خطوط القوة الكهربائية ومحطات الراديو . ومن جراء هذه العوامل انتاب الشلل عدة مرات مصدر القوة الرئيسي في محطة WNEL بسان جوان ( بورتوريكو ) ولكن بفضل مجموعة «كاتربيلر ديزل» الكهربائية المهيأة دائماً للاضطلاع بمهمة تزويد المحطة بالقوة ... لم تتعطل محطة WNEL مرة واحدة عن الإذاعة وبذلك تم لهذه المحطة أن تؤدي خدمة جليلة إذ استمرت في إذاعتها وراحت ترسل الإنذارات والإشارات الحيوية .

إن مجموعات « كاتربيلر ديزل » الكهربائية مجموعات بديعة حقاً سواء استعملت كمصدر منتظم للقوة الكهربائية أم خصصت للطوارىء . ولا يقتصر نفعها على الراديو فقط بل يشمل كل الصناعات الأخرى التي في حاجة إلى تيار للإضاءة أو القوة . وكل وحدة من وحدات « كاتربيلر ديزل » ( مصنع للقوة ) قائم بذاته ... متماسك ... سهل التركيب ... سهل الإداء ، واقتصادي إلى أبعد حد . استخبر أقرب وكيل « كاتربيلر » إليك .

CATERPILLAR TRACTOR CO . PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

**CATERPILLAR** محركات ديزل

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

# تستطيع أن تتناول الغذاء في نيويورك غداً — حين تسافر طائراً



إن جمال برودواي ، وروعة استعراض ناطحات السحاب من الجو في أكبر بلد في العالم — لا يبعد عنك في الزمن أكثر مما تستغرقه رحلة آخر الأسبوع .

إن السفر إلى نيويورك كان يتطلب في الماضي أسابيع تحضير وتأهب — وحقائب لا حصر لها، وأمتعة ضرورية لغياب بضعة أشهر عن البيت أو العمل، أما الآن فهو البساطة بعينها ، إذا سافرت طائراً .

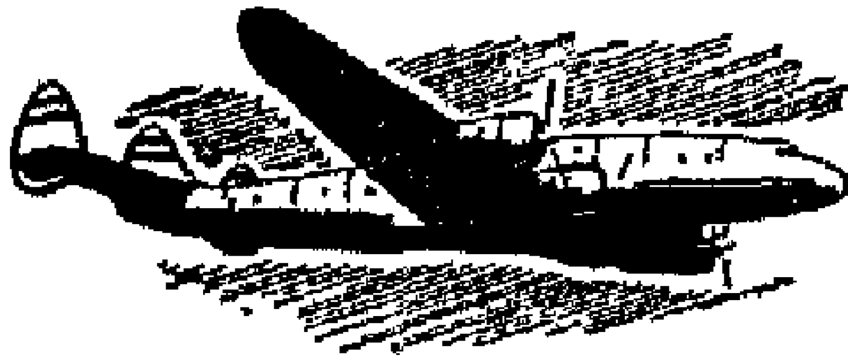
إن نيويورك اليوم لا تبعد عنك أكثر من أي بلد تسافر إليه حاملاً حقيبة يدك الصغيرة تحت إبطك . فكل شخص ، في أية بقعة من بقاع الأرض ، يمكنه أن يستقل طائرة حديثة تقله إلى نيويورك وتعود به إلى بيته في ظرف أسبوع واحد — بفضل طائرات كونستليشن التي تسيّرها « محركات رايت سيكلون » ، المزودة بمراوح « كيرتس » الكهربائية .

**Curtiss Wright**

*Export Division*

30 ROCKEFELLER PLAZA, N. Y. 20, N. Y.

## القوة التي تختصر المسافات



لا تكاد تخلو جريدة من الجرائد من البرقيات التي تتناول ما تسجله طائرة كونستليشن — تلك الأميرة بين طائرات الركاب — كل يوم من أرقام قياسية في رحلاتها عبر المحيطات وفوق القارات . وإن القوة التي أتاحت هذه الأرقام القياسية هي نفس القوة التي كانت تسير الطائرات الجبارة التابعة لسلاح الطيران الأمريكي . ونعني بها المحركات الجبارة ، منقطعة النظير ، « محركات رايت سيكلون ١٨ »



# پاركر

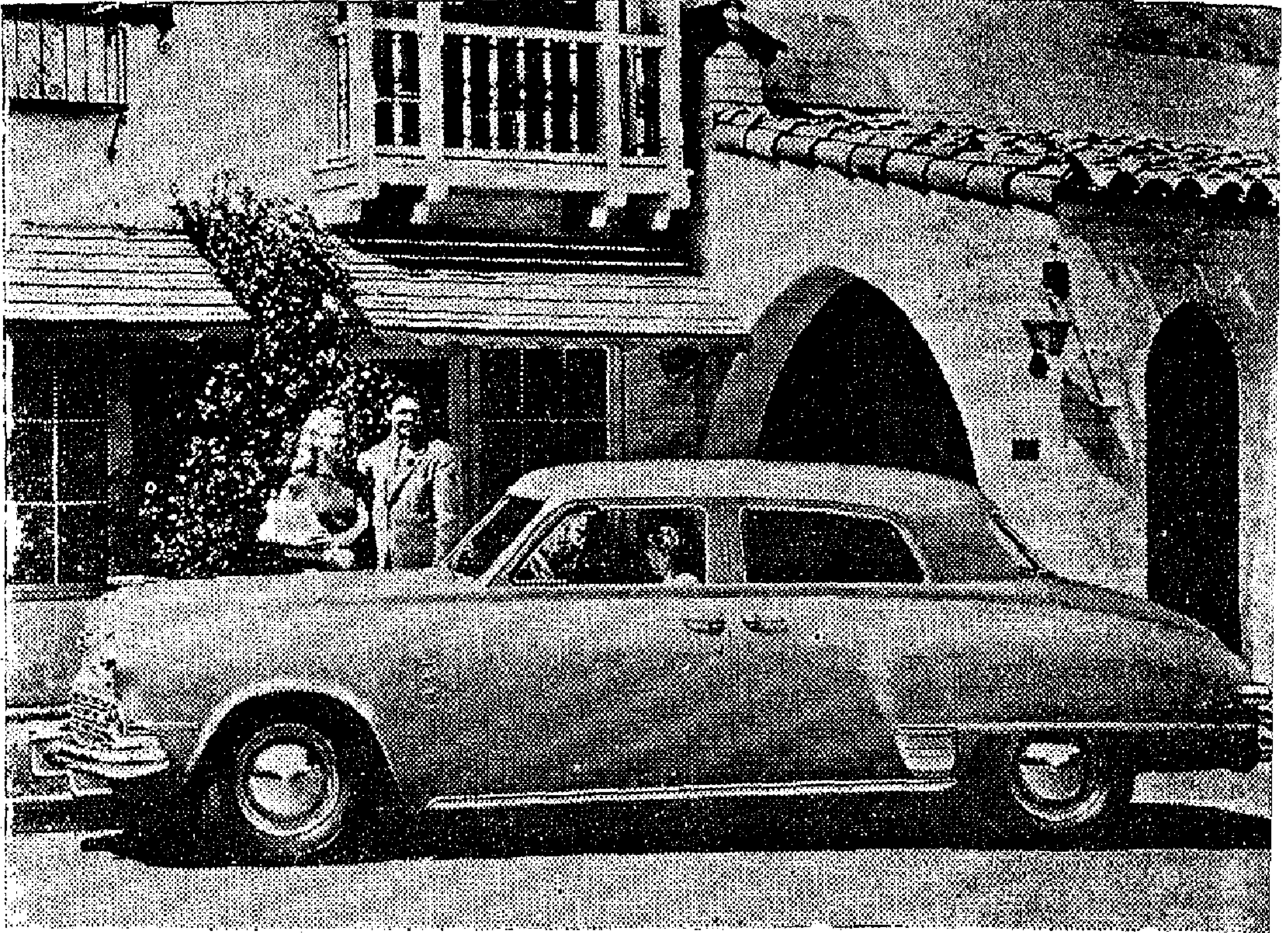
# "٥١"

## يكتب كتابة جافة بمداد سائل!

أعز الأقلام وأكثرها طلباً ... لجماله الرائع وأدائه الباهر . وهو يبدأ الكتابة فى التو والحال ولا يتطلب أى مجهود ، وسنه مغلفة ندية دائماً ، وهذه مميزات تأتيك من «پاركر» المعروف بسبقه ودقته فى الصناعة . أضف إلى ذلك أن هذا القلم هو القلم الوحيد الذى صمم وصنع خصيصاً ليستخدم أسرع حبر فى العالم أى الجفاف . حبر « پاركر ٥١ » !

THE PARKER PEN COMPANY

Janesville, Wisconsin, U.S.A.



# تحقق لك ما تصبو إليه من امتياز !
# ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة

سترمقك بالغيرة كثير من الأنظار حين تصبح لك المزهوّ لهذه السيارة ، الرائعة الجمال ، ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة » .

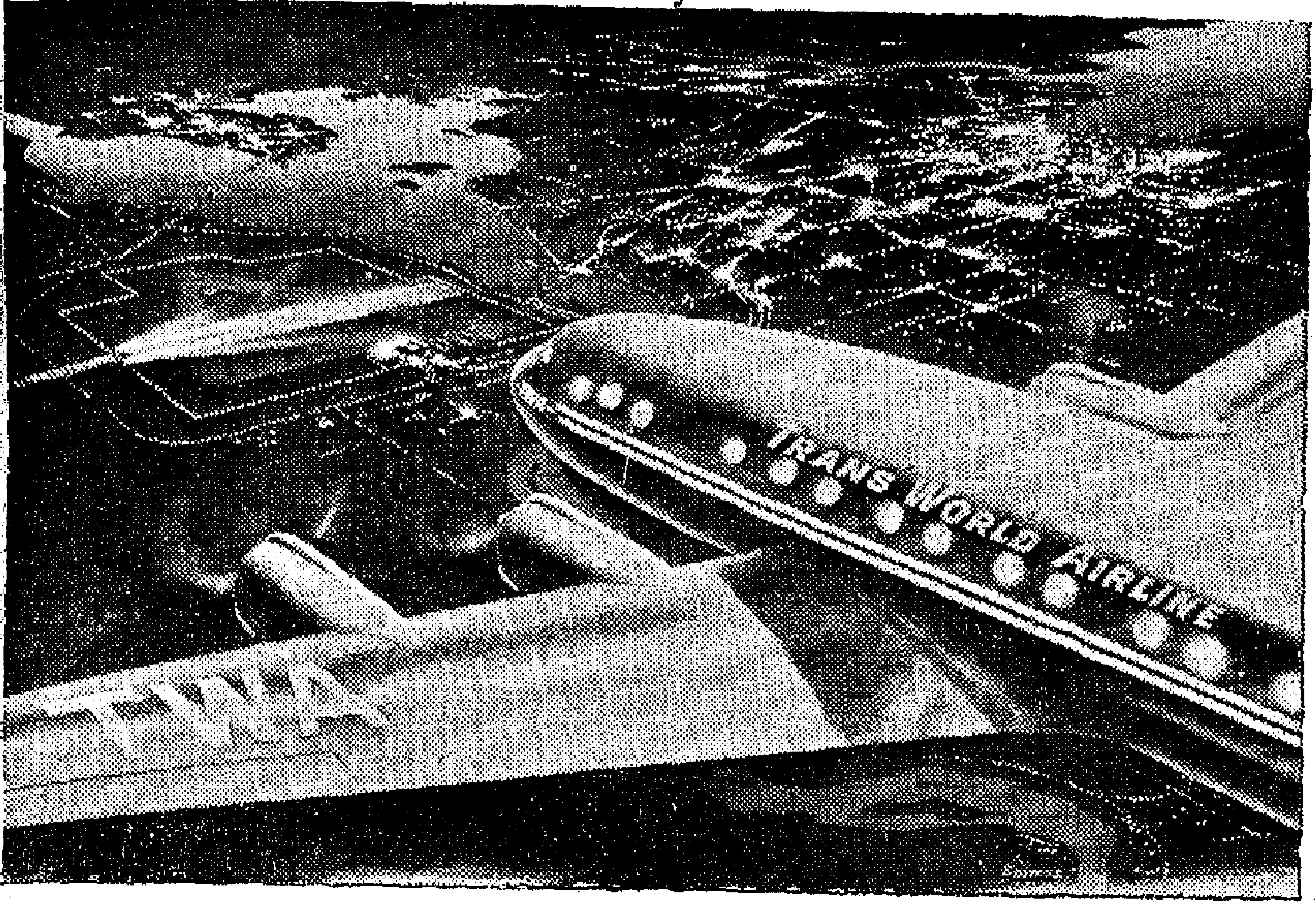
وهى ليست فقط أول سيارة أصيلة تمّ صنعها كتمل اختبارها بعد الحرب — بل هى بلحن رخيم ... بل ... منخفض ... مفرغ فى قالب من المعدن — بلا منازع أسبق السيارات فى الشكل والأداء يمكن أن يُهتدى إليها فى أسواق السيارات . لما من مرونة قيادتها وسهولة السيطرة عليها تخطر فى حلم ، بفضل تصميمات جديدة لا عهد بمثلها من قبل . ويمكنك الاعتماد عليها للظفر بأداء باهر قليل النفقات فى كل ميل تقطعه .

ومؤسسة « ستوديبيكر » تقدم لك هذه السيارة الفريدة لعام ١٩٤٧ فى ٢٣ شكلا مختلفاً — فى نماذج «شامبيون» و « كومندر» على السواء . فاحرص إذن على معاينتها أولا ، قبل البحث عن أية سيارة جديدة .

**The Studebaker Export Corporation**
**South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker**

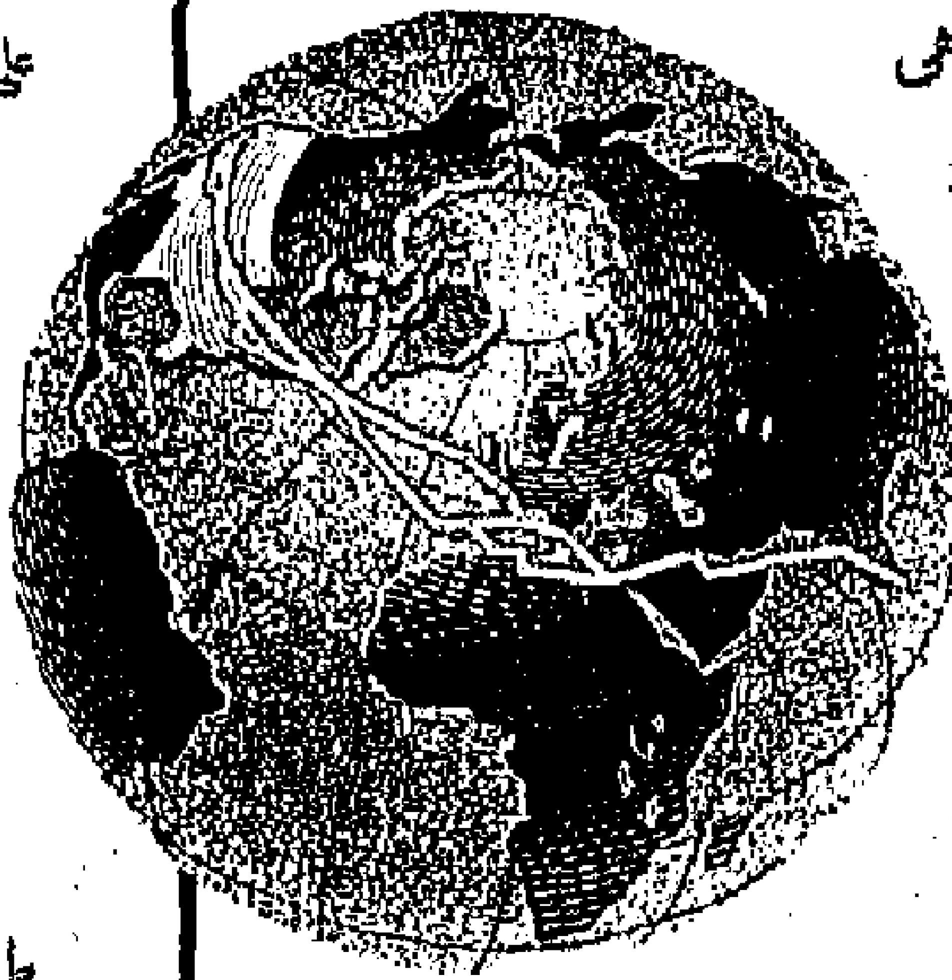
*Studebaker*

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل




# توشيق أواصر الصداقة مع شعوب الأرض

إن الأنوار المتلألئة فى المطارات القائمة فى طرق T W A المنتشرة فوق سطح الأرض تقول : « مرحباً » بشتى اللغات . على أن ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى الودّ واحد لا يختلف باختلاف اللغة . ففى الثمانية عشر بلداً التى صرّحت لشركة T W A بالعمل فيها توثقت أواصر الودّ منذ زمن طويل ، بين طائرات T W A ورجالها من ناحية وأهل البلد من ناحية أخرى . . . وهى صداقة قد ظهرت فى ٤٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل قطعتها طائرات T W A فى الطيران بين أمم الأرض .



**TWA**
TRANS WORLD AIRLINE

رحلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندة . فرنسا . سويسرا . إيطاليا . اليونان : مصر . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا .

## ما هى TWA

* TWA لها خبرة نيف و ٢٠ عاماً فى الطيران .

* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .

* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوّية .

* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .

* TWA سجلت ٤٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٥٠٠ رحلة فوق المحيطات لأجل الجيش الأمريكى .

* TWA أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .

* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .

* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتُراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

الفطري فإن فى الوسع شحذه وطبعه وتدريبه ، وليس بالعسير توسيع أفق النفس إلى الحد الذى تسمح به طاقتها ، وفجر بعض الينابيع فيها وتعميقها أيضاً ، وإكسابها قدراً من القوة والجرأة والثقة والجلد ، وهذا لا يتأتى إلا بالتربية الصالحة والرياضة الذاتية معاً ، فإن التربية تهذب وتصقل وتعد الإنسان على الجملة للحياة وتهيؤه لخوض عبابها . غير أن الإنسان ليس آلة تركّب وتنظف وتزيت ثم لا تعمل إلا بأن يديرها غيرها ، وإنما هو كائن أوتى القدرة الذاتية على العمل ، والجهد الذى يبذله من نفسه هو اليد التى تدفعه وتسيره وتوجهه ، والقدرة على بذل الجهد الكافي تكتسب وتزداد بالرياضة وصحة الإدراك وحسن الفهم ، فلا غنى بمن يريد أن يحيي أتم حياة ميسورة وأن يكون كفؤاً للحياة ، عن مدد يضيفه من ذات نفسه — بالرياضة وبنشدان الفهم والإدراك الصحيحين — إلى ما تزوده به التربية الصالحة .

والقراءة تتيح بعض الوسائل لإدراك هذه الغاية ، ومن خير الكتب فى هذا الباب ما تخيرّه « المختار » من فصوله الملهمة وأصدره بهذا الاسم الذى يحرك النفس : « هل أنت حى ؟ » ومن واجب كل امرىء أن يلقى على نفسه هـذا السؤال من حين إلى حين ليتسنى له أن يتدارك ما يفوته ، وليجعل هـذا الحساب وتلك المراجعة وسيلة لابتعاث نشاط جديد فى نفسه ، واحتثاث الراقد من همته ، وصقل عزيمته إذا كانت قد كلّت وتوجيه حياته وجهة أصلح وأرشد .

وهو ليس بكتاب للتسلية على سهولته وحسن العرض فيه وشدة الوضوح فيما يتناوله ويعالجه من المسائل ، ولا هو مما يقرأ ويطرح كالصحف ، وخير ما يصنعه القارىء بعد أن يقرأ منه شيئاً هو أن يطويه ويسأل نفسه : ماذا أفدت منه ؟ هل أنا بعد الذى قرأته صرت أحسن فهماً وأصح إدراكا وأقوى نفساً أو أصلب عوداً ، أو أجرأ ، أو أكبر أملا ، أو أكثر ثقة بنفسى ، أو أقدر فيما أحس على ركوب الحياة ومغالبة تيارها وأنا مستبشر ومطمئن إلى الخير والتوفيق ؟ وأنا واثق أن الجواب سيكون فى كل حال نعم » ، فإنه كتاب يفتح العين ويوقظ النفس ويرهف العقل ويؤتى الشجاعة ويمحو الخوف والضعف والحيرة . وحسناً فعل « المختار » بضم مفـرّقه ، وتعبئة قواه الدافعة على هذا النحو السديد .

ابراهيم عبد القادر المازنى

# هل أنت حي

ابرهيم عبد القادر المازني
مؤلف "ابرهيم الكاتب" و "ابرهيم الثاني" و "صندوق الدنيا" وغيرها

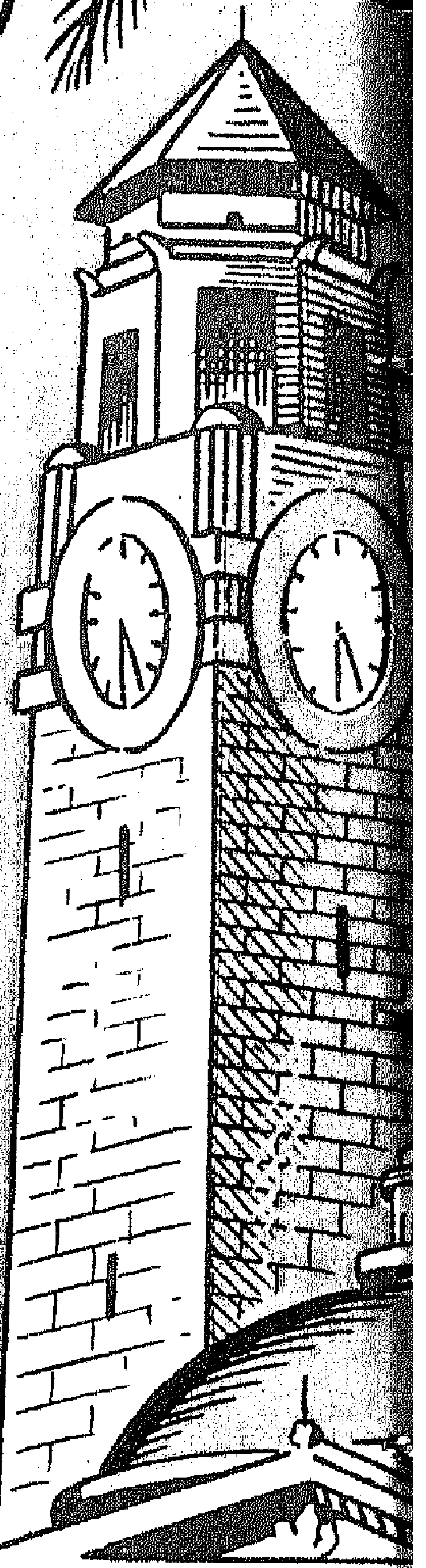
بين حالة « الوجود » وحالة « الحياة » فرق بيّن ، ولكنه فرق معنوى مرجعه إلى الإدراك والشعور ، لا إلى شىء مادي أو مظهر خارجي ، فليس فى وسعك مثلا أن تجيل عينك فى الناس ثم تقول إن هذا « موجود » وذاك « حىّ » ، كأنك أمام شجرتين إحداهما ذات بهجة وزهر ونور ، والأخرى ضاحية جرداء ذهب ورقها وبان يبسها . ثم إن الحالتين ليستا بدائمتين ، فليس هناك إنسان يكون فى حالة وجود لا تتغير ، أو حالة حياة لا تتغير ، وإنما يكون تارة فى هذه ، وطوراً فى تلك بحسب ما هو فيه وما يحس به . وليست العبرة فى نشوء الإحساس بإحدى الحالتين ، بالحوادث والأعمال ومبلغ جسامتها أو ضخامتها ، فقد يكون المرء فى عنفوان معركة حامية ، مصير أمم بأسرها رهن بها ، ولا يشعر مع ذلك إلا أنه أشبه بآلة تحركها يد خفية ، كالمدفع الذى يطلقه أو الدبابة التى يقذف بها فى أتون المعركة . وقد يستيقظ من نومه مرة ، كما يفعل كل يوم ، فيخطر له خاطر أو يدور فى نفسه معنى أو خالجة ، وهو ما يزال يتمطى ويتثاءب وإذا به يحس كأن ينبوعاً من الحياة الجياشة قد تفجر فى نفسه ، فيستقبل يومه الجديد بإرادة أقوى ، وعزم أصح ، وأمل أكبر ، وذهن أحدّ ، وخيلة أوسع .

ولا شك أن للاستعداد دخلا فى الأمر — وأعنى استعداد النفس بفطرتها للاستجابة لدواعى الحياة بسرعة وفطنة — ولكنه ما من إنسان يخلق مصبوباً فى قالب أصمّ ، فمهما يبلغ من ضآلة الاستعداد

[ التتمة على الصفحة السابقة ]

١٠ قروش نوفمبر ١٩٤٦

# المختار من ريدرز دايجست



## في كل مقالة لذة دائمة

# بعض ما تقرأ في عددنا القادم ديسمبر ١٩٤٦

**هجرت الخمر :** لم يكن مدمناً، ولكنه كان يشرب قدحاً أو قدحين قبل العشاء، إما مجاملاً وإما زاعماً أن العمل قد نهك قواه فهو في حاجة إلى منبه. ثم إذا به يصارح نفسه بالحقيقة — فأقلع عن الخمر. والكاتب تشانيج بروستر يبين لك في هذا المقال، ما أفضى إليه هجر الخمر من اقتصاد في المال، وقوة في البدن، واستمتاع بالحياة.

**أوسكار وايلد :** صفحات من حياة أديب كان في عرف النقاد أبرع ناطق بلسان وأقدره على إلباس المعاني المتناقضة ثوباً من الألفاظ التي تجعلها مقنعة وساحرة مع تناقضها.

**ينهضون من الفراش ويظلون أحياء :** ذعر أطباء المستشفى وممرضاته، في اليوم الذي استؤصلت الزائدة، أصر المريض على أن ينهض من سريره وأن يتمشى قليلا. أما اليوم فترى مستشفيات كثيرة تدأب على أن يبادر الذين عولجوا بالجراحة إلى القيام والحركة. اقرأ واعجب كيف عجلت هذه الطريقة في شفاء المرضى، وكيف قللت المضاعفات.

**ماسر الخيبة في الزواج ؟ :** إذا كان البيت هو الأساس الذي تقوم عليه الأمم والمجتمعات، فينبغي للشباب المتطلع إلى الزواج أن يعلم أن الغرض الأصيل من الزواج هو الأبوة والأمومة والنسل.

**أنف الجرذان في الرغام :** هذا كشف جديد تم للدكتور كرت ريتشر، يتيح سماً — اسمه أنتو — يفتك بالجرذان الخطرة الشائعة في مصر، فأوشك الناس أن يقهروا عدواً من ألد أعدائهم.

**مسيو شرلوك هولمز :** قصص من الغرائب التي تتجلى في كشف الجرائم، والتي تدل على ما لبراعة رجل الباحث في فرنسا من أثر في الوصول إلى الأدلة المادية إلى سر الجريمة.

AL: MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 39 NOVEMBER 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين.
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ. ل. كول. — المدير المساعد : فرد طمسون.
مدير الطبعات الدولية : باركلي أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز.

**الطبعة العربية**

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف. مدير التحرير : محمود محمد شاكر. مدير الإدارة ولم ف. جلسي.
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً. الاشتراك السنوى في سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً، وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً.

**العنوان : ١٤ شارع القاصد، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤**



رسم الغلاف رمز لبرج الساعة ودار الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة

السنة الرابعة — المختار من ريدرز دايجست — المجلد ٧ العدد ٣٩
كتاب في كل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
نوفمبر ١٩٤٦

# أومن بالسلام

إدوارد ستيتينيوس



عندما استقلتُ في مايو الماضي من منصب الممثل للولايات المتحدة في مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة، قلت للرئيس ترومان: « إنني صرتُ اليوم أشدَّ ثقة بقدرة هيئة الأمم المتحدة على إنقاذ العالم من شر حربٍ عالمية أخرى ».

ولقد اضطلعت بنصيب وافٍ من المصاعب والعوائق المثبِّطة التي تحفُّ بهذه المهمّة. فقد عالجت مشاكل دولية أيام توليت إدارة الإعارة والتأجير، وحين كنت وزيراً للخارجيــة، وحين كنت رئيساً لوفود الولايات المتحدة أثناء وضع ميثاق الأمم المتحدة، وحين كنت مندوباً عن أمريكا في الاجتماعات التاريخية الأولى التي عقدتها هيئة الأمم في لندن ونيويورك. وقد خرجت منها جميعاً لم يتزعزع إيماني، بل إنه ازداد رسوخاً.

إن مزرعتي تقع في ريف فرجينيا حيث عاش توماس جفرسون وجيمس ماديسون، وإن غبار الطريق الذي يكتنفها هو نفس الغبار الذي كانت تثيره حوافر جيادهما، وهما في الطريق إلى المؤتمرات التي أفضت إلى إنشاء الاتحاد الأمريكي ثم الدستور الأمريكي. وقد استغرق الأمر ثلاث عشرة سنة من ١٧٧٦ إلى ١٧٨٩ حتى تم اندماج ثلاث عشرة مستعمرة بالتحالف بادىء ذي بدء تحت لواء

الاتحاد ، ثم إنشاء أمة واحـدة منها جميعاً تحت ظلّ الدستور .

وقد طال النضال يومئـذ حتى وهنت عزيمة كثير من الرجال فنفضوا منه أيديهم، إلا وشنطن وجفرسون وماديسون فقد ظلوا يناضلون ، ولم يصبهم ذلك الداء المغتال الذى نسميه « خيبة الأمل » ، بل كانوا يطوون جوانحهم على إيمان يزلزل الجبال ، فزلزلوها وأنشأوا أمة وثيقة البنيان . فلابدّ لنا من إيمان كإيمانهم يزلزل الجبال الراسية التى تعترض اليوم طريقنا .

من العوائق التى تحول دون انتشار هذا الإيمان اليوم ، أن المخترعات الحديثـة التى يسَّرت على الناس أسـباب الأسفار التى لا تنقطع والمخاطبات المتواصلة ، قد ملأت جوانب حياتنا حتى ضاق وقتنا عن التفكير ، وصارت مشاغلنا حملا يؤود ظهورنا بمعالجة العابر لا الدائم من حاجاتنا . وقد بلوت الدبلوماسية فوجدت حملها ثقيلا كسواه . فالدبلوماسىّ ينتقل من مشكلة عاجلة إلى أخرى ، ساعة بعد ساعة فى يوم بعد يوم ، فتزداد همومهُ وتتضاءل قدرتهُ على اجتلاء كل بعيد.. وعندئذ تدركهُ «خيبة الأمل» .

وإنهُ لما يسرُّنى أن أستضيف أعضاء مجلس الأمن فى مزرعتى بفرجينيا ، حيث يجدون أن أكبر مايتاح لهم هو اجتلاء كلّ بعيد ، وأن أدعوهم إلى الجلوسِ على شرفة دارى لـكى يسرّحوا أفـكارهم فى الآفاق البعيدة ، ويكون لى شرفاً أن أحيى ضيوفى بكلمة قصيرة ، هى التى أسوقها فى هذا المقال :

أظن أننا نخدع أنفسنا حين نقول إننا نسعى إلى توطيد السلام . أفليس الحق أننا نريد أن نقول : هل نستطيع أن نوطد أركان السلام بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ؟

لقد شرع روزفلت ووزير الخارجية هل يبذلان جهدهما فى علاج هـذه المعضلة والحرب يومئـذ دائرة الرحى . وكانت المشكلة الأولى : أيرضى الاتحـاد السوفيتى بأن يشترك فى هيئـة عالمية تعمل للسلام ؟ وهل ترضى الولايات المتحـدة بأن تنضم إليها ؟ وهاتان الدولتان هما اليوم أقوى دول الدنيا ، وكلتاهما قد عاشت دهراً فى عزلة .

ولو تأملتَ لحظة لتبيّنت أنها كانت ساعة فاصلة فى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ حين ضمت مدينة موسكو مولوتوف مندوب روسيا ، وهل مندوب أمريكا ، وإيدن مندوب بريطانيا ، وفو مندوب الصين ، واجتمعت كلمتهم على أنهم « يدركون الضرورة الداعية إلى .. هيئة دولية عامة .. تعمل على استتباب السـلام والأمن بين الدول » .

ثم جاءت محادثات دمبرتون أوكس في وشنطن في ١٩٤٤، فكانت الخطوة الأولى في سبيل إنشاء هذه الهيئة. وإني لأستعيذ بالله مما لقيت من وجع الرأس ووجع القلب، فقد كان مقدراً للمفاوضات أن تستغرق أربعة أسابيع، فصارت تسعة. وإني لأرى ناساً يذكرون عنادَ روسيا وإصرارها على التمسك بحق الاعتراض على قرارات مجلس الأمن، ولكن ينبغي أن لا ننسى أنه لم يُنصّ في ميثاق الأمم المتحدة على حق الاعتراض للدول الكبرى، إلا لأن ذلك كان أمراً لا غنى عنه حتى يحوز الميثاق رضى الشعب الأمريكي، وموافقة مجلس الشيوخ الأمريكي — وحتى يحوز أيضاً موافقة الاتحاد السوفيتي. فهل يرضى الشعب الأمريكي أن تشترك جيوشه في قتال برى أو بحرى أو جوّى دون موافقة الولايات المتحدة؟ نعم لقد طالبت كلتا الدولتين بحق الاعتراض، ومع ذلك فقد شجر بينهما خلاف، بيد أن ثمرة هذا الخلاف تدل على شيء جليل الأثر محمود العاقبة.

فقد اتفقنا جميعاً على أن نسوّى مسائل الإجراءات في مجلس الأمن دون أن يعوقها حق الاعتراض، واتفقنا أيضاً على أنه لا بُدّ من إجماع الدول الكبرى في تنفيذ قرارات المجلس. وامتدّ الخلاف إلى أمر الدولة التي تكون طرفاً في نزاع: هل ينبغي أن تمتنع عن التصويت أو لا تمتنع؟ فكان رأى أمريكا أن تمتنع، وأصرّ الروس على أن لا تمتنع.

واحتدم الجدال في هذا الأمر، ولم يتزحزح الروس قيد أنملة، وكان لسان روسيا هو السفير جروميكو، وكنت قد صرت شديد الولع به، فكلانا صغير السنّ، وكلانا حديث عهد بالسياسة، فقرّبَ ذلك بين قلبينا، ولكن ما من رأى ولا اقتراح كنت أبديه إلا وقوبل بذلك الردّ الثابت الذي يجرى على ألسنة الساسة الروس: «إن الاتحاد السوفيتي يرى أنه رأى غير مقبول».

فدعوت جروميكو إلى البيت الأبيض، وأخذ روزفلت يحاوره ليقنعه ما استطاع، فكان جروميكو يبدى المودّة، ولكن لم يلن له عودٌ.

وأخيراً عزم روزفلت وَهلْ على شيء عظيم الشأن في المسائل الدبلوماسية، ألا وهو الصبر، فجعلنا الصبر شيمتنا. ولقد اتفقنا نحن والروس في دمبرتون أوكس على كل شيء إلا مسألة حق الاعتراض، فقد أرجأناها عمداً، حتى جاء مؤتمر يالتا بعد أربعة أشهر، فطرحناها على بساط البحث. كانوا قد أبرقوا إلى ستالين باقتراح

أمريكا فى مسألة حق الاعتراض ، ولكن مضت الأيام حتى جاء مؤتمر يالتا ، واستغرقت المناقشة يوماً بأسره حتى قبل الروس رأى أمريكا فى أن الدول الكبرى ينبغى أن تمتنع عند عرض مسائل يراد بها توطيد السلام ، من أن تصوّت إذا كانت طرفاً فى النزاع .

فلماذا كان ذلك ؟ لسببين ظاهرين ، الأول : أن الروس أرادوا صادقين أن تكون ثمة هيئة عالمية ، ففى ذلك منفعة لهم . والثانى : أنهم رأوا أن أمريكا جادّة فيما تريد ، وأنهم إذا أرادوا وجود هذه الهيئة العالمية فلابد لهم من أن يقبلوا الاقتراح على أنه شىء «لا مفرّ منه» .

ولكن لم تمض بضعة أشهر حتى اجتمع ممثلوا خمسين أمّة فى سان فرنسسكو ، فثارت العاصفة مرة أخرى واحتدم الجدال فى مسألة حق الاعتراض . فهل يباح للدولة العظمى التى ليست طرفاً فى النزاع أن تعترض على مناقشة هذا النزاع فى مجلس الأمن ؟ فقال الروس . أَجَلْ ، وقلنا نحن : كلاّ ، وبمثل ذلك قالت بريطانيا وفرنسا والصين . وأوشك الجدالُ الذى أعقب ذلك أن يجعل المؤتمر يبوء بالإخفاق .

وأخيراً كتبت رسالة إلى هاريمان سفير أمريكا فى موسكو ، وإلى هارى هوبكنز وكان فى موسكو أيضاً ، أطلب إليهما أن يقابلا ستالين ومولوتوف ويذكرا لهما فى صراحة أنه لن يكون ثمة شىء يسمى ميثاق الأمم المتحدة حتى يتحوّلا عن رأيهما . وأيّدنى ترومان فيما فعلت . وسلم الروس ، ولم تمض أيامٌ قلائل حتى تمت الموافقة على الميثاق بإجماع الآراء .

**وإلى** لأظنّ أن النيّة الصادقة التى أنشأت هيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تحوطها حتى تترعرع وتؤدّى مهمتها . وقوام هذه النية الصادقة هو : الإيمان والحزم والصبر . وليس العمل الذى أمامنا عمل أيام ، بل هو عمل عشرات من السنين ، فلنلق نظرة على ما يكتنفه من عقبات راسية كالجبال .

فالاتحاد السوفيتى قد يستمرّ زمناً طويلا وهو يلجّ فى استخدام حقه المحدود فى الاعتراض ، لجاجةً يعدُّها بعض أعضاء المجلس غير مستحسنة أو لا حاجة إليها . وقد يظل يستعملها بأساليب تستثير سخط كثير من بلاد العالم . ومع ذلك فلننظر مليًّا فى العلة التى تدعوه إلى هذا . إن علة ذلك هو أن الاتحاد السوفيتى لا يزال أقلية فى العالم .

إن سكان هذه البسيطة يبلغون نحو ألفى مليون نسمة ، والاتحاد السوفيتى و« الدول التابعة » له كما نسميها ، لا سلطان

لها إلا على عدد لا يتجاوز ٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة . والسوادُ الأعظم من شعوب الدنيا يسير فى شئونه الاقتصادية على نظام الرأسمالية، على حين أن شيوعية الاتحاد السوفيتى لا تزال نظاماً يسير عليه أقلية من الناس ، وكذلك ترى روسيا أنها تواجه أسلوباً فى الحياة يناقض أسلوبها ، وأن متبعيه أكثر عدداً ، وأوفر ذخيرة فى الموارد الطبيعية ، وأعظم قدرة على الإنتاج ، وأكثر أصواتاً فى هيئة الأمم المتحدة .

ومن هذا جاء المعنى الخاص الذى يقصده ستالين ومولوتوف وجروميكو من قولهم : « قرارٌ متفق عليه قائم على المساواة بين الدول فى الحقوق » ؛ فأمريكا ربما كان مقصدها من هذه العبارة هو « حماية حقوق الأكثرية » ، أما ستالين ومولوتوف وجروميكو فمقصدهم منها « حماية حقوق الأقلية » . وهم يريدون « حق » الاتحاد السوفيتى فى حماية نفسه ، باستعمال « حق الاعتراض » ، من سلطان التصويت المشترك الذى يأتى من قبل « الدول الكبرى » غير السوفيتية .

والاتحاد السوفيتى يرى كلَّ يدٍ تمدُّ إليه يدَ عدوٍّ ، وإن كانت يداً مدَّتها إليه الصداقة الخالصة . وهذه فكرةٌ مستبدَّة به لا تنقشع إلا على التدريج ، وأظن أنى ألمح اليوم بدء انقشاعها . فقد مضى زمن النمط القديم من البلاشفة الروس الذين لا همّ لهم إلا « الثورة العالمية » ، وصاروا اليوم أقل عدداً وأضعف سلطاناً فى توجيه شئون السوفيت الخارجية . وإذا نظرتُ نظرة رجل الأعمال إلى رؤساء الصناعة من الروس ، رأيتُ أنى لا أجد مشقة فى التفاهم معهم ، فشمائلهم كشمائل كثير من رجال الصناعة الأمريكيين وحديثهم كحديثهم ، وفى قلوب هؤلاء ما فى قلوب أولئك من الحب للكفاية فى العمل والقدرة على الإنتاج .

إنه العالم ليتطلع اليوم أن يبلغ مستوى من المعيشة أعلى من الذى كان فيه ، فالبلاد التى ظلت زمناً طويلا قانعة بما هى فيه من فاقة وبؤس ، أصبحت اليوم تطالب بأن تتاح لها الفرص التى تفضى إلى التقدم الاقتصادى ، وإلى تجديد نمط حياتها ، وإلى زيادة إنتاجها ودخلها ، وإلى تحسين شئون صحتها وتعليمها . ونحن الأمريكيين أقدر الناس على تعهد هذا التطور بأموالنا وخبرتنا الفنية ، وإذا نحن سبقنا الأمم إلى هدم الحوائل التى تعوق التجارة العالمية ، فنحن يومئذ أقدر الناس على حياطة ارتفاع مستوى المعيشة الذى يستتبعه هذا التطوّر .

ومثل هذا التطوّر يختلف اختلافاً بيناً

عن الاستغلال الذى كان من طبيعة الاستعمار فى الزمن السالف ، فكل شعب تخلف عن ركب الحضارة سوف يجد من المعونة على أن يبلغ بقوته وجهوده مستوى عالياً من التقدم والرخاء . ولا يزعمنّ زاعم أن شعوب أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط والأقصى لن يخرج من أبنائها عمال مهرة أو رجال من ذوى القدرة على إدارة شئون الإنتاج ، فهذا باطل ، فليس فى الدنيا شعب لا يستطيع أن يجـدد أساليب زراعتـه وصناعته ، إذا وجد من المال والتدريب ما يكفيه لذلك .

وإليك مثلاً يدل على الثمرة التى تجنيها روسيا وأمريكا والشعب المتخلف نفسه . فالصين إذا أعينت على إصـلاح بلادها ، فسوف تستورد من أمريكا الآلات ومعدات الإنتاج ، وسوف تستورد من روسـيا مقادير عظيمة من الأخشاب ومن سائر المنتجات الأخرى التى تخرج من غابات سيبريا ومناجمها .

هيئة الأمم المتحدة تهيىء لنا أن نتآزر فى العمل تآزراً طيب الثمرات لا عهد لنا بمثله من قبل . وعيون سكان الأرض شاخصة إلى الساعة التى يبدأ فيها هذا التآزر فى العمل بصدق وإخلاص .

وستجتمع الجمعيـة العمومية لهيئة الأمم فى هذا الخريف ، وستستمع إلى تقارير مجلس الاقتصاد والاجتماع التابع للهيئة ، والذى كانت مهمة أعضائه أن يلتمسوا كل ما ينبغى من الأساليب المشتركة التى تفضى إلى التقدم الاقتصادى والاجتماعى . وليس فى الجمعية العمومية ولا فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى قوّة عائقة تسمى حق الاعتراض ، فقد أريد بهذه الجمعية العمومية أن تكون جمعية ديمقراطية تعبر عن إرادات الشعوب المشتركة فى هيئـة الأمم . وإنى لأرجو أن تبين هـذه الشعوب عن إرادتها ، وأن تستجيب لهم أمريكا بما يهدى الناس إلى طريق يفضى إلى سلام يدوم على الأيام ، لأنه يحقق للعالم كلّ خير مرتجى ، ويبعث الآمال فى قلوب الرجال والنساء والولدان فى كل مكان . وهـذا الضرب من السلام هو وحده الترياق الناجع الذى يقينا شرّ الحرب العالمية .

وكلما تضافرت جهود الأمم جميعاً على تحقيق هـذا الضرب من السلام ، قلّ اختلافنا وجدالنا على الآراء والمذاهب ، بل أنا أعتقد أن الخلاف بينها سوف يتضاءل . وكلما ازداد الروس معرفة وخبرة بالنظام الرأسمالى فى أثناء هـذا التعاون العالمى الشامل ، كانوا أسرع إلى تحقيق حرية

الأفراد فى أسلوبهم الذى يعيشون عليه . كل امرىء فى الدنيا مفطور على قسط من الحرية . وينبغى أن نؤمن ثانية بما كان يؤمن به أسلافنا : « لا بدّ للحرية من أن تنير الطريق للعالم كله على مر الزمن » .

وينبغى لنا اليوم أن نكون على حذر من الغلوّ فى تقدير عواقب الفروق بين المذاهب والآراء ، فإنه ليس من طبيعة هذه الفروق أن تفضى إلى الحرب . فلقد كانت عقيدة الناس أيام الحروب الصليبية أن بلاد الإسلام وبلاد النصرانية لا تستطيع أن تعيش فى عالم واحد تحت ظلال السلم ، وكانت عقيدة الناس أيضاً أيام الحروب الدينية فى القرن السابع عشر ، أنّ بلاد الكاثوليكية وبلاد البروتستنتية لا تستطيع أن تعيش فى عالم واحد تحت ظلال السلم . وكلاهما كانا خطأً ورأياً فاسداً . فليكن من الخطأ وفساد الرأى أيضاً أن نظنّ أنه لا مفرّ من نشوب القتال بين الدول التى رؤوس أموالها موزعة فى أيدى الأفراد ، والدول التى رؤوس أموالها مجتمعة فى يد الدولة . والطريق الذى يفضى بنا إلى هذه الغاية هو أن تتعاون جميع الأمم فى داخل هيئة الأمم المتحدة وفى خارجها ، حتى تنال الخير المشترك الذى تجاهد فى سبيله . فالشر لا يدفعه شىء سوى الخير المحقق .

ولكن ينبغى أن نعلم أنه ما من شىء يهدينا إلى الأعمال التى تستطيع أن تحقق لنا هذا الخير ، سوى الإيمان وحده . نعم إننا لا نستطيع أن نكون على ثقة مما يضمره لنا الغيب ، ولا تستطيع أبصارنا أن تتخطى الجبال فتبصر ما نتمنىّ أن يكون وراءها ، والأمور كلها بيد الله . وكل ما علينا هو أن نسعى إلى خير العالم وسلام العالم . فإذا ضعف إيماننا وقعدنا عن السعى ، فلن ننال المغفرة من الله ، ولا العفو من الناس .



كانت مارى جاردن مغنية الأوبرا الشهيرة ، تكسب مالا وافراً ، وظلّ أبوها يلاحقها بطلب المال ولا يقتصر على طلب مبالغ يسيرة ، فكانت تلبى طلبه ، ولكنها كانت تجأر بالشكوى أنه يفرط فيما يطلب ، فكان يردّ عليها بأنه لا يسعها أن تضنّ على والدها بما يطلب فإنه يحتاج إليه فى مشروع خاص .

ثم جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية ، وخسرت مس جاردن كلّ قرش تملكه ، وفى الوقت نفسه مات أبوها ، فأبلغت أنه قد خلّف لها حسابات متعددة فى المصارف ، فوجدت أنها تشمل كل ريال بعثت به إليه [ لنرد ليونز ]

# فن السعادة

عن صحيفة
"نيويورك تايمز"

نعرف زماناً بذلت فيه الحكومات من الجهود في تحصيل السعادة للناس كهذا الزمن، وعسى أن لا يكون أتى على الناس زمان كزماننا قلّ فيه احتفالهم بتحصيل الخصال التي تعينهم على إدراكها . وقلما ترى دليلاً على أنّ الناس قد ذاعت بينهم عادة الحرص على تنمية الخلق الذي يفضي بهم إلى نيل السعادة ، إذا نجوا من عناد الأقدار . إن جلّ اهتمامنا مصبوب على إصلاح معاشنا وعلى زيادة أجورنا ، وعلى ضبط الأنظمة الاقتصادية ، أما أقل مانهتمّ له ، فهو إصلاح المرء ما ينبغي أن يصلحه من أمر نفسه .

وعناصر السعادة قليلة وأسبابها كامنة في داخل النفس ، وهي أرسخ ما تكون إذا قامت على حُب الخير ونقاء السريرة . ولن تجد أحداً أدرك السعادة إلا الذي اتخذ لنفسه رأياً في الحياة يقوم على أساس من الأخلاق . واعلم أن الأثرة أعدى أعداء السعادة ، وأن المرء لا يستطيع أن يجعل غيره سعيداً حتى يكون هو سعيداً في نفسه . والسعادة صِنْو الهدوء ، فقلما تجد لها في غمرة الحياة الصاخبة وجوداً يدوم ، وهي أقرب إليك إذا التمستها في ساعات العزلة والتأمل. وهي لا تشترى بمال ، والمال قليل الجدوى في إدراكها .

ولن تجد امرءًا سعيداً إلا امرءًا قد رضي عن نفسه بعض الرضى ، فالبحث عن الطمأنينة والسكينة ينبغي أن يبدأ بفحص النفس ومعرفة ما فيها . وإذا فعلت ذلك ، فلن تجد دائماً ما يرضيك . فما أكثر ما كان ينبغي أن تنجزه ، وما أقل ما أنجزت ! بيد أن الفحص الدقيق هو الذي يفضي بك إلى استكشاف الخصال التي تجعلك رجلا متميزاً متفرداً ، والتي لا بُدّ من أن تنميها حتى ترضى عن نفسك .

قال وليم هنري تشاننج الذي عاش في أواسط القرن الماضي :

« السعادة هي أن تعيش قانعاً بالقليل ، وأن تجعل بغيتك الأناقة لا الترف ؛ ورقّة الشمائل لا العرف الذي تواضع الناس عليه؛ وأن تكون جليلا في نفسك لا موقراً عند الناس، وأن تكون ميسور الحال لا من أهل الثراء ؛ وأن تكون دؤوباً على الدرس هادىء التفكير حلو الحديث صريحاً فيما تأتي وما تذر ؛ وأن تفتح قلبك لما تحدثك به النجوم والطيور ، والأطفال والحكماء ؛ وأن تصبر على ما تلقاه بشوشاً شجاعا ، متريثاً أحياناً غير متعجل أبداً ـ وقصارى القول هو أن تفسح للمعاني السامية حتى تكشف عن نفسها » .

واعلم أنك لن تجد حكومة تصنع لك كل ذلك ، فاصنعه أنت لنفسك .

# علموا أولادكم الحياة

**العلم الناقص شر .**

انتفخت أوداجي زهواً بالوسام الذى نلته في المدرسة لأنى أحسن قارىء ، فقلت لمربيتي العجوز : « دعينا نرى هل تحسنين القراءة كما أحسنها ! »

فتناولت كتابي ونظرت إليه متفحصة وأخيراً تمتمت : « الحقيقة هى أنى لا أعرف القراءة . »

فدهشت وأسرعت إلى أبى فى المكتبة وقلت : « إن مربيتي لاتعرف كيف تقرأ ، وأنا الصبي الصغير ، قد فزت بوسام على القراءة ، وبودى لو أعرف بماذا تشعر إذ تنظر إلى كتاب لاتستطيع أن تقرأه ؟ »

فتناول أبى فى هدوء كتاباً من فوق رف ثم فتحه وقال : « مثل هذا ؟ »

وكان الكتاب باللغة الصينية !

وأنا لا أزال إلى الآن كلما شعرت بنفسى تنازعنى أن أزهى أو أتمدح بشيء ، أتذكر أنه مازال على أن أتعلم كثيراً ، وأقول لنفسى : « لاتنس أنك لا تستطيع أن تقرأ اللغة الصينية ! » [ ج . ا . كاراسكو ، المكسيك]

**الزهر كغيره :**

رأيت فى حديقة جدتى كم زهرة بدا لى أنه يحتاج إلى زمن طويل حتى يتفتح ، فنفد صبرى واشتهيت أن أرى ألوانها وجمالها . وخطر لى أن نصنع شيئاً وشاورت جدتى ، فلما قالت لى افتح أوراقها فرحت ، ولكنى بعد أن فتحت الأوراق لم يبق هناك زهرة زهراء كالتى كنت أتصورها ، فقد عصفت بجمالها ، وذوت الزهرة وماتت . ثم بينت لى جدتى أن هذا شأن كل شيء — فعلينا أن ندع كل شيء يتفتح على طريقته وفى أوانه . [ دوروثى ا . منك ]

**تشعب السبل :**

كنت أنا وإخوتى الصغار نتشاجر ونتجادل ونحن أطفال ، وكان كل منا يذهب مذهب العناد فلا يلين ، ويأبى إلا أن يفعل مايريد .

فاستصحبنا أبى يوماً إلى محطة السكة الحديدية لنرى قطار الركاب الذاهب شرقاً يدخل المحطة . وفى هذه اللحظة سمعنا صفارة القطار الذاهب غرباً إنذاراً بقيامه .

فقال أبى : « قطاران يحاولان أن يمضيا فى اتجاهين مختلفين على شريط واحد . فماذا تظنون أنه سيحدث ؟ »

فاتسعت عيوننا من رهبة الاصطدام الذي

خطر لنا أننا سنراه . وبينما كنا ننظر ، إذا بقطار الغرب يميل إلى سكة متشعبة من الخط الرئيسى . فمر القطار الآخر بسلام .

فقال أبى : « إن الناس كالقطر . ونحن جميعاً نحاول أن نسير فى اتجاهات مختلفة على طريق واحد ، فلا بد أن تحـــدث اصطدامات إذا لم نسلك الشُّعَب المتفرعة من الطريق الأعظم ، وعندنا كثير منها : الصبر ، والحب الأخوى ، والتسامح ، والعقل . وأخلق بالأطفال والكبار ، بل بالأمم أيضاً ، أن يكونوا أطيب معاشرة إذا عنوا بأن يكثروا من سلوك سبل الحياة المتشعبة » . [المسز ف . ج . ميلر]

## لكل امرىء ما يحب :

كان قرب بيتنا مطعم متداع يديره إيطالى كان قد أجهد نفسه فى حفر الخنادق ليقتصد مالا كافياً للاستقلال بعمل ، وكان تونى هذا يمر ببيتنا ليلة بعد ليلة ، ويروح يصف لأبى مطعمه ومبلغ جماله ، فيوافقه أبى . ففى ذات ليلة قلت لأبى بعد أن انصرف تونى: « ياأبى إنك تعلم أن هذا المطعم شىء قديم رَثٌّ ، فلماذا توافق تونى حين يقول إنه بديع؟ »

فدخن أبى قليـلا ثم قال : « يا بنيّتى لاتفجعى أحداً فيما يحبّ ! » .

[ مارسيلا داير ]

## سلة الثرثرة :

كنا أسرة فيها ستة أطفال ، وكثيراً ما كان بعضنا يضايق بعضا ، فنسخط أبى . فأقبل يوماً ومعه ربطة ، وقال : «قد جئت لكل منكم بسلة . فإذا أراد أحدكم أن يقص قصة ، فليكتبها أولا وليضعها فى سلته . فإذا امتلأت السلة فليراجع ما كتب ولينظر أيها يستحق البقاء » .

فبدا لنا فى أول الأمر أن الفكرة مضحكة ، على أنا سرعان ماتعلمنا أن نكتم مانشكو منه — ثم لانلبث أن ننساه . وقد قال لنا أبى : « لتكن هذه السلة رمزاً ، فلا تنقلوا من المدرسة حكايات تؤذى أحداً ولا ترووا ماتلغط به الألسنة فى المكتب أومكان العمل . ومتى خلت السلة ، ففكروا هل يستحق الأمر أن تملأ مرة أخرى » .

[ ألما أندرسون ]

## السعادة الخفية :

حدث ذات يوم وأنا فى الحادية عشرة أن عدت إلى البيت أبكى لأنى أُعطيت دوراً صغيراً فى برنامج للأطفال يؤدّى فى الحفلة ، على حين أُعطى زميل لى الدور الرئيسى . فأخرجت أمى ساعتها فى هدوء ودفعتها فى كفى ، وسألتنى : « ماذا ترى ؟ » .

فقلت : « غلاف من الذهب ، ووجه وعقارب » .

ففتحت ظهر الغلاف وكررت سؤالها ، مرأيت عجلات دقيقة وتروساً ، فقالت أمي : « إن هذه الساعة لاخير فيها بغير هذه الأجزاء جميعاً - حتى التي لاتستطيع رؤيتها » ،

وقد جعلني درسها الصغير هذا ، أسعد طول حياتي. فأدركت أن الواجبات الصغيرة التي يجب أن يؤديها كل امرىء ، جوهرية ولو لم تظفر بتصفيق الناس .

[ المسز فلويد كروك ]

## أصب هدفك برمية واحدة :

وافق أبي على أن أشتري أول بندقية لي في حياتي، فقضيت أياماً أدرس البيانات المذكورة في الكتب وأخيراً اخترت بندقية آلية تطلق ١٥ طلقة دون أن تحتاج إلى حشو جديد . وذهبت مسرعاً إلى « بن » وهو رجل يعمل عندنا لأعرض عليه اختياري وأنال موافقته.

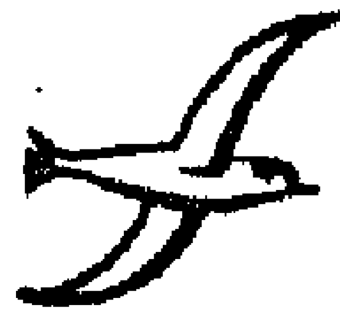
فنظر إلى صورة البندقية ملياً ثم التفت إلي بابتسامته العذبة ، وقال : « لو كنت مكانك لما اخترتها » .

فسألته : « لمَ لا ؟ » وحاولت أن أخفي خيبة أملي .

فقال : « بندقية ذات طلقة واحدة أحسن من هذه ، فإنك تقول لنفسك في كل مرة إذ تسدّدها وتنظر إلى ذبابتها : إذا لم أصب الهدف الآن فقد لاتتاح لي فرصة أخرى . أما بالبندقية الآلية فإنك تكون شاعراً أن طلقة واحدة ليست لها قيمة كبيرة لأن عندك طلقات تليها ، فلا تبذل عندئذ قصارى جهدك » .

وكان منطق بن سليماً . وكثيراً ما فكرت بعد ذلك في كلماته ، فيما أزاول من عمل وفي الحياة الاجتماعية ، فصرت أحرص على الإصابة بالطلقة الأولى » .

[ وليم والش ]



إذا كان المرء ساخطاً على نفسه ، صار سخطه على النــــاس أشدّ . [ هنري فردريك إميل ]

من عادة المرء إذا وجد ساعةَ فراغٍ أن يقضيها عند من لايجد ساعةً من فراغٍ . [صحيفة «إنديانا بوليس نيوز»]

سيرة تشارلز فوكس العجيبة الذى ظل ٤٥ عاماً معلماً وصديقاً لأهالى ميلانيزيا




# هاري پوجو وأكلة لحوم البشر

توم هسام

سمعت أول ما سمعت بهاري پوجو ذات يوم فى عام ١٩٤٤ ، حين ألقت مدمرتنا مراسيها عند جزيرة صغيرة من جزائر سليمان . فذهبت إليه فى كوخه البسيط على حافة الغابة ، فرأيت من باب مفتوح رجلا صغير الجسم معروقه ، ضاوى الوجه ، وكانت ثيابه سراويل قصيراً مما يلبس الجنود الأستراليون وحذاءين من أحذية الجيش ، تكشف عما أكلت الحمى من لحمه . فرفع إلىّ عينيه من فوق نظارة ثقيلة ذات خيوط بدلا من السلك وقال : « ادخل يا بنى . لقد كنت مشغولا بتأليف معجمى » .

وكانت الغرفة الوحيدة فى حالة رائعة من الاضطراب ، وكان فيها من الأثاث سرير مكسوٌّ بقماش القلوع ، وكرسيان قديمان ومنضدة متداعية علىها أكوام من مجلات قديمة من أستراليا ونيوزيلندة ، وقفص عليه رقعة شطرنج معفرة ، وقد لاحظت أنه ينقصها فرس أسود ، وأنه اعتاض منه سدادة زجاجة بيرة .

« قد يلتقى المرء بأناس من الغرابة بمكان » !
ــ رجل الشهر ــ

وحدثنى بصوته الهادىء اللين عن ٤٥ سنة قضاها بين الأهالى يأكل مثلهم نبات الأرض والجنادب وجوز الهند المسلوق ــ نحو نصف قرن من الكفاح مع الجهل وعادة أكل اللحم البشرى والمرض .

وهو معلم ولغوى وصاحب معجمات ، وصديق لأهالى ميلانيزيا السود ــ كل هذا وأكثر منه فى إهاب هذا الرجل المدهش الدقيق الجسم الذى يسميه الأهالى هارى پوجو ، واسمه الحقيقى تشارلز إليوت فوكس ، وهو يحمل درجتى أستاذ

فى الآداب ودكتور فى الأدب من جامعة نيوزيلندة .

وقد نبذ تشارلز هذا ، وهو شاب، مَناعمَ الحضارة ، وأخذ على نفسه العهد فى حبّ الزهد والفقر ، وركب البحر إلى بعض جزر المحيط الهادى التى كانت مجهولة مستوحشة ، يحمل إليها رسالة الإخاء والصداقة .

وأهل ميلانيزيا قوم سواعدهم مفتولة ووجوههم متجهمة ، وهم جميعاً تقريباً يتخذون الوشم على وجوههم وصدورهم ، ويزينون أجسادهم بعقود من أسنان الكلاب أو أسنان البشر ، ويصبغون رؤوسهم الضخمة وشعرها الجعد بلون أحمر أدكن يصنعونه من دهان يحصلون عليه بالمبادلة من البحارة . فإذا لقيت أحداً منهم عند منعطف طريق فى الأدغال ، ورأيت شعره الكثّ أحمر مضطرماً ، وفمه يقطر منه عصير الجوز الأحمر ، فإن الدم خليق أن يجمد فى عروقك .

وقد استمال تشارلز فوكس أهل ميلانيزيا إليه بأن عاش كأنه منهم ، وحمله أصدقاؤه أهالى إحدى الجزر فى زورق وأنزلوه وحده وبغير سلاح فى ظلام الليل فى جزيرة سان كريستوبال التى ظلت زمنا طويلا معقل صيادى رؤوس البشر ، ثمّ رحلوا بسرعة . وكان الرجل الذى يجترىء فى تلك الأيام على النزول فى تلك الجزيرة خليقاً أن يصبح مرشحاً لمتحف الجماجم ! وحمل فوكس حقيبة صغيرة فيها أدوية وشىء من الطعام ، ومشى فى بساطة يبتسم لأفظع قبيلة من أكلة لحوم البشر فى جزر المحيط الهادى.

ويكفى أن تنظر إلى الرجل لتدرك كيف استطاع أن ينجو وينجح ، فإن وجهه ينضح بطيب النفس والودة والعطف العميق . على أن له هو تعليلا آخر ، فهو يقول ضاحكا : « لم أكن إلا كومة من العظام ، فلم يروا على بدنى لحماً يغريهم » .

وصار هذا الرجل الغريب ذو البشرة البيضاء أعجوبة فى القرية فى بداية الأمر ، ثم ألفوه وكادوا يدللونه ، وساعده رجل مسن منهم على بناء كوخ له ، وتقبلوه على الأيام .

ولم يكن هذا الشاب طبيباً ، ولكنه كان قد تزوّد ببعض المعارف عن أمراض المناطق الحارة ، فكان يجلس إلى جانب المرضى فى تواضع ويضع يده الباردة على رءوسهم المحمومة ، ويعطيهم من الأدوية القليلة التى جاء بها معه . فيستجيب له المرضى ، ويستعيدون الصحة ويصغون إليه بقلوبهم .

ومضى وقت طويل قبل أن يحاول تعليمهم ، فقد كان عليه أن يتعلم اللهجات

الخاصة بكل جزيرة ، وأن يكسب احترام السحرة الذين يعالجون التطبيب بأن يبدو لهم حليفاً لامنافساً .

وكان مؤدى كل هذا أن ينام إلى جانب المستوحشين العراة على حصير خشن من الحشائش مطروح على أقذار الأرض فى أكواخهم المصنوعة من الحشائش ، ومؤداه أيضاً أن يساعدهم على تعهد البطاطا فى أرضهم فى الأدغال ، وأن يأكل الديدان والجُعْلان والبصيلات ، ويعيش وسط الأقذار ، ليريهم — على مهل وبحذق — كيف يحيون حياة أنظف وأقل أمراضاً . ومؤداه أيضاً أن يشهد حفلات رقص القبائل والشعائر الوثنية التى يتقربون بها إلى أرباب شرسة حادة الغيرة ، إلى أن يتسنى له على الأقل أن يشرع فى هدايتهم على مهل إلى معرفة ربّ الأرباب .

واستطاع فوكس ببطء ، وبالقدوة ، أن يرشدهم إلى حياة أطيب ، وفرش أرض كوخه بالخيزران، فقلده الأهالى، حتى صاروا يفعلون ذلك بكل كوخ. وكان يغتسل كثيراً، فحاكوه فى ذلك دون أن يدروا السبب . وقلت أمراض الجلد، وابتكر ألواناً جديدة من الطعام على سبيل التنويع .

وقد أصيب فوكس بالملاريا ١٠٤ مرة وأصيب بجميع أمراض الجلد الاستوائية التى تتعرض لها البشرة السوداء أو البيضاء ، وكان يتعمد التعرض للإصابة ببعض الأدواء وهو يقول : « كيف أبذل معونتى لرجل مريض إذا كنت لا أعرف ماهو فيه من ألم ؟ وأنا بمعالجتى الأمراض فى بدنى أستطيع أن أجرب حتى أهتدى إلى العلاج » .

وهكذا ترك فوكس ذبابة الأدغال تحط على جرح فى ساقه ، وهو يعرف أن هذا يسبب له خراجاً — بثرة عظيمة تغور إلى العظم — وهكذا تعمد أن يعرّى ذراعه للسعة إحدى الحشرات الخبيثة التى يبلغ طولها ١٨ بوصة — ولكنه لم يجد لهذا طبّاً . ويعترف بهذا فيقول: « أنا الآن إذا عضتنى هذه الحشرة أبادر بالعودة إلى كوخ بأسرع ما أستطيع ، لأنى أعرف أن أمامى ١٨ ساعة من الآلام المبرحة ، فأدير الساعة وأعدّ ثمانى عشرة لفافة وأرقد ، وأدخن لفافة فى كل ساعة حتى تنقضى المحنة وتعود الذراع أو الساق إلى الحجم الطبيعى »

وقد اشتق له اسمه — هارى بوجو — من وعكاته العديدة من الحمى ، ومعناه « الذى ينطرح على وجهه » ، وقد أطلقه عليه « أبناؤه » السود بعد أن رأوه مراراً منطرحاً على الطريق فى الأدغال ، وقد فقد الوعى أو نالت منه الملاريا .

وقد رأى فى السحر ما أعياه تعليله . وقد

حدثنا عن « رجل مال » رآه يقف عارياً على الساحل أمام نار ويقذف بصدف « النقد » من يديه الفارغتين .

ورأى قبيلة سان كريستوبال وهى تحرق جثة شيخها فوق كوم من الحطب ، فأكلت النار جوف الجثة وأتت على مافيه دون أن تمس الجلد بسوء !

ولن ينسى حادثة أخرى غريبة ، إذ كان يجدف فوق « بحيرة الموتى » حيث يدفن الأهالى موتاهم فيقيدونهم ويجلسونهم ، ويربطون الأثقال إلى الجثث ويضعونها فى مثل حلقة مجلس فى قرار البركة الصافى المحفوف بالمرجان . ويذهب أهل هذه الجزيرة مرة فى السنة فى زوارقهم المحفورة بدقة ليزوروا موتاهم . وهو يقول إنك إذا نظرت إلى هؤلاء الموتى تحت الماء خيل إليك أنهم يهتزون بل أنهم يسيرون ويتحدثون . وهو لايدرى كيف تبقى الجثث مدة طويلة قبل أن تتحلل ، ولا ماذا يمنع السمك أن يأكلها

وليس هارى پوجو بالمصلح المتشدد ، فهو لايرى شراً فى أن تخرج النسوة وليس عليهن إلا مايستر العورة ، أو أن يخرجن عراة ، ويقول إنه كلما كثرت الثياب كثرت أمراض الجلد . ويبتسم إذ يروى لك قصة النسوة اللواتى أعطين قمصاناً من قمصان الجيش لستر صدورهن فخرقن فيها خرقين كبيرين ليجعلنها أخف وطأة وأقل حبساً وهو يعرف أن لرجال القبائل وسائلهم التى تمنع تفشى الزنا ، وإن كانت وسائل اليوم أقل عنفاً مما كانت قديماً حين كان الزانيات يقتلنَ طعناً بالحراب . على أنه حاول أن يحمل القوم على الإقلاع عن إعارة الزوجة لصديق أو ضيف ، وكان ذلك يعد من مقتضيات الضيافة .

وقد رأى هارى پوجو فى ٤٥ عاما أكل لحوم البشر ينقرض تقريباً ، على أنه عنى بأن يحتفظ أهل ميلانيزيا بعاداتهم الصالحة ، مثل طريقتهم فى القضاء على الشقاق داخل القبيلة . فإذا تشاجر رجلان فإنه يكون على الغالب أن يزور المغلوب قبل غروب الشمس ويؤدى إليه مبلغاً من المال ( صدَفات ) ليعلن إليه بذلك أنه لا يضمر له شراً ، ويبقى المال محفوظاً حتى إذا بلغ ابن المغلوب مبالغ الرجال ، ردّه إلى ابن الواهب ، ثم تقيم الأسرتان وليمة كبيرة للدلالة على أن الأمر انتهى .

وعلى ذكر ذلك أقول إن الأصداف التى تستعمل للنقد ، تصلح لشراء ثلاثة أشياء ليس إلا — زوجة أو خنزير أو زورق . على ان خطباء القبيلة ينتفعون بها فى وجه آخر ، فبعد أن يلقى أحدهم خطبة طويلة ،

يهدى إلى كل واحد ممن أحسنوا الإصغاء مبلغاً من هذا المال ، جزاءً له على حسن الإصغاء . ويقول هارى بوجو إنها عادة جديرة بأن تحتذى .

ولم ينقض عجب هارى بوجو من قدرة الأهالى على أن يعرف بعضهم بعضاً من آثار أقدامهم، ويقول إنه ليس بالنادر أن يستطيع رجل تتبع أثر رجل آخر فى دائرة يبلغ نصف قطرها عدة أميال ، حتى أن الأطفال حين يلعبون ما يشبه لعبة « الاستخفاء » فى الليل ، يعرفون أسراهم من آثار أقدامهم بأسرع مما يعرفونهم من وجوههم المستورة .

وقد تعلم هارى بوجو لغة الأهالى بالسماع ثم كتبها مستعيناً بأصواتها بحروف إنجليزية، وعلم لفيفاً من الشباب القراءة والكتابة ، وأنشأ فصولا فى القرى متخذاً من هؤلاء الشبان معلمين . وقد كان ذلك عملا بطيئاً ، ولكن كثيرين من الأهالى يستطيعون الآن أن يكتبوا أسماءهم ، وقد ذهب بعضهم إلى المدارس فى تاهيتى وغيرها . وفى سنة ١٩٢٤ أصدر بعض دور النشر فى لندن كتابه « على عتبة المحيط الهادى » ، وهو دراسة علمية للقبائل المختلفة فى جزر سليمان حيث عاش وعمل .

ويزور هارى بوجو كل يوم « أولاده » فى قرى جزيرتين مجاورتين ليعلم ويعالج ، ولم يفارق هذه الجزر إلا أقل من ست مرات فى خمسة وأربعين عاما ، ولم يغادرها لما غزاها اليابانيون ، وكان الأهالى ينقلونه سراً من جزيرة إلى جزيرة ومن قرية إلى قرية ، على حين كان اليابانيون يطلبونه عبثاً ليستخبروه .

ويزوره بعض أصدقائه مرة أو مرتين فى العام حاملين إليه الطباق وبعض الحاجات ولكن هارى بوجو يعيش فى الأغلب على ما فى الغابات . وعنده الجوز والباباز ، ونبات فاكهة الخبز ، والجنادب المقليّة ، والنبات ، فلا داعى للإتيان بمؤونة من الخارج ، ولا حاجة به إلى مال .

وهو الآن فى الثامنة والستين من عمره ، ولا رغبة له فى العودة إلى بنى جنسه ، وغايته أن يقضى مغرب حياته بين أهل الجزر يعلم جاهلهم ويعالج مريضهم .

OO·OO··OO·OO

## خطيب ساهر

أعدّ أحد النوّاب خطبة ليلقيها فى حفل عام ، وسجلها على قرص وأداره لكى يسمع صوته وهو يلقيها ، فغلبه النعاس قبل أن تنتهى . [مجلة « تايم »]

آخر الأنباء عن مبيد الحشرات العجيب :

# ما نفــــع د.د.ت ؟

أنتونى ستاندن

مختصرة من مجلة "لايف"

لم تزل الصحف تتداول مبيد الحشرات د. د. ت ، بالمدح والقدح منذ الساعة التى أذيع فيها نبأه . فالمقالات الأولى التى نشرت كانت تشيد بنفعه ، وكانت عنواناتها : « أفضل مبيد للقمل » أو « سحقاً للحشرات » ، أما المقالات التى تلتها فكانت أميل إلى الحذر وصارت عنواناتها : « كفاح الحشرات قد يؤذى » أو « هذا د. د. ت فكن حذراً » . وقد آن الأوان لنعرف الحقيقة ، فما هو نفع د. د. ت ؟

لننظر فى عيوبه أولا : فأهمّ ما يؤخذ عليه أنه أولا : سامّ للإنسان ، وثانياً : يقتل النافع من الحشرات كما يقتل الضارّ منها ، وثالثاً : ثمة حشرات — مؤذية — لا تتأثر به .

إن مركّب د. د. ت سامّ إذا أنت أكلته ، غير أن معظم مبيدات الحشرات سامة أيضاً . والعلاج سهلٌ : امتنع عن أكلها . والمرء قد يصيبه أذى إذا هو استنشق رذاذاً أو ذروراً يحوى د. د. ت ، ولكن الخطر يسير إذا اتخذت الحيطة المألوفة . وقد يمتصّ الجلد بعض مركبات د. د. ت ، ولكن مسحوقه الجاف ليس من هذه المركبات ، ولا رذاذه المحلول فى الماء . أما ما ينبغى أن تخشاه فهو رذاذه المحلول فى الجاز . ولكن خطر هذا المحلول لا يخشى إلا إذا لامس رقعة واسعة من الجلد مدة طويلة ، وهذا يسهل اجتنابه بالاستحمام . ويرى الدكتور پول أ . نيل أحد علماء معهد الصحة القومى ، أنه لم يصب أحدٌ فى الولايات المتحدة كلها إصابة تسمم حقيقى بمركب د. د. ت.

يقابل هذا أن د. د. ت ، سمّ زعاف لكثير من الحشرات . فإذا وقفت بعوضة على مقدار منه يبلغ جزءاً من ألف مليون مليون جزء من الأوقية ، امتصت بأقدامها منه ما يكفى للقضاء عليها بعد بضع ساعات . ومما يؤسف له أن د. د. ت يفتك أحيانا بأحياء لا يراد الفتك بها . فإذا رش فى الريف رشاً كثيفاً لكى يفتك بالحشرات تراه يفتك بالسمك والضفادع والسلاحف

أيضــاً ، فإما أن يقتلها ، وإما أن يقتل الحشرات التى تتغذى بهـا . وقد خافت جمعيات حماية الطيور أن يفتك بالطيور ، من جراء أكلها حشرات قتلها د. د. ت ، وهــذا ممكن ولــكنه غير محتمل ، إلا إذا رشّت منه مقادير كبيرة لاداعى لها .

وفى المستطاع الآن ، على ما يلوح ، أن تستعمل مقادير من د. د. ت فى بعض الأحوال ، فتكون كافيــة لقتل يرقات البعوض فى البرك التى تتوالد فيها ، دون أن تفتك بسائر الأحياء فيها . أما الأمل الأول الذى علقناه على د. د. ت فى رش الريف كله به للقضاء على جميع الحشرات فيه قضاءَ الأبد ، فقد تبدّد . ولو كان فى الوسع تطبيق هــذا العلاج ، لــكان خليقاً أن يقلب ميزان الطبيعة فيورثنا مشكلة لا قبل لنا بها .

ومما يؤسف له أن بعض الحشرات لايتأثر كثيراً بمركب د. د. ت ، ولو عولج بمقدار كبير منه ، ومنها الدودة التى تصيب لوز القطن ، وقد تبلغ خسارة أمريكا من جراء فتكها ٢٥ مليون جنيه كلّ سنة . ولاجدوى منه أيضاً فى كفاح خنافس الفول المكسيكية . وقد ينفع فى بعض آفات النبات ، ولـكن رذاذ النيكوتين المعروف أنفع . وقد استعمل فى علاج بعض آفات الطباق والـكرنب والطماطم والدواجن فلم يجد .

بيد أن هناك طائفة كبيرة من حشرات الزرع والشجر تتأثر به فيقتلها ، وهــذا علاوة على فتــكه بالحشرات التى تنقل الملاريا والدنج والدوسنطاريا وغيرهامن الأمراض.

كان أول ظفر تمّ لمركب د. د. ت . هو وقاية القوات المســلحة من أمراض تنقلها الحشرات ، وهى فى الغالب أفتك من رصاص الأعداء . فذرٌّ مسحوق يحتوى على ١٠٪ من مركب د. د. ت ووضعه فى ثياب الجند ، كان كافياً لوقايتهم وقاية تامة من القمل ، فقلت إصابات التيفوس بينهم حتى صارت لاتعدُّ خطراً مذكوراً . ففى المحيط الهادى كان بعوض الملاريا وذباب المناطق الحارّة ، فريسة هينة على د. د. ت ، وقد ذُرَّ مسحوقه من الطائرات على جزائر سيبان ، وبيليليو ، وإيوجما وبعض جزائر الفلبين وأوكيناوة ، فأحالها منتجعات للصحة بعد أن كانت أرضاً وبيئة . والقول الشائع أنه فتك بكل حشرة فى هذه الجزائر ، ليس صحيحاً ، وكان لابد من ذرّه عليها مراراً بعد ذلك على فترات .

أما فى زمن السلم فلمركب د. د. ت مستقبل باهر . ومن غرائبه أن انتفاع الماشــية به سوف يساوى انتفاع الناس .

وسيؤخذ مقدارٌ كبير مما يصنع منهُ إلى مصانع الألبان ، فيرشُّ على الجدران ، فتجنّب المبانى نقمة الذباب تجنباً كاملا أو يكاد . وسوف يُذرُّ على الماشية نفسها فيقيها شرّ القمل وذباب الإسطبل . وقد ثبت أن د . د . ت ينقص عدد الذباب من ٤٠٠٠ ذبابة إلى ذبابتين أو ثلاث لكل حيوان ، فأسفر ذلك عن زيادة وزن البقرة ومقدار ماتدرُّهُ من اللبن .

وعلماء الملاريا يجدون فى د . د . ت ما يهزُّهم نشوة وطرباً . ففى أنحاء العالم تجد ملايين من المصابين بها كل سنة ، ويموت ألوف منهم . أما اليوم ففى وسع كل جماعة من السكان ، إذا شاءت ، أن تخفض عدد الإصابات باستعمال د . د . ت فى المدن . أما الريف فله شأن آخر ، لأن سعة الأرض تحول دون العلاج المركز المجدى بهذه المادة .

أما فى الزراعة فسيكون نفع د. د. ت. نفعاً كبيراً بغير أن يحلّ محلّ سائر مبيدات الحشرات الشائعة . وعلى الرغم من وجود مركبات كثيرة تحتوى د. د. ت ، فليس لبستانى أن يتوقع نجاحها نجاحاً تاماً فى جميع الأحوال ، فلايزال الأمر يحتاج إلى بحث كثير ، حتى يعرف العلماء خير الوسائل للانتفاع بمادة د . د . ت فى كفاح كلّ آفة بعينها من الحشرات . وهو مركب نافع فى علاج كثيرمن الخضر، ولاسيما البطاطس ومعظم الأزهار . وهو يسمّ جماعة النحل ، ولكنهُ أقلُّ سماً لها من المبيدات الأخرى، وعسى أن يكون نعمة فى نظر النحّال .

وسيكون مركب د . د . ت أجدى نفعاً على البيت منه على الحديقة . وأثره العجيب لايقتصر على الذباب والبعوض ، بل قد يستعمل ذَروراً أو رذاذاً محلولاً فى الماء لتطهير الكلاب من البراغيث والقراد . ( ولا يحسن أن يرش على القطط ، فقد تأكل بعضه حين تلعق أبدانها ) . وإذا رششت جدران البيت أو حواجز السلك أوالمقاعد فى الحديقة برذاذ محلول فى الجاز ظلت قادرة على قتل الذباب والبعوض بضعة أشهر .

أما نجاحه فى كفاح حشرات المنزل سوى الذباب والبعوض فمتفاوت . إنه يجدى فى كفاح الصراصير ، ولكنه ليس أجدى من فلورور الصوديوم الشائع . وينصح الذين يصنعونه بالانتفاع به فى كفاح عث الثياب . وهم يقولون إن رش الثياب به رشاً وافياً يجنب الثياب هذا العث ، ويدوم أثره بعد غسل الثياب مراراً ، ولكنه لا يدوم بعد تنظيفها بأسلوب التنظيف الجاف . أما النمل فقد يجدى مركب

د . د . ت فى كفاحه وقد لايجدى ، فهذا رهن بنوع النمل . ويبدو أن عث السجاد عصىٌّ على د . د . ت ، أما البق فتقول وزارة الزراعة : « إن د . د . ت . هو الحلّ الحاسم لمشكلة بق الفرش » .

وقد أخذ الكيميائيون يصنعون مركبات جديدة أساسها جزيء د. د. ت بعد تعديله، ولكلٍّ منها جدوى خاصة فى كفاح هـذه الحشرة أو تلك . وجملة القول هو أن الحشرات ستكون هى الخاسرة فى هذه الحرب.

أما الناس فقد رُدُّوا بعد التجربة إلى التقدير السليم ، وعادوا لايبالغون فى قدرة د . د . ت . وهذا خير ، وليس ثمة سوى نصيحة واحدة تسدى إلى كلّ مستهلك : أن يقرأ الرقيم الملصق على كل علبة أو صفيحة ، ويتبع ماجاء فيه إذا كان من مصنع معروف بالدقة . فقد أقامت القوات المسلحة الدليل على أن استعمال د . د . ت . نافع ومأمون المغبّـة ، فلمَ لايستطيع الناس أن يجنوا منه نفعه دون أن يتعرّضوا لخطره ؟



نعم ، نحن معشر النساء من أكثر خلق الله ثرثرة ، ولـكننا عندئذ لانبوح بنصف الذى نعرفه ونكتمه . [ ليدى أستور ]



## الديك الفصيح . . . !

كانت زوجة أحد المحامين فى هوليوود صديقة للمثلة إنجريد برجمان . فلما اعترضت مس برجمان معضلة خاصة بالضرائب على دخلها ، جاءت بها صديقتها إلى مكتب زوجها المحامى . فلما انصرفتا قال المحامى لفرّاشه الفتى : « أتعرف من هى تلك السيدة الفاتنة التى كانت مع زوجتى ؟ »

فقال : « لا يا سيدى . من هى ؟ »

فقال المحامى : « هى إنجريد برجمان يا بنىّ »

فقال الفتى : « وىْ ! وأيتهما كانت برجمان ؟ »

فنظر المحامى فى الفتى وهو مستغرق فى التفكير ثم قال : « خذ هذا الريال يا بنىّ فقد كسبته بفطنتك . ولستُ أعطيك الريال لأننى أظنّ أنك ستحتاج إليه ، وإنما لأطلب إليك أن تذكر مكتبى هذا فتعهد إليه ، ببعض العمل بعد سنة أو سنتين ، يوم تصير رجلا غنياً ذائع الصيت » .



كيف اهتدى باحث فى عنفوان الشباب إلى قمح عصى على الآفات ، فكفل لإخوانه من البشر طعاماً وفيراً .

# ساحر سنابل القمح

ج . د . راتكليف

مختصرة من "مجلة الحقل"

**هذا** إدجر س . مكفدن ، رجل هادىء الطبع ضئيل الجسم لا يكاد يزيد طوله على خمس أقدام وبوصتين ، عيناه وديعتان زرقاوان ، ورأسه أصلع يحف به شعر جعد وخطه الشيب . وقل من الناس من يعرفه ، حتى من أهل القرية التى يقطنها ، ومع ذلك ترى الفلاحين الأمريكيين قد أنقذوا بفضل بحثه ما قيمته مئات الملايين من الريالات ، وتجد ٢٥ مليوناً من الناس خارج أمريكا قد نجوا من الهلاك جوعاً ، ولولاه لما كانوا أحياء يرزقون .

إن قصة توليده القمح الذى يقاوم الآفات قصة تحرك النفوس فى عصر البحث الزراعى . وقد بدأ عمله قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد أتمه ولم يكد حين اشتدت الحاجة إلى ملايين الأطنان من القمح ، تضاف إلى مخزونه خلال الحرب العالمية الثانية . وليس ثمة من ينكر أن حالة موارد الطعام فى العالم هى اليوم سيئة ، ولكن لولا ما أسفر عنه بحث مكفدن فى حقول القمح لكانت الحال أسوأ كثيراً .

ولد مكفدن فى مزرعة بولاية ساوث داكوتا سنة ١٨٩١ ، وكان مهده صندوقاً مملوءاً بحبوب القمح ، فقد كان القمح سراً من أسرار الحياة فى نظر أسرته . فإذا أقبل المحصول ظفروا بالطعام الوفير ، وإذا أمحل تعرضوا للإفلاس . فكل شىء يعد عدواً للقمح — كالبرد والقحط والصقيع البكر ومرض الصدأ وعفن الجذور — كان عدواً لأسرة مكفدن ، وحرباً على أمنها .

ويوم كان مكفدن الصغير فى الثالثة عشرة هجم ثور على أبيه وآذاه أذى بليغاً ، فصار على الولد أن يعنى بزراعة أبيه ، وكانت تبشر بجنى أربعين بوشلا من كل فدان . ثم ضربها مرض الصدأ ، فلما سلط عليها الفطر ذبلت سوق القمح ومالت ، وأما أجنة الحبوب التى كانت ممتلئة فقد ضمرت — وإذا المحصول خمسة بوشلات من كل فدان .

وأقامت جراثيم المرض الدقيقة المجهرية التى تسبب هـذا المرض فى ولاية تكساس طول فصل الشتاء، ثم حملتها رياح الصيف الحارّة الى الشمال . وفى السنوات التى تشتدّ فيها آفة الصـدأ ، ترى ٦٠٠ ألف من هذه الجراثيم الحمر تنهمر فى يوم واحد، على ما مساحته قدم مربعة من مزارع داكوتا .

فى سورة هذا الوباء الذى يهلك القمح ، لاحظ مكفدن أن هناك ضرباً من القمح لا تصيبه آفة الصدأ ، وهذا الضرب يعرف باسم « ياروسلاف إمر » ، وقد رأى سوقه قائمة وسط حقول أهلك الصـدأ قمحها . ولـكن هذا القمح القوى الـكثير الألياف ، لا يصلح إلا علفاً للمواشى . ولم يكن بدّ من جرشه أو بله حتى تستسيغه الخنازير ، بيد أنه كان قمحاً لا تنال منه آفة الصدأ .

وقد تذكر مكفدن ما حدث يوم ذهب إلى كلية الولاية فى ساوث داكوتا — بعد أن وفر بالتقتير بضعة ريالات من نفقات الأسرة ، فقال لأحد الأساتذة : « ألا يمكن أن نزاوج بين هذا القمح الذى لا يصلح للأكل ، وقمح آخر جيد يصلح للأكل ، مثل قمح «ماركويس» ، فقد تسفر المزاوجة عن قمح يتصف بقدرة « ياروسلاف إمر » على مقاومة الصدأ، وبجودة قمح «ماركويس» ووفرة محصـوله ؟ » فقال له الأسـتاذ : « لمَ لا تجرّب ؟ »

كان شيوخ العلماء قد قطعوا بأن هذا العمل مستحيل ، ففى حبة قمح « إمر » ٢٨ صبغيًّا ( كروموسوما ) وفى حبة قمح الخبز ٤٢ صبغيًّا ، فالمزاوجة بينهما تعقب عَقباً عقماً لا يستوله . ومن محاسن الاتفاق أن مكفدن كان يجهل خبر هذا الحكم العلمىّ القاطع .

فطلب إلى ربة البيت الذى يسكنه أن تسمح له برقعة صغيرة من الأرض فى فناء دارها ، فوافقت . وفى سـنة ١٩١٦ بذر مكفدن فى هذه الرقعة صفًّا من بذور قمح «إمر» وصفًّا من بذور قمح «ماركويس» . أتتمّ المزاوجة بينهما ؟ هـذا أمر مشكوك فيه ، فقمح « ماركويس» يبكر فى التنوير ، وقمح « إمر » يتأخر فى تنويره ، ولـكن بين فترتى التنوير زمن قصير تجد فيه نوراً فى الضربين جميعاً ، وكان ذلك يوم ٤ يوليو عيد أمريكا القومى .

خرج زملاؤه من الطلبـة إلى نزهة فى الخلاء ، ولـكن مكفدن قبع فى بيته ، فأخذ ملقطاً دقيقاً وأزال به عضوَ الذكر من نوّار قمح « إمر » ، ثم نفض على بقية النوّار لقاحاً من نوّار قمح «ماركويس» ،

ولفّ الرؤوس بورق رقيق ليمنع أى تلقيح لم يصنعه هو بيديه .

وفى الخريف رأى بضع حبوب سقيمة أسفرت عنها المزاوجة التى تمت فى الصيف. وما كان مكفدن يدرى أى سحر من وراثة القمحين قد انطوى فى هذه الحبوب ، ولن يعرف ذلك قبل سنوات من البحث .

ولكن المسألة فى نظره كانت مسألة ملحة . ذلك أن آفة الصدأ فى سنة ١٩١٦ كانت أفدح آفة عرفت ، فقد اجتاحت الضربة منطقة القمح فى الولايات المتحدة ، فأهلكت ما قدر بمئتى مليون بوشل من القمح . ثم انتقلت إلى كندا حيث أبادت قدراً عظيما آخر بلغ مئة مليون بوشل ، وتفاقم عدد الذين أفلسوا من الفلاحين .

وفى ربيع سنة ١٩١٧ بذر مكفدن حفنة الحبوب السقيمة التى جناها فى الخريف السابق ، وجعل يرويها يوماً بعد يوم ، ويتطلع إلى اليوم الذى تنبِّت فيه ، ولكنها أبت أن تنبِّت ، حتى بدا كأنها عقيمة كما قال العلماء . وإذا نبتة واحدة قد أطلت برأسها !

نبتة واحدة ! وعلى هذه النبتة التى أبطلت قول العلماء ، علق مكفدن كلّ رجائه . فنمت ونوّرت وجنى منها مئة حبة سقيمة ، فبذرها فى ربيع سنة ١٩١٨ ، فلما وافى الخريف ، كان مكفدن فى الجيش على ساحل أمريكا الغربى ، فاحتال حتى ظفر بإجازة من أجل جنى محصوله ، ولكنه لم يبين لرؤسائه أن الزراعة لم تتعدّ بضعة صفوف من سوق القمح ، لا يزيد طول أحدها على ١٢ قدماً .

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وعاد إلى عمله فى محطة تجارب تابعة لوزارة الزراعة الأمريكية ، ولكن رجال الكونجرس، جن جنونهم لتوفير المال ، فألغوا ما كان مرصداً منه للبحث العلمى فى سنة ١٩٢٠ فعاد مكفدن أدراجه إلى مزرعته .

وليس ثمة وسيلة تمكنك من أن تستعجل عمل التوليد فى النبات . هذه زراعة بين يديك تختار منها النبات الذى تراهُ مبشراً بالخير وتنبذ البقية ، ولا تكاد تحلُّ مشكلة حتى تعتاقك مشكلة أخرى . وعلى هذا كان القمح الذى ولدهُ مكفدن قمحاً جيِّداً إذا نظرت إلى قدرته على مقاومة الصدأ ، ولكن محاصيله كانت عرضة لداء يصيب الجذور ، وكان دقيقها قاتم اللون يضعف إقبال الناس عليه فى عمل الخبز .

فأخذ مكفدن يعالج هذه المساوىء ، فاتخذ رقعة من الأرض قرب البيت لحضانة النبات ، وأقام معملا للبحث على شرفته واقترض مجهراً ومائدة مطبخ جعلهـ

مقعداً، وخزانة متداعية، وصنع من حقيبة قديمة مستنبتاً لجراثيم الصدأ.

وبهرت أنفاسه الفكرة الجليلة، فكرة قهر الصدأ، فصار يقيم في معمله بعد الظلام مستعيناً بضوء مصباح من الجاز. وبينما كان مستغرقاً في أبحاثه، ساءت حال المزرعة، فقد حرق الزرعَ قحطُ سنة ١٩٣١، ودمّره بَرَدُ سنة ١٩٣٢، وأهلكه الصدأ سنة ١٩٣٣

وقد توقع آفة الصدأ سنة ١٩٣٣ قبل حلولها، فقد التقط على ألواح من الزجاج غطاها بالفزلين، جراثيم الصدأ التي أخذت تقع على حقول القمح. وأنبأ جيرانه بأن وباء الصدأ سيجتاح المنطقة خلال أسبوعين. كانوا قبل ذلك قد ساورتهم الريب في صحة عقله، ولا سيما بعد أن أهمل حقله لكي يعبث بالمجهر على شرفته، أما الآن فقد صار الظنُّ حقيقة لا تقبل الريب.

ولكن لم يكد ينقضي أسبوعان حتى هجم وباء الصدأ، فكان أفظع وباء عرفته المنطقة، ولم يكد يسلم منه حقل واحد في تلك السنة.

لقد انحنى القمح ومال في كل مكان — بما عدا أرض مكفدن. فصفوف القمح التي تولدت من مزاوجة «إمر» و«ماركويس» ظلت قائمة قوية، كأن الوباء قد تخطاها ليصيب كل ما حولها. فهذا ظفرٌ بعض الظفر، ولكن ما قيمته وحسابه في المصرف قد أشفى على النفاد؟



توسّل إلى اللجنة الزراعية في مجلس الولاية أن ترصد له مالا لكي يمضي في تجاربه، فلم تعره التفاتاً، وصدّت عنه المصارف لأن مزرعته كانت مرهونة. فلم يبق له سوى موردين: أن يبيع آنية بيته، أو صكوك التأمين على حياته. فباعها جميعاً ليغامر مغامرته الأخيرة.

بلغ القمح في أرضه في السنة التالية مبلغاً من الجودة جعله جديراً باسم يعرف به، فأطلق عليه اسم «هوب» — أي رجاء — وقد كان اسماً ينطبق على المسمى، لأن هذا القمح لم يكن ينطوي على شيء إلا على شيء من الرجاء، فهو قمح لا تزال به مساوىء كثيرة: محصوله قليلٌ، وحبه خفيف، وكان شديد التأثر بصقيع الربيع — وهذه مشكلة عظيمة في منطقة القمح الشمالية.

بيد أن قمح الرجاء كان شديد المقاومة لآفة صدأ السوق والورق، ولخمسة أمراض عظيمة أخرى تصيب القمح. وكان في حبته ٤٢ صبغيًّا، كحبوب جميع ضروب القمح التي تتخذ للخبز. وهذا يسهل على مولدي النبات أن يزاوجوا بينه وبين الضروب الأخرى، حتى تزيد غلته.

ولو كان همّ مكفدن أن يسعى إلى المجد والشهرة ، لضنّ بقمح الرجاء ، ولكنه أرسل حفنة من حبوبه إلى مولدى النبات فى جميع أقطار الأرض لكى يستعجل البحث والوصول إلى الغاية . وعاد هو إلى وزارة الزراعة فى سنة ١٩٢٩، ولا يزال فيها.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تنشب ، حتى بدأنا نرى فى أسواق القمح ضروباً هى حَفَدة قمح الرجاء ، ومنها ضربٌ يدعى أوستن ، بذرت بذوره فى أرض مساحتها مليون فدان فى ولاية تكساس ، وكانت قبل مكفدن لا تنتج قمحاً لأنها عرضة لوباء الصدأ . واستأثر صنف آخر بجميع أرض القمح فى ولاية كاليفورنيا ، أوكاد . وتقدر المساحة التى زرعت فى الولايات المتحدة وكندا بقمح مولد من حفدة تلك الحبة السقيمة التى جناها مكفدن فى خريف ١٩١٦ ، بنحو ١٥ مليون فدان .

ويشقّ على الباحث أن يقدر نفع قمح الرجاء فى رد الجوع عن ملايين من الناس يجدون اليوم ما يأكلونه ، لأن مكفدن ثابر على الكفاح . أما التقدير المالى فأسهل، يقول أ . ر . إريكسون المتوفر على أنباء المحاصيل : إن حفدة قمح الرجاء أنقذت لفلاحى ثلاث ولايات فى سنة ١٩٤٤ ما قيمته ١٣٥ مليون ريال . وإذا تحفظنا فى التقدير ، كان ما أنقذته للفلاحين فى سنوات الحرب ٤٠٠ مليون ريال .

أما مكفدن نفسه فلم يجن من وراء عمله مليما واحداً ، وهو يعيش فى تكساس معيشة أوساط الناس ، ولا يزال يكافح من أجل قوت إخوانه من البشر .



## صور لفظية

قال ابن الأعرابى : « رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال : إنك لحَتْفُ الكلمة الشَّرود » ... وصف أعرابىٌّ امرأة فقال : « كاد الغزال يكونُها ، لولا ما تمَّ منها ونقص منهُ » ....

« لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغهُ ، وأمل فيك تُحققهُ » ...

ألبست سكينة بنت الحسين ابنة لها دُرّاً كثيراً وقالت : « الله ما ألبستها إيّاه إلا لتفضحه » .

يرى خبراء هيئة أركان الحرب أنه ما من دفاع حربي ضد القنبلة الذرية ، وأن لا رجاء سوى رجاء واحد — وإليك الحقائق التي تروع النفس .

# صورة ترتعد لها الفرائص

جوزيف ستيوارت ألسوب

*مختصرة من مجلة "ذي سترداي إيفننج بوست"*

منذ أشهر اجتمعت طائفة من خيرة خبراء هيئة أركان الحرب الأمريكية وعزمت أن تفحص الموقف الحربيّ في العالم ، وما طرأ عليه من تعديل بعد ظهور القنبلة الذرية . وقد أنجزوا عملهم فخلصوا إلى هذا القرار : « إن الدفاع الوحيد المجدي هو الدفاع السياسي » .

وهذا يعني سيطرةً دولية مجدية على الطاقة الذرية ، وأمناً مشتركا ، وهيئة عالمية تستطيع أن تسوّي جميع المشكلات بوسائل السلم . وليس ثمة دلالة أقوى على الانقلاب الذي طرأ على عصرنا من أن ترى قوّاداً صناعتهم الحرب ، يقولون هذا . ومتى رأيت أقوال العسكريين الكبار ، وأقوال المثاليين المتحمسين لقيام عالم واحد ، قد اتفقت في الجوهر ولم تختلف إلا في الوسيلة ، فخليق بكل امرىء أن يسعى إلى فهم السبب .

فرض العسكريون في بدء بحثهم بضعة فروض بسيطة مفزعة . وأول هذه الفروض إذا أنه لم يوفّق السعيُ السياسيُّ إلى تغيير الاتجاهات السياسية السائدة اليوم ، فلن يطول الزمن قبل أن تظفر الدول الكبيرة جميعاً بالأسلحة الذرية . ويقدّر الخبراء الزمن الذي ينقضي قبل الظفر بهذه الأسلحة بخمس سنوات إلى ثلاثين سنة . وينتظرون خلال ذلك أن تعمد الدول جميعاً إلى إعداد وسائل جديدة خارقة لقذف المقذوفات الذرية ، ومنها صواريخ بعيدة المدى عظيمة السرعة ، فإن إتقانها صار اليوم مستطاعاً ، ومتى أطلقت ووُجِّهت إلى أهدافها النائية بأجهزة كهربية جديدة .

ومتى استعملت هذه الأسلحة الجديدة مجتمعة على نطاق واسع ، كان لها من القدرة المفزعة مثل ما يتوهمه الخيال . والخبراء يضحكهم ما يسمعونه من أن القنبلة الذرية ليست سوى « قنبلة أخرى » وحسب ، بل يصفونها بقولهم إنها شيء « لا عهد للعالم بمثله منذ عرف الإنسان النار » . ويرى الخبراء أن إطلاق عدد من القنابل الذرية دفعة واحدة كافٍ للقضاء على ثلث شعب كبير أو نصفه ، وكافٍ لتدمير أكثر

من ثلث قدرته على الإنتاج أو نصفها .

فلما فرض العسكريون فروضهم، مضوا إلى تقدير الموقف الحربيّ على ضوئها . فأسقطوا بادئ ذى بدء من حسابهم احتمال كشف معجزة علمية جديدة تكفل الدفاع التامّ ضدّ الهجوم الذرّى . نعم قد يمكن أن تُصنع صواريخ مزوّدة بأجهزة تمكننا من أن نبحث فى عرض الفضاء العالى عن الصواريخ المحمَّلة بالموت الزؤام وأن نفجرها ، ومع ذلك فلا مفرّ من أن تقتحم بعض الصواريخ نطاق هذا الدفاع. وثلاث قنابل ذرية تكفى لتدمير أية مدينة مثل وشنطن ، وحسب نيويورك أو لندن عشر منها لكى تحيلها رُكاماً من الأنقاض .

وطبيعة الحرب الذرية نفسها تجعل المزية الكبيرة لمن يضرب الضربة الأولى ، ومع ذلك فدستور الولايات المتحدة يمنع حكومتها من أن تضرب هى الضربة الأولى — أى إنه يتيح فرصة الضربة الأولى لأى عدوّ محتمل . أفهناك من يظنّ أن هذا العدوّ يحجم عن إطلاق جحيمه من عقاله ، حين يشرع الكونجرس فى مناقشة اقتراح إعلان الحرب ؟

ولنفرض أنه لم يسع الدول أن تخضع الطاقة الذرية لسيطرة دولية ، وأن نظام الأمن المشترك قد أخفق، وأن الهيئة العالمية عجزت عن القيام بمهمتها ، فماذا يكون ؟ يرى هؤلاء الخبراء أن يكون الدفاع الأمريكى وفقاً للخطة التالية :

إن قاعدة هذه الخطة هى : « القدرة على مقابلة الهجوم بمثله خير ما يثنى عن الهجوم » وغرضها أن تدمر العدوّ فى الوقت الذى ينزل الدمار بنا — عسى أن يقتنع بأن هجومه لا يجديه شيئاً . وإذن فالدفاع يشمل أداة ضخمة لا تقهر للرد على الهجوم بمثله ، فتتحرك لساعتها حين يجىء الإنذار الأول بهجوم العدو .

ولكى يتمّ ذلك ينبغى أن تنشأ سلسلة عظيمة خاصة من منشآت الصواريخ فى طول البلاد وعرضها ، وأن تكون دفينة فى جوف الأرض ، وتصنع كهوفها من الأبرق ، بحيث تتسع لمجموعة كاملة من آلات الدمار . وفى حجرة العمل الحربى فى هذه الكهوف تجد رجال الصواريخ يتناوبون السهر يوماً بعد يوم . ويحشد فى مستودعات الكهوف مقادير من الصواريخ الذرية وغيرها من ضروب الذخيرة والمؤن ما يكفى عدة أسابيع . فهذه المنشآت ينبغى أن تستكفى بما فيها حتى لا تتأثر بالفوضى التى ربما عمَّت الأمة . وستكون هذه المنشآت متصلة بعضها ببعض بوساطة نظام للمواصلات خاص بها ممدود فى جوف

الأرض . أما مركز السيطرة عليها جميعاً فيكون على عمق عظيم تحت سطح الأرض فى مكان ما بالولايات المتحدة .

وفى مركز المسيطر على الصواريخ ترى اليقظة تامة ، فعلى رجاله تقع تبعة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، لأنه متى دلت ألواح أجهزتهم الكهربيــة على دنو صــواريخ الأعداء ، وجب عليهم أن يصدروا الأمر الذى لا رجوع فيه : « أطلقوا النار » ، فيسرى فى نظام الدفاع كله . وإذن فالساعة التى تنهمر فيها شآبيب الهلاك والدمار على الأمة، تنهمر فيها أيضاً شآبيب الموت والدمار على أمة العدو مهما كانت نائية . ويستمر التقاذف بالصواريخ الذرية ، حتى تستنفد إحدى الأمتين مخزونها من السلاح الذرى أو تستسلم .

وفى إثر الصواريخ يعمد العدو إلى إرسال جيش محمول فى الطائرات ، لكى يستغل ضعفنا فى ساعة الذعر ، فيدمر منشآت صواريخنا أو يستولى عليها ، ويكتب كلمة « الختام » على حركة مقاومتنا . وإذن فلا بدّ لنــا من جيش مقاتل حسن الدربة ، ندّخره للدفاع وللهجوم ، فنرســل فى إثر صواريخنا جيشاً محمولا فى الطائرات لينجز مهمة كمهمة جيش العــدوّ . وإذا ظلت هناك وسيلة للمخاطبات العامة بعــد هذا الهجوم ، فربما سمع الأحياء من الأمريكيين بياناً حربياً كالبيان الآتى :

« إن قوة العدو التى نزلت عند منعطف نهر أوهيو ، وغرضها أن تضرب جنوباً إلى منطقة كهف مموث ، قــد ردّت على أعقابها . وهى مستندة إلى خرائب مدينة سنسناتى ، وقد قطعت على العدو سبيل التقهقر لأن الإشعاع فى منطقة سنسناتى يبلغ من القوة مبلغاً يكفل إصابة كل جندى يلجأ إلى خرائبهـا » . ( وذكر كهف مموث ليس من صور الخيال ، فمجلس الذخائر يجرى بحثاً لاستكشاف الكهوف التى تصلح لهذا الغرض ) .

بيد أن التوسل بوسائل أخرى أشــدّ شدّة أمرٌ لا مفرّ منه . فقدرتنا على مقابلة الهجوم بمثــله تحتاج إلى تأييد حلفاء مزوّدين بوســائل الرد على الهجوم بمثله ومتأهبين له ، لأن القدرة على مقابلة الهجوم بمثله ينبغى أن تكون موزعة فى أوسع نطاق. وإذن فينبغى للولايات المتحدة التى جرت على الابتعاد عن المحالفات ، أن تجمع من حولها أتباعا يفرض عليهم أن يقبلوا المقاتلة متى كان أحدهم هدف الاعتداء الأول . فسياسة القوة العارية العارمة تكون يومئذ المبدأ الذى يسود النظام الدولى .

وينبغى أن يحدث تعديل كبير فى حياة

الأمة ، فلا بدّ من التأهب لمواجهة الكارثة تأهباً يشمل قارة بأسرها . وينبغى لكل رجل وامرأة من أبناء الأمة أن يكون متأهباً ليوم تصبح فيه المدن أنقاضاً مشعة ، وتتعطل أسباب المواصلات على سطح الأرض، ويوم نضطر لدفن عشرات الملايين من الجثث والعناية بالملايين من المصابين — يوم يغدو نصف الأمة بغير ضوء أو دفء أو ماء أو غيرها من ضرورات الحياة .

فإذا شاع الذعر فقد حانت النهاية ، لأن قوات الدفاع تعجز عن قهر الجيش الذى جاء محمولا بالطائرات . ويومئذ لابد من فرض التعبئة العامة الإجبارية على الرجال والنساء. وينبغى أن يدرب الناس على العمل جماعات جماعات فيعلمون أصول النظام وأساليب كفاح الكارثة ، فكلُّ امرىء عليه أن يتعلم واجبات يوم الفصل .

ولا بدّ من تعديل نظام الحياة فى المدن فيوزع الناس ومراكز الصناعة فى مدن وقرى جديدة — فتكون صفوفاً ضيقة طويلة، أو تكون مؤلفة من وحدات للإنتاج بينها مسافات واسعة، وتصل بينها طرق عظيمة ، فهذا أجدى فى خفض معدّل القتلى يوم الهجوم الضخم إلى عشرين فى المئة وحسب، ويصون شطراً من القدرة على الإنتاج يكفل لنا مقادير لا بأس بها من مواد الحرب .

وينبغى أن يتوسل بأقوى الوسائل وأشدها لمنع التخريب فى دور الصناعة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن تفسر بعض مواد الدستور تفسيراً جديداً ، حتى تتاح السلطة اللازمة لإنفاذ هذه الوسائل .

وبقاء حكومة تستطيع القيام على شئون الدولة ، ليس بالمسألة الهينة . فالقضاء على الحكومة، الذى يفضى إلى سريان الشلل فى الأمة ، سيكون بين الأهداف الأولى التى يتوخاها العدوّ . وعلى أن توزيع مراكز الصناعة مستطاع ، تجد الخيال مقصراً عن إدراك الوسيلة لتوزيع مكاتب الحكومة . فعلينا أن نؤلف حكومة يدرَّب رجالها على مواجهة الطوارىء ، ونخبؤها فى كهف حتى نلجأ إليها عند مسيس الحاجة .

وخلاصة القول هو أن الدفاع الحربىّ يقتضى من كل امرىء شيئاً أكثر من التضحية الخاصة، فهو يقتضى التضحية بالمبادىء التى هى سَدَى المجتمع ولحمته . وليس فى وسع أمة ديمقراطية حقة أن تحتفظ بآلة حربية ضخمة دائمة اليقظة مدى سنين أو عشرات السنين ، ولا تستطيع أمة ديمقراطية حقة أن تسلم إلى رجل واحد، هو مراقب الصواريخ ، هذه التبعات الكبار التى لا بدّ من إلقائها على كاهله . ولا تستطيع الأمة الديمقراطية الحقة ، أن

نبنى علاقاتها الدولية على نظام طاغ من المحالفات العسكرية ، ولا أن تنفذ النظام العسكرى فى شعبها كله ، أو تلغى حقوقهم الفردية وتعرّضهم للتفتيش والمصادرة ، ولا أن تفرض بالقوة أن تمزق أوصال مدنها لكى تكون منشورة فى طول البلاد وعرضها .

إن ما سبق يمثل لك صورة ما ينبغى أن يتم فى حياة الناس ، إذا أخفق الدفاع السياسى . وقد يشق تصديقه فى قوم أصابوا الغنى والرخاء ، ولكنّ هذه الصورة ليست وهماً من أوهام الخيال ، بل هى قائمة على رأى خبراء تدرّبوا أحسن تدريب ، واطلعوا أوفى اطلاع ، وفكروا أصدق تفكير .

ولن تجد بديلاً صالحاً من الدفاع السياسى ، هذا هو الرأى الجرىء الذى خلص إليه خبراء هيئة أركان الحرب .

فإذا أدرك الناس مغزى هذا الرأى ، فلا مفرّ من أن يُلحّوا أقوى إلحاح على جعل السيطرة على الطاقة الذرية سيطرة دولية يحوطها ضمان كاف ، وعلى جعل هيئة الأمم المتحدة هيئة عالمية مجدية ، تستطيع أن تسوى مشكلات العالم بأساليب السلام . وينبغى ألا يصرفهم عن هذه الأغراض تعقيد المشكلات أو شدة المقاومة ، أو ما فى طبيعة البشر أنفسهم من ضعف .



تعريف : السيّدة الكريمة هى التى تيسّر للرجل أن يكون سيّداً كريماً . [ ولتر ونشل ]

## صفحات العرب

* مرّ عمر بن الخطّاب ببناء يبنى بحجارة وجصّ فقال : « لمن هذا ؟ » فذكروا عاملا لهُ على البحرين فقال : « أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها » ، وشاطره مالهُ .

* ضرب الحجّاج أعناق أُسارى أتى بهم . فقال رجل منهم : « والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى المكافأة » ، فقال الحجاج : « أفٍّ لهذه الجيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! » وكفّ عن القتل .

باب يحرره ألون ديڤو

# أصدق صديق للإنسان

توجد الكلاب حيث يوجد البشر ، وحيث تجد الكلاب تسمع غرائب القصص عن أخلاقها وأفعالها — من قصص تدل على الشجاعة ، وقصص تبعث على الضحك ، وأخرى تبلغ منك العجب ، وكلها مما يدعو المرء إلى التفكير والتعجب .

كنت على وشك أن أدخل دكان جزّار ، فلمحت كلباً ضخماً من كلاب الصيد قائماً عند المدخل ، فرماني ببصره وهزّ ذَيْله ، ثم نظر إلى الباب ، ففهمتُ ما أراد وفتحتُ له البابَ ، فعدا إلى الجزّار ، فنظر إليه وابتسم ، وقال له : «مرحباً ، خذ هذه» فتلقى الكلب عظمة كبيرة وبصبص له بذنبه شكراً ، وعدا خارجاً .

وبعد دقائق سمعت نباحاً خافتاً ، وإذا به إلى جواري مرةً أخرى ، وتلقى العظمة التي ألقيت إليه ومضى من حيث أتى . فضحك الجزار ملء شدقيه ، ثم قال لي : « أرأيت إلى هذا الكلب فإنه يأوي إلى حظيرة الفندق هو وصديقٌ له من الكلاب ، وكلاهما قد جاوز العاشرة من عمره . وكان من عادتهما أن يخرجا إلى الصيد معاً ، وكانا يأتيان إليّ معاً ليصيبا شيئاً من العظام . وفي السنة الماضية صدمت الكلب الآخر سيارة ، فصار أعمى أعرج عاجزاً عن التجوال والحركة . فمن أجل ذلك يأتي هذا الكلب صبيحة كل يوم ليأخذ عظمة لصديقه ، ثم يعود ليأخذ أخرى لنفسه . [ بيرز ماروني ]

كان لدينا كلب من كلاب المرعى ، وقد ضاق ذرعاً بكلب آخر صغير من كلاب جيراننا ، كان لا يدع له عظمة مخبوءةً إلا فحص عنها واستخرجها وذهب بها . وكان هذا الكلب الصغير يقف له بالمرصاد ، فإذا خبأ كلبنا عظمته عن العيون ، فلا تكاد تنقضي خمس دقائق حتى يسرع إليها الصغير فيخرجها من مخبئها .

ثم مضت الأيام فرأيت كلبنا يحمل عظمتين ويمضي بهما إلى مكانٍ في الحديقة ، فيحفر حفرة واسعة عميقة ويدسُّ فيها العظمة الكبيرة ثم يهيل عليها التراب برفق وعناية ، ثم يضع العظمة الصغيرة من

فوقها ويغطيها بغطاء خفيف من التراب .
ولم تمض دقائق حتى أقبل الكلب الصغير على عادته مسرعاً إلى الحفرة الحديثة العهد ، وجعل ينبش جاهداً ثم انطلق يعدو عدو المنصور بما وجد — بالعظمة الصغيرة .
وبقى كلبنا سا كناً مقعياً رخىّ البال ، ينظر إلى الصغير المحتال . وحقّ له أن يهدأ فإن خدعته قد انطلت على الصغير ، ونجح نجاحاً باهراً . [الويز مينور]

كانت عندنا كلبةٌ من آلفات البيوت ، فبذلنا جهدنا لتتولى الحراسة ، فلم نوفق. فكان من عادة أبى إذا دخل الصيف أن يرسلها فى مساء كل يوم لكى تحرس بيت الدجاج حتى يتنفس الصبح . فإذا استيقظ أبى مع الصبح رآها حيث تركها ، وهى مقرورة ترتعد من شدة البرد ، فأحطناها بأعظم العطف والرعاية جزاءً لما تلقى من العناءِ والمشقة .

ومضى الصيف وجاء شهر سبتمبر وإذا جارٌ لنا يحدثنا عن العادات الغريبة التى بدت من كلبتنا هذه ، فكان من دأبها طول أيام الصيف أن تيمم شطر داره إذا انتصف الليل ، وتطرق الباب تطلب الدخول ، فتظل عنده راضية مطمئنة إلى أن تكون الساعة الخامسة صباحاً ، وعندئذ تسرع خارجة عائدة أدراجها إلى الحظيرة .
[ جان جولسون ]

كان عندنا فى مزرعة أبى كلبان يحبان الخروج إلى الصيد ، فإن لم يجدا من يخرج معهما إلى الصيد خرجا إليه وحدهما .
وفى ليلة من ليالى الخريف انطلقا كعادتهما إلى الغابات ، وبزغت شمس اليوم التالى ولما يعودا . فلما أقبل الليل جاء أحدهما وهو يتهالك من التعب والجوع . فأكل حتى امتلأ ، ثم انطلق عائداً إلى الغابات ولم يبالِ بنا حين جعلنا نناديه ليرجع. ولم تمض ساعةَ حتى جاء الكلب الآخر ففعل كما فعل صاحبه من قبل ، وأكل حتى تضلّع ، ثم انقلب عَجِلاً إلى الغابات .
وظلا فى غيبتهما هذه طول الليل وطول اليوم التالى كله ، فلما دنا الليل جاءَ أحدهما يلتمس بعض القوت ، وما كادَ حتى انطلق عائداً دون أن يصيب شيئاً من الراحة . ثم جاء الآخر بعد قليل وفعل كما فعل صاحبه . فلما أصبحنا خرجت أنا وأخى نفتش عنهما حتى وجدناهما. فقد وقعا على صيدٍ من حيوان البر فاعتصم منهما برأس شجرةٍ ، وأعجزهما أن يصلا إليه وثباً ، فضربا عليه الحصار ، وجعلا يتناوبان مراقبته حتى يستسلم . [أوليفر برى مدجر]

# فتح الأدغال وصيرها عمرانا



توم هام

> إن إيمان أندراد بالأرض والناس والحرية وعبقريته العملية ، جلبا رخاء مدهشاً إلى أدغال البرازيل

نفر قليل من الناس صليباً من غرس الخشب فى التربة الخصبة الحمراء فى رقعة مكشوفة من أدغال البرازيل الرحيبة ، ثم وقفوا خاشعين يدعون الله أن يبارك فى الحلة التى يوشك أن تؤسس . ولما كان المشروع هو حلم رجل اسمه أنطونيو مورا أندراد ، فقد أطلق على المكان اسم أندرادينا .

منذ ثمانى سنوات كانت تلك البقاع الواقعة فى قلب ولاية سان باولو الغنية ، بحراً من خضرة مطردة موحشة ، ولم يكن فى دائرة نصف قطرها ستون ميلا حول الصليب الجديد المغروس إلا أقل من ألف نفس ، وكانت السكة الحديدية البرازيلية الشمالية الغربية تخترق الأدغال الخضر دون توقف . وإذا أنتج أحد من الرواد المبعثرين من المحصولات فوق حاجته ، فقد كان من غير المحتمل أن يحاول إرساله إلى السوق .

واليوم تقوم مدينة عدة أهلها نحو عشرة آلاف حيث وضع الصليب فى عام ١٩٣٨ ، وفى هذه الدائرة التى نصف قطرها ستون ميلا يوجد الآن أكثر من مئة ألف نفس ، وهناك ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية ، وتخرج الأرض الخصبة التى استنقذت من الأدغال ، الأرز والبن والبرتقال والقصب والحنطة والقطن والخضر .

وهناك مستشفيان حديثان ، ومسرح للصور المتحركة ، وكنائس من مذاهب شتى ، ومدارس ، وستة مصارف ، وجريدة ، و٣٢ فندقاً ونزلا ، ومكتبة وافية ، ومطار ، وناد للطيران فيه أربعمئة عضو ، وشبكة من طرق السيارات ، وجماعة من أصحاب المزارع الصغيرة لاشك أنهم أسعد أمثالهم فى أمريكا اللاتينية وأكثرهم رخاء .

وكل هذا صنعه أنطونيو مورا أندراد .

وكانت بصيرته هى التى تمثلت هذه الصورة الجريئة ، وروحه المثاليـة العملية هى التى صاغتهـا ، وماله هو الذى أمدّها . وهو مشروع خاص وضـع بحيث يؤتى ربحاً ، ولـكنه أيضاً أكبر من هذا ، فإنه تعبير من أندراد عن إيمانه بالأرض وبالناس وبالحرية.

وأنطونيو مورا أندراد أحد أبنـــاء البرازيل العصاميين . وقد بدأ بالعمل لتاجر سورى ، وهو فى الثانية عشرة ، وله الآن ثروة عظيمة قوامها الأرض والبن والماشية، ثم عبقريته فى التنظيم . وهو يملك ست عشرة ضيعة كبيرة ، ويعرف تفاصيل العمل فى كل واحدة منها .

وكان إيمانه الراسخ بالأرض هو الذى حمله على شراء رقعة واسعة فى الأدغال فى ١٩٢٨ ، بنحو ريال للفدان ، وكشف مساحات كبيرة منها وزرعها كلأ ، والماشية تربو على مثل هذا المرعى . وأرض أندراد تطعم من الماشـية فى كل ميل مربع سبعة أمثال ما تطعمه السهوب الطبيعية فى ولاية ماتوجروسو المجاورة . وقد أثرى أندراد ولـكنه لا تزال توجد رقعة هائلة من الأدغال لم يستطع أن يستغلها لقلة الأيدى العاملة .

وهـذه هى المعضلة الـكبرى فى أمريكا اللاتينية كلها ، فإن المدن مزدحمة — ٨٥ فى المئة من أهل أمريكا الجنوبية يعيشون على الساحل وإلى مسافة مئة ميل من البحر، أما المنطقة الداخلية فمترامية وخاوية .

وكانت لأندراد أرض غنية طيبة ، وفى أهل سان باولو نشاط ، وهم من خير الرواد، ولـكن الرائد خليق أن يموت جوعاً قبل أن يستطيع أن يستنقذ من الأدغال ما يكفى لإخراج محصول لطعامه ، فإنه يحتـاج إلى مال يعيشُ منه وهو يجاهد ليكسب المعركة التى تقوم بينه وبين الطبيعة .

ويقول أندراد : « إن الشيوعية تتفشى فى البرازيل ، ولا أحد يعنى بأن يضع شيئاً لعلاج ذلك، سوى أن يقترح اعتناق مذهب الفاشية لضدّها . وهـذا شبيه بأن تسقى المريض سماً لتشفيه من السرطان . فإن رجالنا حين استغلوا أموالهم فى مشروعات غير مثمرة — مثـل ناطحات السـحاب الـكثيرة — وتركوا سواد الناس يعيشون عيشة زريّـة فى المدن الـكبيرة ، وتركوا الأرض فى هـذه البلاد الزراعية خاوية ،

---

قام دزموند هولدريدج برحلات كثـيرة إلى أمريكا اللاتينية فى السنوات الخمس عشرة الماضية وكان فى الأغلب يذهب عضـواً فى بعثات علمية أو تعليمية . ووضع أربعة كتب ، وعدة مقالات عن مشاهـداته فى أقطارها . وهـذه المقالة إحدى المقالات الأخيرة التى أتمها قبل وفاته فى حادث سيارة .

صارت للشيوعية جذور بطبيعة الحال. أما النظرية التي يقوم عليها مشروع أندرادينا فهي أن الذين يملكون أرضهم يكونون أكثر إنتاجاً من العبيد في ضيعة كبيرة صاحبها بعيد عنها، أو في ضيعة شيوعية جامعة. وصغار الزراع الذين يعيشون في خفض وخصب، يكونون في أمان من الشيوعية، لأن « البيئة » التي تتوالد فيها الجرثومة قد نزعت من حياتهم » .

وكانت فكرته أن يقسم الأرض إلى قطع تتراوح بين خمسين فداناً ومئة فدان، وأن يعرضها للبيع بشروط يستطيع أي إنسان أن يتحملها، فإذا عجز رجل عن دفع الثمن نقداً، فإنه يستطيع على كل حال أن يمتلك المزرعة بمجرد وعد منه بأداء الثمن. ذلك أن إيمان أندراد بالناس عظيم، حتى لقد كان يزيد على ذلك فيقرض الزراع من ماله بفوائد معقولة ليشتروا البذور والآلات والطعام والكساء، ريثما يخرج أول محصول. وكان هناك شرطان: أن يكون الطالب من أهل الكد والجد، وأن لا يكون ألمانيا أو إيطاليا أو يابانياً.

وأقبل الناس من نواح أخرى من سان باولو على أندرادينا، فههنا أرض تستطيع أن تقف فيها معتدل القامة، وتظفر فيها بكدحك بالحياة والحرية لنفسك ولأسرتك، ولا أثر هناك للنظام الإقطاعي المألوف. فإنك تملك الأرض حقاً، ولديك وسائل كثيرة لسداد الدين الهين الذي تستدينه في بداية العمل.

وكان هناك أكثر من ألف أسرة في الموجة الأولى من الوافدين، فمدوا الخيش المشمع بين الأشجار، وضربت الخيام. وبنيت أكواخ ساذجة لتكون مأوى في أثناء كشف الأرض. وكشف مثل هذه الأدغال من أشق الأعمال التي يعالجها الإنسان، والعضلات المكدودة تعمل بالفأس في الشمس المحرقة والمطر المنهمر، ولا بد من نشر جذوع الأشجار الضخمة وتقطيعها لتتخذ منها المساكن، ويجب إحراق الأعشاب. فهو ليس بالعمل الذي يطيب للإنسان أن يقوم به بأجر يومي، ولابد للنفاذ فيه من حافز يحركه. ومرت الأيام فبدأت طلائع بيوت المستقبل تبنى وتحل محل الأكواخ المؤقتة، وزرعت المحصولات الأولى، ووجد بعض النزلاء أن من الخير لهم أن يقوموا بخدمة غيرهم لقاء معونة هؤلاء في كشف أرضهم. وهكذا يصنع رجل آجرًا لبناء البيوت، فيكون هذا نواة لمصنع آخر. أو ينشر رجلان ألواح الخشب من جذوع الأشجار، لأن كل إنسان يحتاج إلى أثاث وأرضية.

وبدأ أصـدقاء المسـتعمرين الأوائل وأقرباؤهم ينزلون فى القطار عنـد محطة أندرادينا الجديدة ، وأقبل الباعة المتجولون وأقاموا ليفتحوا دكاكين دائمة ، وجاء القساوسة ، ثم جاء الأطباء وكانوا قليلين ، لأن المناخ جيد والأمراض قليلة.

وكان من الطبيعى أن يُتسامح فى شرط الكدح الشديد بعـد أن بدأ أهل المدن يفدون . مثال ذلك الخياط الأول ، وكان شيوعياً إسبانياً تورط فى شغب سـياسى بسان باولو. فطلبته الشرطة ففر إلى أندرادينا ، وتحادث أندراد والأسبانى طويلا ، وبحثا المسألة الجوهرية بحثاً مستفيضاً ، وهى هل يطلب هذا الخياط العمل جاداً فى طلبه ؟ أما كونه أجنبياً وشيوعياً وشريداً سياسياً فأمر لم تكن له قيمة. وأخيراً قال أندراد : «حسن ، سأصحبك لتختار قطعة من الأرض ، وسأمدك بالمال وأنت تكشفها وتسرع فى زرعها ، وسـيكون العمل شاقا ، ولكنا محتاجون إلى خياط ، وبعد أن ينتظم عملك تستطيع أن تفتح دكاناً هنـا فى المدينة » .

واليوم ترى هـذا الخياط الأول فى أندرادينا ( فقد جاء غيره ) يقسم وقته بين خياطة الثياب وتعهـد شجيرات البن فى مزرعته البديعـة ، ويربح من العملين .

وهو الآن لا ترضى عنه الشيوعية ، ولو رآه أى متعصب للديمقراطية لوصفه بأنه ديمقراطى.

ويقول أندارد بخبث : « إنى أزلت البيئة التى كانت تعيش فيها جرثومة الشيوعيـة وتتوالد ، فماتت » .

وقد أفردت منطقة من الأدغال بعناية « المنطقة الصناعية » ، وبعد بضع سنوات قامت مضارب الأرز ، والمطاحن ، ومصانع الآجر ، وغـيرها مما هو أصغر ، وراحت تعمل بجـد على جانب سككها الحديدية . ونمت « المنطقة التجارية » من بضعة دكاكين صغيرة إلى عدد من الشوارع الواسعة الحافلة بالمتاجر الشبيهة فى كل وجه بأمثالها فى أى بلد كبير فى مثل حجمها .

والمنـازل جميلة المظهر ومريحة ، وهى جميعاً مدهونة ولهـا سقوف من القرميد ، وفيها الكهرباء ، وكله ملك لسكانها . ولم يرحل إلا أقل من اثنين فى المئة ممن أخذوا أرضاً ، أما الوافدون فهى ازدياد ، وقامت تسع قرى يتراوح سـكانها بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ نسمة .

ويزرع المستعمرون ٥٠٠,٠٠٠ فدان ارتفع ثمن الواحد منها إلى عشرين ريالا بدلا من ريال واحد ، وهو ما اشتراها به أندراد. وقد وفّى نحو سـتين فى المئة من السكان ديونهم كلها ، وهم فى الأغلب فى دعة ورخاء ،

ويشترون بالنقد حاجاتهم من التجار ، وإذا احتاجوا إلى مال ذهبوا إلى مصرف من المصارف الستة ، وأخذوا القروض بالشروط المصرفية العادية ، ثم يشترون ما يشاءون حيث يشاءون . وبهذا استئصلت شأفة نظام الاقتراض الذى يجعل صغار الزراع فى كثير من البلاد غارقين فى الدين الى الأبد .

ومن أكبر الأسباب فى خواء الأرض الواقعة فى قلب أمريكا الجنوبية ، وجود أملاك كبيرة أصحابها بعيدون عنها ، يضاف إلى ذلك سوء العلاقة بين الزراع والملاك . فحيث تسهل وسائل النقل ، فإن النظام المتبع فى أندرادينا يبشر بتعمير مساحات كبيرة من الأرض .

ويقول لك أندراد : « إن تنفيذ مثل هذا المشروع يورث المرء صداعاً شديداً ، ولكنك متى قمت به مرة ، فإنك تزداد افتتاناً به ، فتروح تفكر فى القيام به مرة أخرى . ومن الممكن أن توجد مدن كثيرة على غرار أندرادينا » .



## آيات القلب المهذب

كان الليل قد أقبل ، وكانت عربة الترام مزدحمة بالمتعبين من عمال المصانع وذوى الحاجات عائدين من السوق ، حين وقفت أمام مستشفى لرجال البحرية فصعد إليها بحار يمشى على عكازين ، وكانت إحدى قدميه فى قالب من الجبس . ووقف ولم يقدم له أحد الناس مقعداً ليقعد ، وإذا سيدة من العاملات قد وقفت وعرضت عليه أن يأخذ مقعدها ، فتردّد فى القبول ولكنها قالت إنها ستنزل فى المحطة التالية ، فشكر لها صنيعها وجلس . ونزلت السيدة فى المحطة التالية ، فتبعتها ، وفعلت ما توقعت أن تفعل : ركبت مركبة الترام التالية — وكانت مزدحمة ووقفت فيها — حتى وصلت إلى بيتها .

قتل زوجها فى الحرب قبل موعد ولادتها بشهر ، ولما كانت قليلة ذات اليد فقد اضطرت أن تشارك عدة نسوة حجرة واحدة فى مستشفى الولادة . فلما وافى يوم خروجها من المستشفى جاءها الطبيب ليودعها فسلمته شيكا بقيمة أتعابه فشكرها وأعطاها وصلاً ، ولكنها وجدت حين ذهبت إلى مكتب المستشفى لتوفى حسابها ، أن الطبيب قد سدّده من مبلغ الأتعاب الذى أخذه منها .

مشكلة ازدحام خطوط الجو بالطائرات ،
وكيف تحلها الأجهزة الكهربية العجيبة ؟



# هل ضاق الهواء ؟

ولفجانج لانجويشه
مختصرة من مجلة "هاربرز"

أنت تعلم ولاريب أن خطوط الطيران تزداد ضبطاً سنة بعد سنة ، فإذا ما اشتريت تذكرة للسفر بالطائرة ، قام فى نفسك أن تنطلق الطائرة فى الموعد المضروب ، وأن تصل إلى غايتها فى الموعد المضروب ، وأن تعود فى الموعد المضروب .

ولكنك على خطأ فما ترى ، فهى لا تزداد ضبطاً بل تزداد أمناً سنة بعد سنة ، وقد قلت حوادثها قلة عظيمة حتى ليسعك أن تطرح خطرها من فكرك . ولكن الاعتماد على ضبط مواعيدها صار أقل ، فأنت خليق أن تتأخر عن مكتبك إذا اعتمدت على ميعاد وصول الطائرة من رحلة رحلتها إلى مدينة أخرى . فخطوط الطيران تزيد الطائرات التى تسيرها زيادة مطردة ، وتكثر مواعيد قيامها ورجوعها ، فصارت مشكلة « الحركة فى الجو » ، ولاسيما حول المدن الكبيرة معقدة أشد تعقيد ، وهى تزداد تعقيداً فى الأشهر التى تسوء فيها حالة الجو

بيد أن حالة الجو ليست سرّ المشكلة . فالانتفاع بالراديو والأجهزة الحديثة والاعتماد على طائرات لها أربعة محركات ، والوسائل التى تمنع تكوّن الجمد على الطائرات ، جعلت الطيران على مدار السنة أمراً مستطاعاً ، مهما تكن حالة الجو ، ولكن حالة الجو تجرّ فى أثرها مشكلات السيطرة على حركة مرور الطائرات وتوجيهها .

حين تطير طائرة فى جو غائم لا يرى فيه قائدها ماحوله ، تقع تبعة توجيهها وتجنيبها الاصطدام ، على هيئة من هيئات الحكومة — هيئة ضبط الحركة فى الجو ، فتعين لكل طائرة مساراً محدوداً فى الفضاء فى وقت معين ، فلا يحق لطائرة ما فى بعض المناطق أن تدخل الجو الغائم ، أو الذى يغشاه

✽ طيار بحاثة ، ومؤلف « الطيران بالطائرة الخفيفة » و « عصا القيادة ودفة الطائرة » وغيرها

الدخان الكثيف ، بغير أن تنال الإذن بالراديو من هيئة ضبط الحركة .

وهذا نظام مجيد ، ولست تجد فى تاريخه ذكر اصطدام واحد بين طائرات تهتدى بهديه فى الجو المطبق ، ولكنه نظام لا يجدى إلا إذا طبق على بضع طائرات فى وقت ما ، فإذا ساءت حالة الجو ، عجز هذا النظام عن إرشاد جميع الطائرات المذكورة فى جدول القيام والهبوط . وقد تكون حجزت مقعداً فى إحداها فتلقى رحلتها قد ألغيت .

وقد حدث ذات يوم فى الشتاء الماضى ، أن كان السحاب قريباً من سفح الأرض فى نيويورك ولكن الجو كان صافياً فى بوسطن ، وكان من السهل على الطيار أن يحلق من أرض مطار نيويورك ، معتمداً على الأجهزة دون رأى العين ، ثم يستوى فى الجو وينطلق إلى بوسطن . ولكن هيئة ضبط الحركة ألغت فى ذلك اليوم رحلة ١٨ طائرة إلى بوسطن ، لأنها لم تجد وسيلة مأمونة تمكنها من توجيه مسير هذه الطائرات بين الطائرات المقبلة على نيويورك .

ومما تضيق به صدور رجال الطيران أن تقيد الطائرات هذا التقييد ، مع أن فضاء الجو رحب لا يكاد يحد حتى يستحيل أن يزدحم بالطائرات كما يزدحم شارع فى مدينة بالسيارات . ومادام الجو صافياً ترى فيه وترى ، ففى وسعك أن تطير فى خط مستقيم على أى ارتفاع تريد ، وتستطيع أيضاً أن تحيد خمسة أميال أو عشرة أميال عن طريقك المرسوم بغير أن يزداد طول رحلتك شيئاً مذكوراً ، ففى الجو الصافى يتسع الفضاء لعشرة آلاف طريق بين مدينة وأخرى .

ولكن إذا ساءت حالة الجو قلّ هذا العدد حتى لا يزيد على بضعة طرق رئيسية ، هى طرق الجو العامة المزودة بأشعة الراديو وبالمطارات اللازمة للطوارىء ، وغير ذلك من وسائل الملاحة الجوية . وتسيير الطائرات على هذه الطرق عمل شاق معقد .

خذ هذا المثل للطيران فى جو مطبق . فارتفاع السحاب فى منطقة نيويورك يبلغ ٨٠٠ قدم ، وفى منطقة كليفلاند يبلغ ٧٠٠ قدم ، والسحاب يغطى قمم الجبال بينهما . فالطيران فى السحاب يقتضى منك أن تهتدى بهدى شعاع الراديو ، وليس بين المدينتين سوى ثلاثة طرق مزودة بهذه الأشعة . أرأيت كيف صارت العشرة آلاف طريق بين المدينتين ، ثلاثة طرق وحسب ؟

يقضى القانون فى مثل هذه الحالة أن يكون الفرق بين ارتفاع طائرة وطائرة ألف قدم ، اتقاء لخطر الاصطدام . فإذا جئت طائراً من مدينة على ارتفاع ٤٠٠٠ قدم . وهو أقل ارتفاع يمكنك من الطيران فوق

الجبال التى فى طريقك وجب أن تكون الطائرة الآتية إليها على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم ، والطائرة التى تليك على ٦٠٠٠ قدم ، والطائرة الأخرى المتوجهة إليها ، على ٧٠٠٠ قدم . ولكن افرض أن السحاب على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم أخذ يحدث جمداً على الطائرات ، فماذا يكون من أمرها ؟ بعض الطائرات الحديثة تستطيع أن تحلق فى الفضاء وتطير فى ضياء الشمس فوق أطباق السحاب . ولكن الطائرة من أوساط الطائرات لا تستطيع أن تفعل — وإذن فتنحصر حركة الطائرات بين المدينتين فى ثلاث طرق ، ارتفاعها على التوالى ٤٠٠٠ قدم و ٥٠٠٠ قدم و ٦٠٠٠ قدم .

وهذه الطرق الثلاث نفسها لا يمكن أن تجعل طريقاً لأفواج متلاحقة من الطائرات ، بل ينبغى أن يكون بين السابقة واللاحقة عشر دقائق أو نحو ٢٥ ميلا . وهذا يبين لك ، لماذا تركب الطائرة أحياناً فتمضى بك إلى رأس المدرج ، ثم تقف هناك متأهبة للطيران ، نصف ساعة أو نحوه ، ذلك أن قائدها ينتظر إشارة من إدارة الحركة ، بتعيين مكان له فى خط السير .

وكيف تضبط حركة الطائرات ؟ يتصل قائد الطائرة بالتلفون بمدير « ضبط الحركة » فيذكر له الموعد الذى يرغب أن يقوم فيه ومعدّل سرعته ، وارتفاع طائرته فى أثناء الرحلة ، وحقائق أخرى من هذا القبيل ، ثم يأخذ ركابه ويمضى بالطائرة إلى المدرج متأهباً للقيام ، أما مدير الحركة ومعاونوه فتراهم فى حجرتهم وحولهم أجهزة نقل الأنباء السريعة ، وأمامهم خريطة تمثل « الطرق العامة » ومحطات الراديو القائمة فى مدن على طول الطريق . وتكتب بطاقات صغيرة تسجل فيها اسم كل طائرة وارتفاعها والوقت المقدّر لمرورها فوق كل محطة من هذه المحطات . فعين المدير المدربة تستطيع أن ترى ما تكون عليه حركة الطائرات بعد ساعة أو ساعتين ، فيبذل وسعه لكى يعيّن لطائرتك مكانها فى هذه الصورة . وقد يفعل ذلك فوراً ، وقد يؤخرك نصف ساعة ، وربما استحال ذلك فتلغى رحلتك .

فإذا استوت طائرتك فى الجو ومضت فى طريقها سمع القائد أصواتاً خاصة فى سماعة الراديو على أذنيه تنبئه أنه صار فوق مدينة بعينها ، فينادى بالراديو محطة الراديو فى تلك المدينة ، فيذكر لها رقم طائرته ، ودقيقة مروره فوق المحطة ، وارتفاع طائرته ، فتعمد محطة الراديو إلى جهاز نقل الأنباء السريعة فتحمله هذا النبأ إلى مكتب مدير الحركة ، فيعلم المدير أنه قد انفسح مكان لطائرة تالية لم تزل تنتظر ، فيأمرها عندئذ بالقيام .

وكل قائد طائرة محلّقة فى جو مطبق

يتلمس طريقه تلمساً على مسار الراديو ، فهو أعمى لا يرى شيئاً سوى حاجز الهواء أمامه، والسحاب الأبيض الذى يحتويه ، وقد يجيئه الأمر بالراديو : ارتفع بطائرتك تواً إلى ٦٠٠٠ قدم ، وبلّغنا ساعة تتجاوز ٥٠٠٠ قدم ،وهو لا يعرف لِمَ صدر إليه هذا الأمر، فالأمر يصدر من مكتب مدير الحركة ، ولكن القائد يعلم أن الطريق الذى ارتفاعه ٥٠٠٠ قدم محجوز للطائرات الطائرة شرقاً ، وأن مدير الحركة يأمره بالارتفاع لكى يخلى مكاناً لطائرة مقبلة إلى الشرق .

وحين تشرف طائرتك على غايتها تكون الطرق المفضية إلى المطار مزدحمة بالطائرات، فيصدر الأمر إلى قائد طائرتك بأن ينحرف حتى يصير فوق بلدة بعينها ، وأن يظل على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم، وأن ينتظر الأمر التالى .

ذلك أن المطار له شعاع واحد تستطيع أن تهبط على هَدْيه ، فى جو مطبق ، ولكن هناك أربع طرق مزودة بشعاع الراديو ، تسلكها الطائرات من مختلف الجهات إلى المطار ، وإذن فلا بدّ للطائرات المقبلة عليه ، من أن تنتظر فى الجو ، حتى يتاح لها مكان على الطريق الذى تسلكه آمنة إلى المطار . وهذه طائرتك تنتظر فوق المكان الذى عين لها ، فتروح وتجىء على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم ، وقائدها يعلم أن هناك طائرة على ١٠٠٠ قدم تحته تروح وتجىء فى جو كثيف ، وأن تحت هذه أخرى على ألف قدم منها ، ثم يسمع القائد إذاعة تأمر قائد طائرة جديدة بأن يرتفع إلى ٧٠٠٠ قدم فوق هذه البقعة عينها . وأدنى الطائرات إلى الأرض هى أقربها إلى سلوك طريق الشعاع إلى المطار . وكلما حطت واحدة ، هبطت التى فوقها ألف قدم وتأهبت للنزول حتى يجىء دور طائرتك فهبط بها قائدها مستعيناً بالأجهزة .

هذا هو لباب النظام المتبع للطيران فى الجو المطبق . وهو نظام مأمون ولكنه يحد من الانتفاع بطرق الجو التى لا تكاد تحد .

وإنك لتجد اليوم بحثاً قائماً على قدم وساق، تنفق عليه ملايين الريالات ويشترك فيه الطيارون وشركات الطيران وشركات الأجهزة الكهيربية ، وجماعات الباحثين الذين تولوا إتقان رادار فى أثناء الحرب ، ولكن هذا المجهود العظيم لم يسفر حتى اليوم إلا عن نُتَف لا تغنى .

إن السبب الأول لا كتظاظ طرق الجو هو عجزنا عن أن نرى من خلال الضباب . إذن ، فلِمَ لا ننتفع بأجهزة رادار ؟

لقد استعملت أجهزة رادار فى الطائرات فى أثناء الحرب ، ولكنها لا تزال غالية الثمن

ضخمة ثقيلة ، فتشغل من فراغ الطائرة التجارية ما يقلل قدرتها على نقل البضائع أو الركاب الذين تتقاضاهم أجراً ، وإذا جعل جهاز رادار صغيراً خفيفاً شق عليه أن يتبين طائرة واحدة من مسافة بعيدة ، وإذا أقيم جهاز رادار في الطائرة ، ظل مدير الحركة على الأرض لا يعلم كل ماينبغي له أن يعلمه عن كل طائرة في الجو .

فإذا أقمت جهاز رادار على الأرض ، وعمدت إلى إنباء الطيار في الفضاء بالكلام كيف ينبغي له أن يطير ، اعترضتك مصاعب شتى . نعم إن هذا يتيح لك أن تنتفع بأجهزة رادار الضخمة القوية ولكن العمل يقتضي إصدار تعليمات كثيرة بالمحادثة المباشرة مع الطيار ، وهذا فيه مجال لخطأ في القول أو السمع ، ولذلك تعاظم الاعتقاد بأن رادار لا يصلح وحده ، بل ينبغي أن يقرن بحيلة بارعة . فما هي هذه الحيلة ؟

يلوح أن الحل مقترن بجهاز أنشأته شركتان متنافستان « راديو كوربوريشن الأمريكية » وشركة « انترنشونال تلفون وتلغراف » . أما الأولى فقد أطلقت على جهازها اسم « تليران » وأما الثانية فقد أطلقت عليه اسم « ناڤار » ، والجهازان متشابهان في مبدأهما . تنشأ محطة رادار على الأرض ، فتتبين تبيناً لا ينقطع كل طائرة في محيط قطره ٥٠ ميلا مثلا ، وتبين مواقعها على خريطة مدير الحركة بطريقة آلية ، فتظهر كل طائرة نقطة من الضوء . وهذه الخريطة تذاع في الجو ، وتظهر على لوحة أمام مقعد القائد في كل طائرة محلقة ، أما « تليران » فيرسل الخريطة بأسلوب التلفزة ، وأما « ناڤار » فيرسلها بحيلة من حيل رادار .

وكذلك يرى مدير الحركة صورة دقيقة لحركة الطائرات في منطقته ، ولا يستطيع طيّار أن يتسلل إليها دون أن يراه ، ولا يمكن لقائد طائرة محلقة أن يخطىء في تبيين لفظ ستة من لفظ تسعة ، لو صدر الأمر إليه بالكلام .

وكذلك يتاح للطيّار أن يمضي في طريقه بغير أن يتلقى أوامر من أحد — إلا إذا اشتد الزحام . وجهاز « تليران » يبين له على اللوحة أمامه أية نقطة من الضوء تمثل طائرته هو ، وذلك بسهم يشير إليها . أما في جهاز « ناڤار » فإن طائرة الطيّار تبدو على اللوح أمامه بلون مخالف للون الطائرات الأخرى . وكذلك يستطيع الطيار أن يرى أين هو بالقياس إلى « حركة » الطائرات جميعاً في منطقته ، ويراه أوضح وأجلى مما لو نظر بعينه في جو صاف ، فهذه اللوحة أمامه تجنبه خطأ النظر خلال السحاب الخفيف وبريق

ضوء الشمس ، وتكفيه مؤونة إتلاع عنقه بين الحين والحين .

بل تمكنه اللوحة أن يفعل أكثر من ذلك . فإذا أضيفت خريطة جغرافية بسيطة إلى خريطة « حركة » الطائرات ، استطاع الطيار في الجو المطبق أن يحيد عن صراطه المستقيم دون أن يخشى بأساً ، لأن اللوحة تبين له موقفه على الخريطة كيفما اتجه . فالانتفاع برادار على هذا الوجه ، يتيح للطيارين أن يسلكوا عشرة آلاف طريق في الجو المطبق ، وهي الطرق المتاحة لهم أيضاً في الجو الصافي .

ولعلّ جهازي تليران وناڤار هما أدق ماتم في براعة الانتفاع بالأجهزة الكهربية. فجهاز تليران يتيح لمدير الحركة على الأرض أن يهز إصبعه أمام نقطة من الضوء تمثل طائرة حائدة عن النهج القويم ، وما إن يفعل حتى يرى قائدُ الطائرة هذه الإصبع تهتزُّ في وجهه على اللوحة أمامه . أما في جهاز ناڤار فترى مدير الحركة يملك عصا ساحر تدعى ناڤامندر ، فإذا رأى على خريطته شبح طائرة منطلقة إلى مبنى شاهق يخشى أن تصدمه ، انتفع بناڤامندر فيضغط زراً ، فتظهر توّاً على اللوحة أمام قائد تلك الطائرة وحدها ، عبارة « إرتفع ألف قدم » .

تصنَّف الطائرات في الجهازين بحسب ارتفاعها ، فتظهر المنخفضة على « خريطة حركة » خاصة ، والمحلقة على خريطة أخرى وهكذا . فإذا أراد الطيار المحلق أن يهبط إلى مستوى أقرب إلى سطح الأرض ، ضبط جهازه حتى يرى خريطة الطائرات التي على الارتفاع الذي يليه ، فيرى الطائرات فيهبط حيث يرى فسحة للهبوط .

وجهاز ناڤار يتيح لمدير الحركة أن يرى ما وراء حجب المستقبل ، فيضغط زراً وإذا أشباح جميع الطائرات على لوحته قد أسرعت . فإذا كان اثنتان منها سائرتين في اتجاهين يفضيان بهما إلى الاصطدام ، رأى هذا الاصطدام بعينيه كما هو خليق أن يتم ، فيحذر إحداهما بوساطة ناڤامندر خطر ذلك ، فتغير اتجاهها .

إذن فما الذي يعوق عن الانتفاع بجهازي تليران وناڤار ؟ هل فيهما وجه نقص أو موطن ضعف ؟ نعم فهما لا يزالان في مرحلة التجربة ، وقد تنقضي سنتان إلى خمس سنوات قبل أن تتم الأجهزة التي يمكن استعمالها وكلاهما غالي الثمن . ولكن من الواضح أن اكتظاظ طرق الجو اكتظاظاً مطرداً خلال السنوات المقبلة ، يحتم القيام بعمل حاسم يمهد الطرق للطائرات في الجو حين تسوء حاله .

# طبيب

رامون رشيون

مختصرة من كتاب "في مدينتنا"

الدكتور براكت رجلاً محمود الشمائل، وقد مضت سنوات عالج فيها من أهل مدينتنا أكثر مما عالج سواه من الأطباء، بيد أنه كان أقلهم ربحاً، فقد كان من دأبه أن يعالج الفقراء الذين لا مال لهم

كان يخرج من بيته في جوف الليلة القارسة فيقطع عشرين ميلا ليعالج امرأة مريضة أو طفلاً، أو ينقذ إنسانا أصابه أذى في بدنه.

وكان كلُّ امرىء من أهل مدينتنا يعرف مكان عيادة الدكتور، حيث علقت لوحة عند أول درج السلم الضيق مكتوب عليها: « الدكتور براكت — العيادة في الطابق الأعلى ».

وقد قضى الدكتور حياته عزباً لم يتزوج، بيد أنه كان على وشك أن يبنى بالآنسة إلفيرا كرومويل ابنة صاحب المصرف، حتى إذا كان يوم العرس، دُعى إلى القرية ليعالج طفلا من أهل المكسيك. فجُنَّ جنون إلفيرا وَصرَفت شهود العرْس، وقالت إنه لاخير في رجل يشغله عن العرس طفل مكسيكيٌّ، ولقد وافقها على رأيها هذا كثير من نساء المدينة. فلما تماثل الطفل المكسيكيُّ للشفاء بقي للدكتور في نفس أبويه شكرٌ لاينفد.

وانقضت أربعون سنة وعيادة الدكتور براكت هي كعبة الزَّمْنَى يقصدها العرج والعمى من أهل مدينتنا، ولم يطرد الدكتور عن عيادته أحداً من الناس قط.

وعاش الدكتور حتى بلغ سبعين سنة، وذات يوم اتكأ على أريكته وصعدت روحه إلى بارئها. وكانت جنازته أكبر جنازة سارت في مدينتنا، لم يتخلف عنها أحد.

وكثر حديث الناس عن جمع بعض المال لكي يشيدوا على قبر الدكتور شاهداً جميلا ناطقاً بذكراه، وأكثروا حتى تحاوروا في شأن ما يكتب عليه. ومضت الأيام ومات الحديث، ولم يتمَّ من كل ذلك شيء.

وذات يوم جاء حارس القبور يسعى وأخبر الناس أن قبر الدكتور قد ظفر بالشاهد الذى ينطق بذكراه. وقال لهم أتذكرون الطفل المكسيكيَّ الذى أنقذه الدكتور منذ سنوات خلت، فإن أبويه ساءهما أن يعدم قبر الدكتور شاهداً يخلد ذكره، ولما لم يكن عندهما من المال مايعينهما على مايريدان، فقد نزعا اللوحة التي كانت عند أول درج السلم في عيادة الدكتور، ونصباها على رأس القبر، وهي هذه:

« الدكتور براكت — العيادة في الطابق الأعلى ».

لماذا يصير بعض الضعفاء الأغبياء حرباً على المجتمع ؟

# المدمر

ج . إدجر هوفر
مدير المكتب العام للمباحث بالولايات المتحدة


« المدمر » عامين ملأ القلوب رعباً

ظل وهو يجمع بالسلب والخطف والقتل نصف مليون ريال أخذها اغتصاباً ، دون أن يقبض عليه أحد من رجال الشرطة . وكان الخوف يعقد ألسنة المخبرين عن إفشاء اسمه ، ولم نظفر بوصف له يعيننا على تعقبه ، لأنه كان يترك فرائسه جميعاً مبلبلي العقل أو موتى ، فلا يتذكرون .

وكل ما كنا نعرفه هو أن وغداً من الأوغاد جن جنونه بإطلاق النار قد أخذ يعيث في الولايات الغربية المتوسطة فساداً ، وقد اتبعته عصابة لا تعرف شفقة ولا تعصى له أمراً . وكانوا يظهرون كالأشباح في ردهة مصرف ، ثم يسددون سلاحهم تسديداً محكماً فتاكاً ، ويسلبون نقد المصرف ، فإذا بدرت بادرة من أحد الناس أو من الشرطة ، تقاذفت النار الحاصدة من مدافعهم الرشاشة . ثم ينطلقون في سحابة من غاز سياراتهم السريعة ، فيغيبون عن الأنظار دون أن يمسهم سوء .

ولكن هذا المجرم المجهول ارتكب خطأه الذي لا يرد في ١٧ يناير ١٩٣٤ . فقد وقف إدوارد جورج بريمر ، أحد أصحاب المصارف ، بسيارته عند إشارة المرور ، حيث يتقاطع شارعان في مدينة سانت بول ، وإذا رجل غريب قد فتح بابها ودخلها وأمره أن يترك مكانه ، فأطاع وهو يحس بمس البندقية بين أضلاعه .

فلما فعل ضرب على جمجمته فسقط مغمى عليه ، فلما أفاق ألفى نفسه في سيارة أخرى . ولم يعد إلى بيته حتى دفع كل المبلغ المطلوب فدية له — ابتزاز فادح قدره ٢٠٠,٠٠٠ ريال .

هذه جريمة أخرى ارتكبها هذا المجرم المجهول ، وقد كان الشبه بينها وبين جرائمه السابقة أمراً لا ريب فيه . فاستجوبنا بريمر

متلهفين على سماع ماعنده ، فعثرنا على حقيقة صغيرة يبدو أن لا خطر لها .

قال بريمر : « وكان الذين خطفـونى يحملون بنزينهم فى سيارتهم ، وقد سمعتهم مراراً يملأون خزانها ثم يطرحون الصفائح الفارغة».

فأرسـلنا إشـــارة بالآلات الـكاتبة الـكهربائية التى تطبع عن بعد ، وبالتلفون إلى رجال الشرطة ومخبرى مكتب المباحث العـام فى خمس ولايات ، فلم تكد تنقضى ٢٤ ساعة حتى عثرنا على أربع صفائح بنزين وجدها فلاح ، فأخذناها ونقلنا عنها صور بصمات واضحة .

وفى اليوم التالى استخرجنا صورة المجرم — رجل نحيل قصـير له شارب محفوف وشفتان تنمان على الشدة ، وكان للنقمة بريق فى عينيه الشاخصتين إلى آلة التصوير . هذا آرثر « دوك » باركر الذى أطلق من السجن بعد أن أخذ عليه العهد والميثاق ، وكان قد حكم عليه بالسجن مدى الحياة لجريمة شنيعة قد ارتكبها .

لم أجد بين شرور البشر التى واجهتها خلال اثنتين وعشرين سنة توليت فيها مكتب المباحث ، شراً شغلنى وأقلقنى كمثل جرائم هذا المجرم — ولم يكن سبب ذلك أنه مجرم عبقرى ، بل لأنه أقام الدليـل على خطر الأذى الذى يتمّ على أيدى أوساط المجرمين فى مجتمع لا يباليهم ويتهاون فى أمرهم .

وقد كشفت لنـا التقارير المفصّلة عن ماضيه ونشأته . فقد ولد فى مدينة صغيرة سـنة ١٨٩٩ ، وكان أبوه ميكانيكياً وامه امرأة شعثاء شريرة لا تزال تناقر زوجها . ولم يبلغ فقر الأسرة حد المتربة ، وكانت تعيش فى حى محترم ، وكان الفتى « دوك » يذهب بانتظام إلى الـكنيسة والمدرسة العامة. فـكيف إذن نشأ مجرماً يرتكب من الجرائم الفظيعة مالاعهد للناس بمثله منذ زمن بعيد ؟

أليس المرء فى حاجة إلى الذكاء والجرأة والإقدام لـكى يرتكب سلسـلة من جرائم السطو والسرقة ، وليـدبر حادثتين من أكبر حوادث الخطف ؟ ومع ذلك فقـد كان « دوك » تلميذاً بليداً،وكان إذا نشب شجار بين التلاميذ أوّل من يفرّ ، وكان يرسب كل سنة فى الامتحان ، وكانت أمه تتوسل بإرهاب المدرّسين لـكى ينقلوه من فصل إلى فصل ، وكانت تمطر رجال الشرطة بوابل من دموعها حين يلقون عليه شبهة السرقة ، ولـكنها كانت تتباهى بين جيرانها فتقول : « إن أيام السعد فى انتظارى متى بلغ أبنائى مبالغ الرجال ، وسـوف ألبس الحرير والفرو وأتختم بالماس».

وقد عاش الطفل الأبله الذى كانت أمه تقوده من يده ، حتى صار قادراً أن يغتصب الأشياء الجميلة الثمينة التى كانت أمه تشتهيها . وقد استبدت به عاطفتان طاغيتان منذ أيام شبابه ـــ تفانيه فى حب أمه ، واحتقاره كل سلطان غير سلطانها . وقد ماتت أمه يوم ماتت فى فلوريدا ، فى أثناء معركة دارت رحاها بالمدافع الرشاشة مع رجال الشرطة ، إلا أن التدريب الذى أخذت به ابنها أثمر شرّ الثمار .

كان الفتى لا يزال تلميــذاً فى المدارس الابتدائية، يوم صار أحد لصوص السيارات. وكان أول عمل تولاه عملاً وجدته له أمه عند صانع زجاج توفر فى السر على تدريب اللصوص الفتيان . وكان دوك فى التاسـعة عشرة ، يوم ألقى القبض عليه أول مرة وهو يسرق إحدى سيارات الحكومة ، وكان فى الثانية والعشرين يوم اشترك فى جريمة سطو وقتل فظيعة ، فحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وبعد سنوات سرت فى السجن إشاعة : « إن دوك مخنق » فترددت الكلمة فى ملاعب البليارد ، وقيل : « إن سبب حنقه لايعود إلى أن أمه هجرت أباه ، بل لأنه سمع ماجعله ينفر من هذا الرجل دنلوب الذى تزوّج أمه » .

ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى وجد دنلوب قتيلا على شاطىء البحيرة المظلم ، وقد نسفت قلبه نسفاً رصاصة من يد تحكم الرماية، فلم يقبض على أحد متهماً بالجريمة ، ولكن عالم المجرمين كان يعرف أن أصدقاء دوك هم الذين ارتكبوا هذه الفعلة . وكذلك صار دوك يعرف باسم « المدمّر » حتى قبل أن يطلق سراحه .

وعلى الرغم من الأقاويل فقد أطلق سراح دوك بعد أن أخذ عليه عهد مستغرب، هوأن يبرح الولاية ولايعود إليها . وقد خرج من السجن يمشى كأنه يريد أن يدكّ الأرض ، وفى عينيه السوداوين القاسيتين نظرة الحنق المزمن ، وما لبث حتى ألفى نفسه شريك مجرم آخر يدعى ألفين كاربيس . ثم ألف عصبة من المجرمين تأتمر بأمره ، وانطلق فى تيار الإجرام ، فقضى سنتين حفلتا بجرائمه ، وكان يخلص من كل شرك ينصب له ، بالقتل أو بالرشوة . وها هى ذى صورته بين يدىّ ، فآليت على نفسى :

« لن يطول أجلك ياباركر . إننا فى أثرك » .

وقد علقنا صورة « دوك » المطارَد فى مكاتب البريد والمحطات ، أما هو فقد عزم على أن يضللنا بتغيير ملامح وجهه وبصمات أصابعه ، واستعان بالدكتور جوزيف موران الجراح الذى تخصص فى علاج

المجرمين . وقد كان موران سجيناً فى سجن جوليت، فجعل يبذل المعونة لرجال المستشفى. فلما أطلق سراحه زاول صناعته بين المجرمين الذين أفرج عنهم . وفى ذات ليـلة اختلى الجراح والمجرم فى حجرة فندق ، ومعهما فتاة من راقصات المـلاهى ، فقامت بعمل الممرضة ، وأخذ موران يجرى جراحته على أنف دوك وفمه وخديه وأطراف أصابعه .

وقد ظل المجرم أياماً مضمداً يبرّح به الألم ويصب اللعنات على من حوله ، حتى جاء يوم أزيلت فيه الضمادات ، فوقف أمام المرآة ونظر بعينيه القاسيتين إلى وجهه الجديد ، ثم هدر كما يهدر الثور الجريح ، فقد خيبت الجراحة أمله .

وبعد أشهر خرج «المدمّر» وزميل له بالدكتور موران السـكران من حجرة الشرب فى فندق ، ثم انطفأ خبر الطبيب ، فلم يره أحد من أصدقائه مرة ثانية . ويلوح أنه أخذ فى الليل على زورق فى بحيرة ، ثم وضعت قدماه فى دلو ممتـلىء بالإسمنت الطرىّ ، فلما جفّ الإسمنت عليهما ألقى الجراح المسكين فى اليمّ .

والانتقام على هذا النمط السريع المحكم ، كان من خصائص باركر . فلما قدم أحد زملائه إلى المحاكمة كان وكيل النيابة رجلاً يدعى ج . إرل سميث ، وعلى الرغم من قوة الدفاع فقد أدين المتهم . وفى صبيحـة الغد وجدت جثة وكيل النيابة مطروحة على بساط العشب أمام نادٍ فى الريف ، وقد مزّقها الرصاص . ذلك بأن هذا الرجل قد قضى على أمل العصابة فى نجاة صاحبها .

أما مصير هاريسون أحد صغار أعوان « دوك » فقد كان أفظع . وكانت أمه قد كتبت إليه من منزلها حيث تشتىّ ، أن هاريسون قد أفشى بعض الأسرار إلى بعض أعضاء العصبة . وقد توسّل دوك باركر بالرفق والمودة ليأخذ هاريسون معه فى سـيارته إلى مزرعة مهجورة ، وفى مخزن المزرعة أطلق على رأسه رصاصاً أرداه ، ثم أشعل النار فى المخزن . وكتب إلى أمه فى اليوم التالى فقال : « لقد أنجزت لك تلك المهمـة ، ولو توليتها أنتِ لما كان إنجازها أتمّ . وأنا دائماً فى خدمتك كمصلحة التلفون . ها . ها . » .

وصار الرعب يساور الناس حتى المجرمين أنفسهم ، إذا كانوا ممن يعرف دوك معرفة يسيرة ، وصار الذين لا يعرفونه يأبون أن يتعرفوا إليه ، فإن أسطورة غوائله الدامية أخذت تتوطد وتنتشر .

أما الآن فقد أخذ رجال الشرطة يتوسلون بكل وسيلة بين أيديهم ليتعقبوا أثره . وقد علمنا أنه هو الذى دبّر خطف وليم هام

صاحب مصانع الجعة الغنيّ وأخذ مئة ألف ريال فدية له ، وبلغنا أن جماعة من أتباعه قد ذهبوا فى سيارتهم إلى منتجع لينفقوا نصيبهم من المال فى حماية بعض أصحابهم من المشتغلين بالسياسة .

ثم علمنا أن الفتى الخجول الذى كانت تدلله أمه ، قد اتخذ لنفسه خليلة وأقام معها فى شيكاغو ، فبثثنا عليه العيون ليل نهار . ولقد دلّ رجالنا ، دون أن يدرى ، على مخابىء أصحابه حيث أقاموا مستترين بعد حادثة خطف بريمر . وأخيراً دنت ساعة « الكبسة » فى صبيحة يوم من أيام الشتاء ، فلما أحدق به رجالنا فى الشارع ، حاول أن يفرّ ، فزلّت قدمه على الجمد وسقط على وجهه سقوطاً مزرياً .

وحكم عليه مرة أخرى بالسجن مدى الحياة ، فى سجن « ألكتراز » ، وهناك قابلته واقفاً وراء قضبان الحديد .

حدّق فىّ ، وكانت البغضاء تشع من عينين سوداوين لاقرار لهما . وإنى لأتذكره الساعة كما رأيته يومئذ ، فأحسُّ برذاذ بصاقه القذر حين سدده إلى من خلل القضبان .

وقد كانت البغضاء فى وجهه دليلا على شهوة قوية فى باطنه ، وكان يدبر الوسيلة للفرار حتى فى تلك الساعة . وقد فرّ ! ويباهى عالم المجرمين بأنه استعان بحيلة بارعة ، فقد أنبأ حراسه بولعه بالموسيقى ، فهل ثمة مايمنعهم أن يزودوه بآلة موسيقية صغيرة — هارمونيكا . وقد تندّر المجرمون بأن الآلة التى أرسلت إليه كانت تخفى منشارين صغيرين أخفيا تحت صفائحها .

وقد ظفر بالمنشارين يوم ١٣ يناير عام ١٩٣٩ فنشر بهما قضيبين من قضبان الحديد فى باب حجرته وخرج ، وكذلك فعل أربعة من المجرمين . وجازوا المبنى إلى نافذة فى الجدار الخارجى ، ثم قطعوا الحاجز المصنوع من الصلب وهبطوا إلى الأرض .

وسرعان مادق جرس الخطر . وفى الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة قبل الفجر ، سددت الأنوار الكشافة فكشفت دوك باركر فى مكان على الشاطىء وقد أبى أن يستسلم ، وجعل يبحث مذعوراً عن مكان يحتمى به ، والمدافع الرشاشة والمسدسات الآلية تقذف نارها عليه .

فالرجل الذى عاش بإطلاق النارمات بالنار . وقد كانت كلمته الأخيرة فى مستشفى السجن : « لقد كنت مجنونا ! »

أ كان ماقال حقاً ؟ إذن فجنون المجتمع أعظم . فلم لم يتبين المجتمع أن باركر مجنون

ـ إن كان مجنوناً حقاً ـ قبل أن يرتكب هو وعصابته ثلاث عشرة جريمة ؟ ولو تبين مدرّسوه أن سلوكه منافٍ لقواعد الاجتماع ، أو كان في المدرسة طبيب نفسي ليفحصه، لتيسر لهم أن يباعدوا بينه وبين أثر أمه الأثيم . ولو فعلوا لكان سلوكه الملتوى خليقاً بأن يستقيم إذا ظفر بالعناية الصحيحة . فإذا ثبت أن العناية به غير مجدية عزل عن الناس في معهد خاص .

وسوف يجيء يوم يتيسر فيه للمجتمع أن يستعين بمثل هـذه الأساليب على مساعدة أهل الشذوذ ، وعلى حماية نفسه منهم أيضاً .



## نم خالى البال

قضيت أياماً مع زوجي في نزل صغير في قرية هادئة بوادي نهر المسيسبي ، فلاحظت شيخاً يملأ سلّة بالطعام بعد كلّ وجبة ويأخذها ، فظننت أن زوجته مريضة فسألته ذات يوم كيف حالها .

فقال بلهجة الساخط : « إنها لم تمرض قط في حياتها » .

فقلت : « إذن أنت تأخذ الطعام إليها لأن الجو شديد الحرارة »

فقال : « لا . فقد مضت على ثلاثون سنة أنقل إليها الطعام ثلاث مرات كلّ يوم . إنها لا تحب أن تطبخ »

فقلت : «ولكن ألا تستطيع أن تأتي إلى النزل على الأقل فتأكل معك؟»

فقال : « تستطيع ، ولكنها لا تحبُّ أن تمشي » . [ ليونور والترز ]



ظلّت سيدة أمريكية من الشمال طوال الشتاء تسعى إلى ابتعاث الهمة في جماعة من البيض في الجنوب، عسى أن يحيوا حياة أرحب وأحفل . ثم جاء يوم رحيلها فنادت أحدهم ، وكان أوفرهم نشاطاً وأسرعهم إلى العمل ، وقالت : « يا جيم عدني انك ستبذل غاية جهدك حتى تتقدم » .

فقال وفي لهجته شيء من التردُّد : « لا أجد نفعاً في العجلة ، ما دمت على ثقة من أن لكل يوم غداً تاماً جديداً لم ينتقّص أحد من أطرافه شيئاً » .

[ م . ى . سوير ]

# الطبيعة أسبق

جون ى. بيتى

كتاب "الطبيعة أغرب مما يتخيله الخيال"

في قديم الزمان قبل أن يخطر للإنسان أن يسعى إلى السيطرة على الحرارة بمواد عازلة مما تهيئه له الطبيعة ، كانت حشرة فرس النبي المفترسة تصنع لبيضها ما يشبه الزجاجات المفرغة التي تحفظ فيها الماء بارداً أو القهوة ساخنة، وتنتفع بها في حماية بيضها من عوادى الجوّ المتقلبة . فهى تحيط بيضها بكتلة هشة خفيفة من الفقاعات ، وما تحتويه الفقاعات من الهواء يقوم مقام الطبقة المفرغة حول الزجاجة ، فيقلل تسرُّب الحرارة أو البرد إلى داخلها ، فيظلُّ البارد بارداً ، والساخن ساخناً ، ومهما اشتدّت حرارة الجوّ أو قرس بردهُ ، ترى البيض الطرى داخل هذه الغلالة بمنجاة من غوائلهما .

من طبائع العنكبوت النسّاج أن تفرز خيطاً دقيقاً وتمدّه كالوتر إلى قلب بيتها فيكون أشبه ما يكون بخط التلفون . ثم تحمل الطرف الآخر من هذا الخيط إلى مكان خفىّ وتنام ملء عيونها . فإذا ما حطّت حشرة ما في بيتها اهتزّ هذا الخيط المشدود فيوقظها فتجرى عليه كأنه جسر إلى قلب بيتها أولا ، ثم إلى الحشرة الأسيرة ، فتغلبها على أمرها .

ولنحل العسل نظام كنظام ضبط الهواء ، فهى تحفظ الهواء على درجة ثابتة من الحرارة والتهوية التامة ، لكى تظفر يرقاتها بأسباب الحياة والنمو ، ولكى يبلغ عسلها تمام نضجه ويجود طعمه . وذلك أن إجهاد العضل في بعضها يولد حرارة في أبدانها تشع في الخلية ، ثم ترى طائفة أخرى من النحل جاثمة على أرض الخليــة تحرّك أجنحتها بسرعة معيّنة محكمة لتولد تياراً من الهواء كفيلا بالتهوية كما تريدها .

تستطيع طوائف من العناكب والزنابير أن تحفظ اللحم أسابيع فلا يفسد دون أن تلجأ إلى جمد أو ثلاجات . والعناكب تحتاج إلى اللحم الطرىّ في طعامها ، وهى لا تستطيع أن تضمن الظفر به كل يوم ، فهى لذلك تحفظ ما يفيض عن حاجتها ، حين تصيبه ، بمادة تفرزها في أبدان الحشرات التى تصيدها ، فتخدرها دون أن تميتها . وكثير من الزنابير يجرى على الطريقة نفسها . فصغار الزنابير تحتاج إلى اللحم الطرى ، ولذلك ترى الآباء يفرزون هذا السائل المخدّر في أبدان العناكب والأساريع التى تصيبها ، ثم يدّخرونها طعاماً لصغارهم .

أوراق وفوط وملاءات ومعاطف مطر ، وأشياء شتى من أدوات البيوت ، تصنع من ورق لا يؤذيه البلل .

# ورق لا يضره البلل

لويس ستوفر
مختصرة من مجلة «العلم الصناعي الشعبية»

في يوليو ١٩٤٣ وصلت إلى كتيبة مدرعة أمريكية ، خريطة مطبوعة على ضرب جديد من الورق ، وأمروا بأن يعركوها عرك الرحى حتى يروا مبلغ احتمالها .

وجاء تقرير الكتيبة بعد أسبوع فإذا الخريطة قد (١) غطست في الماء ٢٠ مرة ثم عصرت عصراً شديداً كما يعصر الثوب المبلول ، (٢) طويت مراراً وضربت بكعوب البنادق ، (٣) لطخت بالشحم ، (٤) بُلت بالبنزين ، (٥) ألقيت في الوحل ووطئت بالأقدام ، (٦) غليت في ماء أذيب فيه الصابون ثم دعكت بفرشة قاسية الشعر ، (٧) ثبتت على أرض حجرة الضباط ومشى عليها رجال الكتيبة جميعاً ، (٨) مرت عليها دبابة .

وقد جاء في التقرير ، أن كل هذا « لم يترك فيها أثراً ظاهراً » .

كان ذلك بدء الانتفاع بورق لا يضره البلل ، أتقنت صنعه شركة س . و . وارن ، وهو ورق يبدو كأي ورق ولكن أليافه متماسكة تماسكا قوياً ، إذ خلط به مقدار يسير من اللدائن .

وعلاج الورق على هذا المنوال قد أخذ يمتدُّ إلى مئات من الأشياء المصنوعة من الورق ، فإن فوط الورق التي تمسح بها يديك في الأماكن العامة ، لا تتفتت حين تبتل ولا تترك نتفاً منها على يديك ووجهك . والأكياس التي تضع فيها الخضر التي تقطر ماء لا يبتل قعرها ولا ينهار . وما هو إلا قليل حتى تظفر بورق للرفوف والجدران يسهل غسله ، وفوط ورق للمائدة لا تطرحها عقب استعمالها مرة واحدة ، وكذلك المناشف والملايات ، والأغطية ، وفوط الأطفال ، ومعاطف المطر — وكلها مصنوعة من هذا الورق .

وقد استعمل الجيش الأمريكي في الحرب ٤٠٠ مليون خريطة من الورق الذي لا يضره

البلل ، وكان منها ١٢٥ خريطة فى غزو نورمندى . وقد كانت هذه الخرائط شيئاً لا غنى عنه فى غابات الجزائر فى جنوب المحيط الهادى ، حيث ترتفع درجة الحرارة وتكثر الرطوبة ، وحيث لا يلبث الورق العادى ساعات حتى يعلوه العفن .

وقبل أن توفى الحرب على نهايتها ، كان رجال الجيش والأسطول قد انتفعوا بهذا الورق فى كل شىء يكون عرضة للرطوبة ، فقد وضعوا مقادير من المؤونة فى أكياس كبيرة وألقوها فى البحر فظلت عائمة حتى قذفها الموج إلى الشاطىء ، فانتشلوها . وكثيراً ما كانت تكدس أكواماً فى الفضاء فتظل شهوراً لا يصيبها تلف . وكل ربة بيت خزنت فى القبو الرطب من بيتها علباً من الطعام المحفوظ فى صندوق من الورق المقوّى (الكرتون) تعلم أن رطوبة الأرض تتلف قعر الصندوق ، فلا تكاد ترفعه حتى يسقط مافيه بين يديها ، فهذا الضرب الجديد من الورق خليق بأن ينال عنايتها .

وقد مهد هذا الورق أيضاً لتيسير شحن الثمار الغضة والخضر فى أكياس أو علب مصنوعة منه .

وأنت تظفر بهذه المناعة على البلل باستعمال أحد نوعين من اللدائن ، تجدهما عادة فى علبة البطارية الكهربائية ، والأغطية التى تتخذ لزجاجات الأدوية والعطور ، فيضاف أيهما شئت إلى رُبّ الورق بغير أن يحتاج الرُّب إلى أى معالجة أخرى ، ثم يدفع الربُّ بين الأسطوانات الساخنة فى آلات صنع الورق ، فيجف الخليطُ فيصير ورقاً ، وتثبت دقائق مادة اللدائن فتصير غير قابلة للذوبان . فهذه الدقائق تربط ألياف الورق بعضها ببعض ، ولاتنحلُّ مهما بُلّ الورق بعد ذلك .

إن مناعة الورق على البلل لاتعنى أن الماء لايخترق الورق ، فهذا الورق يبتل كأى ورق . ولكنه متماسك فلايتمزق ولاينقطع ، وفى وسعك أن تجعله مانعاً لنفاذ الماء منه إذا عالجته بصمغ أو شمع . وقد صنعوا منذ عهد قريب كيساً من طبقات من هذا الورق بينها إسفلت لمنع الماء من النفاذ ، ثم مُلىء الكيس دقيقاً وألقى فى نهر نياجرا ، فهوى من فوق الشلال وظل سبع ساعات ونصف ساعة يصدم الصخور عند أسفل الشلال ، فلما استردوه كان الكيس لا يزال صالحاً للشحن ، وكان الدقيق الذى فيه جافاً .

واستعمال الصمغ المركب الجديد يزيد من متانة الورق ، جافاً كان أو مبلولاً ، لأنه يربط ألياف الورق بعضها ببعض . وتستطيع أن تجعل الورق متيناً مادام جافاً إذا أضفت إلى رُبّه أليافاً طويلة ، ولكن

الانتفاع بالصمغ بجديك المتانة نفسها دون إضافة الألياف الطويلة ، فيستطيع صانعو الورق أن يستعملوا رب" الخشب القصير الألياف — وهو كثير — بدلا من رب الخشب الطويل الألياف ، وهو قليل ، فيفضى ذلك إلى الضن بهذا المورد الآخذ فى النقصان .

والورق الذى لا يضره الماء يجب أن لا يكون أغلى من الورق المألوف اليوم . ومتانته الناشئة من إضافة اللدائن ، تيسر لصانعى فوط الورق ، مثلا ، أن يجعلوها أخف وزناً وأجدى على مستعملها . وفوطة مصنوعة من هذا الورق ليست أشد امتصاصاً للماء من فوطة مصنوعة من الورق المألوف ، ولكن متانتها بعد أن تبتل تكفل الانتفاع بها حتى تتشبع من الماء ، وحينئذ تقوم الفوطة الواحدة مقام ثلاث فوط من الورق المألوف . أما أكياس الخضر المصنوعة من الورق الأسمر الذى عولج باللدائن ، فآخذة فى الازدياد ، وسوف تجدها ربة البيت أصلح ما تكون لتبطين وعاء الزبالة .

أما والورق اليوم لا يزال قليلا ، فالانتفاع بهذا الأسلوب الجديد لا يزال فى بدئه . وفى المستطاع أن يصنع معطف من هذا الورق بعد معالجته حتى لا ينفذ منه ماء المطر ، فتشتريه من أقرب دكان إليك بربع ريال ، وترتديه فى حفلة رياضية إذا أنذرت السماء بالمطر ، ثم تطرحه . وقد صنعت هذه المعاطف فى الحرب ، ولبسها الفدائيون فى بعض غاراتهم على فرنسا .

وقد صنع أحد رجال المصانع نموذجاً لملاءة تستطيع أن تفرشها على شاطىء البحر أو فى بستان حين تخرج مع أهلك للنزهة ، ولا يعوقه عن إنتاجها سوى قلة المواد اللازمة له . ومما تمتاز به هذه الملاءة أنها تردّ الماء وتعكس ضوء الشمس ، ولا تلتهب ، وقد أثبتت التجارب أن غمرها فى الماء ١٢ ساعة لا يؤثر فيها ، ثم إنها تصلح فرشاً يلعب عليه الطفل ، وغطاء لمقعد السيارة ودثاراً للنائم فى خيمة ، وغطاء للحشايا .

ولعل أروع مثال على منافع هذا الورق فى المستقبل ، هو بيت بنى كله بالورق فى أرض « معهد كيمياء الورق » فى مدينة أبلتون بولاية ويسكونسن ، وهو بيت مؤلف من حجرة واحدة طولها ١٦ قدماً وعرضها ثمانى أقدام ، وقد كلف الورق اللازم لبنائها ٥٠ ريالا ، وجدرانها مصنوعة من ورق مقوى مضلع سمكها بوصة ، وقد بلغت من المتانة مبلغاً عظيما ، فلم يكن ثمة حاجة لهيكل من خشب أو صلب . ومع أن ورقها عولج بأسلوب قديم لجعله منيعاً على الماء ، إلا أنك ترى البيت لا يزال قائماً

بعد تعريضه سنتين لعوادى الجو المختلفة .
وقد وضعت الخطط لصنع مثل هـذا البيت على أساس يجعله صالحاً للتجارة . وينتظر أن تنتفع به الأسر التى تترقب تشييد دورها ، أو جماعات النـاس التى تخرج إلى الصـيد أو التخييم فى الفضاء .
إن « بيت أبلتون » هذا رمز لضرب جديد من الورق . وهذه مادة من أرخص المواد قد اتسع نطاق نفعها أضعافاً كثيرة بعد أن كان ضيقاً محدوداً .



## الحياة مع أبى

يروى الممثل تشارلز كوبرن هذه القصة : « أولعت فى صغرى بالمسرح ، وبدأت أحضر ما يمثل من الروايات كلما سنحت الفرصة ، فحذرنى أبى ذات يوم فقال : ينبغى لك يا بنىَّ أن تمتنع عن شىء واحد : احذر أن تذهب إلى مسارح المهازل

« فسألته طبعاً : ولم ذلك ؟ فقال : لأنك ترى أشياء ينبغى أن لا تراها .

« فكان فى ذلك فصل الخطاب ، فما كدت أوفر من مصروفى أجرة الدخول حتى ذهبت إلى أحـد تلك المسارح . وقد كان أبى على حق . فقد رأيت ما لا ينبغى أن أراه — رأيت أبى » . [ صحيفة « بلتيمور نيوز بوست » ]



كان الملك جورج الخامس مشهوراً بالحرص ، وسعى جهـده أن ينشىء أولاده عليه . أما ولىُّ عهده فكان مشهوراً يومئذ بالتبذير ، وقد كتب إلى أبيه الملك من المدرسـة يطلب منه أن يرسل إليه مبلغاً من المـال علاوة على مخصَّصاته . فتلقى ردًّا شديد اللهجة فيـه تأنيبٌ وحثٌّ على تغيير ما ألف من عادات ، وعلى الاقتداء برجال الأعمال . وقد حمل البريد التالى إلى الملك رسالة من ولى عهده يقول فيها :

« لقد جريت على نصحك ، وبعت لساعى رسالتك الأخيرة إلى من يجمع رسائل الملك بخمسة وعشرين جنيهاً » [ لويس سوبول ]

إحدى مغامرات التاريخ — شعب جرئ يهدده ويحدق به فاتح غضوب ، بيد أنه لايرتاع بل يؤازر الشعوب التي تقاتله مؤازرة صادقة .

# إماطة اللثام عن حياد السويد

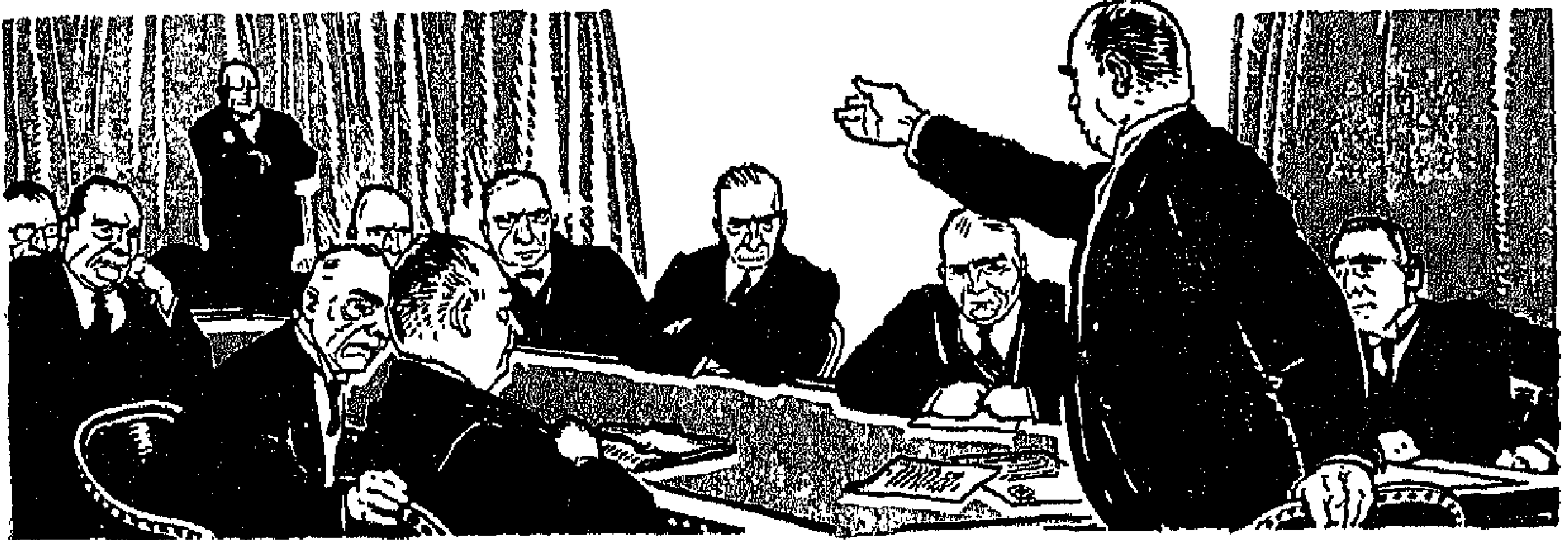
رالف دالاس

مختصرة من صحيفة "مينابوليس تريبيون"

في إسكندناوة إبان الحرب العالمية الثانية جرت مغامرة تعد من أكبر المغامرات التي عرفها التاريخ . وما علم أحد إلى يومنا هذا — اللهم إلا نفر قليل من كبار الساسة في أمريكا وإنجلترا — أن السويد التي طالما وجهت إليها تهمة الميل إلى ألمانيا ، قد ساعدت الحلفاء منذ بدأت الحرب فزودتهم بالعتاد الحربي والأنباء .

وثمة رجلان لا غير من كبار موظفي السويد كانا يعلمان أن أعوان هيئة المخابرات السرية السويدية المنبثين في كل مكان يتوفرون على جمع أنباء ترسل رأساً إلى مفوضيات الحلفاء ، فتدلهم على كل ما يحدث في مقر قيادة هتلر يوماً بعد يوم . وقد عرف الحلفاء ، بفضل هذه الأنباء ، أسرار القنابل الطائرة قبل أن تلقى على لندن بعدة أشهر ، بل وصلتهم خرائط مصغرة لمواقع بطاريات المدافع التي تطلق قنابلها على إنجلترا من شاطىء كاليه .

ولما كانت السويد مطوقة من نواحيها بالألمان ، فقد اضطرت إلى التظاهر بالحياد ، ومع ذلك ففي السنين الأولى من الحرب تسربت منها خفية إلى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى شحنات من كرات المحاور ومن عتاد كثير عظيم الخطر . وهرّب من السويد سنة ١٩٤٠ نموذج من مدافع بوفرز



« وأنا فيما يخصني أومن بأنه خير للأمة أن تموت شريفة من أن تعيش مجللة بالعار »

# هدية مجانية .. إلى قراء المختار




كتاب جديد رائع ، يوحي بالقوة ويلهب العزيمة ، صفحاته ٩٦ ، ولو عرض للبيع لما قل ثمنه عن ٢٠ قرشاً ، يحتوى خير ما نشر فى المختار من مقالات تشحذ همتك وتسدد خطاك ، كتاب يعرض عليك الآن بغير ثمن . وهذه البطاقة تبين لك كيف تظفر مجاناً بنسخة من كتاب « هل أنت حى » — ذخيرة غالية فاتنة من الآراء والأفكار التى تدخل على قلبك الشجاعة والمتعة والفائدة .

## بعض المقالات الممتعة فى هذا الكتاب الجديد

أطع هذا الحافز ٭ جرّب كل شىء مرة ٭ هل بين جنبيك قلب مهذب ؟ ٭ احصر ذهنك فى الموضوع ٭ اتخذ من المرض مزية ٭ كن سيد عملك ٭ سر الشباب الدائم ٭ لا تخف وابدأ من جديد ٭ كيف تعاشر من تحب ٭ افعل ما تهيبه ٭ كيف تكتسب الاتزان العاطفى

## إلى قراء المختار

في أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر من المختار قسائم، فاقرأوا كيف تمكنكم ثلاث قسائم، تفصل من ثلاثة أعداد مختلفة، من أن تظفروا بنسخة من هذا الكتاب النفيس مجاناً — بغير ثمن

## كيف تحصل على نسختك من كتاب "هل أنت حي"

في أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر قسائم كهذه القسيمة، وعلى كل منها تاريخ العدد الذي ترفق به.

فإذا أردت أن تظفر مجاناً بنسختك من هذا الكتاب النافع الممتع الجديد، فما عليك إلا أن تفصل هذه القسائم، فإذا جمعت ثلاثاً من الأعداد الأربعة المختلفة وأرسلتها إلينا. ومعها اسمك وعنوانك إلى:

المختار ١٤ شارع القاصد
القاهرة

فنرسل إليك على الفور نسختك من هذه الهدية الثمينة، مجاناً وخالصة أجرة البريد. لا ترسل إلينا القسائم متفرقة، انتظر حتى يجتمع عندك ثلاث منها من ثلاثة أعداد مختلفة.

الاسم ..............................................................

العنوان ..............................................................

**هذه قسيمة مختار نوفمبر ١٩٤٦**

المضادة للطائرات عيار ٤٠مم ، وهو من أهم الأسلحة التى ظهرت فى هذا الحرب ، فوصل إلى الولايات المتحدة التى عمدت إلى صنع آلاف مؤلفة منه . وأرهق كبار ضباط السويد أنفسهم ، فى تعبئة المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية فى مستودعات الأسلحة الخفية لكى يرسلوها إلى رجال المقاومة السرية فى الدنمرك والنرويج .

ولما كنت فى أستكهلم منذ بضعة أسابيع قال لى ألبين هانسون رئيس وزراء السويد: «هكذا كانت السويد طوال سنوات الحرب، وإنها لمعجزة أنْ كتبت لها السلامة ! »

وقد ظللت بضعة أسابيع أبحث بحثاً مستفيضاً فى بلاد السويد ، جعلنى أومن بأن كل رجل من أهل السويد كان حريصاً على أن يسعى فى هزيمة ألمانيا ويتمناها، ولا أستثنى سوى فئة قليلة من كبار رجال الحكومة ورجال الأعمال . نعم كان فيهم من يشايع الألمان بقلبه ، وعُرِف بعض كبار الضباط فى الجيش والأسطول بأن قلوبهم مع النازى ، بل عمد ضابط سويدى ذات يوم إلى فتح مكتب سرى لجمع شبان يلحقون بجنود الصدام الألمان من حرس هتلر ، غير أن السوّاد الأعظم كان نصيراً للدول الديمقراطية . وهذه المقالة تكشف الستار لأول مرة عن أكثر الأدلة التى تدل على ذلك .

لو شاءت السويد الانضمام إلى الحلفاء لوجدت يدها مغلولة ، فجميع مصانعها تعتمد كل الاعتماد على الفحم الألمانى ، ولو عبأت جيشها بأجمعه لما تجاوز ٣٠٠ ألف من جنود لم يدرّبوا تدريباً كاملا . وعلاوة على ذلك فإن ٧٥ فى المئة من واردات السويد الجوهرية تصلها عن طريق البحر ، ويستطيع الألمان إذا شاءوا أن يضربوا عليها الحصار .

وأصرّ النازى على أن ألمانيا تستطيع أن تستوعب كل صادرات السويد ، ولكن السويد تمسكت بحقها فى الاتجار مع كلا الطرفين ، وطلب منها النازى أن يزيدوا ما كانوا يشترونه من الحديد ، فرفضت السويد وخفضت ما تصدره من الحديد إلى ألمانيا بنسبة ٢٥ فى المئة .

وقد واجهت السويد فى مطلع سنة ١٩٤٠ اول أزمة دبلوماسية ، إذ كانت روسيا وألمانيا لا تزالان تطنطنان بوفائهما لميثاق عدم الاعتداء المعقود بينهما ، ولكن ساسة

رالف ولاس مؤلف وصحفى أمريكى مشهور ، وقد قضى منذ عهد قريب بضعة أشهر فى أوربة الشمالية، وقد بنى هذه المقالة على محادثات عقدها مع كبار رجال الحكومة من السويديين والبريطانيين والأمريكيين ، وزعماء حركة المقاومة السرية فى البلاد الاسكندناوية ، وعلى بحث مستفيض فى وشنطن ولندن وأستكهلم وكوبنهاجن .

السويد كانوا يرون أن هذا الميثاق تحالف غير طبيعى سوف تنحل عقدته على الزمن . وكفى دلالة على صحة هذا الرأى أن الألمان أبدوا قلقاً لامراء فيه من خشية تحوّل مناجم النيكل فى فنلندة إلى أيدى الروس إذا هزمت روسيا فنلندة ، وكانت فنلندة وقتئذ على شفا الهزيمة .

وفى ذلك الحين طلب الفرنسيون والبريطانيون أن يؤذن لهم بمرور قوات الحلفاء لنجدة فنلندة. وقد حاول جنتر وزير خارجية السويد — فى مؤتمرات سرية — أن يثنى الحلفاء عن عزمهم ، وسألهم هل عندكم مدد حربى يكفى لإنقاذ فنلندة ؟ إنه يشك فى ذلك . وأهم من هذا كله، أن الهجوم على روسيا سيوحد بينها وبين ألمانيا إلى أن تسحق قوة فرنسا وإنجلترا . فهل يجسر الحلفاء على مثل هذه المخاطرة ؟

ولكن الفرنسيين والبريطانيين قدموا فى ٢ مارس سنة ١٩٤٠ طلبا رسمياً يرجون الإذن بمرور جندهم ، فاجتمعت الوزارة السويدية على عجل وقررت بإجماع الآراء رفض الطلب ووافق الملك على ذلك .

وقد اعترف ممثلو بريطانيا وفرنسا وفنلندة بعدئذ أنه ربما كان قرار السويد هو الذى أنقذ الحلفاء من هزيمة ماحقة تنزل بهم من جراء اتحاد روسيا وألمانيا على حربهم .

## جواسيس من رجال الأعمال

وقد أثبتت الجاسوسية السويدية منذ مبدأ الأمر أنها أصدق علماً من مثيلاتها فى أوربا ، فأكبر أعوانها كانوا من رجال الأعمال البارزين الذين عاشوا سنوات طوالاً فى ألمانيا وجابوا أقطارها . ففى سنة ١٩٤٢ مثلا أغارت قاذفات القنابل البريطانية على مصنع للزيت الصناعى فى مدينة بتنهايم ، واتفق أن كان أحد رجال الأعمال من السويديين فى تلك المدينة ، فلم يمض يوم واحد على الإغارة حتى طار النبأ إلى إنجلترا بأن القنابل لم تصب إلا بناء يشبه المصنع أقيم للتضليل، فعادت القاذفات بعد بضعة أسابيع وهدمت المصنع المقصود .

ومما ساعد الجاسوسية السويدية أن كثيراً من كبار موظفى النازى كانوا يضمرون الاحتقار لهتلر .

فقد حدثت فى فجر يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٠ فى برلين أن دقت يدٌ متلهفة بابَ أحد رجال الأعمال السويديين ولنطلق عليه اسم س . وكان القادم طبيباً له أصدقاء حميمون فى حاشية هتلر، وأفضى إلى صاحب الدار بأنه قد علم بأنه قد تقرر الهجوم على إسكندناوة يوم ٩ أبريل، وأن سفن الغزو قد حشدت فعلا فى ميناء ستيتين .

فلم ينتصف النهار حتى اجتمع فى المفوضية السويدية نفر من الموظفين أخذ منهم الاهتمام كل مأخذ ، وتساءلوا بينهم : هل سمع أحد مثل هذه الإشاعة ؟ كلا . ولكن هناك دلائل وقرائن ، فقد لاحظوا أموراً لم يفقهوا مغزاها من قبل ، فإذا به يتجلى لهم الآن بوضوح . إذن لامفر من العمل فوراً . ولكن كيف ؟ وقرّ الرأى على اتهام أحد رجال الكنيسة السويدية فى ستيتين .

وفى عصر ذلك اليوم نفسه تسللت عصبة من كبار رجال الكنيسة السويدية فى ستيتين ، يخالهم من رآهم أنهم خرجوا فى نزهة إلى شاطىء الميناء ، وعادوا بنبأ مهول : فالعمال منهمكون فى شحن ٤٠ سفينة بالعتاد الحربى ، ونفر من برلين رسل دبلوماسيون لإبلاغ النبأ إلى وزارات النرويج والدنمرك وأرسلت به برقية رمزية إلى أستكهلم . ولما جن الليل كان س . . قد عرف من أصدقائه فى حاشية هتلر أنه قد تقرر غزو النرويج والدنمرك لا السويد .

ولم يسع وزارتى الخارجية فى أوسلو وكوبنهاجن أن تصدّقا هذا النبأ ، وذهب وزير خارجية النرويج يقابل وزير ألمانيا المفوض ، فأكد له الوزير سراً أن السفن إنما أعدت لغزو هولندة وبلجيكا . وجاء يوم الثلاثاء فإذا بأهل الدنمرك والنرويج يستيقظون على قصف مدافع الجيوش الغازية .

وحملت صحافة السويد بعنف على ألمانيا بعد هذا الهجوم ، مما جعل هتلر يظن الظنون بنيات حكومتها ، ونصح أصدقاء السويد فى الحاشية المقربة لهتلر ، بإرسال وفد شبه رسمى يؤكد له حيادها . وقد جاءه هذا التأكيد ، ولكن يصحبه إنذار قاطع : إذا هجم هتلر على السويد فإنها ستنسف كل مصانعها الحربية ومناجمها وسككها الحديدية .

وقد طلب هتلر ، على لسان جورنج ، أن تباح له الاستعانة بالسكك الحديدية التى تجتاز السويد إلى مياه نارفيك ، لإرسال الطعام والعلاج ونفر من رجال الصليب الأحمر ، وقد اتهم بعض هؤلاء الرجال فيما بعد بأنهم من خبراء التخريب قد تخفوا فى زى الصليب الأحمر . فأجابت السويد هذا الطلب على مضض . واقترح الألمان علاوة على ذلك أن تلحق بالقطارات عربات بضائع تحمل عتادا حربيا ، وأن تتعهد السويد بأن لاتفحصها أوتفتشها ، فرفض هذا الطلب رفضاً باتاً . فعمد الألمان فورا إلى الوعيد ، وحلق سرب من الطائرات الحربية فوق جنوب السويد ، فأسقط منه ٧ طائرات وهى تحترق .

وحدث أثناء ذلك أن نزل الحلفاء فى

نارفيك وأجلوا الألمان عنها ، وأصبح الجيش الألمانى فى شمال النرويج ووسطها فى حرج ، فأسرع فون روبنتروب وهو يكتم غضبه ، وأبلغ أرفيد ريتشر وزير السويد المفوّض أن رفض بلاده أن تأذن من جديد بمرور عتاد حربى سيعد عملا غير ودّى ، وأن هتلر لن يحجم عن شىء حتى غزو السويد ، من أجل إنقاذ جيوشه .

وفى تلك الليلة – ١٧ مايو – اجتمعت الوزارة تحت جنح الإظلام الذى فرض لأول مرة على أستكهلم احتياطاً خشية الغارات ، وأخلى بعض أحياء المدينة من سكانها ، ولمعت أسلحة الجند على الحدود ، ونسفت المعابر المؤدية من النرويج إلى السويد. وقام هانسون رئيس الوزراء فى المجتمعين يشرح المطالب الألمانية ، وهو رجل أصلع وقور ، جهم المحيّا ، أزرق العينين جامد النظرات ، ولم يكن هانسون قط رجلاً مشبوب النفس تغلبه العاطفة ، بيد أن صوته ارتجف وهو يختم خطابه قائلا : « إذا رفضنا فأغلب الظن أننا سنتعرض للغزو والاحتلال ، وإذا قبلنا أضمر لنا الشعب عداوة لن تموت » . ثم تريث قليلا وقال : « وأنا فيما يخصنى أومن بأنه خير للأمة أن تموت شريفة من أن تعيش مجلّلة بالعار ، فلا مفرّ إذن من رفض الطلب » .

فانعقد إجماع الوزارة على رأيه ولم يرتفع صوت واحد يعارضه .

ولعل الذى عاق هتلر عن تنفيذ وعيده بالغزو هو أنه شغل بالحرب الخاطفة التى اجتاح بها فرنسا وبلجيكا وهولندة .

ولما قاربت سنة ١٩٤٠ على نهايتها ، إذا بالسويد تواجه مشكلة أخرى ، إذ ظلت أشهراً عدة تشحن آلاف الأطنان من البضائع إلى إنجلترا عن طريق بتسامو ، ولكن البوارج الحربية الألمانية ضربت بعدئذ الحصار على بتسامو ومضيق سكاجيراك ووقفت فى ميناء جوتنبرج على الشاطىء الغربى للسويد خمس سفن نرويجية حديثة البناء . هذا وبريطانيا فى حاجة شديدة إلى الصلب السويدى ، فجمعت فى جوتنبرج لكل سفينة طائفة كاملة من البحارة تريد أن تخترق بها الحصار . فهل ترخص السويد لهذه السفن بالإبحار إلى إنجلترا فتستولى عليها الحكومة النرويجية التى فى المنفى ؟

ووافقت الحكومة فى هدوء على إبحارها ، وأرسلت معها سفن حراسة لتحميها وهى تسير حذاء الشاطىء السويدى محملة بـ ٢٥ ألف طن من العتاد الثمين . ولما اقتربت السفن من ليزيكيل حيث يجب أن يبدأ انطلاقها لاختراق الحصار المضروب على سكاجيراك ، توقفت وألقت مراسيها ، إذ لم

تشهد تلك المناطق برداً أشد زمهريراً من شتاء ذلك العام، فإن رياح شهر يناير — وقد هبطت الحرارة تحت الصفر — كست مياه البحر بساطاً من جليد أطبق على هيا كل السفن ، ووقف جورج بيتى الضابط الإنجليزى الذى يتولى قيادة القافلة ، يجول بنظره فيما حوله وهو رابط الجأش. إنه يعرف قوة سفنه الجديدة ، وقدّر — وكان على حق فيما قدّر — أن الألمان لا يعرفون ما يعرف . وقد ظلت طائراتهم المستكشفة تحلق فوقها بضعة أيام حتى اعتقد الألمان أنها حبيسة فى الجليد طوال الشتاء ، فكفوا عن إرسال طائراتهم . وفى تلك الليلة نفسها شقت السفن بساط الجليد واخترقت الحصار وانسربت إلى ثبج البحر ووصلت جميعها سالمة إلى إنجلترا . وأنشأ الإنجليز فيما بعد خمس سفن شحن صغيرة تماثل المدمرات فى سرعتها ، واستخدموها بمساعدة السويد فى نقل البضائع الثمينة إلى إنجلترا كل أسبوع .

وفى مطلع سنة ١٩٤٢ جاءت النذر مرة أخرى بأن الألمان يعدون العدة لغزو السويد، إذ كان هتلر فى حاجة إلى سككها الحديدية لتأمين مواصلاته أثناء الحملة الروسية .

وأخذت خطط هذا الغزو المنتظر تتبين شيئاً فشيئاً على مر شهر يناير ، فعلم أن ٤٣ فرقة ستهاجم السويد براً وبحراً من الدنمرك والنرويج وشمال ألمانيا ، وجعل موعد الغزو فى أواخر فبراير ، ولكن لم ينصرم شهر يناير حتى تمت تعبئة الجيش السويدى بأكمله وتدفق الجند إلى الحدود.

واندفع الفيلد مارشال فون بوك إلى مقر قيادة هتلر فى برلين وهو يصرخ : «لقد وشى بنا واش إلى هؤلاء السويديين اللاعين» . وهذه الألفاظ ذاتها بلغ خبرها جواسيس السويد، ثم طلب المارشال مدداً من عشرين فرقة أخرى ، ولكن هتلر لم يسعه أن يمده بالمدد المطلوب ويقتطعه من المدد المرسل إلى روسيا ، وهكذا نجت السويد بفضل يقظتها وانتباهها .

## الحرب الخفية

إن مشاركة السويديين فى جهاد رجال المقاومة السرية فى الدنمرك والنرويج لا تقل روعة عن قصص المغامرات الجريئة . ومن أوائل مآثرهم تهريبهم العالم الدنمركى الشهير نيلز بوهر إلى السويد ثم إلى الولايات المتحدة، حيث أصبح ذا مكانة ظاهرة بين العلماء المشتغلين بكشف الطاقة الذرية .

وقد حملت السفن أثناء الحرب أكثر من ١٨٠٠ راكب بين السويد والدنمرك،

لم يقع منهم فى أسر سفن الحراسة الألمانية سوى ثلاثة وحسب ، وكان بين الركاب عدد من الطيارين الأمريكيين ممن أسقط الألمان طائراتهم فى الدنمرك . ومن أمثلة الإتقان الذى بلغته هذه الحركة أن نسى أحد المهاجرين أسنانه الصناعيـــة فى كوبنهاجن ، فجىء له بها فى اليوم التالى إلى السويد .

وكانت المعلومات تتدفق من الدنمرك فى الساعة العاشرة من صباح كل يوم إلى جوت فريبرج مدير الشرطة السويدى المقيم فى هلسنجبورج ، فيبلغها إلى مفوضـيات الحلفاء ، وكانت هذه المعلومات تجيئه مسطرة على فلم مُصغر مُدسّ فى داخل دمية مصنوعة على مثال شمعة احتراق فى محرك الطـائرة التى تسافر كل يوم بين كوبنهاجن ومالمو . وكانت تدور مخابرات رمزية بين السويد والدنمرك بجهاز لاسلكى يذيع على موجة صغيرة قدمه الجيش السويدى .

وفى أوائل ســنة ١٩٤٢ سقطت على جزيرة دنمركية جنوب كوبنهاجن قنبلة طائرة قذف بها على سبيل التجربة ، فسارع رجال المقاومة السرية ففكوها ووضعوها فى صناديق كتب عليها « مهمات وقاية المدنيين من الغارات » وشحنوها فى سفن من سفن السواحل إلى جتلند . وجاءت بها سفينة أخرى إلى السويد ، فأمر هانسون بإرسالها بالطائرة إلى إنجلترا . وإذا كانت إنجـــلترا قد نجحت فى ابتـكار وسائل بارعة لمقاومة القنبلة الطائرة ، فنجت لندن بذلك من الخراب ، فمردّ الفضل فى هذا إلى أنها كانت قد وقفت على أسرار القنبلة وحقيقة سرعتها من قبل أن تسقط القنبلة الأولى على أرضها بعدة أشهر .

وعلى أن الحلفاء كانوا يعرفون أن القنابل الطائرة كانت تصنع فى ألمانيا ، إلا أنهم لم يتمكنوا مـن معرفة مواقع المصانع ، ولم يدلهم عليها سوى عامل سويدى فى دار صنعةٍ فى جوتنبرج ، إذ استطاع أن يؤلف ببصيرتهِ بين عبارات وردت على ألســنة الثرثرين على الشاطىء ، فعلم منها أن شحنات كبيرة من الرمل والإسمنت ترســل إلى بنيموندە على الشاطىء الشمالى لألمـانيا ، وأن أشــجار الصنوبر العالية فى الغابات الكثيفة فى تلك المنطقة تحجب عن الأنظار بناءً ضخماً جديداً لم يستكمل بعد ، كما سمع من بعض البحارة .

وقد دلت الصــور الفوتوغرافية التى عادت بها طائرات الاستكشاف على وجود مدينة جديدة عجيبة . وأسرع الجواسيس فكشفوا اللثام عن الغرض الذى أقيم هذا البناء من أجله ، فهوت إليه يوم ١٧ أغسطس ٦٠٠ قاذفة قنابل بريطانية وضربته ، فانبعث

منه انفجار مخيف بلغ من حدته أن هلك خمسة آلاف عامل من عمال بنيموندة البالغ عددهم سبعة آلاف ، وهلك معهم كبار علماء المصنع . وهكذا تأخر إنتاج القنابل الطائرة مدة تقدر بستة أشهر*.

## أثر كبار رجال الأعمال

يعتقد معظم الذين تتبعوا أنباء الحرب أن كبار رجال الأعمال في السويد شايعوا النازية ، وهذا أبعد شيء عن الصواب. فلنضرب مثلا بشركة جرانجسبرج التي تملك معظم مناجم الحديد في السويد . ففي المعركة التي دارت بين البريطانيين والألمان للاستيلاء على نارفيك هُدم رصيفان من أرصفة الشحن الثلاثة التي تملكها الشركة ، ودمرت كل الآلات . فحاول النازي مراراً حمل مارتين والدنستروم رئيس الشركة على تجديد الرصيفين ، ولكنه أصرّ على الرفض فكان رفضه هذا عاملا كبيرا في إنقاص صادرات الحديد من السويد إلى ألمانيا . والحق أن والدنستروم — وهو أكبر رجال الصناعة في السويد — قاوم النازية أعنف مقاومة ، حتى شاع حين عزمت ألمانيا على غزو السويد سنة ١٩٤٢ أن رجال الجستابو وضعوا اسمه في رأس القائمة السوداء .

وقد وجهت التهم العنيفة مراراً إلى شركة س . ك . ف ، بأنها هي السبب في أن ألمانيا لم يعوزها السلاح بعد أن هدمت طائرات الحلفاء المصانع النازية التي تصنع كرات المحاور في شواينفورت ، وهذه الكرات لاغنى عنها في كل شيء يتحرك على عجلات ، ولكن الشركة لم تصدر إلا أقل من ٣ ٪ من كرات المحاور التي تحتاج إليها ألمانيا . وقد وقفت في جوتنبرج على حقيقة تثير الدهشة ، ألا وهي أن هذه الشركة — بالرغم من الحصار البحري وغيره من العوائق — استطاعت أن تهرب ماقيمته ٢٠ مليون ريال من كرات المحاور والآلات إلى إنجلترا وروسيا ، وهو يعادل نصف مجموع ما أرسلته منها إلى ألمانيا ، إذ أن السويد كانت مضطرة إلى الاتجار معها من أجل أن يتوفر لمصانعها الفحم الألماني .

وأكبر معونة بذلتها هذه الشركة هي التي ظفرت بها إنجلترا في مطلع سنة ١٩٤٣ ، إذ ذهبت بعثة من مهندسيها لمساعدة إنجلترا على إنشاء مصنع لكرات المحاور في شمال إرلندة . بل إن جميع آلات هذا المصنع ومن بينها ٨٠ آلة ضخمة — أعدت في مصانع جوتنبرج وأرسلت سرّاً بالطائرة إلى إنجلترا .

* « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٣٢

## الأيام الأخيرة

وما وافت سنة ١٩٤٣ حتى بلغت السويد في مقدرتها العسكرية والاقتصادية مبلغاً جعلها أقدر على إقامة الدليل على ميلها إلى الحلفاء . ففي شهر يوليو منعت الحكومة السويدية مرور الألمان وبضائعهم إلى النرويج وفنلندة ، وكفت عن الاتجار مع ألمانيا في نهاية سنة ١٩٤٤ حين رفضت تجديد الاتفاق التجاري المعقود بينهما .

وقبل ذلك التاريخ كانت التجارة مع ألمانيا قد وقفت، إذ كانت السويد قد منعت السفن الأجنبية من دخول موانئها ، ورفضت أن تتمتع السفن المسافرة إلى الموانىء الألمانية بمزايا التأمين من أخطار الحرب .

وتقضي أحكام القانون الدولي بجواز ترحيل المعتقلين من جنود الدول المحاربة على شريطة أن يتساوى عدد هؤلاء العائدين من رعايا الدولتين . وكان في السويد من المعتقلين في السنة الأخيرة من الحرب أكثر من ألف طيار أمريكي ، وأقل من مئة طيار ألماني ، فوافقت السويد على ترحيل الأمريكيين قائلة إنها قيدت الفرق لحساب ألمانيا، وأنها ساعة يهبط على أرضها ٩٠٠ طيار ألماني ستتولى إعادتهم فوراً إلى الريخ !

وقدمت السويد أيضاً مساعدة إنسانية كريمة إلى المهاجرين وإلى أمم أوربا الجائعة ، فصدرت إلى النرويج حتى نهاية الحرب ٢٠٠ مليون رطل من الطعام ، وجمعت من التبرعات ما أتاح لها أن تقدم وجبة كل يوم طول سنوات الحرب إلى ٣٢٥ ألف نرويجي أكثرهم من الأطفال ، وأرسلت ١٥ ألف طن من الطعام إلى هولندة حين تعرّض سكان مدنها للموت جوعاً في يناير سنة ١٩٤٥ ، وأوفدت إلى بولندة وحدات طبية مزودة بالرجال والنقالات والعلاج . وبلغ مقدار الاعتمادات التي فتحتها من أجل إعادة تعمير أوربا ٥٠٠ مليون ريال أو أكثر.

وقد تولى الكونت فولك برنادوت مفاوضة هملر حتى استطاع أن ينقذ ١٩ ألف شخص من معسكرات الاعتقال في ربيع سنة ١٩٤٥ ، وحملهم سالمين إلى السويد .

وقد غادرتُ إسكندناوة وأنا مقتنع بأن السويد قد فعلت في زمن الحرب ما تتجلى فيه آيات من الشجاعة والذكاء. ولو التزمت حيادها كما ينص القانون، لما تعرضت للخطر، غير أنها آثرت أن تواجه أخطاراً جسيمة عن عمد ، لإيمانها بمبادىء الحرية والعدالة واحترام النفس والحق — تلك المبادىء التي حارب الحلفاء في سبيل إدراكها .

اِرْبَع بنفسك ! فني قدرتك أن تتغلب على معظم تعبك .

# هل تحس بالتعب دائما ؟

ماري بينون راسے
مؤلفة كتاب "كيف تنجو من التعب"
مختصرة من مجلة "المرأة اليوم"

كل إنسان يشعر بالتعب أحيانا ، ولكن بعضهم لايفارقه التعب أبداً . ولو عرف الناس حقيقة التعب ، وساروا على ما تقتضيه ، لقل تعبهم. وأكثرنا تساوره أوهام باطلة عن خير الوسائل التي تنجيه من التعب . فلماذا لا ننتفع بالحقائق الثابتة حتى نزداد نشاطاً وسعادة ؟

* التعب المزمن غير ناشيء عن جهد البدن أو العقل .

مهما كان التعب الناشيء عن جهد البدن شديداً ، فنوم ليلة كفيل بأن يزيله . والتعب لايتراكم بعضه على بعض ، والرجل منا إذا كان يعمل قاعداً ، وكان سليما معافى ، فمرد تعبه كله إلى أسباب غير جهد البدن الذى يبذله في عمله . والواقع أن السآمة الناشئة عن عمل يستغرق معظم طاقتنا هو وحده أعظم أسباب التعب .

* احذر ثورة العاطفة .

إن السبب الحقيقي لحدوث التعب المزمن إنما هو سبب نفسي . فليس العمل هو الذى يجلب لنا التعب ، بل توتر الأعصاب الذى يستبد بنا في ساعة العمل ، كالهم والتردد والسآمة والشعور بالضعة والعجلة والخوالج الجنسية المعقدة .

* الراحة ليست علاجاً للتعب .

مهما طالت الراحة فلن تشفي الرجل الذى يعمل قاعداً من تعبه ، أو من أى تعب مزمن آخر ، بل العلاج الشافي هو صرف الهمة إلى عمل آخر — إلى عمل يخالفه أو عمل أشق منه ، أو إلى رياضة أحب إلى النفس ، أو إلى الاستمتاع بمخالطة الناس . أما التسكع فلا يأتي بخير ولا تغيير ، ولا يصرف العقل عما يخامره ، ولايزوده بشيء جديد يشغله . والبدن لا يفتقر إلى الراحة ، والعقل يفتقر إلى التغيير. وما من شيء يفجر ينابيع النشاط سوى شاغل يستأثر باهتمام المرء .

* اضطراب الغدد الصم قل أن يكون سبباً للتعب .

إن نقص إفراز الغدة الدرقية والغدة الكظرية يجعل المرء أكثر استهدافاً للتعب ، ولكن الطبيعة زودت معظم البشر بما يرد عنهم عادية هذا النقص . وليس في بدن الإنسان طائفة خاصة ممتازة من الغدد وظيفتها أن تملأ بدنه نشاطاً . وليست الغدد أكثر بثاً للنشاط من القلب والرئتين .

والمرء إذا كانت فى بدنه غدد مفرطة النشاط فهو عرضة للإعياء من فرط ثورة العاطفة . وهناك شيء أعظم من الهرمونات يحرك تلك القوة البشرية المتدفقة ، ألا وهو الشغف بشيء فى الحياة .

* الملح يكسر حدة تعب البدن .

إن العمل الشاق والحرارة المفرطة تجعل البدن يعرق عرقاً غزيراً ، يخرج معه الملح ، وقلة الملح فى البدن تورث التعب ، واسترداد مايفقده منه يخفف التعب . وإذن فلا بدّ لك من أن تعرف بدقة مقدار الملح الذى ينبغى أن تستردّه .

* كلال الأعصاب ليس بنا شيء عن فرط العمل .

يؤيد الثقات ما يقوله الدكتور أوستن ريجز : « العمل الشاق وإن كثر ، وسواء كان عمل العقل أو عمل البدن ، لم يفض قط إلى إصابة أحد بكلال الأعصاب » . ويقول الدكتور إيرا وايل : « لا أعرف شيئاً يسمى كلالاً يورثه فرط العمل » .

* التعب ليس ضربة لازم على الشيخوخة .

تتوقف وفرة النشاط فى زمن الشيخوخة على كثرة الأشياء التى لا يزال المرء مشغوفاً بها فى حياته وعمله . وتوقف النشاط على قوة البدن قليل ، وأكبر توقفه على توقد العاطفة . وقد أتم كثير من العظماء فى زمن شيخوختهم أعمالا تضارع ما أتموه فى أيام شبابهم . فالشغف هو الذى يفجر القوة الكامنة فى النفوس .

* النشاط أعظم شأناً من الذكاء فى إدراك النجاح .

النشاط هو المحرك الذى يبعث كل ضرب من ضروب الذكاء التى ينطوى عليها المرء وهو الصفة التى يشترك فى حيازتها جميع الناجحين . يقول إمرسون : « إن النشاط هو سرّ كل نجاح » ، وهو يرى أنه أجلّ شأناً من الحكمة فى بلوغ النجاح ، ويؤيده فى ذلك علماء النفس .

* التعب سهل العلاج .

ينقلب المرء بين عشية وضحاها من رجل يؤوده الإعياء الثقيل الذى يسرى فى عروقه كالرصاص المصهور ، فإذا هو رجل يتفجر قوة ونشاطاً . وقد أقام علماء الطب النفسى الدليل على هذا .

وأكثر الناس الذين يمسهم التعب مسًّا خفيفاً أو ثقيلا ، كانوا فى مندوحة عن التعب ، فما كان عليهم إلا أن يراعوا هذه الحقائق المذكورة ، فإذا هم بمنجاة من غائلة التعب ، وإذا أيسر شيء وأسرعه وأعجبه ، أن يروا ينابيع النشاط تتفجر متدفقة بين جوانحهم .

قصة إرنست طمسون سيتون وحياته الحافلة ، فقد خلق ضرباً من الأدب ، وابتكر أصول حركة الكشافة ، وما زال وهو فى السادسة والثمانين وافر القوة والنشاط .

# صديق الحيوان

رالف والاس



على مسافة من الطريق الأعظم قرب مدينة سانتافيه فى ولاية نيو مكسيكو الأمريكية، تجد قصراً غريباً مربع الأبراج هو بيت ذلك العالم العظيم بطبائع الحيوانات — إرنست طمسون سيتون ، وقد أتم سيتون منذ بضعة شهور كتابه الثانى والأربعين ، وأكمل رسماً لمتحف الفن فى بلدته ، وصنع بيديه وهو فى السادسة والثمانين سقفاً لمكتبته التى تحتوى ٥٠ ألف مجلد . ثم ، نعم ، ثم استعد غير حافل لرحلة أخرى لإلقاء المحاضرات يقطع فيها عشرة آلاف ميل .

وقد ظل سيتون نصف قرن وهو من أروج كتاب أمريكا ، وقد بيع من كتابه « حيوانات مستوحشة عرفتها » وغيره نحو مليونى نسخة . وكان سيتون هو الذى ألهم كبلنج أن يكتب « قصص الأدغال » الخالدة . وبلغ من جودة كتابته هو نفسه أن قال تولستوى عن قصته « لوبو ملك الذئاب* » : « إنها خير قصة ذئب قرأتها فى حياتى » . ومما يريك من أى معدن صيغ سيتون أنه وقف عشرة أعوام على وضع كتابه العلمى الجليل «حياة حيوانات الصيد » فى أربعة أجزاء ، وبه ١٥٠٠ صورة من رسمه . وقد تكهن بأنه لن يباع منه أكثر من ٢٥٠٠ ولكنه كان مخطئاً ، فقد بيع منه ٢٦٥١ .

ويبلغ طول سيتون ست أقدام ، ويتوج الشعرُ الفضى المنفوش رأسه . وترى له تحت عينيه العسليتين الملتمعتين شارباً كثيفاً شعراته كالسهام المشرعة ، وقد جلس يقص على بنته المتبناة، وهى فى السابعة من عمرها، وعلى أصدقائها المدهوشين ، قصة الجواد الصغير المتبختر ، وقصة الدب الأغبر وخاتمته المحزنة ، وقصة الحجلة .

* لوبو ملك الذئاب ، المختار ديسمبر ١٩٤٣ ص ٤١

وهؤلاء الأطفال - وبضعة ملايين آخرين كانوا صغاراً فأصبحوا الآن شيوخاً ناءت ظهورهم بالرءوس الصلع والديون الفادحة والرهون - كان سيتون هو معلمهم العظيم الذى عرّفهم أن الحيوانات المستوحشة لها حياة كحياتنا ، ولها معاشق ومآس تقارب ما للإنسان .

وقد انحدر هذا المؤلف والفنان والعالم بطبائع الحيوان ، من أبوين من أصل أسكتلندى ، وولد فى قرية إنجليزية هادئة . ويرجع حبه للبرارى إلى أثر يرتدّ إلى عهد طفولته فقد كان أبوه زنديقاً أنانياً إلى حد الجنون ، وكان يجلد أبناءه العشرة بالسوط إذا هم لم يقفوا معتدلى القامة كالجنود حين يدخل عليهم الغرفة . وكان إذا بلغ أحدهم الحادية والعشرين من عمره يقدم له صكاً بكل ما أنفقه من المال على تنشئته ليردّه إليه . وقد بلغ ماتكلف إرنست ٥٣٧ ريالا ونصف ريال .

وكان والد سيتون رجلا متوسط الثراء من أصحاب السفن ، ولكن لما بلغ إرنست الخامسة حلت بالأسرة سلسلة من النكبات فذهب مالها . واستنقذ جوزيف سيتون بضعة آلاف من الريالات ورحل إلى كندا . وهناك فى ضيعة على الحدود قرب لندسى فى ولاية أونتاريو ، وجد إرنست فى نفسه سروراً لايوصف بحياة الحيوان الذى حفلت به الغابات المتقاذفة .

ولكن الأسرة تحولت إلى مدينة تورنتو بعد أربعة أعوام ، فلم تزده حياة المدينة إلا تلهفاً على الأحياء المستوحشة ، فجمع عشرين قرشاً وابتاع كتاب الدكتور ا . م . روس عن « طيور كندا » ، فوقف على الحقائق العلمية الخاصة بهذه الخلائق المجنحة التى يعرفها حق معرفتها .

وقد استنكر أبوه سخافة درس الطبيعة ، فليس لهذا « مستقبل » ، فكان مهرب إرنست الوحيد أن يختلس الزيارات إلى كوخ مخفى بناه بجهد فى وادى « دون » القريب ، وأن يقضى إجازته أحياناً عند الذين اشتروا الضيعة فى لندسى . وهناك تعلم أن يضرب الخيمة ، وأن يصيد بالنبل والقوس ، وأن يحيى فى طفولته حياة « هندية » وصفها فيما بعد فى كتابه العالمى الذى راج أعظم رواج : « مستوحشان صغيران » .

وفى الخامسة عشرة من عمره حلت به نكبة ، فقد أصيب بالسلّ ، فجاهد فى الغابات القريبة حتى استردّ عافيته ببطء .

ولما كان إرنست قد أظهر حذقاً فطرياً فى الرسم ، فقد أصر أبوه على أن يتتلمذ على مصوّر ، ولكن إرنست قال له وهو يجادله : إنه إذا كان لابد أن يكون مصورا ، فإنه ينبغى أن يدرس التصوير فى الخارج ، فأذن

له أبوه على كره منه فى الإبحار إلى لندن ، وجعل يبعث إليه بثلاثة ريالات ً فى الأسبوع فقضى إرنست عامين ونصف عام وهو يعيش فى الأكثر على الخبز وعلى نوع من « القهوة » ابتكره ، مؤلف من النخالة المحمصة والعسل والفول . وعلى الرغم من هذا الطعام ومن المنافسة الشديدة ، فاز بالتعليم المجانى سبع سنوات فى الأكاديمية الملكية .

كان إرنست فى التاسعة عشرة من عمره ، حين اهتدى فى لندن إلى مكتبة التاريخ الطبيعى الهائلة فى المتحف البريطانى ، ولعلها أنفس ما فى الدنيا من نظائرها . ولكنه لما حاول أن يدرس هناك وجد أنه لا يباح ذلك لمن هو دون الحادية والعشرين . فهل من الممكن أن تمنحه إدارة المكتبة إذنا خاصاً ؟ نعم ، إذا استطاع المستر سيتون أن يقنع كبار الأعضاء . فسأل عن أسمائهم ، فابتسم موظفو المكتبة : هم دزرائيلى ، والبرنس أوف ويلز ، ورئيس أساقفة كنتربرى !

وفى ذلك المساء كتب إرنست رسالة عجيبة التأثير لثلاثة من عظماء العالم . ولا بد أن تكون شدة لهفته قد مست قلوب الأمير ورئيس الأساقفة ورئيس الوزارة . فما هى إلا بضعة أيام حتى تلقى رسائل خاصة تفيض عطفاً من ثلاثتهم ، وبطاقة تخوله أن يكون عضواً مدى الحياة فى المكتبة .

وبفضل آثار هؤلاء العظماء من علماء التاريخ الطبيعى ظهرت عبقرية سيتون المتعددة الجوانب بسرعة ، وقضى السنوات العشر التالية متنقلا بين الغابات فى غربى كندا ، ومعاهد الفن فى باريس ، والعمل فى نيويورك ، وكان يعيش على أثمان رسومه وصوره ، ويكتسب شهرة مطردة الذيوع بأنه فنان وعالم بالتاريخ الطبيعى .

وبعد أن طلب أن يقطع أرضاً فى ولاية مانيتوبا فى كندا ، اكتشف أعشاش طيور عديدة وبيضها ، وكلها مما لم يكن يعرفه العلم . وقد راع علماء الحيوان بنظريته التى ثبتت صحتها فيما بعد ، وخلاصتها أن القوارض التى تنسرب فى سهول كندا تؤدى نفس الوظيفة التى تقوم بها ديدان الأرض ، فتحول ما يتخلف عن النبات إلى طين خصب فى تربة كندا الخالية من الديدان . وقد قبل « صالون باريس » أن يعرض صورته : « الذئب النائم » وذلك من أسمى ما يفوز به مصور . واختير لوضع رسوم : « معجم القرن » للحيوان والطير ، وهى تبلغ نحو ألف . وطلب فرانك م . تشابمان وهو أكبر علماء الطير فى أمريكا ، أن يضع سيتون الرسوم اللازمة لكتابه المشهور : « الموجز فى طيور أمريكا » .

ولما لم يجد سيتون كتاباً يبين أشكال الحيوانات الحية ونسب أعضائها ، وفي جملة ذلك أشكال ريش الطير ، ومواضع أصول الفرو في الحيوان ، فقد عزم أن يضع كتاباً في هذا الموضوع ، فشرّح مئات من الطير والحيوان ، وقاس كل مافيها بدقة حتى صار من أعظم مشرحي الحيوان في زمانه . ثم نشر على نفقته كتابه « التشريح والفنّ » الحافل بالصور والأسانيد، والذي لعله اليوم أنفس كتاب في بابه في العالم . ثم صار يكتب في الليل ، ويرسم أو يرتاد في النهار ، وهكذا بدأ أولى قصصه عن الطبيعة .

وقد طارد سيتون مرةً أيّلاً مسافة ٣٠٠ ميل في المستنقعات والغابات تسعة عشر يوماً متوالية . وفي مرة أخرى كانت به حمى شديدة الوعك ، وليس عنده إلا حربته لصيد السمك ، فاقتحم عليه كوخه وَشَقٌ عظيم فدافعه وغلبه .

وكانت عيون سيتون النفّاذة لايفوتها شيء في الغابات ، وإن ما كتبه عن فتك الحيوان بعضه ببعض ليبدو عند قراءته كأنه من قصص شرلوك هولمز في دقتها وحبكها . مثال ذلك أن أرنباً جلس تحت شجرة — فإن أثر الوطء في الثلج ، وآثار الأقدام لا سبيل إلى الخطأ في دلالتها — وإذا بفاتك متسلل قد ملأ قلب الأرنب رعباً . وكيف عرف سيتون هذا ؟ بطول الوثبة الأولى . ثم ذهب الأرنب يعدو بأقصى سرعة من الفزع : فإن الأثرين الطويلين للرجلين الخلفيتين بعيدان من أثرى الرجلين الأماميتين القصيرتين . أما مُطارِد الأرنب فلا يمكن أن يكون شيئاً يمشي على أرجل ، لماذا ؟ السبب بديهي أيها القارىء العزيز . فليس هناك آثار . فلا بد أن يكون المطارد من جوارح الطير . ولكنه ليس عقاباً فإن بقايا الفريسة هنا ، ولو كان عقاباً لحمل الأرنب . أي طير هو إذن ؟ من البديهي أنه بومة ، إذ تأمل الأثر ذا الإصبعين على مقربة من جسم الأرنب ، وللصقر ثلاث أصابع . ولكن أي نوع من البوم هذا ؟ آه ! هنا ريشة فيها ثلاثة خطوط بنية . فالذي فتك بالأرنب إذن من البوم المخطّط .

وبفضل الملاحظة الدائمة والذكاء والخيال صارت لسيتون فلسفة عن هذه الخلائق المستوحشة . فقد كتب يقول : « إننا نحن والحيوان أقرباء . فليس للإنسان شيء ليس للحيوان أثر منه على الأقل . وليس للحيوان شيء لا يشاطره فيه الإنسان إلى حدما » . وراح سيتون يقص قصص الحيوانات المستوحشة التي درسها واحداً واحداً — الغراب، والأرنب، والثعلب — وانتصاراتهم وأحزانهم ونوع حياتهم اليومية الخاصة .

وعلى الرغم من شهرته العظيمة ، كان على سيتون أن يجاهد فى سبيل القوت ، ففى رحلة منحوسة عاصفة إلى مانيتوبا اضطره نفاد المال أن يعيش أسبوعاً على البيض النيء الذى كانت تضعه دجاجات كان يحملها غرباً إلى ضيعة أخيه . وفى نيويورك وباريس كان شيئاً مألوفاً أن يأوى إلى مسكن زَرِىّ . ثم حدث فى سنة ١٨٩٨ بعد أن رحل رحلات كثيرة للصيد ودرس الطبيعة أن عرض سيتون وهو متهيب ستا من قصصه التى تدور على حياة الحيوان على الناشر سكربنر لينشرها فى كتاب ، فما راعه إلا أنه قبلها على الفور ، فصدرت تحت اسم : « حيوانات مستوحشة عرفتها » .

وما هى إلا أسابيع قليلة حتى صار اسم سيتون على كل لسان ، وصار أشهر المؤلفين فى أمريكا ، وبيع من الكتاب عدد من النسخ لم يسبق له نظير ، وهو نصف مليون . وتلا ذلك كتاب « حياة الطرائد » وغيره من الكتب العظيمة الرواج . وقد استطاع سيتون بسرْد الحقائق عن حياة الحيوان فى صورة قصة ، أن يؤسس مدرسة جديدة كل الجدة فى باب القصص التى تدور على الحيوان .

والآن وقد صار سيتون مستقلا من الناحية المالية فقد بدأ ما لعله أعظم أعماله .

فقد ظل سنوات يعتقد أن الأطفال يحتاجون إلى منشأة فى الهواء الطلق تؤثر فى غريزة القطيع فيهم ، وفى ميلهم إلى حب البطولة والمجد ، وتعلقهم بالمحافل وولعهم بالرموز الخفية فيما بينهم — فتدفع بكل ذلك إلى مجار من النشاط يبنى الشخصية . وفى عام ١٩٠٢ أعلن تأليف « رواد الغابات » فى سلسلة من المقالات فى مجلة « ليديزهوم جورنال » .

وسرعان ما انتشرت فروعها فى أمريكا وكندا ، وإنجلترا ، وجنوب إفريقية ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندة ، وغيرها من البلدان . وقد فصل فى كتاب له يقع فى أربعمئة صفحة ، طرق التنظيم ، والمكافأة على الأعمال بالشرائط ، والألعاب ، والطبخ فى الخلاء ، وما يدرس من العلوم الطبيعية ، ونظام الحكم الذاتى .

وقد اهتمّ اللورد روبرتس القائد العام للجيش البريطانى اهتماماً عظيما بهذا ، ووجه أحد ضباطه الجنرال بادن پاول لمساعدة سيتون على تشجيع هذه الحركة فى الجزر البريطانية ، فقرأ الجنرال بادن پاول كتاب سيتون وراسله طويلا ، ثم أعلن فى سنة ١٩٠٨ تأسيس حركة الكشافة . فحوّل بادن پاول نظام جماعة « روّاد الغابات » إلى فصائل وجنود ، ومعلمى كشافة ، وعُدِّلت كلمة سيتون : « كن صديقاً للأحياء المستوحشة

التى لا أذى منها » : فصارت « الكشاف صديق الحيوان » . وترجمت كلمته : « افعل على الأقل عملا واحداً لا أنانية فيه كل يوم » إلى : « الكشاف يجب أن يعمل عملا صالحاً كل يوم » . ثم عُرفت معظم ألعابه التى ابتكرها بأسماء أخرى .

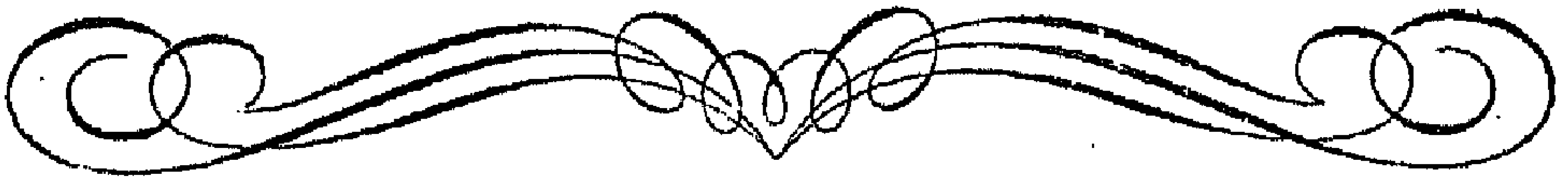
واعتقد سيتون أن الحركة الكشفية أصبحت أضخم من أن تحتمل الجدال ، فرفض أن يدخل فى منافسة فى سبيل المجد مع بادن باول ، على الرغم من إلحاح اللورد نورثكليف وغيره من كبار الإنجليز عليه ، بل لقد قبل أن يكون رئيساً للجنة تنظيم الكشافة فى أمريكا سنة ١٩١٠ ، وصار الكشاف الأول ومؤلف أول موجز للكشاف الأمريكى . وكل كشاف فى العالم اليوم — وعددهم يتجاوز عشرين مليوناً — مدين بتدريبه على حب الطبيعة لفكرة سيتون .

ولسيتون قطعة أرض مساحتها ٢٥٠٠ فدان قرب سانتافيه ، وعليها بناء ضخم من الحجر يقوم على رأس تل ، وهو حافل بذكريات ماضيه الكثير الألوان . فهنا طرفا حبل صيد قطعه الذئب لوبو بأنيابه بعد أن أوقعه سيتون فى شركه ، وعلى مكتبه تومض مدالية إليوت الذهبيـــة التى منحته إياها أكاديمية العلوم الأمريكية فى سنة ١٩٢٨ لكتابه « حيوان حيوانات الصيد » ، وعلى مقربة منها مداليات أخرى من قيصر روسيا ومن جمعيات كثيرة لما قام به فى علم الحيوان .

وقد قل إنتاج سيتون بعض الشىء — فما أخرج سوى خمسة كتب فى السنوات العشر الماضية ، بعد أن كان يخرج كتاباً كل عام — ولكنه أعد فى ذهنه موضوعات لعشرة كتب على الأقل ، وعشرات من الصور للحيوانات ، ورحلتين أخريين للمحاضرات ، وهى لا تزال تدر عليه ٢٠٫٠٠٠ ريال فى العام ، بعد نصف قرن من محاضرة الجماهير فى أمريكا . وهو يقول جاداً : « إن المسألة هى أنى كنت دائماً وما زلت أحب العمل » .

وقد عاش هذا العالم العبقرى حياة حافلة لا يكاد يصدقها العقل . ففى شمال روسيا الموحش اكتشف نوع جديد من الوعول سمى باسمه — رانجيفير سيتونى — تكريما له . وهو الذى اكتشف نهر إيرل جراى العظيم يوم ارتاد منطقة القطب المتجمدة الشمالية . ويقر له الهنود الأمريكيون بأنه الحجة فى ديانة الهنود . ولكن إرنست طمسون سيتون سيذكر على الأكثر بأنه جعل ملايين من الناس يعدون الخلائق المستوحشة أصدقاء ، لها نصيب من العظمة غير المحسوسة التى تميز كل حياة مفكرة ، ولها أيضاً نصيبها من الضعف .

امرأة من علماء الأجناس تقيم الدليل على بطلان :



# أســـطورة الســـلالة المتفوّقـــة

إسـثل ألبنفـــلز

*مختصـــرة من مجـــلة "كاثوليكـــ ورلد"*

انهيار ألمانيا النازية خاتمة خرافة من أضخم الخرافات التي فرضت على عالم غِرّ — خرافة تفوُّق بعض السلالات من البشر. وأغلب الرأى أن أسطورة « الآرى القحّ » لن يظهر لها أثر بعد اليوم فى جماعة محترمة من الناس.

بيد أن هذا الإنسان المتفوق ، الطويل الأشقر ، لم يكن خليقاً أن يبلغ ما بلغ لولا عصبية معظم الناس وجهلهم المطبق فى كل ما يمس موضوع الصلة بين سلالات البشر. إن الفروق التى تتراءى لنا بين سلالات البشر، والتى نضخمها ، مرجعها على الأكثر إلى التربيــة وطبائع الفرص التى أتيحت للجماعات . فليس ثمة سلالات « متفوقة » وإنما هناك أفراد متفوقون ، وإنك لتجد هؤلاء فى جميع السلالات . وقد قال فرانز بواس ، أحد كبار العلماء فى سلالات البشر: « لو تخيرنا أذكى جماعة من البشر، وأوسعهم خيالا وأعلاهم قدرة ، وأرزنهم عاطفة ، لوجدنا جميع السلالات ممثلة فى هذه الجماعة » .

كان تشارلز داروين أول من أذاع بين الناس صورة التطوُّر فى صورة خط مستقيم، تجد القرد فى أسفله والإنسان الأبيض فى أعلاه . فنشأت خرافة مؤداها أن هناك طائفة من البشر لا تفوق القرود إلا قليلا ، وأن هناك أخرى لا تقل عن الملائكة إلا قليلا .

وإذا فحصت بعض القردة الراقيــة ، ألفيت جلدها وردىّ اللون ، لا أصفر ولا أسمر، بل هو أدنى إلى جلد الإنسان الأبيض. والقرد أشعر ، والبيض هم أغزر البشر شــعراً . وللقرد شفتان رقيقتان وأذنان صغيرتان وأنف دقيق ، والبيض أرق البشر شفاهاً وأصغرهم آذاناً وأدقهم أنوفاً . فلو صدّقنا هذه الخرافة، لوجب أن نصدّق أيضاً أن البيض أقرب إلى القرد فى صفات كثيرة .

بيد أن العلماء لا يذهبون اليوم إلى أن الإنسان تحدَّر من القرد ، بل يذهبون إلى أن الإنسان والقرد تحــدَّرا جميعاً من

صلب سلف واحد . والعلماء لا يذكرون اليوم الخصال التي تشبه خصال القرود ، بل يذكرون الخصال الفطرية الأولى أو البدائية . وكل إنسان هو فى الواقع متحف متحرك يضمُّ هذه الخصال البدائية ، وقد أحصى علماء الأحياء ٢١٢ خصلة منها تشترك فيها قبائل البشر . أتستطيع أن تحرك أذنيك أو فروة رأسك ؟ فمنذ دهور متطاولة كنا فى حاجة إلى العضلات التى تحرِّك الأذنين ، لكى نحرِّك آذاننا فنطرد بتحريكها الذباب . وترى الزائدة الدودية واللوزتين ميراثاً قد ذهب نفعه الأول ، ولكنه احتفظ بشكله الأول . وجنين البشر يقص القصة نفسها ، فإذا ما كان فى أسبوعه الثالث وحسب ، عجزت عن أن تميز بينه وبين جنين السحالى أو الطير أو أى حيوان ثديى آخر .

ولا يزال التطوُّر يفعل فعلهُ فى البشر ، فنحن الآن فى سبيل فقدان خناصر أقدامنا . فإذا ما نشأ فى المستقبل إنسان ذو أربع أصابع فى قدمه ، فربما كرَّ ببصره إلى سلفه إنسان هذا العهد، فيجد فى أصابع قدمه الخمس مسلاةً ومضحكة . حقاً ما أتفه ما يشعرنا بالتفوق والاستعلاء !

نعم ، هناك فروق بين السلالات ، فلون البشرة ، وانحراف العيون ، وشكل الأنف وغيرها من الصفات ، تميز السلالات الثلاث العظيمة بعضها عن بعض — السلالة المغولية أو الصفراء ، والزنجية أو السوداء ، والقوقازية أو البيضاء ، وهى فروق لا ريب فيها ، ولكننا نخطىء فى تقديرها ، فهى خواصُّ أسبغت على ظاهر هيكل يتساوى فيه جميع البشر .

فالبشر لا فرق بينهم فى أى مكان على سطح الأرض إذا نظرنا إلى صفاتهم البدنية الخطيرة — أى المخ والقلب والرئتان والأعصاب . والعلم والدين هما اليوم متفقان على أن جميع الناس أسرة واحدة ، بل يجرى فى عروقهم دمٌ واحد . فالعلم يؤيد رسالة الأديان العظيمة — رسالة إخاء البشر .

هذه حقيقة . ومع ذلك نرى الإيمان بالفروق بين البشر عميقاً شائعاً . فثمة الفرق فى حجم المخ ، أهو فرق خطير ؟ إن مخ الإسكيمو ، هو على المعدَّل أضخم مخ بشرى إذا قيس بحجم بدن الإسكيمو ، ومعدَّل مخ اليابانيين أكبر من معدَّل البيض . وقد كان أصغر مخ دوِّن خبره فى دفاتر العلماء مخ العبقرى الإيطالى دانتى . وكثيراً ما تجد أضخم مخ فى رأس أبله .

واختلاف لون البشرة هو أضعف الفروق دلالة على تمايز السلالات ، فالسلالة البيضاء تدعى السلالة القوقازية ، نسبة إلى

قوم كانوا يقطنون أرض القوقاز ، فحسبها العلماء مثالا للبيض من البشر . ولكن ماقولك فى إنسان « إينوس » الأشعر ؟ فقد وجدوا ١٦٠٠٠ نسمة منه يعيشون فى مناطق محرّمة فى الجزائر اليابانية الشمالية ؟ إنهم بيض ، واليابانيون يعدّون تأخر هؤلاء مشكلة فى بلادهم ، فهم لايستحمون مطلقاً لأنهم يعتقدون أنهم يستطيعون أن يشيّدوا بالرائحة الكريهة جسراً إلى السماء .

ثم هناك فروق فى الدم ، ولعلّ هذه الفروق هى التى ترضى كبرياءنا . فثمة أربع فئات من الدم ، أ ، ب ، أ ب ، و . ولكنك تجد هذه الفئات الأربع جميعاً فى جميع السلالات . فأين الفرق ؟

بيد أننا نستطيع أن نتصور المؤمن بهذه الخرافة متمادياً فى لجاجته فيقول : إن هناك فرقاً عظيما بين مآثر الشعوب . فمن الخير أن ننظر فى هذا القول .

وضع ت . ت . واترمان* كشفاً يفتح العيون ، أدرج فيه طلائع بعض المخترعات فى التاريخ . فالنحاس والشَّبَه (البرونز) والقمح والمحراث ، وحروف الأبجدية ، والزجاج ، والطوب ، انحدرت إلينا من قدماء المصريين ، وأما العجلات والأوزان فمن الشمّريين ، وأما القانون المبوّب والنقود المسكوكة والقنطرة فمن البابليين .

وقد تعهّد الأشوريون شئون القطن والمصارف ونظام البريد . وأورثنا الكلدانيون الفلك ، والأسبوع ، ودرجات الدائرة . وأخذنا عن الفرس ، التوحيد والدجاج والسراويلات ، وعن العرب الحساب والجبر والأرقام والصفر ، وعن الإغريق هندسة إقليدس والألاووظ ، وعن الصينيين الخزف والبارود والحرير والنظارات والمطبعة وبوصلة البحّار وورق النقد .

نستطيع أن نباهى بأننا أمهر الناقلين فى التاريخ ، ولكن ينبغى لنا أن نقدر ما صنعته الشعوب الأخرى قدره الصحيح . إن كثيرين من المؤرخين يعتقدون أن المدنية انحدرت مع النيل إلى مصر من أرض الزنوج . وفى القرون المتوسطة ، كانت الحضارة فى ثلاث ممالك زنجية — جانه وميلستين وسونجاى ، تضارع حضارة أوربة فى ذلك العصر . وينبغى لنا أن نعرف شيئاً عن جامعة الزنوج فى تمبكتو ، التى كانت تتبادل الأساتذة مع أكبر معاهد العالم منذ ثمانية قرون . وقد قال أحمد بابا العالم الزنجى ، وهو ماض إلى إعدامه ، إنه يبكى على نفسه لأن الحياة لم تطل به حتى يجمع من الكتب مثل ما جمعه بعض أصدقائه . وقد كانت خزانة كتبه تحوى ١٦٠٠ مجلد .

* كتابه « رسائل فى علم البشر » عام ١٩٣٦ .

فهذا النشاط الفكرى كان متقداً فى إفريقية المظلمة ، يوم كان أسـلافنا النورديون يتعبَّدون أمام مذابح من الحجر فى الغابات .

مذابح من الحجر؟ يظن العلماء أن الزنوج أنشأوا فنّ صهر الحديد ، وأن قسطهم فى قيام صناعة الحديد أعظم من قسط أية سلالة أخرى . وسَبْقهم إلى صنع أدوات من الحديد أبلغهم أعلى درجـة من الحذق الفنى فى نحت الخشب . فمذابحهم فى عهـد النورديين ومذابح الحجر ، كانت وليدة ثقافة أسمى من ثقافة النورديين .

وفى كلّ حقبة من التـاريخ ، يبدو أن سـلالة بعينها هى السلالة المتفوقة ، لأنها تكون السابقة فيما نسميه الحضارة . ثم ينتقل قصب السبق إلى سـلالة أخرى فى حقبة أخرى . والجهَّـال وحدهم هم الذين يعدُّون هـذه الحقيقة دليلاً على أن الله وهب التفوُّق لبعض البشر دون بعض .

وقد لخص رالف لينتون مايحدث للمرء فى يومه فقال : يطلع الفجر عليه فى غلالة نومه المنحدرة إليه من جزائر الهند الشرقية ، ويرمى نظرة على ساعته (اختراع أوربى من القرون المتوسطة) ويذهب إلى حمّامه (الخزف من الصين وفرشة الأسنان من أوربة فى القرن الثامن عشر ، والصابون من فرنسا القديمة ، والمرحاض من أصل رومانى ، والموسى — من خليط من الصلب والـكربون — أصله من الهند) .

ويجلس إلى مائدة الإفطار فإذا هو أمام حشد من آثار شعوب شتى ومخلفات عصور بعيدة — الشوكة (اختراع إيطالى فى العصور المتوسطة) والقهوة (نبات فى الحبشة اكتشفه العرب) والسكر (عرفته الهند) والفطائر (من أصل إسكنديناوى) والزبد (أصله معجون تطرية من الشرق الأدنى) وهكذا .

ثم يركب القطار (اختراع إنجليزى) ، ويجلس فيه يدخن سيجارة (من أصل مكسيكى) ويقرأ صحيفته (مطبوعة بحروف اخترعها الساميون القدماء ، بأسلوب اخترع فى ألمانيا ، على ورق اخترع فى الصين) ... فهو ابن العالم كله أدرك ذلك أو لم يدركه .

أما اليوم فتقع على عاتقنا تبعة هائلة ، هى أن نزن بميزان الإنصاف والحق ، ما تمّ على أيدى سائر السلالات والأمم . وليس فى وسع بليونين من البشر أن يعيشوا معاً فى وئام وصفاء فى عالم تدانت أقطاره ، إلا إذا ارتقت معرفتنا بطبائع العلاقات بين البشر ، حتى تبـلغ مستوى ما نعرفه من العلوم الطبيعيـة . وينبغى أن ندع التِّيه بما نتوهمه من تفوقنا على سـائر الشعوب ، إلى التِّيه بكمال معرفتنا ومودتنا لسـائر إخواننا من البشر سكان هذه البسيطة .

# عبرة من خلق الإسكيمو

جونتران ده پونشان
مؤلف كتاب "كابلونا"

قضينا ثلاثين يوماً فى الطريق ، أنا وأسرة الإسكيمو التى كنت مسافراً معها . وقد لقيت بلاءً شديداً من الريح العاتية والبرد القارس — كانت درجة الحرارة ٥٠ تحت الصفر ، ولقيت البلاء من تفكير الإسكيمو أيضاً ، فكانت أشقّ رحلة رحلتها فى حياتى .

وأحسست كأن المقادير تكيد لنا لكى تؤخرنا . فهذه عاصفة من الثلج تهب يوماً فإذا نحن نلوذ بكوخ من الجمد صنعناهُ لنجلس فيه ، أو ربّما تراءى لأصحابى الإسكيمو فى يوم ضاح أن يصنعوا كوخاً جديداً بدلا من أن يمضوا فى طريقهم .

فسألت شيخ الأسرة مراراً :

« متى نصل إلى أرض الملك وليم ؟ »

ولكنه لم يجب قط جواباً صريحاً . والإسكيمو لا يحبون الأسئلة ، ويعدونها جفاءً فى الطباع ، وهذا سؤال لا يوجهه سوى الرجل الأبيض ، ثم إن الإسكيمو لا يحبّون أن يورّطوا أنفسهم فى شىء .

وقد تسأل : « ترى ماذا تكون حالة الجوّ غداً ؟ » وإذا الإسكيمو يعرف ذلك حقّ المعرفة ، إلا أنه يجيبك فى أدب : « مونا — أى لا أدرى » ، ثم يتظاهر بأنه معنيٌّ بتدبير أمر الكلاب ، فكأنه يقول : « لماذا أجيب ؟ إذا أصبت لم ينفعنى صوابى ، وإذا أخطأت بدوتُ غِرًّا أحمق » .

مضينا فى طريقنا فوق البحر المتجمد ، طوال الضحى وطوال الظهيرة ، وما كنا نقف إلا لنتبين آثار أقدام الكلاب ، أو لنشعل غليوناً . ثم لمحنا اليابسة ، فعسى أن ندركها قريباً . فما كدنا نبلغ الأمل حتى هبّت الريح ، وحجب الثلج العاصف مرأى الأرض ، وغابت فى أعماق هذا الفضاء الأشهب الداعى إلى القنوط .

فوقفنا ثانية ، فمضى أودلريك يحدث زوجته وابنته غير مستعجل ولا جزع ، وفى لهجته تلك الوداعة التى يتقبل بها الإسكيمو صروف الحياة وأحداث القدر . وكم من فلاح رأيته فى بلادى فرنسا وهو

واقف تحت العاصفة والمطر وهو يفحص محراثه بمثل هـذا الهدوء الذى أراه فى نفوس الإسكيمو .

وشقّ على احتمال ما أنا فيه من الكرب، فعدت أسأل الرجل الطاعن فى السن مرة أخرى : « والآن متى تظننا نصل إلى أرض الملك ولم ؟ » .

ولست أدرى أفرغ صبره فى هذه المرة أم استرعى الأمر اهتمامه ؟ إلا أنه التفت إلى امرأته ، وفهم كلاهما عن صاحبه وإن لم ينبسا ببنت شفة .

ثم دار وأقبل علىّ وصعّد بصره إلىّ ، ثم أخذ يتكلم على رسْله وبغير اكتراث كعادة الإسكيمو حين يكون أحدهم حذراً وخائفاً فى وقت معاً :

« أتجد أن الكلاب لا تؤدى عملها على الوجه الذى يرضيك ؟ »

ثم ساد الصمت، وتلفتت الكلاب لاوية رؤوسها كما تفعل حين تكفها عن المسير ، وجعلت ترمقنى بأبصارها . وتظاهرت امرأته وابنتها بأنهما مشغولتان ، بيد أنى كنت على يقين من أنهما تصرفان إلىّ جل اهتمامهما . وخيل إلىّ عندئذ أن كل شىء قد تغشّاه السكون، وهذا شعور يوحى به إليك الإسكيمو فى ساعة الحرج ، فإن لهم أسلوباً عجباً فى جعل السكون محفوفاً بالرهبة .

أفتراهم يدعون الأمر حيث استقر ؟ كلا ، فقد مبلغ مبلغاً لا يحمد الوقوف عنده . وأخيراً قال الإسكيمو الشيخ ، وكأنه قد عجز عن التخلص من ريبه وشكوكه :

« أتجد المركبة غير صالحة ؟ أم أراك غير راض لأن الجليد الذى يغطى البحر قد ظل باقياً طول رحلتنا ؟ »

وظل ينظر إلىّ بعينين ساهمتين حائرتين حتى كأنى أرى العصر الحجرى بسذاجته ، والشرق بحكمته ، كانا ينظران إلىّ وهما يحاولان أن يفهما عنىّ — بل الأحرى أنهما كانا يحاولان أن يجعلانى أفهم أناعنهما . ثم إذا بى أفهم فجأة ما كانت تقوله لى العينان الهرمتان ، قالتا :

« فيم العجلة ؟ وما هـذا المكان الذى لا تزال تلحّ فى طلب بلوغه ؟ وعلام تعنّى نفسك بأمر الغد ما دمت ترى يومك قد بلغ هذا المبلغ من الروعة ؟ »

وقد علمنى الإسكيمو الشيخ فى ذلك اليوم شيئاً لم أنسه قط، فقد أضلنى سُعار التفكير فى غدى عن أن أقدر يومى حق قدره ، ثم تذكرت وأنا فى حضرة الشيخ ماقاله لى مرة بعض الناس : « التفكير فى الماضى مجلبة للحسرة عليه ، والتفكير فى المستقبل مدعاة للخوف منه » ، الحاضر حسبنا ! أليس هو الحقيقة الوحيدة التى نستطيع أن ندركها؟

إن المرء يرى دنياه كما تصنعها له أفكاره. فقد كنت أرى المنطقة القطبية كرباً يغمّ القلب، أما الإسكيمو فيرونها مملكة متراحبة هم ملوكها . وكنت أنا أعدّ الجليد نقمة ممقوتة ، أما هم فيعدونه نعمة من النعم المباركة . والحياة الدنيا فيها آلاف من السبل فمن شاء سلك سبيل النكد ، ومن شاء سلك سبيل الرجاء .

فنحن نسلك سُبُل الحياة مسرعين مندفعين، عُمْياً عن مجالي الطبيعة التي تحف جوانب الطريق . ولست أذكر من الذي قال : « لا ينال المرء رغد العيش إلا إذا أتيح له وقت للفراغ » ـ أي وقت للتريث والتفكير : والإسكيمو يتريّث متى شاء واشتهى ، وإن كان الغد يضمر له ، كما يضمر لنا ، ذلك النذير السرمديّ بالجوع المهلك والمنايا القاضية ، بيد أن المنية إذا جاءته وجدته لا يزال سعيداً بحاضره ، فيسلم لها نفسه غير جازع ولا متحسر .

ومنذ فهمت عن هذا الإسكيمو الشيخ حديث عينيه، ادركت سوء ما كنت فيه من فقر النفس وخوائها أثناء رحلتي في المنطقة القطبية . وعرفت أيضاً كيف أجعل يومي حافلا بما يغنيني ، كأني لن أعرف ليومي غداً ، وأن ما عسى أن يأتي به الغد لا يستطيع أن يغير شيئاً من حاضري الذي بين يديّ .

فلما نزلنا مدينة فانكوفر بعد أن ألقينا عصا التسيار ، وجدتني مسرعاً مندفعاً إلى الفندق كأني أخشى أن أضيع شيئاً من وقتي . ثم وقفت فجأة في وسط زحام المرور ، فأخذت أصوات أبواق السيارات تتعالى من كل ناحية ، ولكني كنت كالأصم الذي لا يسمع ، وكأني أرى الإسكيمو الشيخ واقفا حيالي في وسط الطريق يرمقني بعينيه الحائرتين المتسائلتين اللتين تشعّ منهما الحكمة المتقادمة السرمدية ، وكأني به يسألني عن الكلاب : أأنا راض عنها أم غير راض ؟ ويقول لي : أليس الجليد نعمة من نعم الله المباركة ؟

فألفيتني أضحك بملء فمي، وقلت لنفسي : « ما أحمق البشر ! » ، وما زلت أقولها .



إذا رأيت قوماً يفكرون جميعاً على نمطٍ واحدٍ ، لم تجد بينهم أحداً يجهد نفسه في التفكير . [ ولتر ليبمان ]

« دانتزيو — الشاعر الإيطالى الذى كان إسرافه فى المال ، وفى الحب ، وفى غروره بنفسه ، فتنة وغراماً »

# شَاعِرٌ مِتلافٌ

توم أنتونجيني
صديق دانتزيو وكاتم سره

مختصرة من كتابه " دانتزيو "

قضى جبرائيل دانتزيو، الشاعر المسرف المتلاف ، خمسين سنة حافلة زاخرة بالعمل ، ألف فى خلالها خمسين كتاباً من نفائس الكتب حازت له شهرة واسعة فى الأدب ، وأنفق منها أربع سنوات فى الحرب العالمية الأولى فقد فيها إحدى عينيه حين سقطت به طائرته، وفتح فيومى باسم بلاده إيطاليا ، واتسع له أيضاً أن يحب نساءً لا عِداد لهن ، وصار عَلَماً من أعلام كتاب الروايات والمسرحيات ، وغدا أكبر الصحفيين أجراً فى العالم ، وجمع ثروة بعد ثروة وبدّدها جميعاً . فقد كانت شهوة الإسراف والغلوّ فى نفس دانتزيو أقوى من عقله — كانت فتنة وغراماً .

وحيث ترى أحدنا يدخل فيشترى ستة مناديل ، ترى دانتزيو يخرج حاملاً ستين منديلا . وحيث تسمع أحدنا وهو يقلب إحدى السلع ، يقول للتاجر : « أعندك أرخص من هذا قليلا ؟ » ، تسمع دانتزيو يقول له : «أعندك ما هو أغلى وأنفس ؟»

وما دخل محلا قط فخرج إلاّ ومعه شىء قد اشتراه ، فإنه كما قال : «من العار أن تفارق المكان وأنت فارغ اليد ، وماذنب التاجر إذا لم تجد عنده مايستحق أن تشتريه ؟ »

أما أناقة هيئته فكان يسرف فيها إسرافاً طاغياً، وإن لم تكن قط أناقة تخلب الألباب. فإذا لم يجد ما يشغله ، صار كلّ همه أن يستحم ويلبس ويتعطّر من مطلع الصُّبح إلى سقوط الليل . وكان ينضح على جسده فى اليوم نصف لتر من ماء «كوتى» المعطر، ولا يزال يغير قميصاً بعد قميص ،فمايكون على خادمه إلا أن يطرّيها بالمكواة قبل أن يضمها إلى أخواتها فى الخزانة . ولست أغالى إذا قلت إنك قد تجد فى خزانة ملابسه مئة حُلةٍ كاملةٍ مرّة واحدة . وعلى أنه كان قليل التحلى بالجواهر ، إلا أنه قد أهدى إلى أصدقائه وصديقاته من الجواهر ما تزيد قيمته على مليون ليرة إيطالية .

ومن إسرافه الفاضح ماتراه فى رسالة بعث بها إلى صحف باريس يقول فيها إنه لم

يشغل نفسه بإعداد قصته «كابيريا» للسينما (وقد نجحت نجاحاً عظيماً)، إلا ليكفل لكلابه الكثيرة راحتها وهناءها. فقد كان طعامها اللحم الغض والنبيذ المعتّق! وقد رأيت مرة بعينيّ جيادَ دانتزيو، ورأيت خليلته فى ذلك الوقت أيضاً، ينامون جميعاً على أفخر السجاجيد العجمية وأغلاها.

ولما مثلت روايته «فرانشيسكا داريميني» كلّف حرْصُه على الدقة فى عرضها شيئاً أنفس من المال، فقد أبى فى منظر الحصار إلا أن يكون ضرب المدافع ضرباً حقيقياً، فكانت عاقبة ذلك حدثاً فريداً خالداً فى تاريخ المسرح، فقد أطبق دخان كثيفْ خانق أعمى عيون النظارة المساكين وكادوا يفطسون، فخرجوا فارّين ساخطين صاخبين، وانطلقت من المنجنيق صخرة عظيمة قوّضت أحد الجدران الأربعة كل التقويض. وكذلك أيضاً كان مصير روايته.

ومعدّل ما كان يتسلمه دانتزيو فى اليوم هو ٥٠ رسالة، ٢٥ برقية، و ١٥ كتاباً ومخطوطاً، وكان ما تسلمه فى أيامه نحو مليون رسالة ونصف مليون، فلو أنه عمل على إرضاء المعجبين به لما كان له من عمل فى حياته سوى أن يكتب رجع هذه الرسائل، ويردّ على البرقيات، ويفتح الهدايا ويتقبلها، ويتصفح الكتب والمخطوطات، بيد أنه كان من حسن التوفيق أنه كان لا يعبأ شيئاً بأكثر مايقذفه عليه البريد. وهذا ما كنت قيّدته عن أسلوبه ساعة يتسلم رسائله:

«حين يجلس الشاعر ليلقى نظرة على رسائله، يأخذ الرسائل التى يميز خطوطها فيضعها جانباً، ثم يقبل على سائرها فيقبلها ويشمها، بل ربما أدناها من أنفه فشمّها حريصاً حذراً كما تفعل الهرة بطعامها. وأما الرسائل التى يلقيها جانباً ولا يفضها، فلا تمزق أو تحرق، بل تعزل وحدها فى صندوق كتب عليه «رسائل قديمة العهد» فإذا طفح بها الصندوق، حملت إلى غرفة تراكمت فيها الرسائل منذ أمد بعيد، لم تفتح ولم تقرأ».

وقد غلبتنى فى بعض الأحيان لجاجة العلماء وحرصهم، ففضضت بعض هذه الرسائل المنبوذة، فما وجدت بينها إلا مايتضمن طلب صورة من صوره، أو استجداء بعض الصدقة، أو مطالبته بدين مستحق. أما الظروف التى فيها رسائل الحب أو شيكات الناشرين، فلست أدرى كيف كان لا يخطئها البتة. وعلى ما كان فى دانتزيو من السّرف والتبذير، إلا أنه كان شديد الحرص فى رعايته دَخله ومصالحه. ومن العجيب أنه كان يستشعر فى دخيلة نفسه بالرسائل التى ينبغى أن يفضّها.

والمراسلة بالبريد معناها عنده : البريد المسجل لا غير . وقد ظل سنوات لا يرضى إلا بأن يبعث رسولاً يحمل كتبه فيسلمها إلى من أرسلت إليه يداً بيد . أما البرقيات فهو مدين لها بأعظم الفضل ، ولقد رأيته بنفسي يرسل ما ينيف على مئة برقية مطولة في جلسة واحدة . وهذه البرقيات التي كتبت في وقت واحد تتضمن معاني كثيرة متناقضة . فهذه واحدة تقول إنه مُثْقَل في فراشه ، وهذه أخرى توحي بأنه إنما ترجّل الساعة عن ظهر جواده . ولما وضع النظام الجديد للبرقيات اهتزت طبيعته المسرفة ارتياحاً حين علم أن البرقيات المستعجلة تتكلف أربعة أضعاف البرقيات المألوفة ، ومنذ ذلك اليوم وهو يأبى إلا يتبع هذا الأسلوب الجديد كلما أتيحت له الفرصة .

وكان من مواطن الضعف في هذا الشاعر العظيم عادة مستهجنة ، وهي بذلم المواعيد ، وهي عادة ظلت تتأصل وتستفحل على مر السنين . فتراه يعد بأن يشترك في احتفال ، وبأن يكتب مقدمة لكتاب ، وبأن يقبل إحدى الوظائف العالية في الدولة . وما من مَوْعِدة وعدها إلا أخلفها ، حتى ولو كان قد قيد نفسه بالتوقيع وبالشهود على التوقيع ، وبالعهود والمواثيق ، وبالأختام الرسمية . ولما كان في باريس وأراد أن يتحلل من وعد رسمي ، لم يتردد في أن يرسل سائق سيارته إلى بلدة قصية ليرسل إلى داعيه هذه البرقية : « مسيو دانزيو معلق هنا في بالون استكشاف ، ولا يُعْلم متى يقدر له أن يهبط إلى الأرض » .

أما مواعيده للمرأة التي يكون بينه وبينها يومئذ مُخَالّة فهي العجب العجاب — ما بين هدايا نفيسة إلى طلب الزواج بها ساعة يظفر بالطلاق . وهو وإن كان يعيش مهاجراً لامرأته بعيداً عنها ، إلا أن الطلاق كان أمراً مستحيلا طبقاً للقانون الإيطالي . ومع ذلك فقد كان يبذل هذه الوعود بذل المخلص ، حتى إن أكثر النساء كان يصدقها تصديقاً لا تخامره ريبة .

ولما لم يكن من السهل على دانزيو أن يفي بما وعد ، فهو قد أعد لذلك ثلاث خُدَع أو أربعاً يتخلص بها . فمن ذلك أنه أعطاني ، يوم كنا في أركاشون ، هذه البرقيات الأربع لأرسلها :

« السيدة س ، باريس . وصلت اليوم إلى دارتي الجديدة ( فيلا ) حيث أعد لك غرفتك ، إلى اللقاء . جبرائيل » .

« الكونتس م ، باريس . هذه أمواج البحر تهدهد أسفي وندامتي . كل شيء

بعيد ، وكل شيء قريب ، إلى اللقاء .
الشريد » .

« السيدة ب ، باريس . أفكر فيك
فى كل ثانية . جبرائيل »

« السيدة هـ . ر . باريس . أنت لأفكارى
أثمن جوهر أصنع منه تماثيل المستقبل ،
لا تحزنى . إلى اللقاء ، إلى اللقاء »

وكان ألطف ما فى ذلك وأقبحه أن السيدة الخامسة كانت ساعتئذ معه فى دارته !

ومع ما كان فيه من بعض العيوب المنفرة ، فقد كان عجباً عاجباً ما يلقى من الحظوة عند النساء على اختلافهن — من أشهر الممثلات البارعات ، كالممثلة دوزى ، إلى الخادمات . مثال ذلك أن فمه كان يتحلب ريقه تحلباً شديداً ، فمن أجل ذلك كان يعد أربعة مناديل أو خمسة بحيث تنالها يده . وكان يطرى ضروب الأدوية على اختلافها من كل قلبه ، وينسب إليها عجائب فى الشفاء لا تبلغ مداها أحلام صانعها مهما بالغوا فى تقريظها . ولم يحجم قط عن تعاطى أية جرعة من دواء جديد ، وفى أى وقت كان ، ولكن روحه بقيت شابة ناجية من غوائل السن ووَهَن الكبر . وقد قال مرة : « لقد سمتنى الأقدار أمير الشباب حتى يبلغ الكتاب أجله »

وقلّ فى الناس من أنشأ من البيوت قدر ما أنشأ دانتزيو ، بيد أنه لم يبن لنفسه قط بيتاً ، بل قنع بأن يستأجر البيوت فيعيد زخرفتها وتزيينها على ما يشتهى .

وكان من دأب دانتزيو فى إنشاء هذه البيوت أن يستعين بالحرير والقزّ المشجر وبعثات من الطنافس ، وبآلاف من الكتب ، ويجعل فى كل مكان زهريات فيها الورود الناضرة . وتمضى الأيام عليه وهو يفحص كراريس الزخارف من كل ضرب ، وملاءات الأسرّة ، ويركب فى البيت كل ما يستحدث من وسائل الراحة ، ويضع تصميم الأثاث ، ويشترى عدداً لا يحصى من الدُّمى الصغيرة وأخيراً يُضَمِّخ كل ما يحويه البيت بالعطور النادرة ، ويوقد مجامر العود فى أرجائه — وكذلك يصبح البيت مُعَدًّا للسكن . هذا صنيعه فى داخل البيت ، أما فى الخارج ، فتراه يسير وكتابه فى يده ليشرف على تشييد البوابات والأبواب المشبكة المصنوعة من الحديد المشغول . وينسق زراعة مماشى الخميلة ، ويشترى لها الأشجار . ثم تمضى الأيام ، وبعد سنة أو عشر سنوات يوم تجدّ فى حياته أسباب مالية أو نفسية تحمله على هجران هذا السكن ، تراه يخلف وراءه كل ما جمعه على مرّ الأيام أو السنوات .

ومن أشهر مساكنه الأولى التى اتخذها

مقراً « دائماً » ، المسكن المعروف باسم « كابو تشينا» على تلال فلورنسة حيث كتب الشاعر أجود روائعه ، وحيث فاض قلبــه بالحب ، وغمر به كعادته عدداً لا يحصى من النساءلاخليلته «إليانورا دوزى» وحدها. وقد انقلب هذا السكن من دارة متواضعة إلى متحف فخم ثمين ، بما جمع له من آثار فلورنسة القديمة . وهذه الدارة التيلم يكن أحد ليدفع فيها ٢٥,٠٠٠ليرة يوم استأجرها أصبحت تساوى ٣٠٠,٠٠٠ لـيرة ، يوم اضـطره الدائنون إلى إخلائها — وأعنى البناء القائم لا الدارة بأثاثها .

وكذلك كان شأن مسكنه الأخير المعروف باسم « فيتورالى » فى «لاجو دى جاردا » ويزيد عليه مازيّنه به من أدوات الحروب ، كالرايات والخناجر ، والأوامر التى أصدرها والمدليـات ، ومحركات الطائرات . فترى هناك الزهريات الفارسية القديمة الكالحة الألوان قائمة إلى جانب مسامير الطائرات ، وترى قنبلة صدئة لم تنفجر موضوعة بين القنانى اللطيفة ذات الروائح الذكية العجيبة. أما فى الحديقة فترى شيئاً هائلا ضخماً قد نتـأ فى جانب التلّ من بين شجر السرو وأفنان الورود ، هو حـيزوم المدمرة « بيوجليا » الذى استنقذه من مغامرته فى فتح فيومي ، وكانت الحكومة الإيطالية قد أهدته إليه اعترافاً بفضله .

وقد صارت هـذه الدارة بعد مماته فى ١٩٣٨ كعبة يقصدها الفاشيون من كل فجّ ، ففى أقصى طرف من الحديقة ترى « تلّ الموتى » حيث دفن أبطال موقعة فيومى . وهناك اليوم جثمان دانزيو قد وُسِّد الثرى تحت شاهد ينطق بالإسراف والغلو ، كتب كلماته دانزيو نفسه :

« أنا جبرائيل دانزيو يتقدم إلى الآلهة ليعرفهم بنفسه ... »



القاضى الفاضل !

حدث الأصمعى قال : أخبرنا بعض شيوخ البصرة أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقّب قبيحة المسفر ، وكان لها لسان فكأن العامل مال معها فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء إليها ! فأهوى زوجها إلى النقاب فألقاه عن وجهها فقال العامل : تبًّا لك ! كلام مظلوم ووجه ظالم .

[ عيون الأخبار ، لابن قتيبة ]

# مصنع الرجال المنسيين

دين جننجز

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

> هوايات المساجين تربى فيهم روح الاعتزاز بالنفس وتدر عليهم مالا ، ولا تكلف دافعى الضرائب شيئاً .

منذ بضع سنوات خلت ، كان كلنتون دفى كاتباً فى سجن سان كنتان بكاليفورنيا ، فتلقى يوماً من رؤسائه أمراً يتضمن تهمة موجهة إلى سجين كان سلوكه خالياً من كل شائبة ، وكانت التهمة أنه صنع إطار صورة فى ورشة السجن ، وقانون كليفورنيا يحرّم على المساجين أن ينتفعوا فى فراغهم بأدوات الحكومة أو موادّها ، سواء أكان ذلك للتسلية أم للمنفعة . فعوقب السجين ، فانقلب مغيظاً ساخطاً .

فلما عين دفى مديراً للسجن تذكر هذا الحادث ، فكافح حتى عدلت قوانين الحكومة ، وصار مصنع الهوايات فى سجن سان كنتان أغرب مصنع فى العالم على الأرجح . فهناك ألف من الرجال المساجين يشتغلون لأنفسهم فى وقت فراغهم ، بعد أن يفرغوا من العمل ثمانى ساعات كلّ يوم للحكومة . وتبلغ قيمة ما يصنعونه كل سنة ١٠٠٫٠٠٠ ريال توفى نقداً .

وقد لمستْ عصا السحر النابتة من الأمل والطموح ، مصنع الهوايات فى هذا السجن ، فتحوّل فى خمس سنوات من ورشة بسيطة للعمال إلى مصنع تبلغ قيمة آلاته ١٠٫٠٠٠ ريال ، ويصنع ألف صنف من شتى السلع ، وقد صنع فى أثناء الحرب ألوفاً من نماذج الطائرات لتدريب الطيارين ، وصنع حلياً رخيصة لها سوق رائجة فى جزائر المحيط الهادى ، وحافظات النقود للبحّارة . وقد حوّل المصنع الآن من صناعة الحرب إلى صناعة السلام ، وعاد يصنع سلعاً جيدة ودُمى جميلة .

وأهمّ من ذلك شأناً . أن هذه الهوايات تدرّ مالا على السجين ، وتعزّز كرامته بغير أن تكلف دافعى الضرائب شيئاً . يقول دفى : « إن المرء يشعر بالعزة حين يصنع شيئاً بيديه ، فإذا وفق إلى بيعه ، زاد الخير خيراً » .

وبعض الفضل فى هذا يرجع إلى السجين « بيل » ، فقد كان فى التاسعة عشرة يوم أرسل إلى سان كنتان ، وكان ماضيه طافحاً

بالجرائم ، فقد خالف فيه جميع اللوائح والقوانين ، وما لبث حتى صار يعرف عندهم باسم « الولد الآثم » . وكشف دفى ذات يوم أن هـذا الفتى الجامح ، يسرق « الأسيتون » من مختبر طبّ الأسنان ، ثم يأخذ مقابض فرش الأسنان القديمـة ويذيبها فيه ويصنع خواتم غير متقنة، ويبيعها لزملائه فى السجن .

فلم يذكر له دفى كلمة عن هذا ، ولكنه طلب من مديرى بعض الفنادق أن يوافوه بفرش الأسنان الملونة التى يخلفها النزلاء عند رحيلهم ، وهى مصنوعة من اللدائن . فلما جاءته وضعها فى صندوق ، وأضاف إليها موادّ كيميائية وأدوات اشتراها بحُرّ ماله ، ودعا بيل إليه ، وقال :

« إذا أطعتنى وأخلصت ، فلك أن تصنع ما تشاء من الخواتم » .

فقبل الفتى الهدية على تَحرّدٍ ، ولكن دفى تركه وشأنه . ومن هذه الزيارة نشأت الصناعة الخاصة الأولى فى سجن سان كنتان .

وما عتم بيل حتى صار يصنع عدداً وافراً من خواتم اللدائن وغيرها من أدوات الزينة ، وألح على دفى أن يأخذها ويهبها لمن يشاء . فكان دفى يملأ جيوبه بها حين يخرج من حَرَم السـجن ويوزعها على أصحابه ، ويسرّ إليهم أنه فى وسعهم أن يشتروا ما يشاؤون منها . فازداد الطلب ، وما لبث حتى صار بيل يتلقى طلب مقادير كبيرة منها . وقد طلب الجنود مئات من الخواتم ، فكانوا يقايضون بها على ما يريدون فى جزائر المحيط الهادى . ولم يتقاض بيل ثمن ما صنعه للجنـود ، ولكن ما صنعه للأهلين خلال سنتين أدرّ عليه ألفى ريال أودعها المصرف . وهو اليوم طليق وله فى جنوب كليفورنيا دكان صغير ، ويقضى وقت فراغه فى تعليم جرحى الحرب فى المستشفيات فنون صنع الأشياء من الدائن .

ودفى رجل مثابر لا يثنى له عزم ، فجعل يوالى قذف المجلس النيابى فى الولاية برسائله طالباً تقديم مشروع قانون يبيح مزاولة صناعة الهوايات فى السجن وبيعها . وأخذ يطرق أبواب اللجان فى عاصمة الولاية ، حتى أقرّ القانون بغير معارضة فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ ، واشتهر نصه الذى لا يحتوى سوى مئة كلمة باسم : « حماقة دفى » . ولم تكد تنقضى ٢٤ ساعة على إقراره حتى أنشأ « جمعية هواة سان كنتان » .

أخذ دفى الكتب اللازمة للتعلم من دار الكتب العامة ، وأنفق من حُرّ ماله على على شراء المواد ، وهـدم بعض الجدران فى السجن ، وهيأ مكاناً للعمل . واشترى الرجال بعض الأدوات بمالٍ ادّخروهُ ،

واستعاروا بعضاً آخر من ورش السجن . وأخذ معلمو المدارس المجاورة بحماسة دفى فتبرعوا بتعليم المساجين .

كانت الفرق المتعثرة الأولى خليطاً عجيباً من المزيفين واللصوص والذين حكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، وكان من أشدهم حماسة رجل يدعى « دوك » فى الخمسين من عمره .

وقال لدفى ذات يوم : « عنّت لى بعض الآراء ولكننى لا أملك قرشاً واحداً . أتستطيع أن تجيئنى بكتلة من الخشب اللّين ؟ »

فاشترى دفى كتلة ضخمة من خشب الصنوبر ودفع ثمنها أقل من ثمانية ريالات قليلا ، فنحت دوك صورة بارزة لممثل هزلى ممتطياً جواداً ، وأعطاها دفى . وصنع من الخشب الذى بقى ملاعق لتقسيم « السلطة » ومنافض للسجائر وصحوناً ، فبيعت لساعتها . وقد كسب دوك مما نحته فى السنة الأولى ١٥٠٠ ريال . وقبل أن ينقل إلى سجن آخر ويطلق سراحه بعد إعطاء العهد ، أهدى إلى المدينة تمثالا من الخشب ليباع فى ترويج سندات الحرب .

قال دفى مزهوًّا : « فبيع التمثال بمئة وخمسين ألف ريال ، وعجز دوك على أن يحبس دموعه حين أخبرته بما كان » .

يقتطع من ثمن ما يباع ١٠ فى المئة تضاف إلى مال الجمعية وتنفق فى ترقية مرتب المدير وفى شراء الأدوات والمواد والكتب التى تحتاج إليها ، ويحفظ مبلغ ٢٠ فى المئة أمانة للسجين ولا تمس حتى يفرج عنه . وأما الباقى فيضاف إلى حساب السجين فى السجن وله أن يتصرف فيه كما يشاء .

وقد ادّخر كثيرون منهم مالاً أربى على ألف ريال ، وجنى أحدهم نحو ٣٠٠٠ ريال من بطاقات التحية التى زينها برسومه . وبعث المساجين إلى أهلهم بألوف الريالات ، فاستطاعت أسر كثيرة أن توفى ما عليها من دين .

وتجد فى بهو الاستقبال الكبير فى السجن ، أدوات كثيرة مما يصنعه المساجين معروضة للبيع فى واجهات من زجاج حافلة بها . والباعة أيضاً من المساجين ، وبفضل فهم دفى لطبائع البشر ، أذن لهم أن يرتدوا القمصان البيض . وترد عليهم الطلبات بالبريد من جميع الولايات وهواى وألاسكا وأستراليا وإنجلترا ، فيتولى أمرها مساجين آخرون فى الورش الكبيرة .

وقانون السجن يحظر بيع هذه السلع فى المتاجر العامة ، أو شراءها لكى تباع فيما بعد ، ومع ذلك ترى تجاراً من ذوى الإقدام يحاولون أن يشتروا كل ما فى السجن .

وكثيراً ما يرى المسجونون كبار رجال الأمن والشرطة السرية وغيرهم من أهل القانون بين الذين يقبلون على شراء سلعهم، فيخالجهم ساعة يرونهم شعور غريب هو مزيج من التهكم والرضى .

ويوم كان ضباط الجيش يبحثون فى أثناء الحرب عن رجال يحسنون أساليب التنكير والتمويه ، عاجوا على سجن سان كنتان . فرأوا صوراً جميلة مما يرسم على الجدران ، وكانت تمثل قصصاً قديمة وقطرات وسفناً وطائرات ومشاهد طبيعية .

فقال أحد الضباط لدفى : « إنها تصاوير عجيبة . ما عدد رجالك الفنانين ؟ »

فقال دفى : « ليس عندى هيئة من الفنانين ، وكل تصوير ترونه هنا هو من صنع رجل واحد » .

وكذلك نقل هذا السجين المجرم إلى عمل فى الجيش ، بعد أن أعطى كلمة العهد ، وجعل يستخدم فرشته فى أعمال التنكير ، وهو لا يزال فى الجيش ، وقد كان من حسن عمله وخلقه ، أن أطلق سراحه اعتماداً على العهد الذى أخذه على نفسه .

ومصنع الهوايات فى سان كنتان قد كاد يبلغ سنته السادسة ، وقد اتسع وزاد عما كان عليه ، والمصنع ينتج الآن ٥٠٫٠٠٠ سلعة فى السنة ، يصنعها الرجال فى وقت فراغهم ، ومن حرّ مالهم . وقد أطلق سراح الصنّاع الأول ، فاقتحموا ميدان العمل الحرّ . ومنهم رجل فتح دكاناً لصنع لافتات الملاهى ، فكسب من المال ما مكنه من توفية دينه . وكان آخر يتولى بيع التجزئة فى السجن ، فظفر بعمل مثله فى متجر . وتخصص آخر فى صنع العرائس والدمى للصغار ، وهو يدير اليوم مصنعاً لحفر الخشب .

وقد انهالت الأسئلة على دفى من مديرى السجون فى الولايات الأخرى يسألونه عن مصنع الهوايات ، فأرسل إليهم نسخاً من « حماقة دفى » .

وسواء أكان دفى أحمق أم غير أحمق ، فهو يعلم أن هذا القانون أتاح لمئات من الرجال حافزاً ليصلحوا شرّ نفوسهم . ولا ينحصر الإصلاح على حياتهم فى السجن ، بل حين يعودون بعد ذلك إلى حياة الجماعة كسائر الناس . وقد يكون هذا شيئاً قليل القدر عند بعض الناس ، ولكنه الوسيلة لغرس الصدق والاستقامة فى نفوس المساجين. وقد سأله أحد المتشككين الهازلين فقال : « ألم يخطف أحد رجالك بعض السلع من الواجهة فى السجن ؟ » فردّ دفى عليه : « نعم ، تسرق بعض السلع ، ولكن الذين يسرقونها هم الزوّار لا المساجين » .

## قسيمة البائع

هذه القسيمة للبائع

فعليه أن يفصلها حين يبيع

هذا العدد ويحتفظ بها

فهذه القسائم قد تمكنه من

أن يكسب جائزة مالية

أو عدة جوائز من السحب

الذى يجرى فى دار المختار

فى ١٥ من كل شهر من

الشهور الأربعة .

تفصل القسيمة المقابلة بعناية

بواسطة البائع الذى باع هـــذه النسخة من

المختــــــار

صاحب مزرعـــة أقنع ولاية بأسرها بوجوب فحص الدم، فشهر حرباً مشهودة على مرض مخوف.

# ذبح التنين بإبرة

بقلم فرلي سميث

مختصرة من "ذي أميريكان مجازين"

لن تجد بين الجهود الباسلة التي بذلت لقهر الزهري في الولايات المتحدة، عملا أجرأ من العمل الذي تمّ في ولاية ألاباما الأمريكية. فقد سنّ مجلسها النيابي قانوناً استهله بقوله: «جميع الناس بين الرابعة عشرة والخمسين، ينبغي أن يفحص دمهم مخافة الزهري فحصاً معملياً مقبولا». وكلّ من يخالف يغرَّم بغرامة لا تزيد على مئة ريال.

ويوم سُنَّ القانون منذ ثلاث سنوات قال المتفائلون: «سوف يستأصل الزهري من ألاباما». وقال المتشائمون: «قانون آخر لا يمكن تطبيقه — كقانون تحريم الخمور».

وقد أردت أن أتحقق من مآل القانون، فحادثت رجال الصحة العامة في ألاباما، وأطباء العيادات ومركز العلاج السريع في مدينة برمنجهام، والأطباء المستقلين والمعلمين والمشتغلين بشئون الصحة، كبارهم وصغارهم سودهم وبيضهم على السواء.

فلم أجد أولاً وجه شبه بين هذا القانون وقانون تحريم الخمور، فقانون فحص الدم ظفر باستحسان عام في الولاية، وتنفيــذه يعتمد على التعليم والإقناع دون القوة.

إن هــذا القانون عاجز وحــده عن استئصال الزهري، ولكن تطبيقه أســفر عن نتائج باهرة في ألاباما. ولا سيما ريفها حتى يصحّ أن يكون همّ جميع المشتغلين بالصحة والمشرعين في كل مكان.

وصاحب هـــذا القانون هو بروس هندرسون عضو مجلس الشيوخ في الولاية، وما هو بطبيب أو خبير في الصحة العامة، بل هو صاحب مزرعــة، مهذب النفس، لين الحديث، يأخذ بحكم المنطق والواقع جميعاً.

كان بروس هندرسون يعنى كأبيه من قبله بتوفير أسـباب الرعاية الطبية لمئــة أسرة من الزنوج يعملون في مزرعته، وقد هاله منذ سنوات حين درس سجلات صحتهم ما رأى من كثرة عللهم التي يمكن أن يردّ أصلها إلى الزهري. فخاطب شيوخ الزنوج في ذلك،

فوافقوا على أن يفحص دم أهل المزرعة جميعاً ، فوجد كثيرين مصابين بالزهرى ، فعولجوا فتحسنت الحال تحسناً سريعاً .

ولكن الإصابات الجديدة بينهم كثرت على الأيام ، وافدةً من القرى المجاورة أو من بعض الملاهى على قارعة الطريق .

قال لى هندرسون : « فأيقنت يومئذ أن علاج مزرعة واحدة لا يكفى ، وتذكرت كفاح مرض القراد فى الماشية ، فالطريقة الوحيدة لاستئصال المرض هى أن يستأصل فى منطقة كبيرة . فلمَ لا نكافح الزهرى بالطريقة نفسها ؟ »

فلما عقد المجلس النيابى دورته التالية ، تحدث هندرسون مع زملائه فى موضوع سن قانون يجعل فحص الدم إجبارياً فى الولاية . ففزع المحنكون من رجال السياسة ، وكان الرأى الغالب عند كل منهم : « أنا مؤيد للاقتراح ، ولكن سنه مستحيل من الناحية السياسية ، فالشعب لن يقبله . ثم ماذا يقول رجال الدين؟ والصحافة ؟ والسيدات ؟ » حتى أن رجال الصحة العامة قد ساورهم الشك .

لم يفتّ ذلك فى عضد هندرسون ، فمضى هادئاً مثابراً يغرى رجال المجلس ، ويهدىء من مخاوفهم بمنطقه ، وأخيراً طلب الاقتراع على مشروعه فعجب الناس يوم أقرّ بغير معارضة تذكر .

أما الشعب فلم يبدِ ما يدل على « ثورته » عليه ، وأيدته الصحف اقوى تأييد ، وجعل رجال الدين كنائسهم مراكز لفحص الدم ، وسعت النساء ، بيضاً وسوداً ، سعياً باسلا لكى يطبق هذا القانون تطبيقاً موفقاً .

وقبل أن تخرج جماعات الفاحصين إلى مقاطعةٍ ما فى الولاية ، تسبقهم إليها جماعة من الطلائع لتمهيد الطريق ، وهم رجال ونساء درّبوا تدريباً خاصاً على نشر التربية الصحية . فيقصدون أولا قادة الرأى العام — القاضى ومحررى الصحف والمعلمين ورجال الدين والأطباء والمحامين ورؤساءِ الأندية ورئيساتها ، وزعماء نقابات العمال والجمعيات الزراعية — ثم يسجلون أسماء المتطوعين ، وينظمون الاجتماعات والمحاضرات والإذاعة وعرض الصور المتحركة ، وينشئون مراكز لفحص الدم حتى لا يضطر أحد أن يقطع شقة طويلة إليها .

وهؤلاء الطلائع من أهل البراعة وحسن السياسة ، وقد رأيت اثنين منهم يعملان ، وكان أحدهما مدرّباً رياضياً ، والآخر — أندرو ووكر — زنجىٌّ من المشتغلين بشئون الصحة ، يفهم حقيقة قومه ، ويؤمن أصدق إيمان بنفع هذا القانون . ويغلب أن يكون عمله فى مناطق الريف النائية حيث ينبغى له أن يعالج ما توارثه الزنوج من عادات وشكوك .

ولا بدّ له أحياناً من أن يبدّد ريبة أحد الزراع البيض المتحفظين. وقد وقع له أن أراد أن يعرض شريطاً صحياً، فلم يجد الكهرباء إلا في منزل فلاح أبيض، فاستأذنه في إقامة جهاز العرض على شرفته، فرضي على مضض، ولكنه قال إنه سيأوي إلى مضجعه حتى لا يضيع وقت نومه في مثل هذا الهراء، إلا أنه تلبث قليلا حتى بدأ عرض الشريط، وإذا به يصيح: «قف هذه الآلة ياووكر»، فأطاع خشية أن يستفحل الأمر، ووقف الفلاح أمام الزنوج المحتشدين أمام داره، وسألهم حتى استوثق من أن جميع أهل القرية حاضرون، فإذا وجد أحدهم غائباً بعث إليه من يحضره ثم قال: «إن في هذا الحديث المصوّر من الحكمة والنفع مالم أسمع بمثله منذ زمن طويل». وقد أعاد ووكر عرض الشريط في تلك الليلة مرتين تلبية لطلبه!

فإذا مامهّد الطلائع الطريق، أقبلت جماعات فحص الدم ومعهم أوراقهم، فيسجلون فيها كل الحقائق الصحية المعروفة والمكتومة.

ويقف في أول الصف القاضي والواعظ وسواهم من كبار الرجال والنساء ويشمرون عن سواعدهم متهيئين لوخزة الإبرة، وهذا يشجع المترددين والخائفين. ويغلب أن يتقدم للفحص في مقاطعة ريفية من ٨٠ إلى ٩٠ في المئة من الذين يشملهم القانون، بغير طلب أو حث، أما الباقون فيتلقون تذكيراً لطيفاً بما ينبغي لهم أن يفعلوا، ثم تذكيراً أشدّ لهجة، تليه زيارة ممرضة أو أحد رجال الصحة. ويندر اللجوء إلى البوليس.

فإذا أسفر فحص امرىء عن وجود الزهري أو احتمال وجوده، دُعي ليفحص دمهُ مرة أخرى، فإذا تأيد وجوده، دُبر لهُ أمر علاجه. ويقدّم من المصابين أولئك الذين أصيبوا بزهري باكر معدٍ، أما الذين طال الزمن على إصابتهم، فتعدّ حالتهم غير معدية ولكنها مع ذلك تهدّد حياة المصاب نفسه، فتعالج بأسرع مايكون العلاج مستطاعاً.

والعلاج هو الحقن مرة كل ثلاث ساعات ليلا ونهاراً طوال أسبوعين، والحقن تحوي جرعات ضخمة من البنسلين تعززها مركبات الزرنيخ والبزموت. والرأي أن هذا العلاج يشفي ٨٥ إلى ٩٠ في المئة من المصابين، أما الباقون فتصير إصابتهم غير معدية، ويعاد علاجهم.

وقد شمل هذا البرنامج حتى الآن عشر مقاطعات ريفية، ومدينة برمنجهام المدينة الصناعية العظيمة، أي ٤٠ في المئة من الأرض المأهولة في الولاية. ولقد

تسأل لِمَ لَمْ يفض هذا البرنامج الشامل إلى استئصال الزهرى ؟ فاعلم أن أحد الأسباب الجوهرية هو طبيعة الزهرى الختالة، فبعد أن تدخل لولبيات المرض بدن المرء تحتاج إلى زمن للحضانة يستغرق ١٠ أيام إلى ٩٠ يوما ، وفحص الدم لا يكشف عن وجودها خلال ذلك . فلذلك ترى عدداً من المصابين لا يكشف أمر مرضهم عندئذ.

ومع ذلك فإن قانون فحص الدم الإجبارى قد أسفر عن نتائج باهرة فى المقاطعات التى زُرتها ، فقد كشف عن ألوف من المصابين المستترين ، وعولجوا . وقد تعلم الناس ما ينبغى أن يعرفوه عن طبيعة المرض وخطره ، وضرورة المبادرة إلى العلاج . وتدل الإحصاءات الدقيقة أن الإصابات الجديدة قد هبطت فى بعض المقاطعات نحو ٥٠ فى المئة، وفى البعض الآخر نحو ٩٠ فى المئة.

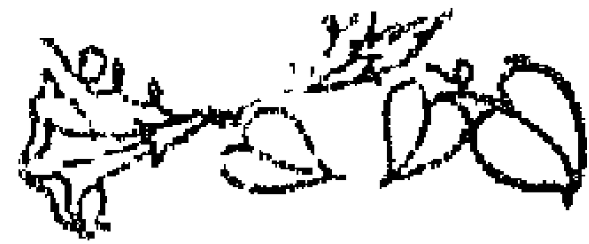
وقد فحص دم ٢٧٠ ألفاً من الأهلين فى مدينة برمنجهام خلال ٤٢ يوماً — أى ٩٠ فى المئة من جميع الذين تتفاوت أعمارهم بين ١٤ سنة و ٥٠ سنة . وهذا عمل عظيم .

بيد أن العشرة فى المئة الذين لم يفحصوا ، خليقون أن يكونوا أشد الناس حاجة إلى الفحص .

غير أن الذين لا يفحصون فى المرة الأولى ، يسهل فحصهم فى المرة الثانية فى المناطق الريفية التى يعرف فيها الناس بعضهم بعضاً ، ولكن تعقب هؤلاء فى مدينة كبيرة حيث تتغير أماكن الإقامة ، يكاد يكون مستحيلا .

ومع ذلك فقد أسفرت الحملة فى برمنجهام عن نتائج تستحق الذكر ، ففى ٧٨ يوماً بعد أن بدأ فحص الدم ، عولج ٧٦٦٢ مصاباً بالزهرى الباكر . ويقول الدكتور سميث مدير الصحة العامة فى الولاية ، والدكتور دنيسون طبيب صحة المقاطعة : « إن هذه نتيجة كان يستحيل بلوغها فى سنين من العمل على النظام الصحى المتبع » .

إن أشق ما فى المشكلة هو أن تكشف المصابين وتعالجهم قبل أن تتاح لهم أن يعدوا غيرهم ، وعسى أن يكون المثل الذى ضربته هذه الولاية مثلا نافعاً لغيرها من بلاد الله.



## من شيم النفوس

كان عتبة بن عبد الرحمن يغتاب الناس ولا يصبر عن غيبة ، ثم ترك ذلك ، فقيل له : أتركتها ؟ قال : نعم ، على أنى والله أحبُّ أن أسمعها .

كان مخترعاً وعالماً وكاتباً فكاهياً وطابعاً وناشراً ورجلا من رجال السياسة والإدارة ، وأول أمريكى ظفر بشهرة عالمية فى العلم والسياسة والصحافة ، إلا أنه كان وطنياً مخلصاً فى المقام الأول .



# عبقرية جامعة

دونالد كلروس بيتى

عندما أخذ الجمهور الأمريكى يطالع تقويمه المفضّل عن عام ١٧٣٣ رأى بين أخبار الجوّ وأوصاف عقاقير النبات ذكر شخص جديد لم يعهده فيه من قبل ، وكان اسمه « رتشرد الفقير » . وكان رتشرد هذا فقيراً فى المال فقط ، ولم يكن فقيراً فى الذكاء ولا الفكاهة ولا المرح أو العقل . ولا يزال الناس يبتسمون كما كانوا يبتسمون يومئذ عندما يقرأون حكمهُ وآراءهُ الحصيفة : « إن انتقال المرء ثلاث مرّات من دار إلى دار يعادل حريقاً » . « إحفظ دكانك يحفظك » . « البيت بلا زوجة ولا موقد كالجسم بلا روح ولا نفس » . وهذا العالم الصعلوك الذى كان يحسب حساب الأفلاك اللازمة للتقويم ، ويبثّ بينها أنباء مستطرفة ونوادر عن زوجته وعن صروف الحياة القاسية ، كان ظنّ الناس به أنهُ يقدّم مخطوطه إلى الطابع والناشر الذى هو بنيامين فرنكلين .

وازدادت شهرة تقويم رتشرد الفقير على مدى الأعوام واتسع انتشارهُ لفرط إعجاب الناس به ، فكان يباع منه ١٠٫٠٠٠ نسخة فى كلّ عام ، أى نسخة واحدة لكل مئة من الأمريكيين . وكان يقرؤه عدد من الناس يقرب من عشرة أمثال ذلك العدد . وقد كتب إليه بعضهم يسأله : ما بالهُ مُصرًّا على ادّعاءِ الفقر ؟ فأتاح له هذا السؤال فرصة لكى ينتقم من الرجل الذى اختلق وجودهُ ، فكان يجيبهم بأنّ بنيامين فرنكلين يسطو على الجزءِ الأعظم من ربحه .

كان بنيامين فرنكلين ـ الطابع والناشر والمؤلف والكاتب الفكاهى والحكيم الأخلاقى ورجل الأعمال ـ يجمع فى شخصه عالماً من الناس . ومع هذا فإن رتشرد الفقير وبنيامين فرانكلين بعيدان كلّ البعد عن أن يكونا رجلاً واحداً . فرتشرد مدبّر مقتصد ، أما بنيامين فمتلاف ، إذا أيسر

كريم قنوع إذا أعسر. وكان رتشرد يوصي دائماً بالصمت وهجر الخمر ، أما بنيامين فيحب الثرثرة والنبيذ . هـذه هي مواطن الضعف في خلق هذا الرجل الذي يُعَدُّ بين العظماء من الرجال أدناهم إلى الإنسانية والمروءة ، فهو عبقرية إنسانية جامعة .

ولد فرنكلين في مدينـة بوسطن عام ١٧٠٦ ، وكان من أبناء الطبقة التي سماها « المتوسطة » . وكان والده يحترف صناعة الشمع، وكان آباؤه وأجداده من أهل الريف في مقاطعة أكسفورد بإنجلترا . وكانت أمه امرأة فاضـلة ، هاجرت أمها إلى أمريكا لكي تشتغل خادمة في بعض المنازل . وقد بلغ بنيـامين ما بلغ من الثروة والجاه ، فلم يحاول يوماً أن يتكلف مظهراً أسمى من مقام تلك البيئة المتواضعة التي نشأ فيها .

وربما لم يكن بين الرجال الذين نبغوا في العلم ، من كان نصيبه من التعليم المدرسي قليلاً مثل بنيامين ، فإنه لم يذهب إلى المدرسة بانتظام أكثر من عامين اثنين ، ولـكن أمكنه بعـد ذلك أن يعلم نفسه الرياضيات ، واللغات الفرنسية والإسبانية والإيطالية .

والواقع أن فرنكلين قد علم نفسه كل شيء تقريباً — على كثرة ما وعاه ذهنـه الواسع — ما عدا صناعة الطباعة ، فقـد تعلمها بأن تتلمذ على أخيه جيمس، وكان يعد في ذلك الوقت أبرع رجال الطبـاعة في أمريكا . فلم يلبث بنيامين أن برع في هذه الصـناعة أيضاً ، ثم اضطره حبه للاستقلال وغيرة أخيه منه ، إلى أن يهاجر إلى فلادلفيا وهو في السادسة عشرة من عمره .

ثم لم تمض عشر سنوات بعد ذلك حتى كان بنيامين صاحب أحسن مطبعة وأعظمها في أمريكا ، وأخذ ينشر التقاويم ، وكتب الدين ، وكتب المـدارس ، ويعيد طبع الأدب القديم وأهم مؤلفات الأدب الحديث، وكان يتولى طبع مطبوعات الحكومة لأربع ولايات . وهو أول من نشر جريدة باللغة الألمانية في الولايات المتحدة . وكان يحرر المجلة التي اشتهرت فيما بعد باسم « ستردای إيفننج پوست »

ولم تمض عشرون عاماً حتى أصبح بنيامين فرنكلين عين أعيان مدينة فلادلفيا ومسجل الجمعية العموميـة في المستعمرة ، ورئيس المجلس البلدي . وهو أول من أنشأ فيها فرقة مطافيء ، ثم لم تنقض بضعة أعوام حتى أسس أكاديميـة فلادلفيا ( وهي أول مدرسة عالية أنشئت بها ) وفضلاً عن ذلك فإنه أصبح مدير البريد في المستعمرة، والقوة السياسية من وراء الستار . وقد أتم تأسيس الجمعية الفلسفية الأمريكية التي أنشئت لتوثيق الصلة بين رجال العلم الوطنيين ، وتتضمن

سجلاتها اليوم عدداً كبيراً من أشهر أسماء رجال العلم فى أمريكا ، وهى توزع مئات الآلاف من الريالات فى كل عام لمساعدة البحوث العلمية . ونذكر بهذه المناسبة أن فرنكلين قد اخترع موقداً يعطى ضعف الحرارة ، فى مقابل ربع الوقود الذى كان يستخدم من قبل . وقد أصبح اسم فرنكلين بفضل هذا الاختراع متداولاً على جميع الألسنة ، فصارت شهرته لاتقلّ عن شهرة رتشرد الفقير .

ولم يكد يبلغ الأربعين من عمره — وقد استقرت أموره ، وبلغ من الخطر أقصى ماترجوه الضفدعة الضخمة فى البركة الصغيرة — حتى نال فجأة شهرة عالمية عظيمة ، وذلك أنه اشترى من أحد « الأساتذة » المتجولين جهازاً كان يعدّ فى ذلك الوقت من الأجهزة السحرية ، وهو وعاء لتركيز الكهرباء الناتجة من الحك باليد. وماكان يخطر إلا لصبىّ أن يفك الجهاز ليرى كيف يؤدى عمله ، ومايتسنى إلا لفيلسوف أن يكشف عن ذلك السر . وقد كان لفرنكلين نصيب من روح الصبّى والفيلسوف ، فاستطاع بعد بضعة أشهر أن يكشف من أسرار الكهرباء أكثر مما استطاعه جميع العلماء منذ كان أرسطو إلى أن كان نيوتن . ولما أخذ الشرار يتطاير من الكوخ الذى اتخذه معملا ، اضطر إلى أن يشدّ حبلا حوله ليذود الجماهير المحتشدة . وكان فرنكلين أول إنسان اهتدى إلى أن الكهرباء ماهى إلا تيار ، وأول من وفق إلى نقل هذا التيار حيثما شاء ، وأول من فهم أن الكهرباء قوة يمكن استخدامها ، ومن قبله لم يكن فى وسع أحد أن يدير عجلة أو يدق جرساً بقوة الكهرباء .

وقد استطاع فرنكلين أن « يكهرب » البيئات العلمية فى أوربة ، وأن ينال عضوية كثير من الجمعيات العلمية ، ودرجات الشرف من أعظم الجامعات ، بحيث أصبح بعد ذلك وهو « الدكتور فرنكلين » . ثم إن « شرارة » العبقرية التى انبعثت من فرنكلين ، كان لها الفضل فى افتتاح عهد الكهرباء . وقد تمنى لو استيقظ مرة فى كل مئة عام لكى يرى كيف حال بلاده ووطنه ! ولو أنه استطاع ذلك الآن لرأى أمتــه ، وطائفة من أمم العالم ، تعيش بالكهرباء ، ولفاض قلبه سروراً وابتهاجاً .

وعندما عين فرنكلين مديراً للبريد لجميع المستعمرات فى عام ١٧٥٣ ، كانت الرسائل قليلة بطيئة غير منتظمة ، وكانت الحسابات معقدة ، والنظام الإدارى عقيما فلم يلبث أن استحدث طريقة للحسابات ، يستطيع أصغر ناظر للبريد أن يستخدمها .

فكانت نتيجة ذلك أن أخذت المصلحة تجنى ربحاً ، وأخذت الرسائل تنقل فى الليل وفى النهار فى كل يوم من أيام السنة ، بين جميع المدن الكبيرة . وإلى هذا التحسين فى مواصلات البريد يرجع الفضل الأكبر فى تسهيل الاتصال بين المستعمرات ، من أجل ذلك النضال الذى كان وشيك الوقوع .

ولما جاء « برادوك » إلى أمريكا ، ومعه جنوده البريطانيون ، لكى يرد عدوان الفرنسيين والهنود الحمر ، لم يستطع أن يجد وسائل النقل اللازمة . فنهض فرنكلين ولم يلبث أن أعد فى أسبوعين اثنين مئة وخمسين مركبة بخيلها وسائقيها ، والمؤونة اللازمة ، وبعث بها إلى القائد الذى أبدى له دهشته وشكره . فلما أخفقت الحملة التى قادها برادوك ، تعرضت المستعمرات لغارات الفرنسيين من البحر ، والهنود من البر ، فتولى فرنكلين تنظيم قوة من الملليشيا ، وصار هو نفسه جندياً فيها ، يحمل بندقيته ويؤدى واجبه كسائر الجنود . وقام بعمل « يانصيب » ، ثم اشترى بالمال الذى جمعه مدافع ، ولم يزل يلح على أعضاء الجمعية العمومية حتى قرروا تسليح جميع رجال المستعمرة .

على أن بنيامين لم يكن من أنصار العنف ، فلما أخذ بعض المتطرفين المقيمين على الحدود يقتلون المسالمين من نساء الهنود وأطفالهم ، وأخذ هؤلاء يفرون لاجئين إلى فلادلفيا تتعقبهم تلك العصابات المتوحشة ، طلب حاكم المستعمرة من فرنكلين أن يتولى قيادة « الملليشيا » ويخمد الثورة ، ولكن فرنكلين اكتفى بأن ذهب إلى لقاء أولئك الثائرين وهو أعزل لا سلاح معه ، واستطاع بقوة الكلام أن يهدىء ثورتهم ويردهم . وكتب فى ذلك الوقت إلى صديق له فى لندن : « فى ٢٤ ساعة كان صديقك القديم جندياً ومستشاراً ، ودكتاتوراً ، وسفيراً إلى حشد ثائر من سكان الريف ، ثم رجع إلى منزله فإذا هو رجل من عامة الناس مرة أخرى » .

وقد خرج هذا « الرجل » بعد ذلك فى عام ١٧١٣ موفداً إلى لندن لكى يقف بين يدى الملك والبرلمان والطبقة الحاكمة فى إنجلترا مدافعاً عن حقوق بنسلفانيا ، وعن حقوق جميع المستعمرات . وكان موقفه أمام البرلمان وهو يعارض قانون الدمغة البغيض من المواقف المشهورة . كان يتكلم بلا غضب ، ويرد على كل سؤال بوضوح فى جملتين أو ثلاث تتضمن الحقائق التى لا تقبل النزاع . واستطاع فى يوم واحد أن يجيب عن ١٧٤ سؤالا وجهت إليه . فكان من دواعى دهشة الناس ، حتى أعضاء البرلمان أنفسهم ، أنْ قرروا فى ذلك اليوم إلغاء

قانون الدمغة . وقد طبعت شهادة فرنكلين ونشرت في أوربة وأمريكا ، فأصبح معدوداً بين كبار رجال السياسة العمليين في عصره. وفي ذلك الوقت سمع العالم صوت أمريكا للمرة الأولى .

وبعد ١١ عاماً من الحياة الدبلوماسية غادر فرنكلين إنجلترا ، قبل بدء المعارك بين المستعمرات وبين أمهم إنجلترا بشهر واحد . وفي الأيام الأولى القائظة من شهر يوليو سنة ١٧٧٦ اجتمع المؤتمر العام للقطر كله في مدينة فلادلفيا ، وقرر تأليف لجنة من فرانكلين وآدمز وجفرسون لوضع نص وثيقة إعلان الاستقلال، وعلى أن جفرسون كان هو المؤلف الأول لتلك الوثيقة ، فإن فرنكلين قد عدّلها ولطف لهجتها وجعلها أكثر دقة .

وكان أكبر شيء تفتقر إليه الدولة الجديدة هو أن تعترف بها الدول وتمدها بالمال ، وبخاصة فرنسا ، وهي في ذلك الوقت العدو اللدود لإنجلترا . وقد وقع الاختيار على فرنكلين لكي يستدرّ المال الكثير من خزائن الدولة الفرنسية ، التي أوشك معينها أن ينضب في عصر ملك كثير التردد هو لويس السادس عشر ، على أن تكون هذه الأموال قرضاً لدولة في عهد الطفولة ليس لديها ضمان تقدمه .. ومع ذلك فقد نجح فرنكلين فيما عهدوا به إليه . وعلى الرغم من الهزيمة التي مني بها وشنطن في لونج أيلند ، واستيلاء الإنجليز على مدينة فلادلفيا ، ظل فرنكلين يعقد قروضاً جديدة، وذلك على الرغم من براعة السفير البريطاني في باريس ، والجواسيس الذين بثهم ليطلعوا على المفاوضات السرية التي كان يقوم بها فرنكلين . ولقد نجح فرنكلين لأنه هو بنيامين فرنكلين ، ذلك « الدكتور الطيب القلب » . فقد كان أصحاب الأمانة والصراحة يجدونه أميناً صريحاً ، وكان أصحاب المكر والخديعة يجدونه أمكر منهم وأبرع ، وكان رجال العلم يجدونه عالماً متبحراً ، وكان البسطاء من الناس يجدونه كمثلهم بسيطاً .

وربما كان بنيامين فرنكلين أبرع رجل ظهر في السلك السياسي الأمريكي إلى اليوم ، وإليه يرجع الفضل في عقد معاهدة التحالف مع فرنسا ، التي شرحت صدور الجنود الامريكيين يوم وقعة فالي فورج، وكانت عاملا هاماً فيما أحرزته الثورة الأمريكية من النصر. فلما قدم فرنكلين أوراق اعتماده في فرساي سفيراً لدولة معترف بها ، لم يتزيّ بالزي المألوف في مثل هذا الموقف ، فلم يلبس الحرير ، ولم يضع على رأسه الشعر المستعار ، ولم يتقلد السيف المألوف ، بل لبس سترته البنية وحمل عصاه في يده، وعلى عينيه منظاره

المربع، وكان شعره الأشيب يتدلّى من تحت فرو قبعته . ذلك أن « الدكتور الطيب » له سمعته وصيته ، فهل يسعه إلا أن يرتدى الملابس التى تناسب ما اشتهر به ؟

وبعد أن تم تسليم الإنجليز فى يوركتون، وجاءت مفاوضات الصلح ، أخذ فرنكلين يتوسل فى تلك المفاوضات بجميع الحيل وأساليب الدهاء السياسى، وأمكنه أن يحصل لأمريكا على الحدود التى كانت تريدها ، والتى تمتد غرباً إلى نهر المسيسبى . وبذلك استطاع أن يكسب الصلح ، كما كسب وشنطن الحرب .

فلما عاد من تلك المفاوضات إلى الولايات المتحدة ، أعلن هذا النبأ إلى الناس بقصف المدافع ودق النواقيس فى أبراجها دقاً عنيفاً، وخرجت كل هيئة لتحية الرجل العظيم ، بطل الثورة الأمريكية السياسى . وخرج للقائه أعضاء شركة يونيون لإطفاء الحريق التى أسسها منذ خمسين عاماً ، ورحّبوا بمقدمه ، فقال لهم فرانكلين إنه قبل انعقاد الاجتماع التالى للشركة يكون قد أعدّ دلوه وفأسه .

ولم يكد ينتخب عضواً فى الجمعية التشريعية لبنسلفانيا حتى انتخب رئيساً لها ، وبالرغم من أنه تولى الحكم بتأييد المحافظين ، وعلى الرغم من أنه أصبح اليوم غنياً طاعناً فى السن ، فإنه ظل كما كان وهو شاب فقير : رجلا من الأحرار، ساهراً على حماية الأقليات، وعدوًّا للقوانين التى تميز بين الطبقات ، وحريصاً على أن تكون حقوق الإنسان مقدمة على حقوق الملكية .

وقد صاحبته هذه المبادىء وهو يشهد الجمعية التأسيسية التى عقدت فى عام ١٧٨٧ لكى تضع دستوراً للولايات المتحدة، وكان قد أعلن منذ زمن بعيد أن المستعمرات يجب أن تؤلف هيئة متحدة ، وقد آن الأوان كى تجد روح الأمة جسداً تعيش به . ولكن الحفائظ كثيراً ما كانت تثور فى تلك الأيام العصيبة ، فكان فرنكلين يعيد الهدوء إلى النفوس بحكمته وفكاهته . فقد كان من عادته - كما كان لنكولن - أن يكسر سورة الغضب بأن يقص نادرة أو فكاهة . وبهذه الوسيلة أمكنه أن يقى الجمعية التأسيسية شر الإخفاق والانقسام ، وأمكنه أن يحارب فكرة جعل حق الانتخاب وتقلد الوظائف مقصوراً على أصحاب الثروة . وإليه فى النهاية يرجع الفضل فى حل أكبر عقدة صادفتها الجمعية ، وذلك أن الولايات الكبيرة أرادت أن يكون التمثيل فى البرلمان بنسبة عدد السكان ، وأمّا الولايات الصغيرة فقد أرادت أن تكون الأصوات متساوية بين جميع الولايات . وانقضت الأسابيع دون أن ينزل

أحد الفريقين عن رأيه ، ثم اقترحت خطة وسط ، وأدخلت فى نظام الحكومة : وهى أن يكون التمثيل بنسبة السكان فى مجلس النواب ، وأن تتساوى الولايات فى عدد من يمثلها فى مجلس الشيوخ . وقد لقى هذا الحل قبولاً من الطرفين ، بفضل ما امتاز به فرنكلين من القدرة على الإقناع .

وفى ذلك الوقت أخذ فرنكلين يشكو ضعف البصر ، فلم يلبث بذكائه المعهود أن ابتكر العدسات المزدوجة . ثم رأى أن الشيخوخة تعجزه عن التسلق لاستحضار كتاب من الرفوف العليا ، فابتكر العصا الطويلة ذات الطرف المعقوف ، والتى لا تزال تستخدم إلى الآن فى دور الكتب وفى دكاكين البقالة . وكان قد بلغ من العمر ٨٤ عاماً ، يوم وفد عليه وافد الموت سنة ١٧٩٠ ، فأكرم وفادته .

وكان من جملة ما أوصى به تخصيص ٢٠٠٠ جنيه لمساعدة المشتغلين بالعلم وبالبحث العلمى فى بوسطن وفلادلفيا ، على أن تقدم المساعدة فى أكثر الأحوال قرضاً يرد مع الفائدة . وقد نما ذلك المبلغ الذى تركه فرنكلين حتى أصبح اليوم ملايين عديدة من الريالات . وترك أيضا فى وصيته ١٠٠ جنيه لمنح مداليات فضية للطلبة المتفوقين فى المدارس الثانوية فى مسقط رأسه بوسطن ، وقد بلغ عدد المداليات التى تمنح نحو الثلاثين فى كل عام . ومنذ سنة ١٧٩٣ استطاع نحو ٤٥٠٠ شاب أن يفخروا بإحراز هذه المداليات . وهكذا نرى ذلك الصبى . الذى استطاع أن يعيش ، وأن يكون طابعاً وناشراً ، ورجل أعمال ، ومشرعاً ، وسياسياً ، ومن رجال الخير ، لايزال إلى اليوم يتطلع ، وملؤه الأمل ، لكى يرى فتى من فتيان هذا العصر ، يستطيع أن يسير بسيرته ، وأن يقتفى أثره .



اشتغلت بتحصيل المال لأحد المخازن فى فصل الصيف ، فأتيت ذات يوم فلاحاً عزباً يحلب بقرة فقال لما رآنى : « لن أتأخر أكثر من دقيقة » وأشار إلىّ بالجلوس .

فلما فرغ من حلب البقرة رفع الدلو إلى شفتيه وعب منه ، ثم دلق الباقى على الأرض وقال : « أما وقد فرغنا من الحلب والعشاء وتنظيف الصحون ، فتفضل وقل ما ذا تريد » .

[ ألفن لندجرن ]

# خطرات

أكبر أخطاء الرجال تركُ المجاملة ، فإن أحدهم إذا كفّ لسانه عن قولِ ما هو جميل ، كف أيضاً عن التفكير في ما هو جميل .

[ أوسكار وايلد ]

الإساءة شيء لا خطر له ، إلا إذا أصّر المرء على تذكرها .

[ كنفوشيوس ]

ماظنُّك بفصل الربيع لوكان مجيئه مرّة في كل قرنٍ لا مرة في كل سنة ، أو لو أنه كان يأتي في مثل ضجة الزلزلة لا في صمت وسكون ، أكنت ترى القلوب تتشوّفُ إلى سِحره وبدائعه مترقبة أو متعجبة ؟

[ هنرى وادزورث لنجفلو ]

لا تعجل بالسخط على أخطاءِ أحدٍ من الناسِ ، حتى تتريث وتعُدّ عشرة ــ من أخطائك أنت .

[ سبرنجفيلد يونيون ]

كان قوّاد نابليون إذا جاءوه يتبجّحون بذكر ظفر أحرزوه ، وجدوا عنده سؤالا عتيداً أعده لهم : « وماذا فعلتم في اليوم التالى ؟ »

[ مكسويل دروك ]

أهم الأسباب التى تقطع النساء عن أن يأتين بمثل ما يأتى به الرجال من المآثر الخالدة ، هو أن ليس للنساء زوجات . وأخشى أن يكون قد كتب علينا أن نظل نحن « الجنس الأدنى » حتى يأتى على العلم والاقتصاد يومٌ يتاح لأحدها فيه أن يصحح هذا الخطأ الذى جاء مع الفطرة الأولى .

[ الأستاذة مرجورى نيكلسن فى جامعة كولومبيا ]

إذا رأيت الشعب يؤثر على الحرية شيئاً ما ، فصيره أن يفقد الحرية . فإذا كان ما يؤثره راحة أو مالاً فقدها أيضاً ، فيالها من سخرية !

[ سومرست موام فى كتابه « من خاصة أمورى » ]

السماء قوت العيون .

[ رالف والدو إمرسون ]

إذا دخلت مكتب بل جرادى الباحث عن ذوى المواهب من الممثلين ، رأيت هناك شعاراً معلقاً هو هذا : « ماهو إلا أن تهوى الهالة قليلاً فإذا هى أنشوطة خانقة » .

[ إنجا أرفد فى مجلة « الحرية » ]

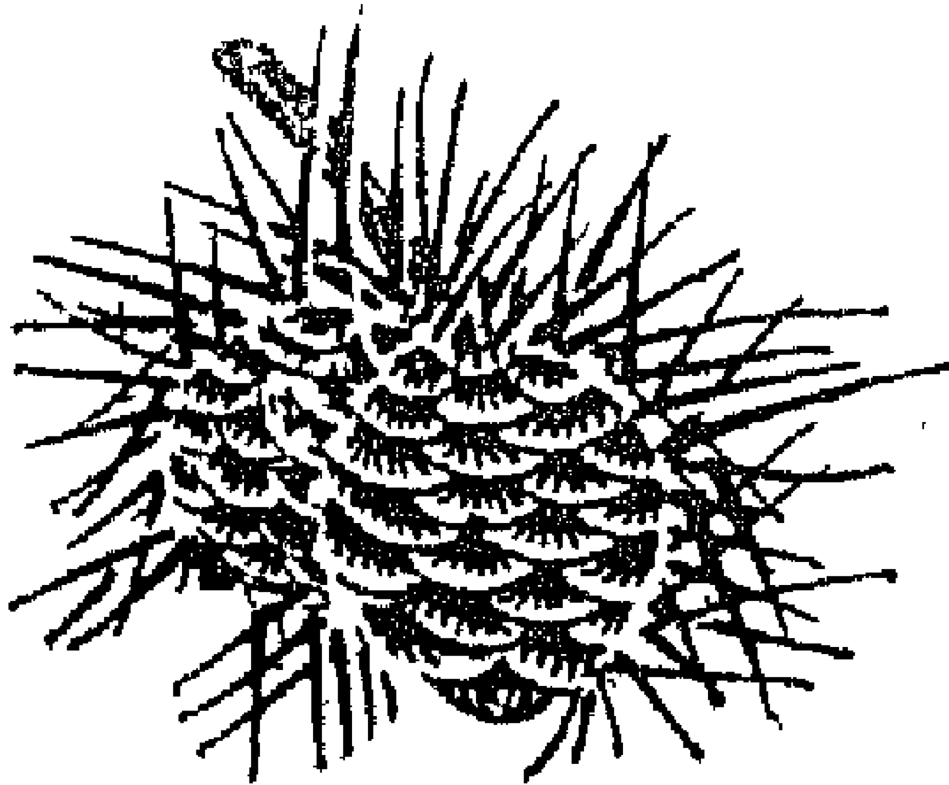
نصح توماس هتشكوك ولده الرياضى فقال : « يا بنىّ تقبّل الغلبة كأنها شىء تحبّه ، والنصر كأنه شىء ألفته » .

[ مجلة « نيوز ويك » ]

## باب الكتب - ١ -

# الحياة في الغابات

مختصرة من كتاب
هنري داڤيد ثورو



« الحياة فى الغابات » بيانٌ وافٍ عن تجربة عيشة راضية مطمئنة ، وعن مغامرة فى طلب البساطة والنظام لا تزال مطابقة لحاجة الإنسان ، كما كانت منذ مئة سنة مضت . وهو كتاب سمع به أكثر الناس ولكن لا يقرؤه اليوم إلا قليل . ومع ذلك فيخيل إلينا أنه كلما ازدادت الحضارة تعقيداً على تعقيد ، ازداد هذا الكتاب علوًّا وخلوداً عاماً بعد عام .

# الحيـــاة في الغابـــات

آليتُ أن أؤذِّن في الناس كديك الصباح ما استطعت ، وإلا فحسبي أن أوقظ نوّام جيراني الأدْنَـين ...

إن جمهور البشر يعيشـون في قنوطٍ مستكنّ هادىء . والذى يعانونه من قلق مستمرّ ونَـصَب دائم أشبه بالداء العُضال الذى لاشفاء له . وقد ضاق وقتهم عن أن يكونوا شيئاً سوى آلات متحركة . فيالها من غفلة وحماقة !

ويخيّـل إلىّ أنهم يظنون أنه لم تبق لهم خِـيَرةٌ في هذا الأمر ،فليتهم علموا أنّه ما من رأى ولا عمل ، مهما تقادم عهده ، يجوز أن يؤخذ بالتسليم بغير سلطان ولا برهان ، وما من شىء يقول لك الناس إنك لاتستطيع أن تفعله ، فحاولت أن تفعله إلا رأيت أنك مستطيع .

ولقد أقنعتنى التجارب أن مزاولة العيش في هذه الحياة الدنيا ليست عناءً ومشقة بل لهواً وتسلية ــ إذا حرص المرء على أن يعيش بحكمة وعلى الفطرة .. ولقد عشت سنتين كاملتين وحيداً في الغابات على مسيرة ميل من أىّ جار يجاورنى ،فاتخذت لنفسى داراً بنيتها بيدىّ على شاطىء بحيرة والدن في ولاية ماساشوستس .

لقد رحلت إلى الغابات لأنى أحببت أن أعيش كما أشتهى وأريد ، وأن أقتصر على مالا بد منه من أسباب الحياة ، وأن أعرف ماذا أستطيع أن أتعلم من علمها الذى تعلمنيه . وأردت أيضاً أن أعيش عيشة متعمقة تستوعب سر أسرار الحياة ، وأن أعيش زاهداً متقشفاً صابراً طليقاً كالإسبرطيين ، بأن أنفى عن الحياة ماليس منها ، وأن أردّ الحياة إلى أبسط صـورها . فإذا ثبت لى أنها خسيسة القدر ، فعلامَ إذن نجهد أنفسنا في تلمُّـس كلّ مافيها من خسّـة متمكنة ؟ وإذا صح أنها رفيعة القدر فقد عرفت ذلك بالتجربة .

في أواخر مارس ١٨٤٥ وقفت على شاطىء بحيرة والدن وأخذت أجتثّ شجرة شهباء طويلة مسنونة الفروع من شجر الصنوبر ، وأشذّب خشبها وأنجره بفأسى فأجعله أجذالاً وعروقاً وصفائح . وعمدت إلى كوخ قديم فاستعنت بالألواح التى فيه ، أما مخزن طعامى فقـد احتفرته في حضن ربوة كان قد سبقنى إليها طائرٌ نقارٌ فاتخذها وكراً عند أصل

بعض أشجار السُّماق والعُلَّيْق . وفى شهر مايو أعانى بعض أصحابى فأقمت قوائم منزلى ، وما هو إلا أن سقّفته ووضعت الألواح على جوانبه حتى جعلته سكنى ومأواى . وقد بلغت تكاليف ذلك كله ٢٨ ريالا . نعم لقد كان مسكناً صغيراً لا يتردّد فى جوانبه صدًى من ضيقه ، غير أنه كان يبدو أوسع من أن يكون سكناً يسكنه إنسان بمفرده ، فى ناحية بعيدة عن الجيران .

وأصلحت قطعة أرض تكفى لما أريد زراعته من فول وبطاطس وذرة ولفت ، فعرفت من يومئذ أن المرء إذا عاش عيشة بسيطة ، وحرص على أن لا يأكل إلا ما يزرع وأن لا يزرع أكثر مما يأكل ، لم يحتج إلى أن يفلح من الأرض أكثر من بضعة أمتار قليلة ، وأنه يستطيع أن يؤدّى أعمال زراعته وادعاً غير جاهد ، وذلك فى بعض أوقات فراغه أيام الصيف . إنها ليست على المرء ضربة لازب أن يكسب رزقه بعرق جبينه ، اللهم إلا إذا كان بدنه أسرع من بدنى فى إرسال العرق .

لم يكن طعامى يكلفنى سوى ٥٤ مليما فى الأسبوع على التقريب ، وقدّرت جملة الوقت الذى قضيته فى العمل ، فإذا هو ستة أسابيع أنفق أيامها فى أدائه ، وذلك حسْبى فى الوفاء بنفقاتى كلها . وتبين لى أن هذه المهنة هى أوفر المهن حرية ، فإن يوم العامل ينتهى بمغرب الشمس ، ففى وسعه بعدئذ أن يصرف همه إلى أى عمل يؤثره ويختاره . فكانت أيام الشتاء كلها ، وأكثر أيام الصيف ، فراغاً خالصاً أنفقه فى التحصيل والدراسة .

حسب المرء فائدة يستفيدها من معيشته على الفطرة ، وإن كان فى غمرة الحضارة ، أن يعلم ما العناصر الجوهرية التى هى قوام الحياة . أجل ، فإن أكثر أسباب الترف ، وكثيراً مما يتوهم الناس أنه من أسباب الراحة ، ليست أموراً نحن فى غنى عنها فحسب ، بل هى عوائق قائمة تؤخر رقى الجنس البشرى . وحياتنا أشلاء ممزقة تعصف بها كثرة المشاغل . وأكثر الناس يعيش عيشة خسيسة ذليلة ضارعة : فهو يقتّر على نفسه جاهداً ليخرج من ذلّ الديون ، وهو يمرض نفسه بشدة الشح رجاء أن ينفعه ماله إذا مرض .

وكلما رأيت أحدنا يقضى أجمل شطر من عمره فى كسب المال الذى يعينه على أن يستمتع بحرية موهومة يوم يبلغ أخسّ شطر به قيمة ، تذكرت ذلك الرجل الإنجليزى الذى رحل إلى الهند ليجمع ثروة عسى أن يعود إلى إنجلترا ثانية فيعيش معيشة شاعر ، وكان أولى به أن يسارع إلى غرفة فى سطح بيت يجعلها مثواه ومَهْبط إلهامه .

والشعب نفسه ، بما فى مجموعه من رخاء موهوم ، ليس سوى بنيان ضخم متراكب دمّره الترف والسَّفه والتبـذير وسوء التقدير وتفاهة الغرض ، كما دمرت الآلاف المؤلفة من الأسر فى طول البلاد وعرضها . وليس للشعب ولا لأهليه من علاج شافٍ إلا الصرامة فى تدبير الأموال والنفقات ، والبساطة فى المعيشة ، والسمو فى الأغراض . أما أسباب الترف والراحة ، فإن الحكماء كانوا أبداً أحرص الناس على بساطة العيش .

وأكثر الناس تتوزّعهم الهموم الكاذبة فى الحياة حتى تقعد بهم عن أن يجنوا خير ثمارها . وأنت إذا سرّك أن تكون فيلسوفاً فلن يغنيك أن تكون صاحب أفكار دقيقة ، حتى يبلغ بك حب الحكمة أن تعيش عيشة البســاطة والحرية والنبل والأمانة . ومعنى ذلك أن تعالج بعض مشاكل الحياة - لا بالعقل وحسب ، بل بالعمل أيضاً . فما هى جرثومة الترف التى تَسُـلّ قوى الشعوب وتدمرها ؟ وهل نحن على ثقة من أن ليس فى حياتنا شىء منها ؟

أعلم أن الشعوب تستبدُّ بها شهوة حمقاء حتى تخلد ذكرها بفخامة الحجارة المصقولة المنضودة ، فانظر ماذا يكون حالهم لو هم بذلوا مثل ذلك من الجهـد فى تهذيب الأخلاق والعادات وتطهيرها ؟ لقد كان خيراً للشعوب أن تخلد ذكرها ومجدها بروائع الفكر لا بروائع البناء . وحدثنى بربك ماجدوَى كل ما نضدوا من حجارة وصخور ؟ ألا إن خصـــلة واحدة تدل على أصالة الرأى ، لأجدى وأخلد من نصب شامخ يسامى نجوم السماء .

وهذه الأهرام الخالدة لا أجد فيها عجيبة إلا عجيبة واحدة - أنه قد كان فى الدنيا هذا الحشد من البشر الذين بلغ من هَوَانهم على الناس وعلى أنفسهم أن يقضوا أعمارهم فى تشييد قبر لرجل طموح سفيه الرأى ، كان أولى به وأكرم لهم أن يغرقوه فى أعماق النيل . وإنى لأرى كثيراً من الناس يشغلون أنفسهم ليعرفوا من الرجل الذى بناها ، أما أنا فما يسرنى إلا أن أعرف مَنْ مِنْ أهل ذلك الزمان من لم يشغل نفسه ببنائها أو ببناء مثلها - أى من الذى ترفع عن مثل هذه التفاهات ؟

لقد علمتنى السنتان اللتان قضيتهما فى مزاولة حياة الفطرة عجباً من العجب : أن تحصيل القوت الضرورى لا يكلف المرء سوى جهد قليل لا يكاد يصدق ، وأن المرء إذا عاش على غذاء بسيط كغذاء الحيوان لم يضره ذلك ، بل يعيش موفور الصحة والقوة . وبالله عليك ماذا يشتهى الرجل العامل من الطعام فى ساعة الظهيرة مثلاً ،

سوى بضعة كيزان من الذرة الخضراء يغليها مع قليل من الملح .

أما الثياب ، فلعلّ أكبر ما يهمنا منها هو حب الطرافة ومراقبة رأى الناس فيها - لا طلب المنفعة منها . وأنا على يقين من أن اهتمام عامة الناس بأن تكون ثيابهم مطابقة للطرافة والشهرة ( المودة ) ، أكبر من اهتمامهم بأن تكون بين جوانحهم قلوب سليمة من الدَّخَل . أما أنا فلم يُزْرِ بأحد من الناس عندى أن أرى عليه ثياباً مرقعة . والرجل الذى صرف همه إلى عمل عظيم يتمه ، ليست به حاجة إلى ثوب قشيب يلبسه إبّان أدائه .

ولست أنكر أن المأوى ضرورة من ضرورات الحياة ، بيد أنى أرى أكثر الناس يعيشون عمرهم كله فى فقر هم فى مندوحة عنه ، لظنهم انه لا بد من أن تكون لهم بيوت كبيوت جيرانهم . وتدبر ضآلة الضرورة التى تلجىء المرء إلى طلب البيت . والمرء إذا وجد الدفء ، فماذا يبغى وراء ذلك ؟ إنه لا يبغى ولا ريب دفئاً من الضرب نفسه ، ولا بيتاً أرحب وأفخم ، ولا نيرانا أكثر عدداً وأشد حراً وأشباه ذلك . والمرء إذا أصاب ماهو قوام للحياة ، فأجدر به أن لا يصرف اختياره إلى ماليس بضرورى للحياة ، بل عليه أن يقذف بنفسه فى خِضَمّ الحياة لساعته ، فقد خلصت عنقه من ربقة الكدح والعناء .

حين اتخذت لنفسى سكناً بين الغابات ، صار كل صباح أستقبله كأنه دعوة محبّبة تغرينى بأن أجعل حياتى رائعة بسيطة كالطبيعة نفسها ، فأرانى أستيقظ مع بزوغ قرن الشمس ، فأستحم فى الغدير ، والضباب حولى فى الجو كالأشباح يسرق الخطى هارباً فى كل وجه إلى جوف الغابة ، فكانت رياضة أحسّ لها خشوعاً كخشوع العبادة ، بل كانت من أحب الأعمال إلىّ .

والصباح هو أعظم الساعات المشهودة فى اليوم كله . هذا على أن المرء إذا تابع مسير الشمس بفكر رزين طيّع صار يومه كله صباحاً مديداً دائماً . وكنت ربما جلست فى الشمس الضاحية أمام البيت من ساعة الشروق إلى ساعة الهاجرة سارحاً فى الأحلام ، تحت ظلال أشجار الصنوبر والجوز والسماق ، وفى عُزْلة وسكون لا يفسدها على شىء ، والطير من حولى تسجع وتتغنى أو تمرُق فى جوانب البيت طائرة لا تحدث صوتاً . فكنت أنمو فى تلك الساعات كما تنمو أعواد الذرة تحت جنح الليل . بيد أن عشيرتى من أهل المدينة سيقولون هذا كسَل صِرْف ، ولا ريب .

ولقــد عرفت من يومئذٍ حق المعرفة ماذا يعنى أهل الشرق بما يسمونه « الاستغراق والتأمل » ، فلم تكن أيامى أياماً يحتويها أسبوع ، ولا أياماً تقطع أوصالها الساعات أو تكدر صفوها طقطقة الساعة .

كان لى فى هذا النهج الذى عشت عليه فضيلة تجعل لى مزية على أولئك الذين تضطرهم حياتهم إلى التشوّف إلى خارج البيت ابتغاء السلوة ، إذ كانت حياتى هى سلوتى وقرّة عينى ، ولم أعدم لها قط جدّة وبشاشة . لقد كانت مشاهد مفصلة متصلة لانهاية لها ، وكان عمل البيت تسلية بهيجة . فإذا اتسخت أرضه بكرتُ فى الهبوب من نومى ، وأخرجت الأثاث من البيت ، ثم أصبّ على الأرض ماء ، ثم آتى برملٍ من شاطىء البحيرة فأرشه عليها ، ثم آخذ مكنسة فأكنسها فإذاهى بيضاء نظيفة .

وما هو إلا أن أرى أعـواد الفول قد اهتزت وطلبت المخرج من منابتها ، فأسرع إليها قبل أن تعلو الشمس شجيرات البلّوط ، ثم أسرع فى حشّ الحشائش العاليــة ، وأمضى فى عملى حافى القـدمين سائراً على ذلك الرمل الندىّ ، وإذا عملى فى كل يوم هو أن أتيح للتربة الصفراء أن تخرج خبء ضميرها فولاً عليه ورقٌ ونوّار ، وأن أتيح للثّرى أن يبُثّ أسراره فولاً ناضراً لا عُشْباً وحشيشاً .

وإذا ما ضربتْ فأسى صخرة فى باطن الأرض ، سمعت لصليلها صدًى كأنه موسيقى تتردد بين جَنَبات الغاب وأطباق السماء ، وأرانى أعمل عملى على ألحانها . وربما رأيت صقر الليل محوّماً فى عنان الجو كأنه قذاةٌ تلوح فى مرآة السماء ، وأنظر إليــه يهوى بين الحين والحين منقضًّا مرسلاً صريراً حادّاً حتى إخال أنها السماء قد انشقت. وربما وقفت أرقب زوجاً من إناث الصـقور تحومان فى جو السماء ، وتتناوبان التحليق والهبوط، وتتقاربان وتتباعدان،حتى أظنهما صورة مجسمة من أفكارى التى تساورنى وتخامرنى . وربما أزعجت فأسى عَظاءَةً رقطاء ( سحلية ) بليدة الحركة بشعة المنظر فخرجت من مرقدها تحت جـذع نخـر . فكنت إذا وقفت أستريح متوكئاً على نصاب فأسى ، وجدت أن تلك الأصوات وتلك المناظر ليست سوى قليل مما يجود به الريف والبر من أسباب الترفيه التى لاتنفد .

لقد يئست الكآبة القاتمة من أن تستبدّ بامرىء يعيش بين أحضان الطبيعة ساكن النفس هادىء الحواس . فقد رأيتنى أعيش مستمتعاً بصداقة الطبيعة ، فما وجدت شيئاً استطاع أن يجعل الحياة عبئاً ثقيلا على نفسى .

فهذا المطر الذى رَوَّى فولى وحبسنى اليوم بين جدران دارى ، لم يجلب على كرباً ولا كآبة بل كان خيراً ونعمة .

كانت أحلى الساعات عندى ، حين تهطل الأمطار المنهمرة فى الربيع أو الخريف فتجعلنى رهين البيت وتمسح عن قلبى الهموم بما أسمع من زمجرتها وصوت هطولها ، وحين تطول ساعات الشفق وتنثال على المرء أفكار كثيرة فتستقر فى نفسه وتكشف له اللثام عن أسرارها . وكان من دأبى أن أخرج فى الليلة الدافئة فأركب قاربى ناخفاً فى نايى ، فإذا بى أرى الأسماك تحوم حولى ، كأنها مفتونة بى وبما تسمع منى .

وكثيراً مايقول لى بعض الناس : «أظنك تشعر هناك بالوحدة ، وتود لو كنت قريباً من قومك وعشيرتك؟» ، فلا أجد شيئاً أحب إلى من أن أقول لهم : « لماذا أشعر أنى وحيد ؟ وحدثونى أىُّ مسافة هذه التى ترونها تقطع المرء عن عشيرته وتجعله فى عزلة مستوحشاً ؟ ولقد عرفت أنه ما من جهد تبذله الأرجل فى السعى ينتهى إلى أن يقرِّب ما بين عقلين متباعدين . وحدثونى أى شىء نحن فى حاجة إلى جواره والقرب منه ؟ لن تقولوا — إلى جمهور غفير من البشر ، ولاريب ، بل إلى ينبوع حياتنا السرمدى الدافق » .

واجتماع الناس فى الغالب شىء تافه لاغناء فيه ، فنحن نتلاقى فى فترات متقاربة حتى إن الوقت ليضيق بأحدنا عن أن يقف على خصلة جديدة فى أخيه تزيد قدره له ومعرفته به . وإننا لنتلاقى على مائدة الطعام ثلاث مرات فى اليوم ، فما نزيد ما نفعله على أن يذيق بعضنا بعضاً طعم تلك الثمار الحامضة التى هى نحن أنفسنا . ونحن نتلاقى عند مكتب البريد ، وفى الحفلات ، وحول مواقد النيران فى كل ليلة ، بل نحن نعيش فى زحام كثيف حتى يعوق بعضنا بعضاً عن الحركة ، ويكبكب بعضنا على بعض ، ويخيل إلىّ أن ذلك يفضى بنا إلى أن يقلّ توقير الرجل منا لأخيه .

وأنا بلا ريب لست بناسك ولا راهب متبتِّل ، بل أظننى كأشد الناس حباً لمخالطة الناس ، وأن فى نفسى ما يجعلنى ألتصق التصاق العلقة مصّاصة الدم ، إذا وقعت على رجل حق تترقرق الدّماء تحت إهابه . وليس فى بيتى سوى ثلاثة كراسى ، فواحد للعزلة واثنان للصداقة ، والثلاثة لاجتماع السمار . وكان فيمن يزورنى رجال من أصحاب الأعمال ، ولكنى لم أرهم يفكرون إلا فى مزاولتى للعمل ، وفى هذا المسكن النائى الذى يقصينى عن هذا المكان أو ذاك ، وأسمعهم يقولون إنهم يحبون النزهة فى

الغابات ، فما أرتاب فى أن الأمر ليس كما يقولون . ولكن كان يزورنى من أجدنى أشد أنساً بهم — من أطفال يأتون ليقطفوا بعض الثمار ، ومن عمال فى السكة الحديدية فى ثيابهم النظيفة وقد خرجوا للرياضة فى يوم إجازتهم ، ومن سماكين وصيادين ، ومن شعراء وفلاسفة — وقصارى القول إنهم هم الحجاج المخلصون الذين خرجوا من ديارهم إلى الغابات حباً للحرية وحسب .

فلما وافى شهر سبتمبر رأيت على الشاطىء الآخر من البحيرة شجرتين أو ثلاثاً قد بدأت أوراقها تحمر ، وأخذت كل شجرة تتميز عن أختها شيئاً فشيئاً على مرور الأيام وكأنها مفتونة بنفسها معجبة بانعكاس صورتها على المرآة الصقيلة التى تلألأ من ماء البحيرة . ولما نضجت ثمار شجر أبى فروة ( الكستناء ) ادخرت منها قدراً كافياً للشتاء ، فكنت أخرج حاملاً على كتفى غرارة أجول بها فى جوف الغابات . ولما حل شهر نوفمبر فيومئذ بدأت أتخذ البيت سكناً ألوذ به ، وذلك أنى بدأت آوى إليه طلباً للدفء والوقاية . ولقد طابت نفسى يوم رأيت سُخام النار الأسود يغشى جدران المطبخ الذى بنيته بيدى ، فكنت إذا حركت النار بالمِسعر ليعلو ضرامها ، أجد فى ذلك لذة أعظم مما عهدت .

فلما جاء زمن الجليد شرعت أطلى الجدران بالجبس ، وأخيراً أقبل الشتاء بعنفوانه وقد فرغت ولما أكدّ ، وأخذ عزف الرياح يدوّى حول البيت طروباً جذلاً كأنه كان محرّماً عليه أن يفعل ذلك حتى أُذن له فى هذه الساعة . وطفقت الإوز تأتى ليلة بعد ليلة وهى تدلف متثاقلة ولأجنحتها خفق وتصفيق ، وظلت تفعل ذلك حتى بعد أن غطى الثلج أديم الأرض .

صار كل عملى يومئذ أن أجمع الحطب من الغابة ، فربما رأيتنى أتأبط شجرة بيمناى وأخرى بيسراى وأجرّها إلى سقيفة الحطب . وكل إنسان من البشر يرنو إلى حطبه المدّخر بعين ملؤها الشغف ، وقد كنت أنا أحب أن أجعل حطبى أمام نافذتى ، فكلما كثرت أعواده كان ذلك أفضل ، فهى تذكرنى بالعمل الذى أدّيته على أرضى وجه . وليت شعرى أى شىء تقَرُّ به عين المرء كما تقرّ بطعام كان قد اضطره منذ قليل إلى الخروج تحت غاشية الثلوج حتى يحتطب له حطباً ينضجه عليه .

وقلما كان يزورنى أحد فى هذا الفصل من السنة ، فالثلج إذا كثر نهى كل طارق عن الدنو من مثواى ، فيمر الأسبوع والأسبوعان لا أرى طلعة بشر ، فكنت أقضى أيامى مستكناً فى هذا المثوى كما تفعل

فئران المروج والغيطان . وكان دأبى أن أخرج مع الصبح حاملاً فأساً ودلواً ، فأيمم شطر البحيرة طلباً للماء ، ولا أزال أشق طريق بين الثلوج والجليد ، حتى إذا بلغت غايتى حفرت ثغرة فى الجليد ، فإذا ماجثوت لأكرع من الماء، صوبت البصر إلى مَسْبح الأسماك الساجى ، فإذا ضوء ناعم رقيق يتخلل جوه وكأنه منبعث من نافذة عليها زجاج مصقول ، ويسود المكان سكون خالد لاتقطع صمته الأمواج ، كسكون السماء الساجية فى شفق الغروب ، وإذا أنت ترى السماء تحت موطىء قدميك ، كما تراهاسقفاً مرفوعاً فوق رأسك .

كان من أكبر ما أغرانى بالخروج إلى الغابات والعيش فيها ، أن يتاح لى أن أرى مقدم الربيع فى إبّانه . أخذ الضباب والمطر وارتفاع الحرارة يذيب الجليد شيئاً بعدشىء، وأخذ اليوم يطول طولاً تكاد تحسه . وجعلت أتسمّع نبْأة من ترجيع طير عائد بعد غيبة ، أو هتافاً رخيما من سنجاب ، أو أتلفت لعلّى أرى طائراً نقاراً قد انطلق خارجاً من مكمنه الذى يقضى فيه أيام الشتاء .

يابشرى ! هذا أول أنغام الربيع ! بل هذا محيّا العام قد أشرق كأنضر ما كان وأحفله بالبركة ! بل هذه ألحان طيور الربيع تطوى إلىّ السهول الجديبة الندية ، فأسمعها خافتة لها رنين رقيق كرنين صفائح من فضة ، فإخال أنى أسمع صوت آخر حبة من ثلوج الشتاء وقد هوت ساقطة على الأثر . فما تاريخ الدنيا عندئذ، وماحساب الزمن، وما الآداب الرفيعة على بكرة أبيها ؟ هذه جداول الماء تتغنى جذلانة بمقدم الربيع ! وتسمع الأذن صوت الثلوج الذائبة متخافتاً منحدراً إلى بطون الوهاد ، وحسّ الجليد وهو يذوب ذوباناً حثيثاً فى قلب البحيرة . وترى العين هامات العشب حمراً متوهجة على مناكب الرّبى كأنها نار الربيع المشعلة ، حتى كأن جوف الأرض ينفث زفرات متضرمة يحيى بها الشمس الآيبة بعد طول غياب .

وأوان تغير الجو من عاصفة وشتاء إلى صحو وصفو هو الساعة الفاصلة المشهودة التى تنادى جميع الموجودات بحلولها ، والظاهر أنها سريعة الزوال . ففى مثل لمح البصر رأيت الضوء يغمر جوانب دارى ، وإن كان الليل قد أوشك أن يقبل ، وسحائب الشتاء لم تنقشع بعد ، وظنف البيت لايزال يقطر ماء من هطول المطر . فقمت أطل من الشباك ، فيارباه ماذا أرى ! هذا الذى كان بالأمس ثلجاً بارداً أشهب اللون ، قد استحال غديراً شفافاً ساجياً مبشراً بالخير . ثم سمعت رنّة عصفور آتية من بعيد ، خيل إلىّ أنها

أول رنة سمعتها منذ آباد متقادمة من سالف الدهر ، وأنني لن أنسى لحنها على كرّ الآباد المتطاولة من الدهر الآتي ـ فهى الأنشودة الفتية الحلوة المرددة منذ الأزل .

نحن البشر فى أمس الحاجة إلى سر القوة الذى تبعثه فينا حياة الغاب ـ فى حاجة إلى أن نخوض أحياناً فى المستنقعات حيث تتخذ الدجاج وطيور مالك الحزين مجاثمها ، وأن نتشم رائحة البردىّ الذى توسوس خلاله النسمات ، حيث تبنى أوكارها دجاجات أشد توحشاً وتوحُّداً ، وحيث يزحف النمس وبطنه لاصقة بأديم الثرى . ونحن مهما نهلنا من مناهل الطبيعة فلن ننهل منها ماينقع الغلة ، فينبغى أن ننعش أنفسنا بمرأى القوة التى لاتنفد، وبمناظر البسيطة المتراحبة الهائلة، وبغُثَاء البحر الذى يقذفه على الشاطىء ، وبالغابات وما فيها من شجر ناضر أو أجذاع نخرة ، وبمشهد البوارق والرواعد والأمطار .

وبعد سنتين كاملتين فارقت الغاب ، فربما كان ذلك منى لأنى رأيت أن أمامى ضروباً كثيرة أخرى من الحياة ينبغى أن أستمتع بها ، وأنه لم تبق لى فسحة من الوقت أقضيها فى هذا الضرب وحده . ومن العجيب أنه من السهل كل السهل أن ننقاد إلى طريق بعينه ، ثم نتخذ لأنفسنا فيه منهجاً مطروقاً نألفه . إنّ أديم الأرض رقيق سريع التأثر بوطىء الأقدام وكذلك شأن كل سبيل يجتازه عقل الإنسان . فأى أزقة دارسة تربة عميقة تراها ، تلك الأزقة التى داسها العُرْف ودرج عليها الاحتذاء بآثار الآباء والأجداد !

بيد أن المرء إذا زاغت خطاه عن مسايرة خطى رفقائه ، فربما كان مردّ ذلك إلى أنه يسمع نغمة غير التى يسمعونها فهو يسير عليها . وخير له أن يتبع اللحن الذى يسمعه كيفما كان إيقاعه ، ومهما تباعد مصدره . ولقد علمتنى التجربة شيئاً واحداً على الأقل هو : أن المرء إذا مشى ثابت الجنان إلى حيث تقوده أحلامه ، وحاول أن يعيش العيشة التى يمثلها له خياله ، لقى من النجاح مالم يكن يتوقعه فى سائر أيامه . إنه سيُعْرِض بجانبه عن بعض أشياء ويهجرها ، وإذا به يجد أن هناك بضعة قوانين أخف قيداً وأهون محملاً قد بدأت تستقر من حوله وفى دخيلة نفسه . والمرء كلما ازداد بساطة فى عيشه ، ازدادت نواميس الطبيعة فى عينيه بساطة وبعداً عن التعقيد ، فلا العزلة ترى عندئذ عزلة ، ولا الفقر فقراً ، ولا الضعف ضعفاً . وإذا كنت قد بنيت لنفسك صروحاً مشيدة فى الهواء ، فلا تظننها جهوداً ضائعة ولابدّ ، فذلك هو مكانها الحق ، وما عليك إلا أن تسرع فتضع لها أساساً ثابتاً فى الأرض .

هـذا تاريخ جواد نبيل أفرغه في قالب قصة ،
ضابط كان له صاحباً فى الحرب العالمية الأولى .

# الوثّاب

# حياة حصان من سيبريا

مختصرة من كتاب

نقولا كالاشنيكوف



كان الوثّاب حصاناً من خيل سيبيريا ، وكان صديقاً لى ، وكنت أجده رفيقاً شجاعاً وفيه وفاء وإدراك يندر مثله . وقد كتب لنا القدر أن نكون معا زمناً فى الدفاع عن بلادنا . وأنا إذ أكتب ترجمته من ذكرياتى وكما تلقيتها عن آخرين أحبوه ، فإنما أؤدى ديناً من الشكر لا للوثاب وحده بل لجياد لا يأخذها الإحصاء ، احتملت نصيبها بلا تذمر من المآسى التى يخلقها الناس — المؤلف

# الوَثّابُ ؟

الوثاب قبيل الفجر ، وكان أول ماشعر به المهر بعد أن خرج إلى الدنيا ألماً كحزّ المدى فى بدنه ، ورقد على القش اللين ينتفض وهو فى كربه لا يفهم شيئاً ، وانحنى عليه جسم كبير له شعر ولفه فى شىء لين دافىء ثم حمله ، فقاوم ، ولكن ذراعين قويتين ضمتاه ، وصوتاً مطمئناً كله ، فأدرك بالغريزة أن هذا الذى يحمله يمكن أن يوثق به .

ولما لمس جسمه الصغير جسم الفرس الكبير الدافىء ، أدار رأسه وصعده إلى عينيها السوداوين الرقيقتين ، وفى ضوء النهار ألقت العينان عليه نظرة فيها حنو وقلق ، ثم جاء الصديق الذى حمله ، وأقامه على أرجله فوقف مترنحاً . ثم دفع بفمه إلى شىء لين ، ففتح فمه من تلقاء نفسه وأطبقه على ماوجد ، فقطر إلى حلقه سائل عذب أفعمه بسرور لا يوصف . وكان هذا ما يشتهى ، فشرب اللبن .

ووقف جراسيم أوزيروف الفلاح السيبيرى إلى جانبه راضياً ، وتذكر يوم جاءه سائس مذعور بجواد غريب لصاحب منجم قريب واستنجده قائلا : « أعنّى . فإنى خليق أن أطرد إذا جئت سيدى بحصان أعرج . وليس هذا بحصان عادى فإن فى عروقه دما إنجليزياً ، وقد فاز بجائزة فى سباق تومسك . وأنت أخبر الناس بالحيوانات فى هذه القرية ، فعالجه وسأؤدى لك أجرك من جيبى » .

ولم يكن المال ماطلب جراسيم حين ثاب الحصان إلى صحته ، بل أن يؤذن له أن ينزّيه على خير أفراسه ، وقال جراسيم لنفسه وهو ينظر إلى المهر الأسود الصغير : « ياله من نتاج » ! والتفت إلى الغلام الواقف إلى جانبه وقال : « قل لى يا دنيس يا بنى ، ماذا نسميه ؟ إنه لك فقد وعدتك به » . فركع الغلام بجانب المهر ومد يده فمسح بها على رأس المهر الحريرى وقال : «إن أرجله

---

ولد نقولا كالاشنيكوف فى سيبيريا ، وانتظم فى الجيش الروسى ورقى إلى رتبة يوزباشى . وقد عاش فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة ١٩٢٤ وتجنس بالجنسية الأمريكية سنة ١٩٣٠ ، وقد نشرت روايته الأولى منذ سبع سنوات وكان عنوانها : « أهل السيف »

طويلة ودقيقة فلنسمه الوثّاب » .

وبدأت تربية الوثاب من أول يوم فى حياته حين عرف فرق ما بين البرد والدفء، والجوع والشبع ، وتعودت أذناه شيئاً فشيئاً أن تميز الأصوات ، وكان أحد هذه الأصوات يبدو كأن له علاقة خاصة به، فكان لا يفتأ يقول: « ياوثاب ، ياوثاب » . وكان كلما سمع هذا الصوت يرفع رأسه ويمد رقبته النحيلة ويرهف أذنيه . وسرعان ما تعلم أن هذا الصديق الكبير هو صاحبه .

وكان الوثاب ذكياً ، فشرع يرد مايلقى من الحنان بمثله فكان يسير خلف صاحبه والغلام ، ويحك فمه بهما حين يكونان قريبين كأنما يريد أن يقول: « إنى ملككما، ولكما أن تثقا بى ، وسأفعل كل ما تطلبان منى» . وكان إيمانه بالإنسان عظيماً ، ولم يكن يخشاه أو يرتاب فى حكمته .

وكان ينظر باشتياق إلى الأمهار الأخرى فى حظيرة بعيدة ، من الرحبة المسوّرة التى كانوا يخرجونه إليها هو وأمه كل صباح ، واجتذبته على الخصوص مهرة بلقاء حاول أن يلفت إليه نظرها ، فكان يذهب يعدو ويصهل حتى بدأت تستجيب له بكر يخافت، فسرّه هذا . ولما صارت الأيام أدفأ، أطلق هو وأمه فى الحظيرة الكبيرة ، وهناك وجد للمهرة البلقاء .

فراح يشم المهرة على مهل من رأسها إلى طرف ذيلها الملتوى ، ثم استخفه السرور فنهض على رجليه الخلفيتين ودار حول نفسه كالنحلة ، فامتلأت عينا المهرة إعجاباً . ولكن الجياد الأخرى فى الحظيرة كفت عن الرعى ونظرت إليه كأنما تقول : « من أين جاء هذا المزهوّ بنفسه ؟ » وشرع بعض الأمهار يقودها كميتٌ شرس ، تسير نحوه متحرّشة به ، فلصق الوثاب بالسياج وقد بلغ من ذعره أنه عجز عن إخراج أى صوت ، وهمّ به الكميت وقد كشف عن نواجذه ، وإذا بصوت آخر يصيح :

« أمسك ! ما هذا ؟ » وكان صوت صاحب الخيل ، فلما سمعته الأمهار تفرقت .

« إيه أيها الوثاب لقد أفزعوك ! لعلك غاليت فى الزهو بنفسك » ، ومسح الرجل بكفه عليه ، فأشعره هدوءه أن الدنيا عادت كما ينبغى أن تكون .

وقال الرجل: « سيكون حصانا مطهما يادنيس » .

فقال الغلام : « نعم . فإنه ليس كالأمهار الأخرى . فلماذا ؟ أمن أجل أبيه ؟ »

فصمت جراسيم برهة ثم قال : « ربما ، ولكن أمه حسنة الخلق وخفيفة رشيقة الحركة كما تشتهى . والخيل كالناس ، فيها الجيد والردىء . خذ مثلا هذا المهر الكميت

— إنه سيء الخلق وجبان ، وسنضطر على الأرجح أن نخصيه، فإنه يصلح للعمل الشاق فى المزرعة ، ولكنه لا يصلح للإنتاج — ولذلك سنجعل المهرة البيضاء والوثاب للإنتاج ، وسندربهما تدريجاً ، فنعودهما أولا احتمال اللجام ، وبعد ذلك نشدهما مع حصان أكبر منهما . وتذكر يا دنيس أن عليك أن تعامل الوثاب بعطف ، فإن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يتعلم بها » .

وأفعم قلب الوثاب رضى ، فترك الرجل يحك له الموضع الحساس خلف أذنه ، ولما صهلت المهرة لتلفته إليها، حمحم مجيباً لها وقال لنفسه : ألا ما أطيب الذين كانوا منذ هنيهة أعداءه ، وأبعدهم من الأذى ! ماعدا المهر الكميت فإنه يبدو كأنما يمسك فى قلبه حقداً ، وكأنما يقول بعينيه « انتظر ! سأوسعك أذى لم يحل بك مثله فى حياتك » .

وكانت أيام الصيف حارة ، ولكن الليالى الباردة كانت تطلق الأرج العطر من الزروع النامية ، والبرسيم الذى قطع حديثا وبقى مكدساً فى الحقول . وقاد جراسيم ذات صباح المهر « الوثاب » إلى الأسطبل وأغلقوه عليه ، فاستغرب المهر لأنه لم يسبق له أن فصل عن أمه ، وجعل يروح ويجىء ويصهل شاكياً ساخطاً ، ولكن أمه لم تجىء .

وبعد ذلك لما عادت الخيل من المرعى جعل يدور مضطرباً ويدعو أمه ويصغى ليسمع جوابها ، وفى تلك الليلة أدرك أنه أمر جلل — فإن أمه لن تكون بجانبه .

وظل أياماً يتجاوب الفضاء بنداءاته ، ثم سمع ذات صباح صهيلا حزيناً من إسطبل مجاور ، وكان الصوت هو صوت المهرة البلقاء ، فأدرك بغريزته أنها هى أيضاً فقدت أمها ، فاندفع فى حظيرته يطلب إخلاء سبيله ليخف إلى نجدتها .

وأخيراً أقبل صاحبه وقال : « ماهذه الضجة ؟ أنظن أن المهرة فى هم ، وأنك تستطيع أن تسليها ؟ ربما كنت تستطيع ذلك » وتبعه الوثاب متلهفاً إلى الفناء ، وانطلق ماضيا إلى المهرة التى كان دنيس خارجاً بها من الأسطبل ، فحيا كل منهما صاحبه بشمة وأصوات صهيل خافتة . وهكذا أقام الوثاب نفسه حامياً للمهرة .

وجاء يوم اقتيدا فيه إلى حقل عليه سياج والعشب فيه كثيف ، فأطلقا فيه مع الأمهار الأخرى . وهناك رأيا مرة أخرى بعض زملائهما القدامى ، وبينها مهر أبيض رقيق الحاشية ، والمهر الكميت الشرس وما كاد هذا يرى الوثاب حتى بدأ يظهر سوء خلقه ، ولكن الوثاب اتقاه ولازم المهر الأبيض .

ونمت الصداقة بين الوثاب والمهر الأبيض، وحدث مرة أن شرع الكميت يتودد إلى البلقاء ، فخف الأبيض إلى معونة الوثاب وطردا الكميت ، ولكن الوثاب لم يكن يستطيع دائماً أن يجتنب عدوه القديم ، تكررت المشاجرات وكثرت ، وأصيب الوثاب مرة برفسة قوية من الكميت ، وفى مرة أخرى عضه بقسوة فى ظهره وفخذيه .

واتفق ذات صباح والخيل عائدة من حوض الماء أن ألفى الوثاب نفسه فجأة فى ركن ، والكميت يسد طريق النجاة عليه . وفى هذه اللحظة حدث أمر عظيم ، فقد أحس كأن كرة من النار تتجمع وتضطرم فى جوفه ، وتجرى فى كل عرق فى بدنه ، وتنفجر فى موضع ما من رأسه ، فدار وراح يضرب برجليه ، وقبل أن يفيق الكميت يواجهه وقد تسطحت أذناه وهجم عليه ، فما راعه إلا أن الكميت دار ولاذ بالفرار .

وصار الوثاب الآن قوياً لا يخاف ولا يحتاج إلى حماية أحد ، وقد كان تفطنه إلى ما فيه من قوة شيئاً باهراً ، ولكن هذا لم يكن معناه أنه أصبح مستقلا ، فقد كانت حاجته إلى الآدميين حقيقية كحاجته إلى الشمس .

وكان الوثاب فى ربيعه الثانى وصيفه التالى يجوب الحقول والغابات مع أصدقائه المهرة البلقاء والمهر الأبيض ومئات غيرها ، والتقى مرة بأمه ، ولكنه لم يكترث لها ولا اكترثت له ، وشم كل منهما صاحبه على سبيل التحية الودية وانصرفا .

وقاده صاحبه ذات يوم هو والمهر الأبيض إلى حظيرة كبيرة ووضع على ظهريهما لبداً ذا سيور تنعقد أطرافها تحت البطن ، فتراجع المهر الأبيض ورفس ، أما الوثاب فتحير ولكنه لم يفزع . وبعد عدة أيام على هذه الحال أدهشه صاحبه بأن طرح سرجاً ثقيلاً من الجلد فوق اللبد وشد السيور ، ولكن بعد أن نفخ الوثاب بطنه وصار بدنه كتلة صماء ، فقد كانت هذه إهانة له ، وسمع صاحبه يقول بصوت مطمئن : « لا لا ! كيف يضير السرج حصاناً قوياً مثلك ؟ »

ثم تلت ذلك صدمة مباغتة حين وثب دنيس وثبة سريعة وامتطى ظهره ، ففزع الوثاب ، وشب ، ودار وذهب يعدو فى الحظيرة .

والآن لم يكن على ظهره أحد . فأجال عينه فيما حوله ، وكان دنيس جالساً على الأرض يضحك وفى يده قطعة من الخبز : « تعال خذها ياوثاب . لقد أدهشتك ، أليس كذلك ؟ وأنت أيضاً أدهشتنى » .

وقبل أن يبلغ عامين من عمره تعلم أن يحمل راكباً وأن يجر مركبة جليد خفيفة ،

وكثيراً ما كانوا يشـدونه إلى المركبـة ويدعونه يجرى فوق سطح بحيرة بيكال المتجمد الأملس. وكان يعرف أنه خير تلميذ بين الأمهار التى من سنه فزهاه علمه هذا، حتى المهر الأبيض الدمث كان يبدى أحياناً بعض المقاومة، أما الكميت فكان لا يذعن إلا بالقهر.

على أن الوثاب لم يكن من الجسامة أو القوة مثل المهر الأبيض أو الكميت الذى يشبه البرميل، ولكنه يبدو أطول بسبب طول بدنه النحيل، وكان فيه شىء يجعله فى نظر زملائه خيراً منهم، فقد كان مختلفاً ومنفرداً بصلته العجيبة بالآدميين.

ولما بلغ الوثاب الثالثـة فى الربيع، صارت تعروه نوبات من القلق، ووقعت النبوة بينه وبين المهر الأبيض، وكانا موضوعين فى حظائر منفصلة، يريان منها الأمهار الأخرى تستمتع بحريتها، وكانت الأمهار تمر بهما، فتهيجهما، وحدث ذات مساء عند الغسق أن كانا ينظران إلى خيل العمل وهى راجعة من الحقول، فلمحا البلقاء فى حظيرة قريبـة، وكان جسمها المشوق كالظل فى هذا الضوء الخافت، ولكن صهيلها الرقيق كان حسبهما، فهاجت حُرُقاتهما.

وكان المهر الأبيض أثقل من أن يستطيع الوثوب، فنخر وأسند جسمه إلى الحاجز، ولكن الوثاب شبّ واصطدم بأعواد الحاجز ثم تراجع إلى الركن، وعلا رأسه وذهب يركض إلى الحاجز، وارتفعت يداه، ودفعته رجلاه فصار وراء الحاجز.

فصهل صهيل الظفر وركض إلى المهرة وجعل يتقصى بدنها المنتفض بفمه، فتقبلت مغازلته الحارة الخشنة، ثم انفرجت الأزمة فجأة بعمل تركه راضياً وادعاً. ولما جاء صاحبه ودنيس فى صباح اليوم التالى كان الوثاب والمهرة واقفين فى هدوء جنباً إلى جنب كما وقفا مراراً من قبل.

وجاء ربيع ١٩١٤ وصيفه إلى سيبيريا. وشرع ناقوس الكنيسة ذات يوم يدق لا دقاً مرحاً كما يفعل فى أيام العطلة، بل بتؤدة ووقار، فقد أعلنت الحرب، وأقبل موظفون فى ثياب عسكرية على القرية يطلبون الخيل ويعرضونها، وزاروا كل إسطبل، وفتح أحدهم فم الوثاب ونظر فيه.

ثم ذهب الرجل فطوق جراسيم بذراعيه عنق الوثاب وأراح خده على شعره الناعم: «أيها الوثاب!..» وكان صوته مترعاً بالأسى ثم صاح دنيس: «إيه يا وثاب، سيأخذك القيصر منا إلى الحرب ولن نراك بعد ذلك أبداً!»

وبعـد بضعة أيام أخرج الوثاب والمهر الأبيض والكميت من الإسطبل، ووضعت

الحبال حول رقابهم ، وربطت إلى مؤخرة مركبة . ولما غادرت الفناء ندّت عن دنيس صيحة : « وثاب ... ياوثاب ! »

وجمعت الخيل وسارت فى الشوارع الصاخبة. ثم لمح الوثاب بغتة أجراماً ضخمة تزأر وتنفخ وتجر صفوفاً من بيوت غريبة الأشكال ، فما كان رأى قبل ذلك قطاراً حديدياً ، فأرهف أذنيه ، وأدار عينيه ، واقتيدت الخيل واحداً بعد واحد وهى تتمنع. ورأى المهر الأبيض يذهب ، ثم الكميت ، فانطلق يركض خلف الكميت ، فى المدرج إلى مركبة السكة الحديدية .

وفى تلك الليلة ، وقفت الخيل والنعاس يغالبها والقطار سائر يهتز بعض الاهتزاز ورأى الوثاب عين الكميت تنظر إليه مستفسرة فى قلق ، فصهل صهلة رقيقة كأنما يقول له : « لاتخف ياصديقى القديم » فقد زال ما كان يخامره من الشعور بأن المهر عدو له ، وصار بينهما رباط وثيق .

وتعاقب النهار والليل تعاقباً مملا ، وعرف الوثاب للمرة الأولى كيف يكون الخوف من الآدميين ، وكان الرجال يجيئون ويذهبون حاملين الطعام والماء ، وكان لأحدهم لحية وخطها الشيب ، ذكرته بصاحبه فحياه بصهلة وهو يتوقع أن يلاطفه الرجل ، غير أن الرجل تناول مقشة وأهوى بها على رأسه .

فصار الوثاب بعد ذلك يجفل كغيره من الخيل إذا دنا الرجل منه ، وكان الكميت هو الوحيد الذى لم يخف كرهه له ، وقد ظل هذا الرجل الغريب الشنوء أياماً وهو يحرص على البعد عنه ، ولكنه جاء ذات مساء وهو مغيظ محنق وصب جام غضبه على الكميت ، فقبل الكميت التحدى وكشف عن أسنانه ، وهجم عليه ، فتقهقر الرجل بسرعة ، فهوى من باب المركبة المفتوح واختفى ، ولم يره أحد بعد ذلك .

وجاء رجال آخرون ، ولكن الوثاب كان ينظر إليهم جميعاً بغير اكتراث ، ثم كان يوم أذهله فيه أن يسمع أحدهم يناديه باسمه : « وَثاب ..وثاب ! » فمد عنقه إليه فلاطفه الرجل ، فصار بعد ذلك ينتظر مقدم الرجل بصبر نافد .

وكان الرجل باشجاويش موكلا بقطار الخيل ، ومزوداً ببيان بأسمائها جميعاً ، وكان مثالا للفلاح الذى تنجبه القرية الروسية، وكان يعد الخيل جزءاً ضرورياً من الحياة . فلما رأى هذا الحصان الذى كان من الجلى أنه يفهمه ويفهم أساليبه ، شعر بحنين قوى عميق، ومالبث أن اشترى كراسة ، مدفوعاً إلى ذلك بهواه ، أو بالضجر من الرحلة الطويلة ، وكتب عليها : « سجل لخدمة الحصان السيبيرى ، الوثاب »

وكتب على الصفحة الأولى : « ليكن معلوماً لكل من يجد هذه الكراسة أنها سجل لخدمة الوثاب ، وهو حصان دمث جداً . وإني لأرجو من كل من يكون هذا الحصان وهذه الكراسة من نصيبه أن يواصل تسجيل أعماله في خدمة بلادنا »

وأسدل ستار الليل على الجبال والغابات وانطلقت شرارات ، وشقت الظلام ألسنة من اللهب ، خلفت وراءها دخاناً كثيفاً كريهاً ، وكانت معركة عنيفة تدور منذ أسبوع في جبال غاليسيا ، وكان كل شيء في فوضى ، وكانت المركبات وصناديق الذخيرة مبعثرة بين الشجيرات ، وكانت الدروب في الجبال غاصة بجثث الخيل والرجال.

وكان الوثاب والكميت لا يشبهان في شيء تلك الخيول السمينة الحسنة الغذاء التي سبقتهما إلى خوض القتال ، وكان جلدهما مشدوداً على عظامهما البارزة ، ورأساهما مثنيين ، وفقد الوثاب كل إحساس بالزمان والمكان.

ولكن الوثاب اكتسب بفضل المتاعب والآلام قدرة على فهم سيده الجديد الملازم روادوف ، وتدرب على أن يظل هادئاً مهما يكن ما يحدث ، وشحذت فيه غريزة التفطن إلى الخطر ، وصارت أذناه مرهفتين حتى ليميز بين نيران العدو ونيران قومه ، وصار أنفه يستطيع أن ينبئه باقتراب الغرباء من الناس والخيل .

والآن وهو واقف إلى جانب مركبة مدفعية فارغة عند سفح مرتفع ، فقد أمر فمه على كفل الكميت كأنما يريد أن يقول : « تبسم يا صديقي ! »

فأجابته عينا الكميت الغائرتان : « إني لا أكاد أقوى على جر أرجلي . ولن نخرج أحياء من هذا يا صديقي ! »

وكانت نيران العدو لا تنقطع ، على حين كانت مدافع الروسيين لا تنطلق إلا من حين إلى حين ، وتلفت الوثاب ليحيي سيده الملازم ، الذي مسح له عرقه ، وقال له ليرفه عنه: « يا وثاب إنك بطل ، فإنك أنت الذي أنقذتنا اليوم جميعاً - إذ أحسست بالعدو وعصيتني حين أردت أن تعبر بي النهر ولو أنك كنت غبياً مثلي لوقعنا جميعا في الشرك . ولكننا الآن في مأزق ياصاحبي ، فإن العدو يحدق بنا » .

وفي تلك الليلة تقهقروا ، وكانت أشباح الجنود والخيل والمركبات ترى في الغابات إذ تعجل البطارية بالانسحاب من مكانها المكشوف ، وراحت هذه القافلة الغريبة تتعثر في الظلام .

وقبيل الفجر وصلت الفرقة إلى هضبة

انتثرت عليها الصخور الحادة ، ولها ذروة من أشجار باسقة فانطرح الرجال والخيل على الأرض . ووقف الوثاب ومازال تحت السرج مشدوداً إلى مركبة مدفع ، والكميت على مقربة منه ، فضرب الارض بحافر ، ليلفت إليه الكميت ، ولكن هذا لم يزد على النظر إليه بفتور ، وكان الناظر إلى هيكله المعروق واسوداده من العرق والتراب ، يشعر أن فيه شيئاً مفزعاً غير مألوف .

وسكّ أذني الوثاب صفير قنبلة ، فدار وقد صار كل عرق في بدنه كالوتر المشدود ، وكان الجنود والخيل سواء في إدراكهم أن النهار سيطلع عليهم بالهول مرة أخرى ، وأن السماء ستمطرهم ناراً ودماراً ، وصارت الساعات القليلة التالية كابوساً ، إذ كانت القنابل تتفجر والأرض ترتج تحت الخيل المذعورة ، وانفجرت قنبلة فوق الهضبة ، فحصبتهم بوابل من الحجارة والأقذار ومعها شجرة عظيمة ، وأصابت الشجرة حصاناً وتشابكت عليه أغصانها كأنما تعانقا ، ثم اختفيا معاً وراء حافة الهضبة .

ولما كان الظهر أطلت الشمس المضطرمة على الأرض المخربة ، وكانت نيران المدافع قد انقطعت تقريباً وأفسحت لنيران البنادق التي كانت تنصب من كل اتجاه . وتحت هذه النار الحامية تقدم الملازم من الوثاب ، وشد السرج ، وامتطى ظهره ، فذهب عن الوثاب كل خوف . وراحا يجوبان الهضبة من أقصاها إلى أقصاها ، وكان الوثاب يرى الخيل والمركبات تنحدر عن جانب الهضبة الوعر ، إذ يوجهه سيده هنا وههنا .

وكان العدو المستتر يرقب هذا الانحدار عن الهضبة ، فصب على القوم وابلا جديداً من الموت ، ورأى الوثاب زميلا له — حصاناً كميتاً — يتعثر ويقع براكبه ، فانتفض ، ولكن لمسة من يد سيده كانت كافية لرد السكينة إليه ، فانطلق ليلحق بالآخرين الذين تدفقوا في شعب مفض إلى غابة كثيفة آمنة ولما بلغ سفح التل رأى الكميت مجروحاً جرحاً بليغاً ، وهو يحاول أن ينهض ، ويحرك رأسه من ناحية إلى ناحية ولا معين له . ولو كان الأمر إلى الوثاب لذهب إليه . ولكن سيده حثه على السير ، فذهبت آخر فرصة لمساعدة صديقه القديم وتخفيف ما به .

ورأى الوثاب رأس الطابور يختفي في الغابة ، وسمع مدافع قومه تطلق ، فقد اقتربت النجدات ، ودار الملازم به وسار به إلى آخر الطابور ، وانفجرت قنبلة غير بعيد منه ، واضطربت الأرض تحت الوثاب ، وقذف به في الهواء .

ولما أفاق نهض بسرعة وهو يشعر بضعف في قوائمه ، وبمثل كي النار في بدنه ، وكان

الملازم رادوف منطرحاً على بضع خطوات منه، فوقف الوثاب ينتظره حتى يركب ، ولكن رجالا جاءوا وحملوه على محفة وذهبوا به ، وكانت المدافع لاتزال تطلق من مكان بعيد ، غير أن الغابة كانت ساكنة ، وكان حملة المحفة يمشون بسرعة ، والوثاب يبذل أقصى مافى وسعه ليلحق بهم ، والدم يقطر منه .

ولما شفى الوثاب كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت .

سار قطار حربى شرقاً فوق الريف الروسى الساكن ، موقراً بالجنود الذاهبين إلى قلب سيبيريا لإعادة تنظيم صفوفهم وتعبئتها . وجلس فى ركن ضابطان شابان يتحدثان بصوت خفيض ، وكان أحدهم يرتدى بزّة كبتن تشيكوسلوفاكى، والآخر ملازم روسى ، وكانا يتحدثان عن الثورة الروسية ، وفى فترة من فترات الصمت سمعا رجلا قريبا يشيد بفضائل حصانه .

وقال الكبتن ماليشيك التشيكوسلوفاكى للملازم الروسى: «إنى أنا نفسى من الفرسان، ولست أقول إن للحصان عقلا كعقل الإنسان ، ولكن له إدراكا غريزياً يدهش. وإليك شيئاً أحب أن أريك » ، وناوله كراسة ملوّثة زهمة .

لقد كتب هذا جنود لا أعرفهم ، وهو سجل لحصان سيبيرى اسمه الوثاب ، وهو الآن على هذا القطار . وليس منظره بالمعجب ، ولكن فى عينيه شيئاً غريباً . ولعل أعجب شىء فى أمره أن كل هؤلاء الجنود والضباط جشموا أنفسهم عناء الكتابة عنه كأنه مخلوق ذو عقل وإدراك ، وصديق مؤتمن » .

وابتسم الملازم وهو يقرأ العنوان « سجل خدمة المهر السيبيرى ، الوثاب » وفتح الكراسة كما اتفق وشرع يقرأ :

«نحن على وشك الانهزام وقد كاد العدو يطوقنا . وسنهلك إذا لم تصل إلينا النجدة . وأنا أكتب الآن فى كراسة صديقى الوفى « الوثاب » فإذا عاش بعدى ، ووقع فى أيدى غرباء ، فإنى أرجو أن تذهب هذه الكراسة معه . فإنى أريد أن يعرف الناس وفاءه . إن هذا الحصان يسعد حين يكون سيده سعيداً ، ويشقى إذا حزن سيده ، وهو الليلة بجانبى وعيناه تتبعان كل حركة أقوم بها. وإنى أقسم أنهما عينان بشريتان . ولن يدهشنى أن أسمعه يقول لى «تشجع» .

« وأنت يامن قد تصبح غداً سيد الوثاب ، تذكر أنه شاطرنى ماعانيت من المتاعب، فعامله كما تعامل إنساناً مثلك ، وإذا كنت تشك فيما كتبت عن عقله . فما عليك إلا أن تذهب إليه وتربت عليه وتقول له :

« ياوثاب . إنك جواد عظيم ، فاخدمنى بولاء وصدق كما خدمت كل الذين أحبوك وعنوا بك » — الملازم رادوف . »

فتأثر الملازم كولوسوف تأثراً عميقاً بهذه العبارة التى كتبت بسرعة بالقلم الرصاص ، واندفع يقول : « هذا الرجل يستحق أن تنفذ وصيته الأخيرة. فماذا تنوى أن تصنع بهذا الحصان ؟ »

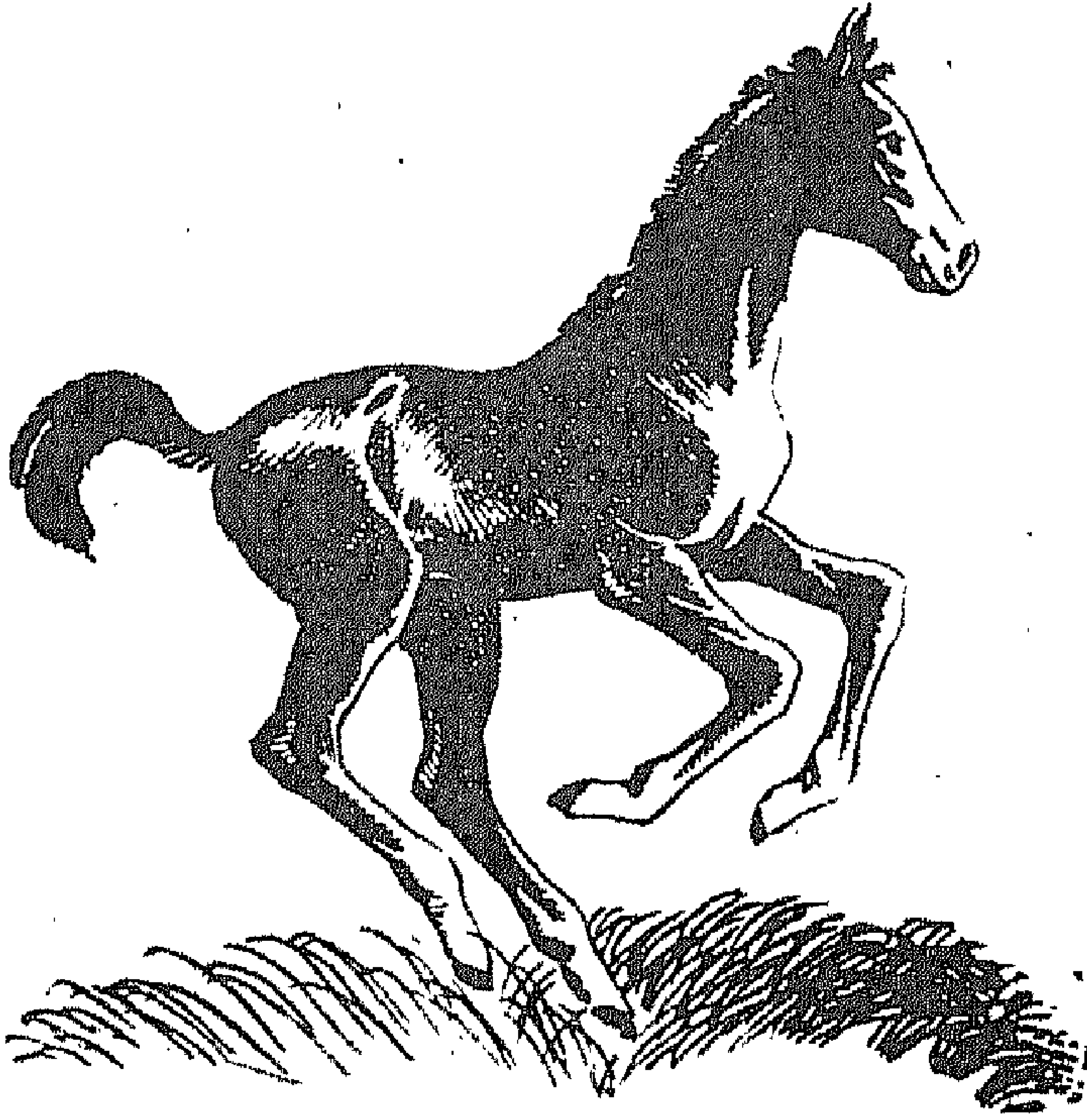
فقال الكبتن : « أنا عندى حصانى ، وأنت تحب الخيل،فخذه وخذالكراسة ، فإن من الملائم أن تكونا معاً فكلاكما من سيبيريا » .

ولما وقف القطار أخرج الوثاب من المركبة إلى مأوى . وتقدم الملازم كولوسوف منه ، وربت على عنقه وقال بحنو : « أنت يا وثاب حصان جميل وأنا أعرف أنك ستخدمنى بإخلاص» ، فأطربت الوثاب هذه اللهجة الروسية المألوفة، وصهل صهلة خفيفة وهو يتجه إلى الرجل .

لقد رحل الوثاب مرةً إلى الغرب ليخوض حرباً ، وهو الآن مع سيده الأخير ، يعود إلى الشرق مرة أخرى ، إلى أركتسك حيث بدأت حياته العسكرية .

وكانت الحرب الأهلية المخربة قد وضعت أوزارها، واتحدت الجيوش الحمراء والبيضاء ضد عدو مشترك فى الشرق الأقصى هو أتامان سمينوف وحلفاؤه اليابانيون .

وكان الزحف شرقا إلى بحيرة بيكال يجرى فى عواصف الثلج والبرد ، واتفق ذات صباح أن كان الثلج كثيفاً والهواء



البارد يجعل التنفس شاقاً ، فسرى فى بدن الوثاب مثل تيار الكهرباء ، إذ أحس بالثلج تحت حوافره ، ونفخ ليخلى منخريه ، واستولى عليه شوق عجيب .

وسأله سيده : « ماذا بك يا وثاب ؟ »

فالتفت الوثاب وهو مطمئن إلى سيده كأنما يريد أن يقول: « ليس الخوف ما بى ، بل هذا الثلج وهذا الريف المألوف . لقد كنت هنا من قبل » .

وفى اليوم التالى بلغا قرية كابانسك ، وكان الوقت ليلا ، ولكن الشوارع غصت بمن خرجوا إليها ليرحبوا بالجنود . ولما ذهبوا بالوثاب إلى إسطبل فى فناء حقل طيب ، أبى أن يقف ساكناً أو أن يأكل وإن كان لم يطعم شيئاً منذ وقت طويل .

وبقى وحده ، فمد أنفه إلى كل ناحية ، يمحص كل شىء ويشمه ، ثم رفع رأسه فجأة وأنصت ، فقد سمع وقع أقدام تقترب ، وصوت شاب ينادى : « وثاب . . ياوثاب ! » وفتح الباب .

ووقف فى المدخل على ضوء مصباح رجل طويل ملتح وصبى نحيف ، واقتربا ، وفحصا الوسم الذى على فخذه . فصاحا « الوثاب . . . الوثاب ! إن دنيس لم يخطىء . فإنك الوثاب حقاً ــ جندى عائد من الحرب . . مرحباً بك فى بيتك ! »

وفى الصباح التالى كان الجو كله مرحاً ، وتأثر أهل القرية إذ علموا أن الوثاب قد عاد بأعجوبة إلى جراسيم أوزيروف . وأقبلوا واحداً بعد واحداً ينظرون بعيونهم ، وتجمعوا من الصباح الباكر ووقفوا فى الفناء وقد أجمعوا على أن هذه معجزة حقاً .

وسر الوثاب بهذا الترحاب ، ولكن أصواتاً فى الإسطبل شغلته ، فصهل ليلفت إليه مهرة جميلة بلقاء بعيدة ، فرفعت رأسها وجاوبته بصهلة حارة كصهلته .

وخفقت ضجة الأصوات فجأة حين قال جراسيم للضابط :

« أيها الرفيق الضابط ، إن الوثاب حصاننا ، والناس هنا يستطيعون أن يقولوا لك إن هذا ميسم أوزيروف . وقد ولد فى هذه الحظيرة الصغيرة هناك ، وأخذ إلى الحرب فى سنتها الأولى كغيره من الخيل ، وهذه المهرة البلقاء التى هناك هى أم ولده ، وسأرفع عنه اللجام لترى أنه سيذهب إليها من فوره . فكن عطوفاً عليه » .

فتأثر الضابط ، ورفع اللجام ، فهز الوثاب رأسه ومضى إلى الحظائر ، ولم يذهب إلى أقرب حظيرة ، وكان فيها عدد من الخيل ، بل قصد إلى البلقاء فى آخر حظيرة .

فابتسم الضابط لدنيس ثم التفت إلى أوزيروف وغمز بعينه وقال: « ليس لى حق فى تسريح حصان سليم ، ولكن لاحظت فى المدة الأخيرة أنه مريض . والحصان المريض لا يصلح للحرب ، فإذا أعطيتنى بدلا منه حصاناً سليما فإنى أقبل » . فتجمع الفلاحون حول الضابط يهتفون به ويصافحونه على

حين وقف دنيس وأبوه يبكيان ويضحكان .

وفى اليوم التالى خرجت القرية لتوديع الجنود ، وكان الوثاب وحده هو الذى يشهد ما يحدث وهو قلق ، ولم يفهم لماذا لم يسرجوه .

وهمس الضابط فى أذنه : « وداعاً ياوثاب ! وداعاً أيها الرفيق القديم ! إنى آسف لفراقك ولكنك ستكون سعيداً هنا » .
وربّت عليه ثم امتطى جواداً آخر كان فى انتظاره ، وانصرف دون أن يتلفت .

ودار الوثاب وانثنى وهو مضطرب . وقد شعر أن شيئاً غير عادى قد وقع . ولكنه سمع البلقاء تصهل فسكن وطمأنه صهيله ، وبدا كأنما يقول : « لاتقلق ! فلن أفارقك مرة أخرى ! »

الشيخ الهرم ، ودنيس ، والملاطفات الرقيقة ، وأصوات الحقل التى كانت كالموسيقى فى أذنيه — كل هذا كان بعض حياته كأنما لم يكن قد اغترب قط . وهذا بيته — بيته المحبوب الحقيقى .



جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال : أيها الأمير إن لى عليك حقاً . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوماً فرددت عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُد الله رجلاً سمع ذلك إلاّ شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قدكان ذاك أيها الأمير فقال : خلّوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر ( السبّ ) كما أنكر ؟ قال : لقديم بغضى إياك . قال : ويُخلّى هذا لصدقه .



قال ثمستكليس — الجندى السياسىّ المشهور — لابنه الصغير « أنت أقوى امرىء فى بلاد الإغريق » . فسأله الغلام : « وكيف ذلك ؟ » فقال : « لأن أهل أثينا يحكمون بلاد الإغريق كلها ، وأنا أحكم أثينا ، وأمك تحكمنى ، وأنت تحكم أمك »

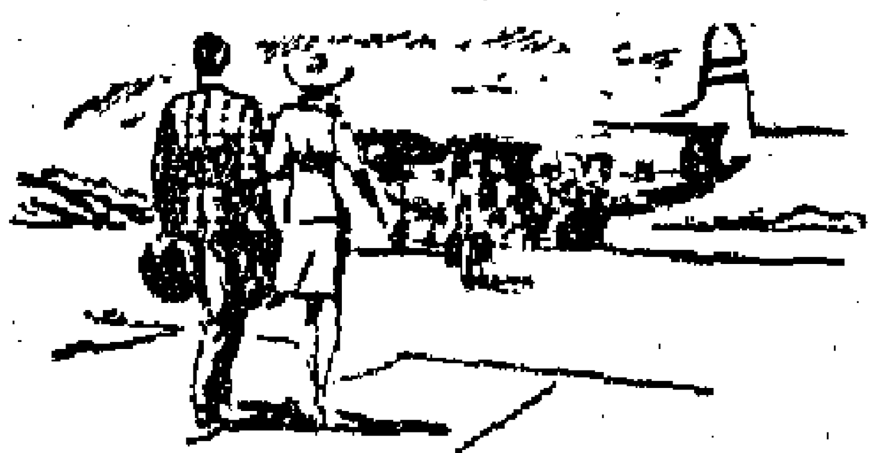
# إجازتك على مسيرة بضع ساعات

شلالات نياجرا بجلالها الأخاذ .. جبال جراند كانيون بجمالها الرهيب، أبراج نيويورك وأضواؤها ... كل ما تضمه الإجازات فى الولايات المتحدة من متعة وفتنة ، لا يفصلك عنها سوى بضع ساعات حين تحملك طائرة إليها : « محركات رايت سيكلون »

إن العصر الجديد فى الطيران الدولى قد حول الأرض إلى رقعة صغيرة متصلة الجوار ... وهـذه حقيقة لها شأن عظيم عند كل رحّالة وكل سائح فى أية بقعة من العالم . فالآن سيسعى عدد أوفر من الأمريكيين إلى زيارة أرجاء العالم عن طريق الجو ، كما أن جيراننا من أهل البلاد الأخرى سيسعون فى عدد لم يسبق له مثيل ، إلى رؤية تلك العجائب التى تجتمع فى أمريكا .

فلكى تسافر سفراً أبعـد وأسرع ، ولـكى تبلغ مشاهداتك أقصى حدودها ، ولـكى تحشد من المتعة فى كل دقيقة من سفرك أكثر ما تستطيع حشده ... افسح للطيران مكاناً فى مشروع إجازتك منذ الآن .

احرص على الطيران برفقة محركات رايت على الدوام



حين تبدأ طائرات الخطوط الجوية الإضافية المزودة بمحركات « رايت سكلون ٧ » عملها فستحتل مئات من المناطق الجديدة مكاناً على خريطة الطيران العالمية ذلك أن اتصال هذه الطائرات بالطائرات الدولية الجبارة التى تحركها قوة « رايت » تجعل باقى العالم فى متنـاول جميع المسافرين أينما كانوا .

**Curtiss Wright**

*Export Division*

30 ROCKEFELLER PLAZA, NEW YORK 20, N. Y.

# رقـائِق الفـولاذ




إن شركة « بثلهيم ستيل » تصنع مجموعة كاملة من جميع أنواع رقائق الصاب المجلفنة وغير المجلفنة وتراعى فى صنعها دقة القياس والتماثل لتؤدى على أتم وجه الأغراض المطلوبة .

وشركة « بثلهيم ستيل » التى تعد من أكبر الشركات لإنتاج الصلب فى العالم تقدم أيضاً مجموعة كاملة من منتجات الصلب مثل الأسلاك والأنابيب والصفائح وصلب البناء والصلب الخاص بالسكك الحديدية والطرق الزراعية الخ ...

مصنع « سباروز پوينت » التابع لشركة « بثلهيم ستيل » هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد . فالرسائل المعدة للإصدار تنقل رأساً من المصنع الى السفينة فيقلل ذلك ما قد يلحق بالبضاعة من ضرر من جراء الزيادة فى شحنها وتفريغها ونقلها قبل أن تبلغ السفينة .

**Bethlehem Steel Export Corporation**

25 BROADWAY, NEW YORK, U.S.A.

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ش . م . م .

فى العراق : ستانلى شعشوعة — فى فلسطين : رافائيل ملتز

فى سوريا ولبنان : مشيل صناوى وولده





## أجهزة ضبط الهواء فيلكو طراز 91-C

حين تزوّد مكتبك بمعدات « فيلكو » لضبط الهواء تجد أنها تساعدك على حصر ذهنك وتزيد من قدرتك على العمل فى الجو الحار . فالهواء المنعش الصافى النظيف الذى تتيحه ينشط همتك . أما الهواء الفاسد والدخان فيُطردان خارجاً ! ثم أن جلبة المرور وغيرها من أسباب الضوضاء المزعجة الخارجية لا تصل إليك ، ويمنع الغبار من أن يتسلل إلى مكتبك .

وهى مصممة للخدمة على مدار العام . . . ذلك لأن أجهزة ضبط الهواء التى يصنعها « فيلكو » لكل غرفة على حدة لا تقتصر على تهيئة هواء مبرّد ، عليل ، مرشح ، خال من الرطوبة طوال شهور الصيف القائظة ، بل تتيح أيضاً هواء نقياً وتهوية تامة من غير تبريد ، خلال الشهور الباقية من العام .

**أجهزة فيلكو تضبط لك الهواء ضبطاً حقيقياً . . .**

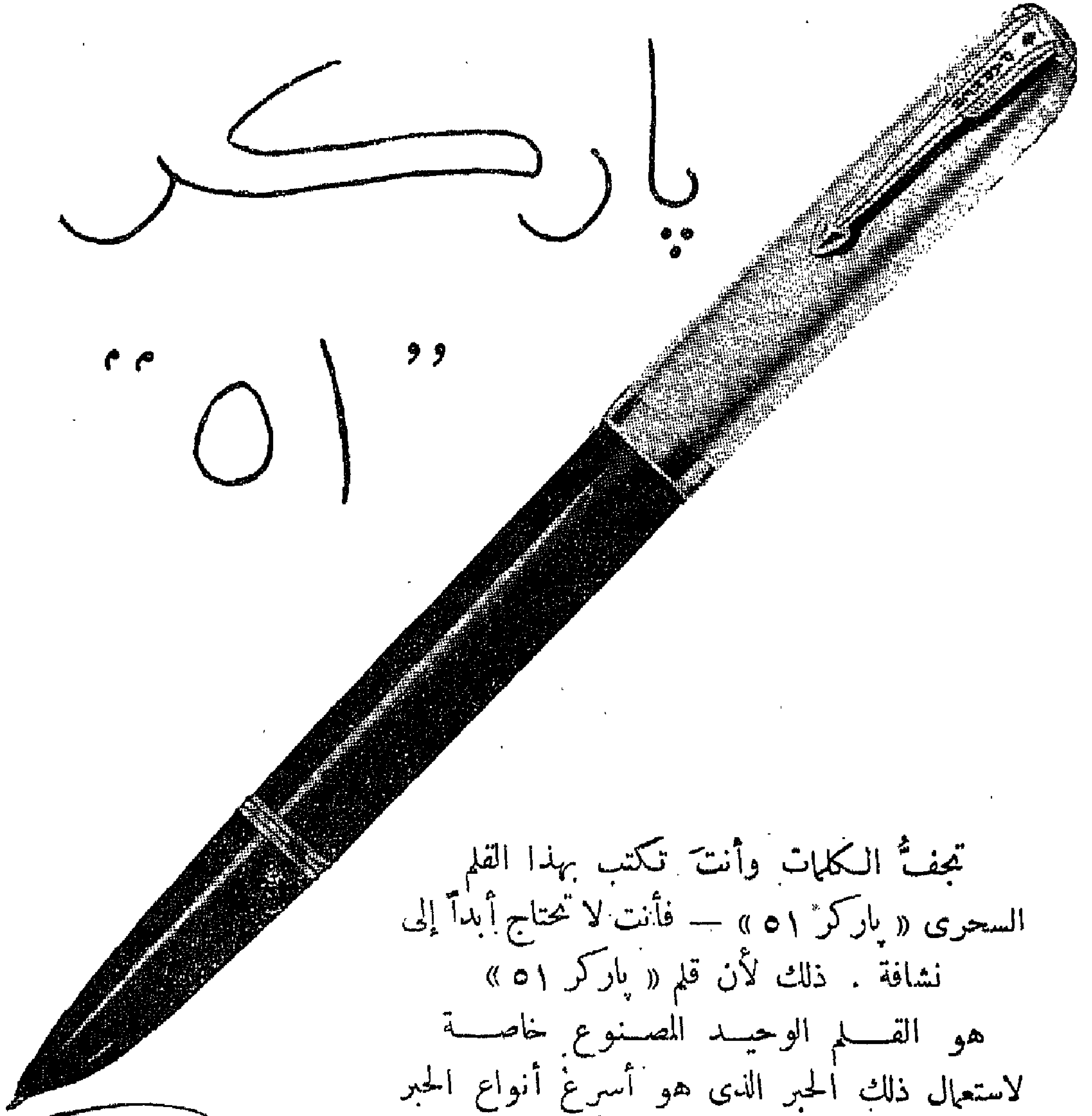
- تبرد هواء غرفتك وتضبطه
- تمتص الرطوبة من هواء الغرفة
- تسحب الهواء من الخارج وتضبطه
- ترشح الغبار وحبوب اللقاح النباتى
- تطرد الدخان الفاسد من جو الغرفة
- تمدك بهواء نقى لطيف طوال العام

متاحة الآن عند وكيل فيلكو

# فيلكو

المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.


پاركر
"٥١"

# زيوتنا توفر القوة المحركة والوقود في المزارع




لقد أنفق صانعو زيوت موبيلويل ملايين الدولارات في الأبحاث واقامة معامل التكرير ويستخدمون لهذا الغرض آلافاً من العلماء والمهندسين واشتهروا خلال الثمانين سنة الماضية بانتاج أجود أنواع الزيوت والشحومات.




سوكوني - فاكوم




C.R. 4954







# غـــذاء أفضـــل لعـــالم أفضـــل...



## حلق سحري لتذوق المرملاد

هذه آلة تقوم فعلا بدور الحلق السحري — هـذه آلة « رفراكتومتر » الحديثة التي تتذوق تذوقاً علمياً درجة الرطوبة في المرملاد ، وتبين بطريقة آلية دقيقة متى يصح أن تعد المرملاد قد تمت تهيئته على أحسن وجه .

ومؤسسة « سويفت » تستخدم في إنتاج سلعها أحدث الأساليب التي يوفرها العلم، وهذا هو السبب في أن ربات البيوت في جميع أنحاء العالم يعلمن أنهن حين يطلبن أحد منتجات « سويفت » ، يظفرن بأجود نوع : نوع «سويفت» الممتاز المشهور .

# Swift

## شركة سويفت الدولية

مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواي

يوزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

**INTERNATIONAL SWIFT COMPANY**

Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina

# صممت خصيصاً
# واختبرت خصيصاً ...




ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

# PRESTCOLD
## للتبريد

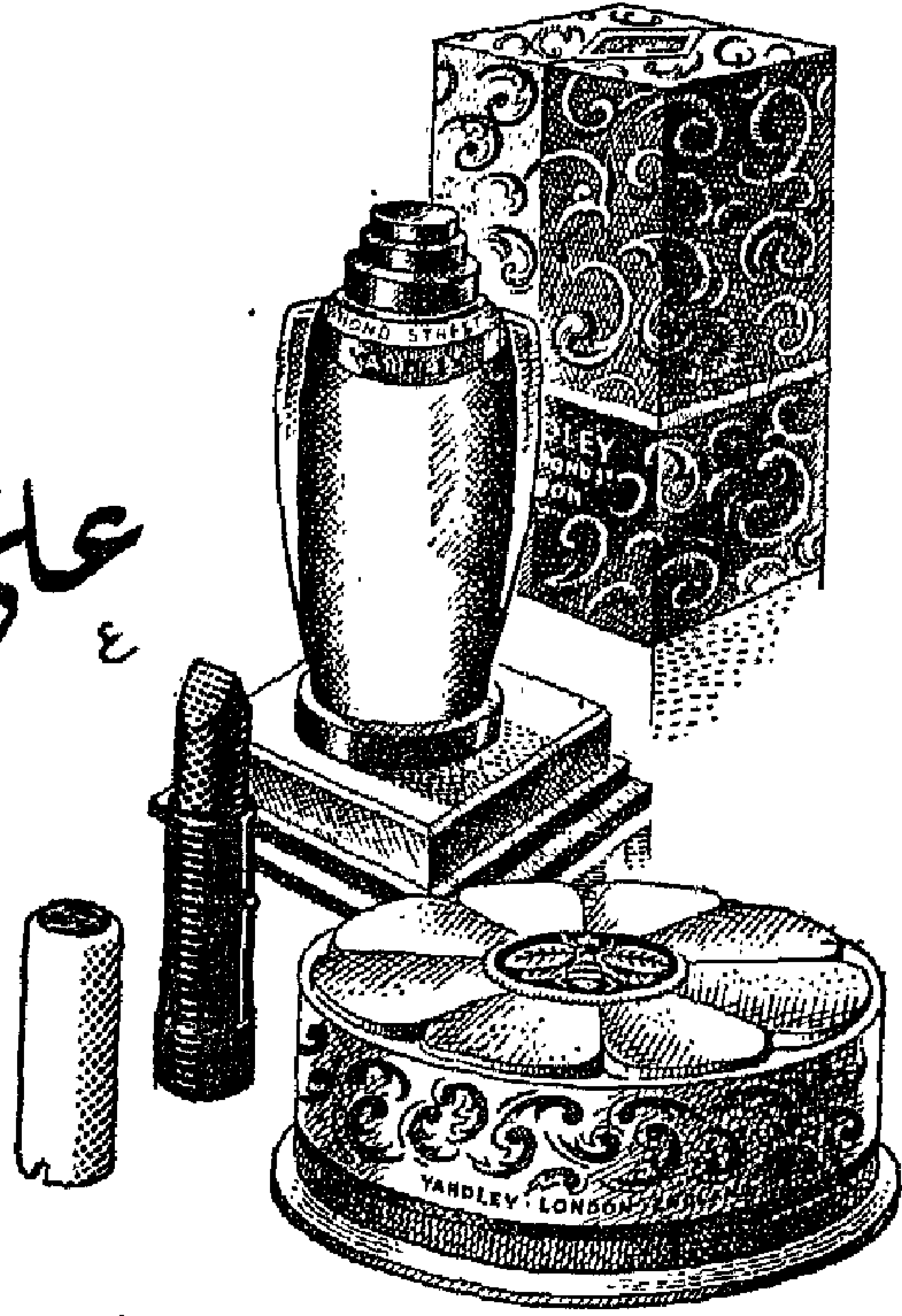
شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .




## شركة پرسد ستيل ليمتد

**THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND**

# احتيال على الفتنة




هذه المستحضرات الثلاثة الممتازة التي تأتيك من «ياردلى» بلندن . ستهوين عطر « بوند ستريت » بشذاه المغرى الساحر : استعملى معه بودرة « بوند ستريت » التي بلغ من دقة نخلها وطول بقائها المدهش على الوجه ما تجعلك تبدين في أبهى صورة من العصر إلى الفجر . ولا سيما إذا عنيت بأن تستعملى عنصر الفتنة الأخير — أحمر شفاه « ياردلى » .

**Yardley**

of London


Kodak



# تركبها فتشعر بالزهو ...
# مزية ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة

قد يكون التواضع شيمتك فى كثير من الشئون ، ولكن ثق أنك ستشعر راضياً بالزهو والفخار حين ترمقك العيون فى كل مكان تذهب إليه ممتطياً سيارة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الفخمة .

إنّ هذه السيارة تحفة تسر العين كما يسرّها منظر بيت أنيق التصميم فاخر الأثاث . وفى الحق لم تظفر أية سيارة جديدة منذ سنين مضت ، بمثل هذا الجمال الباهر الممتاز .

أما يسر قيادتها ومرونتها وسهولة السيطرة عليها فتكاد تكون حلماً من الأحلام . وأينما تطلعت تجد سلامتك وراحتك تضمنهما وتعززهما مبتكرات جديدة لم تكن لتترقبها قبل الحرب — مثل الفرامل التى تضبط ضبطاً ذاتياً — ولوحة أجهزة « الأضواء السوداء » — وحواجز هواء ونوافذ خلفية واسعة تتيح لك رؤية « كل شىء » حواليك .

ومن المحتمل أن تتمكن من قيادة سيارة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الفخمة فى وقت أقرب بكثير مما كنت تأمل !



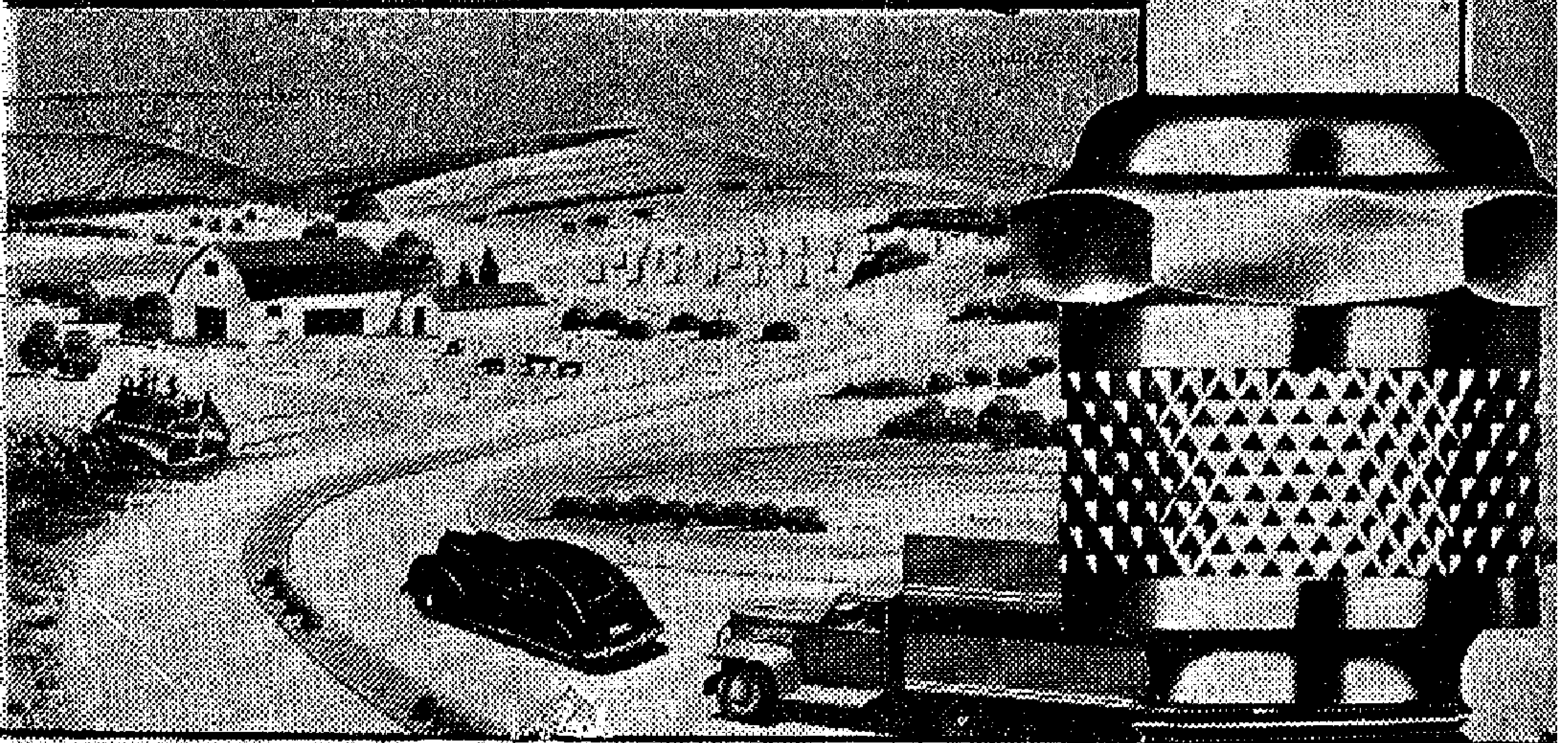

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

# أقصى أداء للمحرك

## تتيحه شموع الاحتراق

# شامپيون

# CHAMPION




مصنوعة للخدمة والنفع ولكن أسعارها محددة ، لتكون فى متناول الجميع . ولذلك ظفرت شموع احتراق «شامپيون» بزعامة عالمية لا نزاع فيها .

أصحاب السيارات ومركبات النقل والجرارات يعتمدون على هذه الشموع لكى يمدوا محركاتهم بالنشاط لوافر وللمحافظة على أعلى حد من القدرة فى أدائها .

ركِّبْ مجموعة جديدة من شموع الاحتراق « شامپيون » فى سيارتك أبدلها فى فترات منتظمة — وانعم بما تهيؤه لمحركك من بدء الحركة على الفور تحسين فى تزايد السرعة واقتصاد أكبر فى المصروف .




CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.




معدات
الراديو والتليفزيون

معدات
راديو الطيران

منتجات
تسجيل الصوت

آلات
عرض الأفلام الناطقة عرض ١٦ مللى

معدات
دور السينما والأستوديوهات والمسارح

أجهزة راديو البحرية

ميكروسكوبات إليكترونية
وغيرها من الأجهزة العلمية

معدات
التسخين الإليكترونى

أنابيب إليكترونية

# اشتر RCA تحصل على أفضل نوع

إن شركة RCA تفوق كل شركة أخرى فيما لها من قدم راسخة وأصل ثابت فى كل ناحية من نواحى الأبحاث والتحسين والتصميم والإنتاج ، الخاصة بالمنتجات اللاسلكية والأليكترونية . وإذن فلا يمكن لأية شركة أخرى أن تقدم فى مضمار الراديو والإليكترونيك ما تقدمه RCA .

وفى جميع أرجاء العالم يعرف كل مشترٍ حصيف : أنه حين يشترى RCA يحصل على أفضل نوع !




**RCA INTERNATIONAL DIVISION**

**RADIO CORPORATION of AMERICA**

**745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.**

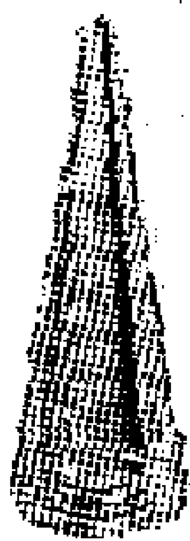
# قلم شيفرز "تريومف"

## أفضل قلم للكتابة ... ويستحيل عليك أن تبتاع قلماً أفضل منه

SHEAFFER'S

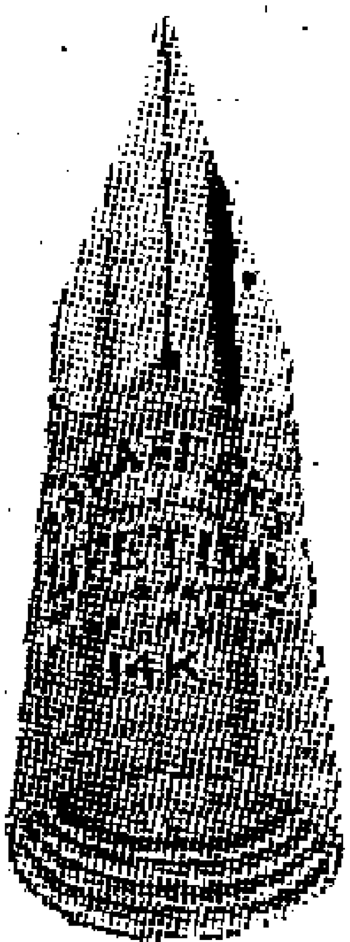
إذا أردت كتابة أكثر يسراً ونعومة ، فليس هناك ما يضارع قلم « شيفرز تريومف » . ربما تقول : « لكل شخص رأيه » . ونحن نوافق على ذلك ، بيد أن هذا سيكون رأيك أيضاً حين تأخذ هذا القلم فى يدك فتفحص صنعته الدقيقة وتحس بتوازنه المدهش ، وتلمس بنفسك مزاياه الفريدة — جرب السن الجديدة الأسطوانية المكبرة الحجم ، عيار ١٤ قيراطاً ، إنها مضمونة للعمر* ، ولا تكاد تلمس الورق حتى تبدأ الكتابة فى الحال كتابة ميسّرة مريحة إلى أقصى حد !

W. A. Sheaffer Pen Co., Fort Madison, Iowa, U.S.A



طرف
أقلام الرصاص

فاينلاين
يقلل تقصف
الرصاص



السن الجديدة
المضمونة للعمر*

* مضمونة بلا تحفظ لمدة أول من يشترى القلم طول العمر وبلا أى مصروف للإصلاح ،

## أقلام الحبر "تريومف" وأقلام الرصاص "فاينلاين"

ولقد نزلت أرض تركيا وطفت فى إيران ، فكنت حيثما ذهبت أسمع جمهرة المثقفين من الترك والفرس يَنفِسون على العربية ما أتيح لها عن طريق المختار ، ويتمنون يوماً قريباً يجدون فيه مجلة « ريدرز دايجست » مترجمة إلى سائر لغات الشرق الأدنى ، فالحاجة إليها ماسة فى هذه الساعات التى بدأت فيها يقظة الشرق لأمسه المجيد وغده المأمول .

فيليب حتى

— ٢ —

اتسع انتشار مجلة « المختار » ، وتعددت اللغات التى تصدر بها ، فلم تَعُد فى رأيى مجلة كسائر المجلات ، فإنّ هذه المؤسّسة الضخمة التى تصدر « المختار » وسائر الطبعات التى تقرّب بين الناس على اختلاف ألسنتهم وتباين أجناسهم وتباعد أمصارهم ، قد صارت ظاهرة فريدة من ظواهر هذا العصر — عصر العلم والمعرفة .

وانتشار « المختار » فى العالم العربىّ وحرصُ أهله على قراءته ، دليلٌ ساطع على أن العرب فى هذا العصر قد نفضوا عنهم غبار القرون ، وسايروا الأمم فى النهضة العالمية ، وأنهم ليسوا أقلّ منهم رغبة فى العلم ، وحرصاً على المعرفة ، وإلحاحاً فى التحصيل .

وقد أدرك العرب أن نهضتهم الصحيحة لا تقوم على ذكر أمجاد الآباء والأجداد وحسب ، بل هو العلم الذى لا ترسخ قاعدةٌ إلا عليه ، فأخذوا يجاهدون فى سبيل تحصيله حتى يتمّموا ما نقص ، ويقيموا ما اعوجّ ، ويدركوا الغاية التى يبتغون .

وإنى ليسرّنى أن أرى « المختار » قد قام بالنصيب الوافر الوافى فى هذا المضمار ، فكان له أكبر الفضل فى نشر العلم وتهذيب النفوس ، وتعميم المعرفة فى جميع أنحاء العالم ، وفى العالم العربى الذى أدّى يوماً إلى الحضارة الإنسانية ما لا قبل لأحد بتناسيه أو تجاهله .

صائب سلام

مطبعة مصر

# معوان على التربية

١ — الدكتور فيليب حتّى ، رئيس قسم اللغات الشرقية فى جامعة برنستون ، ومؤلف « تاريخ العرب » .

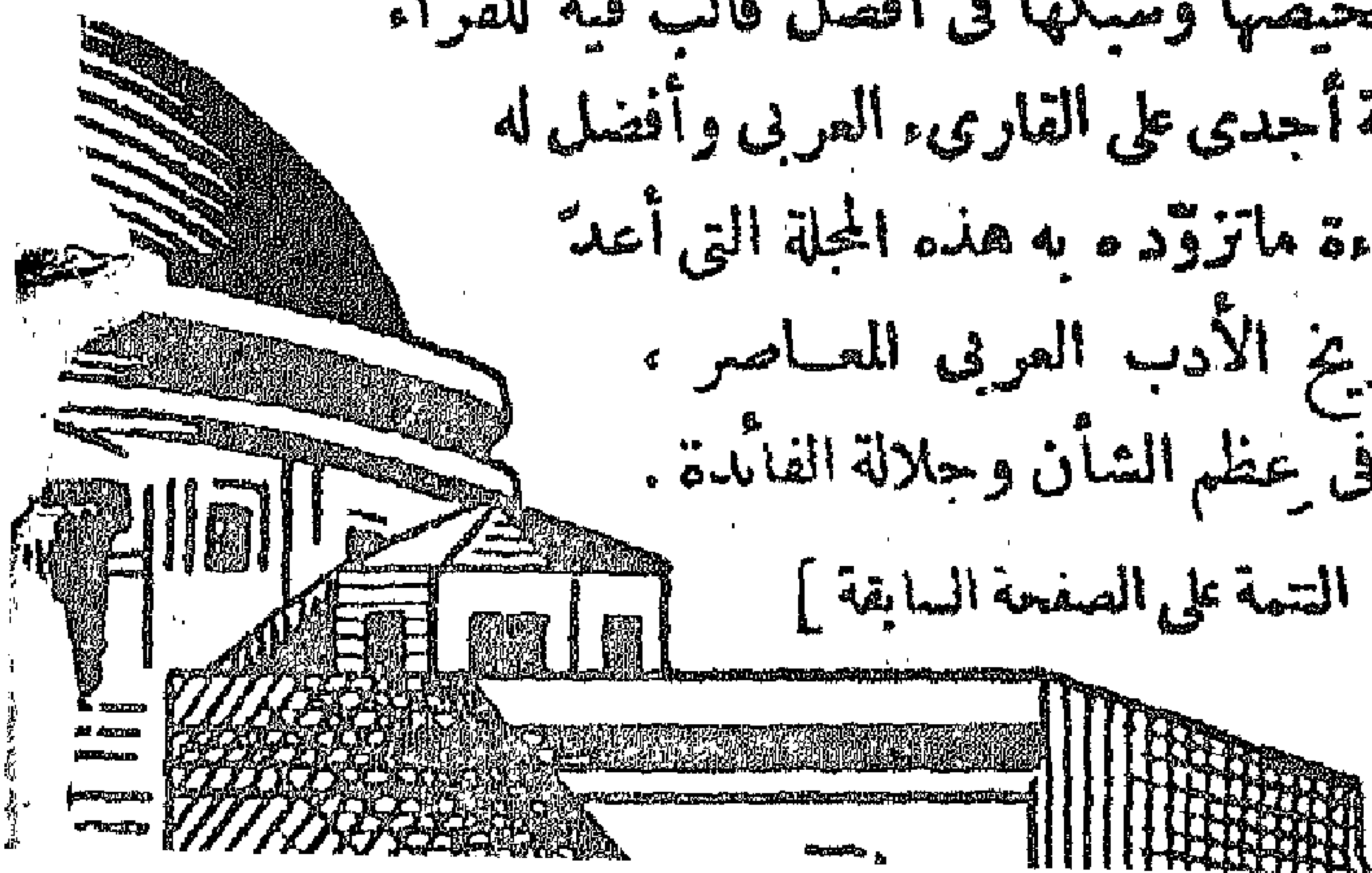
٢ — السيد صائب سلام ، وزير الداخلية فى الجمهورية اللبنانية .

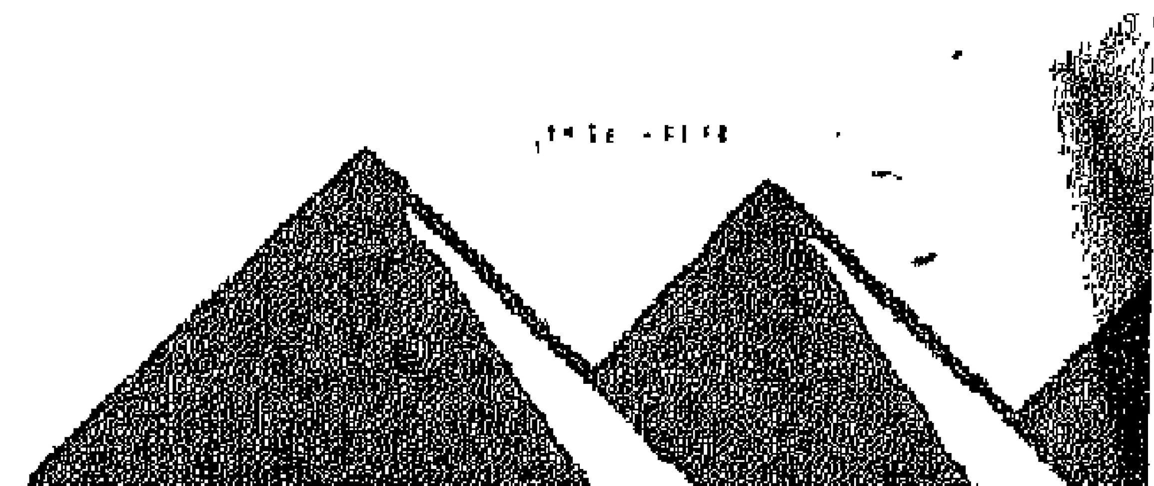
— ١ —

كان تجوالى هذا الصيف فى بلدان الشرق العربى ، فكان مما استوقف نظرى وراعنى أن أجد البيوت العامرة بالأثاث خالية من مكتبة تكون أثاثاً للبيت وللأسرة ، وإن بعضهم ليدّعى محبة الثقافة والأدب . هذا شأن الموسرين من رجالنا فما ظنك بعامة الناس ومن لا يجد إلا ما ينفق ؟ ولربما كان فيما مضى شىء من العذر لمن قصّر أو ترك ، إذ كانت الآثار العقلية الجديرة بالحفظ والتخليد قليلة الانتشار فى هذا الشرق ، أما الآن فقد كثرت حتى صار التقصير فى حيازتها تقصيراً فى الواجب المفروض . وقد ظهرت مجلة « المختار » وتوطدت بين المطبوعات العربية ، فلم يبق عذر لموسر ولا غير موسر أن يخلو بيته من سبب يصله بالثقافة والأدب ، و « المختار » وحده جدير برف خاص فى مكتبة كل مثقف عربى ، فهو ذخيرة تضمّ أشتاتاً نافعة من الثقافة والتهذيب والعلم .

أقول ذلك عن خبرة مبنية عن طول اتصالى بمجلة « ريدرز دايجست » منذ سنوات طوال ، وعلى تتبعى للترجمة العربية منها منذ صدورها . وإنى لأعرف بعض ما يلقاه محرروها فى أمريكا وفى مصر من عناء وتدقيق وما يبذلونه من جهود فى انتقاء خلاصة الأفكار الحية النافعة والآراء العلمية الحديثة ، بعد تمحيصها وسبكها فى أفضل قالب فيه للقراء منفعة ولذة . فأىّ ساعة أجدى على القارىء العربى وأفضل له من ساعة يقضيها فى قراءة ما تزوّده به هذه المجلة التى أعدّ ظهورها حدثاً فى تاريخ الأدب العربى المعاصر ، لا يضارعه حدث آخر فى عظم الشأن وجلالة الفائدة .

[ التتمة على الصفحة السابقة ]





٣ قروش

# المختار

## من ريدرز دايجست

### فى كل مقالة لذة دائمة





ديسمبر ١٩٤٦

# ترقب فى مختار يناير سنة ١٩٤٧

فى هذه البلاد التى يجوبها المختار كلَّ شهر ، تجد **الزراعة مورد الرزق لمعظم سكانها** ، فكلُّ ما يزيد جنى الأرض ، وثمر جهاد الفلاح ، ويرفع مستوى معيشته ، يجدى عليها أعظم جدوى . فاقرأ إذن فى مختار يناير ١٩٤٧ ، مقال « **العلم يشنُّ حرب الكيمياءِ على آفات الزراعة** » . وأيضاً قصة ملهمة هى قصة المفتش الزراعى الزنجى الذى مهَّد لقومه بآيات من العمل النافع كيف « **يخرجون من الأرض ما يكفل لهم العيش الرغيد** » ، فصاروا أحراراً .

أو لعلك تفضِّل الرائع من قصص المغامرة والبطولة ، فى مغالبة الشدائد والتغلب عليها ، فاقرأ إذن قصة مغامرتين من أروع مغامرات السنوات الأخيرة أما الأولى فهى : « **أسبوعان من الهول على بساط من الجمد** » . وأما الثانية فهى : « **أحد عشر رجلا والقنبلة الذرِّية النازية** » . والثانية على ما فيها آيات الإقدام والجرأة ترفع الستار عن حادثة خطيرة من حوادث الحرب طويت أخبارها حتى اليوم .

والعناية بالصحة من أهم ما يستأثر باهتمام الناس ففى مختار يناير ١٩٤٧ تجد مقالين نافعين يكشفان لك عن أشياء خليق بك أن تعرفها وينفعك أن تعرفها فهذه مقالة : « **عوضةٌ للسكتة القلبية** » تفسر علة خطيرة وتبين كيف تساعد الحمية على توقيها . ومقالة « **الأعصاب وسوء الهضم** » ، تقيم الدليل من التجربة على أن الخوف والهمَّ وضعف الأعصاب الموروث ، هى الأصل فى نصف ما تقاسى المعدة من متاعب .

فصول فى الأدب الحيّ — « **فى حديقة صينية** » و « **من المدين** » و « **أنا عمياء** » ، « **عبرة الجورب القديم** » ، أربعة فصول تتجلى فيها العبر النافعة المستخرجة من تجارب الحياة ، فهى فى صميم الموضوع الذى ظفر بإعجاب قرَّاء المختار — « هل أنت حيّ » .


AL MUKHTAR min Reader's Digest—Vol. 7, No. 40, DECEMBER 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

**الطبعة العربيــة**

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جيلسى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربيــة السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

**العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤**





مطبعة مصر

المختار
من ريدرز دايجست
١٩٤٦

كان القلق يساور الأطباء حين يرون مريضاً عنيداً ينهض من فراشه ويمشى فى عقب جراحة فى البطن ، أما اليوم فقد صار ذلك خطة متبعة فى المستشفيات .

# انهض من فراشك واستمتع بالحياة

مريم زلر جروس

مختصرة من مجلة "ذى ستردای ایفننج پوست"

لم يكن هنرى فورد هو الذى ابتكر العلاج الحديث الذى يعالج به المرضى فى أعقاب الجراحات، ولكنه سبق إليه قبل أن يتمَّ ببضع سنوات . ففى سنة ١٩٣٢ أجريت لهُ جراحة فى بطنه ، فأفزع أطباءهُ حين أصرَّ على أن يذهب إلى حمام المستشفى ، ولم تكد تنقضى على الجراحة ساعات قلائل . ثم ظلَّ، وهو يومئذ شيخٌ فى التاسعة والستين ينهض من فراشه كلما طاب له فى الأيام العشرة التى قضاها فى المستشفى . بيد أنهُ أبلَّ إبلالا مطرداً برغم خروجه على النهج المألوف بين الأطباء ، فعجب أطباؤهُ أشد عجب .

وأنت ترى اليوم أن النهوض من الفراش بعد انقضاء ساعات قلائل على جراحات البطن والولادة ، لا بعد انقضاء أيام وأسابيع، قد صار أول شىء فى الأسلوب الحديث المتبع فى رعاية الناقهين ، وهو ما يسميه الجراحون : «التبكير فى الحركة» .

وقد حدث بعد أن مضت ست سنوات على تجربة هنرى فورد ، أن نفرت ممرضة فزعة إلى التلفون فى مستشفى دترويت لتستدعى الدكتور دانيل لايتوزر ، فحفزته تلك الدعوة ، إلى نهج من العمل قدر له فى آخر الأمر أن يحدث انقلاباً فى علاج الناقهين من الجراحات . فقد أنبأته الممرضة أن المريض روبرت هوك الذى استؤصلت زائدته فى ذلك الصباح ، كان يطوف بالماء على سائر المرضى فى العنبر ، قالت : « ولما حاولنا أن نعيده إلى سريره قال : إنى

شعرت بظمأ فذهبت أطلب الماء ، فشربت فشعرت بالراحة ، فقدرت أن سواى من المرضى ينبغى أن يشربوا أيضاً » .

فهرع لا يتوزر إلى المستشفى فألفى هوك لا يزال واقفاً على قدميه ، فبيّن لهُ ما كان يراهُ يومئذ من أن الجرح حرىٌّ أن ينشقّ ثانية ، وقد تسقط أحشاؤهُ إن لم يعد إلى سريره ، فأبى المريض أن يرتاع أو يرعوى .

قال : « هذه خرافة فيما أرى ، ويقيني أنه لن أُصاب بأذى وأنا فى مثل هذه العافية » .

وقد سهد كثيرون من رجال المستشفى فى تلك الليلة ، ولكن المريض نام ملء جفونه ، ولم يزعجه ما يعقب استئصال الزائدة عادة من آلام انتفاخ البطن والغثيان ، واستيقظ مبكراً فى اليوم التالى وطلب فطوره .

وقد قال هوك إنه يشعر بأتمّ العافية ، ولا يرى معنى لبقائه فى المستشفى ، فركب سيارته وعاد إلى بيته . ورجع فى اليوم التالى إلى دترويت فقضى بعض حاجاته وعمل فى حديقته خلال اليومين التاليين . وفى اليوم الخامس قطع بسيارته أربعين ميلا ، ليفحص أول فحص طبىّ بعد الجراحة ، فإذا حالتهُ أحسن كثيراً من سواهُ من المرضى الذين استؤصلت زائدتهم يوم استؤصلت زائدتهُ ، ولكنهم ظلوا ملازمين أسرّتهم فى المستشفى .

كان هذا الحادث سبباً حمل الدكتور لايتوزر على أن يسأل نفسه : أثمة أسباب أصيلة معقولة لإبقاء مريض فى سريره عشرة أيام بعد إجراء جراحة فى بطنه ؟ وتذكر أن الأطفال الذين يشقّ إرغامهم على الإخلاد إلى السكينة ، ينقهون على الغالب برغم توفزهم وحركتهم . وقد رأى بعينه ولداً من أولاده يقفز فى سريره بعد استئصال زائدته بيوم واحد ، فلم يصب بأذى . فأقدم هيّاباً فى أول الأمر على الإذن لبعض المرضى بالنهوض من أسرّتهم بعد انقضاء يوم واحد على استئصال الزائدة ، ولكنّ إبلالهم السريع أذهب مخاوفه . وسرعان ما جعل يعالج كل من تستأصل زائدتهُ على هذه الوتيرة نفسها ، بل لقد أذن لهم أن يعودوا إلى بيوتهم فى اليوم الذى يلى الجراحة ، إذا وجدهم قادرين وبخير . فما مضت ثلاث سنوات ، حتى نشر رسالة أذاع فيها النتائج الباهرة التى وفق إليها فى علاج ٣٧٠ مريضاً على هذا المنوال .

ومضى بعد ذلك يطبق هذا العلاج على الذين أجريت لهم جراحات فى البطن سوى استئصال الزائدة ، فكانت شكاة أولئك المرضى كذلك من آلام الانتفاخ ومن

الغثيان والضعف، أقل من شكاة الذين لازموا الفراش ، وأسرعت كلاهم في العودة إلى القيام بوظيفتها ، ولم يحتاجوا إلى حقن في الشرج ، ولم يعطوا من العقاقير المسكنة سوى نصف المقدار المألوف ، وكانوا يأكلون مريئاً وينامون هنيئاً ، وعادوا إلى مزاولة أعمالهم في نصف الزمن الذي قدّر لعودتهم .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فالذين بكروا إلى النهوض من أسرّتهم لم يصب أحد منهم بالتهاب الرئتين الذي كان خليقاً أن يهدد حياة تُسع الذين استؤصلت زائدتهم ، وأكثر من تسع الذين أجريت لهم جراحات أخرى في بطونهم . فعزم لايتوزر على أن يعرف : أهناك سندٌ من الأصول العلمية يؤيد مشاهدته ؟ فثبت لهُ من البحث المقارن أن المبكرين إلى النهوض يستعيدون قدرتهم على التنفس الطبيعي في يومين إلى سبعة أيام، أما الذين يلازمون الفراش ويتأخرون في النهوض فلا يستعيدونه إلا بعد سبعة أيام إلى أربعة عشر يوماً . وجعل الدكتور جون باورز الطبيب في مستشفى باسيت في كوبرزتاون بولاية نيويورك ، يقارن درجات ضغط الدم ، ومعدل النبض والحرارة في ١٠٨ من المرضى الذين نهضوا ومشوا في اليوم الأول، بما يقابلها في مئة من الذين لزموا الفراش أسبوعاً إلى ثلاثة أسابيع عقب جراحات متماثلة للفتق والزائدة والتهاب المرارة وسواها . فاتضح من نتائج بحثه المبوَّبة أن الذين بكروا إلى النهوض لم يعانوا ازدياد النبض ، أو الحمى ، أو انخفاض ضغط الدم ، ولم ينشقّ جرح من جراحهم . أما الذين أجريت لهم جراحة الفتق فقد كان الشفاء الدائم أكثر عدداً بين الذين بكروا إلى القيام في اليوم الأول بعد الجراحة ، منه بين الذين لازموا الفراش .

إن انشقاق جراح البطن بعد خياطتها شيء مروّع ، يودي بكثير من المرضى . ويقول الدكتور توماس جلاسر ، أحد جراحي نيويورك ، إنه يحدث نحو مرة في كل ٤٠٠ جراحة ، ويغلب أن يحدث في اليوم الثامن أي في الوقت الذي ألف فيه رجال المستشفيات أن يتيحوا للمريض قسطاً أوفر من حرية الحركة. ويذهب دعاة التبكير إلى النهوض بعد الجراحات ، إلى أن غُرزَ الجراح تكون أقوى ما تكون في الأيام الأولى التي تلي الجراحة ، ويؤكدون أن حركة المريض تهيء للجرح مدداً أوفر من الدم ، فيُسرع إلى الالتئام . وقد تمّ في مستشفى واحد أكثر من ألفي جراحة في البطن ، ونهض المرضى خلال الساعات

الأربع والعشرين الأولى ، دون أن ينشقّ جرح واحد .

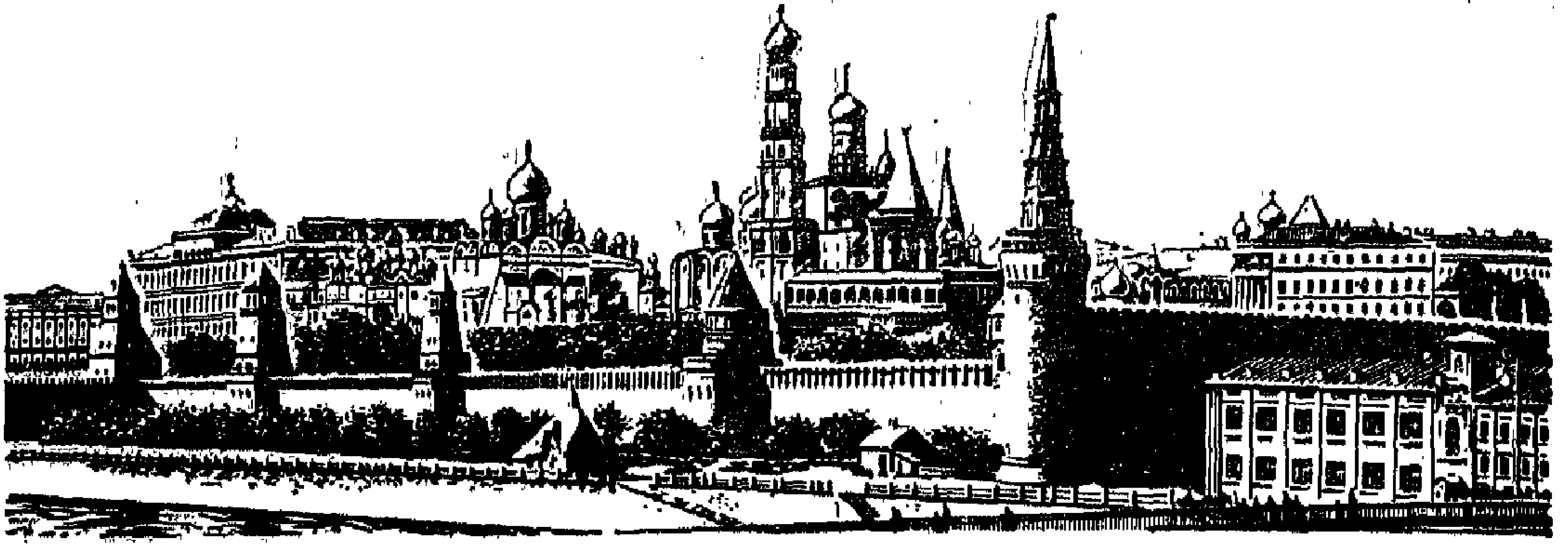
وقد اقتضت ضرورات الحرب أن يشيع أسلوب « التبكير فى الحركة » فى مستشفيات الولادة . ففى أثناء الهجوم الجوى الخاطف على لندن سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ كان يخشى أن تكثر الوفيات بين الوالدات فى المستشفيات ، فأعيدت والدات كثيرات منهن إلى بيوتهن بعد يومين أو ثلاثة أيام من الولادة ، ولكن قلق الأطباء عليهن خفّ حين علموا أنهنّ لم يصبن بأذى ، ودهشوا حين وجدوا أن التهاب الأوردة والموت من سُدّة الشرايين قد هبط بين هؤلاء الوالدات إلى معدل لم يعهد من قبل .

وبعد ذلك بزمن قصير واجه الطبيب المولد الدكتور موريس روتستاين أزمة فى قلة الأسرّة المتاحة ، فأخرج من المستشفى ١٥٠ نفساء كان نفاسهنّ ميسّراً وبغير مضاعفات ، فى اليوم الثالث واليوم الرابع بعد الوضع ، فكانت العاقبة خيراً .

وأراد ثلاثة من أطباء لوس أنجيليس — روزنبلوم وملينكوف وفست — أن يعرفوا أى الأشياء أجدى على المريض : أن ينهض فى اليوم الأول أو أن يبقى فى سريره ثلاثة أيام أو أربعة ، أو أن يمكث فيه أسبوعين جرياً على العرف المعهود . فقسموا جماعة مؤلفة من ٦٠٠ مريض إلى ثلاث طوائف متساوية تصح المقارنة بينها ، فاتضح من النتائج التى خلصوا إليها وبوّبوها أن المريض لا يجديه شيئاً أن يلزم السرير ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، بدلا من يوم أو يومين ، وأن المدة القصيرة فى الحالين أجدى وأنفع من المدة الطويلة .

ويظن بعض المرضى أن رجال المستشفى يعجلون إلى إخراجهم منه لقلة الأسرّة المتاحة لطلاب العلاج ، والحقيقة هى أن خير المريض مقدّم على كل اعتبار آخر .

منذ نحو سنتين شاهد مئة من أطباء مدينة دترويت أول فلم عرض فيه أسلوب « التبكير فى الحركة » وأثرهُ بعد الجراحات الكبيرة . وقد شاهدوا فى هذا الفلم جماعات المرضى يصعدون السلالم ، ويقومون بحركات رياضية ، ويخرجون من المستشفى خلال الزمن الذى كان مقدوراً فيه على المرضى أن يلازموا الفراش عاجزين تتولى الممرضات رعايتهم . وقد صنعت أربع نسخ من هذا الفلم ، بعد أن وافقت عليه الجمعية الطبية الأمريكية ، وترى جماعات الجراحين اليوم لا تكفّ عن طلبه لكى يعرض أمام أعينهم .



# الرعب الجاثم على الكرملين

جون فيشر

مختصرة من مجلة "هاربرز"

نهلت بنا السيارة حتى وقفت على الربوة التى تفضى إلى أحد أبواب قصر الكرملين فأطبق علينا ضابط وثلاثة جنود يحملون البنادق السريعة وكلهم من صفوة رجال البوليس السرى — النيكفيدا — التابعين لحرس الأمن الداخلى .

رجال لهم السلطان المطلق على أكبر دولة فى العالم — بيد أنك تراهم فزعين كأنما أصابهم مس من الهلع ، فلم كان ذلك ؟

شرع الجنود فى تفتيش السيارة والضابط يراجع أرقام جوازاتنا على بيان فى دفتره ، ثم رفعها حيال الضوء ليرى الخطوط الشفافة المميزة للورق . ثم قرأ كل سطر فى تأشيرة الدخول السوفيتية ، وقارن بين الصور ووجوهنا ، وأخيراً أذن للسيارة بالسير فى طريقها .

وألفينا ستة جنود آخرين بأيديهم البنادق أيضاً وقوفاً عند نهاية المدخل ، وهو نفق يشق قلعة ضخمة بنيت على طراز قلاع القرون الوسطى ، ووقفت السيارة بجانب سور حديدى يمتد وسط الساحة ، فلما أخذنا ننزل من السيارة

جون فيشر — من محررى مجلة هاربرز ، ومنذ عهد قريب قضى شهرين فى روسيا وكان عضواً فى بعثة أوفدتها هيئة الإعارة والتعمير للإشراف على توزيع مواد الإسعاف فى أوكرانيا . وقد أبيح لأعضاء هذه البعثة ، بمقتضى اتفاق سابق ، قسط غير معهود من حرية التنقل والمشاهدة والحديث ، وكان يصحبهم مترجم أمريكى

جاء أربعة حراس وكلهم من الضباط المسلحين بالمسدسات وفحصوا أوراقنا مرة أخرى .

ووقف جندى من حملة البنادق على كل باب من أبواب البناء الأصفر الذى يحدّ الساحة من جوانب ثلاثة ، وسرنا إلى قصر آل رومانوف العتيق وهو الآن مقر المجلس السوفيتى الأعلى . فقابلنا عند مدخله ثمانية ضباط ، وبعد أن أعادوا فحص جوازاتنا أخذنا حراس آخرون إلى إيوان يطل على الردهة الطويلة حيث يجتمع المجلس السوفيتى الأعلى . وقد رافقنا إلى مقاعدنا أحد رجال البوليس السرى لا يختلف فى منظره وهو فى بزته المدنية ، عن أمثاله فى أرجاء العالم كله . ومن المستبعد أنه كان يعتقد فينا ونحن ثلاثة أمريكيون من ممثلى هيئة الإعانة والتعمير ومعهم مترجمهم ، أننا أشخاص خطرون ، ومع ذلك فقد ظل الوقت كله قابعاً وراءنا بالقرب منا وجلس من تحتنا ١٢٠٠ مندوب يتألف منهم المجلس الذى يصرف أمور الاتحاد السوفيتى طبقاً لدستوره . ومن التضليل الاستعانة بكلمة « مداولة » فى وصف ما يجرى فى اجتماعهم ، إذ وقف فى جوانب الردهة نفر من الحراس فى زيهم الرسمى الأزرق ، وجلس المندوبون تحت أسماعهم وأبصارهم صامتين ينصتون إلى خطب أعدت من قبل ، ثم يعطون أصواتهم بالموافقة كأنهم آلات دقيقة لا تتمهل ولا تتخلف ، فلا مناقشة ، ولا معارضة . ووقف نفر آخر من الحراس عند كل باب وفى نهاية كل رواق ، ولم أر قط مكاناً وضعت عليه الحراسة بمثل هذا الإحكام.

فليس بمبالغ من حكم بأن فى الكرملين قوماً يأخذ الرعب منهم كل مأخذ .

ولقد قضينا الأشهر الثلاثة التالية نجوب أرجاء روسيا الغربية ، فوقفنا على أمارات أخرى كثيرة تدلّ على هذا الرعب الغالب ، أوضحها هذا الجيش الأحمر الذى لا يزال يضم أربعة ملايين ونصف مليون من الجند برغم حاجة روسيا إلى الأيدى العاملة ، فأنت أينما سرت وجدت جنوداً مسلحين وليس من المستغرب أن تجد بجوارك فى السينما فتى يضع بندقيته على ركبتيه . وتزدحم الطرق بسيارات النقل الحربية . وتنطق بهذا الرعب أيضاً معسكرات الاعتقال المعدّة للمدنيين من الروس ، بالقرب من مطار خاركوف ، وكذلك السيارات المكتظة بحرس فى ثياب مدنية وهى تلاحق السيارات الفخمة التى يستقلها كبار الموظفين . ومن ذلك أننا دعونا أحداً من الروس إلى حجرتنا لنشرب الشاى ونتحادث فأبى أن يجيب وهو لا يدرى كيف يعتذر .

ومن الغريب أن تشعر حكومة بأنها فى حاجة إلى مثل هذا الحذر البالغ ، وبخاصة إذا كانت قد سحقت كل أعدائها الأجانب ، وفازت فيما يلوح بمحبة شعبها .

ومع هذا فإن الشعور بالرعب هو من الحقائق التى لها آثارها فى روسيا، وهو الذى رسم ــ أو قل يمسخ ــ سياستها الخارجية .

فمن الذى يساوره هذا الرعب كله ؟ ولماذا ؟

إن مرض الخوف الذى استشرى فى الشعب الروسى كله ينبعث من مصدر واحد هو المكتب السياسى الذى يحكم روسيا ويتألف من ١٤ عضواً تحت رياسة ستالين. فمن مقر هذا المكتب فى الكرملين ــ وقد أحيط مكانه بكتمان شديد ــ تصدر الأوامر التى تحرك كل شىء فى الإدارة الروسية من الدانوب إلى مضيق بهرنج .

ويعتقد بعض الأمريكيين أن الذى يفزع هؤلاء الرجال إنما هى القنبلة الذرية وحدها ، وأنهم لو عرفوا سرّها لزال رعبهم بين عشية وضحاها ، ولا جرم أن هذا اعتقاد على جانب كبير من السذاجة ، فليس يقوم الحرس على أبواب الكرملين لخشية القنبلة الذرية .

ولا يستطيع الغريب ، إذا أراد أن يعرف نيات أهل هذا القصر ، سوى أن يعمد إلى الظن والتخمين ، ولكن الحقائق التى تحت أيدينا تدل على أن هذا الرعب هو فى الأغلب عِلّةٌ ذات خمس شُعَب على الأقل.

أولها الخشية كل الخشية على النفس . فهؤلاء الرجال القابعون وراء الجدران الحمر لا ينسون كيف وصلوا إلى الحكم ، فهم لا يريدون أن يفسحوا الطريق الذى سلكوه لغيرهم من المتآمرين ، وهم لا ينسون أن أكثر حكام روسيا قد ماتوا غيلة، ولا كيف لقى سيرج كيروف حتفه .

فقد كان كيروف ــ حينما قتل غيلة رمياً بالرصاص فى مكتبه بلننجراد سنة ١٩٣٤ ــ أقرب المقربين إلى ستالين ، بل كان خليفته المنتظر ، والذى قتله هو الرفيق نيكولاييف من أعضاء الحزب الموثوق بهم ، وظل ستالين بعد القتل يومين كاملين يكاد لا يثق بأحد ما فى روسيا ، ثم سارع إلى لننجراد ليتولى بنفسه استجواب القاتل . وقبل أن يستقل قطاره أخليت من جميع الناس منطقة حول المحطة قطرها ميل .

وطال التحقيق ثلاث سنوات وأسفر عن كشف مؤامرة تمتد جذورها إلى الحزب الشيوعى والجيش الأحمر والبوليس السرى. وتمّت «التصفية» التى أعقبت هذا التحقيق عن هلع كبير ، ثم صدر اعتراف رسمى بأن بعض الأبرياء قد راحوا ضحية اتساع موجة

الإعدام . وخليق بمثل هذا أن يخلف في القلوب ندوباً وتصميماً على الأخذ بالثأر . أفمن العجيب إذن أن يندر خروج أعضاء المكتب السياسى بين الناس ، أو ركوبهم سيارات زجاجها لا ينفذ الرصاص منه . فإذا كان كيروف لم يجد أماناً ومنزلته هي ما هي ، فمن ذا الذى يجده بعـده ؟

وثمة سر آخر له صلة وثيقة بالخلق الروسى وهو موقع روسيا الجغرافى ، فسهولها ممتدة شرقاً وغرباً لا تحمها حدود طبيعية ، وقد تدفقت الجيوش الغازية على هذه السهول ١٤ مرة منذ سنة ١٨٠٠ . ويذكر التاريخ أن منسك وقعت فى يد الغزاة ١٠١ مرة ، ولا يحصى أهل كييف عدد المرات التى نهب فيها الأعداء مدينتهم لكثرة عددها . وكان يسبق كل من جاء غازياً جواسيسه وطابوره الخامس .

فنجم عن ذلك أن أصبح من الطبائع الأصلية فى الشعب الروسى ارتيابه فى الأجانب وقلقه على سلامته ، وقد زادت الحرب الأخيرة هذا القلق . ولقد سرتُ فى مدن كثيرة تهدم ٨٠ ٪ من مبانيها لا بسبب الحرب بل بفعل جنود الألمان المدربين على التخريب ، وأقمت على مسيرة نصف ساعة من هاوية بابا يار التى ضمت ١٤٠ ألف جثة جمعت من معسكرات الإعدام الألمانية ، ووضعت طبقة فوق طبقة وسويت الأرض فوقها بالمسْلفة ، ولا تزال بعض العظام تتكشف كلما هبت عليها الرياح . فلا تدهشن إذا رأيت الشعب الروسى ينظر إلى العالم نظرة من اضطربت أعصابه وتملكته الريبة .

والسبب الثالث فى مخاوف أعضاء المكتب السياسي هو تأخر بلادهم من الوجهة الاقتصادية ، إذ أن روسيا على رغم تقدمها الصناعى الباهر فى السنوات الثلاث عشرة السابقة للغزو النازى ، لا تزال أمة زراعية ، وهى على هـــذا متأخرة أيضاً فى فنون الزراعة . ولم تحتمل غوائل الحرب وتخرج منها ناجية إلا بشق الأنفس ، وهذا بفضل خطل هتلر فى رأيه ، ومعونة الولايات المتحدة . فقد فقدت روسيا جانباً كبيراً من مصانعها ومساكنها وآلاتها الزراعية وثروتها الحيوانية وعمالها المدربين ، وقد أخبرنى أحد أعضاء المكتب السياسى أنه لا يمكن تعويض خسارة روسيا إلا بعد انقضاء جيل كامل ، ولا أحسبه مبالغا فى تقديره .

وإصلاح ما دمر سوف يسير بخطى وئيدة لما أبداه الالمان من براعة فى تخريب العدد والآلات . ولم أر فى أوكرانيا كلها إلا مركبتين للنقل ، وينقل الفلاحون التراب

على ألواح مستديرة من الخشب ، وكثيراً ما يحمل البناؤون الآجر تحت آباطهم ويضعون الملاط بأيديهم لأنهم لا يجدون دلاء لحمل الطين أو مساطر لتسوية الملاط .

وقاصمة الظهر هي خراب شبكة السكك الحديدية الروسية في النواحي الغربية كلها . ولا يزال القطار السريع من موسكو إلى كييف يتحسس طريقه فوق قضبان أعدّت على عجل ، ويسير بسرعة ١٥ ميلا في الساعة ، وتتكدس على جانبي طريقه مركبات محترقة وعتاد . وليس هناك وسائل أخرى للنقل تتمّ ذلك النقص ، فإن الطرق المرصوفة بالحجارة لا تمتد خارج المدن الكبيرة إلا أميالا قليلة ، ثم تفضى إلى طرق تربة غير معبدة ، يعلوها الوحل والثلج معظم السنة . فوسائل النقل مشلولة أو تكاد وهذا مما يعوق الانتعاش الاقتصادى أيما تعويق .

ولو نظرنا إلى الأمر من الناحية الحربية لصحّ لنا أن نشبه روسيا بعملاق أصابه الإغماء لكثرة ما نزف من دمه . فلو فرضنا أن القنبلة الذرية لم تكتشف ، فذلك لن ينجى الاتحاد السوفيتى من أن يظل عدّة سنوات قادمة عاجزاً عن مجاراة أمريكا فى مقدرتها العسكرية والصناعية . وهذه حقيقة تملأ رجال الكرملين فزعاً وارتياعاً .

والامريكيون يجدون من العسير عليهم أن يؤمنوا بأن فى الناس من يعتقد أن بلادهم مصدر خطر وتهديد ، ومع ذلك فأمريكا فى نظر كل شيوعى أشدّ من ألمانيا النازية خطراً ، هذا والشيوعى المخلص لحزبه لا يجسر منذ يوم ٩ فبراير الماضى على أن يرى خلاف هذا الرأى ، فقد أعلن ستالين فى ذلك اليوم أن لا مفرّ من وقوع حرب أخرى ، وصرح بأبين عبارة أن الهجوم سيأتى فى الأغلب من أمريكا .

ولا يصح هذا الرأى إلا فى عقل مشبع بمذهب ماركس كما يطبق اليوم . فمن مبادئه الأولى : أن العالم الرأسمالى قد كتب عليه أن يظل عاجزاً عن الإفلات من التراوح الدائم بين اليسر والعسر ، وأن كل عسر جديد أسوأ من سابقه ، وحينئذ تلجأ الطبقة الحاكمة الرأسمالية إلى النظم الفاشية واستثارة شهوة الاستعمار وشن حروب الاعتداء ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة للخروج من الضائقة الاقتصادية . قال ستالين : « وهكذا جاءت الحرب الأولى نتيجة ناشئة عن أول أزمة بُليت بها الأنظمة الرأسمالية للاقتصاد العالى ، كما أن الحرب الثانية كانت نتيجة للأزمة الثانية » .

وينبغى توقع أزمة ثالثة ، لأن تسوية المنازعات الاقتصادية بالطرق السلمية ، كما

يقول ستالين ، « أمر مستحيل تحت ظل الأوضاع الرأسمالية الراهنــة التى وضعت لتحسين الأحوال الاقتصادية العالمية » . وعلى هذا ينبغى للاتحاد السوفيتى أن يعمد إلى تنفيذ سلسلة من مشروعات السنوات الخمس لزيادة إنتاج الصناعات الهامة . وقال ستالين محذراً قومه : « وبهذه الشروط وحدها نستطيع أن نعتبر وطننا فى مأمن من كافة الحوادث المتوقعة » .

ومن المتوقع أن تأتى هذه الحوادث من قبل أمريكا ، لأنها حصن الرأسمالية والدولة الوحيــدة التى تستطيع أن تتحدى قوة السوفيت . ففى إبان الحرب، تعاونت روسيا مع حلفائها فى حدود ضيقة ، ولكن موظفى الحزب فى روسيا وفى الخارج ظلوا يتلقون التحذير بأن هذه الصداقة ذريعة مؤقتة ، وأنه لايحتمل قيام تعاون دائم بين النظامين: الشيوعى والرأسمالى .

وقد وجــد الشعب الروسى أن هذا التحذير له ما يسوّغه ، حين ألقى تشرشل خطبته التى طالب فيها بعقد تحالف بين إنجلترا وأمريكا . وقد ندد ستالين بهذه الخطبة ووصفها بأنها « دعوة إلى إثارة الحرب على روســيا » . فشنت الدعاية السوفيتية حملة عنيفة على تشرشل «وأصدقائه الفاشيين فى بريطانيا وأمريكا » ، فاستبدّ القلق بقلوب الشعب الروسى كله . وقد سألنى بلهفةٍ لفيف من أوساط الناس ممن سئموا الحرب ، وفيهم الفلاح والحمّال والموظف الصغير : « لماذا يحاول هؤلاء الرجال الأشرار أن يقذفوا بالعالم مرة أخرى فى أتون الحرب ؟ »

ولعلّ أبلغ مثل على مقدار رسوخ هذا الاعتقاد فى أذهان الشعب الروسى أن تلميذة فى السابعة من عمرها سئلت عن العمل الذى تطمح إليه فى المستقبل فأجابت : « أريد أن أكون ممرضة فى الجيش الأحمر ، لأعين ، على قتال الفاشيين الذين يحيطون بوطنى من كل جانب» . وستُعدُّ هذه الفتاة خير إعــداد ، فهناك معلمون من الجيش الأحمر فى كل مدرسة ، ويبدأ التدريب العسكرى للفتيان والفتيات من السنة الرابعة الابتدائية . وقد شاهدنا مراراً صــبية لاتتجاوز أعمارهم العاشرة، وهم يتدربون فى الملاعب تدريباً عسكرياً ببنادق من الخشب .

وربما كان رجال البوليس السرى ، الذين لا يدانيهم أحد من الموظفين فى السلطان ، هم الذين بثوا عن عمد هذه المخاوف فى قلوب الشعب الروسى . وقد ظلت هيئة البوليس السرى ربع قرن، سواء أكان اسمها التشيكا أم الأوجبو أم النيكفيدا — وهى تتمتع

بمكانة ممتازة ، فلموظفيها الحق فى الفوز بخير طعام وثياب وسيارات وراقصات ، ولها كل ما تطلب من مال الدولة ، وعتادها من أجود العتاد .

وأهم من ذلك كله أن حياة كل فرد فى روسيا ستالين ، رهن بمشيئة البوليس السرى ، وله أن يطالب فى أى وقت بالاطلاع على الملفات ومحتويات الخزائن والرسائل ، وله أن يفتش غرف النوم والمطبخ ورفوفه ، فحرية المسكن فى نظره محض هراء . وتضم محفوظاته تفاصيل أدق الأسرار فى حياة كل فرد له شىء من النفوذ فى روسيا ، وفيها أدق الأخبار عن حياة الآلاف من الروس فى الخارج ، أما معسكرات الاعتقال التى تضم المعارضين السياسيين فمنها تساق أكبر طائفة من العمال المسخرين .

وقد أنشئت تلك الهيئة لمحاربة خصوم الثورة فى داخل البلاد وخارجها ، وقد قضت قضاء سريعاً على خصومها فى الداخل ، ولكن لا يزال خصومها فى الخارج مصدر خطر كبير ، لاشك فيه . وقد ظهرت أول بوادره فى سنة ١٩١٨ حينما حاولت الدول الرأسمالية وقد ركبها الذعر ، أن تتدخل آملة أن تقضى على النظام الناشىء وهو فى مهده . ولما أخفقت هذه المحاولة بدا خطر اليابان وألمانيا ، وكلتاهما جائعة تستبد بها شهوة ابتلاع أرض جديدة . وقد اجتمع من الدلائل مالا يدع مجالا للشك فى أن ألمانيا والدول الصغيرة التابعة لها قد بذلت جهداً كبيراً لتأليف طائفة من الجواسيس والطابور الخامس فى روسيا ، وقد بذلت النيكفيدا جهداً مشكوراً فى إحباط هذه المحاولة .

ولما وضعت الحرب أوزارها وتم القضاء على كل عدو أجنبى ، رأت هيئة البوليس السرى أن تحافظ على ما تتمتع به من سلطان ومزايا ، بأن تجسم للشعب خطراً جديداً ، كالادعاء بأن حلفاء روسيا السابقين يتآمرون على تطويقها بنطاق رأسمالى . وقد انتشرت الإشاعات بأن أمريكا عبأت فى المنطقة التى تحتلها من ألمانيا جيشاً من أعوان الملكية فى يوغسلافيا ، وأنها تدرب مهاجرى أوكرانيا على التجسس ، وأن بريطانيا تحتفظ بجيش كامل العدد من أسرى الحرب الألمان ، فمثل هذه الإشاعات وغيرها كثير ، تقض مضاجع موظفى السوفيت ، فهم فى فزع دائم .

وهذه الإشاعات وإن تجلى بطلانها ، تجد آذاناً صاغية فى الكرملين ، لأن أعضاء المكتب السياسى يعيشون فى عزلة تامة عن العالم ، فهم قلما يخالطون الأجانب أو أى أحد سوى الحاشية التى تحيط بهم من كبار الموظفين . والنيكفيدا هى أحد المصادر الثلاثة

التي تأتيهم منها الأخبار ، أما الآخران فهما الحزب الشيوعي ووزارة الخارجية السوفيتية.

والحزب الشيوعي ، بفضل تنظيم صفوف أعضائه في كافة البلاد ، معدٌّ خير إعداد لاستقاء المعلومات . وتقارير الحزب ووزارة الخارجية تميل غالباً إلى تثبيت الصورة المشوهة التي ترسمها النيكفيدا للعالم الخارجيّ . فالقائمون بوضعها رجال قد طال تمرُّسهم بمبادىء مذهب ماركس حتى أشربت به قلوبهم ، فهم يفسرون كل حادثة بما يطابق رأى حزبهم ، ويفعلون ذلك عن عمد إذ لا يجرؤ أحد من الشيوعيين على تقديم تقرير يخالف رأى البوليس السري .

والراجح أن أمريكا لا تستطيع في السنين القليلة القادمة أن تزيل ريبة الروس ، فإن قادتهم لا يثقون بما تؤكده لهم الحكومة الأمريكية القائمة اليوم ، ويتوقعون أن يحلّ محل ترومان في البيت الأبيض رجل متعصب يصطنع له أعواناً من الفاشيين حين تحلّ الضائقة الاقتصادية التي يتوقع الروس مجيئها حوالى سنة ١٩٥٠ فيكون خصماً للسوفيت ، وآلةً في يد الماليين الرجعيين أصحاب السلطان الحقيقي في أمريكا ، والروس لا يؤمنون كبيرَ إيمان بأن هيئة الأمم المتحدة تستطيع صد أمريكا عن العدوان ، كما لم تستطع عصبة الأمم أن تقف في سبيل هتلر.

فلا جدوى إذن من سياسة ترمي إلى تهدئة الروس ومصالحتهم . نعم إنه لمما يسرُّ ستالين وعصبة الأمم أن ترضى أمريكا بالإفضاء إليه بأسرار القنبلة الذرية ، وبتحطيم أسطولها وتسليم قواعدها في الجزر التي تحتلها ، وبانسحابها من أوربة ، ولكن هذا كله لا يعد عندهم ضماناً كافياً لحسن نية أمريكا بل أكبر الظن أنهم سوف يرون في هذا الرضى علامة أخرى على الرخاوة العمياء التي تتصف بها ، فيما يزعمون ، كل الأنظمة الحرة في حكومات « الطبقة الوسطى » .

وليس هنالك فيما أعتقد إلا وسيلة واحدة لإزالة مخاوف الروس من خطر الغزو ، وذلك بأن تتجنب الولايات المتحدة في السنوات الخمس عشرة القادمة ، أن تقع في براثن أزمة مالية كبيرة ، وأن لا تلجأ إلى الأنظمة الفاشية ، وليس يبالي ستالين ولا عصبته أقل مبالاة بالحجج المصبوبة في كلمات ، فلن يقتنع قادة السوفيت بإمكان التعاون الصادق بينهم وبين الدول غير الشيوعية ، إلا إذا أثبتنا لهم بالفعل أن هنالك مجتمعاً من المجتمعات الحرة لا يزال قادراً على الثبات في الأزمات ، فلعلهم حينئذ يبدأون في جعل أمنهم معتمداً على هيئة الأمم المتحدة ، لا على الجيش الأحمر .

يوشك البشر أن يقهروا عدوًّا من أفتك أعدائهم



# أنف الجرذان فى الرغام

ألفريد سنكس
مختصرة من مجلة "ليبرتى"

« أراهن على أن الجرذان تكره أن تجتاز الطريق عرضاً » .

لاحظ الدكتور كرت بول رتشر يبحث حياة القوارض فى عيادة العلاج النفسانى بمستشفى جامعة جونز هوبكنز ، فلاحظ أنها لا تنفك تلوذ بجدران حظائرها فى سيرها وتتجنب المكان المكشوف . فذهب به التفكير إلى أن الجرذان إذا كانت تكره عبور الطريق ، ففى الإمكان القضاء عليها بحملة تشنّ عليها فى حىٍّ بعد حىٍّ فى أية مدينة .

بيد أنه كانت هناك دوافع أخرى حملت الدكتور رتشر على مكافحة الجرذان . فقد وجد فى معمله ذات صباح من سنة ١٩٤٠ ستة جرذان ميتة ، وكان كل منها قد أعطى مقداراً ضئيلا من عقار يسمى « فينيل ثيويوريا » ، كان الرأى فيه أنه مأمون العاقبة ، وكان ألوف من الناس قد ذاقوه فلم يؤذهم ، ومع ذلك فقد كان هذا العقار هو الذى فتك بهذه الجرذان . ولم يستطع الدكتور رتشر أن يدرك السبب . ومن ثم بدأ كفاح الجرذان ، وساعد على ذلك نشوب الحرب .

ارسلت إدارة المخابرات الأمريكية فى أوربة تقول إن النازيين يجدّون فى كشف وسائل جديدة لحرب الميكروبات ، منها إطلاق الجرذان المصابة بجراثيم الأمراض على الجيوش والأهلين ، فتهلك من البشر أكثر مما يهلك الرصاص والقنابل . فنشط مكتب البحوث العلمية الأمريكى إلى البحث عن سلاح فتاك بالجرذان . واكتشف العلماء بعد ١٠٨٠ تجربة أقتل سم عرف يومئذ من سموم الجرذان ، فسموه « ١٠٨٠ » ، ثم لزموا الحذر فى اختباره فدل على أن فتكه بها عجيب ، ولكنه يفتك بالبشر والدواجن أيضاً ، فمن أجل ذلك لن يباح للناس تداوله .

لم يكن ثمة عداء بين رتشر والجرذان ، بل كان يبحث فى الغرائز التى تعين الحيوانات المستوحشة على أن تحكم اختيار أنواع الطعام

ومقاديره التي تحتاج إليها لتنمو وتصح .
وثمة أدلة كثيرة على أننا نبدأ الحياة بنفس الغرائز العظيمة الشأن التي في الحيوان .
وخطرت لرتشر فكرة فتن بها وهي : لو خفف آباؤنا قلقهم علينا وتركونا أحراراً كالحيوان نأخذ من الطعام ما نأخذ ، وندع منه ما ندع ، معتمدين على غرائزنا ، فلعلنا كنا خليقين أن نصير سلالة أقوى وأذكى من السلالة الحاضرة .

وناط رتشر أمله في إدراك غريزة الذوق وكنهها بدراستها في الجرذان ، وهي تكاد تستجيب لها كما يستجيب الناس .

إن طعم الفينيل ثيويوريا أمر من العلقم ، بيد أن الغريب في أمره هو أن بعض الناس لا يجدون له طعماً البتة ، وهذه الخاصية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، فأراد رتشر أن يعرف أيصدق هذا على الجرذان ، فمس ألسنة جرذان معمله مسًّا ببلورات الفينيل ثيويوريا ، فلم يبد أن أحداً من هذه الجرذان وجد لها طعماً ، ثم ماتت .

فحل رتشر هذه المادة في ماء عذب وسقى منه جرذاناً أخرى، فشربته كما تشرب الماء القراح ، ولكنها ماتت جميعاً .

وازداد البحث غرابة كلما أوغل فيه، فقد تبين من تشريح جثث الجرذان الميتة أن ظواهر الموت من هذا السم كانت تختلف

## كيف يستعمل الآنتو ؟

١ — الآنتو ليس سماً قاتلا لكل القوارض ولكنه سم قاتل للجرذ الشائع في مصر ، والذي يبلغ تعداده ستين في المئة من مجموع الجرذان ويكثر انتشاره في الثغور والمدن . والآنتو لا يؤثر كثيراً في الفيران المنزلية الصغيرة .

٢ — قد يقتل الآنتو القطط والكلاب والخنازير والدواجن ، إذا لم تتخذ الحيطة لوقايتها .

٣ — أكثر ما تأكل الجرذان بالليل ، فينبغي أن يوضع لها الطعم في وقت الأصيل ، ويجب أن يكون ثمة سجل دقيق للمواضع التي وضعت فيها الطعوم ، وأن يجمع كل ما لم يؤكل من الطعم في الصباح ، وأن تحبس القطط والكلاب حيث لا تجد إلى الطعم سبيلا . ويستعمل بعض مكافحي الجرذان صناديق ذات فتحات لا يزيد قطرها على خمسة سنتيمترات تتسع لدخول الجرذان دون القطط والكلاب .

٤ — ينبغي أن لا يرمى الطعم الذي لم يؤكل في صناديق الزبالة ، فقد تأكلها الدواجن .

٥ — تحذر مصلحة الأسماك والحيوانات الوحشية بالولايات المتحدة من تداول الآنتو دون داع. فيجب أن لا يمس إلا لضرورة ، وأن تغسل الأيدي غسلا جيداً بعد مسه ، وأن لا يترك الطعم مكشوفاً حيث يخشى أن يلوث الطعام .

عن ظواهر سائر السموم ، فقد كانت الجرذان كلها مصابة بما يشبه ذات الجنب ، وكان الماء يملأ تجويف الصدر والرئتين ، حتى كأنها ماتت غرقاً .

فهذا إذن سرٌّ يتحدّاهُ . لقد دلّ البحث المتطاول سنين ، على أن للجرذان غريزة عجيبة تجنبها الطعام المؤذى أو المسموم، فظهر أن الفينيل ثيويوريا لا تجدى هذه الغريزة فى معرفته .

ولكن جرذان معمل رتشر كانت متحدرة من سلالات توالدت فى معمله ، فهل تجوز على الجرذان الوحشية من أبناء عمومتها من هذه الخدعة ؟ فأتى رتشر ببضعة جرذان حية من مزبلة المدينة، فأبت أن تمس أى طعام أو شراب مخلوط بالفينيل ثيويوريا.

كان أكثر الناس عندئذ حرياً أن ييأس ، ولكن رتشر كان يعلم أن الفينيل ثيويوريا مادة من مواد كيميائية قريبة النسب ، فاستحضر من شركة دوبون أكثر من ٢٠٠ مركب من شتى مركبات الثيويوريا ، فوجد أن واحداً منها يفتك بالجرذان الوحشية كما يفتك الفينيل ثيوريا بالجرذان الأليفة ، وكان اسم هذا المركب « ألفا ـ نافثيل ـ ثيويوريا » ، فاختصره رتشر للتيسير وسماه « آنتو » .

كان هذا العقار رخيص الثمن لا يزيد ثمن الرطل منه على جنيه واحد ، ولكنَّ جزءًا واحداً من ٢٠٠ ألف جزء من الرطل كان كفيلا بهلاك أعتى جرذ عرفه رتشر . وتحمس رجال الحكومة حين قرأوا تقرير رتشر ، فأمدته بالمال ليمضى فى تجاربه .

كانت كبريتات الثاليوم حتى ذلك اليوم أقتل سم للجرذان ، فوجد رتشر أن أثر الآنتو ضعف أثرها .

ثم كانت التجربة الحاسمة . قد يكون سمُّ الجرذان شديد الفتك فى المعمل ، ولكن أيفتك بها خارجه ، ولعل رتشر كان أيضاً مشوقاً إلى أن يمتحن ما كان يراه من « أن الجرذان تكره أن تجتاز الطريق عرضاً » . كانت المدينة مصابة يومئذ بذعر من الجرذان وكانت المنطقة التى تحيط بالمستشفى تزخر بهذه القوارض ، وقد جيء إلى المستشفى بأربعة وتسعين مريضاً أصيبوا بعضة الجرذان، وكان ٦٠ فى المئة منهم أطفالا رضعاً لم يتجاوزوا الحول الأول . فضجت المدينة مطالبة بعمل شيء حاسم للقضاء على الجرذان ، فاستعان رتشر بذلك على الظفر بما يبغى من معونة .

وقسَّم مكافحى الجرذان — وكلهم متطوعون — إلى فرق ، كل فرقة منها اختصت بربع من ربوع المدينة ، والتمست العون من فرد واحد على الأقل فى كل بناء .

ووزعت الفرق طعومها المسمومة فى أصيل أحد الأيام ، ثم انتشرت فى اليوم التالى تسجل ما حدث ، فوجدت مئة من الجرذان الميتة فى أحد الربوع .

وظل العمل جارياً إلا فى بعض الربوع ، فقد تركت عمداً حتى يعرفوا أتهاجر الجرذان المعفاة إلى الربوع المجاورة ؟ فلم تفعل . ومنذ سنتين ونصف لم ير سكان الربوع التى عولجت منذ البداية جرذاً واحداً ، على رغم وجود الجرذان حية على الجانب الآخر من الطريق .

كان رتشر يعرف أن الجرذان تحرص على إبقاء أبدانها نظيفة . فأخذ المتطوعون يستعملون رشاشات تنفث الآنتو فى جحور الجرذان وترشه فى مساربها ، ممزوجاً بالدقيق ، فإذا وجدت الجرذان على فرائها مادة غريبة ، أخذت تلعقها ، فتموت .

فإذا أتموا ما شرعوا فيه ، بقى ثلاثة من الرجال المدربين فى الربع ثلاث ساعات ليراقبوا النتائج ، ثم يذهب أولئك المتطوعون إلى الربع التالى ، وهكذا حتى ينتهوا من الحى كله . وبعد أن أثبت رتشر نجاح طريقته ، تولت عنه العمل إدارة المدينة ، فجمع منها فى عام واحد ١٥٦ر٢١٠ من الجرذان الميتة ، ويعتقد مبيدو الجرذان أن ما قتل من القوارض يبلغ ثلاثة أضعاف ذلك العدد .

إن الجرذ الذى يستطيع بعد اليوم أن يتحدى رجلا عنده الآنتو ، لجرذ قوىٌّ واسع الحيلة .



**النعاس**

من الخير أن تستلقى على فراشك وتدع ريح النوم الوهنانة تطفىء شموع عقلك . [ إرنست بكلر ]



أمر الحجَّاجُ ابنَ القِرِّيَّة أن يأتى هندَ بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ويمتّعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال : إن الحجاج يقول : كنتِ فبنتِ ، وهذه عشرة آلاف متعةً لك . فقالت : قل له : كنا فما حمدنا ، وبِنّا فما ندمنا . وهذه العشرة الآلاف لك لبشارتك إياى بطلاقى .

الشخصيات التي لا تنسى :

# سيدة صينية



بيرل بك
الفائزة بجائزة نوبل
ومؤلفة "الأرض الطيبة" وغيرها

**حفلت** حياتي بشخصيات لا تنسى ، ولكني حين أكر الطرف في لوح الذاكرة ، أرى على أوضح صورة وجه امرأة صينية وقوامها هي السيدة هسيانج .

وقد جاورتها في نانكين سبعة عشر عاماً وبيني وبينها حائط ، وكانت جدراني تحيط بمنزل وحديقة وأسرة فيها أربعة أشخاص ، وجدرانها تحيط بمنزل ذي طابق واحد فيه خمسون غرفة ، كل اثنتين أو ثلاث أو أربع معاً ، وسلسلة من الأفنية تصل الأروقة مابينها ، وكان السكان كلهم أسرة واحدة — هي أسرتها — وعدتها اثنان وسبعون شخصاً .

وكنت أجدها دائماً في مكانها المألوف حين أزورها ، وكانت تقيم في قلب البيت في ثلاث غرف جنوبية تطل على رحبة مرصوفة بحجارة كبيرة ملساء ، وفي وسطها بركة ملأى بالسمك الذهبي ، وكان لها قطة ضخمة صفراء تقضي الساعات رابضة بجانب البركة تنظر إلى السمك ، وقد تمد مخلبها فجأة في بعض الأحيان ، فسرعان ماتلمح السيدة هسيانج هذه الحركة ، فقد كانت ترى كل شيء ، وإن كانت تبدو غير ناظرة إلى شيء ما.

فتقول بصوت واضح حازم : « أيتها القطة ! » فترد القطة مخلبها .

وقد سألتها مرة : « ألم تسم قطتك اسماً ؟ »

فقالت وهي تبتسم : « حسبي تسمية أحفادي »

وكان لها من الأحفاد اثنان وعشرون ، وكان لها أيضاً بنتان ، ولكنهما تزوجتا وانتقلتا إلى أسر أخرى ، فهي لاتستطيع أن تعدها من أسرتها . وكانتا تزورانها مرتين في العام ، وتقصان عليها أحوالهما ، وتصغيان إلى رأيها ونصيحتها .

وكانت السيدة هسيانج يندر أن تبرح غرفتها وفناءها أو كرسيها الأسود الكبير المحفور ، وكان مقعده أملس كالزجاج ، وقد ذهب الدهان عن ذراعيه اللتين تريح

يديها عليهما ، وكانت دقيقة الجسم خرعة حتى لقد كانت تبدو كأنها لا تزن شيئاً ، وكانت تقضى معظم الوقت جالسة تقرأ — الشعر والكتب والمقالات القديمة والتعليقات.

ولم تعلم بنتها القراءة ، فسألتها ذات يوم عن السبب .

فقالت كالمتهربة : « النساء لا يكن أسعد بالقراءة » .

قلت : « ولكنك أنت ... » .

قالت بصوتها العذب الواضح : « أنا أسرف في القراءة ، وهذا عيب فيّ ، وقد مات أخي الوحيد وأنا صغيرة ، وكان أبي عالماً فعلمني القراءة ليجد من يحدثه ويفهم الحكمة » .

فسألت : « هل النساء لا يفهمن الحكمة عادة ! ؟ »

فقالت : « ليس ضرورياً » .

وكانت قليلة الكلام ، فالحديث معها ليس بالسهل ، ولقد اصطحبت أصدقاء لى ليروا السيدة هسيانج ، فكنت أراهم تثقل عليهم فترات صمتها وسكينتها ، ولكنى أنا كنت أحب هذه الفترات ، لأنها تتيح لى أن أشعر بوجودها وأنعم به .

وقد رأيتها أول مرة فى عيد ميلادها الخمسين ، وكنت قد ذهبت لزيارتها كما تقضى بذلك العادة لما جاورتها ، فلم تستطع أن تقابلنى ، ولكنى فى اليوم التالى تلقيت دعوة إلى حفلة عيد ميلادها . فلما دخلت وجدت الضيوف مجتمعين حول الموائد ، ودخلت السيدة هسيانج بين اثنتين من خادماتها ، فنهض الضيوف ، ونظرنا جميعاً إليها ، وكانت امرأة ذات حسن وجلال — شاحبة اللون ، ضئيلة الجسم ، معتدلة القوام كالسهم ، وعليها ثوب من الحرير الفضى ، وشعرها الأسود الناعم المصقول مشدود إلى الوراء على العادة الصينية القديمة ومجتمع فى عقيصة يمسكها دبوس ذهبى كبير ، وعليه خمار كالشبكة من الحرير الأسود الرقيق . ومازلت أذكر جمال كفها الصغيرة وهى قابضة على رأس عصاها السوداء المصنوع على هيئة التنين .

وانحنت قليلا ، وأشارت بيدها لتجلس ولم تبتسم ، ولكن عينيها الطويلتين كانتا صافيتين ملتمعتين حتى لقد بدا وجهها مشرقاً ، وكانت من الجمال بحيث خيل إلى أنها مثال السيدة المكسال من بنات الأسر الصينية الثرية ، ولم يكن هذا صحيحاً كما عرفت فيما بعد .

وتمهدت صداقتنا بطاقة من الورد من حديقتى بعثت بها إليها ، على أنى تبينت أنها لا تحفل بالورد وتعده سوقياً ، وتؤثر زهر الجاردينيا ، وكان فى حديقتى عدة شجيرات منه ، فحملت إليها بعض أزهاره ، ومنها تعلمت أن هذه الأزهار ينبغى أن تقطف

وندى الفجر عليها ، وقد قالت لى برقة : « إن الشمس تفسد عبيرها ، فيجب أن تقطع عند الفجر وتقدم على الفور » .

فقلت : « ولكنك تكونين نائمة ! »

فقلت : « جربى » .

فنهضت بصعوبة فى بكرة صباح وقطفت ملء كفين من هذه الأزهار وهى مطاولة ، وغلائلها القاتمة تلتمع ، وكان صحيحاً أن أرَجها لانظير له، ومضيت بها إليها ، وكانت جالسة فى فنائها وبين يديها كتاب ومعها خادمة تقدم لها فطورها البسيط وهو من الأرز والخضر المملحة ، وقطعتين صغيرتين من السمك المملح . فلما قدمت لها الأزهار نضح وجهها بسرور قلبها ، ورفعت عينيها البديعتين وقالت : « أرأيت ؟ »

فقلت : « أنت على حقّ »

وعرفت على الأيام الأسرة التى تتولى أمرها ، وكان سلطانها فى البيت مطلقاً ، وكان المستر هسيانج — وهو صاحب ثلاثة من أكبر متاجر الحرير فى المدينة — يقضى أيامه فى مشرب الشاى أو فى أحد دكاكينه ، وكلما نشأت صعوبة ما ، قصد زوجته فى فناء دارها وحادثها .

ولم يتخذ قط خليلة ، فظلت زوجته له كما كانت دائماً ، وكان لايستطيع أن يخفى حبه لها ، فكان إذا اقترب منها يتغير كل مافيه ، وكان رجلا طيباً وفيه كبرياء ، وقد ألف أن يأمر ، ولكنه كان معها مخلوقاً آخر ، فإذا تكلمت كفّ عما كان يفعل أو يقول ، وأرهف سمعه ، وكان على حذقه ونجاحه فى عمله التجارى ، يعتمد على حكمتها .

وكثيراً ما يقع الشجار فى الأسر الصينية الكبيرة ، فإن كبيرة الأسرة ( وهى دائماً امرأة ) إذا كانت سيئة الخلق أو عاجزة ، تستطيع أن تحدث المتاعب ، فإن البيت من صنعها، ولكن السيدة هسيانج كانت تستطيع أن تدبر شئون الأمة . وكانت تجلس هناك تقرأ كتبها وتعيد قراءتها، وتستقطر روح القدماء ، وتدبر شئون بيتها الكبير من أولها إلى آخرها .

وعلمت زوجات بنيها كل وجوه التدبير المنزلى ، وكل ماله صلة بالعلاقات الإنسانية داخل البيت . وكانت فى ليلة رأس السنة تدعوهم جميعاً إليها وتعين لهم واجباتهم فى السنة القادمة ، وكانت هذه الواجبات تتغير كل عام ، فلا يمل أحد ماعليه أن يفعل .

وما من واحدة من هؤلاء النساء الصغيرات خطر لها أن تبدى رغبة فى تولى عمل ما ، لأن هذا لم يكن ضرورياً ، إذ كانت السيدة هسيانج تعرف كل شىء ، وتستخدم معرفتها فى توجيههن ، فيتفق مثلاً أن تكره إحدى النساء الإشراف على المطبخ ، فإذا

كانت مطيعة وأمينة فى العام السابق ، فإنه لايوكل إليها فى العام التالى ، أما إذا كانت لم تكبح ماهو معهود فيها من سرعة الغضب، فإن المطبخ يوكل إليها على التحقيق .

وكانت السيدة هسيانج لاتؤنب أحداً ، ولـكنها تعمل كالقدَر بلا رحمة. وقد حدث مرة أن أحب أكبر بنيها فتاة فى مشرب شاى ، وإذا بالفتاة فى إقليم ناء . ولم يقل أحد شيئاً ، وظل الابن شارداً زمناً ، وزهد فى الطعام ، وكان قد أدرك ماحدث ، ولـكن ماخير أن يقول شيئاً ؟ وفى أثناء ذلك أمرت السيدة هسيانج بأن يقدم إليه ما يؤثر من ألوان الطعام ، وابتاعت له شيئاً طالما تمناه — فونغراف — وفى هذا العام ولدت له امرأته ابناً ، ونسى الفتاة .

وقد تساءلت زمناً عن بنيها وأحفادها أتراهم يحبونها ؟ ثم تأملت شعورى نحوها فألفيتنى أحبها مخلصة فلماذا ؟ لأنى كنت على يقين من عدلها . فما كان لها هوى ولا فيها تحيز ، وكل ما تفعله كان فى سبيل غيرها لالنفسها ، وكان عدلها لايتفاوت مع الصديق أو الطفل أو الخادم أو الغريب .

ومن الممكن أن يكون العدل « بارداً » حتى إذا بلغ حد الكمال ، ولـكن السيدة هسيانج لم تكن باردة ، فقد كان قلبها عظيم المروءة كبير العطف، وإن كان يندر أن يظهر.

وأتذكر أنه حدث ذات يوم أن وضعت إمرأة متسولة فى شارع صغير قريب منا ، وكانت تستجدى فى الشارع الكبير فجاءها المخاض ، واجتمع حولها نفر من الغوغاء كالحيوانات ينظرون إليها ، وذهب بعضهم فأخبر السيدة هسيانج ، فخفت إليها ، وقد روت خادمتها القصة لخادمتى فيما بعد .

قالت الخادمة : « لكأنما كان للسيدة هسيانج أجنحة فى رجليها وعلى كتفيها ، وخاطبت هؤلاء الرجال بصوت من السماء ، فذهبوا يعدون أمامها ، ثم أمرت أن تحمل المرأة والطفل إلى بيتنا » . وقد رأيت الطفل فيما بعد ، لأن المرأة استخدمت فى البيت ، وهو بيت كبير جداً فزيادة شخصين على من فيه لا ضير منها .

وقد جرب كل من فى البيت عدل السيدة هسيانج ، وكان كل من فيه مخلصاً لها على طريقته ، ولـكنها لم تتقاض هذا الإخلاص شيئاً قط ، وكان هـذا هو مظهر عدلها الأسمى ، وكانت لاتتذكر أعمالها الطيبة ، وتنفر من الشكر .

وتعلم الأولاد أن يصدقوها لأنها كانت تعمل وفق مايقولون ، وكانت تعمل أحياناً وهى تعرف أنهم كذبوا . وأمرت مرة بعقاب حفيدها الرابع وهى تعلم أنه لايستحق ذلك ، وكان أخوه الأكبر قد زعم غـير

صادق أنه سرق قطعة نقود ، فتركت الحفيد الأكبر يشعر بخطيئته وتبعته عن عقاب أخيه ، وعلمت الصغير أن يتحمل عقاباً لا يستحقه وأن يتجمل بالصبر ، فأحبها كل من الولدين بعد ذلك .

وكان كل امرىء فى المدينة يتطلع إليها . وقد وقعت مجاعة فى الشتاء إلى الشمال فى نانكين ، فامتلأت الشوارع باللاجئين يحملون أمتعتهم وأطفالهم فى سلال مشدودة بالحبال إلى ظهورهم ، فقصد شيوخ المدينة إلى السيدة هسيانج ، كأنما كان هذا أمراً طبيعياً ، فأمرت بأن تصنع مساكن صغيرة من حصير الخيزران إلى جانب أسوار المدينة ، وأن يفتح مطبخ أرز للجمهور فى المعبد البوذى ، وقالت بلطف ولكن بحزم : « إن الكهنة لايكادون يصنعون شيئاً » .

وتبرعت هى بأول خمسمئة غرارة من الأرز ، وفى الوقت نفسه أثنت على المشهور من جود عشر أسر أخرى غنية فى المدينة ، فبادرت كل أسرة منها إلى تقليدها والتبرع بمثل ما تبرعت به .

وكنت أرى أن عيبها الوحيد هو قسوتها على زوجات بنيها — بل على النساء جميعاً على الأرجح . وواجهتها بهذا يوماً فقلت : « إنى أرى بنيك أحب إليك من زوجاتهم ، أو كأنك تفضلين الرجل على المرأة » .

فتلقت هذا بالمعهود من تفكيرها فى صمت ثم قالت : « صحيح أنى قليلة الصبر مع النساء أحياناً ، ولكنه ليس صحيحاً أنى لا أحبهن » .

فسألتها : « لماذا تضيقين بنا ؟ »

فقالت : « إن للنساء سلطاناً عظيما » .

ولن أنسى هيئتها حين قالت هذا ، وكان يوماً قائظاً من أيام أغسطس ، وكان صوت الحشرات فى الأشجار كصوت الماء إذ يغلى فى أباريقه ، وكان الجو ثقيل الوطأة ، ولكن كان هناك شىء حولها كأنه العبير الرقيق الحادّ المسكر ، وكانت ترتدى ثوباً صيفياً من الحرير الأبيض ، وكان الأطفال فى الفناء عُراةً يلعبون فى بركة السمك ، وكان فناؤها يغص عادة بأحفادها الصغار ، بل بأبناء أحفادها — وهم فى الشتاء يبدون ذوى بدانة بفضل الثياب الشتوية الكثيفة — أما فى الصيف فهم عراة لوّحتهم الشمس .

وكانت كأنها لا ترى الأطفال ، وقلما كانت تكلمهم ، وإن كانت تراقبهم جميعاً . وكثيراً ما كانوا يقبلون عليها فتضع يدها عليهم فيتكشون عليها لحظة ثم يكرون راجعين إلى لعبهم ، وكانت دائماً هناك ، ولكنها تتركهم أحراراً ، فإذا فعل أحدهم ما لا ينبغى أن يفعل — إذا نزل مثلا إلى ماء البركة أو مص أصابعه — فإنها لا تزجره أو تنهره ، بل تدعوه إليها بلطف ، وتمسح له أصابعه

بمنديلها ، وتسقيه رشفة من فنجان الشاى ، وتقول له: « إذا عطشت فتعال إلى » وتصرفه.

فقلت لها: « تقولين إن للمرأة سلطاناً ؟ »

فقالت: « نعم ، أعظم سلطان على الأرض ».

فقلت ملحة : « كيف هذا ؟ »

فقالت : « سلطانها على الحياة » .

فانتظرتُ ولكنها لم تزد ، وأدركت فيما بعد ، أنها قالت مافيه الكفاية ، بل قالت كل شىء .

ولما جاء اليابانيون أول مرة فى ١٩٣٢ ذهبت إلى السيدة هسيانج ببعض البواكير من الأزهار وسألتها : « ألست راحلة ؟ »

فقالت : « سأبعث بالنساء إلى الريف . أما أنا فلست أخشى شيئاً ، ولم أخف حين اقتتل سادة الحرب ، فما هم إلا رجال ، ومثلهم اليابانيون ، وما أعرفنى خفت الرجال قط » .

وبقيت .

ولم أسمع عنها شيئاً منذ سنوات ، ولكنى لا أتصور أنها ميتة ، فإنها عندى مازالت حية ، ومركز الدائرة فى بيتها ، وفى المجتمع ، وفى قومها ، وفى الصين . على أنها فى جوهرها امرأة — مركز دائرة الحياة نفسها .



## انج بنفسك !

إذا سرّك أن تعيش بمنجاة من النقد ، فاحرص على أن لا تقول شيئاً ، وعلى أن لا تفعل شيئاً ، وعلى أن لا تكون شيئاً مذكوراً .

OO·OO··OO·OO

## هدية مفاجئة !

كان أحد المؤلفين المشهورين يوقّع اسمه على نسخ رواية جديدة من رواياته فى مخزن كبير ، إكراماً لمريدى أدبه ، فأتاه رجلٌ يحمل نسخة من الرواية الجديدة ، وأيضاً نسختين من روايتين قديمتين أعيد طبعهما لكى يوقّع عليها جميعاً . فسرّ ذلك المؤلف وأثلج صدره .

وقال الرجل كالمعتذر : إن زوجتى تحبُّ مطالعة ما تكتب ، فرأيت أن أقدم لها « هذه النسخ الثلاث ممهورة باسمك ، هدية لها فى عيد ميلادها » .

فقال المؤلف : « أتريدها أن تكون مفاجأة لطيفة ؟ » فقال الرجل : « طبعاً ، إنها لمفاجأة ، فقد كانت تنتظر أن أقدم لها سيارة فخمة » . [ بنيت سيرف ]

# اضحك يضحك لك العالم

مختصرة من كتاب "بنيت سيرف"

عاد أحد سماسرة الممثلين فى هوليوود إلى بيته على غير انتظار ، فوجد أحد موكليه الكبار جاداً فى مغازلة زوجته ، فصاح به سخطاً ونبزه بأبشع الألقاب ، فلم يأبه له صاحبه الآثم ، ولكنه قال : « خفف من غضبك ، وكف عن التسخط كأنك تمثل فى فلم من الطبقة الثانية ، ولنتحدث فى هذا الأمر حديث رجل لرجل . أنت تحب زوجتك وأنا أحبها أيضاً . فلنلعب لعبة كونكان ، ومن فاز منا ظفر بها . ثم ... ما رأيك فى أن نتراهن على كل نقطة بقرشين ، لكى يكون للعب شىء من الروعة ؟ ! »

اشترك جون باريمور مرة فى تمثيل رواية ظلت تمثل فى سان فرانسيسكو مدة أسبوع ، فاختار لنفسه يوم الاثنين مطعماً بدا له وافياً بمرامه ، فأعجبه كل شىء فيه ما عدا الخبز ، فقال للخادمة : « أنا أفضل دائماً الخبز الأسمر » ، ولكنها جاءته بخبز أبيض . فذكرها بما يريد يوم الثلاثاء ، ولكنها أتته بالخبز الأبيض مرة أخرى ، وارتكبت الخطأ نفسه فى يوم الأربعاء ، وأيضاً فى يومى الخميس والجمعة . فلما كان يوم السبت أخذت منه الطلب فقال لها : « أظننى أفضل الخبز الأبيض اليوم » . فقالت : « هذا أمر غريب ، ألست الرجل الذى يطلب الخبز الأسمر دائماً ! » .

أخذ القطار يتحرك من المحطة ، وإذا شاب يعدو وراءه ويلقى بحقيبته فى مؤخرة عربته الأخيرة ويتعلق بحاجزها ثم يقفز إلى القطار ، وهو يلهث تعباً ، ولكنه بدا كأنه فتح فتحاً مبيناً .

ورآه رجل شيخ يفعل ذلك فنظر إليه كالمزدرى وقال : « أنتم شبان هذا العصر لا تحافظون على أسباب العافية . فيوم كنت فى مثل سنك كنت قادراً أن أحمل بيدى فنجان قهوة وأن أعدو نصف ميل لألحق بقطار الساعة الثامنة والربع ، ثم أحس كأنى زهرة غضة » . فقال الشاب وهو يلهث : « لعلك تعذرنى يا أبتاه ، إذا علمت أن هذا القطار قد فاتنى اللحاق به فى المحطة السابقة ! »

# أصلب الأحياء عوداً



بقلم برترام ب. فاولز

مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

قال ثك إنجرام : « الإنسان هو أعسر الأحياء كلها قتلاً ، فهو إذا طوى ضلوعه على إرادة الحياة ، فلن تجد وسيلة لقتله إلا أن ترميه برصاصة فى قلبه » .

وثك إنجرام يتكلم عن ثقة ، وقد عرف صدق ما يقول من حادثة عجيبة حدثت له فى فيافى المنطقة المتجمدة ، فقدّر له أن يخرج منها حياً . ذهب إنجرام شمالاً فى سنة ١٩٢٢ ، وكان شاباً مفتول العضل مرح النفس ، سمع قصصاً عن الذهب الذى يكثر وجوده فى الأرض الشمالية الغربية ، فأذكت نار خياله وألهبت عزيمته . والرجل الذى يطمح إلى البحث عن الذهب ، كان عاجزاً فى ذلك العهد عن أن يستأجر طائرة خاصة يستقلها ثم يهبط فى غير مشقة على إحدى البحيرات التى تحف بتلك الهضبة الواسعة التى تحتوى الركاز النفيس . هذا على أن إنجرام لم يكن يملك مالاً يضيعه على طائرة ، وكذلك مضى فى عربة تجرها الكلاب فشق طريقه فى فياف لم يرتدها الرواد إلى بحيرة الدبّ الكبير ، وهناك اقتنى مركباً صغيراً وجعل ينقل ما تيسر له من شحن .

أنشأ إنجرام فى السنوات العشر التالية عملاً موفقاً ، وضم إليه ستيوارت كرى شريكا له ، وفى سنة ١٩٣٣ كان الرجلان على زورق لهما فى بحيرة الدب الكبير ، وكان الزورق يقطر مركباً مثقلاً بالمؤونة وأحد عشر رجلاً ، وكانت غايته « بورت راديوم » . ولن تجد رجلاً يقدم على رحلة كهذه الرحلة إلا أن يكون كصاحبنا إنجرام شدة بأس وصلابة عود . فهذا هو اليوم السادس والعشرون من شهر أكتوبر ، وهو بدء فصل الشتاء فى الدائرة القطبية ، حيث الحرارة دون الصفر ، وهى تهبط بعدئذ هبوطاً مطرداً .

وبحيرة الدب الكبير بحيرة كبيرة ، وهذه عاصفة عاتية تدفع ماء البحيرة أمواجاً عالية ، فخاطر إنجرام بهذه الرحلة ، عسى أن ينقل المدد الذى تشتد الحاجة إليه قبل أن يجمد سطح الماء .

وكانوا كلما ملأوا الخزانات بالبنزين من براميله ، ينسكب بعضه على ظهر الزورق القاطر الذى تتقاذفه الأمواج ، وصدمه الموج بغتة فماد ، فاندلق بعض البنزين على الأنبوب المتوهج الذى يخرج منه العادم ، وما هى إلا ثوان حتى كان الزورق شعلة متأججة من مقدمة إلى مؤخره .

فأخذ كرى فأساً وضرب بها الحبل الذى يصل الزورق بالمركب المقطور حتى لا تمتد النار إليه ، فالريح كفيلة بأن تدفع المركب إلى الشاطىء ، وحتى يتاح لرجاله أمل فى الكفاح فى سبيل الحياة . واندفع إنجرام إلى حجرة المحرك فى الزورق لكى ينقذ الرجلين اللذين فيها ، فردّه جحيم مستعر إلى ظهر الزورق وقد نالت الحروق من يديه ورجليه .

وقبيل أن ينفجر الزورق ويغرق ، نزل كرى وإنجرام فى البحر فى رَمَث يتسع لرجل واحد ، وقد ظلا طافيين نهارين وليلة فى الريح العاصفة الزمهرير ، قبل أن يشرف بهما الرمث الواهن على الشاطىء . وكان الشاطىء منحدراً إلى حد الماء ، وكانت تغشاه على مسافة مئات من الأمتار طبقة من الجمد الذى يبهر الأبصار ، تكوّن من رذاذ الأمواج الذى جمّده البرد ، فطفق الرجلان يحاولان التصعيد رويداً رويداً فى ذلك المنحدر الماثل ساعات متوالية ، فلا يكادان يشرفان على بر السلامة حتى ينزلقا مرة بعد مرة إلى حيث كانا . وأخيراً بلغاه ، وقد بللهما الماء إلى الجلد ، وكادا يسقطان من الإعياء .

كانت درجة الحرارة قد هبطت خلال ذلك إلى ٣٥ تحت الصفر بميزان سنتجراد ، فلا بد لهما من نار يصطليانها إذا قدر لهما أن يظلا على قيد الحياة . وكان الثلج يتساقط فيغطى الشجر وعيدانه ، ولكن كان فى جيب إنجرام قطعة من شمعة ، وقلم وعلبة من صفيح فيها عيدان ثقاب ، فعنيا عناية بالغة بجعل خشب القلم قطعاً رقيقة دقيقة ، ثم أشعلا الشمعة وبها أشعلا خشب القلم ، وجمعا أجفّ ما وجداه من حطب ، وتعهدا النار الضعيفة حتى صارت ناراً مستعرة . وأقاما ثلاثة أيام بغير طعام قرب النار يتناوبان النوم ، فقد كانا يعلمان أنهما إذا ناما جميعاً خمدت النار ، ولن يستيقظا بعد ذلك من رقدتهما أبداً .

وقد أدركا بعد الأيام الثلاثة أن رجاءهما الوحيد مرتبط بوجود المركب المحمل بالطعام ، فأقدما مترددين على ترك النار المحبية ، ومضيا على محاذاة الشاطىء فى رحلة عجيبة ، فقد كانا فى منطقة خالية من الأحياء كأنها رقعة على سطح سيار ميت . وكان على خمسين ميلا أمامهما لسان من الأرض داخل

في البحيرة ، فإذا كان المركب الطافي قد أخطأ هذا اللسان ، فإنه خليق أن يكون طافياً على مئات الأميال منه ، فلا أمل في الوصول إليه . وكل ما يستطيعانه الآن هو أن يجهدا في الوصول إلى ذلك المكان عسى أن يكون المركب هناك .

في اليوم الأول من هذه الرحلة تجمدت قدما إنجرام اللتان أصابتهما النار ، ولكنه مضى متعثراً على قدمين قد أصبحتا حقاً قطعتين من جمد. وقد ظل يسير في الليالي القطبية الطويلة الداجية ، والأنهر القطبية القصيرة الكالحة ، كأنه آلة تتحرك من تلقاء نفسها ، فلو توقف لغلبه سلطان النوم ، ولو نام لكانت نومة الأبد . وكاد إغراء النوم يغلبه على أمره أحياناً ، ولكن إرادة الحياة العمياء كانت أقوى من البرد الفظيع ومن الجوع .

ثم أصيب كري بعمى عابر، فصار لزاماً على إنجرام أن يقوده من يده وهما يجاهدان في المسير . وصار جوعهما عذاباً مبرّحاً ، وخَدِرا من التعب ، ولكن ليس معهما طعام ، ولا سبيل إلى الراحة. ثم لاحظتهما العناية بعيونها لأول مرة ، فقد وجدا المركب على الشاطىء قبيل اللسان وفيه رجاله الأحد عشر ، قد لبد بعضهم إلى بعض حول نار موقدة وراء قماش شمع استذروا به . بيد أن كل الطعام الذي كان في المركب كان قد غرق ساعة صدم المركب حافة الشاطىء، واستطاع أحدهم أن ينقذ بندقية، ولكن الأمل الذي علق بالبندقية كان أملا ضعيفاً . فالوعول قد هجرت الشمال إلى الجنوب منذ زمن ، وليس في تلك الأرض البلقع حيوان آخر يمكن أن يصيدوه .

ثم لاحظتهم العناية مرة أخرى . فهناك في تلك الفيافي الخاوية وجدوا وَعِلا واحداً قد تخلف عن جماعته المهاجرة فصادوه وأكلوا لحمه مسلوقاً . ولا يزال إنجرام إلى يومنا هذا يقول إن رحمة الله عز وجل هي التي ساقت هذا الوعل إليهم.

وعمد الرجال إلى إنجرام وهو بين الموت والحياة ، فدثّروه ، ولكنه لم يفقد وعيه ، فظل يعاني آلامه المبرحة .

كان الزورق قد انفجر يوم ٢٦ أكتوبر، وفي يوم ١٣ نوفمبر ، أي بعد انقضاء ١٨ يوما ، شاهدهم رجال طائرة كانت تبحث عنهم ، فنزلت على سطح البحيرة ، وحملت إنجرام إلى مستشفى في بلدة أكلافيك عند مصب نهر مكنزي ، فظل هناك معلقاً بين الحياة والموت، ينقلون له الدم ، ثم يوالونه بالجراحة في إثر الجراحة ، وفي الربيع نقلوه بالطائرة إلى مدينة منيابوليس ليجروا له جراحات أخرى .

فلما مضت سنة ونصف سنة ، كان الجراحون قد بتروا ساقيه تحت الركبة ، وبتروا أيضاً العقد الأولى من ثلاث أصابع في كلتا يديه . وكان قد خسر كل ماله ، فاو عمد إلى بيع الأقلام على قارعة الطريق لما أنحى عليه أحد بلائمة .

ولكنّ إنجرام كان صلب العود ، فقد اتجه إلى الشمال مرة أخرى على عكازتين دون أن ينتظر حتى يتعلم كيف ينتفع برجليه الصناعيتين . لقد كان طموحه راسخاً لم يتزعزع ، وهو لن يرضى أن يذلّ عزة نفسه ، فلا بدّ لهُ من أن يعود لكن يقيم الدليل على أن شياطين الصقيع والجمد لم تغلبه . فتولى عمل وكيل لشركة نقل في بحيرة الدب الكبير .

وفي سنة ١٩٣٧ وجد الباحثون عن الذهب منجماً غنياً في بلدة يلونيف ، فانتشرت أخباره ووفد الناس عليه من كل حدب . وفي غمرة هذا الإقبال استدبر إنجرام عملاً مضموناً في شركة لكي يبدأ عملاً حراً جديداً .

فأنشأ متجراً وأقبلت الدنيا عليه ، فبنى أول فندق صغير في يلونيف ، فلما كثر الناس عليه في المنطقة بنى فندقاً أكبر منه ، وهو يبني اليوم فندقه الثالث ، وهو فندق حد . النظام شيّده على الرقعة التي اتخذت لبناء المدينة . وقد ادخر إنجرام في عشر سنوات أو أقل ثروة كبيرة . وهو الآن صاحب شركة تسير قوافل من السيارات وقطراً من الجرارات ، ويشاركه شقيقه في توليد الكهرباء وتوزيعها ، ولهما نصيب في تعدين الذهب وأعمال الاحتطاب .

وفي تلك الفترة نبذ إنجرام عكازتيه . وجاء يوم فهبط ميزان الحرارة إلى ٤٠ تحت الصفر ، ويومئذ لحق به شقيقه فألفاه يسوق سيارة نقل ضخمة ليقطع بها مئتى ميل فوق سطح البحيرة المتجمدة ، فأنّبه ، فرد عليه إنجرام : « أنا أحسن حالاً منك فرجليّ لن يتجمّدا » .

وهو يقول عن يديه : « إن الأصابع الطويلة لاتصلح لشيء ، اللهمّ إلا للضرب على الآلة الكاتبة وحسب . أما فيما عداذلك فيغلب أن تعوقك عما تريد » .

وفي الصيف الماضي مرّ أحد جيرانه بداره فوقف ليحدق فيه ، وكان إنجرام جالساً على الدرج أمام بيته ، وهو ينظر إلى قدميه ويضحك ملء شدقيه . قال : « انظر إلى هذا البعوض اللعين ، إنه يحاول أن يلسع ساقيّ الصناعيتين . إنني والحقّ يقال قد غلبت هذه الملاعين على أمرها » .

وحين أسمع رجلا يتحدّث عن ضعف

الإنسان ، يكرُّ بي الفكر إلى ڤك إنجرام . ولو صحّ كلُّ مايقال ، لما قدّر له أن يعيش ، أما وقد ظلّ على قيد الحياة ، فكان ينبغى أن يكون هيكل رجل مهدّم . ولكن القاعدة التى جرى عليها فى الحياة ، لن تجدها فى أى كتاب . إنها القاعدة التى تسيطر عليها روح الإنسان التى لاتقهر ، والتى تحيل البنيان الإنسانى الواهى شيئاً لايغتاله الهلاك.

وقد قال لى أحد أصدقاء إنجرام : « أود أن أملأ سفينة بالذين يحسّون بالعجز لعاهة أو ضعف ، وأنقلهم شمالا إلى يلونيف ، وأروى لهم قصة ڤك إنجرام ، ثم أدعهم ليروا ذلك الرجل وهو يعمل ، وأظن أن ذلك خليق أن يكون أوقع فى نفوسهم وأبلغ أثراً فى حياتهم من كل موعظة أو نصيحة تسدى إليهم » .



## نوادر من صميم الحياة

عاد أمريكى من موسكو فروى لأصحابه أن باب السفارة الأمريكية هناك لايوصد أبداً ، فسأله أحدهم دهشةً واستغراباً : « أليس فى موسكو لصوص ؟ »

فقال : « فيها لصوص كسائر المدن ، ولكن عقاب من يُشاهد داخلاً السفارة الأمريكية أشدُّ من عقاب اللصّ » .



كانت مركبة الترام مزدحمة بالركاب ، وكان أمامى بحّار قاعد وعلى ركبتيه قعد بحّار آخر . وإذا بفتاة ساحرة الجمال قد دخلت المركبة ، فما كان من البحار الأول إلاّ أن ربّت على كتف صاحبه الجالس على ركبتيه ، وقال : « هاى جورج ، كن كريم الأخلاق ، قف وتنحَّ عن مقعدك للفتاة » .



ظلّ الشيخ تبز سنين كثيرة مشهوراً فى قريته بأنه رجل عنيد جهم لايرضى عن شىء أو إنسان ، وإذا به ينقلب من الضدّ إلى الضدّ بين عشيّة وضحاها ، وصار آية فى اللطف والدماثة والتفاؤل والرضى . فدهش الناس .

فسئل : ما الباعث على هذا الانقلاب المفاجىء ؟

فقال : ظللت أسعى طوال حياتى وأجاهد حتى أظفر بالعقل الحليم والنفس الساكنة فلم يُجدنى ذلك شيئاً ، فعزمت أخيراً أن أكون راضياً بغيرها .

# ما سرّ خيبة الزواج

مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"

تأليف فيليب وايلي

ينبغى للفتيات والفتيات الذين يتشوقون إلى الزواج ، أن يدركوا أن الأبوة هى الغرض الأصيل

يدل الإحصاء على أن معدل الطلاق بلغ مبلغاً كبيراً ، وأنه يزداد ازدياداً مطرداً. فما هو سرّ الخيبة فى الزواج؟

لقد أخذ الزواج يتحطم على صخرة فلسفة سخيفة مناقضة للحقيقة والواقع ، أساسها « الحب الخيالى » والمبالغة فى تعظيم شأن « فتنة الجنس » . فحين يبعد الشبان عن بيوتهم ، فى عمل أو حرب ، أتراهم يتخذون مثلهم الأعلى للمرأة نساء هن شطر الأسرة ، أو نساء هن أمهات محسنات ، أى إناثاً يلدن ويشاركن أزواجهنّ فى عمل البيت ومهامه ؟ أم تراهم يعلقون على جدران حجرهم أو ثكناتهم ، صور غوان فاتنات — وخيرهنّ أفتنهن ؟

وأين صور الأطفال من صور الفاتنات ؟ إن مجرد التفكير فى الأطفال كفيل أن يضايق « الذكر » ، فيقول إن الأطفال يجيئون فى المقام الثانى ، وهم على كل حال من اختصاص النساء دون غيرهنّ . فهو يجهد نفسه ليتمّ له مايفضى إلى الأبوة — ثم تراه يخجل من الأطفال . فالحب الجنسىّ والحب الخيالى ، قد اصطلحا على حجب فطرة الأبوة المتأصلة فى طبيعة الرجل ، حتى لترى معظم الرجال لايعرفون من عاطفة الأبوة أكثر من دعوة بعض أصحابه إلى وليمة حين يرزق بولد .

فمن الواضح أن أول أسباب خيبة الزواج هو أنه ليس للناس من يعلمهم الأبوة ، ومع ذلك فإن الأبوة هى الأصل فى حياة الذكور .

وإذا أردت أن تعرف هذه الغريزة المتأصلة وكيف تطبّق ، فسبيل ذلك أن تتلقاها من التجربة ومن الملاحظة ومن نشأة الصغير فى كنف أب شديد الحياطة لولده . ولكن الرجل لايكاد يولد له ولد ، حتى ترى كأنه قد نسى أنه أب ، فهو يقضى طول يومه فى مكتبه أو متجره أو مصنعه ، فإذا جاء الليل تراه قد خرج هو وزوجته لسهرة عند صديق أو ذهبا إلى سنما ، وتنوب عنهما فى

رعاية الطفل خادمة أو دادة . فإن لم يكن ذلك وبقى الأب فى البيت ، رأيتـه قد دعا بعض أصدقائه لقضاء السهرة معه ، وإلا فهو منهوك القـوى لا همّ لهُ إلا أن يأوى إلى فراشه . فهو غريب عن صغاره ، أما حب الأب لصغاره وعطفه عليهم ، وإرشاده لهم ورعايتـه الكاملة لأمورهم ، فذلك شىء لا يشغله ولا يعنيه .

وقد عمد أهل الحضارة الحديثة إلى أن يسـتبدلوا بالأبوة والأمومة ، ضروباً لا تنتهى من أسباب تسلية الأطفال ، كالراديو والقصص المضحكة والسينما ورياض الأطفال ، لتـكون للطفل بدلا من أبويه . أما مهمة التعليم على عظيم شأنها ، والتى كان يتولاها الرجل إلى عهد قريب ، فقد ألقى عبئها على المرأة .

وكذلك ترى الطفل يقضى ٩٠ ٪ من حياته تربّيه المرأة ، وتعلمه المرأة ، وتراه يقضى نصف هذا الزمن فى كفالة نساء لم يتزوجن ولا حملن أطفالاً . أما الأب فيبلغ من إهماله أداء الواجب عليه ومن جهله عظم الشرف الذى ألقى إليه ، حتى لتراه يتجنب مهمة الأبوة وتبعاتها . ترى كم من رجل فى عشيرتك يبذل بعض نفسه وجهده ووقته وماله مع غيره من الآباء فى تحقيق الغرض الأصيل من الأبوة فى الجماعة ؟ كم رجل منهم يراقب عمل المدارس فى جماعته مراقبة اليقظ المعنى بالأمر ؟ وكم منهم يشارك مشاركة مجدية فى حلّ مشكلات الأطفال الأشرار ؟ وكم منهم يكافح فى سبيل الفقراء والمحرومين من الصغار ؟

وهـذا هو ما هيأته الطبيعـة ليتولاه الذكور فى البيت والجماعة . إنها الأبوة . فإذا ما افتقدت الزوجات بين الأزواج هذا الشعور بالأبوة وتبعاتها ، دبّ فيهن القنوط أو سعين إلى الطلاق .

والتبعة فى خيبة الزواج وانحطاط حياة الأسرة لا يقع على الرجل من جريرتها سوى النصف ، أما المرأة فقد لا تتخذ من فتنة الجنس مقياسـاً للرجل الذى تتزوجه فى الأعم الأغلب ، ولـكن الحب الخيالى يبعث الخفقان فى قلب كل فتاة . ولا نـكاد نرى فلماً أو قصة لا نجد فيها البطلة تطلب هذا الضرب من الحب ، فإذا وجدت ما تطلب كان الزواج ثمّ الخاتمة السعيدة . فالبنات ينشأن على الاعتقاد أنهن متى تزوّجن بلغن الخاتمة السعيدة ، لا ريب فى ذلك ولا شك ، وأما البطل فى معظم هذه الروايات فتراه فتى من أصحاب الثراء .

وهـذه الأسـطورة تُغْفلُ حقائق كثيرة واضحة ، فأول ذلك أنك لن تجد وفرة المال ذات أثر فى أخلاق الفتى أو

حسن معاشرته ، بل يغلب أن يكون الزوج الغنيّ مدللا حادّ الطباع . والثانى أن الزواج غاية فى ذاته وهو قول يجافى الحقيقة ، فالزواج كالتخرّج من الجامعة ليس سوى بداية . والثالث أن الزواج لا يكون حافلا بروعة الخيال ، إلا فى عرف الذين نشأوا فى بيئة ترّبى فيهم هذا الضرب من التخيل ، مهما بلغت بهم الخصاصة ورقة الحال .

ما أكثر الفتيات اللواتى يتوقعن أن تكون الحياة بعد الزواج كما كانت فى أيام الخطبة ! فهن يرين أن الزواج يجمع بين روعة أيام الخطبة ، وبين الحب الجنسى والترف المادى . أما الأطفال فأمر هين ينظر فيه فيما بعد . وهذا وهم كأوهام المصاب بالهذيان .

إن الزواج الرشيد يحلّ الرويّة فى بلوغ هدفه محل مرحلة الخطبة والألفة . فالزوجان يدركان أن إنجاب الذرّية وإنشاء الأسرة ، لا ينبغى أن يُعدّ ضرباً من ضروب المغامرة قد يقدمان عليه فى المستقبل ، بل هو السبب الأصيل للزواج . فالحبّ الجنسىّ لا يصلح أساساً للزواج ، والزوج الذى يختار زوجته لأنها فتنته بأنوثتها ودَلالها لن يلبث حتى يجد — إن لم يكن لها خصال سوى الأنوثة والدلال — أن الجمال سرعان ما يستحيل شيئاً مألوفاً مملولاً .

والزنا سببٌ فى كثير من الطلاق ، غير أن الزواج الذى ينتهى إلى الطلاق من جراء ذلك ، لهو زواج بلغ مرحلة الطلاق قبل اقتراف هذه الفاحشة لعناد أو خطل فى أحد الشريكين أو فيهما كليهما .

ثم هناك وهم آخر عن الزواج يتسلط على عدد وافر من الفتيان والفتيات ، ذلك هو اعتقادهم أن لكلّ فتى فتاة خُلقت له وخلق لها . وهذا خطلٌ ولا ريب . فلو كان الأمر كذلك ، لكان احتمال التقائهما أدنى إلى المستحيل على أساس الإحصاء .

وهذه الأسطورة تؤود الزواج وتحمله عبئاً ثقيلا ، لأن الذى يصدقها يتخيل لنفسه زوجاً منشوداً ، ثم يتزوّج ، ثم يقارن ، وهو لا يدرى ، بين الصورة المتخيلة والزوج الحى . فإذا تبين فى صورة زوجه نقصاً عن الصورة التى رآها بخياله ، صار ذلك النقص سبباً يحملهُ على أن يعتقد أن التوفيق أخطأه فى اختيار الزوج ، لأنه لم يظفر بالذى تمناه وتصوره . وكذلك ترى ملايين من الناس يحتملون زواجهم احتمال الصابر المتصبر، مع اعتقادهم أنهم أخطأوا فى تزوّج من تزوجوهم. والحقيقة هى أن الخطأ واقع فى نظرتهم إلى الزواج . وبعض هؤلاء الناس يحوّل خيبة أمله إلى نقار مستمر ، أو إلى إصرار على ارتكاب الفاحشة ، ولكن

ألوفاً وألوفاً منهم يطلبون الطلاق ، ثم ينطلقون يبحثون ثانية عن الزوج الموهوم الذى خلق لهم وخلقوا له .

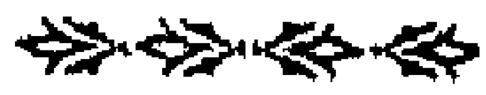
وجمل هذه الآراء فى الزواج يدلّ على أن الناس لم يبلغوا بعد تمام الرشد . فالذكور الذين بلغوا مبالغ الرجال دون أن يتملكهم العزم على أن يصيروا آباءً ، ليسوا رجالاً حقاً . والنساء اللواتى ينتظرن أن يبقين عرائس مدللات ، وأن يصرن أمهات دون أن يكن زوجات أيضاً ، لايزلن فى مرحلة الصغار الغريرات . فالزوجة هى قبل كل شىء شريكة لأب حق ، فهى ليست صديقته ولا أمّه ولاصاحبته ولاسيده المطاع .

وإذا كان البيت هو أساس الأمة والجماعة ، وهو أمر لاريب فيه ، فخليق بالناس أن يبدأوا منذ الآن فى إنشاء بيوت حقة وأسر حقة . وقد شاع بين الناس أن الصغار مجلبة للضجر ، وصاروا يتلمسون كل وسيلة للفرار من صحبتهم . فالذين ربّيهم أزواج يعتقدون هذا الرأى يصيرون حتما رجالا ونساء يضجرهم من الزواج كل مافيه ، سوى المتعة الحسية . بيد أن الحياة الصالحة ليست طلباً للمتعة . وإذا ماأردنا أن نكون سعداء وجب أن نبحث عن السعادة لا عن اللذة .

وإذا قدر لنا أن نمهد للزواج أن يسلك الطريق المفضى إلى التوفيق ، وجب أن نغير آراء الذين يطلبون الزواج وتقديرهم لمعانى الحياة . فالسؤال الذى يوجهه الفتى إلى نفسه ينبغى أن لايكون : « من أفتن فتاة أعرفها ؟ » أما الفتاة فلاينبغى أن تسأل : « من هو الرجل الذى يظل يعاملنى ما عشت كأنى عروس ؟ » أما السؤال الخليق بأن يفضى إلى الجواب الصحيح مدى الحياة فهو هذا :

« هل هى خير أمّ لأولادى ؟ هل هو خير أبٍ لأولادى ؟ »

فإذا أُفرغ السؤال فى قالب آخر كان : « أ كان يسرُّنى أن أ كون ابنها ؟ أ كان يسرُّنى أن أ كون ابنته ؟ »



## حرب !

لو كان لى ولد ، وأراد أن يصير معلماً لاستودعته الله كأنّه ذاهب إلى الحرب ، فما أرتاب فى أن الحرب التى تشنّ على التعصب والجشع والجهل هى حرب لا تخمد لها نار . وأنا أرى أن الذين يلقون بأنفسهم فى غمارها هم كالجنود فى حومة الوغى ، ربما كتب لأحدهم أن يعيش حتى يرى ساعة نصر فى هذه المعركة الدائرة الرّحى .

[ جيمس هلتون ]

# بيانٌ عن السَّرطان

روسكو ر. سبنسر دكتور في الطب
مدير معهد السرطان



إنّ السرطان كتلة من خلايا الجسد ضلت سواء السبيل فعاشت عالة على الجسم لاتنفعه شيئاً ، أو هو عصبة من قطاع الطرق يتطفلون عليه ، فما الذى دفعها إلى سلوك هذا الطريق ؟

الخلية هى جوهر الحياة ، ولا حياة إلا فى خلية . والبكتريا ليست سوى نباتات كلّ منها خلية مفردة ، أما « البروتوزوا » فليست سوى حيوانات من خلية واحدة . وأنا وأنت وكل كائن بشرى تنسم أنفاس الحياة ، قد كنا فى بدء حياتنا خلية واحدة . ولم يكن وزنك وأنت نطفة أكثر من ١٥ جزءاً من عشرة ملايين جزء من الجرام ، كما يقول الدكتور جورج واشنطن كورنر عالم الأجنة الممتاز بمعهد كارنيجى ، فزاد حتى صار يوم ميلادك ثلاثة كيلوجرامات — أى بليونى ضعف ، وأصبحت الخلية الواحدة ٢٠٠ بليون خلية . ويحتوى بدن البالغ من الناس على ألوف الملايين من الخلايا . وفى أبداننا حكمة خفية تقسم خلاياها ببطء إلى جماعات شتى ، لكل جماعة منها وظيفة تؤديها ، وكل جماعة منها تختلف عن الأخرى قواماً وتركيباً ، ولكنها كلها أمة واحدة يسلكها نظام دقيق فى بنيان مرصوص .

وليس فى الطبيعة شىء أعجب من هذا قط أو أشد منه إعجازاً . ومع ذلك فإن هذه الحكمة تضلّ السبيل أحياناً ، فلم ذلك ؟ هذا هو لغز السرطان المخيف .

إن قطاع الطرق من البشر هم فى العادة أفراد شذّوا عن الجماعة ، إذ نشأوا فى بيئة فاسدة أرضعتهم لبانها . وثمة كثير من الأدلة على أن خلايا السرطان إنما يعينها على النموّ وعلى الفتك بنا ، شرّ يصيب البيئة التى تنشأ فيها ، والحرب التى نشنها على السرطان لاغرض لها إلا اكتشاف هذا الشر الطارىء ، والفتك بهذه العصبة من اللصوص قبل أن تفتك بنا .

فى كل ثلاث دقائق يودى السرطان بواحد من الناس فى الولايات المتحدة ، وهو

سبب الوفاة فى ثمن الذين يموتون جميعاً ، وفى ربع اللواتى يمتن من النساء بين سن الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين . بيد أنك لاتجد جماعةً ما لاتصاب به ، حتى جماعة الأطفال . وفى الولايات المتحدة ١٧ مليوناً من الناس يغدون اليوم ويروحون وقد قضى عليهم أن يكونوا فريسة له ، إذالم يكتب لنا النصر فى الحرب التى شننّاها عليه.

لقد بلغت نفقات القنبلة الذرية الأولى بليونين من الريالات ، وقد تألب على إنتاجها رجال الجيش وعلماء الطبيعة والكيمياء الممتازون وعدد كبير من المصانع ، واشترك فى صنعها أكثر من ١٠٠,٠٠٠ عامل . وتم عملها فى نحو سنتين ونصف ، فكانت نصراً يجلّ عن التصديق .

فلم لا نبذل فى كفاح السرطان جهداً كهذا الجُهد ؟ لاشيء ! سوى أننا نعالج فى هذه المشكلة خلايا هى جوهر الحياة ، بدلاً من الذرات وهى جوهر المادة ، وأننا لم نبلغ من إدراك كنه الحياة ما أدركه علماء الطبيعة من إدراك كنه الذرة فى سنة ١٩٤٠ ، فقد كانوا يعرفون شيئاً كثيراً عن الذرة قبل أن يبدأوا جهادهم ، ولكن ماأتفه مانعرفه نحن عن الخليــة ، وكيميائها ، وعملها ! فنحن لانعرف عنها أكثر من أن تركيبها أشد تعقيداً من تركيب الذرة بكثير ، وأن الخلية تحتوى على عدد عظيم من المواد العضوية المعقدة وبلايين من الذرات ، ثم إننا نجهل كل شيء عن القوة التى تسيّر الخلية : وهى جوهر الحياة .

أى داعٍ يدعوها للانقسام وإلى إنتاج خليــة أخرى من جنسها ؟ وكيف تعرف خلايا الجسد متى ينبغى لها أن تكفّ عن النمو والتكاثر ؟ وأى يد تهيمن على تحوُّل الخلايا إلى شتى أنواعها فى الأعضاء ؟ وكيف اتفق لخلايا السرطان أن تتحرر من سيطرة الجسم عليها ؟ هذا كله بعض مايجب أن نصل إلى إدراك كنهه .

إن الرأى الذى يزعم أن السرطان مرض معدٍ رأى باطل ، ولكن نزعه من الأذهان عسير . فما عرف قط أن السرطان انتقل من مريض إلى طبيبه أو ممرضته أو أحد من ذوى قرباه . وإنى لأعرف طبيباً واحداً على الأقل أخذ بُضْعة من ورم سرطانى من أحد مرضاه ، فزرعها تحت جلده ، فلم يصب بأذى قط . ولقد قضى باحثو السرطان أكثر من ثلاثين عاماً يجرون التجارب فى عــدد عظيم من الجرذان والفئران ، فما شاهدوا واحداً منها سرت إليه العدوى . فعلينا أن نلتمس سـبيلا آخر غير العدوى لمعرفة منشأ السرطان .

وطالما سمعت قائلاً يقول : « لا يعرف

أصل السرطان أحد »، ولكن ما نسمع ليس هو الحق كله ، فأي سرطان تتحدث عنه ؟ وفي أي عضو هو ؟

هذا سرطان الجلد . إن حدوثه في السمر أقل كثيراً منه في الشقر وذوى البشرة البيضاء . وأكثر ما يكون في الأجزاء المكشوفة — الأيدى والوجوه والأعناق . ومعدل الوفيات من سرطان الجلد في الجنوب الغربي من أمريكا حيث الهواء جاف ، والغيم نادر يبلغ ضعفيه في الشمال الشرقي ، وهو منتشر بين البحارة والذين يتعرضون للرياح وعوادى الجو عدداً من السنين .

ويمكن إحداث سرطان الجلد في فئران المعامل بتعريضها مراراً في الأسبوع للأشعة فوق البنفسجية ( وهى التى تلوّح البشرة ) ومع ذلك فسرطان الجلد يمكن علاجه والشفاء منه قبل أن يمتد إلى الأحشاء ، هذا إذا بكر المريض في التماس العلاج عند طبيب قدير . فليس هذا النوع من السرطان من الأنواع الفاتكة .

أما سرطان المعدة والأمعاء ، فهو على نقيضه قاتل فتاك ، ولا يعرف أحد سبب سرطان المعدة . قد يكون سببه أنواعاً خاصة من الأغذية أو عادات معينة في الطعام ، وقد يكون ناشئاً عن إدرار بعض الهرمونات بغزارة تؤدى إلى إثارة خلايا المعدة فتفرط في النمو ، وقد يكون مردّه إلى نقص في الفيتامينات ، أو إلى اجتماع سببين أو أكثر من هذه الأسباب ، أو لعله يحدث لعلة نجهل عنها كل شيء .

ولنلق الآن نظرة على سرطان الكبد : إنه أكثر أنواع السرطان شيوعاً في باتافيا وسنغافورة ومانيلا ، ولكنه على نقيض ذلك في أمريكا ، حيث تقل وفياته عن سبعة في المئة من مجموع الوفيات من السرطان . ولعل مردّ هذا التفاوت إلى اختلاف الغذاء ، وإن لم نكن من ذلك على يقين .

إن سرطان الكبد يمكن إحداثه في الجرذان بالمعامل ، وذلك بإضافة بعض الأصباغ إلى الطعام ، ولكن هذه الأصباغ لا تؤثر في الأرانب والدجاج . ومع ذلك ، ترى الجرذان تأكل بعض المواد الكيميائية كالكلوروفورم ورابع كلورور الكربون دون أن تصاب منها بأذى ، في حين أن الفئران إذا أكلت مثل هذا الطعام أصابها سرطان الكبد . فلماذا ؟ وكيف تمر مثل هذه الموادّ في معدة الجرذ والفأر دون أن تؤذيها ، ومع ذلك تورث الكبد العلة التى ندعوها بالسرطان . ولن تجد اليوم بين علماء الكيمياء الحيوية من يستطيع تعليل ذلك .

إن علة السرطان كما يبدو لنا الآن تتخذ سبلاً متعددة ، وما من ورمين من أورام

السرطان يتشابهان قط ، وليس ثمة سبب واحد يعقب كل أنواع السرطان . ويكاد يكون من المستحيل فى الوقت الحـاضر أن نعرف أثر الوراثة والهرمونات والغذاء فى إحداث السرطان .

أترانا نتقدم نحو هذه الغاية ؟ أجل ، نتقدم ببطء من عام إلى عام . وقد زادت معارفنا عن السرطان زيادة كبيرة بالنجاح الذى أصابه علماء معهد السرطان فى تحويل الخلايا الطبيعية إلى خلايا سرطانية خارج جسم الحيوان . وقد تم هـذا التحويل بزرع الخلايا فى قوارير ، وإطعامها طعاماً صناعياً ( عصارة أجنة الدجاج ومصل دم الخيول ) ، ثم بعلاج الخلايا الطبيعية النامية بعد ذلك بقليل من أحد مشتقات قطران الفحم ، وهو مادة اشتهرت بقدرتها على إحداث السرطان . فاكتسبت الخلايا المعالجة بعـد بضعة شهور قدرةً على إحداثه ، إذا وضعت تحت جلد حيوان من فصيلة الحيوان الذى أخـذت منه ، ولكنها عجزت عن إحداث السرطان فى غير فصيلتها . وقد دلتنا هذه التجربة على ما لأنواع السرطان المتباينة من خصائص ، كما دلتنا على أن تحول الخلايا الطبيعية إلى خلايا سرطانية يمكن أن يحدث فى الخلية ذاتها . ويبدو أن هذه التجربة قد أخرجت البكتريا وغيرها من الطفيليات من نطاق الأسباب المؤدية لهذا النوع من السرطان .

ويعتقـد الطبيبان جون بتنر وروبرت جرين من جامعة مينســوتا أن نوعاً بعينه من أنواع سرطان الفئران ، كان يحوى دائماً مادة تشـبه الفيروسات . وقد يكون لهذه المشاهدة يوماً ما قيمة عظيمة ، بيد أنك لا تجد حتى اليوم دليـــلا قاطعاً على أن للفيروسات علاقة بسرطان الإنسان .

وقد ألقت أبحاث الدكتور كلارنس ليتل كثيراً من الضوء على الدور الذى تقوم به الهرمونات فى تكـوين بعض الأورام السرطانية فى الأحشاء . فقد استأصل الغدد التناسلية من الفئران الوليدة ، فاستطاع أن يحدث اضطراباً بين العوامل التى تساعد على النمو ، فكانت العاقبة أن حدث السرطان فى إحدى الغدد الصمّ الباقية . وتدل مشاهدات الدكتور ليتل على أن حدوث بعض الأورام السرطانية فى الأحشاء قد يكون وثيق الصلة بجهاز النمو .

وعلى نقيض ذلك تستطيع أن تقف نمو بعض الأورام السرطانية فى الأحشاء البشرية ، بالتحكم فى توازن الهرمونات التى فى الجسم . وقد بين الدكتور تشارلس هجنز من جامعة شيكاغو أن إعطاء هرمونات الإناث التناسلية للمصابين بسرطان البروستاتا من

الرجال ، يؤدى إلى ضمور هذا السرطان .

واستطاع الدكتور ماكس كتلو ، مدير معهد الأروام بشيكاغو ، أن يزيد من قوة الراديوم والأشعة السينية على كفاح السرطان بطريقة تدعى طريقة العلاج المركز بالإشعاع . وقد عالج بها أكثر من ٢٠٠ مريض بسرطان الحنجرة فى دوره المبكر ، فكانت العواقب محمودة ، ولكن هذه الطريقة لا يحسنها إلا المهرة من الأطباء الذين طال تدربهم عليها .

وقد بين الدكتور كورنيليوس رودز ومعاونوه فى المستشفى التذكارى بنيويورك ، أن ثمة اضطرابات جوهرية فى التمثيل الغذائى توجد فى مرضى السرطان . واتضح من بعض الأبحاث الكيميائية الحيوية الدقيقة أن سرطان المعدة يصحبه شذوذ فى الكبد والغدد الكظرية : كثرة فى سكر الدم وقلة فى مواده الزلالية وفى ڤيتامين ا . وقد تؤدى هذه الأبحاث إلى السيطرة على نمو سرطان المعدة بالكيمياء ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يقول إنها تؤدى إلى حل لمشكلة السرطان فى سائر الأحشاء ، لأن الأنسجة يختلف بعضها عن بعض فى وظائفها وتركيبها الكيميائى .

وعلينا الآن أن نستكشف أسباب السرطان فى شتى الأحشاء عضواً عضواً ، وليس هذا بيسير ، ولكنه ليس بالمستحيل . ولكى يكتب النصر لنا فى هذه الحرب يجب أن نتوسل بثلاثة أشياء : الوقت والمال والذكاء . فبالمال نستطيع أن نعلم الناس كيف يترددون علينا كل ستة أشهر — مرضى أو أصحاء — لاستكشاف السرطان الكامن . ولو فعل كل امرىء ذلك لاستطعنا بما فى أيدينا اليوم من وسائل أن ننقذ ثلث من يهددهم السرطان بالموت على الأقل .

ولكنا فى حاجة إلى كثير من المستشفيات والمعامل ، وكثير من الآلات العجيبة الحديثة كالمجهر الكهيربى والمطياف الرسام الذى يبين وزن الأشياء التى تفحص به ، ونستطيع أن نتوسع فى استعمال النظائر الذرية التى تنطوى على كثير من الاحتمالات الباهرة . وتذكر أننا فى ارتياد خلايا السرطان إنما نحاول أن نرفع القناع عن لغز الحياة الذى أضل أسلافنا جميعاً . وهذه المخترعات الجديدة هى أملنا الوحيد فى النجاح .



سئل رجل لم لا تثور أعصابه أبداً مهما يكن ما يلقاه من الكريهة فقال : « المسألة مسألة بيئة وعادة . فأنا متزوج ، وعندى خمسة أولاد وكلبان ، وأيضاً قداحة للسجاير ! »

[ صحيفة « بوسطن جلوب » ]

قد يكون الغضب أو الهم أو الخوف أو الفرح أيضاً مجلبة للخطر .

# اضطراب العواطف قد يهلك

جيمس بين

مختصرة من مجلة " فيوتشر "

في سنة ١٩٤٠ وهى آخر سنة قبل فرض قيود الحرب على قيادة السيارات ، قتل فى الولايات المتحدة ما يقرب ٤٠٫٠٠٠ شخص ، وجرح ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ، وتحطمت ١٫٠٠٠٫٠٠٠ سيارة . ويتوقع الخبراء بحركة المرور أن سيكون عدد تلك الحوادث أكثر وأسوأ فى سنة ١٩٤٦ .

و ٩٨ فى المئة من السائقين أصحاب الحوادث فى سنة ١٩٤٠ كانوا من مهرة السائقين ، ووقعت حوادثهم فى الأغلب والجوّ صافٍ والطرق جافة . فما الذى كان يدفعهم إلى تجاوز حدّ السرعة المقررة ، أو إلى عبور التلال ومنعرجات السبل ، أو إلى اقتحام إشارة الضوء الناهية عن المرور ، أو إلى العدوان على حقّ الطريق لسائق آخر ، أو إلى مسابقة القطارات عند مفترق الطرق ، أو إلى تحدّى الموت بأساليب مختلفة أخرى ؟

ويعتقد الدكتور هربرت ستاك ، مدير معهد قيادة السيارات ، أن معظم حوادث القيادة المهلكة ينشأ من قلق يساور نفس السائق ، فإن قيادة من يساوره انفعال شديد ، كالخوف أو الهم أو الغضب ، وبيلة العاقبة .

ويذهب علماء النفس إلى أبعد من ذلك إذ يعتقدون أن الحوادث تقع لكثير من السائقين لأنهم يتعمّدونها تعمداً وهم لا يشعرون . « فالحوادث » فى الواقع محاولات يحاولها المرء وهو لا يشعر ، لكى يقتل نفسه أو يقتل غيره . فهذه السيدة (س) مثلا كان من عادتها أن تقود بحذر بالغ ، ولم تقع لها حادثة قط ، فانطلقت ذات صباح إلى المدينة لتستشير محاميها فى أمر طلاقها ، فلما غادرت مكتبه ، غادرته باكية مبلبلة النفس ، وكان عليها وهى فى طريقها إلى بيتها أن تجتاز قضيب سكة حديدية . ولقد اجتازت هذا الطريق مئات من المرات ، وكانت تعرف مواعيد القطارات ، وكانت القضبان واضحة تمام الوضوح ، وأطلق سائق القطار صفارة الإنذار ، ومع ذلك فقد اندفعت السيدة مارة أمام القطار مباشرة ، ثم حاولت فى اللحظة الأخيرة بجنون أن تفلت منه ، ولكنه أودى بحياتها على المكان . فالهمّ إذن مهلكة للسائق .

أما الغضب فيورث الحماقة : مثال ذلك

أن جريجورى تشاجر هو وزوجته ذات صباح ، فلما غادر منزله صفق الباب بعنف ووثب إلى سيارته ، وجعل يزمجر وهو منطلق بها إلى الطريق ، فاصطدم بسيارة نقل . وقد نجم عن ذلك خسارة بلغ قدرها ٤١٥ ريالاً ، ولزم فراشه أسبوعاً ، وكاد ذلك يودى بحياته . ولقد كان جريجورى سائقاً بارعاً ، وكان الجو صحواً ، وكان يعلم أن السور يحجب عنه الطريق ، فعلى رغم ذلك كله اندفع بسيارته لشدة ما غضب ، ولو أنه انتظر خمس دقائق حتى تنطفىء نار غضبه لما وقع له هذا الحادث .

وهذا بيرت خرج هو وزوجته وابنته بسيارته بعد ظهر يوم أحد ، فلما قفلوا راجعين إلى المدينة كان الطريق غاصاً بالسيارات ، وكان بيرت حينئذ منهوكا آذاه الحر ، فلمح ثغرة من السيارات الزاحفة إلى مرتفع فى بعض الطريق ، فسولت له نفسه أن يفلت من بين السيارات ، وألح ذلك عليه حتى أعمى بصره عن سيارة مقبلة من الناحية الأخرى للمنحنى ، فما كاد يندفع بسيارته حتى أطبقت عليها سيارة نقل كبيرة ، فوقع بينها وبين السيارة التى كان يريد أن يسبقها ، فلقى هو وابنته حتفهما لساعتهما ، وجرحت زوجته جرحاً بالغاً .

وهذا الفتى فيليب ، قال له الطبيب يوم الاثنين إنه مصاب بالسرطان ، فوقع له حادث فى يوم الثلاثاء ، وفى يوم الخميس وقعت له حادثتان ، ولم يكن قد وقع له حادث قط قبل ذلك . لقد تسلط عليه الخوف من جراء ما عرف من خبر مرضه ، حتى لم يعد صالحاً لقيادة السيارات .

ومن المتعذر أن نتصور أن يكون الفرح وبالاً على المرء ، ولكن ذلك يحدث أحياناً . فقد كان جرادى فى طريقه إلى منزله فى الساعة الثامنة صباحاً ، وهو يكاد يطير فرحاً لأن صاحبته رضيت به زوجاً . وكان يعلم أنه يسير بسرعة هائلة ، ولكنه كان يحس فى نفسه بأنه يريد أن يسرع ، بل يحس بأنه يريد أن يطير . ولعله كان يسير بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة حين صدم عربة اللبن ، فمات السائق ولم يصب جرادى بسوء ، ولكن لاريب فى أنه إذا تذكر ليلة خطبته فلن يتذكرها بسرور خالص من الشوائب .

والعواطف إذا ثارت جاءت عواقبها المهلكة على صور شتى ، فأول ذلك أنها تشد العضلات شداً ، وتدخل الاضطراب فى قدرة المرء على التوازن . والثانية أنها تجهد البدن إجهاداً سريعاً حتى يجد المرء نفسه بعد دقائق من الخوف كأنما قضى يوماً مرهقاً فى العمل ، وأخطر ما يكون الإجهاد إذا توليت قيادة سيارتك ليلاً .

والثالثة أن ثورة العواطف إذا قويت مزقت ما في طبيعتك من الحذر والاحتراس، فالغاضب يجازف لأنه عندئذ لا يبالى بشىء ، والذى يستولى عليه الخوف لا يدرك أنه يخاطر بنفسه . ومن استحوذ عليه الهم كانت قيادته مفضية به إلى الخطر ، لأن الحزن يجثم على سمعه وبصره . أما الذى يستطيره الفرح فهو كالشارب الثمل ، يخيل إليه أنه بمنجاة من كل سوء .

وليس فى وسع المرء ولا شك أن يكفّ عواطفه عن العمل ، ولكن يدخل فى طاقته أن يتعلم كيف يفعل إذ أحس بأن عواطفه قد بدأت تتحرك . فإذا أثار غضبك شىء وأنت تقود السيارة ، فقف ثم امش على رجليك ، أو اضرب مقعدك حتى تشفى غليلك ، أو اقذف عمود التلفون بالحجارة حتى تهدأ نفسك ، ولكن احذر أن يحملك الغضب على الولوج بسيارتك فى ثغرة ضيقة فى منعرج لا تعرف ماوراءه . وسر ببطء إذا ما اعتراك خوف . وإذا كنت قد تفاديت لساعتك حادثاً ولما تكد، فانثن عن الطريق وقف حتى تهدأ نفسك . وإذا استولى عليك الحزن فتذكر أن الحزن يضعف قدرتك على الإبصار ويوهن قدرتك على السمع ، ولا تخجل من المبالغة فى الحذر عند مفارق الطرق أو فى أى مكان تشمّ من قبله رائحة خطر.

وإذا سرّك أن تُبْقِى على نفسك وعلى الناس ، فاتبع هذه القاعدة الجديدة فى المرور : « إذا ثارت عواطفك فاضطربت ، فضاعف حذرك واحتراسك » .



## رهينة البيت !

ذهب عروسان أمريكيان إلى سان باولو فى البرازيل ، فنزلا فى شقة مفروشة فى بيت تتخذ الشقق فيه كالحجرات فى الفندق . وفى أحد الأيام كلمت السيدة بالتلفون مدير البيت ، لكى يرسل إليها خادماً معه مفتاح يفتح باب شقتها ، فقد ذهب زوجها إلى المكتب وأوصد الباب وأخذ معه خطأ مفتاحه ومفتاحها كليهما ، فهى عاجزة عن الخروج . ومضى نصف ساعة ثم كلمته بالتلفون مرة أخرى وتوسلت إليه أن يفعل ما طلبت . وقد كررت طلبها مراراً خلال ساعتين ولا مجيب ، فكلمت زوجها بالتلفون فى مكتبه فهرع إليها، وما كاد يدخل البيت حتى لقى المدير، فعنّفه طالباً منه أن يبين له لم فعل ما فعل.

فقال المدير غير آبه : « الشأن شأن السنيور . فإذا أراد السنيور أن يحبس زوجته فى الشقة ، فستظل حبيسة فيها حتى يطلق سراحها بنفسه » .

[هوارد كاسبل]

امرأة ثابتة الجنان قهرت براري فسيحة وصارت أم ولاية بأسرها .

# رائدة الروّاد وأخت الرجال



أرين آرنولد

مختصرة من مجلة "أريزونا"

في صبيحة يوم من سنة ١٩٢٩ نزلت طائرةٌ خطأً قرب بيت مزرعةٍ خارج مدينة فينكس بولاية أريزونا ، فرأتها سيدة نحيلة عجوز ، كانت قد خرجت من بيتها دون أن توقظ أهلها لكي تتعهد مهراً وليداً . وكانت حافية القدمين ، وعليها ثوب حمام رثٌّ بال يكشف عن تطريز القميص الذي تلبسهُ للنوم ، ولكنها زحفت تحت سلك شائك ممدود وهرعت إلى قائد الطائرة المتحيّر .

فحيته وقالت متلهفة : « أمن الممكن أن يطير المرء في هذا الشيء ؟ لو تمّ لي ذلك لكان احتفالا عظيماً . فهذا يوم ميلادي الثالث والثمانون » .

ونظر في وجهها الذي غضّنته صروف الأيام ، فرأى شعرها أبيض كالثلج منفوشاً قصيراً كشعر الصغار ، ولكنه رأى ببصيرته النار التي لا تزال تضطرم في جوانحها ، وقال : « أنا أعلم الآن أين نزلت . فهذه دار جراي ، وأنت أدالين جراي ولا ريب » .

وكذلك تمّ لهذه السيدة ، التي أقدمت يوم زواجها على أن تركب عربة مقفلة لتقطع بها ألفي ميل إلى الغرب ، أن تطير أول مرة في حياتها وآخر مرة فوق وادي الشمس في ولاية أريزونا . فهذا احتفال في محله . لقد نظرت من علٍ إلى هذه الواحة الغنية التي كانت بين روّادها الأوائل . فهذا نصف مليون فدان من الأرض الصالحة للزراعة قد نزعت من براثن الصحراء ، وهذا واديها الذي تحفُّ به جبالٌ حمرٌ وأرجوانية ، تراهُ زاخراً بالحبوب والثمار .

وقد رأت النهر كأنه خيط هبط على البسيطة من السماء ، والترع التي يبلغ طولها ٥٠٠٠ ميل ، كأنها مشبك من حبال الفضة ، أما الدور الملتمعة على البساط السندسي فهي المدن . فمدينة فينكس التي أنشأتها وحكمتها

بيد من حديد منذ أربعين عاماً ، قد صارت مدينة نادرة الجمال . ثم نزلت من الطائرة متهللة كأنها طفل فى العاشرة .

وستظلّ « العمّة أدالين » فى نظرى رمزاً لجهاد الروّاد وما صنعوا ، فقد كانت الصلة الأخيرة بين عهدنا وذلك العهد الذى اصطلحت فيه أحلام الروّاد البواسل وجرأتهم على فتح قارة . وهذه السيدة لم تقنع بأن تنشىء بيتاً لأسرتها ، فقد كانت عاقراً ، ولكنها صارت أمّ ولاية بأسرها .

كان معظم سكان أريزونا من الهنود والحيوانات المستوحشة حين نزلت بأرضها ، فلما شرع الرجال يكشفون الأرض لكى ينشئوا قرية فينكس فى سنة ١٨٧٠ وقفت فى جمع منهم وقالت : « ينبغى أن تكون المدرسة أول بناءٍ عامّ تشيّدونه ، ثم جيئوا بمعلم فطن وادفعوا له مرتباً حسناً » .

كانت عروساً يومئذ ، ولكنها صنعت ما جعل الرجال الروّاد يقدّرون رأيها حقّ قدره . فعيّنوا مدرساً ، وجعلوا مرتبه مئة ريال فى الشهر ، يوم كان مرتب معظم المعلمين لا يزيد على ١٥ ريالا إلى ٤٠ ريالا .

وظلت خلال عقدين من الزمن بين ١٨٧٠ و ١٨٩٠ تمتطى صهوة جوادها وتنطلق للتفتيش ، فإذا بلغت مدرسة مبنية بالطين ، سألت : « هل حطب النار قليل ؟ وهل بليت كتب التهجئة وصارت رثة ؟ وهل المعلم ضعيف ؟ » ولا تزال مطالبتها بأعلى درجات الكفاية سنّةً متبعة ، وترى مدارس فينكس اليوم بين خير مدارس الأمة .

فلما تمّ سقفُ المدرسة الأولى جمعت الناس من حولها للدعاء والصلاة ، فقال أحدهم ليس فينا إمام واعظ فردت :

« ولكن كل من فى الوادى يستطيع أن يدعو الله » .

ويوم أخذ اللصوص والمقامرون والسفاحون يفدون على بلدة فينكس الزاخرة بالرخاء ، انطلقت أدالين جراى تعمل . فقد حاول لصٌّ فى ذات ليلة أن يسرق أحد جيادها ، فابتدرت البندقية ، ورمته برصاصها على مسافة ٢٠٠ ذراع فى ضوء القمر فأردته ، ثم عالجت جرحه ، وأطعمتهُ ، ودلته على الطريق . وقالت بلهجة الآمر : « اذهب ، وإذا رأيتك مرة أخرى فى أريزونا فسأرميك ولن أعالجك يومئذٍ » .

وفى ذلك الأسبوع سرق مال رجلين من الفلاحين وقتلا ، فلم يُعْنَ أحد بالأمر ، فدعت أدالين عشرة من رؤوس القوم وقالت لهم وهى تتحداهم : « ألا تجدون أيها الرجال شجاعة تدفعكم إلى تطهير البلد ؟ أتريدوننا نحن النساء أن نتسلم الزمام بأيدينا فى هذا الوادى ؟ »

فركبهم الجزىُ ، فهمّوا وألقوا القبض على خمسين من الخارجين على القانون ، وعرفوا الرجلين اللذين قتلا الفلاحين ، فشنقوهما على شجرة . وجيء بسائر المجرمين إلى حيث علقت الجثتان ، فالتمس كلٌّ منهم الرحمة ، فأعطوهم زاداً وماءً وأمروهم أن لا يكفّوا عن العَدْوِ حتى يعبروا حدود الولاية ويفارقوها .

نشأت أدالين فى خفض من العيش فى مزرعةٍ قبل نشوب الحرب الأهليـة الأمريكية، فلما وضعت تلك الحرب أوزارها كان الدمار قد لحق بالمزرعة ، وصارت الولايات الجنوبيـة جميعاً كئيبة مقطوعة الرجاء . وكانت أدالين نوريس يومئذٍ فى التاسعة عشرة من عمرها .

وجاء يزورها ذات يوم صديق قديم يدعى هاريسون جراى ، بعد أن عزم أن ينطلق غرباً نحو كاليفورنيا ، فهمس فى أذنها : « ما أجملك وما أعظم كبرياءك ! كل شيء فى الغرب صافٍ حافلٌ بالأمل والرجاء ، وفى وسعى أن أجمع بعض البغال . . . وعربةً . . . لو . . . »

ومضت بهما العربة فى قافلةٍ انفصلا عنها بعد أن دخلت وادى الشمس سنة ١٨٦٨ ، وكان جراى قد سمع عن الثروة المعدنية فى أريزونا ، فأراد أن يبحث ، ولكن أدالين التى نشأت فى مزرعة قالت : « إن التربة أوفر ذهباً من الجبال . ثم انظر إلى هذه الترع القديمة المهجورة — إن سكان هذه الأرض كانوا ، ولا ريب ، يروون مئات من الأفدنة هنا » .

والحقيقة أن القدامى كانوا يروون ألوفاً من الأفدنة ، وهذه ترعهم التى طال عليها الجفاف تبلغ سعتها ٣٠ قدماً ، وعمقها ست أقدام ، وتمتدُّ مسافة عشرين ميلا من النهر — نهر سولت . ويوم عاد جراى مخفقاً من رحلة رحلها ليبحث عن الذهب ، كانت الخضر التى زرعتها أدالين قد صارت دانية القطوف ، فربط جراى بغالهُ إلى محراث وشرع يعمل .

كان قد سبقهما إلى الوادى رجل عَزَب مغامر يدعى جاك سويلنج ، وكان يعيش فى كوخ من عشب ، وكان كسولاً يدمن الخمر ، ولكنه تبين ما يبشر به ريٌّ هذه الأرض . فتعاونا معه على تطهير ترعة قديمة . وكان جاك لا يعمل فى تطهير الترعة إلا قليلا ، ولكنه كان يذهب إلى الصيد فيعود بالأيايل والسمانى والحمام ، وكان يعزف على القيثار .

وكذلك تعاونت بغال جراى وبندقية سويلنج وقيثارهُ على تحويل ماءِ ذلك النهر إلى مزارع ناضرة .

وقد سخر منهم المارّة أولا ، ثم بدأوا يعنون بما يفعلون ، فصاروا يحطون رحالهم هناك . فما مضت سنة حتى راجت البلدة وعظم شأنها ، وفى نهاية السنة الثانية كان فيها مطحنة ومدرسة وكنيسة وحانتان وحدّادٌ وحانوتيٌّ وفندق ومتجران وجزّار .

وذهبت أدالين إلى الجزار فحملته على أن يستأجر غلاماً هنديًّا ليذُبّ الذباب عن اللحم بمروحة ، وتواضعوا على أن يأخذ كل منهم بيده ما يريد من اللحم . فكان الجزار يعلق اللحم أمام داره ويغرز فيه سكيناً ، فإذا جاء رجل يطلب لحماً اقتطع بيده ما أراد ، ثم يصيح بالجزار من الباب : « قيّد على ثمن سبعة أرطال » .

وقد أعدت مئات من الأفدنة للزرع بمجرد تحويل الماء من الجبال إلى الأرض الظامئة ، فحسنت حال السكان ، وآن الأوان لكى يطلقوا اسماً على قريتهم . وإذا أحدهم ، وهو إنجليزى مثقف يخطبهم فيقول : « جاء فى الأساطير أن طائر الفينكس نهض من رماده ، ومن رماد الحضارة البائدة فى هذه الأرض ستنهض مدينة عظيمة ، فقد كفل هذا الوادى فى الزمان الغابر عيش ألوف من الناس ، وسيكفله مرة أخرى . فليكن اسم المدينة فينكس » .

فقال أحد الفلاحين : « هذا هراء » .

فقالت أدالين آمرة : « اسكت ، إنه على حقّ ، وأنا مستعدة أن أراهن بكيس من البطاطس على أن سوف يمتدُّ بى أجلى حتى أرى سكانها عشرة آلاف نسمة » .

ويوم حلقت أدالين بالطائرة ، كان سكان فينكس مئة ألف وعشرة آلاف نسمة ، وهم اليوم نحو ٢٠٠ ألف نسمة .

وقد حدث ذات ليلة ، وكان زوجها غائباً فى سفر ، أن جاءت عصابة من الهنود الحمر لتسرق بغالها ، وكان إسطبلها حجرة طويلة مبنية بالطوب ، وسطحها مسطحاً تحفّ به جدران كجدران الحصون . فظلت من الساعة العاشرة مساء إلى أن أسفر الصبح جالسة وبندقيتها فى يدها .

قالت : « وكنت أرمى أحدهم فى ناحية ، ثم أرمى الآخر فى ناحية أخرى . ولم أدر كم قتلت منهم ، فقد كانوا يحملون قتلاهم وجرحاهم ويذهبون بهم . فلما عاد زوجى كانت البغال جميعها حيث تركها » .

ثم شرع الفتيان من الهنود يفدون على المدينة من أجل التجارة وهم عراة إلا مما يستر العورة ، فساء ذلك النساء البيض ، فجعلت أدالين تزور كل بيت وتأخذ منه ضريبة : سراويل قديمة . ثم دعت فتاة من الهنود لتترجم لها ، فقالت :

« قولى لفتيان الهنود الحمر إنه إذا سرّهم أن تظلّ جلودهم سليمة لم يمزقها الرصاص ، فخيرٌ لهم أن يستروها ساعة يسيرون فى شوارعنا » .

وقد علقت السراويلات على شجرة عند حدود المدينة ، فصار الهنود العراة يقفون عندها وهم فى طريقهم إلى المدينة ، فيلبسونها ثم يخلعونها ويعلقونها على الشجرة بعد انصرافهم .

وباع جراى ذات يوم منجماً له بستين ألف ريال قبضها نقداً ، فحملتهُ أدالين على أن يبنى لها بيتاً فخماً باللبن الأحمر من طابقين ، وجعل ارتفاع حجره ١٤ قدماً ، وكان يضمُّ سبع حجرات للنوم ، غطيت جدرانها بخشب البلوط الفاخر ، وركّب فى الكُوى التى فوق النوافذ والأبواب زجاجاً ملوّناً ، وأنشأ فى الأرض التى تحيط بالبيت بركة للسباحة وأخرى للزوارق ، وزرع نخيلا باسقاً وبساتين من ورد ، وبسط بسطاً من الحشائش السندسية لشتى الألعاب ، وبنى إسطبلات وجاء لها بجياد كريمة .

فكان كلُّ هذا توطئة لفنادق أريزونا الفخمة الحديثة التى تتقاضى ٦٥ ريالا فى اليوم . ولكن « العمة أدالين » كانت مضيافة ، وكانت تعلم أن الروّاد يتوقون إلى مناعم الحضارة ، فعزمت على أن تتيحها لهم ، فصار بيتها مَثابةً لحياتهم الاجتماعية والسياسية .

وقد تزوج فى هذا البيت مئات ، فلا يأخذك العجب حين ترى فى أريزونا مئات من الفتيات والنسوة تسمين باسمها . وقد عمدت الفتاة الهندية التى ترجمت لها يوم إنذار العراة ، إلى إطلاق اسم أدالين على ابنتها . وقد سميت به أيضاً حفيدتها وابنة حفيدتها ، ذلك بأنه يوم دنا ولاد الهندية أخذتها العمة أدالين فى بيتها ووضعتها فى سرير بين ملاءتين من أنصع الكتان بياضاً ، ثم استقبلت طفلتها بيديها . وقد أرسل حاكم المقاطعة مرةً فتاة حاملاً فقطعت مسافة ٢٤٠ ميلا حتى تلد فى بيت أدالين ، « لأن ذلك سيكون مفخرة لها فى قابل الأيام » .

قالت : « وقد أتت علينا أيامٌ كان عدد ضيوفنا أربعين أو خمسين ، وكنا نغتبط بذلك ، فإذا ما امتلأت أسرّتنا كان بعض الرجال ينامون فى الشرفة أو فى فناء البيت ، وكانوا يجيئون ومعهم لحم الجاموس والغزال والديكة الرومية ، وكنا نعالج مرضانا وندفن موتانا ، ونجمع بين الأحباب فى حفلات كبيرة حتى نعينهم على الزواج . وكان الحكام ورجال المجلس النيابى وصغار الساسة المغفلين يرسمون خططهم حول مائدتنا . وكان

رعاة البقر وعمال المناجم وصيادو الحيوان والجنود، يجلسون ساعات متواصلة ينظرون في داخل البيت ، وكنت أراهم يلمسون قطعة من الكتان المطرز كأنها توشك أن تتحطم من مسهم، أو يأخذون بأيديهم كتاباً كأنه سفرٌ مقدّس . وكنت أعزف لهم وكانت عيونهم تلتمع كأنها عيون النمور . وقد دنا منى مرة رجل ذو لحيـة كثة من رجال الجبال ليشكر لى ضيافتى ، فقال متلعثماً : « مسزجراى ، يسرّنى أن أخلع من ثروتى حتى أظفر منك بشمّة » .

وأنا أقدّر شعورهُ فقد وجدها طيّبة الشّذا فى خصالها وأخلاقها ، كما وجدتها أنا بعد نصف قرن من الزمان .

ويوم شيّخت صار الجميع يدعونها : « العمّة أدالين » ، وكانت تجلس فى كرسيها ساعات متوالية شاخصة إلى الأفق البعيد . فقد بدأت ناطحات السحاب تشيد حيث حملت أدالين الرجال الأوائل على بناء المدرسة الأولى . ولا ريب فى أنها كانت تستعيد الماضى فتعيش فيه كما يفعل كثيرون من الشيوخ . وقد تجرأت على أن أسألها ذات يوم : « فيم تفكرين ؟ »

فردّت على الفور : « أفكر فى أمر هذا الماء . فنحن ننتفع اليـوم بكل ماء نهر سولت ، ولكنّ نهر كولورادو أعظم وأوفر ماء ، وأنا أراهن على أنهُ فى وسعنا أن نشق ترعة يجرى فيها ماء الكولورادو إلى أرض وادينا ، فالناس فى حاجة إلى قدر أوفر من الخضر ، ولو كانت لى قوتى الماضية . . . » .

أهى تستعيد الماضى لتعيش فيه ! كلاّ فقد كانت ترود آفاق المستقبل ، حتى يوم كانت فى الثمانين من عمرها . وهذه صحيفة ملقاة أمامى ، فأقرأ فيها عنواناً : « ستضاعف مساحة أرض الوادى الصالحة للزراعة بريها من ماء نهر كولورادو » ، فقد تحقق حلم أدالين الثانى فى بسط ظلال العمران .

ويوم مات زوجها نسيت العمة أدالين حزنها فيما أخذته على عاتقها من واجبات ، وهذه هى الطريقة التى لا طريقة غيرها لنسيان الحزن . وقد كانت تحبُّ الناس ، ولا سيما « الأشرار » الذين كانوا أعظم الناس حاجة إلى الحبّ .

وقد جرّبت أن تشفى سويلنج من إدمانه الخمر والمخدرات ، ومرضته فى بيتها . وهذه المرأة التى كانت لا تحبُّ الهنـود جماعة واحدةً ، كانت تحبهم أفراداً أفراداً . ويوم سرقت إحدى الهنديات ثوباً من متجر فى فينكس ، مضت إليها أدالين على جواد وقطعت مسافة ٣٢ ميلاً ، وزارتها فى كوخها ، وحملتها على أن تعيد الثوب المسروق ، ثم

أهدت إليها ثوبين جديدين وحذاءين أيضاً.

وفي يوم من أيام سنة ١٩١٥ دنا منها في بستان وردها راعٍ وفي يده قبعتهُ ، ولبث ساعة طويلة يحدق ، ثم قال : «اسمي لا يهمّ يا سيدتي ، ولكنَّ أبي جاء بي إلى هنا سنة ١٨٨٥ بعد أن ماتت أمي ، وقد حملتني أنت في حضنك وكلمتني ذات صباح . وهذا شيء لم يقع لي ، لا قبل ذلك ولا بعده ، وقد ألحت عليّ رغبتي في أن أجيء لأزورك » .

كان قد اقتصد مئة ريال فأهداها إليها ، فقبلتها وقالت : « متى أراد امرؤ أن يوفي ديناً من ديون القلب ، فدعهُ يفعل ، فقد كان الراعي في حاجة إلى أن يعطيني ، وكنت أنا في حاجة إلى أن أنال شكرانهُ ، فأحسسنا كلانا بالحرية والرضى » .

وقد ماتت أدالين منذ عشر سنوات ، فقيرةً معدمة لكثرة ما بذلت من مالها ، كما بذلت من عطفها وذكائها ، ولكنها ماتت غنية بنفسها ، وقد قالت لي في آخر كلماتها التي أضنّ بها كأنها كنز :

« اسمع يا بنيَّ ، إن السبيل الوحيد المفضي إلى السعادة ، هو أن تجيل نظرك في الناس بغير أن تنظر إلى ثيابهم أو ظاهر أعمالهم ، بل انفذ ببصرك إلى باطنهم وغَيْب قلوبهم ، ويومئذ ترى أنه في وسعك أن تحب كل امرىء منهم كما تحب نفسك » .

## نهجٌ عربيٌّ للحياة

قيل لخالد بن صفوان : مالك لاتنفق فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه . قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؟ قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

قال رجل لعمرو بن عبيد : إني لأرحمك مما تقول الناس . قال : أفتسمعني أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا ؟ قال : إياهم فارْحم .

قال الأصمعي : رأيت أعرابياً قد أتت له مئة وعشرون سنة ، فقلت له : ما أطول عمرك ! فقال تركت الحسد فبقيت .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أخٌ لك كلما لقيك أخبرك بعيب فيك ، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً .

# ولادة الحيوان وأولاده

ريموند دتمارز

مختصرة من مجلة "التاريخ الطبيعي"

تضع الحيـــوانات أولادَها وتتعهّـدها بأساليب مختلفة متباينة، حتى يخيل للمرء أحياناً أن الطبيعة تأتى ما تأتى على غير هُـدًى وبغير عقل. أفرأيت إلى ولد الجاموس وولد الغزلان كيف ينزل من بطن أمه ساعياً على قوائمه، على حين ترى ولد الدببة والسباع تولد عمياء عاجزة كل العجز عن الحركة؟ أفيكون عفواً واتفاقاً أم تقديراً وتدبيراً أن يتمّ نموُّ جنين الفيل فى ٢١ شهراً وأن يتم نموّ الفأر فى ٢١ يوماً؟ أو أن ترى أنثى عجل البحر التى يبلغ وزنها ١٠٠ رطل تضع جنيناً وزنه ٢٠ رطلا، على حين ترى أنثى القَـنْـقَـر التى هى أضخم منها تضع جنيناً هو أضأل من خنصرك؟

دخلت ذات مرّة حديقة الحيوان فوقف بى الحارس على وَبْرٍ لم يمض على ولادته أسبوع، (والوَبْر حيوان كالأرنب الهندى)، فإذا هذا الصغير يبلغ ربع أمه فى الجسم، وإذا هو متوقّـد يتوثب هنا وهنا. فانصفق الباب فقفزت أمه إلى مكان يعلو على الأرض متراً، وإذا صغيرها قد فعل كما فعلت. ورأيت بالقرب منهُ أنثى قَـنْـقَر فى مثل ارتفاع قامة الإنسان، وقد أطلّ من الجراب الذى عند بطنها رأسُ وليدها الذى صار عمره أربعة أشهر ولم يزل عاجزاً عن الحركة. كان طول هذا الوليد حين وضعته بوصة واحدة، وكان وزنه جزءًا من ثلاثة آلاف جزءٍ من وزن أمه، فما أبعد الفرق بينه وبين ولد ذلك الوَبْر!

وذوات الحافر والظلف لا تلد صغاراً عجزة، ولا صغاراً عمياناً، وبعضها تضع أولادها فتمشى لساعتهـا، أما آكلة اللحم فالأصل فى أمر أولادها أن تولد عاجزة كل العجز عن الحركة. وأنثى الدبّ التى يبلغ وزنهـا ٣٠٠ رطل تلد فى البطن من وليد واحد إلى أربعة، كلها أعمى أمرط لا شعر عليه كأنه قطعة لحم لا تزيد فى حجمها عن مواليد القطط.

وقد يظن المرء أنه كلما كان الحيوان أضخم كانت مدة تمام نموّ صغاره أطول، فولد الفيل مثلا تحمله أمه جنيناً نحو سنتين، وهى أطول مدة فى ذوات الثدى، ويكون وزنه حين يولد ما بين ١٥٠ رطلا إلى ٢٠٠ رطل، على حين أن وزن أمه يبلغ

٨٠٠ رطل ، ثم لا تفطمه إلا بعد الثالثة أو الرابعة ، ولا يبلغ الحلم إلا بعد الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة . بيد أنك ترى الحوت وهو أضخم ذوات الثدى جثة ويبلغ وزنه ٤٠ طناً ، تحمل أنثاه جنينها زمناً لا يزيد عن سنة ، ومع ذلك فوزنه حين يولد يزيد عن سبعة أطنان ، ويبلغ غاية نموّه فى زمن لا يتجاوز خمس سنوات .

والخفاش ( الوطواط ) ، وهو من ذوات الثدى القادرة على الطيران ، فإناثه أمهات شديدة الرعاية لصغارها ، تراها تضمّ أجنحتها على فلذات أكبادها عند أقل ما يروعها ، وكثيراً ما تحملها وتطير بها ليلاً فى مسابحها . ولم أرَ من الوطاويط مصّاصة الدم التى تعيش فى خط الاستواء ، ولا فى الوطاويط الضخمة التى تقطن أمريكا الجنوبية أنثى تلد أكثر من ولد واحد . وترى الوليد متعلقاً بصدر أمه حين يكون صغيراً ، فإذا كبر رأيته متعلقاً بجنبها قريباً من جناحى أمه لكى يحمياه عند المخافة . وكان عندى وطاويط ضخمة بلغت تمام نموّها بعد خمسة أشهر ، وبلغ امتداد جناحيها إذا بسطتهما نحو قدمين . وهناك ضرب آخر من الخفافيش تضع ما بين ولدين إلى أربعة أولاد ، ومن أعجب العجب أن ترى إحدى إناث الخفافيش محلقة فى الجو قد تعلقت بها أربعة من صغارها ، يكاد مجموع وزنها يكون مثل وزن أمها .

والقوارض من الحيوان هى أقصر ذوات الثدى حملا — فالفئران والجرذان لا تزيد مدة حملها عن ٢١ يوماً . وصغار الفئران التى تولد عمياً مُمرطاً لا شعر عليها تدلّ على أثر هذا القصر فى مدة الحمل . أما الأرانب الهندية فهى على نقيضها ، إذ تحمل أجنتها فى بطونها نحو ٧٠ يوماً ، ثم تضعها وافرة الشعر صافية العيون ، فلا يمضى يوم أو نحوه حتى تراها وهى تعدو خلف أمهاتها .

والشَّيهم (وهو حيوان كالقنفذ ولكنه من القوارض ) ، فهو يلد صغاره مفتحة العيون ، فلا تمضى أيام قلائل حتى يتم ظهور شوكها الذى تدفع به عن نفسها عادية كل عدوّ . والشيهم الكندى يضع صغاراً أكبر جثة من صغار الدببة ، وإن كان وزن الشيهم لا يزيد عن جزء من ثلاثين جزءاً من وزن الدبّ .

أما الحيوانات ذوات الجراب كالقنقر والأبسوم الأمريكى ، فلا تجد عنتاً فى الولادة ، فمدة حملها تبلغ ٤٠ يوماً أو أقل ، وما هو إلا أن تضع أجنتها التى لم يتم تمامها بعدُ وتنقلها إلى جرابها حيث تحضنها . وأما أنثى الأبسوم الأمريكى فتضع فى البطن الواحد ١٢ صغيراً ، فى وسعك أن تضعها

جميعاً فى تجويف ملعقـة فلا تضيق بها .

وأغرب الحيوان شأناً فى كل ذلك هو قنفذ النمل الذى يعيش فى أستراليا ، فهو حيوان من ذوات الأربع له شوك كأشواك الشيهم ، ولسان كلسان آكل النمل ، ومنقار كمنقار البط . وتضع أنثاه بيضة أو بيضتين عليهما غشاء كالجلد الرقيق وتحضنهما فى جرابها . فإذا انفلقت البيضة عن الجنين الصغير المبهم الشكل الأمرط الذى لا شعر عليه ، أرضعته من لبنها !

أما حياة الطير وولادتها ففيها عجائب شتى . فأنثى الحجل التى تكون فى غانة الأمريكية تلقى بيضها ثم تطير عنه وتدعه للذكر يتولى حضانته، وذلك نحو ٥٦ يوماً ، والأغلب أنها تعود إلى ذكرها وهو قائم على تعهد صغاره التى لم يكتمل نموها ، فتلقى إليه ببيض آخر ، وتنيبه عنها فى أن يتولى العملين جميعاً — حضانة البيض ورعاية الصغار .

ويناقض هذا كل المناقضة ما ترى من سيرة الطائر المسمى بُوقير ، فإن أنثاه قبل أن تضع بيضتها أو بيضتيها ، تلتمس لنفسها نقرة فى جذع شجرة ، فيأتى الذكر فيطوى جوانبها بالطين حتى لا يدع من فم النقرة إلا كوّة ضيقة تتسع لعنق أنثاه الحبيسة حين يجلب إليها مؤونتها وطعامها .

أما أنثى طائر البطريق الذى يعيش فى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، فتضع بيضة واحدة ، ولما كانت هذه المنطقة خالية من كل ما يصلح لبناء عُش ، فإنها تحمل البيضة فى إحدى قائمتيها وتطوى عليها قبضتها ، فيمنع ذلك البيضة من أن تتجمد. فإذا خرجت تلتمس قوتها واقتضاها ذلك أن تبسط قبضتها وتضع البيضة ، فإن آداب طيور البطريق تفرض على أحدها أن يأخذ هذه البيضة ويتعهدها ، إلى أن يُضطرّ إلى الخروج فى طلب الرزق . وكذلك ترى بيض طيور البطريق أمانة متداولة بينهم جميعاً ذكوراً وإناثاً .

وإذا نظرت إلى صغار الطير رأيت أعدلها حضانة هو الطائر المسمى بأبى الحناء ، إذ يقضى فى حضانة بيضه ١٤ يوماً . وهذه السرعة فى التفريخ تأتى بعدها سرعة مثلها فى النمو ، فإن الفرخ يطير من عشه فى خلال أسبوعين ، ولا تمضى عليه سوى أيام قلائل حتى يبلغ تمام نموّه .

وأكثر الزواحف تضع بيضاً ، وإن كان بعض الحيات والعَظَاء ( السحالى ) يلد صغاراً تسعى . وليس من الزواحف شىء يتخذ لنفسه وكراً يبيض فيه سوى التمساح ، وبعض هذه الأوكار لا يزيد على نقرة يحفرها فى جوف الطين ، يضع فيها بيضه ويغطيه . أما التمساح الأمريكى فهو يتخذ لنفسه وكراً

حقيقياً حيث يضع بيضه بين القش والأعواد ويتركه حتى ينفلق عن صغاره بعد نحو من شهرين، من جراء الحرارة التي يولدها تحلل هذه الأعواد . وقد رأيت بعض إناث التماسيح الأمريكية رابضة قريباً من هذه الأوكار، ولكنها لم تبد ما يدل على أنها تحاول أن تطعم هذه الصغار . وجميع السلاحف والعظاء والحيات تخرج من بيضها أو تولد لساعتها ساعية كاسبة لنفسها .

والحيات التي تلد تكون مدة حملها أربعة أشهر أو خمسة . ومن نعم الله أن الحيات السامة التي تكون في شمال أمريكا ، كذوات الأجراس ، قلما تضع أكثر من اثنى عشر وليداً . أما الحيات غير السامة وحيات الماء فتضع نحو ٧٣ وليداً .

وقد رأيت أصلة من حيات الماء في ترنداد فإذا هي أعجب ماوقعت عليه عيني من ولادة الحيات ، فقد كان طول هذه الحية ١٨ قدماً وقطرها نحو ١٠ بوصات ووزنها ١٧٥ رطلا ، فأصبحت ذات يوم فإذا بقفصها يعج بنحو ٧٢ أصلة من أبنائها ، طول كل منها ياردة وقطرها نحو بوصتين .

أما حيوانات البر والبحر كالضفادع والعلاجم والسمندل ، فهي وإن كانت تضع عدداً كبيراً من البيض إلا أنها تهملها إهمالاً ، فما ينفلق منها إلا القليل .

فإذا نظرنا إلى الأسماك وجدنا بينها في الولادة فروقاً متباينة . فالسمكة ذات الذنب المحدد المعروفة باسم بنت الشمس والتي تكون في المحيطات ، طولها عشر أقدام ووزنها ١٢٠٠ رطل . ومنذ عهد قريب وجدوا سمكة من صغار أولادها في بحر سرجاسو ، فكان طولها عشر بوصة ، وينبغي أن يتضاعف وزنها ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة حتى تبلغ وزن أمها .

وأكثر الأسماك بيضاً سمك يقال له المشوق ، إذ تضع السمكة ٢٨,٠٠٠,٠٠٠ بيضة . أما السمكة المعروفة بالبقلة التي يستخرج منها زيت السمك فتضع ما بين ٦,٠٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بيضة ، وأما سمك السلمون وبيضه أكبر حجماً فهو يضع ١٥,٠٠٠ بيضة . وقد تجد في كيس صغير من البطارخ المستخرج من الصابوغة مابين ٢٥,٠٠٠ إلى ١٥٠,٠٠٠ بيضة ، بيد أن بعض السمك لا يضع أكثر من ١٠٠ بيضة حيث يتخذ لبيضه وكراً من الأعشاب تحميه من كل عاد . وبعض الأسماك يحتضن بيضه في أفواهه ، وبعضها يضع بيضه وينقله إلى جراب في بطن الذكر ، وبعضها لا يضع بيضاً بل يلد سمكاً صغاراً .

أما المخلوقات التي لا فقار لها فأعجبها إشفاقاً على صغارها هي العنكبوت . فالعنكبوت

المعروفة تحمل بيضها فى حقيبة من الحرير ، فإذا دنا انفلاق البيض عن صغارها مزقت هذه الحقيبة وأرسلت إليها خيطاً من خيوطها، وبقيت تحوطها حياطة من يؤثر أن يمزق إرباً إرباً على أن يهجر صغاره بلا حياطة . أما العنكبوت المفترسة فهى تحمل صغارها حتى تقوى على السعى والكسب لنفسها .

وأسرع صغار الحيوانات نمواً هى صغار الخنفساء المعروفة بالمحرقة ، إذ تخرج يرقتها من البيض الموضوع بين أوراق الأغصان فإذا هى كارهة لهذا المكان الذى نشأت فيه، وعندئذ يوحى إليها خاطر هو من عجائب الطبيعة — أنه لا بد لها من بيض النحل لكى تقيم به أودها، فتتسلق هذه المخلوقات الضئيلة جذع شجرة حتى تبلغ زهرتها وتظل تترقب مقدم النحل، حتى إذا جاءت ركبت ظهرها، وبذلك تصل إلى خلايا النحل ، وتظل هناك تغتذى ببيض النحل حتى تنسلخ من إهاب اليرقة الأولى ، ثم تبقى لتتغذى بعسل النحل حتى تلقى صدفتها ، ثم تخرج ساعية إلى رزقها وهى عندئذ خنفساء قد بلغت أشدّها .

وإذا أردت مثلاً على اختلاف حياة الحشرات فانظر إلى الحشرة المسماة بالصرارة والحشرة الأخرى المعروفة باسم زِيز الحصاد والتى تعيش فى بيضها ١٧ سنة . فبيض الصرارة يظل طول الخريف مدفوناً تحت قشور من لحاء الشجر ، فإذا جاء الربيع انفلق عن حشراته. وهذه المخلوقات الخضر الدقيقة التى لا تزيد فى أول أمرها عن حجم البرغوث، تسلخ جلدها وتلبس سواه ، فإذا جاء شهر أغسطس رأيتها حشرات خضراً جميلة المنظر، قد تمّ نماء أعضائها التى تحدث الصرير الذى سميت به . ويكون هذا بدء أيام استعدادها للتناسل ، وتستمرّ على ذلك بضعة أسابيع ثم تضع بيضها وتموت .

أما زيز الحصاد ، فإن أنثاه تدفن بيضها فى فنن من أفنان الشجر ، فيمضى وقت ثم تسقط اليرقات على الأرض وتتخذ لنفسها فيها مقرّاً ، مغتذية بعصارة من جذور الأشجار اللينة ، فإذا مرت عليها سبعة عشر عاماً وحيدة فى الظلمات، خرجت اليرقة من بطن الثرى ، وانشق ظهرها بنصفين ، وإذا بك ترى مخلوقاً له جناحان يتلألآن ، وقد تهيأ للطيران. وزمن بقائها للتناسل زمن قصير — بضعة أسابيع تقضيها لكى تضع بيض الجيل الآتى من نسلها ، لكى يقضى سبعة عشر عاماً فى ظلمات الأرض.

وكذلك نرى الطبيعة دائبة تجرب تجاربها فى تنشئة الأحياء ، فتسفر تجاربها أحياناً عن نتائج عجيبة، وأحياناً تسفر عن آيات فى الوفاء والتضحية ترتبط أوثق ارتباط بغرائز يسرّنا أن نظن أنها وقف على بنى الإنسان .



# الصحفي الساخر ومعجزة الأقدار

أوكتافيوس روى كوهن

كنت وحدى فى ذلك الصباح ، ساعة جاءنا نبأ الكارثة ، فقد خرج جميع المخبرين سواى - أنا المخبر الصغير الغر . فلم يكن لمحرر الأخبار خيار فى الأمر ، فأمرنى بالذهاب ، فهذه حادثة مهمة .

على مسيرة عشرين ميلا منا ، حدث انفجار فى منجم فحم ، فدفن مئة رجل تحت الأنقاض . وهذا قطار يعد لإسعاف المصابين ، فوصلته قبل أن يقوم ولما أكد ، وما أخذت مقعدى فى المركبة المزدحمة حتى ألقيت نظرة على جارى ، ولأطلق عليه اسم جون تالبوت . ولكن مهما كان الاسم الذى أطلقه عليه ، فإننى لن أنسى ما شعرت به من زهو حين ألفيتنى إلى جانبه ، وأننى موفد مثله لأروى خبر حادثة ذات شأن .

كان جون تالبوت مخبراً فى صحيفة المساء التى تنافس صحيفتنا ، وكان عمره لا يزيد على ٢٨ سنة ، ولكنه كان ذا شهرة مستفيضة فى دوائر الصحافة فى مدينتنا . وكثيراً ما كان زملاؤه من الصحفيين يتناولونه بالمذمة ، ولكن إجماعهم كان منعقداً على أنه مخبر من الطبقة الأولى .

كان تالبوت رجلا ساخراً مستهتراً ، لم يسمعه أحد يوماً ما يثنى على أحد من الناس ، ولا رآه يفعل ما يدل على كرم الأخلاق . أما اليوم فقد حيانى بابتسامة جافية شاحبة ، فقلت : « إنه لشىء فظيع أن يدفن مئة رجل تحت الأرض - وربما كانوا الساعة أمواتاً أو فى النزع الأخير » .

فقال : « ثم ماذا ؟ وإذا كانوا قد ماتوا ، فهذا خير لهم وأفضل » .

فحاولت أن أكتم عنه ما آلمنى من قوله، ولكنه قال : « اسمع يا فتى : مئة رجل من الأموات — إن مآل ذلك هو أن تكون المقالة التى ينبغى أن أكتبها عنهم ضعف المقالة عن خمسين من الأموات » .

فقلت : « ولكننى حين أفكر — » .

فقال : « لا تفكر . وإذا شئت أن تفكر ، ففكر بعقلك لا بعاطفتك » .

وأشعل لفافة ونفخ الدخان كأنه لا يعبأ شيئاً : ترى أيتظاهر تالبوت بكل هذا تظاهراً ، أم هو حقًّا جافى الطبع غليظ القلب ؟

فلما وقف القطار ، خرج تالبوت هادئاً مطمئناً عارفاً بما يسعى إليه . ولم أره ثانية طوال ذلك النهار ، فقد شغلت عنه بما لدىَّ من عمل . وكانت الفاجعة التى شاهدتها أفظع ما شاهدت فى حياتى — بكاء النساء وعويلهنَّ ، وجحوظ عيون الصغار المروَّعين ، محتشدين حول رأس البئر المفضية إلى قلب المنجم . وكانت الإشاعات الغريبة تنتشر وتذيع ، وكان الرجاء يغالب القنوط ، ولكن القنوط كان أغلب . فظللت طوال النهار أغدو وأروح بين المنجم ومكتب البرق ، حاملا الأسماء والحقائق والأوصاف لأبعث بها إلى صحيفتى .

وفى تلك الليلة ذهبت متعباً منهوك القوى إلى غرفة للنوم سمعتُ عنها فى بيت على الأكمة ، فإذا وطء أقدامٍ يساير وطء قدمىّ ، وإذا صوت يقول : « السلام عليك يا فتى » . فإذا هو تالبوت .

قال : « وأنا ماض مثلك إلى المكان نفسه ، فإذا وجدنا فراشاً هناك أوينا إليه كلانا » .

فلما بلغنا البيت أصغت سيدة إلى طلب تالبوت ، وسارت بنا إلى حجرة النوم ، وكان فى الحجرة المجاورة عدة نسوة ، فكانت صيحات الألم وآهات الحزن تترامى إلينا من خلال الجدار الرقيق ، ولكننى كنت قد ألفت وقع الفجيعة فى ساعات نهارى ، حتى صار يروّعنى فى الليل أن لا أجد فجيعة أحسّ لها فى نفسى وقعاً .

وخلع تالبوت حذاءيه ومعطفه وقلادة عنقه وتهالك على السرير ونام لساعته . وخلعت أنا ملابسى — القذرة من غبار الفحم — وانطرحت على السرير إلى جنبه .

ولكننى أرقت لما نال أعصابى من إعياء، وحاولت أن أصمّ أذنى عن البكاء والعويل فى الحجرة المجاورة . وإذا امرأة تصيح ، فتصبب العرق البارد من بدنى . فأرهفت سمعى ، وإذا الذعر يأخذ منى ، فأيقظت جون تالبوت .

قلت : « فى الحجرة المجاورة سيدة مريضة . وقد دنا ولادها » .

فتفوّه بكلام بذىء ، ولكننى مضيت فى كلامى فقلت : « هذا شىء فظيع . فقد كان زوجها يعرف أن ولادَها قد دنا ، وقد أراد أن يبقى معها فى البيت ، ولكنها حملته حملا على الذهاب إلى المنجم . وها هو ذا قد مات . أما هى فلا تريد أن تحيى ، وهى تصيح قائلة إنها هى التى قتلته . وسائر النسوة يوافقنها على ما تقول . أفلا تدرك ما معنى كل هذا ؟ ! إنها امرأة هالكة » .

فقعد فى السرير ، وقال : « وماذا يهمك من أمرها ؟ لا المرأة زوجتك ولا الجنين ولدك » .

وندّت عن المرأة صرخة ثانية ، فقلت : « أنا خائف يا تالبوت . أما أنت فلست بخائف . فأنت لست من البشر ، ولكنك ستصير بشراً هذه الليلة » .

فقال : « أهكذا ! وماذا تظن أننى فاعل ؟ » قالها بصوت المزدرى .

فقلت : « إنها امرأة هالكة إذا لم نصنع لها شيئاً ، ولابدّ من أن يقبض أحدنا على الزمام ويتولى الأمر . اسمع يا تالبوت ، إنك رجل ساكن الحشا ، فاذهب إلى الحجرة وقل للنسوة إنك طبيب ، واستبق منهن امرأتين لكى تعيناك . أتح لهذه المرأة المسكينة فرصة حتى تحيى » .

قال : « ولماذا ؟ »

قلت : « لأن زوجها مات لساعته ، ولأنه ينبغى أن لا تموت هى أو وليدها » .

فلما انحنى ليرفع حذاءه كان على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال : « اقتراح سخيف ... حسن ، سأفعل . ولن أفعله إلا لأنه شىء أستطيع أن أتندّر به فى المستقبل » .

فلما دخلنا الحجرة رفعت النسوة المروّعات المحتشدات حول السرير نظرهن إلينا ، وإذا تالبوت الضئيل الجسم ، قد صار رجلا ذا سلطان ، فمشى إلى السرير وألقى ببصره على المرأة المعذبة . وتكلم فإذا فى صوته وضوح وحزم فقال : « أنا طبيب ولكننى منهوك القوى ، فأنا فى حاجة إلى المعونة . فمن منكن أيها النسوة قد شهدت ولادة من قبل ؟ »

فإذا النساء جميعاً قد شهدن ولادة من قبل ، فاختار اثنتين منهن وأمر البقية بالخروج ، فأطعنَ أمره .

فقال : « إلىّ بماء ساخن ، وملاءات نظيفة — وكل شىء تحتاجان إليه . وسأقف هنا متأهباً لمعونتكما إن مسّت الحاجة . هيّا إلى العمل » .

وجلس تالبوت على السرير ، وأمسك بيد المرأة ، وكان صوته مرحاً حين قال لها : « هذا الشأن شأنك أنت . وزوجك

هنا ، معك — بروحه ، ولا سبيل لك إلى إكرام ذكره ، إلا أن تكافحى الضعف مااستطعت ، وأن تلدى ولداً صحيحاً جميلا »

وظل يحدثها بصوت لطيف حديثاً يبعث الثقة والطمأنينة فى نفسها ، وإذا المرأة قد سكنت بعد اضطراب ، وكنت لا أنفكّ أظن أن تالبوت سيتندر بما تم له فى الأسبوع التالى ، ساخراً من نفسه ، مردّداً الكلام الذى قاله فيصفه بأنه هذيان .

ولكن كلامه لم يكن هذياناً بل كان كلاماً رائعاً .

ودأبت المرأتان على العمل فى هدوء وكفاية . وكان تالبوت يراقبهما ، ويعرب لهما عن رضائه حيناً بإيماءة من رأسه ، ويهمس لهما حيناً يحثهما ويشجعهما . وكان فى الحجرة مصباح واحد ، يلقى ظلالا غريبة على الجدران العارية . فالآية الرائعة التى تمثل فى هذه الحجرة ، قديمة قِدَم الدهر ، وهذه الخصاصة التى تمثل فيها تجعلها مشهداً مفزعاً ، ولكننى أدركت خلال ذلك كله ، أننى أشهد من معجزة تتمّ . فهذا رجل يكره الناس ويسخر منهم ، أراه الساعة يصنع لأخيه الإنسان ماينبغى له أن يصنع .

وقد تمت الولادة فى الساعة الرابعة صباحاً ، ونامت النفساء ، وكان فى الزاوية إلى جنبها طفل جميل سليم يصرخ ، أما صوت تالبوت فكان لا يزال هادئاً مطمئناً . فقال : « أنتما تعلمان الآن ما ينبغى لكما أن تفعلاه منذ الساعة . فكفّا عن الحزن ، إن الله عزّ وجلّ قد أرسل آيته إلى هذا البيت ، فحاولا أن تفهماها » .

ثم خطا بقدم ثابتة فعبر الحجرة وخرج من الباب ، ثم انحدر من الأكمة ومضى نحو الضوء المتذبذب عند رأس المنجم .

وقد دعيت لأعود إلى مكتبى فى الصباح . ثم علمت بعد بضعة أسابيع أن جون تالبوت وزوجته قد برحا مدينتنا إلى مدينة أخرى . ثم غاب عن بصرى .

ومنذ سنتين ألفيت نفسى فى إحدى المدن الوادعة فى جنوب الولايات المتحدة ، التى لم أر فى حياتى مدينة مثلها سلاماً وبرداً على النفس ، فهى مدينة يعدها المرء غاية مايتمناه .

وفى ردهة الفندق أجفلت ساعة سمعت بعضهم يذكر جون تالبوت ، فسألت عنه فقيل إن هذا الرجل الذى ذكروه ما زال يقيم فى مدينتهم منذ عشرين سنة ، وأنه جاءها ذات يوم هو وزوجته وجعل يعمل فى صحيفتها الأسبوعية ، وهو اليوم محررها وأحد صاحبيها . وقد أجمع أهل المدينة على أنه رجل من خير الرجال — مستقيم لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولا ينى

يكافح فى سبيل الحق والخير . أفيكون هذا الرجل هو جون تالبوت الذى عرفت؟

سألت عن بيته ويممت شطره . كان كوخاً صغيراً ، أمامه بساط من العشب الأخضر والأزهار ، ويحف به جوٌّ من السكينة والطمأنينة ، وأمامه شجرة بلوط كبيرة تلقى ظلاً ناعماً كأنه بركة من السماء .

وقرعت جرس الباب ، ففتحته لى مسز تالبوت ، فعرّفتها بنفسى ، فأشرق وجهها ودعتنى إلى الدخول ، وبعد حديث قصير سألتها ، أذَكَرَ لها زوجها تلك الليلة التى قضيناها معاً قرب المنجم منذ عشرين سنة ؟

فقالت : « نعم أخبرنى بذلك » ثم تنفست الصعداء وقالت : « لقد عاد جون من تلك المهمة رجلا غير الرجل الذى عرفتُ . فقد كان أهدأ نفساً وألطف وأرق . وقد تبيّنتُ آيات هذا التغير الذى ناله فى أشياء كثيرة ،

« ثم رأيت أنه قد صار يضيق ذرعاً بما كان يتصنعه من أنه مجرّب قد ملّ الحياة من طول ما جربها ، وضايقه ذلك وأزعجه ، فلذلك هجرنا المدينة على حين فجأة . وأنا أعلم الآن أن سواد تلك الليلة لم يشهد ولادة طفل وحسب ، بل شهد أيضاً ولادة جون تالبوت الحقّ . فغلالة السخرية والاستهتار التى اتخذها درعاً توقيه ما يراهُ الصحفىُّ كل يوم من مآسى الطبيعة البشرية ومساوئها ، قد نشقت عنه وسقطت . وصار يتوق ويسعى أن يقطع صلته بالماضى ، وينشد مكاناً يسعه فيه أن يدرك حقيقة نفسه .

« وقد حقق جون فى هذه المدينة كل ما عقدته عليه من آمالٍ ومُنىً يوم تزوجنا . فليس فى النساء امرأة أسعد منى » . ثم ابتسمت وقالت : « ولو رأيته اليوم لما عرفته . إنه رجل فقير ، ولكنه رجل عظيمٌ حقاً » .

---

صمم الحديث

ربّ كلمة تقول دعنى . . . ألفاظه قوالب معانيه . . . جلسوا عند معاوية فتكلموا وصمت الأحنف فقال معاوية : يا أبا بحر ، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن صدقتكم ، وأخاف الله إن كذبت . . . أَكثِر الصمتَ ما لم تكن مسئولا ، فإن فوت الصواب أيسر من خطل القول . . . إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله . . . عقل المرء مدفون تحت لسانه . [ عيون الأخبار ، لابن قتيبة ]

# كيف يكسب المحامي قضاياه

هنري مورتن روبنسون
مختصرة من مجلة "يور لايف"

التمثيل هي بعض بضاعة المحامي ، فهو براعة لكي يستميل المحلفين ويكسب القضية لا يحجم عن أن يكون مهرّجا تارة وبطلا في مأساة تارة أخرى ، وقد حدث في ولاية أيوا بأمريكا أن جعل أحد المحامين نفسه مرشقة دبابيس ، وذلك أن رجلا ادعى أنه أصيب بهبوط في قواه العقلية على إثر حادث وقع له أثناء سفره بالقطار ، وكان دليله على ذلك أن غرز دبوساً في رأسه وقرر أنه لا يشعر بأقل ألم . فذعر المحلفون ومالوا إلى منحه تعويضاً جزيلا ، فإذا بمحامى شركة السكة الحديدية يطالب برفع الجلسة للاستراحة . ولما عقدت عاد ومعه ورقة دبابيس وأخذ يغرزها في رأسه الأصلع، حتى أصبح كأنه قنفذ يسعى على قدمين . وقال للمحلفين في مثل لهجة المهرّج : « وأنا أيضاً قد أصبت بهبوط في قواى العقلية » . وكسب قضيته في عاصفة من الضحك . ولم يدر في خلد المحلفين لحظة أنه حقن جلد رأسه بمادة مخدرة في فترة الاستراحة .

وقد نجح وليم فالون المحامى الشهير في تبرئة ١٢٧ متهماً بالقتل ، ولم يحدث قط أن أصدر المحلفون قراراً بإدانة واحد من موكليه ، وقد سأله مرة أحد منافسيه : « كيف يتأتى لك أن تكسب هذا العدد الجم من القضايا » فأجابه فالون : « إن كل محام يحاول في الغالب أن يستميل المحلفين إلى جانب موكله ، مع أن الواجب هو استمالتهم إليك ، أى إلى شخصك أنت ، ثم إذا بك تجد الأمر من أسهل ما يكون » .

وقد أعانته جرأته الفذة على استنقاذ عدد كبير من المتهمين ، وهم على وشك ملاقاة الموت ، فقد لاحظ مرة في إحدى قضايا القتل أن بين المحلفين خمسة من الكاثوليك أما موكله فهو من البروتستنت ، ولم يكن فالون من المتزمتين في الدين ، ولكنه اشترى مسبحة وطلب إلى موكله أن يلفها في منديل يحمله في صدره ، وكان اعتقاد موكله أن المسبحة تجلب النحس ، فهدّأ من روعه وأزال مخاوفه . فلما كان آخر أيام المحاكمة ، تدفق فالون في مرافعته حتى مست بلاغته قلب المتهم ، وانهمرت دموعه ، فأخرج منديله . فلما فعل سقطت المسبحة على الأرض فرقّ قلب المحلفين الخمسة لهذا الدليل

المفاجيء على ورع المتهم، وبريء الرجل لتعذر إصدار قرار من المحلفين بإجماع الآراء .

وقد تجلت حصافة المحامى الإنجليزى البارع سير إدوارد مارشال هول حين ترافع فى قضية قذف أقامتها ليدى ترنجتون على لورد بيفربروك صاحب صحيفة ديلى إكسبريس وطالبت فيها بتعويض كبير بدعوى أن سمعتها أصيبت بوصمة بالغة من جراء مقال نشرته تلك الصحيفة وتحدثت فيه عن ثيابها .

فرتب سير إدوارد مجرى القضية بحيث توافق آخر جلساتها يومَ الاحتفال بذكرى الهدنة ، وبحيث تحل الدقيقتان اللتان يلتزم فيهما الناس الصمت أثناء مرافعته فتقطعه عن الكلام . فلما دقت الساعة رفع سير إدوارد صوته عالياً ، ثم انقطع فجأة عن الكلام بهيئة مسرحية ، فقام كل من فى الجلسة ووقفوا ، وإذا بهذا المحامى يجمد فى مكانه كأنما أصبح تمثالا ناطقاً للحزن والأسى . فلما انقضت الدقيقتان عاد إلى مرافعته بصوت هادىء ملؤه الجد وقال :

« أيها المحلفون ! لقد احتفلنا لوقتنا بذكرى أكبر تضحية قومية ، ولقد تحملنا جميعاً خسائر فادحة من جراء الحرب ، والآن » ثم استدار فجأة وواجه المدعية : « نعود من ذكرى هذه التضحيات الكريمة لنبحث الشكوى التافهة التى تتقدم بها هذه السيدة » ، فانهارت خيلاء لادى ترنجتون حين امتحنت وقورنت بتلك الفترة النبيلة فى تاريخ إنجلترا ، ولم يحكم لها بمليم واحد .

ويعمد المحامى إلى جميع الحيل المسرحية من أجل أن يلين قلوب المحلفين . فماكس ستوير المحامى الذى يتقاضى ألف ريال لقاء عمل يوم واحد ، يرتدى فى المحكمة أرخص الثياب ويقول : « لا ضير على أغنياء المحامين الذين يمثلون الشركات أن يتبختروا فى الثياب الجميلة ، ولكنى لا أريد أن أكون أكثر أناقة من المحلفين » .

وقلما يضع ستوير أوراقه فى محفظة ، بل يجىء بها المحكمة محزومة فى ربطة من ورق اللف ثم يبسطها تحت بصر خصمه، كأنما يريد أن يقول إنه ليس لديه سرٌ يخاف ذيوعه ، وحين تكون القضية عن أموال وفيرة يضع ستوير محفظة نقوده أمامه على المائدة ، ليوهم الحاضرين أنه رجل ساذج يثق بكل أحد .

وكان كلارنس دارو حين يترافع أمام محلفين من المزارعين، يعمد إلى خلع سترته ليظهر حمالة سرواله ويشدها بإبهاميه ، ومن عادته عندئذ أن يضع فى فمه عوداً من القش يمضغه، وإذا قرأ نصوصاً قانونية على المحلفين تلعثم فى نطق كل كلمة تزيد عن مقطعين ، وإذا احتدم النزاع بينه وبين محامى خصم من

أبناء المدن ، تظاهر بالارتباك والحيرة. وهو بهذه الأساليب يستميل قلوب المحلفين .

ويبلغ المحامى ذروة قدرته على التأثير حين يستجوب الشهود ، فمن الخطر إساءة معاملة الشاهد ولو أحجم عن الإدلاء بما يعرفه ، لأن المحلفين يميلون إلى نصرة المضطهد . وإذا شكّ ماكس ستوير فى أن الشاهد يكذب ، حرص على سؤاله بلطف ومودة ثم يستدرجه إلى قاصمة الظهر .

وأحسن مثال على ذلك ما حدث فى إحدى القضايا ، فقد احترق مصنع فى نيويورك ووجهت إلى أصحابه تهمة التسبب فى موت ١٠٠ عاملة ، لأنهم أصدروا أمراً بإغلاق أحد أبواب المصنع . فوكل أصحاب المصنع ستوير للدفاع عنهم ، وتقدمت للشهادة عاملة نجت من الحريق ، وأخذت تروى قصتها الفاجعة ، فبكى المحلفون ولاح أن لا مفرّ من الحكم بالإدانة .

واعتقد ستوير أن الفتاة تتلو شهادة مزوّرة ، فقال لها متودّداً : « والآن يا بنيّتى قصى علينا حكايتك مرة أخرى » ، فأعادت الفتاة شهادتها كلمة كلمة ، فقال لها بلطف : « أريد أن أستوضح بعض أشياء فى شهادتك . فارو حكايتك مرة أخرى » فتلتها مرة ثالثة ، فسألها : « ألم تنس يا بنيّتى كلمة واحدة فى شهادتك ؟ » فاستغرقت الفتاة فى تفكير عميق ثم قالت : « نعم ياسيدى ، لقد نسيت كلمة واحدة » فقال لها : « إذن عليك أن تروى لنا قصتك من جديد ، وأن تضعى هذه الكلمة فى مكانها » . فأجابته إلى طلبه ، فاقتنع المحلفون بأنها قد لقّنت نص الشهادة حتى حفظتها عن ظهر قلب ، فتجاهلها المحلفون وبرأوا موكلى ستوير .

كان ستوير ذات مرة يستجوب عضواً فى مجلس الشيوخ متهماً بالرشوة ، وأراد أن يثبت أن هذا الرجل غير طاهر اليد ، ففاجأه وسط أسئلة مألوفة بسؤال ألقاه باللغة الفرنسية : « هل تتكلم الفرنسية ؟ » فأجابه الرجل : « لست أفهم ما تقول » ، فقال ستوير : « هذا عجيب ، فإن أمامى الآن ورقة رسمية تثبت أنك دخلت مرة امتحاناً للتوظف ونجحت فى اللغة الفرنسية ونلت أعلى درجة » ، ثم وجه إليه سؤالا بصوت جاف : « هل رشوت أحداً ليدخل الامتحان بدلك ؟ » فعارض محامى الشاهد فى توجيه هذا السؤال ، ولكن ستوير نجح بمهارته فى إلقاء الشبهة عليه بأن له سابقة من الرشوة وأساليبها .

ومن الأساليب البارعة تجريح شهادة الخبراء إذا أمكن ذلك ، وقد تجلى النبوغ

فى هدم مثل هذه الشهادة على يد وليم هاو المحامى الشهير الذى عاصر الجيل الماضى فى نيويورك ، إذ دافع مرة عن رجل متهم بدس السم لحماته ، وقرر محقق الوفاة أمام المحكمة ، وهو أهم شاهد يعتمد عليه الاتهام ، أنه شمّ من الجثة رائحة السم التى لا تخطئها الأنف ، فهى تشبه رائحة اللوز المحترق . فقال له هاو مداعباً : « ما دمت تثق كل هذا الوثوق بحاسة شمك ، فإنى أقترح عليك أن تمتحنها امتحاناً يسيراً » . وأتى بعشر زجاجات فى كل منها سائل له رائحة بينة معروفة ، كروح النعناع والبترول وغيرها ، ثم أدارها أولا على المحلفين ، فعرفوا بعض الروائح وعافوا أبخرتها المتصاعدة .

ولما عرضت على المحقق أخفق فى معرفة تسع منها ، فقد كان هاو يعلم أن أبخرة البترول تشل أعصاب الشم ، فكانت زجاجة البترول هى أول زجاجة قدمها إليه . وهكذا نجح فى إثارة الشك فى شهادته ، وصدر الحكم ببراءة موكله .

وترافع آب هوميل المحامى الشهير ذات مرة عن شركة تأمين رُفعت عليها قضية تعويض ، وقرر المدعى أنه سقط فى بئر المصعد فأصيب كتفه بأذى بليغ ، وأصبح عاجزاً عن رفع يمناه ، فقال له آب : « تفضل وبين المحلفين إلى أى حد تستطيع رفع يمينك » ، فرفع الشاهد برفق ذراعه إلى أذنه ، فقال له وهو يشجعه : « والآن بين لهم إلى أى حد كنت تستطيع رفعها قبل الإصابة » . فرفع الشاهد يمناه بسرعة فوق رأسه ، وكاد القاضى يحطم مطرقته وهو يحاول كفّ الحاضرين عن الضحك .

وقد يعرض المحامى نفسه للموت من أجل أن يكسب القضية . فيروى أن محامياً من أهل نيويورك يدعى جافيت دافع مرة عن زوجة اتهمت بدس الزرنيخ لزوجها فى كعكة عيد ميلاده ، وقدم وكيل النائب العام أدلة تثبت أنها اشترت الزرنيخ ، وعرض الكعكة على المحكمة ، فما كان من جافيت إلا أن وجه خطابه للمحلفين قائلا : « لقد استمعتم إلى شهود يقررون أن هذه الكعكة مسمومة ، فلكى أثبت لكم سخف هذا القول سآكل أمامكم قطعة منها » .

وقضم قطعة من الكعكة المسمومة وابتسم وجلس . فانسحب المحلفون مدهوشين إلى حجرة المداولة ، ثم أطل رئيسهم من بابها بعد ربع ساعة فإذا به يرى جافيت جالساً فى مقعده مطمئناً ، فما لبث المحلفون أن أصدروا قراراً بالبراءة . وعندئذ سار جافيت إلى دورة المياه حيث كان ينتظره بضعة أطباء ، فغسلوا له معدته ليزيلوا منها آثار الكعكة المسمومة .

# لواذع هوليـــوود

باب يتولاه : اندرو هشت

في فلم « هيومورسك » ترى أوسكار ليفانت يقول لفتاة : « إن شرب الخمر يجعلك فاتنة » .
فقالت : « ولكنني لم أشرب خمراً » .
فقال : « أنا أعرف أنك لم تشربي ، إنما أنا الذي شرب » .

نظر المدير إلى مساعدته فرآها ترفع حاجبها متعجبة فقال : « بأي حق تجادلينني ؟ »
فقالت : « لم أنبس ببنت شفة »
فقال : « ولكنك كنت تصغين إليّ كأنك تحتجين على ما أقول ! »

أتم مستر كيتون وإرنست باجانو كتابة سناريو في الموعد المضروب ولما يكادا ، وهرعا إلى مكتب المخرج إرفنج تالبرج ليطلعاه عليه .
فقالت كاتمة سره : « إن مستر تالبرج مشغول الساعة . وسندعوكما إلى مقابلته ساعة يفرغ » .
وقد دعتهما — بعد تسعة أشهر ، فقالت بلهجة هادئة : « إن المستر تالبرج قد فرغ الآن » .

اشترت شركة مترو جولدوين ماير حقوق رواية تعرض في الراديو عنوانها : « موعد مع جودي » ، ثم اشترت حقوق القصة : « ضفائر الشعر » لتتخذ منها أساساً لفلم عنوانه « موعد مع جودي » ، ثم اشترت حقوق كتابٍ عنوانه : « الطير والنحل » ، لأنها فضلته على رواية « موعد مع جودي » لتتخذه عنواناً لقصة « ضفائر الشعر » .

قالت الممثلة لخطيبها : « لابد ياحبيبي من أن نرجيء زواجنا زمناً ما » .
فقال : « ولِمَ ذلك ؟ أمات حبك لي ؟ »
فقالت : « لا ! لا ! ولكنني تزوجت لساعتي رجلا آخر ، فقليلاً من الصبر » .

ثار بين ڤان جونسون ولويس ماير مناقشة دامت أياماً ، فنادى ماير سكرتيرته وقال : « اطلبي فان جونسون بالتلفون ، وارفعي كل شيء عن مكتبي حتى أستطيع أن أصكه صكاً أثناء الحديث » .





# همة عبقري من رجال الصناعة

لستر فيلي • مختصرة من مجلة "كوليرز"

في أوائل هذه السنة عزم هنري كايزر أن يوسّع أعماله ، ورمى ببصره إلى مملكته الصناعية فلم ير سوى ست شركات للرمل والحصى ، وثلاث شركات لبناء السفن وإصلاحها ، ومصنعاً للإسمنت مساحته ميل مربع ، ومصنعاً للحديد والصلب ، وشركة تأمين ، وشركة بواخر ، وستة مناجم منوعة ، ومصنع طائرات ، وفرناً لصنع لبنات البناء ، وهيئة من المهندسين ، وثلاث شركات لمد الطرق والقيام بأعمال المقاولات .

فلم تكد تمضي بضعة أشهر حتى سدّ ما رآه في هذه المملكة من ثغرات ، فاقترض مالاً من المصارف الخاصة واقتحم صناعة الألومنيوم بثلاثة وسبعين مليون ريال ، وزاد المال الذي اقترضه من الحكومة لصناعة الصلب فصارت قيمته ١١٤ مليون ريال ، فاستطاع أن يحتفظ بمصنع الصلب الذي أنشأه خلال الحرب ، وأنفق مليونين ونصف مليون ريال في بناء عدد كبير من بيوت رخيصة الثمن ، وتعاقد على صنع سيارة لنقل الركاب من معدن المغنسيوم وصنعها ، وأنجز تجاربه في صنع طائرة تستطيع الأسرة أن تنتفع بها ، وشرع في إنتاج آلات للغسيل وخزائن لتبريد الطعام ، وأبواباً من الألومنيوم لحظائر السيارات ، ولبنات ، ومسرحاً يشيد من أجزاء قد تمّ إعدادها ، فبلغت أنواع الأعمال التي له عناية بها خمسة وعشرين نوعاً — منها الزراعة .

وقد قال أحد شركائه السابقين منذ عهد قريب : « هذا بناء سوف ينهار ، فهنري لم يقدّر ضخامة ما أخذه على عاتقه » .

و « قلة التقدير » هذه مصدر من مصادر قوة هذا الرجل . فقد ترك المدرسة وهو في السنة السادسة فإذا قلة حظه من التعليم ، قد أجدت عليه ولا تزال تجدي حتى اليوم .

ذهب مرة إلى جسي جونز رئيس أكبر هيئة في الحكومة تقرض المال لرجال الصناعة ،

فقال له جونز : « ولكنك لم تشتغل بصناعة الإسمنت من قبل . إنك لاتقدر ما أنت فاعل » ، بيد أن كايزر أقنعه بأنه كالجواد العتيق لايخلف ظن من راهن عليه ، وخرج من عنده بالمال ، فبنى أكبر مصنع للإسمنت في العالم كله .

وقصد أعضاء مجلس الإنتاج الحربي في سنة ١٩٤١ فقالوا له : « مالك ولصناعة الصلب ، فأنت لاتعرف شيئاً عنها » ، ومع ذلك فقد شيد أول مصنع للصلب في الغرب الأمريكي .

وقصة مصنع الإسمنت هي أساس الصيت الشائع بأن رجال كايزر لايقهرون ، فقد قطع كايزر عهداً بأن يقدم ستة ملايين برميل من الإسمنت لبناء سدّ شاستا ، على أن يكون ثمن البرميل أقل بنصف ريال عن الثمن المتواضع عليه بين صناعه . وقطع هذا العهد على نفسه وهو لا يملك يومئذ مصنعاً للإسمنت .

ويوم تعهد كايزر بأن يقدّم كلّ ما يحتاج اليه بناء السدّ من رمل وحصى ، أشرف على الإفلاس لارتفاع أجور النقل بالسكك الحديدية ، فمد رجاله خطاً من حبال الصلب فوق الجبل والوادي طوله عشرة أميال ، وجعلوا ينقلون على هذا الخط عشرين ألف طن من الرمل والحصى كلّ يوم ، من المحاجر إلى مكان السدّ .

فلما أشرفت سنة ١٩٣٩ على نهايتها حتى كان رجاله قد أنجزوا في كاليفورنيا أكبر مصنع للإسمنت في العالم . ويوم أخرج المصنع أول كيس من الإسمنت ، عمد أصحاب مصانع الإسمنت الأخرى إلى نبذ معداتهم القديمة ، وإحلال الجديدة محلها ، لكي يتمكنوا من منافسة كايزر الذي خفض الثمن . فلما تم بناء سدّ شاستا ، حول كايزر هذا المصنع إلى أغراض الحرب ، فجهز القوات المسلحة بمعظم الإسمنت الذي احتاجت إليه لإنشاء القواعد الحربية في المحيط الهادي .

وفي سنة ١٩٤٠ اقتحم العاصمة وشنطن وهو يتأبط خططاً لإنشاء مصانع حربية في الغرب الأمريكي فلما حاول أن يقترض مالاً من جسي جونز ليشيد مصنعاً للمغنسيوم تلاقى خصمان عنيدان : قوة الرجل الصناعي المتدفقة ، وعين الرجل المالي الجامدة ، فقال جونز :

«أظنك أعددت طريقة مجربة لاستخراج المغنسيوم ؟ »

« طريقة مجربة » ! كان كايزر قد ابتاع حقوق طريقة في استخراج المغنسيوم من عالم مهاجر يدعى هانز جريج ، ولكن أحداً لم يجربها ، ومع ذلك فقد اتفق جونز وكايزر على أن يقرض الأول الثاني ٣٠ مليون ريال لينشىء مصنعاً للمغنسيوم ، وعلى أن يرد المال

كاملاً ومعه فائدة قدرها ٤ في المئة .

وكانت هذه الطريقة تشمل فيما تشمله استعمال مسحوق المغنسيوم الشديد الالتهاب، فلكي يمنعوه من الالتهاب قبل أن يحول معدناً صلباً ، صبّ رجال كايزر زيتاً على المسحوق ، وسموا الكتلة اللزجة «صمغاً» .

وفي خلال قيامهم باستخراج المغنسيوم وتحويله معدناً صلباً ، خطر لأحدهم خاطر جديد : إنّ مسحوق المغنسيوم هو رأس المواد في القنبلة المحرقة التي استعملت في الحرب العالمية الأولى، فلماذا لا يصنعون قنبلة محرقة من هذه الكتلة اللزجة — من هذا « الصمغ » ؟ فهرع كايزر إلى قسم الحرب الكيميائية في الجيش، وهو مثقل بنماذج من هذه المادة المدهشة المتفرعة من صناعة المغنسيوم .

فأسفر الاجتماع عن صنع « القنبلة المحرقة التي لا يطفأ سعيرها » ، وهي التي استعملت في قذف اليابان . وقد صنع كايزر ٨٦ مليون قنبلة منها ، وأيضاً ٢٣ مليون رطل من معدن المغنسيوم .

كان بناة السفن قبل عهد كايزر يبنون السفينة كما يصنع الخياط المتقن ثوباً — لوحاً يضم إلى لوح ، ومسماراً يدق بعد مسمار ، في دور للصنعة مزدحمة بالأشياء والعمال . وكان العمل يستغرق أشهراً من بدئه إلى نهايته ، ولكن رجال كايزر وضعوا أسلوباً جديداً لبناء السفن وراعوا فيه بناء الأجزاء بحيث يسهل بناؤها ، ثم تنقل كاملة ويضم بعضها إلى بعض في دار الصنعة. فنقص الزمن الذي يستغرقه إنجاز سفينة حمولتها ١٠ آلاف طن ، من ٢٥٣ يوماً إلى ٢٦ يوماً .

فلما تمت هذه المعجزات الصناعية على يديه في زمن الحرب ، ذاعت شهرته وفتن الناس به وبأعماله . ومع ذلك ترامت الأقوال بأن سفن كايزر تتفكك وتنهار ، وأن نفقات إنتاجه تفوق نفقات دور الصنعة القديمة. ولكن لجنة الكونجرس برئاسة ترومان ( يوم كان عضواً في مجلس الشيوخ ) بحثت بحثاً دقيقاً أخبار جميع « سفن الحرية » التي صنعها كايزر وسواه ، فوجدت أن خيرها جميعاً سفن كايزر التي صنعت في مصنعه « رتشموند ١ » وتلتها سفنه التي صنعت في مصنعه « رتشموند ٢ » . أما معدل النفقة ، فقد جاء مصنعاه هذان في المرتبة الثانية والثالثة .

ولما أخذت أسراب الغواصات الألمانية تغرق سفن الحلفاء بأسرع مما كانوا يصنعونها قال كايزر : « لماذا لا نبني حاملة طائرات مجردة من جميع الزوائد ، فيتم صنع إحداها في أشهر لا في سنوات؟» ، واقترح أن يكون تفريغ الحاملة ١٨ ألف طن لا ٣٠ ألفاً ،

وهو تفريغ الحاملات الكبيرة ، ويمكن أن تبنى فى دور الصنعة التى تبنى فيهـا « سفن النصر » للنقل . قال كايزر لمؤتمر من أمراء البحر : « وافقوا على هذه الحاملة ، وأنا كفيل بأن نغلب الغواصات على أمرها » .

ففكر أمراء البحر فى الأمر ، ثم اقترعوا فإذا هم مجمعون على رفض هذا الرأى .

فلما ظفر كايزر بموافقة البيت الأبيض صنع خمسين حاملة ، فلم يزد زمن صنع الواحدة منها على ١٥٥ يوماً ، فغيّر رجال الأسطول رأيهم . وعلى أن هذه الحاملات لم تصنع لخوض المعارك البحرية ، فقد كان لها شأن عظيم فى الظفر فى معركة الفلبين البحرية بعيد النزول فى جزيرة ليتى ، فقد صدّت ثلاث من هذه الحاملات الأسطول اليابانى ، وحمت جنود ماك آرثر من كارثة . وقال الأميرال ڤيكرى لكايزر بعد الظفر: « نحن مدينون بهذا اليوم للحاملات التى بنيتها » .

ومنذ ذلك اليوم صارت الحكومة تتوسل بكايزر واسمه ، لتحث سائر رجال الصناعة على زيادة الإنتاج وتوفير الوقت ، حتى ضاق رجال الأعمال ذرعاً بالحكومة وهى تضرب لهم هنرى كايزر مثلاً يحتذى . وأغلب الرأى أنهم لايزالون يضيقون به .

ومن الناس من يرى أن التجربة لامندوحة عنها للنجاح فى ميدان الصناعة والتجارة ، فهؤلاء يرون فى هنرى كايزر طفلاً أسكره النجاح الذى أصابه فى زمن الحرب ، وأنه لن يلبث حتى يتمرس بحقائق المنافسة زمن السلم ، فيعرف مكانه الصحيح بين أقرانه . أما هنرى كايزر فيرى أنه رجل الصناعة الذى يتطلبه الشعب ، وأنه واحدٌ من الذين يعقد بناصيتهم الأمل الأخير فى بقاء النظام الرأسمالى . فهو يسير ويتكلم ويفعل كأنه دائماً يواجه أزمة خطيرة.

وأسفاره بين أجزاء مملكته الصناعية المنتشرة فى ربوع أمريكا لا تنقطع ، وربما بلغت ٧٥ ألف ميل فى السنة ، ولولا التلفون لعجز عن إنجاز ماينجز . وكثيراً ما كان يطلب أحد رجاله فى الطرف الآخر من القارة الأمريكية فى جوف الليل ، فيستيقظ ويسير مترنحاً إلى التلفون فإذا به يسمع كايزر يقول : « عندى فكرة ، قد تكون سخيفة ولكن ... » وقد دأب على ذلك حتى اشتد اعتراض زوجات رجاله ، فكفّ . على أنه لاينى عن عقد المؤتمرات بين رجال فى سان فرنسيسكو وشيكاغو ونيويورك ، فيكون التلفون واسطتها ، وهذا كله يجعل ما ينفقه على مخاطباته التلفونية ٣٠٠ ألف ريال فى السنة .

ثم أقدم كايزر على مغامرة خطيرة هى

صناعة سيارة كايزر فريزر، ولكن المقربين إليه وحدهم يعرفون أنه أوشك أن يقنط، حتى كاد ينفض منها يده. ففي ليلة من ليالي الصيف اسودّت الدنيا في عينيه وتملكه اليأس حين قابل بين خمسة ملايين ريال وقفها هو وفريزر على هذا المشروع، وبين ٦٠٠ مليون ريال كانت رأس المال الذى تشتغل به شركة جنرال موتورز، و ١٥٠ مليون ريال رأسمال كريزلر. أيستطيع أن يصنع سيارة في الغرب بعيداً عن مدينة دترويت عاصمة صناعة السيارات؟ إن ذلك يستحيل عليه، لأن جميع أجزاء السيارات تصنع في دترويت وجوارها. هل أخطأ في تعاقده مع جماعة فريزر؟ توالت عليه الريب والشكوك في تلك الليلة حتى نهشت قلبه وكادت تقوّض ثقته.

وإذا بمساعده الإداري الأول يقترح عليه أن يتخذ خطوتين جريئتين: الأولى، أن يستأجر مصنع الطائرات الضخم الذى أنشأه فورد في «ويلو رن» أثناء الحرب لصنع القاذفات الكبيرة. والثانية، أن يتوجه إلى الشعب لكي يساهم بماله في هذا المشروع، ثم يقتحم معقل دترويت.

على أن أصحاب المصارف في وول ستريت حيّ المال بنيويورك، كانوا يخشون المساهمة في شركة سيارات لم تصنع سيارة واحدة بعد، فتقدم صاحب مصرف من مدينة كليفلند واشترى جميع الأسهم التي أصدرها كايزر أول مرة، ولما عرضها على الناس بسعر ١٠ ريالات للسهم الواحد، زاد الطلب على المعروض ستة أضعاف، فصاح أحد السماسرة في وول ستريت متهكما:

«يستطيع هنري كايزر أن يقول للناس إنه ينوي أن يصنع شيئاً ما في المستقبل دون أن يحدد الموعد، فيشترون منه أسهماً قيمتها ٥٠ مليون ريال».

ولم يكن في وسع كايزر أن يعرض للبيع طائفة ثانية من الأسهم، إلا إذا حقق ما يقتضيه القانون من عرض نموذج للسيارة التي ينوي أن يصنعها. وإعداد هذا النموذج يستغرق في دترويت تسعة أشهر على الغالب. فجعل كايزر يحث المهندس جون مكسويل على العمل ليل نهار، فأنجز المهمة في ثلاثة أشهر.

وفي أوائل يناير من هذه السنة تمّ صنع نموذجين جميلين وعرضا في فندق والدروف أستوريا الفخم في نيويورك، فدهش القوم وأعجبوا، وانهالت الطلبات بمعدل طلب في كل ثلاثين ثانية، حتى بلغ عددها تسعة آلاف. فلم يبق على كايزر سوى أن ينتج السيارات.

ولكن، أين يستطيع أن يظفر بالعمال

الفنيين الحاذقين فى دترويت الظامئة إليهم ؟ وأين يستطيع أن يتعاقد مع ثلاثمئة من أصحاب المصانع على صنع مقابض الأبواب والرفارف وحواجز الزجاج ـ وهى الأشياء التى لاغنى عنها فى صناعة السيارات ، وبها تحيا أو تموت ؟ وكان الصلب نادراً حتى اضطرّ الذين زاولوا صناعة السيارات منذ زمن أن يكتفوا بثلثى مايحتاجون إليه منه إلى آخر سنة ١٩٤٧ . إن الطلب على الصلب يحول بينه وبين الصلب الذى يحتاج إليه .

فعزم أن يناضل ، كما كان يناضل فى أثناء الحرب ، فكانت خطوته الأولى أن يجد بديلا من الصلب ، فطلب بالتلفون مدير مصنع له يصنع الطائرات وقال: «أريد أن أراهن عليك بمليونى ريال أنك تستطيع أن تصنع لى سيارة من الألومنيوم ولكن ينبغى أن تصنع فى ثلاثين يوماً» .

أما أصحاب صناعة السيارات فما فتئوا منذ ثلاثين سنة يدرسون موضوع صنع السيارات من الألومنيوم ، بيد أن كايزر رأى أن يتجاهل طول البحث الذى لم يجد ، فاقترض ٢٠ مليون ريال من المصارف ، واستأجر مصنعين كبيرين للألومنيوم تملكهما الحكومة .

وانقضت الأيام الثلاثون دون أن تتم المعجزة ، إذ ظهر أن صنع سيارة من الألومنيوم يحتاج إلى طائفة جديدة من الأساليب الصناعية والفنية .

فعزم أن يوجه نداءه إلى الشعب ، فدعا إلى عقد مؤتمر صحفى ، وكشف فيه عما يعانيه من أجل الحصول على ما يحتاج إليه من الصلب . فليس هناك من يبيعه صلباً ، واتهم رجال مصانع الصلب أنهم يتآمرون عليه ، ولم يتردد فى ذكر الأسماء ، وطلب من وزارة العدل أن تتدخل فى الأمر ، ومن الحكومة أن تقدم على توزيع الصلب فتعطى كلا نصيباً منه .

ولكن حملته هذه باءت بالخيبة ، ولم يحرك الشعب تهجمه على رجال صناعة الصلب ، وأهمل ما طلبه من الحكومة ، فقد هدأت النفوس ، وزالت الأسباب التى اقتضاها الإنتاج الحربى ، فصار لزاماً عليه أن يصنع بنفسه الصلب الذى يحتاج إليه إذا قدّر له أن يصنع سيارته .

ولما كان مصنع الصلب الذى أنشأه فى أثناء الحرب قد أنشىء ليصنع ألواحاً للسفن لا ألواحاً للسيارات ، فقد مضى كايزر يبحث فى طول البلاد وعرضها عن مصانع يستطيع أن يتولاها لغرضه الجديد ، فوجد ما أراد واشتراه بمال جمعه من بيع طائفة جديدة من الأسهم ، فحلت مشكلة الصلب التى يعانيها .

ثم تمكن ابنه إدجر من أن يجمع فى مصنع « ويلو رن » قرب دترويت جماعة من رجال الإنتاج ، وحوّل مصنع الطائرات إلى مصنع للسيارات ، وأقام خطوط التجميع وأساليب رش أجسام السيارات بالطلاء ، وضمن وصول الأجزاء اللازمة للسيارة وصولا مطرداً . وفى يوم من أيام يونيو الماضى ، درجت على خط التجميع الذى يبلغ طوله ميلا وربع ميل ، ٢٥٠ سيارة من سيارات « كايزرسبشيال » .

فكتب محرّر باب السيارات فى صحيفة دترويت « فرى پرس » : « شاهدت فى ويلو رن دليلا مقنعاً على أن كايزر وفريزر ، يستطيعان أن يصنعا سيارات وسوف يصنعانها » .

وكان الناس ينتظرون من كايزر أن يصنع سيارة لامثيل لها ، بيد أن السيارات التى تصنع فى « ويلو رن » كانت كأمثالها من السيارات ، على أن ذلك لم يفت فى عضد كايزر ، فهو يقول : « بدأنا نصنع السفن على القواعد المتبعة ، فصنعنا المئة الأولى من السفن كما صنعت غيرها من قبلها ، ثم مضينا على طريقتنا الخاصة » .

واهتمام كايزر بصناعة السيارات يفتح له أبواباً ينفذ منها على صناعات شتى . فما كاد يلفى نفسه يصنع الألومنيوم حتى انهال عليه الطلب من رجال الصناعة الذين تشتد حاجتهم إليه . وسيرى يومَ تتاح له المواد اللازمة لبناء البيوت الرخيصة ، أن الإقبال عليها عظيم . وقد اشترك معه رجل من الذين تمرّسوا ببناء البيوت ، ومهّدا الطريق لصنع بيوت يبلغ ثمنها ٧٥ مليون ريال .

إن صورة التوسع توسعاً لاحد له ، قد استهوت هنرى كايزر فدفعته فى طريق خلّف فيه وراءه سبع عشرة شركة كبيرة . ولما طلبت منه هيئة إقراض المال الحكومية ، أن يقدم لها ميزانية عن الشركة الأصلية التى ولدت جميع هذه الشركات قال لهم : « ليست هناك شركة من هذا القبيل ، فما نحن إلا مجموعة من الخلايا تنقسم فتولد خلايا جديدة » . أما منافسوه فيقولون : « شركات كايزر ؟ إنها بيت من الورق ، إذا هوت واحدة هوت جميعاً » .

إلا أن هنرى كايزر دبر أمره حتى فصل هذه الشركات بعضها عن بعض ، وجعل كلاًّ منها مستقلة فى مالها ، فإذا أخفقت شركة السيارات ، فإن ذلك لا يمسُّ شركة الألومنيوم أو شركة الطائرات . وفى وسط هذه الجماعة من الشركات تجد شركة هنرى كايزر وهى شركة يملكها هو وابناه ، ومنها يأخذ مرتبه — ٣٦ ألف ريال فى السنة . وقد

أنشأ شركتين على مبـدأ مشاطرة الربح ، وجعل لمديرى شركاته المختلفة أنصبة فيها ، فصاروا مقيدين به بقيد مصلحتهم القوية .

وهؤلاء الرجال يشاطرونه الربح والأمل أيضاً ، ويوفُّون بالعهود التى يأخذها على نفسه ، وترى المقربين إليه من مستشاريه وهم عشرون أو نحو ذلك ، كأنهم عصبة من الطلبة الأصدقاء فى جامعة ، ولم يطرأ عليهم جديد فى السنوات العشر الأخيرة .

وكايزر طراز جديد من رجال الصناعة ، وتقـدمه إلى الذروة بينهم وافق نشوء ظاهرتين : هما مشاركة الحكومة فى أعمال كثيرة ، وانتظام نقابات العمال الكبيرة ، فصارت هاتان القوتان تضارعان قوة أصحاب الصناعات والشركات الكبيرة . وإذا سلمنا بأنه رجل كسائر الناس لا غرض له سوى أن ينتج ويربح فإنه قد سعى سـعياً صادقاً لكى تجدى أسـاليب المساومة المشتركة التى أخذ بها العمال ، ولكى يكون التعاون مع الحكومة أجدى عليه من مناضلتها . ورغبته فى التعاون مع الحكومة وجماعات العمال حملت بعض رجال الصـناعة الأمريكية على أن يعدُّوا هنرى كايزر خارجاً على جماعته ، كما كانوا يعدُّون روزفلت من قبله .

ولا يكاد كايزر ينجز مايتبجَّـح بذكره من أعمال ، حتى يبـادر إلى عمل أكبر وبعد أن كان الناس يتساءلون : « هل يستطيع كايزر أن يصنع المغنسيوم أو حاملات الطائرات؟ » صاروا يسألون : « أيستطيع أن يصنع سيارات وبيـوتاً وآلات للغسل وطائرات ، وأن يبيعها ؟ »

نعم إن الجواب مستسرٌّ فى قلب المستقبل ، ولكن ثق بأنك لا تكاد تعرفه ، حتى يطالعك كايزر بما يستثير عجبك وتساؤلك .

·0000··0000·

**هو السبب**

● اعترض شرطىٌّ شاباً من طلاب الجامعة رآه يسوق سيَّارته إلى الوراء ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال إنه استأجر السيَّارة على أن يوفى أجرتها وفقاً لعدد الأميال الذى يسجله مقياس المسافة . ولما كان المقياس لا يسجل حركة السيارة إلى الوراء ، فقد عمد إليه للتوفير .

● أقدم عروسان من أهل الطبقة الراقيـة فى نيويورك على القيام برحلة شهر العسل ، بعد انقضاء ستة أشهر على زواجهما ، فلما سئلا قالا : لقد أرجأنا الرحلة ستة أشهر حتى نثق من أن زواجنا موفق ، قبل أن ننفق المال فى الرحلة .

# ألقِ كلمتك حيث تُثمر

أسكار شيزجول

مختصرة من مجلة "ذس ويك"

**ذهبنا** في الشتاء لقضاء عطلة الأسبوع في بوسطن مع آل باركلي، حيث كان الرجل يدرّس اللغة اللاتينية في كلية هناك . فأشرت ونحن نتعشى إلى المشقة التي يعانيها المرء حين يسوق سيارته في عاصفة من ثلج، فلا يستطيع أن يرى ما وراءه من خلال النافذة التي في مؤخر السيارة ، لأن الصقيع يغشاها . وقالت زوجتي : وأظن أن أصحاب مصانع السيارات ينبغي أن يركبوا جهازاً على النافذة يذيب الصقيع الذي يتكون عليها .

فقال الدكتور باركلي وهو يبتسم : فكرة حسنة ، فلِمَ لا تعرضينها حيث يثمر عرضها ، لِمَ لا تكتبين لأصحاب مصانع السيارات ؟

فعلت زوجتي ما اقترحه عليها صاحبنا ، وتلقت بضع رسائل تفيض شكراً على رسالتها . ولست أدري ما كان لرسالتها من أثر — ولكنني أعلم أن طائفة من السيارات الجديدة تحوي جهازاً على النافذة الخلفية يذيب الصقيع . وقد حملتني رؤية هذا الجهاز الجديد على تذكر الدكتور باركلي وتعلقه بعبارة : « حيث يثمر » ، فقد كان من الذين يدأبون على كتابة الرسائل، ولم أرَ في حياتي من يضارعه في دأبه هذا. فلا يكاد الكونجرس أو مجلس الولاية يعنى ببحث موضوع إلا وترى الدكتور باركلي صاحب رأي فيه ، فلا يضن برأيه بل يجلس إلى مكتبه ويعرض رأيه في رسالة عرضاً واضحاً ، ثم يرسلها إلى ممثلي مقاطعته في المجلس ، أو قد يقرأ كتاباً يستحسنه ، فيعرب عن استحسانه في رسالة يرسلها إلى مؤلف الكتاب أو ناشره .

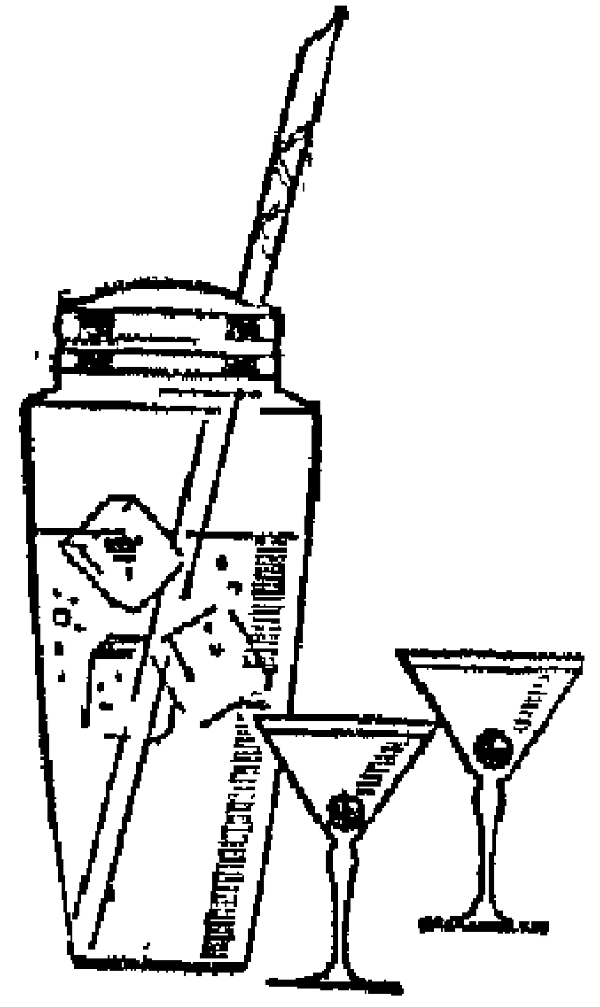
وبعد أن مضت أشهر على وفاة الدكتور باركلي ، أتيح لي حديث مع الرجل الذي يمثل منطقته في مجلس النواب، فقال الرجل : « نعم أتذكره ، فقد كان صافي الفكر ، سديد الرأي ، ولست أعرف رجلاً من أهل دائرتي كان أجدى عليَّ خلال سنين في إطلاعي على رأي الناس في شئون كثيرة » .

وقد ذكرت كلَّ هذا لمسز باركلي فأصغت إليَّ وعلى ثغرها ابتسامة رقيقة ، ثم قلتُ : « ومن الخير للامة أن يعمد كثيرون من الناس إلى الإعراب عن رأيهم كما كان زوجك يفعل » . فأطرقت متفكرة وقالت : « ولِمَ لا تقول هذه الكلمة حيث يثمر قولك ؟ » .

وها أنذا قد فعلت .

# لماذا هجرت الشراب

تشانج بروستر
مختصرة من مجلة "يور لايف"



لم أكن سكيراً مدمناً وإنما كنت أشرب باعتدال – أي أني كنت مزيجاً ممن يشرب في المجتمعات ، ومن السكير المفرط في الشراب . وأخيراً كففت عن الشراب ، وكانت النتائج كلها خيراً . ولست مغرًى بإنقاذ أرواح الناس ، ولكن إذا كان هناك من يستطيع أن يحسن الانتفاع بتجربتي ، فليجرب ذلك بنفسه – فإن هذا بلد حر .

وشرب الخمر في محل العمل ، وفي أثناء ساعات العمل ، محظور – إلا إذا استطعت أن تجيء بعذر مقبول كعيد رأس السنة ، وعيد ميلاد بعضهم . وكنت كمعظم المعتدلين في الشراب أبدأه بعد الساعة الخامسة . لكني على خلاف الأكثرين لم أكن أستطيب الشرب في حانة مزدحمة أو في حجرات الشراب بالفنادق . وكنت أخشى إذا أنا تلكأت في أمثال هذه المحال أن يقول الناس إن بيني وبين زوجتي شارلوت شيئاً ، فكنت إذا انتهى عملي أستقل أول سيارة عامة إلى البيت . فإذا شارلوت في المطبخ . وإذا ولدي وهو ابن سبع ، يرجوني أن ألاعبه ، فكانت طقطقة المواعين في المطبخ ورجاء ابني ، يورثاني نقيض ما كان ينبغي أن يفعلا ، فأحس أن بي حاجة إلى قدح من الكوكتيل ، فأهيء بضعة أقداح .

وتقول شارلوت : « أعِدّ لي قدحاً وسأخرج بعد دقيقة » ، وكانت دائماً لا تكاد تفرغ من رشف قدحها الخفيف إلا عند انتهاء العشاء .

وإلى أن يحين العشاء أجلس ومعي جريدة وإلى جانبي إبريق الخمر ، وأكون قد أتيت على ما فيه حين يوضع الطعام على المائدة . وكانت شارلوت لا تفتأ تؤنبني على إفراطي في الشراب ، فأجاوبها بمثل كلامها . وما ضير قدحين من الكوكتيل ؟ وطبيعي أنه كان من العسير أن يُعرف على وجه الدقة مقدار ما احتسيت وزعمتُه قدحين — فإني أكون قد أفرغت في جوفي نصيبي من الإبريق وما بقي من نصيب شارلوت .

ولكنه من الخطأ أن يقال إني سكرت ، فقد كنت أستطيع أن أتكلم وأفصح ، وإن كنت أفعل ذلك بنشوةٍ غير عادية ،

وأستطيع أن ألتهم الطعام وإن كنت لا أكاد أجد له طعماً، وبعد الطعام يثقل رأسى، فكل ما أحاول أن أفعله — كأن أقرأ أو ألاعب ولدى أو أرافق شارلوت إلى السنما — يفسده علىّ الشعور الثقيل بالرغبة في الراحة.

وإذا ذهبنا إلى حفلة، فالأمر كما وصفت، لولا أنه شرٌّ من ذلك. فقد كنت أشرب من الأقداح مايكفى لتهيئة نفسى لشهودها. وفى الحفلة بعد أن أشرب قدحين آخرين أرى الأغراب أصحاباً وأُلّافاً، ويخيل إلىّ أن زوجة بعض الجيران ذات فتنة عجيبة، ثم يبلغ من اغتباطى بما تبينته من المزايا الإنسانية فى الضيوف، بعد أن كانت مستورة عنى، ومن فرحى بطيب فكاهتى، أن لا يبقى لى بال إلى عدد الأقداح. ثم يُدار بى.

أما ماكان يحدث بعد ذلك فكان رهناً بأمور شتى — وخاصة الطعام الجيد والهواء النقى، وما يجدُّ من الشراب. وقد يتأخر أذى الخمر إلى الصباح كما هو شأنه فى الأكثر، أو قد يبدأ فى منتصف الليل، ولكنه على الحالين لم يكن منه مهرب، كالموت والضرائب، وهو مثلهما سخيف.

فإذا كان اليوم التالى للحفلة يوم إجازة، فإنى أحتضن هذا الأذى فى مخدعى، وإذا كان يوم عمل فإن اليد المرتعشة والصداع الذى يعمى، ومحاولة حصر الذهن، والإشفاق من ارتكاب الأغلاط — كل هذ يجعل أذى الخمر أثقل وطأة على الأعصاب.

كذلك كانت عاداتى فى الشراب. وقد يحسن أن أضيف إلى ذلك أنه كانت تمر أيام كثيرة لا أتجاوز فيها القدح أو القدحين.

ثم جاء يوم أقلعت فيه عن الخمر، ومازلت منذ ذلك اليوم ممسكا عنها، ولم أشعر برغبة فى الشراب، ولم أحسد الذين يكرعون الوسكى إذ أكتفى أنا بعصير البرتقال. وقد تعمدت مرتين أن أقطع فِطامى هذا، فقوّى هذا الامتحان عزمى، وكان أشبه بمحاولة استئناف حب عفّى عليه الزمن.

وكان فِطامى عن الشراب بإرادتى، فما كانت ثم فضيحة أورثتنى ندماً، ولم أقسم على الكف، وكل ماحدث أنى نظرت إلى المسألة فى جملتها فاستقرّ رأيى، وكان القرار كمعظم مانتخذه من القرارات المهمة فى الحياة، غاية ما يمكن أن يسمى حركة نضج فى الرأى والشعور. وكان هذا هو الأسلوب الذى جريت عليه فى كل أعمالى بعد أن بلغت مبالغ الرجال — دخولى فى ميدان عمل جديد، وتزوجى، وابتياعى بيتاً.

وإذا أنا أنظرت إلى الصورة فى جملتها، فإنه لايسعنى إلا أن أعترف بأن الشراب، باعتباره عوناً على الاستمتاع بالحياة، لم يكن إلا مخيباً للأمل. فقد كلفنى كثيراً من المال

وإن لم أكن شريباً مسرفاً ، ولكني كنت أنفق على الأقل ريالاً في اليوم على الشراب ، وإن كنت أنفر من الحانات ، ولا وجود في بلدتنا لمسارح اللهو الليلية . وإن ثلاثين ريالاً في الشهر لمبلغ جسيم من دخل متوسط ، فإذا ادخرت هذا القدر عشر سنوات ، فإني أكون حين يتهيأ ولدي لدخول الجامعة ، مستعداً له بالمال بدلا من المعاذير .

على أني من وجهة نظر أخرى أهم ، كففت عن الشراب لأني كنت أغالط نفسي فيه ، وكان ينقصني المسوغ الذي يحتج به أهل الإدمان — فما كنت هارباً من شيء ، وليس في حياتي اضطراب ذو شأن ، وأنا أحب زوجتي وهي تحبني ، وأستلطف الناس ويستلطفونني ، وعملي يجعلني مشمراً دائماً عن ساعدي ، وإنما كان عذري هو ما يدلي به في العادة أهل الاعتدال في الشراب — أني تعب متوتر الأعصاب . ولاشك أني كنت في آخر يوم يتفق أن يكون مكظوظاً بالعمل ، أشعر ببعض التعب ، ولكني وجدت في العام الماضي أنه لا يبلغ من تعبي أن لا يذهب به التمشي أو مشاركة ولدي ساعة في اللعب . أما الخمر فكانت تنعشني ثم تفترني وتتركني أكثر إعياء وتبلداً .

ولاشك أنني أعاني داء العالم الحديث — توتر الأعصاب . وما من ريب في أن الخمر كانت تعفيني من الشعور به ، ولكنها كانت أشبه بما يزيل التلويث من الثوب فيمزقه . فتبينت أنه ينبغي أن أعالج التوتر بما هو أجدى من رش قطرات من الخمر عليه .

وكانت أسطورة خرافية تلك التي اعتنقتها حين خيل إلي أن الخمر قادرة على أن تجعل جماعة من أهل بلدتي على غرار ممثلي رواية مضحكة ، في طيب الفكاهة وملاحة النكتة . فإن زوجة جاري — سكرى كانت أو مفيقة — لا ذات فكاهة ولا لعوب ، ومثلها بقية أهل البلدة ، وأنا أيضاً . ومهما يكن في حديثي من التسلية ، فإن هذا ليس مستمداً من الخمر بل من تحرك العقول ذات الخيال . فإذا التمست القوة من قراءة كتاب فيه بعض الغذاء ، ثم نشدت صديقاً لا ينفر من التفكير ، فقد لا يجيء حوارنا بارعاً باهراً ، ولكني على الأقل أرجع إلى البيت برأس صافٍ ، وبشعور بأني لم أضيع وقتي في سخف محض . وقد وجدت أن الاستمتاع الحقيقي بالحياة لا يعين عليه أن يكون الرأس في عماية . وأنا أريد أن أدرك مغزى تجربة ، أو معنى فكرة على حالتها الطبيعية ، لا من خلال ضباب محير ينشره قدح من الخمر .

لماذا أقلعت عن الشراب ؟ لأني — فوق كل شيء — كرهت سلطانه على نفسي . نعم

كنت معتدلاً في الشراب ، ولم أكن أتلهف عليه ، ولكن الخمر كانت أميرى الذى ألقاه بالطاعة. وكان القدح أو القدحان يريانى العالم على خلاف حقيقته ، فإذا أفرطت اقتنعت بأن في وسعى أن أرقص « الرومبا » أو أن أقود سيارة بسرعة شديدة، وبأعظم تحرز .

وأحسب أن شعورى بكرامتى هو الذى أركبنى هذا المركب الطيب ، فإنى مشهور بأنى « مستقل » ، وأنا أقاوم بشدة حتى ما أتخيله من الرغبة فى التحكم فىّ ، ومع ذلك كان الشراب أميرى المطاع . فلم تطب نفسى بأن لا أكون أنا سيد نفسى .

وهكذا أقلعت. ولست أحس بألم، ومازلت أنعم بشعور جميل بالحرية — كما كنت أشعر حين تنتهى الدراسة فأخلع نعلى ، وأمشى حافياً . وقد حسن الجزاء يوم استولت شركة كبيرة على الشركة التى أعمل فيها ، فتبطلت ثلاثة شهور ، وكانت تلك أياماً عصيبة ، فباركت حريتى الجديدة ، واعتمادى التام على نفسى دون أن أتعرض لخطر الغدر من عكازةٍ من زجاج قد تخوننى وتنزلق من تحتى . واجتزت الأزمة وأنا الآن خير حالا مما كنت ، وليس من همى أن أقنع أحداً بترك الشراب ، ولكنى أعتقد أن كل من يبغى التحرر من النفقات الكثيرة ، ومن وجع الرأس . وأن لا يضيع الوقت سدًى ، وأن يتقى بعض ما يعقد الحياة ، فإن فى وسعه أن ينال ذلك إذا هو فعل مافعلتُ .



## فى الطريق إلى القمة

ذهبنا بسيارتنا فى رحلة إلى الجبال ، فوقفنا عند أعلى القمم نتملى من المشهد الرائع ، ولم نكد نلق بالنا إلى فتى فى الثانية عشرة يبيع الفاكهة على قارعة الطريق لكثرة ماشاهدنا من أمثاله ، حتى جاءنا يعرض علينا منظاراً ، دالّنا على أماكن لها تاريخ وروعة وراء الوادى ، ثم تخير أجود فاكهته وأتى بها إلينا. فلما سألناه مايطلبه منا من مال قال من فوره : « لاشىء . لاشىء . الفاكهة بالمجان . ويسرنى أن أدل الناس على هذه المشاهد — ما أجملها ! »

فبعد أن أعطاه كل منا ربع ريال على سبيل المنحة سألته : « كيف يسعك أن توزع فاكهتك بالمجان على حين ترى غيرك هنا يبيعها » ، فابتسم ابتسامة خبيثة وهو يداعب النقود فى جيبه الحافل وقال : « أكسب أكثر مما يكسبون » .

[ ت . م . ديكرسون ]



# حبوبُ اللقاح – غبار الطبيعة العجيب

دونالد كلروس بيتي • مختصرة من "نيتشر مجازين"



في فضاء الهواء الذي يحيط بنا ، يطفو غبار عجيب قويّ ينفث الحياة في الأشياء . وحبة اللقاح شيء لا تراه العين المجرّدة ، ولكنها تحمل في طيها شعلة الحياة المخصبة – حياة الذكر .

وبعض حبوب اللقاح تركب متن الهواء لتبحث عن مستقرّها ، فربما رأيتها ترتفع في الهواء كأنها سحابة من ذهب ، إذا أنت داعبت بأصابعك خصل شجرة الحُور المشيقة ، أو نفضت النوارة الناضجة في شجر الصنوبر ، وبعضها يلتصق بالنحلة الغبراء وهي منطلقة من زهرة إلى زهرة .

بيد أن كلّ حبة من حبوب اللقاح مقدر لها أن تمضي في رحلة قد تكون مسافتها بوصة واحدة أو مئات من الأميال ، وغاية رحلتها زهرة أنثى من نوعها .

ولولا حبوب اللقاح لما انعقدت بذرة واحدة في العالم ، ولذوى العشب ، ولعجزت الأشجار المثمرة أن تؤتي ثمارها ، لأن حبوب اللقاح تعبر في طيرانها هوّة الموت العتيد ، حتى تبدأ معجزة حياة جديدة .

وعلى ما في حبة اللقاح من قوة كامنة فيها تراها أوهى من لهب شمعة في عاصفة ، فهي دائماً في خطر من أن تموت عطشاً أو جوعاً . وهي تختلف عن البذرة في أنها لا تحتوي في كيانها مادة تحيي بها ، وحسبها قطرة واحدة من الندى لتميتها ، لأن الماء يبلّ غلافها فينتفش وينفجر ، فتتعرض جرثومة الذكر في داخله للأشعة فوق البنفسجية القاتلة . ولا تستطيع حبة من لقاح القمح أن تعيش في الأحوال المواتية أكثر من ست وثلاثين ساعة .

وبعض حبوب اللقاح واهية التركيب كرقائق الثلج ، منوّعة الأشكال كالجواهر ، فإذا نظرتُ إليها بعدستي المكبرة ، بدت لي كجوزة البلوط الشائكة ، أو صور سطح

القمر، أو قنفذ البحر (الرتسا)، أو كؤوس الورق المقصوص التى توضع فيها حبوب الحلوى. وأكثرها كروىّ ككرة القدم. ولكن حبوب اللقاح تتخذ أشكالا هندسية شتى، فتكون كالمكعبات أو الأجسام الثلاثة التى لها أربعة وجوه، أو الأجسام التى لها خمسة وجوه أو اثنا عشر وجهاً. وأكبر حبوب اللقاح، كلقاح زهر القرع، لا يزيد سمك الحبة منها على جزء من مئة جزء من البوصة أما حبة لقاح الزهرة التى تدعى عين الهدهد فأصغر منها مئة مرة!

وخبراء اللقاح يستطيعون أن يميزوا حبوبه على تعدد أنواعها، فيعرفون حبوب النباتات والأشجار والأعشاب التى تحدث حمى الربيع، أى مرض البولينوسيس (وهو الاسم العلمى الدقيق لما تواضع الناس على وصفه بحمى الربيع).

ومن حسن الحظ أن حبوب اللقاح التى تحملها الرياح ليست جميعاً من الضرب السامّ، فقلما تجد امرءًا يؤذيه لقاح الصنوبر مع وفرته فى الربيع. ولحبوب لقاح الصنوبر أكياس من الهواء تجعله خفيف المحمل، حتى لترى حبوباً منه على ثلج جرينلند، مع أن أقرب غابات الصنوبر إليها تبعد عنها ٤٠٠ ميل، وهى واقعة فى لبرادور على الجانب الآخر من البحر.

ولا تصدّق ما تتحدّث به بعض العجائز عن «زكام الورد»، فالورد كسائر الأزهار التى لها ورق زاهٍ وعطر ذكى، تلقحه الحشرات، وحبوب لقاحه لا تصلح لركوب متن الهواء، وقلما تجدها منتشرة فى الفضاء.

وكلّ صغير من تلاميذ المدارس يستطيع اليوم أن يعلم أبويه حقائق الحياة الجنسية استناداً إلى ما تعلمه عن النحل وحبوب اللقاح وتلقيح الأزهار. ومع ذلك لم يكن من العلماء من يعلم منذ ثلاثة قرون أن للنبات حياة جنسية، غير أن المصريين والبابليين القدماء كانوا يعرفون ذلك، لأنهم كانوا يلقحون نخلهم بأيديهم. ولعلّ الناس نسوا ما كان القدماء يعرفونه، حتى لترى مالبيجى عالم التشريح الإيطالى العظيم فى عصر «الإحياء»، يقول لطلابه إن النبات يطرح لقاحه لكى يصفو عصيره.

وفى سنة ١٧٩٣ كشف القس كرستيان كونراد شبرنجل فى ألمانيا أن الحشرات تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى زهرة، وعدّ هذا العمل من معجزات الله، فقضى وقتاً كثيراً فى الحقول يدرس الزهر والنحل حتى أذهله ذلك عن الإياب إلى كنيسته ليتولى الوعظ فيها، فانصرفت عنه رعيته. وقد سبق شبرنجل علم زمانه، فلم يدرك العلماء يومئذ قيمة ما عمل، وظل مهملاً حتى جاء داروين

ونفض الغبار عن بحوثه بعد ستين سـنة .

وقد كان داروين أول من بين أن ضروب الأزهار لها وسائل معقدة تمنع التزوج بين ذوات القرابة الدانية منها . فعضو التأنيث في بعضها لا يلقح بحبوب اللقاح التي في عضو التذكير في الزهرة نفسها ، ولا يولد بذوراً إذا ذر بحبوب اللقاح من النبتة نفسها . وفي بعض الأزهار ترى عضو التذكير يبلغ نضجه قبل عضو التأنيث ، فلا يتم التلقيح إلا إذا جيء بحبوب اللقاح من نبتة أخرى قد تم نضج أعضـاء الذكر فيها ، في موعد يوافق نضج عضـو التأنيث في هذه .

ونحلة العسل هي خير معوان على التقاليح ، فهي أول الحشرات التي تحبُّ الأزهار تبكيراً في الطيران إذا جاء الربيع ، وتظل دؤوبة على العمل بعد أن تكفَّ الحشرات الأخرى. وقد جرت على أن تلازم نوعاً واحداً من الزهر مدة ما على الأقل ، فهي تختلف عن الفراش الذي يشتار الأرْى من هذه الزهرة ثم من تلك . وإذن فاللقاح الذي تحمله النحلة ينقل إلى حيث ينبغي أن ينقل — أي إلى زهرة أنثى من النوع نفسه . وهذا أمر ذو خطر عظيم ، لأن حياة حبة اللقاح قصيرة الأجل .

وتكاد خلية النحل تكون شيئاً لاغنى عنه في بستان تفاح أو برتقال . وتستعيض النحلة من المجهود الذي تبذله بما يتاح لها نقله من حبوب اللقاح إلى يرقاتها وصغارها في الخلية ، فتغتذي به . وهذا اللقاح الذي تنقله إلى صغارها تدسـه في كيس صغير في في رجلها ، ولكن حبوب اللقاح تعلق ببدنها كله في سعيها إلى الحصول عليـه وتنقلها من زهرة إلى زهرة . وكذلك تحمل مقداراً كبيراً من اللقاح يبلغ أحياناً نصف وزنهـا — تنقله من زهرة إلى زهرة ، فتلقح مئات من الأزهار كلَّ يوم على غير قصد منها .

وللأزهار حيل عجيبة شتى في غمر النحل بلقاحها أو إلصاقه بأبدانها ، ويكاد عـدد هـذه الحيل يبلغ عدد أنواع الزهر التي ترتادها هذه الحشرات الدائبة . واللقاح في الزهرة يوجد في أنابيب صغيرة يطلق عليها اسم أوعيـة اللقاح ، تتفتح فيها ثقوب حين تنضج ، فتنتثر حبوب اللقـاح منها كما ينتثر مسـحوق الطلق ( البودرة ) من وعائه . ولبعض الأزهار نظام ميكانيكيٌّ عجيب ، فلا تكاد النحلة تطأ أعضاء الزهرة حتى يهوى عليها وعاء اللقاح من فوق كأنه المطرقة ، فيضرب النحلة ضرباً رفيقاً فتنتثر حبوبه على بدنها. وتخفي بعض الأزهار أريها في أماكن لاتستطيع النحلة أن تبلغها إلا بأن تتسلّق أوعية اللقاح أولا فيعلق اللقاح ببطنها .

ومن أعجب ما في الطبيعة من أمثلة تدل على التعاون الوثيق بين أحيائها ، مثل الفراشة الصغيرة التي تلقى بيضها في مبيض نبات يدعى «يكّا» ولا تلقيه في مكان آخر. فإذا تفلق البيض عن اليرقات أكلت اليرقات بعض الحبوب ، ثم تشق لنفسها طريقاً حتى تخرج . ولكن البذور لا تنعقد إلا إذا لقحت أولا ، فتتولى الفراشة عمل التلقيح عن قصد وروية . فأجزاء من فمها قد خلقت بحيث تستطيع أن تتخذ طائفة من حبوب اللقاح وتجعلها كرات صغيرة ، وبعد أن تضع بيضها في مبيض النبات ، تأخذ حبوب اللقاح من أوعية اللقاح وتحشدها حشداً على الميسم — وهو الجزء الذي يتلقى اللقاح من مبيض الزهرة . ولولا الفراشة لعجزت الزهرة عن أن تعقد بذرة ، ولعجز النبات عن التوالد . ولولا البذور لماتت يرقات الفراشة. فعمل التلقيح الذي تتولاه الفراشة بدافع من فطرتها ، يبلغ من الدقة والإحكام مبلغاً عجيباً كأنها أستاذ عالم في معمل تجارب.

وقد كان هذا الفراش يقوم بتلقيح نبات اليكا منذ زمن متغلغل في القدم يعود إلى عصر الجمد الأخير ، ومع ذلك لم يستولد الإنسان نباتاً هجيناً إلا في سنة ١٧١٧ ، وقد تم ذلك لتوماس فيرشايلد في إنجلترا يوم وضع اللقاح من زهر القرنفل على زهرة أنثى من صنف آخر من القرنفل . ومنذ ذلك الحين صنع مولدو الأزهار والنبات بالتقريب ٤٠٠٠ هجين من زهر العرار ، وثمانية آلاف من السوسن المعمم . ومعظم هذا العمل قد تم منذ ١٩٠٠ لأن قوانين الوراثة التي جعلت التوليد علماً دقيقاً لم تكشف إلا سنة ١٨٦٦ ، ولم تذع إلا في أوائل هذا القرن .

وقد كان مكتشفها جورج مندل الراهب النمسوي الذي قضى حياته يلقح زهر البسلة ، في حديقة صومعته ، فثبت له أنك لا تجد فرقاً بين شيئين أعظم من الفرق بين حبتي بسلة في قرن واحد . وقد كشف مندل جانباً كبيراً من أسرار الوراثة فأدرك أن السلالات تتوالى على الأجيال توالياً رياضياً منظماً ، وأنك تستطيع بالتوليد أن تخلدها أو تزيدها أو تبيدها أو تخلط بعضها ببعض. فإذا أخذت وردة تحتوي في كيانها عامل الوراثة الخاص بكثرة الإزهار ، ولكن ليس لزهرها شذى عطر ، ولقحتها بلقاح وردة تحتوي في كيانها عامل الوارثة الخاص بالشذى، ولكن ليس فيها عامل وراثة خاص بكثرة الإزهار ، كان في وسعك على الأرجح أن تظفر بوردة كثيرة الزهر عطرة الشذى .

هذا قليل من كثير يصنعه مولدو النبات

الذين يستولدون ضروباً شتى من الحبوب والأزهار ، وأداتهم القوية فى العمل هى حبوب اللقاح الواهية البنيان . وأروع ما يفتن لبك حين تزور محطة للتجارب الزراعية ، هو أن ترى ترفّق المولدين وسرعتهم وإحكامهم فيما يصنعون .

فالضروب التى يراد تلقيحها تقطع منها أولا أعضاؤها التى تحمل اللقاح قبل أن تتفتح الأكمام ، حتى لا تحدث مزاوجة بين نبات الضرب الواحد. ثم تضم أوراق الأكمام وتوضع فى كيس حتى يحول دون نزول النحل عليه بلقاح غير معروف أو غير مرغوب فيه . ثم ينتقل المولد إلى الأزهار الذكور من السلالة التى اختارها لعمل التوليد الذى بين يديه ، ويأخذ من الزهر اللقاح الناضج الذى لم يكد يمسه الهواء ساعة يتفتح الكم ، فيضعه فى طبق صغير مرقوم باسم النبات الذى أخذ منه أو برقمه . وقد يجمع اللقاح من ضروب شتى فى وقت واحد ، ويضعها على أطباق شتى مرقومة ، ثم ينتقل بهذه الأطباق إلى حيث الأزهار الإناث محفوظة فى أكياسها . فيفتح كل كيس على حدة ، ويضع على ميسم الزهرة اللقاح الذى اختاره لها ، ثم يعيد الكيس ويشده وينتقل إلى زهرة أخرى . وكذلك يتم عمله ، وليس عليه إلا أن ينتظر ما يسفر عنه .

أما حبة اللقاح فانها لم تكد تبدأ عملها ، فتراها على ميسم الزهرة الأنثى قد أخذت تنبت ، فترسل أنبوباً بالغ الدقة إلى تحت ، فينمو فى نسيج المبيض متجهاً إلى الخلايا التى فى أسفله . وقد تكون المسافة التى ينبغى له أن يقطعها قبل أن يصل إلى البيض أطول من قطر حبة اللقاح ألف مرة ، ولكن حبة اللقاح تستطيع على وجه عجيب مجهول أن تمد هذا الأنبوب الطويل من ذات نفسها ، لأن اللقاح ينجذب نحو البيض الذى ينتظرها بحافز كيميائى يطلقون عليه اسم هرمون . وقد قام الدليل على هذه الحقيقة حين وضعوا حبة لقاح على لوح رطب من زجاج مع قطعة صغيرة من مبيض أخذ من نفس النوع من النبات . فترى أنبوب اللقاح يمتد نحو قطعة المبيض مسترشداً بالهرمون الذى أذيب فى الماء على الزجاج . وهكذا ترى فى الزهرة أن المادة الحيوية فى حبة اللقاح قد بلغت غايتها وألقت عصا التسيار ، وبدأت حياة جديدة

وقد تكون النتيجة سلالة جديدة من القمح تعين على إطعام الجياع فى العالم ، أو قد تكون وردة هجينة تطلق شذاها العطر فى حديقتك ، أو قد تكون شجرة كريمة يستظل بها حفدتك . حقاً إن حبوب اللقاح هى غبار الطبيعة العجيب

[ هذا المقال مختصر من التاريخ الوافى الذى وضعه ألن ميكي للحرب الجوية فى أوربة ، وسوف تنشره شركة « لتل وبراون » فى سنة ١٩٤٧ . وقد أتيحت للمؤلف فرص نادرة لجمع حقائقه ، فقد وصل إلى لندن يوم نشوب الحرب ، وظل يتتبع أعمال سلاح الطيران البريطانى وسلاح الطيران الأمريكى حتى ختامها ، وكان مع هيئة أركان حرب الجنرال إيزنهاور يوم غزو أوربة . وسمح له أن يطلع على الأوراق السرية لسلاح الطيران البريطانى ، وعلى ما سلم من أوراق سلاح الطيران الألمانى ] .

# أعظم خدعة تمت فى الحرب الأخيرة

ألن ميكى

*مختصرة من كتاب يوشك أن يظهر*

ظل الألمان يباهون منذ أغار الحلفاء على دييب فى صيف ١٩٤٢ ، بما سيكون عليه مصير القوات المتحالفة يوم تحاول أن تغزو أوربة . ولكن هذا الغزو تم فى ٦ يونيو ١٩٤٤ ، على ساحل نورمندى دون أن يعترضه معترض ، وبدأت الجيوش تنزل على الساحل قبل أن يشعر بهم الألمان . ففى الساعة الحاسمة ، فوجىء الألمان متأثرين بخدعة كانت أعظم خدعة فى الحرب العالمية الثانية . وكان قوام الخدعة غزواً موهوماً خدع عمال الرادار من الألمان ، فظنوا أن الحلفاء أخذوا يغزون منطقة باده كاليه التى تبعد مثتى ميل إلى الشمال من السواحل التى غزوها حقاً .

هذه الخدعة الباهرة التى تمت يوم غزو نورمندى ، كانت ذروة الحرب الناشبة فى أمواج الأثير — معركة الراديو السرية التى ظلت أربع سنوات بتمامها ناشبة تسير جنباً إلى جنب مع القتال الدائر بين سلاح الحلفاء الجوى ، وسلاح الطيران الألمانى . وقد أسفرت تلك المعركة التى كتمت أخبارها عن ظفر حاسم للإنجليز والأمريكيين ، أنقذهم من خسارة فادحة تنزل بطائراتهم ، ومكن لهم أن يحتفظوا بالتفوق فى الجو الذى كسبوه بشق النفس ، ثم مهد لهم أن يكونوا كالسيل الجارف فى هجومهم على ألمانيا .

إن السرعة العظيمة فى القتال بين الطائرات فى الحرب العالمية الثانية اقتضت من الفريقين أن يعتمدوا اعتماداً لا غنى عنه على التلفون اللاسلكى والمخاطبات اللاسلكية ، إذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها ، ولتوجيه المطاردات إلى القاذفات

المغيرة أيضاً . وقد كان رادار عماد الألمان والإنجليز فيما اتخذوهُ من وسائل الدفاع ضد الطائرات، ورادار هو العين اللاسلكية الساحرة التى تتبين الطائرات المغيرة وتعين مواقعها . وإذن فقد كان هدف كل فريق أن يدمّر الوسائل التى يعتمد عليها الفريق الآخر فى المخاطبات اللاسلكية ، وفى تبين الطائرات بأساليب رادار .

وقد بدأ الإنجليز يتخذون الأساليب اللاسلكية المضادة ، فى خريف سنة ١٩٤٠ يوم بدأت قاذفات جورنج تشنّ غاراتها فى الليل على مدن إنجلترا . وكان طيارو القاذفات الألمانية يوجّهون إلى أهدافهم باتباع أشعة ضيقة من الراديو ، ترسل من قواعد أقيمت على سواحل فرنسا وبلجيكا . وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط أخرى مرسلة فى الفضاء من قواعد فى هولندة والنرويج، وتكون الأماكن التى تتقاطع فيها إنذاراً للطيارين بأنهم قد دنوا من أهدافهم.

فعزم البريطانيون أن يفسدوا هذه الإشارات . وأشعة الراديو تحاول أن تنطلق فى خطوط مستقيمة ، ولكن هناك أسباب طبيعية شتى تحدث انحرافاً فيها ، فأخذ الخبراء على عواتقهم أن يضخموا هذا الانحراف الطبيعى. ولما كان الالمان يطلقون أشعتهم لعدة ساعات قبل الغارة ، فقد أتيح للبريطانيين أن يتبينوها ويحاكوها ، فاستطاعوا أن يعيدوا إرسالها فى الفضاء وأن يحنوها قليلا قليلا حتى تبتعد عن المدينة التى اتخذت هدفاً للغارة . ولو حرفت الأشعة مقدار درجتين لكان ذلك كافياً لإقصاء الطائرة تسعة أميال عن خط سيرها فى مسافة تبلغ ٢٥٠ ميلا .

كانت جدوى إفساد إشارات الراديو قليلة حين كانت أهداف الطائرات هى مدينة لندن والثغور البريطانية التى يسهل تمييزها ، ولكن حين كانت الأهداف هى المدن الصغيرة فى داخل الجزيرة ، كانت إمالة خط السير بعض الشىء كافية لإقصاء القاذفات الألمانية عنها ، فترمى ما تحمله من القنابل فى الأرض الفضاء . وقد تمّ أعظم ظفر لإحالة خط السير اللاسلكى فى ذات ليلة، حين ألقت مئتان من القاذفات الألمانية ٤٠٠ طن من القنابل ــ فقتلت دجاجتين .

فلما أدرك الألمان ما حدث ، تركوا نظام خطوط السير بالراديو ، وأحلوا محله التعليمات اللاسلكية ترسل من قواعد فى ألمانيا نفسها . فاستعان البريطانيون يومئذ بحيلة جديدة فى حرب الراديو . فكانوا إذا أبرق الملاح الألمانى إلى قاعدته ليطلب ما يعينهُ على تعيين موقع قاذفته ، يجيبه عامل إنجليزى يذيع على نفس الموجة

التى يستعملها الألمان لطائراتهم ، ويعطيه ما يطلبه غلطاً . وكان هذا يضلل الطيارين الألمان ، فيضلون عن اتجاههم الصحيح ويظلون يدورون فى الفضاء حتى يطلع الصباح ، ثم ينزلون على الأرض فى جنوب إنجلترا وهم يظنون أنهم فى فرنسا .

وقد أحرز الألمان أول ظفر فى إدخال الفساد على عمل رادار . ففى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ تسللت البوارج الألمانية شارنهورست وجنايزناو والبرنس أويجن من ثغر برست واتجهت إلى بحر المانش ، وقد لاحظ خبراء رادار من البريطانيين فى محطات رادار على الساحل اضطراباً فى أجهزتهم كان يسيراً فى أول الأمر ، ثم ازداد قوة ازدياداً لا يكاد يحس . فلما بلغت البوارج الألمانية مضيق دوفر ، كان الاضطراب لا يزال مستمراً ، فمنع الإنجليز من رؤية سفنهم وطائراتهم ومن توجيهها . وكذلك مرت البوارج الألمانية وهى آمنة .

وفى نحو ذلك الوقت تبين البريطانيون أن أجهزة رادار الألمانية عرضة للاضطراب ، فقد روى رجال بعض القاذفات البريطانية العائدة من غارة على أرض أوربة ، أنهم حين أداروا أجهزتهم اللاسلكية التى تعرّف بهم من يتلقى إشارتهم ، رأوا الأنوار الكشافة الألمانية التى يوجهها رادار قد ضعفت أو انحرفت عنهم . ففحصت أجهزة رادار الألمانية التى ظفر بها الفدائيون فى غاراتهم الجريئة ، فظهر أن أجهزة التعريف فى الطائرات البريطانية تدخل الاضطراب على هذه الأجهزة الألمانية مصادفة واتفاقاً ، فزودت أجهزة التعريف البريطانية بأدوات خاصة لإدخال الاضطراب حتى يصير ما تحدثه من لغط فى أجهزة الألمان أقوى وأتم . ثم أنشأ البريطانيون محطات لاسلكية قوية فى جنوب إنجلترا ، صار همها أن تحدث لغطاً فى أجهزة رادار الألمانية القريبة التى ترسل الإنذار الأول بدنو الطائرات البريطانية . وزاد الطين بلة أن سلاح الطيران البريطانى أخذ يحدث لغطاً فى الاتصال اللاسلكى بين الطائرات الألمانية فى الفضاء وقواعدها الراسية على الأرض .

وقد ظلت حرب الأثير دائرة الرحى لا تقطعها ساعة من هوادة أو سكون . ومنذ بدأ خبراء الإنجليز هجومهم الأول على وسائل الألمان اللاسلكية ، أقاموا ليلة بعد ليلة يستطلعون مناطق أمواج الراديو ، ما كبر منها وما صغر ، وما علا وما سفل ، وصار الألمان يتلمسون بكل حيلة فى يدهم أمواجاً لا تزال خالية من اللغط ، ولاحقهم البريطانيون جادّين ، يطمسون لهم كل موجة يجدونها . وقد عمد الألمان فى أثناء

بحثهم عن الأمواج الجديدة ، إلى تعديل ما عندهم من أجهزة رادار ومعدات المخاطبات بالراديو ، أو ربمّا عمدوا إلى إحلال أخرى محلها ، ولكنّ الأجهزة الجديدة كانت لا تكاد تبدأ عملها حتى يقبل عليها البريطانيون بأجهزتهم الجديدة يحدثون فيها لغطاً واضطراباً .

ومن الأجهزة التى أتقنها البريطانيون بعد ما تغلبوا على عقبات فنية كأداء ، جهاز خفيف لإحداث اللغط يسهل حمله في طائرة ، فوضعوه في قاذفة خصصت لذلك . وهو جهاز بارع ، فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق أمواج الراديو تفتيشاً آليًّا ، فإذا تبين إشارة ما على حديث دائر ، ظهرت « نقطة من الضوء » على لوحة ، وما على عامل الجهاز حينئذ إلا أن يستوثق من مصدر الإشارة ، فإذا فعل أرسل فى الفضاء بجهازه المرسل خليطاً مختلطاً من الإشارات ، فيمحو الحديث الدائر .

وقد بلغ من نجاح هذا الجهاز أن عمد الألمان إلى محطة قوية للإرسال فصاروا يستعملون أمواجها فى إرسال التعليمات إلى مطارداتهم الليلية ، كلاماً منقولا على أمواج التلفون فالراديو . فما كان من سلاح الطيران البريطاني يومئذ إلا أن أنشأ محطة قوية للإرسال أيضاً تذيع على نفس الموجة التى تعتمد عليها المحطة الألمانية ، وصار مذيعوها يأخذون الطريق على المذيعين الألمان ، بما يذيعونهُ من تعليمات مناقضة ومعلومات خطأ ، فيتلقاها طيّارو المطاردات الليلية فيختلط عليهم الأمر . وكان المذيعون البريطانيون يعمدون إلى استعمال اللغة الألمانية كما يستعملها أهلها ، بل درّبوا أنفسهم أيضاً على محاكاة نبرة الألمان الذين يصدرون الأوامر محاكاة تامّة .

وقد استعمل هذا الأسلوب أول ما استعمل فى ليل ٢٢ — ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوماً قويًّا على مدينة كاسل . وقد أدرك الألمان خلال الغارة أن خللاً قد وقع ، وسمع رُصّاد الراديو البريطانيون أحد الألمان يقول لطياري المطاردات الليلية التى تأتمر بأمره : « حذار من صوت آخر » وحذّرهم « من أن يضللهم العدوّ » . وبعد أن انفجر الألماني بالسباب تدخل صوت المذيع الإنجليزي مقلداً صوت أحد الطيارين وقال : « هذا الإنجليزي يلعن ويسبّ » فقال الألماني : « ليس الذى يسبّ هو الإنجليزي بل أنا » . ولم تكد الغارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الأمر على الطيارين الألمان أن صار يسبّ بعضهم بعضاً .

وتوقع خبراء حرب الأثير من البريطانيين

أن يحاول الألمان فضح « الأصوات » الإنجليزية التى تفسد عليهم عملهم ، بإحلال امرأة على الميكروفون محلّ الرجل . فعمد البريطانيون إلى اختيار ثلاث مجنَّدات يجدنَ الألمانية ودرَّبوهن أحسن تدريب، وأمروهن بالتأهب والانتظار. وبعد أسبوع عمد الألمان إلى امرأة ترسل الأوامر للطيَّارين ، فهبَّت إحدى المجنَّدات إلى محاكاة صوتها ونبرتها ، فظل الأمر مختلطاً على الطيَّارين الألمان كما كان .

ومن أنفع الوسائل التى توسلوا بها فى حرب الأثير لتضليل عمال الرادار من الألمان ، قدد صغيرة من رقائق الألومنيوم . وقد أطلقوا على هذه الوسيلة اسم « نافذة » . فقد وجد علماء سلاح الطيران البريطانى أنه إذا ألقى عدد من هذه القدد فى الفضاء ، وكان بعضها قريباً من بعض بحيث لا تتلامس ، فإنها تحدث على لوحة جهاز رادار شبحاً شبيهاً بشبح طائرة . فإذا ألقى عدد وافر منها ، على فترات ، أظلمت لوحات أجهزة رادار ، أو تعددت الأشباح الزائفة ، فيعجز عمال رادار عن أن يتبينوا أشباح الطائرات الحقيقية .

وقد استعملت وسيلة « النافذة » أول ما استعملت فى الغارة الأولى من الغارات الأربع القوية التى محت مدينة همبرج أو كادت ، فى الأسبوع الأخير من يوليو سنة ١٩٤٣ ، وكان عدد القاذفات المغيرة فى تلك الليلة ٧٩١ قاذفة ، فألقت كلٌّ منها حزمة مؤلفة من ٢٠٠٠ قدة ألومنيوم فى كل دقيقة ، فوق خط مرسوم يفضى إلى الهدف . فإذا فرضنا أن كل حزمة منها أحدثت « أثراً » فى أجهزة رادار ظلّ ١٥ دقيقة ، فعدد هذه « الآثار » يمثل على ألواح رادار ١٢٫٥٠٠ طائرة .

فكان أثر ذلك فى الدفاع الألمانى القائم على رادار أثراً مدمِّراً . وقد روى رجال القاذفات المغيرة أن الأنوار الكشافة التى توجهها أجهزة رادار كانت تتذبذب فى عرض الفضاء ، أما نيران المدافع المضادة للطائرات التى تسدد بأجهزة رادار فكانت مضطربة غير محكمة ، وكانت تسدد على الأكثر إلى الأماكن التى تجىء منها الإشارات التى تحدثها رقائق الألومنيوم . وأما المطاردات الألمانية الليلية التى كانت تعتمد على أجهزة رادار القائمة على الأرض لتوجيهها ، وعلى أجهزة رادار المحمولة فى الطائرات للانقضاض الأخير على القاذفات ، فكانت عاجزة لا حول لها . وقد خسر سلاح الطيران البريطانى فى تلك الليلة ١٢ قاذفة — ١٫٥ فى المئة من القاذفات المغيرة — وترجع خسارتها إلى لقاء جاء اتفاقاً بإحدى

الطاردات الليلية ، أو إلى مقذوفات مدافع مضادة أطلقت على غير هدى فأصابتها .

فلما أبطلت وسيلة « النافذة » نفْع التوجيه بواسطة رادار ، لجأت الطاردات الليلية الألمانية إلى أن تستقلّ كلٌّ مطاردة منها بعملها ، مسترشدة ببعض الشيء بمراقبين على سطح الأرض يعتمدون على الرؤية والسمع فى تعيين مسارات القاذفات المغيرة ، ويستعينون بالمشاعل والأضواء الكشافة وأجهزة تبين الصوت . وهذه طريقة ضعيفة عقيمة إذا قيست بطريقة رادار قبل أن تدمرها وسيلة «النافذة» ، وقد مهّد ضعفها لقائد قيادة القاذفات البريطانية أن يضرب برلين ، وهى أهم هدف فى حرب الجوّ ، فيصيبها فى مقاتلها .

فلما وافى ربيع ١٩٤٤ كان هجوم البريطانيين والأمريكيين الذى غرضهُ إحداث اضطراب فى الأثير على الألمان ، قد حير الألمان تحييراً عظيما ، فصاروا يرسلون رسائلهم على عشرين موجة مختلفة ، عسى أن تكون واحدة منها قد أفلتت من الاضطراب الذى يحدثه خصومهم .

وقد تجلت جدوى هذا الهجوم البريطانى الأمريكىّ فى الساعات الفاصلة التى سبقت ساعة النزول فى نورمندى .

كانت غارات الحلفاء التى سبقت الغزو قد أنزلت بنظام رادار الألمانى على ساحل أوربة الغربى وَهناً خطيراً ، ولكن الألمان كان لهم بين شربورج ونهر السكلت أكثر من مئة محطة رادار ، وكان معظمها لا يزال قائماً يعمل فى الأيام التى سبقت يوم الغزو . فلم يكن بدٌّ لقواد الحلفاءِ من أن يضللوا عمال هذه المحطات ويذرُّوا الرماد فى عيونهم ، حتى يكفلوا النجاح للجيوش التى تهبط ساحل نورمندى . وإذن فلا بدَّ من أن يطمس بصر محطات رادار الألمانية القائمة فى منطقة الغزو نفسها ، لأن النجاح الأول رهين بالمفاجأة . ثم لا بدَّ لمحطات رادار الألمانية فى بعض المناطق الأخرى ، من أن تتوهم أنها ترى أشياءَ تحملها على الظن أن عمارة الغزو مقبلة عليها .

ولتحقيق هذا الغرض نفذ الخبراء خطة كانوا قد أحكموا وضعها وتجربتها ، وهى مؤلفة من خمسة أقسام . وقد نفذت هذه الأقسام الخمسة جميعاً فى وقت معاً ، فى ليل ٥ — ٦ يونيو ، حين عبرت عمارة الغزو بحر المانش متجهة إلى شبه جزيرة شربورج.

كان الألمان موقنين أن الحلفاء سيحاولون النزول فوق مدينة الهافر ، وفى منطقة پاده كاليه على الأرجح ، فنجاح الخدعة التى دبرها الحلفاء كان وثيق الصلة بهذا اليقين .

وكذلك أقلعت ١٨ سفينة حربية بريطانية

صغيرة متجهة إلى كاب دانتيفير فوق الهافر بسرعة ثمانى عقد بحرية فى الساعة ، لكى توهم الألمان أن النيـة معقودة على نزول الجيوش فى تلك المنطقة من ساحل فرنسا . وكانت كلُّ سفينة منها تجرُّ بضعة بلونات منخفضة ، فتحدث فى لوحات رادار الألمانية أثراً قويًّا يدلُّ على سفن دانية .

بيد أن الألمان كانوا خليقين أن يدركوا بعد قليل ضعف هـذه القوة البحرية فلا تنطلى عليهم حيلتها ، ولذلك طارت فوق السفن وعلى ارتفاع يسير فوقها اثنتا عشرة طائرة ، وجعلت تلقى حزماً من رقائق الألومنيوم ، حزمة كلَّ دقيقة . لكى توهم الألمان أن قافلة عظيمة متجهة إلى فرنسا . وظلَّ عمال اللغط فى كلّ طائرة يواصلون عملهم حتى يمنعوا الألمان من تبين الحقيقة وفضح الحيلة . وقد اقتضى تحقيق كلّ هذا أن تعين مواعيد كل جزء من الخطة تعييناً دقيقاً ، وأن ينفـذ كل جزء فى موعده تماماً ، ومع ذلك فقد ظلت الطائرات ثلاث ساعات ونصف ساعة تطير فوق بقعة طولها ١٢ ميلا وعرضها ٨ أميال ، فتمَّ كل شىء كما ينبغى أن يتمَّ .

كان هذا هو القسم الأول من الخطة . أما القسم الثانى فقد اشتمل على تنفيذ خدعة كالخدعة الأولى تجاه ثغر بولون ، أما الثالث فقد تم فى المنطقة بين مدينتى الهافر وبولون حيث ظلت ٢٩ قاذفة من طراز لانكستر أربع ساعات تروح وتجىء لكى تستدرج إليها المطاردات الليلية الألمانية فتقصيها عن منطقة الغزو الحقيقية . وقد عُنيت هذه القاذفات أيضاً بإحداث اللغط فى رادار الألمان ، مستعينة بأجهزة خاصـة بذلك محمـولة فى الطائرات ، بلغ عددها ٨٣ جهازاً على الأقل . وكان الغرض من هـذه القاذفات أن يحسبها الألمان حرساً جويًّا للسفن الحربية التى اشتركت فى تنفيذ القسم الأول والقسم الثانى من الخطة .

وفى الوقت نفسه شرع الحلفاء فى تنفيذ القسم الرابع ، وكان غرضهُ توزيع اهتمام الألمان ساعـة تنزل الجيـوش المحمولة بالطائرات فى نورمندى . فقبل أن يبدأ نزول هـذه الجيوش انطلق سربٌ من الطائرات البريطانية فوق الهافر وألقى رجاله عشرات من دُمى مصنوعة من خشب تمثل جنود المظلات بمظلاتهم ، فنزلت تتهادى فى المنطقة التى تحيط بمدينـة فيكامب ، وذهبت طائرات أخرى تلقى فى نفس الوقت دمى فى منطقة مدينة شربورج على ميمنة البقعة التى تم فيها حقاً نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات . وقد ألقى مع الدمى قدر كافٍ من رقائق الألومنيوم لكى يتوهم

المكدودون من رجال رادار الألمانى أن الهجوم بالمظلات أعظم مما يلوح عشرين ضعفاً .

أما عمارة الغزو الحليفـة فقد أقبلت مستخفية تحت ستار كثيف أسدلته الطائرات التى تولت إحداث الاضطراب فى أجهزة رادار الألمانية على نطاق لا مثيل له من قبل . فقد حلقت أربع وعشرون قاذفة بريطانية وأمريكية مجهزة بأدوات اللغط على ارتفاع ١٨ ألف قدم ، وجعلت تروح وتجىء فوق خط يبعد عن ساحل الغزو خمسين ميلا ، وظلت ساعات متوالية ترسل الإشارات التى تحـدث الاضطراب فى محطات رادار الألمانية فى شبه جزيرة شربورج . ولم يقتصر أثر عملها على إخفاء أسراب القاذفات الحليفة التى انطلقت إلى حصون الساحل تصكها آخر صكة قبل نزول الجيوش ، بل أخفى أيضاً الطائرات والسابحات التى كانت تحمل الجنود ، ومنعت الألمان من تبين عمارة الغزو نفسها . فلما دنت السفن من الساحل ، اشتركت أجهزتها فى إطلاق إشارات اللغط والاضطراب .

وقد نجحت هـذه الخدعة أتم نجاح ، فقد ظن الألمان أن السفن المقبلة نحو بولون هى تهديد حقيقى بالغزو ، فأطلقوا كل ما بين أيديهم من مدافع وأنوار كشافة ، وهُرعت زوارق الطربيد لكى تعترض سبيل القافلة العظيمة — الموهومة . ودعا الألمان جميع المطاردات الألمانية الليلية المتاحـة ، لكى تقاتل قاذفات لانكستر بين الهاڤر وبولون ، لظنهم أن هـذه القاذفات لا غرض لها سوى حماية عمارة الغزو . وكذلك جرّدت من المطاردات الليلية منطقة نورمندى التى هبطت فيها الطائرات والسابحات المحملة بالجند ، وهى طائرات نقل لا قدرة لها على الدفاع . وأما هبوط دمى جنـود المظلات فقـد دفع الألمان إلى العمل الحثيث ، وساعة انتشرت جنودهم لمطاردة هؤلاء ، نزلت جنود الحلفاء المحمولة فى الطائرات ، على جناحى ساحل الغزو وعزّزتهما . وقد أفضت إشارات اللغط المنطلقة من الطائرات والسفن إلى تضليل نظام رادار الألمان أتم تضليل ، حتى لقد سمع رُصَّاد أمواج الأثير من الحلفاء ، جماعة من عمال رادار الألمانى يؤكدون أن طائرات لانكستر هى فى الواقع طليعة هجوم جوّى عظيم أنفـذته قيادة الحلفاء إلى باريس .

وقد حقق غرض الخطة بأقسامها الخمسة أبرع تحقيق ، ولم يعرف الألمان أين كان الغزو ومتى تمّ إلا بعـد الساعة ٣٠ : ٥ صباحاً ، حين شرعت بوارج الحلفاء تقذف عليهم حممَها قذفاً متـداركاً .

# مسيو شرلوك هولمز

فلتشر برات
مختصرة من "ذى أميريكان ميركيورى"

كان قلم المباحث الفرنسى هو أعظم أقلام المباحث طراً قدرة فى أعماله ، وحسبك عجباً أن تعلم أن أعماله الرائعة التى يؤديها تعتمد أول ماتعتمد على مافى أفراده من ذكاء كذكاء شرلوك هولمز فى حسن الاستنباط ودقة الملاحظة .

فالشرطى المكلف بالكشف عن إحدى الجرائم لايسأل إلا عن نتيجة كشفه ، وإذا بدأ أبحاثه فقلم المباحث كله تحت تصرفه ، فربما طلب تحليل زوجين من الجوارب تحليلاً كيميائياً ، وربما طلب كتيبة من الجنود ، فإذا فعل أجيب طلبه بلا معارضة أوسؤال . ولو سأله أحد رؤسائه كيف تسير القضية كان خليقاً بأن يجيبه : « صه ، هذا سر لقد وقعت على دليل عظيم الخطر » . وأعظم ماينظر إليه فى تقدير المكافأة التى يستحقها هو براعتـه فى الأساليب التى أفضت إلى القبض على المجرم ، لا القبض نفسه .

فهذا ألفونس برتيون المخبر الفرنسى الذائع الصيت ، كان من أول مانوه بذكره عند رؤسائه ، ماجرى بينـه وبين لص مسجون لتهمة لم يقم عليها دليل قاطع . عمد برتيـون إلى الحادثة فأعاد تمثيلها كيف وقعت ، مستعيناً بممثل قام له بدور اللص ، فلما عرف كيف وقعت انطلق إلى السجن فدخل على اللص فى محبسه وكان عندئذ نائماً .

فلما استيقظ اللص بادره سائلا : « ماالذى جاء بك ؟ وماذا تفعل ؟ »

فقال برتيون ساكن النفس : « أقيد اعترافك . فقد كنت تتكلم وأنت نائم ، فرويت لى قصة هذا السطو كاملة » . ثم أخذ يتلو عليه سياق الجريمة كما تصورها هو ، فبلغ من دقة هـذا السياق أن بادر اللص المشدوه فوقّع له على اعـتراف كامل بما كان منه .

وكان فى فرنسا منذ قرن مضى مخـبر مشهور يقال له فيدوك ، فبلغه أن أحد الأشرار ويدعى جيفيف ، آلى أن يقتله إذا وقعت عينه عليه ، فتنكر فى هيئة رجل من الأشرار وترفق حتى نال صداقة جيفيف ، فلم يلبث هذا أن اقترح على صديقه الجديد أن يعينه فى الفتك بفيدوك . فقبل فيدوك وظل أربع ليال مع صديقه المجرم مترصداً عند بيته هو ليشاركه فى قتل نفسه ! وفى الليلة

الخامسة بلغت المهزلة غايتها ، وذلك أن فيدوك شارك اللص في السطو على منزله هو نفسه ، ثم ضربه ضربة صرعته ، وحمله إلى السجن .

وأساليب المجرمين الفرنسيين في أعمالهم تتطلب أن يكون رجال المباحث من أذكى الناس وأدهاهم . فانظر مثلا إلى ما كان من أمر القاتل الذي اغتال البارون زيدلر بأن ضربه بهراوة ثبّتت فيها حديدتين من أحذية الخيل ، ثم وضع الجثة في إسطبل للبارون كان له فيه فرس "شموس" . وكان الذي تولى القبض على القاتل هو برتيون ، فإنه لاحظ أن أثر الحديدة في جمجمة زيدلر يدلّ على أنه من غير الممكن أن يكون الجواد هو الذي رفسه ، إلا إذا كان البارون عندئذ واقفاً على رأسه ! أو انظر إلى قضية أندريه رانسي اللص الممثل المضحك ، الذي كان له قردان درَّبهما على سرقة الفنادق التي ينزل بها — فقد استطاع المخبر الفرنسي بايل أن يثبت عليه الجريمة بآثار أصابع القردين .

فهذه الحاجة إلى المهارة هي التي جعلت رجال المباحث الفرنسيين يبلغون الغاية في استخدام الأسلوب العلمي في الكشف عن الجرائم . فقد اكتشف برتيون منذ زمن بعيد أن أذن الإنسان لا يمكن أن تنكَّر أو تخفى معالمها ، وأنك لن تجد في البشر أذنين متشابهتين تمام التشابه ، وذلك قبل أن تصير آثار الأصابع وسيلة معتمدة في تحقيق الشخصية . ولقد دُرِّب المخبرون الفرنسيون على تمييز آذان المجرمين الذي يتعقبونهم ، فمتى ظفروا بصورة واضحة للمجرم ، فقلما يفلت منهم مجرم يقتفون آثاره .

اختفى كاتب كان يعمل في أحد مصارف باريس ، وكان طويلاً بديناً جاحظ العينين كثّ الشعر أسوده ، فبقي في مخبئه يتجوّع حتى يصير نحيل البدن ، وحلق أكثر شعره وصبغ سائره ، واستعمل مادة مهيجة في عينيه حتى صارت ضيقة دامعة ، واصطنع لنفسه لحية طويلة قد وخطها الشيب ، وجعل يحقن أنفه بالبرافين حتى انتفخ ، وحمل عصاً يتوكأ عليها وهو يمشي مقوّس الظهر . فما كاد يخرج من مخبئه لأول مرة حتى قبض عليه مخبر لم ينظر إلا إلى الشيء الذي لا يمكن تنكيره — وهو الأذن .

وقد أثبت الدكتور لوكار ، أحد أطباء مدينة ليون ، أن هناك عدة خصائص في الجسد يستطيع المرء أن يثق بدلالتها على الشخصية كثقته بدلالة آثار الأصابع . فالأشاجع ، وهي عروق ظاهر اليد ، لا ينفع فيها تنكير ولا تغيير ، ولا تتشابه في رجلين من الناس . وكذلك أسرار راحة الكف ، وهي الخطوط التي فيها ، لا تتغير ولا تتشابه .

وقد قبض على قاتل فى مرسيليا لأنه كبا وهو يعدو على الشاطىء فترك أثر راحة كفه على الرمل . ومما لا يتغير ولا يتشابه أيضاً أثر القدم العارية ، وقد كانت سبباً فى إدانة برانزينى الذى ذبح ثلاث نساء بعد أن خلع كل ملابسه حتى لا يلوثها الدم الأحمر ، إلا أنه لم يأخذ حذره فترك أثر قدم ملوثة بالدم على أرض الغرفة .

وقد درس الدكتور لوكار صورة المسام المستقرة فى خطوط آثار الأصابع ، وذلك بالتصوير المجهرى ، فانتهى إلى أنها كآثار الأصابع نفسها فى الدلالة على الشخصية ، وأن أقل قدر منها كاف فى الدلالة التى لا تخطىء . فمن ذلك أن لصاً حمل شمعة يستضىء بها فى ساعة السرقة ، ولم يترك وراءه أثراً من آثار أصابعه إلا قطرة صغيرة من الشمع الذائب لا تزيد عن قطرة من الدمع سالت على أحد أصابعه ، فنفضها عن إصبعه ، فأخذها لوكار ، وأظهر أثر المسام بالتصوير ، وقبض على الرجل .

ويستخدم قلم المباحث الفرنسى أشياء كثيرة مما تنفعه فى تحقيق الشخصية . فلكل مجرم معروف ملف فيه صورة من آثار أصابعه ، وقياس دقيق لجمجمته وذراعيه وأصابعه وأنفه ، ووصف شامل لأذنيه ، ومقدار عظيم من أخباره وعاداته .

والمحكمون الفرنسيون أميل المحكمين فى الدنيا إلى قبول الشهادة المبنية على البحث العلمى .

والمخبرون الفرنسيون مدربون على استغلال كل صغيرة لإقامة البينة ، فإذا كلف أحدهم بتحقيق حادثة سطو ، فأول ما يفعله أن يطبع سبيكة من الشمع على أثر الآلات التى استعملت فى فش الأقفال ، فللآلات التى تستعمل فى السرقة خصائص مميزة تستبين تحت المجهر : وذلك بأن يصنع سبيكة من الآثار التى تتركها الآلة ثم تمرر على لوح من الزجاج مدهون بحبر من حبر الطباعة ، فالخطوط التى تتركها السبيكة فى مرورها تشبه كل الشبه تلك الخطوط التى تتركها الآلة نفسها على حبر من النوع نفسه . وقد أميط اللثام عن جريمة سرقة جواهر فى باريس ، لأن اللصوص استعملوا فشاشة فى فتح الشباك الحديدى الذى يغطى نافذة الدكان ، فتركت أثرها فى الشباك الحديدى . ثم عثروا على هذه الأداة فى حوزة بعض المشبوهين .

ورجال المباحث الفرنسيون جميعاً من رجال الجيش ، فيلحقون بالعمل ولم تسبق لهم خبرة بأعمال المباحث ، بيد أنهم يكونون عادة من ذوى البسطة فى العلم والمعرفة . وأول ما يبدأ به فى تدريبهم أن يقرأوا

مؤلفات جابوريو البوليسية وقصص شرلوك هولمز . وقد صارت الكلمات المأثورة التى جرت على لسان شرلوك هولمز أمثالاً سائرة بين رجال المباحث الفرنسيين كقوله : « لقد رأيت بعينك ولكنك لم تلاحظ » ، « ما من صغيرة إلا ولها دلالة » .

وقد اتخذ رجال المباحث أساليب هولمز قدوة يقتدون بها . وقد زعم شرلوك هولمز أنه وضع رسالة فى معرفة نوع الطباق من بقايا رماده ! ولا غرو ، فإن رجال المباحث الفرنسية قد جربوا التجارب فى هذا الأمر وفى سواه من الأبحاث الغامضة — كأبحاثهم فى أحمر الشفاه على اختلاف أنواعه ، وما تتركه الشفاه الملونة به من آثار ، ( وقد أماطوا اللثام عن سرّ جريمة قتل حدثت فى سوريا ، إذ لاحظ أحد رجال المباحث أن إحدى الغانيات كانت توقع على رسائل طلب النقود بشفتيها المدهونتين بنوع خاص من أحمر الشفاه ) . وبحثوا أيضاً ما تتركه الأنواع المختلفة من الثياب على السطوح الناعمة . وبحثوا أيضاً فى أنواع الطفيليات التى تعلق بالأجسام وكيف تدل على الشخصية ، ( وقد استطاع لوكار أن يثبت الجريمة على أحد القتلة ، بأن أثبت أنه هو الوحيد الذى يترك فى مكان الجريمة نوعاً خاصاً من أنواع الدودة الوحيدة ) . وأكبر من ذلك أنهم بحثوا خصائص نفوس المجرمين الآتين من شرق أوربة .

نعم ، إن أساليب رجال المباحث الفرنسية لم تبلغ غاية الكمال ، فإن بعض الجرائم التى تخلو من دليل مادىّ كالاختلاس وتزييف الأوراق المالية ، لاتكاد تنتهى إلى حل أو غاية — بيد أنهم إذا عثروا على دليل مادىّ ، مهما بلغ من الغموض ومهما بدت قلة جدواه فى الدلالة ، فهم عندئذ يأتون بالمعجز الذى لايلحقهم فى الإتيان به أحد .



كان جون وسلى ، أحد مؤسسى المذاهب الدينية ، يذكر أن سلوكه فى صباه كان يثير ثائرة أبيه ، وأما أمه فكانت أشد تساهلا وأعظم صبراً . فانفجر زوجها فى أحد الأيام فقال : « كيف تستطيعين أن تصبرى على تكرار النصح لهذا الأبله عشرين مرة ؟ »

فقالت : « لأننى لو اكتفيت بتكراره تسع عشرة مرة وحسب ، لذهب نعى عبثاً » .

لا تستسلم أيها الشيخ الى الظن بأن قدرتك العقلية قد وهنت مع السن .

# إن عقلك لا يشيخ

البرت إدوارد ويجام

مؤلف "أمارات الرجل المثقف" و "ثمرة شجرة الأسرة"

كشف جديد يعينك على أن تقبض على ناصية الحياة بيدٍ أقوى ، وأن تزداد ثقة بنفسك على مرّ السنين ، وهو كشف تمّ للدكتور إرفنج لورج الأستاذ فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا ، ومؤداه : إذا استثنينا الحوادث والأمراض فإن قدرتك العقلية لا تضعف بعلوّ سنّك .

ومعنى هذا أن الأعمال العقلية الشاقة التى كنت تحسنها وأنت بين العشرين والخامسة والعشرين ، تستطيع أن تحسنها سواءً وأنت بين الستين والسبعين ، أو بعد السبعين . وهذه أقوال تعدُّ انقلاباً فى شئون نموِّ العقل والتربية . فقد كان الرأى الغالب عند علماء النفس بعد تجارب عقلية أجروها على ملايين من البشر ، أن المرءَ من الناس يبلغ أوج قدرته العقلية بين السادسة عشرة والحادية والعشرين من عمره ، وأن درجته فى الامتحان تظل كما هى بين الحادية والعشرين والسابعة والعشرين ، ثم تبدأ فى الهبوط بعد ذلك ، فتهبط واحداً فى المئة على المعدّل كلّ سنة .

وإذن فقد أسفرت هذه التجارب عن القول بأن العقل من حيث هو أداة التفكير يبلغ أقصى نموّه فى العقد الثالث من العمر ثم يأخذ فى الانحطاط .

وعلماء النفس الذين وضعوا التجارب التى قام عليها هذا الرأى ، فرضوا يوم وضعوها أن المرءَ الذى يستطيع أن يجيب إجابة صحيحة عن معظم أسئلتها فى زمن معين ، هو أعظم الممتحنين قدرة عقلية — أى أنهم فرضوا أن السرعة فى الإجابة هى مقياس خطير الشأن فى مسألة الذكاء . فلذلك عيّنوا لكل امتحان زمناً محدوداً ينبغى أن يتمّ فيه .

ولكن العالم النفسىّ الدكتور روبرت بركيز ، لاحظ أثناءَ امتحان ألوف من الجنود ، أنه إذا أتاح لهم ضعف الزمن المعين للاجابة ، زاد عدد الذين يستطيعون أن يتمموا الامتحان ، بمقدار ١٦ فى المئة على الذين يستطيعون إتمامه فى الزمن الذى

حدِّد لهُ أولاً . ولاحظ أيضاً فريق من علماء النفس أن زيادة فسحة الوقت المعينة للإجابة تمكن الكبار من الإجابة عن عدد أكثر من الأسئلة . فإذا زيدت فسحة الوقت للصغار الذين يتقدمون للامتحان ، ظلت درجاتهم على حالها أو زادت شيئاً يسيراً . أما الأحداث إذا عجزوا عن الإجابة على الأسئلة فوراً ، فيغلب عليهم أن يعجزوا عن الإجابة عليها عجزاً مطلقاً .

فلما تبيّن أن الكبار ترتفع درجات إجابتهم إذا كانت فسحة الوقت المتاحة لهم أطول ، سأل الدكتور لورج نفسه : ألم يخلط علماء النفس بين سرعة التعلم والقدرة على التعلم ؟ قال : يبدو أن جميع التجارب الأولى تبيّن أن الكبار لا تعوزهم القدرة العقلية ، وإنما الذى يعوزهم هو السرعة العقلية ، وعلى الرغم من أن الكبار لا يسرعون فيما يعملون فإنهم يصلون إلى الغاية كسواهم .

فلكى يتحقق الدكتور لورج من صدق هذا الرأى أجرى أحد عشر ضرباً من الامتحان على مئة وخمسين من العمال تتفاوت أعمارهم بين العشرين والسبعين . وقد ضرب لجميع الامتحانات ، ما عدا واحداً منها ، زمناً معيَّناً ينبغى أن تتم فيه . أما الامتحان الذى لم يضرب لإنجازه زمناً معيَّناً ، فهو امتحان « ثورندايك » للقدرة العقلية الخالصة — ففى هذا الامتحان يتاح لكل من يتقدم له كل الوقت الذى يريده . فظهر أن معدَّل نجاح الكبار فى جميع الامتحانات التى ضرب لها زمن محدود كان معدلا قليلا ، ولكنه لم يكن كذلك فى امتحان القدرة العقلية الخالصة . فواضح أن تعيين موعد لإنجاز الامتحان كان يؤود الكبار .

ومن ثمَّ عمد الدكتور لورج إلى حساب مبلغ التأثر بعامل السرعة فى كل عمر من الأعمار ، فإذا عرفه أضافه إلى الدرجات التى يحصِّلها الكبار فى الامتحان الذى ضرب له زمن محدود ، فيصل إلى درجة قدرتهم العقلية الصحيحة . ولنفرض أن درجة الذين فى الخامسة والثلاثين كانت أقل ٥ فى المئة من درجة الذين فى الخامسة والعشرين ، حين تتقدم الجماعتان لامتحان واحد ضرب لإنجازه زمن معين ، ولنفرض أن معدَّل الجماعتين واحد فى امتحان القدرة العقلية الخالصة ، فإذن ينبغى أن نضيف إلى درجة الجماعة الأولى ٥ فى المئة هى التى خسرتها لأنها لم تستطع أن تنجز الامتحان بسرعة كافية ، فإذا أضيفت عرفت درجة قدرتهم العقلية الصحيحة . أو لنفرض أن جماعة من الشيوخ تساوت مع جماعة من الشبان فى الخامسة والعشرين ، فى امتحان القدرة العقلية الخالصة ، ولكن الشيوخ تخلفوا

عن الشبان بنحو ١٥ فى المئة ، فى امتحان ضرب له موعد معين ، فتخلفهم لا يدل على ضعف عقلهم بل على عجزهم عن العمل الفكرى السريع . فالدرجة التى يحصلونها فى هذا الامتحان لا تدلّ على قدرتهم العقلية بل على بطئهم وحسب ، فيضاف إليها ١٥ فى المئة لمعرفة قدرتهم العقلية الصحيحة.

قال الدكتور لورج : « وكذلك رجعت إلى الامتحانات التى أجراها سائر الباحثين ، ومنها ثلاث طوائف من الامتحان أجراها ثلاثة من العلماء على جماعات من الناس ، صغارهم وكبارهم على السواء ، ثم أضفت إلى الدرجات التى حصلوها ، النسبة التى ينبغى أن تضاف إلى فئات الكبار تعويضاً لهم عن بطئهم . فلما حسبت درجات الكبار بعد هذه الإضافة وجدت أن عقولهم لا تضعف قدرتها مع السن على الإطلاق ، بل وجدت ما يدلّ على ازدياد قدرتهم العقلية مع السن ازدياداً يسيراً . أى أنه لما حذفت من الحساب عامل السرعة فى درجات الذين فى الخمسين والستين ، وجدت درجاتهم أعلى من درجات الذين فى الخامسة والعشرين أو نحوها . وربما كان مرجع هذه الزيادة ، بعضها أو أكثرها ، إلى وفاة الذين كانوا أبطأ أو أضعف تفكيراً » .

ونحن نعلم علم اليقين أن استجابة الكبار للحوافز أبطأ من استجابة الشباب ، فإما أن تكون حاسة البصر وحاسة السمع فيهم أضعف ، وإما أن تكون استجابتهم لحوافزها أبطأ . بيد أن الدكتور لورج يقول : « ولكن القول بأن مجرّد البطء فى القراءة أو تنسيق عمل العقل ، أو ضعف البصر أو السمع ، يؤثر فى قدرة عقل المرء هو قول لا مسوّغ له . وإذا فرّقنا بين أعلى مستوى من القدرة العقلية فى وسع المرء أن يبلغه ، ومجرّد السرعة فى بلوغه ، وجدنا أن لا دليل على انحطاط القدرة مع السن . وإذا وصفنا أعلى نقطة يستطيع المرء أن يبلغها فى قدرته العقلية بعبارة « الارتفاع العقلى » ، فليس فيما عندنا من الحقائق ما يدل على أنه يفقد القدرة على بلوغ ذلك « الارتفاع » مع علو السن ، أو حتى يدرك السبعين . نعم ، قد يتسلق إلى قمة « ارتفاعه العقلى » تسلقاً بطيئاً ، ولكن إذا أفسح له الوقت اللازم ، استطاع أن يحمل الحمل الثقيل ، وأن يكون على ثقة من الوصول إلى القمة فى آخر الشوط » .

ويؤيد رأى الدكتور لورج تلك البحوث الشهيرة التى أجراها الأستاذ إدوارد ثورندايك على « قدرة الكبار على أن يتعلموا » ، فقد خلص ثورندايك من تجاربه الواسعة النطاق إلى أن الكبار الذين ارتفعت بهم السن إلى

٤٥ سنة على الأقل ، يجارون الشباب دون العشرين فى قدرتهم على أن يتعلموا أشـياء لا عهد لهم بهـا ، وإذا كانت القدرة على التعلم تضعف شيئاً فشيئاً ، فيما يبدو ، بعد الخامسة والعشرين ، فإن الكبار يعوّضون ما يفقدونهُ منها ، بما يكون لهم من اهتمام بالموضوع وإدراك لنفعهِ المباشر . ولذلك ترى الإنتاج الفكرى فى الذين بلغوا الخمسين أو الخامسة والخمسين ، أكبر من إنتاج الذين فى الخامسة والعشرين ، إذا تساوت درجة الذكاء فى الجماعتين ، وكان العمل واحداً .

قال الدكتور لورج : « إذا نظرنا إلى القدرة العقلية ، وجدنا أن لا حاجة بالمرء أن يبلغ سن اعتزال العمل . والمرجح أن نفع المرء تزداد مع ارتفاع سنّـهِ ، فهو يملك القدرة العقلية التى كانت له يوم كان شاباً ، ويضيف إليها ثمار تجربتهِ وخبرته فى عملهِ الخاص ، وهذه أشياءُ يعجز عن إدراكها الشـبان مهما بلغوا من الذكاء والتوقد . وهذا يبـيّن لنا ما لرأى الشيوخ من قيمة فى ميادين السياسة والأعمـال على السواء .

« وإذا ما تقدّمت بنا السنّ وجب علينا أن نحسب ، ونحن مطمئنون ، حساباً للعقبة التى تعترضنا ، وهى الزمن . بيد أنى أعتقد أن قوتنا العقلية لا يعتريهـا وهنٌ ولا تصدّها العقبات » .

ثم إن هـذه النتائج خليقة أن تكون معواناً لنا على أن نتجنب العثرات النفسية التى تترصدنا فى السبيل المفضية إلى ارتفاع السنّ . فالقول بأن التقدم فى السنّ يجلب فى أثره وهن القدرة العقلية يؤثر فى الناس ، فإذا هم يترقبون أعراض هـذا الوهن . فإذا ما شق عليهم أن يتذكروا اسماً ، أو أن يتخذوا قراراً فاصلاً ، رأيتهم يقولون : « هذا برهان على أنى بدأت أشيخ » ، وهم ينسون أن هذه المشاق آدتهم فى شبابهم أيضاً ، إلا أنهم يلاحظونها الآن فى شيخوختهم ، على حين كانوا لا يلاحظونها فى صدر شبابهم ، فتراهم يستسلمون إلى الظن بأن قدرة عقولهم قد أخذت تضعف . وإذا ما استولى على المرء هذا الظن ، كفّ عن المحاولة ، على الرغم من أن الدليل قائم بين يديه ، على أن قدرته العقلية لا تزال كما كانت ، لو هو انتفع بها .

وعندى أن خير ما يشفى من هذا الداء النفسى فى الكبار ، هو معرفة النتائج التى خلص إليها لورج وثورندايك ، لأنه إذا كان فى طاقتنا أن نتعلم فى الكبر أشـياء جديدة كالتى كان فى طاقتنا أن نتعلمها فى أيام الشباب ، وإذا كانت قدرتنا العقلية بوجه عام لم تضعف ، فنحن إذن نظلّ مزوّدين إلى نهاية الحياة بما لا بد منها لإدراك السـعادة والنجاح فى هذه الحياة الدنيا .

« وصف النقاد كتاب هسكث بيرسون الجديد عن أسكار وايلد بأنه « أوفى وأوثق » ما كتب عن عبقريته الرائعة المحيرة . وهذه مختارات من هذا الكتاب انتقاها وصنفها الكاتب : ماكس إيستمان

# أمير الدعابة

مستخرجة من كتاب "أسكار وايلد : حياته ودعاباته"

في سنة ١٨٥٦ ولد في إرلندة رجل من أكبر أمراء الدعابة في الأدب ، فكان أغزر المحدثين خيالاً ، وأحضرهم بديهة ، وأجرأهم على الدعابة ، وكان أيضاً ألطفهم مرحاً وحبوراً — أو هكذا على الأقل كان يذكره أصحابه . وقد وصفه أحد كبار النقاد فقال إنه : «أكبر أستاذ مزهو بنفسه رزين في تفكيره، أطاعت له الأستاذية في فن الحديث، منذ تكلم الناس الإنجليزية » . فكان يقول الكلمة المناسبة في وقتها المناسب، فلم يكن من عادته أن يفكر فيها حتى إذا طلع عليه الصباح تمنى أن يكون قالها . ولن نجد سواه أحداً أكثر الناس من الاستشهاد بروائع كلماته ، فمن ذلك :

« الواجب هو الفعل الذي نتوقعه من سوانا »

« في وسعي أن أقهر كل شيء إلا الإغراء »

« تحب المرأة الرجل لنقائصه ، فإذا كان له منها حظ وافٍ غفرت له كل ذنب حتى قوة تفكيره »

« أسألك المعذرة ، فإني لم أعرفك — فقد بلغ مني التغير مبلغاً كبيراً »

لم يكن أسكار وايلد ممن يستأثر بالحديث في المجالس ، بل كان مستمعاً يقظاً حي النفس ، وبرع في توجيه الحديث بأسلوب يتيح له أن يستثير خير ما في عقول جلسائه، ولم يكن يذكر خاصة أموره لأحد قط إلا

لخاصائه ، وما كان متحكما فى آرائه، ولا كان يخالف أحداً فى رأى ، ولا كان يدعى أنه حُجَّة فى شىء من الأشياء — اللهم إلا فى آداب السلوك فى الحين بعد الحين .

وكان يحرص دائماً على أن يكون رزيناً منصفاً يشارك الناس راضياً فى التندُّر على نفسه . وكان سخياً سخاءً مفرطاً ، فكانت أمواله تتدفق من بين أنامله تدفقاً غزيراً كتدفق أفكاره . وما من شىء كان يكسل عن أدائه لنفسه فاحتاج إليه أحد سواه إلا أداه له على السجية، لا من الشعور بالواجب. ولعله هو الوحيد بين أصحاب الدعابة والتندّر من بلغت به رقة حاشيته أن لا يمس أحداً بإساءة تؤذيه ، ولم يستعمل قط كلمة نابية ولو اقتضاها المزاح . وإذا طار به المرح فى سموات الخيال ، بقى كعادته رفيقاً رقيقاً . وأكثر كلماته المأثورة هى فى الأغلب جدٌّ كلها ، وأدل شىء على ذلك قوله : « يحرص البشر على أن ينظروا لأنفسهم نظرة كلها جدٌّ — هذه هى الخطيئة الأولى »

« ليست المحنة فى الشيخوخة أن تحس بأنك شيخ ، بل إحساسك بأنك شاب »

« إن المرء ليجد لذة فى معاتبة نفسه ، فهو حين ينحى باللائمة على نفسه يحس بأن لا حقَّ لأحد فى ملامته »

وكان أسكار وايلد جاداً أيضاً فى حبّه للجمال ، وقد شن فى سبيل الجمال حرباً شعواء على المتزمتين من أهل الأخلاق الذين كانوا فى عصر الملكة فيكتوريا . وأدرك أيضاً أن فى وسعه أن يجد روائع كثيرة فى هذا النزاع القائم بين الرأى السليم فى الشعور بالجمال ، والرأى الفاسد فى الشعور بالإثم ، ولما كان أسكار قد خلق مفطوراً على القدرة فى حسن عرض الأشياء كسائر أهل الفكاهة والدعابة ، فقد أحسن استغلاله خير استغلال .

أعلن أسكار ، وهو لا يزال طالباً فى الكلية ، أن الإصلاح فى الملابس أجدى على الناس من الإصلاح فى الدين . فلما نزل لندن بعد تخرجه مشى وهو يحمل قفازين لونهما أزرق شاحب ، وزعم للناس أنه أستاذ فى « علم الجمال » ، فكان يظهر فى حفلات الليل «عليه معطف من المخمل، مطرز الحواشى ، مرتدياً سروالاً قصيراً عليه الوشى ، وجورباً أسود طويلا إلى الركبة ، وقميصاً رقيقاً فضفاضاً ، عليه بنيقة واسعة متدلية الطرفين، فيها قِلادة (كرافتة) كبيرة متهدلة خضراء اللون». واتخذ زهرة الزنبق وعباد الشمس شعاراً ، لا من أجل جمالهما، بل لأنهما شىء مضحك إذ رأيتهما على صدر رجل ضخم قد ناطهما إلى عُروته .

واعلم ، على ذكر هذا ، أن أسكار وايلد كان ضخم الجثة شديد الأسر حديد الطباع ، فكان في استطاعته أن ينصر مذهبه وذوقه على رغم كل معارض ، سواء أكانوا فرادى أم جماعات . من ذلك أنه لما كان في كلية ترنتى بمدينة دبلن، سخر من إحدى قصائده فتى بطل مَريِر القُوَى كان يُعدّ من أعتى العتاة ، فسار إليه أسكار وايلد ولطمه على وجهه ، ودارت المعركة بينهما ، وذهل الطلبة حين رأوا الشاعر يصرع البطل صرعة مُرْدِية .

وبعد ذلك بزمان رأى زملاؤه في أكسفورد أنه ينبغى لهم أن يقتحموا غرفته ويحطموا أثاثها الجميل ، حتى يخلصوا من شذوذه وخروجه على تقاليد الجامعة . فهجم على غرفته أربعة من الفتيان أدار الغرور رؤوسهم ، وبقى الآخرون وقوفاً ينظرون عند الدرج ، فلم يلبث المقتحم الأول أن لحق بأصحابه عند الدرج ، مشيعاً بحذاء أسكار وايلد ، ونال الثانى لكمة قذفت به متدحرجا على سابقه، وعاد الثالث محمولا على متن الهواء . أما الرابع فقد حمله أسكار إلى غرفته ودفنه تحت كومة من الأثاث ، ثم عاد إلى النظارة الذين صاروا معجبين برجولته ، فدعاهم إلى غرفته ليتذوّقوا شيئاً من خموره المنتقاة .

وقد شوهد مرة وهو لايزال في أكسفورد يخاطر بنفسه واثباً من مقصورة إلى مقصورة في ردهة الموسيقى ، لكى يدعو الحاضرين إلى دعوة أعدها لهم بعد انفضاض الحفلة . بيد أنه كان من الكسل بحيث لم يكن يستخدم هذه الجرأة الخارقة إلا في الدفاع عن النفس أو في العبث والتسلى . وقد قال بعد ذلك بزمن: «أخشى أن يكون فاتنى أن أمارس شيئا من الرياضة — اللهم إلا لعبة الضمنة (الدومينو) فقد كنت ألعب الضمنة أحياناً على رصيف بعض المقاهى الفرنسية» .

وليس يدخل في طوق رجل ضئيل الجسم خَرِع المفاصل، أو رجل ضعيف هيّاب أن يفعل ما فعل أسكار وايلد ، فبكبريائه الطاغية وموهبته الخارقة في التندر والدعابة، استطاع أن يجعل صيته يذيع في قارتين واسعتين وهو في السابعة والعشرين من عمره ، دون أن ينشر سطراً واحداً يشغل إنسانٌ نفسه بقراءته .

ولم يكن أسكار جميل الصورة ، اللهم إلا ماترى من جمال عينيه المتلألئتين وجبينه الوضّاح ، أما أسنانه فكانت متراكبة ، وأما بشرته فكانت أميل إلى الشحوب ، فإذا سلم عليك هزّ يدك برخاوة وطراوة ، وإذا نظرت إلى عضلاته القوية رأيتها أشبه باللحم منها بالعضلات . وكان بديناً متراكب اللحم

تتبين فى مظهره شيئاً من الجسامة المفرطة فى التركيب ، حتى قال رتشـارد ليجاليين الشاعر الإنجليزى: إنه يراه كأنه دمية مفرطة الضخامة . فكانت هذه الصفات تنفر الناس منه عنـد النظرة الأولى كما ينفرهم اللقب الذى ادعاه لنفسه « أستاذ علم الجمال » ، بيد أن صوته الرخيم ، وضحكته الرقيقة الصادرة من صميم القلب ، والينبوع الذى لاينفد من الحكايات المطربة ، ومن الفكاهات وغرائب القصص والعبر والأمثال ، ومن الأفكار العميقة التى كانت تتدفق من لسانه كالسيل ، كانت تصطلح جميعاً على نفى هـذا النفور الأول ، فكان النـاس ينجذبون إليه إذا دخل مكاناً وبدأ يتكلم .

« لا يجدى على المرء شىء كما يجدى الغلو » ، هكذا كان شعاره ، وكان حريصاً عليه لا فى مظهره وحده بل فى كلماته أيضاً .

وقد سئل مرة كيف قضى يومه ، فقال بوقار : « قضيت النهار كله أراجع قصيدة من قصائدى ، فحذفت منها شولة ، فلما جاء العصر رددتها ثانية إلى مكانها » .

وجاءه مرة رجل ضئيل الجسم حقـير الهيئة فقال : « جئت أطالب بالضرائب » .

فردّ عليه أسكار بغطرسـة وغضب : « الضرائب ! وعلام أدفع هذه الضرائب ؟ » قال الرجل : « إنك ساكن هذا البيت ياسيدى ، أليس كذلك ؟ وتقضى فيه نهارك وتنام فيه لياليك » .

قال أسكار : « صدقت ، ولكن ماتقول إذا كنت لا أجد فى نومى راحة أبداً ؟ »

ودخل مرة دكان زهَّار فأمر العامل أن يرفع بعض الأزهار من الواجهـة فقال له الرجل : « سمعاً وطاعة ياسيدى ، كم تريد منهـا ؟ »

فقال أسكار : « كلا ، فأنا لا أريد منها شيئا ، وشكراً لك . وما سألتك أن ترفعها من الواجهـة إلا لأنى أراها كأنها كليلة منهوكة القوى » .

وخرج مرة فى ثياب مشهَّرة تلفت الأنظار ، وهو يعلم حق العلم وقع هذه الغرائب عند الناس ، فسمع رجلا من المارة يقول : « هذا هو أسكار وايلد الأحمق المجنون » فالتفت أسكار إلى رفيقه وقال : « عجبا ! ما أسرع مايصير المرء معروفاً فى لندن ! »

ولم يلبث أن ذاع صيته فى أمريكا أيضاً فرحل إليها ليحاضر الناس فى البلاد المختلفة . وقد ملأ قلب الرجل الذى يتولى أمر رحلته حسرات حين أبى أن يضع فى عروته زنبقة يسير بها فى شارع برودواى ، بيد أنه غالى فى زينة ثيابه ، وغالى فى دعابته وأحاديثه للصحفيين حتى بلغت الرحلة ذروة النجاح . وما من دعابة كانت أجزل خيراً ونفعا من كلمات ثلاث

قالها وايلد وهو فى الميناء ، حين سأله أحد رجال الجمارك هل عنده شىء مما ينبغى أن يطلعهم عليه فقال : «لاشىء سوى عبقريتى»

كانت رحلة أسكار وايلد فى أمريكا أشبه بالانتقام لرحلة مارك توين فى أوربة ، فقد سخر توين سخرية شديدة من أوربة وغلوها فى الثقافة ، فسخر أسكار مثل سخريته من أمريكا وفقرها فى الثقافة ، فمن ذلك قوله :

«حين رأيت أنه من عادة أهل أمريكا أن يعلقوا الصور عالية قرب السقف ، حسبت ذلك فى بادىء الأمر ضرباً من الحمق . ولم أقدر هذه العادة حق قدرها حتى تبين لى مبلغ قبح هذه الصور » .

« إن استغراق أمريكا فى هم سخيف هو التجارة ، وقلة احتفالها بالجانب الشعرى فى الأشياء ، إنما يرجع كله إلى سبب واحد ، هو أن الشعب قد جعل بطله القومى رجلا يعترف على نفسه بأنه لايستطيع أن يكذب» .

وقد جاءته برقية من جرجزفيل تقول: «هل لنا أن نطمع فى محاضرة فى علم الجمال؟» فأجاب : « غيروا أولا اسم مدينتكم » .

ولما دعى أسكار للمحاضرة فى جامعة هارفرد ، دخل ردهة المحاضرات ستون طالباً وجلسوا فى الصف الأول ، وقد لبسوا جميعاً سراويلات قصيرة موشّاة كسراويل أسكار ، ومع كل منهم زنبقة أو زهرة من عباد الشمس ، وبلغ أسكار الخبر قبل المحاضرة ، فإذا بهم يرونه على المنصة مرتدياً ثياب السهرة ، فخجل الطلبة لما تورّطوا فيه من حماقة . وتحجّت الردهة بالضحك حين قال : « إنه يرى فى ردهة المحاضرات بعض ما يدل على شىء من النهضة الفنية » ، فلما قال كلمته المأثورة : « التقليد هو تحية العوام لأصحاب العبقرية » تجاوب المكان بالتصفيق .

وقد أخفقت كل المحاولات السخيفة التى أريد بها إفساد رحلة « أستاذ علم الجمال » . فقد اجتمع عليه السكيرون المدمنون على طول طريقه من نيويورك إلى سان فرنسيسكو ، فكان يشرب معهم حتى يبلغ منهم السكر ، ثم يكبكب بعضهم على بعض فى عربة وينطلق بهم آيباً إلى فندقه وهو مرح جذلان . وقد دعاه رجال التعدين فى كولورادو إلى وليمة أقاموها له فى جوف منجم ذهب ، وكان وايلد معجباً برجال التعدين حتى وصفهم بأنهم أحسن أهل أمريكا أناقة فى ملابسهم ! وقال يذكر دعوتهم : « لما نزلنا إلى جوف المنجم ، جلسنا إلى الوليمة ، فكان اللون الأول من طعامنا هو الخمر ، وكان الثانى خمراً ، وكان الثالث خمراً أيضاً » ، فما بزغ الفجر حتى أخرج المعدنون مغمى عليهم من كثرة الشراب ، أما أسكار فقد

خرج وهو يثرثر ويتندر كأنه خارج من حفلة شاى فى لندن .

فلما بلغ أسكار ما كفاه من شهرة ذائعة وجمع شيئاً من المال ، ضاق ذرعاً بحياة التمثيل التى كان يمارسها ، وعزم على أن يمتحن نفسه فيرى هل يطيق أن يزاول بعض العمل . وقد قال حين قفل راجعاً من أمريكا : « لقد مات أسكار الأول ، وليس لأسكار الثانى علاقة بالفتى المرسل الشعر الذى يحمل فى يده زهرة عباد الشمس ويذرع ميدان بيكادللى » ( وقد صرح أسكار فيما بعد أنه لم يحمل قط زهرة عباد الشمس ذارعاً ميدان بيكادللى وقال : « فى وسع كل أحد أن يفعل ذلك ، لقد كان أكبر همى هو أن أجعل الدنيا كلها تعتقد أنى فعلت ذلك وإن لم أكن فعلته » )

كانت أولى تجاربه فى العمل قصيرة المدى ، وذلك حين صار رئيس تحرير لمجلة تدعى « دنيا المرأة » ، فاستمتع كل الاستمتاع بشطر من واجبات هذا العمل ، وهو اضطجاعه فى كرسيه وتحدثه إلى الكتاب الذين يؤملون أن تنشر مقالاتهم ، وزاد على ذلك استمتاعه بلقائهم فى مقهى « كافيه رويال » . وعاش يومئذ طبقاً لكلمته المأثورة : « لا تؤجل لغد ما تستطيع أن تصنعه بعد غد » . أما امتناعه عن الرد على الرسائل ، فقد سار فيه على مبدأ اعتقده وهو : « لقد عرفت رجالا نزلوا لندن تنطوى قلوبهم على آمال باهرة ، فما مضت أشهر قلائل حتى رأيتهم حطاماً مركوماً من جراء تلك العادة المستهجنة ، وهى الرد على الرسائل » . وكذلك لم يمر على أسكار سوى عام واحد فى رياسة التحرير .

ثم بذل جهداً آخر فى أداء عمل سوى الحديث ، فاشتغل ناقداً فى « بال مال جازيت » ولكنه منى بإخفاق مرة ثانية ، فقد كان أرق قلباً من أن يهجم على مؤلف بما يسوءه . وكان أقسى شىء قاله فى نقده هو تقريظ للرسام الأمريكى جيمس مكنيل هويسلر الذى كان على نبوغه رجلا شديد الحب لنفسه والإعجاب بها ، قال : « أما من حيث إنه أحد كبار أساتذة الرسم ، فذلك رأيى فيه . ولعلى لا أخطىء إذا قلت إن هويسلر نفسه يوافقنى على هذا الرأى كل الموافقة » .

فكانت هذه الكلمة بدء معركة من النوادر بينهما ، نال فيها هويسلر مرة من بطل الفكاهة نيلا ذاع بين الناس . وذلك حين أقيم معرض فى لندن عرض فيه هويسلر بعض رسومه ، فجاء الناقد الفنى لجريدة التيمس وجعل يبدى رأيه فى الرسوم : هذا حسن ، وهذا ردىء ، وهكذا . فقال له هويسلر : « يا ابن أخى ، لا تقل هذا حسن وهذا

ردىء ، فليس من حقك أن تعبر عن رأيك بأحدهذين اللفظين، فإن شئت فقل: « هذا يعجبنى » أو « هذا لا يعجبنى » ، وعندئذ لا يدّعى أحد أنك قد تجاوزت حدود حقك. والآن هيّا بنا إلى كأس من الخمر — فهذا هو الشىء الوحيد الذى يعجبك ولاريب ».

فقال إسكار وقد اهتز عطفه مرحاً : « وددت لو كنت قائل هذه الكلمة ! »

فأجابه هويسلر : « سوف تنتحلها يا أسكار ، سوف تنتحلها »

ولم يصبر أسكار على هذه النكتة اللاذعة حتى نال من هويسلر بماهو أشد منها لذعاً .

وكان الذى اضطرّ أسكار إلى بذل الجهود الجبارة فى ممارسة العمل ، شيئاً مألوفاً حدث فى حياته كما يحدث لسائر الناس . فقد أحب فتاة وهام بها وتزوجها ، وكان لديها من الثروة مايكفى لطعامه ومسكنه ولكنها لاتكفى لتحقيق كلمته : «أنلنى مناعم الترف ولك علىّ أن أستغنى عن ضروريات الحياة » .

كانت زوجته كونستانس فتاة جميلة ، وكانت موهبتها هى الصمت كما كانت موهبة زوجها هى الكلام . قال أسكار : « أحبها لأنها لاتنبس ببنت شفة ، وأنا لا أزال أسائل نفسى عجباً رجاء أن أعرف كيف تكون أفكارها » . وإذا شئنا أن نحكم عليها طبقاً للحديث الوحيد الذى نقل عنها ، قلنا إنه لا شبه بين أفكارها وأفكار زوجها ، فقد كانت تقية ذات دين ، وكانت تبدى عن حب شديد للدُّعاة الذين يدعون للدين بين الهمج فى الغابات . فقال لها أسكار :

« أتحبين الدعاة ياعزيزتى ؟ ألم تعلمى أن دعوتهم ليس سوى وليمة مقدسة أعدت لذوى المتربة والمسغبة والمحرومين من أكلة لحوم البشر ؟ فمتى أشفى أكلة لحوم البشر على الموت جوعا شاءت رحمة الله الواسعة أن ترسل إليهم طائفة من هؤلاء الدعاة ليقيموا بهم أوَدَهم »

فقالت كونستانس : « رباه ! إنك لاتقول هذا جاداً يا أسكار ، بل لست إلا مازحاً بلسانك » .

كان من دأب أسكار أن يقول : « إن خيرأساس للزواج هو سوء التفاهم المتبادل » ، وقد ظل زواجه سنوات زواجاً موفقاً ، ورزق ولدين كان مولهاً بحبهما ، وكان ولداه يعدّانه رجلاً كاملاً لما كان يفيضه عليهما من غرائب قصصه . فكان حُبّ هذين الغلامين هو الذى مهد له الطريق إلى اتخاذ الكتابة عملاً .

فكان أول كتبه ذات الشأن — وسيظل قوم يعدّونه خير كتبه — سِفْر فيه مجموعة من غرائب الحكايات نشره وهو فى الثامنة

والثلاثين من عمره . ويقول أصدقاؤه إنه بعد أن كتب هذه الحكايات لم يجدوا فيها من الروعة ما كان فيها حين قصها على أولاده منطلقاً فى قصصه على سجيته . ومع كل ذلك فهى أروع أمثالها من الحكايات فى اللغة الإنجليزية .

وفى سنة ١٨٩١ شارف أسكار السادسة والثلاثين ، ولم يزل ضالا لم يهتدِ إلى الطريق الواضح الذى يحيل عبقريته فى الحديث إلى أدب مكتوب ـ ألا وهو كتابة المسرحيات . وقد طبعت أولى مسرحياته فى سنة ١٨٩٢ وهى « مروحة ليدى وندرمير » ، ولم تكن إلا ضرباً من المهارة فى التوفيق بين بعض الفكاهات والنوادر التى يتذكر أنها جرت على لسانه ، بيد أن نجاحها كان سريعاً ومتجدداً على الأيام ، وأخيراً اهتدى إلى سواء السبيل . فلما كانت سـنة ١٨٩٤ وكتب أروع مسرحياته* صار أشهر كتاب المسرحيات فى لندن وأحبهم إلى النـاس ، وأحد مشاهير كتاب العالم . أما اليوم فإن ما يباع من كتبه فى أوربة أكثر من أى مؤلف إنجليزى آخر ، اللهم إلا شكسبير .

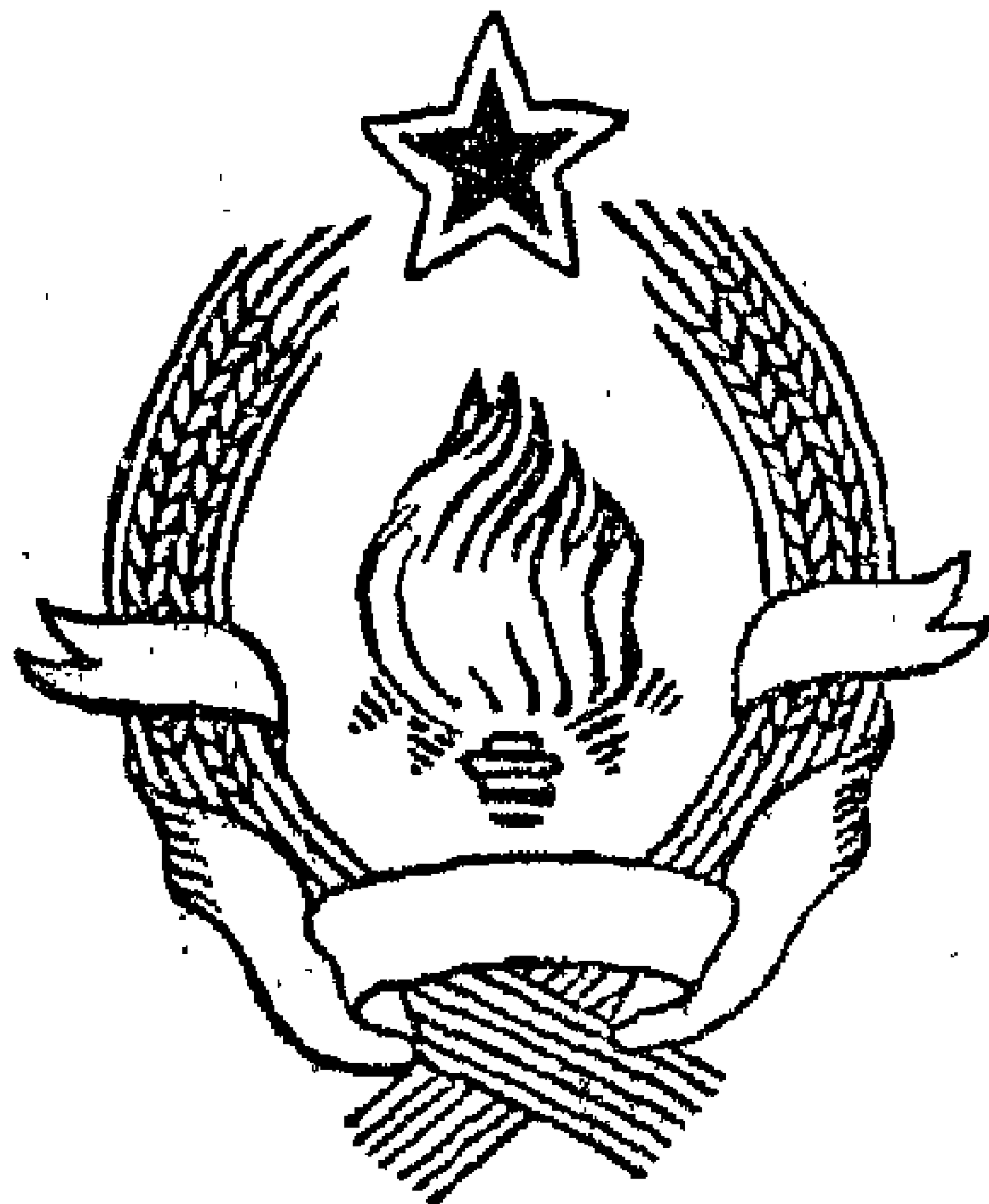
وقد عاش أسكار أربعين سنة لم يذق فى يوم واحد منها طعم البؤس والشقاء ، كما يقول أصدقاؤه . ثم حدث ما نغّص عليه عيشه ـ وليس يعلم أحد ما هو على التحقيق ، ولعله هو النجاح ، فقد قال هو نفسه : « ليس فى هذه الحياة الدنيا سوى مأساتين : إحداهما أن لا ينال المرء ما يبتغيه ، والأخرى أن ينال ما يبتغى . وشرهما هذه الأخيرة ، وهى المأساة حق المأساة » . أو ربما كان سر بؤسه علة أصابت غدة من غدده ، فقد أصبح فظ الطباع منتفخ البدن ، وأطلق العنان لشذوذ جنسى لم يمنعه إلى آخر أيامه من أن يعيش مع أهله عيشة طبيعية متمتعاً بأتم عافية .

أما السنوات الأربع الأخيرة من عمره فكانت أحفل ما فى تاريخ الأدب الإنجليزى بالفجيعة وأجلبها للشفقة والرثاء . كانت سنوات خزى وسجن ونفى ومتربة ـ وشرُّ ما فيها الصمت ، ثم جاء الموت فأنقذ نفسه المحطمة من نكبتها . وقد روى الناس قصة هـذه السنوات مراراً فدخلها الكذب والتحريف ، فينبغى أن يقرأها على وجهها الصحيح كل من له ولع بمعرفة طبائع البشر وتصاريف الأقدار . ولكن ينبغى للمرء أيضاً أن يتجنب الإفراط فى تأويلها ، وينبغى أيضاً أن نحول بين هذه السنوات الأربع وبين إلقائها ظـلا قاتماً مريباً على تلك السنوات الأربعـين الحافلة بالمرح والرقة والكرم والدعابة التى لا تبارى ولا تجارى .

---
* The Importance of Being Earnest

# يوغسلافيا

## عبرة لأهل الأرض



بجدان رادتسا

مختصرة من كتاب يوشك ان ينشر

## من وراء الستار في البلقان :
## قصة تحمل الناس على التفكير

أعضاء الحزب الشيوعى فى بلاد العالم يزعم قاطبة أنهم يحبون الديمقراطية ، فتجدهم فى كل بلدٍ تقريباً خارج الاتحاد السوفيتى ، يجتهدون فى أن يضموا أعضاء الأحزاب الأخرى فى هيئات يطلقون عليها اسم الجبهة القوميـة ، أو الجبهة الشعبية ، أو لجنة المواطنين الأحرار ، أو ما شاكل ذلك . وهم يزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك لنشر « الديمقراطية » . أما أنا فقد دلتنى تجربتى فى وطنى على حقيقة هـذه الخطة الماكرة الخبيثة .

عينت فى سنة ١٩٤٥ رئيس قسم الصحافة الأجنبية فى وزارة الاستعلامات فى حكومة المارشال تيتو القائمة اليوم . وهذه الحكومة تطلق على نفسها وصف الجبهة الشعبية ، وقد أنشئت لتكون اتحاداً متعاوناً مؤلفاً من الأحزاب التى كانت تنشد للشعوب اليوغسلافية من أهل الصرب وكرواتيا وسلوفينيا والبوسـنة والهرسك والجبـل الأسود ومقدونيا ، نهجاً فى الحياة أدنى إلى النهج الديمقراطى .

أما الحزب الشيوعى فقد كان غرضهُ منذ أول الحرب أن يظفر بالسيطرة لا أن يحقق التعاون ، فاستولى شيئاً فشيئاً على مناصب السلطة ، الظاهر منها والخفىّ ، فإذا العاقبة نظام يناقض الديمقراطية كل المناقضة ويخنق حرية القول والصحافة والفكر ، ويخضع حياة الناس لعيون هيئة جديدة للبوليس السرى ، ويعمد رجاله إلى الجبروت فى اعتقال النـاس وسجنهم وإعـدامهم وتذبيحهم . فهذا حكمٌ مستبدٌ قوامه الإرهاب والموت ، وزمامهُ فى يد عصابة صغيرة .

وقد اصطلح الشـيوعيون على تسمية الديمقراطيين الحقيقيين الذين يرضون أن يتعاونوا معهم فى سبيل « الديمقراطية » بعبـارة : « كورستنى بودال » ، وهى بلغة الصرب والكروات معناها « المغفّلون النافعون » .

وقد كنت أحد هؤلاء المغفلين . وعسى أن تكون قصة تنبهى وتيقظى شيئاً فشيئاً ، ذات جدوى فى تحذير « المغفلين » فى سائر البلدان .

كنت فى سنة ١٩٤٣ فى نيويورك رئيساً لقسم الصحافة التابع للحكومة اليوغسلافية الملكية ، وكنت لم أزل فى خدمة تلك الحكومة منذ سنة ١٩٢٨ — فى بلغراد وأثينا وجنيف ووشنطن ، ومع ذلك كنت

أرى أن قسط يوغسلافيا قبل الحرب من الديمقراطية كان قسطاً ضئيلا ، وكان هذا الرأى يملأ جوانحى يوم قرأت أن « جمعية التحرير الأولى» التى اجتمعت حول المارشال تيتو قد أصدرت بياناً سرى كالكهرباء .

وقد جاء فى هذا البيان أن الجمعية تريد « اتحاد الشعوب اليوغسلافية اتحاداً حراً على قدم المساواة بينها » . فهو بيان يؤيد « الديمقراطية » ، وتتردد فيه أنفاس أمة جديدة بعثت تحت ظلال الحرية .

ووازنت بين واجبى نحو يوغسلافيا القديمة والجديدة ، فآثرت جمهورية يوغسلافيا المتحدة الديمقراطية على ملكية الملك بطرس ، وآثرت تيتو على ميخائيلوفتش ، واستقلت من منصبى . وجعلت قلمى مناصراً لتيتو فى الصحف الأمريكية التى تشد أزر الأحرار .

وكتبت فى مجلة نيشن مقالا جاء فيه : « لقد نهضت يوغسلافيا الجديدة : اتحاد قائم على المساواة السياسية والدينية والاجتماعية . وأنا وإن كنت من صغار المجاهدين إلا أنى أشعر بأنى إنما أؤيد أشياع تيتو ، لأن آمال بلادى معقودة بعملهم » .

ولم أطق عندئذ أن أبقى فى المنفى طويلا ، فأبحرت فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ من نيويورك ، وجاءت زوجتى بأولادنا ليودعونى على الرصيف ، فوجدتها شديدة الغبطة ، وكانت مُنانا أن تلحق بى قريباً فى يوغسلافيا موطن الأحرار من الرجال والنساء .

« لماذا عدت ؟ »

فلما بلغت بلغراد رأيت حولى كل دلائل التحرير — على أيدى الروس . فهذه مهامز الروس العسكرية تصلصل فى كل الشوارع ، وصور ستالين تطل من كل النوافذ . ولم أحفل كثيراً يوم سرق الجنود الروس ساعتى من غرفتى فى الفندق ، فقد ألف الناس فى بلغراد أن يأمرهم الجنود الروس : « هات ساعتك » ، فالساعات فى نظر هؤلاء المحررين شىء جديد لا قبل لهم بمقاومة إغرائه ، بيد أنهم كانوا محررين ، وكانوا إخواناً سلافيين .

وكان الشبان فى أسمال بالية يرقصون فى ميدان عام رقصة « الكولو » الصربية القديمة ، لكن الكلام الذى كانوا يغنونه أثناء الرقص كان جديداً :

« تيتو أيها الرفيق إذا ذهبت إلى روسيا فردد شكرنا للجيش الأحمر ، وبلغ ستالين أن شبابنا الصربى فى طاعته » .

لم أحفل بكلام كثير من معارفى القدماء فى بلغراد وكأنه ينم عن الأسى العميق ، كانوا يقولون لى : « لماذا عدت إلى هذا الجحيم ؟ »

كان هؤلاء المعارف من الطبقة الصربية الحاكمة التى حكمت يوغسلافيا بين الحربين العالميتين ، وهاهم الآن يسيرون فى ثياب رثة وفى عيونهم الجزع ، فرثيت لهم ، لكنى تذكرت ما كان لهم من شأن فى فى مساوىء الماضى ، وصرفت نفسى إلى التفكير فى المستقبل الحر الصالح .

وقد أوجست خيفة على حرية ذلك المستقبل حين تبينت أن تقلدى رياسة القسم الخاص بالصحافة الأجنبية فى وزارة الاستعلامات ، يقتضى أن يتحروا عن سيرتى . ولن تجد اليوم يوغسلافيًّا قد سلم من ذلك التقرير السرى الذى تسجّل فيه حركاته السياسية وأعماله الخاصة ، فهو يرسل فى أثره من مكان إلى مكان ، ويقرر نوع المعاملة التى يلقاها من ولاة الأمور أنّى ذهب . فإذا كان التقرير غير مرض حيل بينه وبين كل عمل فى الحكومة ، وإذا منعت عن العمل فى الحكومة ، فقلما تجد عملا تعمله . وقد أعدّ التقرير الخاص بى سفيتا نيد لكوفتش رئيس المستخدمين فى وزارة الاستعلامات وعضو الحزب الشيوعى .

وقد أجفلت ساعة قال لى نيدلكوفتش إن فى سيرتى نكتة سوداء هى تأليف كتاب « عذاب أوربة » الذى نشر فى بلغراد سنة ١٩٤٠ .

كان الكتاب ضد الفاشيين ، وقد صادره الألمان المحتلون . ففيم اعتراض نيدلكوفتش الشيوعى ؟

ولكن سرعان ما عرفت السبب . فقد كان الكتاب ضد الفاشيين ، بيد أنه لم يكن مع الشيوعيين ، بل كان يناصر الديمقراطية . وقد أنذرنى نيدلكوفتش بأنه سيراقب سيرتى فى المستقبل .

وهكذا أدركت أنه لا بدّ لغير الشيوعيين من أعضاء الحكومة المنتمية إلى الجبهة الشعبية من أن ينالوا رضى الشيوعيين ، فغير الشيوعيين هم « المظهر » والشيوعيون هم المدبرون فى الخفاء وأصحاب السلطان .

وحين اقترحت ضم طائفة مختلفة من الأدباء غير الشيوعيين إلى قسم الصحافة رُفض اقتراحى وقيل لى : « إنهم رجال كُتب عليهم الموت ، ونحن فى حاجة إلى رجال جُدُد . ولن تلبث حتى ترى الرجال الجدد قد حلوا محلهم » .

« رجال كُتب عليهم الموت ! » عبارة ظلت جاثمة على صدرى كالكابوس .

وجعلوا يقذفون بالرجال الجدد إلى إدارتى .

وكان أحدهم يدعى ڤكسان أرسل إلى من البوليس السياسى السرى رأساً ، وقدّ كلف أن يتولى أمر الصحفيين الأجانب مع

أنه لايعرف لغة أجنبية واحدة . فبدأ ينشىء إضبارة سرية لكل مكاتب أجنبي فى بلغراد . ولم أشأ أن أكون مجرد تمثال ، فحادثت رئيسى وزير الاستعلامات ساقا كوزانوفتش سفير يوغسلافيا فى وشنطن الآن ، ولم يكن شيوعيًّا ، بل كان السكرتير العام للحزب الديمقراطى المستقل . وكان هو أيضاً رجلا يحيط به « رجال جُدُد » ، وكان عاجزاً كل العجز عن مدّ يد المساعدة إلىّ .

أما المدير الحقيقى لوزارة الاستعلامات فكان « مساعده » ڤيلكو كوراخ ، وهو شيوعى .

وأدركت أن هذه حال كل عضو غير شيوعى فى جبهة تيتو الشعبية المزيفة ، حتى إيفان سوبازيتش وزير الخارجية .

وسوبازيتش من زعماء أكبر حركة ديمقراطية فى يوغسلافيا ، وهى حزب الفلاحين الكرواتى . فهو الذى أمضى اتفاق تيتو سوبازيتش للجمع بين العناصر اليوغسلافية المناهضة للفاشية فى ائتلاف ديمقراطى . وكانت بريطانيا هى التى حضته على هذا الاتفاق ، واشتركت معها الولايات المتحدة فى ذلك إلى حد ما .

فالآن عرفت أن سوبازيتش لم يكن هو الذى يدير وزارة الخارجية بل إدوار كاردلج الشيوعى .

وظلّ عجبى ، أنا المغفل ، لا ينقضى حتى تمّ لى أعجب اكتشاف — عن تيتو نفسه : فتيتو يحمل لقب رئيس الوزراء ووزير الدفاع ولقب المارشال ، وهو أيضاً عضو فى مكتب السبعة التابع للحزب الشيوعى اليوغسلافى ، ويظنونه فى الخارج صاحب الأمر والنهى فى يوغسلافيا ، ولكنه فى الواقع لا يحكم ، بل هو « مظهر » وحسب .

## ديمقراطية تيتو

لقد هالنى أن أرى تيتو يسكن القصر الأبيض الذى كان مقراً للأمير بول فيما سلف . وكان الشيوعيون قد وعدوا بأن يخصوا أطفال العمال والفلاحين بالقصور الملكية ، فالآن أرى تيتو يحتل أفخم هذه القصور جميعاً . وقد آلمنى أن أراه يدلنى على الصور القديمة البديعة المعلقة على حيطان القصر ، كأنها تشهد بذوقه الفنى الرفيع ، وكان يحاول أن يخفى فَعلته بابتسامة مشرقة .

وتيتو يستطيع أن يبتسم ، ويستطيع أن يمثل : يلبس كجورنج ، ويقلد حركات موسولينى ، ويحاول أن يتكلم كستالين ، وهو يبتسم تلك الابتسامة ، وهى ابتسامة ملؤها الثقة والقوة ، بل العنف أيضاً .

والشيوعية كالفاشية فى حاجة إلى رمز حىّ . فتيتو يستطيع أن يظل خمس ساعات

واقفاً على منصّة العرض يبتسم ويمر به ألوف العمال والموظفين، وتلاميذ المدارس يهتفون : « تيتو لنا ونحن لتيتو ! فليعش تيتو ! يعيش ! يعيش ! » إنها نزعة مادية جامعة ترفع واحداً من البشر إلى مرتبة التقديس المطلق .

وكلمات تيتو عندهم وَحْى يُوحَى، وإنها لكذلك . فكل كلمة ينطق بها تيتو فى خطبه العامة يكتبها له عضوان آخران من المكتب السياسى التابع للحزب الشيوعى : يكتبها زوييفتش تسيرنى وزير المالية ، وميلوفان ديلاس من أهالى الجبل الأسود وصديق ستالين .

والشيوعية هى حكم طبقة الموظفين . وعقل الطبقة الحاكمة اليوغسلافية بل عقل يوغسلافيا نفسها ، هو إدوارد كاردلج . وهو سلوفينى قصير ، بدين ، أنيق ، عليه سيمياء العلماء . وكان يزاول التدريس . وهو من علماء المنطق والجدل ، درس منطق الشيوعية فى موسكو ، وهو الآن يتقلد منصب نائب رئيس الوزراء، والرئيس الأعلى لرؤساء المستخدمين فى جميع مصالح الحكومة . وثمانية وعشرين من هؤلاء الرؤساء يجتمعون به كل أسبوع للبحث فى موقف موظفى الحكومة من الناحيتين الشخصية والسياسية ، حيال نظريات الحزب الشيوعى وخططه . وقد مثل كاردلج يوغسلافيا فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وفى مؤتمر الصلح بباريس، وبواسطته يسيطر صوت موسكو فى هيئة الأمم المتحدة على صوت بلغراد .

تُسمَّى قوة البوليس السرى السياسى اليوغسلافى «أوزنا»، ومعناها مصلحة الدفاع عن الشعب . وقد نظمها روس توفروا على التجسس و«التصفية» ، ورئيسها الفريق ألكسندر رانكوفتش، وفى وسعه أن يقبض بلا أمر من النيابة على كل مواطن يعد « عدواً للشعب » ، وأن يعدمه بلا محاكمة .

وهيئة « أوزنا » مؤلفة من أقسام : قسم لمراقبة المدنيين ، وآخر لمراقبة الجيش ، وثالث لمراقبة اليوغسلافيين الذين يقيمون فى الخارج ، ورابع لمراقبة الأجانب المقيمين فى يوغسلافيا ، وآخرها قسم خاص لمراقبة الحكومة نفسها — أى لمراقبة جميع موظفى الحكومة ، ومنهم الشيوعيون . والحزب الشيوعى نفسه يتولى التجسس على نفسه ، فهو كالبصلة مؤلف من طبقات . وعليك أن تنزع عنه طبقاته طبقة طبقة قبل أن تصل إلى قلبه الذى قوامه شبكة من الجواسيس .

وتستخدم أوزنا ١٠٠,٠٠٠ جاسوس لمراقبة قطر تعداده أربعة عشر مليوناً .

ولأوزنا أن تنتفع بخدمة الحرس المختار الذى يشبه هيئة حرس هتلر الخاص ، وهى تضم ١٥٠٫٠٠٠ عضو يرتدون اللباس العسكرى ، فهى خير قوة عسكرية فى البلاد ، ولها من المأكل والملبس والسلاح أحسنه .

ولم تجر فى يوغسلافيا فى العام الماضى انتخابات حرة ، وإن كان تشرشل وستالين وروزفلت قد تعهدوا عن دولهم فى مؤتمر يالتا بأن تجرى انتخابات حرة فى جميع البلدان الأوربية التى تحررت من الألمان .

فقبل أن تجرى الانتخابات أصدرت محاكم « قضائية » استبدادية ، تسمى محاكم الشعب ، أحكاماً معجلة على ألوف من الذين يعدّون « أعداء الشعب » ، فحرموا حق الانتخاب لا لشىء سوى أنهم غير شيوعيين . وقد نقص زعماء العناصر الديمقراطية الصحيحة فى يوغسلافيا نقصاً مطرداً بإلقاء القبض عليهم ، ثم يعتقلون أو يختفون ، وذلك أشد هولا من الاعتقال .

### أسئلة وأجوبة

وقد قبض على أوغست كوزوتتش وكيل حزب الفلاحين الكرواتى واختفى عن الأنظار ، فطلب سوبازيتش وزير الخارجية والممثل الأول لحزب الفلاحين الكرواتى فى الجبهة الشعبية ، أن يؤذن له بزيارة كوزوتتش فرفض طلبه . وشهد الدكتور باريزا سموليان اجتماعاً لحزب الفلاحين وجه فيه اللوم إلى سوبازيتش لعجزه عن إطلاق سراح كوزوتتش ، فلم يكد هذا الاجتماع ينتهى حتى ألقى القبض على سموليان نفسه ، وهو من كبار الأعضاء ، كما ألقى القبض على غيره من مندوبى حزب الفلاحين الكرواتى .

فلما أصبح من المستطاع استئصال زعماء الأحزاب السياسية المهمة على هذا النحو ، صار من أيسر الأمور استئصال أوساط الفلاحين جماعات جماعات . وقد يعقد موظفون من الشيوعيين اجتماعات سابقة للانتخابات فى قرى كرواتيا الصغيرة ، فيتكلم فلاح متهوّر فيقول :

« ياحضرة القومسير ، هل تأذن لى بسؤال ؟ »

« بلا ريب » .

« ألا ترمينى فى السجن ؟ » .

« كلا . فقد حُرّرت ، وأنت الآن حر » .

« حسن إذن . فأين رئيس حزبنا الدكتور ماتشيك ؟ فإنا لنحب أن نسترشد برأيه » .

« إن ماتشيك رجل رجعى ، فاشى ، خائن . وهو الآن غير مقيم فى هذه البلاد » .

وماتشيك رئيس أصدق حركة ديمقراطية فى كرواتيا ، فرّ إلى باريس حيث فرض

عليه النفى فرضاً . وقد سأل عنه مئات من الفلاحين فلم يلبثوا أن افتقدتهم قراهم .

ويضاف إلى غير الشيوعيين ممن سجنوا أو فقدوا ، أولئك الذين قتلوا قتـلا . فقد روى المونسنيور ألوس ستيبينتس ، كبير أساقفة زغرب وأكبر الكاثوليك مقاماً فى يوغسلافيا، أن ١٦٩ من قساوسته سجنوا، و٨٩ فقدوا ، و٢٤٣ قتلهم أشياع تيتو .

وكان فى زغرب طبيب مشهور يشتغل أيضاً بالطب النفسى يدعى الدكتور غوبرو ڤرانيستش ، وكان وطنياً كرواتياً ولكنه أبى أن يتعاون مع هيئة «أوستاشى» الفاشية الكرواتية المسلحة، بل لقد أنقذ كثيرين من الكروات والصرب وغيرهم من القتل بأيدى تلك الهيئة . وكان ممن أنقذهم ميروسلاف كارليزا أعظم شارح كرواتى لفلسفة كارل ماركس . فما عاد الدكتور ڤرانيستش إلى زغرب حتى قبض عليه أشياع تيتو وحاكموه ثلاث مرات، وحكموا عليه فى المرة الثالثة ، فاستأنف كارليزا الكاتب الماركسى الحكم إلى تيتو تلميذ كارل ماركس، بالنيابة عن الدكتور ڤرانيستش .

بيد أن تيتو لم يستطع مع أشياعه شيئاً ، ولم يكن ڤرانيستش فاشياً ، ولكنه لم يكن شيوعياً ، فأعدم .

وفى زغرب وما يجاورها ألقى أشياع تيتو القبض على ٧٠٠٠٠ من الأهالى، كان أكثرهم قد عاونوا أشياع تيتو معاونة صادقة . وجندت جنود تيتو شباب شومادىجا ، أشهر الأقاليم الصربية تاريخاً ، وقذفوا بهؤلاء الفتيان ، وهم عزل أو يكادون ، وراء الدانوب فى وجه الجيش الألمانى الذى لم يكن قد تشتت بعد ، فسقط منهم ستون ألفاً أمام الدبابات الألمانية . فبدأت أفهم لماذا قيل : « إنهم رجال كتب عليهم الموت » .

وفى بعض نواحى أقاليم يوغسلافيا الغربية ، عمد بعض معاونى ميخائيلوفتش إلى مساومة الإيطاليين ليظفروا منهم بعتاد عسكرى انتفعوا به فى محاربة أشياع تيتو ، لكن ميخائيلوفتش كان فى صربيا الأصلية رمز الضمير القومى فى الشعب الصربى . وهذا يفسر لماذا أحس تيتو أن لا بد له من أن يلوث سمعته بمحاكمته فى بلغراد .

وقد رحلت رحلة فى الريف قطعت فيها ٣٠٠ ميل ، فلم أر بشراً حياً ، بل أطيافاً من الرجال والنساء يجاهدون فى حراثة الأرض بجلد عجيب . وسألتنى سيدة عجوز فى سبليت مسقط رأسى : « لماذا جئت إلى هذه الأرض التى لا يسعد فيها سوى الأموات ؟ »

كان البؤس مخيماً على القرى والريف بتمامه ، وقد قال لى فلاح : « لقد أتى

الشيوعيون وحررونا ، وأخذوا مناستين فتى لم نرهم منذ ذلك الحين قط . وقد كان من عادتنا الرقص ، فلم يعد بيننا من يرقص . إننا نلبس جميعاً ملابس الحداد ، نعمل ونجلس فى بيوتنا . وهذه هى الحرية التى جلبوها إلينا » .

يعترف الشيوعيون أنفسهم بأنهم منذ « التحرير » تخلصوا من ٥٠٠ ألف يوغسلافى بالاعتقال أو الغَيْبة أو الموت . وأرى جلياً أن غرضهم إنما هو « تصفية » الطبقة اليوغسلافية الوسطى على بكرة أبيها من زراع وتجار وأصحاب صناعات من غير الشيوعيين ، « ولن تلبث حتى ترى الرجال الجدد قد حلوا محلهم »

وقد جرت الانتخابات فى نوفمبر الماضى وسط هذا الفزع ، فلم يكن فيها سوى قائمة واحدة من المرشحين كلهم من الجبهة الشعبية ، وكلهم ممن اختارهم الحزب الشيوعى أو أقر ترشيحهم . وكان من الضرورى للتصويت ضد مرشح أن تصوت ضد قائمة المرشحين كلها . وقد فاز الذين وافقوا على هذه القائمة فوزاً مبيناً بعد أشهر من تطهير المعارضين وإرهابهم .

لقد أثرت هذه الانتخابات فى بعض « المغفلين النافعين » فى العالم الديمقراطى ، ويستطيع هؤلاء أن يلموا بحقيقتها من الجنرال رانكوفتش ، فقد خطب الجمعية الوطنية اليوغسلافية المنتخبة فى ٢٤ مارس من هذا العام فقال : « إن أولئك الذين يعارضون سياسة النظام الحاضر ، لا يمكن أن يتولوا السلطة عن طريق الانتخابات الحرة ، ولا يمكن أن يشتركوا فى الحكم ، بل لا يمكن أن تقوم لهم قائمة ، أو أن يكونوا معارضة يؤذن لها بالمعارضة »

**عالمان**

قال لى كاردلج حين بدأت عملى بوزارة الاستعلامات : « إن بيننا وبين أمريكا هوة لاسبيل إلى اجتيازها ، فنحن عالمان لايمكن أن يتحدا ، ومعنا نحن قوة الجماهير . فحين ننتصر على العالم الأمريكى يصبح العالم عالماً واحداً » .

ثم اطلعت بعد ذلك على التعليمات السرية التى أصدرها كاردلج إلى زعماء الحزب الشيوعى اليوغسلافى . وقد قال فى هذه التعليمات :

« لقد تساهلنا مع عالم الرأسماليين فى بعض الأمور لنكسب الوقت ، لكن حين تدق الساعة يجب أن نكون متأهبين للتحول إلى الهجوم . إن ثورة الطبقات العاملة ماضية فى طريقها ، وهى متصلة بالاتحاد

السوفيتي باتفاقات تنص على المساعدة المتبادلة في السياسة والاقتصاد . وهي كما قال ستالين تؤلف بين الجهات الكثيرة التي تختمر فيها الثورة : في بولنـــدة ورومانيا وبلغاريا وإيطاليا ، وتجمعها في نظام واحد ، وسيهجم هـذا النظام الثوري على النظام الرأسمالي ويلقاه وجهاً لوجه » .

وأنت تراهم يعربون اليـوم عن هذا الشعور إعراباً صريحاً في خطب علنية عامة ، فقد وقف القائمقام برانكو بيروفتش ، القومسير السياسي الشيوعي للفرقة الرابعة من الحرس المختار ، وخطب جنوده في ١٧ فبراير من هذه السنة فقال :

« إن البريطانيين والأمريكيين هم رأس الرجعية الدولية المنافقة ، وهم يهددون سلام العالم ، فلا يسعنا أن نعتمد إلا على اتحاد السوفيت وحده ، فهو الدولة الوحيدة التي تسودها المثل الديمقراطية العليا . وقد كنا إلى اليوم مضطرين أن نقول : مع إنجلترا والولايات المتحدة من أجل صون السلام ، أما الآن فنستطيـع أن نقول للنـاس : حاربوا إنجلترا والولايات المتحـدة وسائر القوى الرأسمالية في العالم » .

فغرض الشيـوعيين في يوغسلافيا هو أن يلقوا بها في أتون الحرب الأهلية ، ثم في حرب دوليـة بين الطبقات تكون حرب إبادة . وهذا غرض لا يمكن أن يقره زعماء الأحزاب الديمقراطية المخلصـة في حكومة الجبهة الشـعبية اليوغسلافية ، فأخذوا يتسللون منها واحداً بعد الآخر .

لقد أعلن ميلان جرول ، نائب رئيس مجلس الوزراء وزعيم الحزب الديمقراطي الصربي في العام الماضي ، أن الغرض من التحرير لم يكن توطيد الشيوعية بل التوسع في إفهام الناس معنى الديمقراطية ، فكان ذلك سبباً للحملة عليه واتهامه بأنه صنيعة الرجعية ، فرد على ذلك بقوله إن الشيوعيين هم الذين يؤلفون بين الديمقراطيين والرجعيين باستبدادهم وبطشهم . وقد ناشد الشيوعيين أن يحلوا الحرية السياسية محل البطش ، فذهبت مناشدته عبثاً ، فاستقال في شهر أغسطس من العام الماضي ، واعتزل في بيته في بلغراد ، ووقف بباب داره رجل من رجال تيتو مسلحاً ببندقية سريعة .

ورأى وزير الخارجية سوبازيتش كيف بلغ فساد الديمقراطية في يوغسلافيا ، فقرر أن يشاور الدكتور فلاتكو ماتشيك زعيم حزب الفلاحين الكرواتي الذي هو حزبه ، وكان الدكتور في منفاه في باريس . وذهب سوبازيتش لمقابلة تيتو ، فقال له تيتو إنه لا يجد مانعاً يمنعه من السفر ، ولكن يجب عليه أولا أن يخاطب في ذلك كاردلج

رئيس المستخدمين . وفى اليوم التالى أخبر كاردلج سوبازيتش أنه كلف أن يطلب إلى السفارة البريطانية إعداد طائرة لتقله إلى باريس ، وكان الجو رديئاً فى الأيام الثلاثة التالية .

وأصيب سوبازيتش فى تلك الأثناء ببرد ، فطلبته السفارة السوفيتية بالتلفون وأبدت له عظيم قلقها على صحته ، وأنها ستبعث إليه بطبيب روسى ممتاز هو الأستاذ ف . أوجنييف .

ووصل الأستاذ ومعه طبيبان يوغسلافيان ، فحصوا سوبازيتش وأعلنوا رأيهم : وهو أن سوبازيتش مصاب بنزف فى المخ ، فيجب أن يلازم فراشه ويستريح راحة تامة ، ولا يقابل زواراً . وما هو إلا أن أحاط بالبيت أربعون رجلا مسلحاً من حرس تيتو الخاص ، فظن سوبازيتش أن تيتو آت لزيارته . بيد أن تيتو لم يحضر ، ولا انصرف الحرس المسلح .

وسمع السفير البريطانى بهذا الحصار، فجاء يعود سوبازيتش فحال الحرس بينه وبين دخول البيت . وكان سوبازيتش إذ ذاك أسير حكومة هو وزير خارجيتها ، فلم يستطع شيئاً حتى أن يرى سفير الحكومة البريطانية التى اضطرته إلى عقد اتفاق تيتو — سوبازيتش ، وحملته على تقلد منصب وزير الخارجية . وأحست حكومة الجبهة الشعبية اليوغسلافية بأنها صارت قادرة على أن تتحدى بريطانيا ، وأن تنبذ سوبازيتش فكلاهما كان غراً سليم الطوية .

واستقال سوبازيتش عندئذ ، وحذا حذوه الدكتور ج . شوتى صديقه السياسى ، وأذن لسوبازيتش بأن يقيم فى زغرب ، رجلاً من عامة الناس لا يشتغل بالسياسة ، تراقبه الأوزنا مراقبة دقيقة .

### « إنك لا تؤمن بالمثل الأعلى »

أما أنا فقد أخذ القلق يساورنى ، بعد أن تبين لى كيف ينتفع بى الشيوعيون : وقد كان لى من يقرأنى بين جمهور القراء اليوغسلافيين ، فإذا كتبت مقالا فى مجلة يوغسلافية أعطيت إلى صغار المتعلمين الذين اعتقلهم الشيوعيون ليقرأوها ، وقال لهم القومسير الشيوعى الموكل بالمعتقل :

« انظروا ! ها هو ذا رادتسا الذى ليس شيوعياً ، موظف فى الحكومة ، ومن معتنقى ديمقراطية تيتو . فلماذا لا تعتنقونها أنتم أيضاً ؟ » .

وقد ألحق شابان شيوعيان بإدارتى فتوليا شئون المراسلين الأجانب فى بلغراد ، مؤيدين من نيدلكوفتش رئيس المستخدمين فى وزارة الاستعلامات . وقد كان المقرر

أن أكون أنا رئيساً لقسم الصحافة الأجنبية، لكنه كان مقرراً أيضاً أن لا أتصل بالصحافة الأجنبية .

لقد خيل إليّ أن يوغسلافيا بأسرها قد جُنَّت بما أصاب الشيوعيين من مسّ وما يتملكهم من حنق . فقد اختير شبان من الشيوعيين فى دلماسيا لكى تتم عليهم شيوعيتهم بأن يرموا السجناء الفاشيين بالرصاص، وكان هؤلاء السجناء من أترابهم ورفاقهم . وفى الجبل الأسود حين قبض على بعض أنصار ميخائيلوفتش دُرِّب أولادهم الذين كانوا من أشياع تيتو على صدق العزيمة الشيوعية ، ثم امتحنوا بتكليفهم بإطلاق الرصاص على آبائهم .

وقد أدركت أن أى يد أستطيع أن أسديها لبلادى ، لا يمكننى أن أسديها داخل حدودها . ولم يكن فى وسعى أن أخفى شقائى ورعبى ، فاتهمت بأنى صنيعة الأمريكيين ، وجعل جواسيس الأوزنا يتعقبوننى .

وقد قررت أن أستقيل وأهاجر، ولكن جاءنى موظف وقال لى : « إن كاردلج يمنعك من مغادرة البلاد » .

فاقترحت عندئذ أن أستقيل على أن أبقى فى البلاد فى إقليم دلماسيا الذى هو موطنى . وتحدثت فى ذلك مع ڤيلكو كوراخ الرئيس الحقيقى لوزارة الاستعلامات فقال :

« إذا لم يرقك عملك هذا فالتحق بفرقة عمال تعيد بناء قرية مدمرة ، أو التحق بالجيش . أما أن تستقيل فشىء لا تملكه ، وليس لمخلوق فى هذه البلاد أن يستقيل بغير إذن » .

فقلت لنفسى : إذن لا بد من الهرب . ولا بد من الاهتداء إلى شخص ينيلنى جوازاً دون أن يشعر أحد .

وكنت أعرف أن هذا الشخص لن يكون كوراخ ، فكوراخ كان يريد أن يستبقينى فى يوغسلافيا ، وكان يحثنى على على الالتحاق بالحزب الشيوعى فقلت له :

« لا أستطيع ، فالحزب يتطلب شخصاً يكفر بالإنسانية — بل بالأسرة وبالله » .

فامتقع لون كوراخ ، وبدا منه الجفاء ، وصار لا يناديني بالرفيق رادتسا بل بالسيد رادتسا .

قال : « يا سيد رادتسا ، إنك رجل لا تؤمن بالمثل الأعلى » .

قلت : « بلى إنى لأومن بالمثل الأعلى ، إنى أومن بالجماعة الإنسانية » .

قال : « يا سيد رادتسا ، إنك لا تؤمن بمثل أعلى ، إنك لا تستطيع أن تقتل أحداً فى سبيل مثل أعلى » . .

قلت : « كلا لا أستطيع . لقد رأيت

فاشيين يقتلون، ورأيتكم أنتم أيها الشيوعيون تقتلون . ورأيت من البغض ما كفانى ، والذى تحتاج إليه بلادنا الآن هو الحب » .

فنظر إلى كوراخ نظرة جامدة وقال :

« هذا يا سيد رادتسا ما يراه أهل الطبقة الوسطى ( بورجوازى ) وما يفهمه الرأسماليون » .

وعجلت أبحث عن جواز ، وكنت قادراً على أن أقول صدقاً إنه لا بد لى من أن أذهب إلى إيطاليا لتسوية بعض شئون أسرتى الملحة . فتقدمت إلى موظف شيوعى وكان من المثقفين ومن ذوى الشعور الرقيق ، ويخطىء من يظن أنك لا تجد أمثال هؤلاء بين الشيوعيين ، فإن بينهم من هذه صفته . وقد أنالنى هذا الرجل جوازاً يخولنى السفر فى طائرة بريطانية إلى ميناء بارى الإيطالى .

وإذا ما كررتُ البصر إلى ما سلف من تجاربى ، بدت لى بعض الحقائق جلية لا ريب فيها .

الأولى : أن المشروع الروسى البعيد المدى فيما يتعلق بيوغسلافيا هو توحيد شعوبها الستة مع بلغاريا وألبانيا فى اتحاد بلقانى يُضَمّ إلى اتحاد السوفييت فيكون جمهورية من جمهوريته ، ويومئذ يمتدّ الاتحاد السوفيتى من البحر الأسود إلى البحر الأدرياتيكى ، وعن طريق ألبانيا إلى البحر الأبيض المتوسط . ولم يسبق أن بلغت روسيا ، ولا فى عهد القياصرة ، مبلغاً من القوة يدفعها إلى التفكير فى مثل هذا التوسع العظيم نحو الغرب .

الثانيـة : أن من العقبات التى تعترض هـذا المشروع هو ما طرأ من بغض يوغسـلافيا الفجائى للروس . فقد ظل اليوغسلافيون مئات السنين منذ الحكم التركى يتطلعون إلى روسيا ويعدونها منقذة لهم ، فما هو إلا شهران من الاحتـلال الروسى حتى تبدّد هذا الحلم . وليس هؤلاء الروسيون الشيوعيون شعباً متفوقاً ، فهم دون الشعب اليوغسلافى تعلما وثقافة ، وأحط منه فى مستوى المعيشة . وهم لم يأتوا إلى يوغسلافيا بجديد، سوى ما درّبهم عليه الشيوعيون من القوة الغاشمة والقسوة المنظمة .

الثالثة : أن الشيوعيين اليوغسلافيين الذين صاروا العنصر الحاكم بفضل الجنود الروس قليلون شيئاً ما، ولو جرت انتخابات حرة حقاً لما بلغوا عشرة فى المئة من مجموع الأصوات . وكثير من اليوغسلافيين يتبينون الآن بجـلاء ما بين الشيوعيـة والفاشيـة الألمانية من آصرة . ويتندّر المتندّرون إذا خلوا إلى أنفسهم فى بلغراد فيطلقون على تيتو تتلر على وزن هتلر .

الرابعة : أن أكبر مصدر لمقاومة نظام تيتو فى يوغسلافيا هو الدين ، ومن ثم كانت الحرب التى تشنها حكومته على الكنيسة .

كنت ذات ليلة أحادث الدكتور ليوبو ليوننتش فى بلغراد ، وقد كان فى طليعة الفاشيين فى يوغسلافيا، ولكن الشيوعيين لا يرونها جريمة أن كنت يوما ما فاشياً ، على شريطة أن تحالفهم بعد ذلك . وقد انضم إليهم الدكتور ليوننتش ، وهو الآن سفير يوغسلافيا فى لندن . وقد كنا نتحادث عن المونسنيور أنتى بونيفاشيش كبير أساقفة سبليت . وكان بونيفاشيش قد ندد فى رسائله إلى رعيته أثناء الحرب بهيئة الأوستاشى الفاشية وبهيئة المتشيعين للشيوعية ، لما ارتكبوا من مذابح فى دلماسيا . وكان هو نفسه قد أنقذ الكثيرين من أشياع تيتو من بطش العصابات الفاشية الدلماسية والإيطالية، ثم قبضت عليه الأوزنا أخيراً .

فقال لى الدكتور ليوننتش : « لا مفرّ من إعدامه » .

قلت : « لماذا ؟ وماذا جنى ؟ »

قال : « ليس ما فعلهُ بالشيء المهم ، ولكن لا بد من إعدامه لكى تظهر الحكومة اليوغسلافية الجديدة أنها لاتخشى الكنيسة » .

والواقع أن اليوغسلافيين ينتمون إما إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وإما إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. والدين فى الشرق الصربى أو الغرب الكرواتى والسلوڤينى ، هو أصلب ما يقف فى وجه السيطرة الشيوعية .

## المغفلون النافعون

ليس لى ولا لأى يوغوسلافى آخر أن ينصح للديمقراطيات الغربية بما ينبغى أن تكون عليه سياساتهم الدولية، ومع ذلك فإنى أحب أن أشير إلى العبرة الأولى التى يستطيع جميع المؤمنين بالديمقراطية أن يستخرجوها مما يحدث فى يوغسلافيا .

وهذه العبرة هى التفطن إلى الأذى الناجم من اللغة التى يستخدمها الشيوعيون وصنائعهم فى كل مكان ، يريدون بها الخديعة حين يسعون إلى استدراج مواطنيهم إلى معاونتهم اقتصادياً وسياسياً . فمأساة يوغوسلافيا بحذافيرها يمكن تتبعها وإرجاع أصلها إلى هذه الخديعة .

لقد وعد الشيوعيون يوغسلافيا بأن ينشئوا اتحاداً يضم ستة شعوب متساوية الحقوق ، تتكون منها ست « جمهوريات » منفصلة تحكم نفسها بنفسها ، فأعطوا يوغسلافيا حكومة عاتية مركّزة فى بلغراد.

فحين قال الشيوعيون « اتحاد » كانوا يعنون حكومة مركزية مطلقة .

ووعد الشيوعيون يوغسلافيا بالحرية السياسية لجميع الأحزاب المعادية للفاشية ، فأوجدوا في يوغسلافيا حرية سياسية للحزب الشيوعي وحده . والحرية السياسية التي ينالها الشيوعيون معناها تسلطهم السياسي التام .

ووعد الشيوعيون يوغسلافيا بحرية الملكية الخاصة فجعلوا ٧٥ في المئة من الصناعة والتجارة ملكا للدولة ، تتولى هي إدارتها .

ووعد الشيوعيون يوغسلافيا بأنه لن يكون فيها طبقة حاكمة . واليوم يذهب أطيب المآكل وأحسن الملابس وخير الدور والمنازل للموظفين الشيوعيين الجدد ، بل إن ثمة جملة تطلق على الشعب في مجموعه تحقيراً له هي « سيفا ماسا » أي « الجماهير العاجزة » .

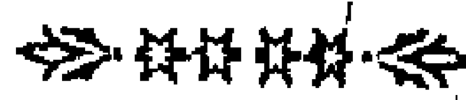
وقد وعد الشيوعيون يوغسلافيا بالسلم ، فأنشأوا فيها جيشاً مؤلفاً من ٥٠٠ ألف رجل ، وملأوا قلوب هذا الجيش بدعاية لا تنقطع ، ليعدوه لحروب دولية جديدة أفظع مما عهد حتى الآن ، وأشد نكالاً .

وأحب الألفاظ إلى الشيوعيين حين يريدون التغرير بالناس ليحملوهم على أن يعاونوهم معاونة مؤقتة ثم يغدرون بهم في النهاية ، هي ألفاظ « السلام » و « الديمقراطية » .

ويوغسلافيا هي الدليل القاطع على أن الشيوعيين حين يقولون : « ديمقراطية » يعنون تسلطاً جديداً ، وحين يقولون « سلام » يقصدون أن يزداد التذبيح في الأمم وبين الأمم .

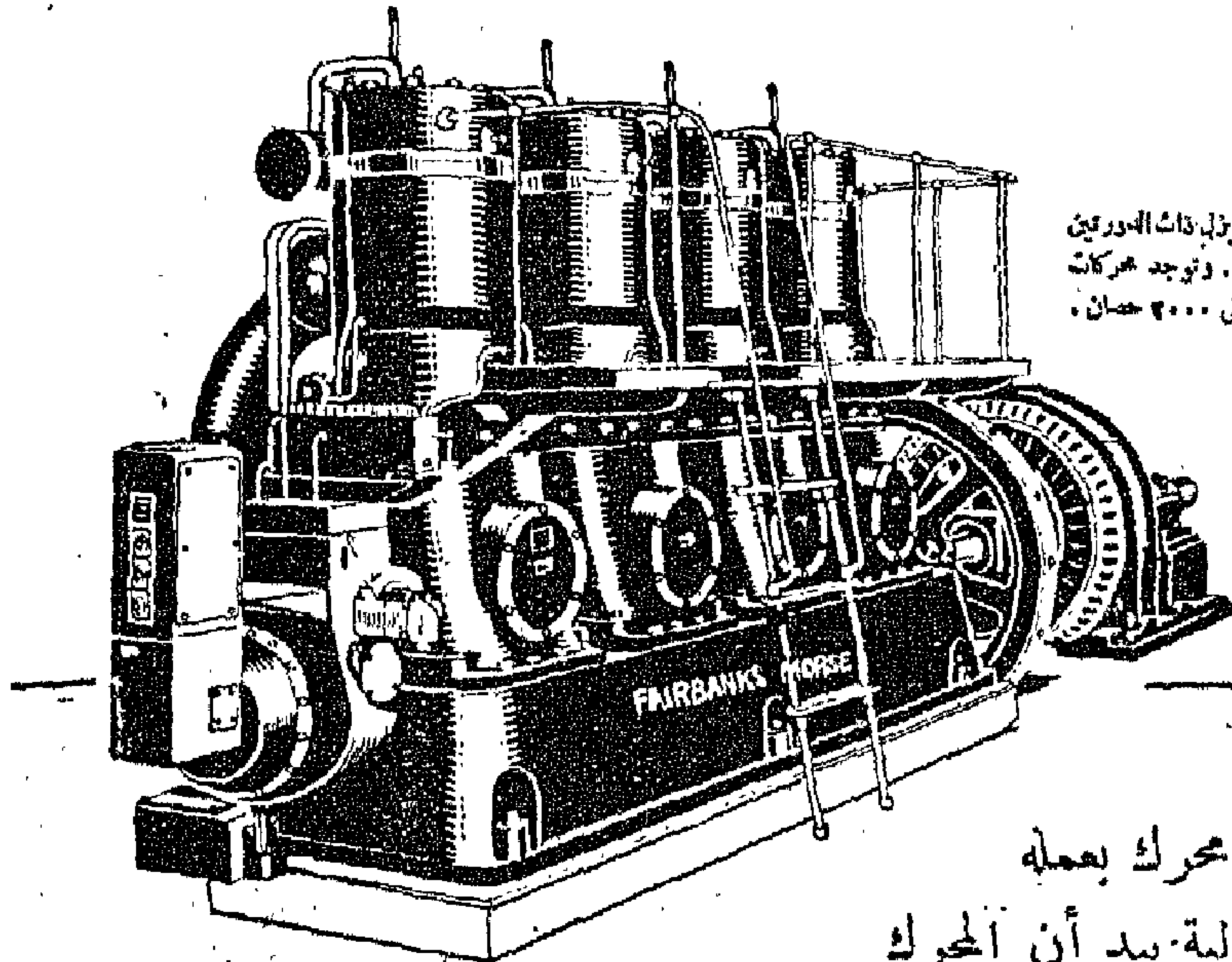
إن لي في غرب أوربة وفي أمريكا أصدقاء أحبهم ، وهم يشاطرون العالم أمله في عزة الديمقراطية وبلوغها الكمال . وهم في هذا على حق ، لكني أحب أن أقول لهم :

« تبصروا لتعرفوا من الذين يشاركونكم في أداء هذه المهمة العظيمة . احذروا أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون معانيه . واحذروا أولئك الذين يكذبون في بيان معتقداتهم ليصلوا إلى أغراضهم . واحذروا أولئك الذين لا تختلف ألفاظهم عن ألفاظكم ، ولكن لا همّ لهم حيثما تولوا السلطة إلا دماركم . لا تكونوا « كورستنى بودال » — لا تكونوا مغفلين نافعين » .



[ ينحدر مؤلف هذا الكتاب ، الذي ظلّ سنين كثيرة من كبار رجال الحكومة اليوغسلافية ، من أسرة كرواتية عريقة . وقد تزوّج نينا فريرو كريمة جوليلمو فريرو المؤرخ الإيطالي الذائع الصيت ، وهو يشتغل الآن بالصحافة في نيويورك ]

# عطل أقل بفضل
# هذا الدّيزل




«فيربانكس مورس ، موديل ٣٢» ، محركات ديزل ذات الدورتين للعمل الشاق ، قوتها من ١٢٠ إلى ٤٥٠ حصاناً . وتوجد محركات «ديزل فيربانكس مورس» تتراوح قوتها من ٥ إلى ٣٠٠٠ حصان .

كثيرٌ أن يقوم أى محرك بعمله خلال ثلاثين سنة متوالية بيد أن المحرك المبين هنا أدى هذا النوع من الخدمة وقام بهذا الضرب من العمل مرات عديدة ، في أحوال عديدة ، ولمؤسسات عديدة . فسواء كنت تتأهب لمشروع بلدى ، أو صناعى ، أو زراعى يلزمه القوة المحركة فهيء لنفسك أقصى ضمان وأقل نفقة باستشارة وكيل « فيربانكس مورس » لتظفر بالمحركات التي تعطيك هذه الخدمة القياسية التي قام عليها البرهان !

شركة شمال شرق أفريقيا التجارية (القاهرة ـ الاسكندرية)

ف . ا . كتانه دمشق بيروت ــ طهران

ف . ا . كتانه وشركاه ليمتد بغداد

چوزيف ج . روزنجولد ، تل أبيب ( مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

م . برجر ، تل أبيب ( جميع المنتجات ما عدا مضخات التربين ذات التشحيم المائى )

## Fairbanks, Morse & Co., Inc.

تأسس سنة ١٨٣٠



إسم جدير بأن تتذكره

Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.

محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات . أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس . معدات السكك الحديدية .

# پاركر

# "٥١"

هـذا هو القلم الذى يضن به الناس كما
لا يضنون بقلم سواه . إن سنه الندية دائماً تتيح
بدءاً عاجلا فى الكتابة ، ورأسها مصنوع
من الأوزميريديوم الذى يهيىء لك
كتابة ناعمة كالمخمل وهى مغلفة محمية فى مأمن
من الغبار والهواء . كما أن قلم
« پاركر ٥١ » هو القلم الوحيد الذى صمم خصيصاً
لاستعمال حبر « پاركر ٥١ » ، الحبر
الذى يجف وأنت تكتب به !

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.

## كتابة جافة
## بمداد سائل !

# فى طريقها إلى الشرق الأوسط!




إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط . ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

**كريم وليامز الفاخر للحلاقة :** يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمــة دون أن يتهيج الجلد .

**أكوا فلفا :** أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعـــد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة ،

**كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة :** خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

**قلم صابون وليامز للحلاقة :** مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

*The J. B. Williams Co.*, GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة



إن سرعة طائرة لوكهيد كونستليشن العظيمة ، وما فيها من أسباب
الراحة والسلامة قد رفعت إلى ذرى جديدة مستوى الرحلة فوق
المحيطات وبين القارات وستجد طائرات
كونستليشن فى كل رحلة عظيمة تتولاها الخطوط الجوية الآتية :

إرفرانس ، فرنش إرلاينز سيستم . أمريكان إرلاينز سيستم . BOAC .
بريتش أوفرسيز أرويز كوربوريشن .
إمسترن إرلاينز . KLM . رويال دوتش إرلاينز . KNILM
رويال ندرلاند أنديز إرويز ، بانير دو برازيل .
بان أمريكان وورلد إرويز . TWA . ترانس وورلد إرلاينز

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California U.S.A.



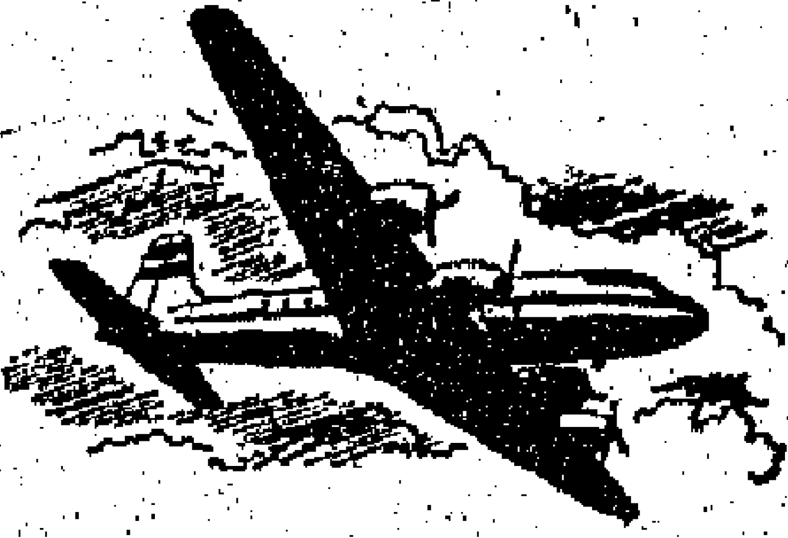
# الفرخ الذى طار قبل أن يخرج من البيضة

إن العالم يشهد اليوم صراعاً استعر أُواره فى أعقاب الحرب العالمية ، ألا وهو صراع الإنسانية ضد ألد عدويها : الجوع والوباء . على أن العالم يملك اليوم سلاحاً ماضياً للتغلب على نقص الغذاء ونقص الدواء .

فالبيض المخصب الذى لا تزيد مدة حياته على سبعة أيام ، والتقاوى اليانعة الوفيرة الإنتاج ، ترسل بسرعة إلى أوروبا المنكوبة على أجنحة تسيّرها قوة « رايت سيكلون »، والأمصال والمستحضرات الكيميائية تصل فى الوقت المناسب لتقف سداً فى وجه الأوبئة والأمراض . بل إن أحدث المبتكرات الطبية الأمريكية تتاح لأى بلد فى العالم فى خلال ساعات .

نعم إن هــذه المعجزة أمكن حدوثها بفضل المدى والقدرة والقوة التى تميز الطائرات المصنوعة فى الولايات المتحدة وحين تنتهى حالة الطوارئ القائمة الآن يصير فى وسع كل فرد أن ينتفع بهذا الخادم المجنّح فى مطالبه اليومية للظفر بأقصى ما تهيؤه الحياة من أمان ومتعة .

محركات " رايت سيكلون ٩ " تزودها بقوتها الفائقة طائرات DC-4



إن المسافرين على طائرات دوجلاس « DC-4 » سيتمتعون بمزايا السرعة الزائدة فى هذه الطائرات من طراز « سكاى ماستر » التى تدعمها قوة محركات « رايت سيكلون HD 9 » وهــذه المولّدات الجديدة للقوة تمد طائرات « DC-4 » ذات الأربعة محركات بقوة تزيد معدّل سرعتها المألوفة بمقدار ١٠ ٪

**Curtiss Wright**

*Export Division*

30 ROCKEFELLER PLAZA, NEW YORK 20, N.Y.



# لماذا يفضل المسافرون على الخطوط الجوية العالمية قلم إيفرشارب!

خزانه السحرى المشهور يمنع تسرب الحبر ورشحه فى طبقات الجو العليا — وكذلك الحال على اليابسة بالطبع ! إن الخزان السحرى يجعل الحبر ينساب انسياباً ناعماً على أى ارتفاع . . ومهما كانت حالة الطقس . وهذا يضع حداً لتلطخ الأصابع واتساخ القلم . . . كما أنه يكتب عدداً أكبر من الكلمات بين تعبئة وتعبئة !

أما ريشته السحرية فتكتب بنعومة يصح معها أن تطلق على «إيفر شارب» لقب القلم الصامت.

وهناك قرينه قلم الرصاص « إيفر شارب » وزن الريشة وهو يمتاز بزره السحرى ذى الطلقات. ويكفى ضغط بسيط بإبهامك على زره ليظهر الرصاص تماماً على طريقة المدفع الرشاش !

إيفرشارب

طراز "سكاى لاينر"

متاح فى مختلف الألوان

خدمة القلمين مضمونة،
لا عدداً معيناً من السنين،
ولا مدى الحياة وحسب،
بل هو ضمان للأبـــد !

## قدم إيفرشارب تكون قد قدمت أبدع هدية!

# بنفقات زهيدة

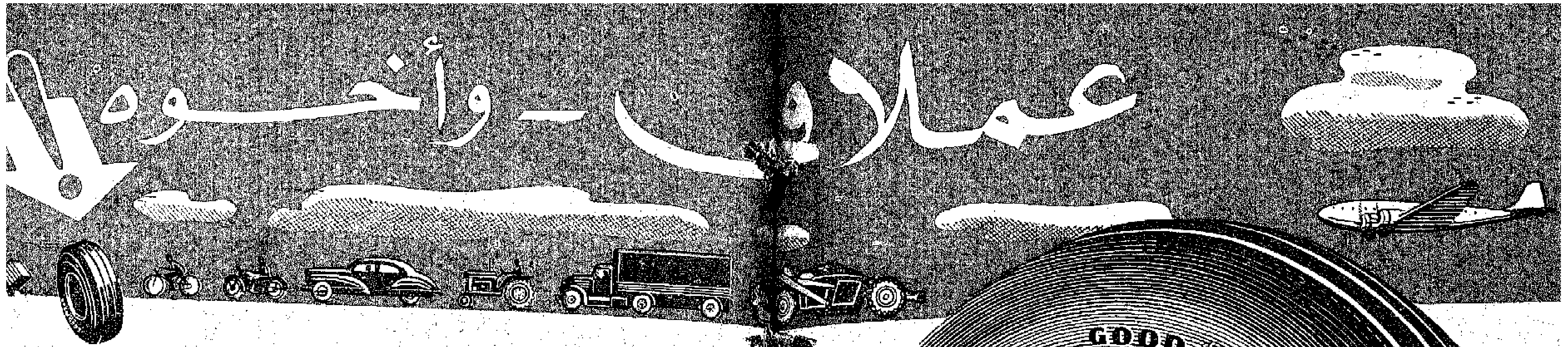
إنك فى حاجة إلى
القوة الفائقة والأداء الباهر اللذين
يقدمهما جرار "إنترنشونال"

إن ثمة أعمالا ضخمة يجب أن تنجز — فى تعبيد الطرق وبناء المطارات وإنجاز المقاولات العامة ومشروعات الرى — والقاسم المشترك الأعظم فى جميع هذه العمليات هو القوة الاقتصادية المضمونة التى تنجز العمل فعلا.

وجرارات «إنترنشونال كراولر» هى الجرارات المفضلة عند آلاف من العاملين والمقاولين الذين يتولون مثل هذه الأعمال. وفى الرسم ترى جرار «إنترنشونال ديزل» يسيّر مسلفة على عجل. وهذه واحدة فقط من آلاف العمليات العديدة التى تساهم فيها قوة «إنترنشونال كراولر» القليلة النفقة فى عمليات نقل التراب. وتستطيع جرارات «إنترنشونال» نقل الصخور والحجارة والتراب فى عربات تصل سعتها إلى ١٤ ياردة، كما تجر سكاكين الحراثة الضخمة، وتسوى المطبات، وتعبد الطرق.

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U.S.A.

**INTERNATIONAL**  **HARVESTER**




إن مؤسسة «جوديير» المتطلعة إلى اليوم الذي تصبح فيه الطائرات أضخم كثيراً من التي تحلق في الفضاء الآن — تراها قد تأهبت لذلك اليوم بإنتاج أكبر إطار للطائرات صنع حتى الآن .

على أن هذا الإطار العملاق الذي يزن ١٥٠٠ رطل ويبلغ ارتفاعه ١١٠ بوصات ماهو إلا شقيق القزم المبين في الصورة هنا — وهو إطار من صنع «جوديير» أيضاً يستعمل في الجرارات الصناعية الصغيرة ليساعد على تعجيل نقل الأحمال الخفيفة .

وتوجد بين هذين الإطارين مجموعة كبيرة من سائر إطارات جوديير للعجلات والموتوسيكلات والسيارات والجرارات والمحاريث ومركبات نقل التراب — وبكلمة أخرى لكل شيء يسير على عجل.

وهذا المران العظيم في صنع مختلف الإطارات يجعل من كل إطار تنتجه «جوديير» الإطار الجدير بالمهمة الملقاة على عاتقه . ولا غرو فإن ما تكتسبه مؤسسة «جوديير» من مهارة وخبرة متزايدة بفضل هذا الإنتاج المتعدد ، يعم جميع إطارات «جوديير» ، فيهيء لها أن تخدمك مسافة أطول بأقصى حد من الأمان والاقتصاد .

وهذا هو السبب الذي يدعوك للثقة بإطار «جوديير» أياً كانت الخدمة التي ترقبها منه .






إن إطارات جوديير تنقل في العالم كله من الناس ومن أطنان الشحن أكثر مما ينقله أي نوع آخر من الإطارات

# صممت خصيصاً
# واختبرت خصيصاً ...

للانتفاع بها في الأقاليم الحارة



ثلاجات « برست كولد » "Tropic -Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

## PRESTCOLD
## للتبريد

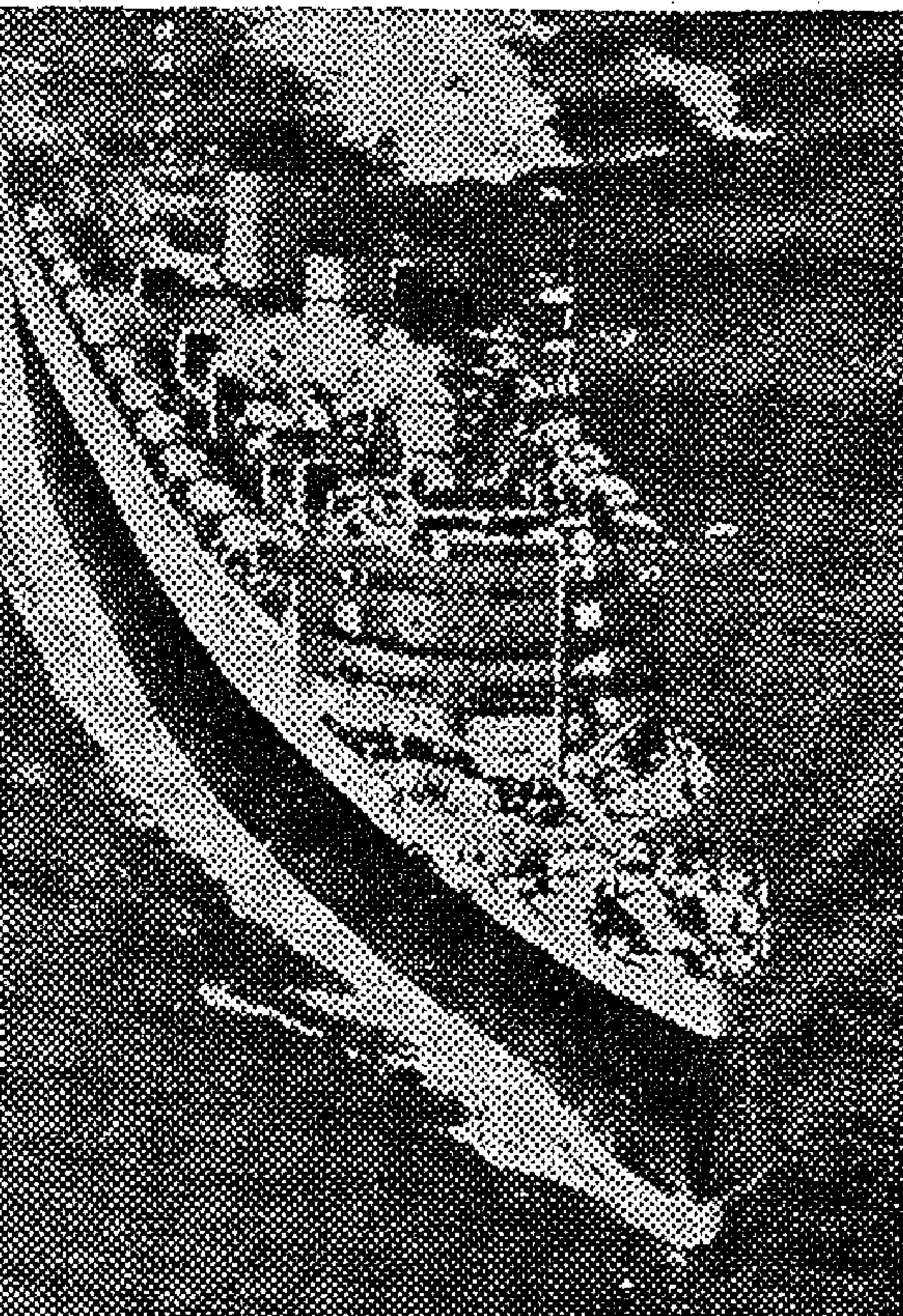



شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج لمتد ص ب ٩١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) لمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) لمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

## شركة پرسد ستيل لمتد

**THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND**

# إننا نقوم بتزييت أسرع سفن العالم



إن زيوت جارجويل البحرية
المعروفة، تتمتع بشهرة
واسعة في وقاية المحركات،
من التلف وتخفيض نسبة
العطل وتكاليف الصيانة
والتشغيل. ويمكنكم الاعتماد
على هذه الزيوت البحرية
للحصول على رحلات أسرع
وأكثر أمناً عبر البحار.

وهذه الزيوت الفاخرة منتشرة في جميع أنحاء العالم وتستند الى الأبحاث والتجارب التي قامت بها شركة سوكوني - ڤاكوم منذ ٨٠ عاماً وجعلت زيوت وشحومات جارجويل لها شهرة عالمية في انتاج أجود الأصناف وتقديم أفضل الخدمات الفنية وأصدق المعاونة!




## سوكوني - ڤاكوم



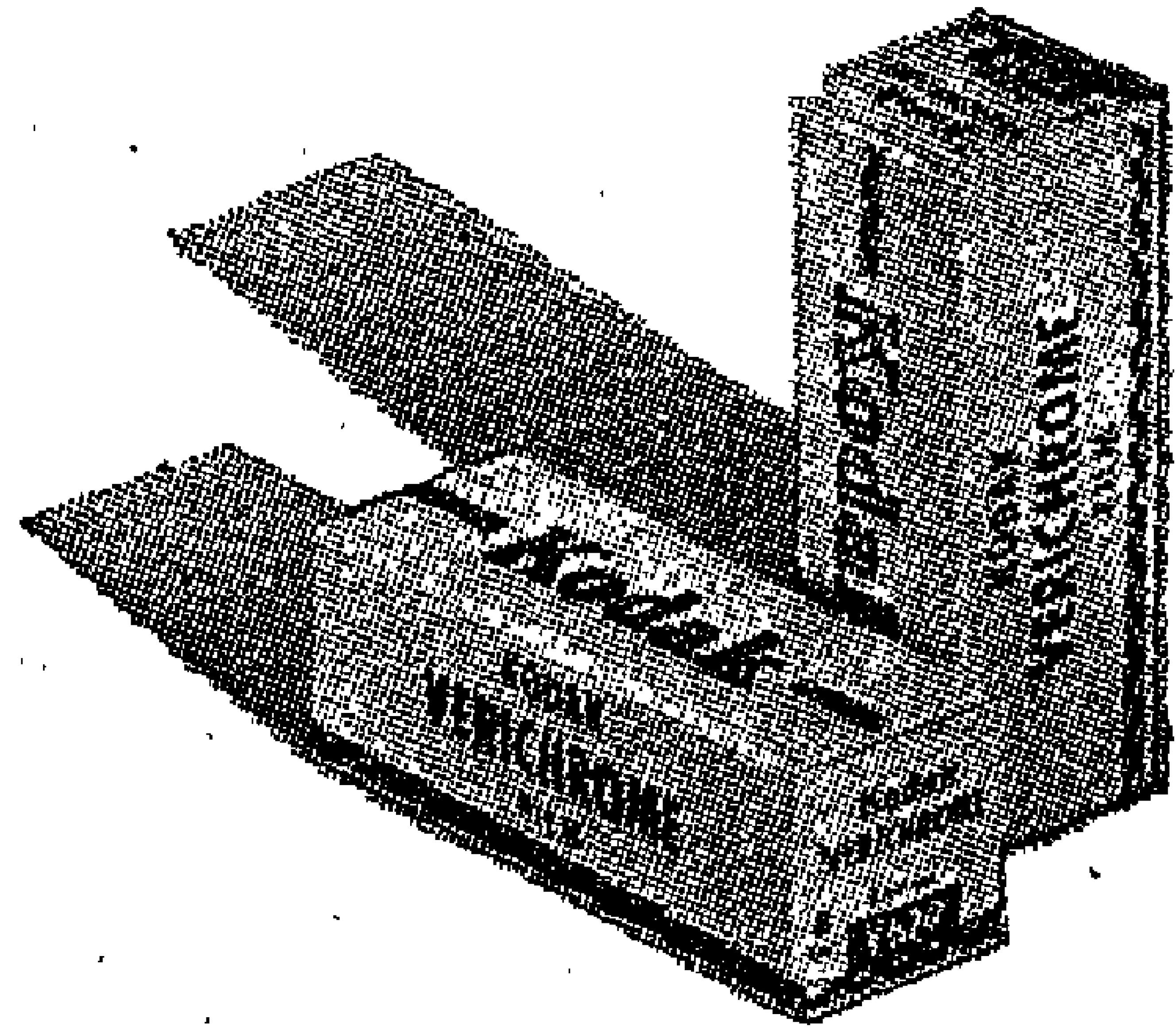
... باللغة العربيــة هى "أغنام"

... باللغة الإنجليزية هى "Sheep"

... باللغة الفلمنكية هى "Schapen"

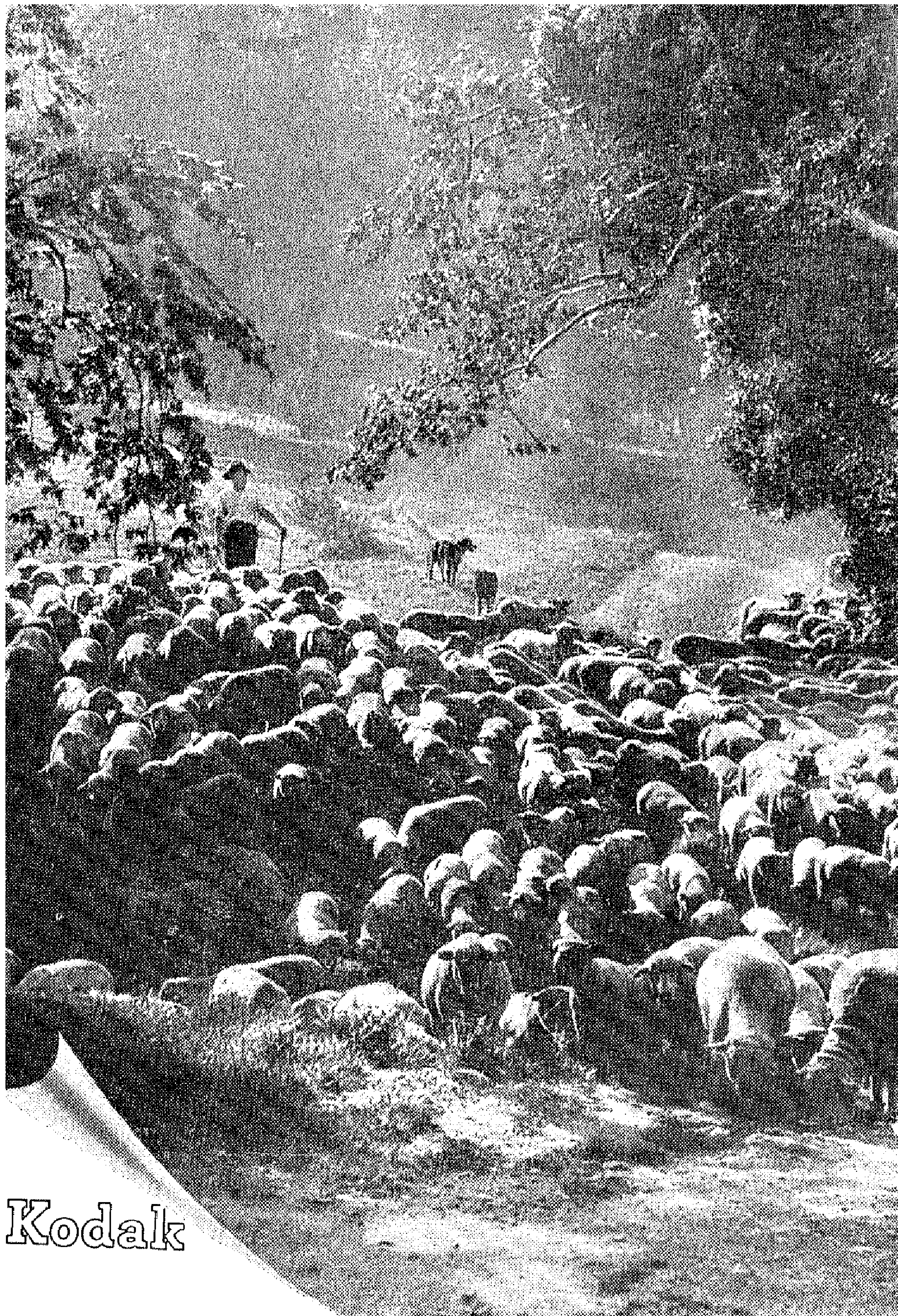


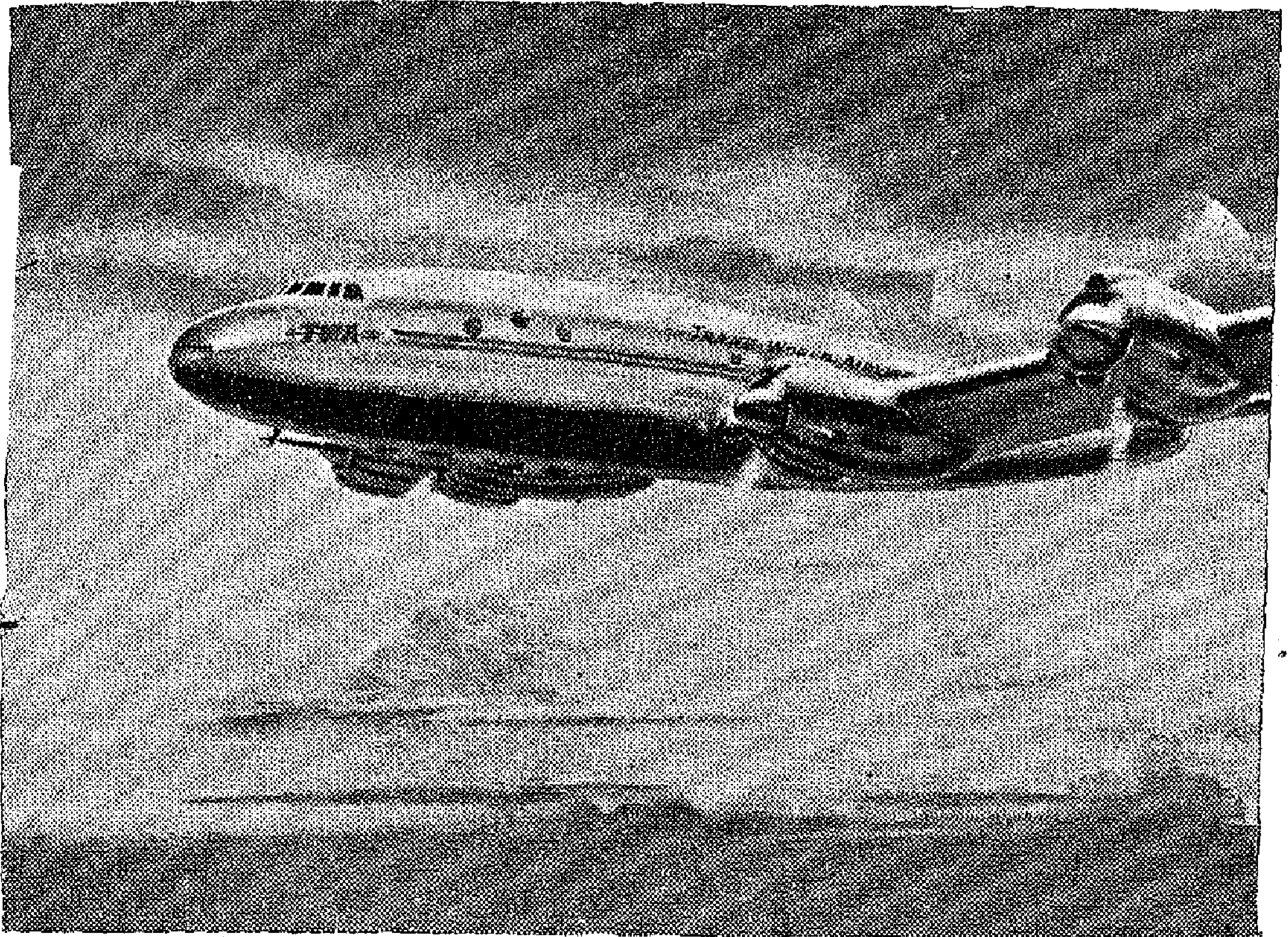
ولـكنك تجـد فى جميع لغات الأرض كلمة واحدة تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط الصور ، من أفلام ، وآلات تصوير ، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak**




**Kodak*** ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٨ ســنة شركات « كوداك » والشركات المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين تيسر لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » ، فى أنحـاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.

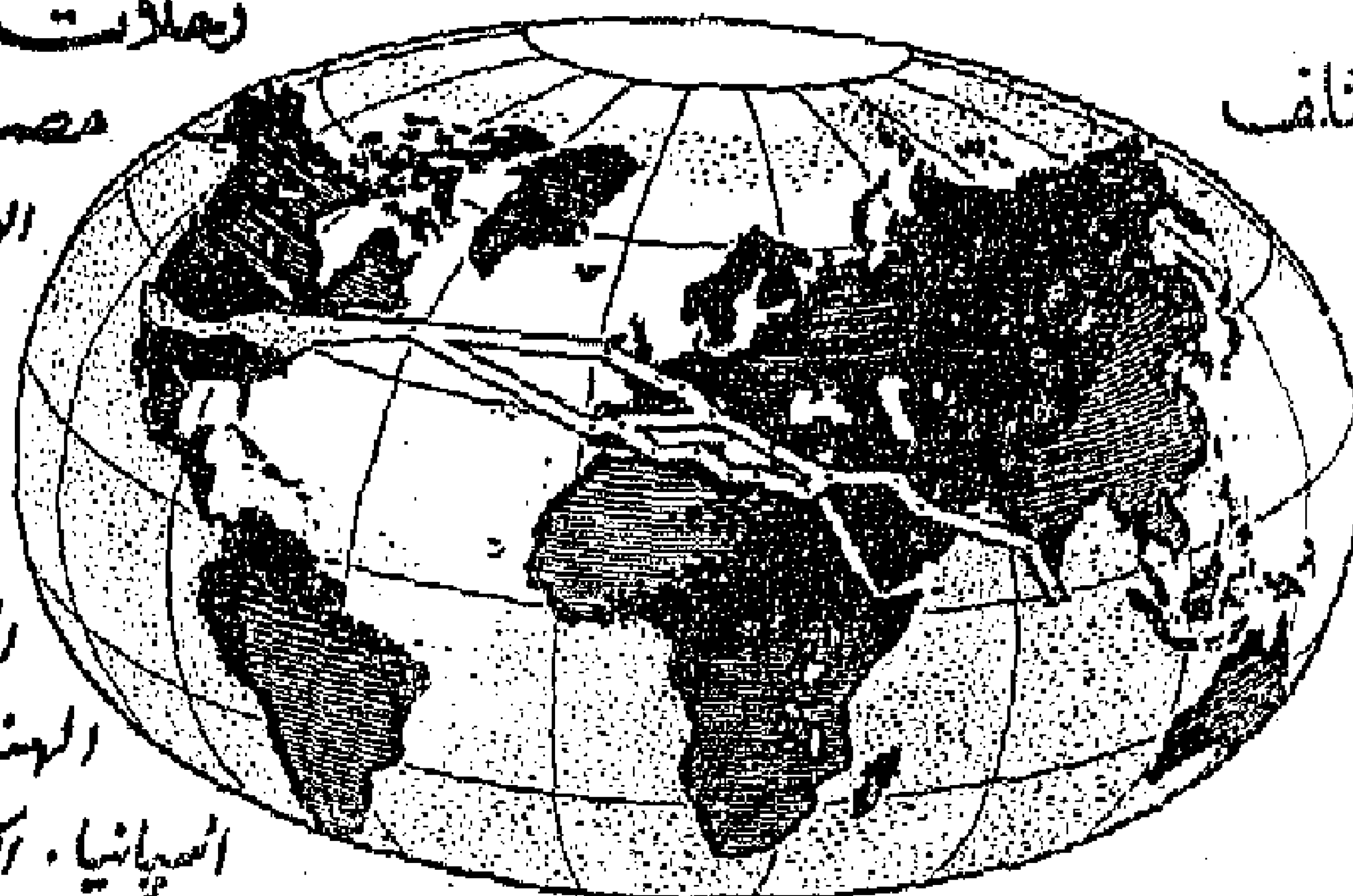

Kodak



# تسدّ حاجة عالميّة

إن وراء T W A ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل من الرحلات
الدولية — قطعتها بنجاح باهر فحطمت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف
المسافات حول الأرض — وبذلك تقيم
T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت
أول من هيأها ونشرها على العالم . وهذه الفكرة هى : خط جوى
حول العالم يسد
حاجات النقل لمختلف
شعوب الأرض

رحلات مباشرة
مصرّح بها بين:
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا



**TWA**
TRANS WORLD AIRLINE

# جسور من الصّلب

إن الجسور المصنوعة من صلب « بثلهيم ». ( وغالبآما تكون هـذه الجسور قد صممت بمعاونة مهندسى شركة بثلهيم ستيل ) تستخدم اليوم فى كثير من بقاع العالم . وتمتاز هذه الجسور بمتانتها وبأنها مصنوعة لكى تظلّ نافعةً زمناً طويلا ، ومصممة بحيث تحتاج إلى أقل قدر من الصيانة .



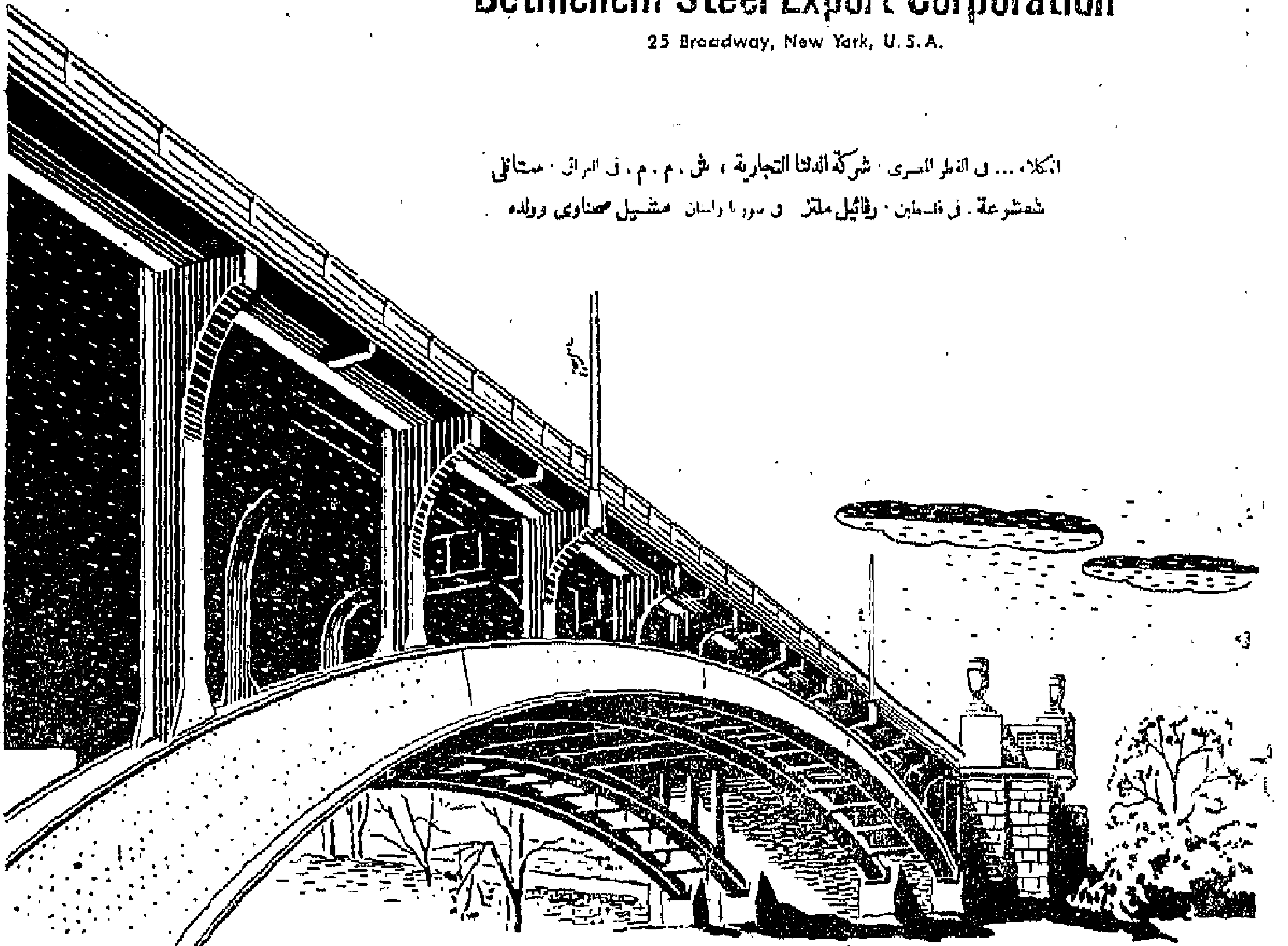

وشركة « بثلهيم ستيل » التى تعد من أكبر الشركات لإنتاج الصلب فى العالم تقدم لك مجموعــة كاملة من منتجاتها الفولاذية — كالأسـلاك والمواسير والصــفائح والرقائق وصلب البناء والصلب اللازم للسكك الحديدية والطرق العامة ... الخ

إن مصنع « سـباروز بوينت » العظيم التابع لشركة « بثلهيم » ، هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء السد . فالرسائل المعدة للأصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة فتقل بذلك الأضرار المحتملة التى تصيب المنتجات من جراء تكرار مرات الشحن .

**Bethlehem Steel Export Corporation**

25 Broadway, New York, U.S.A.

الوكلاء ... فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ، ش . م . م . فى العراق : مستانلى شمشوعة . فى فلسطين : رفائيل ملتز فى سوريا ولبنان : مشيل صحناوى وولده .



هذه مرتبة عالية جديدة

في جودة الاطارات

# إطار ﭼنرال

شركة ﭼنرال تير أند رابر اكسبورت

اكرون . أوهايو . الولايات المتحدة

تلغرافيا : جنتيروكو اكرون أوهايو

مصانع في الولايات المتحدة وكندا ومكسيكو . وفنزويلا وشيلي . والبرتغال

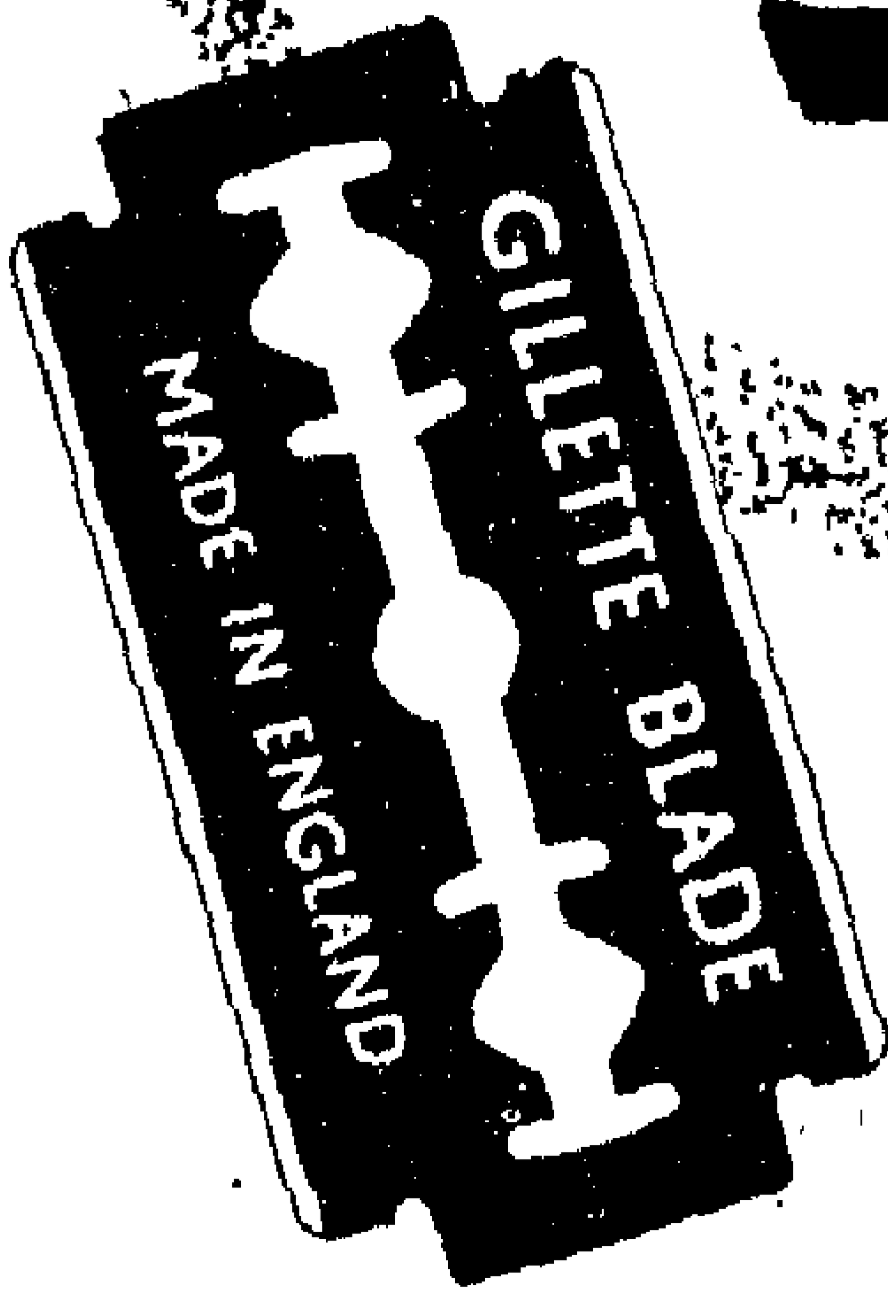
The General Tire & Rubber Co.
AKRON OHIO.



The GENERAL TIRE

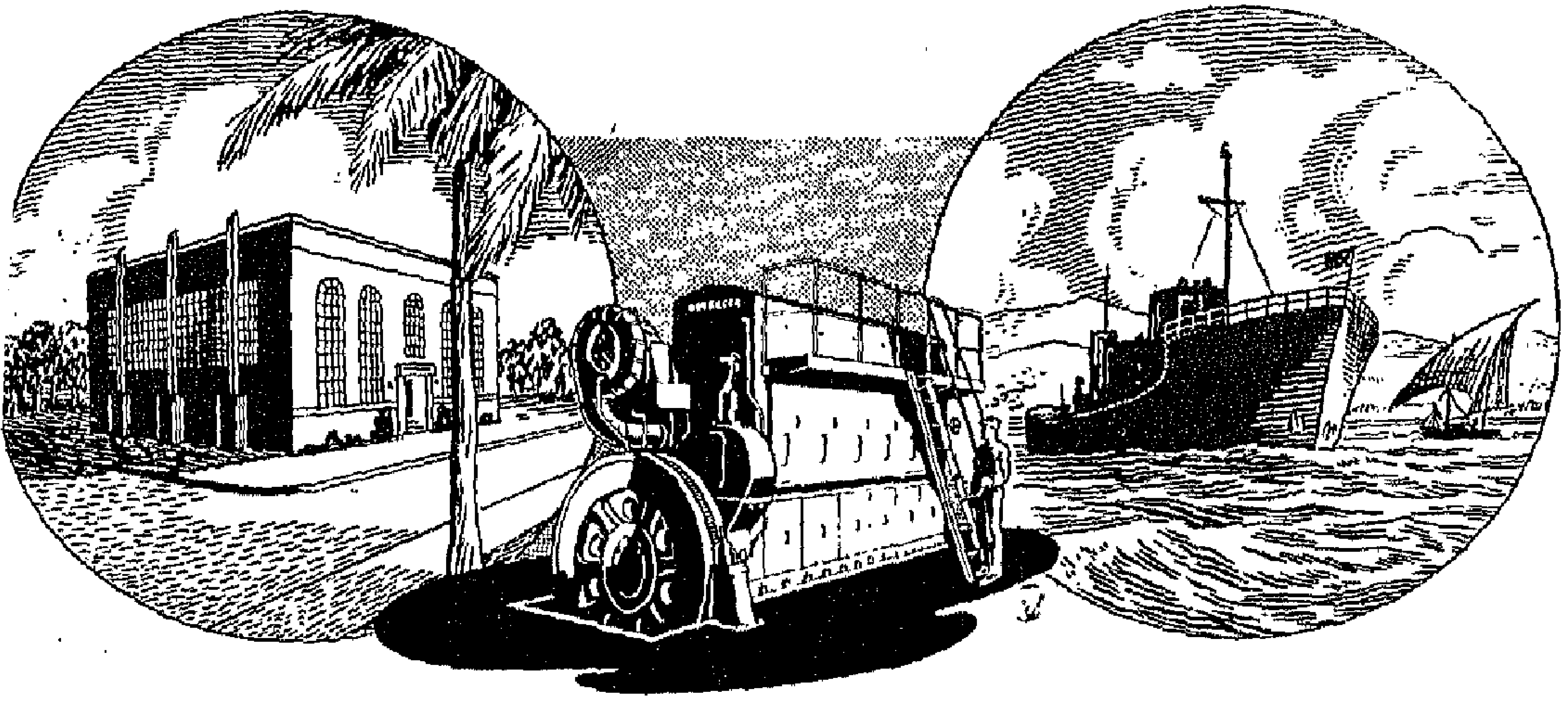
يقطع مسافة طويلة ليكسب الاصدقاء

# شفرات جيليت




حلاقة سريعة وسهلة وناعمة واقتصادية.
هذا ما تمتاز به شفرات جيليت.
فاذا كنت تجد صعوبة في الحصول عليها،
لأن انتاجها لا يزال محدوداً، فابحث
عنها فهي جديرة بذلك.





# حل ما يواجهك من مشكلات الطاقة باستعمال قوة "نوردبرج" ديزل

سواء كنت فى حاجة إلى وحدة ثابتة للخدمة فى محطة صناعية أو مركزية من محطات توليد القوة أو كنت فى حاجة إلى قوة لدفع سفينة فى الماء فإن اختيارك محرك «نوردبرج ديزل» يضمن لك حصولك على أقصى حد من القدرة والاقتصاد. ومحركات «نوردبرج ديزل» متاحة فى أطرزة ذات دورتين وذات أربع دورات وفى مجموعة واسعة من مختلف الأحجام تتدرج قوتها إلى ٨٥٠٠ حصان، فيمكنك أن تختار المحرك الذى يقضى حاجتك الخاصة. وإذا شئت أن تظفر بقدر أوفى من التفاصيل، اتصل بممثلينا فى البلاد الآتية:

فى القطر المصرى والسودان، الحبشة، شرق الأردن، فلسطين، تركيا، قبرص، سوريا ولبنان

**الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة**
٤١ شارع صفية زغلول، بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا، القاهرة

العراق: **الشركة العراقية للملاحة ليمتد**
٢٨٢/٩ شارع المستنصر، بغداد
وشارع الملك فيصل، البصرة

الحجاز: **أمريكان إيسترن كوربوريشن**، جده
إيران: **أمريكان إيسترن، ش. م. إ.**، ٩٢٦ شارع شاه، طهران. وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً، خور امشاهر

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

**NORDBERG محركات ديزل**

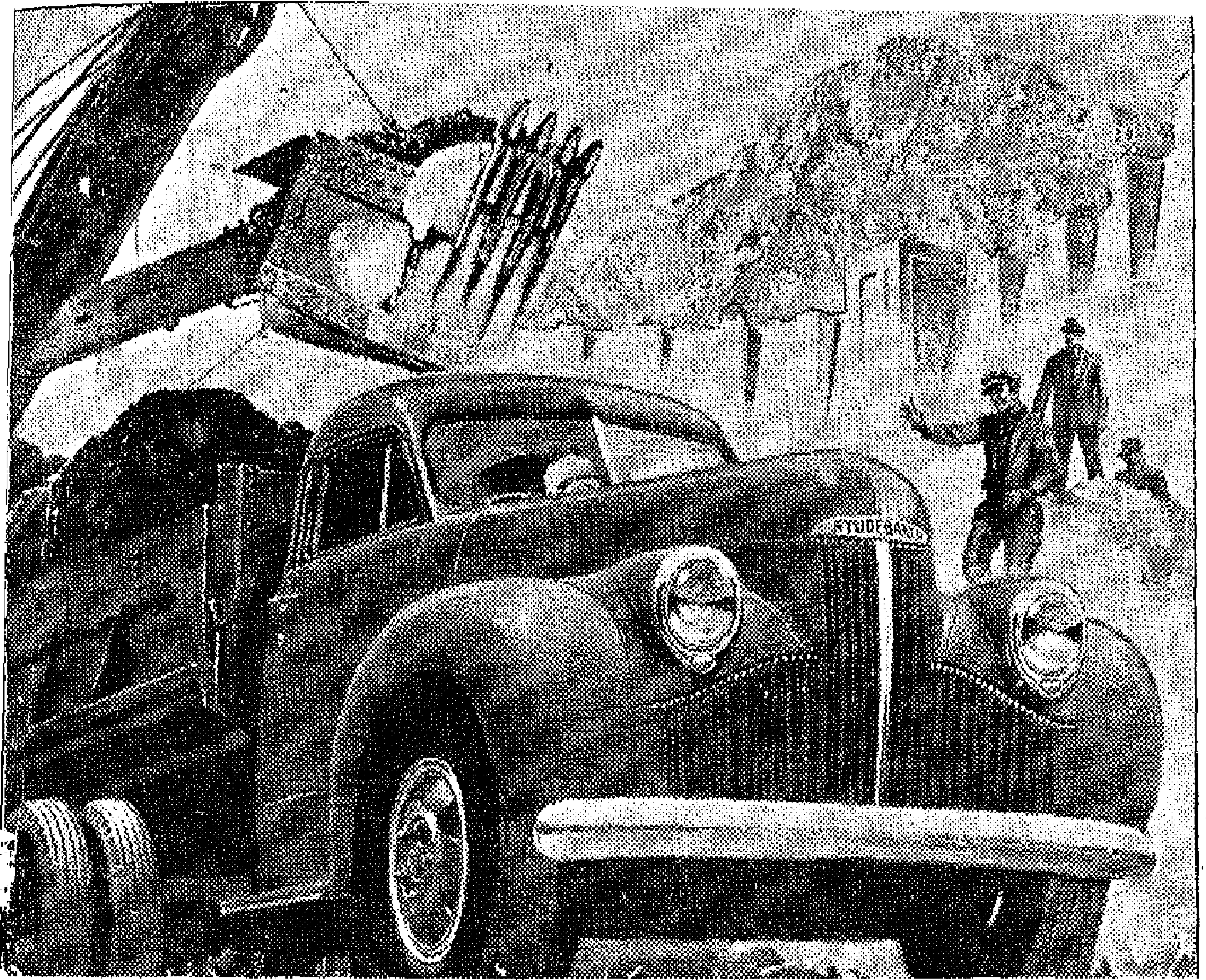
# لكي تحافظ على أسنانك براقة ونظيفة

## استعمل كل يوم معجون
## LISTERINE



LISTERINE
TOOTH PASTE

معجون الأسنان Listerine مركب من ١٤ عنصراً ، وهذه العناصر قد أحكم انتخابها وجعلت مقاديرها دقيقة التوازن حتى تهيئ للأسنان أقصى حد من اللمعان والنظافة دون أن تلحق بميناء الأسنان أدنى ضرر . إن معجون Listerine يترك فمك أكثر نضارة وأشد نظافة وأطيب طعماً . جربه اليوم !



# أخبار سارة ! مقادير متزايدة من مركبات النقل ستوديبيكر تشحن كل أسبوع !

إن الطلبات التى تنهال من جميع أرجاء العالم على مركبات « ستوديبيكر » الضخمة القوية ، بلغت مبلغاً هائلا ، وهى تزداد يوماً بعد يوم .

على أن مصانع مركبات النقل « ستوديبيكر » التى وسّعت توسيعاً عظيماً ، تسير فى إنتاجها على وتيرة تضارع إنتاجها فى زمن الحرب .

وستجد أنه من الخير لك أن تشترى بما خصصته من مال لمركبة نقل ، سيارة « ستوديبيكر » المشهورة بمتانة بنائها ، فتظفر بمركبة نقل قد صُممت تصميماً باهراً لتعطيك أفضل أداء وأقصى حد من الاقتصاد فى العمل . أما المال الذى تنفقهُ فتضمنهُ الشهرة التى نالتها مؤسسة « ستوديبيكر » خلال ٩٤ عاماً عرفت خلالها بأنها تصنع السيارة التى تركّب قيمتها الممتازة فى كل جزء منها . استشر اليوم أقرب وكيل « ستوديبيكر » إليك .

**The Studebaker Export Corporation**
**South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker**

*Studebaker*

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

# معوان على تعليم الصغار

أحمد عيسى
مدرس اللغة العربية بمدرسة المعادي الإبتدائية

رئيس تحرير المختار

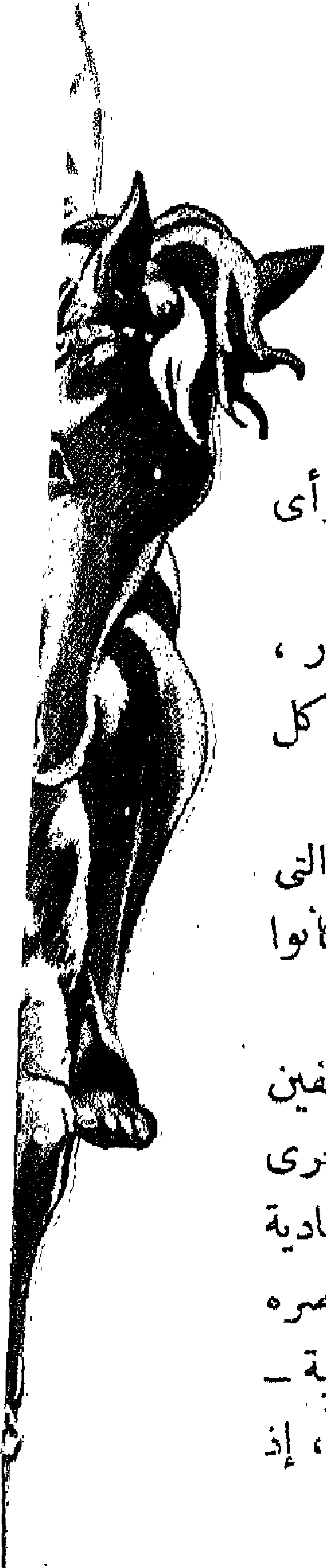
هذه ظاهرة لا أدرى ما الذى يدفعنى إلى أن أكتب لك عنها هذه الكلمة :

« ما يكاد تلاميذى يلمحوننى على باب الفصل حتى يهتفوا مسرعين إلى ( المختار . . المختار ) . فكيف أصبح للمختار استيلاء سحرى غريب على هذه العقول الغضة التى ما تزال فى الفرقة الرابعة الابتدائية ؟ هذا المختار من ريدرز دايجست ، غذاء دسم من شأنه أن يفتح شهية العقول الناضجة التى نالت حظاً وافراً من الثقافة ، لا أن يستهوى هذه البراعم التى لم تتفتح بعد . ولكن العجيب أنها تجربة قمت بها على غير مثال سبق ، فأخذت أقص على تلاميذى من مجموعة المختار بعض ما كتب ألن ديفو من ( حكمة الحيوان ) ، فإذا هم يلتهمونها التهاماً ، ويصرون على أن يشنفوا كل ما كتب فيها ، فأضطر إلى الرجوع إلى أعداد المختار أحملها إليهم فى دروس المطالعة ، ثم أقص عليهم من المختار قصة ( لوبو ملك الذئاب ) ، فإذا هم يصيحون من شدة الإعجاب ، وتسيطر عليهم انفعالات مركبة فأنا إذاً أمام رغبات فتية جامحة ، ماذا أصنع ؟ عدت إلى المختار أستزيده فإذا كنز آخر يستهويهم ( شخصيات لا تنسى ) ثم ماذا ؟ ، ثم كنز ثالث ( من صميم الحياة ) . أما قصة ( هوديني الساحر ) فلا تسلنى كيف تركت هذه القلوب الغضة فى لجة من التساؤل الذى لا يستقر ولا ينقطع . أردت أن أقيس شعورهم نحو المختار بتجربة أخرى ، فقدمت عدداً واحداً منه ( جائزة ) للأول عليهم فى امتحان الفترة فكادوا ينهشوننى من غيظهم على أن خصصت بهذا الفضل واحداً منهم ولم أشمل بمثله الجميع وكأنهم أرادوا أن يتحدوا تشجيعى ، فأحضر كثيرون منهم فى اليوم التالى أعداداً من المختار يتباهون بها على من نال ( الجائزة ) كأنه لا فرق ثم دار همس بين سائر التلاميذ فى المدرسة عن المختار وجولته فى دروس المطالعة . ومازال المختار ضيف المطالعة الأثير ، وكانت تجربة عجيبة على غير مثال سبق » .

# "صلة بين المرء ومعارف عصره"

حميد فرنجيه

وزير خارجية لبنان سابقاً، ورئيس الوفد
اللبناني فى أول اجتماع لهيئة الأمم المتحدة



إن المختار بما تنشر من أبحاث ودروس فى مختلف شؤون العلم والاجتماع تساعد على رفع مستوى معارف العامة، وتؤدى خدمة من أجل الخدم الإنسانية.

وبديهى أن مجلات التبسيط العلمى، فى أنحاء العالم، وحتى فى البلدان التى بلغت الحضارة فيها ذروة المعرفة وتبوأ العمران مكانة رفيعة، تعمل عملها المهذب، ولا تلبث أن تكوّن شيئاً فشيئاً رأى الجماعات وتوجهه التوجيه الصحيح.

ذلك شأن المختار. على أن رسالتها أجدى لما بلغته من سعة الانتشار، ولمـــا يرجى من ازدياده فى العالم العربى التواق إلى الأخذ بالحديث من كل علم وفن.

ولعله من الحق أن نقول إن المختار لا تتوجه برسالتها إلى العامة التى حرمت ثمار العلم فحسب، بل إلى سائر الناس ممن هم دون فئة العلماء ولو كانوا قد أصابوا من المعارف قسطاً غير يسير.

فأبحاثها، على ما فيها من تبسيط، جمة المنافع، حرية بانتباه المثقفين من غير أهل الاختصاص، والاطلاع عليها يجعل الناس على صلة بما يجرى قريباً وبعيداً عنهم فى العالم من كشفٍ واختراعٍ، ومن أحداث اقتصادية واتجاهات فكرية وسياسية. وهـــذه الصلة بين الإنسان ومعارف عصره ـــ هذه الرابطة التى تحرص المختار على إيجادها بين قرائها والدنيا الواعية ـــ إن هى إلا الشرط الأول لقيام ديمقراطية صحيحة عنـــد الشعوب، إذ لا ديمقراطية حيث يسيطر الجهل ولا سلام.

رسالة المختـــار هى رسالة العلم، رسالة المعرفة والسلام.